تفسير الثعالبي

المسمى

بالجواهر الحسان في تفسير القرآن

للإمام عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف أبي زيد الثعالبي المالكي

(٧٨٦ - ٨٧٥ هـ)

حقق أصوله على أربع نسخ خطية وعلق عليه وخرج أحاديثه

الشيخ علي محمد معوض

والشيخ عادل أحمد عبد الموجود

وشارك في تحقيقه

الأستاذ الدكتور عبد الفتاح أبو سنة

خبير التحقيق بمجمع البحوث الإسلامية

وعضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

وعضو لجنة المصحف بالأزهر الشريف

الجزء الأول

دار إحياء التراث العربي مؤسسة التاريخ العربي

بيروت - لبنان

رموز الكتاب

ع = يعني ابن عطية في المحرر الوجيز.

ص = الصَّفاقُسِيّ (السَّفاقسيّ) إبراهيم بن محمد المالكي (ت ٧٤٢ هـ) في كتابيه مختصر تفسير أبي حيان والمجيد في إعراب القرآن المجيد وغيرهما.

ت = بدلاً من قول الثعالبي: (قلت).

م = زيادة الصفاقُسِيّ على مختصر أبي حيّان.

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة
لدار احياء التراث العربي
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

دار إحياء التراث العربي

بيروت حارة حريك شارع دكاش بناية كليوباترا - بملكه
هاتف: 836551 - 836696 - 836766
تلكس: 23644 ص. ب: 11/7957 بيروت - لبنان
فاكس: 2124783422 001

تفسير الثعالبي

الجزء الأول

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

«توطئة»

نحمدك اللهم حَمْدَ الشاكرين، حَمْداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، مِلْءَ السموات، وملء الأرض، وملء ما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

وصلاة وسلاماً دائمين متلازمين على نبينا محمد عبد اللَّه ورسوله، خير من قرأ كتاب اللَّه، وخير من فسره، وخير من عمل به.

وبعد:

فإن علم التفسير من خير العلوم قاطبة، وشرف العلم من شرف المعلوم، وقدر المرء قَدْرُ ما يحسنه، ولا شك أن الاشتغال بكتاب اللَّه تعالى وتفسيره شرف عظيم، فـ «خيركم من تعلم القرآن وعلمه».

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

وهذا الشفاء لن يتحصل عليه إلا من التزم بشرطه، وشرطه التدبر، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [صٓ: ٢٩].

ولما كانت حَاجَةُ الأمة مَاسَّةً إلى معرفة تفسير كتاب ربها، والوقوف على أسراره ـ قمنا بإخراج أحد هذه التفاسير المباركة؛ ليكون تَبْصِرَةً للمسلمين، وعوناً لهم على فهم كتاب اللَّه العزيز.

وها نحن أولاء نقدم للأمة الإسلامية تَفْسِيرَ «**الجواهر الحِسَان**» للإمام العلامة أبي زيد الثعالبي؛ رحمه اللَّه تعالى.

وقد جاء هذا الكتاب في قسمين:

القسم الأول: الدراسة. وجاء في ثلاثة مباحث:

٦ ـــــــ

ثم تحدثنا عن قيمة التفسير المأثور عن التابعين، واختلاف أهل العلم من بعدهم في الاحتجاج بأقوالهم.

وكذلك خُضْنَا في ذِكْرِ سِمَاتِ التفسير في تلك المَرْحَلَةِ من مثل: اعتماده على التَّلَقِّي والرواية، والخلاف المذهبي الناشىء، وغير ذلك مما هو مسطور في موضعه.

وانتقل بنا الحديث إلى الكلام عن التفسير في عَصْرِ التدوين، وتحديد هذا العصر تاريخيًّا، وكيف سار هذا التفسير سيره حتى بلغ تابعي التابعين. ثم تَدَرَّجْنَا إلى تبيان اتجاهات التفسير الموجودة بين المفسرين، وكانت:

ـ **الاتجاه الأثري**: وذكرنا من أعلامه «يحيى بن سلام»، ثم «محمد بن جرير الطَّبَرِيّ».

ـ **الاتجاه اللُّغَوِيّ**: وبَيَّنَّا تاريخ بدايته، وبعض أعلامه، مثل «أبي عبيدة معمر بن المثنى».

ـ **الاتجاه البَيَانِيّ**: وأوضحنا جُذُورَهُ، وبعض أمثلته.

* **المبحث الثالث**: الكلام على تفسير أبي زَيْدٍ.

وتحدثنا فيه عن مصادر الشيخ الثعالبي في تفسيره، والكتب التي استقى منها مَادَّتَهُ، وبنى عليها مصنفه.

ثم تَطَرَّقْنَا إلى بيان منهجه في بناء تفسيره من احتجاج بمأثور، ورأي، وكيف أنه مَزَجَ بينهما، ففسر كتاب اللَّه بعضه ببعض، ثم بالسُّنَّةِ، ثم بتفسير الصحابة والتابعين، واحتجاجه باللغة والأصول، وحديثه عن التوحيد، والرقائق، وعلوم الآخرة، وغير ذلك.

وتحدثنا عن الإسرائيليات في تفسيره، وكيف أنه أَقَلَّ منها، ولم يعتمد عليها.

ثم تحدثنا عن المنهج اللُّغَوِيِّ في تفسير أبي زَيْدٍ، وكذلك المنهج البياني، ثم علوم القرآن في تفسير «**الجواهر الحسان**»، وهي:

ـ المكِّي والمدني.

ـ القراءات المتواترة والشَّاذَّة.

ـ الناسخ والمنسوخ.

ـ الأحكام الفقهية المأخوذة من آيات الأحكام.

القسم الثاني: وهو قسم تحقيق النَّصِّ:

وقد كان عملنا في الكتاب مرتباً على النحو التالي:

أولاً: إخراج النَّصِّ سليماً خالياً من الأخطاء النحوية والإملائية، وقد اقتضى ذلك من المُوَازَنَةِ بين النسخ التي تحت أيدينا، فآثرنا النص الأصوب والأرقّ دون اعتماد على نسخة بعينها.

ثانياً: إثبات فروق النُّسَخِ، وتركنا الكثير منها؛ حيث لا جدوى من ذكرها.

ثالثاً: تخريج الأحاديث الواردة في النص.

رابعاً: عَزْوُ الآثار إلى مصادرها.

خامساً: توضيح الغريب من الألفاظ الواردة في النَّصِّ معتمدين في ذلك على المعاجم اللغوية والفقهية.

سادساً: ترجمة الأعلام الواردة أسماؤهم في النص.

سابعاً: عَزْوُ القراءات إلى مصادرها، والتعليق على بعضها حسبما احتاج النص مع بيان كل قراءة.

ثامناً: توضيح بعض المصطلحات الفقهية والأصولية الواردة في النص.

تاسعاً: التعليق على بعض الموضوعات التي أشار إليها المصنف.

عاشراً: وَضْعُ آيات القرآن الكريم ضمن هلالين مزهرين تيسيراً على القارىء، وتخريج آيات الشواهد.

المبحث الأول
نبذة عن حياة الثعالبي

اسمه، وكُنْيَتُهُ، ولَقَبُهُ:

هو عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف[١]، يكنى أبا زيد، ويلقب بـ «الثعالبي»[٢]. الجزائري[٣]، المغربي، المالكي.

مَوْلِدُهُ:

ذكر صاحبا «**شجرة النور الزَّكِيَّةِ**»، و «**الأعلام**» أنه ولد سنة ٧٨٦هـ جزماً، بينما حكى صاحب «**نيل الابتهاج بتطريز الديباج**» الشك في سنة ميلاده بين ستاً وثمانين، وسبع وثمانين.

نَشْأَتُهُ:

لم تذكر المصادر المترجمة لهذا الإمام شيئًا عن نشأته؛ إلا أن الظن بحال من حاله كالإمام يؤكد أن نشأته في بيت علم وفضل، ولا يبعد وجود أهل صلاح في أسرته، كما أن الظن بمثله أن يكون درج على طلب العلم، كما يطلبه أهله من قراءة كتاب اللّه وحفظه في

---

(١) ينظر ترجمته في: «**الضوء اللامع**» (٤/ ١٥٢)، و «**شجرة النور الزكية**» (٢٦٥) ت (٩٧٦)، و «**فهرس الفهارس**» (٢/ ١٣١)، و «**هدية العارفين**» (٥٣٢)، و «**ديوان الإسلام**» (٢/ ٥٦) ت (٦٣٧)، و «**نيل الابتهاج**» (٢٥٧) ت (٣٠٦)، و «**الأعلام**» (٣/ ٣٣١). والملاحظ اتفاقها على ذكر اسمه وكنيته ولقبه، بلا زيادة على ما تقدم.

(٢) هذه النسبة إلى خياطة جلود الثعالب، وعمل الفراء. وفرق بينها وبين «الثعلبي»؛ حيث إن الأخيرة نسبة إلى القبائل وإلى الموضع، فأما المنتسب إلى القبائل، فإلى ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان، منهم أسامة بن شريك الثعلبي، وابن أخيه زياد بن علاقة بن مالك الثعلبي، والنسبة إلى ثعلبة بن ثور بن هدبة بن لاطم بن عثمان بن عمرو بن أد بن طابخة، بطن من «مزينة»، وأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي. ويقال: الثعالبي، المفسر المشهور النيسابوري. وثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، بطن كبير من تميم. وثعلبة بن جدعاء بن ذهل بن رومان بن جندب بن خارجة بن سعد بن فطرة بن طيء، بطن مشهور من طيء، منهم مسعود بن علبة بن حارثة بن ربيع بن عمرو بن عكوة بن ثعلبة الشاعر. ينظر: «**الأنساب**» (١/ ٥٠٥)، و «**اللباب**» (١/ ٢٣٧- ٢٣٩)، و «**الإكمال**» (١/ ٥٢٩) و «**لب الألباب**» (١/ ١٨٥).

(٣) نسبة الى البلدة المعروفة بـ «الجزائر» إحدى أقطار المغرب العربي.

الصغر، واطِّلاَعِهِ على كتب التاريخ، والتفسير، والحديث، والأصول، والكلام، والأدب، واللغة، والنحو، والصرف، والعروض، وغيرها.

رحلاته وشيوخه:

مما لا شَكَّ فيه أن حَاجَة العلماء إلى الرحلة عَظِيمَةٌ جدًّا؛ سَعْياً في تحصيل العِلْمِ، والسَّمَاعِ من الأَشْيَاخِ؛ لأن في الرِّحْلَةَ إليهم، والالتقاء بهم تَثْقِيفاً للعقول، وتَنْقِيحاً للعلوم، وتَمْحِيصاً للمحفوظ. ولقد كانت الرِّحْلَةُ سُنَّةَ العلماء من لَدُنْ سيدنا محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ إلى أن وقع النَّاسُ فَرِيسَةً للتخلُّف والتكاسُلِ، فقعد بهم ذلك عن طَلَبِ العلم، والسَّعْي في تحصيله.

ولقد كان بَعْضُ أصحاب رَسُولِ اللَّه ﷺ إذا تَنَاءَتْ به الدَّارُ، يركب إلى «المدينة»، فَيَسْأَلُ رسول اللَّه ﷺ.

واستمر ذلك السَّعْيُ والتَّرْحَالُ بعد وَفَاةِ النبي ﷺ. ولما اتسعت رُقْعَةُ الدولة الإسْلاَمِيَّةِ بعد الفتوحات العظيمة، نجد أن الرِّحْلَةَ شَاعَتْ، وانتشر أَمْرُهَا، لتفرُّق العلماء في شَتَّى بُلْدَانِ الدولة الإسلامية.

ولقد ضحَّى سَلَفُنَا الصَّالِحُ بكل غَالٍ ورخيصٍ، ودفعوا المال والجُهْدِ، وتكبَّدُوا العَنَاءَ والمشاقَّ، في سبيل طَلَبِ الحديث وجمعه، والعناية بسُنَّةِ النبي ﷺ.

فهذا الصَّحَابي الجليل أبو أَيُّوبَ الأَنْصَارِيُّ يَرْحَلُ من «المدينة» قاصداً عُقْبَةَ بن عامر بـ «مصر» ليسأله عن حديث سمعه من النبي ﷺ، حتى إذا وَصَلَ إلى منزل عقبة بن عَامِرٍ، خرج إليه عُقْبَةُ فعانقه، وقال: ما جَاءَ بك يا أبا أَيُّوبَ؟ فقال: حديث سمعته من رسول اللَّه ﷺ لم يبق أحد سمعه منه غيري وغَيْرُكَ، في سَتْرِ المؤمن. قال عقبة: نعم، سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «مَنْ سَتَر مُؤْمِناً فِي الدُّنْيَا عَلَى خِزْيَةٍ، سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ».

فقال أبو أَيُّوبَ: صَدَقْتَ.

ثم انصرف أَبُو أَيُّوبَ من تَوِّهِ إلى رَاحِلَتِهِ، رَاجِعاً إلى «المدينة»، متحمِّلاً مشقَّةَ السفر، وَوَعْثَاءَ الطريق، وأخطار المَفَاوِزِ والقِفَارِ.

ويقول سعيد بن المُسَيِّبِ: إني كنت لَأُسَافِرُ مَسِيرَةَ الأيام والليالي في الحديث الوَاحِدِ.

وذات مَرَّةٍ قال عمرو بن أبي سَلمَةَ لِلأَوْزَاعِيِّ: يا أبا عَمْرٍو أنا أَلْزَمُكَ منذ أربعة أيام،

ولم أسمع منك إلاَّ ثلاثين حديثاً! قال: وتستقلُّ ثلاثين حَدِيثاً في أربعة أيَّام؟ لقد سار جَابِرُ بن عبد اللَّه إلى «مصر»، واشترى رَاحِلَةً فركبها، حتى سأل عُقْبَةَ بن عامر عن حَدِيثٍ واحد، وانْصَرَفَ إلى «المدينة»، وأنت تَسْتَقِلُّ ثلاثين حَدِيثاً في أربعة أيام؟[1].

مما سَبَقَ يَتَبَيَّنُ أن للرحلة أَثَراً مَلْحُوظاً في تَمْحِيصِ العُلُومِ، وتنقيحها، وتثبيتها في أذهان العلماء، وأن طلاب العلم نَزَحُوا من قُطْرٍ إلى قطر، تحملهم ظهور الفَيَافِي والقِفَارِ، تنقيباً عن الحديث، أو المَسْأَلَةِ الفقهية، أو السَّمَاعِ من شَيْخٍ مشهور، أو التَّلمذة على يد عالم إمام.

ولم يكن الإمام الثعالبي بِدْعاً في هذا الشَّأْنِ، بل سار على دَرْبِ أَسْلاَفِهِ من العلماء، وأقرانه من طُلاَّب العلم في السَّعْيَ والسَّفَرِ؛ رَغْبَةً في تحصيل العِلْمِ، وطَلَبِ مَسَائِلِهِ وقضاياه.

وقد عرفنا الثعالبي نفسه أنه قد رحل في طلب العلم، وسمع من أهل العلم في مختلف الأقطار، فنراه يقول:

رحلت في طلب العلم من ناحية «الجزائر» في آخر القرن الثامن، فدخلت «بجاية» عام اثنين وثمانمائة، فلقيت بها الأئمة المقتدى بهم في العلم والدين والورع، أصحاب الفقيه الزاهد الورع عبد الرحمن الوغليسي، وأصحاب الشيخ أبي العباس أحمد بن إدريس متوافرون يومئذ، أصحاب ورع ووقوف مع الحد لا يعرفون الأمراء، ولا يخالطونهم، وسلك أتباعهم مسلكهم، كشيخنا الإمام الحافظ أبي الحسن علي بن عثمان المكلاتي، وشيخنا الولي الفقيه المُحَقِّق أبي الربيع سليمان بن الحسن، وأبي الحسن علي بن محمد البليليتي، وعلي بن موسى، والإمام العلامة أبي العباس النقاوسي، حضرت مجالسهم، وعمدتي على الأولين، ثم دخلت «تونس» عام تسعة أوائل عشرة وأصحاب ابن عرفة متوافرون، فأخذت عنهم، كشيخنا واحد زمانه أبي مهدي عيسى الغبريني، وشيخنا الجامع بين علمي المنقول والمعقول أبي عبد اللَّه الأبي، وأبي القاسم البرزلي، وأبي يوسف يعقوب الزغبي، وغيرهم، وأكثر عمدتي على الأبي، ثم رحلت للمشرق، وسمعت **«البخاري»** بـ «مصر» على البلالي، وكثيراً من اختصار **«الإحياء»** له، وحضرت مجلس شيخ المالكية بها أبي عبد اللَّه البساطي، وحضرت كثيراً عند شَيْخِ المحدثين بها ولي الدين العراقي، وأخذت عنه علوماً جَمَّةً، معظمها علم الحديث، وفتح لي فتحاً عظيماً وأجازني،

---

(١) روى هذه الآثار الحاكم في **«علوم الحديث»** ص ٧، ٨.

١٢ ـــــــ

«**المدونة**» و «**الرسالة**» و «**ابن الحاجب**» كلها قراءة بحث وتحقيق، وأكثر «**إرشاد**» أبي المعالي وتفسير القرآن، وأَذِنَ لي في إقرائها كلها سنة تسعة عشر وثمانمائة ـ اهـ ـ ملخصاً.

وسمعت والدي الفقيه أحمد ـ رحمه اللّه ـ يحدث عن بعض المشارقة أنه رأى له تفسير القرآن في ثمان مجلدات ـ اهـ.

قال التنبكي: قرأت بخط سَيِّدِي يخلفتين حفيد الشيخ عبد الرحمن الثعالبي أن وفاته سنة ثمان وعشرين وثمانمائة ـ اهـ. ويذكر أن الإمام ابن عرفة لِيمَ على كثرة الاجتهاد، وتعبه نفسه في النظر، فقال: كيف أنام وأنا بين أسدين الأبي بفهمه وعقله، والبرزلي بحفظه ونقله ـ اهـ.

ووصفه أبو عبد اللّه المشذالي بالفقيه، المحقق، العالم. وأخذ عنه جماعة من الأئمة كالقاضي عمر القلشاني، وأبي القاسم بن ناجي، وعبد الرحمن الجدولي، والثعالبي، والشريف العجيسي، وغيرهم، وقال الثعالبي فيه: شيخنا، مولاي، الإمام، الحجة، الثقة، إمام المحققين، الجامع بين حقيقتي المنقول والمعقول، ذو التصانيف الفائقة البارعة، والحُجَج السَّاطعة اللامعة ـ اهـ. توفي، فيما قيل، سنة سبع وعشرين، و «خِلْفَة» بكسر المعجمة وفتحها ثم لام ساكنة بعدها فاء.

وقد سمع الثعالبي من شيخه الأبي ببلدة «تونس».

٢ ـ وَلِيُّ الدين العراقي[(١)]:

وهو أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن، الإمام الحافظ الفقيه، المصنف، قاضي القضاة وَلِيُّ الدين أبو زُرْعَةَ ابن الإمام العلامة الحافظ زين الدين أبي الفضل، العراقي الأصل، المصري. ولد في ذي الحجة سنة اثنتين وستين وسبعمائة، وبكر به أبوه، فأحضره عند أبي الحرم القلانسي خاتمة المسندين بالقاهرة، واستجاز له من أبي الحسن الفرضي، ثم رحل به إلى «الشام» سنة خمس وستين، فأحضره في الثالثة على جماعة من أصحاب الفخر ابن البخاري، ثم رجع، وأسمعه بـ «القاهرة» من جماعة من المسندين، ثم طلب بنفسه وهو شاب، فقرأ الكثير، ودأب على الشيوخ، ثم رحل إلى «الشام» صحبه صهره الحافظ نور الدين الهيثمي بعد الثمانين، فسمع الكثير ثم رجع، وهو

---

(١) ينظر ترجمته في: «**إنباء الغمر في أبناء العمر**» (٨/ ٢١)، و «**البدر الطالع**» (١/ ٧٢)، و «**طبقات ابن قاضي شهبة**» (٤/ ٨٠).

١٤ ـــــــ

المصمودي، أفرد ترجمته بتأليف، والعلامة أبي الحسن الأشهب العماري، وعن أبيه وعَمِّهِ ابني الخطيب ابن مَرْزُوقٍ، وبتونس عن الإمام ابن عَرَفَةَ، وأبي العباس القصار، وبفاس عن الأستاذ النحوي ابن حياتي الإمام، والشيخ الصالح أبي زيد المكودي، والحافظ محمد بن مسعود الصنهاجي الفيلالي في جماعة، وبمصر عن الأئمة السراج البلقيني، والحافظ أبي الفضل العراقي، والسراج ابن الملقن، والشمس الغماري، والمجد الفيروزآبادي صاحب **«القاموس»**، والإمام مُحِبّ الدين بن هشام ولد صاحب **«المغني»**، والنور النويري، والولي ابن خلدون، والقاضي العلامة ناصر الدين التنسي، وغيرهم.

وأجازه من «الأندلس» الأئمة كابن الخَشَّابِ، وأبي عبد اللَّه القيجاطي، والمحدث الحفار، والحافظ ابن علاق، وأبي محمد ابن جزي، وغيرهم، وأخذ عنه جماعة من السادات كالشيخ الثعالبي، وقاضي الجماعة عمر القلشاني، والإمام محمد بن العباس، والعلاَمة نصر الزواوي، وولي اللَّه الحسن أبركان، وأبي البركات الغماري، والعلاّمة أبي الفضل المشذالي، والسيد الشريف قاضي الجماعة بغرناطة أبي العباس بن أبي يحيى الشريف، وأخيه أبي الفرج، وإبراهيم بن فَائِدٍ الزواوي، وأبي العباس أحمد بن عبد الرحمن الندرومي، والعلاّمة علي بن ثابت، والشهاب ابن كحيل التجاني، وولد العالم محمد بن محمد بن مرزوق الكفيف، والعلامة أحمد بن يونس القسنطيني، والعالم يحيى بن بدير، وأبي الحسن القلصادي، والشيخ عيسى بن سلامة البكري، والعلامة يحيى المازوني، والحافظ التنسي، والإمام ابن زكري. في خَلْقٍ كثيرين من الأَجِلاَّءِ.

وقال الحافظ السَّخَاوِيُّ: هو أبو عبد اللَّه حفيد ابن مرزوق، ويقال له أيضاً «ابن مرزوق»، تلا بنافع على عثمان الزروالي، وانتفع في الفِقْهِ بابن عرفة، وأجازه ابن الخَشَّابِ والحفار والقيجاطي. وحج قديماً سنة تسعين وسبعمائة رفيقاً لابن عرفة، وسمع من البهاء الدماميني، والنور العقيلي بمكة، وقرأ بها البخاري على ابن صديق، ولازم المحب ابن هشام في العربية، ثم حج سنة تسعة عشر وثمانمائة، ولقيه رضوان الزيني بمكة، وكذا لقيه ابن حجر ـ اهـ.

وأما تآليفه، فكثيرة منها: شروحه الثلاثة على **«البردة»**: الأكبر المسمى **«إظهار صدق المودة في شرح البردة»** استوفي فيه غاية الاستيفاء، ضمنه سبعة فنون في كل بيت، و **«الأوسط»** و **«الأصغر»** المسمى **«بالاستيعاب لما فيها من البيان والإعراب»** و **«المفاتيح القرطاسية في شرح الشقراطيسية»**، و **«المفاتيح المرزوقية في استخراج رموز الخزرجية»**، ورجزان في علوم الحديث، الكبير سماه **«الروضة»** جمع فيه بين ألفيتي ابن ليون والعراقي،

و «**مختصر الحديقة**» اختصر فيه ألفية العراقي، وأرجوزة في الميقات سماه «**المقنع الشافي**» في ألف وسبعمائة بيت، وأرجوزة ألفية في محاداة «**الشاطبية**»، وأرجوزة نظم «**تلخيص المفتاح**»، وأرجوزة نظم «**تلخيص ابن البنا**» وأرجوزة نظم «**جمل**» الخونجي، وأرجوزة في اختصار «**ألفية ابن مالك**»، و «**نهاية الأمل**» في شرح جمل الخونجي، و «**اغتنام الفرصة في محادثة عالم قفصة**»، وهو أجوبة على مسائل في الفقه والتفسير وغيرهما، وردت عليه من عالم قفصة أبي يحيى بن عقيبة فأجابه عنها، و «**المعراج إلى استمطار فوائد الأستاذ ابن سراج**» أجاب فيه العالم قاضي الجماعة بغرناطة ابن سراج عن مسائل نحوية ومنطقية، و «**نور اليقين في شرح أولياء اللّه المتقين**» تأليف ألفه في شأن البدلاء تكلم فيه على حديث في أول «**الحلية**»، و «**الدليل المومي في ترجيح طهارة الكاغد الرومي**»، و «**النصح الخالص في الرد على مدعي رتبة الكامل للناقص**» في سبعة كراريس، ألفه في الرد على عصريه وبلديه الإمام قاسم العقباني في فتواه في مسألة الفقراء الصوفية في أشياء صوّب العقباني صنيعهم فيها، فخالفه ابن مرزوق، و «**مختصر الحاوي في الفتاوى**» لابن عبد النور التونسي، و «**الروض البهيج في مسألة الخليج**» في أوراق نصف كراس، و «**أنوار الدراري في مكررات البخاري**»، وتأليف في مناقب شيخه الزاهد الولي إبراهيم المصمودي في مقدار كراس، و «**تفسير سورة الإخلاص على طريقة الحكماء**»، وهذه كلها تامة.

وأما ما لم يكمل من تآليفه، «**فالمتجر الربيح والسعي الرحب الفسيح في شرح الجامع الصحيح**» صحيح البخاري، و «**روضة الأديب في شرح التهذيب**»، و «**المنزع النبيل في شرح مختصر خليل**» شرح منه الطهارة في مجلدين، ومن الأقضية لآخره في سفرين في غاية الإتقان، و «**التحرير والاستيفاء والتنزيل لألفاظ الكتاب والنقول**» لا نظير له أصلاً، لخصه العلامة الراعي، و «**إيضاح المسالك في ألفية ابن مالك**» انتهى إلى اسم الإشارة والموصول، مجلد في غاية الإتقان، ومجلد في شرح شواهد شراحها إلى باب كان وأخواتها، وله خطب عجيبة، وأما أجوبته وفتاويه على المسائل المنوعة، فقد سارت بها الركبان شرقاً وغرباً، بدواً وحضراً. ذكر المازوني والونشريسي منها جملة وافرة في كتابيهما، وله أيضاً عقيدته المسماة «**عقيدة أهل التوحيد المخرجة من ظلمة التقليد**»، وعلى منحاه بنى السنوسي عقيدته الصغرى، و «**الآيات الواضحات في وجه دلالة المعجزات**»، و «**الدليل الواضح المعلوم في طهارة كاغد الروم**»، و «**إسماع الصّم في إثبات الشرف من قبل الأم**».

وذكر السخاوي أن من تأليفه شرح فرعي ابن الحاجب، وشرح التسهيل، واللّه أعلم.

ومولده، كما ذكره هو في شرحه على البردة، ليلة الاثنين رابع عشر ربيع الأول عام ستة وستين وسبعمائة.

وقال تلميذه الإمام الثعالبي: وقدم علينا بتونس شيخنا أبو عبد اللّه بن مرزوق، فأقام بها وأخذت عنه كثيراً، وسمعت عليه جَمِيعَ **«الموطأ»** بقراءة صاحبنا أبي حفص عمر ابن شيخنا محمد القلشاني، وختمت عليه **«أربعينيات النووي»** قراءة عليه في منزلة قراءة تفهم، فكان كلما قرأت عليه حديثاً يعلوه خشوع وخضوع، ثم أخذ في البكاء، فلم أزل أقرأ وهو يبكي حتى ختمت الكتاب، وهو من أولياء اللّه تعالى الذين إذا رأوا ذكر اللّه.

وأجمع الناس على فضله من «المغرب» إلى الديار المصرية، واشتهر فضله في البلاد، فكان بذكره تطرز المجالس، جعل اللّه حبه في قلوب العامة والخاصة، فلا يذكر في مجلس إلا والنفوس متشوقة لما يحكى عنه، وكان في التواضع والإنصاف والاعتراف بالحق في الغاية وفوق النهاية، لا أعلم له نظيراً في ذلك في وقته فيما علمته.

وقال أيضاً في موضع آخر: هو سيدي الشيخ الإمام، الحبر الهمام، حجة أهل الفضل في وقتنا وخاتمتهم، ورحلة النقاد وخلاصتهم، ورئيس المحققين.

توفي يوم الخميس عصر رابع عشر شعبان عام اثنين وأربعين وثمانمائة، وَصَلَّى عليه بالجامع الأعظم بعد صلاة الجمعة، حضر جنازته السلطان فمن دونه، لم أر مثله قبله، وأسف الناس لفقده، وآخر بيت سمع منه عند موته: [البسيط]

إِنْ كَانَ سَفْكُ دَمِي أَقْصَى مُرَادِكُمُ ... فَمَا غَلَتْ نَظْرَةٌ مِنْكُمْ بِسَفْكِ دَمِي

وقد سمع الثعالبي منه بعد عودته من رحلته إلى تونس.

٤ ـ أبو القاسم بن أحمد بن محمد المعتل البلوي، القيرواني، ثم التونسي، الشهير بالبرزلي، الإمام المشهور[1]، نزيل «تونس»:

مفتيها، وفقيهها، وحافظها، العَلاَّمة، أحد الأئمة في المذهب المالكي صاحب **«الديوان»** في الفقه والنوازل، من كتب المذهب الأجلة، أجاد فيه ما شاء، كان ـ رحمه اللّه ـ إماماً علامة، بارعاً، حافظاً للفقه متفقهاً فيه، بحاثاً نظاراً مستحضراً للفقه، أخذ عن جماعة، وفي بعض إجازاته ما ملخصه أنه قرأ على الفقيه المحدث الراوية الخطيب أبي عبد اللّه بن مرزوق شيئاً من الصحيحين، والشاطبيتين، وتكملة القيجاطي، والدرر

(١) ينظر ترجمته في: **«شجرة النور الزكية»** (٢٤٥)، و **«نيل الابتهاج»** (٣٦٨).

اللَّوَامع، يرويهما عن مؤلفهما، والعمدة وغيرها، وعلى الفقيه المحدث الراوية المسن الصالح أبي الحسن البطروني القراءة السبعة، وكتباً كثيرة، وأحزاب الشاذلي عن الشيخ ماضي عنه، وعلى الإمام المؤلف الفقيه الصَّالح المتفنن العلم أبي عبد اللَّه بن عرفة، لازمه ما ينيف على ثلاثين سنة، وقرأ عليه بعض مسلم، وسمع جميعه عليه وجميع البخاري، و «**الموطأ**»، و «**الشفاء**»، و «**علوم الحديث**» لابن الصلاح، وجميع «**التهذيب**» مراراً، وابن الحاجب الفرعي، وكثيراً من الأصلي، و «**معالم**» التلمساني الفقيه، و «**جمل**» الخونجي، وكثيراً من «**المحصل**»، وإلقاء التفسير مراراً، وقرأ عليه مختصره المنطقي وفي الأصلين وأكثر مختصره الفقهي، وأجازه بالجميع وغيرها، وكتب له بخطه مراراً، وقرأ عليه الفقيه المقرىء الراوية أحمد بن مسعود البلنسي، (عرف بابن الحاجة) القراءات السبعة وغيرها، وعلى الفقيه الصالح الراوية المتفنن أبي محمد الشبيبي القراءات السبعة وغيرها، و «**التهذيب**»، و «**الجلاب**»، و «**الرسالة**» وغيرها، و «**الموطأ**»، ومسلماً، وعلم النحو، والحساب، والفرائض، والتنجيم، ولازمه من حدود ستين وسبعمائة إلى عام سبعين، وعلى الفقيه الصالح القاضي العدل الحافظ أحمد بن حيدرة التوزري، لازمه كثيراً، وأخذ عنه مسائل كثيرة، وقرأ على الفقيه الصالح العدل أبي العباس المومناني الصحيحين، و «**الشفاء**»، وغيرها، وكذا أخوه الفقيه الصالح القاضي العدل أبو زيد عبد الرحمن، وقرأ عليه شيئاً من أصلي ابن الحاجب، وأذن له في إقرائه، وعلى الفقيه المحدث الراوية برهان الدين الشامي، قرأ عليه أبعاضاً من البخاري، والترمذي، والشفاء، والشاطبية، وغيرها، وناوله فهرسته، وعلى الرواية المحدث المعمر أبي إسحاق بن صديق الرسام.

وذكر في فتاويه أنه لازم ابن عرفة نحو أربعين عاماً، فأخذ هديه وعلمه وطريقته، وجالس غيره كثيراً في الفقه والرواية في الحديث وغيره، وحصل بذلك علماً كثيراً.

وقال السَّخَاوِيُّ: كان البرزلي أحد أئمة المالكية ببلاده «المغرب»، وصاحب الفتاوى المتداولة، قدم «القاهرة» حاجاً سنة ست وثمانمائة، وأجاز لشيخنا (يعني: ابن حجر) أخذ عنه غير واحد ممن لقيناهم، كأحمد بن يونس. توفي بتونس سنة أربع وأربعين، على ما قيل، أو سنة ثلاث، عن مائة وثلاث سنين، وحينئذ فهو آخر من في القسم الأول من معجم الحافظ ابن حجر، وكان موصوفًا بشيخ الإسلام ـ اهـ. وقد سمع الثعالبي منه بـ «تونس».

وكانت وفاته سنة اثنين وأربعين، ومولده (على ما قال السخاوي) في حدود أربعين وسبعمائة، وممن أخذ عنه الشيخ أبو القاسم بن ناجي، والرصاع، والشيخ حلولو،

وغيرهم.

٥ ـ علي بن عثمان المنجلاتي[١]، الزواوي، البجائي:

من علماء المالكية وفقهائها الجلة، أخذ عن الشيخ عبد الرحمن الوغليسي وغيره، وهو والد العلامة أبي منصور مفتي «بجاية»، قال الشيخ عبد الرحمن الثعالبي في حَقِّهِ: شيخنا أبو الحسن، الإمام الحافظ، وعليه كانت عمدة قراءتي ببجاية ـ اهـ. وله فتاوى نقل بعضها في **«المازونية»** و **«المعيار»**.

وقد سمع منه الثعالبي أثناء رحلته بـ «بجاية».

٦ ـ أحمد النقاوسي البجاني[٢]، العلامة:

قال تلميذه أبو زَيْدٍ عبد الرحمن الثعالبي: هو شيخنا الإمام المحقق الجامع بين علمي المنقول والمعقول، ذو الأخلاق المرضية، والأحوال الصالحة السنية ـ اهـ.

وقد سمع منه الثعالبي بـ «بجاية».

٧ ـ عيسى بن أحمد بن محمد بن محمد الغبريني، أبو مهدي التونسي[٣]:

قاضي الجماعة بـ «تونس» وعالمها وصالحها، وحافظها وخطيبها، قال الشيخ الثعالبي: شيخنا أَوْحَدُ زمانه علماً وديناً ـ اهـ.

ووصفه تلميذه أبو القاسم بن ناجي بأنه ممن يظن به حفظ المذهب بلا مطالعة، وبالغ في الثناء عليه في غير موضع، بل نقل عنه عصريه أبو القاسم البرزلي في ديوانه في غير موضع. قال السَّخَاوِيُّ في **«تاريخ أهل المائة التاسعة»** فيه: قاضي «تونس» وعالمها، أخذ عنه أحمد القلشاني، والشرف العجيسي وغيرهما، مات عام ستة عشر وثمانمائة ـ اهـ.

قال أحمد التنبكي في **«نيل الابتهاج»**: بل أخذ عنه غالب تلاميذ ابن عرفة المتأخرة وغيرهم، كالبسيلي، وأبي يحيى بن عقبة، وعمر القلشاني، وأبي القاسم القسنطيني، وأبي الحسن علي بن عصفور، وابن ناجي، والزلديوي في خلق كثير، قال ابن ناجي: ما رأيت أصح منه نقلاً، ولا أحسن منه ذهناً، ولا أنصف منه، مع كمال الرئاسة، وشاهدت بَعْضَ

---

(١) وقع في **«شجرة النور الزكية»** هكذا: المنكلاتي. وفي غيره «المكلاتي». وهو هنا كما في **«نيل الابتهاج»** (٣٣٢).

(٢) ينظر ترجمته في: **«نيل الابتهاج»** (١١١).

(٣) ينظر ترجمته في: **«شجرة النور الزكية»** (٢٤٣)، و **«نيل الابتهاج»** (٢٩٧).

٢٠ ـــــــ

٩ ـ محمد بن علي بن جعفر الشمس، العجلوني، ثم القاهري، الشافعي الصوفي، ويعرف بالبلالي[١] ـ بكسر الموحدة ثم لام خفيفة ـ:

ولد قبل الخمسين وسبعمائة، واشتغل بتلك البلاد قليلاً، ولازم أبا بكر الموصلي، فانتفع به وبغيره، وتميز في التصوف، ولازم النظر في **«الإحياء»** بحيث كاد يأتي عليه حفظاً، وصارت له به ملكة قوية بحيث اختصره اختصاراً حسناً جداً. وكان بالنسبة لأصله كالحاوي مع الرافعي، وانتفع به الناس وأقبلوا على تحصيله سيما المغاربة وقرىء عليه غير مرة، وربما استكثر عليه، وكذا صنف **«السول في شيء من أحاديث الرسول»**، واختصر **«الروضة»** ولكن لم يكملا، واختصر **«الشفا»**، وعمل مختصرًا بديعاً في الفروع، وقرض السيرة النبوية لابن ناهض. وعرف بالخير والصلاح قديماً، واشتهر بالتعظيم في الآفاق، وحسنت عقيدة الناس فيه، واستقدمه سودون الشيخوني نائب السَّلْطَنَةِ في حدود التسعين، وولاه مشيخة سعيد السعداء، فدام بها نحو ثلاثين سنة لم يزل عنها إلا مرة بخادمها خضر؛ لقيام تمراز نائب الغيبة في الأيام الناصرية فرج ولم يمض سوى عشرة أيام، ثم جيء بالقبض عليه، وعد ذلك من كرامات البلالي، ثم أعيد. وكان كثير التواضع إلى الغاية منطرح النفس جداً، مشهوراً بذلك، كثير البذل لما في يده، شديد الحياء، كثير العبادة والتلاوة والذكر، سليم الباطن جدًّا بحيث كان كثير من الناس يتكلم فيه بسبب ما له من المباشرات بالخانقات وتؤثر عنه كرامات وخوارق. ذكره ابن حجر في معجمه بما هذا حاصله، قال: وكان يودني كثيراً، وأجاز في استدعاء ابني محمد، وذكر أنه ضاع منه مسموعاته. وكذا ذكره في **«الإنباء»** باختصار، وأنه استقر في مشيخة سعيد السعداء مدة مُتَطَاولَةً مع التَّوَاضُعِ الكامل، والخلق الحسن وإكرام الوارد. واختصر **«الإحياء»** فأجاد، وطار اسمه في الآفاق، ورحل إليه بسببه، ثم صنف تصانيف أخرى. وكانت له مقامات وأوراد، وله محبون معتقدون، ومبغضون منتقدون. ونحوه قول المقريزي: كان معتقداً وله شهرة طارت في الآفاق، وللناس فيه اعتقاد، وعليه انتقاد. مات في يوم الأربعاء رابع عشر شوال سنة عشرين، ودفن بمقابر الصوفية بعد شهود ابن حجر الصلاة عليه، وقد جاز السبعين. وهو في عقود المقريزي، وقال: كان كثير الذكر، متواضعاً إلى الغاية بحيث لما اجتمعت به قبل يدي مراراً، وقدم إليَّ نعلي لما انصرفت عنه، وهذه سيرته مع كل أحد، وحضرت عنده وظيفة الذكر بعد العشاء بالخانقاه، وكان يرى رفع الصوت به ويعلل ذلك،

---

(١) ينظر: **«الضوء اللامع»** (٨/ ١٧٨).

كثير الحياء يديم التلاوة مع سلامة الباطن، وله محبون يؤثرون عنه كرامات وخوارق؛ رحمه اللَّه.

وسمع منه الثعالبي بـ «مصر».

١٠ ـ عمر بن محمد القَلْشَاني[١] ـ بفتح القاف وسكون اللام ثم معجمة أو جيم ـ المغربي، التونسي، الباجي الأصل ـ «باجة تونس» لا «الأندلس» فتلك منها شارح «**الموطأ**» ـ المالكي والد قاضي الجماعة محمد وأخو أحمد. أخذ عن أبيه وغيره، وولي قضاء الجماعة بتونس، واقرأ الفقه، والأصلين، والمنطق، والمعاني والبيان والعربية. وحدث بالبخاري عن أبي عبد اللَّه بن مَرْزُوقٍ، وشرح «**الطوالع**» شرحاً حسناً لم يكمل انتهى منه أكثر من مجلد إلى الإلهيات، وأخذ عنه خلق، منهم ولده، وإبراهيم الأخضري، وغالب الأعيان، وأبو عبد اللَّه التريكي وآخرون ممن لقيناهم كابن زغدان، وكانت ولايته أولاً قضاء الأنكحة ببلده كأبيه، ثم قضاء الجماعة بعد موت أبي القاسم القسنطيني، وكان يكون بينهما ما بين الأقران فدام به قليلاً حتى مات في سنة ثمان وأربعين. وهناك من أرخه في سنة سبع وسمى جده عبد اللَّه، وكان أبو القاسم قام على أخيه أحمد بسبب ما وقع منه من نقل كلام بعض المفسرين في قصة آدم عليه السلام وأفتى بقتله، بل أفتى أخوه أيضاً بذلك قبل علمه به، فلما تبين أنه أخوه قام في الدفع عنه، وكان فصيحاً في التقرير بحيث يستفيد منه من يكون بمجلسه من الأعلى والأدنى، ولا يمكن كبير أحد من الكلام، وقد قيل: إن سبب دخوله في القضاء أن عمه أحمد لم يسر سير ابن عقارب الذي كان قبله، فعز على الملك، واقتضى رأيه صرفه بابن أخيه هذا، وحصل لعمه نكاية عظيمة ولكن أعطوه إمامة جامع «الزيتونة»، واستمر حتى مات، فاللَّه أعلم.

وسمع منه الثعالبي بعد رجعته إلى «تونس».

١١ ـ علي بن موسى البجائي، أحد شيوخ عبد الرحمن الثعالبي ابن عبد اللَّه بن محمد بن هيدور التادلي[٢]:

كان إماماً في الفرائض والحِسَابِ، حَسَنَ الخط كثير التقييد، له مسائل في فنون، شرح تلخيص ابن البناء، وقيد على رفع الحجابلة، توفي عام ستة عشر وثمانمائة.

---

(١) ينظر ترجمته في: «**الضوء اللامع**» (٦/ ١٣٧).

(٢) ينظر ترجمته في: «**نيل الابتهاج**» (٣٣٣).

وسمع منه الثعالبي بـ «بجاية».

١٢ ـ البساطي[١] ـ محمد بن أحمد بن عثمان بن نعيم بن مقدم البساطي شمس الدين أبو يوسف القاضي المصري المالكي ولد سنة (٧٥٦) وتوفي سنة (٨٤٢) اثنتين وأربعين وثمانمائة. من تصانيفه: توضيح المعقول وتحرير المنقول في شرح منتهى السول والأمل لابن الحاجب، حاشية على شرح المواقف، حاشية على شرح لوامع الأسرار للتحتاني في المنطق والحكمة، حاشية على المطول، الرد الوافر على ابن الناصر، روضة المجالس وأنس الجالس، شرح الألفية لابن مالك، شرح البديعية لابن حجة، شرح التائية لابن الفارض، شرح قصيدة البردة، شفاء العليل شرح مختصر الشيخ الخليل في الفروع قصة الخضر عليه السلام، محاضرات خواص البرية في ألغاز الفقهية، المغني في الفروع، المفاخرة بين الدمشق والقاهرة، مقدمة في الأصول، مقدمة في الكلام، نكت على طوالع الأنوار للبيضاوي في الكلام.

وسمع منه الثعالبي أثناء رحلته، وذلك بـ «مصر» حرسها اللّه!!

١٣ ـ أبو الحسن علي بن محمد البليليتي[٢]:

وسمع منه الثعالبي بـ «بجاية».

١٤ ـ أبو يوسف يعقوب الزغبي[٣]:

وسمع منه بـ «تونس».

وأما شيوخه الذين لم يذكرهم في رحلته، فقد ذكر التنبكي في **«نيل الابتهاج»** منهم ثلاثة، وهم:

١ ـ عبد اللّه بن مسعود التونسي[٤]:

شهر بابن قرشية، قال ابن حَجَرٍ: أخذ عن والده، وقرأت بخطه أن من شيوخه الإمام ابن عرفة، وقاضي الجماعة أحمد بن محمد بن حيدرة، وأحمد بن إدريس الزواوي، وأبا الحسن محمد بن أحمد البطروني، وأبا العباس أحمد بن مسعود بن غالب القيسي، وتوفي

---

(١) ينظر ترجمته في: **«هدية العارفين»** (١٩٢).

(٢) ينظر: **«نيل الابتهاج»** (٢٥٨).

(٣) ينظر: **«نيل الابتهاج»** (٢٥٨)، و **«شجر النور الزكية»** (٢٦٥)، وفيه «الزعبي» بالعين المهملة.

(٤) ينظر ترجمته في: **«نيل الابتهاج»** (٢٣٠)، و **«الضوء اللامع»** (٣/ ٧٠).

سنة سبع وثلاثين وثمانمائة.

٢ ـ عبد العزيز بن موسى بن معطي العبدوسي[(١)]:

الإمام الحَافِظُ الفقيه المحدث العلامة الجليل، حامل لواء المذهب والحفظ في وقته، أبو القاسم شيخ الإسلام ابن شَيْخِ الإسلام أبي عمران العبدوسي الفاسي نزيل «تونس»، أخذ عن أبيه وغيره، ووصل في قوة الحافظة الدرجة العظمى، قال القاضي أبو عبد اللَّه بن الأَزْرَقِ: كتب إليّ الشيخ الفقيه الجليل أحد المفتيين بتونس أبو عبد اللَّه الزلديوي يعرفني حاله بالحفظ فيما يقضي منه العجب من الغرابة، قال: وَرَدَ علينا في أخريات عام سبعة عشر وثمانمائة الفقيه العالم الحافظ أبو القَاسِمِ ابن الشيخ الإمام أبي عِمْرَانَ موسى العبدوسي بكتاب في يده من قبل الإمام أبي عبد اللَّه محمد بن مرزوق، ويقول لنا فيه: يرد عليكم حافظ المغرب الآن، فقلنا: لعل ذلك من تعسيل الإخوان لإخوانهم في الوَصِيَّةِ بهم، فلما اجتمعنا به، وأقام عندنا أزيد من عام رأينا منه العجب العجاب من حفظ لا نَتَوَهَّمُ يكون لأحد لما رأينا في بلادنا إفريقيا ومجالس أشياخنا بتونس وبجاية، كان عندنا بتونس الشيخ أبو القاسم البرزلي له أهل زماننا في حفظ الفقه، وأشياخ المدونة والناس دونه في ذلك، وببجاية الشيخ الفقيه أبو القاسم المشذالي حضرنا مجالسهم، فما رأينا ولا سمعنا من يشبه العبدوسي في حفظه، وعلمنا صدق ابن مرزوق فيما وصفه به، وأن من ورعه ألا يذكر ولا يكتب إلا بما تحقق؛ كما قال الشاعر: [الطويل]

فَلَمَّا الْتَقَيْنَا صَدَّقَ الخَبَرَ الْخُبْرُ

وقال الآخر: [منهوك الرجز]

بَلْ صَغَّرَ الْخُبْرُ الْخَبَرْ

وقال الونشريسي في تحليته: إنه الفقيه الحافظ المدرس المحدث الصدر الراوية المعتبر الأرفع الأفضل ـ اهـ.

وقال الشيخ الرصاع: شيخنا الإمام العلامة المحدث الصالح الرباني يقال: اجتمع ليلة في جهاز بالشيخ أبي القاسم البرزلي، وهو أعمى، ولما تكلم العبدوسي قال له البرزلي: أهلاً بواعظ بلدنا، فقال له العبدوسي: قل وفقيهها، فسكت البرزلي، فعد ذلك من رجلة العبدوسي وسرعة جوابه، رحمهم اللَّه تعالى ـ اهـ.

---

(١) ينظر ترجمته في: (٢٧٠)، (٣٧١)، و «**شجرة النور الزكية**» (٢٥٢).

ونقل عنه ابن ناجي في «**شرح المدونة**»، والشيخ الثعالبي في شرح ابن الحاجب، وذكر عنه أنه قال: لا يلزم البراذعي مما تعقب به إلا حيث خالف ما في روايته من الأمهات عن موسى بن عقبة. وذكر الونشريسي في وفياته أنه توفي بتونس في التاسع والعشرين في ذي القعدة عام سبعة وثلاثين وثمانمائة.

٣ ـ عبد الواحد الغرياني[١]:

تلاميذه:

أخذ عن الإمام الثعالبي جماعة من أهل العلم منهم:

١ ـ محمد بن محمد بن أحمد بن الخطيب، الشهير محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق[٢].

العجيسي التلمساني، عرف بالكفيف، وَلَدُ الإمام أبي الفضل قطب المغرب الحفيد ابن مرزوق شارح «**المختصر**»، كان ولده صاحب الترجمة إماماً عالماً علامة، وصفه ابن داود البلوي بشيخنا الإمام، علم الأعلام، فخر خطباء الإسلام، سلالة الأولياء وخلف الأتقياء، المسند الراوية المحدث، العلامة القدوة الحافل الكامل، أبو عبد اللّه ابن سيدنا شيخ الإسْلام، خاتمة العلماء الأعلام، الحَبْر البحر، الناقد النافذ النِّحْرِير، المشاور العمدة الكبير، ذي التصانيف العديدة، والأنظار السديدة، أبي عبد اللّه بن مرزوق.

أخذ العلم عن جماعة منهم: أبو شيخ الإسلام، قرأ عليه «**الصحيح**»، و «**الموطأ**» وغير كتاب من تآليفه وغيرها، وتفقه عليه وأجازه ما يجوز له وعنه روايته. والإمام العالم، النظار الحجة، أبو الفضل ابن الإمام، والإمام العلامة قاضي الجماعة المعمر المشاور أبو الفضل قاسم العقباني، والأستاذ المقرىء العالم أحمد بن محمد بن عيسى اللجائي الفاسي، والإمام العالم والولي الصالح المحدث عبد الرحمن الثعالبي، والإمام العالم الفقيه النظار أبو عبد اللّه محمد بن قاسم المشذالي، والإمام قاضي الجَمَاعة العالم المحقق أبو عبد اللّه بن عقاب الجذامي التونسي، والإمام العالم الراوية الرحال، قاضي الأنكحة أبو محمد عبد اللّه بن سليمان بن قاسم البجيري التونسي. قرأ وسمع عليهم، وأجازوه عامة، وأجازه مكاتبة من شيخ الإسلام الحافظ ابن حَجَرٍ مع أولاد مرزوق عام تسعة وعشرين،

---

(١) ينظر: «**نيل الابتهاج**» (٢٥٩)، و «**شجرة النور الزكية**» (٢٦٥).

(٢) ينظر ترجمته في: «**نيل الابتهاج**» (٥٧٤).

٢٦ ـــــــ

كثيرة من المسلسلات وغيرها. وعن العالم الأَجَلِّ الصالح أبي الحسن القلصادي الأندلسي الفرائض والحساب، وأجازه جميع ما يرويه وغيرهم. وكان آية في علمه وهديه، وصلاحه وسيرته، وزهده وورعه وتوقيه.

جمع تلميذه الملالي في أحواله وسيره وفوائده تأليفاً كبيراً في نحو ستة عشر كراساً من القالب الكبير.

وكان حليماً، كثير الصبر، ربما يسمع ما يكره فيتعامى عنه ولا يؤثر فيه، بل يتبسم، وهذا شأنه في كل ما يغضبه ولا يلقي له بالاً، ولا يحقد على أحد، ولا يعبس في وجهه، يفاتح من تكلم في عرضه بكلام طيب وإعظام حتى يعتقد أنه صديقه، وقع له ممن يدعي أنه أعلم أهل الأرض كلام ينقصه، فما بالى به، ولما ألّف بعض عقائده أنكر عليه كثير من علماء أهل وقته، وتكلموا بما لا يليق، فتغير لذلك كثيراً وحزن أياماً، ثم رأى في منامه عمر بن الخطاب واقفاً على رأسه بيده سيف أو عصا، فهزها على رأسه وهدده بها، وكأنه قال: ما هذا الخوف من الناس. فأصبح قد زال حزنه، واشْتَدَّ قلبه على المنكرين؛ فخرست حينئذ ألسنتهم، فحلم عنهم وسمح، فأقروا بفضله.

وكان من عاداته أنه إذا صلى الصبح في مسجده وفَرَغَ من ورده، أقرأ العلم إلى وقت الفطور المعتاد، ثم خرج ووقف مع الناس ساعة بباب داره ثم دخل وصلى الضحى قدر قراءة عشرة أحزاب، ثم اشتغل بالمُطَالَعَةِ في وقت طول النهار، وإلا ربما زالت الشمس وهو في الضحى، وخرج بعد الزوال للخلوات، فلا يرجع إلا للغروب، أو يبقى في بيته فيتوضأ ويصلي أربع ركعات، ثم خرج لمسجده وصلى بالناس الظهر وتنفل أربعاً، ويقرىء ثم يتنفل وقت العصر أربعاً، ويصلي العصر ويقرأ، أو يخرج لداره. واشتغل بالورد إلى الغروب، ثم خرج للمغرب وتنفل بست ركعات، ويبقى هناك حتى يصلي العشاء، ويقرأ ما تيسر ورجع لداره ونام ساعة، ثم اشتغل بالنظر أو النسخ ساعة وتوضأ، ويصلي باقياً فيها، أو في ذكر لطلوع الفجر، هذا أكثر حاله.

وأما وعظه، فكان يقرع الأسماع، وتقشعر منه الجلود، كل من حضر يقول: معي يتكلم، وإياي يعني، جله في الخوف والمراقبة وأحوال الآخرة، لا تخلو مجالسه منه مع حلاوة له، لا توجد في كلام غيره، يعظ كل أحد بحسب حاله، ما رؤي قط إلا وشفتاه متحركتان بالذكر، وربما يكلمه إنسان وهو يذكر اللّه تعالى، وتسمع لقلبه أنيناً من شدة خوفه ومراقبته على الدوام، كان يقول: حقيقة العبودية امتثال الأمر، واجتناب النهي مع كَمَالِ الذلة والخضوع.

٢٨ ـــــــ

وشرحه الكبير على الجزيرية فيه نكت نفيسة، ومختصر الأبي على مسلم في سفرين فيه نكت حسنة، وشرح «**ايسا غوجي**» في المنطق، تأليف البرهان البقاعي كثير العلم، ومختصره العجيب فيه زوائد على «**الخونجي**» وشرحه الحسن جداً، وشرح قصيدة الحباك في الإسطرلاب شرح جليل، وشرح أَبْيَات الإمام الاليري في التصوف، وشرح الأبيات التي أولها: تطهر بماء الغيب، وشرحه العجيب على البخاري وصل فيه إلى باب «من استبرأ لدينه»، وشرح مُشْكلات البخاري في كراسين، ومختصر الزركشي على البخاري.

ومنها عقيدة أخرى فيها دلائل قطعية على من أثبت تأثير الأسباب العادية، كتبها لبعض الصالحين، ومختصر «**حاشية التفتازاني**» على «**الكشاف**»، و«**شرح مقدمة الجبر والمقابلة**» لابن الياسمين، وشرح «**جمل**» الخونجي في المنطق، و «**شرح مختصر ابن عرفة**»، فيه حل صعوبته، وقال لي: إن كلامه صعب سيما هذا المختصر تعبت كثيراً في حله؛ لصعوبته إلى الغاية، لا أستعين عليها إلا بالخلوة.

ومنها شرح رَجَزِ ابن سينا في الطب لم يكمل، ومختصر في القراءات السبع، وشرح «**الشاطبية**» الكبرى لم يكمل، وشرح «**الوغليسية**» في الفقه لم يكمل، ونظم في الفرائض، واختصار «**رعاية**» المحاسبي، ومختصر «**الرَّوْضِ الأُنُفِ**» للسهيلي لم يكمل، ومختصر «**بغية السالك في أشرف المسالك**» للساحلي، وشرح «**المرشدة**» و «**الدر المنظوم**» في شرح «**الجرومية**»، وشرح «**جواهر العلوم**» للعضد في علم الكلام على طريقة الحكماء، وهو كتاب عجيب جداً في ذلك، إلا أنه صعب مُتَعَسِّرٌ على الفَهْم جداً، وتفسير القرآن إلى قوله: ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ في ثلاثة كراريس، ولم يمكن له التفرغ له، وتفسير سورة «صٓ» وما بعدها، فهذا ما علمت من تآليفه مع ما له من الفتاوى والوصايا والرسائل والمواعظ، مع كثرة الأوراد وقضاء الحوائج والإقراء ـ اهـ.

وقد أخذ عنه أعلام كابن صعد، وأبي القاسم الزواوي، وابن أبي مدين، والشيخ يحيى بن محمد، وابن الحاج البيدري، وابن العباس الصغير، وولي اللّه محمد القلعي ريحانة زمانه، وإبراهيم الوجديجي وابن ملوكة، وغيرهم من الفضلاء.

وتوفي يوم الأحد ثامن عشر جمادى الأخيرة عام خمسة وتسعين وثمانمائة، وشم الناس المسك بنفس موته، رحمه اللّه. مولده بعد الثلاثين وثمانمائة.

٣ ـ أبو العباس أحمد بن عبد اللّه الجزائري الزواوي[١]، الشيخ الإمام الفاضل،

---

(١) ينظر ترجمته في: «**شجرة النور الزكية**» (٢٦٥).

٣٠ ـــــــ

خليل» سماه «**مغني النبيل**»، اختصر فيه جداً، وصل فيه للقسم بين الزوجات، وله عليه قطع أخر من البيوعات وغيرها، بل قيل: إنه شرح ثلاثة أرباع المختصر، وحاشية عليه سماها «**إكليل المغني**»، وشرح بيوع الآجال من ابن الحاجب، فبحث فيه مع ابن عبد السلام وخليل، وتأليف في المنهيات، ومختصر «**تلخيص المفتاح**» وشرحه، و «**مفتاح النظر**» في علم الحديث، فيه أبحاث مع النووي في تقريبه، وشرح «**الجمل**» في المنطق، ومقدمة فيه، ومنظومة فيه سماها «**منح الوهاب**»، وثلاثة شروح عليها.

وله أيضاً «**تنبيه الغافلين عن مَكْرِ الملبسين بدعوى مقامات العارفين**»، وشرح خطبة المختصر، ومقدمة في العربية، وكتاب «**الفتح المبين**»، وفهرسة مروياته، وعدة قصائد، كالميمية على وزن البردة ورَوِيِّهَا في مدحه ﷺ.

أخذ عن الإمام عبد الرحمن الثعالبي، والشيخ يحيى بن بدير، وغيرهما، وأخذ عنه جَمَاعَة، كالفقيه أيد أحمد، والشيخ العاقب الأنصمني، ومحمد بن عبد الجبار الفيجي وغيرهم.

ووقع له مراسلة مع الجلال السيوطي في علم المَنْطِقِ، فمما كتب للسيوطي فيه قوله: [من الطويل]

سَمِعْتُ بِأَمْرٍ مَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ ... وَكُلُّ حَدِيثٍ حُكْمُهُ حُكْمُ أَصْلِهِ
أَيُمْكِنُ أَنَّ الْمَرْءَ فِي الْعِلْمِ حُجَّةٌ ... وَيَنْهَى عَنِ الْفُرْقَانِ فِي بَعْضِ قَوْلِهِ
هَلِ الْمَنْطِقُ الْمَغْنِيُّ إِلاَّ عِبَارَةٌ ... عَنِ الْحَقِّ أَوْ تَحْقِيقِهِ حِينَ جَهْلِهِ
مَعَانِيهِ فِي كُلِّ الْكَلاَمِ وَهَلْ تَرَى ... دَلِيلاً صَحِيحاً لاَ يُرَدُّ لِشَكْلِهِ
أَرِنِي هَذَاكِ اللَّهُ مِنْهُ قَضِيَّةً ... عَلَى غَيْرِ هَذَا تَنْفِهَا عَنْ مَحَلِّهِ
وَدَعْ عَنْكَ أَبْدَاه كَفُورٍ وَذِمَّةٍ ... رِجَالٍ وَإِنْ أَثْبَتَّ صِحَّةَ نَقْلِهِ
خُذِ الْحَقَّ حَتَّى مِنْ كَفُورٍ وَلاَ تُقِمْ ... دَلِيلاً عَلَى شَخْصٍ بِمَذْهَبِ مِثْلِهِ
عَرَفْنَاهُمُ بِالْحَقِّ لاَ الْعَكْسِ فَاسْتَبِنْ ... بِهِ لاَ بِهِمْ إِذْ هُمْ هُدَاةٌ لِأَجْلِهِ
لَئِنْ صَحَّ عَنْهُمْ مَا ذَكَرْتَ فَكَمْ هُمُ ... وَكَمْ عَالِمٍ بِالشَّرْعِ بَاحَ بِضِلِّهِ

. . . في أبيات أخرى، فأجابه السيوطيُّ بقوله: [من الطويل]

حَمِدْتُ إِلَهَ الْعَرْشِ شُكْراً لِفَضْلِهِ ... وَأُهْدِي صَلاَةً لِلنَّبِيِّ وَأَهْلِهِ
عَجِيبٌ لِنَظْمٍ مَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ ... أَتَانِي عَنْ حِبْرٍ أُقِرُّ بِنُبْلِهِ

تَعَجَّبَ مِنِّي حِينَ أَلَّفْتُ مُبْدِعاً ... كِتَاباً جَمُوعاً فِيهِ جَمٌّ بِنَقْلِهِ
أَقَرِّرُ فِيهِ النَّهْيَ عَنْ عِلْمِ مَنْطِقٍ ... لِمَا قَالَهُ الأَعْلاَمُ مِنْ ذَمِّ شَكْلِهِ
وَسَمَّاهُ بِالفُرْقَانِ يَا لَيْتَ لَمْ يَقُلْ ... فَذَا وَصْفُ قُرْآنٍ كَرِيمٍ لِفَضْلِهِ
وقال فيه فِيمَا يقرر رأيه ... مَقَالاً عَجِيباً نَائِياً عَنْ مَحَلِّهِ:
وَدَعْ عَنْكَ أَبْدَاهُ كَفُورٍ وَبَعْدَ ذَا ... خُذِ الحَقَّ حَتَّى مِنْ كَفُورٍ بِخَتْلِهِ
وَقَدْ جَاءَتِ الآثَارُ فِي ذَمِّ مَنْ حَوَى ... عُلُومَ يَهُودٍ أَوْ نَصَارَى لِأَجْلِهِ
يُعَزِّزُ بِهِ عِلْماً لَدَيْهِ وَأَنَّهُ ... يُعَذَّبُ تَعْذِيباً يَلِيقُ بِفِعْلِهِ
وَقَدْ مَنَعَ المُخْتَارُ فَارُوقَ صَحْبِهِ ... وَقَدْ خَطَّ لَوْحاً بَعْدَ تَوْرَاةِ أَهْلِهِ
وَقَدْ جَاءَ مِنْ نَهْيِ اتِّبَاعٍ لِكَافِرٍ ... وَإِنْ كَانَ ذَاكَ الأَمْرُ حَقًّا بِأَصْلِهِ
أَقَمْتُ دَلِيلاً بِالحَدِيثِ وَلَمْ أُقِمْ ... دَلِيلاً عَلَى شَخْصٍ بِمَذْهَبِ مِثْلِهِ
سَلاَمٌ عَلَى هَذَا الإِمَامِ فَكَمْ لَهُ ... لَدَيَّ ثَنَاءٌ وَاعْتِرَافٌ بِفَضْلِهِ ـ اهـ

٥ ـ علي بن محمد التالوتي الأنصاري أخو الإمام محمد بن يوسف السنوسي لأمه[1]:

قال تلميذه الملالي: شيخنا، الفقيه، الحافظ، المتقن، العالم، المتفنن، الصالح، أبو الحسن، كان مُحَقِّقاً متقناً حافظاً يحفظ كتاب ابن الحاجب، ويستحضره بين عينيه، قل أن ترى مثله حافظاً، قرأ عليه أخوه محمد السنوسي **«الرسالة»** في صغره، وكان من أكابر أَصْحَابِ الحَسَنِ أبركان، ما رأيته قط مشتغلاً بما لا يعنيه، بل إما ذاكراً أو قارئاً للقرآن أو مُشْتَغِلاً بمُطَالَعَةٍ أو نحوه، يحفظ **«الرسالة»** و **«ابن الحاجب»**، و **«التسهيل»** لابن مالك، وغيرها، جعل له وِرْداً كل يوم، قرأت عليه **«ابن الحاجب»** قراءة بَحْثٍ وإفادة، وسألته عن وضع الكتاب في الأرض، فقال: حكى شيخنا الحسن أبركان فيه قولين لمتأخري أهل «تونس» و «بجاية» جوازاً ومنعاً، وسألته عن مستند الناس في عادتهم من عدم أخذ الرجل المقص من صاحبه بل يضعه على الأرض فيأخذه حينئذ، فقال: سألت عنه شيخنا الحسن أبركان فقال: هكذا رأينا شيوخنا يفعلون، ثم قال سيدي علي: وَلَعَلَّهُ علم نسبي ـ اهـ.

قال التنبكي: وقد ذكر السيد الشريف السمهودي الشافعي في كتابه **«جواهر العقدين»** حكمة منعه عن بعض شيوخه فانظره فيه، قال الملالي: وسألته عن الوتر جالساً قال: فيه قولان بالجَوَازِ وعدمه، وذكر أخوه السنوسي أنه يؤخذ جوازه جالساً من قول **«المدونة»**: أنه

---

(١) ينظر ترجمته في: **«نيل الابتهاج»** (٣٤١)، و **«شجرة النور الزكية»** (٢٦٦).

يُوتِرُ في سفره على الدَّابَّةِ ـ اهـ.

وهذا الأخذ نَقَلَهُ ابن ناجي عن بعض الشيوخ، قال الملالي: رأيت بِخَطِّهِ عن بعض الصالحين؛ أن من نزل منزلاً وجمع أثقاله وخط على حواليها خطًّا وهو في داخل الخط، ويقول في داخله ثلاثاً: اللَّه اللَّه ربي لا شريك له، لم يضره لصٌّ ولا عَدُوٌّ ولا غيره، ويكون مع ثقله في حِرْزِ اللَّه، وهو مجرب ـ اهـ. وتوفي في صفر عام خمسة وتسعين وثمانمائة، ورأى أخوه السنوسي قبل موته في المنام داراً عظيمة فيها فرش مرتفع فقيل له: هي لأخيك عليٍّ يدخل فيها عروساً ـ اهـ ـ من الملالي.

٦ ـ علي بن عبّاد التُّسْتَرِيُّ البكري الفاسي المغربي:[١]

أخذ عن أبي بكر البرجي الفقه، وأسئلة كثيرة عن محمد القوري، وسمع الحديث على عبد الرحمن الثعالبي، ومن تآليفه **«لطائف الإشارات في مراتب الأنبياء في السموات»**، ولد سنة ثلاثين وثمانمائة.

قال التنبكي: وتأليفه المذكور في كراسة ذكر في آخره أنه فَرَغَ منه في ذي الحجة عام ثمانين وثمانمائة.

٧ ـ أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي الشهير بزروق[٢]**:**

الإمام العالم الفقيه، المحدث، الصوفي، الولي، الصالح الزاهد، القطب الغوث العارف باللَّه، الحاج الرحلة المشهورة شرقاً وغرباً، ذو التصانيف العديدة، والمناقب الحميدة، والفوائد العتيدة، قد عرف بنفسه وأحواله وشيوخه في كناشته وغيرها، فقال: ولدت يوم الخميس طلوع الشمس ثامن وعشرين من المحرم سنة ست وأربعين وثمانمائة، وتوفيت أمي يوم السبت بعده وأبي يوم الثلاثاء بعده كلاهما في سابعي، فبقيت بعين اللَّه بين جدتي الفقيهة أم البنين، فكفلتني حتى بلغت العشر، وحفظت القرآن، وتعلمت صناعة الخرز، ثم نقلني اللَّه بعد بلوغي سادس عشر إلى القراءة، فقرأت **«الرسالة»** على الشيخين: على السطي، وعبد اللَّه الفخار قراءة بحث وتحقيق، و **«القرآن»** على جماعة منهم: القوري، والزرهوني، وكان رجلاً صالحاً، والمجاصي، والأستاذ الصغير بحرف نافع، واشتغلت بالتصوف والتوحيد، فأخذت **«الرسالة القدسية»**، و **«عقائد الطوسي»** على الشيخ

---

(١) ينظر ترجمته في: **«نيل الابتهاج»** (٣٤٢).

(٢) ينظر ترجمته في: **«نيل الابتهاج»** (١٣٠).

عبد الرحمن المجدولي، وهو من تلاميذ الأبي، وبعض «**التنوير**» على القوري، وسمعت عليه البخاري كثيراً، وتفقهت عليه في كل «**أحكام عبد الحق الصغرى**»، و «**جامع الترمذي**»، وصحبت جماعة من المباركين لا تحصى كثرة بين قَفِيهٍ وفَقِيرٍ.

وقال فيه الشيخ ابن غَازِيٍّ: صاحبنا الأود الخلاصة الصفي، الفقيه المحدث، الفقير، الصوفي البرنسي، و «برنس»، بنون مضمومة بعد الراء، نسبة إلى عرب بالمغرب، انتهت فهرسته. وقال الحافظ السخاوي: أخذ على القوري، وكتب على «**حكم ابن عطاء اللَّه**»، وعلى «**القرطبية**» في الفقه، ونظم «**فصول السلمي**» ـ اهـ.

قال التنبكي: ومن شيوخه، كما ذكره هو، الشيخ الإمام عبد الرحمن الثعالبي، والولي إبراهيم التازي، والمشذالي، والشيخ حلولو، والسراج الصغير، والرصاع، وأحمد بن سعيد الحباك، والحافظ التنسي، والإمام السنوسي، وابن زكري، وأبو مهدي عيسى المواسي، وبالمشرق عن جماعة كالنور السنهوري، والحافظ الدميري، والحافظ السخاوي، والقطب أبي العباس أحمد بن عقبة الحضرمي، وولي اللَّه الشهاب الأنشيطي في جماعة آخرين. وأما تآليفه: فكثيرة يميل إلى الاختصار مع التحرير، ولا يخلو شيء منها عن فوائد غزيرة، وتحقيقات مفيدة سيما في التصوف، فقد انفرد بمعرفته وجودة التأليف فيه، فمنها شرحان على «**الرسالة**»، وشرح «**إرشاد ابن عسكر**»، وشرح «**مختصر خليل**»، رأيت مواضع منه بخطه عن الأنكحة والبيوع وغيرها، وشرح «**الوغليسية**»، وشرح «**القرطبية**»، وشرح «**الغافقية**»، وشرح «**العقيدة القدسية**» للغزالي، ونيف وعشرون شرحاً على الحكم، وقفت على الخامس عشر والسابع عشر منها، وأخبرني والدي ـ رحمه اللَّه تعالى ـ أن بعض المكيين أخبره، أن له عليها أربعاً وعشرين شرحاً، وشرحان على «**حزب البحر**»، وشرح «**الحزب الكبير**» لأبي الحسن الشاذلي، وشرح مشكلاته، وشرح «**الحقائق والدقائق**» للمقري، وشرح قطع الششتري وشرح «**الأسماء الحسنى**»، وشرح «**المراصد**» في التصوف لشيخه ابن عقبة، و «**النصحية الكافية لمن خَصَّه اللَّه بالعافية**». واختصره. و «**إعانة المتوجه المسكين على طريق الفتح والتمكين**»، وكتاب «**القواعد في التصوف**»، وهذه الثلاثة في غاية النبل والحسن، سيما الأخير لا نظير له. وكتاب «**النصح الأنفع والجنة للمعتصم من البدع بالسنة**»، وكتاب «**عدة المريد الصادق من أسباب المقت في بيان الطريق وذكر حوادث الوقت**» كتاب جليل فيه مائة فصل بين فيه البدع التي يفعلها فقراء الصُّوفية، وله تعليق لطيف على «**البخاري**» قدر عشرين كراساً اقتصر فيه على ضبط الألفاظ وتفسيرها، وجزء صغير في عِلْمِ الحديث، وله رسائل كثيرة لأصحابه مشتملة على حكم

ومواعظ وآداب ولطائف التصوف مع الاختصار قَلَّ أن توجد لغيره، وبالجملة فقدره فوق ما يذكر، ومن تفرغ فذكر حاله وفوائده وحكمه ورسائله جمع منها مجلداً.

وهو آخر أئمة الصوفية المحققين الجامعين لعلمي الحقيقة والشريعة، له كرامات عديدة، وحَجَّ مرات، وأخذ عنه جماعة من الأئمة، كالشمس اللقاني، والعالم محمد بن عبد الرحمن الحَطَّاب، والزين طاهر القسنطيني، وغيرهم، وقد أجازني سيدي الشيخ الصوفي أحمد بن أبي القاسم الهروي التادلي ما أجازه شيخه العريف الخروبي تلميذ زروق عنه. توفي بـ «تكرين» من عمل «طرابلس»[1] في صفر عام تسعة وتسعين وثمانمائة، ووجدت منسوباً إليه من نظمه قولَهُ: [الطويل]

أَلاَ قَدْ هَجَرْتُ الخَلْقَ طُرًّا بِأَسْرِهِمْ ... لَعَلِّي أَرَى مَحْبُوبَ قَلْبِي بِمُقْلَتِي
وَخَلَّفْتُ أَصْحَابِي وَأَهْلِي وَجِيرَتِي ... وَتَيَّمْتُ نَجْلِي وَاعْتَزَلْتُ عَشِيرَتِي
وَوَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَا ... وَأَعْرَضْتُ عَنْ أَفْلاَكِهَا المُسْتَنِيرَةِ
وَعَلَّقْتُ قَلْبِي بِالمَعَالِي تَهَمُّساً ... وَكُوشِفْتُ بِالتَّحْقِيقِ مِنْ غَيْرِ مِرْيَةِ
وَقُلِّدْتُ سَيْفَ الْعِزِّ فِي مَجْمَعِ الوَغَى ... وَصِرْتُ إِمَامَ الوَقْتِ صَاحِبَ رِفْعَةِ
وَمُلِّكْتُ أَرْضَ الغَرْبِ طُرًّا بِأَسْرِهَا ... وَكُلُّ بِلاَدِ الشَّرْقِ فِي طَيِّ قَبْضَتِي
فَمَلَّكْنِيهَا بَعْضُ مَنْ كَانَ عَارِفاً ... وَخَلَّفَنِي فِيهَا بِأَحْسَنِ سِيرَتِي
فَأَرْفَعُ قَدْراً ثُمَّ أُخْفِضُ رُتْبَةً ... لِأَرْفَعَ مِقْدَاراً بِأَرْفَعِ حِكْمَتِي
وَأَعْزِلُ قَوْماً ثُمَّ أُولِي سِوَاهُمُ ... وَأُعْلِي مَنَارَ البَعْضِ فَوْقَ المِنَصَّةِ
وَأَجْبُرُ مَكْسُوراً وَأُشْهِرُ خَامِلاً ... وَأَرْفَعُ مِقْدَاراً بِأَرْفَعِ هِمَّتِي
وَأَقْهَرُ جَبَّاراً وَأَدْحَضُ ظَالِماً ... وَأَنْظُرُ مَظْلُوماً بِسُلْطَانِ سَطْوَتِي
وَأُلْهِمْتُ أَسْرَاراً وَأُعْطِيتُ حِكْمَةً ... وَحُزْتُ مَقَامَاتِ الْعُلاَ المُسْتَنِيرَةِ
أَنَا لِمُرِيدِي جَامِعٌ لِشَتَاتِهِ ... إِذَا مَا سَطَا جَوْرُ الزَّمَانِ بِنَكْبَةِ
وَإِنْ كُنْتُ فِي كَرْبٍ وَضِيقٍ وَوَحْشَةٍ ... فَنَادِ أَيَا زَرُوقُ، آتِ بِسُرْعَةِ
فَكَمْ كُرْبَةٍ تُجْلَى بِمَكْنُونِ عِزِّنَا ... وَكَمْ طُرْفَةٍ تُجْنَى بِأَفْرَادِ صُحْبَتِي

---

(١) طرابلس الغرب: بلدة على جانب البحر. ينظر: **«مراصد الاطلاع»** (٨٨٢).

٣٦ ـــــــ

٦ ـ **الإرشاد في مصالح العباد.**

خامساً: في القراءات:

ـ **شرح منظومة ابن بَرِّيٍّ** في قراءة نافع.

سادساً: تهذيب النَّفْسِ:

ـ **إرشاد السالك.**

سابعاً: إعراب القرآن وغَرِيبُه:

١ ـ **تحفة الأَقْرَانِ في إعراب بعض آي القرآن.**

٢ ـ **الذهب الإبريز في غريب القرآن العزيز.**

ثامناً: في الخصائص النبوية:

ـ **كتاب في معجزاته ﷺ.**

وقد أَثْنَى العلماء على مُصَنَّفَاتِ الثعالبي، فقال السخاوي: «كان إماماً علامة، مصنفاً..»، وفي شجرة النور: له تآليف كثيرة مفيدة.

وبالجملة، فهذا تقييم لأحد مترجمي الإمام الثعالبي، ذكر فيه كتبه وحجمها، ومادتها. قال التنبكي:

وأما تآليفه فكثيرة كتفسيره «**الجواهر الحسان**» في غاية الحسن، اختصر فيه «ابن عطية» مع فوائد وزوائد كثيرة، و «**روضة الأنوار، ونزهة الأخيار**»، وهو قدر «**المدونة**»، فيه لباب من نحو ستين من أمهات الدواوين المعتمدة، وهو خزانة كتب لمن حصله قال: وجمعته في سنين كثيرة، فيه بساتين وروضات ـ اهـ.

وكتاب «**الأنوار في معجزات النبي المختار**» ﷺ، و «**الأنوار المضيئة الجامع بين الحقيقة**» في جزء، و «**رياض الصالحين**» جزء، وكتاب «**التقاط الدرر**»، وكتاب «**الدر الفائق في الأذكار والدعوات**»، و «**العلوم الفاخرة في أحوال الآخرة**» مجلد ضخم، وشرح «**ابن الحاجب**» الفرعي في سفرين، جمع فيه نخب كلام ابن رشد وابن عبد السلام وابن هارون وخليل وغرر ابن عرفة مع جواهر «**المدونة**» وعيون مسائلها في سفرين، وفي آخره جامع كبير نحو عشرة كراريس من القالب الكبير فيه فوائد، و «**إرشاد السالك**» جزء صغير،

و «**الأربعون حديثاً مختارة**»، و «**المختار من الجوامع في محاذاة الدرر اللوامع**»، وكتاب «**جامع الفوائد**»، وكتاب «**جامع الأمهات في أحكام العبادات**»، وكتاب «**النصائح**»، وكتاب «**تحفة الإخوان في إعراب بعض آي القرآن**»، و «**الذهب الإبريز في غرائب القرآن العزيز**»، وكتاب «**الإرشاد في مصالح العباد**»، ذكر جميعها في فهرسته.

ثناء العُلَمَاءِ عليه:

نال الإمام الثعالبي ثَنَاءً عَطِراً من أهل العلم، واللَّه (سبحانه) يعلي ذكر المرء في الأمم والأعصار على قدر إخلاصه ونيته.

قال الإمام السخاوي: «وكان إماماً مصنفاً... وعمل في الوعظ والرقائق وغير ذلك».

وفي «**نيل الابتهاج**» قال التنبكي: «الشيخ، الإمام، الحجة، العامل، الزاهد، الورع، ولي اللَّه الناصح الصالح، العارف باللَّه، أبو زيد، شهر بالثعالبي، صاحب التصانيف المفيدة، كان من أولياء اللَّه المعرضين عن الدنيا وأهلها، ومن خيار عباد اللَّه الصالحين، قال السخاوي: كان إماماً علامة مصنفاً، اختصر تفسير ابن عطية في جزءين، وشرح «**ابن الحاجب**» الفرعي في جزءين، وعمل في الوعظ والرقائق وغيرها ـ اهـ.

قال الشيخ زروق: شيخنا الفقيه الصالح والديا عليه أغلب من العلم، يتحرى في النقل أتم التحري، وكان لا يستوفيه في بعض المواضع ـ اهـ.

قال ابن سلامة البكري: كان شيخنا الثعالبي رجلاً صالحاً زاهداً عالماً عارفاً ولياً من أكابر العلماء، له تآليف جمة أعطاني نسخة من تفسير «**الجواهر**» لا بشراء ولا عوض، عاوضه اللَّه بالجنة، وقال غيره: سيدنا ووسيلتنا لربنا الإمام الولي العارف باللَّه ـ اهـ.

قلت: وهو ممن اتفق النَّاسُ على صلاحه وإمامته، أثنى عليه جماعة من شيوخه بالقلم والدين والصلاح، كالإمام الأَبِّي، والوَلِيِّ العراقي، والإمام الحفيد ابن مرزوق.

وقال في «**شجرة النور الزكية**»: «الإمام، علم الأعلام، الفقيه، المفسر، المحدث، الراوية، العمدة، الفهامة، الهمام، الصالح، الفاضل، العارف باللَّه، الواصل. أثنى عليه جَمَاعَةٌ بالعلم والصَّلاَحِ والدين المتين».

وقال الغزي في «**دِيوَانِ الإِسْلاَمِ**»: «الإمام، الحبر، العلامة».

وقال الذَّهَبِيُّ في **«التفسير والمفسرون»**: «الإمام الحجة، العالم العامل، الزاهد، الورع، ولي اللَّه الصالح، العارف باللَّه، كان من أولياء اللَّه المعرضين عن الدنيا وأهلها، ومن خيار عباد اللَّه الصالحين».

وَفَاتُهُ:

كانت وفاة الثعالبي سنة خمس وسبعين وثمانمائة، كما ذكر تلميذه زروق، وذكره السخاوي في **«الضوء اللامع»**. إلا أن صاحب **«شجرة النور الزكية»** حكاها على الشَّكِّ، بين خمس وست وسبعين. رحمه اللَّه رحمة واسعة!!

المبحث الثاني
التفسير قبل أبي زيد الثعالبي
التَّفْسِيرُ وَالتَّأْوِيلُ

التَّفْسِيرُ لُغةً:

التفسير في اللغة: الإيضاح والتبيين؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَلاَ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً﴾ [الفرقان: ٣٣] أي: بياناً وتفصيلاً، وهو مأخوذ من الفسر، وهو: الإبانة والكشف.

قال الفيروزآباديُّ[١]:

«الفَسْرُ: الإبانة وكشف المغطى؛ كالتفسير، والفعل كضرب ونصر».

وقال ابن منظور[٢]:

«الفَسْرُ: البيان، فَسَرَ الشيْءَ يَفْسِرُهُ ـ بالكسر ـ ويَفْسُرُهُ ـ بالضم ـ فَسْراً، وفَسَّرَهُ: أبانه، والتفسير: مثله... والفَسْرُ: كشف المُغَطَّى، والتفسير: كشف المراد عن اللفظ المُشْكِل».

وقال أبو حيان[٣]:

«... وَيُطْلَقُ التفسيرُ أيضاً على التَّعْرِيَةِ لِلانطلاقِ؛ قال ثَعْلَبٌ: «تقول: فَسَّرْتُ الفَرَسَ: عريته؛ لينطلق في حصره، وهو راجعٌ لمعنى الكَشْفِ، فكأنه كشف ظهره لهذا الذي يريده منه مِنَ الجَرْيِ».

وعلى ذلك: فالمادة تدور حول معنَيَيْنِ[٤]:

الكشفُ المادِّيُّ المحْسُوسُ، والكشف المعنويُّ المعقول.

---

(١) «**القاموس المحيط**» «فسر».

(٢) «**اللسان**»: مادة «فسر».

(٣) «**البحر المحيط**» ١/ ١٣.

(٤) «التفسير»: معالم حياته ـ منهجه اليوم ـ أمين الخولي ص ٥، و«**التفسير والمفسرون**»/ للذهبي ج ١/ ١٥.

وقيل: إن أَصْلَ الكَلِمَةِ من التَّفْسِرَةِ، وهي الدليلُ مِنَ الماءِ ينظر فيه الطَّبِيبُ؛ فيكشف عن علَّة المَرِيضِ؛ كما يكشف المفسِّر عن شَأْنِ الآية وقِصَّتِهَا[١].

التفسير اصطلاحاً:

عرفه السُّيُوطِيُّ قائلاً[٢]:

«هو عِلْمُ نزولِ الآياتِ وَشُؤُونِهَا وأقاصِيصِهَا، والأَسْبَابِ النازلَةِ فيها، ثم ترتيب مَكِّيِّهَا ومَدَنِيِّهَا، وبيان مُحْكَمِهَا ومُتَشَابِهِهَا، ونَاسِخِهَا ومَنْسُوخِهَا، وخاصِّها وعَامِّها، ومُطْلَقِهَا ومُقَيَّدِهَا، ومُجْمَلِهَا ومُفَسَّرِهَا، وحَلاَلِهَا وَحَرَامِهَا، وَوَعْدِهَا وَوَعِيدِهَا، وَأَمْرِهَا وَنَهْيِهَا، وَعِبَرِهَا وَأَمْثَالِهَا، وَنَحْوِ ذلك».

وعرَّفه أبو حيان فقال[٣]:

«هو عِلْمٌ يُبْحَثُ فيه عن كيفية النُّطْقِ بألفاظ القرآن، ومدلولاتِهَا، وأَحْكَامِهَا الإفراديَّةِ والتركيبيةِ، ومعانيها التي تُحْمَلُ عليها حَالَةَ التَّرْكِيبِ وتَتِمَّاتِ ذلك...» وفيه قصورٌ وغموضٌ[٤]..

وتعريف الزركشي أوضحُ من التعريفين السابقين؛ إذ يقول[٥]:

«التفسيرُ: عِلْمٌ يُفْهَمُ به كتابُ اللَّهِ المُنَزَّلُ علَى نَبِيِّهِ محمَّدٍ ﷺ وبيانُ معانيه، واستخراجُ أحكامِهِ وحِكَمِهِ، واستمدادُ ذلك مِنْ عِلْمِ اللغة، والنَّحْوِ والتصريفِ، وعلْمِ البيانِ، وأُصُولِ الفقْهِ، والقراءات، ويَحْتَاجُ لمعرفةِ أَسْبَابِ النُّزُولِ، والناسخِ والمنسوخِ».

وهناك تعريفاتٌ أخرَى ـ غير ما ذكرنا[٦] ـ وكلها تتفق «على أن عِلْمَ التفسير عِلْمٌ يبحث عَنْ مراد اللَّه تعالَى بقدر الطاقة البشرية؛ فهو شاملٌ لكلِّ ما يتوقَّفُ عليه فَهْمُ المعنَى، وبيانُ المراد»[٧].

---

(١) **«الإتقان في علوم القرآن»**/ للسيوطي ٢/ ٢٩٤، و**«تفسير البغوي»** ١/ ١٨ط المنار، و**«اللسان»**: فسر.

(٢) **«الإتقان»** ٢/ ١٧٤.

(٣) **«البحر المحيط»** ج ١ أو ما بعدها.

(٤) راجع: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير أبو شهبة ص ٤١.

(٥) **«البرهان» ج ١/ ٣٣.**

(٦) راجع مثلاً: **«مناهل العرفان في علوم القرآن»** ١/ ٤٠٦ط أولى، و**«منهج الفرقان في علوم القرآن»** ج ٢/ ٦، **«التيسير في قواعد التفسير»**/ الكافيجي ص ٣، ١١ وغيرها.

(٧) **«التفسير والمفسرون»** ١/ ١٧.

التأويل لغة:

أصله: «من الأَوْلِ، وهو الرُّجُوعُ».

قال الفيروزآباديُّ[(١)]:

«آلَ إِلَيْهِ أَوْلاً وَمَآلاً: رَجَعَ ـ وعَنْه ارْتَدَّ... وَأَوَّلَ الكَلاَمَ تَأْوِيلاً، وَتَأَوَّلَهُ: دَبَّرَهُ وَقَدَّرَهُ وَفَسَّرَهُ، والتأويلُ عبارةُ الرُّؤْيَا».

وقال ابن منظور[(٢)]:

«الأَوْلُ: الرُّجُوعُ: آلَ الشَّيْءُ يَؤُولُ أَوْلاً ومَآلاً: رَجَعَ، وَأَوَّلَ الشَّيْءَ: رَجَعَهُ، وَأُلْتُ عَنِ الشَّيْءِ: ارْتَدَدْتُ»؛ وفي الحديث: «مَنْ صَامَ الدَّهْرَ، فَلاَ صَامَ وَلاَ آلَ» أي: لاَ رَجَعَ إِلَى خَيْرٍ... وَأَوَّلَ الكَلاَمَ وتَأَوَّلَهُ: دَبَّرَهُ وقَدَّرَهُ، وأَوَّلَهُ وَتَأَوَّلَهُ: فَسَّرَهُ».

وعليه:

فالتأويلُ: إرجاعُ الكَلاَمِ إِلَى ما يَحْتَمِلُهُ مِنَ المَعَانِي.

وقيل: التأويل مأخوذ من الإِيَالَةِ، وهي السِّيَاسَةُ، فكأَنَّ المُؤَوِّلَ ساس الكَلاَمَ وَوَضَعَهُ في موضعه؛ قال الزمخشري[(٣)]:

«آلَ الرَّعِيَّةَ يَؤُولُهَا إِيَالَةً حَسَنَةً، وهو حَسَنُ الإِيَالَةِ، وَائْتَالَهَا، وهو مُؤْتَالٌ لِقَوْمِهِ مِقْتَالٌ عَلَيْهِمْ، أَيْ: سَائسٌ محتكمٌ؛ قال زيادٌ في خُطْبَتِهِ: قَدْ أُلْنَا وَإِيلَ عَلَيْنَا، أَيْ: سُسْنَا وَسِسْنَا...».

وقد ورد لفظُ التأويل في القرآن الكريم علَى مَعَانٍ مختلفةٍ:

من ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْه ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ...﴾ [آل عمران: ٧]. بمعنى: التفسير والتعيين.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [النساء: ٥٩] بمعنى: العاقبة والمصير.

وقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ...﴾ [الأعراف: ٥٣] وقوله

---

(١) «القاموس المحيط» ٣/ ٣٣١.

(٢) «اللسان»/ مادة «أول» ١/ ١٧١ وما بعدها.

(٣) «أساس البلاغة» ص ٢٥ط الشعب.

تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ...﴾ [يونس: ٣٩] بمعنى: وقوع المُخْبَرِ به.

ومن آيات سورة يوسف[١] أُرِيدَ بها: نَفْسُ مَدْلُولِ الرؤيا.

ومن آيَتَيْ سورة الكهف[٢] بمعنى بيان حقيقة الأعمالِ الَّتِي عَمِلَهَا العبْدُ الصالِحُ، وليس تأويلَ الأقوالِ[٣].

التأويل اصطلاحاً:

التأويل عند السلف له معنيان:

أحدهما: تفسير الكلام وبيان معناه، وبذلك يكون التأويل والتفسير مترادفَيْنِ، وهذا ما يعنيه «ابن جرير الطبري» في تفسيره؛ حين يقول: «القَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قوله تعالى...» وكذا قولُهُ: «اختلف أَهْلُ التأويلِ في هذه الآية...». فالتفسير والتأويل كلاهما بمعنًى.

ثانيهما: هو نفس المراد بالكلام؛ فإن كان الكلامُ طَلَبَاً، كان تأويله نفس الفِعْلِ المطلوبِ، وإن كان خبراً كان تأويلُهُ نَفْسَ الشيْءِ المُخْبَرِ به وعليه:

فالتأويل هنا نَفْسُ الأمورِ الموجودةِ في الخارج، سواءٌ كانت ماضيةً أم مستقبلةً، فإذا قيل: طَلَعَتِ الشَّمْسُ، فتأويل هذا هو نَفْسُ طلوعها، وهذا في نظر «ابْنِ تَيْمِيَّةَ» هو لغة القرآن التي نزل بها؛ وعلى هذا فيمكن إرجاعُ كُلِّ ما جاء في القرآن من لفظ التأويل إلى هذا المعنى الثاني[٤].

أما التأويل عند المتأَخِّرِينَ من الأصوليين والكلامِيِّينَ وغيرهم:

فهو: «صَرْفُ اللَّفْظِ عَنِ المَعْنَى الرَّاجِحِ إِلَى المَعْنَى المَرْجُوحِ؛ لِدَلِيلٍ يَقْتَرِنُ بِهِ»، وهذا هو التأويلُ الذي يتكلَّمون عليه في أصول الفقه ومسائِلِ الخِلاَفِ[٥].

قال في «جمع الجوامع»[٦]:

---

(١) الآيات: ٦، ٣٧، ٤٤، ٤٥، ١٠٠.

(٢) الآيتان: ٧٨، ٨٢.

(٣) راجع: «التفسير والمفسرون» ١/١٨، ١٩.

(٤) «التفسير والمفسرون» ١/١٩ (بتصرف وإيجاز).

(٥) راجع: «التفسير والمفسرون» ١/١٩.

(٦) ج ٢/٥٦، و«التفسير والمفسرون» ١/٢٠.

٤٤ ـــــــ

الجحود المُطْلَقِ، وتارةً في جحود الباري خاصَّةً - و «الإيمانِ» المُسْتَعْمَلِ في التصديقِ المُطْلَقِ تَارَةً، وفي تَصدِيقِ دِينِ الحَقِّ تَارَةً، وإما في لفظٍ مشتركٍ بين معانٍ مختلفةٍ، نحو لفظ «وجد» المستعملِ في الجدِّ والوَجْد والوُجُود».

وقال أبو طَالِبٍ الثَّعْلَبِيُّ[1]:

«التفسير: بيانُ وَضْعِ اللفظِ إمَّا حقيقةً أو مجازاً؛ كتفسيرِ الصراطِ بِالطَّرِيقِ، والصَّيِّبِ بالمَطَرِ، والتأويلُ: تفسير باطن اللفظ، مأخوذٌ من الأَوْل، وهو الرجوعُ لعاقبة الأَمْرِ؛ فالتأويل: إخبارٌ عَنْ حقيقة المُرَادِ، والتفسيرُ: إخبارٌ عن دليل المُرَادِ؛ لأنَّ اللفْظَ يَكْشِفُ عن المراد، والكاشفُ دليلٌ، مثال قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤] تفسيره: أنه من الرَّصْد؛ يقال: رَصَدْتُهُ إذا رَقَبْتُهُ، والمِرْصَادُ: مِفْعَالٌ مِنْهُ، وتأويلُهُ: التَّحْذِيرُ مِنَ التهاوُنِ بأمر اللَّه، والغَفْلَةِ عن الأُهْبَةِ والاستعداد لِلعَرْضِ عليه».

وقال البَغَوِيُّ[2]:

«التأويل: هو صَرْفُ الآيةِ إِلَى معنًى مُحْتَمَلٍ يُوَافِقُ ما قبلها وَمَا بَعْدَهَا، غَيْرُ مخالِفٍ للكتاب والسنة من طريق الاستنباطِ.

والتفسير: هو الكلام في أسباب نزول الآية وشأنها وقِصَّتها».

وقيل: التفسير: ما يتعلق بالرواية، والتأويل: ما يتعلق بالدراية»[3] يقول الكَافِيَجِيُّ[4]:

«... إن علم التفسير عِلْمٌ يُبْحَثُ فيه عن أحوال كَلاَمِ اللَّه المَجِيدِ، مِنْ حيثُ إنه يَدُلُّ على المُرَادِ بحَسَبِ الطاقة البشرية، وينقسمُ إِلَى قسمين:

تفسيرٍ: وهو ما لا يُدْرَكُ إلا بالنَّقْلِ أو السماعِ، أو بمشاهَدَةِ النُّزُولِ وأسبابه، فهو ما يتعلَّق بالرواية؛ ولهذا قيل: إن التفسير للصحابة.

وتأويلٍ: وهو ما يُمْكِنُ إدراكه بقواعِدِ العربيَّةِ، فهو ما يتعلَّق بالدراية؛ ولهذا قيل: إن التأويلَ للفقهاء، فالقول من الأَوَّلِ بلا نقل أو سماع خطأٌ؛ وكذا القولُ من الثاني بمجرَّدِ

---

(١) «الإتقان» ٢/ ١٧٣.

(٢) «تفسير البغوي» ١/ ١٨.

(٣) «الإتقان» ٢/ ١٧٣.

(٤) «التيسير في قواعد التفسير» ص ٣، ١١.

التشهِّي، وأما استنباطُ المعانِي علَى قانونِ اللُّغَةِ فمما يُعَدُّ فَضْلاً وكمالاً».

وقد رجَّح المرحوم الدكتور الذهبي هذا الرأيَ، وعلَّل ذلك بقوله[1]:

«وذلك لأن التَّفْسِيرَ معناه: الكَشْفُ والبيان، والكَشْف عن مراد اللَّه تعالَى لا نَجْزِمُ به إلا إذا وَرَدَ عن رَسُولِ اللَّه ﷺ أو عن بعض أصحابه، الذين شهدوا نزول الوحْي، وعلموا ما أَحَاطَ به مِنْ حوادِثَ ووقائِعَ، وخالطوا رسولَ اللَّهِ ﷺ ورجَعُوا إليه فيما أَشْكَلَ عليهم مِنْ معاني القرآن الكريم.

«وأما التأويلُ: فملحوظٌ فيه ترجيحُ أَحَدِ مُحْتَمَلاتِ اللَّفْظِ بالدليل، والترجيحُ يَعْتَمِدُ على الاجتهاد، ويتوصَّل إليه بمعرفة مُفْرَدَاتِ الألفاظ ومدلولاتِهَا في لغة العرب، واستعمالِهَا بحَسَبِ السياق، ومعرفَةِ الأسَالِيبِ العربيَّةِ، واستنباطِ المعَانِي مِنْ كُلِّ ذلك».

وهذا هو ما نميل إليه.

حَاجَةُ النَّاسِ إِلَى التَّفْسِيرِ

نزل القرآنُ الكَرِيمُ لغرضَيْنِ أساسيَّيْنِ:

أولهما: ليكونَ معجزةً؛ فلا يقدر البشر عَلَى أن يأتوا بمثله: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]، ولا بسورة من مثله: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس: ٣٨].

ثانيهما: ليكون مَنْهَجَ حياةٍ، ودستوراً للمسلمين، فِيهِ صَلاَحُهُمْ وفلاحُهُمْ؛ إذ تكفَّل بكلِّ حاجاتهم من أمور الدين والدنيا: عقائدَ، وأخلاقٍ، وعباداتٍ، ومعاملاتٍ... إلخ.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَاراً﴾ [الإسراء: ٨٢]، ففي اتباعه الهدايةُ، وفي الإعراض عنه الشقاءُ والضَّنْكُ؛ ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً

(١) «التفسير والمفسرون» ١/ ٢٣.

ضَنكاً وَنَحشُرُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ اليَوْمَ تُنسَى﴾ [طه: ١٢٣ـ ١٢٦].

وبه مخرجُ الأُمَّةِ من أَزمَاتِهَا، وَنَجَاتُهَا من الفتن؛ يقول علي ـ كرم اللّه وجهه ـ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ، سَتَكُونُ فِتَنٌ، فَمَا المَخْرَجُ مِنْهَا؟.

قَالَ ﷺ: «كِتَابُ اللّهِ؛ فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، هُوَ الفَصْلُ لَيْسَ بِالهَزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللّهُ، وَمَنِ ابْتَغَى الهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللّهُ، هُوَ حَبْلُ اللّهِ المَتِينُ، وَالذِّكْرُ الحَكِيمُ، وَالصِّرَاطُ المُسْتَقِيمُ، هُوَ الَّذِي لاَ تَزِيغُ بِهِ الأَهْوَاءُ، وَلاَ يَشْبَعُ مِنْهُ العُلَمَاءُ، وَلاَ يَخْلَقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلاَ تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ خَاصَمَ بِهِ أَفْلَحَ، وَمَنْ دُعِيَ إِلَيْهِ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ».

ـ ولكَيْ يكونَ مُعْجِزاً ويتأتّى تحدِّيهِ للبشر..

ـ ولكي يتأتّى اتخاذه دستوراً ومَنْهَجَ حياةٍ..

ولكي يتدبَّر المؤمنون آياته..[1].

ولكيْ يستطيعَ المُسْلِمُونَ العَرَبُ الانطلاقَ بالدعوة[2].. لكلِّ هذا جَاءَ القُرْآنُ عربيًّا.

وكان القوم ـ «عند نزوله ـ سواء من هو حُجَّةٌ له؛ من المؤمنين الصادقين، ومَنْ هو حُجَّةٌ عليه؛ من الكافرين الجاحدين ـ يفهمونه ويحيطون بمعانيه إفراداً وتركيباً؛ فيتلَقَّوْنَ دعوته، ويُدْرِكُونَ مواعظَهُ، وَيَعُونَ تَحَدِّيهِ بالإعجازِ بَيْنَ مُذْعِنِينَ، يقولُونَ: آمَنَّا به، ومعانِدِينَ يُلْحِدُونَ في آياته، ويُمْعِنُونَ في معارضته كيداً وَلَيًّا بألسنتهم وطَعْناً في الدين.

«فما كان منهم مَنْ تَعَذَّرَ عليه فهمه، وَلاَ مَنْ خَفِيَتْ عليه مقاصِدُهُ ومعانيه، بَلْ كان وضوحُ معانيه، ويُسْرُ فهمه، هو الأَصْلَ فيما قام حوله مِنْ صِرَاعٍ بين مُؤْمِنٍ يجد فيه شفاءَ نَفْسِهِ، وانشراحَ صَدْرِهِ، وكافِرٍ ينقبضُ لقوارعِ آياته؛ فلا يزالُ يدفعها بالإعراضِ والمُعَارَضَةِ، والدفاعِ والمُقَارَعَةِ، وكان ذلك هو الأَصْلَ أيضاً في تكوُّنِ الأُمَّةِ المحمَّدية، وتولُّد التاريخِ الإسلاميِّ»[3].

---

(١) قال تعالى: ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته...﴾.

(٢) قال تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع...﴾.

(٣) «التفسير ورجاله»/ محمد الفاضل بن عاشور ص ٧ـ ٨.

يقول ابن خَلْدُونَ[١]:

«إنَّ القُرْآنَ نَزَلَ بلغة العَرَبِ، وعَلَى أساليب بلاغتهم؛ فكَانُوا كُلُّهم يفهمونَهُ، ويَعْلَمُونَ معانِيَهُ في مفرداته وتراكيبه».

وقد سبقه أبو عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بْنُ المُثَنَّى؛ حين قال[٢]:

«إنما نَزَلَ القرآنُ بلسانٍ عربيٍّ مبينٍ؛ فلَم يحتَج السلَفُ، ولا الذين أدركوا وحْيَهُ، إلى النبيِّ ﷺ أن يسألوا عن معانيه؛ لأنهم كانوا عَرَبَ الألسن، فاستغنَوْا بعلْمِهِمْ عن المسألة عن معانيه، وعما فيه مما في كلام العَرَبِ مِثْلُهُ من الوجُوهِ والتلْخِيصِ».

إلا أن هذا الإطلاقَ يُعَارِضُهُ قولُ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ للرسُولِ ﷺ[٣]:

«يَا رَسُولَ اللَّهِ، إنَّكَ تَأْتِينَا بِكَلام مِنْ كَلامِ العَرَبِ، وَمَا نَعْرِفُهُ، وَلَنَحْنُ العَرَبُ حَقًّا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إنَّ رَبِّي عَلَّمَنِي فَتَعَلَّمْتُ، وَأَدَّبَنِي فَتَأَدَّبْتُ».

كما يعارضه صريحُ القرآنِ؛ إذ يقول تعالَى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

نعم.. إن هناك ألفاظاً لم تستَطِعْ بعْضُ القبائل العربيَّةِ معرفتها، رُبَّما لعدم استعمالهم لها، أو لاحتمالِ اللفْظِ عدَّةَ معانٍ، وكذا بعضُ آياتٍ أَشْكَلَ عليهم فَهْمُ معناها؛ وذلك كسؤالهم النبيَّ ﷺ لما نَزَلَ قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]، فقالوا: وَأَيُّنَا لَمْ يَظْلِمْ؟ وَفَزِعُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَبَيَّنَ لهم أَنَّ المرادَ بالظُّلْمِ الشرْكُ؛ واستدلَّ عليه بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[٤] [لقمان: ١٣].

ولو صح ما ذهب إليه ابنُ خَلْدُونَ وأبو عُبَيْدَةَ، لما كانَتْ حاجةُ الصحابة إلى تَفْسِيرِ الرسولِ ﷺ. لكنَّ تفسير الرسول للقرآن، وقد ورد في الأحاديث الصحيحة، بيانًا لمعنَى

---

(١) المقدمة ص ٣٦٧ط الأزهرية سنة ١٩٣٠.

(٢) «مجاز القرآن» ـ ط ثانية ـ دار الفكر.

(٣) «البرهان في علوم القرآن» للزركشي ١/ ٢٨٤ط الحلبي تحقيق أبو الفضل إبراهيم، وقال الصيرفي: ولست أعرف إسناد هذا الحديث، وإن صح، فقد دل على أن النبي ﷺ قد عرف ألسنة العرب.

(٤) «الإتقان» للسيوطي ٢/ ٣٣٠ و«البرهان» للزركشي ١/ ١٤.

لفظٍ، أو توضيحاً لمشكِلٍ، أو تأكيداً لحُكْمٍ، أو تفصيلاً لمُجْمَلٍ، أو تخصيصاً لعامٍّ، أو تقييدًا لمُطْلَقٍ. . . إلخ.

وكان الصحابة ـ رضوان اللَّه عليهم ـ حِرَاصاً علَى حفظ القرآن، وفَهْمِ معانيه، وفِقْهِ أحكامه. .

قال أبو عبد الرحْمَٰنِ السُّلَمِيُّ:

«حَدَّثَنَا الذين كانوا يقرئوننا القرآن؛ كعثمانَ بْنِ عفان، وعبد اللَّه بن مسعود، وغيرِهِمَا؛ أنهم كانوا إذا تعلَّموا من النبي ﷺ عَشْرَ آيَاتٍ، لم يتجاوَزُوهَا حَتَّى يعلموا ما فيها مِنَ العِلْمِ والعَمَلِ، قالوا: فَتَعَلَّمْنَا القرآنَ، والعِلْمَ، والعَمَلَ جميعاً».

وإذا كان العربُ الخُلَّصُ الذين لم تُعَكِّرْ عربيَّتَهُمْ عُجْمَةٌ ـ يحتاجُونَ إلَى التَّفْسِيرِ، فنحن أَوْلَى وأَحْوَجُ، بَلْ وَأَشَدُّ حاجةً إلَى تَفْسِيرِ القرآنِ الكرِيمِ؛ إذ صار البَوْنُ بعيداً بَيْنَ العَرَبِ والفصحَى.

يقول السُّيُوطِيُّ[1]:

«ونحن محتاجون إلَى ما كانوا يحتاجُونَ إليه، وزيادةٍ علَى ذلك مما لَمْ يحتاجوا إليه من أَحْكَامِ الظواهر؛ لقصورنا عن مدارك أحكامِ اللغةِ بغَيْر تعلُّم، فنحن أَشَدُّ احتياجًا إلى التفْسِيرِ».

والحاجة إلَى التفسير «إنَّمَا هِيَ حَاجَةٌ عارضَةٌ نشأَتْ من سببين:

السبب الأول: هو أن القرآن لَمْ يَنْزِلْ دفعةً واحدةً، وإنما كان نزولُهُ وتبليغُهُ في ظرف زمنيٍّ متسع جدًّا؛ قدره أكثر من عشرين عاماً، فكان ينزل منجَّماً علَى أجزاءٍ مَعَ فَوَاصِلَ زمنيَّةٍ متراخِيَةٍ بَيْنَ تلك الأجزاءِ، وكان نزولُهُ في تقدم بعض أجزائِهِ وتأخُّرِ البعْضِ الآخر، علَى ترتيبٍ يختلفُ عن ترتيبه التعبُّديِّ؛ لأنَّ ترتيبَ تاريخِ النزولِ كان منظوراً فيه إلَى مناسبةِ الظروفِ والوقائعِ، مناسبةٌ ترجعُ إلَى رُكْنٍ من أركان مطابَقةِ الكلامِ لمقتضى الحَالِ، وترتيب التلاوةِ أو الترتيب التعبدي، كان منظوراً فيه إلى تَسَلْسُلِ المعانِي وتناسُبِ أجزاء الكلامِ بعضِهَا مع بعض، . . . والترتيبُ الأَوَّلُ مُؤَقَّتٌ زائلٌ بزوالِ ملابساته من الوقائع والأزمنة والأمكنة.

---

(١) «الإتقان» ٢/ ٢٩٦ ـ ٢٩٧.

٥٠ ـــــــ

وكان الصحابة يجتهدون في فهم القرآن الكريم مستعينين علَى ذلك بـ[١]:

١ ـ معرفَةِ أَوْضَاعِ اللُّغَةِ وأَسْرَارِها.

٢ ـ معرفةِ عادَاتِ العَرَبِ.

٣ ـ معرفةِ أَحْوَالِ اليهودِ والنصارَى في الجزيرة وَقْتَ نزولِ القرآن.

٤ ـ قُوَّةِ الفَهْمِ، وسَعَةِ الإِدْرَاكِ.

وبَدَهِيٌّ أن يتفاوَتَ الصحابة في توافر هذه الأدواتِ عندهم. وبالتَّالي في فَهْمِ القرآن الكريم؛ فلم يكونوا جميعاً في مرتبة واحدة، ومن هنا كان الاختلافُ اليسيرُ بينهم في تفسير القرآن الكريم.

وَمِنْ ذَلِكَ:

ـ ما روي «من أن الصحابة فرحوا حِينَ نَزَلَ قوله تعالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]؛ لِظَنِّهِمْ أنها مجرَّدُ إخبارٍ وبُشْرَى بكمال الدين، ولكنَّ عُمَرَ بكَى وقال: مَا بَعْدَ الكَمَالِ إلاَّ النَّقْصُ، مستشعراً نَعْيَ النبيِّ ﷺ وقد كان مصيباً في ذلك؛ إذ لم يَعِشِ النبيُّ ﷺ بعدها إلا وَاحِداً وثمانين يوماً؛ كما رُوِيَ»[٢].

ـ وفيه ما رواه البخاريُّ عن سعيد بن جُبَيْر عن ابن عباس قال[٣]:

«كان عُمَرُ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاخِ بَدْرٍ. فكأنَّ بعضهم وَجَدَ في نفسه، وقال: لِمَ يَدْخُلُ هذا معنا، وإنَّ لنا أَبْنَاءً مِثْلَهُ؟ فقال عمر: إِنَّهُ مِنْ أَعْلَمِكُمْ، فدعاهُمْ ذَاتَ يَوْمٍ فَأَدْخَلَنِي معهم، فما رأَيْتُ أنه دعاني فيهم إلا لِيُرِيَهُمْ، فقال: ما تقولُونَ في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالفَتْحُ﴾ [النصر: ١]؟

فقال بعضهم: أمرنا أن نَحْمَدَ اللَّه ونَسْتَغْفِرَهُ؛ إذْ نَصَرَنَا وفَتَحَ علينا، وسَكَتَ بعضُهُمْ، ولم يقلْ شيئاً، فقال لي: أكذلك تَقُولُ يَا ابْنَ عَبَّاس؟

فقلت: لا، فقال: ما تَقُولُ؟

قلتُ: هو أَجَلُ رَسُولِ اللَّه ﷺ أَعْلَمَهُ اللَّه له، قال: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ والفَتْحُ﴾

---

(١) راجع «التفسير والمفسرون» ١/ ٥٩ وما بعدها.

(٢) «الموافقات» للشاطبي ج ٣/ ٣٨٤، «التفسير والمفسرون» ١/ ٦١، ٦٢.

(٣) «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» ٨/ ٥١٩،/ باب التفسير، وكذا «أسد الغابة».

٥٢ ـــــــ

قال: لاَ، وَاللَّهِ لاَ أَعْلَمُهُ.

وقال ابن مسعود: «إِنَّ القُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، مَا مِنْهَا حَرْفٌ إِلاَّ وَلَهُ ظَهْرٌ وَبَطْنٌ، وَإِنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عِنْدَهُ مِنَ الظَّاهِرِ وَالبَاطِنِ»(١).

نَمُوذَجٌ من تفسيرِ عَلِيٍّ ـ رضي اللَّه عنه ـ للقرآن:

قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَاناً﴾ [التوبة: ١٢٤]: إن الإيمانَ يَبْدُو لمظة بَيْضَاءَ في القَلْب، فكلَّما ازداد الإيمانُ عِظَماً ازداد ذلك البياضُ، حتَّى يبيضَّ القَلْبُ كلُّه، وإنَّ النفاقَ يَبْدُو لمظةً سوداءَ في القَلْبِ، فكلَّما ازداد النفاقُ ازداد بذلك السَّوَادُ، حتَّى يَسْوَدَّ القَلْبُ كلُّه، وَايْمُ اللَّهِ، لَوْ شَقَقْتُمْ عَنْ قَلْبِ مُؤْمِنٍ لَوَجَدتُّمُوهُ أَبْيَضَ، وَلَوْ شَقَقْتُمْ عَنْ قَلْبِ مُنَافِقٍ لَوَجَدتُّمُوهُ أَسْوَدَ»(٢).

٢ ـ عَبْدُ اللَّهُ بْنُ مَسْعُودٍ:

هو: عبدُ اللَّهِ بْنُ مسعودِ بْن غَافِلِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ سَمْحٍ، وقيل «شمخ»... ينتهي نسبه إلَى مُضَرَ، يُكْنَى بأبي عَبْدِ الرحْمَنِ، وأُمُّهُ: أُمُّ عَبْدٍ بِنْتُ عَبْدِ وُدٍّ من هُذَيْلٍ، وكان يقال له: ابْنُ أُمِّ عَبْدٍ.

أَسْلَمَ قديماً قبل عُمَرَ بْنِ الخَطَّاب، وكان سَبَبُ إسلامه: حين مَرَّ به رسولُ اللَّه ﷺ وأبو بَكْرٍ ـ رضي اللَّه عنه ـ وهو يرعَى غَنَماً، فسألاه لَبَناً فقال: إِنِّي مُؤْتَمَنٌ، قال: فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّه ﷺ عَنَاقاً لَمْ يَنْزُ عَلَيْهَا الفَحْلُ، فاعتقَلَهَا، ثم حَلَبَ وشَرِبَ وسَقَى أبا بَكْرٍ، ثم قال للضَّرْعِ: اقْلِصْ، فَقَلَصَ، فقلْتُ: عَلِّمْنِي مِنْ هَذَا الدُّعَاءِ، فقال: إِنَّكَ غُلاَمٌ مُعَلَّمٌ... الحديث(٣).

كان عبد اللَّه مِنْ أَحْفَظِ الصحابة لِكِتَابِ اللَّه وأَقْرَئِهِمْ له، وكان ﷺ يطلُبُ منه أن يَقْرَأَهُ عليه، فقال له يوماً: اقْرَأْ عَلَيَّ سُورَةَ النِّسَاءِ، قال ابن مسعود: أَقْرَأُ عَلَيْكَ، وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قال: إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي، يقول: فقرأْتُ عليه، حتَّى بَلَغْتُ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاَءِ شَهِيداً﴾ [النساء: ٤١]؛ فَفَاضَتْ

---

(١) راجع «الإتقان» ٢/ ٣١٩.

(٢) «تفسير البغوي» ـ ط المنار ٤/ ٢٧٣.

(٣) «البداية والنهاية» ٧/ ١٦٩، «أسد الغابة» ٣/ ٢٥٦ـ ٢٦٠.

عيناه ﷺ[١].

وكان ﷺ يَقُولُ:

«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقْرَأَ القُرْآنَ رَطْباً كَمَا أُنْزِلَ فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ»[٢] وكان ابن مسعود حريصًا علَى فَهْمِ القرآنِ الكريمِ؛ يَرْوِي الطبريُّ وغيره عن ابن مسعود؛ أنه قال:

«كَانَ الرجُلُ مِنَّا إذا تعلَّمَ عَشْرَ آياتٍ لَمْ يُجَاوِزْهُنَّ حَتَّى يعرف معانِيَهُنَّ والعَمَلَ بِهِنَّ، وعن مسروقٍ قال[٣]: قال عبد اللَّه بن مسعود:

«وَالَّذِي لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ، مَا نَزَلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إلاَّ وَأَنَا أَعْلَمُ فِيمَ نَزَلَتْ، وَأَيْنَ نَزَلَتْ، وَلَوْ أَعْلَمُ مَكَانَ أَحَدٍ أَعْلَمَ بِكِتَابِ اللَّهِ مِنِّي تَبْلُغُهُ الإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ».

وطُرُقُ الرواية عَنِ ابنِ مسعودٍ متعدِّدةٌ، وأَصَحُّ هذه الطرق ما جاء من[٤]:

١ ـ طريقِ الأَعْمَشِ، عن أبي الضُّحَى، عن مَسْرُوقٍ، عن ابن مسعود.

٢ ـ طريقِ مُجَاهِدٍ، عن أبي مَعْمَرٍ، عن ابن مسعود.

٣ ـ طريقِ الأَعْمَشِ، عن أبي وائِلٍ، عن ابن مسعود.

وهذه الطرقُ الثلاثَةُ أَخْرَجَ منها البخاريُّ في صحيحه.

وهناك طرق أُخرى كـ:

١ ـ طريقِ السُّدِّيِّ الكَبِيرِ عن مُرَّةِ الهَمَذَانِيِّ عن ابن مسعود؛ أخرج منها الحاكمُ في مستدركه، وابنُ جَرِيرٍ في تفسيره ـ كثيراً.

٢ ـ طريقِ أَبِي رَوْقٍ عن الضَّحَّاكِ عن ابن مسعود، وهي طريقٌ غَيْرُ مَرْضِيَّةٍ؛ أخرج منها ابن جرير في تفسيره أيضاً، وهي منقطعةٌ؛ لأن الضَّحَّاك لم يَلْقَ ابن مسعود.

وكان لابن مَسْعُودٍ تلاميذُ كَثِيرٌ في الكوفة، وكان عُمَرُ ـ رضي اللَّه عنه ـ لَمَّا وَلَّى عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ على الكوفَةِ سَيَّرَ مَعَهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ معلِّماً ووزيراً، فجلَسَ الكوفيُّون إليه وتعلَّموا منه.

---

(١) «البداية والنهاية» ٧/ ١٦٩.

(٢) «مسند الإمام أحمد» ١/ ٧.

(٣) «صحيح البخاري» ـ كتاب الفضائل/ باب مناقب عبد الله بن مسعود.

(٤) «التفسير والمفسرون» للذهبي ١/ ٨٧، ٨٨.

ويقولُ العلماء:

إن ابن مسعود هو الذي وَضَعَ الأَسَاسَ لطريقة الاستدْلاَلِ، وقد أَثَّرَتْ هذه الطريقةُ في مدرسة التفْسِيرِ، فَكَثُرَ التفسير بالرأْيِ والاِجتهادِ[١]، وسوف يأتي ذكر تلاميذه عند حديثنا عن تفسير التابعين.

٣ ـ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ:

هو: أُبَيُّ بْنُ كَعْبِ بْنِ قَيْسِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ مُعَاوِيةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ، سَيِّدُ القُرَّاء[٢]، كنيته: أبو المُنْذِرِ أو أَبُو الطُّفَيْلِ.

شَهِدَ بَيْعَةَ العَقَبَةِ مع السَّبْعِينَ من الأَنْصَارِ، وشَهِدَ بَدْراً وأُحُداً والخَنْدَقَ والمَشَاهِدَ كُلَّها مع رسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وهو أَحَدُ المشهورِينَ بِحِفْظِ القرآنِ مِنَ الصحابة، وبإقرائه؛ قال فيه عمر بن الخطاب: «أُبَيٌّ أَقْرَؤُنَا»[٣].

وهو أحد الذين تَلْمَذَ عليهم «ابْنُ عَبَّاسٍ»؛ يقول ابن عباس[٤]:

«ما حدَّثني أحدٌ قَطُّ حديثاً فاستفهمته، فلقد كُنْتُ آتِي بَابَ أُبَيِّ بْنِ كعبٍ، وهو نائمٌ، فأَقِيلُ عَلَى بابه، ولو علم بمكاني لَأَحَبَّ أَنْ يُوقَظَ؛ لمكاني من رسولِ اللَّهِ ﷺ، ولَكِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَمِلَّهُ».

كان أُبَيٌّ يَكْتُبُ فِي مُصْحَفِهِ أشياء لَيْسَتْ من القرآن الكريم مما يُعَدُّ شرحاً، أو تفسيراً، أو سبباً لنزولٍ، أو مما نُسِخَ، وكان يقول: لا أَدَعُ شيئاً سمعتُهُ منْ رسُولِ اللَّه ﷺ[٥]، فَمِنْ ذلك مثلاً: دُعَاءُ القُنُوتِ[٦].

وكان مِنْ أَعْلَمِ الصحابةِ بكتَابِ اللَّهِ؛ وذلك لعدَّةِ عَوَامِلَ:

* أنه كان مِنْ كُتَّابِ الوحْيِ للرسول ﷺ.

* أنه كان حَبْراً مِنْ أحبارِ اليهودِ العارفين بأسرارِ الكُتُبِ القديمة وما وَرَدَ فيها.

---

(١) المصدر السابق ١/ ١٢٠.

(٢) «تهذيب التهذيب» ١/ ١٨٧، «غاية النهاية في طبقات القراء» ١/ ٣١ .«أسد الغابة» ١/ ٤٩ ـ ٥١.

(٣) رواه البخاري، وانظر «طبقات القراء للذهبي» ٦/ ٦٢٩ وكذا شهد له النبي ﷺ.

(٤) «طبقات ابن سعد» ٢/ ٣٧١.

(٥) «تاريخ الإسلام» للذهبي ٢/ ٢٨.

(٦) راجع «الإتقان» ١/ ٦٦.

وقد تعدَّدت طُرُقُ الروايةِ عَنهُ، وأَشْهَرُ هذه الطُّرُقِ:

١ ـ طريقُ أَبِي جَعْفَرٍ الرَّازِيِّ، عن الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ، عن أبي العالية، عَنْ أُبَيٍّ، وهي طريقٌ صحيحةٌ، أخرج منها ابن جرير وابنُ أبي حاتِمٍ كثيراً، وأخرج الحاكم منها في مستدركه، والإمامُ أَحْمَدُ في مُسْنَدِهِ.

٢ ـ طريقُ وكِيعٍ عن سُفْيَانَ، عن عبد اللَّه بن محمَّد بن عَقِيلٍ، عن الطُّفَيْلِ بن أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، عن أَبيه، وهذه يُخْرِجُ منها الإمام أحمد في مسنده، وهي علَى شرط الحَسَنِ[1].

وتلاميذُ أُبَيٍّ كثيرٌ منهم: أبو العَالِيَةِ، وزيد بن أسلم، ومحمَّد بن كَعْبٍ القُرَظِيُّ وغيرهم، ويُعَدُّ أُبَيُّ بن كعب أُسْتَاذَ مدرسةِ التفْسِيرِ في المدينة.

٤ ـ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ[2]:

هو: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ... يلتقي مع الرسُولِ ﷺ في الجَدِّ الأول (عبد المطلب)، فهو ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ.

وُلِدَ إِبَّانَ المقاطَعَةِ الاقتصاديةِ الَّتي فرضَتْهَا قريشٌ علَى بني المُطَّلِبِ، أيْ: قبل الهجرة بثلاَثِ سنواتٍ.

لازم ابْنُ عَبَّاسٍ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، لكنَّ الرسول تُوُفِّيَ وَلاَبْنِ عباسٍ من العُمُرِ ثَلاَثَ عَشْرَةَ سَنَةً، وقيل: خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً..

وقد حَظِيَ ابْنُ عبَّاسٍ بدعوة رسُولِ اللَّه له حِينَ قال ﷺ: «اللَّهُمَّ، عَلِّمْهُ الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ».

وفي رواية: «اللَّهُمَّ، فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ».

واستجيبتْ دَعْوَةُ الرسُولِ ﷺ، فكان عبد اللَّه بْنُ عبَّاسٍ «تَرْجُمَانَ القُرْآنِ» يقول ابن مسعودٍ:

«نِعْمَ تَرْجُمَانُ القُرْآنِ ابْنُ عَبَّاسٍ»؛ وذلك لبراعته في التفسير، كما لُقِّبَ بِالْحِبْرِ؛ لغزارة علمه، وبالبَحْرِ كذلك.

---

(١) راجع «التفسير والمفسرون» ١/ ٩٢، ٩٣.

(٢) بعض الكتب التي تترجم للمفسرين من الصحابة تقدم ابن عباس على سائر الصحابة لتفوقه في هذا العلم، وبعضها ترجئه بعد الثَّلاَثَةِ السابقين لتقدمهم في السن عليه وحداثته بينهم.

وإذا كان ابن عَبَّاسٍ قد فاتَهُ طُولُ الصُّحْبَةِ للرسُولِ ﷺ، فقد استعَاضَ عن ذلك بملازَمَةِ كِبَارِ الصحابةِ، يسألهم، ويتعرَّف أسباب النزول، والناسِخَ والمَنسُوخَ، وغير ذلك.

يقول ابنُ عَبَّاسٍ[١]:

«لَمْ أَزَلْ حَرِيصاً عَلَى أَنْ أَسْأَلَ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ عن المرأَتَيْنِ من أزواج النبيِّ ﷺ اللَّتَيْنِ قال اللَّه فيهما: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ﴾ [التحريم: ٤]، ولم أَزَلْ أتلَطَّفُ له حتَّى عرفْتُ أنهما حَفْصَةُ وَعَائِشَةُ».

ويقولُ:

«وَجَدتُ عامَّةَ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّه ﷺ عند الأَنْصَارِ؛ فإنِّي كُنْتُ لآتِي الرَّجُلَ، فَأَجِدُهُ نائماً، لو شِئْتُ أَنْ يُوقَظَ لِي لأُوقِظَ، فَأَجْلِسُ عَلَى بَابِهِ تَسْفِي عَلَى وَجْهِيَ الرِّيحُ، حَتَّى يَسْتَيْقِظَ مَتَى مَا اسْتَيْقَظَ، وَأَسْأَلُهُ عَمَّا أُرِيدُ ثُمَّ أَنْصَرِفُ».

لقد تَلْمَذَ ابنُ عَبَّاسٍ علَى رسُولِ اللَّه ﷺ أَوَّلاً، فكان الرسُولُ يعلِّمه ويربِّيه، قال له يوماً:

«يَا غُلاَمُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: ٱحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، ٱحْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَٱسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا ٱسْتَعَنْتَ فَٱسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَٱعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ ٱجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَإِنِ ٱجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ».

وفي خلافة عُمَرَ كان لاِبْنِ عَبَّاسٍ تقديرٌ خاصٌّ عنده، فكان يُدْنِيهِ مِنْ مجلسه، رَغْمَ حَدَاثَةِ سِنِّهِ ـ كما ذكرنا.

وقد أفاد ٱبْنُ عَبَّاسٍ مِنْ هؤلاء الذين يُعَدُّونَ بمثابة شيوخه:

عُمَرَ بْنِ الخَطَّاب، وأُبَيِّ بن كعب، وعَلِيِّ بن أَبِي طَالِبٍ، وزَيْدِ بن ثابِتٍ، رَوَى عَبْدُ الرزَّاقِ عن مَعْمَرٍ قال[٢]:

«عَامَّةُ عِلْمِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ من ثلاثة: عُمَرَ وَعَلِيٍّ وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ».

وذكر ابن الأثير الجَزَرِيُّ في ترجمة ابن عبَّاسٍ أنه[٣] «حَفِظَ المُحْكَمَ فِي زَمَنِ

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن»/ للقرطبي ١/ ٢٢.

(٢) «تذكرة الحفاظ» للذهبي ١/ ٤١.

(٣) «طبقات القراء» ٤٢٥.

النبيِّ ﷺ، ثم عَرَضَ الْقُرآنَ عَلَى أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ وَزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، وقيل: إنَّه قرأ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طالِبٍ ـ رضي اللَّه عنه».

لَقَدْ أُوتِيَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ عِلْماً غزيراً جَعَلَهُ أَبْرَزَ المفسِّرين، وأتمَّهم اضطلاعاً بالتفسير؛ حتَّى إنه «لَمْ يَبْقَ عِنْدَ مُنْتَصَفِ القَرْنِ الأَوَّلِ من الهجرة مِنْ بَيْنِ الصحابة وغيرهم إلاَّ مُذْعِنٌ لاِبْنِ عبَّاس، مُسَلِّمٌ له مَقْدُرَتَهُ الموفَّقة، وموهِبَتَهُ العجيبةَ، وَعِلْمَهُ الواسِعَ في تفسير القرآن»[1].

لقد امتلك ابْنُ عَبَّاسٍ أدواتِ المفسِّر؛ فكان عالماً بِأَسْرَارِ العربيَّةِ يحفَظُ الكثيرَ مِنَ الشِّعْرِ القَدِيمِ، ويَحُثُّ النَّاسَ على النَّظَرِ فيه قائلاً[2]:

«إِذَا تَعَاجَمَ شَيْءٌ مِنَ القُرْآنِ، فَٱنْظُرُوا فِي الشِّعْرِ فَإِنَّ الشِّعْرَ عَرَبِيٌّ».

وهو القائلُ[3]:

«الشِّعْرُ دِيوَانُ العَرَبِ؛ فَإِذَا خَفِيَ عَلَيْنَا الحَرْفُ مِنَ القُرْآنِ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ بِلُغَةِ العَرَبِ، رَجَعْنَا إِلَى دِيوَانِهَا فَٱلْتَمَسْنَا ذَلِكَ مِنْهُ».

وقد ذكر السُّيُوطِيُّ بسنده حواراً دار بَيْنَ نَافِعِ بْنِ الأَزْرَقِ وابْنِ عَبَّاسٍ فقال[4]:

بَيْنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ جالِسٌ بفناءِ الكَعْبَةِ، قد اكتنفه الناسُ يسألونه عن تفسير القرآنِ، فقال نافِعُ بْنُ الأزرقِ لِنَجْدَةَ بْنِ عُوَيْمِرٍ:

قُمْ بنا إِلَى هذا الذي يجترىءُ عَلَى تفسير القرآنِ بما لا عِلْمَ له به، فقاما إِلَيْهِ، فقالا: إِنَّا نُرِيدُ أَنْ نَسْأَلَكَ عَنْ أشياءَ مِنْ كِتَابِ اللَّه فتفسِّرُهَا لنا، وتَأْتِينَا بمصادَقَةٍ مِنْ كَلاَمِ العَرَبِ؛ فإنَّ اللَّه تعَالى إنما أَنْزَلَ القرآنَ بِلِسَانٍ عربيٍّ مُبِينٍ، فقال ابن عَبَّاس: سَلاَنِي عما بَدَا لَكُمَا، فقال نافعٌ:

أخبرني عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تعالَى: ﴿عَنِ اليَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾ [المعارج: ٣٧].

قال: العِزُونَ: حِلَقُ الرِّفَاقِ.

---

(١) «التفسير ورجاله»/ ابن عاشور ص ١٦.

(٢) «التفسير ورجاله»/ ابن عاشور ص ١٧.

(٣) «الإتقان» ١/ ١١٩، «غاية النهاية في طبقات القراء» ٤٢٦.

(٤) «الإتقان» ١/ ١٢٠.

قال: وَهَلْ تَعْرِفُ العَرَبُ ذلك؟

قال: نَعَمْ؛ أما سمعْتَ عَبِيدَ بْنَ الأَبْرَصِ وهو يقولُ: [الوافر]

فَجَاءُوا يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ حَتَّى يَكُونُوا حَوْلَ مِنْبَرِهِ عِزِينَا

قال: أخبرني عن قوله: ﴿وَٱبْتَغُوا إِلَيْهِ الوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥].

قال: الوَسِيلَةُ: الحَاجَةُ.

قال: وهَلْ تعرفُ العَرَبُ ذلك؟

قال: نعم؛ أما سمعتَ عَنْتَرَةَ وهو يقولُ: [الكامل]

إِنَّ الرِّجَالَ لَهُمْ إِلَيْكِ وَسِيلَةٌ إِنْ يَأْخُذُوكِ تَكَحَّلِي وَتَخَضَّبِي

إلى آخر المسائِلِ وأجوبتها[1].

وهي إن دَلَّتْ فإنما تدلُّ علَى سَعَةِ عَلْمِهِ بِلُغَةِ العَرَبِ، وقُوَّةِ ذاكرته؛ مما جعله إمَامَ التَّفْسِيرِ في عهد الصحابة، ومَرْجِعَ المفسِّرين في الأَعْصُرِ التالية لعَصْرِهِ، وهو إمامُ مدرسة التفسيرِ في مَكَّةَ، وأَوَّلُ مَنِ ٱبتدَعَ الطريقَة اللُّغَوِيَّةَ في تفسير القرآن.

طُرُقُ الروايةِ عَنِ ٱبْنِ عَبَّاس:

تعدَّدت طُرُقُ الروايةِ عَنِ ابْنِ عباس، واختلفَت تلك الطُّرُقُ؛ وأَشْهَرُ هذه الطُّرُقِ وأصحُّها[2]:

١ ـ طريقُ الزُّهْرِيِّ، عن عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ، عن ابن عَبَّاسٍ، وتُعَدُّ هذه الطريقُ مِنَ السلاسِلِ الذهبيَّةِ، وقد أخرج منها ابْنُ جَرِيرٍ الطبريُّ، وعبد الرَّزَّاق في تفسيرهما.

٢ ـ طريقُ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، عن عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، عن عطاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ ـ وعن عِكْرِمَةَ أحياناً ـ عن ابن عباس، وقد أَخْرَجَ منها عبد الرَّزَّاقِ في تفسيره.

٣ ـ طريقُ مُعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ، عن عليِّ بْنِ أبي طَلْحَةَ، عن ابْنِ عَبَّاسٍ... وقالوا:

---

(١) راجعها في «الإتقان» ١/ ١٢٠ وما بعدها.

(٢) راجع: «الإتقان» ٢/ ١٨٨، «التفسير والمفسرون» ١/ ٧٧، ٨٨، «حبر الأمة عبد الله بن عباس» ص ١٨٢.

إن هذه أَجْوَدُ الطُّرُقِ عنه، وفيها قَالَ الإمامُ أَحْمَدُ ـ رضي اللَّه عنه ـ «إِنَّ بِمِصْرَ صَحِيفَةً فِي التَّفْسِيرِ رَوَاهَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، لَوْ رَحَلَ رَجُلٌ فِيهَا إِلَى مِصْرَ قَاصِداً مَا كَانَ كَثِيراً».

وقال الحافظُ ابْنُ حَجَرٍ:

«وهذه النسخة كانت عند أبي صَالِحٍ كَاتِبِ اللَّيْثِ، رواها عن معاويةَ بْنِ صَالِحٍ، عن عَلِيِّ بْنِ أبي طَلْحَةَ، عن ابن عَبَّاسٍ، وهي عند البخاريِّ عن أبي صالح، وقد اعتمد عليها في صحيحه فيما يعلِّقه عن ابن عباس».

٤ ـ طريقُ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عن سَعِيدِ بْنِ جُبَيرٍ، عن ابنِ عَبَّاسٍ.

وهناك طرقٌ أُخْرَى تَلِي هذه الطُّرُقَ...[١].

وكان لابْنِ عَبَّاسٍ مدرسةٌ في التفسير بمكَّةَ، فكان يجلِسُ لأصحابه من التابعين يفسِّر لهم كتابَ اللَّهِ تعالَى.

يقول الإمامُ ابْنُ تَيْمِيَّةَ.

«أما التفسيرُ، فَأَعْلَمُ النَّاسِ به أَهْلُ مكَّةَ؛ لأنهم أصحَابُ ابْنِ عَبَّاسٍ؛ كمجاهد، وعطاءِ بْنِ أبي رَبَاحٍ، وعكرمةَ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، وغيرِهِمْ مِنْ أصحابِ ابْنِ عَبَّاسٍ؛ كَطَاوُسٍ، وأبي الشعْثَاءِ، وسعيدِ بْنِ جُبَيرٍ، وأمثالهم..»[٢].

قِيمَةُ التَّفْسِيرِ المَأْثُورِ عَنِ الصَّحَابَةِ

بعض المُحَدِّثِينَ يُعْطِي التفسيرَ المَأْثُورَ عن الصحابيِّ حُكْمَ المرفُوعِ؛ ومِنْ هَؤُلاَءِ الإمامُ الحاكمُ في «مستدركه»؛ إذْ يقول[٣]:

«لِيَعْلَمْ طَالِبُ الحَدِيثِ؛ أَنَّ تَفسيرَ الصحابيِّ الذي شَهِدَ الوحْيَ والتنزيلَ ـ عند الشيخَيْنِ ـ حديثٌ مُسْنَدٌ».

ولكن قيد ابْنُ الصَّلاَحِ والنَّوَوِيُّ وغيرهما هذا الإطْلاَقَ بما يَرْجِعُ إِلَى أسباب النُّزُولِ، وما لا مَجَالِ للرَّأْيِ فيه.

---

(١) راجع: «حبر الأمة عبد الله بن عباس» ١٤٦ وما بعدها.

(٢) «مقدمة في أصول التفسير» ص ١٥.

(٣) راجع: «تدريب الراوي» ص ٦٤، «التفسير والمفسرون» للذهبي ١/ ٩٤.

يقول ابْنُ الصَّلاَحِ[١]:

«ما قيل مَنْ أَنَّ تَفْسِيرَ الصحَابِيِّ حديثٌ مُسْنَدٌ، فإنما ذلك في تَفْسِيرٍ يتعلَّقُ بسبب نُزُولِ آيةٍ يُخْبِرُ به الصَّحَابِيُّ، أو نَحْوِ ذلك مِما لا يُمْكِنُ أن يؤخذ إلاَّ عن النبيِّ ﷺ، ولا مَدْخَلَ للرأْيِ فيه؛ كقول جابِرٍ ـ رضي اللَّه عنه ـ: كانَتِ اليَهُودُ تَقُولُ:

مَنْ أَتَى ٱمْرَأَةً مِنْ دُبُرِهَا فِي قُبُلِهَا، جَاءَ الوَلَدُ أَحْوَلَ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ:

﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ...﴾ [البقرة: ٢٢٣] الآيَةَ، فأما سائِرُ تفاسِيرِ الصحابة التي لا تَشْتَمِلُ علَى إضافة شَيْءٍ إلى الرسُولِ ﷺ فمعدودةٌ في الموقُوفَاتِ».

وذكروا أن تَفْسِيرَ الصحابيِّ له حُكْمُ المرفوعِ إذا لم يكُنْ للرأْيِ فيه مجالٌ، وأما ما يكون للرأْيِ فيه مجالٌ، فله حُكْمُ الموقوف.

وما حُكِمَ عليه بالوَقْفِ:

قال بعضُ العلماء: لا يَجِبُ الأَخْذُ به؛ لأنه مُجْتَهَدٌ فيه، وقد يُصِيبُ وقد يُخْطِىءُ.

وقال بعضُهُمْ:

يجبُ الأَخْذُ به؛ لأنه: إما سمعه من الرسُولِ، وإما فَسَّرَهُ برأْيِهِ، وهم أَدْرَى النَّاسِ بكتاب اللَّه، وهُمْ أَهْلُ اللسانِ، ولما شاهَدُوهُ من القرائِنِ والأَحْوَالِ، ولا سيَّما ما وَرَدَ عَنِ الأئمَّة الأربعة وابْنِ مَسْعُودٍ وابْنِ عَبَّاسٍ وغيرهم[٢].

يقولُ الزركَشِيُّ[٣]:

«اَعْلَمْ أَنَّ القرآن قِسْمَانِ: قِسْمٌ وَرَدَ تفسيرُهُ بالنَّقْلِ، وقِسْمٌ لَمْ يَرِدْ، والأَوَّلُ: إما أن يَرِدَ عن النبيِّ ﷺ أو الصحابةِ، أو رُءُوسِ التابعين، **فالأَوَّلُ**: يبحَثُ فيه عن صِحَّةِ السَّنَدِ، **والثاني**: يُنْظَرُ فيه تفسيرُ الصحابيِّ: فإن فسَّره من حيثُ اللغةُ، فَهُمْ أَهْلُ اللسانِ؛ فلا شَكَّ في اعتماده، أو بما شاهَدُوهُ من الأَسْبَابِ والقرائِنِ فلا شَكَّ فيه...».

ويقولُ الحافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ[٤]:

«.. وحينئذٍ: إذا لم نَجِدِ التفْسِيرَ في القُرْآنِ ولا في السُّنَّةِ، رَجَعْنَا في ذلك إلَى أقوال الصَّحَابة؛ فإنَّهم أدْرَى بذلك؛ لما شاهدوه من القرائن والأحوالِ التي اختصُّوا بها، ولِمَا لَهُمْ

---

(١) مقدمة «ابن الصلاح» ص ٢٤.

(٢) «التفسير والمفسرون» ص ٩٥ (بتصرف).

(٣) «البرهان» ٢/ ١٨٣.

(٤) مقدمة «تفسير ابن كثير»/ الجزء الأول.

مِنَ الفَهْمِ التامِّ والعِلْمِ الصحيحِ والعَمَلِ الصالِحِ، ولا سيَّما علماؤُهُمْ وكبراؤُهُمْ؛ كالأئمَّةِ الأربعةِ، والخلفاءِ الراشِدِينَ، والأئمَّةِ المهديِّينَ، وعبدِ اللَّهِ بْنِ مسعودٍ رضي اللَّه عنهم».

مَدْرَسَةُ مَكَّةَ

تَلاَمِيذُ ٱبْنِ عَبَّاسٍ

١ ـ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ:

هو[١]: سعِيدُ بْنُ جُبَيْرِ بْنِ هشامٍ الأَسَدِيُّ، مَوْلَى بني وَالِبَةَ، يُكْنَى بأبي محمَّدٍ[٢] أو بأَبِي عَبْدِ اللَّهِ[٣]، كان حَبَشِيَّ الأَصْلِ، أَسْوَدَ اللَّوْنِ، أَبْيَضَ الْخِصَالِ[٤].

هو أَحَدُ كِبَارِ التابِعِينَ، وإِمَامٌ مِنْ أئمَّةِ الإِسْلاَمِ في التَّفْسِيرِ.

كان في أَوَّلِ أَمْرِهِ كاتباً لعبد اللَّه بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ، ثم لأَبِي بُرْدَةَ الأَشْعَرِيِّ، ثم تفرَّغ لِلْعِلْمِ حتَّى صار إماماً عَلَماً[٥].

أخذ العلم عن ابن عباس، وابْنِ عُمَرَ، وعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ المُزَنِيِّ وغيرهم، وتخرَّج من مدرسة ابن عَبَّاسٍ[٦].

وكان ابن عباس يَثِقُ بعلمه، ويُحِيلُ عليه مَنْ يستفتيه، وكان يقول لأهْلِ الكوفة إذا أَتَوْهُ ليسألوه عن شيء: أَلَيْسَ فِيكُمُ ٱبْنُ أُمِّ الدَّهْمَاءِ؟! يعني: سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ[٧].

وكان يحبُّ أن يسمع منه، قال له مَرَّةً: حَدِّثْ، فقال: أُحَدِّثُ، وأَنْتَ هنا؟ فقال: أليس مِنْ نِعْمَةِ اللَّه علَيْكَ أن تحدِّثَ، وأنا شاهد؛ فإن أصبْتَ فذاك، وإن أخطأْتَ عَلَّمْتُكَ[٨]؟!

---

(١) ترجمته في: «طبقات ابن سعد» ٦/ ٢٥٦، «تقريب التهذيب» ١/ ٢٩٢، و«فيات الأعيان» ١/ ٢٠٤، «تهذيب التهذيب» ٤/ ١١، «البداية والنهاية» ٩/ ١٠٣، «الأعلام» ٣/ ١٤٥.

(٢) «طبقات ابن سعد»، و«البداية والنهاية» وغيرهما.

(٣) «طبقات ابن سعد»، و«البداية والنهاية» وغيرهما.

(٤) «التفسير والمفسرون» ١/ ١٠٤.

(٥) «الإسرائيليات والموضوعات» ٩٥.

(٦) «الإسرائيليات والموضوعات» ٩٥.

(٧) «التفسير والمفسرون» ١/ ١٠٥.

(٨) «طبقات ابن سعد» ٦/ ٢٥٧، و«وفيات الأعيان» ١/ ٢٠٤.

مَكَانَتُهُ فِي التَّفْسِيرِ: كان ـ رضي اللَّه عنه ـ مِنْ أَعْلَمِ التابعين بالقراءات؛ يقول إسماعيلُ بْنُ عبد المَلِكِ[١]: «كَانَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ يَؤُمُّنَا في شَهْرِ رَمَضَانَ، فيقرَأُ ليلةً بقراءةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وليلةً بقراءةِ زَيْدِ بْنِ ثابتٍ، وليلةً بقراءة غيره، وهكذا أبداً».

وساعدَتْهُ معرفتُهُ بالقراءاتِ علَى معرفة معانِي القُرْآنِ وأسْرَارِهِ، ومع ذلك كان يتورَّع مِنَ القَوْلِ في التفسير برأيه.

يَرْوِي ٱبْنُ خَلِّكَانَ[٢]: «أن رَجُلاً سَأَلَ سعيداً أَنْ يَكْتُبَ له تَفْسِيرَ القرآن، فَغَضِبَ، وقال: لَأَنْ يَسْقُطَ شِقِّي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ ذَلِكَ».

وقد شهد له التابعُونَ بتفوُّقه في العِلْم، ولا سيَّما التفسيرُ؛ قال قتادة[٣]: «وَكَانَ أَعْلَمُ النَّاسِ أَرْبَعَةً، كان عطاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ أَعْلَمَهُمْ بِالمَنَاسِكِ، وَكَانَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ أَعْلَمَهُمْ بالتَّفْسِيرِ، وكان عِكْرِمَةُ أَعْلَمَهُمْ بِالسِّيَرِ، وكان الحَسَنُ أَعْلَمَهُمْ بِالحَلاَلِ وَالْحَرَامِ».

وقال سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ[٤]: «خُذُوا التَّفْسِيرَ عَنْ أَرْبَعَةٍ: سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَمُجَاهِدِ بْنِ جَبْرٍ، وَعِكْرِمَةَ، والضَّحَّاكِ».

وقال خَصِيفٌ[٥]: «كان مِنْ أَعْلَمِ التابعين بالطَّلاَقِ سَعِيدُ بْنُ المُسَيِّبِ، وبالحَجِّ عَطَاءٌ، وبالحَلاَلِ والحَرَامِ طَاوُسٌ، وبالتَّفْسِيرِ أبو الحَجَّاجِ مُجَاهِدُ بْنُ جَبْرٍ، وأجمَعُهُمْ لذلك كُلِّهِ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ».

نَمُوذَجٌ مِنْ تَفْسِيرِهِ: قال سعيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: السَّبْعُ المَثَانِي هي: البَقَرَةُ وَآلُ عِمْرَانَ، وَالنِّسَاءُ، وَالمَائِدَةُ، وَالأَنْعَامُ، وَالأَعْرَافُ، وَيُونُسُ؛ قال: وسُمِّيَتْ بذلك؛ لأنها بينت فيها الفرائضُ والحدودُ[٦].

قَتْلُهُ:

قُتِلَ ـ رضي اللَّه عنه ـ سَنَةَ أَرْبَعٍ وتسْعِينَ من الهجرة، قَتَلَهُ الحَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ الثَّقَفِيُّ

---

(١) «وفيات الأعيان» ١/ ٢٠٤.

(٢) «وفيات الأعيان» ١/ ٢٠٤ ـ ٢٠٥.

(٣) «الإسرائيليات والموضوعات» ٩٥.

(٤) «الإسرائيليات والموضوعات» ٩٥.

(٥) «وفيات الأعيان» ١/ ٢٠٤ ـ ٢٠٥.

(٦) «تفسير الطبري» ١/ ٣٣، ٣٤.

صَبْراً؛ وذلك: أن سعيدَ بْنَ جُبَيْرٍ خَرَجَ على الخليفَةِ مع ابْنِ الأَشْعَثِ، فلما قُتِلَ ابْنُ الأَشْعَثِ وانهزَمَ أصحابُهُ مِنْ دَيْرِ الجَمَاجِمِ هَرَبَ سعيدٌ، فَلَحِقَ بمكَّةَ، وكانَ والِيهَا خَالِدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ القَسْرِيَّ، فأخذه وبَعَثَ به إلى الحَجَّاجِ، فقال له الحَجَّاجُ: ما اسْمُكَ؟ قال: سعيدُ بْنُ جُبَيْرٍ.

قال: بَلْ أَنْتَ شَقِيُّ بْنُ كُسَيْرٍ، قال: بَلْ أُمِّي كَانَتْ أَعْلَمَ بِاسْمِي مِنْكَ.

قال: شَقِيتَ أَنْتَ وَشَقِيَتْ أُمُّكَ، قال: الغَيْبُ يَعْلَمُهُ غَيْرُكَ.

قال: لأُبَدِّلَنَّكَ بِالدُّنْيَا نَاراً تَلَظَّى، قال: لَوْ عَلِمْتُ أن ذلك بِيَدِكَ لاتَّخَذْتُكَ إِلَهاً.

قال: فما قولُكَ فِي مُحَمَّدٍ؟ قال: نَبِيُّ الرحْمَةِ، وإِمَامُ الهُدَى.

قال: فما قولُكَ في عَلِيٍّ؟ أَهُوَ فِي الجَنَّةِ أَوْ هُوَ في النار؟ قَالَ: لَوْ دَخَلْتُهَا وعَرَفْتُ مَنْ فِيهَا عَرَفْتُ أَهْلَهَا(*).

قال: فما قولُكَ في الخلفاء؟ قال: لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ.

قال: فأَيُّهُمْ أَعْجَبُ إليك؟ قال: أَرْضَاهُمْ لخالِقِهِم.

قال: وأَيُّهُمْ أرضَى للخالِقِ؟ قال: عِلْمُ ذلك عند الذي يَعْلَمُ سِرَّهم ونَجْوَاهم.

قال: فما بالُكَ لَمْ تَضْحَكْ؟ قال: وكيف يَضْحَكُ مخلُوقٌ خُلِقَ مِنْ طِينٍ، والطينُ تَأْكُلُهُ النَّارِ؟!

قال: فما بالُنَا نَضْحَكُ؟ قال: لَمْ تَسْتَوِ القُلُوبُ.

ثم أمر الحَجَّاج باللُّؤْلُؤ والزَّبَرْجَدِ والياقُوتِ، فَجَمَعَهُ بَيْنَ يديه، فقال سَعِيدٌ:

إنْ كُنْتَ جَمَعْتَ هذا لِتَتَّقِيَ به مِنْ فَزَعِ يوم القيامة، فَصَالِحٌ، وإلا فَفَزْعَةٌ واحِدَةٌ تُذْهِلُ كُلَّ مُرْضِعَةٍ عما أَرْضَعَتْ، ولا خَيْرَ في شَيْءٍ جُمِعَ لِلدُّنْيَا إلاَّ ما طَابَ وزَكَا، ثُمَّ دعا الحَجَّاجُ بالعُودِ والنَّايِ، فلمَّا ضُرِبَ بِالعُودِ، ونُفِخَ بِالنَّايِ بكَى سَعِيدٌ.

فقال: مَا يُبْكِيكَ هو اللَّعِبُ؟

قال سعيد: هو الحُزْنُ: أما النفخ، فذكَّرني يوماً عظيماً، يَوْمَ النَّفْخِ في الصُّوَرِ، وأما

(*) هذه رواية المحاجَّة بين سعيد والحجاج، أمَّا نحن فننزِّه سعيداً عن هذا الرد، ونجزم بكون عليٍّ من أهل الجنة.

العُودُ، فشجَرَةٌ قُطِعَتْ من غَيْرِ حَقٍّ، وأما الأوتَارُ، فمِنَ الشَّاءِ تُبْعَثُ معها يوم القيامة.

قال الحَجَّاج: وَيْلَكَ يا سعيدُ! قال: لا وَيْلَ لِمَنْ زُحْرِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الجَنَّةَ!

قال الحجاج: ٱخْتَرْ يا سَعِيدُ أَيَّ قِتْلَةٍ أَقْتُلُك.

قال: ٱخْتَرْ لِنَفْسِكَ يا حَجَّاجُ؛ فواللَّه، لا تَقْتُلُنِي قِتْلَةً إلا قَتَلَكَ اللَّهُ مِثْلَهَا في الآخرة!

قال: أفتريدُ أَنْ أَعْفُوَ عنك؟ قال: إنْ كان العَفْوُ، فَمِنَ اللَّه، وأما أَنْتَ، فلا بَرَاءَةَ لَكَ ولا عُذْرَ.

قال الحَجَّاج: اذهبوا به فَٱقْتُلُوهُ، فلَمَّا خَرَجَ، ضَحِكَ، فأُخْبِرَ الحَجَّاجُ بذلك فَرَدَّهُ، وقال: ما أَضْحَكَكَ؟ قال: عَجِبْتُ مِنْ جُرْأَتِكَ عَلَى اللَّهِ، وَحِلْمِ اللَّهِ عَلَيْكَ.

فَأَمَرَ بالنِّطْعِ فَبُسِطَ، وقال: ٱقْتُلُوهُ! فقالَ سَعِيدٌ: وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ المُشْرِكِينَ.

قال: وَجِّهُوا بِهِ لِغَيْرِ القِبْلَةِ، قَالَ سَعِيدٌ: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥].

قال: كُبُّوهُ لِوَجْهِهِ، قال سعيدٌ: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه: ٥٥].

قال الحَجَّاجُ: ٱذْبَحُوهُ! قال سعيدٌ: أَمَا إِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، خُذْهَا مِنِّي حَتَّى تَلْقَانِي بِهَا يَوْمَ القِيَامَةِ، ثُمَّ دُعِيَ سَعِيدٌ فَقَالَ: اللَّهُمَّ لاَ تُسَلِّطْهُ عَلَى أَحَدٍ يَقْتُلُهُ بَعْدِي.

وَكَانَ الحَجَّاجُ إِذَا نَامَ يَرَاهُ فِي المَنَامِ يَأْخُذُ بمَجَامِعِ ثَوْبِهِ، وَيَقُولُ: يَا عَدُوَّ اللَّهِ، فِيمَ قَتَلْتَنِي؟

فيقولُ الحَجَّاجُ: مَا لِي وَلِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ؟! مَا لِي وَلِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ؟[1].

ذُكِرَ عن الإمام أحمد أنه قال[2]:

قُتِلَ سعيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَمَا عَلَى وجه الأرض أَحَدٌ إلاَّ وهُوَ مُحْتَاجٌ - أو قال: مُفْتَقِرٌ - إِلَى علمه.

---

(١) انظر «وفيات الأعيان» ١/ ٢٠٥ - ٢٠٦، «تذكرة الحفاظ» ٧١- ٧٣، «البداية والنهاية» ٩/ ١٠١ - ١٠٣.

(٢) «طبقات ابن سعد» ٦/ ٢٦٦، «وفيات الأعيان» ١/ ٢٠٦، «الأعلام» ٣/ ١٤٥.

٢ ـ مُجَاهِدُ بْنُ جَبْرٍ:

هو: مجاهدُ بْنُ جَبْرٍ، أبو الحَجَّاجِ القُرَشِيُّ المخْزُومِيُّ، مولى السَّائِبِ بْنِ أَبِي السَّائِبِ المخْزُومِيِّ، ولد سنة ٢١هـ في خلافة عمر بن الخطاب، وتوفي سنة ١٠٣هـ[١].

أحد أئمَّة التابعين والمفسِّرين، وأَحَدُ أَعْلاَمِ القُرَّاء، ومِنْ خاصَّة أصحاب ابْنِ عَبَّاسٍ، اشتهر بقُوَّة حافِظَتِهِ؛ حتى قال ابن عُمَرَ وهو آخِذٌ بِرِكَابِهِ:

«وَدِدْتُ أَنَّ ٱبْني سَالِماً وغُلاَمِي يَحْفَظَانِ حِفْظَكَ»[٢].

كان مجاهدٌ شَغُوفاً بِالعِلْمِ، وخاصَّة التفْسِيرَ، رَوَى الفَضْلُ بْنُ مَيْمُونٍ عن مجاهِدٍ قال[٣]: عَرَضْتُ القُرْآنَ عَلَى ابنِ عَبَّاسٍ ثَلاَثِينَ مَرَّةً.

ويقولُ أيضاً[٤]: عَرَضْتُ القرآنَ علَى ابْنِ عَبَّاسٍ ثَلاَثَ عَرْضَاتٍ، أَقِفُ عَنْدَ كُلِّ آيَةٍ، أَسْأَلُهُ، فِيمَ نَزَلَتْ، وكَيْفَ كَانَتْ؟

ولا تَعَارُضَ بَيْنَ الرِّوَايَتَيْنِ، فالأُولَى لِتَمَامِ الضَّبْطِ والتجْوِيدِ، والثانيةِ لِلْعِلْمِ والتفسير.

أَسْنَدَ مجاهدٌ عن أعلامِ الصحابةِ وعُلَمَائِهِمْ، عن ابْنِ عُمَرَ، وابْنِ عَبَّاسٍ، وأبي هُرَيْرَةَ، وابْنِ عَمْرٍو، وأبِي سعيد، ورَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ... ورَوَى عنه خَلْقٌ من التابعين[٥].

مَكَانَتُهُ فِي التَّفْسِيرِ: كان مجاهِدٌ أَقَلَّ أصحابِ ابْنِ عبَّاس روايةً عنه في التفسير، وكَانَ أَوْثَقَهُمْ.

قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ[٦]: «إِذَا جَاءَكَ التَّفْسِيرُ عَنْ مُجَاهِدٍ، فَحَسْبُكَ بِهِ».

وقال ابن تَيْمِيَّةَ[٧]: «وَلِذَا يَعْتَمِدُ عَلَى تفسيره الشافعيُّ والبخاريُّ وغيرُهُمَا مِنْ أَهْلِ العِلْمِ» غَيْرَ أن بعض العلماء كان لا يَأْخُذُ بتفسيره؛ يقول أبو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ: قلت لِلأَعْمَشِ، ما بَالُ تَفْسِيرِ مجاهِدٍ مُخَالَفٌ؟ أو: ما بَالُهُمْ يَتَّقُونَ تَفْسِيرَ مُجَاهِدٍ؟

---

(١) «طبقات ابن سعد» ٥/ ٤٤٦، «تهذيب التهذيب» ١٠/ ٤٢، «البداية والنهاية» ٩/ ٢٣٢.
(٢) «ميزان الاعتدال» ٣/ ٩.
(٣) «ميزان الاعتدال» ٣/ ٩.
(٤) «تهذيب التهذيب» ١٠/ ٤٢.
(٥) «البداية والنهاية» ٩/ ٢٣٢.
(٦) «تفسير الطبري» ١/ ٣٠.
(٧) «مقدمة في أصول التفسير» ص ٧ لابن تيمية.

قال: كَانُوا يَرَوْنَ أنه يَسْأَلُ أَهْلَ الكتابِ[١].

لكن هذا لا يَقْدَحُ في صِدْقِهِ وعدالته؛ فقد «أَجْمَعَتِ الأُمَّةُ علَى إمامته والاِحتجاجِ به، وقد أخرج له أصحاب الكُتُبِ السِّتَّةِ»[٢].

ثم إنَّ سؤالَ أَهْلِ الكتاب أَمْرٌ مُبَاحٌ ـ فيما لا يتعلَّق بحُكْمٍ تشريعيٍّ ـ أباحه الرسُولُ ﷺ[٣].

كان مجاهدٌ ـ رضي اللَّه عنه ـ يُعْطِي عَقْلَهُ حُرِّيَّةً واسعةً في فَهْم بعْضِ نصوصِ القرآنِ التي يَبْدُو ظاهرُهَا بعيداً؛ فإذا ما مَرَّ بنَصٍّ قرآنيٍّ من هذا القبيل، وجَدْنَاهُ ينزِّله بكُلِّ صراحَةٍ ووضوحٍ على التشبيهِ والتمثيلِ، وتلْكَ الخُطَّةُ كَانَتْ فيما بَعْدُ مُبْدَأً معتَرَفاً به، ومقَرَّراً لدى المعتزلَةِ في تَفْسِيرِ القرآن بالنسبةِ لمِثْلِ هذه النصوصِ»[٤].

نَمُوذَجٌ مِنْ تَفْسِيرِ مُجَاهِدٍ: روى ابن كثير أن مجاهداً قال في قوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠]، قال: أما الظاهرةُ: فالإسلامُ والقرآنُ والرسولُ والرِّزْقُ، وأما الباطنةُ: فما سَتَرَ مِنَ العُيُوبِ والذنوبِ[٥].

وقال في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١] قال: مَنْ لَمْ يَتُبْ إذا أَصْبَحَ وإذا أَمْسَى، فهو من الظَّالِمِينَ[٦].

٣ ـ عِكْرِمَةُ:

هو: عِكْرِمَةُ بْنُ عبدِ اللَّهِ البَرْبَرِيُّ المَدَنِيُّ، مَوْلَى عبد اللَّه بْنِ عَبَّاسٍ، يُكْنَى بأبي عَبْدِ اللَّهِ، أصله مِنَ البَرْبَرِ بالمَغْرِبِ[٧].

سَمِعَ مِنْ مَوْلاَهُ «ابْنِ عَبَّاس»، وعَلِيِّ بنِ أبي طالب، وعَبْدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ، وعَمْرِو بْنِ العَاصِ، وأبي هُرَيْرَةَ، وأبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، وغَيْرِهِمْ[٨].

---

(١) «طبقات ابن سعد» ٥/٤٦٦.

(٢) «سير أعلام النبلاء» ٤/ ٣٢٤.

(٣) يقول ﷺ: بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار.

(٤) «التفسير والمفسرون» ١/ ١٠٨.

(٥) «البداية والنهاية» ٩/ ٢٣٤.

(٦) «البداية والنهاية» ٩/ ٢٣٤.

(٧) «طبقات ابن سعد» ٥/ ٢٨٧، «وفيات الأعيان» ١/ ٣١٩، «البداية والنهاية» ٩/ ٢٥٤، «الأعلام» ٥/ ٤٣.

(٨) «طبقات ابن سعد» ٥/ ٢٨٧.

تَلْمَذَ علَى يَدَيْ عبدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، وكان ابْنُ عَبَّاسٍ لا يَأْلُو جُهْداً في تثقيفِهِ وتَعْلِيمِهِ، بَلْ إنَّه كان يَقْسُو عليه حتَّى يُعَلِّمَهُ، روى ابن أبي شَيْبَةَ عن عكرمة قال[١]:

«كَانَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ يَجْعَلُ فِي رِجْلَيَّ الكَبْلَ يُعَلِّمُنِي القُرْآنَ وَالسُّنَّةَ».

ورَوَى البخاريُّ في صحيحه عن عِكْرِمَةَ أن ابن عباس قال له[٢]:

«حَدِّثِ النَّاسَ كُلَّ جُمُعَةٍ مَرَّةً، فَإِنْ أَبَيْتَ فَمَرَّتَيْنِ، فَإِنْ أَكْثَرْتَ فَثَلاَث مَرَّاتٍ، وَلاَ تُمِلَّ النَّاسَ هَذَا القُرْآنَ، وَلاَ أُلْفِيَنَّكَ تَأْتِي القَوْمَ، وَهُمْ فِي حَدِيثٍ مِنْ حَدِيثِهِمْ؛ فَتَقُصُّ عَلَيْهِمْ، فَتَقْطَعُ عَلَيْهِمْ حَدِيثَهُمْ فَتُمِلَّهُمْ، وَلَكِنْ أَنْصِتْ، فَإِذَا أَمَرُوكَ فَحَدِّثْهُمْ، وَهُمْ يَشْتَهُونَهُ، وَٱنْظُرِ السَّجْعَ مِنَ الدُّعَاءِ فَٱجْتَنِبْهُ؛ فَإِنِّي عَهِدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ لاَ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ».

لقد اهتمَّ ابْنُ عَبَّاسٍ بتلميذه هذا اهتماماً كبيرًا؛ وكأنَّه كان يعدُّهُ ليكُونَ خليفَتَهُ في تَفْسِيرِ القرآن، وكان يُكَافِئُهُ إذا ما أَحْسَنَ فَهْمَ آيَةٍ أَشْكَلَتْ على ابن عَبَّاسٍ.

رَوَى داود بْنُ أَبِي هِنْدٍ عن عكرمة قال:

قرأ ابنُ عَبَّاس هذه الآية: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيداً﴾ [الأعراف: ١٦٤] قال ابن عَبَّاس: لم أدر أنجا القَوْمُ أَمْ هَلَكُوا؟ قال: فما زِلْتُ أُبَيِّنُ له حَتَّى عَرَفَ أنهم نَجَوْا، فَكَسَانِي حُلَّةً[٣].

قال شَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ: «عِكْرَمَةُ حَبْرُ هَذِهِ الأُمَّةِ»[٤].

وقد شَهِدَ له الأَئِمَّةُ الأَعْلاَمُ بالثِّقَةِ والعَدَالَةِ.

قال المَرْوَزِيُّ: قلتُ لأَحْمَدَ: يحتجُّ بحَدِيثِ عِكْرِمَةَ؟ فقال: نَعَمْ، يُحْتَجُّ به[٥].

وقال ابنُ مَعِينٍ: إذا رأَيْتَ إنساناً يقَعُ في عِكْرِمَةَ وفي حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، فاتهمه عَلَى الإِسْلاَمِ[٦].

---

(١) «البداية والنهاية» ٩/ ٢٥٥، والكَبْل: القيد.

(٢) «ميزان الاعتدال» ٣/ ٩٣.

(٣) «طبقات ابن سعد» ٥/ ٢٨٨.

(٤) «ميزان الاعتدال» ٣/ ٩٣، مقدمة فتح الباري ص ٤٥٠.

(٥) «مقدمة فتح الباري» ص ٣٤٠.

(٦) «معجم الأدباء» ١٢/ ١٨٩.

وقال البخاريُّ: ليس أَحَدٌ من أصحابنا إلاَّ وَهُوَ يَحْتَجُّ بِعِكْرِمَةَ[١].

وقد أخرَجَ له: البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ وأبو داوُدَ والنَّسَائِيُّ.

عِلْمُهُ وَمَكَانَتُهُ فِي التَّفْسِيرِ: كان عِكْرِمَةُ علَى درجة كبيرةٍ مِنَ العِلْمِ، فهو مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بالسِّيَرِ والمغازِي.

قال سفيانُ عَنْ عَمْرٍو قال[٢]:

كُنْتُ إذا سَمِعْتُ عِكْرِمَةَ يحدِّثُ عن المغازِي كأنه مُشْرِفٌ عليهم يَنْظُرُ كيف يُصَفُّونَ وَيَقْتَتِلُونَ، وهو من علماء زَمَانِهِ بِالفقهِ والقُرْآنِ.

أما التفسيرُ، فقد شَهِدَ له الأئمةُ بذلك، يقول الشَّعْبِيُّ: ما بَقِيَ أَحَدٌ أَعْلَمُ بكتاب اللَّه من عِكْرِمَةَ[٣].

وقال حَبِيبُ بْنُ أَبِي ثَابِتٍ:

اجْتَمَعَ عِنْدِي خَمْسَةٌ: طَاوُسٌ، ومُجَاهِدٌ، وسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وعكرمةُ، وعَطَاءٌ؛ فَأَقْبَلَ مجاهدٌ، وسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ يُلْقِيَانِ علَى عكرمَةَ التفسِيرَ، فَلَمْ يَسأَلاَهُ عَنْ آيةٍ إلاَّ فَسَّرَهَا لَهُمَا، فلَمَّا نَفِذَ ما عِنْدَهُمَا جَعَلَ يَقُولُ:

أُنْزِلَتْ آيةُ كذا في كذا، وأُنْزِلَتْ آيةُ كذا في كذا[٤].

نَمُوذَجٌ مِنْ تَفْسِيرِ عِكْرِمَةَ: قال عِكْرِمَةُ في قوله تعالَى: ﴿وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: بالشهوات، ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ بالتوبة، ﴿وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ﴾ أي: التَّسْوِيفُ، ﴿حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾: المَوْتُ، ﴿وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الغَرُورُ﴾ [الحديد: ١٤]: الشَّيْطَانُ[٥].

وتُوُفِّيَ عِكْرِمَةُ ـ رضي اللَّه عنه ـ بالمدينة سنَةَ سَبْعٍ ومائةٍ للهجرةِ، وقيل: سنة أربع ومائة[٦].

---

(١) «مقدمة فتح الباري» ص ٤٥٠.

(٢) «البداية والنهاية» ٩/ ٢٥٥، «مقدمة فتح الباري» ص ٤٥٠.

(٣) «البداية والنهاية» ٩/ ٢٥٥.

(٤) «مقدمة فتح الباري» ص ٤٥٠.

(٥) «البداية والنهاية» ٩/ ٢٥٩.

(٦) «تهذيب التهذيب» ٧/ ٢٦٣ ـ ٢٧٣، «تذكرة الحفاظ» ١/ ٩٠، «البداية والنهاية» ٩/ ٢٥٣.

٤ ـ طَاوُسٌ:

هو: طَاوُسُ بْنُ كَيْسَانَ الخَوْلاَنِيُّ، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ.

أَوَّلُ طَبَقَةِ أَهْلِ اليَمَنِ مِنَ التابعين، وهو مِنْ أَبْنَاءِ الفُرْسِ الذين أَرْسَلَهُمْ كِسْرَى إلى اليَمَنِ[١].

أَدْرَكَ جماعةً مِنَ الصحابة ورَوَى عنهم، وروايَتُهُ عَنِ ٱبْنِ عبَّاس أَكْثَرُ، وأَخْذُهُ عنه في التفسير أَكْثَرُ من غيره؛ ولهذا عُدَّ مِنْ تلاميذِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ، وجاء ذِكْرُهُ في مدرسته بِمَكَّةَ[٢].

رَوَى عنه خَلْقٌ من التابعين، منهم: مجاهدٌ، وعطاءٌ، وعَمْرُو بْنُ دِينَارٍ، وغيرهم[٣]، شهد له ابن عَبَّاس بالوَرَعِ والتقوَى، فقال: «إِنِّي لأَظُنُّ طَاوُساً مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ»[٤]. وطَاوُسٌ ثقةٌ، أخرج له أصحابُ الكُتُبِ السِّتَّةِ.

كان طَاوُسٌ ـ رضي اللَّه عنه ـ جريئاً فِي الحَقِّ، لا يَخْشَى فيه لومَةَ لاَئِمٍ.

رَوَى الزُّهْرِيُّ[٥]:

أَنَّ سُلَيْمَانَ رأَى رجلاً يَطُوفُ بالبيت، له جَمَالٌ وكَمَالٌ، فقال: مَنْ هَذَا يَا زُهْرِيُّ؟

فقلتُ: هَذَا طَاوُسٌ، وقد أَدْرَكَ عِدَّةً من الصحابة، فَأَرْسَلَ إليه سُلَيْمَانُ، فأتاه، فقال: لَوْ ما حَدَّثْتَنَا!! فقال: حَدَّثَنِي أبو موسَى قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«إِنَّ أَهْوَنَ الخَلْقِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أُمُورِ المُسْلِمِينَ شَيْئاً؛ فَلَمْ يَعْدِلْ فِيهِمْ»، فتغيَّر وجه سُلَيْمَانَ، فأَطْرَقَ طويلاً، ثم رَفَعَ رأسه إليه، فقال: لَوْ مَا حَدَّثْتَنَا!!

فقال: حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ أصحاب النبيِّ ﷺ، قال ابن شِهَابٍ: ظَنَنْتُ أنه أراد عليًّا ـ قال: دَعَانِي رسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى طَعَامٍ فِي مَجْلِسٍ من مَجَالِسِ قُرَيْشٍ، ثم قال:

إِنَّ لَكُمْ عَلَى قُرَيْشٍ حَقًّا، وَلَهُمْ عَلَى النَّاسِ حَقٌّ، مَا إِذَا ٱسْتُرْحِمُوا رَحِمُوا، وَإِذَا حَكَمُوا عَدَلُوا، وَإِذَا ٱئْتُمِنُوا أَدَّوْا، فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ فَعَلَيْهِ لَعْنَةِ اللَّهِ وَالمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ،

---

(١) «البداية والنهاية» ٩/ ٢٤٤.

(٢) «التفسير والمفسرون» ١/ ١١٤.

(٣) «البداية والنهاية» ٩/ ٢٤٥.

(٤) «تهذيب التهذيب» ٥/ ٩.

(٥) «البداية والنهاية» ٩/ ٢٤٧.

لاَ يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفاً وَلاَ عَدْلاً».

قال: فتغيَّر وجه سليمان، وأطرق طويلاً، ثم رَفَعَ رأْسَهُ إليه، وقال: لَوْ مَا حَدَّثْتَنَا!! فقال: حَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ؛ أَنَّ آخِرَ آيةٍ نَزَلَتْ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ: ﴿وَٱتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

عِلْمُهُ: بَلَغَ طَاوُسٌ مِنَ العِلْمِ مبلغاً عظيماً، وكان واثقاً مِنْ علمه هذا...

أنكر عليه سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ قولَهُ عَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ: «إِنَّ الخُلْعَ طَلاَقٌ»، فلقيه مَرَّةً فَقَالَ له: «لَقَدْ قَرَأْتُ القُرْآنَ قَبْلَ أَنْ تُولَدَ، وَلَقَدْ سَمِعْتُهُ وَأَنْتَ إِذْ ذَاكَ هَمُّكَ لَقْمُ الثَّرِيدِ».

وقال قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ:

«كان طَاوُسٌ فِينَا مِثْلَ ٱبْنِ سِيرِينَ فِيكُمْ».

والتفسيرُ المأْثُورُ عنه قليلٌ جدًّا، ومعظمه يرويه عَنِ ٱبْنِ عباس، ولقلَّة التفسير المأْثُورِ عنه وطُولِ بَاعِهِ في الفقه قَالُوا عنه: إِنَّهُ فقيهٌ لا مفسِّرٌ، وعدَّه علماءُ الفِقْهِ فقيهاً.

نَمُوذَجٌ مِنْ تَفْسِيرِه: قال في قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِباً لِيَرْبُوَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلاَ يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ...﴾ [الروم: ٣٩] الآيةَ: «هُوَ الرَّجُلُ يُعْطِي العَطِيَّةَ، وَيُهْدِي الهَدِيَّةَ، لِيُثَابَ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، لَيْسَ فِيهِ أَجْرٌ وَلاَ وِزْرٌ».

وقد تُوُفِّيَ طَاوُسٌ ـ رضي اللَّه عنه ـ يوم السابع من ذي الحجة سنة ١٠٦هـ، ووافته منيته وهو يَحُجُّ بَيْتَ اللَّهِ الحَرَامَ، وَصَلَّى عليه هشامُ بْنُ عَبْدِ المَلِكِ، وهو خليفةٌ.

٥ ـ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ:

هو: عَطَاءُ بْنُ أبي رَبَاحٍ، وَأَبُو رَبَاحٍ هو: أَسْلَمُ بْنُ صَفْوَانَ، مَوْلَى آل أَبِي مَيْسَرَةَ بْنِ أَبِي حُثَيْمٍ الفِهْرِيِّ[1].

سَيِّد التابعين عِلْماً وعملاً وإتقاناً في زمانه بمكَّةَ[2].

قال ابن سعد[3]:

---

(١) «طبقات ابن سعد» ٥/ ٤٦٧، «وفيات الأعيان» ١/ ٣١٨، «البداية والنهاية» ٩/ ٣١٧، ٣١٨.

(٢) «ميزان الاعتدال» ٣/ ٧٠.

(٣) «طبقات ابن سعد» ٥/ ٤٩٦، «البداية والنهاية» ٩/ ٣١٨.

سمعْتُ بَعْضَ أَهْلِ العلْمِ يقول: كان عَطَاءٌ أَسْوَدَ، أَعْوَرَ، أَفْطَسَ، أَشَلَّ، أَعْرَجَ، ثُمَّ عَمِيَ بعد ذلك، وكان ثقةً، فقيهاً، عَالِماً، كَثِيرَ الحديثِ.

قال أبو جَعْفَرٍ الباقرُ وغَيْرُ واحدٍ[١]:

ما بَقِيَ أَحَدٌ في زمانه أَعْلَمُ بالمناسك منه، وزَادَ بعضُهُمْ: وكان قد حَجَّ سبعين حَجَّةً، وعُمِّرَ مائةَ سَنَةٍ، وكان في آخِرِ عُمْرِهِ يُفْطِرُ في رَمَضَانَ مِنَ الكِبَرِ والضَّعْفِ، ويَفْدِي عَنْ إفطاره.

رَوَى عن عَدَدٍ كثيرٍ من الصحابة، منهم: ابن عمر، وابن عمرو، وعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ، وأَبُو هُرَيْرَةَ، وغيرُهُمْ.

وسَمِعَ من ابن عَبَّاسٍ التفسيرَ وغَيْرَهُ، وَرَوَى عنه مِنَ التابعين عِدَّةٌ، منهم: الزُّهْرِيُّ، وعَمْرُو بْنُ دِينَارٍ، وقتادةُ، والأعمشُ، وغَيْرُهُمْ[٢].

مَكَانَتُهُ فِي التَّفْسِيرِ: كان ابن عَبَّاس يقول لِأَهْلِ مَكَّةَ إِذَا جَلَسُوا إليه: تَجْتَمِعُونَ إِلَيَّ يَأَهْلَ مكَّةَ، وَعِنْدَكُمْ عطاء؟[٣].

وقال قتادَةُ[٤]:

كان أعلمُ التابعين أَرْبَعَةً: كان عَطَاءُ بنُ أبي رباح أَعْلَمَهُمْ بالمناسك، وكان سعيدُ بْنُ جُبَيْرٍ أَعْلَمَهُمْ بالتفسير، وكان عِكْرِمَةُ أَعْلَمَهُمْ بِالسِّيَرِ، وكان الحَسَنُ أَعْلَمَهُمْ بالحلالِ والحَرَامِ.

لم يكن عطاءٌ مُكْثِراً من رواية التَّفْسِيرِ عن ابن عَبَّاس فَضْلاً عن تفسيره هو، ولَعَلَّ إقلالَهُ في التفسير يرجِعُ إِلَى تحرُّجه من القَوْلِ بالرَّأْيِ[٥].

قال عَبْدُ العَزِيزِ بْنِ رفيع[٦]: سُئِلَ عَطَاءٌ عن مَسْأَلَةٍ فقال: لاَ أَدْرِي، فقيل له: أَلاَ تَقُولُ فِيهَا بِرَأْيِكَ؟ قال: إني أَسْتَحِي مِنَ اللَّهِ أَنْ يُدَانَ فِي الأَرْضِ بِرَأْيِي.

---

(١) «البداية والنهاية» ٩/ ٣١٨.

(٢) «البداية والنهاية» ٩/ ٣١٨.

(٣) «تذكرة الحفاظ» ١/ ٩١.

(٤) «طبقات ابن سعد» ٥/ ٤٩٦.

(٥) «التفسير والمفسرون» ١/ ١١٥.

(٦) «التفسير والمفسرون» ١/ ١١٥.

لكنَّه كان يُدْلِي برأيه ـ أحياناً ـ في التفسير.

روى الطبرانيُّ ـ بسنده ـ عن يَحْيَى بْنِ رَبِيعَةَ الصَّنْعَانِيِّ قال: سمعْتُ عطاءَ بْنَ أَبِي رَبَاحٍ يقُولُ في قوله تعالَى: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلاَ يُصْلِحُونَ﴾ [النمل: ٤٨] قال: كانوا يَقْرِضُونَ الدَّرَاهِمَ، قيل: كانوا يَقُصُّونَ مِنْهَا ويَقْطَعُونَهَا[١].

وقيل لعطاءٍ: إن ههنا قوماً يقُولُونَ: الإيمانُ لا يَزِيدُ ولاَ يَنْقُصُ، فقال: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوا زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد: ١٧]، فما هذا الهُدَى الذي زَادَهُمْ؟ قلت: ويزعُمُونَ أن الصلاة والزكَاةَ لَيْسَتَا مِنْ دِينِ اللَّه، فقال: قال تعالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥]؛ فجعل ذلك دِيناً[٢].

وتُوُفِّيَ ـ رَضِيَ اللَّه عنه ـ سَنَةَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ ومائةٍ من الهجرة[٣].

وبَعْدُ:

فهذه هي مدرسةُ التَّفْسيرِ بمكَّةَ، تلك التي أَسَّسَهَا حبْرُ الأُمَّةِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ، وهؤلاءِ أشهر شُيُوخِهَا الذين تخرَّجوا فيها علَى يَدَيِ ابنِ عَبَّاسٍ، وفي نهاية مَطَافِنَا مَعَهَا نرصُدُ ما يلي:

* كان لهذه المَدْرَسَةِ دَوْرٌ ضَخْمٌ في نَشْرِ التفسيرِ، وقد هيأ لها هذا الدَّوْرُ: نُبُوغَ شُيُوخها، بالإضافة إلى موطن المدرسة «مَكَّةَ» حيث البيتُ الحرامُ الذي يأتيه الناسُ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عميقٍ.

* لم يَكْتَفِ شيوخُ هذه المدرسة بنَشْرِ التفسيرِ في مكَّةَ، وإنما كان لهم دَوْرٌ بالغُ الأهمية خَارِجَ مَكَّةَ؛ فقد كان لسعيدِ بْنِ جُبَيْرٍ رِحْلَةٌ إلى الرَّيِّ؛ نشر فيها الكثيرَ مِنَ العِلْمِ[٤]، وكذلك كان لمجاهدٍ رِحْلاتٌ خَارِجَ مكَّةَ، واستقر طَاوُسٌ باليَمَنِ يَنْشُرُ هناك عِلْمَ ابنِ عباس وتَفْسِيرَهُ، وأما عكرمةُ فقد طاف البلاد الإسلاميَّةَ شرقاً وغرباً؛ إذْ رَحَلَ إلَى خُرَاسَانَ، واليَمَنِ، والعِرَاقِ، والشَّامِ، ومِصْرَ، والحَرَمَيْنِ[٥].

---

(١) (٢) «البداية والنهاية» ٩/ ٣١٨، ٣١٩.

(٣) «المصدر نفسه» ٩/ ٣١٧.

(٤) راجع: «حبر الأمة عبد الله بن عباس» ص ١٤٥.

(٥) راجع: «وفيات الأعيان» ١/ ٣١٩، «معجم الأدباء» ١٢/ ١٨١، «البداية والنهاية» ٩/ ٢٥٤.

جزى اللَّه هؤلاء الأعلام عن القرآن والمسلمين خير الجزاء.

مَدْرَسَةُ المَدِينَةِ

تَلاَمِيذُ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ

قامت مدرسةُ المدينة في التفسيرِ عَلَى الصحابيِّ الجَلِيلِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ـ رضي اللَّه عنه ـ فهو أستاذها وأشهر مفسِّريها.

وكان بالمدينة كثيرٌ من الصحابة، أقاموا بها، فجَلَسُوا إلَى أُبَيٍّ؛ يعلمهم كتابَ اللَّهِ وسُنَّتَهُ، ومن أشهر هؤلاء:

١ ـ أَبُو العَالِيَةِ:

هو: زِيَادٌ، وقيل: رُفَيْعُ بْنُ مِهْرَانَ الرِّيَاحِيُّ، مولاهم[١].

مُخَضْرَمٌ، أدرك الجاهلية وأَسْلَمَ بعد وفاة النبيِّ ﷺ بسنتين.

روى عن: عَلِيٍّ، وابْنِ مسعودٍ، وابنِ عَبَّاسٍ. وابن عُمَرَ، وأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، وغيرهم.

كان مِنْ ثقاتِ التابعين، وَقَدْ أَجْمَعَ عليه أصحابُ الكُتُبِ السِّتَّةِ.

كان يحفظ القرآنَ ويُتْقِنُهُ، قال:

«قَرَأْتُ القُرْآنَ بَعْدَ وَفَاةِ نَبِيِّكُمْ بعَشْرِ سِنِينَ».

وقال: «قَرَأْتُ القُرْآنَ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ».

وقال فيه ابْنُ أَبِي دَاوُدَ:

«لَيْسَ أَحَدٌ بَعْدَ الصحابة أَعْلَمُ بالقراءة مِنْ أَبِي العَالِيَةِ».

رُوِيَتْ عنه نُسْخَةٌ كبيرةٌ في التفسير، رواها أبو جَعْفَرٍ الرازيُّ عن الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ عن أبي العَالِيَةِ عَنْ أُبَيٍّ، وهو إسنادٌ صحيحٌ.

تُوُفِّيَ سنة تسعين من الهجرة، علَى أَرْجَحِ الأَقْوَالِ.

---

(١) راجع: **«تهذيب التهذيب»** ٣/ ٢٨٤ ـ ٢٨٥، و**«مقدمة فتح الباري»** ص ٤٢٢، وانظر: **«التفسير والمفسرون»** ١/ ١١٦، ١١٧.

٢ ـ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ القُرَظِيُّ:

هو: محمدُ بْنُ كَعْبِ بْنِ سُلَيْمِ بْنِ أَسَدٍ القُرَظِيُّ، المدنيُّ، أبو حَمْزَةَ، أو أبو عَبْدِ اللَّه، له رواياتٌ كثيرةٌ عن جماعةٍ مِنَ الصحابة منهم:

عَلِيٌّ، وابنُ مسعودٍ، وابنُ عَبَّاس، وغيرهم، ورَوَى عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ بالوَاسِطَةِ[١].

قَالَ فِيهِ ابْنُ سَعْدٍ[٢]: كان ثقةً، عالماً، كَثِيرَ الحديثِ، وَرِعاً، وهو مِنْ رجالِ الكُتُبِ السِّتَّةِ.

قال فيه ابْنُ عَوْنٍ[٣]:

ما رأيتُ أحداً أَعْلَمَ بتأويلِ القُرْآنِ من القُرَظِيِّ:

نَمُوذَجٌ مِنْ تَفْسِيرِهِ[٤]: قال في قوله تعالى: ﴿...اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا...﴾: اصْبِرُوا: علَى دينكم، وصَابِرُوا: لوعدكم الذي وُعِدتُّمْ، ورابطوا عَدُوَّكُمْ الظاهِرَ والبَاطِنَ، ﴿واتقوا اللَّهَ﴾: فِيمَا بَيْنِي وبَيْنَكُمْ، ﴿لعلَّكم تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] إذا لَقِيتُمُونِي.

توفي سنة مائة وثمان من الهجرة[٥]، وقيل: بعد ذلك.

٣ ـ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ:

هُوَ[٦]: زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ العَدَوِيُّ، المَدَنِيُّ، الفَقِيهُ، المُفَسِّرُ، أبو أسامة، أو أبو عبد اللَّه.

كان أبوه مَوْلَى عمر بن الخَطَّابِ رضي اللَّه عنه.

وكان زَيْدٌ من كبار التَّابِعِينَ الذين عَرَفُوا القول بالتفسير.

قال فيه الإمامُ أَحْمَدُ وأبو زُرْعَةَ وأبو حَاتِمٍ والنَّسَائِيُّ: «ثقةٌ»، وهو عند أصحاب الكُتُبِ السِّتَّةِ.

---

(١) «البداية والنهاية» ٩/ ٢٦٨ وما بعدها.
(٢) راجع: «التفسير والمفسرون» ١/ ١١٧، و«الإسرائيليات والموضوعات» ٩٨.
(٣) راجع: «التفسير والمفسرون» ١/ ١١٧، و«الإسرائيليات والموضوعات» ٩٨.
(٤) «البداية والنهاية» ٩/ ٢٦٨.
(٥) المصدر نفسه.
(٦) «تهذيب التهذيب» ٣/ ٣٩٥ـ ٣٩٧، وراجع: «التفسير والمفسرون» ١/ ١١٨، ١١٩.

عُرِفَ بغَزَارَةِ العِلْمِ، كان يقرأ القرآن برَأْيِهِ، ولا يتحرَّج من ذلك، إذْ يَرَى جوازَ التَّفْسِيرِ بِالرَّأْيِ.

وأَشْهَرُ مَنْ أَخَذَ التَّفْسِيرَ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ من علماء المدينة: ٱبْنُهُ عَبْدُ الرَّحْمَـٰنِ بْنُ زَيْدٍ، ومالكُ بْنُ أَنَسٍ إمامُ دار الهجرة.

وتُوُفِّيَ سَنَةَ سِتٍّ وثلاثين وَمِائَةٍ للهجرة، وقِيلَ غَيْرُ ذلك.

مَدْرَسَةُ الْعِرَاقِ

تَلاَمِيذُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ

قَامَتْ هذه المدرسَةُ علَى عبد اللَّهِ بن مسعود ـ رضي اللَّه عنه ـ وغَيْرِهِ، إلا أَنَّ ٱبْنَ مسعودٍ هُوَ أَشْهَرُ أساتِذَتِهَا أو هو أُسْتَاذُهَا الأَوَّلُ لِطُولِ بَاعِهِ في هذا المَيْدَانِ، بالإضافةِ إِلَى أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ ـ رضي اللَّه عنه ـ حِينَ وَلَّى عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ على الكوفة، سَيَّرَ معَهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ، معلِّماً ووزيراً، فَجَلَسَ إليه أهلُ الكوفة وأَخَذُوا عنه أَكْثَرَ من غيره.

ومِنْ أَهَمِّ سِمَاتِ هذه المدرسة: شُيُوعُ طريقة الاستدلالِ فيها: نَظَراً إِلَى أَنَّ أَهْلَ العِرَاقِ عُرِفُوا بأنهم أَهْلُ الرَّأْيِ، وقد وَضَعَ حَجَرَ الأَسَاسِ لهذه الطريقةِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ[1].

ومن أشهر رجالِ هذه المدرسة:

١ ـ عَلْقَمَةُ بْنُ قَيْسٍ:

هو: علقمةُ بْنُ قَيْسِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكٍ، أَبُو شِبْلٍ، النَّخَعِيُّ، الكُوفِيُّ.

كان من أَكَابِرِ أَصْحَابِ ابْنِ مَسْعُودٍ وعلمائِهِمْ، وكان يُشَبَّهُ بِابْنِ مَسْعُودٍ، وكان أَعْلَمَ أصحابِهِ بعلْمِ ابن مسعود[2].

قال عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ: «قُلْتُ لاِبْنِ مَعِينٍ: عَلْقَمَةُ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ عَبِيدَةُ؟ فلم يُخَيِّرْ، قال عثمانُ: كلاهما ثقةٌ، وعلقمةُ أَعْلَمُ بعَبْدِ اللَّهِ».

ورَوَى عبدُ الرحْمَنِ بْنُ يَزيدَ قال: قال عَبْدُ اللَّهِ: ما أَقْرَأُ شيئاً ولا أَعْلَمُهُ إلاَّ علقمةُ

---

(١) «التفسير والمفسرون» ١/ ١٢٠ (بتصرف وإيجاز).

(٢) «تهذيب التهذيب» ٧/ ٢٧٦ ـ ٢٧٨، «البداية والنهاية» ٨/ ٢١٩.

يقرؤُهُ ويعلَمُهُ.

قال فيه الإمامُ أَحْمَدُ: ثِقَةٌ مِنْ أَهْلِ الخَيْرِ، وهو عِنْدَ أَصْحَابِ الكُتُبِ الستَّةِ.

مَاتَ سَنَةَ إِحْدَى وستين، وقيل: سنة اثنتين وسِتِّينَ عَنْ تِسْعِينَ سَنَةً[١].

٢ ـ مَسْرُوقٌ:

هو: مَسْرُوقُ بْنُ الأَجْدَعِ بْنِ مَالِكِ بْنِ أُمَيَّةَ الهَمْدَانِيُّ، الكُوفِيُّ، العَابِدُ، أَبُو عَائِشَةَ.

سأله عُمَرُ يوماً عن اسْمه، فقال له: اسْمِي مَسْرُوقُ بْنُ الأَجْدَعِ، فقال عُمَرُ: الأَجْدَعُ شَيْطَانٌ، أَنْتَ مسروقُ بْنُ عَبْدِ الرحمنِ[٢].

رَوَى عن الخلفاءِ الأربعةِ، وَابْنِ مسعودٍ، وأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، وغَيْرِهِمْ.

وكان أَعْلَمَ أَصْحَابِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَأَكْثَرَهُمْ أَخْذاً منه، قال عليُّ بْنُ المَدِينِيِّ: مَا أُقَدِّمُ عَلَى مَسْرُوقٍ أَحَدًا من أصحابِ عَبْدِ اللَّهِ، يَعْنِي: ابن مسعود.

وقال الشَّعْبِيُّ: ما رأَيْتُ أَطْلَبَ لِلْعِلْمِ منه.

وقد وَثَّقَهُ عُلَمَاءُ الجَرْحِ والتَّعْدِيلِ؛ فقال ابْنُ مَعِينٍ:

ثِقَةٌ، لاَ يُسْأَلُ عَنْ مِثْلِهِ، وقال ابن سَعْدٍ: «كان ثقةً، وله أحاديثُ صالحةٌ»، وقد أخرج له الستة.

تُوُفِّيَ ـ رضي اللَّه عنه ـ سَنَةَ ثَلاَثٍ وسِتِّينَ مِنَ الهِجْرَةِ؛ عَلَى الأَشْهَرِ[٣].

٣ ـ عَامِرٌ الشَّعْبِيُّ:

هو: عَامِرُ بْنُ شَرَاحِيلَ الشَّعْبِيُّ، الحِمْيَرِيُّ، الكُوفِيُّ، التَّابِعِيُّ الجليلُ أَبُو عَمْرٍو.

قَاضِي الكُوفَةِ[٤].

---

(١) راجع المصدرين السابقين.

(٢) «تهذيب التهذيب» ١٠/١٠٩ ـ ١١١، «التفسير والمفسرون» ١/١٢١، ١٢٢، «الإسرائيليات والموضوعات» ٩٩.

(٣) «تهذيب التهذيب» ١٠/١٠٩ ـ ١١١، «التفسير والمفسرون» ١/١٢١، ١٢٢، «الإسرائيليات والموضوعات» ٩٩.

(٤) «تهذيب التهذيب» ٥/٦٥ ـ ٦٩، «البداية والنهاية» ٩/٢٣٩ ـ ٢٤٠.

كان عَلاَّمَةَ أَهْلِ الكُوفَةِ، إمَاماً حافظاً، ذَا فُنُونٍ.

وقد أَدْرَكَ خَلْقاً من الصحابة ورَوَى عنهم، ومِنْهُمْ: عُمَرُ، وعَلِيٌّ، وابْنُ مسعودٍ، وإن لم يَسْمَعْ منهم، ورَوَى عن أبي هريرة، وعائشة، وابن عَبَّاسٍ، وأبي مُوسَى الأشعريِّ، وغيرهم.

قال الشَّعْبِيُّ: أَدْرَكْتُ خَمْسَمِائَةٍ من الصحابَةِ.

والشَّعْبِيُّ ثقةٌ، فهو عند أَصْحَابِ الكُتُب السِّتَّةِ، وقال ابن حِبَّانَ في الثقات: كان فَقِيهاً شاعراً.

وعن سليمانَ بْنِ أَبِي مِجْلَزٍ قال: ما رأَيْتُ أَحَداً أَفْقَهَ مِنَ الشَّعْبِيِّ، لا سَعِيدُ بْنُ المُسَيِّبِ، وَلاَ طَاوُسٌ، وَلاَ عَطَاءٌ، وَلاَ الحَسَنُ، وَلاَ ٱبْنُ سِيرِينَ.

وَقَالَ ٱبْنُ سِيرِينَ:

قَدِمْتُ الكُوفَةَ، وللشَّعْبِيِّ حَلْقَةٌ، وأصحابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يومَئِذٍ كَثِيرٌ[1].

ومع أنه قد أُوتِيَ هذا الحَظَّ الوَافِرَ مِنَ العِلْمِ، لَمْ يَكُنْ جريئًا علَى كتاب اللَّه؛ حَتَّى يقول فيه برأيه؛ قال ابن عطية[2]:

كان جِلَّةٌ من السلف كَسَعِيدِ بْنِ المسيِّب، وعامِرِ الشَّعْبِيِّ يعظِّمون تَفْسِيرَ القرآن، ويتوقَّفون عنه؛ تورُّعاً واحتياطاً لأنفسهم، مع إدْرَاكِهِمْ وتقدُّمهم.

تُوُفِّيَ سنة أَرْبَعٍ ومائةٍ من الهجرة[3]، وقيل: سنةَ تسْعٍ ومائةٍ.

٤ ـ الْحَسَنُ البَصْرِيُّ:

هو: الحسنُ بْنُ أبي الحَسَنِ يَسَارٍ البَصْرِيُّ، أبو سعيدٍ، مولى الأنصارِ، وأُمُّهُ خَيْرَةُ مولاة أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النبيِّ ﷺ، رُبِّيَ فِي حِجْرِهَا، وأَرْضَعَتْهُ بِلِبَانِهَا، فعادَتْ عَلَيْهِ بَرَكَةُ النُّبُوَّةِ[4].

---

(١) راجع لهذه الأقوال: «تهذيب التهذيب»، «البداية والنهاية»، و«التفسير والمفسرون».

(٢) «مقدمة تفسير القرطبي» ١/ ٣٤.

(٣) «البداية والنهاية» ٩/ ٢٣٩.

(٤) «تهذيب التهذيب» ٢/ ٢٦٣ ـ ٢٧٠، «البداية والنهاية» ٩/ ٢٨٠، «الحسن البصري» للإمام أبي الفرج بن الجوزي ـ هدية مجلة الأزهر/ محرم ١٤٠٨هـ.

وُلِدَ لِسَنَتَيْنِ بَقِيَتَا من خلافةِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّاب.

وهو أَحَدُ كِبَارِ التابعين الأَجِلاَّءِ عِلْماً وَعَمَلاً وإِخْلاَصاً، شَهِدَ له بالعلْمِ خَلْقٌ كَثِيرٌ.

قال أنسُ بْنُ مَالِكٍ:

«سَلُوا الحَسَنَ؛ فَإِنَّهُ حَفِظَ وَنَسِينَا»، وقال سُلَيْمَانُ التَّيْمِيُّ: «الحَسَنُ شَيْخُ أَهْلِ البَصْرَةِ»، وروى أبو عَوَانَةَ عن قتادة أنه قال:

«مَا جَالَسْتُ فَقِيهاً قَطُّ إِلاَّ رَأَيْتُ فَضْلَ الحَسَنِ عَلَيْهِ».

وكان أبو جَعْفَرٍ الباقِرُ يقولُ عنه: «ذَلِكَ الَّذِي يُشْبِهُ كَلامُهُ كَلاَمَ الأَنْبِيَاءِ»[1].

وقد التزم الحَسَنُ البَصْرِيُّ بمنهجه السَّلَفِيِّ فِي تَفْسِيرِ الآيَاتِ المتعلِّقة باللَّه وصِفَاتِهِ، ولَمْ يَمْنَعْهُ هذا الالتزامُ مِنْ حُرِّيَّةِ العَقْلِ حين تعرَّض لغيرها؛ يقولُ في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، قَدَّرَ اللَّهُ لِكُلِّ شيءٍ مِنْ خَلْقه قَدْرَهُ الذي يَنْبَغِي له، وهَذِهِ هي عقيدةُ السَّلَفِ التي بَنَوْهَا علَى ما تعلَّق بالآيةِ مِنْ سَبَبٍ لنزولها، فعن أبي هريرة قال:

جاءَتْ مشركُو قُرَيْشٍ إلى النبيِّ ﷺ يخاصِمُونَهُ في القَدَرِ، فنزلَتْ هذه الآية: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩][2].

وكان الحَسَنُ يُعْمِلُ عَقْلَهُ وفِكْرَهُ في فَهْمِ القرآن وتفسيره؛ يقول في قوله تعالَى: ﴿لاَبِثِينَ فِيهَا أَحْقَاباً﴾ [النبأ: ٢٣]:

«إِنَّ اللَّه لَمْ يَجْعَلْ لأَهْلِ النَّارِ مُدَّةً، بل قال: لاَبِثِينَ فِيهَا أَحْقَاباً، فَوَاللَّهِ، مَا هُوَ إِلاَّ أَنَّهُ إِذَا مَضَى حُقْبٌ دَخَلَ آخَرُ ثُمَّ آخَرُ إِلَى الأَبَدِ، فَلَيْسَ لِلأَحْقَابِ عِدَّةٌ إِلاَّ الخُلُودُ»[3].

وتُوُفِّيَ ـ رحمه اللَّه ـ سنَةَ عَشْرٍ ومائةٍ من الهجرة عَنْ ثَمَانٍ وثمانينَ سَنَةً.

٥ ـ قَتَادَةُ:

هو: قَتَادَةُ بْنُ دِعَامَةَ السَّدُوسِيُّ: الأَكْمَهُ، أبو الخَطَّاب، عربيُّ الأَصْلِ، كان يَسْكُنُ البَصْرَةَ.

---

(١) «تهذيب التهذيب» ٢/ ٢٦٣.

(٢) «البغوي الفراء» ٢٢١.

(٣) «البغوي الفراء» ٢٢٢.

أَحَدُ علماءِ التَّابِعِينَ، والأَئِمَّة العَامِلِينَ، رَوَى عن أنسِ بْنِ مَالِكٍ وجماعةٍ مِنَ التابِعِينَ، مِنْهُمْ: سعيدُ بْنُ المسيِّبِ، وأبو العالية، وزُرَارَةُ بْنُ أَوْفَى، وعطاءٌ، ومجاهِدٌ، وابْنُ سِيرِينَ، ومَسْرُوقٌ، وأَبُو مِجْلَزٍ، وغيرهم[1].

وحَدَّثَ عنه جماعاتٌ من الكبار؛ كالأَعْمَشِ، وشُعْبَةَ، والأَوْزَاعِيِّ، وغيرهم.

وكان قَوِيَّ الحافظةِ، وَاسِعَ الاطِّلاَعِ فِي الشِّعْرِ العربيِّ، بصيراً بأَيَّامِ العرب.

كان قتادَةُ عَلَى مَبْلَغٍ عظيم من العِلْم، فضلاً عما اشْتُهِرَ به من معرفته لتفْسِيرِ كتابِ اللَّه تعالَى، وقَدْ شَهِدَ له بذلكَ كِبَارُ التَّابعينَ والعُلَمَاءِ.

قال فيه سعيدُ بْنُ المُسَيِّبِ: «مَا أَتَانِي عِرَاقِيٌّ أَحْسَنُ مِنْ قَتَادَةَ».

وقد استخدم قَتَادَةُ مَعْرِفَتَهُ باللُّغَةِ العربيةِ في التفسير، وأَعْمَلَ فِكْرَهُ في تفهُّم الآيات، بِجَانِبِ روايته عن السَّلَفِ.

وقد تُوُفِّيَ ـ رَضِيَ اللَّه عنه ـ سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ وَمِائَةٍ مِنَ الهِجْرَةِ، عن سِتٍّ وخمسين سَنَةً؛ عَلَى المَشْهُورِ، وقيل: سنةَ خَمْسَ عَشْرَةَ ومائةٍ[2].

وبعد:

فهذه هي مَدَارِسُ التفسيرِ المَشْهُورَة في عَصْرِ التابعين، الذين تَلَقَّوْا غَالِبَ أقوالِهِمْ في التفسير عن الصحابة، وبَعْضُهُمْ اسْتَعَانَ بأَهْلِ الكتاب، ثم اجتهدُوا مُسْتَعِينِينَ عَلَى ذلك بما بَلَغُوا مِنَ العِلْمِ ودِقَّةِ الفَهْمِ، وقُرْبِ عَهْدِهِمْ من الرسول ﷺ، والعَرَبِ الخُلَّصِ، فلم تَفْسُدْ سَلِيقَتُهُمْ.

وهناك مدارسُ أُخْرَى غَيْرُ هذه المدارسِ الثَّلاَثِ، ولكنَّها لم تَرْقَ لشهرة هذه الثلاث، ومن هذه: مدرسةُ مِصْرَ التي اشْتُهِرَ من شيوخها:

يَزِيدُ بْنُ حَبِيبٍ الأَزْدِيُّ، وأبو الخَيْرِ مَرْثَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَغَيْرُهُمَا.

ومدرسةُ اليَمَنِ التي أَرْسى دعائمها طَاوُسُ بْنُ كَيْسَانَ، وكان مِنْ أشهر شيوخها: وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ الصَّنْعَانِيُّ.

---

(١) «وفيات الأعيان» ٢/ ١٧٩، «البداية والنهاية» ٩/ ٣٢٦، «تهذيب التهذيب» ٨/ ٣٥١.

(٢) راجع: «تهذيب التهذيب» ٨/ ٣٥١ ـ ٣٥٦، «البداية والنهاية» ٩/ ٣٢٥، ٣٢٦.

وهكذا بَذَلَ هؤلاءِ التابعون جُهْداً ضَخْماً في حَمْلِ الأمانة عن الصحابة، ثم جَاءَ تَابِعُو التَّابِعِينَ؛ لِيُكْمِلُوا المسيرةَ، وظَلَّتْ تَتَوَارَثُ حتَّى وصَلَتْ إلينا، فجزى اللَّه كُلَّ مَنْ أَسْهَمَ في هذا العلْمِ خَيْرَ الجزاء، ونفعنا اللَّه بالقرآن وعلومِهِ!!

قِيمَةُ التَّفْسِيرِ المَأْثُورِ عَنِ التَّابِعِينَ

تفسيرُ التَّابِعِيِّ: إما أن يَكُونَ مَأْثوراً عن النبيِّ ﷺ أو عَنْ صحابته، أو لا، فإن كان مأثوراً عن النبيِّ، يأخذ حُكْمَ تفسيرِهِ ﷺ، وكذلك إن كان مأثوراً عن الصحابة.

وإن لم يكُنْ مأثوراً عن النبيِّ ولا عن الصحابةِ، فقد اخْتَلَفَ العلماءُ فِي الرُّجُوعِ إِلَيْهِ والأَخْذِ بأقوالِ التابعين فيه.

* فَقَدْ نُقِلَ عن أبي حنيفةَ أَنَّهُ قال[1]:

مَا جَاءَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَعَلَى الرَّأْسِ والعَيْنِ، وما جاء عَنِ الصَّحَابَةِ تَخَيَّرْنَا، وَمَا جَاءَ عَنِ التَّابِعِينَ فَهُمْ رِجَالٌ، وَنَحْنُ رِجَالٌ.

* ونَقَلُوا عن الإمامِ أَحْمَدَ روايَتَيْنِ، **إحْدَاهُمَا**: بالقَبُولِ، **والأخرى**: بعدَمِ القَبُولِ[2].

وذهب بَعْضُ العلماءِ إِلَى أنه لا يُؤْخَذُ بتَفْسِيرِ التابعين؛ لأنهم لم يسمعوا من النبيِّ ﷺ بخلافِ تفسيرِ الصَّحَابَةِ الذين سمعوا من النبيِّ ﷺ وشاهَدُوا القَرَائِنَ والأَحْوَالَ.

وأَكْثَرُ المفسِّرين على الأَخْذِ بأَقْوَالِ التابعين؛ لأنهم تلقوا علَى أيدي الصحابة؛ كما سَبَقَ أن ذكرنا.

والرَّأْيُ الذي نرجِّحه، ونَمِيلُ إليه هو ما ذكره ابْنُ تَيْمِيَّةَ، قال[3]:

«قال شُعْبَةُ بْنُ الحَجَّاجِ وغَيْرُهُ: أقوالُ التابعين لَيْسَتْ حُجَّةً، فكيف تَكُونُ حُجَّةً في التفسير!! يعني أنها لا تكون حُجَّةً علَى غيرهم مِمَّنْ خالفهم، وهذا صحيحٌ، أما إذا أجمعوا على الشيء فلا يُرْتَابُ في كونه حُجَّةً، فإن اختلفوا، فلا يكونُ قَوْلُ بعضهم حُجَّةً علَى بعض، ولا علَى مَنْ بَعْدَهُمْ، ويُرْجَعُ في ذلك إِلَى لغة القرآن، أو السنة، أو عُمُومِ لُغَةِ العَرَبِ، أو أقوالِ الصحَابَةِ في ذلك».

---

(١) راجع: «التفسير والمفسرون» للذهبي ١/ ١٢٩.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) «مقدمة في أصول التفسير»/ ابن تيمية ٢٨ ـ ٢٩، «الإتقان في علوم القرآن» ٢/ ١٧٩.

سِمَاتُ التَّفْسِيرِ فِي تِلْكَ المَرْحَلَةِ

اتَّسَمَ التفسيرُ في تِلْكَ المَرْحَلَةِ بعدَّة سِمَاتٍ، مِنْ أبرزها[١]:

* أنه اعتمد عَلَى التلقِّي والروايةِ، وغَلَبَ على التلقِّي والرواية طَابَعُ الاختصاصِ، فكان لكلِّ بلدٍ مدرستُهُ وأُسْتَاذُهُ، فمَكَّةُ: أستاذُهَا ابْنُ عَبَّاسٍ، والمدينةُ: أُسْتَاذُهَا أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، والعِرَاقُ: أستاذُهُ ابْنُ مَسْعُودٍ، وهكذا.

* دُخُولُ أَهْلِ الكتابِ فِي الإِسْلاَمِ كان سَبَباً في تَسَلُّلِ الدَّخِيلِ إِلَى عِلْمِ التفسير، وقد تساهَلَ التابعُونَ في النَّقْلِ عنهم - فيما لاَ يتعلَّق بالأحكام الشرعية - بدون تَحَرٍّ ونَقْدٍ، وأكثر من رُوِيَ عنه في ذلك مِنْ مُسْلِمِي أهل الكتاب:

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلاَمٍ، وَكَعْبُ الأَحْبَارِ، وَوَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ، وغَيْرُهُمْ.

* كان بَدَهِيًّا أن يختلف التابِعُونَ في التفسير؛ نَظَراً لتعدُّدهم وكَثْرَتِهِمْ، واختلافِ مدارِسِهِمُ التي تخرَّجوا فيها، ولكنه خلافٌ لَيْسَ بالكثير إِذَا ما قِيسَ بالعُصُورِ اللاحقَةِ.

* كما ظَهَرَتْ نواةُ الْخِلاَفِ المَذْهَبِيِّ؛ إِذْ ظَهَرَتْ بعضُ التفسيراتِ تَحْمِلُ في طَيَّاتِهَا بُذُوراً لتلك المذاهب.

التَّفْسِيرُ فِي عَصْرِ التَّدْوِينِ

تَبْدَأُ هذه المرحلةُ في أَوَاخِرِ العصر الأُمَوِيِّ وأوائلِ العَصْرِ العباسيِّ؛ إذ انتشر التدوينُ بصُورَةٍ واسعةٍ، وعني العَرَبُ «بتدوين كُلِّ ما يَتَّصِلُ بدينهم الحَنِيفِ، فقد تَأَسَّسَتْ في كُلِّ بلدةٍ إسلاميةٍ مدرسةٌ دينيةٌ عُنِيَتْ بتفسيرِ الذِّكْرِ الحكيم، وروايةِ الحَدِيثِ النبويِّ، وتَلْقِينِ الناسِ الفِقْهَ وَشُئُونَ التشريع، وكان كثيرٌ من المتعلِّمين في هذه المدارس يَحْرِصُونَ علَى تدوين ما يَسْمَعُونَهُ...»[٢].

تَدْوِينُ التَّفْسِيرِ: اخْتُلِفَ فِي أَوَّلِ من أَلَّف تفسيراً «مَكْتُوباً»، فبعضهم يذكر أن عَبْدَ المَلِكِ بْنَ جُرَيْجٍ[٣] (ت ١٤٩هـ) هو أَوَّلُ من أَلَّفَ تفسيراً مكتوباً.

---

(١) راجع: «**التفسير والمفسرون**» ١/ ١٣١، ١٣٢.

(٢) «**تاريخ الأدب العربي**»/ العصر الإسلامي د. شوقي ضيف ٤٥٢.

(٣) هو عبد الملك عبد العزيز بن جريج، أبو خالد، أو أبو الوليد، مولاهم، من علماء مكة ومحدثيها، ولد سنة ٨٠هـ، توفي سنة ١٤٩هـ، أول من صنف بالحجاز الكتب، نقل عنه ابن جرير في تفسيره. راجع «**طبقات ابن سعد**».

وذَكَرَ ٱبْنُ النَّدِيم: أن أَبَا العَبَّاسِ ثَعْلَباً قال: كان السَّبَبُ في إملاء كتابِ الفَرَّاءِ في المعانِي أَنَّ عُمَرَ بْنَ بُكَيْرٍ كان مِنْ أصحابه، وكان منقطعاً إِلَى الحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ، فكتب إلى الفَرَّاءِ: إِنَّ الأَمِيرَ الحَسَنَ بْنَ سَهْلٍ، رُبَّمَا سَأَلَنِي عَنِ الشَّيْءِ بَعْدَ الشَّيْءِ من القرآنِ؛ فلا يَحْضُرُنِي فيه جَوَابٌ، فإن رَأَيْتَ أن تَجْمَعَ لِي أُصُولاً، أو تَجْعَلَ في ذلك كتاباً أَرْجِعُ إليه، فَعَلْتَ، فقال الفَرَّاءُ لأصحابه: اجتمعوا حَتَّى أُمْلِيَ عَلَيْكُمْ كتاباً في القرآن... فقال الفَرَّاءُ لِرَجُلٍ: ٱقْرَأْ بفاتحةِ الكِتَابِ نُفَسِّرُهَا، ثم نُوفِي الكتابَ كُلَّهُ، فقرأ الرجُلُ وفَسَّرَ الفَرَّاء، قال أبو العَبَّاس: «لَمْ يَعْمَلْ أَحَدٌ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلاَ أَحْسِبُ أَنَّ أَحَداً يَزِيدُ عَلَيْهِ»[1].

وبذلك يكونُ ٱبْنُ النَّدِيمِ قد عَدَّ «الفَرَّاءَ» أَوَّلَ مَنْ أَلَّفَ تفسيراً للقرآن مُدَوَّناً.

ولكن ابن حَجَرٍ يذكُرُ أن التفسير المدوَّن كان قبل الفَرَّاء وقَبْلَ ابْنِ جُرَيْجٍ؛ إذ يقول[2]:

«وكان عَبْدُ المَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ (ت ٨٦هـ) سأل سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ (ت ٩٥هـ) أن يكتب إِلَيْهِ بِتَفْسِيرِ القرآنِ فكَتَبَ سعيدٌ بهذا التفسير، فوجَدَهُ عَطَاءُ بْنُ دِينَارٍ في الديوان؛ فأخذه؛ فأرسله عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ.

ويبدو أنه مِنَ الصَّعْبِ تحديدُ أَوَّلِ مَنْ فَسَّر القرآن تفسيراً مدوَّناً علَى تتابع آياته وسُوَرِهِ؛ كما في المُصْحَفِ.

أَقْسَامُ التَّفْسِيرِ

وظل الخَلَفُ يَحْمِلُ رسالةَ السَّلَفِ جيلاً بعد جيل، حتَّى وصَلَتْ مسيرةُ التفسيرِ إِلَى تَابِعِي التابعين، وهنا تعدَّدت اتجاهاتُ التفسير إِلَى ثلاثةِ اتجاهاتٍ رئيسيةٍ هي:

أَوَّلاً ـ الاتِّجَاهُ الأَثَرِيُّ (التَّفْسِيرُ بِالمَأْثُورِ):

والمَأْثُورُ: ٱسْمُ مفعولٍ من أَثَرْتُ الحَدِيثَ أَثْراً: نَقَلْتُهُ، والأَثَرُ: ٱسْمٌ منه، وحَدِيثٌ مَأْثُورٌ، أيْ: مَنْقُولٌ[3].

وعلَى ذلك، فهو يَشْمَلُ المنقولَ عَنِ اللَّه تبارَكَ وتعالَى ـ في القرآن الكريم ـ،

---

(١) «الفهرست» ص ٩٩.

(٢) «تهذيب التهذيب» ٧/ ١٩٨.

(٣) «المصباح المنير» (أثر)، «الإسرائيليات والموضوعات» أبو شهبة ص ٦٤.

والمنقولَ عن النبيِّ ﷺ والمنقولَ عَنِ الصَّحَابَةِ، والمنقولَ عن التَّابِعِينَ.

وجُلُّ الذين يَكْتُبُونَ عن تاريخ التفْسِيرِ ويتحدَّثون عن الاتجاه الأثريِّ يَبْدَأُونَهُ بالطبريِّ، «فيقطعون بذلك اتصالَ سلسلة التطوُّر في الأوضاع التفسيريَّة بين القرن الأول والقرن الثالث بإضاعة حَلْقَةٍ مِنْ تلك السلسلة التي تمثِّل مَنْهَجَ التفسيرِ في القَرْنِ الثَّانِي؛ لأن تفسير ٱبْنِ جَرِيرٍ الطبريِّ أُلِّفَ في أواخر القَرْنِ الثالث، وصَاحِبُهُ تُوُفِّيَ في أوائل القرنِ الرَّابِعِ، وبالوقوفِ علَى هذه الحلقة ـ وهي إِفْرِيقيَّةٌ تُونُسِيَّةٌ ـ يَتَّضِحُ كَيْفَ تطوَّر فَهْمُ التفسيرِ عما كان عليه في عهد ابْنِ جُرَيْج، إلَى ما أصبح عليه في تفسيرِ الطبريِّ، ويتضحُ لِمَنْ كان الطبريُّ مديناً له بذلك المنهجِ الأَثَرِيِّ النظريِّ الذي درج عليه في تفسيره العظيم.

«ذلك التفسيرُ هُوَ أَقْدَمُ التفاسيرِ الموجُودَةِ اليَوْمَ عَلَى الإطلاقِ، ويُعَدُّ صاحبُه مؤَسِّسَ طَرِيقَةِ التفسيرِ النقديِّ، أو الأثريِّ النظريِّ الذي صار بعده «ابْنُ جَرِيرٍ الطبريُّ» واشتهر بها.

ذلك هو تفسيرُ «يَحْيَى بْنِ سَلاَّم» التميميِّ البَصْرِيِّ المتوفَّى سنة ٢٠٠هـ، ويقع في ثلاثِ مجلَّداتٍ ضخمةً، وقد بناه علَى إيرادِ الأخبارِ مسندةً، ثم تعقَّبها بالنقد والاختيار، وكان يبني اختياره على المعْنَى اللُّغَوِيِّ والتخريجِ الإعرابيِّ، وتوجد من هذا التفسيرِ نُسْخَةٌ بتُونُسَ[1].

ويُعَدُّ ابنُ جريرٍ الطبريُّ ربيبَ تِلْكَ الطريقةِ، طَرِيقَةِ يَحْيَى بْنِ سَلاَّمٍ، وثمرة غرسه، وقد ذكر السُّيُوطِيُّ عدداً من مفسِّري هذا الاتجاهِ الأثريِّ منهم:

* يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ ت ١١٧هـ.
* شُعْبَةُ بْنُ الحَجَّاجِ ت ١٦٠هـ.
* وَكِيعُ بْنُ الجَرَّاحِ ت ١٩٧هـ.
* سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ ت ١٩٨هـ، وغيرُهُمْ.

ـ «ٱبْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ»[2]:

لكنَّ التفسيرَ حِينَ ٱنْتَهَى إلى الطبريِّ في أوائل القَرْنِ الثالثِ الهجريِّ «كان نَهْراً مُزْبِداً،

---

(١) «**التفسير ورجاله**»/ ابن عاشور ص ٢٧.

(٢) هو: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، الإمام أبو جعفر الطبري، ولد سنة ٢٢٤هـ، وتوفي سنة ٣١٠هـ وقد جاوز الثمانين بخمس أو ست سنين.

ذا رُكَام ورَوَاسِبَ، قد انْصَبَّ إلَى بَحْرٍ خِضَمٍّ عُبَابٍ، فامتزجَ بِمَائِهِ، وتَشَرَّبَ مِنْ عَنَاصِرِهِ، وصفا إِلَيْهِ مِنْ زَبَدِهِ، وتطهَّر لديه مِنْ رُكَامِهِ ورَوَاسِبِهِ»[١].

«وابْنُ جَرِيرٍ» فقيهٌ، عَالِمٌ تبحَّر في فنونٍ شَتَّى من العِلْمِ، فهو أَحَدُ المشَاهِيرِ مِنْ رجَالِ التَّارِيخِ، ويُعَدُّ كتابه «**تَارِيخُ الأُمَمِ والمُلُوكِ**» فيه مَرْجِعُ المَرَاجِعِ، وبه صَارَ إمَامَ المؤرِّخين غَيْرَ مُنَازَعٍ.

وقد شهد له بذلك كثيرٌ من الأعلام؛ يقول الخطِيبُ البَغْدَادِيُّ[٢]:

«جَمَعَ مِنَ العُلُومِ ما لَمْ يُشَارِكْهُ فيه أحدٌ من أَهْلِ عَصْرِه، وكان حافِظاً لِكِتَابِ اللَّهِ، عارفاً بالقراءات كلِّها، بصيراً بالمعاني، فقيهاً في الأحكامِ، عالماً بالسُّنَنِ وطُرُقِها، وصَحِيحِهَا وسَقِيمِهَا، ونَاسِخِهَا ومَنْسُوخِهَا، عَارِفاً بأقوالِ الصحابةِ والتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ، عَارِفاً بأَيَّامِ النَّاسِ وأَخْبَارِهِمْ، وله الكِتَابُ المَشْهُورُ في تَارِيخِ الأُمَمِ والمُلُوكِ، وكتابٌ في التفسير لَمْ يُصَنِّفْ أَحَدٌ مِثْلَهُ...».

لقد امتلك الطبريُّ أدواتِ التَّفْسِيرِ؛ فَاستخدمها بمَهَارَةٍ وحَذَقٍ، ومن هنا عُدَّ تفسيرُهُ «ذَا أَوَّلِيَّةٍ بَيْنَ كُتُبِ التفسيرِ، أوليةٍ زمنيةٍ، وأوليةٍ من ناحيةِ الفنِّيَّةِ والصياغةِ، أما أوليته الزمنيةُ: فلأنه أَقْدَمُ كتابٍ في التفسيرِ وَصَلَ إلينا وما سَبَقَهُ من المُحَاوَلاَتِ التفسيريَّة، ذَهَبَتْ بمُرُورِ الزَّمَنِ، ولم يَصِلْ إلينا شَيْءٌ منها، اللَّهُمَّ، إلا ما وَصَلَ إلينا منها في ثنايا ذلك الكتابِ الخَالِدِ الذي نَحْنُ بصَدَدِهِ[٣].

«وأما أوليته من ناحية الفَنِّ والصياغة، فذَلِكَ أَمْرٌ يرجِعُ إلَى ما يَمْتَازُ به الكتابُ مِنَ الطريقَةِ البديعَةِ الَّتِي سَلَكَهَا فيه مؤلِّفه، حتَّى أخرجه لِلنَّاسِ كتاباً له قيمتُهُ ومكانتُهُ»[٤].

طَرِيقَةُ الطَّبَرِيِّ فِي التَّفْسِيرِ:

حِينَ يفسِّر الطبريُّ آيةً يَضَعُ لها عُنْوَاناً هكذا «القَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ...» ثم يقولُ: «يعني تعالَى بذلك....» ويستشهد على التفسير بما يَرْوِيهِ بسَنَدِهِ إلى الصَّحَابة أو

---

(١) «التفسير ورجاله» ص ٣٠.

(٢) «البداية والنهاية» لابن كثير ١١/١٥٦.

(٣) هذا على اعتبار فقد تفسير «يحيى بن سلام» الذي أشرت إليه آنفاً، أما وقد ذكر الإمام الفاضل بن عاشور أن نسخة من الكتاب موجودة في تونس فإن تفسير الطبري لا يعد ذا أولية زمنية.

(٤) «التفسير والمفسرون» ١/ ٢٠٥.

٨٦ ـــــــ

٢٠٨هـ أو ٢١٥هـ، وقد ألف كتابه «مَجَازَ القُرْآنِ» سنة ١٨٨هـ[١]، ويُعَدُّ هذا الكتابُ أَقْدَمَ مؤلَّفٍ في معاني القرآن وَصَلَ إلينا.

وأبو عُبَيْدَةَ موسوعةٌ علميةٌ له مؤلَّفَاتٌ في مجالاتٍ شَتَّى، وقد «أُوتِيَ لِسَاناً صَارِماً جَلَبَ علَى نفسه عداواتٍ كثيرةً، ثم تَنَفَّسَ به العُمْرُ قرابةَ قَرْنٍ كاملٍ زَامَلَ فيه أعلاماً كباراً، وجَادَلَ خُصُوماً كِبَاراً، وشَهِدَ تلاميذَهُ ومَنْ في طبقتهم يجادِلُونَ عنه، ويجادِلُونَ فيه، فَقَرَّبَ وبَاعَدَ، وواصَلَ وقَاطَعَ، ولَكِنَّ مخالفيه كانوا من الكَثْرَةِ بحَيْثُ أرهقوه وضايقُوهُ، حَتَّى جاءه الأَجَلُ فلَمْ يَنْهَضْ لِتَشْيِيعِ جَنَازَتِهِ أحدٌ، وعُلِّلَ ذلك بما ترك مِنْ حَزَازَاتٍ أدبيةٍ»[٢].

ويحكي أبو عُبَيْدَةَ سَبَبَ تأليفه كتاب «مَجَازِ القُرْآنِ» فيقول:

«أَرْسَلَ إِلَيَّ الفَضْلُ بْنُ الربيعِ وَالِي البصرة في الخُرُوجِ إليه سنَةَ ثَمَانٍ وثمانينَ وَمِائَةٍ، فَقَدِمْتُ إِلَى بَغْدَادَ واستأْذَنْتُ عليه، فَأَذِنَ لي، فدخَلْتُ عليه، وهو في مَجْلِسٍ له طويلٍ عريضٍ فيه بساطٌ واحدٌ قد مَلأَهُ، وفي صَدْرِهِ فُرُشٌ عاليةٌ لا يُرْتَقَى إليها إلا علَى كُرْسِيٍّ، وهو جالِسٌ عليها، فسَلَّمْتُ عليه بالوزارة، فَرَدَّ وضَحِكَ إِلَيَّ، واسْتَدْنَانِي حتَّى جَلَسْتُ إِلَيْهِ علَى فرشة، ثم سَأَلَنِي وأَلْطَفَنِي وباسَطَنِي، وقال: أَنْشِدْنِي، فَأَنْشَدتُهُ فَطَرِبَ وضَحِكَ، وزاد نَشَاطُهُ، ثم دَخَلَ رَجُلٌ في زِيِّ الكُتَّابِ له هَيْئَةٌ، فأجلَسَهُ إِلَى جانِبِي، وقال له: أَتَعْرِفُ هذا؟ قال: لا، قال: هذا أَبُو عُبَيْدَةَ عَلاَّمَةُ أَهْلِ البَصْرَةِ! أقدمناه لِنَسْتَفِيدَ مِنْ عِلْمِهِ، فدعا له الرجُلُ وَقَرَّظَهُ لفعله هذا، وقال لي: إِنِّي كُنْتُ إِلَيْكَ مُشْتَاقاً، وقد سَأَلْتُ عن مَسْأَلَةٍ، أَفَتَأْذَنُ لِي أن أُعَرِّفَكَ إِيَّاها؟

فقلتُ: هَاتِ، قال: قال اللَّه عزَّ وجلَّ: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ [الصافات: ٦٥]، وإنما يَقَعُ الوَعْدُ والإيعادُ بما عُرِفَ مِثْلُهُ وهذا لَمْ يُعْرَفْ، فقلْتُ: إنما كَلَّمَ اللَّهُ تعالى العَرَبَ عَلَى قَدْرِ كَلاَمِهِمْ؛ أما سمعت قول امرىء القَيْسِ: [الطويل]

أَيَقْتُلُنِي والْمَشْرَفِيُّ مُضَاجِعِي ... وَمَسْنُونَةٌ زُرْقٌ كَأَنْيَابِ أَغْوَالِ

وهُمْ لَمْ يَرَوُا الغُولَ قَطُّ، ولكنه لما كان أَمْرُ الغُولِ يَهُولُهُمْ، أَوْعَدُوا به فاستحسن الفَضْلُ ذلك، واسْتَحْسَنَ السَّائِلُ، وَعَزَمْتُ مِنْ ذلك اليوم أن أَضَعَ كتاباً في القرآنِ في مِثْلِ هذا وأشباهه وما يحتاج إليه مِنْ عِلْمِهِ، فلَمَّا رَجَعْتُ إلى البصرة، عَمِلْتُ كتابي الذي سَمَّيْتُهُ

---

(١) «معجم الأدباء» ١٩/ ١٥٨.

(٢) «خطوات التفسير البياني» د. رجب البيومي ص ٣٧، ٣٨، وراجع: «معجم الأدباء» ١٩/ ١٦٠.

المَجَازَ، وسَأَلْتُ عَنِ الرجُلِ السائل، فقيل لي: هو مِنْ كُتَّابِ الوَزِيرِ وَجُلَسَائِهِ وَهُوَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الكَاتِبُ»[١].

وبعضُ العلماءِ يُنْكِرُ هذه القصَّة؛ لأن أبا عُبَيْدَةَ لَمْ يُشِرْ إليها في مُقَدِّمة كتابه...[٢].

ومِنَ الذين كَتَبُوا عن اتجاهاتِ التَّفْسِيرِ مَنْ يَسْلُكُ أبا عُبَيْدَةَ ـ من خلال كتابه هذا ـ في سِلْكِ الاتجاه البيانيِّ في التَّفْسِيرِ، وأَكْثَرُهُمْ يَعُدُّهُ رَائِداً في الاتجاهِ اللُّغَوِيِّ.

علَى أن أبا عُبَيْدَةَ لم «يَعْنِ بالمَجَازِ ما هو قَسِيمُ الحقيقةِ، وإنَّما عَنَى بمجازِ الآية ما يُعَبَّرُ به عن الآية»[٣].

فقد يستعمل أبو عُبَيْدَةَ لفظ المجازِ قاصداً به معنى اللَّفْظِ، فمثلاً في قوله تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ [الأحقاف: ١٥] يقول: «مَجَازُهُ: شددني إليك، ومنه قولهم: وَزَعَنِي الْحِلْمُ عَنِ السَّفَاهِ، أي: مَنَعَنِي، ومنه الوَزَعَةُ: الَّذِينَ يدفعون الخُصُومَ والنَّاسَ عَنِ القُضَاةِ والأُمَرَاءِ»؛ ثم يستشهدُ بالبَيْتِ:

عَلَى حِينَ عَاتَبْتُ الْمَشِيبَ عَلَى الصِّبَا فَقُلْتُ أَلَمَّا تَصْحُ وَالشَّيْبُ وَازِعُ[٤]

وأما أبو زكريَّا الفَرَّاءُ المتوفَّى سنة ٢٠٧هـ، فكان يستعينُ بِتَفْسِيرَاتِ السَّلَفِ، مُضِيفاً له ما أَدَّى إليه اجتهادُهُ اللغويُّ، وكذا الزَّجَّاجُ المتوفَّى سنة ٣١١هـ[٥].

لقد استلهم الفَرَّاءُ الحِسَّ اللُّغَوِيَّ مُحَكِّماً ذوقَهُ وعَقْلَهُ؛ كما راعى السِّيَاقَ العَامَّ في الآية؛ ولذا نجده يفضِّل قِرَاءَةً تُحَقِّقُ التجانُسَ بين الكلماتِ المتجَاوِرَاتِ علَى غيرها[٦].

ثَالِثاً ـ الاتِّجَاهُ البَيَانِيُّ[٧]:

وبذور هذا الاتجاه نجدُهَا في تفسير ابْنِ عَبَّاسٍ المَبْثُوثِ في ثنايا التفسير الأثريِّ، ومن

---

(١) «**معجم الأدباء**» ١٩/١٥٨.

(٢) راجع «**خطوات التفسير البياني**» ص ٤٤، ٤٥ وقد ذكر الدكتور رجب البيومي أسباباً أخرى ومبررات لرفض هذه القصة.

(٣) «**فتاوى ابن تيمية**» كتاب الإيمان ص ٨٨.

(٤) «**مجاز القرآن**» ٢/ ٩٢، ٩٣.

(٥) راجع البغوي الفراء ص ٢٣٨.

(٦) راجع البغوي الفراء ص ٢٣٩، ٢٤٠ (بتصرف وإيجاز).

(٧) بعض المؤلفين في تاريخ التفسير يضعون اتجاهاً ثالثاً بدلاً من هذا الاتجاه يطلقون عليه «الاتجاه النقدي»، وبعضهم يسلك هذا الاتجاه ضمن الاتجاه الأثري. انظر: «**التفسير ورجاله**»: ابن عاشور ص ٢٦.

أمثلة ذلك: ما رواه ابن جَرِيرٍ في تفسير قوله تعالَى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ. . . . لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٦]؛ أن عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ سَأَلَ النَّاسَ عن هذه الآية، فما وَجَدَ أَحَداً يَشْفِيهِ، حتَّى قال ابن عباس، وهو خَلْفَهُ: يا أَمِيرَ المؤمنين، إني أَجِدُ في نَفْسِي منها شيئاً، فَتَلَفَّتَ إليه، فقال: تَحَوَّلْ هَهُنَا لِمَ تُحَقِّرُ نَفْسَكَ؟ قَالَ:

هذا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ عَزَّ وجلَّ، فقال: أيود أحدُكُمْ أن يَعْمَلَ عُمْرَهُ بعَمَلِ أَهْلِ الخَيْرِ وأهلِ السَّعَادَةِ حتَّى إذا كان أَحْوَجَ ما يَكُونُ إِلَى أن يَخْتِمَهُ بخَيْرٍ حِينَ فَنِيَ عُمْرُهُ وَاقْتَرَبَ أَجَله، خَتَمَ ذلك بعَمَلٍ مِنْ عَمَلِ أَهْلِ الشقَاءِ، فأفْسَدَهُ كلَّهُ فَحَرَقَهُ أَحْوَجَ مَا كَانَ إِلَيْهِ[١].

«وَهُوَ مِنْ بَابِ الاستعارةِ التمثيليةِ، وقد أَلْمَعَ إليه ٱبْنُ عَبَّاسٍ بقوله المُقَارِبِ: هذا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ. . . إلخ، وهل قال البلاغيُّونَ فيما بَعْدُ غَيْرَ ذلك؟!»[٢].

ونهج تلاميذُ ٱبْنِ عَبَّاسٍ نَهْجَهُ، وكان أَكْثَرُهُمْ نتاجاً في هذا الاتجاه «مُجَاهداً»[٣]، وأما تأصيلُ هذا الاتجاهِ فقد كان علَى يَدِ «أَبِي عُبَيْدَةَ» صَاحِبِ «**مَجَازِ القُرْآنِ**»، ويُعَدُّ صَاحِبَ الخُطْوَةِ الأُولَى في هذا الاتجاه.

«وفَضْلُ هذا الكتابِ في الدراسَاتِ البلاغيَّةِ: أنه حِينَ تعرَّض للنصوص القرآنية أَشَارَ إِلَى ما تَدُلُّ عليه من حقيقةٍ أو مَثَلٍ أو تشبيهٍ أو كنايةٍ وما يتضمَّن مِنْ ذِكْرٍ أو حَذْفٍ أو تقديم أو تأخيرٍ، فوضع بذلك اللَّبِنَةَ الأُولَى في صرح الدراسات البلاغيَّة للقرآن. . . وإذا كانَ عبد القاهر أَظْهَرَ مَنْ نَادَى من البلغاء بأن يُوضَعَ الكلامُ الوضْعَ الذي يقتضيه عِلْمُ النَّحْوِ، وهو ما سُمِّيَ بقضية النَّظْمِ؛ فإن بُذُورَ قضيَّته هذه كَانَتْ تَكْمُنُ في مجاز «أَبِي عُبَيْدَةَ» حيثُ رأَى في زمنه السَّابِقِ ما رآه صاحِبُ «**الدَّلائِلِ**» في زمنه اللاحِقِ، فكان بذلك الرائِدَ الأَوَّلَ لِعِلْمِ المَعَانِي عند مَنْ يَلْتَمِسُونَ الجُذُورَ الضَّارِبَةَ في الأَعْمَاقِ[٤].

وقد رتَّب «أَبُو عُبَيْدَةَ» كتابه وَفْقَ ترتيبِ السُّوَرِ القرآنية في المُصْحَفِ، ومِنْ هنا صار مِنَ اليَسِيرِ أن يَرْجِعَ الدَّارِسُ إلى ما ذَكَرَ أَبُو عُبَيْدَةَ في توجيه الآياتِ الكريمَةِ مِنْ مِثْلِ قوله تعالَى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣] حيث قال: إِنَّهَا كنايَةٌ

---

(١) «**تفسير ابن جرير**» ٣/ ٤٧.

(٢) راجع: «**خطوات التفسير البياني**» ص ٢١ وفيه شواهد أخرى.

(٣) راجع الأمثلة التي ذكرها الدكتور رجب البيومي في «**خطوات التفسير البياني**» ص ٣٤ وما بعدها.

(٤) «**خطوات التفسير البياني**» ص ٤٦، ٤٧.

وتشبيهٌ[١].

ومِنْ مِثْلِ قوله تعالَى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة: ١٠٩]؛ حَيْثُ أَتْبَعَ الآيةَ بتَحْلِيلٍ بيانيٍّ وعَدَّهَا مِنْ مَجَازِ التمثيلِ حِينَ قال:

«ومَجَازُ الآية: مَجَازُ التمثيلِ؛ لأن ما بنوه على التقْوَى أَثْبَتُ أساساً مِنَ البناء الذي بَنَوْهُ على الكُفْرِ والنفاقِ؛ فهو علَى شَفَا جُرُفٍ، وهو ما يُجْرَفُ من الأوديةِ؛ فلا يثبتُ البِنَاءُ عليه[٢].

تِلْكَ هي الخطوة الأُولَى خَطَاهَا أبو عُبَيْدَةَ في التفسيرِ البيانيِّ للقرآن الكريم، وإنْ وُجِّهَتْ إليه كثيرٌ من النقود والمَطَاعِنِ مِنْ علماءَ كبارٍ أمثالِ الفَرَّاءِ والأَصْمَعِيِّ والطبريِّ[٣]..

ثم تلت هذه الخُطْوَة خُطُوَاتُ الجَاحِظِ وَٱبْنِ قُتَيْبَةَ وغَيْرِهِمَا...

---

(١) راجع: «مجاز القرآن» ١/ ٧٣.

(٢) «مجاز القرآن» ١/ ٢٦٩، وانظر: «خطوات التفسير البياني» ص ٥١، ٥٢.

(٣) راجع: «خطوات التفسير البياني» ص ٥٨ وما بعدها.

المَبحَثُ الثَّالِثُ

الكَلامُ عَلَى تَفسِيرِ الثَّعَالِبِيّ

أَوَّلاً: المَصَادِرُ الَّتِي اسْتَقَى مِنْهَا أَبُو زَيْدٍ الثَّعَالِبِيُّ في «الجَوَاهِرِ الحِسَانِ»

بادىء ذي بدء أقول: إنه لا يستطيع أَحَدٌ من الناس أن يزعم أنه يستطيع أن يأتي بأفضل مما أتى به أئمة هذه الأمة، فالخلف عيال على السَّلَفِ، ولولا أن اللَّه حفظ بهم الدين، لما كان هذا حال المسلمين، ولعبدوا اللَّه تعالى بمذاهب باطلة ما أنزل اللَّه بها من سلطان، فللَّه درهم، وعليه شكرهم. [الطويل]

أُولَـئِـكَ آبَـائِـي فَـجِـئْـنِـي بِـمِـثْـلِـهِـمْ إِذَا جَـمَـعَـتْـنَـا يَـا جَـرِيـرُ الـمَـجَـامِـعُ

وليس هذا من باب تحجير الواسع، أو تضييق رحمة اللَّه؛ فلم يقصر اللَّه العلم والشعر والبلاغة على عصر دون عصر، ولا خص به قوماً دون قوم، بل جعل ذلك مُفَرَّقاً في الأمة، موجوداً لمن التمسه، وكم ترك الأول للآخر!!

إلا أن اللاحق ـ ولا مفر ـ ينقل عن السابق، وهكذا دواليك، سنة اللَّه في الذين خَلَوْا من قبل، ولن تجد لسُنَّةِ اللَّه تبديلاً، ولن تجد لسنة اللَّه تحويلاً.

من هنا كان للثعالبي أن يعتمد على كلام من سبقوه، فهم سلفه، وهو خلفهم، وهم شيوخه، وهو تلميذهم، فمن مكثر عنه، ومن مُقِلّ.

ولا شك أن للرحلة التي ارتحلها الثعالبي في طَلَبِ العلم أثراً بالغاً في تحصيل دواوين أولئك الأعلام؛ خاصة كتب المشرقيين منهم، فجمع حصيلة وافرة عَزَّ اقتناؤها، وأسفاراً عظيمة نَدَرَ اقْتِنَاصُهَا.

ولقد تنوعت مَصَادِرُ الثعالبي، وتشكلت على اختلاف العلوم التي يحتاج إليها المفسر والتفسير، وهذه قائمة بأهم المصادر في كل علم على حِدَةٍ:

أَوَّلاً: مَصَادِرُهُ مِنْ كُتُبِ التَّفْسِيرِ:

اعتمد الثعالبي ـ رحمه اللَّه ـ على عدة مصادر مهمة في التفسير، كان أهمها:

١ ـ تفسير ابن عطية المسمى **«المُحَرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز»**: وهو الأصل الذي اعتمده المُصَنِّفُ، فاختصره، وزاد عليه. ومؤلف **«المحرر»** هو:

عبد الحق بن غالب بن عبد الرحيم. وقيل: عبد الرحمن بن غالب بن تمام بن عبد الرؤوف بن عبد الله بن تمام بن عطية الغرناطي صاحب التفسير الإمام أبو محمد الحافظ القاضي. قال ابن الزبير: كان فقيهاً جليلاً عارفاً بالأحكام والحديث والتفسير، نحوياً لغوياً أديباً بارعاً شارعاً مفيداً ضابطاً نسيباً فاضلاً، من بيت علم وجلالة، غاية في توقد الذهن، وحسن الفهم، وجلالة التصرف. روى عن: أبيه الحافظ أبي بكر، وأبي علي الغساني، والصفدي، وعنه: ابن مضار، وأبو القاسم بن حبيش، وجماعة. وولي قضاء «المرية» يتوخى الحق والعدل.

وألف تفسير القرآن العظيم، وهو أصدق شاهد له بإمامته في العربية وغيرها، وخرج له برنامجاً.

ولد سنة إحدى وثمانين وأربعمائة، وتوفي بلورقة في خامس عشر رمضان سنة ثنتين. وقيل: إحدى. وقيل: ست وأربعين وخمسمائة.

وذكره في **«قلائد العقيان»**، ووصفه بالبراعة في الأدب والنظم والنثر.

ولقد نَوَّهَ أبو حيان في مقدمة تفسيره بالزمخشري، وابن عطية باعتبارهما عَلَمَيْنِ من أعلام التفسير، وإمامين من كبار أئمته، ووصفهما بأنهما أجل من صَنَّفَ في علم التفسير، وأفضل من تعرض للتنقيح فيه، والتحرير، ثم أثنى أبو حيان في هذه المقدمة كذلك على كتابيهما في التفسير ثناء، ورفع من شأنهما، وأشار إلى أنه قام في تفسيره بانتقاد هذين الكتابين والتعقيب عليهما، وذلك حيث يقول:

«ولما كان كتاباهما في التفسير قد أنجدا وأغارا وأشرقا في سماء هذا العلم بَدْرَيْنِ، وأنارا، وتَنَزَّلاَ من الكتب التفسيرية منزلة الإنسان من العين، والذهب الإبريز من العين، ويتيمة الدر من اللآلي، وليلة القدر من الليالي، فعكف الناس شرقاً وغرباً عليهما، وثنوا أَعِنَّةَ الاعتناء إليهما، وكان فيهما على جلالتهما مجال لانتقاد ذوي التبريز، ومسرح للتخيل فيهما والتمييز، ثنيت إليهما عنان الانتقاد، وحللت ما تخيل الناس فيهما من الاعتقاد أنهما في التفسير الغاية التي لا تدرك، والمسلك الوعر الذي لا يكاد يُسْلَكُ، وعرضتهما على محكِّ النظر، وأوريت فيهما نار الفكر، حتى خلصت دسيسهما، وبرز نفيسهما، وسيرى ذلك من هو للنظر أهل، واجتمع فيه إنصاف وعقل».

والمقصود ذكر فضل تفسير ابن عطية، وبيان أهميته.

ولقد نص الثعالبي نفسه في مقدمته على أنه قد اعتمد تفسير ابن عطية، فقال: «. . .

فقد ضمنته (يعني: تفسيره) بحمد اللَّه المهم مما اشتمل عليه تفسير ابن عطية، وزدته فوائد جَمَّةً... إلخ».

٢ ـ «**مختصر تفسير الطَّبَرِيِّ**» لأبي عبد اللَّه محمد بن عبد اللَّه بن أحمد اللخمي، النحوي.

٣ ـ مختصر «**البحر المحيط**» لأبي حَيَّان، اختصره الصفاقسي، وسَمَّاهُ: «**المُجيد في إعراب القرآن المجيد**»:

يقول محمد بن مخلوف في «**شجرة النور الزكية**» واصفاً كتاب «**المجيد**»: «وهو من أَجَلِّ كتب الأعاريب، وأكثرها فائدة».

ويقول حاجي خليفة في «**كشف الظنون**» (بعد أن عرَّف بعلم إعراب القرآن وذكر بعض من صنف فيه): «وأبو الحسن علي بن إبراهيم الحوفي المتوفى ٥٦٢هـ، وكتابه أوضحها، وهو في عشر مجلدات، وأبو البقاء عبد اللَّه بن الحسين العكبري النحوي، المتوفى سنة ٦١٦هـ، وكتابه أشهرها، وسماه «**التبيان**». أوله: «الحمد للَّه.....»، وأبو إسحاق إبراهيم بن محمد الصفاقسي، المتوفى سنة ٧٤٢هـ، وكتابه أحسن منه، وهو في مجلدات سماه «**المجيد في إعراب القرآن المجيد**». وقد ذكره في مقدمته، فقال: «وما نقلته من الإعراب عن غير ابن عطية، فمن الصفاقسي مختصر أبي حيان... إلخ».

٤ ـ «**مفاتيح الغيب**» أو التفسير الكبير، للإمام الرَّازِيِّ:

وهو من أَجَلِّ التفاسير، وإن كان أَطَالَ في الاستدلال وَرَدِّ الشبه إطالة كادت تغطي على كونه كتاب تفسير. ولسنا نميل مع أبي حيان في قوله فيه: «فيه كل شيء إلا التفسير»، فإنه ـ رحمه اللَّه ـ مع الاستطراد إلى ذِكْرِ الأدلة والبراهين، قَدْ وَفَّى التفسير حَقَّهُ.

وبالجملة: فالكتاب أشبه ما يكون بمَوْسُوعَةٍ في علم الكلام، واللغة، والأصول، والآثار، وفي العلوم الكونية، والطبيعية، وغير ذلك من فنون العلم.

هذا، ولم يَنُصَّ الثعالبي في مقدمته على أنه استقى من «**مفاتيح الغيب**»، إلا أنه نقل منه في ثنايا تفسيره، فأكثر من النقل، فيقول: قال الفخر، ثم يذكر كلامه.

٥ ـ «**أَحْكَامُ القرآن**» للقاضي أبي بكر بن العَرَبِيِّ:

وقد أكثر الثَّعَالِبِيُّ ـ رحمه اللَّه ـ من النقل عنه، وهذا واضح من خلال استقراء آيات الأحكام، وتناوله لها.

وهذا الكتاب لا يتعرض لسور القرآن كلها، ولكنه يتعرض لما فيها من آيات الأحكام فقط، وطريقته في ذلك أن يذكر السُّورَةَ، ثم يذكر عدد ما فيها من آيات الأحكام، ثم يأخذ في شرحها آية آية.. قائلاً: الآية الأولى وفيها خمس مسائل «مثلاً»، والآية الثانية وفيها سبع مسائل «مثلاً» وهكذا، حتى يفرغ من آيات الأحكام الموجودة في السورة.

وهذا الكتاب يعتبر مرجعاً مهماً للتفسير الفقهي عند المالكية؛ وذلك لأن مؤلفه مالكي تأثر بمذهبه، فظهرت عليه في تفسيره روح التعصُّب له، والدفاع عنه، غير أنه لم يَشْتط في تعصبه إلى الدرجة التي يتغاضى فيها عن كل زَلَّةٍ علمية تصدر من مجتهد مالكي، ولم يبلغ به التعسُّف إلى الحد الذي يجعله يُفَنِّدُ كلام مخالفه إذا كان وجيهاً ومقبولاً، والذي يتصفح هذا التفسير يَلْمَسُ منه روح الإنصاف لمخالفيه أحياناً، كما يلمس منه روح التعصب المذهبي التي تستولي على صاحبها، فتجعله أحياناً كثيرة يرمي مخالفه، وإن كان إماماً له قيمته ومركزه بالكلمات المقذعة اللاذعة، تارة بالتصريح، وتارة بالتَّلْوِيحِ. ويظهر لنا أن الرجل كان يستعمل عقله الحر، مع تسلط روح التعصب عليه، فأحياناً يتغلب العقل على التعصب، فيصدر حكمه عادلاً لا تكدره شائبة التعصب، وأحياناً ـ وهو الغالب ـ تتغلب العصبية المذهبية على العقل، فيصدر حكمه مشوباً بالتعسُّف، بعيداً عن الإنصاف.

وهذا الكتاب أيضاً لم ينص المصنف على أنه اعتمد عليه ـ في مقدمته، بل ذكر النقل عنه في ثنايا التفسير.

ثانياً: كُتُبُ غَرِيبِ[1] القرآن والحديث:

وقد اعتمد الثعالبي على كتابين في غَرِيبِ أَلْفَاظِ الكتاب العزيز: **أولهما**: لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، **والثاني**: وهو مختصر غريب القرآن للحافظ زين الدين العراقي.

---

(١) قال الإمام أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي الغريب من الكلام انما هو الغامض البعيد من الفهم كما أن الغريب من الناس إنما هو البعيد عن الوطن المنقطع عن الأهل والغريب من الكلام يقال به على وجهين. أحدهما أن يراد به أنه بعيد المعنى غامضه لا يتناوله الفهم إلا عن بعد، ومعاناة فكره والوجه الأخر أن يراد به كلام من بعدت به الدار من شواذ قبائل العرب، فإذا وقعت إلينا الكلمة من لغاتهم استغربناها انتهى.

وقال ابن الأثير في «**النهاية**»: وقد عرفت أن رسول الله ﷺ كان أفصح العرب لسانا، حتى قال له علي رضي الله تعالى عنه وقد سمعه يخاطب وفد بني نهد: يا رسول الله نحن بنو أب واحد، ونراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم أكثره، فقال: «أدبني ربي فأحسن تأديبي» فكان عليه الصلاة والسلام يخاطب العرب على اختلاف شعوبهم وقبائلهم بما يفهمونه، فكأن الله تعالى قد أعلمه ما لم يكن يعلمه غيره، وكان

كما اعتمد في غريب السُّنة على كتاب أبي عبيد بن سلام الهَرَوِيِّ.

ثالثاً: المَصَادِرُ الَّتِي اعتمد عليها من كُتُبِ السُّنَّةِ:

١ ـ **صحيح الإمام البخاري.**

٢ ـ **صحيح الإمام مُسْلِمٍ.**

٣ ـ **سنن أبي داود.**

٤ ـ **سنن الترمذي.**

٥ ـ **حلية الأبرار** «أو» الأذكار، للأمام النووي.

٦ ـ **سلاح المؤمن**، لتقي الدين أبي الفتح محمد بن محمد بن همام المصري الشافعي.

٧ ـ **مصابيح السنة**، للبغوي.

٨ ـ **الموطأ**، للإمام مالك.

رابعاً: كتب الترغيب والترهيب والرقائق:

اعتمد الثعالبي في هذا الفَنِّ على كتابين هما:

١ ـ **التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة**، للإمام القرطبي.

أصحابه يعرفون أكثر ما يقوله، وما جهلوه سألوه عنه، فيوضحه لهم. واستمر عصره إلى حين وفاته ـ عليه الصلاة والسلام ـ وجاء عصر الصحابة جاريا على هذا النمط، فكان اللسان العربي عندهم صحيحا لا يتداخله الخلل إلى أن فتحت الأمصار، وخالط العرب غير جنسهم، فامتزجت الألسن، ونشأ بينهم الأولاد، فتعلموا من اللسان العربي ما لا بد لهم في الخطاب، وتركوا ما عداه، وتمادت الأيام إلى أن انقرض عصر الصحابة، وجاء التابعون فسلكوا سبيلهم، فما انقضى زمانهم إلا واللسان العربي قد استحال أعجمياً، فلما أعضل الداء ألهم الله سبحانه وتعالى جماعة من أهل المعارف إن صرفوا إلى هذا الشأن طرفا من عنايتهم، فشرعوا فيه حراسة لهذا العلم الشريف. فقيل: إن أول من جمع في هذا الفن شيئا أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي البصري المتوفى سنة ٢١٠ عشر ومائتين، فجمع كتابا صغيرا، ولم تكن قلته لجهله بغيره، وإنما ذلك لأمرين: أحدهما: أن كل مبتدئ [مبتدأ] بشيء لم يسبق إليه يكون قليلا، ثم يكثر. والثاني: أن الناس كان فيهم يومئذ بقية، وعندهم معرفة، فلم يكن الجهل قد عمَّ.

٩٦ ـــــــ

للإمام أبي محمد بن أبي جمرة الأندلسي.

وقد ذكره المصنف في مقدمته، فقال: «. . .».

٢ ـ «**إحياء علوم الدين**»، لأبي حامد الغزالي.

وهو أشهر من أن يذكر، وأعرف من أن يعرف.

وقد نقل منه المصنف، فأكثر من النقل.

واعتمد أيضاً على مختصره لمحمد بن علي بن جعفر البلالي.

وقد حكى الثعالبي عن هذا المصنف، فقال: «. . وهذا الشيخ البلالي لقيته، ورويت عنه كتابه هذا».

وذلك في تفسيره لآيات الصيام من سورة البقرة.

٣ ـ «**جواهر القرآن**»، لأبي حامد الغزالي.

وهو أَلْيَقُ بالتفسير، إلا أنه ذكر فيه أنه ينقسم إلى علوم، وأعمال، والأعمال ظاهرة وباطنة، والباطنة إلى تزكية وتخلية، فهي أربعة أقسام، علوم وأعمال ظاهرة وباطنة، مذمومة ومحمودة، وكل قسم يرجع إلى عشرة أصول، فيشتمل على زبدة القرآن.

٤ ـ **شرح ابن الفاكهاني على أربعين النووي**.

ثامناً: في الأسماء والصِّفَاتِ:

ذكر الثعالبي في ثَنَايَا كلامه نقله عن كتابين في «**أسماء اللَّه تعالى**»، وهما:

١ ـ **شرح أسماء اللَّه الحُسْنَى**، للإمام الرازي.

٢ ـ **غاية المغنم في أسماء اللَّه الأعظم**. لابن الدريهم الموصلي.

تاسعاً: ومن كتب التَّاريخ:

ذكر الثعالبي أثناء تفسيره نُقُولاً عن أحد الكتب التي عنيت بسير الخلفاء، وهو كتاب:

ـ **الاكتفاء في أخبار الخلفاء**، لعبد الملك بن محمد بن أبي القاسم بن الكرديوس.

عاشراً: كتب أخرى مَنْثُورَةٌ:

١ ـ **لطائف المنن**، لابن عطاء اللَّه.

٢ ـ **الأنواء**، للزجاج.

٣ ـ **الإفصاح**، لشبيب بن إبراهيم.

٤ ـ **الكوكب الدري**، لأبي العباس أحمد بن سعد التجيبي.

٥ ـ **الكلم الفارقية**.

٦ ـ **التَّشَوُّفُ**، ليوسف بن يحيى التادلي.

٧ ـ **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، لأبي عمر بن عبد البر.

٨ ـ **مختصر المدارك**، للقضاعي.

٩ ـ **تاريخ بغداد**، لأبي بكر بن الخطيب.

وغير ذلك مما هو مَنْثُورٌ في تفسيره لكتاب اللَّه تعالى.

ثَانِياً: مَنْهَجُ الإِمَامِ الثَّعَالِبِيِّ فِي تَفْسِيرِهِ

بين يدي المنهج:

ذكر السيوطي في «**الإتقان**» شروطاً يجب تَوَافُرُهَا فيمن أقبل على كتاب رَبِّهِ بِنِيَّةِ تفسيره، وكشف معانيه، فحكى عن بعض العلماء قوله: اختلف الناس في تفسير القرآن، هل يجوز لكل أحد الخوض فيه؟ فقال قوم: لا يجوز لأحد أن يتعاطى تفسير شيء من القرآن وإن كان عالماً، أديباً، متسعاً في معرفة الأدلة والفقه، والنحو، والأخبار، والآثار، وليس له إلا أن ينتهي إلى ما روي عن النبي ﷺ في ذلك.

ومنهم من قال: يجوز تفسيره لمن كان جامعاً للعلوم التي يحتاج إليها، وهي خمسة عشر علماً... ثم ذكرها ـ رحمه اللَّه ـ، وهي: اللغة، والنحو، والتصريف، والاشتقاق، والمعاني، والبيان، والبديع، والقراءات، وأصول الدين، وأصول الفقه، وأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، وعلم الفقه، والأحاديث والآثار؛ لتفصيل المجمل، وتوضيح المبهم، وهكذا، ثم علم الملكة (أو الموهبة).

وزاد غير السيوطي علوماً أخرى، وأيًا ما يكن الأمر، فقد ذكر أيضاً في «**التحبير في علم التفسير**» عن العلماء أنه: «من أراد تفسير الكتاب العزيز، طلبه أولاً من القرآن، فإن ما أجمل في مكان قد فسر في مكان آخر، فإن أعياه ذلك طلبه في السُّنَّةِ؛ فإنها شارحة للقرآن، وموضحة له..» وساق كلام الشافعي.

والمقصود أن الإمام الثعالبي ـ رحمه اللّه ـ قد أتى بحظٍّ وافر من هذه الشروط التي ذكرها أهل العلم حدوداً ومراسم لمن أقبل على تفسير الكتاب العزيز. فهو قد فسر كتاب اللّه بعضه ببعض، وفسره بما فسره من أنزل عليه، وهو محمد ﷺ، وبما فسره الصحابة والتابعون، كما استخدم اللغة، وشرح الغريب، وتعرض لتصريف بعض الكلمات، وأكثر من المسائل الإعرابية، ثم هو بعد ذلك يذكر مسائل في أصول الدين، وأصول الفقه، وفروعه، وأسباب النزول، وإيراده بعض الإسرائيليات، واحتجاجه بالقراءات المتواترة، وذكره الشاذ منها، على ما سيتضح مما يلي.

العناصر التي بَنَى عليها الثعالبي مَادَّة تفسيره:

١ ـ جمعه بين التفسير بالمأثور من كتاب وسُنَّةٍ، والتفسير بالرأي.

٢ ـ تعرضه لمسائل في أصول الدين.

٣ ـ مسائل أصول الفقه في تفسيره.

٤ ـ تعرضه لآيات الأحكام، وذكره للاختلافات الفقهية.

٥ ـ احتجاجه باللغة، والمسائل النحوية، والتصريفية، وغيرها.

٦ ـ ذكره لأسباب النزول، ومَكِّيِّ القرآن ومدنيِّه.

٧ ـ ذكره للقراءات الواردة في الآية.

٨ ـ احتجاجه بالشعر واستشهاده به.

٩ ـ موقفه من الإسرائيليات.

وإليك ـ أيها القارىء الكريم ـ تَفْصِيلَ ذلك:

أولاً: جَمْعُهُ بين التفسير بالمأثور والرَّأْيِ:

من المشهور عند أَهْلِ العلم أن خير ما فسر به كتاب اللّه تعالى، تفسير بعضه ببعض، أو بما فسره به رسوله ﷺ، قال السيوطي: فإن ما أجمل في مكان، قد فسر في مكان آخر، فإن أعياه ذلك، طلبه في السُّنَّةِ؛ فإنها شارحة للقرآن، وموضحة له[1].

وأما تفسيره كتاب اللّه بعضه ببعض، فمنه (مثلاً) في قوله تعالى: ﴿فأزلهما الشيطان

(١) «التحبير في علم التفسير» (٣٢٣).

عنها..﴾ [البقرة: ٣٦]، يتعرض لمعنى «أَزَلَّهُمَا»، فيقول: مأخوذ من الزلل، ثم يحكي اختلافهم في كيفية هذا الإزلال، فيقول: وقال جمهور العلماء: أغواهما مشافهة؛ بدليل قوله تعالى: ﴿وقاسمهما﴾ [الأعراف: ٢١].

وفي الآية التالية، وهي قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٣٧] يحكي عن الحسن أنها قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا...﴾ الآية وهي من [الأعراف: ٢٣].

وأما تفسيره بالحديث، فهذا كثير جداً، وفيه (مثلاً) في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ...﴾ الآية [الأنعام: ٨٢] يقول: والظلم في هذا الموضع: الشرك؛ تظاهرت بذلك الأحاديث الصحيحة.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ..﴾ الآية [الأنفال: ٦٠] قال: وفي صحيح مسلم: «ألا إِنَّ القوة الرَّمْيُ، ألا إن القُوَّةَ الرمي، ألا إن القوة الرمي».

وأما آثار السَّلَفِ من الصحابة والتابعين، فقد حَشَا بها تفسيره، فهم خير القرون وأعلمها، فإن سألت عن العربية فهم أرباب الفصاحة فيها، وإن سألت عن علمهم بالأحكام، فهم مُؤَصِّلُوها، والبحور التي لا تكدرها الدِّلاَءُ، وإن سألت عن أسباب النزول، ومعرفتهم بها، فليس المخبر كالمعاين، وليس من رأى كمن سمع، فمن بينهم من كان يعاين نزول الوحي، ومنهم من نزل بسببه آي الكتاب، وتوبة رب الأرباب.

وقد رأينا الثعالبي ـ رحمه الله ـ يُزَيِّنُ صحيفته بالنقل عنهم، والأمثلة تملأ الكتاب، ومنها مثلاً: في تفسير قوله تعالى: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح...﴾ السورة، أن النبي ﷺ قال لعائشة: «ما أراه إلا حضور أجلي»، قال الثعالبي: وتأوله عمر والعباس بحضرة النبي ﷺ فصدقهما. قال: ونزع هذا المنزع ابن عباس وغيره.

وفي سورة القدر في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ يقول: قال الشعبي وغيره: المعنى: إنا ابتدأنا إنزال هذا القرآن.

ثانياً: تَعَرُّضُهُ لمسائل في أصول الدين:

فقد تعرض لذكر معتقده في مسائل منها، مثل «تكليف ما لا يُطَاقُ»، عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاَءِ﴾ [البقرة: ٣١] فقال الثعالبي: «وقال قوم: يخرج من هذا الأمر بالإنباء تكليف ما لا يطاق، ويتقرر جَوَازُهُ؛ لأنه سبحانه علم أنهم لا

يعلمون. وقال المحققون من أهل التأويل: ليس هذا على جهة التكليف، إنما هو على جهة التقرير والتوقيف».

ثم عاد وذكر المسألة عينها عند تفسير قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا...﴾ الآية «٢٨٦» من سورة البقرة، وحكى مذهب أبي الحسن الأشعري.

ومنها أيضاً: مسألة كلام اللّه تعالى، فتحدث عن مذهب أهل السُّنة فيه، عند قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُمْ...﴾ الآية [البقرة: ٣٣]، فقال: «وهذا هو قول أهل السُّنة، والحق أن كلام اللّه (عز وجل) صِفَةٌ من صِفَاتِ ذَاتِهِ يستحيل عليها النَّقْصُ... إلخ».

ومنها: تَعَرُّضُهُ لمسألة الكَسْبِ عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيدِيهِمْ...﴾ الآية [البقرة: ٩٥].

ومنها: مسألة رؤية اللّه تعالى، وهذه قد تعرض لها الثعالبي بالذكر عند قوله تعالى: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّه جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥]، فأشار إلى أن مذهب أهل السُّنة امتناع ذلك في الدنيا، وأنه من طريق السمع ورد، ثم عاد فرد على الزمخشري، عند تفسير الآية (١٤٣) من سورة «الأعراف».

ومنها: مسألة عِصْمَةِ الأنبياء عليهم السلام، وقد ذكرها عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا﴾ [البقرة: ١٢٨] وحكى إجماع الأمة على عصمة الأنبياء في معنى التبليغ، ومن الكبائر والصغائر التي فيها رذيلة، وخلافهم في غير ذلك من الصغائر. وحكاية الإجماع إنما نقلها من مختصر الطبري.

ثالثاً: مَسَائِلُ أُصُولِ الفِقْهِ في تفسيره:

ولم يَتَوَسَّعِ الثعالبي في ذكر مصادر اعتمد عليها في المسائل الأصولية غير ما ذكره من مختصر ابن الحاجب.

ومن المسائل التي أوردها كلامه على «النسخ» لغة واصطلاحاً، وذلك عند قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا...﴾ [البقرة: ١٠٦]، فنقل كلام ابن الحاجب، ثم قال: انتهى من مختصره الكبير، ثم تعرض لجواز النسخ عقلاً، وأن البَدَاءَ لا يجوز على اللّه تعالى، وبين أن المنسوخ هو الحكم الثابت نفسه، لا ما ذهبت إليه المعتزلة من أنه مثل الحكم الثابت فيما يستقبل.

كما أنه تعرض لمسألة التقبيح والتحسين، وأنهما في الأحكام من جهة الشرع، لا

بصفة نفسية.

ومنها: كلامه على تخصيص العموم، وأن العام المخصَّص حُجَّةٌ في غير محل التخصيص، ونقل عن الرازي قوله: وقد ثبت في أصول الفقه؛ أنه إذا وقع التعارض بين الإجمال والتخصيص، كان رفع الإجمال أولى؛ لأن العام المخصص حجة في غير محلِّ التخصيص، والمجمل لا يكون حجة أصلاً. ثم قال الثعالبي: وهو حَسَنٌ.

رابعاً: تعرضه لآيات الأحكام، وذكره للاختلافات الفقهية:

قدمنا أن الثعالبي ـ رحمه اللّه ـ نقل من أحكام القاضي ابن العربي، ولم لا؛ فالرجل مذهبه مالكي مثله، ولا غرو، فكان بدهياً أن ينقل ما يخص آيات الأحكام، ويذكر خلاف أهل العلم فيها.

ومن ذلك: آية الوضوء والطهارة، وهي الآية السادسة من سورة المائدة، فنجد الثعالبي يقول: قال ابن العربي في أحكامه... ثم حَكَى كَلاَمَهُ، ونقل المسائل الفقهية منه، ومنها: قوله: واختلف العلماء هل تدخل المرافق في الغسل أم لا... واختلف في رَدِّ اليدين في مسح الرأس هل هو فرض أو سنة؟...

ومنها: آية قصر الصلاة، في قوله تعالى: ﴿وإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاَةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [النساء: ١٠١].

فقال: قال مالك، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وابن راهويه: تقصر الصلاة في أربعة بُرُدٍ، وهي ثمانية وأربعون ميلاً، وحجتهم: أحاديث رويت في ذلك عن ابن عمر، وابن عباس. وقال الحسن، والزهري: تقصر في مسيرة يومين. وروي هذا أيضاً عن مالك، وروي عنه: تقصر في مسافة يوم وليلة.

ثم قال: وهذه الأقوال الثلاثة تَتَقَارَبُ في المعنى، والجمهور على جواز القصر في السَّفَرِ المباح... إلخ.

ومنها: تعرضه لشهادة القاذف إذا تَابَ، وذلك في تفسير سورة النور، عند قوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ * إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ [النور: ٤ـ ٥]. وحكى عن الجمهور قبول شهادته إذا تاب. قال: ثم اختلفوا في صورة توبته: فقيل: بأن يكذب نفسه، وإلا لم تقبل، وقالت فرقة منها مالك: توبته أن يصلح وتحسن حاله، وإن لم يرجع عن قوله بتكذيب. واختلف فقهاء المالكية متى تسقط شهادة القاذف، فقال ابن الماجشون:

بنفس قذفه، وقال ابن القاسم وغيره: لا تسقط حتى يجلد، فإن منع من جلده مانع عفو أو غيره لم ترد شهادته، . . . . إلخ كلامه».

وفي اللِّعَانِ يقول: وتحريم اللعان أبدي باتفاق فيما أحفظ من مذهب مالك.

ويلاحظ على الثعالبي أنه لم يَتَوَسَّعْ في الاحتجاج للمسائل الفقهية، كما صنع القرطبي ـ مثلاً ـ ومن قبله ابن العربي، ولَعَلَّ السَّبَبَ في ذلك هو أنه لم يخصص تفسيره لنقل الأحكام، وإلا لكان كِتَابَ فِقهٍ لا تفسير، وهو قد نص في مقدمته على أنه مختصر، فقال: «فإني جمعت لنفسي ولك في هذا المختصر. . . إلخ».

خامساً: احتجاجه باللُّغَةِ والمسائل النحوية، والتصريفية وغيرها:

وقد ذكرنا آنفاً أنه ينقل من الغريبين لأبي عبيد الهروي، ويفسر الألفاظ التي ترد مشكلةً، فإذا كانت ذات دلالة شرعية نص عليها، كما وجدناه ينقل المسائل النحوية معتمداً على كلام الصفاقسي في اختصاره من أبي حيان.

فمنها: تفسيره للفظ «القسيس» في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُم قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً﴾ [المائدة: ٨٢]، فنراه يقول: قال الفخر: القس والقسيس: اسم رئيس النصارى، والجمع: قسيسون، وقال قطرب: القس والقسيس: العالم، بلغة الروم. . .».

ويقول في قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ. . .﴾ الآية [آل عمران: ١٥٦] قال ابن عطية: الرجس: كل مكروه ذميم، وقد يقال للعذاب والرجز: العذاب لا غير، والركس: العَذِرَةُ لا غير، والرجس يقال للأمرين.

ويقول في قوله تعالى: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي العِلْمَ وَالجِسْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧] قال أبو عبيد الهروي: أي: انبساطاً وتوسُّعاً في العلم، وطولاً وتماماً في الجسم. . .

وفي قوله تعالى: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ [البقرة: ٢٦٠] يقول: يقال: صرت الشيء أصوره، بمعنى: قطعته، ويقال أيضاً: صرت الشيء، بمعنى: أملته. . . إلخ».

وأما ذكره للمسائل النحوية، فكثير جداً، فمثلاً في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَاماً. . .﴾ [طه: ١٢٩] ينقل عن الصفاقسي قوله: «ولزاماً» إما مصدر، وإما بمعنى ملزم. وأجاز أبو البقاء أن يكون جمع لازم، كقائم وقيام.

وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاَءِ يَنْطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٥].

١٠٤ ـــــــ

فمثلاً في سورة الحجرات يقول: وهي مدنية بإجماع، ويقول في «قٓ»: وهي مكية بإجماع، وفي سورة الأنفال: مدنية كلها، قال مجاهد: إلا آية واحدة، وهي قوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا. . .﴾ الآية.

وفي سورة هود: «مكية إلا نحو ثلاث آيات. . .» وهكذا.

سابعاً: ذِكْرُهُ لِلْقِرَاءَاتِ الواردة في الآية:

وبداية؛ فإن للقراءات الواردة في كتاب اللّه (تعالى) أثراً كبيراً في إثراء التفاسير بالمعاني المختلفة المتنوعة، مع اشتراط ما اشترطه أهل هذا الفَنِّ من ضوابط للقراءة المقبولة، واختلاف هذه القراءات له فوائد جَمَّةٌ:

منها: جمع الأمة الإسلامية الجديدة على لسان واحد يوحد بينها، وهو لسان قريش الذي نزل به القرآن الكريم، والذي انتظمَ كثيراً من مختارات ألسنة القبائل العربية التي كانت تختلف إلى مكة في موسم الحَجِّ، وأسواق العرب المشهورة، فكان القرشيون يستملحون ما شاءوا، ويَصْطَفُونَ ما رَاقَ لهم من ألفاظ الوفود العربية القادمة إليهم من كل صَوبٍ وحَدَبٍ، ثم يصقلونه ويهذبونه، ويدخلونه في دائرة لغتهم المرِنة، التي أذعن جميع العرب لها بالزعامة، وعقدوا لها راية الإمامة.

وعلى هذه السياسة الرشيدة نزل القرآن على سبعة أحرف يصطفي ما شاء من لغات القبائل العربية، على نمط سياسة القرشيين، بل أوْفق. ومن هنا صحَّ أن يقال: إنه نزل بلغة قريش؛ لأن لغات العرب جمعاء تمثلت في لسان القرشيين بهذا المعنى، وكانت هذه حكمة إلهية سامية؛ فإن وحدة اللسان العامِّ من أهمِّ العوامل في وحدة الأمة، خصوصاً أول عهد بالتوثب والنهوض.

ومنها: بيان حُكْم من الأحكام، كقوله سبحانه: ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ﴾ [النساء: ١٢] قرأ سعد بن أبي وقاص: «وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ مِنْ أُمٍّ» بزيادة لفظ: «من أُمٍّ»، فتبين بها أن المراد بالإخوة في هذا الحكم الإخوة للأم دون الأشقاء، وَمَن كانوا لأب، وهذا أمرٌ مجمعٌ عليه.

ومثل ذلك قوله سبحانه في كفارة اليمين: ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [المائدة: ٨٩]، وجاء في قراءة: «أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ» بزيادة لفظ «مُؤْمِنَةٍ» فتبين بها اشتراط الإيمان في الرقيق الذي يعتق كفارة يمين.

وهذا يؤيد مذهب الشافعي، ومن نَحَا نَحْوَهُ في وجوب توافر ذلك الشرط.

ومنها: الجمع بين حكمين مختلفين بمجموع القراءتين، كقوله تعالى: ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي المَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] قرىء بالتخفيف والتشديد في حرف الطاء من كلمة «يطهرنَ»، ولا ريب أنَّ صيغة التشديد تفيد وجوب المبالغة في طهر النساء من الحيض؛ لأن زيادة المبْنَى تدلُّ على زيادة المعنى، أما قراءة التخفيف، فلا تفيد هذه المبالغة، ومجموع القراءتين يحكم بأمرين: **أحدهما**: أن الحائض لا يقربها زوجها حتى يحصل أصل الطهر؛ وذلك بانقطاع الحيض. **وثانيهما**: أنها لا يقربها زوجها أَيْضاً إلاّ إن بَالَغَتْ في الطهر، وذلك بالاغتسال، فلا بد من الطهرين كليهما في جواز قربان النساء، وهو مذهب الشافعي، ومن وافقه أيضاً.

ومنها: الدلالة على حكمين شرعيين، ولكن في حالين مختلفين؛ كقوله تعالى في بيان الوضوء: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى المَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦] قرىء بنصب لفظ «أرجلكم»، وبجرها، فالنصب يفيد طلب غسلها؛ لأن العطف حينئذ يكون على لفظ: «وجوهكم» المنصوب، وهو مغسول، والجرُّ يفيد طلب مسحها؛ لأن العطف حينئذ يكُون على لفظ «رءوسكم» المجرور، وهو ممسوح. وقد بين الرسول ﷺ: أن المسح يكون للابس الخف، وأنَّ الغسل يجب على مَنْ لم يلبس الخف.

ومنها: دفع تَوَهُّم ما ليس مراداً: كقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩] وقرىء: «فامضوا إلى ذكرِ اللَّه»، فالقراءة الأولى يتوهمُ منها وجوبُ السرعة في المشي إلى صلاة الجمعة، ولكنَّ القراءة الثانية رفعت هذا التوهم؛ لأن المضيَّ ليس من مدلوله السرعة.

ومنها: بيان لفظ مبهم على البعض: نحو قوله تعالى: ﴿وتكونُ الجبالُ كالعِهْنِ المنفوشِ﴾ [القارعة: ٥] وقرىء: «كالصوفِ المنفوش»، فبينت القراءةُ الثانية أنَّ العهن هو الصوف.

ومنها: تجلية عقيدة ضلَّ فيها بعضُ الناس: نحو قوله تعالى في وصفه الجنة وأهلها: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً ومُلْكاً كَبِيراً﴾ [الإنسان: ٢٠] جاءت القراءة بضم الميم، وسكون اللام في لفظ: «وملكاً كبيراً»، وجاءت قراءة أخرى بفتح الميم، وكسر اللام في هذا اللفظ نفسه، فرفعت هذه القراءةُ الثانية نقابَ الخفاء عن وجه الحق في عقيدة رؤية

المؤمنين للَّه ـ تعالى ـ في الآخرة؛ لأنه ـ سبحانه ـ هو الملك وحده في تلك الدار: ﴿لِمَنِ المُلْكُ اليَوْمَ لِلَّهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

* **والخلاصة**: أن تنوُّعَ القراءات، يقومُ مقام تعدُّد الآيات؛ وذلك ضربٌ من ضروب البلاغة، يبتدىء من جمال هذا الإيجاز، وينتهي إلى كمال الإعجاز.

أضفْ إلى ذلك ما في تنوُّعِ القراءات من البراهين الساطعة، والأدلة القاطعة على أن القرآن كلام اللَّه، وعلى صدق من جاء به وهو رسول اللَّه ﷺ، فإن هذه الاختلافات في القراءة على كثرتها لا تؤدي إلى تناقض في المقروء وتَضَادٍّ، ولا إلى تهافت وتخاذل، بل القرآن كله على تنوُّعِ قراءاته، يصدِّق بعضه بعضاً، ويبينُ بعضه بعضاً، ويشهد بعضه لبعض، على نمط واحد في علو الأُسْلُوب والتعبير، وهدَفٍ واحدٍ من سموِّ الهداية والتعليم، وذلك ـ من غير شك ـ يفيدُ تعدُّدَ الإعجاز بِتَعدُّد القراءات والحروف.

ومعنى هذا: أن القرآن يعجز إذَا قرىء بهذه القراءة، ويعجز أيضاً إذا قرىء بهذه القراءة الثانية، ويعجز أيضاً إذا قرىء بهذه القراءة الثالثة، وهلمَّ جَرًّا. ومن هنا تتعدَّد المعجزات بتعدُّد تلك الوجوه والحروف!

وَلاَ رَيْبَ أن ذَلك أدلُّ على صدق محمد ﷺ؛ لأَنَّهُ أعظم في اشتمال القرآن على مناحٍ جمة في الإعجاز وفي البيان، على كل حرف ووجه، وبكل لهجة ولسان: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٢].

ولقد كان الثعالبي ـ رحمه اللَّه ـ يكثر من إيراد القراءات مُتَوَاتِرَةً وشاذة، وكان معتمده الأول على تفسير ابن عطية، فكان ينقل منه مواضع القراءات ووجوهها.

ومن أمثلة نقله للقراءات:

١ ـ في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤] قال: قرأ باقي السبعة غير نافع وابن عامر: «فديةٌ» بالتنوين، «طعامُ مسكينٍ» بالإفراد. قال: «وهي قراءة حسنة..».

٢ ـ في قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ﴾ [الحج: ٣٦] قال: وقرأ ابن مسعود، وابن عمر، وابن عباس، وغيرهم: «صوافن» جمع: صافنة، وهي التي رفعت إحدى يديها بالعقل؛ لئلا تضطرب، ومنه في الخيل: ﴿الصَّافِنَاتُ الجِيَادُ﴾ [صٓ: ٣١].

٣ ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾ [المائدة: ٦] قال: وقرأ

١٠٨ ـــــــ

١ ـ احتجاجه لقراءة ابن كثير ﴿أتيتم﴾ [البقرة: ٢٣٣] بمعنى فعلتم ـ بقول زهير: [الطويل]

وَمَا كَانَ مِنْ خَيْرٍ أَتَوْهُ فَإِنَّمَا تَوَارَثَهُ آبَاءُ آبَائِهِمْ قَبْلُ

٢ ـ واحتجاجه لمعاني بعض الألفاظ، مثل قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتاً﴾ [النساء: ٨٥]. فقال: مقيتاً: معناه: قديراً؛ ومنه قول الزبير بن عبد المطلب: [الوافر]

وَذِي ضِغْنٍ كَفَفْتُ النَّفْسَ عَنْهُ وَكُنْتُ عَلَى إِسَاءَتِهِ مُقِيتاً

ومنه: احتجاجه على أن من معنى «الجهالة» أن يتعمد الأمر فيركبه، مع عدم مضادة للعلم قال: فمنها قول الشاعر: [الوافر]

أَلاَ لاَ يَجْهَلَنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الجَاهِلِينَا

٣ ـ ومنه احتجاجه على المسائل النحوية، فمثلاً في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [الحشر: ٩] يقول نقلاً عن الصفاقسي: و «الإيمان» منصوب بفعل مقدر، أي: واعتقدوا الإيمان، فهو من عطف الجمل؛ كقوله: [الرجز]

عَلَفْتُهَا تِبْناً وَمَاءً بَارِداً .....

وهذا بالإضافة إلى شعر الزُّهْدِ والرقائق الذي ضمنه تفسيره، والذي يقرؤه القارىء الكريم، فيستشعر عذوبته ورقّته، وحسن اختياره ومكانه.

تاسعاً: موقفه من الإِسْرَائِيلِيَّاتِ:

بادىء ذي بَدْءٍ، فإن الجنس البشري مَرَّ عليه قرون عديدة، وأزمان بعيدة، حملتْ في طَيَّاتِهَا أخباراً، وأحوالاً، وتارة أهوالاً، فأخبر بها السَّلف الخلف، والمتقدم المتأخر.

وإن هذه الأمة المباركة هي الآخرة في تلك السلسلة المديدة من عمر البشرية، فكان لها زبدة الأخبار، والرصيد الأكبر من تواريخ الأمم والشعوب، فحظيت بالعبر والعِظَاتِ، والسعيد من وُعِظَ بغيره.

ولأن أهل الكتاب كانوا سابقين علينا، فقد رُوِيَ لنا، ورووا هم من أخبارهم وأخبار السابقين، وفي هذا يقول نبينا محمد ﷺ: «... وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج».

فكان ما أخبرونا به على ثلاثة أقسام:

١ ـ قسم صدقهم فيه الوَحْيُ، فنصدقهم فيه.

٢ ـ قسم أكذبهم فيه الوحي، فنكذبهم فيه.

٣ ـ قسم سكت عنه، فنسكت عنه، ونقول: آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم.

ولكن ما المقصود بـ «الإسرائيليات»؟!!

الإسرائيليات: جمع إسرائيلية، نسبة إلى بني إسرائيل، والنسبة في مثل هذا تكون لعجز المركب الإضافي لا لصدره، وإسرائيل هو: يعقوب ـ عليه السلام ـ أي: عبد اللَّه، وبنو إسرائيل هم: أبناء يعقوب، ومن تناسلوا منهم فيما بعد، إلى عهد موسى، ومن جاء بعده من الأنبياء، حتى عهد عيسى ـ عليه السلام ـ وحتى عهد نبينا محمد ﷺ.

وقد عرفوا ـ «باليهود»، أَو «بيهود» من قديم الزمان، أَما من آمنوا بعيسى: فقد أَصبحوا يطلق عليهم اسم «النصارى»، وأَما من آمن بخاتم الأنبياءِ: فقد أَصبح في عداد المسلمين، ويعرفون بمسلمي أهل الكتاب».

وقد أكثر اللَّه من خطابهم ببني إسرائيل في القرآن الكريم تذكيراً لهم بأُبوة هذا النبي الصالح، حتى يتأَسوا به، ويتخلقوا بأَخلاقه، ويتركوا ما كانوا عليه من نكران نعم اللَّه عليهم، وعلى آبائهم، وما كانوا يصفون به من الجحود، والغدر، واللؤم، والخيانة وكذلك ذكرهم اللَّه ـ سبحانه ـ باسم اليهود في غير ما آية. وأشهر كتب اليهود هي: التوراة، وقد ذكرها اللَّه في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ * اللَّهُ لا إِلَه إِلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ * نَزَّلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وأَنزَلَ التَّوْرَاةَ والإِنْجِيلَ * مِنْ قَبلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الفُرْقَانَ﴾ [آل عمران: ١ـ ٤]. وقال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ...﴾ [المائدة: ٤٤] والمراد بها: التوراة التي نزلت من عند اللَّه قبل التحريف والتبديل، أما التوراة المحرفة المبدلة، فهي بمعزل عن كونها كلها هداية، وكونها نوراً، ولا سيما بعد نزول القرآن الكريم، الذي هو الشاهد والمهيمن على الكتب السماوية السابقة، فما وافقه فهو حق، وما خالفه فهو باطل.

ومن كتبهم أَيضاً: الزبور، وأَسفار الأنبياء، الذين جاءوا بعد موسى ـ عليه السلام ـ وتسمى التوراة، وما اشتملت عليه من الأَسفار الموسوية وغيرها (بالعهد القديم).

وكان لليهود بجانب التوراة المكتوبة التلمود، وهي التوراة الشفهية، وهو مجموعة

قواعد ووصايا وشرائع دينية وأدبية، ومدنية، وشروح، وتفاسير، وتعاليم، وروايات كانت تتناقل وتدرس شفهياً من حين إلى آخر. . . وقد اتسع نطاق الدرس والتعليم فيه إلى درجة عظيمة جدًا، حتى صار من الصعب حفظه في الذاكرة، ولأجل دوام المطالعة، والمداولة، وحفظاً للأقوال والنصوص، والآراء الأصلية المتعددة والترتيبات، والعادات الحديثة، وخوفاً من نسيانها وفقدانها، مع مرور الزمن، وخصوصاً وقت الاضطهادات، والاضطرابات، قد دَوَّنها الحاخامون بالكتابة سياجاً للتوراة، وقُبلت كَسُنَّة من سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ.

ومن التوراة وشروحها، والأسفار وما اشتملت عليه، والتلمود وشروحه، والأساطير والخرافات، والأباطيل التي افتروها، أو تناقلوها عن غيرهم: كانت معارف اليهود وثقافتهم، وهذه كلها كانت المنابع الأصلية للإسرائيليات التي زخرت بها بعْض كتب التفسير، والتاريخ والقصص والمواعظ، وهذه المنابع إن كان فيها حق، ففيها باطل كثير، وإن كان فيها صدق، ففيها كذب صراح، وإن كان فيها سمين ففيها غَثٌّ كثير، فمن ثم انجَرَّ ذلك إلى الإسرائيليات، وقد يتوسع بعض الباحثين في الإسرائيليات، فيجعلها شاملة لما كان من معارف اليهود، وما كان من معارف النصارى التي تدور حول الأناجيل وشروحها، والرسل وسيرهم، ونحو ذلك، وإنما سميت إسرائيليات؛ لأن الغالب والكثير منها إنما هو من ثقافة بني إسرائيل، أو من كتبهم ومعارفهم، أو من أساطيرهم وأباطيلهم.

والحق: أن ما في كتب التفسير من المسيحيات، أو من النصرانيات هو شيء قليل بالنسبة إلى ما فيها من الإسرائيليات، ولا يكاد يذكر بجانبها، وليس لها من الآثار السيئة ما للإسرائيليات؛ إذ معظمها في الأخلاق، والمواعظ، وتهذيب النفوس، وترقيق القلوب[1].

والمُلاَحَظُ أن الثعالبي ـ رحمه اللَّه ـ ـ كغيره من التفاسير ـ ذكر بعض الإسرائيليات، ولكنه يعقب ما يذكره بما يفيد عدم صحته، أو على الأقل بما يفيد عدم القطع بصحته.

ومن ذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٠].

فالثعالبي يقول: . . وروي في قصص ذلك أن الشيطان أشار على حواء أن تسمي هذا المولود عبد الحارث، وهو اسم إبليس، وقال لها: إن لم تفعلي قتلته، فزعموا أنهما

---

(١) ينظر: «**الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير**»، د. محمد محمد أبو شهبة، ط. مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة ١٤٠٤هـ، ص ٢١ فما بعدها.

أطاعاه. . . . ثم ذكر القصة وقال: قلت: وينزه آدم وحواء عن طاعتهما لإبليس، ولم أقف بعد على صحة ما روي من هذه القصص، ولو صحّ لوجب تأويله. . . . قال: وعلى كل حال: الواجب التوقُّفُ والتَّنْزِيهُ لمن اجْتَبَاهُ اللَّه، وحسن التأويل ما أمكن، وقد قال ابن العربي في توهين هذا القول وتزييفه: وهذا القول ونحوه مذكور في ضعيف الحديث في الترمذي وغيره، وفي الإسرائيليات التي ليس لها ثبات، ولا يعول عليها من له قلب. . . إلخ».

ومنه أيضاً عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لاَ أَرَى الهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الغَائِبِينَ﴾ [النمل: ٢٠].

يقول: وأكثر بعض الناس في قصصها بما رأيت اختصاره؛ لعدم صحته.

ونراه يَنْتَقُدِ ما يروى من آثار إذا خالفت الشَّرْعَ، أو ما لا يليق أن ينسب إلى الوحي.

فمثلاً عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمنِيَّتِهِ﴾ [الحج: ٥٢] ـ يذكر حديث الغرانيق، ثم يحكي عن أئمة المالكية مثل القاضي عياض، وأبي بكر بن العلاء إنكارهم لهذه الرواية، وأمثالها، ثم قال: قال أبو بكر البزار: هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ بإسناد متصل يجوز ذكره. . .» وقد أجمعت الأمة على عِصْمَتِهِ ﷺ، ونَزَاهَتِهِ عن مثل هذا.

ومنه أيضاً ما ذكره في قصَّةِ بني إسرائيل لما سألوا عيسى ابن مريم مائدة من السماء [المائدة: ١١٣ـ ١١٥]، ثم قال: وأكثر الناس في قصص المائدة مما رأيت اختصاره؛ لعدم سنده.

وعلى أية حال، فإن الملاحظ على الثعالبي ـ رحمه اللَّه ـ نُدْرَةُ إيراده للإسرائيليات جداً، فإن أورد بعض ذلك نَبَّهَ عليه؛ كما تقدم.

وصف النسخ المعتمد عليها
في كتاب تفسير «الثعالبي» المسمى
بجواهر الحسان في تفسير القرآن

اعتمدنا في تحقيق الكتاب على أربع نسخ خطية.

ووصفها على النحو التالي:

النسخة الأولى: المحفوظة بدار الكتب المصرية/ تحت رقم (٤٥٣) طلعت، تقع في (٣١٣) ورقة، وسطرتها ٢٨ سطراً؛ ورمزنا لها بالرمز (أ).

النسخة الثانية: المحفوظة بدار الكتب المصرية، تبدأ من الكهف إلى آخر القرآن، تقع تحت رقم (٥) تفسير، الجزء الثاني فقط، ورمزنا لها بالرمز (ب).

النسخة الثالثة: المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (١١٥٧) تفسير، تقع في (٢١٦) ورقة، سطرتها (٣٣) سطراً وهي من مريم إلى آخر القرآن، ورمزنا لها بالرمز (ج).

النسخة الرابعة: المحفوظة بدار الكتب المصرية، وهي من أول الزمر إلى آخر القرآن، وتحت رقم (٤٧) تفسير م، وتقع في (٢٤٨) ورقة، ومسطرتها (١٩) سطراً، ورمزنا لها بالرمز (د)، هذا، وكان من النسخ المطبوعة المعتمد عليها طبعة مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. وقد رمزنا لها بالرمز (ط).

عملنا في الكتاب

قمنا في تحقيق الكتاب بما يلي:

أولاً: المقابلة وإثبات ما كان صواباً في النص ومخالفه في هامش الكتاب، وقمنا بضبط ما أشكل من الكتاب.

ثانيا: عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها.

ثالثاً: تخريج الأحاديث النبوية والآثار.

رابعاً: ترجمة للأعلام الوارد أسمائهم بالكتاب.

خامساً: شرح غريب النص. معتمدين في ذلك على كتب المعاجم.

سادساً: التعليق على بعض المسائل الفقهية.

سابعاً: التعليق على بعض المسائل النحوية المشار إليها في النص.

ثامناً: توثيق للقراءات الواردة في الكتاب، وبيان ما أبهمه المصنف منها.

تاسعاً: توثيق لبعض المصادر التي اعتمد عليها المصنف.

عاشراً: وضع مقدمة للكتاب وترجمة لمؤلفه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

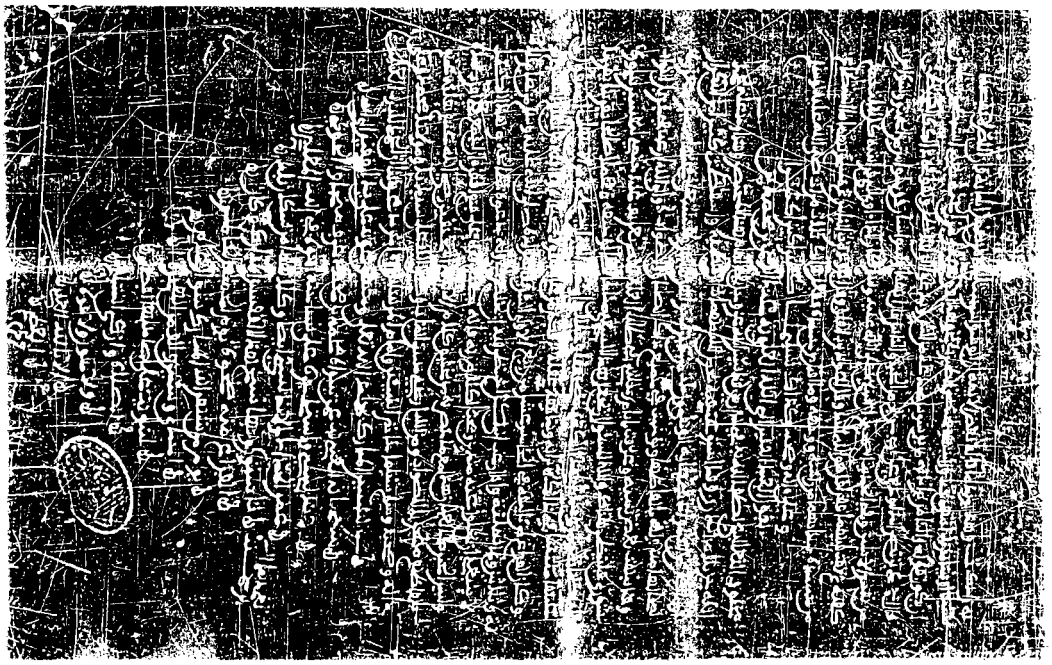

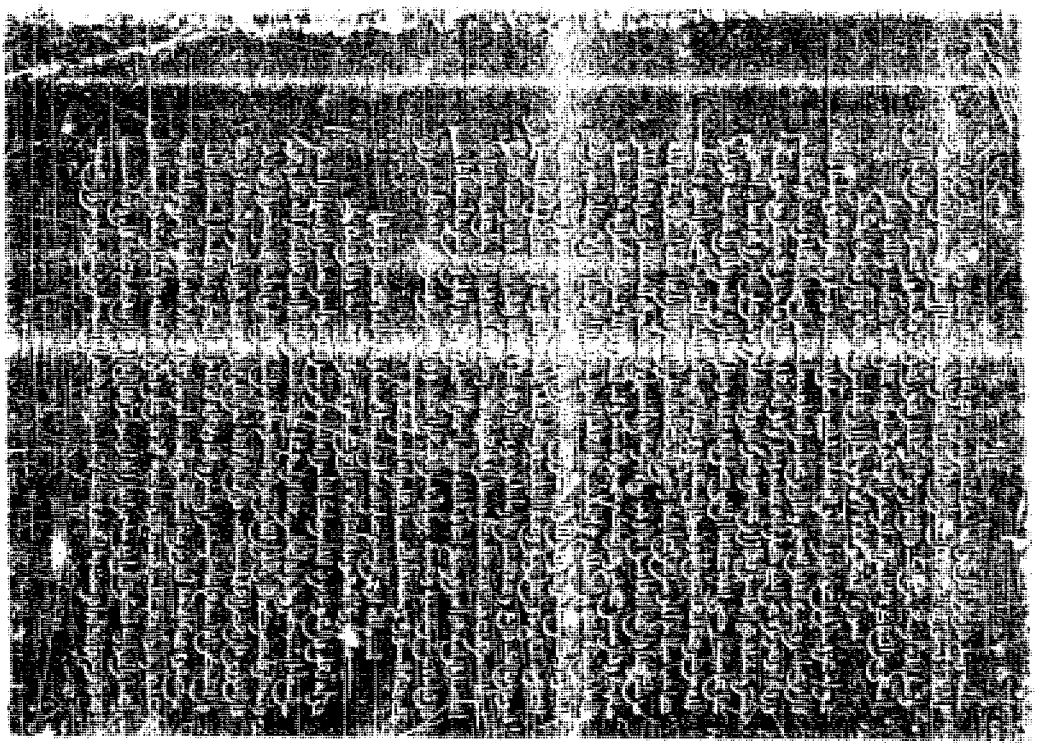

الورقة قبل الأخيرة من نسخة دار الكتب المصرية

الورقة الأخيرة

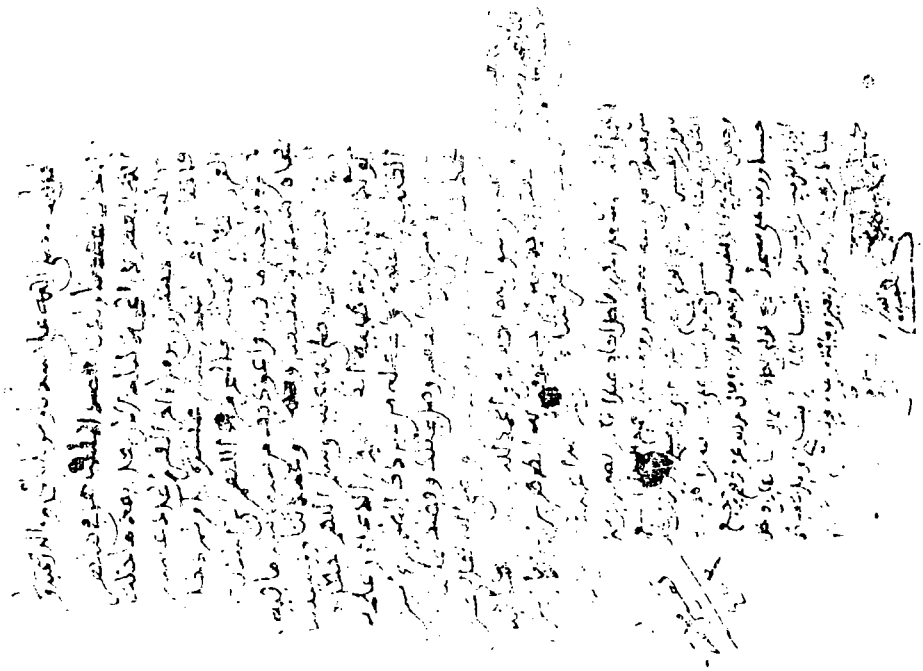

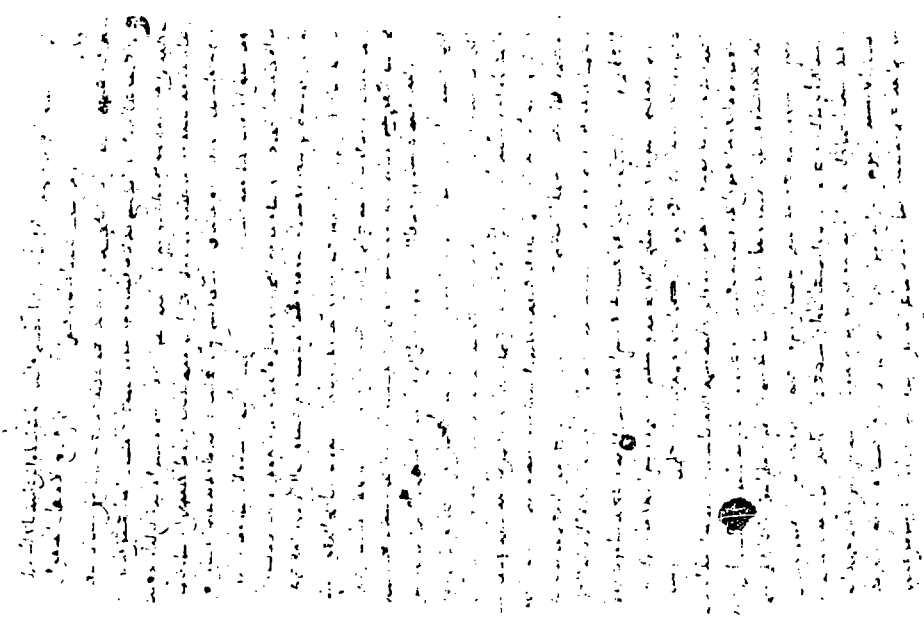

ورقة أولى من نسخة أخرى وهي صعبة القراءة جداً

ورقة ثانية

الجزء الأول من تفسير الثعالبي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى اللَّه على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً

يقولُ العبد الفقير إلى اللَّه تعالى المعترفُ بذنبه، الراجي رحمة ربِّه، عبدُ الرَّحْمَٰنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَخْلُوفٍ الثَّعَالِبِيُّ، لَطَفَ اللَّهُ به في الدَّارَيْن وبسائر المؤمِنِينَ.

الحَمْدُ للَّه ربِّ العالمين، وصلواتُ ربِّنا وسلامه علَى سيدنا محمَّد خاتَمِ النبيِّينَ، وعلى آله وصحبه السادة المكرمين، والحمد للَّه الذي منَّ علينا بالإيمان، وشرَّفنا بتلاوة القرآن، فأشرقَتْ علينا بحمد اللَّه أنواره، وبَدَتْ لذوي المعارف عند التلاوة أسراره، وفَاضَتْ على العارفين عند التدبُّر والتأمّل بحاره، فسبحان مَنْ أَنْزَلَ على عبده الكتاب، وجعله لأهل الفَهْم المتمسكِّين به من أعظم الأسباب؛ ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].

أمَّا بعد، أيُّها الأخ، أَشْرَقَ اللَّه قَلْبي وقلْبَكَ بأنوار اليقين، وجعلني وإيَّاك من أوليائه المتَّقين، الذين شَرَّفهم بِنُزُلِ قُدْسِهِ، وأوحشهم من الخليقة بأُنْسِهِ، وخصَّهم من معرفتِهِ، ومشاهَدَةِ عجائِب ملكوتِهِ، وآثار قدرتِهِ، بما ملأ قلوبهم حَبْرُهُ، وولَّهَ عقولَهُمْ في عظمته حَيْرُهُ، فجعلوا هَمَّهُمْ به واحداً، ولم يَرَوْا في الدارَيْنِ غَيْرَهُ، فهم بمشاهدة كماله وجَلالِهِ يتنعَّمون؛ وبين آثار قدرته وعجائب عظمته يتردَّدون، وبالانقِطاع إلَيْه والتوكُّل عليه يتعزَّزون، لَهِجِينَ بصادق قَوْلِهِ: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١] فإنِّي جمعت لنفسي ولك في هذا المختصر ما أرجو أن يقر اللَّه به عَيْنِي وعينَكَ في الدارَيْن؛ فقد ضمَّنته بحمد اللَّه المُهِمَّ مما اشْتَمَلَ عليه تفسيرُ ابْنِ عطيَّة[1]، وزدتُّهُ فوائد جَمَّةً، من غيره من كتب الأَئِمَّةِ، وثقاتِ أعلام هذه الأُمَّةِ، حسبما رأيته أو رُوِّيتُهُ عن الأَثْبَاتِ، وذلك قريبٌ مِنْ مائة تأليفٍ، وما منها تأليفٌ إلا وهو منسوبٌ لإمامٍ مشهورٍ بالدين، ومعدودٍ في

---

(١) عبد الحق بن غالب بن عطية الغرناطي، كان فقيهاً جليلاً، عارفاً بالأحكام، والحديث، والتفسير، نحوياً، لغوياً، أديباً، روى عنه ابن مضاء وغيره، له «تفسير القرآن العظيم» مات سنة ٥٤١هـ.

ينظر: «طبقات المفسرين» ـ للسيوطي ـ ص ٦٠، ٦١ «بغية الوعاة» (٢/ ٧٣، ٧٤)، «طبقات المفسرين» للداوودي (١/ ٢٦٥).

المحقِّقين، وكُلُّ من نقلْتُ عنه من المفسِّرين شيئاً فمن تأليفه نقلْتُ، وعلى لفظ صاحبِهِ عَوَّلْتُ، ولم أنْقُلْ شيئاً من ذلك بالمعنَى؛ خَوْفَ الوقوع في الزَّلَل، وإنما هي عباراتٌ وألفاظٌ لمن أَعْزُوها إِليه، وما ٱنْفَرَدتُّ بنقله عن الطبريِّ[1]، فمن ٱختصار الشيخ أبي عبد اللَّه محمد بن عبد اللَّه بن أَحْمَدَ اللَّخْمِيِّ النحويِّ لتفسير الطبريِّ ـ نَقَلْتُ؛ لأنه ٱعتنَىٰ بتهذيبه، وقد أَطْنَبَ أبو بَكْرِ بْنُ الخطيبِ في حُسْنِ الثناء على الطبري ومَدْحِ تفسيره، وأَثْنَىٰ عليه غايةً نسأل اللَّه تعالَىٰ أَنْ يعاملنا وإياهم برحمته، وكلُّ ما في آخره ٱنتهَىٰ، فليس هو من كلام ابْنِ عطيَّةَ، بل ذلك مما ٱنفردتُّ بنقله عن غيره، ومَنْ أَشْكَلَ عليه لفظٌ في هذا المختصر، فليراجِعِ الأُمَّهَاتِ المنقُولَ منها، فليصلحْهُ منها، ولا يُصْلِحْهُ برأيه وبديهةِ عَقْلِهِ؛ فَيَقَعَ في الزَّلَلِ من حيثُ لا يَشْعُرُ، وجعلْتُ عَلاَمَةَ التاء لنفسي بدلاً من «قُلْتُ» ومَنْ شاء كتبها «قُلْتُ»، وأمَّا العَيْنُ، فَلِٱبْنِ عطيَّة، وما نقلته من الإعرابِ عن غَيْرِ ٱبْنِ عطية فمن الصَّفَاقُسِيِّ[2] مُخْتَصِرِ أَبِي حَيَّان[3] غالباً، وجعلتُ الصَّادَ علامةً عليه، وربَّما نقلْتُ عن غيره معزُوًّا لمن عنه نَقَلْتُ، وكُلُّ ما نقلْتُهُ عن أبي حَيَّان، فإنما نقلي له بواسطة الصَّفَاقُسِيِّ غالباً، قال الصَّفَاقُسِيُّ: وجعلتُ علامةَ ما زدتُّهُ علَىٰ أبي حَيَّان * م *.

وما يَتَّفِقُ لي إِنْ أَمْكَنَ، فعلامته «قُلْتُ»، وبالجملة فحيثُ أُطْلِقُ فالكلام لأبي

---

(١) أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري، الإمام العلم صاحب التفسير المشهور، مولده سنة ٢٢٤، أخذ الفقه عن الزعفراني والربيع المرادي، وذكر الفرغاني عند عد مصنفاته كتاب: لطيف القول في أحكام شرائع الإسلام، وهو مذهبه الذي اختاره وجوّده واحتج له، وهو ثلاثة وثمانون كتاباً. مات سنة ٣١٠.

انظر: **«طبقات ابن قاضي شهبة»** (١/ ١٠٠)، **«تاريخ بغداد»** (٢/ ١٦٢)، **«تذكرة الحفاظ»** (٢/ ٦١٠).

(٢) هكذا بصاد ثم فاء كما ذكره المؤلف وفي الكتب بالسين ثم فاء، وهو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم، القيسي، السفاقسي، أبو إسحاق، برهان الدين: فقيه مالكي. تفقه في «بجاية»، وحج فأخذ عن علماء «مصر» و «الشام». وأفتى ودرّس سنين. له مصنفات منها **«المجيد في إعراب القرآن المجيد»** ويسمى **«إعراب القرآن»**، و **«شرح ابن الحاجب»** في أصول الفقه.

ينظر: **«الأعلام»** (١/ ٦٣)، و **«الدرر الكامنة»** (١/ ٥٥)، و **«النجوم الزاهرة»** (١٠/ ٩٨).

(٣) محمد بن يوسف بن علي بن حيان بن يوسف، الشيخ الإمام العلامة، الحافظ، المفسر النحوي، اللغوي، أثير الدين، أبو حيان الأندلسي، الجياني، الغرناطي، ثم المصري. ولد في ٦٥٢هـ قرأ العربية على رضي الدين القسنطيني، وبهاء الدين بن النحاس، وغيرهم، سمع نحواً من أربعمائة شيخ، وكان ظاهرياً، فانتمى إلى الشافعية، له مصنفات منها: **«البحر المحيط في التفسير»** و **«النهر في البحر»**، و **«شرح التسهيل»**، و **«ارتشاف الضرب»**. سمع منه الأئمة العلماء، وأضر قبل موته بقليل، توفي بالقاهرة في صفر سنة خمس وأربعين وسبعمائة.

ينظر: **«طبقات ابن قاضي شهبة»** (٣/ ٦٧)، **«الأعلام»** (٨/ ٢٦)، **«طبقات السبكي»** (٦/ ٣١)؛ **«الدرر الكامنة»** (٤/ ٣٠٢).

حَيَّان، وما نقلته من الأحاديث الصِّحَاح والحِسَانِ عن غير البخاريِّ ومُسْلِم وأبي دَاوُد والتِّرْمِذِيِّ في باب الأذكار والدَّعَوَاتِ ـ فَأكثره من «**النَّوَوِيِّ**»[١] و «**سلاح المُؤْمِنِ**»، وفي الترغيب والترهيب وأحوالِ الآخرة فمعظَمُهُ من «**التذكرة**» للقرطبي[٢]، و «**العاقبة**» لعبد الحَقِّ، وربَّما زدتُّ زياداتٍ كثيرةً من «**مصابيح البغويِّ**»[٣] وغيره؛ كما ستقف عليه ـ إن شاء اللَّه تعالى ـ كُلُّ ذلك معزوٌّ لِمَحَالِّهِ، وبالجملة فكتابِي هذا محشوٌّ بنفائسِ الحِكَم، وجواهر السُّنَنِ الصحيحةِ والحسان المأثورةِ عن سيِّدنا محمد ﷺ، وقد قال أبو عُمَرَ بْنُ عبد البَرِّ[٤] في كتاب «**التَّقَصِّي**»[٥]: وَأَوْلَى الأُمُورِ بِمَنْ نَصَحَ نفسه، وألهم رشده ـ معرفةُ

---

(١) يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين بن محمد بن جمعة بن حزام، شيخ الإسلام محيي الدين، أبو زكريا الحزامي النووي، ولد سنة ٦٣١، قرأ القرآن ببلده، وختم وقد ناهز الاحتلام، وكان محققاً في علمه وفنونه، مدققاً في علمه وشؤونه، حافظاً لحديث رسول الله ﷺ، عارفاً بأنواعه من صحيحه وسقيمه وغريب ألفاظه، واستنباط فقهه.. في كثير من المناقب يطول ذكرها صنف «**المنهاج في شرح مسلم**»، و «**المجموع**» و «**الأذكار**» وغيرها. مات سنة ٦٧٧.
انظر: «**طبقات ابن قاضي شهبة**» (٢/ ١٥٣)، «**طبقات السبكي**» (٥/ ١٦٥)، «**النجوم الزاهرة**» (٧/ ٢٧٨).

(٢) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، الأنصاري، الخزرجي، الأندلسي، أبو عبد اللَّه، القرطبي: من كبار المفسرين، صالح متعبد من أهل «قرطبة». رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن خصيب (في شمالي أسيوط، بمصر) وتوفي فيها. من كتبه «**الجامع لأحكام القرآن**» يعرف بتفسير القرطبي، و «**التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة**». وكان ورعاً متعبداً، طارحاً للتكلف، يمشي بثوب واحد وعلى رأسه طاقية.
ينظر: «**الأعلام**» (٥/ ٣٢٢)، «**الديباج**» (٣١٧).

(٣) الحسين بن مسعود بن محمد، العلامة محيي السنة، أبو محمد البغوي، يعرف بالفراء أحد الأئمة، تفقه على القاضي الحسين، وكان ديناً، عالماً، عاملاً على طريقة السلف، قال الذهبي: كان إماماً في التفسير، إماماً في الحديث، إماماً في الفقه. بورك له في تصانيفه ورزق القبول لحسن قصده وصدق نيته. ومن تصانيفه: «**التهذيب**»، و «**شرح المختصر**»، وتفسيره «**معالم التنزيل**». وغيرها. مات سنة ٥١٦.
انظر: «**طبقات ابن قاضي شهبة**» (١/ ٢٨١)، «**وفيات الأعيان**» (١/ ٤٠٢)، «**تذكرة الحفاظ**» (٤/ ١٢٥٨)، و «**الأعلام**» (٢/ ٢٨٤)، «**شذرات الذهب**» (٤/ ٤٨)، «**النجوم الزاهرة**» (٥/ ٢٢٤).

(٤) يوسف بن عبد اللَّه بن محمد بن عبد البر النمري، القرطبي، المالكي، أبو عمر: من كبار حفّاظ الحديث، مؤرخ أديب، بحّاثة، يقال له: حافظ المغرب، ولد بقرطبة سنة ٣٦٨هـ، وتوفي بشاطبة سنة ٤٦٣هـ، من تصانيفه: «**الدرر في اختصار المغازي والسير**» و «**الاستيعاب**» و «**جامع بيان العلم وفضله**» و «**المدخل**» من القراءات، و «**بهجة المجالس وأنس المجالس**» و «**الاستذكار من شرح مذاهب علماء الأمصار**» و «**الإنباه على قبائل الرواة**» و «**الإنصاف فيما بين العلماء من الاختلاف**».
ينظر: «**الأعلام**» (٨/ ٢٤٠)، «**وفيات الأعيان**» (٢/ ٣٤٨)، «**بغية الملتمس**» (٤٧٤).

(٥) «**تجريد التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**»، أو «**التقصي لحديث الموطأ وشيوخ الإمام مالك**»، ص ٩.

السبنِ التي هي البيانُ لمُجْمَلِ القرآن بها يُوصَلُ إلى مراد اللَّه تعالى مِنْ عباده فيما تعبَّدهم به من شرائع دينه الذي به ٱلاِبتلاء، وعليه الجزاء، في دار الخلود والبَقَاء، التي لها يَسْعَى الألِبَّاء العقلاء، والعلماءُ الحكماء، فَمَنْ مَنَّ اللَّه عليه بحِفْظ السُّنَنِ والقرآن، فقد جعل بيده لواء الإيمان، فَإِنْ فَقِهَ وَفَهِمَ، واستعمل ما عَلِمَ ـ دُعِيَ في ملكوت السمواتِ عظيماً، ونال فضلاً جسيماً ـ انتهى، واللَّه أَسْأَلُ أنْ يجعَل هذا السعْيَ خالصاً لوجهه، وعملاً صالحاً يقربنا إلى مرضاته، وحسبنا اللَّه ونعم الوكيل، ولا حول ولا قُوَّة إلا باللَّه العليِّ العظيم.

وَسَمَّيْتُهُ بِـ «الْجَوَاهِرِ الْحِسَانِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ»

أسأل اللَّه أن ينفع به كُلَّ من حَصَّله، وصلى اللَّه علَىٰ سيدنا محمَّد، وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً عَدَدَ ما ذكره الذاكرُونَ، وغَفَلَ عن ذكره الغافلون، وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رب العالمين.

وها أنا ـ إن شاء اللَّه ـ أشرَعُ في المقصودِ وأَلْتَقِطُ من كَلاَمِ ابن عطيَّةَ ـ رحمه اللَّه ـ ما ستقفُ عليه من النُّبَذِ الحسنة المختارَةِ ما تَقَرُّ به العينُ، وإذا نقلتُ شيئاً من غيره، عَزَوْتُهُ لصاحبه؛ كما تقدَّم.

قال * ع[1] * ـ رحمه اللَّه ـ بعد كلام في أثناء خُطْبته: ولما أردتُ أَنْ أختار لنَفسِي؛ وأَنْظُرَ في عِلْم أَعُدُّ أَنْوَارَهُ لِظُلَمِ رَمْسِي، سَبَرْتُ العُلُومَ بالتنويع والتقسيم، وعلمْتُ أَنَّ شَرَفَ العلْم علَىٰ قَدْرِ شَرَفِ المعلوم؛ فوجدتُّ أَمْتَنَهَا حبالاً، وأرسَخَهَا جبَالاً، وأجمَلَهَا آثاراً؛ وأسطَعَهَا أنوارًا ـ عِلْمَ كتابِ اللَّه جلَّتْ قُدْرَتُهُ، وتقدَّسَتْ أسماؤه، الذي ﴿لاَ يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢] الذي استقلَّ بالسُّنَّةِ والفَرْضِ، ونزل به أمينُ السماء إِلَىٰ أمين الأرضِ، وأيقنْتُ أنه أَعْظَمُ العلوم تقريباً إلى اللَّه تعالَىٰ، وتخليصاً للنِّيَّاتِ، ونهياً عن الباطِلِ، وحَضًّا على الصالحاتِ؛ إِذْ لَيْسَ من علوم الدنيا؛ فيختلَّ حاملهِ منْ مَنَازِلَهَا صَيْداً، ويمشي في التَلطُّف لها رُوَيْداً، ورجوْتُ أنَّ اللَّه تعالى يُحَرِّمَ على النَّار فِكْراً عَمَّرَتْهُ أَكْثَرَ عُمْرِهِ مَعَانِيهِ، ونَفْساً مَيَّزَتْ بَرَاعَةَ رَصْفِهِ ومبانيه، ثم قال: قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾ [المزمل: ٥] قال المفسِّرون: أَيْ: عِلْمَ معانيه، والعَمَلَ بها، وقد قال النبيُّ ﷺ: «قَيِّدُوا العِلْمَ بِالكَتْبِ»[2]؛ ففزِعْتُ إلى تعليق ما

---

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (١/ ٣٤ـ ٣٦).

(٢) ورد هذا الحديث عن جماعة من الصحابة، وهم: أنس بن مالك، وعبد اللَّه بن عمرو، وعبد اللَّه بن عباس. =

يُتَنَخَّلُ لي في المناظرةِ مَنْ عِلْم التفسير، قال: ولنقدِّمْ بَيْنَ يَدَيِ القولِ في التفسيرِ أشياء قد قَدَّمَ

= * حديث أنس بن مالك:

أخرجه ابن شاهين في «**الناسخ والمنسوخ**» (ص ٢٧٤ـ بتحقيقنا) والخطيب في «**تاريخ بغداد**» (١٠/ ٤٦)، وفي «**تقييد العلم**» (ص ـ ٧٠) وفي «**الجامع لأخلاق الراوي**» (١/ ٢٢٨)، رقم (٤٤٠)، وابن الجوزي في «**العلل المتناهية**» (١/ ٨٦)، رقم (٩٤)، وابن عبد البر في «**جامع بيان العلم**» (١/ ٣٠٦)، كلهم من طريق عبد الحميد بن سليمان، عن ابن المثنى، عن عمه ثمامة بن أنس، عن أنس بن مالك مرفوعاً.

وقال الخطيب في «**التقييد**»: تفرد برواية هذا الحديث عبد الحميد بن سليمان الخزاعي المدني أخو فليح عن عبد اللّه بن المثنى مرفوعاً، وغيره يرويه موقوفاً على أنس، وقال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح؛ تفرد بروايته مرفوعاً عبد الحميد، قال يحيى بن معين وأبو داود: ليس بثقة. وقال الدارقطني: ضعيف الحديث. قال: ووهم ابن المثنى في رفعه، والصواب: عن ثمامة، عن أنس أنه كان يقول ذلك لبنيه، ولا يرفعه .اهـ.

وعبد الحميد بن سليمان قال الحافظ في «**التقريب**» (١/ ٤٦٨): ضعيف.

وقال العسكري كما في «**المقاصد**» (ص ٥٥): ما أحسبه من كلام النبي ﷺ، وأحسب عبد الحميد وهم فيه، وإنه من قول أنس؛ فقد روى عبد اللّه بن المثنى عن ثمامة قال: كان أنس يقول لبنيه: يا بني قيدوا العلم بالكتاب .اهـ.

وللحديث طريق آخر مرفوع.

أخرجه أبو نعيم في «**أخبار أصبهان**» (٢/ ٢٢٨) والقضاعي في «**مسند الشهاب**» (٦٣٧) كلاهما من طريق إسماعيل بن أبي أويس، عن إسماعيل بن إبراهيم ابن أخي موسى بن عقبة، عن الزهري، عن أنس مرفوعاً به. وإسماعيل بن أبي أويس، قال الحافظ في «**التقريب**» (١/ ٧١): صدوق، أخطأ في أحاديث من حفظه.

وقد ورد هذا الحديث موقوفاً على أنس كما أشار إليه بعضهم كما تقدم.

والموقوف أخرجه الدارمي (١/ ١٢٦ـ ١٢٧)، باب: من رخص في كتابه العلم، وأبو خيثمة في «**العلم**» رقم (١٢٠)، والطبراني في «**الكبير**» (١/ ٢٤٦)، رقم (٧٠٠)، والحاكم (١/ ١٠٦)، والخطيب في «**تقييد العلم**» ص (٩٦)، وابن سعد في «**الطبقات الكبرى**» (٧/ ١٦)، والرامهرمزي في «**المحدث الفاصل**» (ص ـ ٣٦٨)، وابن عبد البر في «**جامع بيان العلم**» (١/ ٣١٦)، كلهم من طريق عبد اللّه بن المثنى الأنصاري، عن ثمامة، عن أنس موقوفاً.

والحديث ذكره الهيثمي في «**مجمع الزوائد**» (١/ ١٥٥) وقال: رواه الطبراني في «**الكبير**»، ورجاله رجال الصحيح، وعبد اللّه بن المثنى قال الحافظ في «**هدي الساري**» (ص ـ ٤٣٦): وثقه العجلي والترمذي، واختلف فيه قول الدارقطني، وقال ابن معين وأبو زرعة وأبو حاتم صالح، وقال النسائي: ليس بالقوي وقال الساجي: فيه ضعف، ولم يكن من أهل الحديث، وروى مناكير، وقال العقيلي: لا يتابع على أكثر حديثه. قلت: لم أر البخاري احتج به إلا في روايته عن عمه ثمامة، فعنده عنه أحاديث، وأخرج له من روايته عن ثابت عن أنس حديثاً توبع فيه عنده، وهو في فضائل القرآن، وأخرج له أيضاً في اللباس عن مسلم بن إبراهيم عنه عن عبد اللّه بن دينار عن ابن عمر في النهي عن القزع بمتابعة نافع وغيره عن ابن عمر، وروى له الترمذي وابن ماجه.

وقال في «**التقريب**» (١/ ٤٤٥): صدوق كثير الغلط. =

أَكْثَرَهَا المفسِّرون، وأشياءَ ينبغي أنْ تكون راسخةً في حفظِ الناظِرِ في هذا العَلْمِ مجتمعةً لذهنِهِ.

= * حديث عبد اللَّه بن عمرو:
أخرجه الحاكم (١/ ١٠٦)، والخطيب في «**تقييد العلم**» (ص ٦٩)، والطبراني في «**الأوسط**» (١/ ٤٦٩) رقم (٨٥٢)، وابن الجوزي في «**العلل المتناهية**» (١/ ٨٧)، رقم (٩٦) كلهم من طريق عبد اللَّه بن المؤمل، عن ابن جريج، عن عطاء، عن عبد اللَّه بن عمرو قال: قلت يا رسول اللَّه: أقيد العلم؟ قال: نعم، قلت: وما تقييده؟ قال: الكتابة.
وضعفه الحاكم، وقال الذهبي: ابن المؤمل ضعيف.
تنبيه: وقع في «**المعجم الأوسط**» عبد اللَّه بن المؤمل، عن عطاء، ولم يذكر ابن جريج.
وقد اضطرب عبد اللَّه بن المؤمل في إسناد هذا الحديث، فرواه كما تقدم، ورواه مرة، عن ابن أبي مليكة، عن عبد اللَّه بن عمرو، أخرجه الخطيب في «**تقييد العلم**» (ص ـ ٦٨)، والرامهرمزي في «**المحدث الفاصل**» (ص ٣٦٤)، وأخرجه الخطيب أيضاً في «**الجامع لأخلاق الراوي**» (١/ ٢٢٨)، رقم (٤٣٩)، وابن الجوزي في «**العلل المتناهية**» (١/ ٨٦) رقم (٩٥) كلهم من طريق سريج بن النعمان عنه به.
وقد ضعف ابن الجوزي هذا الطريق والذي قبله، فقال: هذه الطرق كلها لا تصح، أما الطريقان الأولان ففيهما عبد اللَّه بن المؤمل قال أحمد: أحاديثه مناكير. وقال يحيى بن معين: ضعيف، وقال أبو حاتم بن حبان: لا يجوز الاحتجاج بخبره إذا انفرد .اهـ.
واضطرب فيه ابن المؤمل مرة ثالثة، فرواه عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده.
أخرجه الخطيب البغدادي في «**تقييد العلم**» (ص ـ ٦٩)، وقد توبع ابن المؤمل على هذا، تابعه ابن أبي ذئب: أخرجه الرامهرمزي في «**المحدث الفاصل**» (ص ٣٦٤)، والخطيب في «**تقييد العلم**» (ص ـ ٦٩)، وابن الجوزي في «**العلل المتناهية**» (١/ ٨٧)، رقم (٩٧)، كلهم من طريق إسماعيل بن يحيى، عن ابن أبي ذئب، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده به.
ونقل ابن الجوزي، عن الدارقطني قوله: تفرد به إسماعيل بن يحيى، عن ابن أبي ذئب.
وقال ابن الجوزي: فيه إسماعيل بن يحيى، قال ابن عدي: يحدث عن الثقات بالبواطيل، وقال ابن حبان: يروي الموضوعات عن الثقات وما لا أصل له عن الأثبات، لا يحل الرواية عنه بحال، وقال الدارقطني: كذاب متروك.
* حديث ابن عباس:
أخرجه ابن عدي في «**الكامل**» (٢/ ٧٩٢) من طريق حفص بن عمر بن أبي العطاف، عن أبي الزناد، عن الأعرج. عن ابن عباس مرفوعاً.
وقال ابن عدي: وحفص بن عمر حديثه منكر.
والحديث من هذه الطرق يحتمل التحسين، وله شواهد موقوفة عن عمر بن الخطاب، وابن عباس.
* أثر عمر:
أخرجه ابن أبي شيبة (٩/ ٤٩)، والدارمي (١/ ١٢٧)، والخطيب في «**تقييد العلم**» (ص ٨٨)، والحاكم (١/ ١٠٦) من طريق ابن جريج، عن عبد اللَّه بن عبد الملك بن أبي سفيان، عن عمه عمرو بن أبي سفيان، عن عمر، فذكره. وصححه الحاكم.
* أثر ابن عباس:
أخرجه الخطيب في «**تقييد العلم**» ص (٩٢) من طريق عكرمة بن عمار، عن يحيى بن أبي كثير. قال: =

بَابٌ فِي فَضْلِ القُرْآن(١)

قال رسولُ اللَّه ﷺ: «إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتَنٌ؛ كَقِطَعِ اللَّيْلِ المُظْلِمِ، قِيلَ: فَمَا النَّجَاةُ مِنْهَا، يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: كِتَابُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ فِيهِ نَبَأُ مَنْ قَبْلَكُمْ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، وَهُوَ فَصْلٌ؛ لَيْسَ بِالهَزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ تَجَبُّراً، قَصَمَهُ اللَّهُ، وَمَنِ ٱبْتَغَى الهُدَىٰ فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ، وَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ المَتِينُ، وَنُورُهُ المُبِينُ، وَالذِّكْرُ الحَكِيمُ، وَالصِّرَاطُ المُسْتَقِيمُ، هُوَ الَّذِي لاَ تَزِيغُ بِهِ الاهْوَاءُ، وَلاَ تَتَشَعَّبُ مَعَهُ الآراءُ، وَلاَ يَشْبَعُ مِنْهُ العُلَمَاءُ، وَلاَ يَمَلُّهُ الأَتْقِيَاءُ، مَنْ عَلِمَ عِلْمَهُ سَبَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنِ ٱعْتَصَمَ بِهِ، فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»(٢)، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَرَادَ عِلْمَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، فَلْيُثَوِّرِ القُرْآنَ»(٣)، وقال ﷺ: «إِنَّ الَّذِي يَتَعَاهَدُ القُرْآنَ، وَيَشْتَدُّ عَلَيْهِ لَهُ أَجْرَانِ، وَالَّذِي يَقْرَؤُهُ وَهُوَ خَفِيفٌ عَلَيْهِ مَعَ السَّفَرَةِ الكِرَامِ البَرَرَةِ»(٤)، وقال ﷺ: «ٱتْلُوا هَذَا القُرْآنَ،

= قال ابن عباس: قيدوا العلم بالكتاب.
وسنده ضعيف؛ فرواية عكرمة بن عمار عن يحيى مضطربة.

(١) هذا الباب يوجد في «**المحرر الوجيز**» (١/ ٣٦) هكذا: باب: ما ورد عن النبي ﷺ، وعن الصحابة، وعن نبهة العلماء، في فضل القرآن المجيد، وصورة الاعتصام به.

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ١٧٢)، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضائل القرآن، حديث (٢٩٠٦)، والدارمي (٢/ ٤٣٥)، كتاب فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القرآن، كلاهما من طريق الحسين بن علي الجعفي، عن حمزة الزيات، عن أبي المختار الطائي، عن ابن أخي الحارث الأعور، عن الحارث، عن علي به.
وقال الترمذي: هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسناده مجهول، وفي الحارث مقال.
وذكره السيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ٣٣٧)، وعزاه إلى ابن أبي شيبة، والدارمي، والترمذي، ومحمد بن نصر، وابن الأنباري في «**المصاحف**».

(٣) ذكره المتقي الهندي في «**كنز العمال**» (١/ ٥٤٨) رقم (٢٤٥٤)، وعزاه إلى الديلمي، عن أنس مرفوعاً، وقد ورد هذا الحديث عن ابن مسعود لكن موقوفاً، فأخرجه الطبراني في «**الكبير**» (٩/ ١٤٦)، رقم (٨٦٦٥) من طريق زهير، عن أبي إسحاق، عن مرة، عن ابن مسعود، وذكره الهيثمي في «**المجمع**» (٧/ ١٦٨)، وقال: رواه الطبراني بأسانيد، ورجال أحدها رجال الصحيح.
وأخرجه الطبراني أيضاً (٩/ ١٤٦)، رقم (٨٦٦٦) من طريق شعبة، عن أبي إسحاق، عن مرة، عن عبد اللَّه قال: «من أراد العلم فليثور القرآن، فإن فيه علم الأولين والآخرين» وأخرجه ابن المبارك في «**الزهد**» (ص ٢٨٠)، رقم (٨١٤)، والفريابي في «**فضائل القرآن**» (ص ـ ١٩٧)، رقم (٧٨)، وأبو عبيد في «**فضائل القرآن**» (ص ٣٦) رقم (٨٠). وابن أبي شيبة (١٠/ ٤٨٥)، رقم (١٠٠٦٧) كلهم من طريق سفيان، عن أبي إسحاق، عن مرة، عن ابن مسعود قال: «إذا أردتم العلم فأثيروا القرآن، فإن فيه علم الأولين والآخرين».

(٤) أخرجه البخاري (٨/ ٥٦٠)، كتاب التفسير، باب سورة «عبس»، حديث (٤٩٣٧)، ومسلم (١/ ٥٥٠)، =

١٢٤ ـــــــ

مَالِكٍ[١] عن رسُولِ اللَّه ﷺ أنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَرَأَ مِائَةَ آيَةٍ، كُتِبَ مِنَ القَانِتِينَ، وَمَنْ قَرَأَ مِائَتَيْ آيَةٍ، لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الغَافِلِينَ، وَمَنْ قَرَأَ ثَلاثَمِائَةِ آيَةٍ، لَمْ يُحَاجِّهِ القُرْآنُ»[٢]، قال الشيخُ يَحْيَى بْنُ شَرَفٍ النوويُّ[٣]: اعْلَمْ أنَّ قراءة القرآن آكَدُ الأذكارِ، وأفضلُهَا؛ فينبغي المداوَمةُ عليها؛ فلا يخلُو عنها يوماً وليلةً، ويحصُلُ له أصْلُ القراءةِ بقراءةِ الآياتِ القليلةِ، والمطلوبُ القراءةُ بالتدبُّر والخشوعِ والخضوعِ، وقد رُوِّينَا فِي كتابِ ابْنِ السُّنِّيِّ عن أَنَسٍ، عن النبيِّ ﷺ؛ أَنَّهُ قَال: «مَنْ قَرَأَ خَمْسِينَ آيَةٍ، لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الغَافِلِينَ، ومن قَرَأَ مِائَةَ آيَةٍ، كُتِبَ مِنَ القَانِتِينَ، وَمَنْ قَرَأَ مِائَتَيْ آيَةٍ، لَمْ يُحَاجِّهِ القُرْآنُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَمَنْ قَرَأَ خِمْسَمِائَةِ آيَةٍ، كُتِبَ لَهُ قِنْطَارٌ مِنَ الأَجْرِ»، وفي روايةٍ: «مَنْ قَرَأَ أَرْبَعِينَ آيَةً بدل: «خَمْسِينَ»، وفي رواية: «عِشْرِينَ[٤] آيَةً» وفي روايةٍ عن أبي هريرة[٥] عن النبي ﷺ: «مَنْ قَرَأَ عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ

---

(١) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار ـ واسمه تيم اللَّه ـ بن ثعلبة بن عمرو بن خزرج بن حارثة.
أبو حمزة. الأنصاري. الخزرجي. النجاري من بني عدي بن النجار. خادم رسول الله ﷺ. توفي سنة ٩٠ وقيل غير ذلك.
ينظر ترجمته في: **«أسد الغابة»** (٢٥٨/١/١٥١)، **«الإصابة»** (١/٧١)، **«تجريد أسماء الصحابة»** (١/٣١)، **«الاستيعاب»** (١/١٠٩)، **«الثقات»** (٣/٤)، **«سير أعلام النبلاء»** (٣/٣٩٥)، **«الجرح والتعديل»** (٢/١٠٣٦)، **«الأعلام»** (٢/٢٤)، **«العبر»** (١/١٠٧)، **«تهذيب الكمال»** (١/١٢٢)، **«تقريب التهذيب»** (١/١٤)، **«الوافي بالوفيات»** (٩/٤١١)، **«تاريخ الثقات»** (٧٣).

(٢) أخرجه ابن السني في **«عمل اليوم والليلة»** رقم (٦٧٩).

(٣) ينظر: **«الأذكار»** ص ١٣٣، بتصرف.

(٤) أخرجه ابن السني في **«عمل اليوم والليلة»** رقم (٦٧٩).

(٥) أبو هريرة بن عامر بن عبد ذي الشَّرَى بن طريف بن عتاب بن أبي صعب بن منبه بن سعد بن ثعلبة بن سليم بن فهم بن غنم بن دوس بن عدنان بن عبد اللَّه بن زهران بن كعب. الدوسي. وقيل في نسبه غير ذلك. واختلف في اسمه اختلافاً كثيراً. ذكره ابن حجر في **«الإصابة»** وقد عدد من أقوالهم في اسمه الشيء الكثير.
قال ابن الأثير:
أبو هريرة ـ الدوسي صاحب رسول الله ﷺ وأكثرهم حديثاً عنه، وهو دوسي.. وقد اختلف في اسمه اختلافاً كثيراً لم يختلف في اسم آخر مثله ولا ما يقاربه.. وقيل: رآه رسول الله ﷺ وفي كمه هرة فقال: «يا أبا هريرة».
وفاته: قيل توفي سنة (٥٧)، وله (٧٨ سنة)، قيل: مات بـ «العقيق»، وحمل إلى المدينة.
ينظر ترجمته في: **«أسد الغابة»** (٦/٣١٨)، **«الإصابة»** (٧/١٩٩).، **«الاستيعاب»** (١٧٦٨)، **«تجريد أسماء الصحابة»** (٢/٢٠٩)، **«تهذيب الكمال»** (٣/١٦٥٥)، **«تهذيب التهذيب»** (١٢/٢٦٢)، **«الكنى والأسماء»** (١/٦٠)، **«المغني»** (٢٩٨)، **«الكاشف»** (٣/٣٨٥)، **«الأنساب»** (٥/٤٠٢)، **«تنقيح المقال»** (٣/٣٨)، **«معرفة الثقات»** (٢٢٧٥٦)، **«تاريخ الثقات»** (٢٠٦١).

مِنَ الغَافِلِينَ»[١]، وجاء في الباب أحاديث كثيرةٌ بنحو هذا. انتهى من «**الحِلْيَةِ**».

وروى ابنُ عبَّاس[٢] عن النبي ﷺ أنه قال: «أَشْرَافُ أُمَّتِي حَمَلَةُ القُرْآنِ»[٣]، وروى أنس بن مالك؛ أنَّ رسول اللَّه ﷺ قال: «القُرْآنُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ وَمَاحِلٌ مُصَدَّقٌ، وَمَنْ شَفَعَ لَهُ القُرْآنُ نَجَا، وَمَنْ مَحَلَ به القُرْآنُ يَوْمَ القِيَامَةِ، كَبَّهُ اللَّهُ لِوَجْهِهِ فِي النَّارِ»[٤]، وَأَحَقُّ مَنْ شَفَعَ

---

(١) أخرجه ابن السني في «**عمل اليوم والليلة**» (ص ١٨٨)، رقم (٧٠٢)، و «**الحاكم**» (١/ ٥٥٥)، كلاهما من طريق محمد بن إبراهيم الصوري، عن مؤمل بن إسماعيل، عن حماد بن سلمة، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة به وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه.
ووافقه الذهبي.
قلت: ومؤمل بن إسماعيل. وثقه ابن معين وإسحاق بن راهويه.
وقال ابن سعد: ثقة كثير الغلط.
وقال الدارقطني: كثير الخطأ.
وقال الساجي: صدوق كثير الخطأ، وله أوهام يطول ذكرها.
وقال أبو حاتم: صدوق شديد السنة، كثير الخطأ.
وقال البخاري: منكر الحديث.
وقد لخص الحافظ هذه الأقوال في «**التقريب**» فقال: صدوق إلا أنه سيىء الحفظ.
ينظر: «**الجرح والتعديل**» (٨/ ٣٧٤)، و «**التقريب**» (٢/ ٥٥٥) و «**التهذيب**» (١٠/ ٣٨٠ـ ٣٨١).

(٢) هو: عبد اللَّه بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف أبو العباس. القرشي. الهاشمي. ابن عم رسول اللَّه ﷺ. أمه: أم الفضل لبابة بنت الحارث. الهلالية.
ولد وبنو هاشم بالشِّعب قبل الهجرة بثلاث، وقيل: بخمس. كان يسمى «البحر» لسعة علمه، ويسمى «حبر الأمة»، ويسمى «ترجمان القرآن»، وهو من صغار الصحابة توفي النبي ﷺ وله على أرجح الأقوال ثلاث عشرة سنة. توفي بـ «الطائف» سنة ٦٨ وله (٧١ أو ٧٢ أو ٧٤).
ينظر ترجمته في: «**الإصابة**» (٤/ ٩٠)، «**أسد الغابة**» (٣/ ٢٩٠)، «**الاستيعاب**» (٣/ ٩٣٣)، «**تجريد أسماء الصحابة** (١/ ٣٢٠)، «**التاريخ الكبير**» (٣/ ٣، ٥) «**الجرح والتعديل**» (٥/ ١١٦)، «**العبر**» (١/ ٤١)، «**الأعلام**» (٤/ ٩٥)، «**شذرات الذهب**» (١/ ٧٥) «**صفوة الصفوة**» (١/ ٧٤٦).

(٣) أخرجه السهمي في «**تاريخ جرجان**» (ص ـ ٤٩٤)، والطبراني في «**الكبير**» (١٢/ ١٢٥)، رقم (١٢٦١٢)، والبيهقي في «**شعب الإيمان**» (٢/ ٥٥٦)، رقم (٢٧٠٣)، والخطيب في «**تاريخ بغداد**» (٤/ ١٢٤)، كلهم من طريق سعد بن سعيد الجرجاني: ثنا نهشل بن عبد اللَّه، عن الضحاك، عن ابن عباس مرفوعاً.
والحديث ذكره الهيثمي في «**مجمع الزوائد**» (٧/ ١٦٤)، وقال: وفيه سعد بن سعيد الجرجاني، وهو ضعيف.
والحديث ضعفه المنذري في «**الترغيب**» (٩١٩).

(٤) أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب «**فضائل القرآن**» كما في «**تخريج الكشاف**» للزيلعي (٢/ ١٨٧، ١٨٨) من طريق حجاج عن ابن جريج قال: حدثت عن أنس، فذكره وقال الزيلعي: وفيه انقطاع، وحجاج ضعيف.
=

لَهُ القُرْآنُ أَهْلُهُ وَحَمَلَتُهُ، وَأَوْلَىٰ مَنْ مَحَلَ بِهِ مَنْ عَدَلَ عَنْهُ، وَضَيَّعَهُ، وقال قوم من الأنصار للنبي ﷺ: «أَلَمْ تَرَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ثَابِتَ بْنَ قَيْسٍ[1]؛ لَمْ تَزَلْ دَارُهُ البَارِحَةَ يَزْهَرُ فِيهَا وَحَوْلَهَا أَمْثَالُ المَصَابِيحِ؟! فَقَالَ لَهُمْ: فَلَعَلَّهُ قَرَأَ سُورَةَ البَقَرَةِ، فَسُئِلَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ فَقَالَ: نَعَمْ، قَرَأْتُ سُورَةَ البَقَرَةِ»[2]، وفي هذا المعنىٰ حديث صحيحٌ عن أُسَيْدِ بنِ حُضَيْرٍ[3] في تنزُّل

= وللحديث شواهد من حديث جابر وابن مسعود.

* حديث جابر:

أخرجه ابن حبان (١٧٩٣ـ موارد)، والبزار (١/ ٧٨ـ كشف)، رقم (١٢٢)، كلاهما من طريق أبي كريب محمد بن العلاء: ثنا عبد اللّه بن الأجلح، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر عن النبي ﷺ قال: «القرآن شافع مشفع، وماحل مُصدَّقٌ، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلف ظهره ساقه إلى النار».

وصححه ابن حبان.

وقال البزار: لا نعلم أحداً يرويه عن جابر إلاّ من هذا الوجه وذكره الهيثمي في **«مجمع الزوائد»** (١/ ١٧٤)، وقال: ورجال حديث جابر المرفوع ثقات.

* حديث ابن مسعود:

أخرجه أبو نعيم في **«الحلية»** (٤/ ١٠٨)، والطبراني في **«الكبير»** (١٠/ ٢٤٤)، رقم (١٠٤٥٠)، كلاهما من طريق هشام بن عمار: ثنا الربيع بن بدرٍ، عن الأعمش، عن شقيق أبي وائل، عن ابن مسعود مرفوعاً.

وقال أبو نعيم: غريب من حديث الأعمش، تفرد به عنه الربيع.

(١) ثابت بن قيس بن الشماس بن زهير بن مالك. أبو عبد الرحمن وأبو محمد. الأنصاريّ الخزرجي. خطيب الأنصار. قال ابن الأثير: كان ثابت خطيب الأنصار، وخطيب النبي ﷺ كما كان حسان شاعره. . شهد أحداً وما بعدها، وقتل يوم اليمامة في خلافة أبي بكر شهيداً. روى عنه أنس بن مالك وأولاده.

ينظر ترجمته في: **«تجريد أسماء الصحابة»** (١/ ٦٤)، **«الاستيعاب»** (١/ ٢٠٠)، **«الاستبصار»** (١/ ١١٧)، **«الإصابة»** (١/ ٢٠٣)، **«أسد الغابة»** (١/ ٢٧٥)، **«الثقات»** (٣/ ٤٣)، **«تقريب التهذيب»** (١/ ١١٦)، **«تهذيب التهذيب»** (٢/ ١٢)، **«تهذيب الكمال»** (١/ ٣٦٨)، **«الكاشف»** (١/ ١٧١)، **«التاريخ الكبير»** (٥/ ١٦٧)، **«الجرح والتعديل»** (٢/ ٤٥٦)، **«سير أعلام النبلاء»** (١/ ٣٠٨).

(٢) أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب: **«فضائل القرآن»** كما في **«تفسير ابن كثير»** (١/ ٣٣)، قال حدثنا عباد بن عباد، عن جرير بن حازم، عن عمه جرير بن يزيد؛ أن أشياخ أهل المدينة حدثوه، فذكروا الحديث.

وقال ابن كثير: وهذا إسناد جيد إلا أن فيه إبهاماً، ثم هو مرسل.

(٣) هو: أُسيد بن الحضير بن سماك بن عتيك بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهل. . قيل كنيته: أبو حضير، أبو عمرو، أبو عيسى، أبو يحيى، أبو عتيك. الأنصاري. الأشهلي الأوسي، شهد العقبة الثانية، وكان نقيباً لبني عبد الأشهل. اختلف في شهوده بدراً، وشهد أحداً وكان ممن ثبت يومها، وجرح حينئذ سبع جراحات، قال ابن إسحاق: حدثنا يحيى بن عباد بن عبد اللّه بن الزبير، عن أبيه، عن=

الملائكة في الظُّلَّة لصوته بقراءة سورة البقرة[١].

قلْتُ: وفي رواية سورة الكهف.

وهذا الحديث خرَّجه البخاري، ومسلم، والترمذي، والنَّسَائيُّ. انتهى.

وقال عُقْبَة بن عامر[٢]: «عَهِدَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ، فَقَالَ: عَلَيْكُمْ بالقِرْآنِ»[٣]، وقال عبد اللَّه بْنُ عمرو بن العاصي[٤]: إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُبْسَطَ

= عائشة قالت: «ثلاثة من الأنصار لم يكن أحد منهم يلحق في الفضل كلهم من بني عبد الأشهل: سعد بن معاذ؛ وأسيد بن حضير، وعباد بن بشير. توفي سنة (٢٠)، وقيل ٢١، وقيل: في إمارة عمر.
ينظر ترجمته في: **«تجريد أسماء الصحابة»** (١/ ٢١)، **«الثقات»** (٣/ ٦)، **«أسد الغابة»** (١/ ١١١)، **«الإصابة»** (١/ ٤٨)، **«الإكمال»** (٢/ ٤٨٢)، **«الاستيعاب»** (١/ ٩٢)، **«تهذيب الكمال»** (١/ ١١٣).

(١) أخرجه البخاري (٨/ ٦٨٠)، كتاب «فضائل القرآن»، باب: نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن، حديث (٥٠١٨).

(٢) هو: عقبة بن عامر بن عبس بن عمرو بن عدي بن عمرو بن رفاعة بن مودعة بن عدي بن غنم بن الربعة بن رشدان بن قيس بن جهينة... الجهني، أبو حماد. وقيل: أبو لبيد. وأبو عمرو.
قال ابن الأثير في **«الأسد»**:
روى عنه من الصحابة: ابن عباس، وأبو عباس، وأبو أيوب، وأبو أمامة، وغيرهم. ومن التابعين: أبو الخير، وعلي بن رباح أبو قبيل، وسعيد بن المسيب وغيرهم.
شهد «صفين» مع معاوية، وشهد فتوح الشام، وهو كان البريد إلى عمر بفتح «دمشق»، وكان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن. توفي بمصر، وكان والياً عليها سنة (٥٨هـ).
ينظر ترجمته في: **«أسد الغابة»** (٤/ ٥٣)، **«الإصابة»** (٤/ ٢٥٠)، **«الثقات»** (٣/ ٢٨٠)، **«الطبقات الكبرى»** (٢/ ٣٧٦)، **«التاريخ الكبير»** (٦/ ٣٤٠)، **«التاريخ الصغير»** (٢/ ١٢٣)، **«الرياض المستطابة»** (٢٢٠)، **«الأعلام»** (٢/ ٢٤٠)، **«العبر»** (١/ ٦٢)، **«الإكمال»** (٦/ ٨٨)، **«سير أعلام النبلاء»** (٢/ ٤٦٧)، **«طبقات الحفاظ»** (١٠) **«تذكرة الحفاظ»** (١/ ٤٢)، **«روضات الجنات»** (٨/ ٣٨)، **«الجرح والتعديل»** (٦/ ٣١٣)، **«تهذيب الكمال»** (٢/ ٩٤٥)، **«تقريب التهذيب»** (٢/ ٢٧).

(٣) أخرجه الطبراني في **«الكبير»** (١٩/ ٢٩٦)، رقم (٦٥٨).

(٤) هو: عبد اللَّه بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هُصيص بن كعب بن لؤي.. أبو محمد. وقيل: أبو عبد الرحمن. القرشي. السهمي. أسلم قبل أبيه، وكان من فضلاء الصحابة عالماً بالقرآن، وقرأ الكتب المتقدمة، وكان من أشهر حفاظهم، وأخباره كثيرة لا يتسع المقام للحديث عنه.
وفاته: قيل: توفي سنة (٦٣) وقيل غير ذلك.
ينظر ترجمته في: **«أسد الغابة»** (٣/ ٣٤٩)، **«الإصابة»** (٤/ ١١١)، **«الثقات»** (٣/ ٢١١)، **«الاستيعاب»** (٣/ ٢٥٦)، **«تجريد أسماء الصحابة»** (١/ ٣٢٦)، **«الجرح والتعديل»** (٥/ ١١٦)، **«تقريب التهذيب»** (١/ ٤٣٦)، **«تهذيب التهذيب»** (٥/ ٣٣٧)، **«تهذيب الكمال»** (٢/ ٧١٦)، **«شذرات الذهب»** (١/ ٦٢)، **«النجوم الزاهرة»** (٢٠)، **«الوافي بالوفيات»** (١٧/ ٣٨٠).

القَوْلُ، وَيُخْزَنَ الْفِعْلُ، وَيُرْفَعَ الأَشْرَارُ، وَيُوضَعَ الأَخْيَارُ، وَأَنْ تُقْرَأَ الْمَثْنَاةُ عَلَىٰ رُءُوسِ النَّاسِ، لاَ تُغَيَّرُ، قِيلَ: وَمَا الْمَثْنَاة[1]؟ قال: مَا اسْتُكْتِبَ مِنْ غَيْرِ كِتَابِ اللَّهِ، قِيلَ لَهُ: فَكَيْفَ بِمَا جَاءَ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: مَا أَخَذْتُمُوهُ عَمَّنْ تَأْمَنُونَهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَدِينِهِ فَاعْقِلُوهُ، وَعَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ فَتَعَلَّمُوهُ، وَعَلِّمُوهُ أَبْنَاءَكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ عَنْهُ تُسْأَلُونَ، وَبِهِ تُجْزَوْنَ، وَكَفَىٰ بِهِ وَاعِظاً لِمَنْ عَقَلَ[2]؛ وَقَالَ رَجُلٌ لعبد اللَّه بنِ مسعودٍ[3]: أَوْصِنِي، فَقَالَ: إِذَا سَمِعْتَ اللَّهَ تَعَالَىٰ يَقُولُ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فَأَرْعِهَا سَمْعَكَ؛ فَإِنَّهُ خَيْرٌ يَأْمُرُ بِهِ، أَوْ شَرٌّ يَنْهَىٰ عَنْهُ[4]، وروى أبو هريرة أنَّ رسول اللَّه ﷺ سُئِلَ عَنْ أَحْسَنِ النَّاسِ قِرَاءَةً أَوْ صَوْتاً بِالْقُرْآنِ فَقَالَ: «الَّذِي إِذَا سَمِعْتَهُ رَأَيْتَهُ يَخْشَى اللَّهَ تَعَالَىٰ»[5]، وقال ﷺ: «اقْرَءُوا بِالْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ يَجِيءَ قَوْمٌ يُقِيمُونَهُ كَمَا يُقَامُ الْقِدْحُ[6]، وَيُضَيِّعُونَ مَعَانِيَهُ، يَتَعَجَّلُونَ أَجْرَهُ، وَلاَ

---

(١) قال العلامة ابن الأثير: وقيل: إن المَثْنَاة هي أن أحبار بني إسرائيل بعد موسى ـ عليه السلام ـ وضعوا كتاباً فيما بينهم على ما أرادوا من غير كتاب اللَّه، فهو المثناة، فكأن ابن عمرو كره الأخذ عن أهل الكتاب، وقد كانت عنده كتب وقعت إليه يوم اليرموك منهم، فقال هذا لمعرفته بما فيها.
قال الجوهري: «المثناة» هي التي تسمى بالفارسية دُوبتي، وهو الغناء. ينظر: **«النهاية في غريب الحديث والأثر»** (١/ ٢٢٥ـ ٢٢٦).

(٢) أخرجه الدارمي (١/ ١٢٣)، باب: من لم ير كتابة الحديث.

(٣) هو: عبد اللَّه بن مسعود بن غافل بن حبيب بن سمع بن فار بن مخزوم بن صاهلة بن الحرث بن تيم بن سعد بن هذيل أبو عبد الرحمن الهذلي. حليف بني زهرة.
قال له النبي ﷺ في أول الإسلام «إنك غلام معلم» وقال هو: لقد رأيتني سادس ستة، وما على الأرض مسلم غيرنا، وكان يقول أخذت من في رسول اللَّه ﷺ سبعين سورة، وهو أول من جهر بالقرآن بمكة.
توفي سنة: ٣٢، وقيل: ٣٣، وقيل: توفي بالمدينة، وقيل: بالكوفة، والأول أرجح.
ينظر ترجمته في: **«أسد الغابة»** (٣/ ٤٨٤)، **«الإصابة»** (٤/ ١٢٩)، **«الثقات»** (٣/ ٢٠٨)، **«الاستبصار»** (٦٥، ١٣٩)، **«تجريد أسماء الصحابة»** (١/ ٣٣٤)، **«الأعلام»** (٤/ ١٣٧)، **«التاريخ الصغير»** (١/ ٦٠)، **«الجرح والتعديل»** (٥/ ١٤٩)، **«العبر»** (١/ ٢٥)، **«حلية الأولياء»** (١/ ٣٧٥)، **«سير أعلام النبلاء»** (١/ ٤٦١).

(٤) أخرجه أحمد في **«الزهد»** (ص ٢٣١) رقم (٨٦٤) وابن المبارك في **«الزهد»** (ص ١٢) رقم (٣٦) وسعيد بن منصور رقم (٥٠) وابن أبي حاتم في **«تفسيره»** كما في **«تفسير ابن كثير»** (٢/ ٢) وأبو نعيم في **«الحلية»** (١/ ١٣٠).
وذكره السيوطي في **«الدر المنثور»** (١/ ١٩٥) ولكن عن ابن عباس وأظنه خطأ من الطابع أو الناسخ وزاد نسبته إلى أبي عبيد في **«فضائله»** والبيهقي في **«شعب الإيمان»**.

(٥) أخرجه عبد الرزاق (٢/ ٤٨٨) رقم (٤١٨٥) عن طاوس مرسلاً.
وذكره الهيثمي في **«مجمع الزوائد»** (٧/ ١٧٣) من حديث ابن عمر وعزاه للطبراني في الأوسط وقال: وفيه حميد بن حماد بن حوار وثقه ابن حبان وقال: ربما أخطأ وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٦) القدْح: السهم قبل أن ينصَّل ويراش. ينظر: **«لسان العرب»** (٣٥٤٢).

يَتَأَجَّلُونَهُ»[١]، وروي أنَّ أهل اليمن، لَمَّا قدموا أيام أبي بَكْر الصديق[٢] رضي اللَّه عنه سمعوا القُرْآنَ فَجَعَلُوا يَبْكُونَ، فَقَالَ أبو بكرٍ: «هَكَذَا كُنَّا، ثُمَّ قَسَتِ القُلُوبُ»[٣]، وروِي أنَّ عمر بن الخَطَّاب[٤] رضي اللَّه عنه قرأ مرة ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ * مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾ [الطور: ٧، ٨] فأَنَّ أَنَّةً عِيدَ مِنْهَا عِشْرِينَ يَوْماً[٥]، قال القرطبي في «التَّذْكِرَةِ»[٦]: وما تقرَّب

---

(١) أخرجه أبو داود (١/ ٢٨٠)، كتاب: «الصلاة»، باب: ما يجزىء الأمي والأعجمي من القراءة، حديث (٨٣٠)، وأحمد (٣/ ٣٩٧)، والفريابي في «فضائل القرآن» (ص ٢٤٤)، رقم (١٧٤)، والآجري في «أخلاق أهل القرآن» (ص ٩٢)، رقم (٢٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥/ ٥٧٥ـ ٥٧٦)، رقم (٢٣٩٩)، كلهم من طريق حميد الأعرج، عن محمد بن المنكدر، عن جابر مرفوعاً.
وأخرجه أحمد (٣/ ٣٥٧)، وأبو يعلى (٤/ ١٤٠)، رقم (٢١٩٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان»، (٥/ ٥٧٦ـ ٥٧٧)، رقم (٢٤٠٠) من طريق أسامة بن زيد الليثي، عن محمد بن المنكدر، عن جابر به.
وقد روي هذا الحديث عن ابن المنكدر مرسلاً.
أخرجه عبد الرزاق (٣/ ٣٨٢) رقم (٦٠٣٤)، وابن أبي شيبة (١٠/ ٤٨٠)، رقم (١٠٠٥٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥/ ٥٧٥)، رقم (٢٣٩٨)، عن ابن المنكدر، عن النبي ﷺ مرسلاً.

(٢) هو: عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي.. القرشي. التيمي أبو بكر الصديق بن أبي قحافة، خليفة رسول الله ﷺ.
ولد بعد الفيل بسنتين وستة أشهر. هو صحابي شهير غني عن التعريف، وقد جاءت ترجمته في مصادر يصعب حصرها في مثل هذا الموضع. توفي يوم الاثنين في جمادى الأولى سنة (١٣) وله (٦٣ سنة).
ينظر ترجمته في: «الاستيعاب» (٢٩٣)، «أسد الغابة» (٦/ ٣٧)، «الإصابة» (٤/ ١٠١)، «المغني» (٢٨٦)، «تجريد أسماء الصحابة» (٢/ ١٥٢)، «الكنى والأسماء» (١/ ٦)، «بقي بن مخلد» (٣٠)، «الزهد لوكيع» (٩٩)، «تاريخ الثقات» (١٩٠٦)، «معرفة الثقات» (٢٠٩٢)، «الأعلام» (٤/ ١٠٢)، «تهذيب الكمال» (٣/ ١٥٨٩)، «تهذيب التهذيب» (١٢/ ٤٣)، «تقريب التهذيب» (٢/ ٤٠١)، «تذكرة الحفاظ» (١/ ٢)، «شرف أصحاب الحديث» (٣٥، ٩٠)، «أصحاب بدر» (٤١)، «التحفة اللطيفة» (٢/ ٣٥٨)، «تاريخ الإسلام» (٢/ ٩٧) «الرياض المستطابة» (١٤٠)، «صفة الصفوة» (١/ ٢٣٥).

(٣) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٣٣ـ ٣٤) من طريق الأعمش عن أبي صالح به.
وذكره الهندي في «كنز العمال» (٤٠٩٧) وعزاه لأبي نعيم.

(٤) عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد اللَّه بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي.. أبو حفص. القرشي. العدوي. أمير المؤمنين. الفاروق.
ولد بعد «الفجار الأعظم» بأربع سنين قبل المبعث النبوي بثلاثين سنة، وقيل: يرون ذلك. طعن يوم الأربعاء لأربع ليال بقين من ذي الحجة سنة (٢٣)، ودفن يوم الأحد صباح هلال المحرم سنة (٢٤) على أرجح الأقوال.
ينظر ترجمته في: «أسد الغابة» (٤/ ١٤٥)، «الإصابة» (٤/ ٢٧٥)، «تجريد أسماء الصحابة» (١/ ٣٩٧)، «الاستيعاب» (٣/ ١١٤٤)، «الجرح والتعديل» (٦/ ١٠٥)، «تقريب التهذيب» (٢/ ٥٤٠)، «تهذيب التهذيب» (٧/ ٤٣٨)، «الكاشف» (٣٠٩)، «تاريخ جرجان» (٧٣٠).

(٥) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٤٦) وعزاه إلى أبي عبيد في «فضائله».

(٦) ينظر: «التذكرة» (١/ ١٢٦).

المتقرِّبون إلى اللَّه تعالى بشيء مثْلِ القرآنِ؛ قال ﷺ: «يَقُولُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: مَنْ شَغَلَهُ قِرَاءَةُ القُرْآنِ عَنْ مَسْأَلَتِي، أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ» رواه الترمذي. انتهى.

قلْتُ: ولفظ الترمذيِّ عن أبي سعيد[1] قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَقُولُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: «مَنْ شَغَلَهُ القُرْآنُ وذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي، أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ»، وَ«فَضْلُ كَلَامِ اللَّهِ عَلَىٰ سَائِرِ الكَلَامِ كَفَضْلِ اللَّهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ»، قال أبو عيسَىٰ: هذا حديث حسن غريبٌ[2].

---

(١) هو: سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر بن عوف بن الحارث بن الخزرج.. أبو سعيد الخدري، الأنصاري.
قال ابن الأثير:
كان من الحفاظ لحديث رسول الله ﷺ المكثرين ومن العلماء الفضلاء العقلاء. روى عن أبي سعيد قال: عرضت على رسول الله ﷺ يوم الخندق وأنا ابن ثلاث عشرة، فجعل أبي يأخذ بيدي ويقول: يا رسول اللَّه، إنه عَبْل العظام. فردني. توفي سنة « ٧٤هـ».
ينظر ترجمته في: **«أسد الغابة»** (٦/ ١٤٣)، **«الإصابة»** (٧/ ٨٤)، **«الاستيعاب»** (٢/ ١٦٧١)، **«تجريد أسماء الصحابة»** (٢/ ١٧٢)، **«الأنساب»** (٥/ ٦)، **«الإكمال»** (٣/ ٢٩٦)، **«تهذيب الكمال»** (٣/ ١٦٠٩)، **«تقريب التهذيب»** (٢/ ٤٢٨).

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ١٨٤)، كتاب «فضائل القرآن»، باب (٢٥)، حديث (٢٩٢٦)، والدارمي (٢/ ٤٤١)، كتاب «فضائل القرآن»، باب فضل كلام اللَّه على سائر الكلام، وابن نصر في **«قيام الليل»** (ص ٧١)، والعقيلي في **«الضعفاء»** (٤/ ٤٩)، وأبو نعيم في **«الحلية»** (٥/ ١٠٦)، والبيهقي في **«الأسماء والصفات»** (ص ٢٣٨)، كلهم من طريق محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني، عن عمرو بن قيس، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري به مرفوعاً. وقال الترمذي: حديث حسن غريب.
والحديث أعله العقيلي في **«الضعفاء»** بمحمد بن الحسن وقال: لا يتابع عليه.
وقال ابن أبي حاتم في **«العلل»** (٢/ ٨٢)، رقم (١٧٣٨): سألت أبي عن حديث رواه محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني، عن عمرو بن قيس، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال اللَّه عز وجل: «من شغله القرآن عن دعائي ومسألتي أعطيته أفضل ثواب السائلين» قال أبي: هذا حديث منكر، ومحمد بن الحسن ليس بالقوي اهـ. فأعل العقيلي وأبو حاتم هذا الحديث بمحمد بن الحسن. قلت: قال البيهقي: تابعه الحكم بن بشير، ومحمد بن مروان، عن عمرو بن قيس؛ لتنحصر علة الحديث في ضعف وتدليس عطية العوفي.
وللحديث شاهد من حديث عمر بن الخطاب: أخرجه البخاري في **«خلق أفعال العباد»** (ص ٩٣)، والبيهقي في **«شعب الإيمان»** (١/ ٤١٣)، رقم (٥٧٢)، كلاهما من طريق صفوان بن أبي الصهباء، عن بكير بن عتيق، عن سالم بن عبد اللَّه بن عمر، عن أبيه، عن جده مرفوعاً به، ومن طريق صفوان أورده ابن الجوزي في **«الموضوعات»** (٣/ ١٦٦)، وقال: قال ابن حبان: هذا موضوع؛ ما رواه إلا صفوان بهذا الإسناد، فأما صفوان، فيروي عن الأثبات ما لا أصل له من حديث الثقات، ولا يجوز الاحتجاج بما انفرد به.
=

وعن عبد اللَّه بن عمرو؛ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «لَمْ يَفْقَهْ مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ فِي أَقَلَّ مِنْ ثَلاَثٍ»، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح[١]. انتهى.

وعماد الأمر التدبُّر والتفهُّم، فقلَّة القراءة مع التفهُّم أفضل من كثرتها من غير تفهُّم، وهذا الذي علَيْه المحقِّقون، وهو الذي يدُلُّ عليه القرآن، وصحيحُ الآثار، ولولا الإطالة، لأتينا من ذلك بما يثلج له الصدر، وقد ذكر بعضُ شراح «**الرسالة**»[٢] في الذي يقرأ القُرْآنَ من غير تأمُّل ولا تفهُّم، هل له أجر أَمْ لا؟ قولان، وهذا الخلاف، واللَّه أعلم، في غير المتعلِّم، والقولُ بعدم الأجر على ضعفه هو ظاهرُ ما حكاه عِيَاضٌ[٣] في «**المدارك**» عن

= وللحديث شاهد آخر من حديث حذيفة: أخرجه أبو نعيم في «**الحلية**» (٧/ ٣١٣)، عن أبي مسلم عبد الرحمن بن واقد، ثنا سفيان بن عيينة، عن منصور، عن ربعي، عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته قبل أن يسألني».
وقال أبو نعيم: غريب، تفرد به أبو مسلم.
وأخرجه البيهقي في «**شعب الإيمان**» (١/ ٤١٣ـ٤١٤)، رقم (٥٧٣)، من طريق يزيد بن خمير، عن جابر، عن النبي ﷺ عن ربه تبارك وتعالى قال: «من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين».

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ١٩٨)، كتاب «القراءات»، باب (١٣)، حديث (٢٩٤٩)، وأبو داود (١/ ٤٤٣)، كتاب «الصلاة»، باب تحزيب القرآن، حديث (١٣٩٤)، وابن ماجة (١/ ٤٢٨)، كتاب «الصلاة»، باب في كم يستحب يختم القرآن، حديث (١٣٤٧)، والدارمي (١/ ٣٥٠)، كتاب «الصلاة»، باب في كم يختم القرآن، وأحمد (٢/ ١٩٥)، وابن حبان (٣/ ٣٥)، رقم (٧٥٨)، كلهم من طريق قتادة، عن أبي العلاء يزيد بن عبد اللَّه، عن عبد اللَّه بن عمرو مرفوعاً.
وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. وصححه ابن حبان.

(٢) هي «**الرسالة القشيرية**» في التصوف، للإمام أبي القاسم عبد الكريم ابن هوازن القشيري، الأستاذ الشافعي، المتوفى سنة ٤٦٥هـ، عن تسعة وثمانين عاماً، وهي على أربعة وخمسين باباً، وثلاثة فصول، وقد شرحها القاضي زكريا بن محمد الأنصاري ت ٩١٠، في مجلد مع المتن، سماه «**إحكام الدلالة على تحرير الرسالة**».
ومن شروحها «**الدلالة على فوائد الرسالة**» للشيخ الفقيه سديد الدين أبي محمد عبد المعطي بن محمود بن عبد العلي اللخمي.
وشرحها ـ أيضاً ـ المولى علي القاري في مجلدين. ينظر: «**كشف الظنون**» (٨٨٣).

(٣) هو أبو الفضل عياض ـ بكسر العين ـ بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى اليحصبي ـ بضم الصاد ـ المالكي، سبتي الدار والميلاد، أندلسي الأصل، ولد سنة ٤٧٦هـ، ورحل إلى «الأندلس»، وأخذ عن علمائها كأبي الوليد بن رشد، وأبي علي الغساني، وغيرهما، ثم عاد إلى «سبتة» وتولى بها التدريس والقضاء، وصار إمام وقته في الحديث، والتفسير، والفقه، والأصول، كما كان عالماً بالنحو واللغة.
ومن أشهر مؤلفاته: كتاب «**التنبيهات المستنبطة على الكتب المدونة**»، وكتاب «**ترتيب المدارك في طبقات أصحاب مالك**». توفي سنة ٥٤٤هـ.
ينظر: «**ترتيب المدارك**» (١/ ١٨)، «**الفكر السامي**» (٣/ ٥٨) وما بعدها، «**شجرة النور**» ص ١٤٠.

الشَّبْلَيِّ في قصَّته مع الإمام المقرىء.

وبالجملة فالتدبُّر والتفُّهم هو الذي يحصل معه الإنابة والخشوع، وكل خير، ونقل البَاجِيُّ[١] في «سُنَنِ الصَّالِحِينَ» عن محمد بن كعب القُرَظِيِّ[٢] قال: لأَنْ أَقْرَأَ فِي لَيْلِي حَتَّىٰ أُصْبِحَ بـ «إِذَا زُلْزِلَت»، وبالقارعةِ لا أزيد عليهما وأتردَّد فيهما وأتفكَّر أحبُّ إليَّ من أن أَهُذَّ القُرْآنَ لَيْلِي هَذًّا، أو قال: أَنْثُرَهُ نَثْراً[٣]، ونحوه عن مجاهد[٤] وغيره، وعن ابن عبَّاس قال: «رَكْعَتَانِ مُقْتَصَدَتَانِ فِي تَفَكُّرٍ خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ لَيْلَةٍ وَالقَلْبُ سَاهٍ[٥]. انتهى.

قال ابن أبي جَمْرَةَ[٦]: والمرغَّب فيه التدبُّر في القراءة، وإنْ قلَّتْ، وهو خيرٌ من كثرة

---

(١) القاضي أبو الوليد: هو سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث الباجي، أصلهم من «بطليوس»، ثم انتقلوا إلى باجة أعني «باجة» الأندلس، أخذ بالأندلس عن ابن الأصبغ، وابن محمد المكي، وابن شاكر، وغيرهم، ورحل سنة ٤٢٦، فأقام بالحجاز مع أبي ذر الهروي ثلاثة أعوام، ثم ارتحل إلى «بغداد»، فدرس الفقه، وسمع الحديث ثم دخل «الشام» ثم «الموصل». له مؤلفات عديدة منها: كتاب **«السراج في علم الحجاج»**، وكتاب **«مسائل الخلاف»**، وكتاب **«شرح المدونة»**، وكتاب **«المقتبس»** من علم مالك، وكتاب **«المهذب في اختصار المدونة»**، وكتاب **«اختلاف الموطأ»**، وكتاب **«إحكام الفصول في أحكام الوصول»**، وكتاب **«المنتقى في شرح الموطأ»**، وهو اختصار لكتاب **«الاستيفاء»**، وتوفي سنة ٤٩٤هـ، وقيل سنة ٤٧٤.

ينظر: **«الديباج»** ص ١٢٠ وما بعدها، و **«شجرة النور»** ص ١٢١.

(٢) محمد بن كعب القرظي المدني، ثم الكوفي أحد العلماء. قال ابن عون: ما رأيت أحداً أعلم بتأويل القرآن من القرظي. وقال ابن سعد: كان ثقة ورعاً كثير الحديث. قيل: مات سنة تسع عشرة ومائة. وقيل: سنة عشرين.

ينظر: **«خلاصة تهذيب الكمال»** (٢/ ٤٥٢) **«تهذيب التهذيب»** (٩/ ٤٢٠)، **«تقريب التهذيب»** (٢/ ٢٠٣)، **«الكاشف»** (٣/ ٩٢)، **«الثقات»** (٥/ ٣٥١)، **«طبقات ابن سعد»** (٥/ ٣٧٠، ٣٧١).

(٣) أخرجه أبو نعيم في **«حلية الأولياء»** (٣/ ٢١٤ـ ٢١٥).

(٤) مجاهد بن جَبْر، مولى السائب بن أبي السائب، أبو الحجَّاج المكي، المقرىء، الإمام، المفسِّر، روى عن ابن عباس وقرأ عليه. قال مجاهد: عرضت على ابن عباس ثلاثين مرة. روى عن الصحابة. وثقَهُ ابن معين وأبو زُرعة. ولد سنة ٢١هـ، وتوفي بـ «مكة» وهو ساجد سنة ١٠٢هـ، وقيل: غير ذلك.

ينظر: **«الخلاصة»** (٣/ ١٠) (٦٨٥٤)، **«صفة الصفوة»** (٢/ ٢٠٨ـ ٢١١)، و **«ميزان الاعتدال»** (٣/ ٤٣٩ـ ٤٤٠).

(٥) ذكره المتقي الهندي في **«كنز العمال»** (٨/ ٢٠١) رقم (٢٢٥٤٤) وعزاه لابن أبي الدنيا في **«التفكر»**.

(٦) عبد الله بن سعد بن سعيد بن أبي جمرة، الأزدي، الأندلسي، أبو محمد: من العلماء بالحديث، مالكي. أصله من «الأندلس»، ووفاته بـ «مصر»، من كتبه **«جمع النهاية»** اختصر به صحيح البخاري، ويُعْرَف بمختصر ابن أبي جمرة، و **«بهجة النفوس»** في شرح جمع النهاية، و **«المرائي الحسان»** في الحديث، و **«الرؤيا»**.

ينظر: **«الأعلام»** (٤/ ٨٩)، **«البداية والنهاية»** (١٣/ ٣٤٦).

القراءة بلا تدبُّر؛ وفائدة التدبُّر هو أن تعرف معنى ما تتلوه من الآي[١]. انتهى.

وقال الحسن بن أبي الحَسَن[٢]: إنَّكم اتخذتم قراءة القرآنِ مراحل، وجعلتم الليل جَمَلاً تركبونَهُ، فتقطعون به المراحِلَ، وإن من كان قبْلكم رأَوْهُ رسائِلَ إلَيْهم من ربِّهم، فكانوا يتدبَّرونه بالليل، وينفذونه بالنهار، وكان ابن مسعودٍ رضي اللَّه عنه يقول: أُنْزِلَ عَلَيْهِمُ القُرْآنُ لِيَعْمَلُوا بِهِ فَاتَّخَذُوا دَرْسَهُ عَمَلاً، إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيَتْلُو القُرْآنَ مِنْ فاتحته إِلَىٰ خاتمته، ما يُسْقِطُ منه حرفاً، وقد أسقط العمل به.

قال * ع[٣] *: قال اللَّه تعالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا القُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ [القمر: ٢٢] وقال تعالَىٰ: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾ [المزمل: ٥]، أي: عِلْمَ معانيه، والعَمَلَ به، والقيامُ بحقوقه ثقيلٌ، فمال الناس إلى المُيسَّر، وتركوا الثقيل، وهو المطلوب منهم، وقيل ليوسُفَ بن أسباط[٤]: بأي شيءٍ تدعو، إذا ختمتَ القرآنَ؟ فقال: أستغفرُ اللَّه من تلاوتي؛ لأنِّي إذا ختمته، ثم تركْتُ ما فيه من الأعمال، خَشِيتُ المَقْتَ، فأعدل إلى الاستغفار والتسبيح، وقرأ رجلٌ القرآنَ على بعْضِ العلماءِ، قال: فلما ختمته، أردت الرجوعَ من أوَّله، فقال لي: اتخذت القراءة علَيَّ عملاً، اذهب فاقرأه على اللَّه تعالَىٰ في ليلك، وانظر ماذا يفهمك منه، قال الغَزَّالِيُّ في كتاب «**التفكُّر**»: وأما طريق الفكر الذي تطلب به العلوم التي تثمر اجتلاب أحوال محمودة، أو التنزُّه عن صفات مذمومة، فلا يوجد فيه أنفَعُ من تلاوة القرآن بالفكْر؛ فإنه جامع لجميع المقامات والأحوال، وفيه شفاء للعالمين، وفيه ما يورِثُ الخوف، والرجاء، والصبر، والشكر، والمحبة، والشوق، وسائر الأحْوال المحمودة، وفيه ما يزجر

---

(١) «**بهجة النفوس**» لابن أبي جمرة (٤/ ٧٦).

(٢) الحسن بن أبي الحسن البصري، مولى أم سلمة، والربيع بنت النضر، أو زيد بن ثابت، أبو سعيد الإمام، أحد أئمة الهدى والسنة. قال ابن سعد: كان عالماً جامعاً رفيعاً ثقة مأموناً عابداً، ناسكاً، كثير العلم فصيحاً جميلاً، وسيماً، ما أرسله فليس بحجة، وكان الحسن شجاعاً من أشجع أهل زمانه. قال ابن علية: مات سنة عشر ومائة. قيل: ولد سنة إحدى وعشرين لسنتين بقيتا من خلافة عمر. قال أبو زرعة: كل شيء قال الحسن: قال رسول الله ﷺ وجدت له أصلاً ثابتاً خلا أربعة أحاديث.
ينظر: «**خلاصة تهذيب الكمال**» (١/ ٢١٠)، «**تهذيب الكمال**» (١/ ٢٥٥)، «**تهذيب التهذيب**» (٢/ ٢٦٣) و «**تقريب التهذيب**» (١/ ١٦٥)، «**خلاصة تهذيب الكمال**» (١/ ٢١٠)، «**الكاشف**» (١/ ٢٢٠).

(٣) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (١/ ٣٩).

(٤) أحد الزهاد والعباد، وكان له اليد الطولى في المواعظ والحكم. روى عن الثوري وزائدة بن قدامة وغيرهما. وروى عنه المسيب بن واضح، وعبد اللَّه بن خبيق. نزل الثغور مرابطاً. قال شعيب بن حرب: ما أقدم على يوسف بن أسباط أحداً. وقد وثقه ابن معين. ينظر ترجمته في: «**حلية الأولياء**» (٨/ ٢٣٧)، «**سير أعلام النبلاء**» (٩/ ١٦٩).

عن سائر الصفات المذمومة، فينبغي أَنْ يقرأه العبْد، ويردِّد الآية الَّتي هو محتاج إِلى التفكُّر فيها مرة بعد أخرَىٰ، ولو ليلة كاملة، فقراءة آيةٍ بتفكُّر وفهم خيرٌ من ختمة من غير تدبُّر وفهم؛ فإِن تحت كل كلمة منه أسْراراً لا تنحصر، ولا يوقف عليها إِلا بدقيق الفكْرِ عن صفاء القلب بعد صدقِ المعاملة؛ وكذلك حُكْم مطالعة أخبار رسول اللَّه ﷺ، فقد أوتيَ عليه السلام جَوَامِعَ الكَلِم، فكل كلمة من كلماته بحرٌ من بحور الحكمة، لو تأمله العالم حقَّ تأمله، لم ينقطع فيه نظره طول عمره، وشرح آحاد الآيات والأخبار يطول، وٱنظر قولَهُ ﷺ: «إِنَّ رُوحَ القُدُسِ نَفَثَ في رُوعِي[1]؛ أَحْبِبْ مَنْ أَحْبَبْتَ، فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَعِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَٱعْمَلْ مَا شِئْتَ، فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ»؛ فإِن هذه الكلمات جامعة لحكم الأولين والآخرين؛ وهي كافية للمتأملين، ولو وقفوا على معانيها، وغلبت على قلوبهم غلبةَ يقينٍ، لٱستغرقتهم، ولحالت بينهم، وبين التلفُّت إِلى الدنيا بالكلية. انتهى من «**الإِحياء**».

بَابٌ فِي فَضْلِ تَفْسِيرِ القُرْآنِ وَإِعْرَابِهِ

قال النَّبِيُّ ﷺ: «أَعْرِبُوا القُرْآنَ وَٱلْتَمِسُوا غَرَائِبَهُ[2]، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ يُحِبُّ أَنْ يُعْرَبَ».

قال أبو العالية[3] في تفسير قوله عز وجَلَّ: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾

---

(١) الرُّوع: القلب والعقل، ووقع ذلك في رُوعي، أي نفسي وخلدي وبالي.
ينظر: «**لسان العرب**» ١٧٧٨.

(٢) أخرجه أبو يعلى (١١/ ٤٣٦)، رقم (٦٥٦٠)، والحاكم (٢/ ٤٣٩)، وابن أبي شيبة (١٠/ ٤٥٦)، رقم (٩٩٦١)، والخطيب في «**تاريخ بغداد**» (٨/ ٧٧ـ ٧٨) كلهم من طريق عبد اللَّه بن سعيد المقبري، عن أبيه، عن أبي هريرة مرفوعاً.
وقال الحاكم: صحيح الإسناد على مذهب جماعة من أئمتنا. وتعقبه الذهبي بقوله: بل أجمع على ضعفه.
والحديث ذكره الهيثمي في «**مجمع الزوائد**» (٧/ ١٦٧) وقال: رواه أبو يعلى، وفيه عبد اللَّه بن سعيد المقبري، وهو متروك.
والحديث ذكره السيوطي في «**الجامع الصغير**» (١/ ٥٥٨ـ فيض)، وعزاه إلى ابن أبي شيبة، والحاكم، والبيهقي في «**شعب الإيمان**» ورمز له بالضعف، ووافقه المناوي.
وذكره أيضاً الألباني في «**السلسلة الضعيفة**».. رقم (١٣٤٥) وقال: ضعيف جداً.

(٣) رُفَيع ـ بضم أوله مصغراً ـ ابن مِهْران الرياحِي ـ بكسر المهملة ـ مولاهم، أبو العالية البصري، مخضرم، إمام من الأئمة، صلى خلف عمر، دخل على أبي بكر، روى عن أبي، وعلي، وحذيفة، وعلى خلق. وعنه قتادة، وثابت، وداود بن أبي هند بَصريون وخلق. قال عاصم الأحول: كان إذا اجتمع عليه أكثر من أربعة قام وتركهم. قال مغيرة: أول من أذَّن بدا وراء النهر أبو العالية. قال أبو خَلْدَة: مات سنة=

[البقرة: ٢٦٩] قال: الْحِكْمَةُ: الفَهْم في القرآن[١]، وقال قتادة[٢]: الحكمة: القرآن، والفقه فيه[٣].

وقال غيره: الحكمة: تفسير القرآن[٤].

وقال الشعبي[٥]: رحل مسروقٌ[٦] إلى البصرة في تفسير آية، فقيل له: إن الذي يفسِّرها رحل إلى الشام، فتجهز، ورحل إليه؛ حتى علم تفسيرها، وذكر عليُّ بن أبي طالب[٧] رضي اللَّه عنه .....

= تسعين، وهو الصحيح.

ينظر: «**خلاصة تهذيب الكمال**» (١/ ٣٣٠)، «**تهذيب التهذيب**» (٣/ ٢٨٤)، «**تقريب التهذيب**» (١/ ٢٥٢) و «**الكاشف**» (١/ ٣١٢).

(١) أخرجه الطبري في «**تفسيره**» (٣/ ٩٠) (٦١٧٩)، وذكره ابن عطية الأندلسي في «**تفسيره**» (١/ ٤٠).

(٢) قَتادة بن دِعامة السُّدُوسِي، أبو الخَطَّاب البصري الأكْمَه، أحد الأئمة الأعلام، حافظ مدلس. قال ابن المسيِّب: ما أتاني عراقي أحفظ من قتادة. وقال ابن سيرين: قتادة أحفظ الناس. وقال ابن مَهْدِي: قتادة أحفظ من خمسين مثل حميد. قال حماد بن زيد: توفي سنة سبع عشرة ومائة، وقد احتج به أرباب الصحاح.

ينظر: «**طبقات ابن سعد**» (٩/ ١٥٦)، «**معرفة الثقات**» (١٥١٣)، «**سير الأعلام**» (٥/ ٢٦٩)، «**الثقات**» (٥/ ٣٢٢)، «**تراجم الأحبار**» (٣/ ٢٦٤)، «**الحلية**» (٢/ ٣٣٣)، «**لسان الميزان**» (٧/ ٣٤١)، «**ميزان الاعتدال**» (٣/ ٣٨٥)، «**تهذيب الكمال**» (٢/ ١١٢١)، «**خلاصة تهذيب الكمال**» (٢/ ٣٥٠).

(٣) الطبري (٣/ ٨٩) (٦١٧٧)، وذكره السيوطي في «**الدر**» (١/ ٦١٦)، وعزاه لعبد بن حميد، وذكره ابن عطية الأندلسي في تفسيره (١/ ٤٠).

(٤) ذكره ابن عطية الأندلسي في «**تفسيره**» (١/ ٤٠).

(٥) عامر بن شراحيل الحميري، الشعبي، أبو عمرو الكوفي، الإمام العلم، روى عن كثير من الصحابة، وروى عنه ابن سيرين والأعمش، وكان فقيهاً. قال الشعبي: «ما كتبت سوداء في بيضاء».
توفي سنة ١٠٣هـ.

ينظر: «**الخلاصة**» (٢/ ٢٢) (٣٢٦٣) ابن سعد (٦/ ١٧١ـ ١٧٨)، و «**المعارف**» (ص ٤٤٩ـ ٤٥١)، و «**الحلية**» (٤/ ٣١٠ـ ٣٣٨).

(٦) مسروق بن الأجدع الهمداني، أبو عائشة الكوفي، الإمام القدوة. عن أبي بكر وعمر وعلي ومعاذ وطائفة. وعنه: زوجته قمير، وأبو وائل، والشعبي، وخلق. قال أبو إسحاق: حج مسروق فما نام إلا ساجداً على وجهه، وقال ابن المديني: صلى خلف أبي بكر، وقال ابن معين: ثقة لا يسأل عن مثله. قال ابن سعد: توفي سنة ثلاث وستين.

ينظر: «**طبقات ابن سعد**» (٤/ ١١٣)، «**سير الأعلام**» (٤/ ٦٣)، «**تاريخ بغداد**» (١٣/ ٢٣٢)، «**معرفة الثقات**» (١٧٠٩)، «**تراجم الأحبار**» (٣/ ٣٣٠)، «**تهذيب الكمال**» (٣/ ١٣٢٠)، «**تهذيب التهذيب**» (١٠/ ١١٠) (٢٠٥)، «**خلاصة تهذيب الكمال**» (٣/ ٢١).

(٧) علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بين عبد مناف.. أبو الحسن. القرشي. الهاشمي. ابن عم النبي ﷺ. =

جابِرَ بْنَ عبد اللَّه[١]، فوصفه بالعلْم، فقال له رجل: جُعِلْتُ فِدَاكَ، تصفُ جابراً بالعلْم، وأنت أنت، فقال: إنه كان يعرف تفسير قوله تعالَىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾[٢] [القصص: ٨٥]، وقال إِيَاسُ بن معاوية[٣]: مثل الذين يقرءون القُرْآنَ وهم لا يعلمون تفسيرَهُ كَمَثَلِ قوْمٍ جاءهم كتابٌ من ملكهم ليلاً، وليس عندهم مصباحٌ، فتداخلتهم روعةٌ[٤] لا يدرون ما في الكتاب، ومَثَلُ الذي يعلم التفسير كَرَجُلٍ جاءهم بمصباحٍ فيقرءوا ما في الكتاب[٥]، وقال ابن عبَّاس: الذي يقرأ، ولا يفسر كالأعرابيِّ الذي يَهُذُّ[٦] الشِّعْرَ[٧]، وقال مجاهد: أَحَبُّ الخلْقِ إِلَى اللَّه أعلمهم بما أنزل اللَّه[٨]، وقال الحسنُ:

= ولد قبل البعثة بعشر سنين على الصحيح، رابع الخلفاء الراشدين، وزوج فاطمة بنت رسول الله ﷺ ووالد الحسن والحسين، وهو غني عن التعريف، فاضت بذكره كتب التواريخ والسير، قتل في ليلة السابع عشر من شهر رمضان سنة (٤٠).

ينظر ترجمته في: **«أسد الغابة»** (٤/ ٩١)، **«الإصابة»** (٤/ ٢٦٩)، **«تجريد أسماء الصحابة»** (١/ ٣٩٢)، **«الاستبصار»** (٣٩٠)، **«تاريخ الخلفاء»** (١٦٦)، **«الطبقات الكبرى»** (٩/ ١٣٧)، **«التاريخ الصغير»** (١/ ٤٣٥)، **«الجرح والتعديل»** (٦/ ١٩١)، **«حلية الأولياء»** (٢/ ٨٧)، **«تهذيب الكمال»** (٢/ ٩٧١)، **«تهذيب التهذيب»** (٧/ ٣٣٤).

(١) هو: جابر بن عبد اللَّه بن عمرو بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة أبو عبد اللَّه. وقيل: أبو عبد الرحمن الأنصاري السلمي شهد العقبة الثانية مع أبيه وهو صبي، ومن فضائله قال: استغفر لي رسول اللَّه ﷺ ليلة البعير خمساً وعشرين مرة. يعني بقوله: ليلة البعير؛ أنه باع رسول اللَّه ﷺ بعيراً، واشترط ظهره إلى المدينة، وكان في غزوة لهم. توفي سنة ٧٤٠ وقيل ٧٧ وكان عمره: ٩٤ سنة.

ينظر ترجمته في: **«أسد الغابة»** (١/ ٣٠٧)، **«الإصابة»** (١/ ٢٢٢)، **«تجريد أسماء الصحابة»** (١/ ٧٣)، **«الاستيعاب»** (١/ ٢١٩)، **«الطبقات الكبرى»** (٣/ ٥٦١)، **«الاستبصار»** (١٥١)، **«التاريخ الكبير»** (٢/ ٢٠٧)، **«التاريخ الصغير»** (١/ ٢١، ١١٥)، **«الجرح والتعديل»** (٢/ ٢٠١٩)، **«تهذيب الكمال»** (١/ ١٧٩).

(٢) ذكره ابن عطية الأندلسي في **«تفسيره»** (١/ ٤٠).

(٣) إياس بن معاوية بن قرة المزني، أبو وائلة البصري، القاضي. عن أبيه، وأنس، وابن المسيب. وعنه الأعمش، وأيوب، والحمادان. وثقه ابن سعد وابن معين. قال إياس: من عدم فضيلة الصدق فقد فجع بأكرم أخلاقه. وقال: كل ديانة أسست على غير ورع فهي هباء. قال خليفة: مات بـ «واسط» سنة اثنتين وعشرين ومائة.

ينظر: **«خلاصة تهذيب الكمال»** (١/ ١٠٨)، **«تهذيب التهذيب»** (١/ ٣٩٠)، **«تقريب التهذيب»** (١/ ٨٧)، و **«الكاشف»** (١/ ١٤٤)، **«طبقات ابن سعد»** (٧/ ٢٣٤).

(٤) الرَّوْعَةُ: الفَزْعَةُ. ينظر: **«لسان العرب»** ١٧٧٧.

(٥) ابن عطية (١/ ٤٠).

(٦) الهَذُّ: سرعة القراءة، ومنه: هَذَّ القرآنَ يَهُذُّه هذًّا. ينظر: **«لسان العرب»** ٤٦٤٣.

(٧) ينظر: **«المحرر الوجيز»** لابن عطية الأندلسي (١/ ٤٠).

(٨) ينظر: **«المحرر الوجيز»** (١/ ٤٠).

واللَّهِ ما أنزل اللَّه آيةً إلا أَحَبَّ أن يعلم فيمن أنزلت، وما يعني بها[١]، وقال النبيُّ ﷺ: «لاَ يَفْقَهُ الرَّجُلُ كُلَّ الفِقْهِ حَتَّىٰ يَرَىٰ لِلْقُرْآنِ وُجُوهاً كَثِيرَةً»[٢].

فَصْلٌ فِيمَا قِيلَ فِي الكَلاَمِ فِي تَفْسِيرِ القُرْآنِ وَالجُرْأَةِ عَلَيْهِ وَمَرَاتِبِ المُفَسِّرِينَ

رُوِيَ عن عائشة[٣] رضي اللَّه عنهَا؛ أنها قالَتْ: «مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُفَسِّرُ مِنْ كِتَابِ اللَّه تعالَىٰ إلاَّ آياً بِعَدَدٍ عَلَّمَهُنَّ إِيَّاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ».

قال * ع[٤] *: ومعنى هذا الحديث في مغيَّبات القرآنَ، وتفسير مجمله، ونحو هذا مما لا سبيل إليه إلا بتوقيفٍ من اللَّه تعالَىٰ، ومن جملة مغيَّباته ما لم يُعْلِمِ اللَّهُ به عباده؛ كوقت قيام الساعة ونحوها، ومنها ما يستقرأ من ألفاظه؛ كعدد النفخات في الصور؛ وكرتبة خلق السموات والأرض.

وروي أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ قال: «مَنْ تَكَلَّمَ فِي القُرْآنِ بِرَأيِهِ، فَأَصَابَ، فَقَدْ أَخْطَأَ»[٥]، ومعنى هذا أنْ يسأل الرجل عن معنى في كتاب اللَّه، فيتسوَّر عليه برأيه دون نظر فيما قال العلماء أو اقتضتهُ قوانينُ العلوم؛ كالنحو، والأصول، وليس يدخل في هذا الحديث أنْ يفسر اللغويُّون لغته، والنحاة نحوه، والفقهاء معانيه، ويقول كلُّ واحدٍ باجتهاده المبنيِّ على قوانين علْمٍ ونظرٍ؛ فإن هذا القائل على هذه الصفة ليس قائلاً بمجرَّد رأيه، وكان جِلَّةٌ من السلف؛ كسعيد بن المسيِّب[٦]، وعامر الشَّعْبِيِّ، وغيرهما يعظِّمون تفسير القُرْآنِ، ويتوقَّفون

---

(١) ينظر: «المحرر الوجيز»(١/ ٤٠).

(٢) ينظر: «إتحاف السادة المتقين» (٤/ ٥٢٧).

(٣) عائشة بنت أبي بكر الصديق بن أبي قحافة: عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي. أم عبد اللَّه. أم المؤمنين ـ رضي اللَّه عنها ـ القرشية. التيمية.
أمها: أم رومان بنت عامر بن عويمر الكنانية. ولدت بعد البعثة بأربع سنين أو خمسة. توفيت سنة (٥٨) في ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من رمضان عند الأكثر، وقيل: سنة (٥٧) ودفنت بالبقيع.
ينظر ترجمتها في: «أسد الغابة» (٧/ ١٨٨)، «الإصابة» (٨/ ١٣٩)، «أعلام النساء» (٣/ ٩)، «الاستيعاب» (٤/ ١٨٨١)، «تجريد أسماء الصحابة» (٢/ ٢٨٦)، «التاريخ الصغير» (١/ ١٠٢)، «طبقات ابن سعد» (٨/ ٣٩)، «حلية الأولياء» (٢/ ٤٣)، «تهذيب الكمال» (٣/ ١٦٨٩)، «تهذيب التهذيب» (١٢/ ٤٣٣)، «تقريب التهذيب» (٢/ ٦٠٦)، «الكاشف» (٣/ ٤٧٦)، «خلاصة تهذيب الكمال» (٣/ ٣٨٧)، «السمط الثمين» (٣٣)، «شذرات الذهب» (١/ ٦١)، «طبقات الشيرازي» (٤٧)، «العبر» (١/ ٦٢)، «بقي بن مخلد» (٤)، «النجوم الزاهرة» (١/ ١٥٠)، «معجم طبقات الحفاظ» (١٠٥).

(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (١/ ٤١).

(٥) سيأتي تخريجه.

(٦) سعيد بن المسيِّب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عابد بن مخزوم المخزومي، أبو محمد المدني، =

عنه؛ تورُّعاً واحتياطاً لأنفسهم مع إدراكهم وتقدُّمهم، وكان جِلَّة من السلف كثيرٌ عدَدُهم يفسِّرونه، وهم أبقوا على المسلمين في ذلك رضي اللَّه عن جميعهم.

* ت *: وخرج أبو عيسى التِّرمذيُّ في «جَامِعِهِ» عن ابن عبَّاس رضي اللَّه عنهما، قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «مَنْ قَالَ فِي القُرْآنِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»، قال أبو عيسَىٰ: هذا حديث حسن صحيح[1]، وخرَّج أيضاً عن ابن عباس عن النبيِّ ﷺ قال: «اتَّقُوا الحَدِيثَ عَنِّي إِلاَّ مَا عَلِمْتُمْ، فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ قَالَ فِي القُرْآنِ بِرَأْيِهِ، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»، قال/ أبو عيسى: هذا حديث حسن[2]، وخرَّج عن ٤ ب
جُنْدُبٍ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ فِي القُرْآنِ بِرَأْيِهِ، فَأَصَابَ، فَقَدْ أَخْطَأَ»[3]، قال

= الأعور، رأس علماء التابعين، وفردهم، وفاضلهم وفقيههم. ولد سنة خمس عشرة. قال ابن عمر: هو واللَّه أحد المقتدين به. قال قتادة: ما رأيت أعلم بالحلال والحرام منه. وقال أحمد: مرسلات سعيد صحاح. قال أبو نعيم: مات سنة ثلاث وتسعين. وقال الواقدي: سنة أربع.
ينظر: «**الخلاصة**» (١/ ٣٩٠)، «**طبقات خليفة**» ت (٢٠٩٦)، «**تاريخ البخاري**» (٣/ ٥١٠)، «**تاريخ الإسلام**» (٤/ ٤)، «**العبر**» (١/ ١١٠)، «**سير أعلام النبلاء**» (٤/ ٢١٧).

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ١٩٩)، كتاب «التفسير»، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه، حديث (٢٩٥٠)، وأحمد (١/ ٢٣٣)، والبغوي في «**معالم التنزيل**» (١/ ٣٥)، وفي «**شرح السنة**» (١/ ٢١١ـ بتحقيقنا)، كلهم من طريق سفيان، عن عبد الأعلى، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس به.
وقال الترمذي: حسن صحيح.
قلت: وعبد الأعلى هو ابن عامر الثعلبي.
قال أبو زرعة: ضعيف الحديث، ربما دفع الحديث وربما وقفه.
وقال أبو حاتم: ليس بقوي.
وقال النسائي: ليس بقوي، ويكتب حديثه.
وقال أحمد: ضعيف الحديث.
ينظر: «**ميزان الاعتدال**» (٢/ ٥٣٠)، و «**تهذيب التهذيب**» (٦/ ٩٤).

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ١٩٩)، كتاب «التفسير»، باب: ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه، حديث (٢٩٥١)، وأحمد (١/ ٢٩٣)، والبغوي في «**شرح السنة**» (١/ ٢١٠) من طريق عبد الأعلى، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، وقال الترمذي: حديث حسن اهـ.
ومداره على عبد الأعلى بن عامر الثعلبي، وقد مرت ترجمته.

(٣) أخرجه الترمذي (٥/ ٢٠٠)، كتاب «تفسير القرآن»، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه، حديث (٢٩٥٢)، وأبو داود (٢/ ٣٤٤)، كتاب «العلم»، باب الكلام في كتاب اللَّه بغير علم، حديث (٣٦٥٢)، وأبو يعلى (٣/ ٩٠)، رقم (١٥٢٠)، والنسائي في «**الكبرى**» (٥/ ٣١)، كتاب «**فضائل القرآن**»، باب من قال في القرآن بغير علم، حديث (٨٠٨٦)، والبغوي في «**معالم التنزيل**» (١/ ٣٥)، وفي «**شرح السنة**» (١/ ٢١١ـ بتحقيقنا)، كلهم من طريق سهيل أخو حزم، عن أبي عمران الجوني، عن جندب بن عبد اللَّه به.
وقال الترمذي: هذا حديث غريب، وقد تكلم بعض أهل الحديث في سهيل بن أبي حزم.

أبو عيسَىٰ: هكذا روي عن بعض أهل العِلْمِ من أصحاب النبيِّ ﷺ وغيرهم أنهم شدَّدوا في هذا في أنْ يفسر القرآنُ بغير علْمٍ.

وأما الذي روي عن مجاهد وقتادة وغيرهما من أهل العلم؛ أنهم فسروا القرآنَ، فليس الظَّنُّ بهم أنهم قالوا في القرآن أو فسروه بغير علم، أو من قبل أنفسهم، وقد روي عنهم ما يَدُلُّ على ما قُلْنا: إنهم لم يقولوا من قبل أنفسهم بغير علم؛ حدثنا الحسين بن مهديٍّ البصريُّ[(١)]، حدثنا عبد الرَّزَّاق[(٢)] عن معمر[(٣)] عن قتادة قال: ما في القرآنِ آيةٌ، إلا وقد سمعت فيها بشيء؛ وحدثنا ابن أبي عمر[(٤)]، حدثنا سفيان بن عيينة[(٥)] عن

---

(١) الحسين بن مهدي الأُبُلِّي - بالضم - أبو سعيد البصري. عن عبد الرزاق وعُبَيْد اللَّه بن موسى. وعنه الترمذي وابن ماجه قال أبو حاتم: صدوق. مات سنة سبع وأربعين ومائتين.
ينظر: **«الخلاصة»** (١/ ٢٣٢)، **«تهذيب الكمال»** (١/ ٢٩٥)، **«تهذيب التهذيب»** (٢/ ٣٧٢)، **«تقريب التهذيب»** (١/ ١٨٠).

(٢) عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري، أبو بكر الصنعاني، أحد الأئمة الأعلام الحفاظ. قال أحمد: من سمع منه بعد ما ذهب بصره فهو ضعيف السماع. وقال ابن عدي: رحل إليه أئمة المسلمين وثقاتهم، ولم نر بحديثه بأساً، إلا أنهم نسبوه إلى التشيع. وقال أحمد: لم أسمع منه شيئاً، لكنه رجل يعجبه أخبار الناس. مات سنة (٢١١) هـ عن ٨٥ سنة.
ينظر: **«تاريخ البخاري الكبير»** (٦/ ١٣٠)، **«الجرح والتعديل»** (٦/ ٢٠٤)، **«ميزان الاعتدال»** (٢/ ٦٠٩)، **«لسان الميزان»** (٧/ ٢٨٧)، **«سير الأعلام»** (٩/ ٥٦٣)، **«الثقات»** (٨/ ٤١٢)، **«تهذيب الكمال»** (٢/ ٨٢٩)، **«تهذيب التهذيب»** (٦/ ٣١٠)، **«خلاصة التهذيب»** (٢/ ١٦١)، **«البداية والنهاية»** (١٠/ ٢٦٥).

(٣) معمر بن راشد الأزدي، مولى مولاهم، عبد السلام بن عبد القدوس، أبو عُروة البصري ثم اليماني، أحد الأعلام. عن الزهري، وهمام بن منبه، وقتادة، وخلق. وعنه: أيوب، والثوري، وابن المبارك، وخلق. قال العجلي: ثقة صالح. قال النسائي: ثقة مأمون. وضعفه ابن معين في ثابت. توفي سنة (١٥٣) هـ.
ينظر: **«نسيم الرياض»** (١/ ٧٤)، **«تراجم الأحبار»** (٣/ ٢٥٥)، **«تذكرة الحفاظ»** (١/ ١٧٨)، **«طبقات ابن سعد»** (٣/ ٣٩٧)، **«تاريخ الإسلام»** (٦/ ٣٩٤)، **«لسان الميزان»** (٧/ ٣٩٤)، **«تهذيب الكمال»** (٣/ ١٣٥٥)، **«تهذيب التهذيب»** (١٠/ ٢٤٣)، **«خلاصة تهذيب الكمال»** (٣/ ٤٧)، **«الكاشف»** (٣/ ١٦٤).

(٤) محمد بن يحيى بن أبي عُمَر العَدَني، أبو عبد اللَّه الحافظ، نزيل مكة. عن فُضَيْل بن عِيَاض، وأبي معاوية وخلق. وعنه مسلم، والترمذي وابن ماجة وهِلاَل بن العَلاَء. وثقه ابن حبان. وقال أبو حاتم: صدوق، حدث بحديث موضوع. عن ابن عيينة. قال البخاري: مات سنة ثلاث وأربعين ومائتين.
ينظر: **«الخلاصة»** (٢/ ٤٦٨)، **«الكاشف»** (٣/ ١٠٧)، **«تهذيب التهذيب»** (٩/ ٥١٨).

(٥) سفيان بن عيينة بن أبي عمر بن الهلالي، مولاهم أبو محمد الأعور الكوفي، أحد أئمة الإسلام. روى عن عمرو بن دينار والزُّهري، وزيد بن أسلم وغيرهم، كان حديثه نحو سبعة آلاف. قال ابن وهب: ما رأيت أعلم بكتاب اللَّه من ابن عيينة. وقال الشافعي: لولا مالك وابن عيينة لذهب علم الحجاز، ولد سنة (١٠٧) هـ، وتوفي سنة (١٩٨) هـ.
=

الأعمش[١]، قال: قال مجاهدٌ: لو كنتُ قرأتُ قراءة ابن مسعودٍ، لم أحْتَجْ إلى أن أسأل ابن عبَّاس عن كَثِيرٍ من القرآن مما سألت. انتهى ما نقلته من الترمذي[٢].

ثم قال * ع[٣] *: فأما صَدْرُ المفسِّرين والمؤيَّد فيهم، فعليُّ بن أبي طالب رضي اللَّه عنه، ويتلوه عبد اللَّه بن عباس رضي اللَّه عنهما، وهو تجرد للأمر وكمَّله وتتبَّعه العلماءُ عليه؛ كمجاهد، وسعيد بن جبير[٤]، وغيرهما، والمحفوظُ عنه في ذلك أكثرُ من المحفوظ عن عليِّ بن أبي طالب، وقال ابن عَبَّاس: ما أَخَذْتُ من تفسير القرآن، فعن علي بن أبي طالب، وكان علي بن أبي طالب يثني على تفسير ابن عَبَّاس، ويحضُّ على الأخْذِ عنه، وكان عبد اللَّه بن مسعودٍ يقول: نِعْمَ ترجمانُ القرآن عبد اللَّه بن عباس، وهو الذي قال فيه رسول اللَّه ﷺ: «اللَّهُمَّ، فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ»[٥]، وحسبك بهذه

= ينظر: «**الخلاصة**» (١/ ٣٩٧)، (٢٥٩٠)، «**الحلية**» (٧/ ٢٧٠ـ ٣١٨)، و «**المعارف**» ص (٥٠٦ـ ٥٠٧)، «**الوفيات**» (٢/ ٣٩١ـ ٣٩٣).

(١) سليمان بن مهران الكاهلي، مولاهم، أبو محمد الكوفي الأعمش، أحد الأعلام الحفاظ والقراء. قال ابن المديني: له نحو ألف وثلاثمائة حديث. وقال ابن عيينة: كان أقرأهم وأحفظهم وأعلمهم. وقال عمرو بن علي: كان يسمى «المُصْحَف»؛ لصدقه. وقال العجلي، ثقة ثبت، يقال: ظهر له أربعة آلاف حديث، ولم يكن له كتاب، وكان فصيحاً وقال النسائي: ثقة ثبت. وعدّه من المدلِّسين. قال أبو نعيم: مات سنة ثمان وأربعين ومائة، عن أربع وثمانين سنة.

ينظر: «**الثقات**» (٤/ ٣٠٢)، «**تهذيب التهذيب**» (٤/ ٢٢٢)، «**تقريب التهذيب**» (١/ ٣٣١)، «**تاريخ البخاري الكبير**» (٤/ ٣٧)، «**الجرح والتعديل**» (٤/ ٦٣)، «**سير الأعلام**» (٥/ ٢٢٦).

(٢) ينظر: «**سنن الترمذي**» (٥/ ٢٠٠)، كتاب «**التفسير**».

(٣) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (١/ ٤١).

(٤) سعيد بن جبير الوالبي، مولاهم الكوفي الفقيه، أحد الأعلام. قال اللالكائي: ثقة إمام حجة. قال عبد الملك بن أبي سليمان: كان يختم كل ليلتين. قال ميمون بن مهران: مات سعيد وما على ظهر الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه. قتل سنة خمس وتسعين كهلاً؛ قتله الحجاج فما أُمهل بعده. قال خلف بن خليفة عن أبيه: شهدت مقتل ابن جبير؛ فلما بان الرأس قال: لا إله إلا اللَّه لا إله إلا اللَّه، فلما قالها الثالثة لم يتمها ـ رضي اللَّه عنه.

ينظر: «**تهذيب الكمال**» (١/ ٤٧٩)، «**تهذيب التهذيب**» (٤/ ١١)، «**خلاصة تهذيب الكمال**» (١/ ٣٧٤)، «**الكاشف**» (١/ ٣٥٦)، «**الثقات**» (٤/ ٢٧٥)، «**تاريخ البخاري الكبير**» (٣/ ٤٦١)، «**الحلية**» (٤/ ٢٧٢).

(٥) أخرجه البخاري (١/ ٢٩٤)، كتاب «الوضوء»، باب وضع الماء عند الخلاء، حديث (١٤١)، ومسلم (٤/ ١٩٢٧)، كتاب «فضائل الصحابة»، باب فضائل عبد اللَّه بن عباس، حديث (١٣٨/ ٢٤٧٧)، وأحمد (١/ ٣٢٧)، والنسائي في «**الكبرى**» (٥/ ٥١ـ ٥٢)، كتاب «المناقب»، باب عبد اللَّه بن العباس، حديث (٨١٧٧)، وأبو يعلى (٤/ ٤٢٧)، رقم (٢٥٥٣)، وابن حبان (١٥/ ٥٢٩)، رقم (٧٠٥٣)، والطبراني في «**الكبير**» (١١/ ١٠٤)، رقم (١١٢٠٤)، كلهم من طريق هاشم بن القاسم: ثنا=

الدعوات، ويتلوه عبد اللَّه بن مسعودٍ، وأُبَيُّ بن كعبٍ[1]، وزيد بن ثابت، وعبد اللَّه بن عمرو بن العاصي.

وكل ما أخذ عن الصحابة، فحسن متقدِّم، ومن المبرِّزين في التابعين الحسنُ بن أبي

= ورقاء بن عمر اليشكري، عن عبيد اللَّه بن أبي يزيد، عن ابن عباس به.
وأخرجه البخاري (١/ ٢٠٤)، كتاب «العلم»، باب قول النبي ﷺ: «اللهم علمه الكتاب»، حديث (٧٥)، و (٧/ ١٢٦) كتاب «فضائل الصحابة»، باب ذكر ابن عباس (رضي اللَّه عنهما) حديث (٣٧٥٦)، و (١٣/ ٢٥٩)، كتاب «الاعتصام»، حديث (٧٢٧٠)، والترمذي (٥/ ٦٨٠)، كتاب «المناقب»، باب مناقب عبد اللَّه بن عباس، حديث (٣٨٢٤)، والنسائي في **«الكبرى»** (٥/ ٥٢)، كتاب «المناقب»، حديث (٨١٧٩)، وابن ماجة (١/ ٥٨)، المقدمة، باب فضائل أصحاب رسول اللَّه ﷺ، حديث (١٦٦)، وأحمد (١/ ٢١٤، ٣٥٩)، والفسوي في **«المعرفة والتاريخ»** (١/ ٥١٨)، وابن حبان (١٥/ ٥٣٠)، رقم (٧٠٥٤)، والطبراني في **«الكبير»** (١٠/ ٢٩٣)، رقم (١٠٥٨٨)، كلهم من طريق خالد الحذاء، عن عكرمة، عن ابن عباس.
وقال الترمذي: حسن صحيح.
وأخرجه أحمد (١/ ٢٦٩)، والطبراني في **«الكبير»** (١١/ ٢١٣)، رقم (١١٥٣١)، كلاهما من طريق سليمان بن بلال، عن حسين بن عبد اللَّه، عن عكرمة، عن ابن عباس به. وأخرجه أحمد (١/ ٢٦٦، ٣١٤، ٣٢٨، ٣٣٥)، والفسوي في **«المعرفة والتاريخ»** (١/ ٤٩٣ـ ٤٩٤)، وابن حبان (١٥/ ٥٣١)، رقم (٧٠٥٥)، والطبراني في الكبير (١٠٥٨٧، ١٠٦١٤)، كلهم من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عباس به. وأخرجه الترمذي (٥/ ٦٧٩ـ ٦٨٠)، كتاب **«المناقب»**، باب مناقب عبد اللَّه بن عباس (رضي اللَّه عنه)، حديث (٣٨٢٣)، من طريق عبد الملك بن أبي سليمان، عن عطاء، عن ابن عباس قال: دعا لي رسول اللَّه ﷺ أن يؤتيني الحكمة مرتين.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه من حديث عطاء، وقد رواه عكرمة، عن ابن عباس.

(١) هو: أبيّ بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار. أبو المنذر، أبو الطفيل سيد القراء، سيد المسلمين، الأنصاري، النجاري، الخزرجي، المعاوي.
كان من أصحاب العقبة الثانية، وشهد بدراً والمشاهد. قال له النبي ﷺ: «ليهنئك العلم يا أبا المنذر» وقال له: «إن اللَّه أمرني أن أقرأ عليك». وكان عمر (رضي اللَّه عنه) يسميه: سيد المسلمين. وهو أول من كتب للنبي ﷺ، وأول من كتب في آخر الكتاب: وكتبه فلان بن فلان.
روى عنه من الصحابة: عمر، وكان يسأله عن النوازل، ويتحاكم إليه في المعضلات ـ وأبو أيوب، وعبادة بن الصامت، وسهل بن سعد، وأبو موسى، وابن عباس، وأبو هريرة، وأنس، وسليمان بن صرد وغيرهم.
مات سنة: ٢٢ في خلافة عمر، وقيل: بقي إلى خلافة عثمان.
تنظر ترجمته في: **«أسد الغابة»** (ت ٣٣)، **«الإصابة»** (١/ ١٦)، **«الثقات»** (٣/ ٥)، **«تقريب التهذيب»** (١/ ٤٨)، **«تاريخ ابن معين»** (١٥٦٤)، **«سير أعلام النبلاء»** (١/ ٣٨٩).

الحسن، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وعلقمة[١]، وقد قرأ مجاهد على ابن عباس قراءةَ تفهُّم ووقوفٍ عند كل آيةٍ، ويتلوهم عكرمة[٢]، والضَّحَّاك بن مُزَاحِم[٣]، وإن كان لم يلق ابن عباس، وإنما أخذ عن ابن جُبَيْر، وأما السُّدِّيُّ[٤] ـ رحمه اللَّه تعالى ـ فكان عامرٌ الشعبيُّ يطعن عليه، وعلى أبي صالح[٥]؛ لأنه كان يراهما مقصِّرين في النظر، ثم حمل تفسير كتاب اللَّه عزَّ وجلَّ عدولُ كلِّ خَلَفٍ، وألَّف الناس فيه كعبد الرَّزَّاقِ، والمفضَّل، وعلي بن أبي طلحة، والبخاري، وغيرهم، ثم إنَّ محمد بن جرير الطبريَّ ـ رحمه اللَّه ـ

---

(١) علقمة بن قيس بن عبد اللَّه بن عَلْقَمَة بن سَلاَمَان بن كُهَيل بن بَكْر بن عَوْف بن النَّخَع النَّخعي، أبو شِبْل الكوفي، أحد الأعلام، مخضرم عن أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وابن مسعود، وحُذَيْفَة، وطائفة. وعنه إبراهيم النَّخعي، والشَّعْبي، وسَلَمَة بن كُهَيل وخلق. قال إبراهيم: كان يقرأ في خَمْسٍ. وقال ابن المديني: أعلم الناس بابن مسعود عَلْقَمَة والأَسْوَد. قال ابن سعد: مات سنة اثنتين وستين وقال أبو نُعَيْم: سنة إحدى وستين. قيل: عن تسعين سنة.
ينظر: **«الخلاصة»** (٢/ ٢٤١)، **«تهذيب التهذيب»** (٧/ ٢٧٥)، **«تقريب التهذيب»** (٢/ ٣٠)، **«الكاشف»** (٢/ ٢٧٧)، **«طبقات ابن سعد»** (٧/ ٣٤، ٢٠٩)،

(٢) عكرمة البَرْبَري، مولى ابن العباس، أبو عبد اللَّه، أحد الأئمة الأعلام. روى عن مولاه، وعائشة، وأبي هريرة، وغيرهم من الصحابة. قال الشعبي: ما بقي أحد أعلم بكتاب اللَّه من عكرمة، رموه بغير نوعٍ من البدعة. ثقة بريء مما يرميه الناس به. وثَّقَهُ أحمد والنسائي. توفي سنة ١٠٥هـ.
ينظر: **«الخلاصة»** (٢/ ٢٤٠) (٤٩٢٨)، **«ابن سعد»** (٥/ ٢١٢ـ ٢١٦) **«الوفيات»** (٣/ ٢٦٥ـ ٢٦٦) و **«الداودي»** (١/ ٣٨٠ـ ٣٨١).

(٣) الضحاك بن مزاحم الهلالي، مولاهم الخرساني، يكنى أبا القاسم. روى عن أبي هريرة، وابن عباس، وأبي سعيد، وغيرهم، وروى عنه عبد الرحمن بن عَوْسَجَة وغيره. قال ابن حبّان: في جميع ما روى نظر، إنما اشتهر بالتفسير. توفي سنة ١٠٥هـ.
ينظر: **«الخلاصة»** (٢/ ٥) (٣١٤٦)، **«ابن سعد»** (٦/ ٢١٠ـ ٢١١)، **«صفة الصفوة»** (٤/ ١٥٠)، **«المعارف»** ص (٤٥٧ ـ ٤٥٨).

(٤) إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي مولى قريش، أبو محمد الكوفي، رمي بالتشيع. عن أنس، وابن عباس، وباذان. وعنه أسباط بن نصر، وإسرائيل، والحسن بن صالح. قال ابن عدي: مستقيم الحديث صدوق. قال خليفة: توفي سنة سبع وعشرين ومائة.
ينظر: **«الخلاصة»** (١/ ٩٠)، و **«تهذيب التهذيب»** (١/ ٣١٣)، **«تقريب التهذيب»** (١/ ٧١، ٧٢)، **«الكاشف»** (١/ ١٢٥)، **«الثقات»** (٤/ ٢٠)، **«ميزان الاعتدال»** (١/ ٢٣٦).

(٥) ذكوان المدني، أبو صالح السَّمَّان، روى عن سعد، وأبي الدَّرداء، وعائشة، وأبي هريرة، وخلق. وروى عنه بنوه سهيل، وعبد اللَّه، وصالح، وعطاء بن أبي رباح، وسمع منه الأعمش ألف حديث. قال أحمد: ثقة ثقة، شهد الدَّار. قال محمد بن عمر الواقدي: توفي سنة ١٠١هـ.
ينظر: **«الخلاصة»** (١/ ٣١١) (١٩٧٣) **«ابن سعد»** (٥/ ٢٢٢ و٦/ ١٥٨) و **«تهذيب التهذيب»** (٣/ ٢١٩ـ ٢٢٠)، و **«مرآة الجنان»** (١/ ٢١١).

جمع على الناس أشْتَاتَ التفسير، وقَرَّب البعيد وشفى في الإسناد.

ومن المبرِّزين في المتأخِّرين أبو إسحاق الزَّجَّاج[١]، وأبو عليٍّ الفارسيُّ[٢]؛ فإن كَلامَهما منخولٌ، وأما أبو بكْرٍ النَّقَّاش[٣]، وأبو جعفر النَّحَّاس[٤] - رحمهما اللَّه -، فكثيراً ما استدرك الناس عليهما، وعلى سَنَنِهِمَا مَكِّيُّ بن أبي طالب[٥] - رحمه اللَّه -، وأبو العباس المَهْدَوِيُّ[٦] - رحمه اللَّه - مُتْقَنُ التأليفِ، وكلُّهم مجتهدٌ مأجور - رحمهم اللَّه - ونضَّر وجوهَهُم.

---

(١) هو: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، كان من أهل الفضل والدين، حسن الاعتقاد، كان يخرط الزَّجَاج، ثم مال إلى النحو فلزم المبرد. صنف: **«معاني القرآن وإعرابه»** و **«الاشتقاق»** و **«فعلت وأفعلت»** وغيرها. توفي (٣١١هـ).

ينظر ترجمته في: **«تاريخ بغداد»** (٦/ ٨٩)، و **«النجوم الزاهرة»** (٣/ ٢٠٨)، و **«بغية الوعاة»** (١/ ٤١١).

(٢) الحسن بن أحمد بن عبد الغفار، أبو علي الفارسي، النحوي المشهور، أخذ النحو عن أبي إسحاق الزجاج، ثم عن أبي بكر بن السري، وأخذ عنه كتاب سيبويه، وانتهت إليه رياسة علم النحو، مات الفارسي سنة ٣٧٧هـ.

ينظر: **«غاية النهاية»** (١/ ٢٠٧)، **«طبقات الزبيدي»** ص ١٢٠.

(٣) محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون الموصلي. ولد سنة (٢٦٦) هـ. وهو إمام أهل العراق في القراءات والتفسير، بلا مدافع. وقد قرأ على ابن أبي مهران، وهارون بن موسى الأخفش، وجماعة. وروى عن أبي مسلم الكجي، ومطين، وآخرين. وروى عنه الدارقطني، وابن شاهين وجماعة. ورحل وطوف من مصر إلى ما وراء النهر. وقد صنف في التفسير، وسماه **«شفاء الصدور»**. قال هبة اللَّه اللالكائي: تفسير النقاش، إشقاء الصدور، ليس شفاء الصدور. توفي في شوال سنة (٣٥١) هـ.

ينظر: **«الأعلام»** (٦/ ٨١)، و **«وفيات الأعيان»** (١/ ٤٨٩).

(٤) أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري، أبو جعفر النحاس: مفسر، أديب، مولده بـ «مصر»، ووفاته بـ «مصر» أيضاً سنة (٣٣٨) هـ، كان من نظراء نفطويه، وابن الأنباري، زار «العراق»، واجتمع بعلمائه، من مصنفاته: **«تفسير القرآن»**، و **«إعراب القرآن»**، و **«ناسخ القرآن ومنسوخه»**، و **«شرح المعلقات السبع»**.

ينظر: **«الأعلام»** (١/ ٢٠٨)، **«البداية والنهاية»** (١١/ ٢٢٢)، **«إنباه الرواة»** (١/ ١٠١).

(٥) أبو محمد، مكي بن أبي طالب القيسي، النحوي المقرىء، كان من أهل التبحر في علوم القرآن والعربية كثير التآليف. صنف: **«الكشف عن وجوه القراءات»**، و **«مشكل إعراب القرآن»**، و **«الموجز في القراءات»** وغيرها. توفي (٤٣٧هـ).

تنظر ترجمته في: **«وفيات الأعيان»** (٥/ ٢٧٤)، و **«بغية الوعاة»** (٢/ ٢٩٨)، و **«شذرات الذهب»** (٣/ ٢٦٠).

(٦) أحمد بن عمار، أبو العباس المهدوي، أستاذ مشهور، قرأ على محمد بن سفيان، وقرأ عليه غانم بن الوليد، وموسى بن سليمان اللخمي، له: **«التفسير المشهور»** مات سنة ٤٤٠هـ.

فصل

واختلف الناس في معنى قوله ﷺ: «أُنْزِلَ القُرْآنُ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَٱقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ».

ثم قال * ع[1] * بعد كلام: والذي مال إِلَيْه كثيرٌ من أهل العلم؛ كأبي عُبَيْدٍ[2] وغيره، أنَّ معنى الحديث أنَّه أُنْزِلَ علَىٰ سبعِ/ لغاتٍ لسبعِ قبائلَ، ثم اختلفوا في تعيينهم، ٥أ وأنا أُلَخِّصُ الغرض جُهْدِي بِحَوْلِ اللَّه، فَأصل ذلك وقَاعدته قريشٌ، ثم بنو سعدِ بنِ بكرٍ[3]؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ قُرَشِيٌّ، واسترضع في بني سَعْد، ونشأ فيهم، ثم ترعرع وشب، وهو يخالط في اللسان كِنَانَةَ وهُذَيْلاً وخُزَاعَةَ وأَسَداً وضَبَّةَ وألفافها؛ لقربهم من مكة، وتَكْرارهم علَيْها، ثم بعد هذه تَمِيماً وقَيْساً ومن ٱنْضَافَ إِليهم وسَطَ جزيرة العرب، فلما بعثه اللَّه تعالَىٰ، ويسَّر عليه أمر الأحرف أنزل عليه القرآن بلغة هذه الجملة المذكورة، وهي التي قسَّمها على سبعة لها السبعةُ الأحرفُ، وهي اختلافاتها في العبارة، قال ثابتُ بن قاسم: لو قلْنا: مِنْ هذه الأحرفِ لقريشٍ، ومنها لكنانةَ، ومنها لَأَسَدٍ، ومنها لهُذَيْلٍ، ومنها لتميمٍ، ومنها لِضَبَّةَ وألفافها[4]، ومنها لقيسٍ، ـ لكان قد أَتَىٰ على قبائل مُضَرَ في مراتب سبعةٍ تستوعِبُ اللغاتِ التي نزل بها القرآن، وهذا نحو ما ذكرناه، وهذه الجملة هي التي

= ينظر: «**بغية الوعاة**» (١/ ٣٥١)، ط. دار المعارف، و «**غاية النهاية**» (١/ ٩٢).

(١) انظر «**المحرر الوجيز**» (١/ ٥٤).

(٢) القاسم بن سلام أبو عبيد البغدادي، أحد أئمة الإسلام فقهاً، ولغة وأدباً، أخذ العلم عن الشافعي، والقراءات عن الكسائي وغيره. قال ابن الأنباري: كان أبو عبيد يقسم الليل أثلاثاً فيصلي ثلثه، وينام ثلثه، ويصنف ثلثه. وقال عبد اللَّه بن الإمام أحمد: عرضت كتاب «**الغريب**» لأبي عبيد على أبي فاستحسنه، وقال: جزاه اللَّه خيراً. توفي سنة (٢٢٤).
انظر: «**طبقات ابن قاضي شهبة**» (١/ ٦٧)، «**طبقات ابن سعد**» (٧/ ٣٥٥)، و «**إنباه الرواة**» (٣/ ١٢)، و «**طبقات الشافعية**» للأسنوي ص ١١، «**تهذيب الأسماء واللغات**» (٢/ ٣٠)، «**طبقات الفقهاء**» للعبادي ص ٢٥.

(٣) بنو سعد بن بكر: هم بطن من هوازن، من قيس عيلان، أصلهم من العدنانية. وهم بنو سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان.
وهم أصحاب غنم، وهم حضنة النبي ﷺ، وقد بعثوا سنة تسع للهجرة ضمام بن ثعلبة وافداً إلى رسول الله ﷺ، وحديثه مشهور. ومن أوديتهم: قرن الحبال، ومن مياههم: تقتد.
ينظر: «**جمهرة أنساب العرب**» لابن حزم (ص ٤٨١)، و «**نهاية الأرب**» للنويري (٢/ ٣٣٥)، و «**معجم قبائل العرب**» لكحالة (٥١٣).

(٤) اللفيف: القوم يجتمعون من قبائل شتى ليس أصلهم واحداً. وجاءوا ألفافاً، أي لفيفاً.
ينظر: «**لسان العرب**» (٤٠٥٤).

انتهتْ إليها الفصاحة وسَلِمَتْ لغاتها من الدَّخَل[١]، ويسرها اللَّه لذلك؛ ليظهر آية نهيه بعجزها عن معارضة ما أنزل عليه، وسبب سلامتها أنها في وسط جزيرة العرب في الحجاز ونَجْدٍ وتِهَامَةَ، فلم تطرقها الأمم.

فأما اليمنُ، وهو جنوبيُّ الجزيرةِ، فأفسدت كلام عربه خلطةُ الحَبَشَةِ والهُنُودِ؛ عَلَىٰ أَنَّ أبا عُبَيْدٍ القاسِمَ بْنَ سَلاَّمٍ، وأبا العَبَّاسِ المُبَرِّدَ[٢] قد ذكرا أنَّ عرب اليمن من القبائل التي نزلَ القرآن بلغاتها.

قال * ع[٣] *: وذلك عندي إنما هو فيما استعملته عرب الحجاز من لغة اليمن؛ كَالعَرِمِ[٤] وَالفَتَّاحِ؛ فأما ما انفردوا به؛ كالزَّخِيخِ[٥] والْقِلَّوْبِ[٦]، فليس في كتاب اللَّه منْه شيء، وأما ما والى العراقَ من جزيرة العرب؛ وهي بلاد ربيعةَ وشَرْقِيّ الجزيرة، فأفسدتْ لغتَهَا مخالَطَةُ الفُرْسِ والنَّبَطِ ونَصَارى الحِيرَةِ وغير ذلك، وأما الذي يلي الشام، وهو شماليُّ الجزيرة، وهي بلاد آل جَفْنَةَ وغيرهم، فأفسدها مخالطة الرُّوم، وكثير من بني إسرائيل، وأما غربيُّ الجزيرة، فهي جبال تسكن بعضها هُذَيْلٌ وغيرهم، وأكثرها غير معمور، فبقيت القبائلُ المذكورةُ سليمةَ اللغاتِ، لم تكدر صفو كلامها أمة من العَجَم.

ويقوى هذا المنْزَعَ أنه لما اتسع نطاقُ الإسلام وداخلَتِ الأممُ العَرَبَ، وتجرَّد أهل المصرَيْنِ؛ البصرة، والكوفة لحفظ لسان العرب، وكتب لغتها، لم يأخذوا إلا من هذه

---

(١) الدَّخَل: العيب والغش والفساد. ينظر «**لسان العرب**» (١٣٤٢).

(٢) محمد بن يزيد بن عبد الأكبر، أبو العباس المبرد، إمام العربية بـ «بغداد» في زمانه، أخذ عن المازني، وأبي حاتم السجستاني، له كتاب «**الكامل**»، و «**المقتضب**»، و «**إعراب القرآن**» مات سنة ٢٨٥هـ.
ينظر: «**بغية الوعاة**» (١/ ٢٦٩)، و «**أخبار النحويين البصريين**» ـ لأبي السعيد الصيرفي ـ ص ١٠٥ ط. الاعتصام.

(٣) «**المحرر الوجيز**» (١/ ٤٦).

(٤) قيل: العرم: اسم الوادي (يعني الذي كان به سبأ). وقيل: اسم الخلد الذي نقب السدَّ حتى فتح وسال ماؤه، فغرق ديارهم وأهلك بساتينهم. وقيل: العرم: المُسَنَّاة.
قال ابن الأعرابي: العَرِم والبِرُّ من أسماء الفأرة... وقيل: العرم: المطر الشديد. وخصه بعضهم بالفأر الذكر، وهو الجراد أيضاً.
ينظر: «**عمدة الحفاظ**»، للسمين الحلبي أحمد بن يوسف ت ٧٥٦هـ، (٣/ ٧٨)، و «**تفسير غريب القرآن**»، ابن قتيبة الدينوري ص ٣٥٥.

(٥) الزَّخِيخ: النار، يمانية، وقيل: هي شدة بريق الجمر والحرِّ والحرير؛ لأن الحرير يبرق من الثياب.
ينظر: «**لسان العرب**» ١٨٢٠.

(٦) القِلِّيب، والقَلُّوب، والقِلَّوب، والقَلُوب، والقِلاب: الذئب، يمانية. ينظر: «**لسان العرب**» ٣٧١٥.

القبائل الوسيطةِ المذكورةِ، ومن كان معها، وتجنَّبوا اليمن والعراق والشام، فلم يكتب عنهم حرفٌ واحدٌ، وكذلك تجنَّبوا حواضر الحجاز مكَّة، والمدينة، والطائف؛ لأنَّ السَّبْيَ والتُّجَّارَ من الأمم كَثُروا فيها، فأفسدوا اللغة، وكانت هذه الحواضر في مدة النبيِّ ﷺ سليمة؛ لقلَّة المخالطة، فمعنى قول النبيِّ ﷺ: «أُنْزِلَ القُرْآنُ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ»، أي: فيه عباراتُ سبعِ قبائلَ؛ بلغة جملتها نزل القُرْآنُ؛ فيعبر عن المعنى فيه مرةً بعبارة قريش، ومرة بعبارة هذيل، ومرة بغير ذلك؛ بحسب الأفصح، والأوجز في اللفظة؛ ألا ترَىٰ أنَّ: «فَطَرَ» معناها عند غير قريش ابتداءُ خَلْقِ الشيء وعمله، فجاءت في القرآن، فلم تتجه لابْنِ عَبَّاس حتى اختصم إليه أعرابيَّان في بئر، فقال أحدهما/ أنا فَطَرْتُهَا، قال ابنُ عَبَّاس: ففهمت ٥ ب حينئذٍ مَوْقِعَ قوله سبحانه: ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ﴾ [فاطر: ١][1]، وقال أيضاً: ما كنت أدري معنى قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا﴾ [الأعراف: ٨٩] حتَى سمعت بنْتَ ذي جدن تقول لزوجها: تعال، أفاتحك، أي: أحاكمك[2]، وكذلك قال عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه وكان لا يفهم معنى قوله تعالَىٰ: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ [النحل: ٤٧]، فوقف به فَتًى، فقال: إن أبي يتخوَّفني حَقِّي، فقال عمر: اللَّه أَكْبَرُ، ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ [النحل: ٤٧] أي: على تنقُّص لهم[3]، وكذلك اتفق لقُطْبَةَ بن مالِكٍ[4]؛ إذ سمع النبيَّ ﷺ يقرأ في الصلاة: ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾ [قَ: ١٠] ذكره مسلم في باب القراءة في صلاة الفجر[5] إلَىٰ غير هذا من الأمثلة، فأباح اللَّه تعالَىٰ لنبيه عليه السلام هذه الحروفَ

---

(١) أخرجه البيهقي في «**الشعب**» (٢/ ٢٥٨) (١٦٨٢)، وذكره السيوطي في «**الدر**» في سورة فاطر (٥/ ٤٥٨)، وعزاه لأبي عبيد في فضائله، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «**الشعب**».

(٢) أخرجه الطبري في سورة الأعراف (٦/ ٤) (١٤٨٦٧)، وذكره السيوطي في «**الدر**» (٣/ ١٩١)، وعزاه لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن الأنباري في «**الوقف والابتداء**»، والبيهقي في «**الأسماء والصفات**».

(٣) الطبري (٧/ ٥٨١) (٢١٦١٨) بنحوه. وذكره السيوطي في «**الدر**» (٤/ ٢٢٣)، وعزاه لابن جرير.

(٤) قطبة بن مالك الثعلبي. صحابي له أحاديث. وعنه ابن أخيه زياد بن علاقة فقط.
ينظر: «**الخلاصة**» (٢/ ٣٥٤)، «**تهذيب التهذيب**» (٨/ ٣٨٩) (٦٧٣)، «**تاريخ البخاري الكبير**» (٧/ ١٩١)، «**الثقات**» (٣/ ٣٤٧)، «**أسماء الصحابة الرواة**» ت (٢٢٦).

(٥) أخرجه مسلم (٢/ ٤١٤ـ نووي/ دار الحديث)، كتاب «الصلاة»، باب القراءة في الصبح، حديث (١٦٥ـ ١٦٧/ ٤٥٧)، والترمذي (٢/ ١٠٨ـ ١٠٩)، كتاب «الصلاة»، باب ما جاء في القراءة في صلاة الصبح، حديث (٣٠٦)، والنسائي (٢/ ١٥٧)، كتاب «الافتتاح»، باب القراءة في الصبح بقاف، حديث (٩٥٠)، وابن ماجه (١/ ٢٦٨)، كتاب «الصلاة»، باب القراءة في صلاة الفجر، حديث (٨١٦)، وأحمد=

السبعة، وعارضه بها جبريلُ في عَرَضَاتِهِ على الوجه الذي فيه الإعجازُ، وجودةُ الرّصف[١]، ولم تقع الإباحة في قوله: ﴿فَٱقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل: ٢٠] بأن يكون كل واحد من الصحابة إذا أراد أن يبدل اللفظة من بعض هذه اللغات، جعلها من تلقاء نفسه، ولو كان هذا، لذهب إعجاز القرآن، وكان معرَّضاً أن يبدل هذا وهذا؛ حتى يكون غير الذي نزل من عند اللَّه، وإنما وقعت الإباحة في الحروف السبعة للنبيِّ ﷺ لِيُوَسِّعَ بها على أمته، فقرأ مرةً لِأُبَيٍّ بما عارضه به جبريلُ، ومرة لابن مسعود بما عارضه به أيضًا، وفي صحيح البخاريِّ عن النبيِّ ﷺ قال: «أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ عَلَىٰ حَرْفٍ، فَرَاجَعْتُهُ، فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ وَيَزِيدُنِي حَتَّى ٱنْتَهَى إِلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ»[٢].

فَصْلٌ فِي ذِكْرِ الْأَلْفَاظِ الَّتِي فِي الْقُرْآنِ مِمَّا لِلُغَاتِ الْعَجَمِ بِهَا تَعَلُّقٌ

اختلف الناس في هذه المسألة[٣]، .....

= (٤/ ٣٢٢)، والحميدي (٨٢٥)، وابن خزيمة (٥٢٧، ١٥٩١)، كلهم من طريق زياد بن علاقة، عن قطبة بن مالك. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(١) الرَّصْف: ضم الشيء بعضه إلى بعض ونظمه. ينظر: «لسان العرب» (١٦٥٦).

(٢) أخرجه البخاري (٨/ ٦٣٩)، كتاب «فضائل القرآن»، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، حديث (٤٩٩١)، ومسلم (١/ ٥٦١)، كتاب «صلاة المسافرين»، باب بيان أن القرآن على سبعة حروف، حديث (٢٧٢/ ٨١٩)، من حديث ابن عباس.

(٣) ذهب أكثر أهل العلم، ومنهم الإمام الشافعي، وابن جرير، وأبو عبيدة والقاضي أبو بكر، وأبو الحسين بن فارس إلى عدم وقوع لفظ أعجمي في كتاب اللَّه تعالى. واستدلوا بقوله تعالى: ﴿قرآناً عربياً﴾ [يوسف: ٢]، وقوله تعالى: ﴿ولو جعلناه قرآناً أعجميًا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي﴾ [فصلت: ٤٤]، وقد شدد الشافعي النكير على القائل بعكس ذلك.

وقال أبو عبيدة: إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين، فمن زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم القول، ومن زعم أن «كذا» بالنبطية فقد أكبر القول.

وقال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ـ رحمه اللَّه ـ: ما ورد عن ابن عباس وغيره من تفسير ألفاظ من القرآن إنها بالفارسية والحبشية أو النبطية أو نحو ذلك، إنما اتفق فيها توارد اللغات، فتكلمت بها العرب والفرس والحبشة بلفظ واحد.

وقال ابن فارس: لو كان فيه من لغة غير العرب شيء لتوهم متوهم أن العرب إنما عجزت عن الإتيان بمثله؛ لأنه أتى بلغات لا يعرفونها.

وذهب آخرون من العلماء إلى وقوعه فيه، وأجابوا عن قوله تعالى: ﴿قرآناً عربياً﴾ بأن الكلمات اليسيرة بغير العربية لا تخرجه عن كونه عربيًا، والقصيدة الفارسية لا تخرج عنها بلفظة فيها عربية، وعن قوله تعالى: ﴿أأعجمي وعربي﴾ بأن المعنى من السياق: «أكلام أعجمي ومخاطب عربي!» كما استدلوا =

فقال أبو عُبَيْدَةَ[١] وغيره: إنَّ في كتاب اللَّه تعالَىٰ من كلِّ لغةٍ، وذهب الطبريُّ وغيره إلى أن القرآن ليس فيه لفظة إلا وهي عربية صريحة، وأن الأمثلة والحروف التي تنسب إلى سائر اللغات إنما اتفق فيها توارد اللغتين، فتكلَّمت العربُ والفرسُ أو الحبشةُ بلفظٍ واحدٍ؛ وذلك مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ [المزمل: ٦] قال ابنُ عَبَّاس: نَشَأَ بلغة الحبشة: قام من الليل[٢]، ومنه قوله تعالَىٰ: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ [الحديد: ٢٨]، قال أبو موسى الأشعريُّ[٣]: كفلانِ: ضِعْفَانِ من الأَجْرِ بلسان .....

= باتفاق النحاة على أن منع صرف نحو «إبراهيم»، و «سليمان»، و «داود» للعلمية والعجمة.
ورد هذا الاستدلال بأن الأعلام ليست محل خلاف، فالكلام في غيرها موجَّه بأنه إذا اتفق على وقوع الأعلام فلا مانع من وقوع الأجناس.
وقد اختار السيوطي مذهب القائلين بالوقوع، واستدل له بما أخرجه ابن جرير بسند صحيح عن أبي ميسرة التابعي الجليل قال: في القرآن من كل لسان. وروي مثله عن سعيد بن جبير ووهب بن منبه.
وكان في ذلك إشارة إلى أن كتاب اللَّه حوى علوم الأولين والآخرين، ونبأ كل شيء، فلا بد أن تقع فيه الإشارة إلى أنواع اللغات والألسن ليتم إحاطته بكل شيء، فاختير له من كل لغة أعذبها وأخفها وأكثرها استعمالاً للعرب.
وأيضاً فالنبي ﷺ مرسل إلى كل أمة، وقد قال تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾ [إبراهيم: ٤] فلا بد وأن يكون في الكتاب المبعوث به من لسان كل قوم، وإن كان أصله بلغة قومه هو.
وثمة مذهب يجمع بين القولين، وهو قول أبي عبيد القاسم بن سلام، فقد قال: والصواب عندي مذهب فيه تصديق القولين جميعاً؛ وذلك أن هذه الأحرف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء، لكنها وقعت للعرب، فعربتها بألسنتها وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها، فصارت عربية، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب، فمن قال: إنها عربية فهو صادق، ومن قال: أعجمية فصادق.
ومال إلى هذا القول الجواليقي وابن الجوزي وآخرون.
وللتاج السبكي نظم لهذه الكلمات الأعجمية، وقد زاد عليه كل من الحافظ ابن حجر والسيوطي.
ينظر: **«الإتقان في علوم القرآن»** (٢/ ١٢٥ـ ١٢٩)، و **«التحبير في علم التفسير»** (٢٠٠ـ ٢٠٢)، وكلاهما للحافظ السيوطي.

(١) معمر بن المثنى التيمي البصري، أبو عبيدة النحوي: من أئمة العلم بالأدب واللغة، ولد في ١١٠هـ قال الجاحظ: لم يكن في الأرض أعلم بجميع العلوم منه، كان إباضياً شعوبياً، من حفاظ الحديث، لما مات لم يحضر جنازته أحد، لشدة نقده معاصريه توفي ٢٠٩هـ، له مؤلفات منها: **«مجاز القرآن»**، **«الشوارد»**، **«الزرع»**.
ينظر: **«وفيات»** (٢/ ١٠٥)، **«المشرق»** (١٥/ ٦٠٠)، **«تذكرة الحفاظ»** (١/ ٣٣٨)، **«بغية الوعاة»** (٣٩٥)، **«السيرافي»** (٦٧)، **«الأعلام»** (٧/ ٢٧٢).

(٢) ينظر: **«الطبري»** (١/ ٣١) (٢)، والبيهقي في **«سننه»** (٣/ ٢٠)، وذكره السيوطي في **«الدر»** (٦/ ٤٤٣)، وعزاه لسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن نصر، وابن المنذر، والبيهقي في **«سننه»**.

(٣) هو: عبد اللَّه بن قيس بن سليم بن حصار بن حرب بن عامر بن غنم بن بكر بن عامر بن عذب بن وائل بن ناجية بن الجماهر بن الأشعر.. أبو موسى الأشعري. صحابي مشهور، كان حسن الصوت=

الحبشة[١]، وكذلك قال ابْنُ عَبَّاس في القَسْوَرَةِ: إِنَّه الأسد بلغة الحبشة[٢]، إلى غير هذا من الأمثلة.

قال * ع[٣] *: والذي أقوله إنَّ القاعدةَ والعقيدةَ هي أنَّ القرآن بلسان عربيٍّ مبينٍ، وليس فيه لفظة تخرج عن كلام العربِ، فلا تفهمها إلا من لسان آخر، فأما هذه الألفاظ وما جرى مجراها، فإنه قد كان للعرب العاربة التي نزل القرآن بلسانها بعضُ مخالطة لسائر الألسنة بتجاراتٍ وسفرٍ إلى الشام وأرض الحبشة، فعَلِقَتِ العربُ بهذا كلِّه ألفاظاً أعجميةً، غيَّرت بعضها بالنقْصِ من حروفها، وجرت إلى تخفيف ثِقَلِ العُجْمة، واستعملتها في أشعارها ومحاوراتها؛ حتى جرت مجرى العربيِّ الصحيح الصريح، ووقع بها البيان، وعلى هذا الحدِّ نزل بها القرآن، فإن جهلها عربيٌّ ما، فكجهله الصريحَ مما في لغة غيره؛ كما لم يعرف ابن عَبَّاس معنى «فَاطِرٍ» إلى غير ذلك، فحقيقة العبارة عن هذه الألفاظ أنها في الأصل أعجمية، لكن استعملتها العرب، وعَرَّبتها، فهي عربية بهذا الوجه، وما ذهب إليه الطبريُّ من أن اللغتين اتفقتا في لفظة لفظة، فذلك بعيدٌ، بل إحداهما أصل، والأخرى فرع في الأكثر؛ لأنا لا ندفع أيضاً جواز الاتفاق قليلاً شاذًّا.

بَابُ تَفْسِيرِ أَسْمَاءِ القُرْآنِ وَذِكْرِ السُّورَةِ وَالآيَةِ

هو القرآنُ، وهو الكتاب، وهو الفُرْقَان، وهو الذِّكْر، فالقرآن: مصدر من قولك: قَرَأَ الرَّجُلُ، إذا تلا، يَقْرَأُ قُرْآناً وقِراءةً.

١٦أ / وقال قتادة: القرآنُ: معناه التأليف، قرأ الرجُلُ إذا جمع وألَّف قولاً، وبهذا فسر قتادة قوله تعالَىٰ: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٧] أي: تأليفه[٤]، والقول الأول

= بالقرآن، وله رواية عن النبي ﷺ كثيرة توفي سنة ٤٢ أو ٤٤ وله نيف وستين سنة.
ينظر ترجمته في: **«أسد الغابة»** (٦/ ٣٠٦)، **«الإصابة»** (٤/ ١١٩)، **«الاستيعاب»** (٤/ ١٧٦٢)، **«تجريد أسماء الصحابة»** (٢/ ٢٠٦)، **«الأنساب»** (١/ ٢٦٦)، **«الكنى والأسماء»** (١/ ٥٧)، **«تذكرة الحفاظ»** (١/ ٢٣).

(١) ينظر: الطبري (١/ ٣١) (١)، وقد ذكره السيوطي في **«الدر»** (٦/ ٢٦١)، وعزاه لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري (١/ ٣١) (٤)، وذكره السيوطي في **«الدر»** (٦/ ٤٦١)، وعزاه لابن أبي حاتم.

(٣) ينظر: **«المحرر الوجيز»** (١/ ٥١).

(٤) أخرجه الطبري (١/ ٦٨) (١١٩)، وذكره السيوطي في **«الدر»** (٦/ ٤٦٨)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر.

أقوى؛ أن القرآن مصدر مِنْ قَرَأَ؛ إذا تلا، ومنه قولُ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ[١] يَرْثِي عثمانَ بْنَ عَفَّانَ[٢] رضي اللَّه عنه: [البسيط]

ضَحَّوْا بِأَشْمَطَ عُنْوَانُ السُّجُودِ بِهِ ... يُقَطِّعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحاً وقُرْآنَا[٣]

أي: وقراءة.

وأَما الكتابُ، فهو مصدرٌ مِنْ كَتَبَ، إذا جمع؛ ومنه قيل: كَتِيبَةٌ لاِجتماعِها؛ ومنه قول الشاعر: [البسيط]

.... وَاكْتُبْهَا بِأَسْيَارِ[٤]

---

(١) هو: حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار.. أبو الوليد، وأبو المضرب، وأبو الحسام، وأبو عبد الرحمن الأنصاري. الخزرجي. النجاري.
شاعر النبي ﷺ. وهو صحابي شهير، وقد جاء في الصحيحين عن البراء؛ أن النبي ﷺ قال لحسان: «اهجهم» أو «هاجهم، وجبريل معك».
وفاته: قيل: توفي قبل الأربعين وقيل غير ذلك.
ينظر ترجمته في: **«تجريد أسماء الصحابة»** (١/ ١٢٩)، **«الاستيعاب»** (١/ ٣٤١)، **«أسد الغابة»** (٢/ ٥)، **«الإصابة»** (٢/ ٨)، **«الثقات»** (٣/ ٧١)، **«تقريب التهذيب»** (١/ ١٦١)، **«تهذيب التهذيب»** (٢/ ٢٤٧)، **«تهذيب الكمال»** (١/ ٢٤٨)، **«الجرح والتعديل»** (٣/ ١٠٢٦)، **«شذرات الذهب»** (١/ ٤١).

(٢) هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس. أبو عبد اللَّه وأبو عمرو. القرشي. الأموي. ذو النورين. أمير المؤمنين. ولد بعد عام الفيل بست سنين. وهو ثالث الخلفاء الراشدين ومجهز جيش العسرة، وهو الذي تستحي منه ملائكة الرحمن، وهو المقتول ظلماً، غني عن التعريف، كتبت في سيرته الكتب، وتغير وجه التاريخ بمقتله، واللَّه سبحانه نسأل العودة إلى أصل الإسلام الصافي قبل الممات بفضله آمين. توفي يوم ٢٢ ذي الحجة سنة ٣٥ وقيل: غير ذلك.
ينظر ترجمته في: **«أسد الغابة»** (٣/ ٥٨٤)، **«الإصابة»** (٤/ ٢٢٣)، **«الزهد»** لوكيع (٥٢١)، **«التبصرة والتذكرة»** (١/ ١٣١)، **«التعديل والتجريح»** (١٠٤٣)، **«بقي بن مخلد»** (٢٨).

(٣) وهو في **«ديوانه»** ص ٢١٦، و **«لسان العرب»** (عنن)، و (ضحا)، و **«الدر المصون»** (١/ ٤٦٦)، والذهبي في **«التاريخ»** كما في **«خزانة الأدب»** (٩/ ٤١٨)، ونسبه البغدادي لأوس بن مغراء، وكذلك في المقاصد النحوية (٤/ ١٧)، ولكثير بن عبد اللَّه النهشلي في **«الدرر»** (٥/ ٢١٤)، وبلا نسبة في **«إصلاح المنطق»** ص ٢٩٠.
وللبيت رواية أخرى لصدره، وهي: هذا سراقة للقرآن يدرسه. وقوله: «ضَحَّوا»... البيت أي: ذبحوه كالأضحية؛ وذلك أنهم قتلوه في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين للهجرة. والشَّمَط: بياض الشعر من الرأس يخالط سواده. وكأنه قال: بأشمط ظاهر الخير.

(٤) هذا جزء من عجز بيت، وهو:
لا تأمنن فزاريا خلوت به ... على بعيرك..... =

أَيْ: أَجْمَعْهَا.

وأما الفُرْقَان، فهو أيضاً مصدر؛ لأنه فَرَقَ بين الحقِّ والباطلِ، والمؤمِنِ والكافِرِ فِرْقَاناً وَفُرْقَاناً.

وأما الذِّكْر؛ فسمي بذلك لأنه ذكر به الناس آخرتهم وَإِلاَهَهُمْ، وما كانوا في غَفْلة عنه، فهو ذِكْرٌ لهم، وقيل: سمي بذلك، لأن فيه ذكْر الأُمَم الماضيةِ، والأنبياء، وقيل: سمي بذلك؛ لأنه ذِكْر وشَرَف لمحمَّد ﷺ وقومه وسائر العلماء به.

وأما السُّورةُ، فإن قريشاً كلَّها ومن جاورها من قبائل العرب؛ كهذيلٍ، وسعد بن بكر، وكنانة يقولون: سُورَةٌ؛ بغير همز، وتميم كلها وغيرهم يهمزون.

فأما من همز، فهي عنده كالبَقِيَّةِ من الشيء، والقطعة منه التي هي سُؤْرٌ وسُؤْرَةٌ مِنْ أَسْأَر، إذا أبقَىٰ؛ ومنه سُؤْر الشراب. وأما من لا يهمز، فمنهم من يراها من المعنى المتقدِّم إلا أنها سهلت همزتها، ومنهم من يراها مشبهة بسورة البناء، أي: القطعة منه؛ لأن كل بناء فإنما بني قطعة بعد قطعة، فكل قطعة منها سورة، فكان سور القرآن هي قطعة بعد قطعة؛ حتى كمل منها القرآن، ويقال أيضاً للرتبة الرفيعة من المَجْد والمُلْك: سُورَة؛ ومنه قول النابغة الذبيانيِّ[1] للنعمانِ بْنِ المُنْذِرِ[2] [الطويل]:

= والبيت منسوب لسالم بن دارة الفزاري في «**الكامل**» (٩٨٨)، و «**خزانة الأدب**» (٥/ ٥٣١)، وفيها «على قلوصك»، و«**شرح ديوان الحماسة**» للتبريزي (١/ ٢٠٥)، وبلا نسبة في «**اللسان**» (كتب)، و «**تاج العروس**» (٤/ ١٠٣). وللبيت رواية أخرى كما في «**شرح ديوان الحماسة**»، وهي:

وإن خلوت به في الأرض وحدكما ... فاحفظ قلوصك واكتبها بأسيار

وقصة البيت أن بني فزارة كانت ترمى بغشيان الإبل، فهجاهم سالم بقصيدة مطلعها:

يا صاحبيّ ألمَّا بي على الدار ... بين الهشوم وشطي ذات أَمَّار

(١) زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني، الغطفاني المضري؛ أبو أمامة، شاعر جاهلي. وكان الأعشى وحسان والخنساء ممن يعرض شعره على النابغة، كان أحسن شعراء العرب ديباجة، عاش عمراً طويلاً. توفي في (١٨) ق هـ.

ينظر: «**شرح شواهد المغني**» (٢٩)، «**معاهد التنصيص**» (١/ ٢٣٣)، «**الأغاني**» (١١/ ٣)، و «**جمهرة**» (٥٢٤٢٦)، و «**نهاية الأرب**» (٣/ ٥٩)، و «**الشعر والشعراء**» (٣٨)، «**الأعلام**» (٣/ ٥٤).

(٢) النعمان الثالث بن المنذر الرابع بن المنذر بن امرىء القيس اللخمي، أبو قابوس، من أشهر ملوك «الحيرة» في الجاهلية. كان داهية مقداماً. وهو ممدوح النابغة الذبياني، وحسان بن ثابت، وحاتم الطائي. وهو صاحب إيفاد العرب على كسرى، وباني مدينة «النعمانية» على ضفة دجلة اليمنى، وصاحب يومي البؤس والنعيم. توفي سنة (١٥) قبل الهجرة. =

أَلَـمْ تَـرَ أَنَّ الـلَّـهَ أَعْـطَـاكَ سُـورَةً تَـرَىٰ كُـلَّ مَـلْـكٍ دُونَـهَـا يَـتَـذَبْـذَبُ[١]

فكأن الرتبة أنبنت حتى كملت.

وأما الآية، فهي العلامة في كلام العربِ، ولما كانت الجملة التامة من القرآن علامةً على صدْقِ الآتي بها، وعلى عجز المتحدَّىٰ بها، سميت آيةً، هذا قول بعضهم، وقيل: سمِّيت آيةً؛ لما كانت جملةً وجماعةَ كلام؛ كما تقول العرب: جئنا بآيتنا، أي: بجماعتنا، وقيل: لما كانت علامةً للفَصْلِ بين ما قبلها وما بعدها، سُمِّيَتْ آيةً.

* ت *: وقوله ﷺ في الصحيح: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاَثٌ؛ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ...» الحديث[٢]، و «آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ[٣]، وآيَةُ مَا بَيْنَنَا وبَيْنَ الْمُنَافِقِينَ شُهُودُ الْعِشَاءِ» يقوِّي القول الأول، واللَّه أعلم، وهذا هو الراجح في مُخْتَصَرِ الطبريِّ، قال: والآية العَلاَمَةُ، وذلك أظهر في العربية والقرآنِ، وأصحُّ القول أن آيات القرآن علاماتٌ للإيمان، وطاعةِ اللَّهِ تعالَىٰ، ودلالاتٌ على وحدانيته وإرسالِ رسله، وعلى البَعْثِ والنشورِ، وأمورِ الآخرةِ، وغير ذلك ممَّا تضمَّنته علومُ القرآن. انتهى.

= انظر: «**حمزة الأصفهاني**» (٧٣ـ ٧٤)، «**الصحاح**» (٢/ ٣٤٠)، «**ابن خلدون**» (٢/ ٢٦٥)، «**الأعلام**» (٨/ ٤٣).

(١) البيت في ديوانه (٢٨)، «**ديوان المعاني**» (١/ ١٦)، و «**المصون**» (١٥٤)، و «**البحر المحيط**» (١/ ٢٤٢)، و «**تفسير القرطبي**» (١/ ٦٥)، و «**الدر المصون**» (١/ ١٥٣)، «**اللسان**» (سور) (٣/ ٢١٤٨).
والمعنى: أعطاك رفعة وشرفاً ومنزلة، وجمعها (سور)، أي: رِفَعٌ.

(٢) أخرجه البخاري (١/ ١١١)، كتاب «الإيمان»، باب علامة المنافق، حديث (٣٣)، و (٥/ ٣٤١ـ ٣٤٢)، كتاب «الشهادات»، باب من أمر بإنجاز الوعد، حديث (٢٦٨٢)، (٥/ ٤٤١)، كتاب «الأدب»، باب قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا اللَّه وكونوا مع الصادقين﴾، حديث (٦٠٩٥)، ومسلم (١/ ٧٨)، كتاب «الإيمان»، باب بيان خصال المنافق، حديث (٩٥/ ١٠٧)، والترمذي (٥/ ١٩)، كتاب «الإيمان»، باب ما جاء في علامة المنافق، حديث (٢٦٣١)، والنسائي (٨/ ١١٧)، كتاب «الإيمان»، باب علامة المنافق، وأحمد (٢/ ٣٥٧، ٣٩٧، ٥٣٦)، وأبو عوانة (١/ ٢٠، ٢١)، وأبو يعلى (١١/ ٤٠٦)، رقم (٦٥٣٣)، وابن الجوزي في «**مشيخته**» (ص ٥٩) من طرق، عن أبي هريرة به.

(٣) أخرجه البخاري (٧/ ١٤١)، كتاب «مناقب الأنصار»، باب حب الأنصار من الإيمان، حديث (٣٧٨٤)، ومسلم (١/ ٨٥)، كتاب «الإيمان»، باب الدليل على أن حب الأنصار من الإيمان، حديث (٧٤/ ١٢٨)، والنسائي (٨/ ١١٦)، كتاب «الإيمان»: باب علامة الإيمان، وأبو يعلى (٧/ ١٩٠ـ ١٩١)، رقم (٤١٧٥)، والبغوي في «**شرح السنة**» (٧/ ٢٤٠ـ بتحقيقنا)، من حديث أنس مرفوعاً.

١٥٤ ـــــــ

والشافعيُّ[١] يتعوَّذان/ في الركعة الأولَىٰ من الصلاة، ويريان قراءة الصلاة كلُّها كقراءةٍ ٦ ب
واحدةٍ، ومالكٌ ـ رحمه اللَّه ـ لا يرى التعوُّذ في الصلاة المفروضة، ويراه في قيام رمضان، ولم يحفظ عن النبيِّ ﷺ أنَّه تعوَّذ في صلاة.

وأما لفظ الاستعاذة، فالذي عليه جمهور الناس هو لفظ كتاب اللَّه تعالى: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾، وأما المقرءون، فأكثروا في هذا من تبديل الصفةِ في اسم اللَّه، وفي الجهة الأخرىٰ؛ كقول بعضهم: أَعُوذُ بِاللَّهِ المَجِيدِ مِنَ الشَّيْطَانِ المَرِيدِ، ونحو هذا مما لا أقول فيه: نعمت البدعةُ، ولا أقول: إنه لا يجوز، ومعنى الاستعاذة الاستجارةُ والتحيُّز إلىٰ الشيء على وجه الامتناع به من المكروهِ.

وأما الشيطان، فٱختلف في اشتقاقِهِ[٢]، فقال الحُذَّاق: هو فَيْعَالٌ من شَطَنَ، إذا بعد؛

---

(١) محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن الشافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف جد النبي ﷺ. وشافع بن السائب هو الذي ينسب إليه الشافعي، لقي النبي ﷺ في صغره، وأسلم أبوه السائب يوم «بدر»؛ فإنه كان صاحب راية بني هاشم، وكانت ولادة الشافعي بقرية من الشام يقال لها «غزة». قاله ابن خلكان وابن عبد البر. وقال صاحب التنقيب: بـ «منى» من مكة، وقال ابن بكار: بـ «عسقلان»، وقال الزوزني: بـ «اليمن»، والأول أشهر، وكان ذلك في سنة خمسين ومائة، وهي السنة التي مات فيها الإمام أبو حنيفة (رحمه اللَّه) حمل إلى مكة وهو ابن سنتين، ونشأ بها، وحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين، ثم سلمه أبوه للتفقه إلى مسلم بن خالد مفتي مكة، فأذن له في الإفتاء. وهو ابن خمسة عشر سنة، فرحل إلى الإمام مالك بن أنس بـ «المدينة»، فلازمه حتى توفي مالك (رحمه اللَّه) ثم قدم «بغداد» سنة خمسة وتسعين ومائة، وأقام بها سنتين، فاجتمع عليه علماؤها، وأخذوا عنه العلم ثم خرج إلى «مكة» حاجاً، ثم عاد إلى «بغداد» سنة ثمان وتسعين ومائةٍ، فأقام بها شهرين أو أقل، فلما قتل الإمام موسى الكاظم خرج إلى «مصر»، فلم يزل بها ناشراً للعلم، وصنف بها الكتب الجديدة، وانتقل إلى رحمة اللَّه (تعالى) يوم الجمعة سلخ رجب سنة أربع ومائتين، ودفن بالقرافة بعد العصر في يومه.
ينظر: «**ابن هداية اللَّه**» ص ١١، «**سير أعلام النبلاء**» (١٠/ ١)، «**التاريخ الكبير**» (١/ ٤٢)، «**طبقات الحفاظ**» (ص ١٥٢)، «**تذكرة الحفاظ**» (١/ ٣٦١).

(٢) اختلف أهل العربية في اشتقاق «الشيطان»، فقال جمهورهم: هو مشتق من «شطن يَشْطُنُ» أي: بعد؛ لأنه بعيد من رحمة اللَّه تعالى، وأنشدوا: [الوافر]

نَأَتْ بِسُعَادَ عَنْكَ نَوًى شَطُوفُ ... فَبَانَتْ وَالْفُؤَادُ بِهَا رَهِينُ

وقال أمية بن أبي الصلت: [الخفيف]

أَيُّمَا شَاطِنٍ عَصَاهُ عَكَاهُ ... ثُمَّ يُلْقَى فِي السِّجْنِ وَالْأَكْبَالِ

وحكى شيخ النحاة سيبويه: «تشيطن» أي فعل فعل الشياطين، فهذا كله يدل على أنه من شطن؛ لثبوت النون وسقوط الألف في تصاريف الكلمة، ووزنه على هذا «فيعال».
وقيل: هو مشتق من «شاط يشيط» أي: هاج واحترق. ولا شك أن هذا المعنى موجود فيه، فأخذوا=

لأنه بعد عن الخير والرحمة، وأما الرجيم، فهو فَعِيلٌ بمعنى مَفْعُولٍ؛ كَقَتِيلٍ وجَرِيحٍ، ومعناه: أنه رُجِمَ باللعنة والمَقْت وعدم الرحمة.

بَابٌ فِي تَفْسِيرِ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

روي أن رجلاً قال بحضرة النبيِّ ﷺ: «تَعِسَ الشَّيْطَانُ»؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «لاَ تَقُلْ ذَلِكَ؛ فَإِنَّهُ يَتَعَاظَمُ عِنْدَهُ وَلَكِنْ قُلْ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَإِنَّهُ يَصْغُرُ حَتَّىٰ يَصِيرَ أَقَلَّ مِنَ الذُّبَابِ»[1]، وَالبَسْمَلَة تسعةَ عَشَرَ حرْفاً، قال بعض الناس: إن روايةً بلغتهم أنَّ ملائكة النار الذين قال اللَّه فيهم: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر: ٣٠] إنما ترتب عددهم علَىٰ حروف: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ لكلِّ حرفٍ مَلَكٌ، وهم يقولون في كل أفعالهم: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، فمن هناك هي قوتهم، وباسم اللَّه استضْلَعوا[2].

قال * ع[3] *: وهذا من ملح التفسير، وليس من متين العَلْمِ.

* ت *: ولا يخفَىٰ عليك لين ما بلغ هؤلاء، ولقد أغنى اللَّه تعالى بصحيح

= بذلك أنه مشتق من هذه المادة، لكن لم يسمع من تصاريفه إلا ثابت النون محذوف الألف، كما تقدم. ووزنه على هذا «فعلان». ويترتب على القولين: صرفه وعدم صرفه إذا سمى به، وأما إذا لم يسم به فإنه منصرف البتة؛ لأن من شرط امتناع فعلان الصفة ألا يؤنث بالتاء، وهذا يؤنث بها، قالوا: شيطانة. ينظر: «**الدر المصون**»، للسمين الحلبي (١/ ٤٨ـ ٤٩). بتصرف.

(١) أخرجه أبو داود (٢/ ٧١٤)، كتاب «الأدب»، باب (٧٧)، حديث (٤٩٨٢)، والنسائي في «**الكبرى**» (٦/ ١٤٢)، كتاب «عمل اليوم والليلة»، باب ما يقول إذا عثرت دابته، حديث (١٠٣٨٨)، كلاهما من طريق خالد الحذاء، عن أبي تميمة، عن أبي المليح، عن رجل قال: كنت رديف النبي ﷺ فذكره.
وأخرجه الحاكم (٤/ ٢٩٢) من طريق يزيد بن زريع: ثنا خالد الحذاء، عن أبي تميمة، عن رديف رسول اللَّه ﷺ به.
وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ورديف رسول اللَّه ﷺ الذي لم يسمه يزيد بن زريع، عن خالد سماه غيره أسامة بن مالك والد أبي المليح بن أسامة.
ووافقه الذهبي، وزاد: «ورواه محمد بن حمدان، عن خالد، عن أبي تميمة، عن أبي المليح بن أسامة عن أبيه. اهـ. والطريق الذي أشار إليه الذهبي:
أخرجه النسائي في «**الكبرى**» (٦/ ١٤٢)، كتاب «عمل اليوم والليلة»، باب ما يقول إذا عثرت به دابته، حديث (١٠٣٨٩)، من طريق أحمد بن عبدة، عن محمد بن حمدان به. وأخرجه أحمد (٥/ ٥٩)، والبغوي في «**شرح السنة**» (٦/ ٤٠١ـ بتحقيقنا)، من طريق عبد الرزاق، عن معمر، عن عاصم الأحول، عن أبي تميمة الهجيمي، عمن كان رديفه.

(٢) الضَّلاعة: القوة وشدة الأضلاع، والضليع: العظيم الخلق الشديد، يقال: ضليعٌ بَيِّنُ الضَّلاعة. ينظر: «**لسان العرب**» (٢٥٩٩).

(٣) «**المحرر الوجيز**» (١/ ٦١).

الأحاديثِ وحُسْنها عن موضوعاتِ الورَّاقين، فجزى اللَّه نقاد الأمة عنا خيرًا.

وما جاء من الأثر عن جابر وأبي هريرة مما يقتضي بظاهره أن البسملة آيةٌ من الفاتحة يرده صحيح الأحاديث؛ كحديث أنس، وأبي بن كعب، وحديث: «قَسَمْتُ الصَّلاَةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي»[1] ونحوها، ولم يحفظ قطُّ عن النبيِّ ﷺ، ولا عن الخلفاء بعده؛ أنهم يبسملون في الصلاة[2].

---

(١) أخرجه مالك (١/ ٨٤)، كتاب «الصلاة»، باب القراءة خلف الإمام، الحديث (٣٩)، وأحمد (٢/ ٢٨٥)، ومسلم (١/ ٢٩٧)، كتاب «الصلاة»، باب وجوب قراءة الفاتحة، الحديث (٣٩ و٤٠)، وأبو داود (١/ ٥١٢- ٥١٣- ٥١٤)، كتاب «الصلاة»، باب من ترك قراءة الفاتحة، الحديث (٨٢١)، والترمذي (٢/ ٢٥)، كتاب «الصلاة»، باب لا صلاة إلا بالفاتحة، الحديث (٢٤٧)، والنسائي (٢/ ١٣٥- ١٣٦)، كتاب «الصلاة»، باب ترك قراءة البسملة في الفاتحة، والبخاري في «**جزء القراءة**» (ص ٤)، وابن ماجة (٢/ ١٢٤٣)، كتاب «الأدب»، باب ثواب القرآن، حديث (٣٧٨٤)، والدارقطني (١/ ٣١٢) وابن خزيمة (١/ ٢٥٣)، والبيهقي (٢/ ٣٩) عن أبي هريرة.
ولفظ مالك عن أبي السائب مولى هشام بن زهرة، عن أبي هريرة، سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج، هي خداج، هي خداج غير تمام» قال: فقلت: يا أبا هريرة إني أحياناً أكون وراء الإمام، قال: فغمز ذراعي، ثم قال: اقرأ بها في نفسك يا فارسي، فإني سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «قال اللَّه تبارك وتعالى: قَسَمْت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فنصفها لي، ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل»؛ قال رسول اللَّه ﷺ: «اقرءوا، يقول العبد: الحمد للَّه رب العالمين، يقول اللَّه تعالى: حمدني عبدي». الحديث.

(٢) ذهب أكثرُ أهل العلم من الصحابة، فمَنْ بعدهم إلى ترك الجهر بالتسمية، بل يُسِرُّ بها، منهم أبو بكر، وعمرُ، وعثمانُ، وعلي، وغيرهم، وهو قول إبراهيم النَّخَعِي، وبه قال مالك، والثوري، وابن المبارك، وأحمد، وإسحاق، وأصحابُ الرأي.
وذهب قوم إلى أنه يُجْهَرُ بالتسميةِ للفاتحة والسورةِ جميعاً، وبه قال من الصحابة أبو هريرة، وابنُ عمر، وابنُ عباس، وأبو الزبير، وهو قول سعيد بن جُبَيْر، وعطاء، وطاوس، ومجاهد، وإليه ذهب الشافعي.
وروى في الحديث أن النبي ﷺ وأبا بكر يبدءون وعمر وعثمان كانوا يفتتحون القراءة بـ «الحمد للَّه رب العالمين» معناه: أنهم كانوا يبدءون بقراءة فاتحة الكتاب قبل السورة، وليس معناه: أنهم كانوا لا يقرءون «بسم اللَّه الرحمن الرحيم». وكان الشافعي يرى أن يُبدأ «ببسم اللَّه الرحمن الرحيم» وأن يجهر بها إذا جهر بالقراءة. قال العلامة أحمد شاكر: ومن فقه أبي عيسى الترمذي أن عقد الخلاف في البابين (١٨٠، ١٨١) بين الجهر بالبسملة وترك الجهر بها، ولم يعقد بين أصل قراءتها وتركها. أما أئمة القراءات، فإنهم جميعاً اتفقوا على قراءة البسملة في ابتداء قراءة كل سورة، سواء الفاتحة أو غيرها من السور سوى «براءة» ولم يرد عن واحد منهم أبداً إجازة ابتداء القراءة بدون التسمية. قال ابن الجزري في «**طيبته**».

بَسْمَلَ بَيْنَ السُّورَتَيْنِ (بـ)س (نـ)صف (د)م (شـ)ق (ر) جا وصل (فـ)شا
وعن خلف (العاشر) فاسكت فصل والخلف (كـ)م (حما) (جـ)لا (الأزرق)

إلى أن قال: وفي ابتداء السورة كلٌّ بسملا.
وقال صاحب «**الشاطبية**»: ولا بد منها (أي البسملة) في ابتدائك سورة. =

* ع[١] *: والباء في ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ متعلِّقة عند نحاة البصرة باسم تقديره: ابتدائي مستقر أو ثابت باسم اللَّه، وعند نحاة الكوفة بفعلٍ تقديره: ابتدأت باسم اللَّه، واسْمٌ: أصله سِمْوٌ؛ بكسر السين، أو سُمْوٌ؛ بضمها، وهو عند البصريين مشتقٌّ من السُّمُوِّ[٢].

* ت *: وهو العلو والارتفاع.

= والحرف الأول في كلمة من البيتين يرمز لقارىء أو راوٍ، فالبسملة آية في كل سورة عند الأكثرين، وهؤلاء هم أهل الرواية المنقولة بالسماع والتلقي شيخاً عن شيخ في التلاوة والأداء، وقد اتفقوا جميعاً على قراءتها أول الفاتحة، وإن وصلت بغيرها، وجميع المصاحف التي كتبها الخليفة الثالث عثمان وأقرها الصحابة دون ما عداها كتبت فيها البسملة في أول كل سورة، سوى «براءة»، وأن الصحابة (رضوان اللَّه عليهم) حين جمعوا القرآن في المصاحف جردوه من كل شيء غيره، فلم يأذنوا بكتابة أسماء السور ولا أعداد الآي ولا «آمين»، ومنعوا أن يجرؤ أحد على كتابة ما ليس في كتاب اللَّه في المصاحف، حرصاً منهم على الحفاظ عليه، فهل يعقل مع هذا كله أن يكتبوا مائة وثلاث عشرة بسملة زيادة على ما أنزل على رسول اللَّه ﷺ؛ ألا يدل دلالة قاطعة منقولة بالتواتر العمل المؤيد بالكتابة المتواترة على أنها آية من القرآن في كل موضع كتابة فيه؟!!

تنظر المسألة في: **«الأم»** للشافعي (١/ ٢١٣)، **«شرح المهذب»** (٣/ ٢٨٨)، **«حلية العلماء ومعرفة مذاهب الفقهاء»** (٢/ ١٠٢)، **«فتح الوهاب»** للشيخ زكريا (١/ ٤٠)، **«الحاوي»** للماوردي (٢/ ١٠٤)، **«روضة الطالبين»** (١/ ٣٤٧)، **«بدائع الصنائع»** (١/ ٢٠٣)، **«المبسوط»**(١/ ١٥)، **«الهداية»** (١/ ٤٨)، **«شرح فتح القدير»** (١/ ٢٥٣، ٢٥٤)، **«الاختيار»** (١/ ٥١)، **«الحجة على أهل المدينة»** (١/ ٩٦)، **«الكافي»** لابن عبد البر ص (٤٠)، **«المغني»** لابن قدامة (٢/ ١٥١)، **«كشاف القناع»** (١/ ٣٣٥)، **«الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف»** (٢/ ٤٨)، **«بداية المجتهد»** لابن رشد (١/ ٩٦ـ ٩٧)، **«نيل الأوطار»** (٢/ ٢٢٢ـ ٢٣٢)، **«فتح العلام»** ص (١٩٥)، **«سبل السلام»** (١/ ٢٤١)، **«شرح البهجة»** (١/ ٣٠٨ـ ٣٠٩)، **«الجمل على المنهج»** (١/ ٣٤٥)، **«مختلف الرواية»** ص (٤١٢)، **«الأوسط»** (٣/ ١١٩ـ ١٢٣).

(١) **«المحرر الوجيز»** (١/ ٦١).

(٢) اشتقاق الاسم عند المحققين من النحويين من السمو، وهو الارتفاع، ومحل مرتفع فهو ظاهر. والاسم يظهر المسمى عند السامع؛ فاشتق من السمو لذلك، وقد قيل: إنما اشتق الاسم من السمو؛ لكون الكلام على ثلاثة أقسام. وضع لكل قسم عبارة، وكان الاسم المقدم؛ فأعطي أرفع العبارات، وكان الحرف المتأخر؛ إذ لا معنى له في ذاته، فأعطي أحط العبارات، وكان الفعل واسطة بينهما فتوسط اسمه.

وذهب قوم إلى أن اشتقاق الاسم من السمة، وهي العلامة، والاسم جعل دلالة على المسمى، وهذا تبطله صناعة العربية؛ إذ لو كان مشتقاً من السمة لقيل في تصغيره: وسيم، ولا يقال ذلك إنما يقال في تصغيره سميّ، وكذلك في جمعه أسماء برد لام الفعل. والتكبير والتصغير يردان الأشياء إلى أصولها، فصح أن اشتقاقه من السمو.

ينظر: **«العلوم المستودعة في السبع المثاني»** (ج ٢)، و **«الصاوي على الخريدة»** (٦ـ٧).

قال * ص[١] *: والاسم: هو الدالُّ بالوضع. على موجودٍ في العِيَان؛ إنْ كان محسوساً، وفي الأذهان؛ إن كان معقولاً من غير تعرُّض ببنيته للزمان، ومدلولُهُ هو المسمَّىٰ[٢]، والتسميةُ جعْلُ ذلك اللفظِ دليلاً على المعنَىٰ، فهي أمور ثلاثةٌ متباينةٌ، فإذا أسندت حكماً إلى لفظ اسم، فتارة يكون حقيقةً؛ نحو: زيد؛ اسْمَ ابنك، وتارة يكون مجازاً وهو حيث يطلق الاسم، ويراد به المسمَّىٰ؛ كقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٧٨]، و ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾ [الأعلى: ١]، وتأول السُّهَيْلِيُّ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾؛ على إقحام الاسم، أي: سبح ربك، وإنما ذكر الاسم حتى لا يخلو التسبيح من/ اللفظ ٤٧أ باللسان؛ لأن الذكر بالقلْبِ متعلَّقه المسمى، والذكر باللسان متعلقه اللفْظُ، وتأول قوله تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً﴾ [يوسف: ٤٠]؛ بأنها أسماء كاذبة غير واقعة على الحقيقة؛ فكأنهم لم يعبدوا إلا الأسماء التي ٱخترعُوها. انتهى.

وقال الكوفيُّون: أصل اسْم وسْم من السِّمَة، وهي العلامة؛ لأن الاسم علامة لمن وضع له، والمكتوبة التي لفظها اللَّه أبهر أسمائه تعالَىٰ وأكثرها ٱستعمالاً، وهو المتقدِّم لسائرها في الأغلب، وإنما تجيء الأُخَرَ أوصافاً، وحذفت الألفُ الأخيرةُ من اللَّه لِئَلاَّ يشكل بخط «اللاَّتِ»، وقيل: طرحت تخفيفاً.

---

(١) ينظر: **«المجيد في إعراب القرآن المجيد»** لإبراهيم بن محمد الصفاقسيّ ص (٤١).

(٢) في حقيقة الاسم عند المتكلمين خلاف مشهور، فذهب الأشعرية إلى أنه عين المسمى. وذهبت المعتزلة إلى أنه غير المسمى، وقالت الأشعرية وطائفة من المتكلمين: إن الكلام في الاسم والمسمى يعرفك حقيقة صفات معبودك، فتصل بذلك إلى تصحيح توحيدك، فإذا لم ينظر الإنسان ويستدل فكيف يصل إلى المعرفة التي كلفها؟! لكن منع الشافعي رضي اللَّه عنه، وابن حبل، وأكثر الفقهاء، والمحدثين (رضي اللَّه عنهم) طريق الكلام في الاسم والمسمى. حتى قال الشافعي: إذا سمعت الرجل يقول: الاسم هو المسمى أو غير المسمى فاشهد بأنه من أهل الكلام ولا دين له.

وعلى كل، فطريق المتكلمين غير طريق الفقهاء والمحدثين؛ فإن الفقهاء والمحدثين أخذوا الأمور بالتسليم والنقل، والمتكلمون ركبوا إلى النقل طريق النظر بالعقل، فأقاموا صناعة غير معهودة في السلف، وقالوا: نفتح بها طريق النظر؛ إذ السلف كانوا لقرب عهدهم بالنبوة ولاشتغال أفكارهم بالنظر في ملكوت السماء والأرض مستغنين عن هذه الصناعة؛ إذ كانت الأدلة راسخة في قلوبهم، وطرق الاستدلال نيرة في عقولهم، فلما ذهب ذلك الجيل الجليل وفترت الدواعي، وفشت البدع بسوء النظر، وجب أن يحرّ طريق النظر، وتنهج مسلك العبر، وتبين الأدلة الصحيحة من الفاسدة، وتصان عقائد الخلق عن تشويش المبتدعة والمارقة، فتكلموا بما لم يعهد من السلف الكلام فيه، فمن العلماء من يؤثره ويراه عين الصواب، ومنهم من يجتنبه ويجعله عين الضلال، ومنهم من يتوقف فيه، ومنهم من يرتضي منه أسلوباً دون غيره من الأساليب. انظر: **«العلوم المستودعة في السبع المثاني»** ١٩خ.

والرَّحْمَن[١]: صفةُ مبالغةٍ من الرحمة، معناها: أنه انتهى إلى غاية الرحمة، وهي صفة تختصُّ باللَّه تعالَىٰ، ولا تطلق على البشر، وهي أبلغ من فَعِيلٍ، وفَعِيلٌ أبلغ من فَاعِلٍ؛ لأن رَاحِماً يقال لمن رَحِمَ ولو مرةً واحدة، ورَحِيماً يقال لمن كَثُر منه ذلك، والرحمن النهايةُ في الرحْمَة[٢].

(١) ينظر: «**الأسنى في شرح أسماء اللَّه الحسنى**» للإمام القرطبي، (١/ ٦١: ٩٢).

(٢) قال الشيخ أبو حيان: «وكان القياس الترقي كما تقول: عالم نحرير، وشجاع باسل، لكن أردف الرحمن الذي يتناول جلائل النعم وأصولها، ليكون كالتتمة والرديف؛ ليتناول ما دق منها وما لطف، واختاره الزمخشري».

ينظر: «**البحر المحيط**» (١/ ١٢٨).

تَفسِيرُ فَاتِحَةِ الكِتَابِ

بِحَوْلِ اللَّه تَعَالَىٰ وَقُوَّتِهِ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١﴾

قال ابن عبَّاس وغيره: إنها مكية[1]؛ ويؤيد هذا أن في سُورَةِ الحِجْرِ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ المَثَانِي﴾ [الحجر: ٨٧]، والحجر مكية بإجماع، وفي حديث أُبَيِّ بن كعب أنَّها السبْعُ المثانِي[2].

ولا خلاف أن فرض الصلاة كان بمكة، وما حفظ أنه كانت قط في الإسلام صلاةٌ بغير: ﴿الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾، وروي عن عطاء بن يسار[3] وغيره؛ .....

---

(١) ذكره السمرقندي في «**تفسيره**» (١/ ٧٨)، وابن كثير (١/ ٨) عن ابن عباس، وقتادة، وأبي العالية. والسيوطي في «**الدر**» (١/ ١٩ـ ٢٠) عن علي وقتادة. وقال الحافظ في «**الفتح**» (٨/ ٩): إن الفاتحة مكية، وهو قول الجمهور.

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٢٩٧)، كتاب «تفسير القرآن»، باب سورة الحجر، حديث (٣١٢٥)، (٥/ ١٥٥)، كتاب «فضائل القرآن»، باب ما جاء في فضل فاتحة الكتاب، حديث (٢٨٧٥)، والنسائي (٢/ ١٣٩)، كتاب «الافتتاح»، باب تأويل قول الله (عز وجل): ﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم﴾، حديث (٩١٤)، وفي «التفسير» (١/ ٥٢٣ـ ٥٢٤)، رقم (٢٢٥)، والطبري في «**تفسيره**» (٩/ ١٤٢)، وأحمد (٢/ ٤١٢ـ ٤١٣)، والدارمي (٢/ ٤٤٦)، وعبد الله بن أحمد في «**زوائد المسند**» (٥/ ١١٤)، وعبد بن حميد في «**المنتخب من المسند**» (ص ٨٦)، رقم (١٦٥)، وأبو يعلى (١١/ ٣٦٧ـ ٣٦٨)، رقم (٦٤٨٢)، وابن خزيمة (١/ ٢٥٢)، رقم (٥٠٠، ٥٠١)، وابن حبان (٣/ ٥٣)، رقم (٧٧٥ـ الإحسان)، والحاكم (١/ ٥٥٧)، والبيهقي (٢/ ٣٧٥ـ ٣٧٦)، كلهم من طريق العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن أبي بن كعب به.

وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

وصححه ابن خزيمة وابن حبان.

والحديث ذكره السيوطي في «**الدر المنثور**» (١/ ٢١) وزاد نسبته إلى أبي عبيد، وابن المنذر، وابن مردويه، وأبي ذر الهروي في «**فضائل القرآن**».

(٣) عطاء بن يَسَار الهَلاَلي، أبو محمد المدني، أحد الأعلام. عن مولاته مَيْمُونَة، وابن مَسْعُود، وأُبَيّ بن كَعْب، وأبي ذَرّ وخلق. وعنه أبو سَلمَةَ، وحَبِيب بن أبي ثَابِت، وأبو جعفر البَاقِر، وعَمْرو بن دينار، وخلق. قال النسائي: ثقة. قال الهَيْثَم بن عَدِيّ: توفي سنة سبع وتسعين. وقال عمرو بن علي: سنة

أنها مدنية[١]، وأما أسماؤها فلا خلاف أنه يقال لها فاتحة الكتاب، واختلف، هل يقال لها أم الكتاب؟ فكره ذلك الحسن بن أبي الحسن، وأجازه ابن عبَّاس وغيره[٢].

وفي تسميتها بـ «أُمِّ الْكِتَابِ» حديثٌ رواه أبو هريرة[٣]، واختلف هل يقال لها: «أُمُّ القُرْآنِ»؟ فكره ذلك ابن سيرين[٤]، وجوزه جمهور العلماء.

وسميت «المَثَانِيَ»؛ لأنها تثنَّىٰ في كل ركعة[٥]؛ وقيل: لأنها استثنيت لهذه الأمة.

وأما فضل هذه السورة، فقد قال رسول اللَّه ﷺ في حديث أبيِّ بن كعب؛ أنَّهَا لم ينزل في التوراة، ولا في الإنجيل، ولا في الفرقان مثلها[٦]، وروي أنها تعدل ثلثَي القرآن، وهذا العدل إما أنْ يكون في المعاني، وإما أنْ يكون تفضيلاً من اللَّه تعالَىٰ لا يعلل؛ وكذلك يجيء عدل: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] وعدل: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ [الزلزلة: ١] وغيره.

= ثلاث ومائة.

ينظر: «تهذيب الكمال» (٢/ ٩٣٨)، و «تهذيب التهذيب» (٧/ ٣١٧)، و «تقريب التهذيب» (٢/ ٢٣)، و «سير الأعلام» (٤/ ٤٤٨).

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (١/ ٣٧)، والماوردي في «تفسيره» (١/ ٤٥)، والسيوطي في «الدر» (١/ ٢٠)، وعزاه لوكيع في «تفسيره». كلهم عن مجاهد. وابن كثير (١/ ٨) عن أبي هريرة، ومجاهد، وعطاء بن يسار، والزهري. وقال ابن كثير: والأولى أشبه «أي أنها مكية»، لقوله تعالى: ﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني﴾ واللَّه تعالى أعلم.

(٢) أخرجه البخاري معلقاً (٨/ ٦). وذكره الماوردي في «تفسيره» (١/ ٤٦)، وابن كثير (١/ ٨). وقال الحافظ في «الفتح» (٨/ ٦): ويأتي في تفسير «الحجر» حديث أبي هريرة مرفوعاً: «أم القرآن هي السبع المثاني» ولا فرق بين تسميتها بأم القرآن، وأم الكتاب، ولعل الذي كره ذلك وقف عند لفظ «الأم».

(٣) أخرجه الترمذي (٥/ ٢٩٧)، كتاب «التفسير»، باب ومن سورة الحجر، حديث (٣١٢٤)، وأبو داود (١/ ٤٦١)، كتاب «الصلاة»، باب فاتحة الكتاب، حديث (١٤٥٧) من طريق ابن أبي ذئب، عن المقبري، عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «الحمد للَّه أم القرآن، وأم الكتاب والسبع المثاني».
وأخرجه البخاري (٨/ ٢٣٢) بلفظ: «أم القرآن هي السبع، والقرآن العظيم».
وأخرجه البغوي في «شرح السنة» (٣/ ١٣ـ بتحقيقنا)، وقال: هذا حديث صحيح، وأراد بأم القرآن فاتحة الكتاب، وسميت بأم القرآن؛ لأنها أصل القرآن، وأم كل شيء أصله، وسميت مكة أم القرى كأنها أصلها ومعظمها، وقيل: سميت أم القرآن، لأنها تتقدم القرآن، وكل من تقدم شيئاً فقد أمه».

(٤) ينظر: الماوردي في «تفسيره» (١/ ٤٦)، وابن كثير (١/ ٨)، والحافظ في «الفتح» (٨/ ٦)، والسيوطي في «الدر» (١/ ٢٠)، وعزاه لابن ضريس في «فضائل القرآن».

(٥) ينظر: «تفسير الطبري» (١/ ١٠٣) طبعة أحمد شاكر.

(٦) تقدم تخريجه قريباً.

* ت *: ونحو حديث أُبَيٍّ حديث أبي سعيد بن المُعَلَّى[١]؛ إذ قال له ﷺ: «أَلاَ أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ ﴿الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾؛ هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي، والقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ». رواه البخاري، وأبو داود، والنسائيُّ، وابن ماجة. انتهى من «**سِلاَح المُؤْمِنِ**» تأليف الشيخ المحدِّث أبي الفتح تقي الدِّين محمَّد بن علي بن همام[٢] ـ رحمه اللَّه ـ.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾

الحَمْدُ: معناه الثناء الكاملُ، والألف واللام فيه لاِستغراقِ الجنس من المحامد، وهو أعم من الشكر؛ لأنَّ الشكر إنما يكون على فِعْلٍ جميل يسدى إلى الشاكر، والحمد المجرَّد هو ثناء بصفات المحمود.

قال * ص[٣] *: وهل الحمدُ بمعنى الشكْر أو الحمدُ أَعمُّ، أو الشكر ثناءٌ على اللَّه بأفعاله، والحمد ثناء عليه بأوصافه؟ ثلاثةُ أقوال. انتهى.

قال الطبريُّ[٤]: الحمدُ لِلَّهِ: ثناءٌ أثنَىٰ به على نفسه تعالَىٰ، وفي ضمنه أمر عباده أن يثنوا به عليه؛ فكأنه قال: قولوا: الحمد للَّه/، وعلى هذا يجيء: قولوا: ﴿إِيَّاكَ﴾، وَ ﴿ٱهْدِنَا﴾. ٧ ب

---

(١) أبو سعيد بن المُعَلَّى بن لَوْذان بن حبيب بن عدي بن زيد بن ثعلبة بن مالك بن زيد مَنَاة الأنصاري، اسمه رافع، له أحاديث، انفرد له البخاري بحديث. وعنه حفص بن عاصم. قال الزيادي: مات سنة ثلاث وسبعين.
ينظر: «**الخلاصة**» (٣/ ٢١٩)، و «**تهذيب التهذيب**» (١٢/ ١٠٧)، و «**التاريخ الكبير**» (٩/ ٣٤).

(٢) «**سلاح المؤمن**» لتقي الدين أبي الفتح محمد بن محمد بن علي بن همام، المصري، الشافعي، المتوفى سنة خمس وأربعين وسبعمائة. اشتهر في حياته بالغرناطي. أوله: الحمد للَّه المنعم على خلقه بجميع آلائه. إلخ، بوبه على واحد وعشرين باباً، وقد اختصره الذهبي محمد بن أحمد الحافظ المتوفى سنة ثمان وأربعين وسبعمائة. ينظر: «**كشف الظنون**» (٢/ ٩٩٤، ٩٩٥).

(٣) «**المجيد**» ص ٥٠.

(٤) «**تفسير الطبري**» (١/ ١٣٩ـ ١٤٠)، وقد استدل أبو جعفر على حذف ما تعرفه العرب في أحاديثها بقول الشاعر: [الوافر]

واعلم أنني سأكون رمساً ... إذا سار النواعج لا يسير
فقال السائلون لمن حفرتم؟ ... فقال المخبرون لهم: وزير

ثم قال: يريد بذلك، فقال المخبرون لهم: الميت وزيرٌ، فأسقط الميت؛ إذ كان قد أتى من الكلام بما دل على ذلك...».

قال: وهذا من حذف العربِ ما يدلُّ ظاهر الكلام عليه، وهو كثيرٌ.

والرب؛ في اللغة: المعبودُ، والسيدُ المالكُ، والقائمُ بالأمور المُصْلِحُ لما يفسد منها، فالرب على الإطلاق هو ربُّ الأرباب علَىٰ كل جهة، وهو اللَّه تعالَىٰ.

والعَالَمُونَ: جمع عَالَم، وهو كل موجود سوى اللَّه تعالَىٰ، يقال لجملته: عَالَمٌ، ولأجزائه من الإنس والجن وغير ذلك عَالَمٌ، عَالَمٌ، وبحسب ذلك يجمع على العَالَمِينَ، ومن حيثُ عالَمُ الزمانِ متبدِّلٌ في زمان آخر، حَسُنَ جمعها، ولفظة العالَم جمع لا واحد له من لفظه، وهو مأخوذ من العَلَم والعلامة؛ لأنه يدل على موجده؛ كذا قال الزَّجَّاج[1]، قال أبو حَيَّان[2]: الألف واللام في العَالَمِينَ لِلاَسْتغراقِ، وهو جمع سلامة، مفرده عَالَمٌ، اسم جمع، وقياسه ألا يجمع، وشذَّ جمعه أيضاً جمع سلامة؛ لأنه ليس بعَلَمٍ ولا صفةٍ.

* م *: وذهب ابنُ مالك[3] في «شَرْحِ التَّسْهِيلِ» إلى أن «عَالَمِين» اسم جمعٍ لمن يعقل، وليس جمع عالمٍ؛ لأن العَالَمَ عامٌّ، و «عالَمِينَ» خاصٌّ، قلت: وفيه نظر. انتهى.

وقد تقدَّم القول في الرحمن الرحيم.

﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾

﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾: الدِّينُ في كلام العربِ على أنحاء، وهو هنا الجزاءُ يوم الدين، أي: يوم الجزاء على الأعمال والحساب بها؛ قاله ابن عباس[4] وغيره؛ مَدِينِينَ: محاسَبِينَ[5]، وحكى أهل اللغة: دِنْتُهُ بِفِعْلِهِ دَيْناً؛ بفتح الدال، وَدِيناً؛ بكسرها: جزيتُهُ؛

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» لأبي إسحاق الزجاج (١/ ٤٦).

(٢) «البحر المحيط» (١/ ١٣٢)، وينظر «المجيد» ص (٥٣).

(٣) محمد بن عبد اللَّه بن مالك الطائي الجيّاني، أبو عبد اللَّه، جمال الدين، أحد الأئمة في علوم العربية. ولد في حيان بـ «الأندلس» سنة ٦٠٠هـ، وانتقل إلى دمشق، فتوفي فيها سنة (٦٧٢) هـ. من كتبه: «الألفية» وهو أشهرها في النحو، و «تسهيل الفوائد» في النحو أيضاً، وكذلك «الكافية الشافية» أرجوزة في نحو ثلاثة آلاف بيت، و «إيجاز التعريف» في الصرف، و «العروض».
ينظر: «الأعلام» (٦/ ٢٣٣)، «بغية الوعاة» (٥٣)، «آداب اللغة» (٣/ ١٤٠)، و «طبقات السبكي» (٥/ ٢٨).

(٤) أخرجه ابن جرير (٩/ ٢٩٢) (٢٥٨٨٩)، وذكره السيوطي في «الدر» (٥/ ٦٥) عن ابن عباس، والقرطبي (١/ ١٢٥).

(٥) أخرجه ابن جرير (١٠/ ٤٩١) برقم (٢٩٣٨٣)، عن قتادة، و (١٠/ ٤٩١) رقم (٢٩٣٨٤)، عن السدي. وذكره السيوطي في «الدر» (٥/ ٥١٩)، والقرطبي (١/ ١٢٥).

ومنه قول الشاعر: [الكامل]

وَٱعْلَمْ يَقِيناً أَنَّ مُلْكَكَ زَائِلٌ وَٱعْلَمْ بِأَنَّ كَمَا تَدِينُ تُدَانُ[١]

﴿إياك نعبد﴾: نطق المؤمن به إقرار بالربوبية، وتذلُّل وتحقيق لعبادة اللَّه؛ وقدَّم «إيَّاكَ» على الفعل ٱهتماماً، وشأن العرب تقديم الأَهَمِّ، واختلف النحويُّون في «إياك»[٢]، فقال الخليلُ[٣]: «إيَّا»: اسم مضمر أضيف إلى ما بعده؛ للبيان لا للتعريف، وحكى عن العرب: «إِذَا بَلَغَ الرَّجُلُ السِّتِّينَ، فَإِيَّاهُ وَإِيَّا الشَّوَابِّ»، وقال المبرِّد: إيَّا: اسمٌ مبهم أضيف للتخصيص لا للتعريف، وحكى ابن كَيْسَانَ[٤] عن بعض الكوفيِّين أنَّ «إِيَّاكَ» بكماله اسم

---

(١) ينظر: **«مجاز القرآن»** (١/ ٢٣)، **«الكامل»** (١/ ٤٢٦)، **«إعراب ثلاثين سورة»** لابن خالويه (٢٤١)، **«الجمهرة»** (٢/ ٣٠٦)، **«الخزانة»** (٤/ ٢٣٠)، **«جمهرة الأمثال»** للعسكري (١٦٩)، **«المخصص»** (١٧/ ١٥٥)، **«تفسير الطبري»** (١/ ١٥٥)، **«القرطبي»** (١/ ١٠١)، **«الدر المصون»** (١/ ٧٢)، **«اللسان والتاج»** (دين).

(٢) اختلف النحويون في «إيا» هل هو من قبيل الأسماء الظاهرة أو المضمرة؟ فالجمهور على أنه مضمر، وقال الزجاج: هو اسم ظاهر. وقال ابن درستويه. إنه بين الظاهر والمضمر. وقال الكوفيون: مجموع «إيا» ولواحقها هو الضمير. والقائلون بأنه ضمير اختلفوا فيه على أربعة أقوال:

أحدها: أنه كله ضمير.

والثاني: أن «إيا» وحده ضميره، وما بعده اسم مضاف إليه يبين ما يراد به من تكلم، وغيبة، وخطاب.

والثالث: أن «إيا» عماد، وما بعده هو الضمير، وشذت إضافته إلى الظاهر في قولهم: «إذا بلغ الرجل الستين، فإياه وإيا الشواب» بإضافة «إيا» إلى الشواب. وهذا يؤيد قول من جعل الكاف والهاء والياء في محل جر إذا قلت: إياك، إياه، إياي.

ينظر: **«الدر المصون»** (١/ ٧٣)، و **«همع الهوامع»** (١/ ٦١)، و **«الكتاب»** (٢/ ٣٥٥)، و **«شرح الكافية»** (٢/ ١٢)، و **«سر صناعة الإعراب»** (١/ ٣١١)، و **«شرح المفصل»** (٣/ ٩٨)، و **«الإنصاف»** (٢/ ٦٩٥).

(٣) الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم، الفراهيدي، الأزدي، اليحمدي، أبو عبد الرحمن، ولد سنة (١٠٠) هـ في البصرة. من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض، وهو أستاذ سيبويه النحوي، عاش فقيراً صابراً. قال النضر بن شميل: ما رأى الراءون مثل الخليل، ولا رأى الخليل مثل نفسه. فكر في ابتكار طريقة في الحساب تسهله على العامة؛ فدخل المسجد وهو يعمل فكره؛ فصدمته سارية وهو غافل، فكانت سبب موته سنة (١٧٠) هـ بـ «البصرة». من كتبه **«العين»**، و **«معاني الحروف»**، و **«العروض»**، و **«النغم»**.

ينظر: **«وفيات الأعيان»** (١/ ١٧٢)، **«إنباه الرواة»** (١/ ٣٤١)، **«نزهة الجليس»** (١/ ٨٠)، **«الأعلام»** (٢/ ٣١٤).

(٤) محمد بن أحمد بن إبراهيم، أبو الحسن المعروف بـ «ابن كيسان»: عالم بالعربية من أهل «بغداد»، أخذ عن المبرد وثعلب، من كتبه **«المهذب»** في النحو، **«غريب الحديث»**، **«معاني القرآن»**، **«المختار في علل النحو»** توفي من (٢٩٩) هـ.

ينظر: **«إرشاد الأريب»** (٦/ ٢٨٠)، **«معجم المطبوعات»** (٢٢٩)، **«نزهة الألبا»** (٣٠١)، **«شذرات الذهب»** (٢/ ٢٣٢)، **«كشف الظنون»** (١٧٠٣)، **«مصابيح الكتاب»**، **«الأعلام»** (٥/ ٣٠٨).

مضمر، ولا يعرف اسم مضمر يتغيَّر آخره غيره، وحكي عن بعضهم أنه قال: الكاف والهاء والياء هو الاسم المضمر، لكنها لا تقوم بأنفسها، ولا تكون إلا متصلات، فإذا تقدَّمت الأفعال جعل «إيَّا» عماداً لها، فيقال: إيَّاكَ، وإيَّاهُ، وإيَّايَ، فإذا تأخرت، اتصلت بالأفعال، واستغني عن «إيَّا».

و ﴿نَعْبُدُ﴾: معناه: نقيم الشرع والأوامر مع تذلُّل واستكانةٍ، والطريقُ المذلَّل يقال له معبَّدٌ، وكذلك البعير.

و ﴿نَسْتَعِينُ﴾؛ معناه نطلب العون منك في جميع أمورنا، وهذا كله تَبَرٌّ من الأصنام.

﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾

وقوله تعالَىٰ: ﴿ٱهْدِنَا﴾: رغبة؛ لأنها من المربوب إلى الرب، وهكذا صيغ الأمر كلها، فإذا كانت من الأعلى، فهي أَمْرٌ.

والهِدَايَةُ؛ في اللغة: الإرشادُ، لكنها تتصرف على وجوه يعبر عنها المفسِّرون بغير لفظ الإرشاد وكلها إذا تأملت راجِعةٌ إلى الإرشاد، فالهدى يجيء بمعنى خَلْقِ الإيمان في القلب، ومنه قوله تعالَىٰ: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٥] و ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [النور: ٤٦]، و ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦] ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٥] الآية، قال أبو المعالي[١]: فهذه الآيات لا يتجه جلها إلا على خلق الإيمان في القلب، وهو محض الإرشاد[٢].

١٨أ وقد جاء الهدى بمعنى الدعاء؛ كقوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧] أي: داع/ ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

---

(١) عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد، العلامة إمام الحرمين، أبو المعالي بن أبي محمد الجويني، ولد سنة (٤١٩)، وتفقه على والده، وقعد للتدريس بعده، وحصل أصول الدين وأصول الفقه على أبي القاسم الإسفراييني الإسكاف، وصار إماماً، حضر درسه الأكابر، وتفقه به جماعة من الأئمة. قال السمعاني: كان إمام الأئمة على الإطلاق، ومن تصانيفه: النهاية والغياثي والإرشاد، وغيرهما. مات سنة (٤٧٨).

انظر: **«طبقات ابن قاضي شهبة»** (١/ ٢٥٥)، **«طبقات السبكي»** (٣/ ٢٤٩)، **«وفيات الأعيان»** (٢/ ٣٤١)، و **«الأنساب»** (٣/ ٤٣٠)، **«شذرات الذهب»** (٣/ ٣٥٨)، **«النجوم الزاهرة»** (٥/ ١٢١)، و **«معجم البلدان»** (٢/ ١٩٣).

(٢) ينظر: ص ٤٨٦.

وقد جاء الهُدَىٰ بمعنى الإلهام؛ من ذلك قوله تعالىٰ: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠].

قال المفسِّرون: ألهم الحيواناتِ كلَّها إلى منافعها.

وقد جاء الهُدَىٰ بمعنى البيان؛ من ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ [فصلت: ١٧] قال المفسِّرون: معناه: بيَّنَّا لهم.

قال أبو المعالي[١]: معناه: دعوناهُمْ، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ [الليل: ١٢]، أي: علينا أنْ نبيِّن.

وفي هذا كله معنى الإرشاد.

قال أبو المعالي: وقد ترد الهدايةُ، والمراد بها إرشاد المؤمنين إلى مسالك الجِنَانِ والطرقِ المفضيةِ إِلَيْهَا؛ كقوله تعالى في صفة المجاهدين: ﴿فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ * سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ [محمد: ٤ـ ٥] ومنه قوله تعالَىٰ: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٢٣]، معناه: فاسلكوهم إليها.

قال * ع[٢] *: وهذه الهدايةُ بعينها هي التي تقال في طرق الدنيا، وهي ضدُّ الضلالِ، وهي الواقعة في قوله تعالَىٰ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾؛ على صحيح التأويلات، وذلك بيِّن من لفظ «الصِّرَاط» والصراط؛ في اللغة: الطريقُ الواضِحُ؛ ومن ذلك قول جَرِيرٍ[٣]: [الوافر]

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ صِرَاطٍ ... إِذَا اعْوَجَّ الْمَوَارِدُ مُسْتَقِيمِ[٤]

---

(١) ينظر: «الإرشاد» ص (١٩٠)، و «المحرر الوجيز» (١/ ٧٣).

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (١/ ٧٣).

(٣) جرير بن عطية بن حذيفة الخطفى بن بدر الكلبي، اليربوعي، من تميم أشعر أهل عصره، ولد سنة (٢٨) هـ، ومات سنة ١١٠هـ في «اليمامة». وعاش عمره كله يناضل شعراء زمنه ويساجلهم، وكان هجاءًا مرًا، فلم يثبت أمامه غير الفرزدق والأخطل، وكان عفيفاً، وهو من أغزل الناس شعراً.
ينظر: «الأعلام» (٢/ ١٩)، «وفيات الأعيان» (١/ ١٠٢)، «الشعر والشعراء» (١٧٩)، و «خزانة الأدب» (١/ ٣٦).

(٤) البيت في مدح هشام بن عبد الملك، ينظر: ديوانه (٥٠٧)، «شرح الديوان» لمحمد بن حبيب (١/ ٢١٨)، «المحتسب» (١/ ٤٣)، «مجاز القرآن» (١/ ٢٤)، «تفسير الطبري» (١/ ٥٦)، «تفسير القرطبي» (١/ ١٠٣)، «اللسان» (سرط)، «الجمهرة» (٢/ ٣٣٠)، «الدر المصون» (١/ ٧٨).
والموارد: الطرق، واحدها موردة.

واختلف المفسِّرون في المعنى الذي استعير له «الصِّراط» في هذا الموضع: فقال علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه: الصراط المستقيم هنا القرآنُ[١]، وقال جابرٌ: هو الإِسلام، يعني الحنيفيَّة[٢].

وقال محمَّد بن الحنفيَّة[٣]: هو دينُ اللَّه الذي لا يَقْبَلُ مِن العِبَادِ غيره[٤].

وقال أبو العالية: هو رسولُ اللَّه ﷺ وصاحباه أبو بَكْر وعمر، أي: الصراط المستقيم طريقُ محمد ﷺ وأبي بكر وعمر[٥]، وهذا قويٌّ في المعنى، إلاَّ أنَّ تسمية أشخاصهم طريقاً فيه تجوُّز، ويجتمع من هذه الأقوال كلِّها أنَّ الدعوة هي أنْ يكون الداعي على سنن المنعم عليهم من النبيِّين والصِّدِّيقين والشهداء والصالحين في معتقداته، وفي التزامه لأحكام شرعه، وذلك هو مقتضى القرآن والإسلام؛ وهو حالُ رسول اللَّه ﷺ وصاحبيه.

وهذا الدعاء إنما أمر به المؤمنون، وعندهم المعتقدات، وعند كل واحد بعض الأعمال، فمعنى قوله: ﴿ٱهْدِنَا﴾ فيما هو حاصل عندهم: التثبيتُ والدوام، وفيما ليس بحاصل، إما من جهة الجهل به، أو التقصير في المحافظة عليه: طلب الإِرشاد إليه، فكلُّ

---

(١) أخرجه ابن جرير (١/ ١٧٣) (١٧٦)، وذكره الماوردي في «تفسيره» (١/ ٥٩)، والبغوي في «تفسيره» (١/ ٤١)، عن علي مرفوعاً، وابن كثير (١/ ٢٧)، عن علي موقوفاً عليه.
وقال أحمد شاكر في تحقيقه للطبري: والإسناد إلى علي بن أبي طالب فيه انهيار.

(٢) أخرجه ابن جرير (١٧٨)، وصححه الحاكم (٢/ ٢٥٩)، ووافقه الذهبي. وذكره الماوردي في تفسيره (١/ ٥٩)، والبغوي (١/ ٤١)، وابن كثير (١/ ٢٧)، قال: صحيح، وذكره السيوطي في «الدر» (١/ ٤٠) وعزاه لوكيع، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن جرير، والمحاملي في «أماليه»، والحاكم. وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٣) محمد بن علي بن أبي طالب الهاشمي، أبو محمد، الإمام المعروف بـ «ابن الحنفية» أمه خولة بنت جعفر الحنفية، نسب إليها. عن أبيه، وعثمان، وغيرهما. وعنه بنوه: إبراهيم، وعبد اللَّه، والحسن، وعمرو بن دينار، وخلق. قال إبراهيم بن الجنيد: لا نعلم أحداً أسند عن علي أكثر ولا أصح مما أسند محمد بن الحنفية. قال أبو نعيم: مات سنة ثمانين.
ينظر: «الخلاصة» (٢/ ٤٤٠)، و «تهذيب التهذيب» (٩/ ٣٥٤)، و «الكاشف» (٣/ ٨٠)، و «الثقات» (٥/ ٣٤٧).

(٤) ذكره الماوردي في «تفسيره» (ص ٥٩)، وابن كثير (ص ٢٧)، وقال: صحيح.

(٥) أخرجه ابن جرير (١/ ١٠٥) برقم (١٨٤)، وذكره الماوردي في «تفسيره» (١/ ٥٩)، والبغوي (١/ ٤١)، وابن كثير (١/ص ٢٧، ٢٨)، وقال: صحيح. وذكره السيوطي في «الدر» (١/ ٤١)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جريج، وابن أبي حاتم، وابن عدي، وابن عساكر. ورواه الحاكم في «المستدرك»، عن ابن عباس، وقال: صحيح. ووافقه الذهبي.

داع به إنما يريد الصراط بكماله في أقواله، وأفعاله، ومعتقداته؛ واختلف في المشار إليهم بأنه سبحانه أنعم عليهم، وقول ابن عبَّاس، وجمهور من المفسِّرين: أنه أراد صراط النبيِّين والصدِّيقين والشهداء والصالِحين، وانتزعوا ذلك من قوله تعالَىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ. . .﴾ الآية [النساء: ٦٦] إلى قوله: ﴿رَفِيقاً﴾[١].

وقوله تعالَىٰ: ﴿غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾، اعلم أنَّ حكم كل مضافٍ إلى معرفة أنْ يكون معرفة، وإنما تنكَّرت «غَيْرٌ» و «مِثْلٌ»[٢] مع إضافتهما إلى المعارف من أجل معناهما، وذلك إذا قلْتَ: رأيتُ غَيْرَكَ، فكلُّ شيء سوى المخاطَبِ، فهو غيره؛ وكذلك إنْ قُلْتَ: رأيْتُ مثْلَكَ، فما هو مثله لا يحصى؛ لكثرة وجوه المماثلة.

و ﴿المغضوب عليهم﴾: اليهودُ، والضالُّون: النصَارَىٰ؛ قاله ابن مسعود، وابن عَبَّاس، مجاهد، والسُّدِّيُّ، وابن زيد[٣].

وروَىٰ ذلك عديُّ بن حاتم[٤] عن النبيِّ ﷺ[٥]، وذلك بيِّن من كتاب اللَّه؛ لأنَّ ذِكْرَ

---

(١) أخرجه ابن جرير (١/ ١٠٦) برقم (١٨٨)، وقال أحمد شاكر في تحقيقه للطبري (١/ ١٧٨) (١٨٨): في إسناده ضعف. وذكره ابن عطية في «تفسيره» (١/ ٧٥)، والسيوطي في «الدر» (١/ ٤٢).

(٢) هذا يكون في الإضافة المحضة المعنوية لا الإضافة غير المحضة اللفظية.

(٣) أخرجه الطبري (١/ ١١١ـ ١١٤) بأرقام (٢٠٠ـ ٢٠١ـ ٢٠٢ـ ٢٠٥ـ ٢١٤ـ ٢١٩) عن ابن زيد، ومجاهد، عن ابن عباس، وابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ. وذكره ابن عطية الأندلسي في تفسيره (١/ ٧٧)، والسيوطي في «الدر» (١/ ٤٢ـ ٤٣).
وابن زيد هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم المدني روى عن أبيه، وعن وكيع وابن وهب، وقتيبة، وخلق. ضَعَّفَهُ أحمد، وابن المديني، والنسائي، وغيرهم. توفي سنة (١٨٢) هـ.
ينظر: «الخلاصة» (٢/ ١٣٣) (٤٠٩٤)، «الجرح والتعديل» (٢/ ٢٣٢ـ ٢٣٣)، و «المغني» (٢/ ٣٨٠).

(٤) هو: عدي بن حاتم بن عبد اللَّه بن سعد بن الحشرج بن امرىء القيس بن عدي بن أخزم بن أبي أخزم بن ربيعة بن جرول بن ثعلب بن عمرو بن عوث بن طَيِّ. . وقيل في نسبه غير ذلك، أبو الطريف. وقيل: أبو وهب، الطائي.
وهو ابن حاتم الطائي الذي يضرب بكرمه وجوده المثل، وكان هو أيضاً كريماً جواداً، وقد أسلم بعد أن كان نصرانياً. وروى عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة، وثبت هو وقومه بعد موت النبي ﷺ وردت كثير من العرب، فجاء إلى أبي بكر بصدقة قومه. وأخباره في الكلام كثيرة، وسيرته بين الصحابة شهيرة. توفي سنة (٦٧) وقيل غير ذلك.
ينظر ترجمته في: «أسد الغابة» (٤/ ٨)، «الإصابة» (٤/ ٢٢٨)، «الثقات» (١/ ٣١٦)، «الاستيعاب» (١٠٥٧)، «تجريد أسماء الصحابة» (١/ ٣٧٦)، «الطبقات الكبرى» (١/ ٣٢٢)، «التاريخ الكبير» (٧/ ٤٣)، «التاريخ الصغير» (١/ ١٤٨)، «الجرح والتعديل» (٧/ ٢).

(٥) أخرجه الترمذي (٥/ ٢٠٤)، كتاب «تفسير القرآن»، باب ومن سورة فاتحة الكتاب، حديث (٢٩٥٤). =

٨ ب غضب اللّه على اليهود متكرّر فيه؛ كقوله: ﴿وَبَاءُو بِغَضَبٍ/ مِنَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٢] ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عَنْدَ اللَّهِ. . .﴾ الآية [المائدة: ٦٠] وغضب اللّه تعالى، عبارة عن إظهاره عليهم محناً وعقوباتٍ وذِلَّةً، ونحو ذلك ممَّا يدلُّ على أنه قد أبعدهم عن رحمته بُعْداً مؤكَّداً مبالغاً فيه، والنصارَىٰ كان محقِّقوهم على شِرْعَةٍ قبل ورود شرعِ محمَّد ﷺ، فلما ورد، ضلُّوا، وأما غير متحقِّقيهم، فضلالتهم متقرِّرة منذ تفرَّقت أقوالهم في عيسى عليه السلام، وقد قال اللّه تعالَىٰ فيهم: ﴿وَلاَ تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].

وأجمع الناسُ على أنَّ عدد آي سورة الحمد سبْعُ آيات؛ العالمين آية، الرحيم آية، الدين آية، نستعين آية، المستقيم آية، أنعمت عليهم آية، ولا الضالين آية، وقد ذكرنا عند تفسير ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾؛ أن ما ورد من خلاف في ذلك ضعيفٌ.

(القَوْلُ فِي «آمِينَ»)

رَوَىٰ أبو هريرة وغيره عن رسول اللّه ﷺ أنه قال: «إِذَا قَالَ الإِمَامُ: ﴿وَلاَ الضَّالِّينَ﴾؛ فَقُولُوا «آمِينَ»، فَإِنَّ المَلاَئِكَةَ فِي السَّماءِ تَقُولُ: «آمِينَ»، فَمَنْ وَافَقَ قَوْلُهُ قَوْلَ المَلاَئِكَةِ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»(١).

= وأحمد (٤/ ٣٧٨ـ ٣٧٩)، وابن حبان (١٧١٥ـ موارد)، والطبراني في **«الكبير»** (١٧/ ٩٩ـ ١٠٠)، رقم (٢٣٧)، والطبري في **«تفسيره»** (١/ ١٩٣ـ شاكر)، رقم (٢٠٨) والبيهقي في **«دلائل النبوة»** (٥/ ٣٤٠)، كلهم من طريق سماك بن حرب، عن عباد بن حبيش، عن عدي بن حاتم به مرفوعاً.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث سماك بن حرب، وروى شعبة، عن سماك بن حرب، عن عباد بن حبيش، عن عدي بن حاتم، عن النبي ﷺ الحديث بطوله.

وصححه ابن حبان.

وذكره السيوطي في **«الدر المنثور»** (١/ ٤٣)، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم. وقد ورد هذا الحديث مرسلاً.

أخرجه سعيد بن منصور (١٧٩) ثنا سفيان، عن إسماعيل بن أبي خالد، أن رسول اللّه ﷺ قال لعدي بن حاتم: «المغضوب عليهم: اليهود، والنصارى هم الضالون».

وذكره السيوطي في **«الدر المنثور»** (١/ ٤٣)، وزاد نسبته إلى سفيان بن عيينة في **«تفسيره»**. وللحديث طرق أخرى ضعيفة أخرجها الطبري في **«تفسيره»** (١/ ١٩٣).

وللحديث أيضاً شاهد من حديث أبي ذر، أخرجه ابن مردويه كما في **«تفسير ابن كثير»** (١/ ٣٠). وحسنه الحافظ في **«الفتح»** (٨/ ٩) فقال: وأخرجه ابن مردويه بإسناد حسن عن أبي ذر.

(١) أخرجه مالك (١/ ٨٨)، كتاب «الصلاة»، باب التأمين خلف الإمام، الحديث (٤٧)، وأحمد (٢/ ٤٤٠)، والبخاري (٢/ ٢٦٦)، كتاب «الأذان»، باب جهر المأموم بالتأمين، الحديث (٧٨٢)، ومسلم=

* ت *: وخرج مسلم وأبو داود والنسائيُّ من طريق أبي موسَىٰ رضي اللَّه عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «إِذَا صَلَّيْتُمْ فَأَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ، ثُمَّ لِيَؤُمَّكُمْ أَحَدُكُمْ، فَإِذَا كَبَّرَ فَكَبِّرُوا، وَإِذَا قَالَ: ﴿غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ فَقُولُوا: «آمِينَ»، يُجِبْكُمُ اللَّهُ...» الحديثَ[1]. انتهى.

ومعنى «آمِينَ»؛ عند أكثر أهل العلم: اللَّهُمَّ، اسْتَجِبْ، أو أجبْ[2] يَا رَبِّ.

ومقتضى الآثار أنَّ كل داع ينبغي له في آخر دعائه أنْ يقول: «آمِينَ»، وكذلك كل

= (١/ ٣١٠)، كتاب «الصلاة»، باب النهي عن مبادرة الإمام بالتكبير، الحديث (٨٧/ ٤١٥)، وأبو داود (١/ ٥٧٥)، كتاب «الصلاة»، باب التأمين وراء الإمام، الحديث (٩٣٥)، والنسائي (٢/ ١٤٤)، كتاب «الافتتاح»، باب الأمر بالتأمين خلف الإمام، من حديث أبي صالح، عن أبي هريرة به بزيادة: «فإنه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه».

وأخرجه عبد الرزاق (٢/ ٩٧)، كتاب «الصلاة»، باب آمين، الحديث (٢٦٤٤) بزيادة، فقال: ثنا معمر، عن الزهري، عن المسيب، عن أبي هريرة أن رسول اللَّه ﷺ قال: «إذا قال الإمام: ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾، فقولوا: آمين، فإن الملائكة يقولون: آمين، وإن الإمام يقول: آمين، فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه».

وأخرجه أحمد (٢/ ٢٣٣)، والنسائي (٢/ ١٤٤)، كتاب «الافتتاح»، باب جهر الإمام بآمين، من طريق معمر به.

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٢٨٣: ٢٨٦ـ الأبي)، كتاب «الصلاة»، باب التشهد في الصلاة، حديث (٦٢/ ٤٠٤)، وأبو داود (١/ ٣١٩ـ ٣٢٠)، كتاب «الصلاة»، باب التشهد، حديث (٩٧٢)، والنسائي (٢/ ١٩٦)، كتاب «التطبيق»، باب قوله، ربنا لك الحمد، حديث (١٠٦٤). وابن ماجة (١/ ٢٧٦)، كتاب «الصلاة»، باب إذا قرأ الإمام فأنصتوا، حديث (٨٤٧)، وأحمد (٤/ ٣٩٣، ٣٩٤، ٤٠١، ٤٠٥، ٤١٥)، وابن خزيمة (١٥٨٤، ١٥٩٣)، والبيهقي (٢/ ٩٦)، كلهم من طريق حطان بن عبد اللَّه الرقاشي، عن أبي موسى الأشعري مرفوعاً.

(٢) «آمين» ليست من القرآن إجماعاً، ومعناها: استجب، فهي اسم فعل مبني على الفتح. وقيل: ليس اسم فعل، بل هو من أسماء الباري تعالى، والتقدير: يا آمين، وقد ضعف أبو البقاء هذا القول بوجهين:

أحدهما: أنه لو كان كذلك لكان ينبغي أن يبنى على الضم؛ لأنه منادى مفرد معرفة.

والثاني: أن أسماء اللَّه تعالى توقيفية.

وفي «آمين» لغتان: المد والقصر، تقول العرب: آمين، وأمين، قال الشاعر: [الطويل]

تَبَاعَدَ عَنِّي فُطْحُلٌ إِذْ دَعَوْتُهُ ... أَمِينَ فَزَادَ اللَّهُ مَا بَيْنَنَا بُعْدَا

وقال المجنون: [البسيط]

يَا رَبِّ لاَ تَسْلُبَنِّي حُبَّهَا أَبَداً ... وَيَرْحَمُ اللَّهُ عَبْداً قَالَ آمِينَا

ينظر: **«معاني القرآن»** للزجاج (١/ ٥٤)، و **«الوسيط»** (١/ ٧٠)، و **«الدر المصون»** (١/ ٨٦)، و **«الزاهر»** (١/ ١٦١)، و **«غرائب النيسابوري»** (١/ ٧٥)، وابن كثير (١/ ٣١).

قارىء للحمدِ في غير صلاة، وأما في الصلاة، فيقولها المأموم والفَذُّ، وفي الإمام في الجهر اختلاف[١].

واختلف في معنى قوله ﷺ: «فَمَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ المَلاَئِكَةِ»، فقيل: في الإجابة، وقيل: في خلوص النية، وقيل: في الوقت، والذي يترجَّح أنَّ المعنى: فمن وافق في الوقْتِ مع خلوصِ النيةِ والإقبالِ على الرغبة إلى اللَّه بقلْبٍ سليمٍ فالإجابة تتبع حينئذ؛ لأنَّ من هذه حاله، فهو على الصراط المستقيم.

وفي «صحيح مُسْلِم» وغيره عن أبي هريرة قال: سَمِعْتُ النبيَّ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: قَسَمْتُ الصَّلاَةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، فَنِصْفُهَا لِي، وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ العَبْدُ: الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، قَالَ اللَّهُ؛ حَمِدَنِي عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، قَالَ اللَّهُ: أَثْنَىٰ عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ، قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ٱهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ، قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ»[٢] انتهى، وعند مالك: «فَهَؤُلاَءِ لِعَبْدِي».

وأسند أبو بكر بن الخَطِيبِ[٣] عن نافعٍ[٤] عن ٱبْنِ عُمَرَ[٥] قال: قال النبيُّ ﷺ: «مَنْ

---

(١) ذهب جماعةٌ من الصحابة والتابعين فَمن بعدَهم إلى الجَهْرِ بالتأمين، وبه يقول الشافعي، وأحمد، وإسحاق، قال عطاء: كنتُ أسمعُ الأئمةَ ـ وذَكَرَ ابنَ الزُّبَيْرِ ومَنْ بعدَه ـ يقولون: آمين، ويقولُ مَن خَلْفَهُ: آمين، حتى إنَّ للمسجد لَلَجَّةً.
ينظر: «شرح السنة» (٢/ ٢٠٨).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي، أحد حفاظ الحديث وضابطيه المتقنين. ولد سنة (٣٩٢)، وتفقه على القاضي أبي الطيب الطبري، وأبي إسحاق الشيرازي وأبي نصر ابن الصباغ، وشهرته في الحديث تغني عن الإطناب. قال ابن ماكولا: ولم يكن للبغداديين بعد الدارقطني مثله. وقال الشيرازي: كان أبو بكر يشبه بالدارقطني ونظرائه في معرفة الحديث وحفظه. مات (٤٦٣).
انظر: «طبقات ابن قاضي شهبة» (١/ ٢٤٠)، «طبقات السبكي» (٣/ ١٢)، «وفيات الأعيان» (١/ ٧٦).

(٤) نافع بن مالك بن أبي عامر الأصبحي، أبو سهيل المدني عن ابن عمر، وأنس. وعنه ابن أخيه مالك بن أنس، والزهري. وثقه أبو حاتم وغيره. قال الواقدي: هلك في إمارة أبي العباس.
ينظر: «تاريخ الإسلام» (٥/ ٣٠٧)، «الثقات» (٥/ ٤٧١)، «تراجم الأحبار» (٤/ ١٣٩)، «تاريخ أسماء الثقات» (١٤٧٣)، «سير الأعلام» (٥/ ٢٨٣)، «تهذيب الكمال» (٣/ ١٤٠٤)، «تهذيب التهذيب» (١٠/ ٤٠٩) (٧٣٧)، «خلاصة تهذيب الكمال» (٣/ ٨٩)، «الكاشف» (٣/ ١٩٧).

(٥) عبد اللَّه بن عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد اللَّه بن قرط بن رزاح بن=

كَانَ لَهُ إِمَامٌ، فَقِرَاءَةُ الإِمَامِ لَهُ قِرَاءَةٌ» انتهى من «**تَارِيخِ بَغْدَاد**» ولم يذكر في سنده مَطْعَناً.

وقال ابن العربيِّ[1] في «**أحكامه**»[2]: والصحيحُ عندي وجوبُ قراءتها على المأمومِ فيما أسر فيه، وتحريمها فيما جهر فيه، إذا سمع/ الإمام لِمَا عليه من وجوب الإنصاتِ ١٩أ والاِستماعِ، فإنْ بَعُدَ عن الإمام، فهو بمنزلة صلاة السرِّ. انتهى.

نجز تفسير سورة الحَمْدِ، والحَمْدُ للَّه بجميع محامده كلِّها؛ ما علمْتُ منها، وما لم أَعْلَمْ.

= عدي بن كعب بن لؤي بن غالب. أبو عبد الرحمن. القرشي، العدوي. ولد سنة: (٣) من البعثة النبوية توفي سنة: (٨٤).

ينظر ترجمته في: «**الإصابة**» (٤/ ١٠٧)، «**أسد الغابة**» (٣/ ٣٤٠)، «**الثقات**» (٣/ ٢٠٩)، «**شذرات الذهب**» (٢/ ١٥)، «**الجرح والتعديل**» (٥/ ١٠٧)، «**سير أعلام النبلاء**» (٣/ ٢٠٣)، «**تجريد أسماء الصحابة**» (١/ ٣٢٥)، «**تقريب التهذيب**» (١/ ٤٣٥)، «**تهذيب التهذيب**» (٥/ ٣٢٨).

(١) محمد بن عبد اللَّه بن محمد المعافري الأشبيلي المالكي، أبو بكر بن العربي، ولد (٤٦٨) هـ، من حفاظ الحديث بلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين، صنف كتباً في الحديث، والفقه، والأصول، والتفسير، والأدب، والتاريخ، وولي قضاء إشبيلية، من مؤلفاته «**أحكام القرآن**» و «**المحصول**»، و «**الناسخ والمنسوخ**»، وغيرها كثير، توفي (٥٤٣) هـ.

ينظر: «**طبقات الحفاظ**» للسيوطي، «**وفيات**» (١/ ٤٨٩)، «**نفح الطيب**» (١/ ٣٤٠)، «**قضاة الأندلس**» (١٠٥)، «**جذوة الاقتباس**» (٢١٦٠)، «**الأعلام**» (٦/ ٢٣٠).

(٢) ينظر: «**أحكام القرآن**» (١/ ٥).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً

تَفْسِيرُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ(١)

هذه السورة مدنيَّةٌ نزلَتْ في مدد شتَّىٰ، وفيها آخر آية نزلَتْ على رسول اللَّه ﷺ،

(١) هذه السورة مترامية أطرافها، وأساليبها ذات أفنان، قد جمعت من وشائج أغراض السور ما كان مصداقاً لتلقيبها فسطاط القرآن. فلا تستطيع إحصاء محتوياتها بحسان. وعلى الناظر أن يترقب تفاصيل منها فيما يأتي لنا من تفسيرها، ولكن هذا لا يحجم بنا عن التعرض إلى لائحات منها. وقد حيكت بنسج المناسبات والاعتبارات البلاغية من لُحمة محكمة في نظم الكلام، وسدى متين من فصاحة الكلمات.

ومعظم أغراضها ينقسم إلى قسمين: قسم يثبت سمو هذا الدين على ما سبقه وعلو هديه وأصول تطهيره النفوس، وقسم يبين شرائع هذا الدين لأتباعه وإصلاح مجتمعهم.

وكان أسلوبها أحسن ما يأتي عليه أسلوب جامع لمحاسن الأساليب الخطابية وأساليب الكتب التشريعية وأساليب التذكير والموعظة. يتجدد بمثله نشاط السامعين بتفنن الأفانين، ويحضر لنا من أغراضها أنها ابتدئت بالرمز إلى تحدي العرب المعاندين تحدياً إجمالياً بحروف التهجي المفتتح بها رمزاً يقتضي استشرافهم لما يرد بعده، وانتظارهم لبيان مقصده، فأعقب بالتنويه بشأن القرآن، فتحول الرمز إيماء إلى بعض المقصود من ذلك الرمز له أشد وقعاً على نفوسهم، فتبقى في انتظار ما يتعقبه من صريح التعجيز الذي سيأتي بعد قوله: ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله﴾ [البقرة: ٢٣] الآيات.

فعدل بهم إلى ذات جهة التنويه بفائق صدق هذا الكتاب وهديه، وتخلص إلى تصنيف الناس تجاه تلقيهم هذا الكتاب وانتفاعهم بهديه أصنافاً أربعة، وكانوا قبل الهجرة صنفين بحسب اختلاف أحوالهم في ذلك التلقي، وإذ قد كان أخص الأصناف انتفاعاً بهديه هم المؤمنين بالغيب المقيمين الصلاة يعني المسلمين - ابتدىء بذكرهم، ولما كان أشد الأصناف عناداً وحقداً صنفي المشركين الصرحاء، والمنافقين، لف الفريقان لفاً واحداً، فقورعوا بالحجج الدامغة والبراهين الساطعة، ثم خص بالإطناب صنف أهل النفاق تشويهاً لنفاقهم وإعلاناً لدخائلهم، ورد مطاعنهم، ثم كان خاتمة ما قرعت من أنوفهم صريح التحدي الذي رمز إليه بدءاً تحدياً يلجئهم إلى الاستكانة ويخرس ألسنتهم عن التطاول والإبانة، ويلقي في قرارات أنفسهم مذلة الهزيمة وصدق الرسول الذي تحداهم، فكان ذلك من رد العجز على الصدر، فاتسع المجال لدعوة المنصفين إلى عبادة الرب الحق الذي خلقهم وخلق السماوات والأرض، وأنعم عليهم بما في الأرض جميعاً، وتخلص إلى صفة بدء خلق الإنسان؛ فإن في ذلك تذكيراً لهم بالخلق الأول قبل أن توجد أصنامهم التي يزعمونها من صالحي قوم نوح ومن بعدهم، ومنّه على النوع بتفضيل أصلهم على مخلوقات هذا العالم وبمزيته بعلم ما لم يعلمه أهل الملأ الأعلى، وكيف نشأت عداوة الشيطان له ولنسله لتهيئة نفوس السامعين لاتهام شهواتها ولمحاسبتها على دعواتها، فهذه المنة التي شملت كل الأصناف الأربعة المتقدم ذكرها كانت مناسبة للتخلص إلى منة عظمى تخص الفريق الرابع وهم أهل الكتاب الذين هم أشد الناس مقاومة لهدي القرآن، وأنفذ الفرق قولاً في عامة العرب؛ لأن أهل الكتاب يومئذ هم أهل=

وهي: ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾

= العلم، ومظنة اقتداء العامة لهم من قوله: ﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي﴾ [البقرة: ٤٠] الآيات، فأطنب في تذكيرهم بنعم الله وأيامه لهم، ووصف ما لاقوا به نعمه الجمة من الانحراف عن الصراط السوي انحرافاً بلغ بهم حد الكفر، وذلك جامع لخلاصة تكوين أمة إسرائيل وجامعتهم في عهد موسى ثم ما كان من أهم أحداثهم مع الأنبياء الذين قفوا موسى إلى أن تلقوا دعوة الإسلام بالحسد والعداوة حتى على الملك جبريل وبيان أخطائهم؛ لأن ذلك يلقي في النفوس شكاً في تأهلهم للاقتداء بهم. وذكر من ذلك نموذجاً من أخلاقهم في تعلق الحياة ﴿ولتجدنهم أحرص الناس على حياة﴾ [البقرة: ٩٦] ومحاولة العمل بالسحر ﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين﴾ [البقرة: ١٠٢] إلخ، وأذى النبي بموجة الكلام ﴿لا تقولوا راعنا﴾ [البقرة: ١٠٤].

ثم قرن اليهود والنصارى والمشركين في قرن حسدهم المسلمين والسخط على الشريعة الجديدة ﴿ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين - إلى قوله - ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ [البقرة: ١٠٥- ١١٢] ثم ما أثير من الخلاف بين اليهود والنصارى، وادعاء كل فريق أنه هو المحق ﴿وقالت اليهود ليست النصارى على شيء - إلى - يختلفون﴾ [البقرة: ١١٢] ثم خص المشركين بأنهم أظلم هؤلاء الأصناف الثلاثة؛ لأنهم منعوا المسلمين من ذكر الله في المسجد الحرام، وسمحوا بذلك في خرابه، وأنهم تشابهوا في ذلك هم واليهود والنصارى واتحدوا في كراهية الإسلام.

والاحتراز عن إجابتها في الذين كفروا منهم، وأن الإسلام على أساس ملة إبراهيم وهو التوحيد، وأن اليهودية والنصرانية ليستا ملة إبراهيم، وأن من ذلك الرجوع إلى استقبال الكعبة، ادخره الله للمسلمين آية على أن الإسلام هو القائم على أساس الحنيفية، وذكر شعائر الله بمكة، وإبكات أهل الكتاب في طعنهم على تحويل القبلة، وإن العناية بتزكية النفوس أجدر من العناية باستقبال الجهات: ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب﴾ [البقرة: ١٧٧] وذكروا بنسخ الشرائع لصلاح الأمم، وأنه لا بدع في نسخ شريعة التوراة أو الإنجيل بما هو خير منهما. ثم عاد إلى محاجة المشركين بآثار صنعة الله ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك﴾ [البقرة: ١٦٤] إلخ ومحاجة المشركين في يوم يتبرءون فيه من قادتهم، وإبطال مزاعم دين الفريقين في محرمات من الأكل ﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾ [البقرة: ١٧٢] وقد كمل ذلك بذكر صنف من الناس قليل، وهم المشركون الذين لم يظهروا الإسلام ولكنهم أظهروا مودة المسلمين ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا﴾ [البقرة: ٢٠٤].

ولما قضى حق ذلك كله بأبدع بيان وأوضح برهان انتقل إلى قسم تشريعات الإسلام إجمالاً بقوله: ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب﴾ [البقرة: ١٧٧] ثم تفصيلاً: القصاص، الوصية، الصيام، الاعتكاف، الحج، الجهاد، ونظام المعاشرة والعائلة والمعاملات المالية، والإنفاق في سبيل الله والصدقات، والمسكرات، واليتامى، والمواريث، والبيوع، والربا، والديون، والإشهاد، والرهن، والنكاح، وأحكام النساء والعدة والطلاق، والرضاع، والنفقات، والأيمان.

وختمت السورة بالدعاء المتضمن لخصائص الشريعة الإسلامية، وذلك من جوامع الكلم؛ فكان هذا الختام تذليلاً وفذلكة: ﴿لله ما في السموات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه﴾ [البقرة: ٢٨٤] الآيات.

وكانت في خلال ذلك كله أغراضٌ شتى سيقت في معرض الاستطراد في متفرق المناسبات؛ تجديداً=

[البقرة: ٢٨١]، ويقال لسورة البقرة: «فسْطَاطُ القُرْآنِ»، وذلك لعظمها وبهائها، وما تضمَّنت من الأحكام والمواعظ، وفيها خمسمائة حكم، وخَمْسَةَ عَشَرَ مثلاً، وروي أنَّ رسول اللَّه ﷺ قال: «أُعْطِيتُ سُورَةَ البَقَرَةِ مِنَ الذِّكْرِ الأَوَّلِ، وَأُعْطِيتُ طهَ والطَّوَاسِينَ[1] مِنْ أَلْوَاحِ مُوسَىٰ[2]، وَأُعْطِيتُ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَخَوَاتِمَ سُورَةِ البَقَرَةِ مِنْ تَحْتِ العَرْشِ»[3].

* ت *: وها أنا إن شاء اللَّه أذكر أصْلَ الحديث بكماله لما اشتمَلَ عليه من الفوائدِ العظيمة.

خرَّج الحاكمُ أبو عبد اللَّه[4] في «المستدرك على الصحيحَين» .....

= لنشاط القارىء والسامع كما يسفر وجه الشمس إثر نزول الغيوث الهوامع، وتخرج بوادر الزهر عقب الرعود القوارع - من تمجيد اللَّه وصفاته ﴿اللَّه لا إله إلاّ هو﴾ [البقرة: ٢٥٥] ورحمته، وسماحة الإسلام، وضرب أمثال ﴿أو كَصَيِّب﴾ [البقرة: ١٩] واستحضار نظائر ﴿وإنَّ من الحجارة﴾ [البقرة: ٧٤] ﴿ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم﴾ [البقرة: ٢٤٣]، وعلم، وحكمة، ومعاني الإيمان والإسلام، وتثبيت المسلمين ﴿يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر﴾ [البقرة: ١٥٣] والكمالات الأصلية، والمزايا التحسينية، وأخذ الأعمال والمعاني من حقائقها وفوائدها لا من هيئاتها، وعدم الاعتداد بالمصطلحات إذا لم ترم إلى غايات ﴿وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها﴾ [البقرة: ١٨٩] ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم﴾ [البقرة: ١٧٧] ﴿وإخراج أهله منه أكبر عند اللَّه﴾ [البقرة: ٢١٧] والنظر والاستدلال، ونظام المحاجة، وأخبار الأمم الماضية والرسل وتفاضلهم، واختلاف الشرائع. ينظر: **«التحرير»** (١/ ٢٠٣-٢٠٦).

(١) وهي السور المبدوءة بـ «طس» أو «طسم».

(٢) «موسى» اسم عبراني معرب عن «موشى»، «مو» بالعبرانية: الماء، و «شى» الشجر، سمي به لأنه أخذ من بين الماء والشجر. وهو اسم نبي بني إسرائيل عليه الصلاة والسلام، وهو علم أعجمي لا يقضى عليه بالاشتقاق، وإنما يشتق «موسى الحديد». ينظر: **«التبيان»** (١/ ٦٣).
وهو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل. **«الكامل»** لابن الأثير (١/ ١٦٩).

(٣) أخرجه الحاكم (١/ ٥٦١)، (٢/ ٢٥٩)، وعنه البيهقي في **«شعب الإيمان»** (٢/ ٤٨٥)، رقم (٢٤٧٨)، كلاهما من طريق عبيد اللَّه بن أبي حميد، عن أبي المليح، عن معقل بن يسار به مرفوعاً.
وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.
وتعقبه الذهبي فقال: عبيد اللَّه، قال أحمد: تركوا حديثه.

(٤) محمد بن عبد اللَّه بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم، الضبي، الطهماني، الحافظ أبو عبد اللَّه، الحاكم النيسابوري المعروف بابن البيع، صاحب **«المستدرك»**، وغيره من الكتب المشهورة، كان مولده سنة (٣٢١)، ورحل في طلب الحديث، وسمع الكثير على شيوخ يزيدون على ألفين، وتفقه على أبي علي بن أبي هريرة وأبي الوليد النيسابوري وأبي سهل الصعلوكي وغيرهم، أخذ عنه أبو بكر البيهقي وصنف المصنفات الكثيرة. مات سنة (٤٠٥). انظر: **«طبقات ابن قاضي شهبة»** (١/ ١٩٣)، **«لسان الميزان»** (٥/ ٢٣٢).

عن مَعْقِلِ بن يَسَارٍ[١] رضي اللَّه عنه، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «اعْمَلُوا بِالقُرْآنِ أَحِلُّوا حَلاَلَهُ، وَحَرِّمُوا حَرَامَهُ، وَاقْتَدُوا بِهِ، وَلاَ تَكْفُرُوا بِشَيْءٍ مِنْهُ، وَمَا تَشَابَهَ عَلَيْكُمْ مِنْهُ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَىٰ أُولِي الْعِلْمِ مِنْ بَعْدِي كَيْ مَا يُخْبِرُونَكُمْ، وآمِنُوا بِالتَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالزَّبُورَ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ، وَلْيَسَعْكُم القُرْآنُ وَمَا فِيهِ مِنَ البَيَانِ، فَإِنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ، وَمَاحِلٌ[٢] مُصَدَّقٌ، وَإِنِّي أُعْطِيتُ سُورَةَ البَقَرَةِ مِنَ الذِّكْرِ الأَوَّلِ وَأُعْطِيتُ طه والطَّوَاسِينَ وَالحَوَامِيمَ[٣] مِنْ أَلْوَاحِ مُوسَىٰ، وَأُعْطِيتُ فَاتِحَةَ الكِتَابِ مَنْ تَحْتِ العَرْشِ»[٤]، مَاحِلٌ؛ بالمهملة، أي: ساعٍ، وقيل: خَصْمٌ. انتهى من «السِّلاَحِ».

وفي الحديث الصحيح، عن النبيِّ ﷺ؛ أنه قال: «تَجِيءُ البَقَرَةُ وَآلُ عِمْرَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ[٥]، بَيْنَهُمَا شرق، أَوْ غَمَامَتَانِ سَوْدَاوَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا ظُلَّةٌ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُجَادِلاَنِ عَنْ صَاحِبِهِمَا»[٦].

* ت *: أصل الحديث في صحيح مسلم عن أبي أمامة الباهليِّ[٧] رضي اللَّه عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «اقْرَءُوا القُرْآنَ؛ فإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ شَفِيعاً لِأَصْحَابِهِ؛

---

(١) معقل بن يسار المزني، أبو علي، بايع تحت الشجرة. له أربعة وثلاثون حديثاً، اتفقا على حديث، وانفرد البخاري بآخر، ومسلم بحديثين وعنه عمران بن حصين. مات في خلافة معاوية.
ينظر: «الخلاصة» (٣/ ٤٥)، و «تهذيب التهذيب» (١٠/ ٢٣٥)، و «الثقات» (٣/ ٣٩٢).

(٢) أي: خصم مجادل مصدق. وقيل: ساع مصدق، من قولهم: محل بفلان، إذا سعي به إلى السلطان، يعني أن من اتبعه وعمل بما فيه، فإنه شافع له مقبول الشفاعة، ومصدق عليه فيما يرفع من مساويه إذا ترك العمل به.
ينظر: «النهاية»(٤/ ٣٠٣).

(٣) يعني السور المبدوءة بـ «حم».

(٤) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٥٧٨) كتاب «معرفة الصحابة» باب معقل بن يسار وسكت عنه هو والذهبي.

(٥) الغياية: السحابة المنفردة، أو هي كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه. ينظر: «النهاية» (٣/ ٤٠٣)، و «لسان العرب» (٣٣٣٢).

(٦) سيأتي تخريجه.

(٧) هو: صدي بن عجلان بن الحارث وقيل: عجلان بن وهب... أبو أمامة. الباهلي. السهمي. سكن «مصر» ثم انتقل منها فسكن «حمص» من الشام، ومات بها، وكان من المكثرين في الرواية، وأكثر حديثه عند الشاميين. وقال ابن الأثير في موضع آخر. روى عنه سليم بن عامر الجنائزي، والقاسم أبو عبد الرحمن، وأبو غالب حزور، وشرحبيل بن مسلم، ومحمد بن زياد، وغيرهم. توفي سنة (٨١).
ينظر ترجمته في: «أسد الغابة» (٣/ ١٦)، (٦/ ١٦)، «الإصابة» (٧/ ٩)، «الاستيعاب» (٤/ ١٦٠٢) «تجريد أسماء الصحابة» (٢/ ١٤٨)، «بقي بن مخلد» (١٧)، «الطبقات الكبرى» (١/ ٤١٥).

اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ البَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ؛ فَإِنَّهُمَا يَأْتِيَانِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ[١] مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ يُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَءُوا سُورَةَ البَقَرَةِ؛ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلاَ تَسْتَطِيعُهَا البَطَلَةُ»، قَالَ مُعَاوِيَةُ[٢]: بلغني أنَّ البطلة: السَّحَرة[٣]، فقوله ﷺ: «غَمَامَتَانِ»، يعني: سَحَابَتَيْنِ بيضاوَيْنِ، والغيايَتَانِ؛ بالغَيْن المعجمةِ.

أبو عبيد: الغَيايَةُ كُلُّ شَيْءٍ أظلَّ الإنسانَ فوق رأسه، وهو مثل السحابة، وفِرْقَان؛ بكسر الفاء، أي: جماعتان. انتهى من «**السلاح**».

وروَىٰ أبو هُرَيْرَةَ عنه ﷺ، أنه قال: «لِكُلِّ شَيْءٍ سَنَامٌ، وَسَنَامُ القُرْآنِ سُورَةُ البَقَرَةِ فِيهَا آيَةٌ هِيَ سَيِّدَةُ آيِ القُرْآنِ، هي آيَةُ الكُرْسِيِّ»[٤]، وفي «**البخاريِّ**» أنه ﷺ قال: «مَنْ قَرَأَ

---

(١) الفِرقان: القطعتان. ينظر: «**النهاية**» (٣/ ٤٤٠).

(٢) هو: معاوية بن صخر (أبي سفيان) بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أبو عبد الرحمن. القرشي. الأموي. أمه: هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف، قيل: ولد قبل البعثة بخمس سنين، وقيل: بسبع، وقيل: بثلاث عشرة، والقول الأول أشهر على الصحيح من الأقوال. وهو خال المؤمنين، وكاتب النبي ﷺ وهو الذي طالب بدم عثمان، فكان من الحروب بينه وبين عليّ ما كان، وإسلامه وحروبه وإمارته شهيرة جدًا، ولا يتسع المقام للحديث عنه. توفي في رجب سنة (٦٠) هـ.

ينظر ترجمته في: «**أسد الغابة**» (٥/ ٢٠٩)، «**الإصابة**» (٦/ ١١٢)، «**الاستيعاب**» (٣/ ١٤١٦)، «**الاستبصار**» (٤٠، ٦٧)، «**الكاشف**» (٣/ ١٥٧)، «**الأعلام**» (٧/ ٢٦١)، «**شذرات الذهب**» (١/ ٤١٨)، «**العبر**» (١/ ٥٤٩)، «**العقد الثمين**» (٧/ ٢٢٧)، «**تهذيب التهذيب**» (١٠/ ٢٠٧)، «**تهذيب الكمال**» (٣/ ١٣٤٤)، «**التاريخ الكبير**» (٧/ ٣٢٦).

(٣) أخرجه مسلم (١/ ٥٥٣)، كتاب «صلاة المسافرين»، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، حديث (٢٥٢)، وأحمد (٥/ ٢٤٩)، والطبراني في «**الكبير**» (٨/ ١٣٩)، رقم (٧٥٤٤)، والبيهقي في «**السنن الكبرى**» (٢/ ٣٩٥)، كتاب «الصلاة»، باب المعاهدة على قراءة القرآن، وفي «**شعب الإيمان**» (٢/ ٤٥١)، رقم (٢٣٧٢)، والبغوي في «**شرح السنة**» (٣/ ١٩ـ بتحقيقنا)، كلهم من طريق معاوية بن سلام، عن أخيه زيد بن سلام؛ أنه سمع أبا سلام؛ أنه سمع أبا أمامة، فذكره.

وللحديث شاهد من حديث النواس بن سمعان الكلابي: أخرجه مسلم (١/ ٥٥٣) كتاب «صلاة المسافرين»، باب فضل قراءة القرآن، وسورة البقرة، حديث (٢٥٣)، والترمذي (٥/ ١٦٠)، كتاب «فضائل القرآن»، باب ما جاء في سورة آل عمران، حديث (٢٨٨٣). والبيهقي في «**شعب الإيمان**» (٢٣٧٣)، عن النواس بن سمعان بنحو حديث أبي أمامة.

(٤) أخرجه الترمذي (٥/ ١٥٧)، كتاب «**فضائل القرآن**»، باب ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي، حديث (٢٨٧٨)، وعبد الرزاق (٣/ ٣٧٦ـ ٣٧٧)، رقم (٦٠١٩)، والحميدي (٢/ ٤٣٧)، رقم (٩٩٤)، والحاكم (١/ ٥٦٠ـ ٥٦١)، والبيهقي في «**شعب الإيمان**» (٢/ ٤٥٢)، رقم (٢٣٧٥)، وابن عدي في «**الكامل**» (٢/ ٦٣٧). كلهم من طريق حكيم بن جبير، عن أبي صالح، عن أبي هريرة مرفوعاً. =

بِالآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ البَقَرَةِ/ فِي لَيْلَةٍ، كَفَتَاهُ»[1]، وروى أبو هريرة عنه ﷺ؛ أنه قال: ٩ ب

= وقال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث حكيم بن جبير، وقد تكلم شعبة في حكيم بن جبير وضعفه اهـ.

وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه؛ والشيخان لم يخرجا عن حكيم لوهن في رواياته، وإنما تركاه لغلوه في التشيع. ووافقه الذهبي.

قلت: والشيخان لم يتركا حكيم لتشيعه فقط، إنما لضعفه أيضاً.

فقال الحافظ في **«التقريب»** (١٤٦٨): ضعيف، رمي بالتشيع. ولأول الحديث شاهد من حديث سهل بن سعد: أخرجه أبو يعلى (١٣/ ٥٤٧)، رقم (٧٥٥٤)، وابن حبان (١٧٢٧ـ موارد)، والعقيلي في **«الضعفاء»** (٢/ ٦)، وأبو نعيم في **«تاريخ أصبهان»** (١/ ١٠١)، والطبراني في **«الكبير»** (٦/ ١٦٣)، رقم (٥٨٦٤) كلهم من طريق خالد بن سعيد المدني، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد به.

وخالد بن سعيد، قال العقيلي: لا يتابع على حديثه.

وقال: وفي فضل سورة البقرة رواية أحسن من هذا الإسناد وأصلح.

والنسائي في **«الكبرى»** (٥/ ١٤)، كتاب «فضائل القرآن»، باب الآيتان من سورة البقرة، حديث (٨٠٢٠)، والحميدي (١/ ٢١٥)، رقم (٤٥٢)، وعبد الرزاق (٣/ ٣٧٧)، رقم (٦٠٢١)، وابن خزيمة (٢/ ١٨٠)، رقم (١١٤١)، كلهم من طريق سفيان، عن منصور، عن إبراهيم، عن عبد الرحمن بن يزيد، عن علقمة، عن أبي مسعود به مرفوعاً. وعند بعضهم: قال عبد الرحمن: ثم لقيت أبا مسعود في الطواف فسألته عنه، فحدثني؛ أن رسول الله ﷺ. . . .، وذكر الحديث وللحديث طرق أخرى واختلاف فيها تكلم عليها الحافظ علي بن عمر الدارقطني في كتابه القيم **«العلل الواردة في الأحاديث النبوية»** (٦/ ١٧١ـ ١٧٤).

(١) أخرجه البخاري (٨/ ٦٧٢)، كتاب «فضائل القرآن»: باب فضل سورة البقرة، حديث (٥٠٠٩)، ومسلم (١/ ٥٥٥)، كتاب «صلاة المسافرين»: باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة (٢٥٥/ ٨٠٧)، وأبو داود (١/ ٤٤٤)، كتاب «الصلاة»، باب تحزيب القرآن، حديث (١٣٩٧)، والترمذي (٥/ ١٥٩)، كتاب «فضائل القرآن»، باب ما جاء في آخر سورة البقرة، حديث (٢٨٨١)، والنسائي في **«الكبرى»**، (٥/ ٩) كتاب «فضائل القرآن»، باب سورة كذا وسورة كذا، حديث (٨٠٠٣)، و (٥/ ١٤)، باب الآيتان من آخر سورة البقرة، حديث (٨٠١٨)، وأحمد (٤/ ١٢١، ١٢٢)، وعبد بن حميد في **«المنتخب من المسند»** (ص ١٠٥ ـ ١٠٦)، رقم (٢٣٣)، وعبد الرزاق (٣/ ٣٧٧)، رقم (٦٠٢٠)، والدارمي (١/ ٢٨٨)، وسعيد بن منصور (٤٧٥)، وابن الضريس في **«فضائل القرآن»** (ص ـ ٨٣)، رقم (١٦١)، والطبراني في **«الكبير»** (١٧/ ٢٠٤ـ ٢٠٥) رقم (٥٥٠، ٥٥٢)، والبيهقي في **«السنن الكبرى»**، (٣/ ٢٠)، كتاب «الصلاة»، باب كم يكفي الرجل قراءة القرآن في ليله، وفي **«شعب الأيمان»** (٢/ ٤٦٢)، رقم (٢٤٠٥، ٢٤٠٦)، كلهم من طريق منصور، عن إبراهيم، عن عبد الرحمن بن يزيد قال: كنت أحَدِّث عن أبي مسعود حديثاً فلقيته وهو يطوف بالبيت، فسألته، فحدث عن النبي ﷺ أنه قال: «من قرأ الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة في ليلة كفتاه».

وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

قلت: والذي حدث عبد الرحمن بن يزيد بهذا الحديث هو علقمة بلا شك؛ فأخرجه البخاري (٨/ ٧١٢)، كتاب «فضائل القرآن»، باب في كم يقرأ القرآن، حديث (٥٠٥١).

«البَيْتُ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ البَقَرَةِ لاَ يَدْخُلُهُ الشَّيْطَانُ»[١].

* ت *: وعن ابن عبَّاس قال: بيْنَمَا جبريلُ قاعدٌ عند النبيِّ ﷺ سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ، فَقَالَ لَهُ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلاَّ اليَوْمَ، وَقَالَ: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا، لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ؛ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِمَ سُورَةِ البَقَرَةِ؛ لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهَا إِلاَّ أُعْطِيتَهُ» رواه مسلم، والنسائيُّ[٢]، والنقيضُ؛ بالنون والقاف: هو الصوت انتهى من «السلاح».

وعدد آي سورة البقرة مِائَتَانِ، وخمس وثمانون آيةً، وقيل: وستٌّ وثمانون آيةً، وقيل: وسبع وثمانون.

﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾

قوله تعالى: ﴿الٓمٓ﴾: اختلف في الحروف التي في أوائل السور على قولَيْنِ[٣]؛ فقال

---

(١) الحديث بهذا اللفظ عن عبد اللَّه بن المغفل ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٣١٥)، وقال: رواه الطبراني، وفيه عدي بن الفضل، وهو ضعيف.
أما الحديث الذي ورد عن أبي هريرة في هذا المعنى، فأخرجه مسلم (١/ ٥٣٩) من طريق سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة مرفوعاً: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر؛ فإن الشيطان يفر من البيت الذي يقرأ فيه سورة البقرة».

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٥٥٤)، كتاب: «الإيمان»، باب: في ذكر سدرة المنتهى، حديث (٢٥٤/ ٨٠٦)، والنسائي في «الكبرى» (٥/ ١٥)، كتاب «فضائل القرآن»، باب «الآيتان من آخر سورة البقرة»، حديث (٨٠٢١)، والبغوي في «شرح السنة» (٢/ ٢٣ـ بتحقيقنا)، من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عباس به.

(٣) إنه مما علم باستقراء كتاب اللَّه تعالى أن تسعاً وعشرين سورة من القرآن الكريم قد افتتحت بحروف مقطعة، من جنس كلام العرب.
وبداية، فإن هذه الحروف لم ينقل عن العرب دلالات لها، ولو كانت لها دلالات لتواتر النقل عليها، ولنقل ذلك علماء الصحابة وأئمتهم، وهذا الأمر ـ أعني افتتاح السور بها ـ لهو في حد ذاته نوع من التحدي للقيام بالكشف عن أسرارها والتفكر فيها.
ولما لم يذكر عن الغرب لها دلالات فقد كان للعلماء بشأنها موقفان: **أولهما**: ذهب الشعبي وسفيان الثوري، وجماعة من أهل الحديث إلى أنها سر اللَّه في القرآن، وهي من المتشابه. **وثانيهما**: وهو ما ذهب إليه الجمهور من أهل العلم: أنه يجب أن يتكلم فيها، وتلتمس الفوائد التي تحتها والمعاني التي تتخرج عليها.
وقد كان لابن عباس ترجمان القرآن النصيب الأوفر من الأقوال في هذه الأحرف.
وجاء المفسرون من بعده، فاتسعوا في تحديد معاني هذه الفواتح، فقد ذكروا منها: أنها: =

الشَّعْبِيُّ، وسفيانُ الثوريُّ، وجماعةٌ من المحدِّثين: هي سر اللَّه في القرآن، وهي من المتشابه الذي انفرد اللَّه بعلمه، ولا يجب أن يُتكلَّم فيها، ولكن يؤمن بها، وتُمَرُّ كما جاءت[١]، وقال الجمهور من العلماء، بل يجب أن يُتكلَّم فيها، وتلتمس الفوائد التي تحتها، والمعاني التي تتخرَّج عليها، واختلفوا في ذلك على اثنَيْ عَشَرَ قولاً.

فقال عليٌّ، وابن عَبَّاس رضي اللَّه عنهما: الحروف المقطَّعة في القرآن: هي اسم اللَّه الأعظم إلا أنا لا نعرف تأليفه منها[٢].

وقال ابن عبَّاس أيضًا: هي أسماء اللَّه أقسم بها[٣]، وقال أيضًا: هي حروف تدلُّ على: أَنَا اللَّهُ أَعْلَمُ، أَنَا اللَّهُ أَرَىٰ[٤]، وقال قومٌ: .....

= ١ ـ اسم اللَّه الأعظم.
٢ ـ قسم أقسم اللَّه به وهو من أسمائه.
٣ ـ أسماء للسور التي وردت فيها.
٤ ـ اسم من أسماء القرآن.
٥ ـ فواتح يفتح اللَّه بها القرآن.
٦ ـ لكل كتاب سر، وسر القرآن فواتحه.
٧ ـ حروف مقطعة من أسماء وأفعال، كل حرف من ذلك لمعنى غير معنى الحرف الآخر.
٨ ـ حروف هجاء موضوع.
٩ ـ حروف يشتمل كل حرف منها على معان شتى مختلفة.
١٠ ـ ابتدئت بذلك السور؛ ليفتح لاستماعه أسماع المشركين.
١١ ـ علامات لأهل الكتاب أنه سينزل على محمد كتاب يفتتح بالحروف المقطعة.
١٢ ـ حروف من حساب الجمل.
ينظر: **«البرهان»** (١/ ١٦٩)، و **«جامع البيان»** (١/ ٢٠٥)، و **«المحرر الوجيز»** (١/ ٨١)، و **«مفاتيح الغيب»** (٢/ ٣)، و **«البحر المحيط»** (١/ ١٥٤).

(١) ذكره السمرقندي في تفسيره (١/ ٨٧)، والبغوي (١/ ٤٤)، وابن عطية الأندلسي (١/ ٨٢)، والقرطبي (١/ ١٣٣ـ ١٣٤).

(٢) أخرجه ابن جرير (١/ ١١٩)، (٢٣٣) مختصراً. وذكره السمرقندي في **«تفسيره»** (١/ ٨٧)، عن علي بلفظ «وهو اسم من أسماء اللَّه تعالى».، وابن عطية في **«تفسيره»** (١/ ٨٢)، وابن كثير (١/ ٣٦)، القرطبي (١/ ١٣٤)، والسيوطي في **«الدر»** (١/ ٥٤)، بلفظ «اسم اللَّه أعظم»، وعزاه لابن جريج وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه ابن جرير (١/ ١١٩) (٢٣٦)، وذكره ابن عطية الأندلسي في **«تفسيره»** (١/ ٨٢)، والبغوي (١/ ٤٤)، بلفظ «أنها أقسام» عن ابن عباس، والماوردي في **«تفسيره»** (١/ ٦٤) وابن كثير (١/ ٣٦)، والسيوطي في **«الدر»** (١/ ٥٤)، وعزاه لابن مردويه.

(٤) أخرجه ابن جرير (١/ ١١٩) برقم (٢٣٩) بلفظ: «أنا اللَّه أعلم». وفي (٦/ ٥٢٥) برقم (١٧٥٣٤)، =

هي حسابُ أَبِي جَاد[١]؛ لتدلَّ على مدَّة ملَّة محمَّد ﷺ؛ كما ورد في حديث حُيَيِّ بن أَخْطب[٢]، وهو قول أبي العالية وغيره[٣].

* ت *: وإليه مال السُّهَيْلِيُّ[٤] في «الرَّوْضِ الأُنُفِ»، فانظره.

قوله تعالىٰ: ﴿ذَلِكَ الكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾: الاسمُ من «ذَلِكَ»: الذال، والألف، واللام؛ لبعد المشار إليه، والكاف للخطاب.

واختلف في «ذَلِكَ» هنا؛ فقيل: هو بمعنى «هَذَا»، وتكون الإشارة إلى هذه الحروف من القرآن، وذلك أنه قد يشار بذلك إلى حاضرٍ تعلَّق به بعضُ غَيْبَةٍ، وقيل: هو على بابه، إشارةً إلى غائب.

واختلفوا في ذلك الغائب؛ فقيل: ما قد كان نزل من القرآن، وقيل غير ذلك؛ انظره.

= بلفظ: «أنا اللَّه أرى». والسيوطي في «الدر» (١/ ٥٤)، بلفظ: «أنا اللَّه أعلم»، وعزاه لوكيع، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والنحاس. وفي (٣/ ٥٣٤)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، والبيهقي في «الأسماء والصفات»، وابن النجار في «تاريخه»، وذكره القرطبي (١/ ١٣٥)، وابن كثير (١/ ٣٦)، وابن عطية الأندلسي في «تفسيره» (١/ ٨٢).

(١) وأبو جاد: الكلمة الأولى من الكلمات الثماني التي تجمع حروف الهجاء العربية. ويقال: إن عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ لقي أعرابيًا فسأله: هل تحسن القراءة؟ فقال: نعم، قال: فاقرأ أم القرآن، فقال الأعرابي: واللَّه ما أحسن البنات فكيف الأم؟!، فضربه عمر، وأسلمه إلى الكُتَّاب، فمكث حيناً ثم هرب، ولما رجع إلى أهله أنشدهم [الوافر]:

أتيت مهاجرين فعلموني ... ثلاثة أسطر متتابعات
وخطوا لي أبا جاد وقالوا ... تعلم سعفصاً وقُريشيات
وما أنا والكتابة والتهجي ... وما حظ البنين مع البنات

ينظر: «المعجم الكبير» (١/ ٢٢، ٢٣).

(٢) حُيَيُّ بن أخطب النضري: جاهلي، من الأشداء العتاة. كان ينعت بـ «سيد الحاضر والبادي». أدرك الإسلام، وآذى المسلمين فأسروه يوم «قريظة». ثم قتلوه. ينظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ١٤٨ـ ١٤٩)، «تهذيب الأسماء» (١/ ١٧١)، و «الأعلام» (٢/ ٢٩٢).

(٣) ذكره ابن عطية الأندلسي (١/ ٨٢) والسيوطي في «الدر» (١/ ٥٦)، وعزاه لابن جرير، وابن أبي حاتم.

(٤) عبد الرحمن بن عبد اللَّه بن أحمد الخثعمي السهيلي: حافظ، عالم باللغة والسير، ضرير. ولد في «مالقة»، وعمي وعمره (١٧ سنة). ونبغ فاتصل خبره بصاحب «مراكش» فطلبه إليها وأكرمه، فأقام يصنِّفُ كتبه، من كتبه «الروض الأنف» في شرح «السيرة النبوية» لابن هشام، وغيرها من الكتب في التفسير. ولد سنة (٥٠٨هـ)، وتوفي سنة (٥٨١هـ).

انظر: «وفيات الأعيان» (١/ ٢٨)، «نكت الهميان» (١٨٧)، «زاد المسافر» (٩٦) «الأعلام» (٣/ ٣١٣).

و ﴿لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾: معناه: لا شَكَّ فيه، و ﴿هُدًى﴾: معناه إرشادٌ وبيانٌ، وقوله: ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾: اللفظ مأخوذ من «وَقَىٰ»، والمعنى: الذين يَتَّقُونَ اللَّه تعالَىٰ بآمتثالِ أوامره، واجتناب معاصيه، كان ذلك وقايةً بينهم وبين عذابه.

قوله تعالَىٰ: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾. ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: معناه يُصَدِّقون، وقوله: ﴿بِالغَيْبِ﴾ قالت طائفةٌ: معناه: يُصَدِّقون، إذا غَابُوا وَخَلَوْا، لا كالمنافقين الَّذين يؤمنون إذَا حضروا، ويكْفُرُونَ إذا غابوا، وقال آخرون: معناه: يصدِّقون بما غاب عنهم مما أخبرتْ به الشرائعُ، وقوله: ﴿يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ﴾ معناه: يظهرونها ويثبتونها؛ كما يقال: أُقِيمَتِ السُّوقُ.

* ت *: وقال أبو عبد اللَّه النَّحْوِيُّ في آختصارِهِ لتفسيرِ الطَّبَرِيِّ: إقامة الصلاة إتمام الركوع، والسجود، والتلاوة، والخشوع، والإقبال عليها. انتهى.

قال * ص[1] *: يقيمون الصلاةَ من التقويم؛ ومنه: أَقَمْتُ العُودَ، أو الإِدَامَةِ؛ ومنه: قامتِ السُّوقُ، أو التشميرِ والنهوضِ؛ ومنه: قام بالأمر. انتهى.

وقوله تعالى/: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾: الرزْقُ[2] عند أهل السنة ما صَحَّ الانتفاع ١٠أ

---

(١) «المجيد» ص ٨٤.

(٢) اختلف العلماء في تعريف الرزق في عرف الشرع، فقال أبو الحسين البصري من المعتزلة: الرزق هو تمكين الحيوان من الانتفاع بالشيء والحظر على غيره أن يمنعه من الانتفاع به، فإذا قلنا: قد رزقنا اللَّه تعالى الأموال. فمعنى ذلك أنه مكننا من الانتفاع بها، وإذا سألناه تعالى أن يرزقنا مالاً فإنا نقصد بذلك أن يجعلنا بالمال أخص.

واعلم أن المعتزلة لما فسروا الرزق بذلك لا جرم قالوا: الحرام لا يكون رزقاً.

وقال الأشاعرة: الحرام قد يكون رزقاً، وحجتهم من وجهين:

الأول: أن الرزق في أصل اللغة هو الحظ والنصيب على ما بيناه، فمن انتفع بالحرام، فذلك الحرام صار حظاً ونصيباً، فوجب أن يكون رزقاً له.

الثاني: أنه تعالى قال: ﴿وما من دابة في الأرض إلا على اللَّه رزقها﴾ [هود: ٦] وقد يعيش الرجل طول عمره لا يأكل إلا من السرقة، فوجب أن يقال: إنه طول عمره لم يأكل من رزقه شيئاً.

وقد احتج المعتزلة بالكتاب، والسنة، والمعنى:

أما الكتاب فعدة وجوه:

أحدها: قوله تعالى: ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ [البقرة: ٣] مدحهم اللَّه تعالى على الإنفاق مما رزقهم، فلو كان الحرام رزقاً لوجب أن يستحقوا المدح إذا أنفقوا من الحرام، وهذا باطل بالاتفاق.

ثانيها: قالوا: لو كان الحرام رزقاً لجاز أن ينفق الغاصب منه؛ لقوله سبحانه: ﴿وأنفقوا من ما رزقناكم﴾ [المنافقون: ١٠]، وقد أجمع المسلمون على أنه لا يجوز للغاصب أن ينفق مما أخذه، بل يجب عليه=

به، حلالاً كان أو حرامًا، و ﴿يُنْفِقُونَ﴾: معناه هنا: يؤتُونَ ما ألزمهُمُ الشرعُ من زكاةٍ، وما ندبهم إِلَيْهِ من غير ذلك.

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾: اختلف المتأوِّلون من المراد بهذه الآية والتي قبلها، فقال قوم: الآيتان جميعاً في جميع المؤمنينَ، وقال آخرون: هما في مُؤْمِنِي أهْلِ الكتاب، وقال آخرون: الآية الأولَىٰ في مُؤْمِنِي العربِ، والثانيةُ في مؤمني أهل الكتاب؛ كعبد اللَّه بن سَلاَمٍ[1]؛ وفيه نزلت.

= رده؛ فدل ذلك على أن الحرام لا يكون رزقاً.

ثالثها: استدلوا بقوله تعالى: ﴿قل أرأيتم ما أنزل اللَّه لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً قل آللَّه أذن لكم﴾ [يونس: ٥٩]. فبين سبحانه أن من حرم رزق اللَّه فهو مفتر على اللَّه؛ فثبت أن الحرام لا يكون رزقاً.

وأما السنة، فما رواه أبو الحسين البصري بإسناده عن صفوان بن أمية قال: كنا عند رسول اللَّه ﷺ إذ جاءه عمرو بن قرة، فقال له: يا رسول اللَّه! إن اللَّه كتب علي الشقوة، فلا أراني أرزق إلا من دُفِّي بكفي، فائذن لي في الغناء من غير فاحشة، فقال عليه السلام «لا إذن لك ولا كرامة ولا نعمة، كذبت، أي عدو اللَّه: لقد رزقك اللَّه رزقاً طيباً فاخترت ما حرم اللَّه عليك من رزقه مكان ما أحل اللَّه لك من حلاله، أما إنك لو قلت بعد هذه المقدمة شيئاً ضربتك ضرباً وجيعاً» وأما **المعنى**، فإن اللَّه تعالى منع المكلف من الانتفاع بالحرام، وأمر غيره بمنعه من الانتفاع به، ومن منع من أخذ الشيء والانتفاع به لا يقال: إنه رزقه إياه؛ ألا ترى أنه لا يقال: إن السلطان قد رزق جنده مالاً قد منعهم من أخذه، وإنما يقال: إنه رزقهم ما مكنهم من أخذه ولا يمنعهم منه ولا أمر بمنعهم منه، أجاب أصحابنا عن التمسك بالآيات بأنه وإن كان الكل من اللَّه، لكنه كما يقال: يا خالق المحدثات والعرش والكرسي، ولا يقال: يا خالق الكلاب والخنازير، وقال: ﴿عيناً يشرب بها عباد اللَّه﴾ [الإنسان: ٦] فخص اسم العباد بالمتقين، وإن كان الكفار أيضاً من العباد، وكذلك هاهنا خص اسم الرزق بالحلال على سبيل التشريف وإن كان الحرام رزقاً أيضاً، وأجابوا عن التمسك بالخبر بأنه حجة لنا؛ لأن قوله عليه السلام: «فاخترت ما حرم اللَّه عليك من رزقه» صريح في أن الرزق قد يكون حراماً. وأجابوا عن المعنى بأن هذه المسألة محض اللغة، وهو أن الحرام هل يسمى رزقاً أم لا؟ ولا مجال للدلائل العقلية في الألفاظ. واللَّه أعلم. ينظر: «**الفخر الرازي**» (٢/ ٢٨، ٢٩).

(١) هو: عبد اللَّه بن سلام بن الحارث.. من ذرية يوسف (عليه السلام). أبو يوسف، حليف النوافل من الخزرج «الإسرائيلي»، الأنصاري. =

وقوله: ﴿بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾: يعني القرآن، ﴿وما أُنْزِلَ من قبلك﴾، يعني: الكتب السالفة، و ﴿يُوقِنُونَ﴾ معناه: يعلَمُونَ عِلْماً متمكِّناً في نفوسهم، واليقين أعلَىٰ درجات العلم.

وقوله تعالَىٰ: ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾ إشارة إلى المذكورين، والهُدَىٰ هنا: الإرشاد، والفلاحُ: الظَّفَر بالبغية، وإدراك الأمل.

قوله تعالَىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ...﴾ إلى ﴿عظيم﴾: اختلف فيمن نزلَتْ هذه الآية بعد الاتفاق على أنها غير عامَّة لوجود الكفار قد أسلموا بعدها، فقال قوم: هي فيمن سبق في علْمِ اللَّه، أنه لا يؤمِنُ، وقال ابن عَبَّاس: نزَلَتْ في حُيَيِّ بْنِ أَخْطَبَ، وأَبِي ياسِرِ بنِ أَخْطَبَ، وكعب بن الأَشْرَفِ[1]، ونظرائهم[2].

والقولُ الأول هو المعتمد عليه.

وقوله: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ معناه: معتدلٌ عندهم، والإنذار: إعلام بتخويف، هذا حدُّه، وقوله تعالى: ﴿خَتَمَ﴾: مأخوذ من الخَتْم، وهو الطبعُ، والخاتَمُ: الطابَعُ؛ قال في مختصر الطبريِّ: والصحيح أن هذا الطبع حقيقة[3] .....

= قال ابن الأثير في **«الأسد»**: كان إسلامه لما قدم النبي المدينة مهاجراً. روى عنه ابناه يوسف، ومحمد، وأنس بن مالك، وزرارة بن أوفى، وكان قد ذكر قبل ذلك أنه كان اسمه في الجاهلية «الحصين»، فسماه رسول اللَّه حين أسلم عبد اللَّه. توفي سنة (٤٣) هـ.

ينظر ترجمته في: **«أسد الغابة»** (٣/ ٢٦٤)، **«الإصابة»** (٤/ ٨٠)، **«الثقات»** (٣/ ٢٢٨)، **«نقعة الصديان»** (٢٤٥)، **«عنوان النجابة»** (١٢٤)، **«شذرات الذهب»** (١/ ٤٠)، **«تقريب التهذيب»** (١/ ٤٢٢)، **«تهذيب التهذيب»** (٥/ ٢٤٩).

(١) كعب بن الأشرف الطائي، من بني نبهان، شاعر جاهلي. كانت أمه من «بني النضير» فدان باليهودية. وكان سيداً في أخواله. أدرك الإسلام ولم يسلم، وأكثر من هجوم النبي ﷺ وأصحابه، وتحريض القبائل عليهم وإيذائهم، والتشبيب بنسائهم، وخرج إلى مكة بعد وقعة «بدر» فندب قتلى قريش فيها، وحض على الأخذ بثأرهم، وعاد إلى المدينة. وأمر النبي ﷺ بقتله، فانطلق إليه خمسة من الأنصار فقتلوه في ظاهر حصنه سنة (٣هـ). وحملوا رأسه في مخلاة إلى المدينة.

ينظر: **«الروض الأنف»** (٢/ ١٢٣)، **«إمتاع الأسماع»** (١/ ١٠٧)، **«ابن الأثير»** (٢/ ٥٣)، **«الطبري»** (٣/ ٢)، **«الأعلام»** (٥/ ٢٢٥).

(٢) الطبري (١/ ١٤١) برقم (٢٩٥) وذكره السمرقندي (١/ ٩١ـ ٩٢)، وابن عطية الأندلسي (١/ ٨٧)، والماوردي (١/ ٧٢)، والقرطبي (١/ ١٦٠)، والسيوطي في **«الدر»** (١/ ٦٥)، وعزاه لابن إسحاق، وابن جرير، وابن أبي حاتم. وذكره ابن كثير (١/ ٤٥).

(٣) قال ابن فارس في **«فقه اللغة»**: الحقيقة من قَوْلنا: حقَّ الشيء إذا وَجبَ. واشتقاقُه من الشيء المحقق، =

لا أنه مجاز[١]؛ فقد جاء عن النبيِّ ﷺ: «إِنَّ العَبْدَ إِذَا أَذْنَبَ ذَنْباً، نُكِتَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ، وَنَزَعَ وَٱسْتَغْفَرَ، صُقِلَ[٢] قَلْبُهُ، وَإِنْ زَادَ، زَادَتْ؛ حَتَّىٰ تَغَلَّقَ قَلْبُهُ، فَذَلِكَ

وهو المحكم؛ يقال: ثوبٌ محقَّقُ النَّسج: أي مُحْكَمُه. فالحقيقةُ: الكلامُ الموضوعُ موضعه الذي ليس باستعارة، ولا تمثيل، ولا تقديم فيه، ولا تأخير؛ كقول القائل: أحمد اللَّه على نِعَمه وإحسانه. وهذا أكثرُ الكلام، وأكثرُ آي القرآن وشعرُ العرب على هذا.

وينظر: «**البحر المحيط**» للزركشي (٢/ ١٥٢)، «**سلاسل الذهب**» له ص (١٨٢)، «**التمهيد**» للأسنوي ص (١٨٥)، «**نهاية السول**» له (٢/ ١٤٥)، «**منهاج العقول**» للبدخشي (١/ ٣٢٧)، «**غاية الوصول**» للشيخ زكريا الأنصاري» (ص ٤٦).

(١) المجاز مأخوذٌ من جاز يَجوز إذا استَنَّ ماضياً، تقول: جاز بنا فلان، وجازَ علينا فارسٌ؛ هذا هو الأصل. ثم تقول: يجوز أن تَفعلَ كذا: أي يَنْفُذ ولا يُردّ ولا يُمْنع. وتقول: عندنا دراهم وَضَح وازِنة، وأخرى تجوزُ جَواز الوازِنة: أي: إن هذه وإن لم تكن وازِنة فهي تجوز مجازَها وجوازَها لقُرْبها منها.

فهذا تأويلُ قولنا: «مجاز» يعني: أن الكلام الحقيقي يَمضي لسَنَنه لا يُعترَض عليه، وقد يكون غيره يجوزُ جوازَه لقُرْبه منه، إلا أن فيه من تشبيهٍ واستعارةٍ وكفٍّ ما ليس في الأول؛ وذلك كقولنا: عطاء فلان مزْنٌ واكِف. فهذا تشبيه، وقد جاز مجاز قوله: عطاؤُه كثيرٌ وافٍ. ومن هذا قوله تعالى: ﴿سَنَسِمُه على الخُرْطوم﴾ [القلم: ١٦]. فهذا استعارة.

وقال ابن جني في «**الخصائص**»: الحقيقية ما أُقِرَّ في الاستعمال على أصلِ وضْعه في اللغة، والمجازُ: ما كان بضد ذلك، وإنما يقع المجازُ ويُعْدَل إليه عن الحقيقة لمعانٍ ثلاثة: وهي الاتساع، والتوكيد، والتشبيه، فإن عُدِمت الثلاثة تعيَّنت الحقيقة؛ فمن ذلك قوله ﷺ في الفرس: «هو بحر»، فالمعاني الثلاثة موجودة فيه.

ينظر: «**البحر المحيط**» للزركشي (٢/ ١٥٨)، «**سلاسل الذهب**» له ص (١٩٠)، «**التمهيد**» للأسنوي ص (١٨٥)، «**نهاية السول**» له (٢/ ١٤٥)، «**منهاج العقول**» للبدخشي (١/ ٣٥٤)، «**غاية الوصول**» للشيخ زكريا الأنصاري ص (٤٧)، «**التحصيل من المحصول**» للأرموي، (١/ ٢٢١)، «**المستصفى**» للغزالي (١/ ٣٤١)، «**حاشية البناني**» (١/ ٣٠٤)، «**الإبهاج**» لابن السبكي (١/ ٢٧٣)، «**الآيات البينات**» لابن قاسم العبادي (٢/ ١٥٢)، «**تخريج الفروع على الأصول**» للزنجاني ص (٣٨٧)، «**حاشية العطار على جمع الجوامع**» (١/ ٣٩٩)، «**المعتمد**» لأبي الحسين (١/ ١٤، ٢/ ٤٠٥)، «**الإحكام في أصول الأحكام**» (٤/ ٤٣٧)، «**التحرير**» لابن الهمام ص (١٦٠)، «**تيسير التحرير لأمير بادشاه**» (١/ ٧٣، ٢/ ٣)، «**كشف الأسرار**» للنسفي (١/ ٢٢٦)، «**حاشية التفتازاني والشريف على مختصر المنتهى**» (١/ ١٣٨)، «**شرح التلويح على التوضيح**» لسعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (١/ ٧٢)، «**حاشية نسمات الأسحار**» لابن عابدين ص (٩٨)، «**شرح مختصر المنار**» للكوراني ص (٥٩)، «**الوجيز**» للكراماستي ص (٨)، «**ميزان الأصول**» للسمرقندي (١/ ٥٢٧)، «**تقريب الوصول**» لابن جزي ص (٧٣)، «**إرشاد الفحول**» للشوكاني ص (٢٢)، «**نشر البنود**» للشنقيطي (١/ ١٢٤)، «**الكوكب المنير**» للفتوحي ص (٣٩ـ ٥٦)، «**التقرير والتحبير**» لابن أمير الحاج (٢/ ٢).

(٢) الصَّقْل: الجِلاء. ينظر: «**لسان العرب**» (٢٤٧٣).

الرَّانُ الَّذِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾»[1] [المطففين: ١٤]» انتهى.

والغِشَاوَةُ: الغطاء المغشي الساتر، وقوله تعالَىٰ: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: معناه: لِمخالفتِكَ يا محمَّد، وكفرِهِمْ باللَّهِ، و ﴿عَظِيمٌ﴾: معناه بالإضافة إلى عذابٍ دونه.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾

قوله تعالَىٰ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ...﴾ إلَى ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾: هذه الآية نزلت في المنافقين، وسَمَّى اللَّهُ تعالَىٰ يوم القيامة اليَوْمَ الآخِرَ؛ لأنه لا ليل بعده، ولا يقالُ يوم إلا لما تقدَّمه ليل، واختلف المتأوِّلون في قوله: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾، فقال الحسن بن أبي الحسن: المعنى يُخَادِعُون رسول اللَّه[2]، فأضافَ الأمرَ إلى اللَّه تجوُّزاً؛ لتعلُّق رسوله به، ومخادعتُهم هي تحيُّلهم في أن يُفْشِيَ رسولُ اللَّه ﷺ والمؤمنون إليهم أسرارهم.

* ع[3] *: تقول: خادَعْتُ الرجُلَ؛ بمعنى: أعملْتُ التحيُّل عليه، فَخَدَعْتُهُ، بمعنى: تمَّت عليه الحيلة، ونفذ فيه المرادُ، وقال جماعةٌ: بل يخادعون اللَّهَ والمؤمنين؛ بإظهارهم من الإيمان خلافَ ما أبطنوا من الكفر، وإنما خدعوا أنفسهم؛ لحصولهم في العذاب، ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ بذلك، معناه: وما يعلمون علْمَ تفطُّن وتَهَدٍّ، وهي لفظة مأخوذة من

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٩٧)، والترمذي (٥/ ٤٣٤)، كتاب «تفسير القرآن»، باب ومن سورة ويل للمطففين، حديث (٣٣٣٤)، والنسائي في «التفسير» (٢/ ٥٠٥)، رقم (٦٧٨)، وفي «الكبرى» (٦/ ١١٠)، كتاب «عمل اليوم والليلة»، باب ما يفعل من بُلي بذنب وما يقول، حديث (١٠٢٥١)، وابن ماجه (٢/ ١٤١٨)، كتاب «الزهد» باب ذكر الذنوب، حديث (٤٢٤٤)، والطبري في «تفسيره» (٣٠/ ٦٢)، والحاكم (٢/ ٥١٧)، وابن حبان (٣/ ٢١٠)، رقم (٩٣٠)، و (١٧٧١ـ موارد)، كلهم من طريق محمد بن عجلان، عن القعقاع بن حكيم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة مرفوعاً.
وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.
وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وصححه ابن حبان.
والحديث ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٣٩) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان».

(٢) ذكره ابن عطية (١/ ٩٠)، والقرطبي (١/ ١٧٠).

(٣) «المحرر الوجيز» (١/ ٩٠).

الشِّعَار؛ كأن الشيء المتفطَّن له شعار للنَّفْس، وقولهم: لَيْتَ شِعْرِي: معناه: ليت فطنتي تُدْرِكُ.

١٠ ب واختلف، ما الذي نَفَى/ اللَّه عنهم أنْ يشعروا له؟ فقالت طائفة: وما يَشْعُرُونَ أنَّ ضرَرَ تلْكَ المخادَعَةِ راجعٌ عليهم؛ لخلودهم في النَّار، وقال آخرون: وما يَشْعُرُونَ أنَّ اللَّه يكشف لك سِرَّهم ومخادعتهم في قولهم: ﴿آمَنَّا﴾.

قوله تعالَىٰ: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾، أي: في عقائدهم فسادٌ[1]، وهم المنافقون، وذلك إما أن يكون شكًّا، وإما جحدًا بسبب حسدهم مع علمهم بصحَّة ما يجحدون، وقال قوم: المَرَضُ غمُّهم بظهوره ﷺ، ﴿فزادهم اللَّه مرضًا﴾، قيل: هو دعاءٌ عليهم، وقيل: هو خبر أنَّ اللَّه قد فعل بهم ذلك، وهذه الزيادة هي بما ينزل من الوحْيِ، ويظهر من البراهين.

* ت *: لما تكلَّم * ع *: علَىٰ تفسير قوله تعالَىٰ: ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ [الفتح: ٦]. قال[2]: كل ما كان بلفظ دعاء من جهة اللَّه عزَّ وجلَّ، فإنما هو بمعنى إيجاب الشيء؛ لأنَّ اللَّه تعالى لا يدعو علَىٰ مخلوقاته، وهي في قبضته، ومن هذا: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١]، ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: ١]، وهي كلها أحكام تامَّة تضمنها خبره تعالَىٰ: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، أي: مؤلم، ﴿وإذا قيل لهم لا تفسِدُوا في الأرض﴾ أي: بالكفر وموالاةِ الكفرةِ؛ ولقول المنافقين: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ ثلاثُ تأويلاتٍ:

أحدها: جحد أنهم يفسدون، وهذا استمرار منهم على النِّفاق.

والثاني: أنْ يقروا بموالاة الكُفَّار ويدَّعون أنها صلاحٌ؛ من حيث هم قرابةٌ توصل.

والثالث: أنهم يصلحون بين الكفار والمؤمنين.

---

(١) وفي تفسير «المرض» قال ابن عباس، وابن مسعود، والحسن، وقتادة، وجميع المفسرين: أي شك ونفاق. وقال الزجاج: المرض في القلب: كل ما خرج به الإنسان من الصحة في الدين.

ينظر: «**الوسيط**» (١/ ٨٧)، «**صحيفة ابن أبي طلحة**» (ص ٧٨)، و «**معاني الزجاج**» (١/ ٨٦)، ونسبه إلى أبي عبيدة، و «**غريب القرآن**» (ص ٤١)، و «**الدر المنثور**» (١/ ٣٠) عن ابن عباس، وقتادة، وابن زيد، والربيع، وينظر: «**مجاز القرآن**» (١/ ٣٢)، و «**الزاهر**» (١/ ٥٨٦).

(٢) «**المحرر الوجيز**» (٣/ ٧٣).

و «أَلاَ»: استفتاحُ كلام، و «لكن»: حرف أستدراكٍ، ويحتمل أن يراد هنا: لا يَشْعُرُونَ أنهم مفسدون، ويحتمل أن يراد: لا يشعرون أن اللَّه يفضَحُهم.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوٓا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ...﴾ الآية: المعنَى: صدِّقوا بمحمَّد وشرعه كما صدَّقَ المهاجرون والمحقِّقون من أهل يثرب، قالوا: أنكون كالذين خَفَّت عقولهم، والسفه: الخفَّة والرقَّة الداعيةُ إلى الخفة، يقال: ثوب سَفِيهٌ، إذا كان رقيقًا هَلْهَلَ النَّسْجِ، وهذا القول إنما كانوا يقولونه في خفاء، فَأَطْلَعَ اللَّه عليه نبيَّه عليه السلام، والمؤمنين، وقرر أن السفه ورقَّة الحلوم وفساد البصائرِ إنما هو في حيِّزهم وصفةٌ لهم، وأخبر أنهم لا يعلمون أنهم السفهاء لِلرَّيْنِ الَّذي على قلوبهم.

وقوله تعالَى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ الآية: هذه كانت حالَ المنافقين: إظهارُ الإيمان للمؤمنين، وإظهار الكفر في خلواتهم، وكان رسولُ اللَّه ﷺ يعرض عنهم، ويَدَعُهُمْ في غمرة الاشتباه؛ مخافة أن يتحدَّثَ الناسُ عنه أنه يقتُلُ أصحابه حَسْبَمَا وقع في قِصَّة عبد اللَّه بن أُبَيِّ ابْنِ سَلُول[1]، قال مَالِكٌ: النِّفَاقُ في عهد رسولِ اللَّه ﷺ هو الزندقةُ اليَوْمَ، واختلف المفسِّرون في المراد بشياطينهم، فقال ابن عبَّاس رضي اللَّه عنهما: هم رؤساء الكفر[2]، وقيل: الكُهَّان، قال البخاريُّ: قال مجاهدٌ: ﴿إِلى شياطينهم﴾، أي: أصحابهم من المنافقين والمشركين[3].

قال * ص[4] *: شياطينهم: جمع شيطانٍ، وهو كل متمرِّد من الجنِّ والإنْسِ

---

(١) عبد اللَّه بن أبي بن مالك بن الحارث بن عبيد الخزرجي، أبو الحباب، المشهور بـ «ابن سلول»، وسلول جدته لأبيه، من «خزاعة»، رأس المنافقين في الإسلام، من أهل المدينة. كان سيد الخزرج في آخر جاهليتهم. كان كلما نزلت بالمسلمين نازلة شمت بهم، وكلما سمع بسيئة نشرها. لما مات تقدّم النبي ﷺ، فصلى عليه ولم يكن ذلك من رأي «عمر» فنزلت: ﴿ولا تصلّ على أحد منهم مات أبداً﴾ [التوبة: ٨٤]. ينظر: **«الأعلام»** (٤/ ٦٥)، **«طبقات ابن سعد»** (٣/ ٩٠)، **«جمهرة الأنساب»** (٣٣٥).

(٢) أخرجه الطبري (١/ ١٦٣) برقم (٣٤٩)، وذكره القرطبي (١/ ١٧٩).

(٣) أخرجه الطبري (١/ ١٦٤) برقم (٣٥٥)، وذكره البغوي في **«التفسير»** (١/ ٥١)، والسيوطي في **«الدر»** (١/ ٧٠)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير، وذكره ابن كثير (١/ ٥١).

(٤) **«المجيد في إعراب القرآن المجيد»** (ص ١١٨).

والدوابُّ. قاله ابن عبَّاس، وأنثاه شيطانة. انتهى.

* ت *: ويجب على المؤمن أن يجتنب هذه الأخلاق الذميمة، وقد ثبت عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «مِنْ شَرِّ النَّاسِ ذُو الوَجْهَيْنِ الَّذِي يَأْتِي هَؤُلاَءِ بِوَجْهٍ، وَهَؤُلاَءِ بِوَجْهٍ». رواه أبو داود[1]، وفيه عنه ﷺ: «مَنْ كَانَ لَهُ وَجْهَانِ فِي الدُّنْيَا، كَانَ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ لِسَانَانِ مِنْ نَارٍ». انتهى./ من سنن أبي داود[2]. ١١أ

﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِىءُ بِهِمْ﴾: اختلف المفسِّرون في هذا الاستهزاء، فقال جمهور العلماء: هي تسمية العُقُوبة باسم الذَّنْب، والعربُ تستعمل ذلك كثيرًا، وقال قوم: إن اللَّه سبحانه يفعل بهم أفعالاً هي في تأمل البَشَر هُزْءٌ؛ روي أنَّ النَّارَ تجمد كما تَجْمُدُ الإهالة[3]، فيمشون عليها، ويظنون أنها منجاة، فتخسف بهم، وما روي أن أبواب النَّار تفتح لهم، فيذهبون إلى الخروج، نحا هذا المنحى ابنُ عَبَّاس والحسن.

* ت *: وقوله تعالى: ﴿قِيلَ ٱرْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا نُوراً﴾ [الحديد: ١٣] يقوِّي هذا المنحَىٰ، وهكذا نص عليه في اختصار الطبريِّ. انتهى.

وقيل: استهزاؤه بهم هو استدراجُهُمْ بُدرُور النعم الدنيوية، و ﴿يمدُّهم﴾، أي: يزيدهم في الطغيان، وقال مجاهد: معناه: يملي لهم[4]، والطغيان الغُلُوّ وتعدِّي الحدِّ؛

---

(١) أخرجه أبو داود (٢/ ٦٨٤)، كتاب «الأدب»، باب في ذي الوجهين، حديث (٤٨٧٢)، من طريق أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، مرفوعاً بهذا اللفظ، وأخرجه البخاري (١٠/ ٤٨٩)، كتاب «الأدب»، باب ما قيل في ذي الوجهين، حديث (٦٠٥٨)، ومسلم (٤/ ١٩٥٨)، كتاب «فضائل الصحابة»، باب خيار الناس، حديث (١٩٩/ ٢٥٢٦)، بلفظ: «تجدون من شر الناس.....» الحديث.

(٢) أخرجه أبو داود (٢/ ٦٨٤ـ ٦٨٥)، كتاب «الأدب»، باب في ذي الوجهين، حديث (٤٨٧٣)، والدارمي (٢/ ٣١٤)، كتاب **«الرقاق»**، باب ما قيل في ذي الوجهين، والبخاري في **«الأدب المفرد»** (١٨٨)، وابن حبان (١٩٧٩ـ موارد)، والطيالسي (٢/ ٥٩ـ منحة)، رقم (٦١٧٥)، وابن أبي شيبة (٨/ ٥٥٨) رقم (٥٥١٥)، والبغوي في **«شرح السنة»** (٦/ ٥٢٣ـ بتحقيقنا)، والبيهقي في **«شعب الإيمان»** (٤/ ٢٢٩)، رقم (٤٨٨١)، كلهم من طريق شريك بن عبد اللَّه، عن الركين، عن نعيم بن حنظلة، عن عمار بن ياسر مرفوعاً، وصححه ابن حبان.

وقال العراقي في **«تخريج الإحياء»** (٣/ ١٣٧): وسنده حسن.

(٣) الإهالة: الدُّهْن. ينظر: **«عمدة الحفاظ»** (١/ ١٥٣).

(٤) أخرجه الطبري (١/ ١٦٨) برقم (٣٦٤) عن ابن مسعود وناسٍ من أصحاب النبي ﷺ. وبرقم (٣٦٥) عن مجاهد، وذكره السيوطي في **«الدر»** (١/ ٧٠) عن ابن مسعود.

كما يقال: طَغَى المَاءُ، وَطَغَتِ النَّارُ و ﴿يَعْمَهُونَ﴾: معناه: يتردَّدون حيرةً، والعَمَهُ الحَيْرَةُ من جهة النَّظَر، والعَامِهُ الذي كأنه لا يُبْصِرُ.

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾

قوله تعالَىٰ: ﴿مَثَلُهُمْ كمثل الذي استوقد ناراً. . .﴾ إلى قوله: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ﴾: قال الفَخْر[1]: اعلم أن المقصود من ضرب المِثَالِ أنه يؤثر في القلوب ما لا يؤثره وصف الشيء في نفْسِهِ؛ لأن الغرض من المَثَل تشبيه الخَفِيِّ بِالجَلِيِّ، والغائب بالشاهدِ، فيتأكَّد الوقوفُ على ماهيته، ويصير الحس مطابقاً للعقل؛ وذلك هو النهاية في الإيضاح؛ ألا ترَىٰ أنَّ الترغيب والترهيب إذا وقع مجرَّداً عن ضرب مَثَلٍ، لم يتأكَّد وقوعه في القلب؛ كتأكُّده مع ضرب المثل، ولهذا أكثر اللَّه تعالَىٰ في كتابه المبين، وفي سائر كتبه الأمثالَ، قال تعالَىٰ: ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١] انتهى.

والمَثَل والمِثْل والمَثِيلُ واحدٌ، معناه: الشبيه، قاله أهل اللغة.

و ﴿ٱسْتَوْقَدَ﴾: قيل: معناه أوقد.

واختلف المتأولون في فعل المنافقين الذي يشبه فعل الذي استوقد ناراً؛ فقالت فرقةٌ: هي فيمن كان آمن، ثم كفر بالنفاقِ، فإيمانه بمنزلة النار أضاءت، وكفره بعد بمنزلة انطفائها، وذهابِ النور، وقالت فرقةٌ، منهم قتادة: نطقهم بـ «لا إِلَهَ إلاَّ اللَّهُ» والقُرْآنِ كإضاءة النار، واعتقادهم الكفر بقلوبهم كانطفائها[2]، قال جمهورُ النحاة: جواب «لَمَّا»: «ذَهَبَ» ويعود الضمير من نورهم على «الذي»، وعلى هذا القولِ يتمُّ تمثيل المنافق بالمستوقِدِ؛ لأنَّ بقاء المستوقِدِ في ظلمات لا يبصر كبقاء المنافق؛ على الخلاف المتقدِّم.

وقال قومٌ[3]: جوابُ «لَمَّا» مضمرٌ، وهو «طُفِئَتْ»، فالضمير في «نُورِهِمْ» على هذا

---

(١) «مفاتيح الغيب» (٢/ ٦٦).

(٢) ذكره ابن عطية (١/ ١٠٠).

(٣) ومن هؤلاء أبو القاسم الزمخشري، فقد قال عن جواب «لما». «محذوف. . . . كأن قيل: فلما أضاءت ما حوله خمدت فبقوا خابطين في ظلام، متحيرين متحسرين على فوت الضوء، خائبين بعد الكدح في=

للمنافقين، والإخبار بهذا هو عن حال لهم تكونُ في الآخرة، وهو قوله تعالَىٰ: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ. . .﴾ الآيةَ [الحديد: ١٣] وهذا القول غير قويٍّ.

والأصم: الذي لا يسمع، والأبكم: الذي لا ينطق، ولا يفهم، فإذا فهم، فهو الأخرس، وقيل: الأبكم والأخرس واحدٌ، ووصفهم بهذه الصفات؛ إذْ أعمالهم من الخطإ وعدم الإجابة؛ كأعمال من هذه صفته.

و «صُمٌّ»: رفع على خبر الابتداء، إما على تقدير تكرير «أُولَئِكَ»، أو إضمارهم.

وقوله تعالَىٰ: ﴿فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾ قيل: معناه: لا يؤمنون بوجْهٍ، وهذا إنما يصح أنْ لو كانت الآية في معيَّنينِ، وقيل: معناه: فهم لا يرجعونَ ما داموا على الحال التي وصفهم بها، وهذا هو الصحيحُ.

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾: «أَوْ»: للتخيير، معناه مثَّلوهم بهذا أو بهذا، والصَّيِّبُ المَطَرُ؛ من: صَابَ يَصُوبُ، إذا/ انحط من عُلْو إلى سُفْل. ١١ ب

و ﴿ظُلُمَاتٌ﴾: بالجمع: إشارة إلى ظلمة الليل وظلمة الدجن، ومن حيث تتراكب وتتزيد جُمِعَتْ، وكونُ الدجن مظلماً هول وغم للنفوس؛ بخلاف السحاب والمطر، إذا انجلَىٰ دجنه، فإنه سارٌّ جميل.

واختلف العلماء في «الرَّعْدِ»، فقال ابن عباس ومجاهد وشَهْرُ بن حَوْشَبٍ[1] وغيرهم: هو مَلَكٌ يزجرُ السحابَ بهذا الصوتِ المسموعِ كلَّما خالفتْ سحابةٌ، صاح بها، فإذا اشتد غضبه، طارت النار من فيه، فهي الصواعقُ، واسم هذا الملك: الرَّعْد[2].

= إحياء النار. .» وجعل هذا أبلغ من ذكر الجواب، وجعل جملة قوله: ﴿ذهب اللَّه بنورهم﴾ مستأنفة أو بدلاً من جملة التمثيل.

وقد رد عليه أبو حيان ـ كما ذكر السمين عنه ـ بوجهين: **أحدهما**: أن هذا تقدير مع وجود ما يغني عنه، فلا حاجة إليه؛ إذ التقديرات إنما تكون عند الضرورات. **والثاني**: أنه لا تبدل الجملة الفعلية من الجملة الاسمية.

ينظر: **«الكشاف»** (١/ ٧٣)، و **«البحر المحيط»** (١/ ٢١٣)، و **«الدر المصون»** (١/ ١٣٢).

(١) شهر بن حوشب الأشعري، فقيه قارىء، من رجال الحديث. شامي الأصل، سكن «العراق»، وكان يتزيَّا بزي الجند، ويسمع الغناء بالآلات. وولي بيت المال مدة، وهو متروك الحديث. وكان ظريفاً، قال له رجل: إني أحبك، فقال: ولم لا تحبني وأنا أخوك في كتاب اللَّه، ووزيرك على دين اللَّه، ومؤنتي على غيرك.

ينظر: **«الأعلام»** (٣/ ١٧٨)، **«تهذيب التهذيب»** (٤/ ٣٦٩)، و **«التاج»** (١/ ٢١٤).

(٢) ذكره ابن عطية (١/ ١٠٢)، والبغوي في **«تفسيره»** (١/ ٥٣)، والقرطبي (١/ ١٨٧).

وقيل: الرَّعْدُ مَلَكٌ، وهذا الصوت تسبيحُهُ.

وقيل: الرعد: اسم الصوْتِ المسموعِ؛ قاله عليُّ بن أبي طالب[١].

وأكثر العلماء على أن الرعد ملكٌ، وذلك صوته يسبِّح ويزجرُ السحابَ.

واختلفوا في البَرْقِ.

فقال علي بن أبي طالب؛ وروي عن النبيِّ ﷺ: «هُوَ مِخْرَاقُ حَدِيدٍ بِيَدِ المَلَكِ يَسُوقُ بِهِ السَّحَابَ» وهذا أصحُّ ما روي فيه[٢].

وقال ابن عبَّاس: هو سَوط نور بيد المَلَكِ يزجي به السحَابَ[٣]، وروي عنه: أنَّ البرق ملَكٌ يتراءى[٤].

واختلف المتأوِّلون في المقْصِد بهذ المثل، وكيف تترتب أحوالُ المنافقينَ المُوَازِنَةُ لما في المَثَل من الظلماتِ والرعْدِ والبرقِ والصواعِقِ.

فقال جمهور المفسِّرين: مَثَّلَ اللَّه تعالى القُرْآنَ بالصَّيِّبِ، فما فيه من الإشكال عليهم والعَمَىٰ هو الظلماتُ، وما فيه من الوعيدِ والزجْرِ هو الرعْدُ، وما فيه من النُّور والحُجَج الباهرة هو البَرْقُ، وتخوُّفهم ورَوْعُهُمْ وحَذَرُهم هو جَعْلُ أصابعهم في آذانهم، وفَضْحُ نفاقهم، واشتهارُ كفرهم، وتكاليفُ الشرع التي يكرهونها من الجهادِ والزكاةِ ونحوه هي الصواعقُ، وهذا كله صحيحٌ بيِّن.

وقال ابنُ مسعود: إن المنافقين في مجلسِ رسولِ اللَّه ﷺ كانُوا يجعلون أصابعهم في آذانهم؛ لئلا يسمعوا القرآن، فضرب اللَّه المثل لهم[٥]، وهذا وفاقٌ لقول الجمهورِ.

و ﴿محيطٌ بالكافرين﴾ معناه: بعقابهم، يقال: أحاط السلطان بفلانٍ، إذا أخذه أخذًا حاصرًا من كل جهة، ومنه قوله تعالَىٰ: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾ [الكهف: ٤٢].

---

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (١/ ٥٣)، وابن عطية (١/ ١٠٢)، والقرطبي (١/ ١٨٧).

(٢) أخرجه البيهقي في «سننه» (٣/ ٣٦٣)، كتاب «صلاة الاستسقاء»، باب ما جاء في الرعد، عن علي موقوفاً وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٩٦)، وعزاه لابن أبي الدنيا في كتاب «المطر»، وابن جرير، وابن المنذر، والبيهقي، والخرائطي في «مكارم الأخلاق».

(٣) ذكره الماوردي في «التفسير» (١/ ٨٢)، والبغوي (١/ ٥٣)، والقرطبي (١/ ١٨٧).

(٤) ذكره ابن عطية الأندلسي (١/ ١٠٢)، والقرطبي (١/ ١٨٨).

(٥) ذكره ابن عطية الأندلسي (١/ ١٠٣).

و ﴿يَكَادُ﴾ فعل ينفي المعنىٰ مع إيجابه، ويوجبه مع النفي[١]، فهنا لم يخطف البرق الأبصار، والخَطْفُ: الانتزاعُ بسرعة، ومعنى ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾، تكاد حجج القرآن وبراهينه وآياته الساطعة تبهرهم، ومن جعل البَرْقَ في المثل الزجْرَ والوعيدَ، قال: يكاد ذلك يصيبهم.

و «كُلَّمَا»: ظرفٌ، والعامل فيه «مَشَوْا»، و «قَامُوا» معناه: ثَبَتُوا، ومعنى الآية فيما روي عن ابن عَبَّاس وغيره: كلَّما سمع المنافقون القرآن، وظهرت لهم الحججُ، أنسوا ومشوا معه، فإذا نَزَلَ من القرآن ما يعمهون فيه، ويضلون به، أو يكلِّفونه، قاموا، أي: ثَبَتُوا على نفاقهم.

وروي عن ابن مسعودٍ؛ أنَّ معنى الآية: كلَّما صلُحَتْ أحوالهم في زروعهم ومواشِيهِمْ، وتوالَتْ عليهم النِّعم، قالوا: دين محمَّد دِينٌ مبارَكٌ، وإذا نزلت بهم مصيبةٌ أو أصابتهم شدَّة، سَخِطُوه وثَبَتُوا في نفاقهم[٢].

ووحَّد السمع؛ لأنه مصدر يقع للواحد والجمع.

١٢أ وقوله سبحانه: ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ لفظه العمومُ، ومعناه عند/ المتكلِّمين: فيما يجوز وصفه تعالَىٰ بالقدرة عليه، وقديرٌ بمعنَىٰ قَادِرٍ، وفيه مبالغةٌ، وخَصَّ هنا سبحانه صفتَهُ الَّتي هي القدرةُ ـ بالذِّكْر؛ لأنه قد تقدَّم ذكر فعلٍ مضمَّنه الوعيدُ والإخافةُ، فكان ذكر القدرة مناسباً لذلك.

---

(١) وزعم جماعةٌ منهم ابن جني وأبو البقاء وابنُ عطية أنَّ نفيَها إثباتٌ وإثباتَها نفيٌ، حتى أَلْغَزَ بعضُهم فيها فقال: [الطويل]

أَنَحْوِيٌّ هذا العصرِ ما هي لفظةٌ ... جَرَتْ في لِسانَيْ جُرْهُمٍ وَثَمُودِ
إذا نُفِيَتْ ـ واللَّه أعلم ـ أُثْبِتَتْ ... وإنْ أُثْبِتَتْ قَامَتْ مَقَامَ جُحُودِ

وَحَكَوْا عن ذي الرمة أنه لمَّا أَنْشَدَ قولَه: [الطويل]

إذا غَيَّر النأيُ المحِبِّينَ لم يَكَدْ ... رسيسُ الهوى من حُبِّ مَيَّةَ يَبْرَحُ

عِيبَ عليه لأنه قال: لَمْ يَكَدْ يَبْرَحُ فيكون قد بَرِحَ، فغيَّره إلى قوله: «لم يَزَلْ» أو ما هو بمعناه، والذي غَرَّ هؤلاء قولُهُ تعالى: ﴿فَذَبَحوها وما كادوا يفعلون﴾ [البقرة: ٧١] قالوا: فهي هنا منفيَّةٌ وخبرُها مُثْبَتٌ في المعنى، لأن الذبْحَ وقع لقوله: ﴿فَذَبَحُوها﴾. والجوابُ عن هذهِ الآية من وَجْهَين:

أحدُهما: أنه يُحْمَلُ على اختلافِ وَقْتَيْنِ، أي: ذَبَحوها في وقتٍ، وما كادوا يفعلون في وقتٍ آخرَ.

والثاني: أنه عَبَّر بنفي مقاربةِ الفعل عن شدَّةِ تعنُّتِهِمْ وعُسْرِهِم في الفعلِ. وأمَّا ما حَكَوْهُ عن ذي الرُّمَّة فقد غلَّط الجمهورُ ذا الرُّمة في رجوعِهِ عن قولِهِ وقالوا: هو أَبْلَغُ وأحسنُ مِمَّا غَيَّره إليه.

ينظر: **«الدر المصون»** (١/ ١٤٠).

(٢) ينظر: ابن عطية (١/ ١٠٤).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿يَأَيُّهَا الناس اعبدوا ربكم...﴾ الآيَةَ: «يَا»: حرفُ نداءٍ، وفيه تنبيهٌ، و «أَيُّ» هو المنادَىٰ، قال مجاهد: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ﴾ حيث وقع في القرآن مَكِّيٌّ، و ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ مدنيٌّ[1].

قال * ع[2] *: قد تقدَّم في أول السورة؛ أنها كلها مدنية، وقد يجيء في المَدَنِيِّ: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ﴾.

وأما قوله في: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فصحيح.

﴿ٱعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾: معناه: وحِّدوه، وخصوه بالعبادة، وذكر تعالى خلقه لهم؛ إذ كانت العرب مقرة بأن اللَّه خلقها، فذكر ذلك سبحانه حجةً عليهم، ولعل في هذه الآية قال فيها كثيرٌ من المفسِّرين: هي بمعنى إيجاب التقوَىٰ، وليست من اللَّه تعالَىٰ بمعنى ترجٍّ وتوقُّع، وفي «**مختصر الطَّبَرِيِّ**»: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ عن مجاهد، أي: لعلَّكم تطيعون[3]، والتقوَى التوقِّي من عذاب اللَّه بعبادته، وهي من الوقاية، وأما «لَعَلَّ» هنا، فهي بمعنى «كَيْ» أو «لامِ كَيْ»، أي: لتتقوا، أوْ لكَيْ تتقوا، وليست هنا من اللَّه تعالَىٰ بمعنى الترجِّي، وإنما هي بمعنى كَيْ، وقد تجيء بمعنى «كَيْ» في اللغة؛ قال الشاعر: [الطويل]

وَقُلْتُمْ لَنَا كُفُّوا الحُرُوبَ لَعَلَّنَا ... نَكُفُّ وَوَثَّقْتُمْ لَنَا كُلَّ مَوْثِقِ[4]

---

(١) ينظر المصدر السابق، والقرطبي (١/ ١٩٤).

(٢) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (١/ ١٠٥).

(٣) أخرجه الطبري (١/ ١٩٦) برقم (٤٧٤)، والسيوطي في «**الدر**» (١/ ٧٤)، وعزاه لوكيع، وعبد بن حميد، وابن جرير، وأبي الشيخ.

(٤) وبعده:

فَلَمَّا كَفَفْنَا الْحَرْبَ كَانَتْ عُهُودُكُمْ ... كَلَمْعِ سَرَابٍ فِي الْمَلاَ مُتَأَلِّقِ

وهما بلا نسبة في «**تفسير الطبري**» (١/ ٣٦٤)، و «**القرطبي**» (١/ ٢٢٧، ١٢/ ٢٨٢)، و «**زاد المسير**» (١/ ٤٨)، و «**الدر المصون**» (١/ ٤٧)، و «**الحماسة البصرية**» (١/ ٥٦). والشاهد فيه «لعل»: استعملها=

انتهى.

قال * ع[١] *: وقال سيبويه[٢]: ورؤساءُ اللِّسَان: هي على بابها، والترجِّي والتوقُّع إنما هو في حيز البشر، أي: إذا تأملتم حالكم مع عبادة ربكم، رجَوْتُمْ لأنفسكم التقوَىٰ، و «لَعَلَّ»: متعلِّقة بقوله: «ٱعْبُدُوا»، ويتجه تعلُّقها بـ «خَلَقَكُمْ» أي: لَمَّا وُلِدَ كلُّ مولود على الفطرة، فهو إن تأمله متأمِّل، توقَّع له ورجا أن يكون متقيًا، و «تَتَّقُونَ»: مأخوذ من الوقاية، وجعل بمعنى «صَيَّرَ» في هذه الآية؛ لتعدِّيها إلى مفعولين، و «فِرَاشاً» معناه: تفترشونها، و «السَّمَاء» قيل: هو اسم مفرد، جمعه سماوات، وقيل: هو جمعٌ، واحده سَمَاوَة، وكلُّ ما ارتفع عليك في الهواء، فهو سماء، ﴿وأنزل من السماء﴾ يريد السحاب، سمي بذلك تجوُّزاً؛ لَمَّا كان يلي السماء، وقد سَمَّوُا المطر سماءً للمجاورة؛ ومنه قول الشاعر: [الوافر]

إِذَا نَـزَلَ الـسَّـمَـاءُ بِـأَرْضِ قَـوْمٍ رَعَـيْـنَـاهُ وَإِنْ كَـانُـوا غِـضَـابَـا[٣]

فتجوز أيضاً في «رَعَيْنَاهُ».

وواحد الأنداد نِدٌّ، وهو المقاوم والمضاهي، واختلف المتأوِّلون من المخاطب بهذه الآية، فقالتْ جماعة من المفسِّرين: المخاطَبُ جميع المشركين، فقوله سبحانه على هذا: ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ يريد العلم الخاصَّ في أنه تعالَىٰ خلق، وأنزل الماء، وأخرج الرزق، وقيل: المراد كفَّار بني إسرائيل، فالمعنى: وأنتم تعلَمُون من الكتب التي عندكم أنَّ اللَّه لا

= الشاعر هنا مجردة من الشك بمعنى «لام كي». يقول: كفوا الحروب لنكف، ولو كانت «لعل» هنا شكاً لم يوثقوا لهم كل موثق. ينظر: **«أمالي ابن الشجري»** (١: ٧١)، والملا: الصحراء، والأرض الواسعة.

(١) ينظر: **«المحرر الوجيز»** (١/ ١٠٥).

(٢) عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب «سيبويه»: إمام النحاة، وأول من بسط علم النحو. ولد في إحدى قرى «شيراز»، وقدم «البصرة»، فلزم الخليل بن أحمد، ففاقه، وصنف كتابه المسمى **«كتاب سيبويه»** في النحو. لم يصنع قبله ولا بعده مثله، ناظر الكسائي وأجازه الرشيد بعشرة آلاف درهم. كان أنيقاً جميلاً، توفي شاباً، ولد سنة (١٤٨هـ)، وتوفي سنة (١٨٠هـ).
ينظر: **«ابن خلكان»** (١: ٣٨٥)، **«البداية والنهاية»** (١٠: ١٧٦)، **«الأعلام»** (٥/ ٨١).

(٣) البيت لمعود الحكماء. انظر: **«تأويل مشكل القرآن»** (١٣٥)، الأصبهاني (٢١٤)، الصاحبي (٦٣)، **«معجم الشعراء»** (٣٩١)، **«المفضليات»** (٣٥٩)، **«الصناعتين»** (٢١٢)، **«معجم مقاييس اللغة»** (٣/ ٩٨)، **«العمدة»** (١/ ٢٣٧)، وفيه النسبة لجرير بن عطية، **«معاهد التنصيص»** (٢/ ٢٦٠).
والشاهد فيه: الاستخدام، وهو أن يراد بلفظ له معنيان: أحدهما، ثم يراد بضمير الآخر، أو يراد بأحد ضميريه أحدهما، ثم يراد بالآخر الآخر، فالأول كما في البيت هنا، فإنه أراد بالسماء الغيث، وبالضمير الراجع إليه من «رعيناه» النبت.

ندَّ له، وقال ابنُ فُورَكَ[١]: يحتمل أن تتناول الآية المؤمنين.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ﴾، أي: في شكٍّ، ﴿فَأْتوا بسورة من مثله﴾: الضمير في «مِثْلِهِ» عند الجمهور: عائد على القرآن[٢]، ﴿وادعوا شهداءكم﴾، أي: مَنْ شهدكم وحضركم من عون ونصير؛ قاله ابنُ عَبَّاس[٣]: ﴿إن كنتم صادقين﴾، أي: فيما قلتم من أنَّكم تقدرون على معارضته. ويؤيِّد هذا القول ما حكي عنهم في آية أخرى: / ١٢ ب ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ [الأنفال: ٣١]، وفي قوله جل وعلا: ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ إِثَارةٌ لِهِمَمِهِمْ، وتحريكٌ لنفوسهم؛ ليكون عجزهم بعد ذلك أبدع، وهو أيضاً من الغيوب التي أخبر بها القرآن.

وقوله تعالَىٰ: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ﴾: أمر بالإيمانِ وطاعةِ اللَّه، قال الفَخْر[٤] ولما ظهر عجزهم عن المعارضة، صح عندهم صدق النبيِّ ﷺ وإذا صح ذلك، ثم لزموا العناد، استوجبوا العقاب بالنار، واتقاءُ النار يوجب ترك العناد؛ فأقيم قوله: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ﴾ مُقَامَ قوله: «وَاتْرُكُوا العِنَادَ»، ووصف النار بأنها تتقد بالناس والحجارة؛ وذلك يدلُّ على قوتها، نجَّانا اللَّه منها برحمته الواسعة.

وقرَنَ اللَّه سبحانه النَّاسَ بالحجارة؛ لأنهم اتخذوها في الدنيا أصناماً يعبدونها؛ قال تعالَىٰ: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] فإحدى الآيتين مفسِّرة للأخرى، وهذا كتعذيب مانعي الزكاة بنوعِ ما منعوا، انتهى.

---

(١) ينظر: **«المحرر الوجيز»** (١/ ١٠٦). وابن فُورَكِ هو: محمد بن الحسين بن فُورَك، أبو بكر الأصفهاني، المتكلم، الأصولي، الأديب، النحوي، الواعظ، أخذ طريقة أبي الحسن الأشعري، عن أبي الحسين الباهلي وغيره، أحيى اللَّه تعالى به أنواعاً من العلوم، وبلغت مصنفاته الشيء الكثير، وجرت له مناظرات عظيمة. مات سنة (٤٠٦). انظر: **«طبقات ابن قاضي شهبة»** (١/ ١٩٠)، **«طبقات السبكي»** (٣/ ٥٢)، **«تبيين كذب المفتري»** ص (٢٣٢). **«الأعلام»** (٦/ ٣١٣)، **«مرآة الجنان»** (٣/ ١٧)، **«النجوم الزاهرة»** (٤/ ٢٤٠).

(٢) وقال قوم آخرون: إن معنى قوله تعالى: ﴿فأتوا بسورة من مثله﴾: من مثل محمد من البشر؛ لأن محمداً بشر مثلكم، يعني لأنه لم يكن قرأ الكتب ولا درس، فأتوا بسورة فيها حق من مثل محمد، كما جاء بذلك ﷺ.

ينظر: **«تفسير الطبري»** (١/ ٣٧٤)، و **«بحر العلوم»** للسمرقندي (١/ ١٠٢).

(٣) أخرجه الطبري (١/ ٢٠٢) برقم (٤٩٦)، وذكره ابن عطية (١/ ١٠٧)، والسيوطي في **«الدر»** (١/ ٧٧)، وعزاه لابن جرير، وابن إسحاق، وابن أبي حاتم.

(٤) ينظر: **«مفاتيح الغيب»** (٢/ ١١٢).

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أنَّ لهم جنات. . .﴾ الآية.

﴿بَشِّرْ﴾: مأخوذ من البَشَرَةِ؛ لأن ما يبشر به الإنسان من خير أو شر يظهر عنه أثرٌ في بَشَرة الوجه، والأغلب استعمال البِشَارة في الخير، وقد تستعمل في الشر مقيَّدة به؛ كما قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤] ومتى أطلق لفظ البِشَارة، فإنما يحمل على الخير، وفي قوله تعالى: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ردٌّ على من يقول: إن لفظة الإيمان بمجرَّدها تقتضي الطاعاتِ؛ لأنه لو كان كذلك، ما أعادها، و ﴿جَنَّات﴾ جمع جَنَّة، وهي بستان الشجرِ والنخلِ، وبستانُ الكَرْم، يقال له الفِرْدَوسُ، وروى النسائي عن أبي هريرة عن النبيِّ ﷺ: «أَنَّ ثِيَابَ الجَنَّةِ تَشَقَّقُ عَنْهَا ثَمَرُ الجَنَّةِ»[١]، وروى الترمذي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ؛ أَنَّهُ قَالَ: «مَا فِي الجَنَّةِ شَجَرَةٌ إِلاَّ وَسَاقُهَا مِنْ ذَهَبٍ»، قال أبو عيسَىٰ: هذا حديث حسن[٢]. انتهى من «**التَّذْكِرَةِ**»[٣].

* ت *: وفي الباب عن ابن عبَّاس، وجريرِ بن عبد اللَّهِ، وغيرهما: وسمِّيتِ الجنةُ جنَّةً؛ لأنها تجنُّ من دخلها[٤]؛ أي: تستره، ومنه المِجَنُّ، وَالْجَنَنُ، وجَنَّ اللَّيْلُ.

و ﴿مِنْ تَحْتِهَا﴾ معناه من تحت الأشجار التي يتضمَّنها ذِكْر الجنة.

* ت *: ومن أعظم البِشَارات أنَّ هذه الأمة هم ثلثا أهْلِ الجنَّة، وقد خرَّج أبو بكر بن أبي شيبة[٥] عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ أُمَّتِي يَوْمَ القِيَامَةِ ثُلُثَا أَهْلِ الجَنَّةِ، إِنَّ أَهْلَ

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٧١ـ ٦٧٢)، كتاب «صفة الجنة»، باب ما جاء في صفة شجرة الجنة، حديث (٢٥٢٥)، وأبو يعلى (١١/ ٥٧)، رقم (٦١٩٥)، وابن حبان (٢٦٢٤ـ **موارد**)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٣/ ٢٤٠)، رقم (٤٠٠)، والخطيب في «**تاريخ بغداد**» (٥/ ١٠٨)، كلهم من طريق أبي حازم، عن أبي هريرة مرفوعاً.
وقال الترمذي: حسن غريب. وصححه ابن حبان.

(٣) «**التذكرة**»، تحقيق الدكتور السيد الجميلي، ص (٦٠٧)، وفيها قول الترمذي: حديث حسن غريب.

(٤) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (١/ ١٠٨).

(٥) عبد اللَّه بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العَبْس (بموحدة)، مولاهم، أبو بكر بن أبي شيبة، الكوفي الحافظ. أحد الأعلام، وصاحب «**المصنف**». عن شريك، وهشيم، وابن المبارك، وجرير بن=

الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ عِشْرُونَ وَمِائَةُ صَفٍّ، وَإِنَّ أُمَّتِي مِنْ ذَلِكَ ثَمَانُونَ صَفًّا»[١]، وخرَّج ابن ماجه والترمذيُّ عن بُرَيْدة بن حُصَيْب[٢] قال: قال رسُولُ اللَّه ﷺ: «أَهْلُ الجَنَّةِ عِشْرُونَ وَمِائَةُ صَفٍّ؛ ثَمَانُونَ مِنْهَا مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَأَرْبَعُونَ مِنْ سَائِرِ الأُمَمِ»، قال أبو عيسَىٰ: هذاحديث حسن[٣]. .....

= عبد الحميد، وابن عيينة، وخلق. وعنه البخاري، ومسلم، وأبو داود، وابن ماجه، وأبو زرعة، وعثمان بن خُرَّزَاذَ، وأحمد بن علي المروزي، وخلق. قال أبو زرعة: ما رأيت أحفظ منه. وقال الخطيب: كان متقناً حافظاً، صنف التفسير وغيره. وقال نفطويه: اجتمع في مجلسه نحو ثلاثين ألفاً. قال البخاري: مات سنة خمس وثلاثين ومائتين.

ينظر: **«الخلاصة»** (٢/ ٩٤)، و **«تهذيب التهذيب»** (٦/ ٢)، و **«الجرح والتعديل»** (٥/ ٧٣٧).

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (١١/ ٤٧٠).

(٢) هو: بُرَيدة بن الحُصيب بن عبد اللَّه بن الحارث بن الأعرج بن سعد بن رزاح بن عدي بن سهم بن مازن بن الحارث بن سلامان بن أسلم بن أفْصَى بن حارثة بن عمرو بن عامر... أبو عبد اللَّه. وقيل: أبو سهل. وقيل: أبو ساسان. وقيل أبو الحصيب. الأسلمي. قال ابن الأثير في **«الأسد»**: أسلم حين مر به النبي ﷺ مهاجراً هو ومن معه، وكانوا نحو ثمانين بيتاً، فصلى رسول اللَّه ﷺ العشاء الآخرة، فصلوا خلفه، وأقام بأرض قومه ثم قدم على رسول اللَّه ﷺ بعد «أحد»، فشهد معه مشاهده، وشهد الحديبية وبيعة الرضوان تحت الشجرة.

وكان من ساكني «المدينة» ثم تحول إلى «البصرة»، وابتنى بها داراً، ثم خرج منها غازياً إلى «خراسان» فأقام بـ «مرو» حتى مات ودفن بها، وبقي ولده بها.

ينظر ترجمته في: **«أسد الغابة»** (١/ ٢٠٩)، **«الإصابة»** (١/ ١٥١)، **«الثقات»** (٣/ ٢٩)، **«الجرح والتعديل»** (٢/ ٤٢٤)، **«سير أعلام النبلاء»** (٢/ ٤٦٩)، **«الجمع بين رجال الصحيحين»** (١/ ٦١)، **«مشاهير علماء الأمصار»** (٦٠)، **«تقريب التهذيب»** (١/ ٩٦).

(٣) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٨٣)، كتاب «صفة الجنة»، باب ما جاء في صف أهل الجنة، حديث (٢٥٤٦)، وأحمد (٥/ ٣٤٧)، كلاهما من طريق ضرار بن مرة، عن محارب بن دثار، عن ابن بريدة، عن أبيه مرفوعاً.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن، وقد روي هذا الحديث عن علقمة بن مرثد، عن سليمان بن بريدة، عن النبي ﷺ مرسلاً، ومنهم من قال: عن سليمان بن بريدة، عن أبيه .اهـ.

قلت: أما الطريق المرسل والذي أشار إليه الترمذي، فأخرجه ابن المبارك في **«الزهد»** (ص ٥٤٨)، رقم (١٥٧٢) من طريق سفيان، عن علقمة بن مرثد، عن ابن بريدة عن النبي ﷺ مرسلاً.

وأخرجه ابن ماجه (٢/ ١٤٣٣ـ ١٤٣٤)، كتاب «الزهد»، باب صفة أمة محمد ﷺ، حديث (٤٢٨٩)، والدارمي (٢/ ٣٣٧)، كتاب **«الرقاق»**، باب في صفوف أهل الجنة، والحاكم (١/ ٨٢) من طرق عن سفيان، عن علقمة بن مرثد، عن سليمان بن بريدة، عن أبيه مرفوعاً. وعند الدارمي: عن علقمة، عن سليمان قال: أراه عن أبيه. وللحديث شاهد من حديث أبي موسى.

ذكره الهيثمي في **«مجمع الزوائد»** (١٠/ ٧٣)، وقال: رواه الطبراني، وفيه القاسم بن غصن، وهو ضعيف. =

انتهى من «**التذكرة**»[١] للقرطبيِّ.

﴿والأنهارُ﴾: المياه في مجاريها المتطاولة الواسعَةِ؛ مأخوذةٌ من أنْهَرْتُ، أي: وسَّعت؛ ومنه قول النبيِّ ﷺ: «مَا أَنْهَرَ الدَّمَ وَذُكِرَ ٱسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ، فَكُلُوهُ»[٢]. ومعناه: ما وسع الذبح؛ حتى جرى الدم كالنهْرِ، ونسب الجري إلى النهر، وإنما يجري الماء تجوُّزاً؛ كما قال سبحانه: ﴿وَٱسْأَلِ القَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] وروي أن أنهار الجنة ليست في أخاديد؛ إنما تجري على سطْح أرض الجنة منضبطةً.

وقولهم: ﴿هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾: إشارة إلى الجنس، أي: هذا من الجنس الذي رزقْنَا منه من قبل، والكلام يحتمل/ أن يكون تعجباً منهم، وهو قولُ ابنِ عَبَّاس[٣]، ويحتمل أن يكون خَبَراً من بعضهم لبعْضٍ؛ قاله جماعة من المفسِّرين، وقال الحسنُ، ومجاهدٌ: يرزقُونَ الثمرةَ، ثم يرزقُونَ بعْدَهَا مثْلَ صورتها، والطَّعْم مختلفٌ، فهم يتعجَّبون لذلك، ويخبر بعضهم بعضاً[٤]، وقال ابن عبَّاس: ليس في الجنة شيْءٌ ممَّا في الدنيا سوى

١١٣ ا

= وقال ابن أبي حاتم في «**العلل**» (٢/ ٢١٥): سألت أبي وأبا زرعة عن حديث رواه القاسم بن غصن، عن موسى الجهني، عن أبي بردة، عن أبيه، عن النبي ﷺ قال: «أهل الجنة عشرون ومائة صف، أمتي منهم ثمانون صفاً» قالا: هذا خطأ؛ إنما هو موسى الجهني، عن الشعبي، عن النبي ﷺ مرسل. قالا: والخطأ من القاسم. قلت: ما حال القاسم؟؟! قالا: ليس بقوي.

(١) ينظر: «**التذكرة**» (٢/ ٥٠٦).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٤٦٣ـ ٤٦٤)، والبخاري (٩/ ٦٧٢)، كتاب «الذبائح والصيد»، باب إذا أصاب القوم غنيمة...، حديث (٥٥٤٣)، ومسلم (٣/ ١٥٥٨)، كتاب «الأضاحي»، باب جواز الذبح بكل ما أنهر الدم، حديث (٢٠/ ١٩٦٨)، وأبو داود (٣/ ٢٤٧)، كتاب «الأضاحي»، باب في الذبيحة بالمروة، حديث (٢٨٢١)، والترمذي (٤/ ٨١)، كتاب «الأحكام والفوائد»، باب ما جاء في الزكاة بالقصب وغيره، حديث (١٤٩١)، والنسائي (٧/ ٢٢٦)، كتاب «الضحايا»، باب في الذبح بالسن، وابن ماجة (٢/ ١٠٦١)، كتاب «الذبائح»، باب ما يذكى به، حديث (٣١٧٨). والدارمي (٢/ ٨٤)، كتاب «الأضاحي»، باب: في البهيمة إذا ندت، وعبد الرزاق (٤/ ٤٦٥ـ ٤٦٦)، رقم (٨٤٨١)، والطيالسي (٩٦٣)، وابن الجارود (٨٩٥)، والحميدي (١/ ١٩٩)، رقم (٤١٠)، وابن حبان (٥٨٥٦ـ الإحسان)، والطحاوي في «**شرح معاني الآثار**» (٤/ ١٨٣)، والطبراني في «**الكبير**» (٤/ ٣٢١)، رقم (٤٣٨٠، ٤٣٨١، ٤٣٨٢، ٤٣٨٣، ٤٣٨٤)، والبغوي في «**شرح السنة**» (٦/ ١٨ـ بتحقيقنا)، من طريق عباية بن رفاعة، عن رافع بن خديج قال: قلت يا رسول اللَّه، إنا نلقى العدو غداً، وليس معنا مُدى، فقال النبي ﷺ: «ما أنهر الدم، وذكر اسم اللَّه عليه، فكلوا ما لم يكن سنًّا، أو ظفراً، وسأحدثكم عن ذلك؛ أما السن فعظم، وأما الظفر فمدى الحبشة».

(٣) ذكره ابن عطية الأندلسي (١/ ١٠٩)، والماوردي (١/ ٨٦)، وابن كثير (١/ ٦٢).

(٤) أخرجه الطبري (١/ ٢٠٩) برقم (٥٢٨)، وعبد الرزاق في تفسيره (١/ ٤١)، وذكره البغوي في «**التفسير**»=

الأسماءِ، وأما الذوات فمتباينة[١]، وقال بعض المتأوِّلين: المعنى أنهم يرون الثمر، فيميزون أجناسه حين أشبه منظره ما كان في الدنيا، فيقولون: هذا الذي رزقْنَا مِنْ قبل في الدنيا، وقال قومٌ: إن ثمر الجنة إذا قطف منه شيء، خرج في الحين في موضعه مثله، فهذا إشارة إلى الخارج في موضع المجني.

وقوله تعالى: ﴿متشابهاً﴾ قال ابن عباس وغيره: معناه يشبه بعضه بعضاً في المنظر، ويختلف في الطعم[٢]، و ﴿أَزْوَاجٌ﴾: جمع زوج، ويقال في المرأة: زوجة، والأول أشهر، و ﴿مُطَهَّرَةٌ﴾: أبلغ من طَاهِرَة، أي: مُطَهَّرة من الحَيْض، والبُزَاق، وسائر أقذار الآدميَّات، والخلودُ: الدوامُ، وخرَّج ابن ماجة عن أسامة بن زيد[٣]؛ قال: قال النبيُّ ﷺ، ذَاتَ يَوْمٍ لِأَصْحَابِهِ: «أَلاَ مُشَمِّرٌ لِلْجَنَّةِ؟ فَإِنَّ الجَنَّةَ لاَ خَطَرَ[٤] لَهَا؛ هِيَ، وَرَبِّ الكَعْبَةِ، نُورٌ

= (١/ ٥٦)، وابن عطية الأندلسي (١/ ١٠٩)، والماوردي (١/ ٨٦)، والسيوطي في «الدر» (١/ ٨٣)، وعزاه لوكيع، وعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وذكره ابن كثير (١/ ٦٣).

(١) أخرجه الطبري (١/ ٢١٠) برقم (٥٣٥)، وذكره السمرقندي (١/ ١٠٤)، والبغوي في التفسير (١/ ٥٦)، وابن عطية الأندلسي (١/ ١٠٩)، والماوردي (١/ ٨٦)، والقرطبي (١/ ٢٠٦)، وابن كثير (١/ ٦٣)، والسيوطي في «الدر» (١/ ٨٢)، وعزاه لمسدد، وهناد في «الزهد»، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «البعث».

(٢) أخرجه الطبري (١/ ٢٠٩) برقم (٥٢٤)، وذكره البغوي في التفسير (١/ ٥٦)، وابن عطية (١/ ١٠٩)، والماوردي (١/ ٨٦)، وابن كثير (١/ ٦٣).

(٣) أسامة بن زيد بن شراحيل بن عبد العزى بن زيد بن امرىء القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبد ود بن عوف بن كنانة بن بكر، أبو يزيد، وأبو خارجة، وأبو محمد، وأبو زيد الحب بن الحب الكلبي.

أمه: أم أيمن حاضنة النبي ﷺ. ولد في الإسلام، ومناقبه كثيرة، وأحاديثه شهيرة، وكان سكن «المزة» من عمل «دمشق»، ثم رجع فسكن وادي القرى، ثم نزل إلى «المدينة» فمات بها بـ «الجرف».

روى ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «إن أسامة بن زيد لأحب إليّ (أو من أحب الناس إليّ)، وأنا أرجو أن يكون من صالحيكم، فاستوصوا به خيراً».

قيل: توفي في آخر خلافة معاوية، وقيل: مات سنة (٥٤).

ينظر ترجمته في: **«أسد الغابة»** (١/ ٧٩)، **«الإصابة»** (١/ ٢٩)، **«الاستيعاب»** (١/ ٧٥)، **«الاستبصار»** (٣٤)، **«الكاشف»** (١/ ١٠٤)، **«صفة الصفوة»** (١/ ٥٢١)، **«بقي بن مخلد»** (٣٣)، **«تجريد أسماء الصحابة»** (١/ ١٣)، **«التاريخ الكبير»** (٢/ ٢٠)، **«التاريخ لابن معين»** (٣/ ٢٢).

(٤) قوله ﷺ: «لا خطر لها» أي لا عوض لها ولا مثل. والخَطَر بالتحريك ـ في الأصل: الرَّهْن وما يخاطر عليه. ومثل الشيء، وعِدْله، ولا يقال إلا في الشيء الذي له قدر ومزيَّة.

ينظر: **«النهاية»** (٢/ ٤٦).

يَتَلألأُ، وَرَيْحَانَةٌ تَهْتَزُّ، وَقَصْرٌ مَشِيدٌ، وَنَهْرٌ مُطَّرِدٌ، وَفَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ نَضِيجَةٌ؛ وَزَوْجَةٌ حَسْنَاءُ جَمِيلَةٌ، وَحُلَلٌ كَثِيرَةٌ فِي مَقَامٍ أَبَدٍ فِي حَبْرَةٍ[1] وَنَضْرَةٍ، فِي دَارٍ عَالِيَةٍ سَلِيمَةٍ بَهِيَّةٍ»، قَالُوا: نَحْنُ الْمُشَمِّرُونَ لَهَا، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «قُولُوا: إِنْ شَاءَ اللَّهُ»، ثُمَّ ذَكَرَ الْجِهَادَ وَحَضَّ عَلَيْهِ»[2] انتهى من «**التذكرة**»[3].

وقوله: لا خَطَرَ لها؛ بفتح الطاء: قيل: معناه: لا عِوَضَ لها.

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾

قوله تعالَىٰ: ﴿إِن اللَّه لا يستحِيي أن يضرب مثلاً مَّا بعوضة فما فوقها﴾: لما كان الجليلُ القدْرِ في الشاهد لا يمنعه من الخَوْضِ في نازل القوْلِ إلا الحَيَاء من ذلكَ، رَدَّ اللَّه بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهِ لاَ يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا﴾؛ على القائلين كيف يضرب اللَّه مثلاً

---

(١) الحَبْرة: النِّعمة وسعة العيش، وكذلك الحبور. ينظر: «**النهاية**» (١/ ٣٢٧).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٤٤٨ ـ ١٤٤٩)، كتاب «الزهد»، باب صفة الجنة، حديث (٤٣٣٢)، وابن حبان (٢٦٢٠ـ موارد)، والطبراني في «**الكبير**» (١/ ١٦٢ـ ١٦٣)، رقم (٣٨٨)، والفسوي في «**المعرفة والتاريخ**» (١/ ٣٠٤)، وأبو نعيم في «**صفة الجنة**»، رقم (٢٤)، والبيهقي في «**البعث والنشور**» (ص ٢٣٣)، رقم (٣٩١)، كلهم من طريق الضحاك المعافري، عن سليمان بن موسى، عن كريب مولى ابن عباس، عن أسامة بن زيد مرفوعاً.

وقال البوصيري في «**الزوائد**»: في إسناده مقال، والضحاك المعافري ذكره ابن حبان في «**الثقات**» اهـ.

قال الحافظ في «**التقريب**» (١/ ٣٧٤): الضحاك المعافري مقبول .اهـ.

يعني عند المتابعة، وإلا فهو لين كما ذكره هو في مقدمة «**التقريب**».

والحديث ذكره الهندي في «**كنز العمال**» (١٤/ ٤٦١)، وعزاه إلى ابن ماجة، وأبي يعلى، والنسائي، وابن حبان، وأبي بكر بن أبي داود في «**البعث**»، والروياني، والرامهرمزي، والطبراني، والبيهقي في «**البعث**»، وسعيد بن منصور، عن أسامة بن زيد.

تنبيه: عزاه الحافظ المزي في «**تحفة الأشراف**» (١/ ٥٩) إلى ابن ماجة فقط، ولم يعزه للنسائي في «**الصغرى**»، ولا في «**الكبرى**»، وأظن أن عزوه للنسائي خطأ من المتقي الهندي.

(٣) ينظر: «**التذكرة**» (٥٩٦).

بالذُّبَابِ ونحوه.

واختلف في قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً﴾، هل هو من قول الكافرين أو خبرٌ من اللَّه تعالَىٰ؟ ولا خلاف أن قوله تعالَىٰ: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الفَاسِقِينَ﴾ من قول اللَّه تعالَىٰ، والفسْقُ: الخروجُ عن الشيء، يقال: فَسَقَتِ الفَأْرَةُ، إذا خرجَتْ من جحرها، والرُّطَبَةُ، إذا خرجَتْ من قِشْرها، والفِسْقُ في عرف استعمال الشرْعِ: الخروجُ من طاعة اللَّه عزَّ وجلَّ بكُفْر أو عصيان.

قوله تعالَىٰ: ﴿الذين ينقضُونَ عهد اللَّه﴾: النَّقْضُ: ردُّ ما أبرم على أوله غير مبرمٍ، والعهدُ: في هذه الآية: التقدُّم في الشيء، والوَصَاةُ به، وظاهرٌ مما قبل وبعد أنه في جميع الكُفَّار.

* ع[1] *: وكل عهد جائزٌ بيْنَ المسلمين، فنقضه لا يحلُّ بهذه الآية، والخاسر الذي نَقَصَ نفسه حظَّها من الفلاحِ والفوزِ، والخسرانُ النقْصُ، كان في ميزانٍ أو غيره.

قوله تعالى: ﴿كيف تكفرون باللَّه﴾: هو تقريرٌ وتوبيخٌ، أي: كيف تَكْفُرون، ونعمه عليكم وقدرته هذه، والواو في قوله: ﴿وَكُنْتُمْ﴾ واو الحال.

واختلف في قوله تعالَىٰ: ﴿وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً...﴾ الآية.

فقال ابن عبَّاس، وابن مسعود، ومجاهد: المعنى: كنتم أمواتاً معدومِينَ قبل أن تخلقوا دارسين؛ كما يقال للشيء الدَّارِسِ: ميِّت، ثم خلقكم وأخرجكم إلى الدنيا، فأحياكم، ثم يميتكم/ الموتَ المعهُودَ، ثم يحييكم للبَعْثِ يوم القيامة[2]، وهذا التأويل هو ١٣ ب أولَىٰ ما قيل؛ لأنه هو الذي لا محيد للكفار عن الإقرار به، والضميرُ في «إِلَيْهِ» عائد على اللَّه تعالى، أي: إلى ثوابه أو عقابه، و ﴿خَلَقَ﴾: معناه: اخترع، وأوجد بعد العدمِ، و ﴿لَكُمْ﴾: معناه: لِلاِعتبار؛ ويَدُلُّ عليه ما قبله وما بعده من نَصْب العِبَرِ: الإحياء والإماتة والاستواء إلى السماء وتسويتِها.

وقوله تعالَىٰ: ﴿ثم استوى إلى السماء﴾: «ثُمَّ» هنا: لترتيب الأخبار، لا لترتيب الأمر

---

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (١/ ١١٣).

(٢) أخرجه الطبري (١/ ٢٢٢ـ ٢٢٣) برقم (٥٧٦ـ ٥٨٠) بنحوه، عن ابن عباس، ومجاهد. وذكره ابن عطية الأندلسي (١/ ١١٤)، والماوردي (١/ ٩٠)، والسيوطي في «الدر» (١/ ٨٩)، والقرطبي (١/ ٢١٣).

في نفسه، و ﴿اسْتَوَىٰ﴾: قال قومٌ: معناه: علا دون كَيْفٍ، ولا تحديدٍ، هذا اختيار الطبريِّ، والتقديرُ: علا أمره وقدرته وسلطانه، وقال ابن كَيْسَان: معناه: قصد إلى السماء.

* ع[1]*: أي: بخلقه، واختراعه، والقاعدةُ في هذه الآية ونحوها منع النَّقْلَة وحلولِ الحوادثِ، ويبقى استواءُ القدرةِ والسلطان.

و ﴿سَوَّاهُنَّ﴾: قيل: جعلهن سواءً، وقيل: سوَّىٰ سطوحَهُنَّ بالإملاس، وقال الثعلبيُّ[2]: ﴿فسواهن﴾، أي: خلقهن. انتهى. وهذه الآية تقتضي أن الأرض وما فيها خُلِقَ قبل السماء، وذلك صحيحٌ، ثم دحيت الأرض بعد خلق السماء، وبهذا تتفق معاني الآيات هذه والتي في سورة «المُؤْمِنِ»، وفي «النازعات».

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾

وقوله تعالَىٰ: ﴿وَإِذْ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفةً﴾: «إِذْ» ليست بزائدةٍ عند الجمهور، وإنما هي معلَّقة بفعل مقدَّر، تقديره: واذكر إذ قال، وإضافةُ «رَبٌّ» إلى محمَّدٍ ﷺ، ومخاطبتُهُ بالكاف ـ تشريفٌ منه سبحانه لنبيِّه، وإظهار لاِختصاصه به، و «الملائكةُ»: واحدها ملَكٌ، والهاء في «ملائكة» لتأنيث الجُموعِ غير حقيقيٍّ، وقيل: هي للمبالغة؛ كَعَلاَّمَةٍ وَنسَّابَةٍ، والأول أبين.

و ﴿جَاعِلٌ﴾؛ في هذه الآية بمعنى خَالِقٍ، وقال الحسن وقتادة: جاعلٌ بمعنى فاعل[3]، وقال ابن سابط[4] عن النبي ﷺ: «إِنَّ الأَرْضَ هُنَا هِيَ مَكَّةُ؛ لأَنَّ الأَرْضَ دُحِيَتْ

---

(١) ينظر: **«المحرر الوجيز»** (١/ ١١٥).

(٢) هو أحمد بن محمد بن إبراهيم، أبو إسحاق النيسابوري الثعلبي. كان إماماً كبيراً، حافظاً للغة بارعاً في العربية، روى عن أبي طاهر بن خزيمة، وأبي محمد المخلدي. أخذ عنه الواحدي. له: **«العرائس في قصص الأنبياء»** وكتاب **«ربيع المذكرين»**. توفي (٤٢٧هـ).
ينظر ترجمته في: **«بغية الوعاة»** (١/ ٣٥٦)، و **«النجوم الزاهرة»** (٤/ ٢٨٣)، و **«طبقات المفسرين»** للداوودي (١/ ٦٦).

(٣) أخرجه الطبري (١/ ٢٣٥) برقم (٥٩٧)، وذكره السيوطي في **«الدر»** (١/ ٩٣)، عن الحسن، وعزاه لابن جرير.

(٤) عبد الرحمن بن سابط القرشي، الجمحي، المكي، عن عمر، ومعاذ مرسلاً، وعن عائشة بواسطة، في=

مِنْ تَحْتِهَا؛ وَلأَنَّهَا مَقَرُّ مَنْ هَلَكَ قَوْمُهُ مِنَ الأَنْبِيَاءِ، وَأَنَّ قَبْرَ نُوحٍ وَهُودٍ وَصَالِحٍ بَيْنَ المَقَامِ وَالرُّكْنِ»[١].

و ﴿خَلِيفَةً﴾: معناه: من يخلف.

قال ابن عبَّاس: كانت الجن قبل بني آدم في الأرض، فأفسدوا، وسَفَكُوا الدماء، فبعث اللَّه إليهم قبيلاً من الملائكة قتلهم، وألْحَقَ فَلَّهُمْ[٢] بجزائرِ البحار، ورؤوس الجبالِ، وجعل آدم وذريته خليفةً[٣]، وقال ابن مسعود: إنما معناه: خليفةٌ مني في الحُكْمِ[٤].

وقوله تعالَىٰ: ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها...﴾ الآيةَ: قد علمنا قطعًا أن الملائكة لا تعلم الغيْبَ، ولا تسبق القول، وذلك عَامٌّ في جميع الملائكة، لأن قوله تعالى: ﴿لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالقَوْلِ﴾ [الأنبياء: ٢٧] خرج على جهة المدح لهم، قال القاضي ابن الطَّيِّب[٥]: فهذه قرينة العموم، فلا يصح مع هذين الشرطَيْن إلا أن يكون عندهم من إفساد الخليفة نبأٌ ومقدِّمة.

قال ابن زيد وغيره: إن اللَّه تعالى أعلمهم أن الخليفة سيكونُ من ذريته قومٌ يفسدونَ، ويسفكون الدماء[٦]؛ فقالوا لذلك هذه المقالةَ: إما على طريق التعجُّب من ٱستخلافِ اللَّه

= مسلم فرد حديث، وسعد، وجابر، وعنه علقمة بن مرثد، وابن جريج، والليث، وخلق. وثقه ابن معين وقال: لم يسمع من أبي أمامة، والدارقطني، وجماعة. قال ابن سعد: مات بمكة سنة ثماني عشرة ومائة. ينظر: «**الخلاصة**» (٢/ ١٣٣)، «**تهذيب التهذيب**» (٦/ ١٨٠)، «**الثقات**» (٧/ ٦٩).

(١) أخرجه الطبري في «**تفسيره**» (١/ ٤٤٨ـ شاكر)، وابن أبي حاتم كما في «**تفسير ابن كثير**» (١/ ٧٠) من طريق عطاء عن ابن سابط به مرفوعاً.
وقال ابن كثير: وهذا مرسل، وفي سنده ضعف.
وذكره السيوطي في «**الدر المنثور**» (١/ ٩٥)، وزاد نسبته إلى ابن عساكر.

(٢) الفلُّ: المنهزمون. ينظر: «**لسان العرب**» (٣٤٦٦).

(٣) أخرجه الطبري (١/ ٢٣٦) برقم (٦٠١)، وصححه الحاكم (٢/ ٢٦١)، ووافقه الذهبي، وذكره السيوطي في «**الدر**» (١/ ٩٣).

(٤) ذكره ابن عطية الأندلسي (١/ ١١٦)، والماوردي (١/ ٩٥).

(٥) محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، أبو بكر: قاض من كبار علماء الكلام انتهت إليه الرياسة في مذهب الأشاعرة، ولد في «البصرة» سنة (٣٣٨) هـ، وسكن «بغداد» فتوفي فيها سنة (٤٠٣هـ)، كان جيد الاستنباط، سريع الجواب. من تصانيفه: «**إعجاز القرآن**»، و «**الإنصاف**»، و «**مناقب الأئمة**»، و «**دقائق الكلام**»، و «**الملل والنحل**»، و «**هداية المرشدين**»، وغير ذلك.
ينظر: «**الأعلام**» (٦/ ١٧٦)، «**وفيات الأعيان**» (١/ ٤٨١)، «**قضاة الأندلس**» (٣٧ـ ٤٠)، «**تاريخ بغداد**» (٥/ ٣٧٩).

(٦) أخرجه الطبري (١/ ٢٤٤) برقم (٦١٤ـ ٦١٥ـ ٦١٦)، عن ابن زيد، وابن إسحاق، وابن جريج، وذكره السيوطي في «**الدر**» (١/ ٩٤)، عن ابن زيد، وعزاه لابن جرير.

من يعصيه، أو من عصيان من يستخلفُهُ اللَّهُ في أرضه وينعم علَيْه بذلك، وإما على طريق الاِستعظامِ والإكبار للفصلَيْن جميعاً؛ الاستخلاف، والعصيان.

١٤أ وقال أحمد بن يَحْيَى/ ثَعْلَبٌ[١] وغيره: إنما كانت الملائكة قد رأَتْ، وعلمت ما كان من إفساد الجِنِّ، وسفكهم الدماء في الأرض؛ فجاء قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا...﴾[٢] الآية؛ على جهة الاستفهام المحض، هل هذا الخليفة يا ربَّنا على طريقة من تقدَّم من الجِنِّ أم لا؟

وقال آخرون: كان اللَّه تعالى قد أعلم الملائكة؛ أنه يخلق في الأرضِ خلْقاً يفسدون، ويسفكون الدماء، فلما قال لهم سبحانه بعد ذلك: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ﴾ قالوا: رَبَّنَا، ﴿أتجعلُ فيها...﴾ الآيةَ؛ على جهة الاسترشاد والاستعلام، هل هذا الخليفةُ هو الذي كان أعلمهم به سبحانه قبل، أو غيره؟ ونحو هذا في «**مختصر الطبريِّ**»، قال: وقولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾ ليس بإنكار لفعله عز وجلَّ وحكمه، بل استخبارٌ، هل يكون الأمر هكذا، وقد وجَّهه بعضهم بأنهم استعظموا الإفسادَ وسفْكَ الدماء؛ فكأنهم سألوا عن وجه الحكمة في ذلك؛ إذ علموا أنه عز وجل لا يفعل إلا حكمة. انتهى.

* ت *: والعقيدة أن الملائكة معصومون، فلا يقع منهم ما يوجب نقصانًا من رتبتهم، وشريف منزلتهم ـ صلوات اللَّه وسلامُهُ على جميعهم ـ والسفك صبُّ الدَّمِ، هذا عُرْفُه، وقولهم: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾.

قال بعض المتأوّلين: هو على جهة الاستفهام؛ كأنهم أرادوا: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ...﴾ الآيةَ، أم نتغير عن هذه الحال؟

قال * ع[٣] *: وهذا يحسن مع القول بالاستفهام المحْضِ في قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ﴾.

وقال آخرون: معناه: التمدُّح ووصف حالهم، وذلك جائز لهم؛ كما قال يوسُفُ: ﴿إِنِي حفيظٍ عليمٌ﴾ [يوسف: ٥٥]، وهذا يحسن مع التعجُّب والاستعظام؛ لِأَنْ يستخلف اللَّه

---

(١) هو: أبو العباس أحمد بن يحيى بن يسار، وقيل: سيار الشيباني، المعروف بثعلب، إمام الكوفيين في النحو واللغة. صنف: «**المصون في النحو**»، و «**معاني القرآن**»، و «**ما تلحن فيه العامة**»، و «**الفصيح**» وغيرها. توفي (٢٩١هـ).

ينظر ترجمته في: «**وفيات الأعيان**» (١/ ٣٠)، و «**بغية الوعاة**» (١/ ٢٩٦)، و «**غاية النهاية**» (١/ ١٤٨).

(٢) ينظر: ابن عطية الأندلسي في «**تفسيره**» (١/ ١١٧).

(٣) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (١/ ١١٨).

من يعصيه في قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ﴾، وعلى هذا أدَّبهم بقوله تعالىٰ: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾، ومعنى: ﴿نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾: ننزِّهك عما لا يليق بصفاتك، وقال ابن عبَّاس وابن مسعود: تسبيحُ الملائكةِ صلاتهم للَّه سبحانه[1]، وقال قتادةُ: تسبيحهم قولهم: «سبحانَ اللَّهِ»؛ على عرفه[2] في اللغة، و ﴿بِحَمْدِكَ﴾: معناه نَصِلُ التسبيح بالحمدِ، ويحتمل أن يكون قولهم: ﴿بِحَمْدِكَ﴾ اعتراضاً بين الكلامين؛ كأنهم قالوا: ونحن نسبِّح ونقدِّس، وأنت المحمود في الهداية إلى ذلك، وخرَّج مسلم في صحيحه عن أبي ذَرٍّ[3]؛ قال: قال لِي رسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلاَ أُخْبِرُكَ بِأَحَبِّ الكَلاَمِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَىٰ؟ إِنَّ أَحَبَّ الكَلاَمِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَىٰ: «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ»، وفي رواية: «سُئِلَ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وسلَّم، أَيُّ الكَلاَمِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: مَا اصْطَفَى اللَّهُ لِمَلاَئِكَتِهِ أَوْ لِعِبَادِهِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ»[4] وفي صحيحَي البخاريِّ ومسلم عن أبي هُرَيْرَة؛ قال: قال رَسُولُ اللَّه ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ»[5] وهذا الحديثُ

---

(١) أخرجه الطبري (١/ ٢٤٨) برقم (٦١٩)، وذكره البغوي (١/ ٦٠)، وابن عطية الأندلسي (١/ ١١٨)، والقرطبي (١/ ٢٣٦)، وابن كثير (١/ ٧١).

(٢) أخرجه الطبري (١/ ٢٤٨) برقم (٦٢٠)، وعبد الرزاق في التفسير (١/ ٤٢)، وذكره السيوطي في «الدر» (١/ ٩٥).

(٣) قيل هو: جندب بن جنادة بن سكن. وقيل: عبد اللَّه، وقيل: اسمه: برير وقيل بالتصغير، والاختلاف في أبيه كذلك، وشهرته: أبو ذر الغفاري. قلت: كان من كبار الصحابة وفضلائهم ومشاهيرهم وزهادهم، قديم الإسلام، قويًا في الحق، صادق اللهجة. ولا يتسع المقام للحديث عنه، وقد ألفت في سيرته المؤلفات الكثيرة. توفي بـ «الربذة» سنة (٣١ أو ٣٢).

تنظر ترجمته في: **«أسد الغابة»** (١/ ٣٥٧)، **«الإصابة»** (٧/ ٦٠)، **«بقي بن مخلد»** (١٥)، **«تجريد أسماء الصحابة»** (٢/ ١٦٤)، **«حلية الأولياء»** (١/ ١٢٧)، **«تهذيب الكمال»** (١٦٠٣)، **«تقريب التهذيب»** (٢/ ٤٢٠)، **«تهذيب التهذيب»** (١٢/ ٩٠)، **«الزهد»** لوكيع (٣٣)، **«شذرات الذهب»** (١/ ٣١).

(٤) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٩٣ـ ٢٠٩٤)، كتاب «الذكر والدعاء»، باب فضل سبحان اللَّه وبحمده، حديث (٨٤، ٨٥/ ٢٧٣١)، من طريق عبد اللَّه بن الصامت، عن أبي ذر به.

(٥) أخرجه البخاري (١١/ ٢١٠)، كتاب «الدعوات»، باب فضل التسبيح، حديث (٦٤٠٦)، و (١١/ ٥٧٥)، كتاب «الأيمان والنذور»، باب إذا قال: واللَّه لا أتكلم اليوم فصلى، حديث (٦٦٨٢)، و (١٣/ ٥٤٧)، كتاب «التوحيد»، باب قول اللَّه تعالى: ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة﴾، حديث (٧٥٦٣)، ومسلم (٤/ ٢٠٧٢)، كتاب «الذكر والدعاء»، باب فضل التهليل، والتسبيح، والدعاء، حديث (٣١/ ٢٦٩٤)، والترمذي (٥/ ٥١٢)، كتاب «الدعوات»، باب (٦٠)، حديث (٣٤٦٧)، وابن ماجة (٢/ ١٢٥١)، كتاب «الأدب»، باب فضل التسبيح، حديث (٣٨٠٦)، والنسائي في **«الكبرى»** (٦/ ٢٠٧ ـ ٢٠٨)، كتاب «عمل اليوم والليلة»، باب ما يثقل الميزان، حديث (١٠٦٦٦)، وأحمد (٢/ ٢٣٢)، وأبو يعلى (١٠/ ٤٨٣)، رقم (٦٠٩٦)، وابن حبان (٣/ ١١٢ـ ١١٣)، رقم (٨٣١)، (٣/ =

٢٠٨ ـــــــ

وقوله تعالى: ﴿وَعلَّم آدمَ الأسماء كلَّها﴾: معناه: عرَّف، وتعليم آدم هنا عند قوم إلهامُ علمه ضرورةً، وقال قوم: بل تعليمٌ بقولٍ؛ إما بواسطة مَلَكٍ، أو بتكليمٍ قبل هبوطه الأرضَ، فلا يشارك موسَىٰ ـ عليه السلام ـ في خَاصَّته.

* ت *: قال الشيخ العارفُ باللَّه عبد اللَّه بن أبي جَمْرَةَ: تعليمه سبحانه لآدم الأسماء كلَّها، إنما كان بالعلْم اللدنيِّ بلا واسطة. انتهى من كتابه الذي شرح فيه بعض أحاديث البخاريِّ، وكل ما أنقله عنه، فمنه، واختلف المتأوِّلون في قوله: ﴿الْأَسْمَاءَ﴾: فقال جمهور الأُمَّة: علَّمه التسميات، وقال قومٌ: عرض عليه الأشخاص، والأول أبين؛ ولفظة عَلَّمَ تعطي ذلك.

ثم اختلف الجمهورُ في أيِّ الأسماء علَّمه، فقال ابن عبَّاسٍ، وقتادة، ومجاهدٌ: علَّمه اسم كلِّ شيء من جميع المخلوقات؛ دقيقها، وجليلها[1]، وقال الطبريُّ[2]: علَّمه أسماء ذريته، والملائكة؛ ورجَّحه بقوله تعالَىٰ: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ وقال أكثر العلماء: عَلَّمه تعالَىٰ منافعَ كلِّ شيء، ولما يصلح.

وقيل غير هذا.

واختلف المتأوِّلون، هل عرض على الملائكة أشخاص الأسماء أو الأسماء دون الأشخاص؟.

﴿وأَنْبِئُونِي﴾: معناه: أخبروني، والنبأ: الخبر، وقال قوم: يخرج من هذا الأمر بالإنباء تكليفُ ما لا يطاقُ[3]، ويتقرَّر جوازه؛ لأنه سبحانه عَلِمَ أنهم لا يعلمون.

---

(١) أخرجه الطبري (١/ ٢٥٢) برقم (٦٤٦ـ ٦٤٧ـ ٦٤٨ـ ٦٤٩ـ ٦٥٦)، وعبد الرزاق في تفسيره (١/ ٤٢ـ ٤٣)، وذكره السيوطي في «الدر» (١/ ١٠٠ـ ١٠١).

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» (١/ ٤٨٥).

(٣) حاصل ما في شرح «المواقف»، أشار إليه «الخالي» هو أن ما لا يطاق على ثلاث مراتب:

الأولى: ما يمكن في نفسه لكن يمتنع من العبد؛ لعلم اللَّه (تعالى) بعدم وقوعه، كإيمان أبي لهب، وهي المرتبة الأولى من مراتب ما لا يطاق؛ فإن هذا مقدور للمكلف بالنظر إلى ذاته، وممتنع له بالنظر إلى علم اللَّه (تعالى) بعدم وقوعه، ومعنى كونه مقدوراً أنه يجوز تعلق القدرة الحادثة أي قدرة المكلف به لا أنه متعلق القدرة بالفعل؛ لأن القدرة الحادثة لا تتعلق بمثل هذا الفعل؛ لأن القدرة الحادثة عندنا مع الفعل لا قبله، فلا يتصور تعلقه بما لم يقع. ثم إن التكليف بهذا المحال جائز وواقع اتفاقاً، ولا خلاف فيه للمعتزلة.

الثانية: ما يمكن في نفسه لكن يمتنع من العبد عادة، كخلق الأجسام، وحمل الجبل، والطيران إلى=

٢١٠ ـــــــ

وقال آخرون: إن كنتم صادِقِينَ في أنّي إن ٱستخلفتُكُمْ، سبَّحتم بحَمْدِي، وقدَّستم لي.

وقال/ قوم: معناه: إن كنتم صادقين في جوابِ السؤالِ، عالمين بالأسماء. ١٥أ

و ﴿سُبْحَانَكَ﴾: معناه تنزيهاً لك وتبرئةً أنْ يعلم أحدٌ من علمك إلا ما علمته، والعَلِيمُ: معناه: العَالِمُ، ويزيد عليه معنى من المبالغةِ والتكثيرِ في المعلوماتِ، والحكيمُ: معناه: الحاكِمُ وبينهما مزية المبالغةِ، وقيل: معناه: المُحْكِمُ، وقال قوم: الحَكِيمُ المانعُ من الفساد، ومنه حَكَمَةُ الفرسِ مانعته.

﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم﴾: أَنْبِئْهُمْ: معناه: أخبرهم، والضمير في «أَنْبِئْهُمْ» عائدٌ على الملائكة بإجماعٍ، والضميرُ في «أَسْمَائِهِمْ» مختلَفٌ فيه حَسَبَ الاختلاف في الأسماء التي علَّمها آدم، قال بعض العلماء: إنَّ في قوله تعالَىٰ: ﴿فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ﴾ نبوءةً لآدم عليه السلام؛ إذ أمره اللَّه سبحانه أن ينبىء الملائكة بما ليس عندهم من علم اللَّه عز وجَلَّ.

وقوله تعالَىٰ: ﴿أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: معناه: ما غاب عنكم؛ لأنَّ اللَّه تعالى لا يغيبُ عنه شيء، الكلُّ معلوم له.

واختلف في قوله تعالى: ﴿مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾.

فقال طائفة: ذلك على معنى العموم في معرفة أسرارهم وظواهرهم وبواطنهم أجمع، «وإذْ» من قوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ﴾ معطوفةٌ على «إِذِ» المتقدِّمة، وقولُ[1] اللَّه تعالَىٰ

---

(١) كلام اللَّه تعالى صفة أزلية قديمة قائمة بذاته (تعالى)، منافية للسكوت والآفة ـ كما في الخرس ـ ليست من جنس الأصوات والحروف. بل بها آمرٌ ناهٍ. يدل عليها بالعبارات أو الكتابة أو الإشارة. فتلك الصفة واحدة في ذاتها، وإن اختلفت العبارات الدالة عليها، كما إذا ذكر اللَّه بألسنة مختلفة، فالصفة: هي الأمر القائم بالغير، فهو جنس في التعريف أو كالجنس، بناء على الخلاف في المفهومات الاصطلاحية: هل هي حدود أو رسوم.
الأول: مبني على أنها وإن كان أمراً اصطلاحياً طارئاً على المعنى اللغوي للكلام؛ إذ الكلام في اللغة القول. يقال: أتى بكلام طيب، أي قول، إلا أنه ليست وراء ما اصطلح عليه المصطلح أمر آخر. فذلك=

٢١٢ ـــــــ

* ت *: ما ذكره ـ رحمه اللَّه ـ هو عقيدةُ أهل السنة، وها أنا أنقل من كلام الأئمة، إن شاء اللَّه، ما يتبيَّن به كلامه، ويزيده وضوحاً، قال ابن رُشْدٍ: قوله ﷺ: «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ»(١) لا يفهم منه أن للَّه عز وجلَّ كلماتٍ غَيْرَ تامَّات؛ لأن

= والمراد الثاني منهما؛ حيث أريد بالكلام الكلام النفسي، فاللَّه منزه عن الاتصاف بالخرس والآفة. «هو بها آمِرٌ ناهٍ»: فهو صفة واحدة تتكثر بحسب التعلقات. فالكلام باعتبار تعلقه بشيء خبر، وبآخر أمر أو نهي. وبهذا يخرج العلم والقدرة. وهكذا سائر الصفات الوجودية غير الكلام؛ لأنه لا أمرٌ ولا نهيٌ بواحدة منها.

وغير الأشاعرة يقولون: الكلام هو اللفظ المنتظم من الحروف والأصوات، وينفون الصفة النفسية وهم في ذلك قد انقسموا إلى قسمين:

القسم الأول: كلامه ألفاظ قائمة بذاته، وهي قديمة، وهم بعض الحنابلة، أو حادثة، وهم الكرامية.

والقسم الثاني: يقول: كلام اللَّه ألفاظ قائمة بالغير. وهم المعتزلة. فالحنابلة يعرفونه: بأنه المؤلف من الكلمات القديمة القائمة بذاته تعالى. والكرامية يعرفونه: بأنه هو المؤلف من الكلمات الحادثة القائمة بذاته تعالى. وحيث إن المعتزلة لم يعرفوه بالصفة النفسية، فليس عندهم سوى الألفاظ وهي حادثة؛ لأنها مرتبة، ويستحيل قيام الحادث بالقديم. فهم يقولون: إن كلامه ألفاظ قائمة بغيره، فهم يتجوزون بمتكلم عن موجدٍ وخالقٍ للكلام. وعليه فالمعتزلة لا يثبتون كلاماً للَّه لا نفسياً، كما أثبته الأشاعرة. ولا لفظياً حادثاً كما قالت الكرامية، بل يثبتون كلاماً لا على أنه متصف به، بل على أنه مخلوق قائم بغيره.

فالكلام عند المعتزلة هو المؤلف من الكلمات المسموعة الحادثة القائمة بغير الذات. فقد خالفوا جميع الفرق.

ينظر: تحقيق **«صفة الكلام»** لشيخنا حافظ مهدي ص ٥٢ ـ ٥٤.

(١) أخرجه مالك (٢/ ٩٧٨)، كتاب «الاستئذان»، باب ما يؤمر به من الكلام في السفر، حديث (٣٤)، ومسلم (٤/ ٢٠٨٠ـ ٢٠٨١)، كتاب «الذكر والدعاء»، باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره، حديث (٥٤/ ٢٧٠٨)، والترمذي (٥/ ٤٩٦)، كتاب «الدعوات»، باب ما يقول إذا نزل منزلاً، حديث (٣٤٣٧)، والنسائي في **«الكبرى»** (٦/ ١٤٤)، كتاب «عمل اليوم والليلة»، باب ما يقول إذا نزل منزلاً، حديث (١٠٣٩٤)، وأحمد (٦/ ٣٧٧)، وابن السني في **«عمل اليوم والليلة»**، رقم (٥٣٣)، وابن خزيمة (٤/ ١٥٠ـ ١٥١)، رقم (٢٥٦٧)، وابن حبان (٦/ ٤١٨)، رقم (٢٧٠٠)، والبيهقي (٥/ ٢٥٣)، كتاب «الحج»، باب ما يقول إذا نزل منزلاً، كلهم من طريق يعقوب بن عبد اللَّه الأشج، عن بسر بن سعيد، عن سعد بن أبي وقاص، عن خولة بنت حكيم قالت: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «من نزل منزلاً فليقل. . . .» فذكرت الحديث.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

وقال: وروى مالك بن أنس هذا الحديث أنه بلغه، عن يعقوب بن عبد اللَّه بن الأشج، فذكر نحو هذا الحديث.

وروى ابن عجلان هذا الحديث عن يعقوب بن عبد اللَّه بن الأشج، ويقول: عن سعيد بن المسيب، عن خولة. =

كلماته هي قوله، وكلامه هو صفةٌ من صفات ذاتِهِ يستحيلُ عليها النقص، وفي الحديث بيانٌ واضحٌ على أن كلماته عز وجل غير مخلوقة إذ لا يستعاذ بمخلوقٍ، وهذا هو قول أهل السنة، والحقّ أن كلام اللَّه عزَّ وجلَّ صفة من صفات ذاته قديمٌ غيرُ مخلوقٍ؛ لأن الكلام هو المعنى القائِمُ في النفسِ، والنطقُ به عبارةٌ عنه؛ قال اللَّه عزَّ وجلَّ: ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [المجادلة: ٨] فأخبر أن القول معنًى يقوم في النفْسِ، وتقول: في نَفْسِي كَلاَمٌ، أريد أن أعلمك به، فحقيقة كلام الرجل هو المفهومُ من كلامه، وأما الذي تسمعه منه، فهو عبارةٌ عنه؛ وكذلك كلام اللَّه عز وجلَّ القديمُ الذي هو صفة من صفاتِ ذاته هو المفهومُ من قراءة القارىء لا نَفْسُ قراءته التي تسمعها؛ لأنَّ نفس قراءته التي تسمعها مُحْدَثَةٌ، لم تكن؛ حتى قرأ بها، فكانت، وهذا كله بيِّن إلا لمن أعمى اللَّه بصيرته. انتهى بلفظه من «البَيَانِ».

وقال الغَزَّالِيُّ[1] بعد كلامٍ له نحو ما تقدَّم لاَبْنِ رشد: وكما عقل قيامُ طلبِ التعلُّم وإرادته بذات الوالدِ قبل أن يخلقَ ولده؛ حتى إذا خلق ولده، وعقل، وخلق اللَّه سبحانه له علْماً بما في قلْب أبيه من الطَّلَب، صار مأموراً بذلك الطلب الذي قام بذاتِ أبيه، ودام وجوده إلى وقت معرفة ولده، فليعقل قيام الطلب الذي دلَّ عليه قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾/ [طه: ١٢] بذات اللَّه تعالَىٰ، ومصير موسى عليه السلامُ سَامِعاً لذلك الكلامِ ١٥ ب

= وحديث الليث أصح من رواية ابن عجلان .اهـ. وهذا توضيح وشرح لكلام الترمذي رحمه اللَّه: أما رواية مالك، فهي في «الموطأ» (٢/ ٩٧٨)، عن الثقة عنده، عن يعقوب بن عبد اللَّه بن الأشج به. أما رواية محمد بن عجلان، فأخرجها ابن ماجة (٢/ ١١٧٤)، كتاب «الطب»، باب الفزع والأرق وما يتعوذ منه، حديث (٣٥٤٧)، والنسائي في «الكبرى» (٦/ ١٤٤)، كتاب «عمل اليوم والليلة»، باب ما يقول إذا نزل منزلاً، حديث (١٠٣٩٥)، كلاهما من طريق محمد بن عجلان، عن يعقوب بن عبد اللَّه بن الأشج، عن سعيد بن المسيب، عن سعد بن مالك، عن خولة بنت حكيم به.

وقد ورد هذا الحديث، عن سعيد بن المسيب مرسلاً.

أخرجه عبد الرزاق (٩٢٦٠)، والنسائي (٦/ ١٤٤ـ الكبرى)، كتاب «عمل اليوم والليلة»، باب ما يقول إذا نزل منزلاً، كلاهما من طريق ابن عجلان، عن يعقوب بن عبد اللَّه، عن سعيد بن المسيب مرسلاً.

(١) محمد بن محمد بن محمد، حجة الإسلام، أبو حامد الغزالي، ولد سنة (٤٥٠)، أخذ عن الإمام، ولازمه، حتى صار أنظر أهل زمانه وجلس للإقراء في حياة إمامه وصنف «الإحياء» المشهور، و «البسيط»، وهو كالمختصر للنهاية، وله «الوجيز»، و «المستصفى»، وغيرها. توفي سنة (٥٠٥).

انظر: «طبقات ابن قاضي شهبة» (١/ ٢٩٣)، «وفيات الأعيان» (٣/ ٣٥٣)، «الأعلام» (٧/ ٢٤٧)، و «اللباب» (٢/ ١٧٠)، و «شذرات الذهب» (٤/ ١٠)، و «النجوم الزاهرة» (٥/ ٢٠٣)، «العبر» (٤/ ١٠).

مخاطَباً به بعد وجوده؛ إذ خلقت له معرفة بذلك الطلبِ، ومعرفةُ بذلك الكلامِ القديمِ. انتهى بلفظه من «الإحياء».

وقوله: ﴿لِلْمَلَائِكَةِ﴾ عمومٌ فيهم، والسجودُ في كلام العرب: الخضوعُ والتذلُّل، وغايته وضعه الوجْه بالأرض، والجمهور على أنَّ سجود الملائكة لآدم إيماءٌ وخضوعٌ، ولا تدفع الآية أنْ يكونوا بلغوا غاية السجود، وقوله تعالَىٰ: ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩] لا دليل فيه؛ لأن الجاثي على ركبتيه واقعٌ، واختُلِفَ في حال السجودِ لآدم.

فقال ابن عَبَّاسٍ: تعبَّدهم اللَّه بالسجود لآدم، والعبادةُ في ذلك للَّهِ[١]، وقال عليُّ بن أبي طالب، وابنُ مسعودٍ، وابنُ عبَّاس أيضاً: كان سجودَ تحيَّة؛ كسجود أبوَيْ يوسُفَ عليه السلام له، لا سجودَ عبادة[٢]، وقال الشَّعبيُّ: إنما كان آدم كالقِبْلة[٣]، ومعنى ﴿لِآدَمَ﴾: إِلَىٰ آدَمَ.

* ع[٤] *: وفي هذه الوجوهِ كلِّها كرامةٌ لآدم عليه السلام.

وقوله تعالَىٰ: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ نصبٌ على الاستثناءِ المتَّصِلِ؛ لأنه من الملائكة على قول الجمهور، وهو ظاهر الآية، وكان خازناً ومَلَكاً على سماء الدنْيا والأرض، واسمه عَزَازِيلُ؛ قال ابن عباس[٥].

وقال ابن زيد والحسن: هو أبو الجِنِّ كما آدمُ أبو البشر، ولم يكُ قطُّ ملَكاً[٦]، وقد روي نحوه عن ابن عباس أيضاً، قال: واسمه الحارثُ[٧].

---

(١) ذكره ابن عطية الأندلسي في «تفسيره» (١/ ١٢٤)، والسيوطي في «الدر» (١/ ١٠٢) بنحوه.

(٢) ذكره ابن عطية الأندلسي في «تفسيره» (١/ ١٢٤)، والسيوطي في «الدر» (١/ ١٠٢)، بنحوه عن ابن عباس.

(٣) ذكره ابن عطية الأندلسي في «تفسيره» (١/ ١٢٤).

(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (١/ ١٢٤).

(٥) أخرجه البيهقي في «الشعب» (١/ ١٧٠) برقم (١٤٦ـ ١٤٧) بنحوه، وذكره السيوطي في «الدر» (١/ ١٠٢ـ ١٠٣)، وعزا أحدهما لابن أبي الدنيا في «مكايد الشيطان»، وابن أبي حاتم، وابن الأنباري في كتاب: «الأضداد»، والبيهقي في «الشعب»، والثاني عزاه لوكيع، وابن المنذر، والبيهقي.

(٦) أخرجه الطبري (١/ ٢٦٤) رقم (٧٠١)، عن ابن زيد، وذكره ابن عطية في تفسيره (١/ ١٢٤)، والقرطبي (١/ ٢٥١).

(٧) أخرجه الطبري (١/ ٢٦٥) برقم (٧٠٤)، عن السدي، وذكره ابن عطية الأندلسي (١/ ١٢٤)، والقرطبي (١/ ٢٥١) والسيوطي في «الدر» (١/ ١٠٣)، عن السدي بلفظ «كان اسم إبليس الحرث»».

وقال شَهْرُ بن حَوْشَبٍ: كان من الْجِنِّ الذين كانوا في الأرض، وقاتلتهم الملائكةُ فسَبَوْهُ صغيراً، وتعبَّد مع الملائكة، وخُوطِبَ معها، وحكاه الطبريُّ عن ابن مسعود[١].

والاستثناءُ على هذ الأقوال منقطعٌ؛ واحتجَّ بعض أصحاب هذا القول؛ بأن اللَّه تعالى قال في صفة الملائكة: ﴿لاَ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦] ورجَّح الطبريُّ قَوْلَ من قال: إن إبليسَ كان من الملائكَةِ، وقال[٢]: ليس في خلقه مِنْ نارٍ، ولا في تركيبِ الشَّهْوَةِ والنسلِ فيه حينَ غُضِبَ عليه ما يدْفَعُ أنه كان من الملائكة، وقوله تعالَىٰ: ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: ٥٠] يتخرَّج على أنه عمل عملهم، فكان منهم في هذا، أو على أن الملائكة قد تسمى جِنًّا؛ لاستتارها؛ قال اللَّه تعالَىٰ: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً﴾ [الصافات: ١٥٨] وقال الأعشَىٰ في ذكر سليمانَ عليه السلام: [الطويل]

وَسَخَّرَ مِنْ جِنِّ الْمَلاَئِكِ تِسْعَةً ... قِيَاماً لَدَيْهِ يَعْمَلُونَ بِلاَ أَجْرِ[٣]

أو على أن يكون نسبه إلى الجَنَّةِ؛ كما ينسب إلى البَصْرَةِ بِصْرِيٌّ.

قال عِيَاضٌ: ومما يذكرونه قصَّةُ إبليس، وأنه كان من الملائكة، ورئيساً فيهم، ومن خُزَّان الجَنَّة إلى ما حكَوْه، وهذا لم يتفقْ عليه، بل الأكثر ينفون ذلك، وأنه أبو الجن. انتهى من «الشِّفا»[٤].

وإبْلِيسُ: لا ينصرفُ؛ لأنه اسم أعجميٌّ؛ قال الزَّجَّاج: ووزنه فِعْلِيلُ، وقال ابن عبَّاس وغيره: هو مشتقٌّ من أَبْلَسَ، إذا أبعد عن الخير، ووزنه علَىٰ هذا إِفْعِيلُ[٥]، ولم

---

(١) أخرجه الطبري (١/ ٢٦٣) برقم (٦٩٨)، وذكره القرطبي (١/ ٢٥١).

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» (١/ ٥٠٨).

(٣) البيت للأعشى وقبله:

وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ خَالِداً أَوْ مُعَمَّراً ... لَكَانَ سُلَيْمَانُ الْبَرِيءَ مِنَ الدَّهْرِ

بَرَاهُ إِلَهِي وَاصْطَفَاهُ عِبَادَهُ ... وَمَلَّكَهُ مَا بَيْنَ تُرْيَا إِلَىٰ مِصْرِ

ينظر: «ملحق ديوانه» (٢٤٣)، و «اللسان» (جنن)، و «تفسير الطبري» (١/ ٥٠٦)، و «القرطبي» (١/ ٢٩٥)، و «البحر المحيط» (١/ ٣٠٤)، و «الدر المصون» (١/ ١٨٦)، و «روح المعاني» (١/ ٢٣٠) وقال: وكون الملائكة لا يستكبرون ـ وهو قد استكبر ـ لا يضر، إما لأن من الملائكة من ليس بمعصوم ـ وإن كان الغالب فيهم العصمة على العكس منا ـ وفي «عقيدة أبي المعين النسفي» ما يؤيد ذلك، وإما لأن إبليس سلبه اللَّه (تعالى) الصفات الملكية، وألبسه ثياب الصفات الشيطانية، فعصى عند ذلك، والملك ما دام ملكاً لا يعصي.

(٤) ينظر: «الشفا» ص (٨٥٨).

(٥) ذكره ابن عطية الأندلسي في «تفسيره» (١/ ١٢٥).

تصرفه هذه الفرقةُ؛ لشذوذه وقلَّته، ومنه قوله تعالَىٰ: ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤] أيْ: يائسون من الخَيْر، مبعدُونَ منه فيما يَرَوْنَ، و ﴿أَبَىٰ﴾: معناه: امتنَعَ من فعْلِ ما أمر به، ﴿وَٱسْتَكْبَرَ﴾: دخل في الكبرياءِ، والإِبَاءَةُ مقدَّمة على ٱلاِستكبارِ في ظهورهما عليه، والاستكبارُ والأَنَفَة مقدَّمة في معتقده، وروى ابْنُ القاسم[1] عن مَالكٍ؛ أنه قال: بَلَغَنِي أنَّ أوَّلَ معْصيَةٍ كانت الحسدُ، والكِبْرُ، والشُّحُّ، حسد إِبليسُ آدم، وتكبَّر، وشحَّ آدم/ في أكله ١١٦ من شجرة قد نُهِيَ عن قربها[2].

* ت *: إِطلاق الشحِّ على آدم فيه ما لا يخفَىٰ عليك، والواجب ٱعتقاد تنزيه الأنبياء عن كل ما يحُطُّ من رتبتهم، وقد قال اللَّه تعالَىٰ في حق آدَمَ: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ [طه: ١١٥].

وقوله تعالى: ﴿وكان من الكافرين﴾: قالت فِرقَةٌ: معناه: وصار من الكافرين، وردَّه ابن فُورَكَ، وقال جمهور المتأوِّلين: معنى: ﴿وكان من الكافرين﴾، أيْ: في علْمِ اللَّهِ تعالَىٰ، وقال أبو العالية: معناه: من العاصين[3]، وذهب الطبريُّ إِلى أن اللَّه تعالَىٰ أراد بقصة إِبْلِيسَ تقريعَ أشباهه من بني آدم، وهم اليهودُ الذين كفروا بمحمَّد ﷺ، مع علمهم بنبوءته، ومع تقدُّم نعم اللَّه عليهم، وعلى أسلافهم.

* ت *: ولفظ الطبريِّ[4]: وفي هذا تقريعٌ لليهود؛ إذ أبوا الإسلام مع علمهم بنبوءة رسولِ اللَّه ﷺ من التوارة والكُتُبِ؛ حَسَداً له، ولبني إِسماعيل؛ كما امتنع إِبليسُ من السجود؛ حَسَداً لآدَم وتكبُّراً عن الحق وقبولِهِ، فاليهود نظراء إِبْليسَ في كُفْرهم وكِبْرهم وحَسَدهم وتَرْكِهِمْ الانقيادَ لأمر اللَّه تعالى. انتهى من «**مختصر الطبريِّ**» لأبي عبد اللَّه اللَّخْمِيِّ النحْويِّ.

واختلف، هل كفر إبليس جهلاً أو عناداً؟ على قولَيْن بين أهل السنة، ولا خلاف أنه

---

(١) عبد الرحمن بن القاسم العتقي: جمع بين الزهد والعلم، وتفقه بمالك ونظرائه، وصحب مالكاً عشرين سنة، وعاش بعده اثنتي عشرة سنة، مولده سنة اثنتين وثلاثين ومائة، ومات بـ «مصر» سنة إحدى وتسعين ومائة.

ينظر: «**الطبقات**» للشيرازي (١٥٠).

(٢) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (١/ ١٢٥).

(٣) أخرجه الطبري (١/ ٢٦٦) برقم (٧٠٥).

(٤) ينظر: «**تفسير الطبري**» (١/ ٥١٠).

كان عالماً باللَّه قبل كفره، ولا خلاف أن اللَّه تعالى أخرج إبليس عند كفره، وأبعده عن الجنة، وبعد إخراجه قال لآدم: ﴿ٱسْكُنْ﴾.

﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾

قوله تعالَىٰ: ﴿وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة﴾: ﴿ٱسْكُنْ﴾: معناه: لاَزِمِ الإِقامةَ، ولفظه لفظ الأمر، ومعناه الإِذن، واختلف في الجنة التي أسكنها آدم عليه السلام، هل هي جنةُ الخُلْدِ، أو جنةٌ أُخْرَىٰ.

* ت *: والأول هو مذهب أهل السنة والجماعة.

﴿وَكُلاَ مِنْهَا﴾، أي: من الجنةِ، والرغَد: العيشَ الدارَّ الهنيَّ، و «حَيْثُ» مبنيةٌ على الضمِّ.

وقوله تعالى: ﴿ولا تقربا هذه الشجرة﴾: معناه لا تقرباها بأكْلٍ، والهاءُ في «هَذِهِ» بدلٌ من الياء، وتحتمل هذه الإشارة أن تكون إلى شجرةٍ معيَّنة واحدة، واختلف في هذه الشجرة، ما هي؟ فقال ابن عَبَّاس، وابن مسعود: هي الكَرْم[1]، وقيل: هي شجرة التِّين[2]، وقيل: السنبلة[3] وقيل غير ذلك.

وقوله: ﴿فتكونا من الظالمين﴾: الظالمُ؛ في اللغة: الذي يضع الشيء في غير موضعه، والظلم؛ في أحكام الشرع على مراتب: أعلاها الشِّرْكُ، ثم ظُلْمُ المعاصِي؛ وهي مراتبُ، و ﴿أَزَلَّهُمَا﴾: مأخوذ من الزَّلَل، وهو في الآية مجازٌ؛ لأنه في الرأي والنَّظر، وإنما حقيقة الزَّلَلِ في القَدَمِ، وقرأ حمزة[4]: «فأَزَالَهُمَا» مأخوذ من الزوالِ، ولا خلاف بين

---

(١) أخرجه الطبري (١/ ٢٦٩ـ ٢٧٠) برقم (٧٣٠) عن ابن عباس وذكره السيوطي في «الدر» (١/ ١٠٧).

(٢) أخرجه الطبري (١/ ٢٧٠) برقم (٧٤٠) عن بعض أصحاب النبي ﷺ بلفظ «التينة» وذكره السيوطي في «الدر» (١/ ١٧٠) بلفظ: «التين»، والشوكاني في «تفسيره» (١/ ١٣٠).

(٣) أخرجه الطبري (١/ ٢٦٩) عن عدد من الصحابة والتابعين، وذكره السيوطي في «الدر» (١/ ١٠٧)، وعزاه لوكيع، وعبد بن حميد، وابن جرير، وأبي الشيخ.

(٤) ينظر: «إتحاف فضلاء البشر» (١/ ٣٨٨)، و «الحجة للقراء السبعة» (٢/ ١٤)، و «طيبة النشر» (٤/ ١٨)، و «العنوان» (٦٩)، و «إعراب القراءات السبع وعللها» (١/ ٨١)، و «حجة القراءات» (٩٤)، و «شرح شعلة» (٢٦١)، و «معاني القراءات» للأزهري (١/ ١٤٧)،
وقد قرأ بها الحسن وأبو رجاء. ينظر: «البحر المحيط» (١/ ٣١٣)، و «القرطبي» (١/ ٢١٣). =

العلماء أن إبليس اللعينَ هو متولِّي إغواء آدم ـ عليه السلام ـ، واختلف في الكيفيَّة.

فقال ابن عباس، وابن مسعود، وجمهور العلماء: أغواهما مشافهةً[(١)]؛ بدليل قوله تعالَىٰ: ﴿وَقَاسَمَهُمَا﴾ [الأعراف: ٢١] والمقاسمة ظاهرها المشافهةُ.

وقالت طائفةٌ: إن إبليس لم يدخُلِ الجنةَ بعد أن أخرج منها، وإنما أغوى آدم بشيطانِهِ، وسُلْطَانه، ووَسَاوِسِهِ التي أعطاه اللَّه تعالَىٰ، كما قال النبيُّ ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِن ٱبْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ/»[(٢)]. ١٦ ب

* ت *: وإلى هذا القوْلِ نَحَا المَازِرِيُّ[(٣)] في بعض أجوبته، ومن ابتلي بشيء من

= وحمزة هو: حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل التيمي الزيات. أحد القراء السبعة. كان عالماً بالقراءات. انعقد الإجماع على تلقي قراءته بالقبول.
قال الثوري: ما قرأ حمزة حرفاً من كتاب اللَّه إلا بأثر.
ينظر: **«الأعلام»** (٢/ ٢٧٧)، **«تهذيب التهذيب»** (٣/ ٢٧)، **«وفيات الأعيان»** (١/ ١٦٧).

(١) أخرجه الطبري (١/ ٢٧٢) برقم (٧٤١)، عن ابن عباس، وذكره السيوطي في **«الدر»** (١/ ١٠٨)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم. وذكره الشوكاني في **«تفسيره»** (١/ ١٣١)، كلاهما عن ابن عباس.

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ٣٢٦)، كتاب «الاعتكاف»، باب هل يخرج المعتكف، حديث (٢٠٣٥)، وباب زيارة المرأة زوجها في اعتكافه، حديث (٢٠٣٨)، وباب هل يدرأ المعتكف عن نفسه، حديث (٢٠٣٩)، و (٦/ ٢٤٢ـ ٢٤٣)، كتاب «فرض الخمس»، باب ما جاء في بيوت أزواج النبي ﷺ حديث (٣١٠١)، و (٦/ ٣٨٧ـ ٣٨٨)، كتاب «بدء الخلق»، باب صفة إبليس وجنوده، حديث (٣٢٨١)، و (١٠/ ٦١٣ـ ٦١٤)، كتاب «الأدب» باب التكبير والتسبيح عند التعجب، حديث (٦٢١٩)، و (١٣/ ١٦٩)، كتاب «الأحكام»، باب الشهادة تكون عند الحاكم في ولاية القضاء، حديث (٧١٧١)، ومسلم (٤/ ١٧١٢)، كتاب «السلام»، باب بيان أنه يستحب لمن رئي خالياً بامرأة....، حديث (٢٥/ ٢١٧٥)، وأبو داود (١/ ٧٤٩)، كتاب «الصيام»، باب المعتكف يدخل البيت لحاجته، حديث (٢٤٧٠، ٢٤٧١)، وابن ماجة (١/ ٥٦٥ـ ٥٦٦)، كتاب «الصيام»، باب في المعتكف يزوره أهله في المسجد، حديث (١٧٧٩)، وأحمد (٦/ ٣٣٧)، وعبد الرزاق (٨٠٦٥)، وابن خزيمة (٣/ ٣٤٩)، رقم (٢٢٣٣، ٢٢٣٤)، وابن حبان (٣٦٧١)، والطحاوي في **«مشكل الآثار»** (١/ ٢٩ـ ٣٠)، والبيهقي (٤/ ٣٢١)، كتاب **«الصيام»**، باب المعتكف يخرج إلى باب المسجد، والبغوي في **«شرح السنة»** (٧/ ٣٩٧ـ بتحقيقنا) كلهم من طريق الزهري، عن علي بن الحسين، عن صفية بنت حيي به.

(٣) المازري: هو محمد بن علي بن عمر التميمي، المازري، يعرف بـ «الإمام»، ويكنى بأبي عبد اللَّه، أصله من «مازر» مدينة في جزيرة «صقلية»، خاتمة العلماء المحققين والأئمة الأعلام المجتهدين، الحافظ النظار، كان واسع الباع في العلم والاطلاع مع حدة في الذهن ورسوخ تام حتى بلغ درجة الاجتهاد، أخذ عن أبي الحسن اللخمي وغيره وعنه أخذ ما لا يعد، منهم: أبو محمد عبد السلام، وأبو عبد اللَّه محمد بن عبد الرحيم، وله مؤلفات منها: **«شرح التلقين»** ليس للمالكية كتاب مثله، و **«شرح البرهان»**=

وسوسة هذا اللعينِ؛ فأعظم الأدوية له الثقَةُ باللَّه، والتعوُّذ به، والإعراض عن هذا اللعين، وعدمُ الالتفاتِ إليه، ما أمكن؛ قال ابن عطاءِ اللَّه[١] في «**لَطَائِفِ المِنَنِ**»: كان بي وسواسٌ في الوضوءِ، فقال لي الشيخُ أبو العبَّاس المُرْسِيُّ[٢]: إن كنت لا تترك هذه الوسوسةَ لا تَعْدُ تَأْتِينَا، فَشَقَّ ذلك علَيَّ، وقطع اللَّه الوسواسَ عني، وكان الشيخ أبو العباس يُلَقِّنُ للوسواسِ: سُبْحَانَ المَلِكِ الخَلاَّقِ، ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [فاطر: ١٦، ١٧] انتهى.

قال عِيَاضٌ: في «**الشِّفا**»[٣]؛ وأما قصة آدم عليه السلام، وقوله تعالَىٰ: ﴿فَأَكَلاَ مِنْهَا﴾ [طه: ١٢١] بعد قوله: ﴿وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، وقوله تعالَىٰ: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تَلْكُمَا الشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف: ٢٢] وتصريحه تعالى عليه بالمعصية بقوله: ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١] أي: جهل، وقيل: أخطأ، فإن اللَّه تعالى قد أخبر بعذره بقوله: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ [طه: ١١٥] قال ابن عبَّاس: نسي عداوة إبليس، وما عهد اللَّه إليه من ذلك[٤]؛ بقوله: ﴿إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ...﴾ [طه: ١١٧] الآيَة، وقيل: نسي ذلك بما أظهر لهما، وقال ابن عباس: إنما سمي الإنسان إنساناً؛ لأنه عهد إليه فنسي[٥]، وقيل: لم يقصد المخالفة؛ ٱستحلالاً لها، ولكنهما ٱغترَّا بِحَلِفِ إبليس لهما: ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢١] وتوهَّما أن أحداً لا يحلف

= لأبي المعالي الجويني المسمى «**إيضاح المحصول من برهان الأصول**».
ولد سنة (٤٤٣) هـ، وتوفي سنة (٥٣٦هـ). ينظر: «**شجرة النور**» ص (١٢٧)، «**الديباج**» (ص ٢٧٩).

(١) أحمد بن محمد بن عبد الكريم، أبو الفضل تاج الدين، ابن عطاء اللَّه الإسكندري: متصوف شاذلي، من العلماء، كان من أشد خصوم شيخ الإسلام ابن تيمية. له تصانيف منها: «**الحكم العطائية**» في التصوف، و «**تاج العروس**» في الوصايا والعظات، و «**لطائف المنن في مناقب المرسي وأبي الحسن**» توفي بـ «القاهرة». وينسب إليه كتاب «**مفتاح الفلاح**»، وليس من تآليفه.
ينظر: «**الأعلام**» (١/ ٢٢١ و٢٢٢)، «**الدرر الكامنة**» (١/ ٢٧٣)، «**كشف الظنون**» (٦٧٥).

(٢) أحمد بن عمر المرسي، أبو العباس، شهاب الدين: فقيه متصوف، من أهل الإسكندرية، أصله من «مرسية» من «الأندلس».
ينظر: «**الأعلام**» (١/ ١٨٦)، «**النجوم الزاهرة**» (٧/ ٣٧١).

(٣) ينظر: «**الشفا**» ص (٨٢٢، ٨٢٣).

(٤) ذكره الماوردي في «**التفسير**» (٣/ ٤٣٠) بنحوه، والقرطبي (٦/ ٤٢٩١).

(٥) أخرجه الطبري (٨/ ٤٦٥) برقم (٢٤٣٨٠)، والحاكم (٢/ ٣٨٠ـ ٣٨١)، وصححه، ووافقه الذهبي، وذكره السيوطي في «**الدر**» (٤/ ٥٥٣)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني في «**الصغير**» وابن منده في «**التوحيد**»، والحاكم.

باللَّه حَانِثاً، وقد روي عذر آدم مثل هذا في بعض الآثار، وقال ابن جُبَيْر: حلف باللَّه لهما حتى غَرَّهُمَا، والمؤمن يخدع، وقد قيل: نسي، ولم ينو المخالفَةَ؛ فلذلك قال تعالَىٰ: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ [طه: ١١٥] أَيْ: قَصْداً للمخالفةِ وأكثر المفسرين[١] على أن العزمَ هنا الحزمُ والصبرُ، وقال ابن فُورَكَ وغيره: إنه يمكن أن يكون ذلك قبل النبوءة، ودليل ذلك قوله تعالَىٰ: ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ * ثُمَّ ٱجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢١، ١٢٢] فذكر أن الاجتباء والهداية كانا بعد العصيان، وقيل: بل أكلها، وهو متأوِّل، وهو لا يعلم أنَّها الشجرة التي نهي عنها، لأنه تأول نهي اللَّه تعالَىٰ عن شجرة مخصوصةٍ، لا على الجنْسِ، ولهذا قيل: إنما كانت التوبةُ من ترك التحفُّظ، لا من المخالفة، وقيل: تأول أن اللَّه تعالى لم ينهه عنها نَهْيَ تحريمٍ. انتهى بلفظه فجزاه اللَّه خيرًا، ولقد جعل اللَّه في شِفَاهُ شِفَاءً.

والضمير في ﴿عَنْهَا﴾ يعود على الجنة، وهنا محذوفٌ يدلُّ عليه الظاهر تقديره: فَأَكَلاَ مِنَ الشَّجَرَةِ. وقوله تعالَىٰ: ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كانا فيه﴾: قيل: معناه: مِنْ نعمة الجنَّةِ إلى شقاء الدنيا، وقيل: من رفعة المنزلةِ إلى سُفْل مكانة الذنب.

* ت *: وفي هذا القول ما فيه، بل الصوابُ ما أشار إليه صاحب «التَّنْوِيرِ»؛ بأن إخراج آدَم لم يكن إهانة له، بل لما سبق في علمه سبحانه من إكرام آدم وجعله في الأرض خليفةً، هو وأخيارَ ذرّيته، قائمين فيها بما يجبُ للَّه من عبادتِهِ، والهبوطُ النزولُ من عُلْو إلى سُفْل، واختلف من المخاطَبُ بالهبوط.

فقال السُّدِّيُّ/ وغيره: آدم، وحَوَّاء، وإبليس، والحَيَّة التي أدخلت إبليس في فَمِها، ١٧ أ
وقال[٢] الحسن: آدمُ، وحواءُ والوَسْوَسَة[٣].

و ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ جملةٌ في موضع الحال، ﴿وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾، أَيْ: موضع ٱستقرار، وقيل: المراد الاستقرار في القبور، والمتاع: ما يستمتع به؛ من

---

(١) قال السمين الحلبي: «قال قتادة: صبراً، وقال غيره: حزماً. وهذه غلطة. والأولى في تفسيرها: ولم نجد له تصميماً على ما هَمَّ به. وقال شمر: العزم والعزيمة: ما عُقد عليه قلبك من أمر أنك فاعله. ينظر: «**عمدة الحفاظ**» (٣/ ٨٧).

(٢) أخرجه الطبري (١/ ٢٧٨) برقم (٧٦٠)، وذكره السيوطي في «**الدر**» (١/ ١١٠) عن ابن عباس، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.، وذكره ابن كثير (١/ ٢٠٦)، والماوردي (١/ ١٠٧) والشوكاني في «**تفسيره**» (١/ ١٣١).

(٣) ذكره ابن عطية في «**تفسيره**» (١/ ١٢٩)، والقرطبي (١/ ٢٧٢).

أكل، ولُبْس، وحَدِيثٍ، وأنس، وغيرِ ذلك.

واختلف في «الحِينِ» هنا.

فقالت فرقةٌ: إلى المَوْتِ، وهذا قولُ من يقول: المستقرُّ هو المُقام في الدنيا، وقالت فرقة: ﴿إلى حين﴾: إلى يومِ القيامةِ، وهذا هو قول من يقول: المستَقَرُّ هو في القبور، والحِينُ المدَّة الطويلة من الدهر، أقصرها في الأيمان[1] والالتزامات سَنَةٌ؛ قال اللَّه تعالى: ﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ [إبراهيم: ٢٥] وقيل: أقصرها ستَّةُ أشهر؛ لأن من النخل ما يطعم في كلِّ ستة أشهر.

وفي قوله تعالَىٰ: ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ فائدةٌ لآدم عليه السلام؛ ليعلم أنه غير باق فيها، ومنتقلٌ إلى الجنة التي وعد بالرجوع إليها، وهي لغير آدم دالَّة على المعاد، وروي أن آدم نزل على جبل من جبال سَرَنْدِيبَ[2]، وأن حواء نزلَتْ بِجُدَّةَ[3]، وأن الحية نزلَتْ بِأَصْبَهَانَ[4]، .....

---

(١) الأيمان لغة: جمع يمين، وهو القوة، وفي الصحاح: اليمين: القسم، والجمع: الأيْمُن، والأَيْمَان. انظر: «**الصحاح**» (٦/ ٢٢٢١)، «**المصباح المنير**» (٢/ ١٠٥٧)، و «**المغرب**» (٢/ ٣٩٩)، «**لسان العرب**» (٣/ ٤٦٢)، «**القاموس المحيط**» (٤/ ٢٨١).
واصطلاحاً:
عرفه الحنفية بأنه: عقد قوي به عزم الحالف على فعل شيء أو تركه.
وعرفه الشافعية بأنه: تحقيق غير ثابت ماضياً كان أو مستقبلاً، نفياً أو إثباتاً، ممكناً أو ممتنعاً، صادقة أو كاذبة، على العلم بالحال أو الجهل به.
وعرفه المالكية بأنه: تحقيق ما لم يجب بذكر اسم اللَّه أو صفته.
وعرفه الحنابلة بأنه: توكيد حكم (أي: محلوف عليه)، بذكر معظم، أو هو: المحلوف به على وجه مخصوص.
ينظر: «**تبيين الحقائق**» (٣/ ١٠٧)، «**شرح فتح القدير**» (٤/ ٢)، «**مغني المحتاج**» (٤/ ٣٢٠)، «**المحلى على المنهاج**» (٤/ ٣٧٠)، «**حاشية الدسوقي**» (٢/ ١١٢)، «**شرح منتهى الإرادات**» (٣/ ٤١٩).

(٢) سَرَنْدِيب جزيرة عظيمة بأقصى بلاد الهند. يقال: ثمانون فرسخاً في مثلها، فيها الجبلُ الذي هبط عليه آدم ـ عليه السلام ـ يقال له: الرهون، وهو ذاهبٌ في السماء يراهُ البَحْرِيون من مسافة أيام كثيرة. وفيه أثر آدم وقبرُه، وهي قدم واحدة مغموسة في الحجر طولُها نحو سبعين ذراعاً. ينظر: «**مراصد الاطلاع**» (٢/ ٧١٠).

(٣) جُدَّة بالتشديد: بلد على ساحل بحر اليمن، هو فرضة «مكة». ينظر: «**مراصد الاطلاع**» (١/ ٣١٨).

(٤) أَصبَهان منهم من يفتح الهمزة وهو الأكثر الأشهر، وكسرها آخرون. أصبهان: لفظ مُعَرَّب من سباهان بمعنى الجيش، فيكون معناه على حذف المضاف مدينة «الجيش»: مدينةٌ عظيمة مشهورةٌ من أعلام المدن وأعيانها. وأصبهان: اسم للإقليم بأسره. ينظر: «**مراصد الاطلاع**» (١/ ٨٧).

وقيل: بِمَيْسَانَ[١]، وأن إبليسَ نزل عند الأُبُلَّةِ[٢].

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًاۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾

قوله تعالَىٰ: ﴿فتلقَّىٰ آدم من ربه كلماتٍ﴾: المعنى: فقال الكلماتِ، فتابَ اللَّه علَيْه عنْد ذلك، وقرأ ابن كثير[٣] «آدَمَ» بالنصب «مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٌ» بالرفع، واختلف المتأوِّلون في الكلماتِ، فقال الحسنُ بن أبي الحسن: هي قوله تعالَىٰ: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا...﴾[٤] الآية [الأعراف: ٢٣]، وقالت طائفة: إنَّ آدم رأى مكتوباً على ساق العرش: محمَّدٌ رسُولُ اللَّهِ، فتشفَّع به، فهي الكلماتُ[٥]، وسئل بعض سَلَفِ المسلمين عمَّا ينبغي أن يقوله المُذْنِبُ، فقال: يقول ما قاله أبواه: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣] وما قاله موسى: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي﴾ [القصص: ١٦] وما قال يونس: ﴿لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] وتَابَ عَلَيْهِ: معناه: راجعٌ به، والتوبةُ من اللَّه تعالى الرجوعُ على عبده بالرحمةِ والتوفيقِ، والتوبةُ من العبد الرجوعُ عن المعصيةِ، والندمُ على الذنب، مع تركه فيما يستأنف.

* ت *: يعني: مع العزم على تركه فيما يستقبل، وإنما خص اللَّه تعالَىٰ آدم بالذكْرِ في التلقِّي، والتوبة، وحواءُ مشارِكَةٌ له في ذلك بإجماع؛ لأنه المخاطَبُ في أول القصَّة، فكملت القصة بذكْره وحْدَه؛ وأيضاً: فَلأَنَّ المرأة حُزْمَةٌ ومستورةٌ، فأراد اللَّه تعالَى السِّتْر لها؛ ولذلك لم يذكرها في المعصية في قوله: ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ﴾ [طه: ١٢١] وبنية التَّوَّاب للمبالغة والتكثير، وفي قوله تعالَىٰ: ﴿هُوَ التَّوَابُ﴾ تأكيدٌ فائدتُهُ أنَّ التوبة على العبد إنما هي

---

(١) «مَيْسَان»: كورة واسعة كثيرة القرى والنخل، بين «البصرة» و «واسط» قصبتها «ميسان».
ينظر: «**مراصد الاطلاع**» (٣/ ١٣٤٣).

(٢) «الأُبُلَّة»: بلدة على شاطىء دجلة «البصرة» العظمى، في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة «البصرة».
ينظر: «**مراصد الاطلاع**» (١/ ١٨).

(٣) عبد اللَّه بن كثير الداري المكي، أبو معبد: أحد القرّاء السبعة. كان قاضي الجماعة بـ «مكة». وكانت حرفته العطارة. ويسمون العطار «داريًا». فعرف بـ «الداري». وهو فارسي الأصل، ولد سنة (٤٥هـ) بـ «مكة» وتوفي سنة (١٢٠هـ) بها أيضاً.
ينظر: «**وفيات الأعيان**» (١: ٢٥٠)، «**الأعلام**» (٤/ ١١٥).

(٤) أخرجه الطبري (١/ ٢٨١) برقم (٧٧٨)، وذكره السيوطي في «**الدر**» (١/ ١١٨)، وعزاه لعبد بن حميد، وذكره ابن كثير (١/ ٨١).

(٥) ينظر: القرطبي (١/ ٢٧٦).

نعمة من اللَّه تعالى، لا من العبد وحده؛ لئلاَّ يعجب التائبُ، بل الواجب عليه شكر اللَّه تعالَىٰ في توبته عليه، وكرر الأمر بالهبوط لما علَّق بكل أمر منهما حكمًا غير حكم الآخر، فعلَّق بالأول العداوة، وبالثاني إتيان الهدَىٰ.

* ت *: وهذه الآية تبين أن هبوط آدم كان هبوط تَكْرِمَةٍ؛ لما ينشأ عن ذلك من أنواع الخيرات، وفنون العباداتِ.

١٧ ب وَ﴿جميعاً﴾: حالٌ من الضمير/ في «ٱهْبِطُوا»، واختلف في المقصود بهذا الخطاب.

فقيل: آدم، وحواء، وإبليس، وذريَّتهم، وقيل: ظاهره العموم، ومعناه الخصوص في آدم وحواء؛ لأن إبليس لا يأتيه هُدًى، والأول أصح؛ لأن إبليس مخاطَبٌ بالإيمان بإجماع[1].

«وإنْ» في قوله: ﴿فَإِمَّا﴾ هي للشرط، دخلت «مَا» عليها مؤكِّدة؛ ليصح دخول النون المشدَّدة، واختلف في معنى قوله: ﴿هُدًى﴾ فقيل: بيان وإرشاد، والصواب أن يقال: بيان ودعاءٌ، وقالت فرقة: الهُدَى الرسُلُ، وهي إلى آدم من الملائكة، وإلى بنيه من البشر هو فَمَنْ بعده.

---

(١) يُطْلَقُ الإجماع في اللُّغَة، على معنَيَيْن:
أَحَدُهُمَا: الْعَزْمُ، يقال: أَجْمَعْتُ المسير والأمر، وأَجْمعْتُ عليه؛ أَيْ: عزمْتُ.
ثانيهما: الاتِّفاقُ، ومنه يُقَالُ: أَجْمَع القَوْمُ علَى كذا، إذا اتَّفَقوا، قال في **«القاموس»**: الإجْمَاع: الاتِّفاق، والعَزْم علَى الأَمْر.
عرَّفه الرازيُّ في **«المحصُولَ»** والإجْمَاعُ اصْطِلاَحاً بأنه: عبارةٌ عن اتِّفاقِ أَهْل الحَلِّ والعقْدِ من أمَّة محمد ﷺ علَى أمْرٍ من الأمورِ.
وعرَّفه الآمِدِيُّ بقوله: عبارةٌ عن اتِّفاقِ جمْلَةِ أَهْلِ الحَلِّ والعقْدِ من أمةِ محمدٍ ﷺ في عصْرٍ من الأعْصَارِ علَى واقعةٍ من الوقائعِ.
وعرَّفه النَّظَّامُ من المعتزلة بقولِهِ: هوَ كلُّ قولٍ قامَتْ حُجَّتُهُ حتَّى قول الوَاحِد.
وعرَّفه سراجُ الدين الأرمويُّ في **«التحصيل»** بقوله: هو اتِّفاقُ المُسْلمين المُجْتَهِدِينَ في أحْكَام الشَّرْع علَى أمْرٍ مَّا من اعتقادٍ، أو قولٍ، أو فعلٍ.
ويمكن أن يُعَرَّف بأنَّه اتفاقُ المجتهدين مِنْ هذه الأمَّة بعْد وفاة محمَّد ﷺ في عَصْرٍ علَى أَمْرٍ شرعيٍّ.
ينظر: **«البرهان»** لإمام الحرمين (١/ ٦٧٠)، **«البحر المحيط»** للزركشي (٤/ ٤٣٥)، **«الإحكام في أصول الأحكام»** للآمدي (١/ ١٧٩)، **«سلاسل الذهب»** للزركشي ص (٣٣٧)، **«التمهيد»** للأسنوي ص (٤٥١)، **«نهاية السول»** له (٣/ ٢٣٧)، **«زوائد الأصول»** له ص (٣٦٢)، **«منهاج العقول»** (٢/ ٣٧٧).

وقوله تعالَىٰ: ﴿فمن تَبِعَ هدايَ﴾: شرطٌ، جوابه: ﴿فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾، قال سيبوَيْهِ: والشرط الثاني وجوابه هما جواب الأول في قوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فلا خوف عليهم﴾: يحتمل فيما بين أيديهم من الدنيا، ﴿ولاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما فاتهم منها، ويحتمل: ﴿لاَ خَوْفَ عَلَيْهِمْ﴾ يوم القيامة، ﴿وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ فيه.

* ت *: وهذا هو الظاهر، وعليه اقتصر في اختصار الطبريِّ، ولفظه عن ابن زيد: ﴿فلا خوف عليهم﴾، أي: لا خوف عليهم أمامهم[1]، قال: وليس شيء أعظم في صدر من يموت مما بعد الموتِ؛ فأمَّنهم سبحانه منْه، وسَلاَّهم عن الدنيا. انتهى.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿والذين كفروا...﴾ الآية: لما كانت لفظة الكُفْرِ يشترك فيها كفر النعم، وكفر المعاصي، ولا يجب بهذا خلودٌ، بيَّن سبحانه أن الكفر هنا هو الشرك، بقوله: ﴿وكَذَّبوا بآياتنا...﴾ والآياتُ هنا يحتمل أن يريد بها المتلوَّة، ويحتمل أن يريد العلاماتِ المنصوبَةَ، والصُّحْبَةُ الاِقْترانُ بالشيْءِ في حالةٍ مَّا زَمَنًا.

قوله تعالَىٰ: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ٱذْكُرُوا نِعْمَتِيَ﴾: إِسْرَائِيلَ: هو يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ـ عليهم السلام ـ وإِسْرَا: هو بالعبرانية عبد، وإِيلُ: اسم اللَّه تعالَىٰ، فمعناه عَبْدُ اللَّهِ، والذِّكْرُ في كلام العَرَبِ على أنحاء، وهذا منها ذكر القلب الذي هو ضدّ النسيان، والنعمة هنا اسم[2] جنس، فهي مفردة بمعنى الجَمْعِ، قال ابن عَبَّاس، وجمهور العلماء: الخِطَابُ لجميع بني إسرائيل في مدَّة النبيِّ ﷺ.

---

(١) أخرجه الطبري (١/ ٢٨٥) برقم (٧٩٦).

(٢) الجنس: هو جملة الشيء ومجموع أفراده، وهو أعم من النوع، وقد استعمل النحاة هذا التعبير في مجال الدلالة على الشيوع والعمومية في النوع الواحد. وقد أطلق النحاة هذا اللفظ في مجال تقسيم العلم وذكر أنواعه، فقالوا: العلم: علم شخص أو جنس. واستعملوه أيضاً في اسم الجنس الذي قسموه إلى ثلاثة أقسام:

١ـ اسم جنس جمعي. ٢ـ اسم جنس إفرادي. ٣ـ اسم جنس آحادي.

«**معجم المصطلحات النحوية والصرفية**»، د. محمد سمير نجيب اللبدي، (ص ٥٥ـ ٥٦).

وقوله تعالى: ﴿وأوفوا بعهدي أوفِ بعهدكم﴾: أمر وجوابه، وهذا العهد في قول جمهور العلماءِ عامٌّ[١] في جميع أوامره سبحانه ونواهيه ووصاياه لهم، فيدخل في ذلك ذكر محمَّد ﷺ الذي في التوراة، والرهبةُ يتضمَّن الأمر بها معنى التهديد، وأسند الترمذيُّ الحَكِيمُ[٢] في «**نَوَادِرِ الأُصُولَ**» له عن النبيِّ ﷺ؛ أنه قال: «قَالَ رَبُّكُمْ سُبْحَانَهُ: لاَ أَجْمَعُ عَلَىٰ عَبْدِي خَوْفَيْنِ، وَلاَ أَجْمَعُ لَهُ أَمْنَيْنِ، فَمَنْ خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَّنْتُهُ فِي الآخِرَةِ، وَمَنْ أَمِنَنِي فِي الدُّنْيَا، أَخَفْتُهُ فِي الآخِرَةِ»[٣]. انتهى من «**التذكرة**» للقرطبيِّ، ورواه ابن المبارك[٤] في

---

(١) عرفه أَبُو الحُسَيْنِ البَصْرِيُّ في «**المعتمد**» بقوله: «هُوَ اللَّفْظُ المُسْتَغْرِقُ لِمَا يَصْلُحُ لَهُ». وزاد الإمام الرَّازي عَلَى هذا التَّعريف في «**المحصول**»: «.... بوضع واحدٍ»، وعليه جرى البَيْضَاوِيُّ في «**مِنْهَاجِهِ**».
وعرَّفَهُ إمامُ الحرمين الجوينيُّ في «**الوَرَقَاتِ**» بقوله: «العامُّ: ما عمَّ شيئين فَصَاعِداً». وإلى ذلك أيضاً ذهب الإمامُ الغزَّاليُّ؛ حيث عرَّفَهُ بأنَّه: «اللَّفْظُ الواحد الدَّالُّ من جهةٍ واحدَةٍ على شَيْئَيْنِ فصاعداً».
ويرى سَيْفُ الدِّين الآمِدِيُّ أنَّ العامَّ هو: «اللَّفْظُ الواحدُ الدَّالُّ على قِسْمَيْنِ فصاعداً مطلقاً معاً».
واختار ابنُ الحاجب: «أنَّ العامّ ما دلَّ على مسميَّاتٍ بِاعْتِبَارِ أمرٍ اشتركت فيه مطلقاً ضربةً».
ينظر: «**البرهان**» لإمام الحرمين (١/ ٣١٨)، و «**البحر المحيط**» للزركشي (٣/ ٥)، و «**الإحكام في أصول الأحكام**» للآمدي (٢/ ١٨٥)، و «**سلاسل الذهب**» للزركشي (ص ٢١٩)، و «**التمهيد**» للإسنوي (ص ٢٩٧)، و «**نهاية السول**» له (٢/ ٣١٢)، و «**زوائد الأصول**» له (ص ٢٤٨)، و «**منهاج العقول**» للبدخشي: (٢/ ٧٥)، و «**غاية الوصول**» للشيخ زكريا الأنصاري (ص ٦٩)، و «**التحصيل من المحصول**» للأرموي: (١/ ٣٤٣)، و «**المنخول**» للغزالي (ص ١٣٨)، و «**المستصفى**» له (٢/ ٣٢)، و «**حاشية البناني**» (١/ ٣٩٢)، و «**الإبهاج**» لابن السبكي (٢/ ٨٢)، و «**الآيات البينات**» لابن قاسم العبادي (٢/ ٢٥٤)، و «**تخريج الفروع على الأصول**» للزنجاني (ص ٣٢٦)، و «**حاشية العطار على جمع الجوامع**» (١/ ٥٠٥)، و «**المعتمد**» لأبي الحسين (١/ ١٨٩)، و «**إحكام الفصول في أحكام الأصول**» للباجي (ص ٢٣٠).

(٢) محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد اللَّه، الحكيم الترمذي: باحث صوفي، عالم بالحديث وأصول الدين من أهل «ترمذ» نفي منها بسبب تصنيفه كتاباً خالف فيه ما عليه أهلها، فشهدوا عليه بالكفر. وقيل: اتهم باتباع طريقة الصوفية في الإشارات ودعوى الكشف. وقيل: فضَّل الولاية على النبوة، ورد بعض العلماء هذه التهمة عنه. أما كتبه، فمنها: «**نوادر الأصول في أحاديث الرسول**»، و «**الفروق**».
ينظر: «**الأعلام**» (٦/ ٢٧٢)، «**مفتاح السعادة**» (٢/ ١٧٠)، «**طبقات السبكي**» (٢/ ٢٠)، «**الرسالة المستطرفة**» (٤٣).

(٣) أخرجه ابن حبان (٢٤٩٤ـ موارد)، والبزار (٤/ ٧٤ـ «**كشف**»)، حديث (٣٢٣٣).

(٤) عبد اللَّه بن المبارك بن واضح الحنْظَلِي، مولاهم، أبو عبد الرحمن المرْوَزِي، أحد الأئمة الأعلام وشيوخ الإسلام. روى عن حميد، وإسماعيل، وغيرهم. كتب عن أربعة آلاف شيخ وروى عن ألف، عالم المشرق والمغرب، وكان ثقة، ولد سنة (١١٨هـ)، وتوفي سنة (١٨١هـ).
ينظر: «**الخلاصة**» (٢/ ٩٣) (٣٧٦٧)، و «**الحلية**» (٨/ ١٦٢ ـ ١٩٠)، و «**الوفيات**» (٣/ ٣٢ ـ ٣٤).

«**رَقَائِقِهِ**» من طريق الحسن البصريِّ، وفيه: قَالَ اللَّهُ: «وَعِزَّتِي، لاَ أَجْمَعُ عَلَىٰ عَبْدِي خَوْفَيْنِ، وَلاَ أَجْمَعُ لَهُ أَمْنَيْنِ؛ فَإِذَا أَمِنَنِي فِي الدُّنْيَا أَخَفْتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَإِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَّنْتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ»[1]. انتهى، ورواه أيضاً الترمذيُّ الحكيمُ في كتاب «**خَتْمِ الأَوْلِيَاءِ**» قال صاحب «**الكَلِمِ الفَارِقِيَّةِ، والحِكَمِ الحقيقيَّة**»: «بقدر ما يدخل القلْبَ من التعظيم والحرمة/ ١٨أ تنبعثُ الجوارحُ في الطاعةِ والخدمة». انتهى.

و ﴿آمِنُوا﴾: معناه: صدِّقوا، و ﴿مُصَدِّقاً﴾ نصبٌ على الحال من الضمير في ﴿أَنْزَلْتُ﴾، و ﴿مَا أَنْزَلْتُ﴾ كنايةٌ عن القرآن، و ﴿لِمَا مَعَكُمْ﴾، يعني: التوراةَ.

وقوله: ﴿وَلاَ تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ هذا من مفهوم الخطاب الذي المذكورُ فيه والمسكوتُ عنه حكْمُها واحدٌ، وَحُذِّرُوا البدارَ إلى الكفر به؛ إذ على الأول كِفْلٌ من فعل المقتدى به، ونصب «أَوَّلَ» على خبر «كَانَ».

* ع[2] *: وقد كان كَفَر قبلهم كفار قريشٍ، وإنما معناه من أهل الكتاب؛ إذ هم منظورٌ إليهم في مثل هذا، واختلف في الضمير في «به»، فقيل: يعود على محمَّد ﷺ، وقيل: على القرآن، وقيل: على التوراة، واختلف في الثمن الذي نُهُوا أن يشتروه بالآياتِ.

فقالتْ طائفةٌ: إن الأحبار كانوا يُعلِّمُونَ دينَهم بالأجرة، فَنُهُوا عن ذلك، وفي كتبهم: «عَلِّمْ مَجَّاناً؛ كَمَا عُلِّمْتَ مَجَّاناً»، أي: باطلاً بغير أجرة.

وقيل: كانتْ للأَحبار مأكلة يأكلونها على العِلْمِ.

وقال قوم: إن الأحبار أخذوا رُشاً علَىٰ تغييرِ صفَةِ محمَّد ﷺ في التوراة، فنُهُوا عن ذلك.

وقال قوم: معنى الآية: ولا تشتروا بأوامري، ونواهِيَّ، وآياتي ثمناً قليلاً، يعني: الدنيا ومدَّتها والعيش الذي هو نزْرٌ[3] لا خَطَر له، وقد تقدَّم نظير قوله: ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾، وبيْنَ «اتَّقُونِ»، و «ٱرْهَبُونِ» فرق أن الرهبة مقرونٌ بها وعيدٌ بالغٌ.

﴿وَلَا تَلْبِسُوا ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا ٱلزَّكَوٰةَ

---

(١) أخرجه ابن المبارك في «**الزهد**» (ص ٥٠، ٥١) رقم (١٥٧) عن الحسن مرسلاً.

(٢) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (١/ ١٣٤).

(٣) النَّزْر: القليل التَّافه. ينظر: «**لسان العرب**» (٤٣٩٣).

وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾

وقوله تعالَىٰ: ﴿وَلاَ تَلْبسوا الحق بالباطلِ﴾، أي: لا تخلطوا، قال أبو العاليةِ: قالت اليهود: محمَّد نبيٌّ مبعوثٌ، لكن إلى غيرنا، فإقرارهم ببعثه حق، وقولهم: إلى غيرنا باطلٌ، ﴿وَتَكْتُمُوا الحَقَّ﴾، أي: أمْرَ محمَّد ﷺ[1]، وفي هذهِ الألفاظ دليل على تغليظ الذنب علَىٰ من وقع فيه، مع العلم به، وأنه أعصَىٰ من الجاهل، ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ جملةٌ في موضع الحال.

قال * ص[2] *: ﴿وَتَكْتُمُوا﴾ مجزومٌ معطوف على ﴿تَلْبِسُوا﴾، والمعنى النهْيُ عن كلٍّ من الفعلين. انتهى.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ﴾: معناه: أظهروا هيئَتَها، وأديموها بشروطها، والزكاة في هذه الآية هي المفروضة، وهي مأخوذة من النماء، وقيل: من التطهير.

وقوله تعالى: ﴿واركعوا مع الراكعين﴾: قيل: إنما خص الركوع بالذِّكْر؛ لأن بني إسرائيل لم يكن في صلاتهم ركوعٌ.

* ت *: وفي هذا القول نظرٌ، وقد قال تعالَىٰ في «مَرْيم»: ﴿ٱسْجُدِي وَٱرْكَعِي﴾ [آل عمران: ٤٣]، وقالت فرقة: إنما قال: ﴿مَعَ﴾؛ لأن الأمر بالصلاة أولاً لم يقتضِ شهود الجماعة، فأمرهم بقوله: ﴿مَعَ﴾ شهود الجماعة.

* ت *: وهذا القول هو الذي عوَّل عليه * ع *: في قصَّة مرْيَمَ[3] ـ عليها السلام ـ، والركوع الانحناء بالشخْصِ.

﴿۞ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿أتأمرون﴾ خرج مخرج الاستفهام، ومعناه التوبيخُ، و «البِرُّ» يجمع وجوه الخيرِ والطاعاتِ، و ﴿تَنْسَوْنَ﴾ معناه تتركون أنفسكم.

قال ابنُ عَبَّاس: كان الأحبار يأمرون أتباعهم ومقلِّديهم باتِّبَاعِ التوراة، وكانوا هم

---

(١) أخرجه الطبري (١/ ٢٩٤) برقم (٨٢٩) بلفظ «كتموا بعث محمد ﷺ». وذكره ابن عطية الأندلسي في «تفسيره» (١/ ١٣٥).

(٢) «المجيد» ص ٢٣٠.

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (١/ ٤٣٤).

يخالفونَهَا في جَحْدهم منها صفةَ محمَّد ﷺ[١].

وقالت فرقة: كان الأحبار إذا استرشدَهُمْ أحد من العرب في اتِّباعِ محمَّد ﷺ، دلُّوه على ذلك، وهم لا يفعلونه.

* ت *: وخرَّج الحافظُ أبو نُعَيْم أحمد بن عبد اللَّه الأصبهانيُّ[٢] في كتاب «**رِيَاضَةِ المُتَعَلِّمِينَ**»؛ قال: حدَّثنا أبو بكر بن خَلَّاد[٣]، حدَّثنا الحارث بن أبي أُسَامَةَ[٤]، حدثنا أبو النَّضرِ[٥]/، حدثنا محمَّد بن عبد اللَّه بن علي بن زيْدٍ عن أنس بن مالك ـ رضي اللَّه عنه ـ؛ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي رِجَالاً تُقْرَضُ أَلْسِنَتُهُمْ وَشِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، مَنْ هَؤُلاَءِ؟ قَالَ: الخُطَبَاءُ مِنْ أُمَّتِكَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ، وَيَنْسَونَ أَنْفُسَهُمْ، وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتابَ أَفَلاَ يَعْقِلُونَ»[٦]. انتهى. ١٨ ب

---

(١) أخرجه الطبري (١/ ٢٩٦) برقم (٨٤٠) بنحوه، وذكره السيوطي في «**الدر**» (١/ ١٢٦)، وعزاه لابن إسحاق، وابن جرير، وابن أبي حاتم.

(٢) أحمد بن عبد اللَّه بن أحمد الأصبهاني، أبو نعيم: حافظ، مؤرخ، من الثقات في الحفظ والرواية. ولد ومات في «أصبهان». من تصانيفه «**حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**»، و «**معرفة الصحابة**».
ينظر: «**الأعلام**» (١/ ١٥٧)، «**ابن خلكان**» (١/ ٢٦)، «**ميزان الاعتدال**» (١/ ٥٢)، «**طبقات الشافعية**» (٣/ ٧).

(٣) محمد بن خلاد بن كثير الباهلي، أبو بكر البصري. عن ابن عيينة، ومعتمر بن سليمان، وابن فضيل، وطبقتهم. وعنه مسلم، وأبو داود، وابن ماجة، وزكريا خياط السنة. قال ابن حبان في «**الثقات**»: مات سنة تسع وثلاثين ومائتين.
ينظر: «**خلاصة تذهيب تهذيب الكمال**» (٢/ ٤٠١)، «**تهذيب التهذيب**» (٩/ ١٥٢)، «**الثقات**» (٩/ ٨٦).

(٤) اسمُ أبي أسَامة: دَاهِر: ونعت الحارث بأنه الحافظُ، الصَّدوق، العَالِمُ، مُسندِ العِراق، أبو محمد التَّميمي، مولاهم البَغدادي الخَصِيب، صاحبُ «**المُسْنَد**» المشهور، ولم يرتِّبْه على الصَّحَابة، ولا على الأبواب. وُلد في سَنة ستٍّ وثمانين ومئة.
ذكره ابن حبان في «**الثقات**». وقال الدارقطني: صدوق.
توفي الحارث يوم «عرفة» سنة اثنين وثمانين ومئتين. ينظر: «**سير أعلام النبلاء**» (١٣/ ٣٨٨ـ ٣٩٠).

(٥) هاشم بن القاسم الليثي، أبو النضر الخراساني، قيصر، الحافظ. عن شعبة، وابن أبي ذئب، وحريز بن عثمان، وخلق. وعنه أحمد، وإسحاق، ويحيى، وابن المديني، وخلق. قال العجلي: ثقة، صاحب سنة. كان أهل «بغداد» يفتخرون به. قال مطين: مات سنة سبع ومائتين. ينظر: «**خلاصة تهذيب التهذيب**» (٣/ ١١٠)، و «**تهذيب التهذيب**» (١١/ ١٨)، و «**الكاشف**» (٣/ ٢١٧)، و «**الجرح والتعديل**» (٦/ ٤٤٦).

(٦) أخرجه أحمد (٣/ ١٢٠، ١٨٠، ٢٣١، ٢٣٩)، وابن المبارك في «**الزهد**» (٨١٩)، وأبو يعلى (٧/ ٦٩)، رقم (٣٩٩٢)، من طريق حماد عن علي بن زيد، عن أنس به. =

﴿وَٱسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ﴾: قال مقاتل[١]: معناه: على طلب الآخرة، وقيل: استعينوا بالصبر على الطاعات، وعن الشهوات علَىٰ نيلِ رضوانِ اللَّه سبحانه، وبالصلاةِ علَىٰ نيل رضوانِ اللَّه، وحطِّ الذنوب، وعلى مصائب الدهْر أيضاً؛ ومنه الحديثُ: «كان رسولُ اللَّه ﷺ، إذَا حَزَبَهُ[٢] أَمْرٌ، فَزِعَ إِلَى الصَّلاَةِ»[٣]، ومنْهُ ما روي أنَّ عبد اللَّه بن عباس نُعِيَ له أخوه قُثَمُ[٤] وهو في سفر، فٱسترجَعَ، وتنحَّىٰ عن الطريق، وصلَّىٰ، ثم ٱنصرفَ إلى راحلته، وهو يقرأُ: ﴿وٱسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ﴾[٥]، وقال مجاهد: الصبر في هذه الآية الصوْمُ[٦]، ومنه قيل لرمضانَ شهْرُ الصبْرِ، وخص الصوم والصلاة على هذا القول بالذكْرِ؛ لتناسبهما في أن الصيام يمنع الشهواتِ، ويزهِّد في الدنيا، والصلاة تنْهَىٰ عن الفحشاء والمنْكَرِ، وتُخشِّع، ويقرأُ فيها القرآن الذي يذكِّر بالآخرة، وقال قومٌ: الصبر على بابه، والصلاة الدعاءُ، وتجيء الآية على هذا القولِ مشْبِهةً لقوله تعالى: ﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا

وأخرجه أبو يعلى(٧/ ١٨٠)، رقم (٤١٦٠)، وابن حبان. (٣٥ـ موارد) من طريق مالك بن دينار، عن أنس به.

وأخرجه أبو نعيم في **«الحلية»** (٨/ ١٧٢)، من طريق سليمان التيمي، عن أنس به.

والحديث ذكره السيوطي في **«الدر المنثور»** (١/ ٦٤)، وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، والبزار، وابن أبي داود في **«البعث»**، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في **«شعب الإيمان»**.

(١) مقاتل بن سليمان الأزدي، أبو الحسن الخراساني، المفسر عن الضحاك، ومجاهد. وعنه ابن عيينة، وعلي بن الجعد. قال الشافعي: الناس عيال عليه في التفسير. قال ابن المبارك: ما أحسن تفسيره لو كان ثقة. وقال الحربي: لم يسمع من مجاهد شيئاً. وقال أبو حنيفة: مشبِّه. وكذّبه وكيع. قال ابن حبان: كان يأخذ عن اليهود علم الكتاب، وكان مشبِّهاً يكذب. قيل: مات سنة خمسين ومائة.
ينظر: **«الخلاصة»** (٣/ ٥٣ـ ٥٤)، **«تهذيب التهذيب»** (١٠/ ٢٨٥).

(٢) أي إذا نزل به منهم أو أصابه غَمٌّ.
ينظر: **«النهاية»** (١/ ٣٧٧).

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٣٨٨)، وأبو داود (١/ ٤٢٠ـ ٤٢١) كتاب «الصلاة»، باب وقت قيام النبي ﷺ من الليل، حديث (١٣١٩)، من حديث حذيفة.

(٤) قُثَم (بضم أوله، وفتح المثلثة) ابن عباس بن عبد المطلب الهاشمي، صحابي، روى عنه أبو إسحاق السبيعي، واستشهد في غزو «سمرقند» وقبره بها.
ينظر: **«الخلاصة»** (٢/ ٣٥٩)، **«تهذيب الكمال»** (٢/ ١١٢٤)، **«تهذيب التهذيب»** (٨/ ٣٦١)، **«تقريب التهذيب»** (٢/ ١٢٣).

(٥) أخرجه الطبري (١/ ٢٩٩) برقم (٨٥٢)، وقال أحمد شاكر: «إسناده صحيح» وأخرجه البيهقي في **«الشعب»** (٧/ ١١٤) برقم (٩٦٨٢)، وذكره السيوطي في **«الدر»** (١/ ١٣١)، وعزاه لسعيد بن منصور، وابن جرير، وابن المنذر، والبيهقي في **«الشعب»**.

(٦) أخرجه البيهقي في **«الشعب»** (٧/ ١١٣) برقم (٩٦٨٠).

وَٱذْكُرُوا اللَّهَ﴾ [الأنفال: ٤٥] لأن الثبات هو الصبر، وذكر اللَّه هو الدعاءُ، وروى ابن المبارك في «رقائقه»؛ قال: أخبرنا حمَّاد بن سَلَمَةَ[١] عن ثابتِ البُنَانِيِّ[٢] عن صِلَةَ بْنِ أَشْيَم[٣]؛ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «مَنْ صَلَّىٰ صَلاَةً، لَمْ يَذْكُرْ فِيهَا شَيْئاً مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا، لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ شَيْئاً إِلاَّ أَعْطَاهُ إِيَّاه»[٤] وأسند ابن المبارك عن عقبة بن عامر الجُهَنِيِّ؛ قال: سَمِعْتُ رسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ تَوَضَّأَ، فَأَحْسَنَ وُضُوءَهُ، ثُمَّ صَلَّىٰ صَلاَةً غَيْرَ سَاهٍ، وَلاَ لاَهٍ، كُفِّرَ عَنْهُ مَا كَانَ قَبْلَهَا مِنْ شَيْءٍ»[٥]. انتهي.

وهذان الحديثان يُبَيِّنَانِ ما جاء في «صحيح البخاريِّ» عن عثمانَ حيثُ توضَّأَ ثلاثًا ثلاثاً، ثم قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا، ثُمَّ صَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ لاَ

---

(١) حَمَّاد بن سَلَمة بن دِينَارٍ الرَّبَعِي، أو التَّمِيمي، أو القُرَشِي، مولاهم، أبو سَلَمة البَصْرِي، أحد الأعلام. عن ثابت، وسِمَاك، وسَلَمَة بن كُهَيْل، وابن أبي مُلَيْكَة، وقتادة، وحُمَيْد، وخلق. وعنه ابن جَرِيج، وابن إسحاق شيخاه، وشُعْبة، ومالك، وحَبَّان بن هلال، والقَعْنَبي، وأمم. قال القطان: إذا رأيت الرجل يقع في حماد فاتهمه على الإسلام. وقال ابن المبارك: ما رأيت أشبه بمسالك الأُول من حماد. وقال وُهَيْب بن خَالِد: كان حماد بن سلمة سيدنا وأعلمنا. قال حماد: من طلب العلم لغير اللَّه مكر به. توفي سنة سبع وستين ومائة.
ينظر: «الخلاصة» (١/ ٢٥٢)، «تهذيب التهذيب» (٣/ ١١)، و «الثقات» (٦/ ٢١٦).

(٢) ثابت بن أسلم البُنَانِي، مولاهم، أبو محمد البصري، أحد الأعلام. قال ابن المديني: له نحو مائتين وخمسين حديثاً. وقال حماد بن زيد: ما رأيت أعبد من ثابت. وقال شعبة: كان يختم في كل يوم وليلة ويصوم الدهر. وثقه النسائي، وأحمد، والعجلي. قال ابن عُلَيَّة: مات سنة سبع وعشرين ومائة عن ست وثمانين سنة.
ينظر: «طبقات ابن سعد» (١/ ٤٧٨ و٧/ ٢٣١)، «الوافي بالوفيات» (١٠/ ٤٦١)، «الحلية» (٢/ ٣١٨)، «سير الأعلام» (٥/ ٢٢٠)، «تذكرة الحفاظ» (١٢٥)، «لسان الميزان» (٧/ ١٨٧)، «ميزان الاعتدال» (١/ ٣٦٢)، «تهذيب الكمال» (١/ ١٧٠)، «خلاصة تهذيب الكمال» (١/ ١٤٧).

(٣) الزاهد، العابد، القدوةُ، أبو الصهباء، العدوي، البصري، زوج العالمة معاذة العدوية.
حدث عنه: أهله مُعاذةُ، والحسنُ، وحميد بن هلال، وثابت البناني، وغيرهم.
ينظر: «سير الأعلام» (٣/ ٤٩٧).

(٤) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (ص ٤٠٢) رقم (١١٤٣)، وابن شاهين في «الصحابة» كما في «الإصابة» (٣/ ٢٦٠) من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن صلة بن أشيم به مرسلاً.

(٥) أخرجه ابن المبارك (ص ٤٠٢ـ ٤٠٣)، رقم (١١٤٥)، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ٣٢٦ـ ٣٢٧)، رقم (٩٠٢) من طريق ابن لهيعة، عن بكر بن سوادة، عن ربيعة بن قيس، عن عقبة بن عامر مرفوعاً.
وأخرجه الطبراني (١٧/ ٣٢٧)، رقم (٩٠٣)، من طريق ابن وهب، عن عمرو بن الحارث، عن بكر بن سوادة، عن رجل، عن ربيعة بن قيس، عن عقبة بن عامر به.
وذكره الهيثمي في «المجمع» (٢/ ٢٧٨)، وقال: رواه الطبراني في «الكبير» بإسنادين في أحدهما ابن لهيعة، وفيه كلام.

يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»[١]. انتهى.

والضمير في قوله تعالَىٰ: ﴿وَإِنَّهَا﴾ قيل: يعود على الصلاة، وقيل: على العبادة التي تضمنها بالمعنى ذكر الصبْرِ والصلاة.

قال * ص[٢] *: «وإِنَّهَا» الضمير للصلاة، وهو القاعدة في أن ضمير الغائب لا يعود على غير الأقرب إلا بدليل. انتهى.

ثم ذكر أبو حَيَّان[٣] وجوهاً أُخَرَ نحو ما تقدَّم.

وكَبِيرَةٌ: معناه: ثقيلةٌ شاقَّة، والخَاشِعُونَ: المتواضعون المخبتُونَ، والخشوعُ هيئة في النفْسِ يظهر منها على الجوارحِ سكُونٌ وتواضُعٌ.

و ﴿يَظُنُّونَ﴾ في هذه الآية، قال الجمهور: معناه: يوقنُونَ، والظنُّ في كلام العرب قاعدته الشَّكُّ مع ميلٍ إلى أحد معتقديه، وقد يقع موقع اليقين، لكنه لا يقع فيما قد خرج إلى الحِسِّ لا تقول العرب في رجل مَرْئِيٍّ أظن هذا إنسانًا، وإنَّمَا تجد الاستعمال فيما لم يخرج إلى الحس؛ كهذه الآية؛ وكقوله تعالى: ﴿فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا﴾ [الكهف: ٥٣].

قال * ص[٤] *: قلتُ: وما ذكره ابن عَطيَّةَ هو معنَىٰ ما ذكره الزَّجَّاج[٥] في معانيه عن بعْض أهل العلْم؛ أنَّ الظنَّ يقع في معنى العلْم الذي لم تشاهدْه/، وإنْ كان قد قامت في نفسك حقيقتُهُ، قال: وهذا مذهبٌ إلا أن أهل اللغة لم يذكروه، قال: وسمعته من أبي إسحاق إسماعيل بن إسحاق القاضي[٦]، ١٩أ

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٢٥٩)، كتاب «الوضوء»، باب الوضوء ثلاثاً، الحديث (١٥٩)، (١٦٠)، (١٦٤)، (١٩٣٤)، (٦٤٣٣)، ومسلم (١/ ٢٠٥)، كتاب «الطهارة»، باب صفة الوضوء وكماله، الحديث (٤/ ٢٢٦)، وأبو داود (١/ ٧٨ـ ٨١)، كتاب «الطهارة»، باب صفة وضوء النبي ﷺ، الحديث (١٠٦)، (١١٠)، وابن ماجة (١/ ١٠٥)، كتاب «الطهارة»، باب ثواب الطهور، الحديث (٢٨٥)، والنسائي (١/ ٦٤)، كتاب «الطهارة»، باب المضمضة والاستنشاق، وباب بأي اليدين يتمضمض، والبيهقي (١/ ٤٩)، كتاب «الطهارة»، باب سنة التكرار في المضمضة والاستنشاق، والدارقطني (١/ ٨٣)، كتاب «الطهارة»، باب وضوء رسول الله ﷺ.

(٢) «المجيد» ص ٢٣٣.

(٣) ينظر: «البحر المحيط» (١/ ٣٤١).

(٤) «المجيد» (٢٣٥).

(٥) ينظر: «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج (١/ ١٢٦).

(٦) أبو إسحاق: إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد بن درهم بن بابك الجهضمي الأزدي: مولى آل جرير بن حازم. أصله من «البصرة»، وبها نشأ، واستوطن «بغداد» وتفقه بابن=

رواه عن زيد بن أَسْلَمَ[(١)]. انتهى.

والمُلاَقَاةُ هي لِلثوابِ أو العقابِ، ويصحُّ أن تكون الملاقاة هنا بالرؤية التي عليها أهل السنة، وورد بها متواترُ الْحَدِيث.

و ﴿رَاجِعُونَ﴾: قيل: معناه: بالموْتِ، وقيل: بالحشرِ والخروجِ إلى الحساب والعرضِ، ويقوِّي هذا القوْل الآيةُ المتقدِّمة قوله تعالَىٰ: ﴿ثُمَّ يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون﴾.

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾

قوله تعالَىٰ: ﴿يا بني إسرائيل...﴾ الآية: قد تكرَّر هذا النداءُ والتذكيرُ بالنعمة، وفائدةُ ذلك أن الخطاب الأول يصحُّ أن يكون للمؤمنين، ويصح أن يكون للكافرين منهم، وهذا المتكرِّر إنما هو للكافرين؛ بدلالة ما بعده؛ وأيضاً: فإن فيه تقويةَ التوقيف، وتأكيدَ الحضِّ على أيَادِي اللَّه سبحانه، وحُسْن خطابهم بقوله سبحانه: ﴿فَضَّلْتُكُمْ عَلَى العَالَمِينَ﴾؛ لأن تفضيل آبائهم وأسلافهم تفضيلٌ لهم، وفي الكلام اتساعٌ، قال قتادة وغيره: المعنَىٰ: على عَالَم زمانِهِمُ الذي كانتْ فيه النبوءةُ المتكرِّرة، لأن اللَّه تعالى يقول لأمة محمَّد ﷺ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[(٢)] [آل عمران: ١١٠].

﴿وَاتَّقُوا يَوْماً﴾، أي: عذابَ يوم، أو هولَ يومٍ؛ ويصح أن يكون يوماً نصبه على

= المعدِّل، وكان يقول: أفخر على الناس برجلين بـ «البصرة»: ابن المعدل: يُعلِّمني الفقه، وابن المدِيني: يُعلمني الحديث.

ينظر: **«الديباج المذهب»** (١/ ٢٨٣ـ ٢٨٤).

(١) زَيْد بن أَسْلم العَدَوي، مولاهم، المدني، أحد الأعلام. عن أبيه، وابن عمر، وجابر، وعائشة، وأبي هريرة، وقال ابن مَعِين: لم يسمع منه، ولا من جابر، وعنه بنوه، وداود بن قيس، ومَعْمَر ورَوْح بن القاسم. قال مالك: كان زيد يحدّث من تلقاء نفسه، فإذا قام فلا يجترىء عليه أحد. وثقه أحمد، ويعقوب بن شيبة. مات سنة ست وثلاثين ومائة في ذي الحجة.

ينظر: **«الخلاصة»** (١/ ٣٤٩)، **«تهذيب التهذيب»** (٣/ ٣٩٥)، **«الكاشف»** (١/ ١٣٦)، **«تاريخ البخاري الكبير»** (٣/ ٣٨٧)، **«تاريخ البخاري الصغير»** (١/ ١٣٧)، **«الجرح والتعديل»** (٣/ ٢٥٠٩)، **«ميزان الاعتدال»** (٢/ ٩٨)، **«الثقات»** (٦/ ٢٤٦).

(٢) أخرجه الطبري (١/ ٣٠٣) برقم (٨٦٩) بلفظ «فضلهم على عالم ذلك الزمان» وذكره السيوطي في **«الدر»** (١/ ١٣٣) بلفظ «فضلوا على العالم الذي كانوا فيه، ولكل زمان عالم» وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد.

الظرف[١]، و ﴿لاَ تَجْزِي﴾: معناه: لا تغني، وقال السُّدِّيُّ: معناه: لا تقضي؛ ويقوِّيه قوله: ﴿شَيْئاً﴾، وفي الكلام حذفٌ، التقدير: لا تجزي فيه، وفي مختصر الطبريِّ: أي: واتقوا يوماً لا تقضي نفْسٌ عن نفس شيئاً، ولا تغني غَنَاءً، وأَحَدُنَا اليومَ قد يقضي عن قريبه دَيْناً، وأما في الآخرة، فيسر المرء أن يترتَّب له على قريبه حقٌّ؛ لأنَّ القضاء هناك من الحسنات والسيئات؛ كما أخبر النبيُّ ﷺ. انتهى.

والشَّفَاعَةُ: مأخوذة من الشَّفْع، وهما الاثنان؛ لأن الشافع والمشفوع له شَفْعٌ؛ وسبب هذه الآية أنَّ بني إسرائيل قالوا: «نَحْنُ أبناءُ أنبياءِ اللَّه، وسيشفع لنا آباؤنا»، وهذا إنما هو في حق الكافرين؛ للإجماع، وتواترِ الأحاديث بالشفاعة في المؤمنين.

وقوله تعالَىٰ: ﴿وَلاَ يُؤْخذ منها عدلٌ﴾: قال أبو العالية: العَدْلُ: الفدية.

قال * ع[٢] *: عدل الشيْءِ هو الذي يساويه قيمةً وقدراً، وإن لم يكن من جنسه، والعِدْلُ؛ بكسر العين: هو الذي يساوي الشيء من جنسه، وفي جرمه، والضمير في قوله: ﴿وَلاَ هُمْ﴾ عائد على الكافرين الذين اقتضتهم الآيةُ، ويحتمل أن يعود على النفسينِ المتقدِّمِ ذكرُهما؛ لأن اثنين جمع، أو لأن النفس للجنْسِ، وهو جمع، وحصرت هذه الآية المعاني التي اعتادها بنو آدم في الدنيا؛ فإن الواقع في شدة مع آدمي لا يتخلَّص إلاَّ بأن يشفع له، أو ينصر، أو يفتدى.

* ت *: أو يمنّ عليه إلا أنَّ الكافرَ ليس هو بأهلٍ لِأَنْ يمنّ عليه.

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾

وقوله تعالَىٰ: ﴿وَإِذْ نجَّيناكُمْ من آل فِرْعَوْن﴾: أي: خلَّصناكم، وَآل: أصْلُهُ أَهْل؛ قلبت الهاء أَلِفاً؛ ولذلك رَدَّها التصغيرُ إلى الأصل، فقيل: أُهَيْل، وآلُ الرجل قرابته، وشيعته، وأتباعه، وفرعونُ: اسمٌ لكلِّ من ملك من العَمَالِقَةِ بمصْرَ، وفرعونُ مُوسَىٰ، قيل:

---

(١) ويكون المفعول حينئذ محذوفاً، وتقديره: واتقوا العذاب في يوم صفته كيت وكيت. وقد منع أبو البقاء كونه ظرفاً، قال: لأن الأمر بالتقوى لا يقع في يوم القيامة. والجواب عنه ـ كما يقول السمين الحلبي ـ: أن الأمر بالحذر من الأسباب المؤدية إلى العذاب في يوم القيامة.

ينظر: **«الدر المصون»** (١/ ٢١٤)، **«التبيان في إعراب القرآن»** لأبي البقاء العكبري، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الشام للتراث، بيروت لبنان، (١/ ٦٠).

(٢) ينظر: **«المحرر الوجيز»** (١/ ١٣٩).

اسمه مُصْعَبُ بْنُ الرَّيَّان، وقال ابن إسحاق: اسمه الوليدُ بْنُ مُصْعب، وروي أنه كان من أهل إِصْطَخْر[١] وَرَدَ مِصْرَ، فاتفق له فيها المُلْك، وكان أصل كون بني إسرائيل بمصر نزولَ إسرائيل بها زمَنَ ابنه يُوسُفَ عليهما السلام.

و ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾: معناه: يأخذونكم به، ويُلْزِمُونَكم إياه، والجملة في موضع نصب على الحال، أي: سائمين/ لكم سُوءَ العذاب، وسوءُ العذاب أشدُّه وأصعبه، وكان فرعَوْنُ ١٩ ب علَىٰ ما روي قد رأَىٰ في منامه ناراً خرجَتْ من بيت المقْدِس، فأحرقت بيوتَ مِصْرَ، فأولت له رؤياه؛ أنَّ مولوداً من بني إسرائيل ينشأ، فيخرب مُلْكَ فرعون على يَدَيْهِ، وقال ابن إسْحَاق، وابن عبَّاس، وغيرهما: إن الكهنة والمنجِّمين قالُوا لفرعون: قد أظلك زمانُ مولودٍ من بني إسرائيل يخرب مُلْكَك[٢].

و ﴿يُذَبِّحُونَ﴾ بدلٌ من: «يَسُومُونَ»، ﴿وَفِي ذَلِكُمْ﴾: إشارةٌ إلى جملة الأمر، و ﴿بَلَاءٌ﴾ معناه: امتحان واختبار، ويكون البلاء في الخير والشر.

وحكى الطبريُّ وغيره في كيفية نجاتهم أن موسَىٰ ـ عليه السلام ـ أوحي إِلَيْه أن يسري من مصر ببني إسرائيل، فأمرهم موسى أن يستعيروا الحُلِيَّ والمتاعَ من القِبْطِ[٣]، وأحل اللَّه ذلك لبني إسرائيل، ويُرْوىٰ أنهم فعلوا ذلك دون رَأْيِ موسَىٰ ـ عليه السلام ـ وهو الأشبه به، فسرى بهم موسَىٰ من أول الليْلِ، فأعلم بهم فرعون، فقال: لا يتبعهم أحد حتى تصيح الدِّيَكَةُ، فلم يَصِحْ تلك الليلة بمصر دِيكٌ؛ حتى أصبح، وأمات اللَّه تلك الليلةَ كثيراً من أبناء القِبطِ، فاشتغلوا بالدَّفْنِ، وخرجوا في الأتباع مشرِّقين، وذهب موسى عليه السلام إلى ناحية البحر؛ حتى بلغه، وكانت عدة بني إسرائيل نيِّفاً على ستِّمائة ألف، وكانت عِدَّة فرعون أَلْفَ أَلْفٍ ومِائَتَي أَلْفٍ، وحكي غير هذا مما اختصرته لقلَّة ثبوته، فلما لحق فرعَوْنُ موسَىٰ، ظن بنو إسرائيل أنهم غير ناجين، فقال يُوشَعُ بْنُ نُونٍ لموسى: أين أُمِرْتَ؟ فقال: هكذا، وأشار إلى البحر، فركض يُوشَعُ فرسه؛ حتى بلغ الغَمْرَ[٤]، ثم رجع، فقال لموسَىٰ: أين أُمِرْتَ؟ فواللَّه: ما كَذَبْتَ، ولا كُذِبْتَ، فأشار إلى البحر، وأوحى اللَّه تعالى

---

(١) إِصْطَخْر: بلدة بفارس، يقال: إن كور «فارس» الخمسة، أكبرها وأصلها كورة «إصطخر». ينظر: **«مراصد الاطلاع»** (١/ ٨٧).

(٢) أخرجه الطبري (١/ ٣١١) برقم (٨٩٣)، وذكره السيوطي في **«الدر»** (١/ ١٣٣)، وعزاه لابن جرير.

(٣) القبط: جيل بمصر. وقيل: هم أهل مصر. ينظر: **«لسان العرب»** (٣٥١٤)، و **«النهاية»** (٤/ ٦).

(٤) غَمْر البحر: معظمه، والغَمْر: الماء الكثير، وقيل: الكثير المُغَرِّق. ينظر: **«لسان العرب»** (٣٢٩٣، ٣٢٩٤).

إليه؛ أنِ ٱضْرِبْ بعصاكَ البَحْرَ، وأوحى اللَّه إلى البحر؛ أن انفرِقْ لموسى إذا ضربك، فبات البَحْرُ تلك الليلة يضطرب، فحينَ أصبَحَ، ضرَبَ موسى البحر، وكناه أبا خالد، فانفلَقَ، وكان ذلك في يَوْمِ عَاشُورَاءَ.

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وإذ فرقنا بكم البَحْرَ...﴾ الآية: ﴿فَرَقْنَا﴾: معناه: جعلْنَاه فِرَقاً، ومعنى ﴿بِكُم﴾ أي: بسببكم، والبحر هو بحر القُلْزُمِ[1] ولم يفرق البحر عَرْضاً من ضفَّة إلى ضفَّة، وإنما فرق من موضع إلى موضع آخر في ضفة واحدة، وكان ذلك الفرق يُقَرِّبُ موضع النجاة، ولا يلحق في البر إلا في أيام كثيرةٍ بسبب جبالٍ وأوغار حائلة، وقيل: انفرق البحْرُ عَرْضاً على ٱثْنَيْ عَشَرَ طَرِيقاً؛ طريق لكلِّ سبط، فلما دخلوها، قالَتْ كل طائفة: غَرِقَ أصحابنا، وجَزِعُوا، فقال موسَىٰ ـ عليه السلام ـ: اللهُمَّ، أَعِنِّي علَىٰ أخلاقِهِمُ السَّيئة، فأوْحَى اللَّه إِلَيْه أَنْ أدِرْ عصَاك على البَحْر، فأدارها، فصار في الماء فتوحٌ كالطَّاق[2]، يرَىٰ بعضهم بعضًا، وجازوا وجبريلُ في ساقتهم عَلَىٰ مَاذِيَانةٍ[3] يحث بني إسرائيل، ويقول لآلِ فرْعَوْنَ: مَهْلاً حتَّىٰ يلحق آخركم أوَّلَكُم، فلما وصل فرعونُ إلى البحر، أراد الدخول، فنفر فرسُهُ، فتعرَّض له جبريلُ بالرَّمَكَة[4]، فأتبعها الفرَسُ، ودخَل آلُ فرعَوْن، وميكائلُ يحثهم، فلما لم يبق إلا ميكائلُ في ساقتهم على الضَّفَّة وحده، انطبَقَ البحْرُ عليهم، فغرقوا.

---

(١) بحر القُلْزُم: شعبةٌ من بحر الهند، أوّله من بلاد البربر والسودان والحبش من جهة الجنوب، ومن جهة الشمال «عَدَن» وبلاد العرب حتى يقطع آخره عند «القلزم»، وهي مدينةٌ صغيرةٌ على أرض مصر.
ينظر: «**مراصد الاطلاع**» (١/ ١٦٦).

(٢) هو ما عطف وجعل كالقوس من الأبنية.
ينظر: «**لسان العرب**» (٢٧٢٥)، و «**المعجم الوسيط**» (٥٧٧).

(٣) قيل: إن الماذيان هو النهر الكبير، وهذه الكلمة ليست بعربية، قال ابن الأثير: وهي سوادِيَّة.
ينظر: «**النهاية**» (٤/ ٣١٣).، و «**اللسان**» (٤١٦٤) (حزن).

(٤) الرَّمَكَة: الفَرَسُ والبرْذَوْنَةُ التي تتخذ للنسل، مُعَرَّب، والجمع رَمَك.
ينظر: «**لسان العرب**» (١٧٣٣).

وَ ﴿تَنْظُرُونَ﴾: قيل: معناه بأبصاركم لقُرْبِ بعضهم من بعضٍ، وقيل: ببصائركم لِلاِعتبار؛ لأنهم كانوا في شُغُلٍ.

قال الطبريُّ: وفي أخبار القرآن على لسان النبيِّ ﷺ بهذه المغيَّبات التي لم تكُنْ من علم العَرَب، ولا وقعتْ إلا في خفيِّ علْمِ بني إسرائيل دليلٌ واضحٌ عند بني إسرائيل، وقائمٌ/ عليهم بنبوءة نبيِّنا محمَّد ﷺ. ٢٠أ

وموسَى: اسم أَعْجميٌّ، قال ابن إسحاقَ: هو مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ بْنِ يَصْهرَ بْنِ قَاهَثَ بْنِ لاَوي بْنِ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الخَلِيلِ ﷺ[1].

وخص الليالي بالذكْرِ في قوله تعالَىٰ: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ إذ الليلة أقدم من اليوم، وقبله في الرتبة، ولذلك وقع بها التاريخُ، قال النقَّاش: وفي ذلك إشارة إلى صلة الصوم؛ لأنه لو ذكر الأيام، لأَمْكَن أن يعتقد أنه كان يفطر بالليل، فلما نصَّ على الليالي، اقتضَتْ قوة الكلام أنه عليه السلام واصل أربعين ليلةً بأيامها.

قال * ع[2] *: حدَّثني أبي ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: سمعتُ الشيخَ الزاهد الإمام الواعظَ أبا الفضل بْنَ الجوهَرِيِّ ـ رحمه اللَّه ـ يعظُ النَّاسَ بهذا المعنى في الخلوة باللَّه سبحانه، والدنوِّ منه في الصلاة، ونحوه، وأنَّ ذلك يشغل عن كل طعامٍ وشرابٍ، ويقول: أين حال موسَىٰ في القرب من اللَّه، ووصالِ ثمانين من الدهْرِ من قوله، حين سار إلى الخَضِرِ لفتاه في بعض يوم: ﴿آتِنَا غَدَاءَنَا﴾ [الكهف: ٦٢].

* ت *: وأيضاً في الأثر أنَّ موسَىٰ لم يصبه، أو لم يشك ما شكاه من النَّصَب؛ حتى جاوز الموضع الذي وعد فيه لقاء الخَضِرِ عليهما السلام.

قال * ع[3] *: وكل المفسِّرين على أن الأربعين كلَّها ميعاد.

وقوله تعالى: ﴿ثم اتخذتم العجْلَ﴾ أي: إلهاً، والضمير في ﴿بَعْدِهِ﴾ يعود على موسَىٰ، وقيل: على انطلاقه للتكليمِ؛ إذ المواعدة تقتضيه، وقصص هذه الآية أن موسَىٰ عليه السلام، لما خرج ببني إسرائيلَ من مصْرَ، قال لهم: إن اللَّه تعالى سينجِّيكم من آل فرعَوْنَ، وينفلكم حُلِيَّهُمْ، ويروى أن استعارتهم للحُلِيِّ كانت بغَيْرِ إذن موسَىٰ ـ عليه

---

(١) ينظر: «النكت والعيون» (١/ ١٢٠).

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (١/ ١٤٢).

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (١/ ١٤٢).

السلام ـ وهو الأشبه به، ويؤيِّده ما في سورة طه في قولهم لموسى: ﴿وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا﴾ [طه: ٨٧]، فظاهرُهُ أنهم أخبروه بما لم يتقدَّم له به شعورٌ، ثم قال لهم موسَىٰ: إنه سينزل اللَّه عليَّ كتابًا فيه التحليلُ والتحريمُ والهُدَىٰ لكم، فلما جازوا البحر، طلبوا موسَىٰ بما قال لهم من أمر الكتاب، فخرج لميعاد ربه وحده، وقد أعلمهم بالأربعين ليلةً، فعدوا عشرين يوماً بعشرين ليلة، وقالوا: هذه أربعون من الدهر، وقد أَخْلَفَنَا المَوْعِدَ، وبدا تعنُّتهم وخلافُهم، وكان السامريُّ رجلاً من بني إسرائيل يسمى موسى بْنَ ظفر، ويقال: إنه ابْنُ خالِ مُوسَىٰ، وقيل: لم يكن من بني إسرائيل، بل كان غريباً فيهم، والأول أصحُّ، وكان قد عرف جبريلَ عليه السلام وقت عبورهم، قالت طائفة: أنكَرَ هَيْئَتَهُ، فعرف أنه ملَكٌ، وقالت طائفة: كانت أم السامريِّ ولدته عام الذبْحِ، فجعلته في غَارٍ وأطبقت عليه، فكان جبريل عليه السلام يَغْذُوهُ بأصبع نفسه، فيجد في أصبع لَبَناً وفي أصبع عَسَلاً، وفي أصبع سَمْناً، فلما رآه وقت جواز البحْرِ، عرفه، فأخذ من تحت حافرِ فرسه قبضةَ ترابٍ، وألقَىٰ في روعِهِ؛ أنه لن يلقيها على شيء، ويقول له: كن كذا إلا كان، فَلَمَّا خرج موسَىٰ لميعاده، قال هارون لبنِي إسرائيل: إن ذلك الحُلِيَّ والمتاعَ الذي استعرتم من القِبْط لا يحلُّ لكم، فَجِيئوا به؛ حتى تأكله النار التي كانت العادةُ أن تنزل على القرابين.

وقيل: بل أوقد لهم ناراً، وأمرهم بطرح جميعِ ذلك فيها، فجعلوا يطرحون.

وقيل: بل أمرهم أن يضعوه في حُفْرة دُون نار حتَّىٰ يجيء موسَىٰ، وروي، وهو الأصحُّ الأكثر؛ أنه ألقى الناسُ الحُلِيَّ في حفرة، أو نحوِها، وجاء السامريُّ،/ فطرح القبضة، وقال: كن عجلاً. ٢٠ ب

وقيل: إن السامريَّ كان في أصله من قوم يعبدون البقر، وكان يعجبه ذلك.

وقيل: بل كانت بنو إسرائيل قد مرَّت مع موسَىٰ على قوم يعبدون البَقَرَ.

* ت *: والذي في القرآن: ﴿يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، قيل: كانت على صور البقر، ﴿فَقَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، فوعاها السامريُّ، وعلم أن من تلك الجهة يفتنون، ففتنت بنو إسرائيل بالعجل، وظلَّت منهم طائفةٌ يعبدونه، فاعتزلهم هارونُ بمن تبعه، فجاء موسَىٰ من ميعاده، فغضب حسبما يأتي قصصه في مواضعه، إن شاء اللَّه تعالى، ثم أوحى اللَّه إليه؛ أنه لن يتوب علَىٰ بني إسرائيل؛ حتى يقتلوا أنفسهم، ففعلَتْ بنو إسرائيل ذلك، فروي أنهم لبسوا السلاح مَنْ عَبَدَ منهم، ومن لم يَعْبُد، وألقى اللَّه عليهم الظلام، فقتل بعضهم بعضاً، يقتل الأب ابنه،

والأخ أخاه، فلما استحر فيهم القتْلُ، وبلغ سبعين ألفاً، عفا اللَّه عنهم، وجعل من مات شهيداً، وتاب على البقية؛ فذلك قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُمْ﴾ وقال بعض المفسِّرين: وقف الذين عبدوا العجْلَ صفًّا، ودخل الذين لم يعبدوه عليهم بالسلاح، فقتلوهم، وقالت طائفة: جلس الذين عبدوا بالأفْنِيَةِ، وخرج يُوشَعُ بنُ نُونٍ ينادي: ملعونٌ مَن حَلَّ حُبْوَتَهُ[1]، وجعل الذين لم يعبدوه يقتلونهم، وموسى ﷺ في خلالِ ذلك يدعو لقومه، ويَرْغَبُ في العفو عنهم، وإنما عوقب الذين لم يعبدوا بقتل أنفسهم على أحد الأقوال؛ لأنهم لم يغيِّروا المُنْكَرَ حين عُبِدَ العِجْلُ.

﴿وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ﴾ ابتداءٌ وخبرٌ في موضع الحالِ، والعفو تغطيةُ الأثر، وإذهابُ الحالِ الأول من الذنب أو غيره.

* ت *: ومنه الحديثُ: «فَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تعفي أَثَرَهَا».

قال * ع[2] *: ولا يستعمل العفو بمعنى الصفح إلا في الذَّنْبِ، والكتابُ هنا هو التوراةُ بإجماع، واختلف في الفُرْقَانِ هنا، فقال الزجَّاج وغيره: هو التوراة أيضاً؛ كرر المعنى؛ لاختلاف اللفظ، وقال آخرون: الكتاب التوراةُ، والفرقانُ سائر الآيات التي أوتي موسَىٰ عليه السلام؛ لأنها فَرَقَتْ بين الحق والباطل، واختلف هل بقي العجْلُ مِنْ ذَهَب؟ فقال ذلك الجمهور، وقال الحسن بن أبي الحسن: صار لحماً ودماً، والأول أصحُّ.

* ت *: وقوله تعالَىٰ: ﴿فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ عن أبي العالية: إلى خالقكم[3]؛ مِنْ بَرَأَ اللَّهُ الخَلْقَ، أي: خلقهم، فالبريئة: فَعِيلَةٌ بمعنى مفعولة. انتهى من «**مختصر أبي عبد اللَّه اللَّخميِّ النحوي للطبريِّ**».

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وإذْ قلتم يا موسى﴾: يريد السبعينَ الذين اختارهم موسَىٰ، واختلف

---

(١) الحِبْوة والحُبْوَة: الثوب الذي يُحْتَبى به، والاحتباء هو أن يضم الإنسان رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره، ويشده عليها. ينظر: «**لسان العرب**» (٧٦٥).

(٢) «**المحرر الوجيز**» (١/ ١٤٤).

(٣) السيوطي في «**الدر**» (١/ ١٣٦)، وعزاه لابن أبي حاتم.

في وقت اختيارهمْ.

فحكى أكثر المفسِّرين؛ أن ذلك بعد عبادة العجل، فاختارهم؛ ليستغفِروا لبني إسرائيل، وحكى النقَّاش وغيره؛ أنه اختارهم حين خَرَجَ من البحْرِ، وطلب بالميعاد، والأول أصح.

وقصة السبعين أنَّ موسى عليه السلام، لما رجع من تكليم اللَّه تعالَىٰ، ووجد العجْلَ قد عُبِدَ، قالتْ له طائفة ممَّن لم يعبد العجلَ: نحن لم نكْفُرْ، ونحن أصحابك، ولكنْ أسمعْنَا كلام ربِّك، فأوحى اللَّه إليه؛ أن اختَرْ منهم سَبْعِينَ، فلم يجد إلا ستِّين، فأوحى إليه أن اَخْتَرْ من الشباب عَشَرةً، ففعل، فأصبحوا شيوخاً، وكان قد اختار ستَّةً من كلِّ سبط، فزادوا اثنين على السبعين، فتشاحُّوا فيمن يتأخَّر، فأُوحِيَ إليه أنَّ من تأخَّر له أجْرُ مَنْ مضَىٰ، فتأخَّر يوشَعُ بْنُ نُونٍ، وكَالُوتُ بْنُ يُوفَنَّا، وذهب موسَىٰ عليه السلام/ بالسبْعين، ١٢١أ
بعد أن أمرهم أن يتجنَّبوا النساء ثلاثاً، ويغتسلوا في اليوم الثالث، واستخلف هارون علَىٰ قومه، ومضَىٰ حتى أتى الجَبَلَ، فألقي عليهم الغمام، قال النَّقَّاش: غشيتهم سحابة، وحِيلَ بينهم وبين موسَىٰ بالنور، فوقعوا سجوداً، قال السُّدِّيُّ وغيره: وَسَمِعوا كلامَ اللَّهِ يأمر وينهى، فلم يطيقوا سماعه، واختلطتْ أذهانهم، ورَغِبُوا أن يكون موسَىٰ يسمع ويعبِّر لهم، ففعل، فلما فرغوا، وخرجوا، بدَّلت منهم طائفةٌ ما سمعت من كلام اللَّهِ، فذلك قوله تعالَىٰ: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾ [البقرة: ٧٥] واضطرب إيمانهم، وامتحنهم اللَّه تعالَىٰ بذلك، فقالوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾، ولم يطلبوا من الرؤية محالاً؛ أما إنه عند أهل السُّنَّة[1] ممتنعٌ في الدنيا من طريق السمع،

---

(١) اتفقت كلمة الأشاعرة على جواز رؤيته (تعالى) عقلاً في الدنيا والآخرة، بمعنى أنه تعالى يجوز أن ينكشف لعباده المؤمنين من غير ارتسام صورة، ولا اتصال شعاع، ولا حصول في جهة ومقابلة. واستدلوا على ذلك بأدلة نقلية وأدلة عقلية، فلنذكر الأدلة النقلية؛ لأنها الأصل في هذا الباب، وهي أكثر من أن تحصى، والمعتمد منها عند أهل السنة قوله تعالى حكاية عن سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ في ميقات المناجاة: ﴿قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين﴾ [الأعراف: ١٤٣].

تنطق الآية الكريمة بمسألة تتعلق بالذات الأقدس، وهي مسألة الرؤية، ولم يحدد النطق الكريم الحكم فيها، بل ترك لذوي العقول البحث.

فكان القول بجوازها ووقوعها، وكان القول باستحالتها وعدم وقوعها، ولم يكن لصاحب كل قول من الآية الكريمة ما يعتمد عليه صريحاً، بل كل مستند له هو الركون إلى اللغة تارة، واللجوء إلى الدليل العقلي أخرى. غير أن أهل السنة نظروا إلى ظروف الآية وما سيقت لأجله، فكانت عضداً قوياً ركنوا إليه. =

فأخذتهم حينئذ الصاعقةُ، فأحترقوا وماتوا موْتَ همودٍ يعتبر به الغَيْرُ، وقال قتادة: ماتوا،

= فالآية الكريمة تقول: لقد وعى موسى ـ عليه السلام ـ لمناجاتنا، ورفعناه إلى هذا المستوى واتصل بالأفق الأعلى، وانتهى من الإنسانية إلى الذروة العليا، وشهد من أمر اللّه ما لم يصل غيره إلى تعقله بأقوى الأدلة والبراهين، وأنزله هذه المنزلة، ووقف في ساحة جلاله وحظائر قدسه ومساقط أنوار جماله وذاق حلاوة خطابه.

أليس يطلب إلى ربه أن يمتعه بالنظر إلى ذاته الأقدس؛ ليجمع بين حلاوة الكلام وجمال الرؤية، ويؤيد أن الحامل لموسى ـ عليه السلام ـ على طلب الرؤية عوامل الشوق ما روي عن ابن عباس (رضي اللّه عنهما) قال: «جاء موسى ـ عليه السلام ـ ومعه السبعون رجلاً، وصعد موسى الجبل، وبقى السبعون في أسفل الجبل، فكلم اللّه موسى، وكتب له في الألواح كتاباً، وقربه نجيًا، فلما سمع موسى صرير القلم عظم شوقه فقال: ﴿رب أرني أنظر إليك﴾، نعم طلبها بعامل الشوق، وقال: ﴿رب أرني أنظر إليك﴾، ولم يكن موسى قد جرى في هذه القضية على غير المألوف، حيث جعل النظر مسببًا عن الرؤية، والحال أن النظر تقليب الحدقة نحو الشيء التماساً لرؤيته، فهي متأخرة عنها؛ إذ الغرض ﴿رب أرني أنظر إليك﴾: مكني من رؤيتك، فأنظر إليك، وأراك، ففي الكلام ذكر الملزوم وإرادة اللازم. نعم أقدم موسى على طلب النظر إلى الذات الأقدس، وانتظر ما يكون من أمر اللّه، وقد وقع عليه عمود من الغمام، وتغشى الجبل جلال الرب وسمع النطق الكريم ﴿لن تراني﴾ عند هذه الآية الكريمة تقف المعتزلة رافعة الرأس، ولو أنهم لاحظوا ما كان من حب موسى واصطفاء اللّه له، لم ينصرف ذهنهم إلى المنع من مطالعة الذات الأقدس، بل المتبادر إلى الذهن «لن تقوى على رؤيتي وأنت على ما أنت عليه، لتوقفها على استعداد في الرائي، ولم يوجد في موسى ـ عليه السلام ـ وقت الطلب يشهد لهذا ما أخرجه الترمذي في «**نوادر الأصول**» عن ابن عباس «تلا رسول اللّه ﷺ هذه الآية فقال: قال اللّه تعالى: «يا موسى إنه لا يراني حي إلا مات ولا رطب إلا تفرق وإنما يراني أهل الجنة الذين لا تموت أعينهم، ولا تبلى أجسامهم».

كذلك يدل على أن التأبيد المستفاد من قوله تعالى: ﴿لن تراني﴾ إنما هو موقوف على عدم تغيير الحال؛ يؤيد ذلك ما رواه أبو الشيخ عن ابن عباس، وفيه يقول: «يا موسى إنه لن يراني أحد فيحيا، قال موسى: رب أن أراك ثم أموت أحب إلي من ألا أراك ثم أحيا» وقد نبّه جل شأنه بقوله: ﴿لن تراني﴾ على وجود المانع، وهو الضعف عن تحملها، حيث أراه ضعف من هو أقوى منه وتفتته عندما تجلى عليه الرب وغشيه ذو الجلال والإكرام.

فكان الجبل وتماسكه وعاد الجبل متقوص الأركان متداخل الأجزاء سقيم القوام، وكان موسى فاقد الحياة؛ لطلبه هذه المرئية من الانكشاف، وهو باق على حاله.

أفاق موسى واسترد حياته، وقال: ﴿سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين﴾ [الأعراف: ١٤٣] أنزهك من أن أسألك شيئاً بغير إذنك تبت عن الإقدام وأنا أول المؤمنين بأن لا يراك أحد في هذه النشأة، وليس كما يزعم الخصم من أن التوبة دليل العصيان، فكان موسى يعلم امتناعها وقد طلبها وهي ممتنعة. بل تاب من طلب الرؤية بغير إذن، وكيف لا يتوب وهو الرب صاحب الجبروت، وهو موسى المصطفى الكليم.

وقد قيل قديماً: (حسنات الأبرار سيئات المقربين) ـ إلى هنا كان حتماً أن نبين أن أهل السنة كانوا في غيبة عن أدلة الجواز، لكن دفعهم أن ما سيكون من الأدلة على الوقوع سمعي فحسب، قد يأتيها الخصم بمنع إمكان المطلوب؛ لأجل هذا مهدوا الطريق للوقوع، فبرهنوا على الجواز بالأدلة النقلية والعقلية، =

وذهبت أرواحهم، ثم رُدُّوا؛ لاِستيفاء آجالهم، فحين حصلوا في ذلك الهمود، جعل موسَىٰ

= وكان سلوكهم بهذا الطريق كافياً في الاستدلال على الوقوع بالدليل النقلي، وتفصيل ذلك مذكور في كتب العقائد.

وكذلك اتفقت كلمة الأشاعرة على وقوع رؤيته (تعالى) في الآخرة، واستدلوا على ذلك بالكتاب، والسنة، والإجماع:

أما دلالة الكتاب: فقوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣] فالآية صريحة في أن وجوه المؤمنين المخلصين يوم القيامة متهللة من عظيم المسرة، يشاهد عليها نضرة النعيم. ﴿إلى ربها ناظرة﴾ أن تراه مستغرقة في مطالعة جماله، بحيث تغفل عما سواه؛ ففي حديث جابر، وقد رواه ابن ماجة: «فينظر إليهم، وينظرون إليه، فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحجب عنهم» والحجاب من قبلهم لا من قبله (عز وجل)، فهذا يدل على أن المراد من النظر حقيقته، وهو الرؤية.

ووجه الاحتجاج في الآية الكريمة: أن النظر في الآية جاء موصولاً بإلى، وكل ما كان كذلك فهو بمعنى الرؤية، فالنظر في الآية بمعنى الرؤية.

أما الصغرى، فدليلها الآية، وأما الكبرى، فيستدل لها بشهادة النقل عن أئمة اللغة وتتبع موارد الاستعمال، فقد نقل عن أهل اللغة أن للنظر معان عدة يتميز بعضها عن بعض بواسطة التعدية؛ فقد جاء النظر بمعنى الانتظار متعدياً بنفسه قال اللّه تعالى: ﴿انظرونا نقتبس من نوركم﴾ [الحديد: ١٣] أي: انتظرونا، وقول الشاعر: [الوافر]

وإن يك صدر هذا اليوم ولى ... فإن غداً لناظره قريب

أي ينتظره.

وجاء بمعنى التفكر ويستعمل بـ «في» يقال: نظرت في الأمر الفلاني، أي تفكرت فيه: وجاء بمعنى الرأفة والتعطف، ويتعدى باللام، يقال: نظر الأمير لفلان، أي رأف به وتعطف.

وجاء بمعنى الرؤية، ويستعمل بـ «إلى» قال الشاعر: [الطويل]

نظرت إلى من أحسن اللّه وجهه ... فيا نظرة كادت على رامق تقضي

ومثل ذلك النظر في الآية؛ إذ جاء موصولاً بـ «إلى»، فيجب حمله على الرؤية، فتكون واقعة في ذلك اليوم، وهو المطلوب. ولا يعكر أن النظر المستعمل بـ «إلى» يأتي بمعنى آخر غير الرؤية كالتأخير كما في قوله تعالى: ﴿فنظرة إلى ميسرة﴾ [البقرة: ٢٨٠]. لأن لفظة «إلى» في الآية ليست صلة للنظر، بل لبيان المدة.

وقد اعترضت المعتزلة هذا الدليل، فمنعت صغراه (النظر في الآية موصول بإلى) قالوا: لا نسلم أن النظر في الآية موصول بـ «إلى»؛ لأنها ليست حرفاً، بل هي اسم بمعنى النعمة واحد الآلاء، ومفعول به للنظر، يشهد لذلك ما قيل عن أهل اللغة أن الآلاء واحدها آلى، وأيلى، وألو، وألى، وإلى. قال الأعشى:

أبيض لا يرهبه النزال ولا ... يقطع رحماً ولا يخون إليَّ

أي نعمة أو بمعنى «عند» يؤيده قول الشاعر:

فهل لكم فيما إلي فإنني ... طبيب بما أعيى النطاس حذيما

أي فيما عند. =

يناشد ربَّه فيهم، ويقول: أيْ ربِّ، كيف أرجع إلى بني إسرائيل دونهم، فيَهْلِكُون، ولا يؤمنون بي أبداً، وقد خرجوا، وهم الأخيار.

قال * ع[1] *: يعني: هم بحال الخير وقْتَ الخروج، وقال قومٌ: بل ظن موسَىٰ أنَّ السبعين، إنما عوقبوا بِسَبَبِ عبادة العجْلِ، فذلك قوله: ﴿أَتُهْلِكُنَا﴾ [الأعراف: ١٥٥]، يعني السبعين: ﴿بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ [الأعراف: ١٥٥] يعني: عَبَدَةَ العجلِ، وقال ابن فورك: يحتمل أن تكون معاقبة السبعين؛ لإخراجهم طلب الرؤية عن طريقه؛ بقولهم لموسَىٰ: ﴿أَرِنَا﴾ [النساء: ١٥٣] وليس ذلك من مقدورِ موسَىٰ عليه السلام.

قال * ع[2] *: ومن قال: إن السبعين سَمِعُوا ما سمع موسَىٰ، فقد أخطأ، وأذهب فضيلةَ موسَىٰ، واختصاصه بالتكْلِيم.

و ﴿جَهْرَةً﴾: مصدر في موضع الحالِ[3]، والجهرُ العلانيةُ، ومنه الجَهْرُ ضد السر،

= ومعنى الآية على الأول: منتظرة نعمة ربها، وعلى الثاني: عند ربها منتظرة نعمته.

أجاب أهل السنة عند المنع:

أولاً: لو أريد من النظر في الآية انتظار النعمة لما خص بإسناده إلى الوجوه التي هي محل الأعين ـ بالباصرة، ولم يكن للتعدية بالظرف معنى؛ فإن المؤمنين في دار الدنيا منتظرون نعمته تعالى، وكذلك الكفار.

ثانياً: أن جعل «إلى» بمعنى النعمة في هذا المقام يخالف المعقول؛ لأن الانتظار يعد من الآلام؛ كيف وقد قيل: إنه الموت الأحمر؟! ويخالف المنقول أيضاً؛ إذ روي أنه ﷺ قال: «أدنى أهل الجنة منزلة من ينظر إلى جناته وأزواجه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة، وأكرمهم على اللّه من ينظر إلى وجه اللّه غدوة وعشية» ثم قرأ (عليه الصلاة والسلام): ﴿وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة﴾ [القيامة: ٢٢ـ ٢٣] واللّه ما نسخها منذ أنزلها.

ثالثاً: إن الانتظار أمارة الغم وعدم الاطمئنان، وقد قيل كما سبق أنه الموت الأحمر، وهذا يخالف ما سيقت لأجله الآية من التبشير للمؤمنين بالإنعام وحسن الحال وفراغ البال، وذلك إنما يكون برؤيته تعالى، فإنها من أجلّ النعم والكرامات المستتبعة لنضارة الوجوه.

وما يقوله المعتزلة من أن ترتب الغم على الانتظار أمر عادي يجوز تخلفه في الآخرة حيث إنها دار خوارق العادات، على أنه إنما يكون غماً إذا لم يكن مقطوعاً بما يترتب عليه من حصول النعم؛ كيف وهو وَعْدُ من لا يخلف وعده، فمدفوع بأن هذا خروج عن السنن الكونية فقد جرت عادة اللّه (تعالى) أن يبشر خلقه وينذرهم بما يعلمونه لذة وعذاباً بحسب العادة، ولذا لم يقع التبشير بالنار والإنذار بالجنة مع إمكان أن يخلق اللّه اللذة في النار والعذاب والألم في الجنة.

ينظر: الرؤية لشيخنا عبد الفضيل طلبة ص ٤٠ وما بعدها.

(١) «**المحرر الوجيز**» (١/ ١٤٧).

(٢) السابق.

(٣) قولُه تعالى: ﴿جَهْرَةً﴾ فيه قولان: =

وجَهَرَ الرَّجُلُ الأَمْرَ: كشفه، وفي «**مختصر الطبريِّ**» عن ابن عبَّاس: ﴿جَهْرةً﴾: قال علانيةً[1]، وعن الربيع: ﴿جهرةً﴾: عياناً[2]. انتهى.

وقوله تعالى: ﴿ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون﴾: أجاب اللَّه تعالى فيهم رغبةَ مُوسَىٰ عليه السلام وأحياهم من ذلك الهمودِ، أو الموت؛ ليستوفوا آجالهم، وتاب عليهم، والبعث هنا الإثارة، و ﴿لعلكم تشكرون﴾، أي: على هذه النعمة، والترجِّي إنَّمَا هو في حق البَشَر.

وذكر المفسِّرون في تظليل الغمام؛ أنَّ بني إسرائيل، لما كان من أمرهم ما كان من القتل، وبقي منهم من بقي، حصلوا في فحص[3] التِّيه بَيْن مصْر والشَّام، فأُمِرُوا بقتال الجَبَّارين، فَعَصَوْا، وقالوا: ﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ﴾ [المائدة: ٢٤] فدعا موسَىٰ عليهم، فعوقبوا بالبقاء في ذلك الفحْص أربعين سَنَةً يتيهون في مقدارِ خَمْسَة فراسِخَ أو ستَّةٍ، روي أنهم كانوا يمشون النهار كلَّه، وينزلون للمبيت، فيصبحون حيثُ كانوا بكرةَ أَمْسِ، فندم موسَىٰ على دعائه علَيْهم، فقيل له: ﴿لاَ تَأْسَ عَلَى القَوْمِ الفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٦].

= **أحدُهما**: أنها مصدرٌ وفيها حينئذٍ قولان:

أحدُهما: أنَّ ناصبَها محذوفٌ، وهو من لفظِها، تقديرُه: جَهَرْتُمْ جَهْرةً، نقله أبو البقاء.

والثاني: أنها مصدرٌ من نوعِ الفعل فَتَنْتَصِبُ انتصابَ القرفصاء من قولك: «قعد القرفصاء»، «واشتمل الصَّمَّاء»، فإنها نوعٌ من الرؤيةِ، وبه بدأ الزمخشري.

والثاني: أنها مصدرٌ واقعٌ موقعَ الحالِ، وفيها حينئذ أربعةُ أقوالٍ:

أحدُهما: أنه حالٌ من فاعل «نرى» أي: ذوي جَهْرَةٍ، قاله الزمخشري.

والثاني: أنَّها حالٌ من فاعل «قُلْتم»، أي: قلتم ذلك مجاهِرين، قاله أبو البقاء، وقال بعضُهم: فيكونُ في الكلام تقديمٌ وتأخيرٌ، أي: قُلْتم جهرةً لن نؤمِنَ لك، ومثلُ هذا لا يُقال فيه تقديمٌ وتأخيرٌ، بل أتى بمفعولِ القولِ ثم بالحالِ من فاعِلِه، فهو نظيرُ: «ضَرَبْتُ هنداً قائماً».

والثالثُ: أنَّها حَالٌ من اسم اللَّه تعالى، أي: نَرَاه ظاهراً غيرَ مستورٍ.

والرابع: أنَّها حالٌ من فاعل «نؤمن» نقله ابنُ عطية، ولا معنى له، والصحيحُ من هذه الأقوالِ الستةِ الثاني.

ينظر: «**الدر المصون**» (١/ ٢٢٩).

(١) أخرجه الطبري (١/ ٣٣٨) برقم (٩٤٨)، وذكره السيوطي في «**الدر**» (١/ ١٣٦)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري (١/ ٣٣٩) برقم (٩٤٩).

(٣) الفَحْصُ: ما استوى من الأرض. وفي حديث كعب: «إن اللَّه بارك في الشأم، وخص بالتقديس من فَحْصِ الأردُنِّ إلى رفح» والفحص ـ هنا ـ ما بسط من نهر الأردن، وكشف من نواحيه. ينظر: «**لسان العرب**» (٣٣٥٦).

وروي أنهم ماتوا بأجمعهم في فحص التِّيه، ونشأ بنوهم علَىٰ خير طاعة، فهم الذين خرجوا من فحْصِ التيه، وقاتلوا الجَبَّارين، وإذ كان جميعُهم في التيه، قالوا لموسَىٰ: من لنا بالطعام؟ قال: اللَّه، فأنزل اللَّه عليهم المَنَّ والسلْوَىٰ، قالوا: مَنْ لنا من حَرِّ الشمس؟ فظلَّل عليهم الغمامَ، قالوا: بِمَ نستصْبِحُ بالليل، فضَرَبَ لهم عمودَ نُورٍ في وَسَطَ مَحَلَّتهم، وذكر مكِّيٌّ عمود نار، قالوا: من لنا بالماء؟/ فأمر موسَىٰ بضرب الحَجَرِ، قالوا: من لنا ٢١ ب
باللباس، فَأُعْطُوا ألاَّ يَبْلَىٰ لهم ثوبٌ، ولا يَخْلَقَ، ولا يَدْرَنَ، وأن تنمو صِغَارُهَا حَسَب نُمُوِّ الصبيانِ، والمَنُّ صَمْغَةٌ حُلْوَةٌ؛ هذا قول فرقةٍ، وقيل: هو عسل، وقيل: شراب حُلْوٌ، وقيل: الذي ينزل اليوْمَ على الشجَر، وروي أنَّ المَنَّ كان ينزل عليهم من طُلُوع الفَجْر إلى طُلُوع الشمس؛ كالثلج، فيأخذ منه الرجُلُ ما يكفيه ليومه، فإنِ ادَّخَرَ، فسد عليه إلا في يوم الجمعة؛ فإنهم كانوا يدَّخرون ليوم السبْتِ، فلا يفسد عليهم؛ لأن يوم السبت يومُ عبادةٍ.

والسلْوَىٰ طيرٌ؛ بإجماع المفسِّرين، فقيل: هو السُّمَّانا.

وقيل: طائر مثل السُّمَّانَا.

وقيل: طائر مثل الحمام تحشره عليهم الجَنُوب.

* ص[١] *: قال ابن عطيَّة: وغلط الهُذَلِيُّ[٢] في إطلاقه السَّلْوَىٰ على العَسَلِ؛ حيث قال: [الطويل]

وَقَاسَمَهَا بِاللَّهِ عَهْداً لأَنْتُمُ ... أَلَذُّ مِنَ السَّلْوَىٰ إِذَا مَا نَشُورُهَا[٣]

* ت[٤] *: قد نقل صاحبُ المختصر؛ أنه يطلق على العَسَلِ لغةً؛ فلا وجه

---

(١) «المجيد» ص (٢٥٩).

(٢) خويلد بن خالد بن محرِّث، أبو ذؤيب، من بني هذيل بن مدركة، من «مضر»: شاعر فحل، مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، وسكن «المدينة»، واشترك في الغزو والفتوح. وعاش إلى أيام عثمان.
قال البغدادي: هو أشعر هذيل من غير مدافعة. وفد على النبي ﷺ ليلة وفاته، فأدركه وهو مسجّى، وشهد دفنه.
ينظر: «الأغاني» (٦/ ٥٦)، «الشعر والشعراء» (٢٥٢)، و «خزانة البغدادي» (١/ ٢٠٣)، و «الأعلام» (٢/ ٣٢٥).

(٣) البيت لأبي ذؤيب، وأنشده ابن منظور في «اللسان» لخالد بن زهير.
ينظر: «ديوان الهذليين» (١/ ١٥٨)، و «اللسان» (سلا)، و «البحر المحيط» (١/ ٣٦٤)، و «القرطبي» (١/ ٤٠٧)، و «الدر المصون» (١/ ٢٣٠)، و «روح المعاني» (١/ ٢٦٤).

(٤) لا زال الكلام للصفاقسي.

لتغليظه؛ لأنَّ إجماع المفسِّرين لا يمنع من إطلاقِهِ لغةً بمعنى آخر في غير الآية. انتهى.

وقوله تعالى: ﴿كلوا...﴾ الآية: معناه: وقلنا: كلوا، فحذف اختصاراً لدلالة الظاهر عليه، والطَّيِّبَاتُ، هنا جَمَعَتِ الحلال واللذيذ.

* ص[1] *: وقوله: ﴿وما ظلمونا﴾: قدَّر ابن عطية قبل هذه الجملةِ محذوفًا، أي: فَعَصوْا، وما ظَلَمُونا، وقدَّر غيره: فظَلَمُوا، ومَا ظَلَمُونَا، ولا حاجَة إلى ذلك؛ لأن ما تقدَّم عنهم من القبائح يُغْنِي عنه. انتهى.

* ت *: وقول أبي حَيَّان: «لا حاجة إلى هذا التقدير...» إلى آخره: يُرَدُّ بأن المحذوفاتِ في الكلام الفصيحِ هذا شأنها؛ لا بد من دليل في اللفظ يدلُّ عليها إلا أنه يختلف ذلك في الوضوحِ والخفاءِ، فأما حذف ما لا دليل عليه، فإنه لا يجوزُ.

﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وإذ قلنا ٱدْخُلُوا هذه القَرْيَةَ فكلوا منها حيثُ شئتم رَغَداً وادخلوا الباب سُجَّداً وقولوا حطَّةٌ نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنينَ * فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيلَ لهم فأنزلنا على الذين ظَلَموا رِجْزاً من السماء بما كانوا يفسقون * وإذ استسقَىٰ موسَىٰ لقومه﴾.

﴿القريَة﴾: المدينةُ؛ سمِّيت بذلك؛ لأنها تَقَرَّتْ، أي: اجتمعت؛ ومنه: قَرَيْتُ المَاءَ في الحَوْضِ، أي: جمعته، والإشارة بهذه إلى بيت المقْدِسِ في قول الجمهور.

وقيل: إلى أَرِيحَاء، وهي قريبٌ من بيت المَقْدِس، قال عمر بن شَبَّة[2]: كانت

---

(١) «المجيد» (ص ٢٥٩).

(٢) عمر بن شَبَّة - واسمه زيد - بن عبيدة بن ريطة النميري، البصري، أبو زيد، شاعر، راوية، مؤرخ، حافظ للحديث، من أهل «البصرة». توفي بـ «سمراء» سنة (٢٦٢) هـ، له تصانيف، منها: «كتاب الكتاب»، و «النسب»، و «أخبار بني نمير»، و «أخبار المدينة» جزء منه، و «تاريخ البصرة»، و «أمراء الكوفة»، و «أمراء البصرة»، و «أمراء المدينة»، و «أمراء مكة» و«كتاب السلطان»، و «مقتل عثمان»، و «السقيفة»، و «جمهرة أشعار العرب»، و «الشعر والشعراء»، و «الأغاني».

ينظر: «الأعلام» (٥/ ٤٧-٤٨)، و «تهذيب التهذيب» (٧/ ٤٦٠)، و «الوفيات» (١/ ٣٧٨).

قاعدةً، ومسْكنَ ملوكٍ، ولما خرج ذريةُ بني إسرائيل من التِّيه، أُمِرُوا بدخول القرية المشار إِلَيْها، وأما الشيوخ، فماتوا فيه، وروي أن موسَىٰ وهارون عليهما السلام ماتا في التِّيه، وحكى الزجَّاج[١] عن بعضهم أنهما لم يكونا في التِّيه؛ لأنه عَذَابٌ، والأول أكْثَرُ.

* ت *: لكن ظاهر قوله: ﴿فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٥] يقوِّي ما حكاهُ الزجَّاج، وهكذا قال الإمام الفَخْر[٢]. انتهى.

وَ ﴿كُلُوا﴾: إِباحة، وتقدَّم معنى الرَّغَد، وهي أرض مباركة عظيمة الغَلَّة، فلذلك قال: ﴿رَغَداً﴾.

و ﴿البَاب﴾: قال مجاهد: هو باب في مدينة بَيْت المَقْدِسِ يُعْرَفُ إِلى اليوم بباب حِطَّة[٣]، و ﴿سُجَّداً﴾: قال ابن عبَّاس: معناه: ركوعاً[٤]، وقيل: متواضعين خضوعاً، والسجودُ يعم هذا كلَّه، وحِطَّة: فِعْلَةٌ؛ من حَطَّ يَحُطُّ، ورفعه على خبر ابتداء[٥]؛ كأنهم قالوا: سؤالُنَا حِطَّة لذنُوبِنَا، قال عكرمة وغيره: أُمِرُوا أَنْ يَقُولُوا: «لا إِله إِلاَّ اللَّهُ»؛ لتحطَّ بها ذنوبُهُمْ[٦]، وقال ابن عَبَّاس: قيل/ لهم: استغفروا، وقولوا ما يحطُّ ذنوبكم[٧]. ٢٢ أ

* ت *: قال أحمد بن نصرٍ[٨] الدَّاوُودِيُّ في «تفسيره»: «وَرُوِيَ أن النبيَّ ﷺ سَارَ

---

(١) ينظر: «معاني القرآن» (٢/ ١٦٥).

(٢) ينظر: «مفاتيح الغيب» (١١/ ١٥٩).

(٣) أخرجه الطبري (١/ ٣٣٩) برقم (١٠٠٤).

(٤) أخرجه الطبري (١/ ٣٣٩) برقم (١٠٠٨)، والحاكم (٢/ ٢٦٢)، وصححه، ووافقه الذهبي، وذكره السيوطي في «الدر» (١/ ١٣٨)، وعزاه لوكيع، والفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم.

(٥) قال الزجاج: ولو قرىء «حطةً» كان وجهها في العربية، كأنهم قيل لهم: قولوا: احطط عنا ذنوبنا حطة. معاني القرآن (١/ ١٣٩).
وقد فات الزجاج أن إبراهيم بن أبي عبلة قرأها بالنصب، كما في «المحرر الوجيز» (١/ ١٥٠)، و «البحر المحيط» (١/ ٣٨٤)، و «الدر المصون» (١/ ٢٣٢)، و «الشواذ» لابن خالويه (ص ١٣).

(٦) أخرجه الطبري (١/ ٣٤٠) برقم (١٠١٦)، وذكره السيوطي في «الدر» (١/ ١٣٨)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم. كلاهما عن عكرمة. وأخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٤٧)، بلفظ: «لا إله إلا الله».

(٧) أخرجه الطبري (١/ ٣٤١) برقم (١٠١٧)، بلفظ: «أمروا أن يستغفروا».

(٨) أحمد بن نصر، أبو حفص الداودي، فقيه مالكي. له كتاب «الأموال» في أحكام أموال المغانم والأراضي التي يتغلب عليها المسلمون.
ينظر: «الأعلام» (١/ ٢٦٤).

مَعَ أَصْحَابِهِ فِي سَفَرٍ، فَقَالَ: قُولُوا: نَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، وَنَتُوبُ إِلَيْهِ، فَقَالُوا ذَلِكَ، فَقَالَ: وَاللَّهِ، إِنَّهَا لَلْحِطَّةُ الَّتِي عُرِضَتْ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَلَمْ يَقُولُوهَا» انتهى.

وحكي عن ابن مَسْعود وغيره؛ أنهم أمروا بالسُّجود، وأن يقولوا: حِطَّةٌ، فَدَخَلُوا يزْحفُونَ علَىٰ أَسْتَاهِهِمْ، ويَقُولُونَ: حِنْطَةٌ حَبَّةٌ حَمْرَاءُ فِي شَعْرَةٍ، ويروى غير هذا من الألفاظ.

وقوله تعالَىٰ: ﴿وسنزيد المحسنين﴾ عِدَةٌ: المعنَىٰ: إذا غُفِرَتِ الخطايا بدخولكم وقولِكُمْ، زِيدَ بعد ذلك لمن أحسن، وكان من بني إسرائيل من دخل كما أُمِرَ، وقال: لا إله إلا اللَّه، فقيل: هم المراد بـ ﴿المُحْسِنِينَ﴾ هنا.

وقوله تعالى: ﴿فَبدَّل الذين ظلموا...﴾ الآيَةَ.

روي أنهم لما جاءوا الباب، دخلوا من قبل أدبارهم القَهْقَرَىٰ، وفي الحديث: أنهم دَخَلوا يَزْحَفُونَ علَىٰ أَسْتَاهِهِمْ، وبدَّلوا، فقالوا: حَبَّة في شَعْرَة، وقيل: قالوا: حِنْطَة حبَّة حمراء في شَعْرة، وقيل: شعيرة، وحكى الطبريُّ؛ أنهم قالوا: «هَطِّي شَمْقَانَا أَزْبَه» وتفسيره ما تقدَّم وفي ٱختصار الطبريِّ، وعن مجاهد قال: أمر موسى قومَهُ أنْ يدخلوا الباب سُجَّداً، ويقولُوا: حِطَّة، وطُؤْطِىءَ لهم البابُ؛ ليسجدوا، فلم يسجدوا، ودخلوا على أدبارهم، وقالوا: حِنْطَة[1].

وذكر عزَّ وجلَّ فعل سلفهم؛ تنبيهاً أنَّ تكذيبهم لمحمَّد ﷺ جَارٍ على طريق سلَفهم في خلافهم علَىٰ أنبيائهم، وٱستخفافِهِمْ بهم، وٱستهزائِهِمْ بأمر ربِّهم. انتهى.

والرِّجْز العَذَابُ، قال ابن زيد وغيره: فبعث اللَّه على الذينَ بدَّلوا الطاعونَ، فأذهب منهم سبْعِينَ أَلْفاً، وقال ابن عبَّاس[2]: أمات اللَّه منهم في ساعةٍ واحدةٍ نيِّفاً على عشرينَ ألفاً.

و ﴿ٱسْتَسْقَىٰ﴾: معناه: طلب السُّقْيَا، وَعُرْفُ «ٱسْتَفْعَلَ» طلَبُ الشيءِ، وقد جاء في غير ذلك؛ كقوله تعالَىٰ: ﴿وَٱسْتَغْنَى اللَّهُ﴾ [التغابن: ٦]، وكان هذا الاستسقاءُ في فحْصِ التيه، فأمره اللَّه تعالَىٰ بضرب الحَجَر آيةً منه، وكان الحَجَرُ من جبل الطور على قدر رأسِ

---

(١) أخرجه الطبري (١/ ٣٤٤) برقم (١٠٢٨)، وذكره السيوطي في «الدر» (١/ ١٣٩)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري (١/ ٣٤٥) برقم (١٠٤١) بنحوه. وذكره الماوردي في «التفسير» (١/ ١٢٧) بنحوه.

الشاة، يلقى في كِسْر جُوَالِقَ[١]، ويرحل به، فإذا نزلُوا وضع في وَسَط محلَّتهم، وضربه موسَىٰ، وذكر أنهم لم يكونوا يحملون الحَجَر لكنَّهم كانوا يجدُونه في كلِّ مرحلة في منزلته من المرحَلَة الأولَىٰ، وهذا أعظم في الآية، ولا خلاف أنه كان حجراً مربَّعاً منفَصِلاً تطَّرد من كلِّ جهة منه ثلاثُ عُيُونٍ، إذا ضربه موسَىٰ، وإذا استغنَوْا عن الماءِ، ورحَلُوا، جفَّت العيون، وفي الكلام حذفٌ؛ تقديره: فضربه، فٱنفجرَتْ، والانفجار: ٱنصداعُ شيء عن شَيْء؛ ومنه: الفَجْر، والانبجاس في الماء أقلُّ من الانفجار.

و ﴿أُنَاس﴾: اسم جمع، لا واحد له من لفظه، ومعناه هنا: كلُّ سِبْطٍ؛ لأن الأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في العرب، وهم ذرِّية الاثْنَيْ عَشَرَ أولادُ يعقُوبَ عليه السلام.

وقوله سبحانه: ﴿كُلُوا وٱشربوا من رزق اللَّه...﴾ الآية.

* ت *: رُوِّينَا من طريق أنس بن مالك عن النبيِّ ﷺ؛ أنَّه قال: «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَىٰ عَنِ العَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا» رواه مُسْلِمٌ، والترمذيُّ، والنسائِيُّ[٢]. انتهى.

والمَشْرَبُ: موضع الشُّرْب، وكان لكلِّ سبطٍ عَيْنٌ من تلك العيون، لا يتعداها.

﴿وَلاَ تَعْثَوْا﴾: معناه: ولا تُفْرِطُوا في الْفَسَادِ.

* ص[٣] *: ﴿مُفْسِدِينَ﴾: حالٌ مؤكِّدة؛ لأن: «لاَ تَعْثَوْا»: معناه:/ لا تفسدوا. ٢٢ ب
انتهى.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ

---

(١) الجُوَالِق والجُوَالَقُ: وعاء من الأوعية معروف معرب.
ينظر: «لسان العرب» (٦٦٢).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٩٥)، كتاب «الذكر والدعاء»، باب استحباب حمد اللَّه تعالى بعد الأكل والشرب، حديث (٨٩/ ٢٧٣٤)، والترمذي (٤/ ٢٦٥)، كتاب «الأطعمة»، باب ما جاء في الحمد على الطعام إذا فرغ منه، حديث (١٨١٦)، والنسائي في «الكبرى» (٤/ ٢٠٢) كتاب «الدعاء بعد الأكل»، باب ثواب الحمد للَّه، حديث (٦٨٩٩)، وأحمد (٣/ ١٠٠، ١١٧)، وأخرجه أيضًا الترمذي في «الشمائل»، رقم (١٩٥)، والبغوي في «شرح السنة» (٣/ ٦٥ـ بتحقيقنا)، كلهم من طريق زكريا بن أبي زائدة، عن سعيد بن أبي بردة، عن أنس مرفوعًا. وقال الترمذي: هذا حديث حسن، ولا نعرفه إلا من حديث زكريا بن أبي زائدة.

(٣) «المجيد» (ص ٢٧١).

بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾

وقوله تعالَىٰ: ﴿وإذ قلتم يا موسَىٰ لن نصبر على طعامٍ واحدٍ...﴾ الآيةَ: كان هذا القول منهم في التيه حينَ ملُّوا المَنَّ والسلْوَىٰ، وتذكَّروا عيشهم الأول بمصْرَ، قال ابنُ عَبَّاس وأكثر المفسِّرين: الفُومُ: الحِنْطَة[1]، وقال قتادة، وعطاء: الفوم: جميع الحبوب التي يمكن أن تختبز[2]، وقال الضحَّاك: الفوم: الثُّوم، وهي قراءة عبد اللَّه بن مسعود، وروي ذلك عن ابن عبَّاس[3]، والثاء تُبْدَلُ من الفاءِ؛ كما قالوا: مَغَاثِيرُ ومَغَافِير[4].

* ت *: قال أحمد بن نصر الدَّاوُوديُّ: وهذا القولُ أشبه لما ذكر معه، أي: من العَدَسِ والبَصَلِ. انتهى.

و﴿أَدْنَىٰ﴾: قال عليُّ بن سليمان الأَخْفَشُ[5]. مأخوذٌ من الدَّنِيءِ البيِّنِ الدناءةِ؛ بمعنى:

---

(١) أخرجه الطبري (١/ ٣٥٢) برقم (١٠٧٦) قال أحمد شاكر: «ابن كريب» ضعيف، وقد بين القول في ضعفه في «شرح المسند» (٢٥٧١). وأبوه كريب بن أبي مسلم «تابعي ثقة» .اهـ.
وذكره السيوطي في «الدر» (١/ ١٤١)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري (١/ ٣٥١) برقم (١٠٧١) عن قتادة.

(٣) ذكره السيوطي في «الدر» (١/ ١٤١) عن ابن عباس بنحوه، وعزاه لابن أبي حاتم. وذكره في موضع آخر عن ابن عباس بلفظ «قراءتي قراءة زيد، وأنا آخذ ببضعة عشر حرفًا من قراءة ابن مسعود هذا أحدها: «من بقلها وقثائها وثومها» وعزاه في هذا الموضوع لابن أبي داود.

(٤) المغافير: صمغ شبيه بالناطف ينضحه العرفط والرمث. الواحد مغفور ومغثور.
ينظر: «لسان العرب» (٣٢٧٥).

(٥) علي بن سليمان بن الفضل، أبو المحاسن، المعروف بـ «الأخفش الأصغر»: نحوي، من العلماء. من أهل بغداد، أقام بـ «مصر» سنة (٢٨٧- ٣٠٠هـ)، وخرج إلى «حلب»، ثم عاد إلى «بغداد»، وتوفي بها وهو ابن ٨٠ سنة. له تصانيف، منها: «شرح سيبويه»، و «الأنواء»، و «المهذب»، وكان ابن الرومي مكثرًا من هجوه. توفي سنة (٣١٥هـ).
انظر: «بغية الوعاة» (٣٣٨)، و «وفيات الأعيان» (١: ٣٣٢)، و «الأعلام» (٤/ ٢٩١).

الأَخَسِّ، إلا أنه خُفِّفَت همزته، وقال غيره: هو مأخوذ من الدُّون، أي: الأحط فأصله أَدْوَن، ومعنى الآية: أَتَسْتَبْدِلُونَ البَقْلَ، والْقِثَّاءَ، والفُومَ، وَالعَدَسَ، والبَصَلَ الَّتي هى أدنَىٰ بالمَنِّ والسلْوَى الذي هو خيرٌ.

وجمهور النَّاس يقرءون «مِصْراً» بالتنوين[1]، قال مجاهدٌ وغيره: أراد مِصْراً من الأمصار غير معيَّن[2]، واستدلُّوا بما اقتضاه القرآن من أمرهم؛ بدخول القرية، وبما تظاهَرَتْ به الرواياتُ؛ أنهم سكنوا الشَّام بعد التيه، وقالت طائفة: أراد مِصْرَ فِرْعَونَ بعينها، وٱستدلُّوا بما في القرآن من أنَّ اللَّه أورَثَ بني إسْرائيل ديار آل فرعون وآثارهم، قال في «**مختصر الطبريِّ**»: وعلى أن المراد مصْر التي خرجُوا منها، فالمعنَىٰ: إنَّ الذي تطلُبُونَ كان في البَلَد الَّذي كان فيه عذابُكم، وٱستعبادُكم، وأسْركم، ثمَّ قال: والأظهر أنهم مُذْ خرجوا من مصْر، لم يرجعوا إليها، واللَّه أعلم. انتهى.

وقوله تعالَىٰ: ﴿فإن لكم ما سألتم﴾ يقتضي أنه وَكَلَهُمْ إلى أنفسهم، و﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالمَسْكَنَةُ﴾[3] معناه: ٱلْزَمُوهَا؛ كما قالت العربُ: ضَرْبَةُ لازِبٍ، ﴿وَبَاءُو بِغَضَبٍ﴾: معناه: مروا متحمِّلين له، قال الطبري: باءوا به، أي: رجعوا به، واحتملوه، ولا بد أن يوصل بَاءَ بخير أو بشرٍّ. انتهى.

وقوله تعالى: ﴿ذلك بأنهم كانوا يكْفُرُونَ بآياتِ اللَّهِ ويقْتُلُونَ النَّبِيِّين بغير الحقِّ﴾ الإشارة بـ ﴿ذَلِكَ﴾ إلى ضرب الذلَّة وما بعدهُ، وقوله تعالَىٰ: ﴿بِغَيْرِ الحَقِّ﴾ تعظيمٌ

---

(١) وقرأ «مصر» بغير تنوين في هذه الآية الأعمش، كما في مختصر الشواذ لابن خالويه (ص ١٤).
كما قرأ بها طلحة بن مصرف والحسن وأبان بن تغلب، وقيل: هي كذلك في مصحف أبي بن كعب ومصحف عبد اللَّه وبعض مصاحف عثمان. كما في «**البحر المحيط**» (١/ ٣٩٦ـ ٣٩٧)، و «**الدر المصون**» (١/ ٢٤١).

(٢) أخرجه الطبري (١/ ٣٥٤) برقم (١٠٨٥) بلفظ: «مِصراً من الأمصار، زعموا أنهم لم يرجعوا إلى مصر» اهـ.

(٣) قوله تعالى: ﴿الذِّلَّة والمسكنة﴾ يعني: فقر النفس. قال السمين الحلبي: والمراد بها هنا الجزية والصغار. «**عمدة الحفاظ**» (٢/ ٢٣٩). وقال الحسن وقتادة: ﴿ضربت عليهم الذلة﴾ هي أنهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون، وقال عطاء بن السائب: هي الكُسْتَيَنج (لبس اليهود) وزي اليهودية، و ﴿المسكنة﴾: زي الفقر، فترى المُثْرى منهم يتباءس مخافة أن يضاعف عليه الجزية، ولا يوجد يهودي غني النفس.
ينظر: «**الوسيط**» (١/ ١٤٧)، و «**الطبري**» (٢/ ١٣٧)، و «**البغوي**» (١/ ٦٦)، و «**ابن كثير**» (١/ ١٠٢)، و «**الدر المنثور**» (١/ ٧٣).

للشنعة[١]، والذَّنب، ولم يجرم نبيٌّ قطُّ ما يوجبُ قتله، وإنما التسليطُ عليهم بالقَتْل كرامةٌ لهم، وزيادةٌ لهم في منازلهم صلى اللَّه عليهمْ؛ كَمَثَلِ مَنْ يُقْتَلُ في سبيلِ اللَّهِ من المؤمنين، والباء في «بِمَا» باء السبب.

و ﴿يَعْتَدُونَ﴾: معناه: يتجاوزون الحُدُود، والاعتداء هو تجاوُزُ الحدِّ.

وقوله تعالَىٰ: ﴿إِنَّ الذين آمنوا والذين هادوا والنصارَىٰ والصابئين...﴾ الآيَةَ.

اختلف في المراد بـ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ في هذه الآية.

فقالت فرقة: الذين آمنوا هم المؤمنون حقًّا بنبيِّنا محمَّد ﷺ، وقوله: ﴿مَن آمَنَ بِاللَّهِ﴾ يكون فيهم بمعنَىٰ مَنْ ثَبَتَ ودَامَ، وفي سائر الفرق: بمعنى: مَنْ دخَلَ فيه، وقال السُّدِّيُّ: هم أهل الحنيفيَّة ممَّن لم يلحق محمَّداً ﷺ، والذين هَادُوا، ومن عطف عليهم كذلك ممَّن لم يلحق محمَّداً ﷺ، ﴿والذين هَادُوا﴾ هم اليهودُ، وسُمُّوا بذلك؛ لقولهم: ﴿هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، أي: تبنا، ﴿والنصارَىٰ﴾ لفظةٌ مشتقَّة من/ النَّصْرِ. ٢٣أ

قال * ص[٢] *: ﴿والصَّابِئِينَ﴾: قرأ الأكثر بالهمز؛ صَبَأَ النَّجْمُ، والسِّنُّ، إذا خرج، أي: خَرَجُوا من دينٍ مشهورٍ إلى غيره، وقرأ نافع[٣] بغير همز، فيحتمل أن يكون من المهموز المُسَهَّل، فيكون بمعنى الأول، ويحتمل أن يكون مِنْ صَبَا غيْرَ مهموزٍ، أي: مَالَ؛ ومنه: [الهزج]

إِلَىٰ هِنْدٍ صَبَا قَلْبِي ... وَهِنْدٌ مِثْلُهَا يُصْبِي[٤]

انتهى.

قال * ع[٥] *: والصَّابِىءُ؛ في اللغة: من خرج من دين إلى دين.

وأما المشار إليهم في قوله تعالَىٰ: ﴿وَالصَّابِئِينَ﴾ فقال السديُّ: هم فرقة من أهل

---

(١) الشُّنْعَةُ: الاسم من الشناعة، وشَنُعَ الأَمْر أو الشيء شناعة وشَنَعا وشُنْعاً وشُنُوعاً: قَبُح. ينظر: «لسان العرب» (٢٣٣٩).

(٢) «المجيد» (ص ٢٨٠).

(٣) ينظر: «السبعة» (١٥٧)، و «الحجة للقراء السبعة» (٢/ ٩٤)، و «حجة القراءات» (١٠٠)، و «شرح شعلة» (٢٦٥)، و «إتحاف فضلاء البشر» (١/ ٣٩٦).

(٤) البيت لزيد بن ضبة، وهي في «اللسان» صبا.

(٥) «المحرر الوجيز» (١/ ١٥٧).

الكتاب[١]، وقال مجاهد: هم قوم لا دِينَ لهم[٢]، وقال ابنُ جُرَيْج[٣]: هم قوم تركب دينهم بين اليهوديَّة والمجوسيَّة[٤]، وقال ابنُ زَيْد: هم قومٌ يقولون لا إله إلا اللَّه، وليس لهم عمل ولا كتابٌ كانوا بجزيرةِ المَوْصِلِ[٥]، وقال الحسنُ بْنُ أبي الحسن، وقتادة: هم قوم يعبدون الملائكةَ، ويصلُّون الخمْسَ إلى القبلة، ويقرءون الزَّبُور رَآهُمْ زيادُ بن أبي سفيان[٦]، فأراد وضع الجزيَة عنهم حتَّى عُرِّفَ أنهم يعبدون الملائكَةَ[٧].

وقوله تعالى: ﴿ورفعنا فوقكم الطور...﴾ الآية: ﴿الطُّور﴾: اسم الجبلِ الَّذي نُوجِيَ موسَىٰ عليه السلام عليه. قاله ابنُ عبَّاس[٨]، وقال مجاهدٌ وغيره: ﴿الطُّور﴾: اسمٌ لكلِّ جبلٍ[٩]، وقصص هذه الآية أنَّ موسَىٰ عليه السلام، لما جاء إلى بني إسرائيل من عند اللَّه تعالَىٰ بالألواح، فيها التوراة، قال لهم: خُذُوهَا، وٱلْتَزِمُوهَا، فقَالُوا: لا، إلاَّ أنْ يكلِّمنا اللَّهُ بهَا كما كلَّمك، فصُعِقُوا، ثم أُحْيُوا، فقال لهم: خُذُوها، فقالوا: لاَ، فأمر اللَّه الملائكَةَ، فٱقتلعَتْ جَبَلاً من جبالِ فِلَسْطِينَ[١٠] طولُه فَرْسَخٌ في مثله، وكذلك كان

---

(١) أخرجه الطبري (١/ ٣٦١) برقم (١١١٢)، وذكره السيوطي في «الدر» (١/ ١٤٦)، وعزاه لوكيع.

(٢) أخرجه الطبري (١/ ٣٦٠) برقم (١١٠١) بنحوه، وأخرجه عبد الرزاق في «التفسير» (١/ ٤٧)، وذكره السيوطي في «الدر» (١/ ١٤٥)، وعزاه لوكيع، وعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم.

(٣) عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموي، مولاهم، أبو الوليد، وأبو خالد المكي، الفقيه، أحد الأعلام. عن ابن أبي مليكة، وعكرمة مرسلاً، وعن طاوس مسألة، ومجاهد، ونافع، وخلق، وعنه يحيى بن سعيد الأنصاري أكبر منه، والأوزاعي، والسفيانان، وخلق. قال أبو نعيم: مات سنة خمسين ومائة.

ينظر: «الخلاصة» (٢/ ١٢)، «تهذيب التهذيب» (٦/ ٤٠٢)، «تهذيب الكمال» (٢/ ١٧٨)، «الكاشف» (٢/ ٢١٠)، «الثقات» (٧/ ٩٣).

(٤) أخرجه الطبري (١/ ٣٦٠) برقم (١١٠٧).

(٥) أخرجه الطبري (١/ ٣٦٠) برقم (١١٠٨).

(٦) زياد بن أبيه، وأبيه أبو سفيان، أمير من الدهاة، القادة الفاتحين، الولاة من أهل «الطائف» أدرك النبي ﷺ ولم يره، وأسلم في عهد أبي بكر، ولد في (١هـ) قال الشعبي: ما رأيت أحدًا أخطب من زياد، توفي في (٥٣هـ).

ينظر: «ميزان الاعتدال» (١: ٣٥٥)، «الأعلام» (٣/ ٥٣).

(٧) أخرجه الطبري (١/ ٣٦١) برقم (١١٠٩)، (١١١٠) عن الحسن وقتادة.

(٨) أخرجه الطبري (١/ ٣٦٦ـ ٣٦٧) برقم (١١٢٥).

(٩) أخرجه الطبري (١/ ٣٦٦) برقم (١١١٨)، وذكره السيوطي في «الدر» (١/ ١٤٦)، وعزاه للفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(١٠) فِلَسْطِينُ: آخر كور «الشام» من ناحية «مصر»، قصبتها «بيت المقدس»، ومن مشهور مدنها «عسقلان»، =

عسْكَرهم، فجعل عليهم مثْلَ الظُّلَّة، وأخرج اللَّه تعالى البَحْرَ من ورائهم، وأضرم نَاراً من بين أيديهم، فأحاط بهم غضبه، وقيل لهم: خذوها، وعليكُم الميثَاقُ، ولا تضيِّعوها، وإلا سقط علَيْكم الجبَلُ، وأغرقكم البَحْر، وأحرقتكم النارُ، فَسَجَدُوا؛ توبةً للَّه سبحانه، وأخذوا التوراةَ بالميثاقِ، قال الطبريُّ عن بعض العلماء: لو أخذوها أوَّلَ مرَّة، لم يكُنْ عليهم ميثاقٌ، وكانت سجدتهم علَىٰ شِقٍّ؛ لأنهم كانوا يرقبون الجَبَل؛ خوْفاً، فلما رحمهم اللَّه سبحانه، قالوا: لا سجدَةَ أفضلُ من سَجْدة تقبَّلها اللَّه، ورَحِمَ بها، فأَمَرُّوا سجودَهم علَىٰ شِقٍّ واحدٍ.

قال * ع[1] *: والذي لا يصحُّ سواه أن اللَّه تعالى اخترع وقْتَ سجودهم الإيمان في قلوبهم، لا أنهم آمنوا كُرْهاً، وقلوبهم غيرُ مطمئنة، قال: وقد اختصرْتُ ما سرد في قصصِ هذه الآية، وقصدت أَصَحَّهُ الذي تقتضيه ألفاظُ الآية، وخلط بعْضُ الناس صَعْقَةَ هذه القصَّة بصَعْقة السبعين.

وَ ﴿بِقُوَّةٍ﴾: قال ابن عباس: معناه: بجِدٍّ واجتهادٍ[2].

وقال ابن زيد: معناه: بتصديق وتحقيق[3].

﴿وَٱذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾، أي: تدبَّروه واحْفَظُوا أوامره ووعيدَهُ، ولا تنسوه، ولا تضيِّعوه.

وقوله تعالَىٰ: ﴿ثم تولَّيتم...﴾ الآية: تولَّى: أصله الإعراض والإدبار عن الشيء بالجِسْم، ثم استعمل في الإعراض عن الأمورِ، والأديانِ، والمعتقداتِ؛ اتِّساعاً ومجازاً، وتَوَلِّيهِمْ من بعد ذلك: إما بالمعاصِي، فكان فضل اللَّه بالتوبة والإمهال إلَيْها، وإما أن يكون تَوَلِّيهم بالكُفْر، فلم يعاجلْهم سبحانه بالهَلاَكِ؛ لِيَكُونَ من ذرِّيَّتهم من يُؤْمِنُ.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا

= و «الرملة»، و «غزة»، و «أرسوف»، و «قيسارية»، و «نابلس»، و «أريحا»، و «عمان» و «يافا»، و «بيت جبرين»، وهي أول أجناد «الشام»، أولها من ناحية الغرب «رفح» وآخرها «اللجُون» من ناحية الغور.

ينظر: «**مراصد الاطلاع**» (٣/ ١٠٤٢).

(١) «**المحرر الوجيز**» (١/ ١٥٩).

(٢) أخرجه الطبري (١/ ٣٦٧) برقم (١١٣١) عن السدي، وذكره السيوطي في «**الدر**» (١/ ١٤٦) وعزاه لابن جرير.

(٣) أخرجه الطبري (١/ ٣٦٨) برقم (١١٣٢) بلفظ: «خذوا الكتاب الذي جاء به موسى بصدق وبحق».

نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾

وقوله تعالى: ﴿ولقد علمتم الذين اعتَدوا منكم في السبت...﴾ الآية: علمتمْ: معناه: عرفتم، والسَّبْتُ مأخوذٌ من السُّبُوت الَّذِي هو الراحةُ والدَّعَة، وإما من السبت، وهو القَطْع؛ لأن الأشياء فيه سَبَتَتْ وتمَّت خِلْقَتُها، وقصَّة اعتدائهم فيه/ أن اللَّه عز وجلَّ أمر موسَىٰ عليه السلام بيَوْمِ الجُمُعَةِ، وعرَّفه فَضْلَه، كما أمر به سائر الأنبياءِ صلواتُ اللَّه عَلَيْهِمْ، فذكر موسَىٰ ذلكَ لبني إِسرائيل عن اللَّه سبحانه، وأمرهم بالتشرُّع فيه، فأبوا وتعدَّوْه إِلَىٰ يوم السَّبْت، فأوحى اللَّه إِلَىٰ موسَىٰ؛ أنْ دَعْهم، وما اختاروا من ذلك، وامتحنهم بأنْ أمرهم بترك العَمَل فيه، وحرَّم عليهم صَيْدَ الحِيتَانِ، وشدَّد عليهم المِحْنَة؛ بأن كانت الحِيتَانُ تأتي يوم السبْتِ؛ حتى تخرج إلى الأفنية، قاله الحسن بن أبي الحسن. ٢٣ ب

وقيل حتى تخرج خراطيمُهَا من الماء، وذلك إما بإلهامٍ من اللَّه تعالَىٰ، أو بأمر لا يعلَّل، وإما بأن ألهمها معنى الأَمَنَةِ التي في اليوم، مع تكراره؛ كما فَهِمَ حمام مَكَّة الأَمَنَةَ، وكان أمر بني إِسرائيل بِأَيْلَةَ[1] على البحْر، فَإِذا ذهب السَّبْت، ذهبت الحيتان، فلم تظهر إلى السبت الآخر، فبقُوا على ذلك زماناً؛ حتى اشْتَهَوُا الحُوتَ، فعَمَدَ رجُلٌ يوم السبْتِ، فربط حوتاً بخزمة[2]، وضرب له وَتِداً بالساحل، فلما ذهب السَّبْتُ، جاء، فأخذه، فسَمِع قومٌ بفعْلِهِ، فصنعوا مثْلَ ما صنع.

وقيل: بل حفر رجُلٌ في غير السَّبْت حَفِيراً يخرج إِلَيْه البحر، فإذا كان يوم السبت، خرج الحوت، وحصل في الحفير، فإذا جزر البحر، ذهب الماء من طريق الحفير، وبقي الحوت، فجاء بعد السبت، فأخذه، ففعل قَوْمٌ مثْلَ فعله، وكَثُرَ ذلك؛ حتى صادوه يوم السبت علانيةً، وباعوه في الأسواقِ، فكان هذا من أعظم الاعتداء، وكانت من بني إِسرائيل فرقةٌ نهَتْ عن ذلك، فنجَتْ من العقوبة، وكانت منهم فرقةٌ لم تَعْصِ، ولم تَنْهَ، فقيل: نجت مع الناهين، وقيل: هلَكَتْ مع العاصينَ.

وَ ﴿كُونُوا﴾: لفظةُ أمر، وهو أمر التكوينِ؛ كقوله تعالَىٰ لكُلِّ شَيْءٍ: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [يسٓ: ٨٢] قال ابن الحاجب[3] .....

---

(١) أَيْلة: مدينة على ساحل بحر «القلزم» مما يلي «الشام». قيل: هي آخر الحجاز وأول «الشام». وهي مدينة اليهود، الذين اعتَدَوْا في السبت. ينظر: **«مراصد الاطلاع»** (١/ ١٣٨).

(٢) الخَزَم: شجر له ليف تتخذ من لحائه الحبال، الواحدة خَزَمَةٌ.
ينظر: **«لسان العرب»** (١١٥٣).

(٣) عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو، جمال الدين ابن الحاجب: فقيه مالكي، من كبار=

٢٥٦ ـــــــ

و ﴿خَاسِئِينَ﴾: معناه: مُبْعَدِينَ أذلاَّء صاغِرِينَ؛ كما يقال للكَلْب، وللمطْرُود: اُخْسَأْ، وروي في قصصهم؛ أنَّ اللَّه تعالَىٰ مسخ العاصِينَ قردَةً في الليل، فأصبح الناجُونَ

= ١ ـ فِعْلُ الأَمْرِ: وذلك بصيغته المعروفة؛ مثل قوله تعالى: ﴿وأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [الحج: ٧٨].

٢ ـ صِيغَةُ المُضَارع المُقْتَرِن بِـ «لاَمِ الأَمْرِ» مثل قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

ومثل: ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩].

ومثل: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ﴾ [الطلاق: ٧].

٣ ـ صيغة المَصْدَرِ القائم مقام فعل الأمر: مثل قوله تعالى: ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ﴾ [المائدة: ٨٩].

ومثل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ [محمد: ٤].

٤ ـ جملة خبرية يراد بها الطلب: مثل قوله تعالى: ﴿والوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

إذ ليس المُرَادُ من هذا النَّصِّ الإِخْبَارَ عن حُصُولِ الإِرْضَاعِ من الوالدات لأولادهن، وإنما المُرَادُ هو أَمْرُ الوَالِدَاتِ بِإِرْضَاعِ أولادهن، وَطَلَبِ إيجاده منهن.

ومثل قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾ [النساء: ١٤١].

فإن الظاهر من هذه الآية أنها لِلْخَبَرِ، وإنما المُرَادُ بها أَمْرُ المؤمنين ألا يُمَكِّنُوا الكافرين من التَّجَبُّرِ عليهم، والتَّكَبُّرِ بأية صِفَةٍ كانت.

ومثل قوله ﷺ فيما أخرجه الشَّيْخَانِ: «لاَ تُنْكَحُ البِكْرُ حَتَّىٰ تُسْتَأْذَنَ».

وقد اتَّفَقَ الأصوليون عَلَىٰ أَنَّ صِيغَةَ الأَمْرِ تُسْتَعْمَلُ في مدلولات كثيرة، لكن لا تدلُّ على وَاحِدٍ من هذه المدلولات بعينه إلا بِقَرِينَةٍ، وهذه المدلولات هي كما ذكرها المصنف رحمه اللَّه.

وَقَدِ اختلفت آراءُ العلماءِ في تَعْدَادِ هذه الصِّيَغِ زِيَادَةً، ونَقْصاً، وسَبَبُ ذلكَ تداخلُ هذه الصِّيَغِ مع بعضها، واختلاف وِجْهَاتِ النَّظَرِ في المَعْنَى، وفي القرينَةِ الَّتِي تحدِّد وجهَ الاسْتِعْمَالِ.

واتَّسعت دائرةُ الاختلافِ بينَ العلماءِ والأُصوليين فيمَا يَدُلُّ عليه الأَمْرُ حقيقةً؛ حيث إِنَّ دَوَرَانَ الأَمر على أَوْجُهٍ كثيرةٍ ـ كَمَا سَبَقَ ـ لا يَدُلُّ على أنَّه حقيقة في كلٍّ منها.

فإِذَا وَرَدَ أمرٌ من الأوامر في القرآن الكريم، أَوْ فِي السُّنَّةِ النَّبويَّةِ، فهل يُعْتَبَرُ هذا الأَمْرُ دَالاً عَلَى الوُجُوب؟ أم النَّدْبِ؟ أَم الإباحة؟ أَمْ لمعنى آخر؟

إن خصوصيَّةَ التَّعجيز، والتَّحقير، والتَّسْخِير... وغير هذه المعَاني غير مُسْتَفَادٍ من مجرّد صيغَةِ الأمر، بَلْ إنَّما تفهم هذه المعاني من القَرَائِنِ، وعَلَيْهِ فلا خِلافَ في أنَّ صيغةَ الأَمْرِ ليست حَقِيقيَّةً في جَمِيعِ الوُجُوهِ السَّابقة.

وللعلماء آرَاءٌ مُتَعَدِّدَةٌ في دَلالَةِ الصيغة على الوُجُوبِ، أو على الندب، أو على غيرهما، فقد اتفق العُلَمَاءُ على أن صيغة الأَمْرِ لا تَدُلُّ على أي معنى من المَعَانِي المتقدمة إلا بقرينة، كما قلنا سَابِقاً.

وقد اختلفوا فيما إذا تَجَرَّدَتْ هذه الصِّيغَةُ عن القَرِينَةِ، فهل تدل على الوُجُوبِ؟ أم على النَّدْبِ؟ أم على الإِبَاحَةِ؟

المَذْهَبُ الأَوَّلُ: وهو لجمهور العُلَمَاءِ؛ حيث ذَهَبُوا إلى أن صيغة «افعل» تدلُّ على الوجوب حقيقةً، =

إلى مساجِدِهِمْ، ومجتمعاتِهِمْ، فلم يروا أحداً من الهالكينَ، فقالوا: إن للنَّاس لشأناً، ففتحوا عليهم الأبوابَ لما كانت مغْلَقة باللَّيْل، فوجدوهم قردَةً يعرفون الرجُلَ والمرأة.

وقيل: إن الناجينَ كانُوا قد قسموا بينهم وبين العاصين القريَةَ بجِدَارٍ؛ تَبَرِّياً منهم، فأصبحوا، ولم تفتحْ مدينةُ الهالكين، فتسوَّروا عليهم الجدارَ، فإذَا هم قردةٌ يثبُ بعضُهم على بعْضٍ/. ٢٤أ

وروي عن النبيِّ ﷺ، وثبت أنَّ المُسُوخَ لا تنسل، ولا تأكل، ولا تشرَبُ، ولا تعيشُ أكثَرَ من ثلاثة أيامٍ[1]، ووقع في كتاب مسْلِمٍ عنه ﷺ «أنَّ أُمَّةً من الأُمَمِ فُقِدَتْ، وَأُرَاهَا

= مجازاً فيما سواه، أي: في النَّدْبِ والإباحة، وسائر المعاني المستعملة فيها الصيغة، وهذا مَذْهَبُ الشافعي، واختاره ابن الحاجب في «**المختصر**»، والبيضاويُّ في «**المنهاج**».

المَذْهَبُ الثَّانِي: ويُعْزى لِأبي هاشِم الجُبَّائِيِّ، وهو وَجْهٌ عند الشافعية؛ حيث ذَهَبُوا إلى أن صيغَةَ الأمر حَقِيقَةٌ في الندب، مَجَازٌ فيما سواه.

المَذْهَبُ الثَّالِثُ: يَرَى أن صيغة الأَمْرِ حقيقة فِي الإِبَاحَةِ، وَهُو التخيير بين الفعل والتَّرْكِ، فَهِيَ لاَ تَدُلُّ إلا على الجواز حقيقة؛ لِأَنه هو المتيقن، فعند خُلُوِّه عن القرينة يكون حَقِيقَةً في الإِبَاحَةِ، مجازاً فيما سواها.

المَذْهَبُ الرَّابِعُ: ويُعْزَى لِلْمَاتِرِيدِيِّ؛ حيث يرى أن صيغة الأَمْرِ حقيقة في القَدْرِ المشترك بين الوُجُوبِ والندب، وهو الطَّلَبُ؛ لأن كلا من الوجوب والندب طَلَبٌ، ويزاد قيد الجَزْمِ في جانب الوجوب؛ لأنه الطلب الجازم، والندب غير جازم.

المَذْهَبُ الخَامِسُ: وفيه تكون صِيغَةُ الأَمْرِ مشتركة بين الوُجُوبِ والنَّدْبِ اشتراكاً لَفْظِيًّا.

المَذْهَبُ السَّادِسُ: يرى أن صيغة الأمر مُشْتَرِكَةٌ بين الوُجُوبِ، والنَّدْبِ، والإباحة.

المَذْهَبُ السَّابِعُ: يرى أن صِيغَةَ الأمر حَقِيقَةٌ في القَدْرِ المشترك بين هذه الأنواع الثلاثة، وهو الإِذْنُ. نصّ عليه أَبُو عَمْرٍو بن الحاجب.

المذْهَبُ الثَّامِنُ: وإليه ذَهَبَ القاضي أبو بكر البَاقلاني، والغَزالي، والآمِدِيّ؛ حيث كانوا يَتَوقَّفُونَ عن القَوْلِ بأن الصيغة تَدُلُّ على الوجوب، أو على الندب؛ لأن الصِّيَغَةَ استعملت في الوُجُوبِ تَارَةً، وفي النَّدْبِ أخرى، فقالوا بالتوقُّفُ.

قال الآمِدِيُّ: ومنهم من تَوَقَّفَ، وهو مَذْهَبُ الأشعري (رحمه اللَّه تعالى) ومن تبعه من أصحابه؛ كالقاضي أبي بَكْرٍ، والغزالي، وغيرهما، وهو الأصح.

المَذْهَبُ التَّاسِعُ: يرى أن صِيغَةَ الأَمْرِ مشتركة بين الوُجُوبِ، والندب، والإباحة، والإرشاد، والتهديد.

وقيل: صيغة الأَمْرِ مشتركة بين الوُجُوبِ، والنَّدْبِ، والتحريم، والكَرَاهة، والإباحة؛ فهي مشتركة بين الأَحْكَامِ الخمسة، ووجهة دلالة الصيغة على التحريم والكَرَاهَةِ؛ فإنها تستعمل في التَّهْدِيدِ، وهو يستلزم تَرْكَ الفِعْلِ المُهَدَّدِ عليه، وهو إما محرم، أو مَكْرُوهٌ.

ينظر: «**الإحكام**» للآمدي (٢/ ٩)، و «**التيسير شرح التحرير**» (٢/ ٤٩).

(١) ذكره السيوطي في «**الدر المنثور**» (١/ ١٤٧) وعزاه لابن جرير عن ابن عباس.

الفأر»، وظاهر هذا أنَّ المسوخ تنسل، فإن كان أراد هذا، فهو ظَنٌّ منه ﷺ في أمر لا مَدْخَلَ له في التبليغ، ثم أوحي إِلَيْه بعد ذلك، ؛ أنَّ المسوخ لا تنسل؛ ونظير ما قُلْناه نزولُهُ ﷺ علَىٰ مياهِ بَدْرٍ وأمره بإطِّراح تذكير النخل، وقد قال ﷺ: إذا أخبرتكم عنِ اللَّهِ تعالَىٰ، فهو كما أخبرتكم، وإذا أخبرتكم برأْيِي في أمور الدنيا، فإنما أنا بشَرٌ مثلُكم، والضمير في ﴿جَعَلْنَاهَا﴾ يَحتَمِلُ عوده على المسخة والعقوبة، ويحتمل علَى الأُمَّة الَّتِي مُسِخَتْ، ويحتمل على القِرَدَةِ، ويحتمل على القرية؛ إذ معنى الكلام يقتضيها، والنَّكال: الزجْرُ بالعقاب، و﴿لما بَيْن يدَيْها﴾. قال السُّدِّيُّ: ما بين يَدَيِ المسخة مَا قَبْلَهَا من ذنوب القَوْم، وما خَلْفها لمن يذنب بعدها مثل تلك الذنوب[1]، وقال غيره: ما بين يدَيْها من حضرها من الناجين، وما خلفها، أي: لمن يجيءُ بعدها[2]، وقال ابن عبَّاس: لما بين يديها وما خلْفَها من القُرَىٰ[3].

﴿ومَوْعِظَةً﴾: من الاتعاظ، والازدجار، و ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾: معناه: الذين نَهَوْا وَنَجَوْا، وقالتْ فرقةٌ: معناه: لأمَّة محمَّد ﷺ، واللفظ يَعُمُّ كُلَّ مُتَّقٍ من كلِّ أُمَّةٍ.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا۟ ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ ۖ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وإذ قال موسَىٰ لقومه إن اللَّه يأمركم...﴾ الآيةَ: المراد تذكيرهم بنقْضِ سلفهم للميثاقِ، وسبب هذه القصَّة علَىٰ ما روي أن رجلاً من بني إسرائيل أَسَنّ، وكان له مالٌ، فاستبطأ ابن أخيه موته، وقيل: أخوه، وقيل: ابنا عمه، وقيل: ورثةٌ غيْرُ معيَّنين، فقتله؛ ليرثه، وألقاه في سبط آخر غير سبطه؛ ليأخذ ديته، ويلطِّخهم بدمه.

---

(١) ذكره ابن عطية في «التفسير» (١/ ١٦١)، والماوردي (١/ ١٣٦).
(٢) ذكره ابن عطية في «التفسير» (١/ ١٦١).
(٣) ذكره ابن عطية (١/ ١٦١)، وقد رجح هذا الخبر الذي رواه ابن عباس.

وقيل: كانت بنو إسرائيل في قريتين متجاورتين، فألقاهُ إلى باب إحدى القريتَيْن، وهي التي لم يُقْتَلْ فيها، ثم جعل يطلبه هو وسبطه؛ حتى وجده قتيلاً، فتعلَّق بالسبط، أوْ بسكَّان المدينة التي وجد القتيل عندها، فأنكروا قتله، فوقع بين بني إسرائيل في ذلك لحاء[1]؛ حتى دخلوا في السِّلاح، فقال أهل النُّهَىٰ، منهم: أَنَقْتَتِلُ ورسُولُ اللَّهِ معنا، فذهبوا إِلَىٰ موسَىٰ عليه السلام، فقصُّوا علَيْهِ القصَّة، وسألوهُ البيانَ، فأوحى اللَّه تعالَىٰ إليه أن يذبحوا بقرةً، فيُضْرَبُ القتيل ببعضها، فَيَحْيَىٰ ويُخْبِرُ بقاتله، فقال لهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾، فكان جوابهم أنْ ﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً﴾ وهذا القول منهم ظاهره فسادُ اعتقادٍ مِمَّنْ قاله، ولا يصحُّ إيمان من يقول لِنبيٍّ قد ظهرتْ معجزته، وقال: إن اللَّه يأمرُ بكذا: أنتخذُنَا هُزُواً، ولو قال ذلك اليوْمَ أحدٌ عن بعض أقوال النبيِّ ﷺ، لوجب تكفيره.

وذهب قوم إلى أنَّ ذلك منهم على جهة غلظ الطبع والجفاء، وقول موسَىٰ عليه السلام: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الجَاهِلِينَ﴾ يَحْتَمِلُ مَعْنَيَيْنِ:

أحدهما: الاستعاذةُ من الجهل في أن يخبر عن اللَّه تعالَىٰ مستهزئاً.

والآخر: من الجهل؛ كما جهلوا في قولهم.

٢٤ ب وقوله تعالَىٰ: ﴿قَالُوا ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ/ . . .﴾ الآيَةَ: هذا تعنيتٌ منهم، وقلَّةُ طواعية، ولو امتثلوا الأمر، فٱستعرضوا بقرةً فذبحُوها، لَقَضَوْا ما أمروا به، ولكن شدَّدوا، فشَدَّدَ اللَّهُ علَيْهم؛ قاله ابن عَبَّاسٍ وغيره[2].

والفارض: المسنَّة الهَرِمَة، والبِكْر؛ من البقر: التي لم تلدْ من الصغر، ورفعت «عَوَانٌ» على خبر ابتداءِ مضمرٍ، تقديره: هي عَوَانٌ، والعَوَانُ التي قد وَلَدَتْ مرَّةً بعد مرّة.

قال * م *: قال الجَوْهَرِيُّ[3]: والعَوَانُ: النَّصَفُ في سِنِّها من كل شيْء، والجمعُ عُونٌ. انتهى.

---

(١) اللِّحَاء ـ ممدود ـ: المُلاَحاة كالسِّباب، ولاحى الرَّجُلَ مُلاحاة ولِحَاءً: شاتمه. ولاحيته ملاحاة ولحاء: إذا نازعته. ينظر: «**لسان العرب**» (٤٠١٥).

(٢) أخرجه الطبري (١/ ٣٨٩) برقم (١٢٣٩)، وذكره السيوطي في «**الدر**» (١/ ١٥١)، وعزاه لابن جرير، وابن أبي حاتم. كلاهما عن ابن عباس.

(٣) إسماعيل بن حماد الجوهري، كان من أعاجيب الزمان ذكاءً، وفطنة، وعلماً، كان إماماً في اللغة والأدب، قرأ على ابن علي الفارسي، والسيرافي. له: «**الصحاح**»، و «**مقدمة في النحو**»، مات سنة ٣٩٣هـ.

ينظر: «**البغية**» (١/ ٤٤٦، ٤٤٧).

* ت *: قال الشيخُ زين الدين عبد الرحيم بن حُسَيْنٍ العَراقيُّ[١] في نظمه لغريب القُرآن جمع أبي حيان: [الرجز]

مَـعْـنَـىٰ «عَـوَانٌ» نَـصَـفٌ بَـيْـنَ الـصِّـغَـرْ وَبَـيْـنَ مَـا قَـدْ بَـلَـغَـتْ سِـنَّ الْـكِـبَـرْ

وكل ما نقلته عن العِرَاقِيِّ منظوماً، فمن أرجوزته هذه.

وقوله: ﴿فافعلوا ما تؤمرون﴾ تجديدٌ للأمر، وتأكيدٌ وتنبيهٌ على ترك التعنُّت، فما تركوه. قال ابنُ زَيْد: وجمهورُ الناسِ في قوله: ﴿صَفْراء﴾؛ أنَّها كانت كلُّها صفراء، وفي «**مختصر الطبريِّ**»: ﴿فَاقِعٌ لَوْنُهَا﴾ أي: صافٍ لونُها. انتهى.

والفقوعُ مختصٌّ بالصفرة؛ كما خُصَّ أحمرُ بِقَانِىء، وأسْوَدُ بحالِك، وأبْيَضُ بناصِع، وأخْضَرُ بناضِرٍ، قال ابن عبَّاس وغيره: الصفرة تسر النفْسَ، وسأَلُوا بعد هذا كلِّه عن ما هي سؤال متحيِّرين، قد أحسُّوا مقْتَ المعصية[٢].

وفي استثنائهمْ في هذا السؤالِ الأخيرِ إنابةٌ مَّا، وانقيادٌ، ودليلُ ندم وحِرْصٌ على موافقة الأمر. ورُوِيَ عن النبيِّ ﷺ؛ أنَّهُ قَالَ: «لَوْلاَ مَا ٱسْتَثْنَوْا، مَا ٱهْتَدَوْا إِلَيْهَاَ أَبَداً»[٣].

---

(١) عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم، محدث الديار المصرية، ذو التصانيف المفيدة، زين الدين أبو الفضل، العراقي الأصل، الكردي. ولد سنة (٧٢٥)، أحب الحديث، وسمع كثيراً، وولع بتخريج أحاديث «**الإحياء**»، ورافق الزيلعي الحنفي، وكان مفرط الذكاء، أكثر الرحلة والسماع، أخذ عنه الهيثمي وغيره كابن حجر وبرهان الدين الحلبي، صنف «ألفية الحديث» وعمل نكتاً على ابن الصلاح، وشرع في تكملة شرح الترمذي تذييلاً على ابن سيد الناس. ت (٨٠٦).
ينظر: «**طبقات ابن قاضي شهبة**» (٤/ ٢٩)، «**الضوء اللامع**» (٤/ ١٧١)، «**إنباء الغمر**» (٥/ ١٧٠).

(٢) ذكره ابن عطية الأندلسي (١/ ١٦٣).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١/ ٢٢٣)، رقم (٧٢٧)، والبزار (٣/ ٤٠ـ كشف)، رقم (٢١٨٨)، وابن مردويه كما في «**تفسير ابن كثير**» (١/ ١١١)، كلهم من طريق عباد بن منصور، عن الحسن، عن أبي رافع، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لولا أن بني إسرائيل قالوا: ﴿وإنا إن شاء اللَّه لمهتدون﴾ [البقرة: ٧٠] لما أعطوا، ولكن استثنوا» وقال البزار: لا نعلمه يروى عن أبي هريرة إلا بهذا الإسناد.
وقال الهيثمي في «**المجمع**» (٦/ ٣١٩): رواه البزار، وفيه عباد بن منصور، وهو ضعيف، وبقية رجاله ثقات.
وقال ابن كثير: وهذا حديث غريب من هذا الوجه، وأحسن أحواله أن يكون من كلام أبي هريرة.
والحديث ذكره السيوطي في «**الدر المنثور**» (١/ ١٥٠)، وعزاه إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه.
وللحديث شاهد مرسل عن عكرمة.
ذكره السيوطي في «**الدر المنثور**» (١/ ١٥٠)، وعزاه إلى سعيد بن منصور، والفريابي، وابن المنذر.

وقوله: ﴿لاَ ذَلُولٌ تُثِيرُ الأرض﴾، أي: غير مذللة بالعمل والرياضة، و ﴿تُثِيرُ الأَرْضَ﴾ معناه: بالحراثة، وهي عند قوم جملةٌ في موضعِ رفعٍ على صفة البقرة، أي: لا ذلول مثيرة، وقال قوم: «تُثِيرُ» فعلٌ مستأنفٌ والمعنى إيجابَ الحرث، وأنها كانت تحرُثُ، ولا تسقي، و ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾: بناء مبالغة من السلامة؛ قال ابن عبَّاس وغيره: معناه: من العيوب[١]، وقال مجاهد: معناه: من الشِّيَاتِ والألوانِ[٢]، وقيل: من العمل[٣].

و ﴿لاَ شِيَةَ فِيهَا﴾، أي: لا خلاف في لونها؛ هي صفراء كلُّها؛ قاله ابن زيد وغيره، والمُوَشَّى المختلِطُ الألوان، ومنه: وَشْيُ الثَّوْب: تزينه بالألوان، والثَّوْرُ الأَشْيَهُ الذي فيه بلقة؛ يقال: فرس أَبْلَقُ، وكبش أَخْرَجُ، وتَيْسٌ أَبْرَق، وكَلْبٌ أَبْقَعُ، وثَوْرٌ أَشْيَهُ؛ كل ذلك بمعنى البلقة.

وهذه الأوصاف في البقرة سببها أنهم شدَّدوا، فشدَّد اللَّه عليهم، ودينُ اللَّه يُسْر، والتعمُّق في سؤال الأنبياء مذمومٌ، وقصَّة وجود هذه البقرة علَىٰ ما روي؛ أنَّ رجلاً من بني إسرائيل ولد له ابنٌ، وكانت له عِجْلَةٌ، فأرسلها في غيضة[٤]، وقال: اللهم، إني قد استودعتُكَ هذه العِجْلَةَ لهذا الصبيِّ، ومات الرجُلُ، فلما كبر الصبيُّ، قالت له أمه: إن أباك كان قد ٱستودَعَ اللَّه عِجْلَةً لكَ، فٱذْهَبْ، فخذْها، فلما رأَتْه البقَرَة، جاءت إلَيْه؛ حتى أخذ بقرنَيْها، وكانت مستوحشةً، فجعل يقودها نحو أمه، فلقيه بنو إسرائيل، ووجدوا بقرته على الصِّفَة التي أمروا بها، فلمَّا وجدت البقرة، ساموا صاحبها، فٱشتطَّ عليهم، فَأَتَوْا به موسَىٰ
٢٥أ عليه السلام وقالوا له: إن هذا اشتطَّ علينا، فقال لهم موسى: أرضُوهُ في مِلْكِه./ فٱشتروْهَا منه بِوَزْنِهَا مرَّةً؛ قاله عَبِيدة السَّلْمَانِيُّ[٥]، .....

---

(١) أخرجه الطبري (١/ ٣٩٤ـ ٣٩٥) برقم (١٢٦٢ـ ١٢٦٣ـ ١٢٦٤)، عن قتادة وأبي العالية، وذكره السيوطي في «الدر» (١/ ١٥٢) عن أبي العالية، وعزاه لابن جرير.

(٢) ذكره ابن عطية الأندلسي (١/ ١٩٤).

(٣) ذكره ابن عطية الأندلسي (١/ ١٦٤).

(٤) الغَيْضَةُ: الأَجَمَة، وهي مغيض ماء يجتمع فينبت فيه الشجر. ينظر: «لسان العرب» (٣٣٢٧).

(٥) أخرجه الطبري (١/ ٣٩٨) برقم (١٢٩٠) عن عبيدة السلماني من طريق محمد بن سيرين. كما أخرجه عبد الرزاق في التفسير (١/ ٤٩).
وهو عَبيدة بن عمرو السَّلْماني، قبيلة من «مُرَاد». مات النبي ﷺ وهو في الطريق. عن علي، وابن مسعود. وعنه الشعبي، والنخعي، وابن سيرين. قال ابن عُيينة: كان يوازي شُرَيحاً في القضاء والعلم. قال أبو مُسهر: مات سنة اثنتين وسبعين. وقال الترمذي: سنة ثلاث.
ينظر: «الخلاصة» (٢/ ٢٠٧)، «طبقات ابن سعد» (٦/ ٩٣)، «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٤٠)، «العبر» (١/ ٧٩)، و «التقريب» (١/ ٥٤٧).

وقيل: بوزنها مرتَيْنِ[١]. وقيل: بوزنها عشْرَ مرَّات[٢]، وقال مجاهد: كانت لرجل يبَرُّ أمه، وأخذت منه بملْء جلْدها دنانير[٣].

و﴿الآنَ﴾: مبنيٌّ على الفتح[٤]، معناه: هذا الوقت، وهو عبارة عما بين الماضِي والمستقبلِ، و ﴿جِئْتَ بِالحَقِّ﴾: معناه؛ عند من جعلهم عُصَاةً: بيَّنْتَ لنا غاية البيانِ، وهذه الآية تعطي أن الذَّبْح أصل في البقر، وإن نحرت أَجْزَأَ.

وقوله تعالى: ﴿وما كادوا يفعلون﴾: عبارة عن تثبُّطهم في ذَبْحِها، وقلَّة مبادرتهم إلى أمر اللَّه تعالى، وقال محمَّد بن كَعْب القُرَظِيُّ: كان ذلك منهم لغلاء البَقَرة[٥]، وقيل: كان

---

(١) ذكره ابن عطية الأندلسي (١/ ١٦٤)، ولم يذكر له سنداً.

(٢) أخرجه الطبري (١/ ٣٩٨) برقم (١٢٨٢) عن السدي.

(٣) أخرجه الطبري (١/ ٣٩٨) برقم (١٢٨٤) بلفظ: «كانت البقرة لرجل يبر أمه، فرزقه اللَّه أن جعل تلك البقرة له، فباعها بملء جلدها ذهباً». عن مجاهد .اهـ.

(٤) واختُلِفَ في علَّة بنائِه، فقال الزجاج: «لأنَّه تضمَّن معنى الإشارة؛ لأنَّ معنى أفعلُ الآن أي: هذا الوقتَ». وقيل: لأنه أَشْبَهَ الحرفَ في لزومِ لفظٍ واحدٍ، من حيث إنه لا يُثَنَّى ولا يُجْمَعُ ولا يُصَغَّرُ. وقيل: لأنه تضمَّن معنى حرفِ التعريفِ وهوَ الألفُ واللامُ كأمسِ، وهذه الألفُ واللامُ زائدةٌ فيه؛ بدليلِ بنائِه ولم يُعْهَدْ معرَّفٌ بأل إلاَّ مُعْرباً، ولَزِمَت فيه الألفُ واللامُ كما لَزِمَت في «الذي» و «التي» وبابهما، ويُعْزى هذا للفارسي. وهو مردودٌ بأنَّ التضمينَ اختصار، فكيف يُخْتصر الشيءَ، ثم يُؤْتى بمثلِ لفظِه. وهو لازمٌ للظرفيَّة ولا يَتَصَرَّفُ غالباً، وقد وَقَع مبتدأ في قولِه ـ عليه السلام ـ: «فهو يَهْوي في قَعْرِها الآنَ حينَ انتهى» فالآن مبتدأ، وبني على الفتح لِما تقدَّم، و «حين» خبرُه، بُني لإضافتِه إلى غيرِ متمكِّنٍ، ومجروراً في قوله:

أإلـــى الآن لا يَـــبِـــيـــنُ ازعِـــوَاءُ .....

وادعى بعضهم إعرابه مستدلاً بقوله:

كـأنَّـهـمـا مِـلآنِ لـم يَـتَـغَـيَّـرا وقـد مَـرَّ لـلـدارَيْـنِ مـن بـعـدنـا عَـصْـرُ

يريد: «من الآن» فجَرَّه بالكسرة، وهذا يَحْتمل أن يكونَ بُني على الكسر. وزعم الفراء أنه منقولٌ من فعلٍ ماضٍ، وأن أصلَه آنَ بمعنى حانَ فَدخَلَتْ عليه أل زائدةً واسْتُصْحِبَ بناؤُه على الفتح، وجَعَله مثلَ قولِهم: «ما رأيته مذ شبَّ إلى دَبَّ» وقولِه عليه السلام: «وأَنْهاكم عن قيلَ وقال»، ورُدَّ عليه بأنَّ أل لا تدخُل على المنقولِ من فعلٍ ماضٍ، وبأنه كان ينبغي أن يجوزَ إعرابُه كنظائرِه، وعنه قولٌ آخر أنَّ أصلَه «أوان» فحُذِفَتِ الألفُ ثم قُلبت الواو ألفاً، فعلى هذا ألفُه عن واو، وقد أدخله الراغبُ في باب «أين» فتكون ألفُه عن ياء، والصوابُ الأول.

ينظر: **«الدر المصون»** (١/ ٢٦٠، ٢٦١).

(٥) أخرجه الطبري (١/ ٣٩٧) برقم (١٢٧٩) بلفظ: «من كثرة قيمتها» قال العلامة أحمد شاكر: «وفيه أبو معشر بن عبد الرحمن السندي المدني، وهو ضعيف». ، وذكره السيوطي في **«الدر»** (١/ ١٥٢)، وعزاه لابن جرير، وذكره الشوكاني في **«تفسيره»** (١/ ١٦٣).

ذلك خوف الفَضيحة في أمر القاتل[١].

و ﴿ٱدَّارَٰٔتُمۡ﴾: معناه: تدافَعْتُم قتْلَ القتيل، و ﴿فِيهَا﴾، أي: في النَّفْس.

وقوله تعالى: ﴿ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَا﴾: آية من اللَّه تعالَىٰ علَىٰ يدَيْ موسَىٰ عليه السلام أن أمرهم أن يضربوا ببعض البقرة القتيلَ، فَيَحْيَىٰ ويخبر بقاتله، فقيل: ضربوه، وقيل: ضربوا قبره؛ لأن ابن عباس ذكر أنَّ أمر القتيل وقع قَبْل جواز البَحْر، وأنهم داموا في طلب البقرة أربعين سنَةً.

وقوله تعالى: ﴿كذلك يُحْيِي اللَّه المَوْتَىٰ...﴾ الآيَةَ: في هذه الآية حض على العبرة، ودلالةٌ على البعث في الآخرة، وظاهرها أنها خطاب لبني إسرائيل حينئذ، حُكِيَ لمحمَّد ﷺ؛ ليعتبر به إلى يوم القيامة.

وذهب الطبريُّ إلى أنها خطاب لمعاصِري محمَّد ﷺ، وأنها مقطوعة من قوله: ﴿ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَا﴾، وروي أن هذا القتيل لما حَيِيَ، وأخبر بقاتله، عاد ميتاً كما كان.

﴿ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿ثم قست قلوبُكُمْ...﴾ الآية: أي: صلبت وجفَّت، وهي عبارة عن خلوِّها من الإنابة والإذعان لآيات اللَّه تعالَىٰ، قال قتادة وغيره: المراد قلوب بني إسرائيل جميعاً في معاصيهم، وما ركبوه بعد ذلك[٢]، و «أَوْ»: لا يصحُّ أن تكون هنا للشكِّ، فقيل: هي بمعنى «الواو»، وقيل: للإضراب، وقيل: للإبهام، وقيل غير ذلك[٣].

---

(١) أخرجه الطبري (١/ ٣٩٩) برقم (١٢٩٢) عن وهب بن منبه كان يقول: «إن القوم إذ أمروا بذبح البقرة، إنما قالوا لموسى «أتتخذونا هزوا»؛ لعلمهم بأنهم سيفتضحون إذا ذبحت، فحادوا عن ذبحها»، وذكره ابن عطية في تفسيره (١/ ١٦٥)، والقرطبي (١/ ٣٨٧)، عن وهب بن منبه.

(٢) ذكره ابن عطية الأندلسي في تفسيره (١/ ١٦٦) عن أبي العالية وقتادة.

(٣) في «أو» خمسة أقوال:

أظهرها: أنها للتفصيل بمعنى أنَّ النَّاظرينَ في حالِ هؤلاء منهم مَنْ يُشَبِّهُهُمْ بحال المستوقدِ الذي هذه صفتُهُ، ومنهم مَنْ يُشَبِّهُهُمْ بأصحاب صَيِّبٍ هذه صفتُه.

الثاني: أنها للإبهام، أي: إن اللَّه أبهم على عباده تشبيهَهم بهؤلاء أو بهؤلاء. =

وقوله تعالى: ﴿وإن من الحجارة. . .﴾ الآية: معذرةٌ للحجارة، وتفضيلٌ لها على قلوبهم، قال قتادة: عذر اللَّه تعالى الحجارة، ولم يعذِر شقيَّ بني آدم[1].

* ت *: وروى البَزَّار عن النبيِّ ﷺ؛ أنه قال: «أَرْبَعَةٌ مِنَ الشَّقَاءِ: جُمُودُ العَيْنِ، وَقَسَاوَةُ القَلْبِ، وَطُولُ الأَمَلِ، وَالْحِرْصُ عَلَى الدُّنْيَا»[2]. انتهى من «الكوكبِ الدُّرِّيِّ» لأبي

= **الثالث**: أنها للشَّكِّ، بمعنى أن الناظر يَشُكُّ في تشبيههم.
الرابع: أنها للإباحة.
الخامس: أنها للتخيير، أي: أُبيح للناس أن يشبِّهوهم بكذا أو بكذا، وخُيِّروا في ذلك. وزاد الكوفيون فيها معنيين آخرين:
أحدُهما: كونُها بمعنى الواو، وأنشدوا: [البسيط]

جاء الخلافةَ أو كانَتْ له قَدَراً ... كما أتى ربَّه موسى على قَدَرِ

والثاني: كونُها بمعنى بل، وأنشدوا: [الطويل]

بَدَتْ مثل قَرْن الشمسِ في رَوْنَقِ الضُّحَى ... وصورتِها أَوْ أَنْتَ في العينِ أَمْلَحُ

أي: بل أنت.
ينظر: «**الدر المصون**» (١/ ١٣٤ـ ١٣٥).

(١) أخرجه الطبري (١/ ٤٠٨) برقم (١٣٢٣)، وذكره السيوطي في «**الدر**» (١/ ١٥٦)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير.

(٢) أخرجه البزار (٣٢٣٠ـ كشف)، وابن الجوزي في «**الموضوعات**» (٣/ ١٢٥) من طريق هانىء بن المتوكل عن عبد اللَّه بن سليمان عن إسحاق بن عبد اللَّه بن أبي طلحة عن أنس مرفوعاً.
وقال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح عن رسول اللَّه ﷺ، ففيه هانىء بن المتوكل. قال ابن حبان: كثرت المناكير في روايته، لا يجوز الاحتجاج به. وقال ابن الجوزي: وعبد اللَّه بن سليمان مجهول.
وذكره الهيثمي في «**مجمع الزوائد**» (١٠/ ٢٢٩)، وقال: رواه البزار، وفيه هانىء بن المتوكل، وهو ضعيف.
وتعقب السيوطي ابن الجوزي في «**اللالىء**» (٢/ ٣١٢) بما لا طائل تحته، فقال: أورده في «**الميزان**» في ترجمة هانىء، وقال: حديث منكر .اهـ.
والحديث ذكره الحافظ في «**اللسان**» (٦/ ١٨٦ـ ١٨٧) وقال: أورده البزار في مسنده، وقال: عبد اللَّه بن سليمان روى أحاديث لم يتابع عليها.، وأما هانىء فقال ابن القطان: لا يعرف حاله. كذا قال. وقال أبو حاتم الرازي: أدركته ولم أكتب عنه .اهـ. وللحديث طريق آخر:
أخرجه ابن عدي في «**الكامل**» (٣/ ١٠٩٩)، وأبو نعيم في «**تاريخ أصبهان**» (١/ ٢٤٦)، (٢/ ٣٢٣)، وابن الجوزي في «**الموضوعات**» (٣/ ١٢٥) كلهم من طريق سليمان بن عمرو النخعي عن إسحاق بن عبد اللَّه بن أبي طلحة عن أنس مرفوعاً.
وقال ابن عدي: هذا الحديث وضعه سليمانُ عَلَىٰ إسحاقَ.
وقال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح عن رسول اللَّه ﷺ، أبو داود النخعي، قال أحمد ويحيى: كان يضع الأحاديث، قال ابن عدي: وضع هذا على إسحاق. وللحديث طريق ثالث:
أخرجه أبو نعيم في «**الحلية**» (٦/ ١٧٥) من طريق الحسن بن عثمان: ثنا أبو سعيد المازني، ثنا=

العباس أحمد بن سَعْد التُّجِيبِيُّ، قال الغَزَّاليُّ في «**المِنْهَاج**»: واعلم أن أول الذنب قسوةٌ، وآخره، والعياذ باللَّه، شؤمٌ وشِقْوَةٌ، وسوادُ القلْب يكون من الذنوب، وعلامةُ سواد القلب ألاَّ تجد للذنوب مفزعاً، ولا للطاعات موقعاً، ولا للموعظة منجعاً. انتهى.

وقيل في هبوط الحجارة: تفيُّؤ ظلالها، وقيل: إن اللَّه تعالى يخلُقُ في بعض الأحجار خشيةً وحياةً، يهبط بها من عُلْوٍ تواضعاً، وقال مجاهد: ما تردَّىٰ حجرٌ من رأسِ جبلٍ، ولا تَفَجَّرَ نهر من حَجَر، ولا خَرَج ماء منه، إلا من خشية اللَّه عز وجلَّ؛ نزل بذلك القرآن[1]، وقال مثله ابْنُ جُرَيْجٍ[2].

وقوله تعالى: ﴿أفتطمعون أن يؤمنوا لكم...﴾ الآية: الخطاب للمؤمنين من أصحاب محمَّد ﷺ؛ وذلك أن الأنصار كان لهم حرص على إسلام اليهود للحلْف والجِوَار الذي كان بينهم، ومعنى هذا الخطابِ التقرير/ على أمر فيه بُعْد؛ إذ قد سلف لأسلاف هؤلاء اليهودِ أفاعيلُ سوءٍ، وهؤلاء على ذلك السَّنَن. ٢٥ ب

وتحريفُ الشيء: إمالته من حالٍ إلى حال، وذهب ابن عبَّاس إلى أن تحريفهم وتبديلهم؛ إنما هو بالتأويل، ولفْظُ التوراة باقٍ[3]، وذهب جماعة من العلماء؛ إلى أنهم بدَّلوا ألفاظاً من تلقائهم، وأنَّ ذلك ممكن في التوراة؛ لأنهم ٱستحفظُوها، وغير ممكن في القرآن؛ لأن اللَّه تعالى ضَمِنَ حفظه.

قلْتُ: وعن ابن إسحاق؛ أن المراد بـ «الفريقِ» هنا طائفةٌ من السبعين الذين سمعوا كلامَ اللَّه مع موسى. انتهى من «**مختصر الطبريِّ**»؛ وهذا يحتاج إلى سند صحيح.

﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ

= حجاج بن منهال عن صالح المري عن يزيد الرقاشي عن أنس مرفوعاً.
وقال أبو نعيم: تفرد برفعه متصلاً عن صالح حجاجٌ.
وهذا الشاهد ذكره السيوطي في «**اللالىء**» (٢/ ٣١٣)، ولم يتكلم عليه.
وقال ابن عراق في «**تنزيه الشريعة**» (٢/ ٣٠١) قلت: فيه مضعفون .اهـ.
يقصد رحمه اللَّه صالح المري ويزيد الرقاشي. وأخرجه البيهقي في «**شعب الإيمان**» (٧/ ٤٠٧) رقم (١٠٧٨٣) عن محمد بن واسع من قوله.

(١) أخرجه الطبري (١/ ٤٠٨) برقم (١٣٢١)، وذكره السيوطي في «**الدر**» (١/ ١٥٦)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير.
(٢) أخرجه الطبري (١/ ٤٠٨) برقم (١٣٢٦)، وذكره القرطبي (١/ ٣٩٥).
(٣) ذكره ابن عطية (١/ ١٦٨).

عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ ﴾

وقوله تعالى: ﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا...﴾ الآية: المعنى: وهم أيضاً، إذا لُقُوا يفعلون هذا، فكيف يُطْمَع في إيمانهم، ويحتمل أن يكون هذا الكلام مستأنَفاً؛ فيه كشف سرائرهم؛ وَرَدَ في التفسير؛ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «لاَ يَدْخُلَنَّ عَلَيْنَا قَصَبَةَ[1] المَدِينَةِ إلاَّ مُؤْمِنٌ»، فقال كَعْبُ بن الأشْرَفِ وأشباهه: اذهبوا وتحسَّسوا أخبارَ من آمَنَ بمحمَّد، وقولوا لهم: آمنا، واكْفُرُوا إذا رجعتم، فنزلتْ هذه الآية، وقال ابن عبَّاس: نزلَتْ في المنافقين من اليهود[2]، وروي عنه أيضاً أنها نزلَتْ في قومٍ من اليهود، قالوا لبعض المؤمنين: نحن نؤمن أنه نبيٌّ، ولكن ليس إلَيْنا، وإنما هو إليكم خاصَّة، فلما خلوا، قال بعضهم: لم تُقِرُّونَ بنبوءته[3]، وقال أبو العالية وقتادةُ: إن بعض اليهود تكلَّم بما في التوراة من صفة النبيِّ ﷺ فقال لهم كفرةُ الأحبار: ﴿أتحدِّثونهم بما فتح اللَّه عليكم﴾ أي: عرَّفكم من صفة محمَّد ﷺ[4].

و ﴿يُحَاجُّوكُمْ﴾: من الحجة، و ﴿عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾: معناه: في الآخرة.

وقول تعالى: ﴿أفلا تعقلون﴾: قيل: هو من قول الأحبار لَلأتباعِ، وقيل: هو خطابٌ من اللَّه تعالَىٰ للمؤمنين، أي: أفلا تعقلون أن بني إسرائيل لا يؤمنون، وهم بهذه الأحوال.

و ﴿أُمِّيُّونَ﴾ هنا: عبارةٌ عن عامَّة اليهود، وجهلتهم، أي: أنهم لا يطمع في إيمانهم لما غمرهم من الضَّلاَل، والأُمِّيُّ في اللغة: الذي لا يكتب ولا يقرأ في كتابٍ؛ نُسِبَ إلى الأُمِّ؛ إما لأنه بحالِ أمِّه من عَدَمِ الكتب، لا بحال أبيه؛ إذ النساء ليس من شغلهن الكَتْبُ؛ قاله الطبريُّ؛ وإما لأنه بحال ولَدته أمه فيها، لم ينتقل عنها.

و ﴿الكتاب﴾: التوراة.

---

(١) قصبة البلد: مدينته، وقيل: معظمه، والقصبة: جوف الحصن، يبنى فيه بناء هو أوسطه، والقصبة: القرية. وقصبة القرية: وسطها.
ينظر: «لسان العرب» (٣٦٤١).

(٢) أخرجه الطبري (١/ ٤١٣) برقم (١٣٣٩)، وذكره السيوطي في «الدر» (١/ ١٥٧)، وعزاه لابن جرير. وذكره ابن عطية الأندلسي في «التفسير» (١/ ١٦٨).

(٣) ذكره ابن عطية الأندلسي في «تفسيره» (١/ ١٦٨).

(٤) ذكره السيوطي في «الدر» (١/ ١٥٨)، وعزاه لعبد بن حميد.

والأَمَانِيُّ: جمع أُمْنِيَّة، واختلف في معنى ﴿أَمَانِيّ﴾، فقالت طائفة: هي ههنا من: تمنَّى الرجل، إذا ترجَّىٰ، فمعناه أن منهم من لا يكْتُب ولا يقرأ، وإنما يقول بظنِّه شيئاً سمعه، فيتمنَّىٰ أنه من الكتاب.

وقال آخرون: هي من تمنَّىٰ إذا تلا، ومنه قول الشاعر: [الطويل]

تَمَنَّىٰ كِتَابَ اللَّهِ أَوَّلَ لَيْلِهِ ... وَآخِرَهُ لاَقَىٰ حِمَامَ المَقَادِرِ[1]

فمعنى الآية: أنهم لا يَعْلَمُون الكتاب إلاَّ سماع شيْءٍ يُتْلَىٰ، لا عِلْمَ لهم بصحَّته.

وقال الطبريُّ: هي من تَمَنَّى الرجُلِ، إذا حدَّث بحديث مختلَقٍ كذبٍ، أي: لا يعلمون الكتاب إلا سماعَ أشياء مختلَقَةٍ من أحبارهم، يظنُّونها من الكتاب.

* ص[2] *: ﴿وإن هم إلا يظنون﴾: «إِنْ»: نافية؛ بمعنى «مَا». انتهى.

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله...﴾ الآية.

٢٦أ قال الخليلُ: «الوَيْلُ»: شِدَّةُ الشر، وهو مصدر،/ لا فِعْلَ له، ويجمع على وَيْلاَتٍ، والأحسن فيه إذا انفصل: الرفْعُ؛ لأنه يقتضي الوقُوعَ، ويصحُّ النصب على معنى الدُّعَاء، أي: ألزمه اللَّه وَيْلاً، ووَيْلٌ ووَيْحٌ ووَيْسٌ تتقاربُ في المعنى، وقد فرق بينها قوم.

وروَىٰ سفيانُ، وعطاءُ بنُ يَسارٍ؛ أن الوَيْلَ في هذه الآية وادٍ يجري بفناءِ جهنَّم من صديد أهل النار[3].

---

(١) البيت من شواهد «المحرر الوجيز» (١/١٦٩) و «البحر المحيط» (١/٤٣٦)، و «الدر المصون» (١/٢٦٩).

(٢) «المجيد» ص ٣٠٨.

(٣) أخرجه الطبري (١/٤٢٣) برقم (١٣٩٩) بلفظ «وادٍ في جهنم لو سيرت فيه الجبال لانماعت من شدة حره»، وذكره السيوطي في «الدر» (١/١٥٩)، وعزاه لابن مبارك في «الزهد»، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «البعث».

وروى أبو سعيد الخُدْرِيُّ عن النبيِّ ﷺ «أنه وادٍ في جهنَّم بيْن جبَلَيْنِ يَهْوِي فيه الهاوِي أربعِينَ خَرِيفاً»[١].

وروى عثمانُ بن عفَّانَ عن النبيِّ ﷺ «أنه جَبَلٌ مِنْ جِبَالِ النَّار»[٢]، والذين يكْتُبُونَ: هم الأَحْبَارُ والرؤساءُ.

و ﴿بأيديهم﴾ قال ابن السَّرَّاج[٣]: هي كناية عن أنه من تلقائهم دون أن ينزل عليهم، والذي بدَّلوه هو صفة النبيِّ ﷺ؛ ليستديمُوا رياستهم ومكاسبهم، وذكر السُّدِّيُّ؛ أنهم كانوا يكتبون كتباً يبدِّلون فيها صفةَ النبيِّ ﷺ ويبيعونَهَا من الأَعراب، ويبثُّونها في أتباعهم، ويقولون هي من عند اللَّه[٤]، والثَّمَنُ: قيل: عَرَضُ الدنيا، وقيل: الرُّشَا والمآكلُ التي كانتْ لهم، و ﴿يَكْسِبُونَ﴾ معناه: من المعاصي، وقيل: من المال الذي تضمنه ذكر الثَّمَن.

وقوله تعالى: ﴿وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودةً...﴾ الآية: روى ابن زَيْد وغيره؛ أنَّ سببها أن النبيَّ ﷺ قَالَ لِلْيَهُودِ: «مَنْ أَهْلُ النَّارِ؟ فَقَالُوا: نَحْنُ، ثُمَّ تَخْلُفُونَا أَنْتُمْ،

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٢٠) كتاب «تفسير القرآن»، باب سورة الأنبياء، حديث (٣١٦٤)، وأحمد (٣/ ٧٥)، وعبد بن حميد في «**المنتخب من المسند**» رقم (٩٢٤)، وأبو يعلى (٢/ ٥٢٣) رقم (١٣٨٣)، وابن حبان (٢٦١٠ـ موارد)، والطبري (٢٩/ ١٥٥)، والحاكم (٤/ ٥٩٦)، ونعيم بن حماد في «**زوائده**» على «**الزهد**» لابن المبارك رقم (٣٣٤)، والبيهقي في «**البعث والنشور**» (ص ٢٧١) رقم (٤٦٤) من طرق عن دراج أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً.
وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي قلت: وسنده ضعيف؛ لضعف دراج كما هو معروف، وبعضهم يقبل حديثه عن أبي الهيثم.
قال الحافظ في «**التقريب**» (١/ ٢٣٥): دراج صدوق في حديثه عن أبي الهيثم، ضعيف.
والحديث ذكره السيوطي في «**الدر المنثور**» (١/ ١٥٩)، وزاد نسبته إلى هناد، وابن أبي الدنيا في «**صفة النار**»، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٤٢٢) عن عثمان.

(٣) محمد بن السري بن سهل، أبو بكر: أحد أئمة الأدب والعربية. من أهل «بغداد»، كان يلثغ بالراء فيجعلها غيناً. ويقال: ما زال النحو مجنوناً حتى عقله ابن السراج بأصوله. مات شاباً. وكان عارفاً بالموسيقى. من كتبه: «**الأصول**» في النحو، و «**شرح كتاب سيبويه**»، و«**الشعر والشعراء**»، و «**الخط والهجاء**»، و «**المواصلات والمذكرات في الأخبار**». توفي في سنة ٣١٦هـ.
ينظر: «**بغية الوعاة**» (٤٤)، و «**طبقات النحويين واللغويين**» (١٢٢)، و «**نزهة الألباء**» (٣١٣)، و «**الأعلام**» (٦/ ١٣٦).

(٤) أخرجه الطبري (١/ ٤٢٢) برقم (١٣٩١)، وذكره السيوطي في «**الدر**» (١/ ٦٦٠)، وعزاه لابن أبي حاتم.

فَقَالَ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ؛ لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّا لاَ نَخْلُفُكُمْ» فنزلَتْ هذه الآية[١].

قال أهل التفسير: العهد في هذه الآية: الميثاقُ والموعد، و «بَلَىٰ» رد بعد النفْيِ بمنزلة «نَعَمْ» بعد الإيجاب[٢]، وقالت طائفة: السيئة هنا الشرك؛ كقوله تعالَىٰ: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ [النمل: ٩٠] والخَطِيئاتُ: كبائر الذنوب، قال الحسن بن أبي الحسن، والسُّدِّيُّ: كل ما توعد اللَّه عليه بالنار، فهي الخطيئة المحيطَةُ[٣]، والخلودُ في هذه الآية على الإطلاق والتأبيد في الكُفَّار، ومستعار؛ بمعنى الطُّول في العُصَاة، وإن علم انقطاعه.

قال محمَّد بن عبد اللَّه اللَّخْمِيُّ في مختصره للطبريِّ: أجمعتِ الأمَّة علَىٰ تخليد مَنْ مات كافراً، وتظاهرت الرواياتُ الصحيحةُ عن الرسُول ﷺ والسلفِ الصالح، بأن عصاة أهل التوحيد لا يخلَّدون في النار، ونطق القرآن بـ ﴿أَنَّ اللَّه لا يغفر أَنْ يشرَكَ به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [النساء: ١١٦] لكن من خاف على لَحْمه ودَمِه، اجْتَنَبَ كل ما جاء فيه الوعيدُ، ولم يتجاسَرْ على المعاصي؛ اتكالاً علَىٰ ما يرى لنفسه من التوحيد، فقد كان السلف وخيار الأمة يخافُون سلْب الإيمان على أنفسهم، ويخافون النفاقَ عليها، وقد تظاهرتْ بذلك عنهم الأخبار. انتهى.

وقوله تعالى: ﴿والذين آمنوا...﴾ الآية: يدلُّ هذا التقسيم على أن قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً...﴾ الآية في الكفار، لا في العصاة؛ ويدل على ذلك أيضاً قوله: ﴿وأحاطت﴾؛ لأن العاصي مؤمنٌ، فلم تحط به خطيئاته؛ ويدل على ذلك أيضاً أن الردَّ كان على كُفَّارٍ ادَّعَوْا أنَّ النَّارَ لا تَمَسُّهم إلا أياماً معدودةً، فهم المراد بالخلود، واللَّه أعلم.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ

---

(١) أخرجه الطبري (١/ ٤٢٦) برقم (١٤٦٢). وذكره السيوطي في «الدر» (١/ ١٦٣)، وعزاه لابن جرير.

(٢) ينظر: «مغني اللبيب» ص ١١٣، ص ٣٤٦، ص ٣٤٨.

(٣) أخرجه الطبري (١/ ٤٣٠) برقم (١٤٣٨) عن الحسن، وذكره السيوطي في «الدر» (١/ ١٦٤)، وعزاه لوكيع.

أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾

وقوله تعالى: ﴿وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل. . .﴾ الآية: أخذ اللّه سبحانه الميثاق عليهم على لسان موسَىٰ ـ عليه السلام ـ وغيره من أنبيائهم، وأخْذ الميثاق قولٌ، فالمعنى: قلنا لهم: ﴿لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ. . .﴾ الآية، قال سيبوَيْهِ: «لا تعبدون: متلق لقسم»؛ والمعنى: وإذ ٱستخلفناهم، واللَّهِ/ لا تعبدونَ إلاَّ اللَّه، وفي الإحسان تدخل أنواع بِرِّ الوالدين كلُّها، واليُتْم في بَنِي آدمَ: فَقْدُ الأبِ، وفي البهائم فَقْدُ الأمِّ، وقال ﷺ: «لاَ يُتْمَ بَعْدَ بُلُوغٍ وَالْمِسْكِينُ الَّذِي لاَ شَيْءَ لَهُ»، وقيل: هو الذي له بُلْغَةٌ، والآية تتضمَّن الرأفة باليتامَىٰ، وحيطة أموالهم، والحضّ على الصدقة، والمواساة، وتفقُّد المساكين. ٢٦ ب

وقوله تعالى: ﴿وقولوا للناس حُسْناً﴾: أمر عطف على ما تضمَّنه ﴿لا تعبدون إلا اللَّه﴾ وما بعده، وقرأ حمزة والكسَائِيُّ[(١)]: «حَسَناً»؛ بفتح الحاء والسين، قال الأخفش[(٢)]: وهما بمعنى واحدٍ، وقال الزجَّاج[(٣)] وغيره: بل المعنَىٰ في القراءة الثانية، وقولوا «قَوْلاً حَسَناً»؛ بفتح الحاء والسين، أو قولاً ذا حُسْن بضم الحاء وسكون السين في الأولى؛ قال ابن عبَّاس: معنى الكلام قولُوا للنَّاس: لا إله إلا اللَّه، ومُرُوهم بها[(٤)]، وقال ابن جُرَيْج: قولوا لهم حُسْناً في الإعلام بما في كتابكم من صفة محمَّد ﷺ[(٥)]، وقال سفيانُ الثَّوْرِيُّ[(٦)]:

---

(١) ينظر: «العنوان» (٧٠)، و «حجة القراءات» (١٠٣)، و «الحجة» (٢/ ١٢٦)، و «شرح الطيبة» (٤/ ٤٤)، و «شرح شعلة» (٢٦٧)، و «إتحاف» (١/ ٤٠١)، و «معاني القراءات» للأزهري (١/ ١٦٠).
والكسائي هو: علي بن حمزة بن عبد اللّه الأسدي بالولاء، الكوفي، أبو الحسن الكسائي: إمام في اللغة والنحو والقراءة. من تصانيفه: «معاني القرآن»، و «المصادر»، و «الحروف»، و «القراءات»، و «النوادر»، و «المتشابه في القرآن»، و «ما يلحن فيه العوام». توفي بـ «الري» في «العراق» سنة ١٨٩هـ.
ينظر: «ابن خلكان» (١/ ٣٣٠)، «تاريخ بغداد» (١١/ ٤٠٣)، «الأعلام» (٤/ ٢٨٣).

(٢) «معاني القرآن» (١/ ٣٠٨)، و «المحتسب» (٢/ ٣٦٣).

(٣) «معاني القرآن» (١/ ١٦٤).

(٤) أخرجه الطبري (١/ ٤٣٢) برقم (١٤٥٠) من طريق سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس. وذكره السيوطي في «الدر» (١/ ١٦٥)، وعزاه لابن جرير.

(٥) ذكره ابن عطية في تفسيره (١/ ١٧٣) عن ابن جريج.

(٦) سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبد اللّه بن موهب بن منقذ بن نصر بن الحكم بن الحارث بن مالك بن ملكان بن ثور بن عبد مناة بن أدّ بن طابخة على الصحيح، وقيل: من ثَوْر هَمْدَان، الثوري، أبو عبد اللّه الكوفي، أحد الأئمة الأعلام، كان من الفضلاء، وكان لا يسمع شيئاً إلاّ حفظه، كان متقناً ضابطاً زاهداً ورعاً. ولد سنة سبع وسبعين، وتوفي بـ «البصرة» سنة ١٦١هـ. =

معناه: مروهم بالمَعْروف، وأنْهُوهم عن المُنْكَر[١]، وقال أبو العالية: قولوا لهم الطيبَ من القول، وحاوِرُوهم بأحسن ما تُحِبُّونَ أن تحاوروا به[٢]، وهذا حضٌّ على مكارم الأخلاق، وزكاتُهم هي التي كانوا يَضعُونها، وتنزل النار على ما تُقُبِّلَ منها، دون ما لم يتقبل.

٢٧أ

وقوله تعالى: ﴿ثم توليتم...﴾ الآية: خطابٌ لمعاصري النبيِّ ﷺ أسند إليهم تولّي أسلافهم؛ إذ هم كلُّهم بتلك السبيل، قال نحوه ابنُ عَبَّاس وغيره[٣]. والمراد بالقليلِ المستثنَىٰ جميعُ مؤمنيهم قديماً من أسلافهم، وحديثاً كابن سَلاَم وغيره، والقِلَّة علَىٰ هذا هي في عدد الأشخاصِ، ويحتمل أن تكون القِلَّة في الإيمان، والأول أقْوَىٰ.

* ص[٤] *: ﴿إلاَّ قليلاً﴾: منصوب على الاستثناء، وهو الأفصح؛ لأنه استثناءٌ من موجب، وروى عن أبي عَمرو[٥]: «إلاَّ قَلِيلٌ»؛ بالرفع، ووجَّهه ابن عطية علَىٰ بدل قليل من ضمير: «تَوَلَّيْتُمْ» على أن معنى «تَوَلَّيْتُم» النفي، أي: لم يف بالميثاق إلا قليل، ورد بمنع النحويِّين البدل من الموجب؛ لأن البدل يحل محلَّ المبدل منه، فلو قلْت: قام إلا زيد، لم يجز؛ لأن «إلاَّ» لا تدخل في الموجب، وتأويله الإيجاب بالنفْي يلزم في كل موجب بأعتبار نفي ضده أو نقيضه؛ فيجوز إذَنْ: «قَامَ القَوْمُ إلاَّ زَيْدٌ»؛ على تأويل: «لَمْ يَجْلِسُوا إلاَّ زَيْدٌ» ولم تبن العَرَب علَىٰ ذلك كلامها، وإنما أجازوا: «قام القَوْمُ إلاَّ زَيْدٌ»؛ بالرفع على الصفة، وقد عقد سيبوَيْه[٦] لذلك باباً في كتابه. انتهى.

و ﴿دماءكم﴾: جمع دَمٍ، وهو اسمٌ منقوصٌ. أصله «دَمَيٌ»؛ ﴿ولاَ تُخرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ

= ينظر: «الخلاصة» (١/ ٣٩٦) (٢٥٨٤)، «ابن سعد» (٦/ ٢٥٧ـ ٢٦٠)، و «الحلية» (٦/ ٣٥٦ـ ٤٩٣)، و (٧/ ٣ـ ١٤١).

(١) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (١/ ١٧٣) عن سفيان الثوري.

(٢) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (١/ ١٧٣) عن أبي العالية.

(٣) أخرجه الطبري (١/ ٤٣٨) برقم (١٤٦٥) بلفظ: «أي تركتم ذلك كله»، وذكره السيوطي في «الدر» (١/ ١٦٥)، وعزاه لابن إسحاق، وابن جرير، وابن أبي حاتم.

(٤) «المجيد» ص ٣١٩.

(٥) ينظر: «المحرر الوجيز» (١/ ١٧٣)، و «البحر المحيط» (١/ ٤٥٥)، و «الدر المصون» (١/ ٢٨٠)، و «حاشية الشيخ زادة على البيضاوي» (١/ ٣٤٥).
وهو زبان (وقيل غير ذلك) أبو عمرو بن العلاء، البصري، أحد القراء السبعة، قرأ على سعيد بن جبير، وشيبة بن نصاح، وعاصم بن أبي النجود، روى القراءة عنه عرضاً وسماعاً حسين بن علي الجعفي، وخارجة بن مصعب، مات سنة ١٥٤هـ.
ينظر: «غاية النهاية» (١/ ٢٨٨)، و «طبقات الزبيدي» (ص ٣٥).

(٦) ينظر: «الكتاب» (٢/ ٣٣٠ـ ٣٣١).

مِنْ دِيَارِكُمْ﴾: معناه: ولا ينفي بعضكم بعضاً بالفتنة والبغْي، وكذلك حكم كلّ جماعة تخاطب بهذا اللفظ في القول.

وقوله تعالى: ﴿ثم أقررتم﴾، أي: خَلفاً بعد سَلَف، أن هذا الميثاق أخذ عليكم، وقوله: ﴿وأنتم تشهدون﴾ قيل: الخطابُ يُرادُ به من سلف منهم، والمعنى: وأنتم شهود، أي: حُضور أخْذ الميثاق والإقرار.

وقيل: المراد: من كان في مدة محمَّد ﷺ والمعنَىٰ: وأنتم شهداء، أي: بيِّنةَ أن الميثاق أخذ على أسلافكم، فمنْ بعدهم منكُمْ.

وقوله تعالى: ﴿ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم...﴾ الآية: ﴿هؤلاءِ﴾ دالَّةٌ على أن المخاطبة للحاضرين لا تحتمل ردًّا إلى الأسلاف، قيل: تقدير الكلام:/ يا هؤلاءِ، فحذف ٢٧ ب
حرف النداء، ولا يحسن حذفه عند سيبوَيْه[1]، مع المبهمات.

وقال الأستاذ الأَجَلُّ أبو الحسن بْن أحمد[2] .....

---

(١) إلى مذهب سيبويه والبصريين أشار ابن مالك بقوله: [الرجز]

وَذَاكَ فِي ٱسْمِ الْجِنْسِ وَالْمُشَارِ لَه قَلَّ، وَمَنْ يَمْنَعْهُ فَٱنْصُرْ عَاذِلَهْ

أي: ذاك التعرّي من حرف النداء يكون مع اسم الجنس، واسم الإشارة ـ كما في الآية ـ قليلاً، وهو مذهب الكوفيين، وأما من منع الحذف معهما ـ وهم البصريون وسيبويه ـ فهم محجوجون بما روي من أشعار العرب مما لا يمكن رَدُّه، فمما ورد في اسم الإشارة قوله: [الطويل]

إِذَا هَمَلَتْ عَيْنِي لَهَا قَالَ صَاحِبِي بِمِثْلِكَ ـ هَذَا ـ لَوْعَةٌ وَغَرَامُ

وقوله: [البسيط]

إِنَّ الأُلَىٰ وَصَفُوا قَوْمِي لَهُمْ فَبِهِمْ هَذَا ـ ٱعْتَصِمْ، تَلْقَ مَنْ عَادَاكَ مَخْذُولاَ

وقوله: [الخفيف]

ذَا، ٱرْعِوَاءً، فَلَيْسَ بَعْدَ ٱشْتِعَالِ الرْ رَأْسِ شَيْباً إِلَى الصِّبَا مِنْ سَبِيلِ

وجعل منه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ ـ هَؤُلاَءِ ـ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٨٥].

واعلم أن هذا الحذف مع اسم الجنس واسم الإشارة مقيس مطرد عند الكوفيين، وأما مذهب البصريين وسيبويه فشاذٌ أو ضرورة؛ كما أشار المصنف إليه بمنع سيبويه الحذف.

(٢) قال أبو حيان: وهو أبو الحسن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري، من أهل بلدنا «غرناطة»، يعرف بابن الباذش، وهو والد الإمام أبي جعفر أحمد مؤلف كتاب «الإقناع» في القراءات، وله اختيارات في النحو، حدث بكتاب سيبويه عن الوزير أبي بكر محمد بن هشام المصحفي، وعلق عنه في النحو على كتاب **«الجمل»** و **«الإيضاح»**، ومسائل من **«كتاب سيبويه»**.

وقال السيوطي: وفي **«تاريخ غَرْناطة»**: أوحد في زمانه إتقاناً ومعرفة، وتفرّداً بعلم العربيّة، ومشاركة في غيرها. حسن الخطّ، كبير الفَضْل، مشاركاً في الحديث، عالماً بأسماء رجاله ونقَلته، مع الدين والفَضْل=

٢٧٤ ـــــــ

وقرأ حمزة[١]: «أَسْرَىٰ تُفْدُوهُمْ»، و ﴿أُسَارَىٰ﴾: جمع أَسِيرٍ، مأخوذ من الأَسْر، وهو الشَّدُّ، ثم كثر ٱستعماله؛ حتى لزم، وإن لم يكنْ ثَمَّ رَبْطٌ ولا شَدٌّ، وأَسِيرٌ: فَعِيلٍ: بمعنَىٰ مفعول، و ﴿تُفَادُوهُمْ﴾: معناه في اللغة: تطلقونهم بعد أن تأخذوا عنهم شيئاً، وقَالَ الثَّعْلَبِيُّ: يقال: فَدَىٰ، إذا أعطى مالاً، وأخذ رجلاً، وفَادَىٰ، إذا أعطى رجلاً، وأخذ رجُلاً فتُفْدُوهم: معناه بالمالِ، وتُفَادُوهم، أي: مفادات الأسير بالأسير. انتهى.

* ت *: وفي الحديث من قوْل العَبَّاس رضي اللَّه عنه: «فَإِنِّي فَادَيْتُ نَفْسِي وعَقِيلاً»، وظاهره لا فَرْق بينهما.

وقوله تعالى: ﴿أفتؤمنون ببَعْضِ الكتابِ وتكفرون ببعض...﴾ الآية: والذي آمنوا به فداءُ الأسارَىٰ، والذي كَفَرُوا به قتْلُ بعضهم بعضاً، وإِخراجُهُمْ من ديارهم، وهذا توبيخٌ لهم وبيانٌ لقبح فعلهم، والخِزْيُ: الفضيحة، والعقوبة، فقيل: خزيهم: ضرْبُ الجزية عليهم غابَر الدهر، وقيل: قتل قريظة، وإِجلاءُ النضير، وقيل: الخزْيُ الذي تتوعَّد به الأمة من الناسِ هو غلبةُ العدوِّ.

و ﴿الدُّنْيَا﴾: مأخوذةٌ من دَنَا يدْنُو، وأصل الياء فيها واوٌ، ولكن أبدلتْ فرقاً بين الأسماء والصفات، و﴿أَشَدّ العَذَابِ﴾: الخلودُ في جهنم.

وقوله تعالى: ﴿وما اللَّه بغافل عما يَعْمَلُونَ﴾ قرأ نافعٌ، وابن كَثِيرٍ[٢] بياءٍ على ذِكْر الغائب، فالخطاب بالآية لأمة محمَّد ﷺ والآية واعظةٌ لهم بالمعنَىٰ، إذ اللَّه تعالَىٰ بالمرصاد لكل كافر وعاص.

وقرأ الباقون بتاء؛ على الخطاب لمن تقدَّم ذكره في الآية قبل هذا؛ وهو قوله: ﴿أَفَتؤمِنُونَ ببعض الكتاب...﴾ الآية، وهو الأظهر، ويحتمل أن يكون لأمة محمَّد ﷺ فقد رُوِيَ؛ أنَّ عمر بن الخَطَّاب ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: «إِنَّ بنِي إِسرائيل قد مضَوْا، وأنتم الذين تُعْنَوْنَ بهذا، يا أمة محمَّد؛ يريد هذا، وما يجري مجراه[٣]/. ٢٨ ب

---

(١) وقرأ الجماعة غير حمزة «أسارى»، وقرأ هو أسرى، وقرىء «أسارى» بفتح الهمزة.
ينظر: «الحجة للقراء السبعة» (٢/ ١٤٣)، و «حجة القراءات» (١٠٤)، و «العنوان» (٧٠)، و «إتحاف» (١/ ٤٠٢)، و «شرح الطيبة» (٤/ ٤٥)، و «شرح شعلة» (٢٦٨)، و «البحر المحيط» (١/ ٤٥٩).

(٢) ينظر: «حجة القراءات» (١٠٥)، وشرح «طيبة النشر» (٤/ ٤٠)، وشرح «شعلة» (٢٦٦)، و «إتحاف فضلاء البشر» (١/ ٤٠٣).

(٣) ذكره ابن عطية الأندلسي في «تفسيره» (١/ ١٧٦).

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَقَلِيلٗا مَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿أولئك الذين اشتروا الحياةَ الدنيا بالآخرة...﴾ الآية: جعل اللَّه ترك الآخرةِ، وأخْذَ الدنيا عوضاً عنها، مع قدرتهم على التمسُّك بالآخرة ـ بمنزلة من أخذها، ثم باعها بالدنيا، ﴿فلا يخفَّف عنهم العذاب﴾، في الآخرة، ﴿وَلاَ هُمْ يُنْصَرُونَ﴾؛ لا في الدنيا، ولا في الآخرة.

* ص[1] *: ﴿ولقد آتينا موسى الكتابَ﴾: «اللام» في «لَقَدْ»: يحتمل أن تكون توكيداً، ويحتمل أن تكون جواب قسم، وموسَىٰ هو المفعول الأول، والكتاب الثانِي، وعكس السُّهَيْلِيُّ.

و ﴿مَرْيَمُ﴾: معناه في السُّرْيانية: الخَادَم، وسميت به أمُّ عيسَىٰ، فصار علماً عليها. انتهى.

و ﴿الكتاب﴾: التوراةُ.

﴿وقفَّيْنَا﴾: مأخوذ من القَفَا؛ تقول: قَفَيْتُ فُلاَناً بِفُلاَنٍ، إذا جئتَ به من قبل قَفَاه، ومنه: قَفَا يَقْفُو، إذا اتبع، وكلُّ رسول جاء بعد مُوسَىٰ، فإنما جاء بإثبات التوراة، والأمر بلزومها إلى عيسَى ـ عليهم السلام ـ.

و ﴿البينات﴾: الحججُ التي أعطاها اللَّه عيسَىٰ.

وقيل: هي آياته من إحياء، وإبراء، وخَلْق طَيْرٍ، وقيل: هي الإنجيل، والآية تعم ذلك.

﴿وَأَيَّدْنَاهُ﴾: معناه: قويْناه، والأَيْدُ القوة.

قال ابن عبَّاس: ﴿رُوح القُدُس﴾: هو الاسم الذي كان يُحْيِي به الموتَىٰ[2]، وقال ابن زِيْد: هو الإنجيل؛ كما سمَّى اللَّه تعالَى القرآن رُوحاً[3]، وقال السُّدِّيُّ، والضَّحَّاك،

---

(١) «المجيد» (ص ٣٣١).
(٢) أخرجه الطبري (١/٤٤٩) برقم (١٤٩٤)، وذكره السيوطي في «الدر» (١/١٦٧).
(٣) أخرجه الطبري (١/٤٤٩) برقم (١٤٩٣) عن ابن زيد.

والربيع، وقتادة: ﴿رُوحُ القُدُس﴾: جبريلُ ـ عليه السلام[١] ـ؛ وهذا أصحُّ الأقوال، وقد قال النبيُّ ﷺ لِحَسَّان: «اهْجُ قُرَيْشاً، وَرُوحُ القُدُسِ مَعكَ»[٢] ومرةً قال له: «وَجِبْرِيلُ مَعَكَ»، و ﴿كُلَّمَا﴾: ظرف؛ والعامل فيه: ﴿اسْتَكْبَرْتُمْ﴾، وظاهر الكلامِ الاستفهامُ، ومعناه التوبيخُ؛ روي أن بني إسرائيل كانوا يقتلون في اليومِ ثلاثمائة نبيٍّ، ثم تقوم سوقُهم آخر النهار، وروي سبعين نبيًا، ثم تقومُ سوق بَقْلِهِمْ آخر النهار.

والهَوَىٰ أكثر ما يستعمل فيما ليس بحقٍّ، وهو في هذه الآية من ذلك؛ لأنهم إنما كانوا يَهْوَوْنَ الشهوات، ومعنَىٰ: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾، أي: عليها غشاواتٌ، فهي لا تفقه، قاله ابن عبَّاس. ثم بيَّن تعالَىٰ سبب نُفُورهم عن الإيمان إنما هو أنهم لُعِنُوا بما تقدَّم من كفرِهِم واجترامِهِمْ، وهذا هو الجزاء على الذنبِ بذنْب أعظم منه، واللعن: الإبعاد والطرد.

و ﴿قَلِيلاً﴾: نعتٌ لمصدرٍ محذوفٍ، تقديره: فإيماناً قَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ، والضميرُ في «يُؤْمِنُونَ» لحاضري محمَّد ﷺ منْهُمْ؛ ومَا في قوله: ﴿مَا يؤْمِنُونَ﴾ زائدةٌ موكِّدَة[٣].

---

(١) أخرجه الطبري (١/ ٤٤٨) بأرقام (١٤٨٨ـ ١٤٨٩ـ ١٤٩٠ـ ١٤٩١) عن قتادة، والسدي، والضحاك، والربيع.

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ٣٥١) كتاب «بدء الخلق»، باب ذكر الملائكة، حديث (٣٢١٣)، (٧/ ٤٨٠) كتاب «المغازي»، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب، حديث (٤١٢٣، ٤١٢٤)، (١٠/ ٥٦٢) كتاب «الأدب»، باب هجاء المشركين، حديث (٦١٥٣)، ومسلم (٤/ ١٩٣٣) كتاب «فضائل الصحابة»، باب فضائل حسابن بن ثابت، حديث (١٥٣/ ٢٤٨٦)، وأحمد (٤/ ٢٩٩، ٣٠٢)، وابن حبان (٧١٤٦)، والطحاوي في **«شرح معاني الآثار»** (٤/ ٢٩٨)، والبيهقي (١٠/ ٢٣٧)، والطبراني في **«الكبير»** (٣٥٨٨، ٣٥٨٩، ٣٥٩٠) كلهم من طريق عدي بن ثابت عن البراء بن عازب به.

(٣) قال السمين الحلبي: في نصب «قليلاً» ستة أوجه:

أحدُها وهو الأظهرُ: أنه نعتٌ لمصدرٍ محذوفٍ أي: فإيماناً قليلاً يُؤمنون.

الثاني: أنه حالٌ من ضمير ذلك المصدرِ المحذوفِ أي: فيؤمنونه أي الإيمانَ في حالِ قلَّته، وقد تقدَّم أنه مذهب سيبويه وتقدَّم تقريره.

الثالث: أنه صفةٌ لزمان محذوفٍ، أي: فزماناً قليلاً يؤمنون، وهو كقوله: ﴿آمنوا بالذي أُنْزِل على الذين آمنوا وجهَ النهار واكفُروا آخرَه﴾.

الرابع: أنه على إسقاطِ الخافض والأصل: فبقليل يؤمنون، فلمَّا حُذِفَ حرفُ الجرِّ انتصب، ويُعْزَى لأبي عبيدة.

الخامس: أن يكونَ حالاً من فاعل «يؤمنون»، أي فجَمْعاً قليلاً يؤمنون أي المؤمِنُ فيهم قليلٌ، قال معناه ابنُ عباس وقتادة. إلا أن المهدوي قال: «ذهب قتادة إلى أنَّ المعنى: فقليلٌ منهم مَنْ يؤمن»، وأنكره النحويون، وقالوا: لو كانَ كذلك لَلَزِمَ رفعُ «قليل». قلت: لا يلزَم الرفعُ مع القول بالمعنى الذي ذهب إليه قتادة لما تقدَّم من أنَّ نصبَه على الحالِ وافٍ بهذا المعنى. و «ما» على هذه الأقوالِ كلها مزيدةٌ للتأكيد. =

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾

وقوله تعالَىٰ: ﴿ولما جاءهم كتابٌ من عند اللَّه...﴾ الآية الكتاب: القرآن، و ﴿مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾: يعني التوراةَ، و ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ معناه أن بني إسرائيل كانوا قبل مَبْعَثِ رسولِ اللَّه ﷺ قد علموا خروجه بما علموا عنْدَهُمْ من صفته، وذكر وقته، وظنُّوا أنه منهم، فكانوا إذا حاربوا الأوْسَ والخَزْرجَ، فغلبتهم العَرَبُ، قالوا لهم: لو قد خرج النبيُّ الذي أظلَّ وقتُهُ، لقاتلْنَاكُم معه، وٱستنصرنا عليكم به، ويَسْتَفْتِحُونَ: معناه يستنصرُونَ، قال أحمد بن نَصْرٍ الداوودِيُّ: ومنه: «عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالفَتْحِ»، أي: بالنصر. انتهى.

١٢٩ وروى أبو بكر/ محمد بن حُسَيْنٍ الأجُرِّيُّ[1] عن ابن عبَّاس، قال: كانت يهودُ خَيْبَرَ

= **السادس**: أن تكونَ «ما» نافيةً أي: فما يؤمنون قليلاً ولا كثيراً، ومثلُه: ﴿قليلاً ما تشكرون﴾ [السجدة: ٩]، ﴿قليلاً ما تَذَكَّرون﴾ [النمل: ٦٢]، وهذا قويٌ من جهة المعنى، وإنما يَضْعُفُ شيئاً من جهةِ تقدُّم ما في حَيِّزها عليها، قاله أبو البقاء، وإليه ذهب ابن الأنباري، إلا أنَّ تقديمَ ما في حيزها عليها لم يجزِه البصريون، وأجازه الكوفيون. قال أبو البقاء: «ولا يَجُوز أَنْ تكونَ «ما» مصدريةً، لأن «قليلاً» يبقى بلا ناصبٍ». يعني أنَّك إذا جَعَلْتَها مصدريةً كان ما بعدَها صلتَها، ويكون المصدرُ مرفوعاً بـ «قليلاً» على أنه فاعلٌ به فأين الناصبُ له؟ وهذا بخلافِ قولِه: ﴿كانوا قليلاً من الليلِ ما يَهْجعون﴾ [الذاريات: ١٧] فإنَّ «ما» هناك يجوزُ أن تكونَ مصدريةً لأنَّ «قليلاً» منصوبٌ بـ كانَ. وقال الزمخشري: «ويجوزُ أن تكونَ القِلَّةُ بمعنى العَدَم».

قال أبو حيان: «وما ذهبَ إليه من أنَّ «قليلاً» يُراد به النفيُ فصحيحٌ، لكنْ في غير هذا التركيب»، أعني قوله تعالى: ﴿فقليلاً ما يؤمنون﴾ [البقرة: ٨٨] لأنَّ «قليلاً» انتصَبَ بالفعلِ المثبتِ فصار نظيرَ «قُمْتُ قليلاً» أي: قمتُ قياماً قليلاً، ولا يَذْهَبُ ذاهبٌ إلى أنَّك إذا أَتَيْتَ بفعلٍ مُثْبَتٍ وجَعَلْتَ «قليلاً» منصوباً نعتاً لمصدرِ ذلك الفعلِ يكونُ المعنى في المُثْبَتِ الواقعِ على صفةٍ أو هيئةٍ انتفاءَ ذلك المُثْبَتِ رأساً وعدَمَ وقوعِه بالكلِّية، وإنما الذي نَقَل النحويون: أنَّه قد يُراد بالقلة النفيُ المَحْضُ في قولهم: «أَقَلُّ رجلٍ يقول ذلك، وقَلَّما يقوم زيد»، وإذا تقرَّر هذا فَحَمْلُ القلةِ على النفي المَحْض هنا ليس بصحيح» انتهى. قلت: ما قاله أبو القاسم الزمخشري ـ رحمه اللَّه ـ من أنَّ معنى التقليلِ هنا النفيُ قد قال به الواحديُّ قبلَه، فإنه قال: «أيْ: لا قليلاً ولا كثيراً، كما تقول: قَلَّما يفعلُ كذا، أي: ما يفعله أصلاً».

ينظر: «**الدر المصون**» (١/ ٢٩٧).

(١) محمد بن الحسين بن عبد اللَّه، أبو بكر الآجري: فقيه شافعي، محدث، نسبته إلى «آجر» (من قرى=

يُقَاتِلُونَ غَطَفَانَ، فكُلَّمَا ٱلْتَقَوْا، هزمت اليهودَ، فَعَاذَ اليهودُ يوماً بالدعاء، فقالوا: اللهم، إنا نسألكَ بحَقِّ محمَّدٍ النبيِّ الأُمِّيِّ الذي وعدتَّنَا أن تخرجَهُ لَنَا في آخر الزمان إلاَّ نَصَرْتَنا علَيْهم، فكانوا إذا ٱلْتَقَوْا، دعوا بهذا الدعاء، فهزموا غَطَفَانَ، فلما بُعِثَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ كَفَرُوا به، فأنزل اللَّه عزَّ وجلَّ، ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، والاستفتاحُ: الاستنصار، ووقع ليهود المدينة نحو هذا مع الأنصار قُبَيْل الإسلام[1]. انتهى من تأليف حسن بن عليِّ بن عبد المَلْكِ الرّهونيِّ المعروفِ بابْنِ القَطَّان، وهو كتابٌ نفيسٌ جِدًّا ألَّفه في معجزات النبيِّ ﷺ وآيات نبوءته.

وروي أن قريظة والنضير وجميعَ يَهُودِ الحجازِ في ذلك الوقْتِ كانوا يستفتحون علَىٰ سائر العرب، وبسبب خروج النبيِّ المنتظر، كانت نقلتهم إلى الحجاز، وسُكْناهم به، فإنهم كانوا علموا صُقع[2] المَبْعَث، وما عرفوا هو محمَّد ﷺ وشرعه؛ ويظهر في هذه الآية العنادُ منهم، وأن كفرهم كان مع معرفة ومعاندة و ﴿لَعْنَةُ اللَّهِ﴾ إبعاده لهم، وخزيهم لذلك.

و ﴿بِئْسَ﴾: أصله «بَئِسَ»، سُهِّلت الهمزة، ونقلت حركتها إلى الباء، و «مَا» عند سيبويه[3]: فَاعِلَةٌ بـ «بِئْسَ» والتقدير: بِئْسَ الذي ٱشْتَرَوْا به أنفسُهُمْ.

= «بغداد») ولد فيها، وحدث بـ «بغداد» قبل سنة ٣٣٠، ثم انتقل إلى «مكة»، فتنسك وتوفي فيها ٣٦٠هـ، له تصانيف كثيرة، منها: **«أخبار عمر بن عبد العزيز»**، و **«أخلاق حملة القرآن»**.

ينظر: **«الأعلام»** (٦/ ٩٧)، **«وفيات الأعيان»** (١: ٤٨٨)، و **«الرسالة المستطرفة»** (٣٢)، و **«صفة الصفوة»** (٢/ ٢٦٥)، و **«النجوم الزاهرة»** (٤/ ٦٠).

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٢٦٣) وقال الذهبي: عبد الملك متروك هالك.

(٢) الصُّقع: ناحية الأرض والبيت.. وفلان من أهل هذا الصقع، أي من أهل هذه الناحية.
ينظر: **«لسان العرب»** (٢٤٧٢).

(٣) ذهب الفراء إلى أنها مع «بِئْسَ» شيءٌ واحد رُكِّبَ تركيبَ «حَبَّذا»، نَقَله ابنُ عطية، ونَقَلَ عنه المهدوي أنه يُجَوِّز أن تكونَ «ما» مع بئسَ بمنزلة كلِّما، فظاهرُ هذين النقلين أنها لا محلَّ لها. وذهب الجمهورُ إلى أنَّ لها مَحَلاً، ثم اختلفوا: محَلُّها رفعٌ أو نصبٌ؟ فذهب الأخفشُ إلى أنها في محلِّ نصبٍ على التمييزِ والجملةُ بعدَها في محلِّ نصبِ صفةً لها، وفاعلُ بئس مضمرٌ تُفَسِّرُه «ما»، والمخصوصُ بالذمِّ هو قولُه: «أَنْ يكفروا» لأنه في تأويلِ مصدرٍ، والتقدير: بِئْس هو شيئاً اشتَرَوا به كفرُهم، وفيه قال الفارسي في أحدِ قوليه، واختاره الزمخشري، ويجوزُ على هذا أن يكونَ المخصوصُ بالذمِّ محذوفاً، و «اشتَرَوا» صفةً له في محلِّ رفعٍ تقديرُه: بئس شيئاً شيءٌ أو كفرٌ اشتروا به، كقولِه: [الطويل]

لَنِعْمَ الفَتَى أَضْحَى بأَكْنَافِ حَائِلٍ

أي: فتًى أَضحى، و «أَنْ يكفروا» بدلٌ من ذلك المحذوفِ، أو خبرُ مبتدأ محذوفٍ أي: هو أَنْ يكفروا. وذهبَ الكسائي إلى أنَّ «ما» منصوبةُ المحلِّ أيضاً، لكنه قَدَّر بعدها «ما» أخرى موصولةً بمعنى الذي، وجعل الجملةَ مِنْ قولِه: «اشتَرَوا» صلتها، و «ما» هذه الموصولةُ هي المخصوصُ بالذمِّ، والتقديرُ: بئس=

و﴿ٱشْتَرَوْا﴾: بمعنى: بَاعُوا.

و ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾، يعني به القرآن، ويحتمل التوراة، ويحتمل أن يراد الجميع من توراة، وإنجيل، وقرآن؛ لأن الكفر بالبعض يستلزمُ الكفر بالكلِّ، و ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾، يعني: من النبوءة والرسالة، و ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾، يعني به محمَّداً ﷺ؛ لأنهم حَسَدوه لما لم يكن منهم، وكان من العرب، ويدخلُ في المعنَىٰ عيسَىٰ ﷺ؛ لأنهم كفروا به بَغْياً، واللَّه قد تفضَّل عليه.

و ﴿بَاءُو﴾: معناه: مَضَوْا متحمِّلين لما يذكر؛ أنهم بَاءُوا به.

وقال البُخَاريُّ: قال قتادة: ﴿بَاءُو﴾: معناه: ٱنْقَلَبُوا[1]. انتهى.

= شيئاً الذي اشتروا به أنفسهم، فلا محلَّ لـ «اشتروا» على هذا، ويكونُ «أَنْ يكفروا» على هذا القولِ خبراً لمبتدأ محذوفٍ كما تقدَّم، فتلخَّص في الجملة الواقعةِ بعد «ما» على القولِ بنصبِها ثلاثةُ أقوالٍ، أحدُها: أنها صفةٌ لها فتكونُ في محلِّ نصب أو صلةٌ لـ «ما» المحذوفةِ فلا محلَّ لها أو صفةٌ للمخصوصِ بالذم فتكونُ في محلِّ رفع.

وذهب سيبويه إلى أنَّ موضعَها رفعٌ على أنَّها فاعلُ بئس، فقال سيبويه: هي معرفةٌ تامةٌ، التقديرُ: بئس الشيءُ، والمخصوصُ بالذمِّ على هذا محذوفٌ أي شيءٌ اشتَرَوا به أنفسَهم، وعُزي هذا القولُ أيضاً للكسائي. وذهب الفراء والكسائي أيضاً إلى أنَّ «ما» موصولةٌ بمعنى الذي والجملةُ بعْدَها صلتُها، ونقلَه ابن عطية عن سيبويه، وهو أحدُ قَوْلَيْ الفارسي، والتقدير: بئسَ الذي اشتَروا به أنفسَهم أَنْ يكفرُوا، فأَنْ يكفروا هو المخصوصُ بالذمِّ.

قال أبو حيان: «وما نَقَلَه ابنُ عطية عن سيبويه وَهْمٌ عليه». ونقل المهدوي وابن عطية عن الكسائي أيضاً أن «ما» يجوزُ أن تكونَ مصدريةً، والتقديرُ: بئسَ اشتراؤُهم، فتكونُ «ما» وما في حَيِّزها في محلِّ رفعٍ. قال ابنُ عطية: «وهذا معترضٌ بأنَّ «بِئْسَ» لا تَدْخُل على اسمٍ معيَّنٍ يتعرَّفُ بالإضافةِ للضمير».

قال أبو حيان: «وهذا لا يَلْزَم إلا إذا نَصَّ أنه مرفوعُ بئس، أمَّا إذا جعله المخصوصَ بالذمِّ وجعل فاعلَ «بئس» مضمراً والتمييزُ محذوفٌ لفهم المعنى، والتقدير: بئسَ اشتراءَ اشتراؤُهم فلا يَلْزَمُ الاعتراضُ» قلت: وبهذا ـ أَعْني بجَعْلِ فاعلِ بئسَ مضمراً فيها ـ جَوَّز أبو البقاء في «ما» أَنْ تكونَ مصدريةً، فإنه قال: «والرابعُ أن تكونَ مصدريةً أي: بئسَ شِراؤُهم، وفاعلُ بئسَ على هذا مضمرٌ لأنَّ المصدر ههنا مخصوصٌ ليس بجنسٍ» يعني فلا يكونُ فاعلاً، لكن يُبْطِلُ هذا القولَ عَوْدُ الضمير في «به» على «ما» والمصدريةُ لا يعودُ عليها، لأنها حرفٌ عند الجمهور، وتقديرُ أَدِلَّةِ كلِّ فريق مذكورٌ في المُطَوَّلات. فهذه نهايةُ القولِ في «بئسما» و «نِعِمَّا» واللَّهُ أعلم.

ينظر: «**الدر المصون**» (١/ ٢٩٩ـ ٣٠٠)، و «**الكتاب**» (١/ ٤٧٦).

(١) علقه البخاري في «**صحيحه**» (٨/ ١١) كتاب «التفسير» وقال الحافظ في «**الفتح**» (٨/ ١٢): وصله عبد بن حميد.

و ﴿بِغَضَبٍ﴾ معناه من اللّه تعالى؛ لكفرهم بمحمّد ﷺ علَىٰ غَضَبٍ متقدّم من اللّه تعالَىٰ عليهم، قيل: لعبادتهم العِجْلَ.

وقيل: لكفرهم بعيسَىٰ ـ عليه السلام ـ فالمعنَىٰ: عَلَىٰ غَضَبٍ قد باءَ به أسلافهم، حظُّ هؤلاءِ منْهُ وافرٌ؛ بسبب رضاهم بتلك الأفعال، وتصويبِهِمْ لها.

و ﴿مَهِينٌ﴾: مأخوذ من «الهَوَانِ»، وهو الخلود في النَّار؛ لأن من لا يخلد من عصاة المسلمين، إنما عذابه كعذابِ الذي يقام عليه الحدُّ، لا هوان فيه، بل هو تطهيرٌ له.

وقوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم﴾، يعني لليهود: ﴿آمنوا بما أنزل اللّه﴾ على محمّد ﷺ، وهو القرآن، ﴿قالوا نؤمن بما أنزل علينا﴾ يعنون: التوراةَ، ﴿ويكفرون بما وراءه﴾؛ قال قتادة: أي: بما بعده[1]، قال الفَرَّاء[2]. أي: بما سواه[3]، ويعني به: القرآن، ووصف تعالى القرآن؛ بأنه الحق و ﴿مصدِّقاً﴾: حالٌ مؤكِّدة؛ عند سيبَوَيْهِ.

وقوله تعالى: ﴿قل فلم تقتلون أنبياء اللّه من قبلُ إن كنتمُ مؤمنين﴾ ردٌّ من اللّه تعالى عليهم، وتكذيبٌ لهم في ذلك، واحتجاجٌ عليهم.

﴿۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿ولقد جاءكم موسَىٰ بالبيناتِ﴾: ﴿البيِّناتُ﴾: التوراةُ، والعصَا، وفَرْقُ البَحْرِ، وسَائِرُ الآياتِ، وَ ﴿خُذُوا مَا/ آتَيْنَاكُمْ﴾: يعني: التوراةَ والشرْعَ ﴿بقوَّة﴾، أي: ٢٩ ب

(١) أخرجه الطبري (١/ ٤٦٣) برقم (١٥٥٩)، وذكره ابن عطية الأندلسي في «تفسيره» (١/ ١٧٩).

(٢) هو: يحيى بن زياد بن عبد اللّه بن مروان، الديلمي، إمام العربية، أبو زكريا، المعروف بـ «الفراء»، كان أعلم الكوفيين بالنحو بعد الكسائي، كان يميل إلى الاعتزال، من تصانيفه: «معاني القرآن» و «المذكر والمؤنث»، و «الحدود» في الإعراب وغيرها. توفي (٢٠٧هـ).

ينظر ترجمته في: «تاريخ بغداد» (١٤/ ١٤٩)، و «بغية الوعاة» (٢/ ٣٣٣)، و «النجوم الزاهرة» (٢/ ٨٥).

(٣) ينظر: «معاني الفراء» (١/ ٦٠)، و «الطبري» (٢/ ٣٤٨)، و «الوسيط» (١/ ١٧٤)، و «بحر العلوم» (١/ ١٣٧).

بعزمٍ، ونشاطٍ. وجِدٍّ.

﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ العِجْلَ﴾: أي: حبَّ العجْلِ، والمعنى: جُعِلَتْ قلوبهم تَشْربه، وهذا تشبيهٌ ومجازٌ عبارة عن تمكُّن أمر العِجْل في قلوبهم.

وقوله تعالى: ﴿بكفرهم﴾ يحتمل أن تكون باء السببِ، ويحتمل أن تكون بمعنى «مَعَ».

وقوله تعالى: ﴿قل بئسما يأمركم به إيمانكم﴾ أمر لمحمَّد ﷺ أن يوبِّخهم؛ لأنَّه بئس هذه الأشياء التي فَعَلْتُمْ، وأمركم بها إِيمانُكُم الذي زعمتُمْ في قولكم: ﴿نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾.

وقوله تعالى: ﴿قل إن كانت لكم الدار الآخرة...﴾ الآية: أمر لمحمَّد ﷺ أنْ يوبِّخهم، والمعنَىٰ: إن كان لكم نعيمُهَا وحُظْوَتُهَا، وخيرها، فذلك يقتضي حرْصَكُم على الوصُول إليها، ﴿فتمنَّوُا المَوْتَ﴾، والدَّارُ: اسمُ «كان»، و «خَالِصَة»: خبرها و﴿مِنْ دُونِ النَّاسِ﴾ يحتملُ أن يراد بـ «النَّاس»: محمَّدٌ ﷺ، ومن تبعه، ويحتمل أن يراد العموم، وهذه آية بيِّنة أعطاها اللَّه رسولَهُ محمَّداً ﷺ؛ لأن اليهود قالَتْ: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة: ١٨]، وشبه ذلك من القول، فأمر اللَّه نبيَّه أن يدعوهم إلى تمنِّي الموت، وأن يعلمهم أنه من تمنَّاه منهم مات، ففعل النبيُّ ﷺ ذلك، فعلموا صدْقَهُ، فَأَحْجَمُوا عن تمنِّيه فَرَقاً من اللَّه؛ لِقبحِ أفعالهم ومعرفتهم بكذبِهم، وحرصاً منهم على الحَيَاة، وقيل: إن اللَّه تعالى منعهم من التمنِّي، وقصرهم على الإمساك عنه؛ لتظهر الآية لنبيِّه ﷺ.

* ت *: قال عِيَاضٌ[1]: ومن الوجوه البَيِّنة في إعجاز القُرْآن آيٌ وردتْ بتعجيز قومٍ في قضايا[2]، وإعلامهم أنهم لا يفعلونها، فما فَعَلُوا ولا قَدَرُوا علَىٰ ذلك؛ كقوله تعالىٰ لليهود: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً[3]...﴾ الآية: قال أَبُو إِسْحَاقَ الزَّجَاج[4] في هذه الآية: أعظم حجة، وأظهر دلالة على صحَّة الرسالة؛ لأنهُ قال لهم: ﴿فَتَمَنَّوُا المَوْتَ﴾ وأعلمهم أنهم لَنْ يتمنَّوْهُ أبداً، فلم يتمنَّهُ وَاحِدٌ منهم، وعن النبيِّ صلى الله

---

(١) ينظر: «الشفا» (ص ٣٨٢ـ ٣٨٣).

(٢) قضايا: جمع قضية، وهي الحادثة الواقعة في حكم قضاء اللَّه (تعالى) وقدره.

(٣) خالصة: خاصة بكم.

(٤) «معاني القرآن» (١/ ١٧٦).

تعالى عليه وسلم «والَّذي نَفْسِي بيَدِهِ، لا يقولها رجُلٌ منهم إلا غَصَّ بِرِيقِهِ»[١]، يعني: يموتُ مكانه، قال أبو محمَّدٍ الأصيليُّ[٢]: من أَعجب أمرهم؛ أَنَّهُ لا تُوجَدُ منهم جماعةٌ ولا واحدٌ من يومِ أَمَرَ اللَّهُ تعالَىٰ بذلك نبيَّهُ يقدَّم عليه[٣]، ولا يجيب إليه، وهذا موجودٌ مشاهَدٌ لمن أراد أن يمتحنه منهم. انتهى من «الشِّفَا».

والمراد بقوله: ﴿تَمَنَّوا﴾: أريدوهُ بقلوبكم، واسْألوهُ، هذا قَوْلُ جماعة من المفسِّرين، وقال ابن عبَّاس: المراد به السؤالُ فقطْ، وإِن لم يكن بالقَلْب[٤]، ثم أخبر تعالَىٰ عنهم بعجزهم، وأنهم لا يتمنَّونه أبداً، وأضاف ذنوبهم وٱجترامهم إِلى الأيدي؛ إِذ الأَكْثَرُ من كسب[٥] العبد الخير والشرَّ، إِنما هو بِيَدَيْهِ، فحمل جميعُ الأشياء على ذلك.

---

(١) ينظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ١٨٢)، الغصة: ما تقف في الحلق، فتمنع النفس حتى تهلكه، وغص بريقه: وقع الموت به سريعاً.
وقد ورد هذا موقوفاً على ابن عباس، أخرجه الطبري وابن أبي حاتم وينظر: «الدر المنثور» (١/ ١٧٣).

(٢) عبد اللَّه بن إبراهيم بن محمد بن عبد اللَّه بن جعفر، أبو محمد، الأموي، المعروف بالأصيلي: عالم بالحديث، والفقه. من أهل «أصيلة» (في «المغرب») أصله من كورة «شبدونة» ولد فيها سنة ٣٢٤هـ، ورحل به أبوه إلى «أصيلا» من بلاد العدوة، فنشأ فيها، ويقال: ولد في «أصيلا». رحل في طلب العلم، فطاف في «الأندلس» والمشرق، ودخل «بغداد» سنة ٣٥١هـ، وعاد إلى «الأندلس» في آخر أيام المستنصر، فمات بـ «قرطبة»، له كتاب «الدلائل على أمهات المسائل» في اختلاف مالك والشافعي وأبي حنيفة.
ينظر: «الأعلام» (٤/ ٦٣)، و «جذوة المقتبس» (٢٣٩).

(٣) يقدم عليه أي: على تمني الموت. ولا يجيب إليه: أي إلى تمنيه، إذا قيل له: تمنه.

(٤) ذكره السيوطي في «الدر» (١/ ١٧٢) بلفظ: «فاسألوا الموت»، وعزاه لابن جرير.
وذكره ابن عطية الأندلسي في «التفسير» (١/ ١٨١) بلفظ: «السؤال فقط وإن لم يكن بالقلب». قاله ابن عباس.

(٥) الكسب أصله في اللغة: الجمع، قاله الجوهري: وهو طلب الرزق، يقال: كسبت شيئاً واكتسبته بمعنى، وكسبت أهلي خيراً، وكسبت الرجل مالاً فكسب، وهذا مما جاء على فَعَلْتُه ففعل. والكواسب: الجوارح، وتكسب: تكلف الكسب، والكسب قد وقع في القرآن على ثلاثة أوجه:
أحدها: عقد القلب وعزمه، كقوله تعالى: ﴿لا يؤاخذكم اللَّه باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم﴾ [البقرة: ٢٢٥] أي بما عزمتم عليه وقصدتموه.
الوجه الثاني: من الكسب: كسب المال من التجارة، قال تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض﴾ [البقرة: ٢٦٧]. فالأول للتجار، والثاني للزراع.
الوجه الثالث: من الكسب: السعي والعمل، كقوله تعالى: ﴿لا يكلف اللَّه نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾ [البقرة: ٢٨٦] وقوله: ﴿بما كنتم تكسبون﴾ [الأعراف: ٣٩] ﴿وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت﴾ [الأنعام: ٧٠] فهذا كله للعمل، واختلف الناس في الكسب والاكتساب، هل هما بمعنى واحد أم بينهما فرق؟ =

وقوله تعالى: ﴿والله عليم بالظالمين﴾: ظاهره الخبر، ومضمَّنه الوعيدُ؛ لأن اللَّه سبحانه عليمٌ بالظالمينَ، وغيرهمْ، ففائدة تخصيصهم حصولُ الوعيد.

﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾

= فقالت طائفة: معناهما واحد.

قال أبو الحسن علي بن أحمد: وهو الصحيح عند أهل اللغة؛ لا فرق بينهما، وقال ذو الرمة: [البسيط]

ألفى أباه بذاك الكسب يكتسب.

وقال الآخرون: الاكتساب أخص من الكسب؛ لأن الكسب ينقسم إلى كسبه لنفسه ولغيره، ولا يقال: يكتسب، قال الحطيئة: [البسيط]

ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة فاغفر هداك مليك الناس يا عمر

قلت: والاكتساب: افتعال، وهو يستدعي اهتماماً وتعملاً واجتهاداً، وأما الكسب فيصح نسبته بأدنى شيء، ففي جانب الفضل جعل لها ما لها فيه أو في سعي. وفي جانب العدل لم يجعل عليها إلا ما لها فيه اجتهاد واهتمام.

والقائلون بالكسب اختلفوا في حقيقته، فقالت المعتزلة: هو إحداث العبد لفعله بقدرته ومشيئته استقلالاً، وليس للرب منع فيه، ولا هو خالق فعله، ولا مكونه، ولا مريد له.

وقالت الأشعرية: هو مقارنة قدرة العبد لفعله الاختياري في محل واحد هو العبد، بمعنى أنه متى خلق اللَّه القدرة التي هي العرض مقارنة لذلك الفعل، كان ذلك الفعل اختيارياً ومكسوباً للعبد بدون أن يكون لقدرته فيه مدخل أصلاً، وإن لم يخلق اللَّه تلك القدرة المقارنة للفعل، بل خلق الفعل في العبد فقط، كان ذلك الفعل اضطرارياً، ولم يكن مكسوباً للعبد. وهذا الفريق صرح بأن العبد مجبور في الباطن مختار في الظاهر، فهو عنده مجبور في صورة مختار.

ولا يخفى أن هذا المذهب ومذهب الجبرية واحد معنى، فيلزم على كل من المذهبين ما يلزم على الآخر، والتستر بقالب الاختيار، وصورته الظاهرية، المخالفة للواقع لا يفيد.

وقال العلامة الأمير: الكسب هو صرف إرادة العبد إلى الفعل، وهو أمر اعتباري، لا يحتاج لخلق وإيجاد، وبيان ذلك: أن العبد إذا توجهت إرادته لفعل من أفعاله كالصلاة، أوجد اللَّه (تعالى) في العبد شيئين مقترنين أحدهما فعله بالمعنى الحاصل بالمصدر أي حركاته وسكناته. والثاني قدرته المتعلقة بفعله تعلق مقارنة، وتعلقه المذكور هو فعله بالمعنى المصدري، فالسبب هو توجه إرادة العبد، والمسبب شيئان وجوديان أوجدهما المولى تعالى مقترنين وهما فعل العبد وقدرته، فلا يناسب حينئذ جعل أحدهما علة أو شرطاً لآخر، وإنما السبب أو الشرط في إيجاد المؤثر لهما إرادة العبد، لكنه عادي لا عقلي. فإذا قصد العبد فعل الخير خلق اللَّه (تعالى) فيه قدرة فعل الخير، وخلق الخير معها. وإن قصد فعل الشر خلق اللَّه (تعالى) فيه قدرة فعل الشر، وخلق الشر معها. فكان هو المفوت لقدرة فعل الخير؛ لقصده فعل الشر؛ فيستحق الذم.

ينظر: **«أفعال العباد»** لشيخنا عبد الرحمن إبراهيم ص ٥١ ـ ٥٤.

وقوله تعالى: ﴿ولتجدنَّهم أحرص الناس على حياةٍ. . .﴾ الآية: وحرصهم على الحياة لمعرفتهم بذنوبهم، وأن لا خير لهم عند اللَّه تعالَىٰ.

وقوله تعالى: ﴿ومن الذين أشركوا﴾: قيل: المعنى:/ وأحرصُ من الذين أشركوا ١٣٠ لأن مشركِي العَرَبِ لا يعرفون إلا هذه الحياة الدنيا، والضمير في ﴿أحدهم﴾ يعودُ في هذا القول على اليهودِ، وقيل: إن الكلام تَمَّ في حياةٍ، ثم ٱسْتُؤْنِفَ الإخبار عن طائفة من المشركين؛ أنهم يودُّ أحدهم لو يُعمَّر ألف سنَةٍ، والزحزحة الإبعاد والتنحية، وفي قوله تعالى: ﴿واللَّهُ بصيرٌ بما يعملون﴾ وعيدٌ.

وقوله تعالَىٰ: ﴿قُلْ مَنْ كان عدوًّا لجبريل. . .﴾ الآيَةَ: أجمع أهل التفْسير؛ أن اليهود قالتْ: جبريلُ عدوُّنا، واختلف في كيفيَّة ذلك، فقيل: إن يهود فَدَكَ[1] قالوا للنبيِّ ﷺ: «نَسْأَلُكَ عَنْ أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ، فَإِنْ عَرَفْتَهَا، ٱتَّبَعْنَاكَ، فَسَأَلُوهُ عَمَّا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ، فَقَالَ: لُحُومُ الإِبِلِ، وأَلْبَانُهَا، وَسَأَلُوهُ عَنِ الشَّبَهِ فِي الوَلَدِ، فَقَالَ: أَيُّ مَاءٍ عَلاَ، كَانَ لَهُ الشَّبَهُ، وَسَأَلُوهُ عَنْ نَوْمِهِ، فَقَالَ: تَنَامُ عَيْنِي، وَلاَ يَنَامُ قَلْبِي، وَسَأَلُوهُ عَنْ مَنْ يَجِيئُهُ مِنَ المَلاَئِكَةِ، فَقَالَ: جِبْرِيلُ، فَلَمَّا ذَكَرَهُ، قَالُوا: ذَاكَ عَدُوُّنَا؛ لأَنَّهُ مَلَكُ الحَرْبِ، وَالشَّدَائِدِ، وَالجَدْبِ، وَلَوْ كَانَ الَّذِي يَجِيئُكَ مِيكَائِيلُ مَلَكُ الرَّحْمَةِ، وَالخِصْب، والأَمْطَار، لاَتَّبَعْنَاكَ».

وَفِي جِبْرِيلَ لغاتٌ:

جِبْرِيلُ[2]؛ بكسر الجيم والراء من غير همز، وبها قرأ نافع، وجَبْرِيلُ، بفتح الجيم

---

(١) بالتحريك، وآخره كاف: قرية بـ «الحجاز»، بينها وبين «المدينة» يومان. وقيل: ثلاثة، أفاءها اللَّه (تعالى) على رسوله (عليه السلام) صلحاً. فيها عين فوّارة ونخل.
ينظر: «**مراصد الاطلاع**» (٣/ ١٠٢٠).

(٢) قرأ نافع وابن عامر وأبو عمرو وحفص: «جِبْرِيلَ» بكسر الجيم والراء، جعلوا (جبريل) اسماً واحداً على وزن (قِطْمير)، وحجتهم قول الشاعر:

وجبريل رسول اللَّه فينا ... وروح القدس ليس له كِفاء

وقرأ حمزة والكسائي: «جَبْرَئِيلَ» بفتح الجيم والراء مهموزاً، قال الشاعر:

شهدنا فما تلقى لنا من كتيبة ... مدى الدهر إلا جَبْرَئيل أمامُها

وحجتهم ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إنما جبرئيل وميكائيل» كقولك عبد اللَّه وعبد الرحمن، (جَبْر) هو العبد، و (إيل) هو اللَّه، فأضيف (جَبْر) إليه وبني فقيل (جبرئيل).
وقرأ ابن كثير «جَبْرِيل» بفتح الجيم وكسر الراء مثل (سَمْوِيل) وهو اسم طائر. قال عبد اللَّه بن كثير: رأيت رسول اللَّه ﷺ في المنام فأقرأني «جَبْرِيل» فأنا لا أقرأ إلا كذلك.
وقرأ يحيى عن أبي بكر: «جَبْرَئِل» على وزن (جَبْرَعِل) وهذه لغة تميم وقيس.
ينظر: «**العنوان في القراءات السبع**» (٧١)، و «**حجة القراءات**» (١٠٧)، و «**الحجة**» (٢/ ١٦٣)، و«**شرح طيبة النشر**» (٤/ ٥٠)، و«**شرح شعلة**» (٢٧٠)، و «**معاني القراءات**» للأزهري (١/ ١٦٧).

وكسر الراء من غير همز، وبها قرأ ابن كثير، وروي عنه؛ أنه قال: رأيْتُ النَّبِيَّ ﷺ في النَّوْمِ وهو يَقْرَأُ: جَبْرِيلَ وَمِيكَالَ، فلا أزال أقرأها أبداً كذلك.

* ت *: يعني، واللَّه أعلم: مع اعتماده علَىٰ روايتها، قال الثعلبيُّ: والصحيح المشهورُ عن ابْن كَثِيرٍ ما تقدَّم من فتح الجيم، لا ما حُكِيَ عنه في الرؤْيَا من كَسْرها. انتهى.

وذكر ابن عبَّاس وغيره؛ أنَّ جِبْر، ومِيك، وإِسْرَاف هي كلُّها بالأعجميَّة بمعنَىٰ عَبْد ومملُوك، وإِيلُ: اللَّهُ[1].

وقوله تعالَىٰ: ﴿فإنه نزَّله على قلبك﴾ الضمير في «إِنَّهُ» عائد على اللَّه تعالَىٰ، وفي «نَزَّلَهُ» عائدٌ على «جِبْرِيل»، أي: بالقرآن، وسائر الوحْي، وقيل: الضمير في «إِنَّهُ» عائدٌ على جبريل، وفي «نَزَّلَهُ» عائد على القرآن، وخص القلب بالذِّكْر؛ لأنه موضع العقْل والعلْم، وتلقِّي المعارف.

و ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: معناه: بعلْمه وتمكينه إياه من هذه المنزلة، و ﴿مُصَدِّقاً﴾: حالٌ من ضمير القرآن في «نزَّلَهُ»، و ﴿مَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: ما تقدَّمه من كتب اللَّه تعالَىٰ، ﴿وهُدًى﴾، أي: إرشاد.

﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾﴾

---

(١) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (١/ ١٨٣).

وقوله تعالى: ﴿مَنْ كان عدوًا للَّه. . .﴾ الآيةَ: وعيدٌ وذمٌّ لمعادِي جبريلَ، وإعلام أن عداوة البعض تقتضي عداوةَ اللَّهِ لهم، وعطف جبريل وميكائل على الملائكة، وقد كان ذكْر الملائكة عمَّهما؛ تشريفاً لهما؛ وقيل: خُصَّا لأن اليهود ذكروهما، ونزلَتِ الآية بسببهما؛ فذكرا لئلا تقول اليهود: إنا لم نُعَادِ اللَّه، وجميعَ ملائكتِهِ، وعداوةُ العبدِ للَّه هي مَعْصِيَتُهُ، وتركُ طاعته، ومعاداةُ أوليائه، وعداوةُ اللَّه للعبْدِ تعذيبُهُ وإظهار أثر العداوة عليه.

وقوله تعالى: ﴿أو كلَّما عاهدوا عهْداً. . .﴾ الآيةَ: قال سيبوَيْه[1]: «الواو للعطف، دخلت عليها ألف الاستفهام»، والنبذ: الطَّرْح، ومنه المنبوذ، والعَهْد الذي نبَذُوه: هو ما أُخِذَ عليهم في التوراة من أمر النبيِّ ﷺ ﴿ولما جاءهم رسُولٌ من عند اللَّه﴾ هو محمَّد ﷺ و ﴿مصدِّقٌ﴾: نعْتٌ لرسولٍ، وكتابُ اللَّه: القُرْآن، وقيل: التوراة؛ لأن مخالفتها نبذٌ لَهَا، و ﴿ورَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾؛ مَثَلٌ؛ لأن ما يجعل ظهريًّا، فقد زال النظَر إلَيْه جملةً، والعرب تقول: جَعَلَ هذا الأمْرَ وراءَ ظهره، ودَبْرَ أُذُنِهِ.

وَ ﴿كَأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾: تشبيهٌ بمن لا يَعْلَم/ فيجيء من اللفظ أنهم كفروا على عِلْمٍ. ٣٠ ب

وقوله تعالى: ﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطينُ. . .﴾ الآية: يعني اليهود، و ﴿تَتْلُوا﴾: قال عطاءٌ: معناه: تقرأ[2]، وقال ابن عبَّاس: ﴿تَتْلُوا﴾: تتبع[3]، و ﴿عَلَىٰ مُلْكِ سليمان﴾، أي: على عهد مُلْكِ سليمانَ، وقال الطبريُّ: ﴿اتَّبَعُوا﴾: بمعنى: فَضَّلُوا، و ﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَان﴾، أي: على شرعه ونبوءته، والَّذي تلته الشياطينُ، قيل: إنهم كانوا يلقون إلى الكهنة الكَلِمَةَ من الحَقِّ معها المائةُ من الباطل؛ حتى صار ذلك علمهم، فجمعه سُلَيْمَانُ، ودفَنَه تحْت كرسيِّه، فلما مات، أخرجته الشياطينُ، وقالت: إن ذلك كان علْمَ سُلَيْمَان.

---

(١) اختلف النحويون في ذلك على ثلاثة أقوال؛ فقال الأخفش: إن الهمزة للاستفهام والواو زائدة، وهذا على رأيه في جواز زيادتها. وقال الكسائي: هي «أو» العاطفة التي بمعنى بل، وإنما حركت الواو ويؤيده قراءة من قرأها ساكنة. وقال البصريون هي واو العطف قدمت عليها همزة الاستفهام على ما عرف، والزمخشري يقدر بين الهمزة وحرف العطف شيئاً يعطف عليه ما بعده، لذلك قدره هنا: أكفروا بالآيات البينات، وكلما عاهدوا. ينظر: **«الدر المصون»** (١/ ٣١٦)، و **«الكتاب»** (٣/ ١٨٩).

(٢) ذكره ابن عطية في **«تفسيره»** (١/ ١٨٥) بلفظ: «تقرأ من التلاوة» عن عطاء.

(٣) أخرجه الطبري (١/ ٤٩٢) برقم (١٦٥٨)، وقال العلامة أحمد شاكر: ووقع في المطبوعة «العبقري» وهو تصحيف، وتصحيحه كالآتي: الحسين بن عمرو بن محمد العنقزي ـ ضعيف قال أبو زرعة «لا يصدق»، وهو مترجم في **«لسان الميزان»**، و **«ابن أبي حاتم»** (١/ ٢/ ٦١ـ ٦٢)، وذكره ابن عطية في **«تفسيره»** (١/ ١٨٥)، والسيوطي في **«الدر»** (١/ ١٨٣)، وعزاه لابن جرير.

وروي أنَّ رسُولَ اللَّهِ ﷺ، لما ذَكَر سليمانَ ـ عليه السلام ـ في الأنبياء، قال بعضُ اليهود: ٱنْظُروا إِلَىٰ محمَّد يذكر سليمانَ في الأنبياء، وما كان إلا ساحراً.

وقوله تعالى: ﴿وما كفر سليمانُ﴾ تبرئةٌ من اللَّه تعالَىٰ لسليمان ـ عليه السلام.

والسِّحْرُ والعمل به كفْرٌ، ويقتلُ السَّاحر عند مالك؛ كُفْراً، ولا يستتابُ؛ كالزنديقِ، وقال الشافعيُّ: يسأل عن سِحْره، فإن كان كُفراً، استتيب منه، فإن تاب، وإلا قتل، وقال مالكٌ فيمَنْ يعقدُ الرجَالَ عن النساءِ: يعاقَبُ، ولا يُقْتَلُ، والناس المعلَّمون: أتباعُ الشياطين من بني إسرائيل، ﴿ومَا أُنْزِلَ عَلَى المَلَكَيْنِ﴾: «مَا» عطْفٌ على السِّحْر، فهي مفعولةٌ، وهذا على القول بأن اللَّه تعالى أنزل السِّحْرَ على الملكَيْن؛ ليكفر به من اتبعه، ويؤمن به من تركه، أو على قول مجاهد وغيره؛ أنَّ اللَّه تعالى أنزل على الملكَيْن الشيْءَ الذي يفرق به بين المرء وزوجه، دون السِّحْر، أو[1] على القول؛ أن اللَّه تعالى أنزل السحر عليهما؛ ليُعْلَم علَىٰ جهة التحذير منه، والنهْيِ عنه.

قال * ع[2] *: والتعليمُ؛ على هذا القول، إنما هو تعريف يسير بمبادئه، وقيل: «إِنَّمَا» عطف علَىٰ «ما» في قوله: ﴿مَا تَتْلُوا﴾، وقيل: «ما» نافية، ردٌّ على قوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾، وذلك أنَّ اليهود قالُوا: إن اللَّه تعالَىٰ أنزل جبريلَ وميكَائلَ بالسِّحْر، فنفى اللَّه ذلك.

* ت *: قال عِيَاضٌ: والقِرَاءَةُ بكسر اللام من الملكَيْن شاذَّة[3]، وبَابِل: قُطْر من الأرض، وهَارُوتُ ومَارُوتُ: بدل من الملكَيْن، وما يذكر في قصتهما مع الزُّهرةِ كُلُّه ضعيفٌ؛ وكذا قال: * ع[4] *

* ت *: قال عياض[5]: وأما ما ذكره أهل الأخبار، ونقله المفسِّرون في قصَّة

---

(١) أخرجه الطبري (١/ ٤٩٩) برقم (١٦٨٠)، وذكره السيوطي في «الدر» (١/ ١٨٣)، وابن عطية الأندلسي في «تفسيره» (١/ ١٨٦).

(٢) «المحرر الوجيز» (١/ ١٨٦).

(٣) وقرأ بها الحسن بن علي وابن عباس، كما في مختصر الشواذ ص ١٦ وقرأ بها أيضاً أبو الأسود الدؤلي، والضحاك، وابن أبزى.
ينظر: «المحرر الوجيز» (١/ ١٨٦)، و «البحر المحيط» (١/ ٤٩٧)، و «الدر المصون» (١/ ٣٢١).

(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (١/ ١٨٧).

(٥) ينظر: «الشفا» (ص ٨٥٣ـ ٨٥٥).

هَارُوت ومَارُوت. وما رُوِيَ عن عليٍّ، وابنِ عَبَّاسٍ ـ رضي اللَّه عنهما ـ في خَبَرِهما، وابتلائهما، فٱعلم ـ أكرمك اللَّه ـ أن هذه الأخبار لم يُرْو منها سقيمٌ ولا صحيحٌ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ، وليس[1] هو شَيْئاً يؤخذ بقياسٍ، والذي منه في القرآن، ٱختلف المفسِّرون في معناه، وأنكَرَ ما قال بعضهم فيه كثيرٌ من السلف، وهذه الأخبار من كتب اليهود، وٱفترائهم[2]؛ كما نصَّه اللَّه أول الآيات. انتهى. ٱنْظُرْهُ.

وقوله تعالى: ﴿وما يعلِّمان...﴾ الآية: ذكر ابْنُ الأعرابيِّ[3] في «**اليَاقُوتَةِ**»؛ أنَّ ﴿يُعَلِّمانِ﴾ بمعنى «يُعْلِمَانِ[4]، ويشعران»؛ كما قال كعب بن زهير[5]: [الطويل]

---

(١) وليس هو؛ أي ما تضمنته قصتهما. يؤخذ بقياس: يستنبط بقياس؛ أي ليس مما يجري فيه القياس على غيره، مما ورد من الآيات والأحاديث الصحيحة؛ فلا ينبغي الخوض فيه نفياً أو إثباتاً.
قال في «**نسيم الرياض**»: وهذا الذي ذكره من أنه لم يرد فيه حديث ضعيف، ولا صحيح ردوه ـ كما نقله السيوطي في «**مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا**» ـ بأنه ورد من طرق كثيرة؛ منها ما في مسند أحمد، عن ابن عمر (رضي اللَّه عنهما) مرفوعاً؛ ورواه ابن حبان، والبيهقي، وابن جرير؛ وابن حميد في «**مسنده**»، وابن أبي الدنيا وغيرهم من طرق عديدة.
وقال ابن حجر في «**شرح البخاري**»: إن له طرقاً تفيد العلم بصحته. وكذا في حواشي البرهان الحلبي، وذكره مسنداً عن ابن عمر (رضي اللَّه عنهما) أنه سمعه ﷺ يقول: «لما أهبط اللَّه (تعالى) آدم إلى الأرض، قالت الملائكة: أتجعل فيها من يفسد فيها! وقالوا: ربنا نحن أطوع لك من بني آدم. فقال اللَّه تعالى: هلما بملكين يهبطان الأرض. قالوا: ربنا هاروت وماروت. فأهبطا، فتمثلت لهما الزهرة امرأة حسنة من البشر؛ فراوداها عن نفسها، فقالت: لا، واللَّه، حتى تتكلما بهذه الكلمة من الشرك، فأبيا. فذهبت وأتت بابن جار لها تحمله، فراوداها. فقالت: لا، حتى تقتلا هذا الصبي؛ فقالا: لا. ثم راوداها مرة أخرى، فأتت بقدح خمر، فقالت: لا، حتى تشرباه. فشربا وسكرا، فتكلما بكلمة الكفر، وقتلا الصبي، فخيرهما اللَّه (تعالى) بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فاختارا عذاب الدنيا: «فعلقا بين السماء والأرض». قال الخفاجي: وقد جمع السيوطي طرق هذا الحديث في تأليف مستقل، فبلغت نيفاً وعشرين طريقاً.

(٢) هذه الأخبار التي ذكرها بعض المفسرين منقولة من كتب اليهود في الإسرائيليات وافترائهم وكذبهم على أنبياء اللَّه تعالى وملائكته.

(٣) محمد بن زياد، المعروف بـ «ابن الأعرابي»، راوية، ناسب، علامة باللغة، ولد ١٥٠هـ من أهل «الكوفة»، كان أحول، لم ير أحد في علم الشعر أغزر منه. له تصانيف منها: «**أسماء الخيل وفرسانها**»، و «**الأنواء**» و «**الفاضل**» و «**البشر**» وغيرها. توفي ٢٣١هـ.
ينظر: «**وفيات الأعيان**» (١/ ٤٩٢)، و «**تاريخ بغداد**» (٥/ ٢٨٢)، و «**المقتبس**» (٦/ ٣ـ ٩)، و «**نزهة الألبا**» (٢٠٧)، و «**الأعلام**» (٦/ ١٣١).

(٤) وهي قراءة طلحة بن مصرف، كما في «**مختصر الشواذ**» (ص ١٦)، و «**البحر المحيط**» (١/ ٤٩٨)، و «**الدر المصون**» (١/ ٣٢٢).

(٥) كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني، أبو المضرَّب. شاهر عالي الطبقة من أهل «نجد». له «ديوان=

تَعَلَّمْ رَسُولَ اللَّهِ أَنَّكَ مُدْرِكِي وَأَنَّ وَعِيداً مِنْكَ كَالأَخْذِ بِالْيَدِ[١]

وحَمَلَ هذه الآية على أن الملكين إنما نزلا يُعْلِمَانِ بالسِّحْر، وينهَيَان عنه، وقال الجمهورُ: بل التعليمُ على عرفه.

١٣١ * ص[٢] *: وقوله تعالى: ﴿مِنْ أَحَدٍ﴾: «مِنْ» هنا زائدةٌ مع المفعول لتأكيد/ ٱستغراقِ الجنْس؛ لأن أحداً من ألفاظ العموم. انتهى.

وَ ﴿يُفَرِّقُونَ﴾: معناه فرقةَ العِصْمَة، وقيل: معناه يُؤْخَذُونَ[٣] الرجُلَ عن المرأة؛ حتى لا يَقْدِرَ على وطْئها، فهي أيضاً فرقةٌ، و ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: معناه: بعلمه، وتمكينه، و ﴿يَضُرُّهُمْ﴾: معناه: في الآخرة، والضميرُ في علموا عائدٌ على بني إسرائيل، وقال: ﴿اشتراه﴾؛ لأنهم كانوا يعطون الأجرة على أنْ يعُلِّمُوا، والخَلاَقُ: النصيب والحظُّ وهو هنا بمعنى الجاه والقَدْرِ، واللامُ في قوله: «لَمَن» للقسمِ المؤذنة بأنَّ الكلام قَسَمٌ لا شرط.

* م *: ﴿وَلَبِئْسَ مَا﴾: أبو البقاء[٤]: جواب قسمٍ محذوفٍ، والمخصوصُ بالذم

شعر» كان ممن اشتهر في الجاهلية، ولما ظهر الإسلام هجا النبي ﷺ وأقام يشبب بنساء المسلمين، فهدر النبي دمه، فجاءه «كعب» مستأمناً، وقد أسلم، وأنشده لاميته المشهورة التي مطلعها: «بانت سعاد فقلبي اليوم متبول» فعفا عنه النبي ﷺ وخلع عليه بردته. وهو من أعرق الناس في الشعر.
ينظر: **«الأعلام»** (٥/ ٢٢٦).

(١) البيت في ملحق ديوانه (٢٥٨)، و **«أمالي المرتضى»** (٢/ ٧٧)، و **«المحرر الوجيز»** (١/ ١٨٧)، و **«تفسير القرطبي»** (٢/ ٥٤)، و **«الدر المصون»** (٣٢٢). ويروى ملفقاً من بيتين لأسيد بن أبي إياس الهذليّ في **«شرح أشعار الهذليين»** (٢/ ٦٢٧)؛ وبلا نسبة في **«شرح الأشموني»** (١/ ١٥٨)؛ و **«شرح شذور الذهب»** (ص ٤٦٨)؛ و **«مغني اللبيب»** (ص ٢/ ٥٩٤).
والشاهد فيه استعمال الفعل «تعلَّمْ» بمعنى «اعلمْ»، فنصب به مفعولين بواسطة «أنَّ» المصدريَّة المؤكِّدة، وهذا هو الأكثر في تعدِّي هذا الفعل.

(٢) **«المجيد»** (ص ٣٦١).

(٣) التأخيذ: حبس السواحر أزواجهن عن غيرهن من النساء. والتأخيذ ـ أيضاً ـ: أن تحتال المرأة بحيل في منع زوجها من جماع غيرها، يقال: لفلانة أُخْذَةٌ تؤخَذ بها الرجال عن النساء.
ينظر: **«لسان العرب»** (٣٦).

(٤) **«التبيان»** (١/ ١٠١) وأبو البقاء هو عبد اللَّه بن الحُسين بن عبد اللَّه بن الحسين، الإمام محبّ الدين، أبو البقاء العكْبَريّ، البغداديّ الضَّرير، النحويّ، الحنبليّ، صاحب الإعراب. قال القِفْطِي: أصله من «عُكْبَرا»، وقرأ بالرّوايات على أبي الحسن البطائحيّ، وتفقّه بالقاضي أبي يعلَى الفرّاء، ولازمه حتى برع في المذهب والخلاف والأصول، وقرأ العربيّة على يحيى بن نجاح وابن الخشّاب؛ حتى حاز قصب السَّبْق، وصار فيها من الرّؤساء المتقدّمين، وقصده الناس من الأقطار، وأقرأ النّحو، واللّغة، والمذهب، والخلاف، والفرائض، والحساب. ينظر: **«بغية الوعاة»** (٢/ ٣٨، ٣٩).

محذوفٌ، أي: السحرأو الكفر، والضمير في «بِهِ» عائدٌ على السحر، أو الكفر. انتهى.

وَ ﴿شَرَوْا﴾: معناه: باعوا، والضمير في «يَعْلَمُونَ» عائدٌ على بني إسرائيل اتفاقاً، ﴿ولو أنهم آمنوا﴾: يعني: الذين اشْتَرُوا السِّحْرَ، وجوابُ: «لَوْ»: ﴿لَمثُوبَةٌ﴾، والمثوبةُ؛ عند الجمهور: بمعنى الثواب.

وقوله سبحانه: ﴿لو كانوا يعلَمُونَ﴾ يحتمل نفيَ العلْمِ عنهم، ويحتمل: لو كانوا يعلمون عِلْماً ينفع.

وقرأ جمهورُ النَّاس[1]: ﴿رَاعِنَا﴾؛ من المراعاة؛ بمعنى: فَاعِلْنَا، أي: ٱرْعَنَا نَرْعَكَ، وفي هذا جَفَاءٌ أنْ يُخَاطِب به أحدٌ نبيَّهُ، وقد حضَّ اللَّه تعالى على خَفْض الصوت عنده، وتعزيرِهِ وتوقيرِهِ، وقالتْ طائفةٌ: هي لغةٌ للعرب، فكانت اليهودُ تصرفها إلى الرُّعُونَة؛ يظهرون أنهم يريدون المراعاة، ويُبْطِنُون أنهم يريدونَ الرُّعُونَة التي هي الجَهْلُ، فنهى اللَّه المؤمنين عن هذا القول؛ سَدًّا للذريعةِ[2]؛ لئلاً يتطرق منه اليهود إلى المحظور، و ﴿ٱنظُرْنا﴾: معناه: ٱنتظِرْنا، وأمهل علَيْنا، ويحتمل أن يكون المعنى: تفقَّدنا من النَّظَر، والظاهرُ عنْدي استدعاءُ نظر العَيْن المقترِنِ بتدبُّر الحال، ولما نهى اللَّه تعالى في هذه الآية، وأمر، حض بَعْدُ على السمع الذي في ضمنه الطاعةِ، وأَعلَمَ أنَّ لمن خالف أمره، فكفر ـ عذاباً أليماً، وهو المؤلم، ﴿وٱسْمَعُوا﴾: معطوفٌ على ﴿قُولُوا﴾، لا على معمولها.

﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن

---

(١) وفي مصحف عبد اللَّه وقراءته، وقراءة أبي: «راعُونا» على إسناد الفعل لضمير الجمع، وذكر أيضاً أن في مصحف عبد اللَّه (ارْعَوْنا) خاطبوه بذلك إكباراً وتعظيماً إذ أقاموه مقام الجمع، وقرأ الحسن وابن أبي ليلى، وأبو حيوة، وابن محيصن: «راعناً» بالتنوين جعله صفة لمصدر محذوف، أي: قولاً راعَناً، وهو على سبيل النسب كلابن، وتامر.

ينظر: **«المحرر الوجيز»** (١/ ١٨٩)، و **«البحر المحيط»** (١/ ٥٠٨)، و **«الدر المصون»** (١/ ٣٣٢)، و **«مختصر الشواذ»** (ص ١٦)، و **«إتحاف فضلاء البشر»** (١/ ٤١١).

(٢) وسَدُّ الذَّرَائِعِ: هي التَّوَصُّلُ بما هو مَصْلَحَةٌ إلى مفسدة، كما يرى الشاطبي، أو وسيلة وطَرِيقَةٌ إلى الشيء، عن شمس الدين ابن القيم، فالشاطبي يقتصر على الذَّرَائِعِ سَدًّا، وابن القيم يشملها سَدًّا وفتحاً.

فَسَدُّ الذرائع وسيلة مُبَاحَةٌ يُتَوَصَّلُ بها إلى مَمْنُوعٍ مشتمل على مفسدة.

قال البَاجِيُّ: ذهب مَالِكٌ إلى المَنْع من سَدِّ الذَّرَائِعِ، وهي المسألة التي ظاهرها الإِبَاحَةُ، ويتوصَّل بها إلى فِعْلِ المَحْظُورِ، مثل: أن يبيع السِّلْعَةَ بمائة إلى أَجَلٍ، ويشتريها بخمسين نَقْداً، فهذا قد توصل إلى خَمْسِينَ بِذِكْرِ السلعة.

رَّبِّكُمْ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ ۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾

وقوله سبحانه: ﴿مَا يودُّ الذين كَفَرُوا من أهْل الكتاب. . .﴾ الآية: يتناول لفظُ الآيةِ كلَّ خير، والرحمةُ في هذه الآية عامَّة لجميعِ أنواعها، وقال قومٌ: الرحمة القرآن.

وقوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِن آية أو ننسها. . .﴾ الآية: النَّسْخُ؛ في كلام العرب، على وجهين:

أحدهما: النَّقْل؛ كنقل كتابٍ من آخر، وهذا لا مدْخَل له في هذه الآية، وورد في كتاب اللَّه تعالَىٰ في قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩].

الثاني: الإزالةُ، وهو الذي في هذه الآية، وهو منقسمٌ في اللغة على ضَرْبَيْنِ:

أحدهما: يثبت الناسخ بعد المنسوخ؛ كقولهم: نَسَخَتِ الشَّمْسُ الظِّلَّ.

والآخر: لا يثبت؛ كقولهم: نَسَخَتِ الرِّيحُ الأَثَرَ.

وورد النسخ في الشَّرْع حسب هذَيْن الضربَيْن وحَدُّ «النَّاسِخ» عنْد حُذَّاق أهل السنة: الْخِطَابُ الدالُّ على ٱرتفاع الحُكْمِ الثَّابتِ بالخطابِ المتقدِّمِ على وجْهٍ لولاه لكان ثَابِتاً، مع تراخيه عنه.

* ت *: قال ابن الحاجِبِ: والنَسْخُ؛ لغةً: الإزالة، وفي الاصطلاح: رفع الحُكْمِ الشرعيِّ؛ بدليلٍ شرعيٍّ متأخِّر[1]. انتهى من «**مختصره الكبير**».

---

(١) ينظر: «**البرهان**» لإمام الحرمين (٢/ ١٢٩٣)، «**البحر المحيط**» للزركشي (٤/ ٦٣)، «**الإحكام في أصول الأحكام**» للآمدي (٣/ ١٥)، «**سلاسل الذهب**» للزركشي (ص ٢٩٠)، «**التمهيد**» للأسنوي (ص ٤٣٥)، «**نهاية السول**» له (٢/ ٥٤٨)، «**زوائد الأصول**» له (ص ٣٠٨)، «**منهاج العقول**» للبدخشي (٢/ ٢٢٤)، «**غاية الوصول**» للشيخ زكريا الأنصاري (ص ٨٧)، «**التحصيل من المحصول**» للأرموي (٢/ ٧)، «**المنخول**» للغزالي (ص ٢٨٨)، «**المستصفى**» له (١/ ١٠٧)، «**حاشية البناني**» (٢/ ٧٤)، «**الإبهاج**» لابن السبكي (٢/ ٢٢٦)، «**الآيات البينات**» لابن قاسم العبادي (٣/ ١٢٩)، «**حاشية العطار على جمع الجوامع**» (٢/ ١٠٦)، «**المعتمد**» لأبي الحسين (١/ ٣٦٣)، «**إحكام الفصول في أحكام الأصول**» للباجي (ص ٣٨٩)، «**الإحكام في أصول الأحكام**» لابن حزم (٤/ ٤٦٣)، «**أعلام الموقعين**» لابن القيم (١/ ٢٩)، «**التقرير والتحبير**» لابن أمير الحاج (٣/ ٤٩)، «**ميزان الأصول**» للسمرقندي (٢/ ٦٢١، ٩٨١)، «**حاشية التفتازاني والشريف على مختصر المنتهى**» (٢/ ١٨٥)، «**شرح التلويح على التوضيح**» لسعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (٢/ ٣٤)، «**شرح المنار**» لابن ملك (ص ٩١)، «**الموافقات**» للشاطبي (٣/ =

والنسْخُ جائز على اللَّه تعالَىٰ عقلاً؛ لأنه لا يلزم عنه محالٌ[1]، ولا تتغيرُ صفة من صفاته تعالَىٰ/، وليست الأوامر متعلِّقة بالإرادة، فيلزم من النسْخ أنَّ الإرادة تغيَّرت، ولا ٣١ ب النسخ؛ لطروء علْم، بل اللَّه تعالَىٰ يعلم إلى أيِّ وقت ينتهي أمره بالحكم الأول، ويعلم نسخه له بالثاني، والبَدَاءُ لا يجوزُ على اللَّه تعالَىٰ؛ لأنه لا يكون إلا لطروءِ علْم أو لتغيُّر إرادة؛ وذلك محالٌ في جهة اللَّه تعالَىٰ، وجعلت اليهود النسْخَ والبَدَاءَ واحداً، فلم يجوِّزوه، فضَلُّوا.

والمنسوخُ؛ عند أئمتنا: الحُكْم الثابتُ نفسُه، لا ما ذهبت إِلَيْه المعتزلةُ من أنه مثل الحُكْم الثَّابت فيما يستقبلُ، والذي قادهم إلى ذلك مذهَبُهم في أنَّ الأوامر مرادةٌ، وأن

---

١٠٢)، «**تقريب الوصول**» لابن جزيّ (ص ١٢٥)، «**شرح مختصر المنار**» للكوراني (ص ٩١)، «**نشر البنود**» للشنقيطي (٢/ ٢٨٠)، «**شرح الكوكب المنير**» للفتوحي (ص ٤٦٢).

وينظر: «**تهذيب اللغة**» (٧/ ١٨١)، «**لسان العرب**» (٦/ ٤٤٠٧)، «**تاج العروس**» (٢/ ٢٨٢)، «**معيار العقول في علم الأصول**» لابن المرتضى (١/ ١٧٢)، «**كشف الأسرار**» (٣/ ١٥٤)، «**حواشي المنار**» (٧٠٨)، «**العدة**» (٣/ ٧٧٨)، «**الحدود**» للباجي (ص ٤٩)، «**اللمع**» (ص ٣٠) «**الوصول**» لابن برهان (٢/ ٧)، «**روضة الناظر**» (٢٦)، «**الرسالة**» للشافعي (١٢٨)، «**المغني**» للخبازي (٢٥٠)، «**المسودة**» (١٩٥)، «**شرح تنقيح الفصول**» (٣٠١)، «**تقريب الوصول**» (١٢٥)، «**المنتهى**» لابن الحاجب (١١٣).

(١) أجمع أهل الشرائع طرًا من المسلمين والنصارى واليهود على جوازه عقلاً، وخالف في ذلك الشمعونية من اليهود؛ متمسكين بشبه واهية.

احتج الجمهور بدليل عقلي حاصله: أن المخالف لا يخلو حاله من أحد أمرين: أما إن يكون ممن يوافق على أن اللَّه (تعالى) هو الفاعل المختار، له أن يفعل ما يشاء كما يشاء من غير نظر إلى حكمة وغرض. وإما أن يكون ممن يعتبر المصلحة في أفعاله (تعالى)، فإن كان الأول، فليس في العقل ما يمنع من أن يأمر اللَّه بشيء في وقت وينهى عنه في وقت آخر، كأمره بالصوم في اليوم الأخير من رمضان، ونهيه عنه في اليوم الأول من شوال. وإن كان الثاني، فلا يمتنع أن يعلم اللَّه أن في الفعل مصلحة في وقت، فيأمر به، وأن في الفعل مضرة في وقت آخر، فينهى عنه؛ فإن المصلحة مما تختلف باختلاف الأشخاص والأحوال. أما اختلافها بالأشخاص؛ فإنا نرى الغنى مصلحة لبعض الناس، والفقر مفسدة له، بينما نرى الفقر مصلحة للبعض الآخر، والغنى مفسدة له؛ يدلنا على ذلك قول الرسول الأمين فيما يرويه عن رب العالمين: «إن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلاَّ الفقر، ولو أغنيته لأفسده. وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الغنى، ولو أفقرته لأفسده» وأما اختلافها بحسب الأحوال والأزمان، فإنا نرى الشدة والغلظة نافعة في زمان دون زمان، لا ينفع فيه إلا المداراة والمساهلة. ومثل ذلك المريض يكون تناول الدواء مفيداً له حين مرضه، فيأمره الطبيب بتناوله، ويكون مضراً له بعد سلامته، فينهاه الطبيب عنه حينئذ، أو كالغذاء الجيد لا تتحمله معدة المريض الضعيف، فينهى عنه. فإذا شفي من مرضه وسلمت معدته واحتاج إلى ما يعيد قوته، حتم عليه الطبيب تناول ما كان يمنعه عنه. واعتبر ذلك في تربية الطفل يعطى من الغذاء الخفيف ما يناسبه حتى إذا شب زِيدَ له من متين الغذاء بمقداره. ومنع من رضاع أمه؛ إذ كان ذلك لا يناسب بعد كبره. ينظر: «**النسخ**» لشيخنا إمام إبراهيم عيسى ص ٢٠.

٢٩٤ ـــــــ

ترتبطُ بالإرادة، وعلى أن الحُسْن والقُبْح في الأحكام، إنما هو من جهة الشرع، لا بصفة نفسيَّة، والتخصيصُ من العموم يوهم أنه نسْخ، وليس[1] به؛ لأن المخصَّص لم يتناوله العمومُ قطُّ، ولو تناوله العموم، لكان نسخاً، والنسخ لا يجوز في الأخبار[2]، وإنما هو

= ٦٤)، «**الإبهاج**» لابن السبكي (١/ ٦١، ١٣٨)، «**الآيات البينات**» لابن قاسم العبادي (١/ ٨٧ـ ٨٨)، «**تخريج الفروع**» (٢٤٤)، «**حاشية العطار على جمع الجوامع**» (١/ ٧٧ـ ٨١)، «**المعتمد**» لأبي الحسين (٢/ ٣٢٧)، «**شرح التلويح على التوضيح**» لسعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (١/ ١٧٣)، «**نسمات الأسحار**» لابن عابدين (٤٥)، «**شرح المنار**» لابن ملك (٣٥)، «**ميزان الأصول**» للسمرقندي (١/ ١٥٠ـ ١٥١)، «**الكوكب المنير**» للفتوحي (٩٥).

(١) معلوم أن التخصيص والنسخ يشتركان في أن كل واحد منهما بيان ما لم يرد باللفظ، إلا أنهما يفترقان في أمور، وهي أن التخصيص يبين أن العام لم يتناول المخصوص، والنسخ يرفع بعد الثبوت؛ وأن التخصيص لا يرد إلا على العام، والنسخ يرد عليه وعلى غيره. وأنه يجب أن يكون متصلاً، والنسخ لا يكون إلا متراخياً. وأنه لا يجوز إلى أن لا يبقى شيء، والنسخ يجوز. وأنه قد يكون بأدلة السمع وغيرها، والنسخ لا يجوز إلا بالسمع. وأنه يكون معلوماً ومجهولاً. والنسخ لا يكون إلا معلوماً. وأنه لا يخرج المخصوص منه من كونه معمولاً به في مستقبل الزمان، والنسخ يخرج المنسوخ عن ذلك. وأنه يرد في الأخبار والأحكام، والنسخ لا يرد إلا في الأحكام. وأن دليل الخصوص يقبل التعليل ودليل النسخ لا يقبله.

ينظر: «**النسخ**» لشيخنا إمام إبراهيم عيسى ص ٩١.

(٢) تنوعت آراء الأصوليين في موضوع النسخ، فمنهم من ذهب إلى أن النسخ كما يكون في الأوامر والنواهي يكون في الأخبار. وينسب لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم والسدي حيث قالا: «قد يدخل النسخ على الأمر والنهي وعلى جميع الأخبار» ولم يفصلا، وتابعهما على هذا القول جماعة.

قال أبو جعفر: «وهذا القول عظيم جداً يئول إلى الكفر»؛ لأن قائلاً لو قال: «قام فلان» ثم قال: «لم يقم» ثم قال: «نسخته» لكان كاذباً.

وبعضهم ذهب إلى أن أمر الناسخ والمنسوخ موكول إلى الإمام، فله أن ينسخ ما شاء. وهذا القول أعظم؛ لأن النسخ لم يكن إلى النبي ﷺ إلا بالوحي من الله (تعالى)؛ إما بقرآن مثله على قول قوم، وإما بوحي من غير القرآن، فلما ارتفع هذا بموت النبي ﷺ ارتفع النسخ.

ومنهم من ذهب إلى أن النسخ يكون في الأوامر والنواهي، وأما الأخبار فيفصل فيها بين ما فيه حكم، فيجوز النسخ فيه، وبين ما لا حكم فيه، فلا يجوز.

ومنهم من ذهب إلى أن النسخ يكون في الأوامر والنواهي خاصة.

وهذا المذهب حكاه هبة الله بن سلامة عن مجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة بن عمار.

وهناك مذهب خامس، عليه أئمة العلماء، وهو أن النسخ إنما يكون في المتعبدات؛ لأن لله (عز وجل) أن يتعبد خلقه بما شاء إلى أي وقت شاء، ثم يتعبدهم بغير ذلك، فيكون النسخ في الأوامر والنواهي وما كان في معناهما مثل قوله تعالى: ﴿الزاني لا ينكح إلاَّ زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك﴾ [النور: ٣] وقوله تعالى في سورة يوسف ـ عليه السلام ـ: ﴿قال تزرعون سبع سنين دأباً﴾ [يوسف: ٤٧] فالأولى مثال للخبر الذي بمعنى النهي؛ لأن المعنى. لا تنكحوا زانية ولا مشركة. =

مختصٌّ بالأوامر والنواهي، ورد بعض المعترضين الأمر خبراً؛ بأن قال: أليس معناه وَاجِبٌ عَلَيْكُمْ أنْ تَفْعَلُوا كذا، فهذا خبر، والجوابُ أن يقال: إن في ضمن المعنَى: إلاَّ أنْ أنْسَخَهُ عنْكُم، وأرفعه، فكما تضمَّن لفظ الأمر ذلك الإخبار؛ كذلك تضمَّن هذا الاستثناءُ، وصور النسخ تختلفُ، فقد ينسخ الأثقل إلى الأَخَفِّ، وبالعكس، وقد ينسخ المثلُ بمثلهِ ثِقَلاً وخِفَّةً، وقد ينسخ الشيء لا إلى بدل، وقد تُنْسَخُ التلاوة دون الحُكْم، وبالعكس، والتلاوة والحكم حكمان، فجائز نَسْخ أحدهما دون الآخر، ونسْخُ القرآن بالقرآن، وينسخ خبر الواحدِ بخبر الواحدِ؛ وهذا كله مُتَّفَقٌ عليه، وحُذَّاق الأئمَّة على أن القرآن ينسخ بالسنة، وذلك موجودٌ في قوله ـ عليه السلام ـ «لاَ وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ»[1]، وهو ظاهر مسائل مالكٍ.

= والثانية مثال للخبر الذي بمعنى الأمر؛ لأن المعنى «ازرعوا» وهذا المذهب عُزي إلى الضحاك بن مزاحم.

ينظر: **«النسخ»** لشيخنا إمام عيسى. (ص ١٨ـ ١٩).

(١) أخرجه أبو داود (٣/ ٢٩٠) كتاب «الوصايا»، باب الوصية للوارث، حديث (٢٨٧٠)، والترمذي (٤/ ٤٣٣) كتاب «الوصايا»، باب لا وصية لوارث، حديث (٢١٢٠)، وابن ماجه (٢/ ٩٠٥) كتاب «الوصايا»، باب لا وصية لوارث، حديث (٢٧١٣)، وأحمد (٥/ ٢٦٧)، والطيالسي (٢/ ١١٧ـ منحة) رقم (٢٤٠٧)، وسعيد بن منصور (٤٢٧)، والدولابي في **«الكنى»** (١/ ٦٤)، وأبو نعيم في **«تاريخ أصبهان»** (١/ ٢٢٧)، والبيهقي (٦/ ٢٦٤) كتاب **«الوصايا»**، باب نسخ الوصية للوالدين، كلهم من إسماعيل بن عياش عن شرحبيل بن مسلم عن أبي أمامة الباهلي. قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول في خطبته عام حجة الوداع: «إن اللّه (تبارك وتعالى) قد أعطى كل ذي حق حقه، فلا وصية لوارث».

وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وأخرجه ابن الجارود في **«المنتقى»** رقم (٩٤٩) من طريق الوليد بن مسلم قال: ثنا ابن جابر، ثنا سليم بن عامر، سمعت أبا أمامة، فذكر الحديث.

وفي الباب عن جماعة من الصحابة وهم: عمرو بن خارجة، وأنس بن مالك، وابن عباس، وجابر، وعلي، وعبد اللّه بن عمرو، ومعقل بن يسار، وزيد بن أرقم، والبراء، ومجاهد مرسلاً.

* حديث خارجة: أخرجه الترمذي (٤/ ٤٣٤) كتاب «الوصايا»، باب لا وصية لوارث، حديث (٢١٢١)، والنسائي (٦/ ٢٤٧) كتاب «الوصايا»، باب إبطال الوصية للوارث وابن ماجة (٢/ ٩٠٥) كتاب «الوصايا»، باب لا وصية لوارث، وأحمد (٤/ ١٨٦، ١٨٧)، والدارمي (٢/ ٤١٩) كتاب «الوصايا»، باب الوصية للوارث، والطيالسي (١٣١٧)، وأبو يعلى (٣/ ٧٨) رقم (١٥٠٨)، والبيهقي (٦/ ٢٦٤) كتاب «الوصايا»، باب نسخ الوصية للوالدين، كلهم من طريق شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عن عمرو بن خارجة؛ أن النبي ﷺ خطب على ناقته وأنا تحت جرانها، وإن لعابها يسيل بين كتفي، فسمعته يقول: «إن اللّه (عز وجل) أعطى كل ذي حق حقه، فلا وصية لوارث».

قال الترمذي: حسن صحيح.

وللحديث طريق آخر. =

* ت *: ويعني بالسنةِ الناسخة للقرآن الخَبَرَ المتواترَ القطعيَّ، وقد أشار إلى أن هذا

= أخرجه الدارقطني (٤/ ١٥٢) كتاب الوصايا، حديث (١٠)، والبيهقي (٦/ ٢٦٤) كتاب «**الوصايا**»، باب نسخ الوصية للوالدين والأقربين، عن طريق زياد بن عبد الله عن إسماعيل بن مسلم عن الحسن بن عمرو بن خارجة مرفوعاً بلفظ: «لا وصية لوارث، إلا أن يجيز الورثة».

وضعف البيهقي سنده: وأخرجه الطبراني في «**الكبير**» (٤/ ٢٠٢) رقم (٤١٤٠) من طريق عبد الملك بن قدامة الجمحي عن أبيه عن خارجة بن عمرو؛ أن رسول الله ﷺ قال يوم الفتح وأنا عند ناقته: «ليس لوارث وصية، قد أعطى الله (عز وجل) كل ذي حق حقه، وللعاهر الحجر».

وقال الهيثمي: رواه الطبراني، وفيه عبد الملك بن قدامة الجمحي، وثقه ابن معين، وضعفه الناس .اهـ.

قلت: ووثقه أيضاً يعقوب بن سفيان فقال في «**المعرفة والتاريخ**» (١/ ٤٣٥): «مديني ثقة».

لكن عبد الملك هذا ضعفه الجمهور: قال البخاري في «**الضعفاء**» (٢٢٠): يعرف وينكر.

وقال أبو زرعة الرازي: منكر الحديث «**سؤالات البرذعي**» (ص ٣٥٦).

وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث «**علل الحديث**» (٢٤٣٥).

وقال النسائي: مدني ليس بالقوي «**الضعفاء والمتروكين**» (٤٠٣).

وقال الدارقطني: مدني يترك «**سؤالات البرقاني**» (٣٠١).

* حديث أنس: أخرجه ابن ماجه (٢/ ٩٠٦) كتاب «الوصايا» باب لا وصية لوارث، حديث (٢٧١٤)، والدارقطني (٤/ ٧٠) كتاب «الفرائض»، حديث (٨)، والبيهقي (٦/ ٢٦٤ـ ٢٦٥) كتاب «الوصايا»، باب نسخ الوصية للوالدين والأقربين. من طريق عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن سعيد بن أبي سعيد عن أنس به.

قال البوصيري في «**الزوائد**» (٢/ ٣٦٨): هذا إسناد صحيح؛ رجاله ثقات.

* حديث ابن عباس:

أخرجه الدارقطني (٤/ ٩٧) كتاب الفرائض، حديث (٨٩)، والبيهقي (٦/ ٢٦٣) كتاب «الوصايا»، باب نسخ الوصية للوالدين والأقربين. من طريق ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس. قال البيهقي: عطاء: هو الخراساني، لم يدرك ابن عباس ولم يره. قاله أبو داود وغيره.

وأخرجه البيهقي (٦/ ٢٦٣ـ ٢٦٤) من طريق يونس بن راشد عن عطاء عن عكرمة عن ابن عباس.

قال الحافظ في «**التلخيص**» (٣/ ٩٢): حديث حسن.

* حديث جابر:

أخرجه الدارقطني (٤/ ٩٧) كتاب «الفرائض»، حديث (٩٠) من طريق فضل بن سهل: ثنى إسحاق بن إبراهيم الهروي، ثنا سفيان عن عمرو عن جابر به.

قال الدارقطني: الصواب مرسل.

قال أبو الطيب آبادي في «**التعليق المغني**» (٤/ ٩٧): إسحاق بن إبراهيم الهروي، ثم البغدادي، أبو موسى، وثقه ابن معين وغيره، وقال عبد الله بن علي بن المديني: سمعت أبي يقول: أبو موسى الهروي روى عن سفيان عن عمرو عن جابر: «لا وصية.. الحديث».

كأنه سفيان عن عمرو مرسلاً، «كذا في «**الميزان**» اهـ. =

الحديث مُتَوَاتِرٌ، ذكره عند تفسير قوله تعالَىٰ: ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ﴾ [البقرة: ١٨٠]،

= وللحديث طريق آخر: أخرجه الدارقطني (٤/ ١٥٢) كتاب «الوصايا»، حديث (١٢) من طريق نوح بن دراج عن أبان بن تغلب عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «لا وصية لوارث، ولا إقرار بدين».

* حديث علي:

أخرجه الدارقطني (٤/ ٩٧) كتاب الفرائض، حديث (٩١)، من طريق يحيى بن أبي أنيسة، عن أبي إسحاق الهمداني، عن عاصم بن ضمرة، عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «الدين قبل الوصية، ولا وصية لوارث».

ومن طريق يحيى أخرجه ابن عدي في **«الكامل»** (٧/ ١٩٠) ويحيى بن أبي أنيسة. قال أحمد: متروك الحديث.

وقال ابن المديني: لا يكتب حديثه.

وقال ابن معين: ليس بشيء.

وقال البخاري: لا يتابع في حديثه، وليس بذاك.

وقال النسائي: متروك الحديث.

وأسند ذلك ابن عدي في **«الكامل»** عنهم.

* حديث عبد الله بن عمرو:

أخرجه الدارقطني (٤/ ٩٨) كتاب «الفرائض»، حديث (٩٣)، وابن عدي في **«الكامل»** (٢/ ٨١٧) من طريقين عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده؛ أن النبي ﷺ قال في خطبته يوم النحر: «لا وصية لوارث، إلا أن يجيز الورثة».

* حديث معقل بن يسار:

أخرجه ابن عدي في **«الكامل»** (٥/ ٢١١) من طريق علي بن الحسن بن يعمر: ثنا المبارك بن فضالة عن الحسن قال: قال معقل بن يسار: كنا بمنى وكان رسول الله ﷺ يخطب ولعاب ناقته بين كتفي، ففهمت من كلامه قال: «لا وصية لوارث».

قال ابن عدي: هذا الحديث باطل بهذا الإسناد.

* حديث زيد بن أرقم والبراء:

أخرجه ابن عدي في **«الكامل»** (٦/ ٣٥٠) من طريق موسى بن عثمان الحضرمي عن أبي إسحاق عن البراء وزيد بن أرقم قالا: كنا مع النبي ﷺ يوم غدير «خم» ونحن نرفع غصن الشجرة عن رأسه فقال: «إن الصدقة لا تحل لي ولا لأهلي، لعن الله من ادعى إلى غير أبيه، ولعن الله من تولى غير مواليه. الولد للفراش وللعاهر الحجر. ليس لوارث وصية». قال ابن عدي: موسى بن عثمان: حديثه ليس بمحفوظ.

وقال أبو حاتم: متروك. ينظر: **«اللسان»** (٦/ ١٢٥)، و **«الميزان»** (٤/ ٢١٤).

* مرسل مجاهد:

أخرجه البيهقي (٦/ ٢٦٤) كتاب «الوصايا»، باب نسخ الوصية للوالدين والأقربين، من طريق الشافعي عن ابن عيينة عن سليمان الأحول عن مجاهد به.

واختلف القُرَّاء في قراءة قوله تعالى: ﴿أو نُنْسِهَا﴾ فقرأ ابن كثير وأبو عمرو: «نَنْسَأْهَا»؛ بنون مفتوحةٍ، وأخرى ساكنة، وسين مفتوحة، وألف بعدها مهموزةٍ، وهذا بمعنى التأخير، وأما قراءة نافع والجمهورِ: «نُنْسِهَا»؛ من النسيان[1]، وقرأَتْ ذلك فرقةٌ إلاَّ أنها همزت بعد السين[2]، فهذه بمعنى التأخير والنِّسْيَان في كلام العربِ يجيء في الأغلب ضدَّ الذكر، وقد يجيء بمعنى التَّرْك، فالمعاني الثلاثة مقولَةٌ في هذه القراءات، فما كان منها يترتَّب في لفظةَ النسيان الذي هو ضدُّ الذكْر، فمعنى الآية به: ما ننسَخْ/ من آيةٍ أو نقدِّر نسيانَكَ لَهَا، فإنَّا ٣٢أ
نأتي بخيرٍ منها لكُمْ أو مثلها في المنفعة، وما كان على معنى الترك، أو علَىٰ معنى التأخيرِ، فيترتَّب فيه معانٍ، انْظُرْهَا، إنْ شئْتَ فإنِّي آثرت الاختصار.

* ع[3] *: والصحيح أن نسيان النبيِّ ﷺ لِمَا أراد اللَّه أن يَنْسَاهُ، ولم يرد أن يثبته قرآناً ـ جائزٌ، فأما النِّسْيَان الذي هو آفة في البشر، فالنبيُّ ﷺ معصومٌ منْه قبل التبليغ، وبعد التبليغ، ما لم يحفظْه أحد من أصْحابه، وأما بعد أن يحفظ، فجائز علَيْه ما يجوز على البَشَر؛ لأنه ﷺ قد بَلَّغَ، وأدَّى الأمانة؛ ومنه الحديثُ، حِينَ أَسْقَطَ آيَةً، فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الصَّلاَةِ قَالَ: «أَفِي القَوْمِ أُبَيٌّ؟ قَالَ: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَلِمَ لَمْ تُذَكِّرْنِي؟ قَالَ: حَسِبْتُ أَنَّهَا رُفِعَتْ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَمْ تُرْفَعْ، وَلَكِنِّي نُسِّيتُهَا»[4].

وقوله تعالى: ﴿ألم تعلم﴾: معناه: التقرير، ومعنى الآية أن اللَّه تعالى ينسخ ما شاء، ويثبت ما شاء، ويفعل في أحكامه ما شاء، هو قدير علَىٰ ذلك، وعلى كلِّ شيء، وهذا لإنْكَارِ اليَهُودِ النَّسْخَ، وقوله: ﴿علَىٰ كلِّ شيء﴾ عمومٌ، معناه الخصوصُ، إذ لا تدخل فيه الصفاتُ القديمةُ؛ بدليل العقل، ولا المحالاتُ؛ لأنها ليستْ بأشياء، والشيء في كلام العرب: الموجودُ، و ﴿قديرٌ﴾: اسم فاعل على المبالغةِ، قال القُشَيْرِيُّ[5]: وإن من علم

---

(١) ينظر: «السبعة» (١٦٨)، و «الكشف» (١/ ٢٥٧)، و «حجة القراءات» (١٠٩)، و «العنوان» (٧١)، و «الحجة» (٢/ ١٨٠)، و «شرح الطيبة» (٤/ ٥٤، ٥٥)، و «شرح شعلة» (٢٧٢)، و «معاني القراءات» (١/ ١٦٩)، و «إتحاف» (١/ ٤١١).

(٢) وقد ذكر أبو حيان في البحر اثنتي عشرة قراءة لهذه اللفظة. ينظر: «البحر المحيط» (١/ ٥١٣).

(٣) «المحرر الوجيز» (١/ ١٩٤).

(٤) أخرجه أحمد (٣/ ٤٠٧) وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٧٢) وقال: رواه أحمد والطبراني ورجاله رجال الصحيح.

(٥) عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد، أبو القاسم القشيري، النيسابوري، أخذ عن أبي علي الدقاق، وأبي عبد الرحمن السلمي، ودرس الفقه على أبي بكر الطوسي، وقرأ الكلام على ابن فورك، وأبي إسحاق الإسفراييني، قال ابن السمعاني: لم ير أبو القاسم مثل نفسه في كماله وبراعته. صنف التفسير الكبير، والرسالة. ولد سنة ٣٧٦، ومات سنة ٤٦٥. =

أن مولاه قديرٌ علَىٰ ما يريد، قَطَعَ رجاءه عن الأغيار؛ كما قال تعالَىٰ عن إبراهيم ـ عليه السلام ـ: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ [إبراهيم: ٣٧] قال أهل الإشارة: معناه: سهلت طريقهم إليك، وقطَعْت رجاءهم عن سواك، ثم قال: ﴿لِيُقِيمُوا الصَّلاَةَ﴾، [إبراهيم: ٣٧] أي: شغلتهم بخدمتك، وأنت أولَىٰ بهم، ﴿فَٱجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِيٓ إِلَيْهِمْ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، أي: إذا احتاجوا شيئاً، فذلل عبادك لهم، وأوصل بكرمك رعايتهم إليهم؛ فإنك على ذلك قديرٌ، وإن من لزم بابه أوصل إليه محابَّه، وكفاه أسبابه، وذلل لهُ كلَّ صعب، وأورده كلَّ سهل عذبٍ من غير قطعِ شُقَّة، ولا تحمل مشقة انتهى من «**التحبير**».

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿ألم تعلم أن اللَّه له ملك السموات والأرض...﴾ الآية: المُلْك السلطانُ، ونفوذُ الأمرِ، والإرادةِ، وجَمْع الضمير في ﴿لَكُمْ﴾ دالٌ علَىٰ أن المراد بخطاب النبيِّ ﷺ خطابُ أمته.

وقوله تعالى: ﴿أم تريدون أن تسألوا رسولكم...﴾ الآيةَ: قال أبو العالية: إن هذه الآية نزلَتْ حين قال بعض الصحابة للنبيِّ ﷺ: «لَيْتَ ذُنُوبَنَا جَرَتْ مَجْرَىٰ ذُنُوبِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي تَعْجِيلِ العُقُوبَةِ فِي الدُّنْيَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «قَدْ أَعْطَاكُمُ اللَّهُ خَيْراً مِمَّا أَعْطَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ»، وتَلاَ: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً﴾ [النساء: ١١٠]، وقال ابنُ عَبَّاس: سَبَبُهَا أَنَّ رافعَ بْنَ حُرَيْمِلَةَ اليهوديَّ سأل النبيَّ ﷺ تفجيرَ عُيونٍ، وغير ذلك[1]، وقيل غير هذا، وما سئل موسَىٰ ـ عليه السلام ـ هو أَنْ يري اللَّه جهرةً.

وكنى عن الإعراض عن الإيمان والإقبال على الكفر بالتبدُّل، و ﴿ضَلَّ﴾: أخطأ الطريق، والسواء مِنْ/ كل شيءٍ الوسَطُ، والمعظَمُ؛ ومنه: ﴿فِي سَوَاءِ الجَحِيمِ﴾ (٣٢ ب)

= انظر: «**طبقات ابن قاضي شهبة**» (١/ ٢٥٤)، «**طبقات السبكي**» (٣/ ٢٤٣)، «**تاريخ بغداد**» (١١/ ٨٣)، «**الأعلام**» (٤/ ١٨٠).

(١) أخرجه الطبري (١/ ٥٣٠) برقم (١٧٨٠) وقال أحمد شاكر في المطبوعة: «من قولهم»، والصواب ما أثبت من سيرة ابن هشام (٢/ ١٩٧) اهـ. وذكره السيوطي في «**الدر**» (١/ ٢٠١)، وعزاه لابن جرير، وابن أبي حاتم، ولابن إسحاق.

[الصافات: ٥٥] وقال حَسَّانُ بنُ ثابتٍ في رثاء النبيِّ ﷺ [الكامل]:

يَـا وَيْـحَ أَنْـصَـارِ الـنَّـبِـيِّ وَرَهْـطِـهِ بَـعْـدَ الـمُـغَـيَّـبِ فِـي سَـوَاءِ الـمُـلْـحَـدِ[1]

والسبيلُ: عبارة عن الشريعة التي أنزلها اللَّه تعالَىٰ لعباده.

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾﴾

وقوله تعالَىٰ: ﴿وَدَّ كثيرٌ مِنْ أهل الكتابِ لو يردُّونَكُم من بعد إيمانكم كفاراً...﴾ الآيةَ: قال ابنُ عَبَّاس: المراد ابنا أَخْطَبَ؛ حُيَيٌّ وأَبُو يَاسِرٍ، أي: وأتباعهما[2]، واختلف في سبب هذه الآيةِ، فقيل: إن حُذَيْفَةَ بْنَ اليَمَانِ[3]، وعَمَّار بْنَ يَاسِرٍ[4] أتيا بَيْتَ

---

(١) ينظر: «ديوانه» ص (٦٦)، و «لسان العرب» (١٤/ ٤١٢) (سوا)، وبلا نسبة من «المقتضب» (٢/ ٢٧٤)، و «السيرة مع الروض» (٤/ ٢٦٦)، و «مجاز القرآن» (١/ ٥٠)، و «الكامل» (٣/ ١٣٦٩).
وينظر: «تفسير الطبري» (١/ ٣٦٨)، و «القرطبي» (٢/ ٧٠)، «الدر المصون» (١/ ٣٤٠).

(٢) أخرجه الطبري (١/ ٥٣٤) برقم (١٧٩١)، وذكره السيوطي في «الدر» (١/ ٢٠١)، وعزاه لابن إسحاق، وابن جرير، وابن أبي حاتم. وذكره ابن عطية الأندلسي في «تفسيره» (١/ ١٩٦).

(٣) حذيفة بن اليمان (واسم اليمان حِسْل، وقيل: حُسَيل) بن جابر بن عمرو بن ربيعة بن جروة فروة، ابن الحارث بن مازن بن قَطيعة بن عبس بن بغيض. أبو عبد اللَّه العبسي، واليمان لقب: حسل والده. وقيل: لقب جروة بن الحارث. وقيل له ذلك؛ لأنه حالف الأنصار وهم من اليمن. من كبار الصحابة. صاحب سر رسول اللَّه ﷺ في المنافقين. روى عنه ابنه أبو عبيدة، وعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وقيس بن أبي حازم، وأبي وائل، وزيد بن وهب، وغيرهم. توفي سنة (٣٦) بعد وفاة عثمان بأربعين ليلة.
ينظر ترجمته في: «أسد الغابة» (١/ ٤٦٨)، «الإصابة» (١/ ٣٣٢)، «الثقات» (٣/ ٨٠)، «تجريد أسماء الصحابة» (١/ ١٢٥)، «الكاشف» (١/ ٢١٠)، «العبر» (١/ ٢٥)، «الاستيعاب» (١/ ٣٤٤).

(٤) عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين بن الوذيم... المذحجي أبو اليقظان. العنسي. حليف بني مخزوم. هو من السابقين الأولين إلى الإسلام.. وأمه سُمَيَّة، وهي أول من استشهد في سبيل اللَّه (عز وجل) وأبوه وأمه من السابقين، وكان إسلام عمار بعد بضعة وثلاثين، وهو ممن عذب في اللَّه. قال عمار: لقيت صهيب بن سنان على باب دار الأرقم ورسول اللَّه ﷺ فيها فقلت: ما تريد؟ فقال: ما تريد أنت؟ قلت: أريد أن أدخل على محمد وأسمع منه كلامه. فقال: وأنا أريد ذلك، فدخلنا عليه، فعرض علينا الإسلام، فأسلمنا. وهو من مشاهير الصحابة رضي اللَّه عنه.
قتل مع علي بـ «صفين» سنة (٣٧)، وله (٩٣ سنة).
ينظر ترجمته في: «أسد الغابة» (٤/ ١٢٩)، «الإصابة» (٤/ ٣٧٣)، «الثقات» (٣/ ٣٠٢)، «الاستيعاب»=

المِدْرَاس[(١)]، فأراد اليهودُ صرْفَهما عن دينهما، فثبتا عليه، ونزلت الآية، وقيل: إن هذه الآية تابعةٌ في المعنَىٰ لما تقدَّم من نَهْيِ اللَّه عزَّ وجلَّ عن متابعة أقوال اليهود في: ﴿رَاعِنَا﴾ [البقرة: ١٠٤] وغيره، وأنهم لا يودُّون أن ينزل على المؤمنين خيْرٌ، ويودُّون أن يردوهم كفاراً من بعد ما تبيَّن لهم الحق، وهو نبوءة محمَّد ﷺ.

* ت *: وقد جاءَتْ أحاديث صحيحةٌ في النهي عن الحسدِ، فمنها حديثُ مالكٍ في الموطَّإِ عن أنسٍ؛ أن رسُولَ اللَّه ﷺ قال: «لاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَاناً، وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثٍ»[(٢)] وأسند أبو عمر بن عبد البَرِّ عن الزُّبَيْر، قال: قال رَسُولُ اللَّه ﷺ: «دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الحَسَدُ وَالبَغْضَاءُ، حَالِقَتَا الدِّينِ، لاَ حَالِقَتَا الشَّعْرِ»[(٣)]. انتهى من «التمهيد».

= (٣/ ١١٣٥)، «تجريد أسماء الصحابة» (١/ ٣٩٤)، «التاريخ الصغير» (١/ ٧٩)، «الجرح والتعديل» (٦/ ٣٨٩).

(١) المِدْرَاس: البيت الذي يُدْرَسُ فيه القُرْآنُ، وكذلك مدراس اليهود، وهو المقصود هنا.
ينظر: «لسان العرب» (١٣٦٠).

(٢) أخرجه البخاري (١٠/ ٤٩٦) في الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر (٦٠٦٥)، وباب الهجرة (٧٠٧٦). ومسلم (٤/ ١٩٨٣ـ ١٩٨٤) في البر والصلة، باب تحريم التحاسد والتباغض والتدابر (٢٣ـ ٢٤/ ٢٥٥٩) وأبو داود (٢/ ٦٩٥) في الأدب، باب فيمن يهجر أخاه المسلم (٤٩١٠)، والترمذي (٤/ ٩٠) في البر والصلة، باب ما جاء في الحسد (١٩٣٥)، ومالك في الموطأ (٢/ ٩٠٧) في المهاجرة، باب ما جاء في حسن الخلق، باب ما جاء في المهاجرة (١٤). وأحمد (٣/ ١٩٩، ٢٠١، ٢٢٥، ٢٧٧، ٢٨٣). والحميدي (١١٨٣)، والطيالسي (٢١٩٠) وعبد الرزاق (٢٠٢٢٢)، وأبو يعلى (٣٢٦١) والبيهقي (١٠/ ٢٣٢) والبغوي في شرح السنة بتحقيقنا (٦/ ٤٩٠) برقم (٣٤١٦) من طرق عن أنس.

(٣) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٦٤) كتاب «صفة القيامة»، باب (٥٦) رقم (٢٥١٠)، وأحمد (١/ ١٦٥، ١٦٧)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٦/ ١٢٠) كلهم من طريق يحيى بن أبي كثير عن يعيش بن الوليد؛ أن مولى الزبير حدثه؛ أن الزبير بن العوام حدثه؛ أن النبي ﷺ قال، فذكره. وقال الترمذي: هذا حديث قد اختلفوا في روايته عن يحيى بن أبي كثير، فروى بعضهم عن يحيى بن أبي كثير عن يعيش بن الوليد، عن مولى الزبير عن النبي ﷺ ولم يذكروا فيه عن الزبير .اهـ.
والطريق المرسل الذي أشار إليه الترمذي: أخرجه ابن عبد البر في «التمهيد» (٦/ ١٢١). وهذا الحديث أخرجه البزار (٢/ ٤١٨، ٤١٩ـ كشف) رقم (٢٠٠٢) من طريق موسى بن خلف عن يحيى بن أبي كثير عن يعيش بن الوليد مولى لآل الزبير عن ابن الزبير به.
وقال البزار: هكذا رواه موسى بن خلف، ورواه هشام صاحب الدستوائي عن يحيى عن يعيش عن مولى للزبير عن الزبير. وقال الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٣٣): وإسناده جيد.
قلت: وفيه نظر كما سيأتي؛ فقال ابن أبي حاتم في «العلل» (٢/ ٣٢٧) رقم (٢٥٠٠): سئل أبو زرعة عن حديث رواه موسى بن خلف عن يحيى بن أبي كثير عن يعيش مولى ابن الزبير عن الزبير؛ أن النبي ﷺ=

والعَفْوُ: تركُ العُقُوبةِ، والصفْح: الإعراض عن المُذْنِبِ؛ كأنَّه يولي صفحة العُنُق، قال ابنُ عَبَّاس: هذه الآية منسوخةٌ بقوله تعالَىٰ: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون﴾ [التوبة: ٢٩] الآيةَ إلى قوله: ﴿صَاغِرُونَ﴾[١].

وقيل: بقوله: ﴿ٱقْتُلُوا المُشْرِكِينَ﴾[٢] [التوبة: ٥]، وقال قوم: ليس هذا حدَّ المنسوخِ؛ لأن هذا في نفْس الأمر كان التوقيفَ على مدَّته.

* ت *: وينبغي للمؤمن أَن يتأدَّب بآداب هذه الآية، وفي الحديث عن النبيِّ ﷺ؛ أَنَّهُ قَال: «أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَا يَرْفَعُ اللَّهُ بِهِ الدَّرَجَاتِ»؟ قَالُوا: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «تَحْلُمُ عَلَىٰ مَنْ جَهِلَ عَلَيْكَ، وَتَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ، وَتُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ، وَتَصِلُ مَنْ قَطَعَكَ» خرَّجه النسائيُّ[٣]. انتهى من «**الكوكب الدرِّيِّ**» لأبي العبَّاس أحمد بن سعيد التُّجِيبِيِّ.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّه على كلِّ شيءٍ قديرٌ﴾: مقتضاه في هذا الموضِعِ: وَعْدٌ للمؤمنين.

وقوله تعالى: ﴿وأقيموا الصَّلاة...﴾ الآية: قال الطبريُّ[٤]: إنما أمر اللَّه المؤمنين هنا بالصَّلاة والزَّكاة ليحطَّ ما تقدَّم من ميلهم إلى قول اليهودِ: ﴿رَاعِنَا﴾ [البقرة: ١٠٤]؛ لأنَّ ذلك نَهْيٌ عن نوعه، وقوله: ﴿تَجِدُوهُ﴾، أي: تجدوا ثوابه، وروى ابن المبارك في «**رَقَائِقِهِ**» بسنده قال: «جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَالِي لاَ أُحِبُّ المَوْتَ؟ فَقَالَ: هَلْ لَكَ مَالٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَقَدِّمْ مَالَكَ بَيْنَ يَدَيْكَ؛ فَإِنَّ

قال، فذكر الحديث، قال أبو زرعة: رواه علي بن المبارك، وشيبان، وحرب بن شداد عن يحيى بن أبي كثير عن يعيش بن الوليد بن هشام؛ أن مولى لآل الزبير حدثه؛ أن الزبير حدثه عن النبي ﷺ. قال أبو زرعة: الصحيح هذا، وحديث موسى بن خلف وهم.

(١) أخرجه الطبري (١/ ٥٣٦) برقم (١٧٩٩)، والبيهقي في «**الدلائل**» (٢/ ٥٨٢)، وذكره ابن عطية في تفسيره (١/ ١٩٦)، والسيوطي في «**الدر**» (١/ ٢٠٢)، وعزاه لابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «**الدلائل**». وذكره الشوكاني في «**تفسيره**» (١/ ١٩٤).

(٢) أخرجه الطبري (١/ ٥٣٦) برقم (١٧٩٩) عن ابن عباس، وعبد الرزاق في تفسيره (١/ ٥٥) عن قتادة، والبيهقي في «**الدلائل**» (٢/ ٥٨٢) عن ابن عباس، وذكره السيوطي في «**الدر**» (١/ ٢٠٢) عن ابن عباس، وعزاه لابن جرير، والبيهقي في «**الدلائل**»، وابن أبي حاتم، وابن مردويه. وذكره الشوكاني في «**تفسيره**» (١/ ١٩٤).

(٣) ذكره الهيثمي في «**مجمع الزوائد**» (٨/ ١٩٢) من حديث عبادة بن الصامت، وقال: رواه البزار، وفيه يوسف بن خالد السمتي، وهو كذاب.

(٤) «**تفسير الطبري**» (٢/ ٥٠٦).

المَرْءَ مَعَ مَالِهِ، إِنْ قَدَّمَهُ، أَحَبَّ أَنْ يَلْحَقَهُ، وَإِنْ خَلَفَهُ، أَحَبَّ التَّخَلُّفَ»[1]. انتهى.

١٣٣أ وقوله تعالَىٰ: ﴿إِنَّ اللَّه بما تعملون بصيرٌ﴾ خبرٌ في اللفظِ، معناه الوعْدُ والوعيدُ/.

﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾

وقوله تعالَىٰ: ﴿لن يدخل الجنَّة إلاَّ من كان هُوداً أو نصارَىٰ﴾، معناه: قال اليهودُ: لن يدخل الجَنَّة إلاَّ مَنْ كان هُوداً، وقال النصَارَىٰ: لن يدخل الجنة إلا من كان نصارَىٰ، فجمع قولهم. ودلَّ تفريقُ نوعَيْهم على تفريقِ قولَيْهم، وهذا هو الإيجازُ واللفُّ.

و ﴿هُوداً﴾: جمعُ هَائِدٍ[2]، ومعناه: التائبُ الراجعُ، وكذَّبهم اللَّه تعالى، وجعل قولهم أمنيَّةً، وأمر نبيَّه ـ عليه السلام ـ بدعائهم إلى إظهار البُرْهان، وهو الدليلُ الذي يوقع اليقينَ، وقولهم: «لَنْ» نفي حسُنت بعده «بَلَىٰ»؛ إذ هي ردٌّ بالإيجاب في جواب النفي، حرْفٌ مرتَجَلٌ لذلك، و ﴿أَسْلَمَ﴾: معناه: ٱستسلَمَ، وخضَع، ودان، وخص الوجْهَ بالذكْر؛ لكونه أشرف الأعضاء، وفيه يظهر أثر العِزِّ والذُّلِّ، ﴿وهو محسنٌ﴾: جملة في موضعِ الحالِ.

وقوله تعالى: ﴿وقالتِ اليهودُ...﴾ الآية: معناه: أنه ٱدَّعَىٰ كلُّ فريقٍ أنه أحقُّ برحمةِ اللَّه من الآخر، وسبب الآية أن نصارَىٰ نجران اجتمعوا مع يهود المدينةِ عند النبيِّ ﷺ فتسابُّوا، وكَفَرَ اليهودُ بعيسَىٰ وبملَّته، وبالإنجيلِ، وكَفَر النصارَىٰ بمُوسَىٰ وبالتَّوراة.

ع[3]: وفي هذا من فعلهم كفر كل طائفة بكتابها؛ لأن الإنجيلَ يتضمَّن صدْقَ موسَىٰ، وتقرير التَّوْراة، والتوراةَ تتضمَّن التبشيرَ بعيسَىٰ، وكلاهما يتضمَّن صدْقَ النبيِّ ﷺ،

---

(١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (ص ٢٢٤) رقم (٦٣٤) عن عبد اللَّه بن عبيد به.

(٢) ينظر: «عمدة الحفاظ» (٤/ ٣٠٧).

(٣) «المحرر الوجيز» (١/ ١٩٨).

فعنفهم اللّه تعالَىٰ علَىٰ كذبهم، وفي كتبهم خلافُ ما قالوا.

وفي قوله تعالى: ﴿وهم يتلون الكتاب﴾ تنبيهٌ لأمة محمَّد ﷺ علَىٰ ملازمة القُرْآن، والوقوف عند حدوده، والكتَابُ الذي يتلونه، قيل: هو التوراةُ والإنجيل، فالألف واللام للْجِنْسِ، وقيل: التوراةِ؛ لأن النصارَىٰ تمتثلُها.

وقوله تعالى: ﴿كذلك قال الَّذِينَ لا يعلمون﴾ يعني: كفار العَرَبِ؛ لأنهم لا كتابَ لهم، ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ...﴾ الآية، أي: فيثيب من كان على شيءٍ، ويعاقب من كان على غَيْر شيء، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ...﴾ الآيَةَ، أي: لا أحد أظلم من هؤلاء، قال ابنُ عَبَّاس وغيره: المراد النصارَى الذين كانِوا يؤذون من يصلِّي ببَيْت المَقْدِس[1]، وقال ابن زَيْد: المراد كُفَّار قُرَيْش حين صدُّوا رسول اللَّهِ ﷺ عن المسجِدِ الحرامِ[2]، وهذه الآية تتناوَلُ كلَّ من منع من مسجد إلى يوم القيامة.

وقوله سبحانه: ﴿أولئكَ ما كان لهم أنْ يَدْخُلُوهَا إلاَّ خَائِفِينَ...﴾ الآيَةَ: فمن جعل الآية في النصارَىٰ، روَىٰ أنَّه مَرَّ زمَنٌ بعْد ذلك لا يدخل نصرانيٌّ بيْتَ المَقْدِس إلا أوجع ضرباً، قاله قتادةُ والسُّدِّيُّ[3]، ومن جعلها في قريش، قال: كذلك نودي بأمر النبيِّ ﷺ ألاَّ يَحُجَّ مُشْرِكٌ، وَألاَّ يَطُوفَ بِالبَيْتِ عُرْيَانٌ[4]؛ ﴿وأَيْنَمَا﴾[5] شرط، ﴿وتُوَلُّوا﴾ جزمٌ به،

---

(١) أخرجه الطبري (١/ ٥٤٤) برقم (١٨٢٢) بلفظ: «إنهم النصارى»، وذكره ابن عطية الأندلسي في «تفسيره» (١/ ١٩٩)، والسيوطي في «الدر» (١/ ٢٠٤)، وعزاه لابن جرير، ولفظه السيوطي: «هم النصارى».

(٢) أخرجه الطبري (١/ ٥٤٦) برقم (١٨٢٨) وذكره ابن كثير (١/ ١٥٦) ورجح قول ابن زيد. وذكره ابن عطية في «تفسيره» (١/ ١٩٩)، والبغوي في «تفسيره» (١/ ١٠٧)، ولفظه «نزلت في مشركي مكة، وأراد بالمساجد المسجد الحرام، منعوا رسول اللّه ﷺ وأصحابه من حجه والصلاة فيه عام الحديبية»، وذكره السيوطي في «الدر» (١/ ٢٠٤)، وعزاه لابن جرير.

(٣) أخرجه الطبري (١/ ٥٤٧) برقم (١٨٢٩) عن قتادة وبرقم (١٨٣١) عن السدي. وذكره ابن عطية في تفسيره (١/ ١٩٩) عن قتادة والسدي.

(٤) أخرجه البخاري (٣/ ٤٨٣)، كتاب «الحج»،باب لا يطوف بالبيت عريان، الحديث (١٦٢٢)، ومسلم (٢/ ٩٨٢)، كتاب «الحج»، باب لا يحج البيت مشرك، الحديث (٤٣٥/ ١٣٤٧) واللفظ له، من حديث أبي هريرة قال: «بعثني أبو بكر الصديق (رضي اللّه عنه)، في الحَجَّة التي أمره عليها رسول اللّه ﷺ، قبل حجة الوداع في رهط يؤذنون في الناس يوم النحر: «لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان».

(٥) «أين» هنا اسم شرط بمعنى «إن» و «ما» مزيدة عليها «وتولوا» مجزوم بها وزيادة «ما» ليست لازمة لها بدليل قوله: =

٣٠٦ ـــــــ

وأَعْلَمُوا عَلامَاتٍ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا، رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ أَخْطَئُوهَا، فَعَرَّفُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِذَلِكَ، فَنَزَلَت هَذِهِ الآيَة»[1].

---

(١) أخرجه أبو داود الطيالسي (ص ـ ١٥٦)، الحديث (١١٤٥)، والترمذي (٢/ ١٧٦)، كتاب «الصلاة»، باب ما جاء في الرجل يصلي لغير القبلة في الغيم، الحديث (٣٤٥)، وابن ماجة (١/ ٣٢٦)، كتاب «إقامة الصلاة»، باب من يصلي لغير القبلة وهو لا يعلم، الحديث (١٠٢٠)، والدارقطني (١/ ٢٧٢): كتاب «الصلاة»، باب الاجتهاد في القبلة، الحديث (٥)، وأبو نعيم (١/ ١٧٩)، والبيهقي (٢/ ١١)، كتاب «الصلاة»، باب استبيان الخطأ بعد الاجتهاد، وعبد بن حميد (ص ـ ١٣٠)، رقم (٣١٦)، والطبري في «تفسيره» (٢/ ٥٣١)، والعقيلي في «الضعفاء» (١/ ٣١)، من رواية الربيع بن السمان، عن عاصم بن عبيد الله، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة، عن أبيه به، وقال الترمذي: (ليس إسناده بذاك، لا نعرفه إلا من حديث أشعث السمان، وأشعث بن سعيد، أبو الربيع السمان يضعف في الحديث).

وقال العقيلي: وأما حديث عامر بن ربيعة، فليس يروى من وجه يثبت متنه، وقد توبع أبو الربيع السمان.

تابعه عمرو بن قيس عند الطيالسي، وسعد بن سعيد، عند عبد بن حميد؛ لتنحصر علة الحديث في عاصم بن عبيد الله.

وعاصم بن عبيد الله: قال الحافظ: ضعيف.

ينظر: «التقريب» (١/ ٣٨٥).

وقال العلامة أحمد شاكر في «تعليقه على الطبري» (٢/ ٥٣١)، حديث ضعيف.

وقد وردت القصة من وجه آخر من حديث جابر بن عبد الله: أخرجه الحاكم (١/ ٢٠٦)، كتاب «الصلاة»، والدارقطني (١/ ٢٧٢)، والبيهقي (٢/ ١٠)، من طريق داود بن عمرو، ثنا محمد بن يزيد الواسطي، عن محمد بن سالم، عن عطاء، عن جابر قال: «كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فأصابنا غيم..» فذكره، قال الدارقطني: (كذا قال: عن محمد بن سالم؛ وقال غيره: عن محمد بن يزيد، عن محمد بن عبيد الله العزرمي عن عطاء، وهما ضعيفان).

وقال الحاكم: (رواتُه محتج بهم كلهم، غير محمد بن سالم، فإني لا أعرفه بعدالةٍ ولا جرح).

وأخرجه الدارقطني (١/ ٢٧٢)، والبيهقي (٢/ ١١)، أيضاً من طريق أحمد بن عبيد الله بن الحسن العنبري قال: وجدت في كتاب أبي: ثنا عبد الملك بن أبي سليمان العزرمي، عن عطاء بن أبي رباح، عن جابر (رضي الله عنهما) قال: «بعث رسول الله ﷺ بسرية كنت فيها، فأصابتنا ظلمة، فلم نعرف القبلة...» فذكر الحديث، وفيه: «فأتينا النبي ﷺ فسألناه عن ذلك، فسكت؛ وأنزل الله (عز وجل): ﴿ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ أي حيث كنتم».

قال البيهقي: (وكذلك رواه الحسن بن علي بن شبيب العمري، ومحمد بن محمد بن سليمان الباعتدي، عن أحمد بن عبيد الله، ولم نعلم لهذا الحديث إسناداً صحيحاً قوياً، وذلك؛ لأن عاصم بن عبيد الله بن عمر العمري، ومحمد بن عبيد الله العزرمي، ومحمد بن سالم الكوفي، كلهم ضعفاء، والطريق إلى عبد الملك العزرمي غير واضح؛ لما فيه من الوجادة وغيرها، وفي حديثه أيضاً نزول الآية في ذلك، وصحيح عن عبد الملك بن أبي سليمان العزرمي، عن سعيد بن جبير، عن عبد الله بن عمر بن الخطاب، أن الآية إنما نزلت في التطوع خاصة، حيث توجه بك بعيرك).

وقيلَ: نزلت الآية حين صُدَّ رسولُ اللَّه ﷺ عن البَيْتِ.

و ﴿وَاسِع﴾: معناه مُتَّسِعُ الرحمة، ﴿عَلِيمٌ﴾ أين يضعها، وقيل: ﴿واسع﴾: معناه هنا أنه يوسِّع على عباده في الحُكْم دينُهُ يُسْرٌ، ﴿عليم﴾ بالنيَّات التي هي ملاكُ العمل.

﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وقالوا ٱتَّخَذَ اللَّه ولَداً سبحانه...﴾ الآية: اختلف علَىٰ مَنْ يعود ضميرُ «قَالُوا»، فقيل: على النصارَىٰ، وهو الأشبه، وقيل: على اليهود؛ لأنهم قالوا: عُزَيْرٌ ٱبْنُ اللَّهِ، وقيل: على كفرة العربِ؛ لأنهم قالوا: الملائكة بنَاتُ اللَّه.

* ت *: وقال أبو عبد اللَّه اللَّخْمِيُّ: ويحتمل أن يعني بالآية كلُّ من تقدَّم ذكره من الكفرة، وقد تقدَّم ذكر اليهود والنصارَىٰ والذين لا يعلمون، وهم المشركون، وكلُّهم قد ٱدعَىٰ للَّه ولداً، تعالى اللَّه عن قولهم. انتهى من «**مختصر الطبريِّ**».

و ﴿سُبْحَانَهُ﴾: مصدر، معناه: تنزيهاً له وتبرئةً مما قالوا، والقُنُوتُ؛ في اللغة: الطاعةُ، والقنوتُ: طول القيام، فمعنى الآية: إن المخلوقات تقنُتُ للَّه، أي: تخشع، وتطيع، والكفار قنوتُهم في ظهور الصنعة عليهم وفيهم، وقيل: الكافر يسجد ظلُّه، وهو كارهٌ، و ﴿بَدِيع﴾: مصروفٌ من مُبْدِعٍ، والمُبْدِعُ: المخترِعُ المنشىءُ، وخص السَّموات والأرضَ بالذكْر؛ لأنها أعظم ما نَرَىٰ من مخلوقاته جلَّ وعلاَ.

و ﴿قَضَىٰ﴾: معناه: قدَّر، وقد يجيء بمعنى: أَمْضَىٰ، ويتجه في هذه الآية المعنَيَانِ، والأمر: واحد الأمور، وليس هو هنا بمصدر أَمَرَ يَأْمُرُ، وتلخيص المعتَقَدِ في هذه الآية؛ أنَّ اللَّه عزَّ وجلَّ لم يزل آمراً للمعدومات بشرط وجودِهَا، قادراً مع تأخُّر المقدورات، عالماً مع تأخُّر وقوع المعلوماتِ، فكلُّ ما في الآية ممَّا يقتضي الاستقبال، فهو بحسب المأموراتِ إذ المحدَثَاتُ تجيء بعد أنْ لم تكنْ، وكل ما يستند إلى اللَّه تعالَىٰ من قدرةٍ وعلم وأمر، فهو قديمٌ لم يزَلْ، والمعنى الَّذي تقتضيه عبارةُ ﴿كُنْ﴾ هو قديمٌ قائمٌ بالذاتِ، والوضوح التامُّ في هذه المسألة [لا] يحتاج أكثر من هذا البَسْط.

* ت *: وقد قدَّمنا ما يزيدُ هذا المعنَىٰ وضُوحاً عند قوله تعالَىٰ: ﴿وإذ قلنا للملائكة اسْجُدُوا لآدم﴾ [البقرة: ٣٤]، فٱنظره.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم

مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾

وقوله تعالَىٰ: ﴿وقال الذين لا يعلمون لَوْلاَ يكلِّمنا اللَّه...﴾ الآية: قال الربيعُ والسُّدِّيّ: هم كفار العرب[1]، وقد طلب عبد اللَّه بن أمية وغيره من النبيِّ ﷺ نحو هذا، وقال مجاهدٌ: هم النصارَىٰ[2]، وقال ابن عباس: المراد من كان على عهد النبيِّ ﷺ من اليهود؛ لأنَّ رافع بن حُرَيْمِلَةَ قال للنبيِّ/ ﷺ: أَسْمِعْنَا كَلاَمَ اللَّهِ[3]، وقيل: الإشارة إلى ٣٤أ جميع هذه الطوائف؛ لأنهم كلهم قالوا هذه المقالة، و ﴿لَوْلاَ﴾ تحضيضٌ بمعنى «هَلاَّ»، والآية هنا العلامة الدالَّة، و ﴿الذين من قبلهم﴾ هم اليهودُ والنصارَىٰ في قول من جعل ﴿الذين لا يعلمون﴾ كفَّارَ العرب، وهم اليهودُ في قول مَنْ جعل ﴿الذين لا يعلمون﴾ النصارَىٰ، وهم الأمم السالفة في قول من جعل ﴿الذين لا يَعْلَمُون﴾ العربَ والنصارَىٰ واليهُودَ وتشابه القلوب هنا في طَلَب ما لا يَصِحُّ أو في الكفر.

وقوله تعالى: ﴿قد بيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يوقِنُونَ﴾ قرينة تقتضي أن اليقين صفة لعلمهم، وقرينةٌ أخرى أنَّ الكلام مدْحٌ لهم.

وقوله تعالى: ﴿إنا أرسلناك بالحق بَشِيراً﴾، أي: لمن آمن، ونذيراً لمن كفر، وقرأ نافع وحده[4] ولا تسأل، أي: لا تسأل عن شدَّة عذابهم؛ كما تقول: فلانٌ لا تَسْأَلْ عَنْه، تعني أنه في نهاية تشهره من خيْرٍ أو شرٍّ.

* ت *: وزاد في «**مختصر الطبرِّي**»، قال: وتحتمل هذه القراءة معنى آخر، وهو،

---

(١) أخرجه الطبري (١/ ٥٦٠) برقم (١٨٦٦) عن الربيع بلفظ: «هم كفار العرب»، وبرقم (١٨٦٧) عن السدي: «فهم العرب» اهـ.
وذكره ابن عطية في «**تفسيره**» (١/ ٢٠٢).

(٢) أخرجه الطبري (١/ ٥٦٠) برقم (١٨٦٢)، (١٨٦٣) من طريقين عن مجاهد.
وذكره ابن عطية في «**تفسيره**» (١/ ٢٠٢)، والبغوي في «**معالم التنزيل**» (١/ ١٠٩).

(٣) أخرجه الطبري (١/ ٥٦٠) برقم (١٨٦٤) وذكره ابن عطية في «**تفسيره**» (١/ ٢٠٢)، والسيوطي في «**الدر**» (١/ ٢٠٨)، وعزاه لابن إسحاق، وابن جرير وابن أبي حاتم. وذكره الشوكاني في «**تفسيره**» (١/ ١٩٩).

(٤) ينظر: «**السبعة**» (١٦٩)، و «**الكشف**» (١/ ٢٦٢)، و «**حجة القراءات**» (١١١)، و «**الحجة للقراء السبعة**» (٢/ ٢٠٩)، و «**العنوان**» (٧١)، و «**شرح طيبة النشر**» (٤/ ٦٠)، و «**معاني القراءات**» (١/ ١٧٠)، و «**شرح شعلة**» (٢٧٤)، و «**إتحاف**» (١/ ٤١٤).

واللَّه أعلم، أظهر، أي: ولا تسأل عنهم سؤالَ مكْتَرِثٍ[١] بما أصابهم، أو بما هم عليه من الكُفْر الذي يوردهم الجحيمَ؛ نظيرَ قوله عز وجل: ﴿فَلاَ تَذْهَبِ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ [فاطر: ٨]، وأما ما روي عن محمَّد بن كعب القُرَظِيِّ ومن وافقه؛ من أن النبيَّ ﷺ سَأَلَ، مَا فَعَلَ أَبَوَايَ؟ فنَزَلَتِ الآيةُ في ذلك، فهو بعيدٌ، ولا يتصل أيضاً بمعنى مَا قبله. انتهى.

وقرأ باقي السبعة: «وَلاَ تُسْأَلُ»؛ بضم التاء واللام.

و ﴿الجحيمُ﴾: إحدى طبقات النار.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هُدَى اللَّه هو الهُدَىٰ﴾، أي: ما أنت عليه يا محمَّد من هدى اللَّه هو الهدَى الحقيقيُّ، لا ما يدعيه هؤلاء، ثم قال تعالى لنبيِّه: ﴿وَلَئِنِ ٱتبعتَ أهواءهم بَعْد الذي جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ مَا لَكَ من اللَّهِ مَنْ وَلِيٍّ ولا نصيرٍ﴾ فهذا شرط خوطب به النبيُّ ﷺ وأمته معه داخلةٌ فيه.

* ت *: والأدب أن يقال: خُوطِبَ به ﷺ والمراد أُمَّتُهُ؛ لوجودِ عصمته ﷺ وكذلك الجواب في سائر ما أشبه هذا المعنَىٰ من الآيِ، وقد نبَّه ـ رحمه اللَّه ـ علَىٰ هذا المعنَىٰ في نظيرتها؛ كما سيأتي، وكان الأولَىٰ؛ أن ينبِّه علَىٰ ذلك هنا أيضاً، وقد أجاب عِيَاضٌ عن الآيِ الواردةِ في القرآن ممَّا يوهمُ ظاهره إشكالاً، فقال ـ رحمه اللَّه ـ: اَعْلَمْ، وفَّقنا اللَّه وإياكَ، أنه ـ عليه السلام ـ لا يصحُّ ولا يجوز علَيْه ألاَّ يبلغ، وأن يخالف أمر ربه، ولا أن يشرك ولا أن يتقوَّل[٢] على اللَّه ما لا يجبُ أو يفترى عليه، أو يضل، أو يختم علَىٰ قلبه[٣]، أو يطيع الكافرين، لكن اللَّه أمره بالمكاشفةِ والبيان[٤] في البلاغ للمخالِفِينَ، وأن إبلاغه، إنْ لم يكُنْ بهذا البيان فكأنه ما بلَّغ، وطيَّب نفسه، وقوَّى قلبه بقوله تعالَىٰ: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[٥] [المائدة: ٦٧] كما قال لموسَىٰ وهارون ـ عليها السلام ـ: ﴿لاَ تَخَافَا﴾ [طه: ٤٦] لتشتد بصائرهم[٦] في الإبلاغ وإظهار دين اللَّهِ، ويذهب

---

(١) يقال: ما أكترث به، أي ما أبالي، ولا يستعمل إلا في النفي، فإن ورد في إثبات فهو شاذ. ينظر: «لسان العرب» (٣٨٤٨) (كرث).

(٢) أي: يكذب عليه ويفتري.

(٣) يختم على قلبه: يطبع عليه ما يمنعه عن قبول الحق.

(٤) بالمكاشفة والبيان: بكشفه له وتبيينه.

(٥) «ويعصمك من الناس»: أي يحميك ويصونك عنهم حتى لا يقدر أحد على شيء يضرك.

(٦) تشتد: تقوى، وتزيد شدة. بصائرهم: المقصود بهم موسى، وهارون، ومحمد. أي: يكونون على بصيرة ويقين في أمورهم.

عنهمْ خَوْفُ العدوِّ المضعف لليقين، وأما قوله تعالى: ﴿ولو تقوَّل علينا بَعْضَ الأقاويلِ...﴾ [الحاقة: ٤٤] الآية، وقوله: ﴿إذاً لأذقناك ضِعْفَ الحياةِ﴾ [الإسراء: ٧٥]، فمعناه: أنَّ هذا جزاء من فعل هذا، وجزاؤك لو كنت ممن يفعله، وهو ﷺ لا يفعله، وكذلك قوله تعالَى: ﴿وإنْ تطع أكْثَرَ مَنْ في الأرض﴾ [الأنعام: ١١٦] فالمراد غيره، كما قال: ﴿إنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ الآية [آل عمران: ١٤٩] وقوله: ﴿إن يشإِ اللَّه يختمْ على قلبك﴾ [الشورى: ٢٤]، وَ ﴿لئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥] وما أشبهه، فالمراد غيره، وأن هذا حال مَنْ أشرك، والنبيُّ ﷺ لا يَجُوزُ عليه هذا، وقوله تعالَىٰ: ﴿اتَّقِ/ اللَّهَ ٣٤ ب
وَلاَ تُطِعِ الكَافِرِينَ﴾ [الأحزاب: ١]، فليس فيه أنه أطاعهم، واللَّه يَنْهَاهُ عما يشاء، ويأمره بما يشاء؛ كما قال تعالَىٰ: ﴿وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ...﴾ [الأنعام: ٥٢] الآية، وما كان طَرَدَهُمْ ـ عليه السلام ـ ولا كَانَ من الظالمين. انتهى من «الشِّفَا»[١].

* ص[٢] *: ﴿وَلَئِنْ﴾: هذه اللام هي الموطِّئة والموذنةُ، وهي مشعرةٌ بِقَسَمٍ مقدَّر قبلها. انتهى.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يتلونه...﴾ الآية: قال قتادة: المراد بـ «الَّذِينَ» في هذا الموضع: مَنْ أَسْلَمَ من أمَّةِ النبيِّ ﷺ، والكتابُ علَىٰ هذا: التأويل القرآن[٣]، وقال ابنُ زَيْد: المراد مَنْ أسلم من بني إسرائيل[٤]، والكِتَابُ؛ على هذا التأويلِ: التوراةُ، و ﴿آتَيْنَاهُمْ﴾: معناه: أعطيناهم، و ﴿يَتْلُونَهُ﴾: معناه: يتبعونه حقَّ اتباعه بامتثالِ الأمر والنهي، قال أحمد بن نَصْر الدَّاوُودِيُّ: وهذا قول ابن عباس، قال عِكْرِمَةُ: يقال: فلانٌ يتلو فلاناً، أي: يتبعه؛ ومنه: ﴿وَالقَمَرِ إِذَا تَلاَهَا﴾ [الشمس: ٢] أي: تبعها. انتهى.

---

(١) ينظر: «الشفا» (ص ٧١٧، ٧١٨).

(٢) «المجيد» (ص ٣٩٦).

(٣) أخرجه الطبري (١/ ٥٦٦) برقم (١٨٨٠)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (١/ ٢٠٤)، والسيوطي في «الدر» (١/ ٢١٠)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير.

(٤) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (١/ ٢٠٤).

ولله دَرُّ مَنِ ٱتَّبَعَ كلامَ ربِّهِ، وٱقتفىٰ سُنَّة نبيِّه، وإن قلَّ عِلْمُهُ، قال القُضَاعِيُّ في اختصاره لِـ «**المدارك**»: قال في ترجمة سُحْنُون[1]: كان سُحْنُون يقول: مَثَلُ العلْمِ القليلِ في الرجُلِ الصالحِ مَثَلُ العَيْنِ العَذْبَةِ في الأرض العَذْبة، يزرع علَيْها صاحبُها ما ينتفعُ به، ومَثَلُ العلْمِ الكثيرِ في الرجُلِ الطالحِ مَثَلُ العَيْن الخَرَّارة في السَّبِخَةِ تهرُّ الليلَ والنَّهارَ، ولا ينتفعُ بها. انتهى.

وقيل: ﴿يتلونه﴾: يقرءونه حقَّ قراءته، وهذا أيضاً يتضمَّن ٱلاِتِّباع وٱلاِمتثالَ، و ﴿حَقّ﴾[2]: مصدرٌ، وهو بمعنَى أفْعل، والضمير في «بِهِ» عائدٌ على «الكتاب»، وقيل: يعود على محمَّد ﷺ؛ لأن مُتَّبِعِي التوراةِ يجدُونه فيها، فيؤمنون به، والضميرُ في ﴿يَكْفُرْ بِهِ﴾ يحتمل من العود ما ذكر في الأول.

وقوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسرائيل...﴾ الآيَةَ: تقدَّم بيان نظيرها، ومعنى: ﴿لاَ تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ﴾: أنه ليستْ ثَمَّ، وليس المعنَىٰ أنه يشفع فيهم أحَد، فيردّ، وأما الشفاعةُ التي هي في تعجيلِ الحسَابِ، فليستْ بنافعة لهؤلاءِ الكَفَرة.

* ت *: ولم ينبِّه ـ رحمه اللَّه ـ علَىٰ هذا في التي تقدَّمت أولَ السورة، و ﴿ٱبْتَلَىٰ﴾ معناه: ٱخْتَبَرَ، وفي «**مختَصَرِ الطَّبريِّ**»: ﴿ٱبْتَلَىٰ﴾، أي: ٱختَبَرَ، والاَختبارُ من اللَّه عزَّ وجلَّ لعباده علَىٰ علْمٍ منه سبحانه بباطِنِ أمرهم وظاهره، وإنما يبتليهم ليظهر منهم سابقُ علمه

---

(١) هو الإمام سحنون، أبو سعيد عبد السلام بن سعيد التنوخي، القيرواني، الفقيه، الحافظ، العابد، الورع، المتفق على فضله وإمامته، اجتمع فيه من الفضائل ما تفرق في غيره، أخذ العلم عن أئمة من أهل المشرق والمغرب. وأخذ عنه من أئمة الرواة نحو سبعمائة، انتهت إليه الرياسة في العلم، وعليه المعول في المشكلات، وإليه الرحلة، ومدونته عليها الاعتماد في المذهب المالكي. ولد رحمه الله سنة ١٦٠هـ، وتوفي سنة ٢٤٠هـ وقبره بـ «القيروان».

ينظر: «**الديباج**» (٢/ ٣٠)، و «**الشجرة الزكية**» (ص ٦٩).

(٢) فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه نصب على المصدر، وأصله: «تلاوة حقاً» ثم قدم الوصف وأضيف إلى المصدر، وصار نظير: «ضربت شديد الضرب» أي: ضرباً شديداً، فلما قدم وصف المصدر نصب نصبه.

الثاني: أنه حال من فاعل يتلونه، أي: يتلونه محقين.

الثالث: أنه نعت مصدر محذوف، وقال ابن عطية: و «حق» مصدر، والعامل فيه فعل مضمر، وهو بمعنى أفعل، ولا تجوز إضافته إلى واحد معرف، وإنما جازت هنا لأن تعرف التلاوة بإضافتها إلى ضمير ليس بتعرف محض، وإنما هو بمنزلة قولهم: «رجل واحد أمه، ونسيج وحده» يعني أنه في قوة أفعل التفضيل بمعنى أحق التلاوة، وكأنه يرى أن إضافة أفعل غير محضة، ولا حاجة إلى تقدير عامل فيه، لأن ما قبله يطلبه. ينظر: «**الدر المصون**» (١/ ٣٥٨).

فيهم، وقد روي ذلك عن عليٍّ ـ رضي اللَّه عنه ـ في قوله عز وجَلَّ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَا أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١] فقال رضي اللَّه عنه: إن اللَّه عزَّ وجلَّ لم يزلْ عالماً بأخبارِهِمْ وخُبْرِهِمْ وما هُمْ عليه، وإن قوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نعلم﴾، أي: حتَّىٰ نسوقَكُم إلى سابقِ علْمِي فيكم. انتهى، وهو كلام حسنٌ.

وقد نبه * ع *: عَلىٰ هذا المعنَىٰ فيما يأتي، والعقيدةُ أنَّ علمه سبحانه قديمٌ، عَلِمَ كلَّ شيء قبْلَ كونه، فجَرَىٰ على قَدَرِهِ لا يكون من عباده قولٌ ولا عملٌ إلا وقد قضاه، وسبق علمه به سبحانه لا إله إلا هو.

و ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾: يقال: إنَّ تفسيره بالعربيَّةِ أَبٌ رَحِيمٌ، واختلف أهل التأويل في «الكلمات»، فقال ابن عَبَّاس: هي ثلاثُونَ سَهْماً هي الإسلام كلُّه، لم يتمَّه أحدٌ كاملاً إلا إبراهيمُ ـ عليه السلام ـ منْها في «**براءة**»: ﴿ٱلتَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ...﴾ الآية [التوبة: ١١٢]، وعشرة في «**الأحزاب**»: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ...﴾ الآيةَ [الأحزاب: ٣٥]، وعَشَرة في ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾[1] [المعارج: ١].

* ت *: وقيل غير هذا.

وفي «**البخاريِّ**»: أنه اختتن، وهو ابن ثمانينَ سنَةً بالقَدُومِ[2]، قال الراوي: فأوحى اللَّه إليه ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً﴾ والإمام القُدْوة.

وإنما سمِّيت هذه الخصالُ كلماتٍ؛ لأنها/ اقترنتْ بها أوامر هي كلمات، وروي أن ١٣٥ أ

(١) أخرجه الطبري (١/ ٥٧٢) برقم (١٩٠٩ـ ١٩١٠ـ ١٩١١)، والحاكم (٢/ ٥٥٢)، وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. وصححه الذهبي. وذكره البغوي في «**تفسيره**» (١/ ١١١)، وابن عطية الأندلسي في «**تفسيره**» (١/ ٢٠٥)، وابن كثير (١/ ١٦٥)، والسيوطي في «**الدر**» (١/ ٢١١)، وعزاه لابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والحاكم، وابن مردويه، وابن عساكر، وذكره الشوكاني في «**تفسيره**» (١/ ٢٠٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ٤٤٧) كتاب «أحاديث الأنبياء»، باب قول اللَّه تعالى: ﴿واتخذ اللَّه إبراهيم خليلاً﴾ حديث (٣٣٥٦)، ومسلم (٤/ ١٨٣٩) كتاب «الفضائل»، باب من فضائل إبراهيم الخليل ﷺ، حديث (١٥١/ ٢٣٧٠)، وأحمد (٢/ ٤١٨)، والبيهقي (٨/ ٣٢٥) كتاب «الأشربة»، باب السلطان يكره على الاختتان. كلهم من طريق أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «اختتن إبراهيم على رأس ثمانين سنة، واختتن بالقدوم».

وللحديث طريق آخر عن أبي هريرة: أخرجه أبو يعلى (١٠/ ٣٨٣ـ ٣٨٤) رقم (٥٩٨١) من طريق محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة به.

إبراهيم، لما أتمَّ هذه الكلماتِ أو أتمَّها اللَّه عليه، كتب اللَّه له البراءة من النَّار، فذلك قوله تعالَىٰ: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ﴾ [النجم: ٣٧]. وقول إبراهيم عليه السلام: ﴿ومن ذرِّيتي﴾ هو على جهةِ الرغباءِ إلى اللَّه، أي: ومن ذريتي، يا ربِّ، فٱجعلْ.

وقوله تعالى: ﴿قال لا ينال عهدي الظالمين﴾، أي: قال اللَّه، والعهد فيما قال مجاهد: الإمامة[١].

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وإذ جعلنا البَيْتَ﴾، أي: الكعبة ﴿مَثَابَةً﴾[٢]، يحتملُ مِنْ ثَابَ إذا رجع، ويحتمل أن تكون من الثواب، أي: يثابون هناك، ﴿وَأَمْناً﴾ للناسِ والطيرِ والوُحُوشِ؛ إذ جعل اللَّه لها حرمةً في النفوس؛ بحيث يَلْقَى الرجُلُ بها قاتِلَ أبيه، فلا يهيجه، وقَرَأَ جمهور الناس: «وَٱتَّخِذُوا»، بكسر الخاء؛ على جهة الأمر لأمَّة محمَّد ﷺ، وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، «واتَّخَذُوا»[٣] بفتح الخاء؛ على جهة الخبر عن مَنِ ٱتَّخَذَه مِنْ متبعي إبراهيم ـ عليه السلام ـ ومقام إبراهيم في قول ابن عَبَّاس، وقتادة، وغيرهما، وخرَّجه البُخَارِيُّ هو الحَجَر الذي ٱرتفع عليه إبراهيم حينَ ضَعُف عن رفْع الحجارةِ الَّتي كان إسماعيلُ يناوله إياها في بنَاء البَيْت، وغَرِقَتْ قدماه فيه، و ﴿مُصَلًّى﴾: موضع صلاة.

* ص[٤] *: ﴿مِنْ مَقَامِ﴾: مِنْ تبعيضيةٌ على الأظهر، أو بمعنَىٰ: «في» أو زائدة؛

---

(١) أخرجه الطبري (١/٥٧٨) برقم (١٩٤٨) بلفظ: «لا يكون إمام ظالماً» من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد. وذكره ابن عطية في «تفسيره» (١/٢٠٦)، كما ذكر المصنف.

(٢) قوله تعالى: ﴿وإذ جعلنا البيت مثابة للناس﴾ قيل: مكانًا يثوبون إليه كل وقت على ممر الأيام وتكرر الأعوام، لا يملون منه. وقيل: مكاناً يكسبون فيه الثواب.
قال السمين: ولا شك أنه موجود فيه الأمران. ومنه: إن فلاناً لمثابة ولمثاباً، أي تأتيه الناس لمعروفه، ويرجعون إليه مرة أخرى.
ينظر: «عمدة الحفاظ» (١/٣٣٩)، و «غريب القرآن» لابن قتيبة (٦٣).

(٣) ينظر: «حجة القراءات» (١١٣)، و «الحجة» (٢/٢٢٠)، و «العنوان» (٧١)، و «شرح الطيبة» (٤/٦٧)، و «إتحاف» (١/٤١٧).

(٤) «المجيد» (ص ٤٠٢).

علَىٰ مذهب الأخفش، والمقامُ: مَفْعَلٌ من القيامِ، والمراد به هنا المكانُ، انتهى، يعني: المكانَ الذي فيه الحَجَر المسمَّىٰ بالمقام.

وقوله تعالى: ﴿وعهدْنَا﴾: العَهْدُ؛ في اللغة: على أقسام، هذا منها، الوصية بمعنى الأمر، و ﴿طَهِّرَا﴾: قيل: معناه: ٱبنِيَاهُ وأسِّساه علَىٰ طَهَارَةٍ ونيَّةِ طَهَارَةٍ، وقال مجاهدٌ: هو أمر بالتطهير من عبادة الأوثان[١]، و ﴿لِلطَّائِفِينَ﴾ ظاهره: أهل الطوافِ، وَقَالَهُ عطاء وغيره[٢]، وقال ابن جُبَيْر: معناه: للغرباءِ الطارئِينَ علَىٰ مكَّة[٣]، ﴿والعَاكِفِينَ﴾: قال ابن جُبَيْر: هم أهل البلد المقيمُونَ[٤]، وقال عطاء: هم المجاورُونَ بمكَّة[٥]، وقال ابنُ عبَّاس: المصَلُّون[٦]، وقال غيره؛ المعتكفُونَ، والعكُوف؛ في اللغة: الملازمة.

وقوله تعالى: ﴿وإذ قال إبراهيم رب ٱجْعَلْ هذا بَلَداً آمِناً﴾، أيْ: من الجبابرة والعدُوِّ المستأصل، وروي أن اللَّه تعالى، لما دعاه إبراهيم، أمر جبريل، فٱقتلع فِلَسْطِينَ، وقيل: بقعة من الأرْدُنِّ[٧]، فطاف بها حَوْلَ البيتِ سبْعاً، وأنزلها بِوَج[٨]، فسمِّيت الطَّائِفَ[٩]؛ بسبب الطواف.

وقوله تعالى: ﴿قال ومن كفر فأمتعه قليلاً...﴾ الآية: قال أبيُّ بن كَعْب، وٱبْنُ إسحاقَ، وغيرهما: هذا القَوْلُ من اللَّه عزَّ وجلَّ لإبراهيم[١٠]، وقال ابنُ عَبَّاس، وغيره:

---

(١) أخرجه الطبري (١/ ٥٨٨) برقم (٢٠١٦) بلفظ: «من الأوثان»، وذكره ابن عطية الأندلسي في «تفسيره» (١/ ٢٠٨).

(٢) أخرجه الطبري (١/ ٥٨٨) برقم (٢٠٢٠) بلفظ: «إذا كان طائفاً بالبيت فهو من الطائفين». وذكره ابن عطية الأندلسي في «تفسيره» (١/ ٢٠٨).

(٣) أخرجه الطبري (١/ ٥٨٨) برقم (٢٠١٩) بلفظ: «من أتاه من غربة»، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (١/ ٢٠٨).

(٤) أخرجه الطبري (١/ ٥٨٩) برقم (٢٠٢٣)، وابن عطية الأندلسي في «التفسير» (١/ ٢٠٨).

(٥) ذكره ابن عطية الأندلسي في «تفسيره» (١/ ٢٠٨).

(٦) أخرجه الطبري (١/ ٥٨٩) برقم (٢٠٢٥)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (١/ ٢٠٨).

(٧) الأُرْدُنّ: كورة واسعةٌ منها «الغور»، و «طَبَرِيّة»، و «صور»، و «عكّا»، وما بين ذلك. ينظر: «مراصد الاطلاع» (١/ ٥٤).

(٨) بالفتح، ثم التشديد: وادٍ موضع بالطائف به كانت غزاة النبي عليه السلام. ينظر: «مراصد الاطلاع» (٣/ ١٤٢٦).

(٩) كانت تسمى قديماً «وَجّ»، وسمِّيت «الطائف» لما أطيف عليها الحائط؛ وهي ناحية ذات نخيل وأعناب ومزارع وأودية، وهي على ظهر جبل غَزْوان. ينظر: «مراصد الاطلاع» (٢/ ٨٧٧).

(١٠) أخرجه الطبري (١/ ٥٩٤) برقم (٢٠٣٥) عن أبي بن كعب، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (١/ ٢٠٩)، والسيوطي في «الدر» (١/ ٢٣٣)، والشوكاني في «التفسير» (١/ ٢٠٨).

هذا القول من إبراهيم[١].

قال * ع[٢] *: فكأنَّ إبراهيم دعا للمؤمنين، وعلى الكافرين، وفي «**مختصر الطبريّ**»: وقرأ بعضهم، «فأُمْتِعْهُ»؛ بالجزم، والقَطْع على الدعاء[٣]، ورآه دعاءً من إبراهيم، وروي ذلك عن أبي العالية، كان ابنُ عبَّاس يقول: ذلك قولُ إبراهيم، سأل ربَّه أنَّ من كَفَر به، فأمتعه قليلاً يقول: فأرزقْهُ قليلاً، ثم اضْطَرَّهُ إلى عذاب النارِ، أي: أَلْجِئْهُ. انتهى، وعلى هذِهِ القراءةِ يجيءُ قولُ ابن عبَّاس، لا على قراءة الجمهور، و ﴿قليلاً﴾: معناه: مُدَّة العُمُر؛ لأن متاع الدنيا قليلٌ.

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعِدَ من البَيْت...﴾ الآية: القواعدُ: جمع قاعدةٍ، وهي الأساس.

* ص[٤] *: القواعدُ، قال الكسائيُّ والفَرَّاء: هي الجُدُر، وقال أبو عُبَيْدة: هي الأساس. انتهى.

واختلفوا في قصص البَيْت، فقيل: إن آدم أمر ببِنَائِهِ، ثم دثر، ودرس حتى دلَّ عليه

---

(١) أخرجه الطبري (١/ ٥٩٤) برقم (٢٠٣٧)، وذكره السيوطي في «**الدر**» (١/ ٢٣٣)، والشوكاني في «**التفسير**» (١/ ٢٠٨).

(٢) «**المحرر الوجيز**» (١/ ٢٠٩).

(٣) وهي قراءة شاذة، كما في «**المحتسب**» (١/ ١٠٤)، ونسبها لابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال ابن جني: فيحتمل أمرين:

أحدهما: ـ وهو الظاهر ـ أن يكون الفاعل في «قال» ضمير إبراهيم عليه السلام، أي قال إبراهيم أيضاً: ومن كفر فأمْتِعه يا رب ثم اضطره يا رب....

وأما الآخر فهو أن يكون الفاعل في «قال» ضمير اسم الله تعالى؛ أي: فأمتعه يا خالق، أو فأمتعه يا قادر، أو يا مالك، أو يا إله، يخاطب بذلك نفسه (عز وجل)، فجرى هذا على ما تعتاده العرب من أمر الإنسان لنفسه، كقراءة من قرأ: ﴿قال اعلمْ أن الله على كل شيء قدير﴾ [البقرة: ٢٥٩] أي: اعلم يا إنسان. وكقول الأعشى: [البسيط]

وهل تطيق وداعاً أيها الرجل

(٤) «**المجيد**» (ص ٤٠٨).

إبراهيم، فرفع قواعده، وقيل: إن إبراهيم ابتدأ بناءه بأمر اللّه، وقيل غير هذا.

* ع[١] *: والذي يصحُّ من هذا كلّه أن اللّه سبحانه أمر إبراهيمَ برَفْعِ قواعدِ البيتِ، / ٣٥ ب
وجَائِزٌ قِدَمُهُ، وجَائز أن يكون ذلك ابتداءً، ولا يرجح شيء من ذلك إلا بسند يقطع العُذْر.

﴿وإسماعيلُ﴾: عطْفٌ على ﴿إبراهيم﴾، والتقديرُ: يقولاَنِ: ﴿ربَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾، أي: السميع لدعائنا، العليمُ بنيَّاتنا، وخصَّا هاتين الصفتين؛ لتناسبهما مع حالهما، وقولهما: ﴿ٱجْعَلْنَا﴾ بمعنى: صيِّرنا مُسْلِمَيْن، وكذلك كانا، وإنما أرادا التثبيتَ والدوامَ، والإسلام في هذا الموضع. الإيمانُ والأعمالُ جميعاً، «ومِنْ» في قوله: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا﴾ للتبعيض؛ لأن اللّه تعالَىٰ قد كان أعلمه أنَّ منهم ظالمين، والأُمَّة: الجماعةُ، ﴿وَأَرِنَا﴾ قالتْ طائفةٌ: من رؤية البصَرِ، وقالت طائفةٌ: من رؤية القلبِ، وهذا لا يصحُّ، قال قتادة: المناسكُ معالم الحجِّ، واختلف في معنَىٰ طلبهم التوبةَ، وهم أنبياء معصومُونَ، فقالتْ طائفةٌ: طلبا التثْبيتَ والدوامَ، وقيل: أرادا من بعدهما مِنَ الذُّرِّيَّة، وقيل، وهو الأحسن؛ إنهما لما عرفا المناسكَ، وبنيا البيتَ، أرادا أن يسنا للناس؛ أنَّ تلك المواطنَ مكانُ التنصُّل من الذنوبِ، وطلبِ التوبة.

وقال الطبريُّ: إنه ليس أحد من خلق اللّه إلا بينه وبين اللّه معانٍ يحب أنْ تكون أحسن ممَّا هي، وأجمعت الأمة على عصْمة الأنبياء في معنى التبليغ، ومن الكبائر ومن الصغائر الَّتي فيها رذيلةٌ، واختلف في غير ذلك من الصغائر، والذي أقول به أنهم معصومُونَ من الجميع[٢]، وأنَّ قول النبيِّ ﷺ: «إِنِّي لَأَتُوبُ فِي اليَوْمِ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ سَبْعِينَ

---

(١) «المحرر الوجيز» (١/ ٢١٠).

(٢) وفي «شرح المواقف»: أجمع أهل الملل والشرائع كلها على وجوب عصمتهم عن تعمد الكذب في دعوى الرسالة وما يبلغونه من اللّه (تعالى) إلى الخلائق، وفي جواز صدور الكذب عنهم فيما ذكر على سبيل السهو والنسيان خلاف، فمنعه الأستاذ أبو إسحاق وكثير من الأئمة؛ لدلالة المعجزة على صدقهم في تبليغ الأحكام. وجوز القاضي أبو بكر، وقال: إنما دلت المعجزة على صدقه فيما هو متذكر له عامد إليه، وأما ما كان من النسيان وفلتات اللسان، فلا دلالة للمعجزة على الصدق فيه، فلا يلزم من الكذب هناك نقص لدلالتها. وأما ما سوى الكذب في التبليغ، فهو إما كفر أو غيره من المعاصي، أما الكفر فأجمعت الأمة على عصمتهم عنه قبل النبوة وبعدها.

وجوز الشيعة إظهار الكفر وقاية لنفسه عند الهلاك، وذلك باطل؛ لأنه يفضي إلى إخفاء الدعوة بالكلية؛ لضعفهم وقلة موافقتهم وكثرة مخالفتهم عند دعوتهم أولاً. وأيضاً منقوض بدعوة إبراهيم وموسى (عليهما السلام) في زمن نمرود وفرعون مع شدة خوف الهلاك. وأما غير الكفر فإما كبائر أو صغائر، وكل منهما إما أن يصدر عمداً أو سهواً، فالأقسام أربعة، وكل واحد منهما إما قبل البعثة أو بعدها،

٣١٨ ـــــــ

وغيره عن طلحة بن عُبَيْد اللَّه[١] ـ رضي اللَّه عنه ـ قَالَ: «حَضَرْتُ سُوقَ بصرى، فَإِذَا رَاهِبٌ في صومعة، يقول: سَلُوا أَهْلَ هَذَا المَوْسِم، أفيهِمْ مَنْ هو مِنْ هذا الحَرَم؟ قَالَ: قُلْتُ: أَنَا، فما تَشَاءُ؟ قَالَ: هَلْ ظَهَرَ أَحْمَدُ بَعْدُ؟ قُلْتُ: ومَنْ أَحْمَدُ؟ قَالَ: أحمدُ بْنُ عبدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، هَذَا شَهْرُهُ الَّذِي يَخْرُجُ فِيهِ، وَهُوَ خَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ، مَخْرَجُهُ مِنَ الحَرَم، وَمُهَاجَرُهُ إِلَىٰ نَخْلٍ وَسِبَاخٍ، إِذَا كَانَ، فَلاَ تُسْبَقَنَّ إِلَيْهِ، فَوَضَعَ فِي قَلْبِي مَا قَالَ، وَأَسْرَعْتُ اللَّحَاق بِمَكَّةَ، فَسَأَلْتَ، هَلْ ظَهَرَ بَعْدِي أَمْرٌ؟ فَقَالُوا: مُحَمَّدٌ الأُمِّيُّ قَدْ تَنَبَّأَ، وَتَبِعَهُ أبو بَكْرِ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ، فَمَشَيْتُ إِلَىٰ أَبِي بَكْرٍ، وَأَدْخَلَنِي إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَسْلَمْتُ»[٢]، وقد روى العُذْرِيُّ وغيره عن أبي بكر ـ رضي اللَّه عنه ـ أنَّه قَالَ: «لقيتُ شيخاً باليمن، فقال لي: أنْتَ حَرَمِيٌّ، فقلت: نعم، فقال: وأحسبكَ قُرَشِيًّا، قلت: نعم، قال: بَقِيَتْ لِي فيكَ واحدةٌ، أَكْشِفْ لي عن بَطْنك، قُلْتُ: لا أفعل، أو تخبرني لِمَ ذلك، قال: أجدُ في العلْمِ الصحيحِ أن نبيًّا يبعثُ في الحرمين يقارنه علَىٰ أمره فتًى وكَهْل، أمَّا الفتَىٰ، فخوَّاض غمراتٍ، ودفَّاع مُعْضِلاَتٍ، وأما الكَهْل، فأبيضُ نحيفٌ علَىٰ بطنه شَامَةٌ، وعلى فَخِذِهِ اليسرَىٰ علامةٌ، وما عليك أنْ تريني ما سألتُكَ عَنْه، فقد تكامَلَتْ فيك الصِّفَةُ، إلا/ ما خَفِيَ ١٣٦أ علَيَّ؟ قال أبو بكر: فكَشَفْتُ له عَنْ بطني، فرأَىٰ شامَةً سوداء فوق سُرَّتي، فقالَ: أَنْتَ هو وربِّ الكعبة، إني متقدِّم إليك في أمْرٍ، قُلْتُ: مَا هُوَ؟ قال: إِيَّاكَ، والمَيْلَ عن الهُدَىٰ،

= و «دلائل النبوة» وغيرها. مات سنة ٤٥٨.

ينظر: «طبقات ابن قاضي شهبة» (١/ ٢٢٠)، «الأعلام» (١/ ١١٣).

(١) هو: طلحة بن عبيد اللَّه بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب.. أبو محمد القرشي. التيمي، أحد العشرة. يعرف بـ «طلحة الخير».

قال ابن حجر في «الإصابة» هو أحد العشرة، وأحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر، وأحد الستة أصحاب الشورى. روى عن النبي، وعنه: بنوه يحيى، وموسى، وعيسى، وقيس بن أبي حازم، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، والأحنف، ومالك بن أبي عامر، وغيرهم... وكان عند وقعة بدر في تجارة في «الشام»، فضرب له النبي بسهمه وأجره، وشهد «أحداً»، وأبلى فيها بلاءً حسناً، ووقى النبي بنفسه، واتقى النبل عنه بيده حتى شلت أصبعه. توفي في جمادى الأولى سنة (٣٦).

ينظر ترجمته في: «أسد الغابة» (٣/ ٨٥)، «البداية والنهاية» (٧/ ٤٧)، «تهذيب التهذيب» (٥/ ٢٠)، «التحفة اللطيفة» (٢/ ٢٦٤)، «شذرات الذهب» (١/ ٤٢، ٤٣، ٥٩)، «الإصابة» (٣/ ٢٩٠)، «التعديل والتجريح» (٤٢١)، «الاستبصار» (١١٦، ١٣٤، ١٦٠)، «التاريخ الصغير» (٦٩، ٧٥)، «الرياض المستطابة» (١٣٥)، «الرياض النضرة» (١/ ٣٣)، «تهذيب الكمال» (٢/ ٦٢٨).

(٢) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ١٦٥ـ ١٦٦) عن طلحة بن عبيد اللَّه.

وعليك بالتمسُّك بالطريقةِ الوسْطَىٰ، وخَفِ اللَّه فيما خَوَّلَكَ، وأَعْطَىٰ، قال أبو بكر: فلمَّا ودعتُهُ، قال: أَتَحْمِلُ عنِّي إِلى ذلك النبيِّ أبياتاً، قلت: نعم، فأنشأ الشيخ يَقُولُ: [الطويل]

أَلَمْ تَرَ أَنِّي قَدْ سَئِمْتُ مُعَاشِرِي ... وَنَفْسِي وَقَدْ أَصْبَحْتُ فِي الحَيِّ عَاهِنَا
حَيِيتُ وَفِي الأَيَّامِ لِلْمَرْءِ عِبْرَةٌ ... ثَلاَثَ مِئِينَ بَعْدَ تِسْعِينَ آمِنَا
وَقَدْ خَمَدَتْ مِنِّي شَرَارَةُ قُوَّتِي ... وَأُلْفِيتُ شَيْخاً لاَ أُطِيقُ الشَّوَاحِنَا
وَأَنْتَ وَرَبُّ الْبَيْتِ تَأْتِي مُحَمَّداً ... لِعَامِكَ هَذَا قَدْ أَقَامَ الْبَرَاهِنَا
فَحَيِّ رَسُولَ اللَّهِ عَنِّي فَإِنَّنِي ... عَلَىٰ دِينِهِ أَحْيَا وَإِنْ كُنْتُ قَاطِنَا

قال أبو بكر: فحفظْتُ شعره، وقَدِمْتُ مكَّة، وقد بعث النبيُّ ﷺ، فجاءني صناديد[1] قُرَيْشٍ، وقالوا: يا أبا بكْرٍ، يتيمُ أَبِي طالِبٍ، يَزْعُم أنه نبيٌّ، قال: فجئْتُ إِلَىٰ منزلِ النبيِّ ﷺ فقرعْتُ علَيْه، فخرَجَ إِلَيَّ، فَقُلْتُ: يَا مُحَمَّدُ، فُقِدْتَ مِنْ مَنَازِلِ قَوْمِكَ، وَتَرَكْتَ دِينَ آبَائِكَ؟ فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ، وَإِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ، فَآمِنْ بِاللَّهِ، فَقُلْتُ؛ وَمَا دَلِيلُكَ؟ قَالَ: الشَّيْخُ الرَّاهِبُ الَّذِي لَقِيتَهُ بِاليَمَنِ، قُلْتُ: وَكَمْ مِنْ شَيْخٍ لَقِيتُ! قَالَ: لَيْسَ ذَلِكَ أُرِيدُ، إِنَّمَا أُرِيدُ الشَّيْخَ الَّذِي أَفَادَكَ الأَبْيَاتَ، قُلْتُ: وَمَنْ أَخْبَرَكَ بِهَا؟ قَالَ: الرُّوحُ الأَمِينُ الَّذِي كَانَ يَأْتِي الأَنْبِيَاءَ قَبْلِي، قُلْتُ: مُدَّ يَمِينَكَ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَانْصَرَفْتُ وَمَا بَيْنَ لاَبَتَيْهَا أَشَدُّ مِنْ رَسُولِ اللَّه ﷺ فَرَحاً بِإِسْلاَمِي». انتهى من تأليف ابن القَطَّان في «**الآياتِ والمعجزاتِ**».

و ﴿يَتْلُوا علَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾، أي: آيات القُرآن، و ﴿الكتاب﴾: القرآن، قال قتادة: ﴿والحكمةَ﴾ السنة[2]، وروى ابن وهْب[3] عن مالكٍ؛ أن ﴿الحكمة﴾: الفقْهُ في الدين[4]، والفهم الذي هو سجيَّة ونور من اللَّه تعالى.

---

(١) هم أشرافهم وعظماؤهم، واحدها صِنْدِيدُ. ينظر: «**لسان العرب**» (٢٥٠٧).

(٢) أخرجه الطبري (١/ ٦٠٧) برقم (٢٠٨٣) وذكره ابن عطية الأندلسي في «**تفسيره**» (١/ ٢١٢) والسيوطي في «**الدر**» (١/ ٢٥٥)، وعزاه لعبد بن حميد، ابن جرير. وذكره ابن كثير (١/ ١٨٤).

(٣) ابن وهب هو أبو محمد، عبد اللَّه بن وهب بن مسلم، القرشي، مولاهم. روى عن علماء كثيرين منهم مالك، والليث، وابن أبي ذئب، والسفيانان. وقرأ على نافع بن أبي نعيم، تفقه بمالك، والليث، وابن أبي دينار، وأبي حازم، وغيرهم. له مصنفات كثيرة، منها: سماعه من مالك، وجامعه الكبير، وكان مولده سنة خمس بـ «مصر» وتوفي يوم الأحد لخمس بقين من شعبان سنة سبع وتسعين ومائة.
ينظر: «**الديباج المذهب**» (١/ ٤١٣)، و «**تذكرة الحفاظ**» (١/ ٢٧٧)، و «**البداية والنهاية**» (١٠/ ٢٤٠).

(٤) أخرجه الطبري (١/ ٦٠٧) برقم (٢٠٨٤)، وذكره ابن عطية (١/ ٢١٢)، وابن كثير (١/ ١٨٤).

* ت *: ونقل عِيَاضٌ في «مداركه» عن مالك؛ أن ﴿الحكمةَ﴾ نورٌ يقذفه اللَّه في قلب العبد، وقال أيضاً: يقع في قلبي؛ أنَّ ﴿الحكمة﴾ الفقْهُ في دين اللَّه، وأمر يدخلُه اللَّه القلُوبَ من رحمته وفَضْله، وقال أيضاً: ﴿الحكمةُ﴾ التفكُّر في أمر اللَّه، والاتِّباعُ له، والفقْه في الدِّين، والعمل به. انتهى.

وقد أشار * ع *: إلى هذا عند قوله تعالى: ﴿يُؤْتِ الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾[1] [البقرة: ٢٦٩].

* ت *: والظاهر أن المراد بـ ﴿الحكمة﴾ هنا: ما قاله قتادة، فتأمَّله.

﴿ويُزَكِّيهِمْ﴾: معناه يطَهِّرهم، وينمِّيهم بالخَيْر، و ﴿العَزِيزُ﴾: الَّذي يغلب، ويتم مراده، و ﴿الحَكِيمُ﴾: المصيبُ مواقعَ الفعْلِ، المُحْكِمُ لها.

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ ۖ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى ۖ قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿ومن يرغَبُ عن ملة إبراهيم...﴾ الآية: «مَن»: اسْتفهامٌ، والمعنَىٰ: ومَنْ يزهد منها، ويربأ بنفسه عنها إلا مَنْ سفه نفسه، والملَّة: الشريعة والطريقَةُ، وسَفِهَ من السَّفَه الَّذي معناه الرِّقَّة والْخِفَّة، واصْطَفَىٰ من الصَّفْوَة، معناه: تخيَّر الأصْفَىٰ، ومعنى هذا الاِصطفاءِ؛ أنه نبأه، واتَّخذه خليلاً.

﴿وإنَّهُ في الآخرةِ لَمِنَ الصالحينَ﴾: قيل: المعنى أنه في عمل الآخرة لمن الصالحين، فالكلام علَىٰ حذف مضافٍ، ﴿إذ قال له ربُّه أسلم﴾ كان هذا القول من اللَّه تعالَىٰ حين ابتلاه بالكوكبِ والقمرِ والشمس؛ والإسلامُ هنا على أتمِّ وجوهِهِ، والضميرُ في «بِهَا» عائدٌ على كلمته التي هي ﴿أَسْلَمْتَ لِرَبِّ العَالَمِينَ﴾، وقيلَ: على الملة، والأول أصوبُ؛ لأنه أقرب مذكور.

﴿ويعقوبُ﴾: قيل: عطْفٌ على ﴿إبراهيم﴾، وقيل: مقطوعٌ منفردٌ بقوله: ﴿يَا بَنِيَّ﴾، والتقدير: ويعقوب قال: يا بَنِيَّ/. ٣٦ ب

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (١/ ٣٦٤).

و ﴿ٱصْطَفَىٰ﴾ هنا: معناه: تخيَّر صفوةَ الأديان.

وقوله: ﴿فلا تموتُنَّ إلاَّ وأنتم مسلمون﴾: إيجاز بليغ، وذلك أنَّ المقصود من أمرهم بالإسلام الدوامُ عليْه، فأتَىٰ بلفظ موجَزٍ يقتضي المقصودَ، ويتضمَّن وعظاً وتذكيراً بالموت، وذلك أن المرء يتحقَّق أنه يموت، ولا يدري متَىٰ، فإذا أمر بأمر لا يأتيه الموت إلاَّ وهو عليه، فقد توجَّه من وقت الأمر دائباً لازماً.

وقوله تعالى: ﴿أم كنتم شهداءَ إذ حضر يعقوب المَوْتُ﴾ هذا الخطابُ لليهودِ والنصارَى الذين ٱنْتَحَلُوا الأنبياءَ ـ صلوات اللَّه عليهم ـ ونَسَبوهم إلَى اليهوديَّة والنصرانية، فردَّ اللَّه عليهم وكذَّبهم، وأعلمهم أنهم كانُوا على الحنيفيَّة الإسلام، وقال لهم على جهة التقريرِ والتوبيخ: أَشهدتُّمْ يعقوبَ بما أوصَىٰ، فتدَّعُونَ عنْ علْمٍ أَم لم تشهدوا، بل أنتم تفترُونَ، «وأم»[1]: للاستفهامِ في صدرِ الكلامِ، لغةٌ يمانيَّةٌ، وحكَى الطبريُّ أنَّ «أَمْ» يستفهم

---

(١) في «أم» هذه ثلاثة أقوال:

أحدها: وهو المشهور أنها منقطعة، والمنقطعة تقدر بـ «بل» وهمزة الاستفهام، وبعضهم يقدرها ببل وحدها، ومعنى الإضراب انتقال من شيء إلى شيء لا إبطال له، ومعنى الاستفهام الإنكار والتوبيخ، فيؤول معناه إلى النفي أي: بل أكنتم شهداء يعني لم تكونوا.

الثاني: أنها بمعنى همزة الاستفهام وهو قول ابن عطية والطبري، لا أنهما اختلفا في محلها: فإن ابن عطية قال: وأم تكون بمعنى ألف الاستفهام في صدر الكلام لغة يمانية، وقال الطبري: إن أم يستفهم بها وسط كلام قد تقدم صدره.

قال أبو حيان في قول ابن عطية: ولم أقف لأحد من النحويين على ما قال، وقال في قول الطبري: وهذا أيضاً قول غريب.

الثالث: أنها متصلة وهو قول الزمخشري، قال الزمخشري بعد أن جعلها منقطعة وجعل الخطاب للمؤمنين قال بعد ذلك: وقيل الخطاب لليهود، لأنهم كانوا يقولون: ما مات نبي إلا على اليهودية، إلا أنهم لو شهدوه وسمعوا ما قاله لبنيه وما قالوه، لظهر لهم حرصه على ملة الإسلام، ولما ادعوا عليه اليهودية، فالآية منافية لقولهم فكيف يقال لهم: أم كنتم شهداء؟ ولكن الوجه أن تكون «أم» متصلة على أن يقدر قبلها محذوف كأنه قيل: أتدعون على الأنبياء اليهودية أم كنتم شهداء، يعني أن أوائلكم من بني إسرائيل كانوا مشاهدين له إذ أراد بنيه على التوحيد وملة الإسلام، فما لكم تدعون على الأنبياء ما هم منه براء؟

قال أبو حيان: ولا أعلم أحداً أجاز حذف هذه الجملة، ولا يحفظ ذلك في شعر ولا غيره لو قلت: «أم زيد» تريد: «أقام عمرو أم زيد» لم يجز، وإنما يجوز حذف المعطوف عليه مع الواو والفاء إذا دل عليه دليل كقولك: «بلى وعمراً» لمن قال: لم يضرب زيداً، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿فانفجرت﴾ [البقرة: ٦٠] أي فضرب فانفجرت وندر حذفه مع أو كقوله: [الطويل]

فَـهَـلْ لَـكَ أَوْ مِـنْ وَالِـدٍ لَـكَ قَـبْـلَـنَـا . . . . . .

أي: من أخ أو والد، ومع حتى كقوله: [الطويل]

=

بها في وسط كلامٍ قد تقدَّمَ صدره، وهذا منه، و ﴿شُهَدَاءَ﴾: جمع شاهدٍ، أي: حاضر، ومعنى الآية؛ حضرَ يعقوبَ مقدِّماتُ الموت.

و ﴿مِنْ بَعْدِي﴾، أي: من بَعْدِ مَوْتِي، ودخل إسماعيل في الآباء لأنه عَمٌّ.

وقد أطلق النبيُّ ﷺ على العَبَّاس ٱسْمَ الأب، فقال: «هذا بقية آبائي»[(١)]، وقال: «رُدُّوا عَلَيَّ أَبِي» الحَدِيثَ[(٢)]، وقال: «أَنَا ٱبْنُ الذَّبِيحَيْنِ»[(٣)]، على القول الشهيرِ في أنَّ إسحاق هو الذبيحُ.

* ت *: وفي تشهيره نظَرٌ، بل الراجحُ أنه إسماعيل علَىٰ ما هو معلومٌ في موضعه، وسيأتي إنْ شاء اللَّه تعالى.

= فَوَاعَجَباً حَتَّى كُلَيْبٌ تَسُبُّنِي كَأَنَّ أَبَاهَا نَهْشَلٌ أَوْ مُجَاشِعُ

أي: يسبني الناس حتى كليب على نظر فيه، وإنما الجائز حذف «أم» مع ما عطفت كقوله: [الطويل]

دَعَانِي إِلَيْهَا الْقَلْبُ إِنِّي لِأَمْرِهِ سَمِيعٌ فَمَا أَدْرِي أَرُشْدٌ طِلَابُهَا

أي: أم في، وإنما جاز ذلك، لأن المستفهم عن الإثبات يتضمن نقيضه، ويجوز حذف الثواني المقابلات إذا دل عليها المعنى، ألا ترى إلى قوله: ﴿تقيكم الحر﴾ [النحل: ٨١] كيف حذف، «والبرد» انتهى.

ينظر: «**الكتاب**» (٣/١٨)، و «**ابن يعيش**» (٨/١٨)، و «**المقتضب**» (٢/٤١)، و «**الأشموني**» (٣/ ١١٦)، و «**البحر المحيط**» (١/٥٧٢)، و «**الدر المصون**» (١/ ٣٧٧ـ ٣٧٨).

(١) أخرجه الطبراني في «**الصغير**» (١/٢٠٧) من حديث الحسن بن علي مرفوعاً بلفظ: «احفظوني في العباس، فإنه بقية آبائي».

وقال: لا يروي عن الحسن بن علي بن أبي طالب إلا بهذا الإسناد. وقال الهيثمي في «**المجمع**» (٩/ ٢٧٢): رواه الطبراني في «**الصغير**»، و «**الأوسط**»، وفيه جماعة لم أعرفهم.

وأخرجه الطبراني في «**الكبير**» كما في «**تخريج الكشاف**» للزيلعي (١/ ٩٠) عن ابن عباس بمثل حديث الحسن.

وقد روي هذا الحديث مرسلاً عن مجاهد: أخرجه ابن أبي شيبة (٦/٣٨٢) كتاب «الفضائل»، باب فضائل العباس، حديث (٣٢٢١٢)، وعبد الرزاق (٢/١٣٢) كلاهما من طريق ابن عيينة عن داود بن سابور عن مجاهد عن النبي ﷺ مرسلاً.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (١٤/ ٤٨٤) كتاب «المغازي»، باب فتح مكة عن عكرمة مرسلاً بلفظ: «ردوا عليّ أبي؛ فإن عم الرجل صنو أبيه».

وذكره الهندي في «**كنز العمال**» (٣٠١٩٥)، وعزاه إلى ابن أبي شيبة.

(٣) الحديث لا أصل له بهذا اللفظ.

قال الزيلعي في «**تخريج الكشاف**» (٣/ ١٧٧): غريب، والخلاف في تعيين الذبيح، هل هو إسماعيل أم إسحاق منذ عهد الصحابة (رضي اللَّه عنهم)، والأحاديث التي وردت في تعيين أحدهما لا يصح منها شيء.

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قد خلَت...﴾ الآية، يعني بالأُمَّةِ الأنبياءَ المذكورينَ، والمخاطَبُ في هذه الآية اليهودُ والنصارَىٰ، وقولهم: ﴿كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا﴾ نظير قولهم: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَىٰ﴾ [البقرة: ١١١]، والحنيف في الدين: الذي مال عن الأديان المكروهة إلى الحقِّ، ويجيء الحنيفُ في الدين بمعنى المستقيمِ علَىٰ جميع طاعاتِ اللَّهِ.

قوله تعالى: ﴿قولوا آمنا باللَّه وما أنزل إِلَيْنا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتيَ موسَىٰ وعيسَىٰ وما أوتي النبيُّونَ من ربِّهم...﴾ الآية: هذا الخطابُ لأمَّة محمَّد ﷺ، ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾: يعني القُرْآن، و ﴿الأسباط﴾ هم ولَدُ يعقوبَ، وهم: رُوبِيل، وشَمْعُون، ولاَوي، ويَهُوذَا، وريالُون، ويشحر، ودنية بنته، وأمهم ليا، ثم خَلَف على أختها رَاحِيل، فولَدَتْ له يوسُفَ، وبِنْ يَامِين، ووُلِدَ له من سُرِّيَّتَيْنِ: ذان، وتفثالا، وجاد، واشر.

والسِّبْطُ في بني إسرائيل بمنزلة القبيلة في ولد إِسماعيل، فسُمُّوا الأسباط؛ لأنه كان من كل واحدٍ منهم سِبْطٌ.

وَ ﴿لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾، أي: لا نؤمن ببعضٍ، ونكْفُر ببعض؛ كما تفعلون، ﴿فَإِنْ آمنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ﴾، أيْ: فإن صَدَّقوا تصديقاً مثْلَ تصديقكم، ﴿فقد اهتدَوْا، وإن تولَّوْا﴾، أي: أعرضوا، يعني: اليهودَ والنصارَىٰ، ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾، أي: في مشاقَّةٍ ومخالفةٍ لَكَ، هم في شِقٍّ، وأنت في شِقٍّ، وقيل: شَاقَّ معناه: شَقَّ كل واحدٍ وصل ما بينَه وبين صاحبه، ثم وعده تعالَىٰ أنه سيكفيه إياهم، ويغلبه عليهم، فكان ذلك في قَتْل بني قَيْنُقَاعَ، وبني قريظة، وإجلاء النَّضِير.

وهذا الوَعْدُ وٱنتجازُهُ من أعلام نبوَّة نبيِّنا محمَّد ﷺ.

و ﴿السَّمِيعُ﴾ لقولِ كل قائلٍ، و ﴿العليمُ﴾ بما ينفذه في عبادِهِ، و ﴿صِبْغَة اللَّه﴾:

شريعتُهُ ودينُهُ وسنَّته، وفطْرته، قال كَثِيرٌ من المفسِّرين/ : وذلك أن النصارَىٰ لهم ماءٌ ٣٧أ
يصبغون فيه أولادهم، فهذا ينظر إلى ذلك، وقيل: سمي الدِّين صبغةً؛ استعارةً من حيث تظهر أعْمَالُهُ وسِمَتُهُ على المتدِّين؛ كما يظهر الصِّبْغ في الثَّوْب وغيره، ونصب الصِّبْغة على الإغراء[1].

﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿قل أتحاجُوننا في اللَّه. . .﴾ الآية: معنى الآية: قل يا محمَّد لهؤلاءِ اليهودِ والنصارَىٰ: أتحاجُوننا في اللَّه، أي: أتجادلونَنَا في دِينِهِ، والقُرْب منه، والحُظْوة لديه سُبْحانه، والرب واحدٌ، وكلٌّ مجازًى بعمله، ثم وبَّخهم بقوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾، أي: ولم تخلصوا أنتم، فكيف تدَّعون ما نَحْن أولَىٰ به منْكُمْ.

وقوله تعالَىٰ: ﴿أَمْ تقولُونَ﴾ عطْفٌ على ألف الاستفهامِ المتقدِّمة، وهذه القراءة بالتاء من فوقُ قراءةُ ابن عامر، وحمزةَ، وغيرهما، وقرأ نافعٌ وغيره بالياء من أسفل[2]، «وأَمْ» على هذه القراءةِ مقطوعةٌ، ووقفهم تعالَىٰ على موضعِ الانْقطاعِ في الحُجَّة؛ لأنهم إنْ قالوا:

---

(١) وفي انتصاب «صبغة» أربعة أوجه:
أحدها: أن انتصابها انتصاب المصدر المؤكد، وهذا اختاره الزمخشري، وقال: هو الذي ذكر سيبويه والقول ما قالت حذام انتهى. قوله واختلف حينئذ عن ماذا انتصب هذا المصدر؟ فقيل عن قوله: ﴿قولوا آمنا﴾ [البقرة: ١٣٦]، وقيل عن قوله: ﴿ونحن له مسلمون﴾ [البقرة: ١٣٦]، وقيل عن قوله: ﴿فقد اهتدوا﴾ [البقرة: ١٣٧].
الثاني: أن انتصابها على الإغراء أي: الزموا صبغة اللَّه.
قال أبو حيان: وهذا ينافره آخر الآية، وهو قوله: ﴿ونحن له عابدون﴾ [البقرة: ١٣٨] إلا أن يقدر هنا قول، وهو تقدير لا حاجة إليه، ولا دليل من الكلام عليه.
الثالث: أنها بدل من «ملة»، وهذا ضعيف إذ قد وقع الفصل بينهما بجمل كثيرة.
الرابع: انتصابها بإضمار فعل أي: اتبعوا صبغة اللَّه، ذكره أبو البقاء مع وجه الإغراء، وهو في الحقيقة ليس زائداً، فإن الإغراء أيضاً هو نصب بإضمار فعل.
ينظر: **«الدر المصون»** (١/ ٣٨٨).

(٢) ينظر: **«السبعة»** (١٧١)، و **«الحجة»** (٢/ ٢٢٨)، و **«معاني القراءات»** (١/ ١٨٠)، و **«العنوان»** (٧٢)، و **«حجة القراءات»** (١١٥)، و **«شرح الطيبة»** (٤/ ٧١)، و **«شرح شعلة»** (٢٧٨)، و **«إتحاف»** (١/ ٤١٩).

إنَّ الأنبياء المذكُورين على اليهوديَّة والنصرانية، كَذَبوا؛ لأنه قد عُلِمَ أن هذين الدينَيْن حَدَثَا بعدهم، وإن قالوا: لم يكونوا على اليهودية والنصرانية، قيل لهم: فهلُمُّوا إلى دينهم؛ إذ تقرُّون بالحق.

وقوله تعالى: ﴿قل ءأنتم أعلم أم اللَّه﴾ تقريرٌ على فساد دعواهم؛ إذ لا جواب لمفطورٍ إلا أن اللَّه تعالى أعلم، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً﴾، أيْ: لا أحد أظلم منه، وإياهم أراد تعالى بكتمانِ الشهادةِ، قال مجاهد وغيره: فالذي كتموه هو ما في كتبِهِمْ مِنْ أنَّ الأنبياء على الحنيفيَّة، لا على ما ادَّعَوْه[1]، وقال قتادةُ وغيره: هو ما عندهم من الأمر بتصديق النبيِّ ﷺ[2] والأولُ أشبه بسياقِ الآيةِ، «ومِن» متعلِّقةٌ بـ «عِنْده»، ويحتمل أن تتعلق بـ «كَتَمَ».

﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ...﴾ الآيةَ: فيه وعيد وإعلام؛ أنه لا يترك أمرهم سدًى، والغافل: الذي لا يفطنُ للأمور إهْمالاً منه، مأخوذ من الأرض الغُفْلِ، وهي التي لا مَعْلَمَ بها.

وقوله تعالى؛ ﴿تلْكَ أمَّة...﴾ الآية: كرَّرها عن قرب؛ لأنها تضمَّنت معنى التهْديدِ والتخويفِ، ولترداد ذكرهم أيضاً في معنى غيْر الأول.

﴿۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿سيقول السفهاء من الناس...﴾ الآية: ٱختلف في تعْيينِ هؤلاء السفهاءِ، فقال ابن عبَّاس: هم الأحبارُ، وذلك أنهم جاءوا إلى النبيِّ ﷺ فقالوا: يا محمَّد، ما ولاَّك عَنْ قبلتنا، ٱرجِعْ إلَيْها، ونؤمنْ بك[3]، يريدُونَ فتنتَهُ، وقيل: اليهود والمنافقُونَ، وقالَتْ فرقة: هم كُفَّار قريش.

---

(١) ذكره ابن عطية (١/ ٢١٧) عن مجاهد، والحسن، والربيع.

(٢) أخرجه الطبري (١/ ٦٢٧) برقم (٢١٤٢) من طريق معمر عن قتادة. وأخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٦٠) بنحوه. وذكره السيوطي في «الدر» (١/ ٢٦٠)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير. وذكره ابن عطية في «التفسير» (١/ ٢١٧).

(٣) أخرجه الطبري (٢/ ٧) برقم (٢١٦٧)، وذكره ابن عطية (١/ ٢١٨).

و﴿وَلأُهُمْ﴾: معناه: صَرَفَهُمْ، و﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾: إشارة إلى هداية اللَّه تعالَىٰ هذه الأمة إلى قبلة إبراهيم، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ﴾، أيْ؛ كما هديناكم إلى قبلة إبراهيم وشريعته، ﴿جعلْناكم أمةً وسطاً﴾، أي: عدولاً؛ روي ذلك عن رَسُولِ اللَّه ﷺ؛ وتظاهَرَتْ به عباراتُ المفسِّرين، والوَسَط: الخيارُ والأعلَىٰ من الشيء، وواسطة القلادةِ أنفَسُ حَجَر فيها؛ ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ [القلم: ٢٨].

و ﴿شهداء﴾: جمع شاهدٍ، والمراد بالناسِ هنا في قول جماعة: جميعُ الجنْسِ، وأن أمة محمَّد ﷺ تشهدُ يوم القيامة للأنبياءِ علَىٰ أممهم بالتبليغ، وروي في هذا المعنَىٰ حديثٌ صحيحٌ عن النبيِّ ﷺ وروي عنه؛ أنَّ أُمته تشهدُ لكُلِّ نبيٍّ نَاكَرَهُ قومه[1].

* ت *: وهذا الحديثُ خرَّجه البخاريُّ، وابن ماجة، وابن المبارك في «**رقائقه**»/ ٣٧ ب وغيرهم؛ قائلاً ﷺ، فذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً...﴾ الآية.

وكون الرسولِ شهيداً، قيل: معناه: بأعمالكم يوم القيامة، وقيل: «عليكم» بمعنى «لَكُمْ»، أي: يَشْهَدُ لَكُمْ بالإيمان.

وقوله تعالى: ﴿وما جعلنا القبلَة...﴾ الآية: قال قتادةُ وغيره: القِبْلة هنا بيْتُ المَقْدِس[2]، أي: إلا فِتْنَةً لنعلَمَ من يتبعك مِنَ العربِ الذين لم يألفوا إلا مسجد مكَّة أو من اليهود علَىٰ ما قاله الضَّحَّاك الذين قالوا للنبيِّ ﷺ: «إنْ صَلَيْتَ إِلَىٰ بَيْتِ المَقْدِسِ، اتَّبَعْنَاكَ»، فأمره اللَّه بالصَّلاة إليه، ٱمتحاناً لهم، فلم يؤمنوا[3].

وقال ابنُ عَبَّاس: القبلة في الآيَةِ: الكعبةُ[4]، و ﴿كُنْتَ عَلَيْهَا﴾ بمعنى: أَنْتَ عليها؛ كقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ [آل عمران: ١١٠]، بمعنى: أنتم.

وَمَا جَعَلْنَاهَا وَصَرَّفْنَاكَ إِلَيْهَا إلا فتنةً، وروي في ذلك؛ أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ لما حُوِّل إلى الكعبة، أكْثَرَ في ذلك اليهودُ والمنافقونَ، وٱرتابَ بعض المؤمنين؛ حتَّىٰ نزلتِ الآية، ومعنى: ﴿لِنَعْلَمَ﴾، أي؛ ليعلم رسولِي والمؤمنون به، والقاعدة نَفْيُ ٱستقبالِ العلْمِ بعد أنْ

---

(١) أخرجه البخاري (٨/ ٢٤٧) كتاب «**التفسير**»، باب «ذرية من حملنا مع نوح» حديث (٤٧١٢) ومسلم (١/ ١٨٤) كتاب «**الإيمان**» باب أدنى أهل الجنة منزلة حديث (٣٢٧/ ١٩٤) من حديث أبي هريرة.

(٢) أخرجه الطبري (٢/ ١٤) برقم (٢٢٠٦) عن السدي، وذكره ابن عطية (١/ ٢١٩). وذكره الشوكاني (١/ ٢١٨) عن عطاء.

(٣) ذكره ابن عطية (١/ ٢١٩).

(٤) ذكره ابن عطية (١/ ٢٢٠).

لم يكُنْ، و ﴿ينقلبُ على عقبَيْهِ﴾ عبارةٌ عن المرتدِّ، والرجوعُ على العَقِبِ أَسوأُ حالات الراجع.

وقوله تعالى: ﴿وإِن كانَتْ لكبيرةً إلا على الذين هَدَى اللَّه...﴾ الآية: الضمير في «كَانَتْ» راجع إِلى القبلة إلى بيت المقدس، أو إلى التحويلة إلى الكعبة، حَسْبما تقدَّم من الخلاف في القبلة، «وكَبِيرَة» هنا معناه: شاقَّة صعبةٌ، تكبُرُ في الصدور، ولما حُوِّلَتِ القبلة، كان من قول اليهود: يا محمَّدُ، إن كانَتِ الأولَىٰ حقاً، فأنتَ الآنَ علَىٰ باطلٍ، وإن كانتْ هذه حقًّا، فكنْتَ في الأُولَىٰ علَىٰ ضلالٍ، فَوَجَمَتْ نفوسُ بعْضِ المؤمنين، وأَشْفَقُوا على مَنْ مات قبل التحويل من صلاتِهِمُ السالفة، فنزلَتْ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾، أي: صلاتكم، قاله ابن عبَّاس وغيره[1]، وسمَّى الصلاة إِيماناً لَمَّا كانَتْ صادرةً عن الإيمان؛ ولأن الإِيمان هو القطب الذي عليه تدور الأعمال، فذكره إِذ هو الأصل، ولئلاَّ يندرج في اسم الصلاة صلاةُ المنافقين إِلى بيت المَقْدِسِ، فذكر المعنَى الَّذي هو ملاك الأمر، وأيْضاً سُمِّيتْ إِيماناً؛ إِذ هي من شُعَب الإِيمان.

* ت *: وفي العتبية من سماع ابن القاسم[2]، قال مالكٌ: قال اللَّهُ تبارَكَ وتعالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ قال: هي صلاة المؤمنين إلى بيت المَقْدِس، قال ابنُ رُشْد؛ وعلَىٰ هذا القول أكثر أهل التفسير، وقد قيل: إن المعنَىٰ في ذلك، وما كان اللَّه ليضيعَ إِيانكم بفَرْضِ الصلاة عليكم إِلَىٰ بيْتِ المقدِسِ. انتهى من «البَيَان».

والرَّأْفَةُ: أعلى منازل الرحْمَة.

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ

(١) أخرجه الطبري (٢/ ٢٠) برقم (٢٢٣٢).، وذكره ابن عطية (١/ ٢٢١).

(٢) ابن القاسم هو: أبو عبد اللَّه عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة العُتَقِي بالولاء، المعروف بابن القاسم، ولد بـ «مصر» سنة ١٢٨هـ، وقيل: سنة ١٣٢هـ. وقيل غير ذلك، سافر إلى «المدينة» فصحب الإمام مالكاً، وتفقه عليه، وروى عنه وعن الليث بن سعد، وعبد العزيز بن الماجشون، وغيرهم، وروى عنه أصبغ، وسحنون، وعيسى بن دينار، وغيرهم.
ومن مؤلفاته: «كتاب المدونة»، وهي التي أخذها عنه سحنون، وهي من أجل كتب الفقه المالكي، توفي بـ «مصر» سنة ١٩١هـ.
ينظر: «الديباج المذهب» (١/ ٤٦٥)، «شذرات الذهب» (١/ ٣٢٩)، «وفيات الأعيان» (٣/ ٣٦٢).

قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾

وقوله تعالى: ﴿قد نَرَىٰ تقلُّب وجهك في السماء...﴾ الآية: المقْصِد تقلُّب البصر، وأيضاً: فالوجه يتقلَّب بتقلُّب البصر، قال قتادة وغيره: كان رسولُ اللَّه ﷺ يقلِّب وجهه في الدعاءِ إلى اللَّه تعالَىٰ؛ أنْ يحوِّله إلى قبلة مكَّة[1]، ومعنى التقلُّب نحو السماء: أنَّ السماء جهةٌ قد تعوَّد العالَمُ منها الرحمةَ؛ كالمطر، والأنوار، والوَحْي، فهم يجعلون رغبتهم حيْثُ توالَتِ النعَمُ.

قال * ص *: ﴿فلنوليَّنَّكَ﴾: يدلُّ على تقدير حالٍ، أي: قد نَرَىٰ تقلُّب وجهك في السماءِ طالباً قبلةً غير التي أنتَ مستقبلها، فلنوليَّنَّكَ. انتهى.

و﴿ترْضَاهَا﴾: معناه: تحبُّها/، وكان النبيُّ ﷺ يحبُّ الكعبةَ والتحوُّل عن بيت المَقْدِسِ؛ لوجوه ثلاثة رُوِيَتْ: ٣٨ أ

أحدها: لقول اليهودِ: «مَا عَلِمَ محمَّدٌ دينَهُ؛ حتَّى اتَّبَعَنَا»؛ قاله مجاهد.

الثاني[2]: ليصيب قبلة إبراهيمَ ـ عليه السلام ـ قاله ابن عَبَّاس[3].

الثالث: ليستألف العربَ؛ لمحبَّتها في الكَعْبة، قاله الربيع والسُّدِّيُّ[4].

* ع[5] *: والميزابُ هو قبلة المدينةِ والشامِ، وهنالك قبلةُ أهل الأندلسِ بتأريب، ولا خلاف أن الكعبة قبلةٌ من كل أُفُقٍ.

وقوله تعالى: ﴿فولِّ وجهك...﴾ الآية: أمر بالتحوُّل، ونسخ لقبلة الشام، و﴿شَطْرَ﴾: نصبٌ على الظرف، ومعناه: نحو، وتلقاء، ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا﴾: أَمْر

---

(١) أخرجه الطبري (٢/ ٢٢) برقم (٢٢٣٥)، (٢٢٣٦) عن قتادة من طريقين وأخرجه عبد الرزاق في «التفسير» (١/ ٦٢)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (١/ ٢٢١).

(٢) أخرجه الطبري (٢/ ٢٣) برقم (٢٢٣٩) بنحوه. وذكره ابن عطية (١/ ٢٢١)، والسيوطي في «الدر» (١/ ٢٦٩)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير.

(٣) أخرجه الطبري (٢/ ٢٣) برقم (٢٢٤١) بنحوه. وذكره ابن عطية (١/ ٢٢١).

(٤) أخرجه الطبري (٢/ ٢٢) برقم (٢٢٣٧) عن الربيع، وبرقم (٢٢٣٨) عن السدي. وذكره ابن عطية (١/ ٢٢).

(٥) ينظر: «المحرر الوجيز» (١/ ٢٢٢)، والميزاب: المِثْعَبُ، فارسي معرب، والجمع مآزيب إذا همز، وميازيب إذا لم يهمز. ينظر: «لسان العرب» (٤٨٢٣) (وزب)، و «الوسيط» (٤٠٧).

٣٣٠ ـــــــ

يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾

وقوله تعالَىٰ: ﴿الذين آتيناهم الكتَابَ يَعْرفونه...﴾ الآية: الضمير في يعرفونه عائدٌ على الحق في القبلة، والتحوُّل إلى الكعبة، قال ابن عبَّاس وغيره[1]، وقال مجاهدٌ وغيره: هو عائدٌ على محمَّد ﷺ، أي: يعرفون صدْقَه ونبوَّته[2].

* ت *: بل وصفاتِهِ.

﴿وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الحَقَّ﴾: الفريقُ: الجماعةُ، وخص، [لأن] منهم من أسلم ولم يكتم والإشارة بالحق إلى ما تقدَّم على الخلاف في ضمير ﴿يَعْرِفُونَهُ﴾ ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ظاهرٌ في صحَّة الكفر عناداً.

وقوله تعالى: ﴿الحقُّ مِن ربِّك﴾، أي: هو الحق، ﴿فَلاَ تَكُونَنَّ من الممترين﴾: الخطاب للنبيِّ/ ﷺ والمرادُ أمَّته، وٱمْتَرَىٰ في الشيء، إذا شك فيه؛ ومنه: المراءُ، لأن هذا يشك في قول هذا. ٣٨ ب

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَٱسْتَبِقُوا ٱلْخَيْرَٰتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾

وقوله تعالى: ﴿ولكلٍّ وجهةٌ﴾: الوجهةُ: من المواجهة؛ كالقبلة، والمعنَىٰ: ولكلِّ صاحبِ ملَّة وجهةٌ هو مولِّيها نفْسَه، قاله ابن عبَّاس وغيره[3].

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٢٨) برقم (٢٢٦٧) عن ابن عباس، كما أخرج عدة آثار بهذا المعنى عن قتادة، والربيع، والسدي وغيرهم.
والأثر ذكره ابن عطية في «تفسيره» (١/ ٢٢٣)، والسيوطي في «الدر» (١/ ٢٧٠).

(٢) ذكره ابن عطية (١/ ٢٢٤).

(٣) أخرجه الطبري (٢/ ٣١) برقم (٢٢٨٠) عن الربيع وبرقم (٢٢٨١) عن عطاء وبرقم (٢٢٨٣) عن ابن عباس.
وذكره ابن عطية الأندلسي (١/ ٢٢٤)، وذكره السيوطي في «الدر» (١/ ٢٧١)، وعن ابن عباس، وعزاه لابن جرير، وابن أبي حاتم.

وقرأ ابن عامر[١]: «هُوَ مَولاَّهَا»، أيْ: اللَّه مُوَلِّيها إياهم، ثم أمر تعالى عباده بٱستباقِ الخَيْرات، والبدارِ، إلى سبيل النجاة، وروى ابن المُبَارك في «**رقائقه**» بسنده؛ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «مَنْ فُتِحَ لَهُ بَابٌ مِنَ الخَيْرِ فَلْيَنْتَهِزْهُ[٢]، فَإِنَّهُ لاَ يَدْرِي، مَتَىٰ يُغْلَقُ عَنْهُ». انتهى.

ثم وعظهم سبحانه بذكْر الحشر موعظةً تتضمَّن وعيداً وتحذيراً.

* ص *: «أينما» ظرفٌ مضمَّن معنى الشرط في موضعِ خَبَرِ «كان». انتهى.

وقوله: ﴿يَأْتِ بِكُمُ اللَّه جَميعاً﴾ يعني به البعْثَ من القبور.

وقوله تعالى: ﴿ومِنْ حيثُ خرجْتَ فَولِّ وجْهك شَطْر المَسْجِدِ الحرامِ وإنه لَلْحَقُّ مِنْ ربك وما اللَّه بغافِلٍ عما تَعْمَلُون﴾ معناه: حيثُ كنْتَ، وأنى توجَّهْتَ من مشارقِ الأرض، ومغاربِها، وكرَّرت هذه الآية؛ تأكيداً من اللَّه سبحانه؛ لأن موقع التحويلِ كان صَعْباً في نفوسهم جدًّا، فأكَّد الأمر؛ ليرى الناسُ التهمُّم به، فيخفَّ عليهم وتسكُنَ نفوسُهم إليه.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ حيث خرجْتَ فولِّ وجْهك شطْرَ المسْجد الحرامِ وحيثُ ما كنتم فولُّوا وجوهكم شَطْره لئلاَّ يكون للناس عليكم حُجَّة...﴾ الآية: المعنَىٰ: عرفتكم وجه الصواب في قبلتكم، والحجة لذلك؛ لئلاَّ يكون للناسِ عليكم حجةٌ، والمراد بـ «النَّاس» العمومُ في اليهودِ والعربِ وغيرهم ﴿إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾، أي: من المذكورين ممَّن تكلَّم في النازلة في قولهم: ﴿مَا وَلاَّهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ﴾ [البقرة: ١٤٢].

وقوله تعالى: ﴿فلا تخشوهم وٱخشوني...﴾ الآية: [فيه] تحقيرٌ لشأنهم، وأمر بٱطراح أمرهم، ومراعاة أمره سبحانه، قال الفَخْر[٣]: وهذه الآية تدلُّ على أن الواجب علَى المَرْء في كلِّ أفعاله وتروكه؛ أن ينصب بين عينيه خشيةَ ربه تعالَىٰ، وأن يعلم أنه ليس في أيدي الخَلْقِ شيء البتَّةَ وألاَّ يكون مشتغل القَلْب بهم، ولا ملتفت الخاطر إلَيْهِم. انتهى.

---

(١) وحجته في هذه القراءة أنه: قُدِّر له أن يتولاها، ولم يسند إلى فاعل بعينه، فيجوز أن يكون «هو» كناية عن الاسم الذي أضيفت إليه «كل». وهو الفاعل، ويجوز أن يكون فاعل التولية «اللَّه»، و «هو» كناية عنه. والتقدير: ولكل ذي ملة قبلة اللَّه موليها وجهه. ثم رُدَّ ذلك إلى ما لم يُسَمَّ فاعله.
ينظر: «**حجة القراءات**» (١١٧)، و «**الحجة للقراء السبعة**» (٢/ ٢٣٠)، و «**العنوان**» (٧٢)، و «**شرح طيبة النشر**» (٤/ ٧٤، ٧٥)، و «**شرح شعلة**» (٢٧٨)، و «**معاني القراءات**» (١/ ١٨١)، و «**إتحاف فضلاء البشر**» (١/ ٤٢٢).

(٢) النُّهْزَة: الفرصة، وانتهزتُها: اغتنمتها. ينظر: «**النهاية**» (٥/ ١٣٥).

(٣) «**التفسير الكبير**» (٤/ ١٢٧).

قال * ص *: ﴿إلا الذين﴾ استثناءٌ متَّصِلٌ، قاله ابن عباس وغيره، أي: لئلاَّ تكون حجةٌ من اليهود المعاندين القائلين ما ترك قبلتنا، وتوجَّه للكعبة إلاَّ حبًّا لبلده، وقيل: منقطع، أي: لكن الذين ظلموا منهم؛ فإنهم يتعلَّقون عليكم بالشُّبَه، وزعم أبو عُبَيْدة مَعْمَرُ بْنُ المثنَّىٰ: إن «إلاَّ» في الآية بمعنى «الواو»، قال ومنه: [الوافر]:

وَكُلُّ أَخٍ مُفَارِقُهُ أَخُوهُ لَعَمْرُ أَبِيكَ إلاَّ الفَرْقَدَانِ(١)

أي: والَّذين ظلموا، وَالفَرْقَدَان، ورُدَّ بأنَّ «إلاَّ» بمعنى الواو ولا يقوم علَيْه دليلٌ. انتهى.

وقوله تعالى: ﴿فولُّوا وجوهَكُمْ شَطْره﴾ أمر بٱستقبالِ القبْلَة، وهو شرطٌ في الفرض إلاَّ في القتالِ حالة الالتحام، وفي النوافل إلا في السفرِ الطويلِ للرَّاكب، والقدرةُ على اليقينِ في مصادفتها تَمْنَعُ من الاِجتهادِ، وعلى الاِجتهادِ تَمْنَعُ من التقليد.

وقوله سبحانه: ﴿ولأتمَّ نعمتي عليكم﴾ عطْفٌ على قوله: «لَئِلاَّ» وقيل: هو في موضع رفع بالاِبتداء، والخبرُ مضمرٌ، تقديره: ولأتمَّ نعمتي عليكم، عرَّفتكم قبلتي، ونحوهُ، ﴿ولَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ترجٍّ في حقِّ البشر، والكافُ في قوله: «كَمَا» ردٌّ على قوله: «وَلِأُتِمَّ»، أي: إتماماً كما، وهذا أحسنُ الأقوال، أي: لأتم نعمتي عليكم في بيان سُنَّة إبراهيم عليه السلام/ ؛ ﴿كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم﴾؛ إجَابة لدعوته في قوله: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِم رَسُولاً مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٩]. ٣٩أ

---

(١) البيت لعمرو بن معد يكرب في ديوانه (ص ١٧٨)؛ و «الكتاب» (٢/ ٣٣٤)؛ و «لسان العرب» (١٥/ ٤٣٢) (ألا)؛ و «الممتع في التصريف» (١/ ٥١)؛ والحضرمي بن عامر في «تذكرة النحاة» (ص ٩٠)؛ و «حماسة البحتري» (ص ١٥١)؛ و «الحماسة البصرية» (٢/ ٤١٨)؛ و «شرح أبيات سيبويه» (٢/ ٤٦)؛ و «المؤتلف والمختلف» (ص ٨٥)؛ ولعمرو أو لحضرمي في «خزانة الأدب» (٣/ ٤٢١)؛ و «الدرر» (٣/ ١٧٠)؛ و «شرح شواهد المغني» (١/ ٢١٦)؛ وبلا نسبة في «الأشباه والنظائر» (٨/ ١٨٠)؛ و «أمالي المرتضى» (٢/ ٨٨)؛ و «الإنصاف» (١/ ٢٦٨)؛ و «الجنى الداني» (ص ٥١٩)؛ و «خزانة الأدب» (٩/ ٣٢١، ٣٢٢)؛ و «رصف المباني» (ص ٩٢)؛ و «شرح الأشموني» (١/ ٢٣٤)؛ و «شرح المفصل» (٢/ ٨٩)؛ و «العقد الفريد» (٣/ ١٠٧، ١٣٣)؛ و «فصل المقال» (ص ٢٥٧)؛ و «مغني اللبيب» (١/ ٧٢)؛ و «المقتضب» (٤/ ٤٠٩)؛ و «همع الهوامع» (١/ ٢٢٩).

واستشهد به على نعت «كلّ» بقوله: «إلاّ الفرقدان» على تقدير «غير». وفيه ردّ على المبرد الذي زعم أنَّ الوصف بـ «إلاّ» لم يجيء إلاّ فيما يجوز فيه البدل. فـ «إلاّ الفرقدان» صفة، ولا يمكن فيه البدل.

(والفرقدان) نجمان قريبان من القطب، لا يفارق أحدهما الآخر.

٣٣٤ ـــــــ

وروى ابن المبارك في «**رقائقه**» بسنده عن أنس بن مالك، قال: مَا مِنْ بُقْعَةٍ يُذْكَرُ اللَّهُ عَلَيْهَا بصَلاةٍ أو بذكْرٍ إلاَّ ٱفتخرَتْ علَىٰ ما حَوْلَهَا من البِقَاعِ، واستبشَرَتْ بذكْر اللَّه إلى منتهاها منْ سبعِ أرَضِينَ، وما مِنْ عَبْدٍ يقومُ يصلِّي إلا تزخرفَتْ له الأرض[١]. قال ابنُ المُبَارك: وأخبرنا المسعوديُّ عن عَوْنِ بنِ عبدِ اللَّهِ[٢]، قال: الذاكِرُ في الغافِلِينَ؛ كالمقاتل خَلْف الفارِّين[٣]. انتهى.

وقال الربيعُ والسِّدّي: المعنى: ٱذكرونِي بالدعاءِ والتسبيحِ[٤] ونحوه، وفي صحيح البخاريِّ ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ...»[٥] الحديثَ. انتهى.

---

(١) أخرجه ابن المبارك في «**الزهد**» ص (١١٥) رقم (٣٣٩) عن أنس بن مالك موقوفاً.
وأخرجه أبو يعلى (٧/ ١٤٣) رقم (٤١١٠) من طريق موسى بن عبيدة الربذي عن يزيد الرقاشي عن أنس مرفوعاً.
وذكره الهيثمي في «**مجمع الزوائد**» (١٠/ ٨١ـ ٨٢) وقال: رواه أبو يعلى، وفيه موسى بن عبيدة الربذي، وهو ضعيف .اهـ.
وزاد نسبته المناوي في «**فيض القدير**» (٥/ ٤٧٥) إلى البيهقي في «**شعب الإيمان**».

(٢) عون بن عبد اللَّه بن عتبة بن مسعود الهذلي، أبو عبد اللَّه، الكوفي، الزاهد. عن أبيه، وعائشة، وابن عباس. وعنه قتادة، وأبو الزبير، والزهري. وثقه أحمد وابن معين، ورماه ابن سعد بالإرجاء. قال البخاري: مات بعد العشرين ومائة.
ينظر: «**الخلاصة**» (٢/ ٣٠٩)، و «**تهذيب التهذيب**» (٨/ ١٧١)، و «**الكاشف**» (٢/ ٣٥٨)، و «**تاريخ الثقات**» (٣٧٧).

(٣) أخرجه ابن المبارك في «**الزهد**» (ص ١٢٢) رقم (٣٥٧).

(٤) أخرجه الطبري في «**تفسيره**» (٢/ ٤٠) برقم (٢٣١٩)، (٢٣٢٠)، وذكره ابن عطية في تفسيره (١/ ٢٢٦).

(٥) أخرجه البخاري (١٣/ ٣٩٥) كتاب «التوحيد»، باب قول اللَّه تعالى: ﴿ويحذركم اللَّه نفسه﴾، حديث (٧٤٠٥)، ومسلم (٤/ ٢٠٦١) كتاب «الذكر والدعاء»، باب الحث على ذكر اللَّه (تعالى)، حديث (٢١/ ٢٦٧٥)، والترمذي (٥/ ٥٨١) كتاب «الدعوات»، باب في حسن الظن باللَّه (عز وجل)، حديث (٣٦٠٣)، وابن ماجة (٢/ ١٢٥٥ ـ ١٢٥٦) كتاب «الأدب»، باب فضل العمل، حديث (٣٨٢٢)، وأحمد (٢/ ٢٥١، ٤١٣)، وابن خزيمة في «**التوحيد**» (ص ٧)، وابن حبان (٣/ ٩٣) رقم (٨١١)، والبغوي في «**شرح السنة**» (٣/ ٨١ ـ بتحقيقنا) كلهم من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً.
وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.
وأخرجه مسلم (٤/ ٢٠٦١) كتاب «الذكر والدعاء»، باب الحث على ذكر اللَّه (تعالى)، حديث=

﴿وَٱشْكُرُوا لي﴾، أي: نعمي وأيادِيَّ، ﴿وَلاَ تَكْفُرُونِ﴾: أي: نعمي وأياديَّ.

* ت *: وعن جابر قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَىٰ عَبْدٍ مِنْ نِعْمَةٍ، فَقَالَ: الحَمْدُ لِلَّهِ إِلاَّ وَقَدْ أَدَّىٰ شُكْرَهَا، فَإِنْ قالها الثانيةَ، جدَّد اللَّهُ لها ثوابَهَا، فَإِن قالها الثالثةَ، غفر اللَّه له ذُنوبَه» رواه الحاكمُ في «المستَدْرَكِ»، وقال: صحيح[1]. انتهى من «السِّلاح».

وقوله تعالى: ﴿إن اللَّه مع الصابرين﴾، أي: بمعونته وإنجاده.

﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿ولا تقولوا لِمَنْ يقتل في سبيلِ اللَّهِ أموات...﴾ الآية: سببها أن الناس قالوا فيمن قتل ببدر وأُحُدٍ من المؤمنين: مَاتَ فلانٌ، ماتَ فلانٌ، فكره اللَّه سبحانه؛ أن تُحَطَّ منزلةُ الشهداءِ إلى منزلة غيرهم، فنزلَتْ هذه الآية، وأيضاً: فإن المؤمنين صَعْبٌ عليهم فراقُ إخوانهم وقراباتِهِمْ، فنزلَتِ الآيةُ مسلِّية لهم، تعظِّم منزلة الشهداءِ، وتخبر عن حقيقةِ حالِهِمْ، فصاروا مغبوطين لا محزوناً لهم؛ ويظهر ذلك من حديث أُمِّ حارثَةَ في السِّيَرِ.

* ت *: وخرَّجه البخاريُّ في «صحيحه» عن أنسٍ، قال: «أُصِيبَ حارثةُ يوم بَدْر أصابه غَرْبُ[2] سَهْمٍ، وهو غلامٌ، فجاءَتْ أُمُّهُ إلى النبيِّ ﷺ فقالَتْ: يا رسُولَ اللَّهِ/، قد

= (٢٦٧٥)، والبخاري في «خلق أفعال العباد» (ص ٨٥)، وأحمد (٢/ ٥١٦، ٥٢٤) من طريق زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً.

(١) أخرجه الحاكم (١/ ٥٠٧ـ ٥٠٨)، وعنه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤/ ٩٨) رقم (٤٤٠٢) من طريق عبد الرحمن بن قيس: نا محمد بن أبي حميد، عن محمد بن المنكدر، عن جابر مرفوعاً.
وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.
وتعقبه الذهبي فقال: ليس بصحيح؛ قال أبو زرعة: عبد الرحمن بن قيس كذاب.
والحديث ذكره الذهبي في «الميزان» (٢/ ٥٨٣)، وقال: منكر. اهـ.
وعبد الرحمن بن قيس: قال الحافظ في «التقريب» (١/ ٤٩٦): متروك؛ كذبه أبو زرعة وغيره.

(٢) أي لا يعرف راميه؛ يقال: سَهْمُ غربٍ، بفتح الراء وسكونها، وبالإضافة، وغير الإضافة. وقيل: هو بالسكون إذا أتاه من حيث لا يدري، وبالفتح إذا رماه فأصاب غيره.
ينظر: «النهاية» (٣/ ٣٥٠ـ ٣٥١).

عَرَفْتَ مَنْزِلَةَ حَارِثَةَ مِنِّي، فَإِنْ يَكُ فِي الجَنَّةِ أَصْبِرْ، وَأَحْتَسِب، وَإِن تَكُن الأُخْرَىٰ، تَرَىٰ مَا أَصْنَعُ، فَقَالَ: وَيْحَكِ، أَوَ هُبِلْتِ، أَو جَنَّةٌ وَاحِدَةٌ هَيَ؛ إِنَّهَا جِنَانٌ كَثِيرَةٌ، وَإِنَّهُ فِي الفِرْدَوْسِ الأَعْلَىٰ. . .» الحديثَ[١]. انتهى.

* ع[٢]: والفرق بين الشهيدِ وغيرهِ إنما هو الرِّزْقُ، وذلك أنَّ اللَّه تعالَىٰ فضَّلهم بدوام حالِهِمُ التي كانَتْ في الدنيا فرزَقهُم.

* ت *: وللشهيدِ أحوالٌ شريفةٌ منها ما خرَّجه الترمذيُّ وابن ماجة عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لِلشَّهِيدِ عِنْد اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ، وَيَرَىٰ مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَىٰ رَأْسِهِ تَاجُ الوَقَارِ، اليَاقُوتَةُ مِنْهُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا، ومَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الحُورِ الْعِينِ، وَيَشْفَعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقْرِبَائِهِ». قال الترمذيُّ: هذا حديثٌ حَسَنٌ غريبٌ، زاد ابن ماجَة: «وَيُحَلَّىٰ حُلَّةَ الإِيمَانِ»[٣]، قال القرطبيُّ في «**تذكرته**»[٤]: هكذا وقع في نسخ الترمذيِّ وابن ماجة: «ستَّ خِصَالٍ» وهي في متن الحديث سَبْعٌ، وعلى ما في ابن ماجة: «وَيُحَلَّىٰ حُلَّةَ الإِيمَانِ» تكون ثمانياً، وكذا ذكره أبو بكر أحمد بن سَلْمَان النَّجَّاد[٥] بسنده عن النبيِّ ﷺ قال: «لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ ثَمَانِ خِصَالٍ» انتهى. وخرَّج الترمذيُّ، والنسائيُّ عنه ﷺ أنه قال: «الشَّهِيدُ لاَ يَجِدُ أَلَمَ القَتْلِ إِلاَّ كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ أَلَمَ القَرْصَةِ»[٦] انتهى.

---

(١) أخرجه البخاري (٧/ ٣٥٥) كتاب «المغازي، باب فضل من شهد بدراً، حديث (٣٩٨٢)، (١١/ ٤٢٣) كتاب «الرقاق» باب صفة الجنة والنار، حديث (٦٥٥٠) من حديث أنس.

(٢) «**المحرر الوجيز**» (١/ ٢٢٧).

(٣) أخرجه الترمذي (٤/ ١٨٧ـ ١٨٨) كتاب «فضائل الجهاد»، باب في ثواب الشهيد، حديث (١٦٦٣)، وابن ماجة (٢/ ٩٣٥ـ ٩٣٦) كتاب «الجهاد»، باب فضل الشهادة في سبيل اللَّه، حديث (٢٧٩٩) كلاهما من طريق بجير بن سعد عن خالد بن معدان عن المقدام بن معد يكرب مرفوعاً.
وقال الترمذي: حسن صحيح غريب.

(٤) ينظر: «**التذكرة**» للقرطبي (١/ ٢١٨).

(٥) الإمامُ المحدِّث الحافظ الفقيه المفتي، شيخُ العِراق، أبو بكر أحمدُ بنُ سلمان بنِ الحسنِ بنِ إسرائيل، البَغدادي الحَنْبَلِيُّ النَّجَّاد.
ولد سنةَ ثلاثٍ وخمسين ومئتين، سمع أبا داود السِّجِسْتَاني، ارتحل إليه، وهو خاتمة أصحابه، وصنف ديواناً كبيراً في السنن، مات النَّجَّاد ـ رحمه اللَّه تعالى ـ في ذي الحِجَّة سنةَ ثمانٍ وأربعين وثلاثمائة.
ينظر: «**سير أعلام النبلاء**» (١٥/ ٥٠٢ـ ٥٠٤).

(٦) أخرجه الترمذي (٤/ ١٩٠) كتاب «فضائل الجهاد»، باب ما جاء في فضل المرابط، حديث (١٦٦٨)، والنسائي (٦/ ٣٦) كتاب «الجهاد»، باب ما يجد الشهيد من الألم، حديث (٣١٦١)، وابن ماجه (٢/ =

٣٣٨ ـــــــ

ولكنْ لا شعورَ لَنَا بذلك؛ إذ لا نُشَاهِدُ باطنَ أمرهم، وخُصُّوا مِنْ بين سائر المُؤمنين، بأنهم في البَرْزَخِ يرزَقُون من مطاعِم الجَنَّة ما يُرْزَقُ المؤمنون من أهْل الجنة علَىٰ أنه قد ورد في الحديثِ: «إِنَّمَا نَسَمَةُ المُؤْمِنِ طَائِرٌ يُعَلَّقُ فِي شَجَرِ الجَنَّةِ»، ومعنى: «يُعَلَّق»: يأكل؛ ومنه قوله: ما ذقْتُ عَلاقاً، أي: مأكلاً، فقد عم المؤمنين؛ بأنهم يرزقُونَ في البرزخ من رزق الجنة، ولكن لا يمتنعُ أن يخصَّ الشهداء من ذلك بقَدْر لا يناله غيرهم، واللَّه أعلم. انتهى.

وروى النسائيُّ أن رجلاً قال: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا بَالُ المُؤْمِنِينَ يُفْتَنُون فِي قُبُورِهِمْ إِلاَّ الشَّهِيدَ؟ قَالَ: كَفَىٰ بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَىٰ رَأْسِهِ فِتْنَةً»[1]. انتهى.

* ت *: وحديثُ: «إِنَّمَا نَسَمَةُ المُؤْمِنِ طَائِرٌ» خرَّجه مالك رحمه اللَّه. قال الدَّاوديُّ: وحديث مالكٍ، هذا أصحُّ ما جاء في الأرواح، والذي روي أنها تجعل في حواصِلِ طيرٍ لا يصحُّ في النقل. انتهى.

قال أبو عُمَرَ بْنُ عبْدِ البَرِّ في «**التمهيد**»[2]: والأشبه قولُ من قال: كَطَيْرٍ أو كصُوَرِ طيرٍ؛ لموافقته لحديثِ «**الموطَّإ**»، هذا/ وأسند أبو عمر هذه الأحاديثَ، ولم يذكر مطعناً في ٤٠أ
إسنادها. انتهى.

ثم أعلمهم تعالَىٰ أن الدنيا دارُ بلاءٍ ومحنةٍ، ثم وعد على الصَّبْر، فقال: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ أي: نمتحنكم ﴿بِشَيْءٍ مِنَ الخَوْفِ﴾، أي: من الأعداء في الحروبِ، ﴿وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ﴾ أي بالجوائحِ[3]، والمصائبِ، ﴿والأَنْفُسِ﴾ بالموت، والقَتْل، ﴿وَالثَّمَرَاتِ﴾ بالعَاهَاتِ، والمرادُ بشيءٍ من هذا وشيءٍ من هذا، واكتفَىٰ بالأول إيجازاً، ثم وصف سبحانه الصابرين الَّذين بشَّرهم بقوله: ﴿الَّذِينَ إِذا أصابتهم مصيبةٌ قالوا إنا للَّه وإنا إليه راجعون﴾، فجعل سبحانه هذه الكلماتِ ملجأً لذوي المصائبِ؛ لما جمعتْ من المعاني المباركةِ من توحِيدِ اللَّهِ سبحانه، والإقرار له بالعبودية، والبعثِ من القبورِ، واليقينِ

---

(١) أخرجه النسائي (٤/ ٩٩) كتاب «الجنائز»، باب الشهيد، حديث (٢٠٥٣) عن رجل من أصحاب النبي ﷺ به مرفوعاً.

وهذا الحديث لم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة سوى النسائي.

(٢) ينظر: «**التمهيد**» (١١/ ٦٤).

(٣) الجائحة: الشدة والنازلة العظيمة التي تجتاح المال من سنة أو فتنة. ينظر: «**لسان العرب**» (٧١٩) (جوح).

بأنَّ رجوع الأمر كلّه إليه؛ كما هو له، قال الفَخْرُ[١]: قال أبو بَكْرٍ الوَرَّاق[٢]: ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾: إقرارٌ منَّا له بالمُلْكِ، ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ إقرارٌ على أنفسنا بالهلاكِ.

واعلم أن قوله: ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ يدلُّ علَىٰ كونه راضيًا بكلِّ ما نَزَلَ به، ووردَتْ أخبارٌ كثيرةٌ في هذا البابِ عن النبيِّ ﷺ، فمنِ ٱسترجَع عند المصيبة، جَبَر اللَّه مصيبته، وأحْسَنَ عقباه، وجعل له خَلَفاً صالحاً يرضَاهُ. انتهى.

ورُوِيَ: «أنَّ مَصْبَاحَ رسُولِ اللَّه ﷺ ٱنْطَفَأَ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَقَالَ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، فَقِيلَ: أَمُصِيبَةٌ هِيَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: نَعَمْ؛ كُلُّ مَا آذَى المُؤْمِنَ، فَهُوَ مُصِيبَةٌ»[٣]. قال النوويُّ[٤]: ورُوِّينَا في «**كتاب ابن السُّنِّيِّ**»[٥] عن أبي هريرة، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ليسترجعْ أحدُكُمْ في كلِّ شيء، حتَّىٰ في شِسْعِ[٦] نَعْلِه؛ فَإِنها من المصائِبِ»[٧]. انتهى من «**الْحِلْيَةِ**».

---

(١) «**التفسير الكبير**» (٤/ ١٤٠).

(٢) الإمامُ المحدِّث، أبو بكر، محمدُ بنُ إسماعيلَ بنِ العبَّاس البغداديُّ المُسْتَمْلي الوَرّاق. سمع أباه، والحسَنَ بنَ الطَّيِّب، وعمرَ بنَ أبي غَيْلان، وأحمدَ بنَ الحسن الصُّوفي، ومحمدَ بنَ محمدٍ الباغَنْدي، والبغوي.
وعنه: الدَّارقُطني، والبَرْقاني، وأبو محمد الخَلاّل، وأحمدُ بنُ عمر القَاضي، وأبو محمد الجَوْهَري وعدَّة.
وُلدَ سنةَ ثلاثٍ وتسعينَ ومئتين، وماتَ في ربيع الآخر سنةَ ثمانٍ وسبعينَ وثلاثمائة.
ينظر: «**سير أعلام النبلاء**» (١٦/ ٣٨٨، ٣٨٩).

(٣) ينظر: «**تفسير القرطبي**» (٢/ ١٧٥).

(٤) «**الأذكار**» (ص ١٥٨).

(٥) الإمامُ الحافظُ الثقةُ الرّحال، أبو بكر، أحمدُ بنُ محمدِ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ بنِ أَسباط الهاشميُّ، الجَعْفَريّ، مولاهم الدِّينَوَري، المشهور بـ «ابن السُّنِّي»، ولد في حدود سنةِ ثمانينَ ومئتين.
وهو الذي اختصر «**سُنَنَ النَّسائي**»، واقتصر على رواية المختصر، وسمّاه «**المُجتبى**»، وجمع وصنَّف كتاب «**يوم وليلة**». توفي آخر سنة أربعٍ وستين وثلاثمائة. ينظر: «**سير أعلام النبلاء**» (١٦/ ٢٥٥-٢٥٦).

(٦) الشِّسْعُ: أحد سيور النعل، وهو الذي يدخل بين الإصبعين، ويدخل طرفه في الثقب الذي في صدر النعل المشدود في الزمام، والزمام: السَّير الذي يعقد فيه الشِّسع.
ينظر: «**النهاية**» (٢/ ٤٧٢).

(٧) أخرجه ابن السني في «**عمل اليوم والليلة**» (٣٤٦)، وذكره الحافظ ابن حجر في «**المطالب العالية**» (٣/ ٢٣١) رقم (٣٣٥١)، وعزاه لمسدد.

وقوله تعالى: ﴿أُولئكَ عليهم صلواتٌ من ربِّهم...﴾ الآية: نِعَمٌ من اللَّه تعالَىٰ على الصابرين المسترجعين، وصلوات اللَّه علَىٰ عبده: عفْوُهُ، ورحمتُه، وبركته، وتشريفه إياه في الدنيا والآخرة، وكرَّر الرحْمَة، وهي من أعظم أجزاء الصلاة، لمَّا اختلف اللَّفْظ؛ تأكيداً منه تعالَىٰ وشهد لهم بالاِهتداء.

* ت *: وفي «**صحيح البخاري**»: وقال عُمَرُ: نِعْمَ العدلان، ونِعْم العِلاَوة[1] الَّذين إذا أصابتهم مصيبةٌ، قالوا: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ...﴾ إلى ﴿المُهْتَدُونَ﴾[2]، قال النوويُّ في «**الحلية**»[3]: ورُوِّينا في سنن ابن ماجة، والبيهقيِّ بإسناد حَسَنٍ عن عمرِو بْنِ حَزْمٍ[4] عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يُعَزِّي أَخَاهُ بِمُصِيبَةٍ إِلاَّ كَسَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ حُلَلِ الكَرَامَةِ يَوْم القِيَامَةِ»[5]، ورُوِّينا في كتاب الترمذيِّ، والسنن الكَبيرِ للبيهقيِّ عن ابْنِ مسعودٍ عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ عَزَّىٰ مُصَابًا، فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ» إسناده ضعيف[6]، ورُوِّينا في

---

(١) العِلاَوة: ما عُولِي فوق الحِمْل وزيد عليه. ينظر: «**النهاية**» (٣/ ٢٩٥)، و «**الوسيط**» (٦٣١).

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ٢٠٥) كتاب «**الجنائز**»، باب الصبر عند الصدمة الأولى، عن عمر تعليقاً.
ووصله الحاكم (٢/ ٢٧٠) من طريق جرير عن منصور عن سعيد بن المسيب عن عمر به.
وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ولا أعلم خلافاً بين أئمتنا أن سعيد بن المسيب أدرك أيام عمر (رضي اللَّه عنه)، وإنما اختلفوا في سماعه منه .اهـ.
وله طريق آخر عن عمر بنحوه: ذكره الحافظ في «**الفتح**» (٣/ ٢٠٥)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٣) «**الأذكار**» (ص ١٨٠).

(٤) عمرو بن حزم بن زيد الأنصاري، الخزرجي، أبو الضحاك، المدني، شهد الخندق، وولي بعض أمور «اليمن». له أحاديث. وعنه ابنه محمد، وزياد بن نُعيم. قال المدائني: مات سنة إحدى وخمسين.
ينظر: «**الخلاصة**» (٢/ ٢٨٢ ـ ٢٨٣)، و «**تهذيب التهذيب**» (٨/ ٢٠)، و «**الكاشف**» (٣٢٦)، و «**تقريب التهذيب**» (٢/ ٦٨).

(٥) أخرجه ابن ماجة (١/ ٥١١) كتاب «الجنائز» باب ما جاء في ثواب من عزى مصاباً، حديث (١٦٠١)، والبيهقي (٤/ ٥٩) كتاب «الجنائز»، باب ما يستحب من تعزية أهل الميت من طريق قيس أبي عمارة، عن عبد اللَّه بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده مرفوعاً.
وقال البوصيري: في إسناده قيس أبو عمارة، ذكره ابن حبان في «**الثقات**»، وقال الذهبي في «**الكاشف**»: ثقة. وقال البخاري: فيه نظر، وباقي رجاله على شرط مسلم.

(٦) أخرجه الترمذي (٣/ ٣٨٥) كتاب «الجنائز»، باب ما جاء في أجر من عزى مصاباً، حديث (١٠٧٣)، وابن ماجة (١/ ٥١١) كتاب «الجنائز»، باب ما جاء في ثواب من عزى مصاباً، حديث (١٦٠٢) من طريق محمد بن سوقة عن إبراهيم عن الأسود عن عبد اللَّه بن مسعود به.
وقال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث علي بن عاصم، ورواه بعضهم عن محمد بن سوقة بهذا الإسناد موقوفاً اهـ.
قال الحافظ ابن حجر في أجوبته عن أحاديث «**المصابيح**» (١/ ٨٦): قلت: أخرجه الترمذي، وابن ماجه=

كتاب الترمذيِّ أيضاً عن أبي هريرة؛ عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ عَزَّىٰ ثَكْلَىٰ، كُسِيَ بِرِدَاءٍ فِي الجَنَّةِ». قال الترمذيُّ ليس إسناده بالقَوِيِّ[1]. انتهى.

﴿۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾

قوله تعالَىٰ: ﴿إن الصفا والمروةَ من شعائر اللَّه﴾: الصَّفَا: جمع صَفَاةٍ، وهي الصَّخْرة العَظيمة، والمَرْوَة واحدةُ المَرْوِ، وهي الحجارة الصِّغَار الَّتي فيها لِينٌ، و ﴿مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ معناه: معالمه، ومواضع عبادته، وقال مجاهدٌ: ذلك راجعٌ إلى القول، أي: مما أشعركم اللَّه بفضله: مأخوذٌ من شَعَرْتُ، إذا تحسَّست[2].

و ﴿حَجَّ﴾: معناه: قصد، وتكرَّر، و ﴿اعتمر﴾: زار وتكرَّر مأخوذٌ من عَمَرْتُ الموضعَ، والجُنَاحُ: الإثمُ، والمَيْلُ عن الحقِّ والطاعةِ، ومن اللفظةِ الجناح/؛ لأنه في شِقٍّ؛ ومنه: ﴿وإنْ جنحوا للسَّلْمِ فاجنحْ لها﴾ [الأنفال: ٦١]، و ﴿يَطَّوَّفُ﴾: أصله يتطوَّف، فقوله: ﴿إن الصفا والمروة...﴾ الآيةَ: خبر يقتضي الأمر بما عهد من الطواف بهما، وقوله: ﴿فَلاَ جُنَاحَ﴾ ليس المقصودُ منه إباحة الطوافِ لمن شاءه؛ لأن ذلك بعد الأمر لا يستقيمُ، وإنما المقصودُ رفْعُ ما وقع في نفوسِ قومٍ من العربِ من أنَّ الطوَافَ بينهما فيه حرجٌ، وإعلامهم أن ما وقع في نفوسهم غيرُ صوابٍ، وفي الصحيح عن عائشَةَ ـ رضي اللَّه

٤٠ ب

من حديث عبد اللَّه بن مسعود عن النبي ﷺ. ورجاله رجال «**الصحيحين**» إلا علي بن عاصم؛ فإنه ضعيف عندهم. قال الترمذي بعد تخريجه: «لا نعرفه مرفوعاً إلا عن علي بن عاصم».
ورواه بعضهم عن محمد بن سوقة شيخ علي بن عاصم موقوفاً على عبد اللَّه بن مسعود. وقال الترمذي أيضاً: «أنكروه على علي بن عاصم، وعدوه من غلطه».
وقال أبو أحمد بن عدي: رواه جماعة متابعة لعلي بن عاصم، سرقه بعضهم منه، وأخطأ فيه بعضهم.
وأخرجه ابن عدي من حديث أنس بلفظ: «من عزَّى أخاه المسلم من مصيبته كساه اللَّه حلَّة»، وسنده ضعيف.
وأخرجه أبو الشيخ في «**كتاب الثواب**» من حديث جابر بمعناه، وأبو يعلى من حديث أبي برزة بلفظ آخر. وقد قلنا: إن الحديث إذا تعددت طرقه يقوى بعضها ببعض، وإذا قوي كيف يحسن أن يطلق عليه: إنه مختلق؟! اهـ.

(١) أخرجه الترمذي (٣/ ٣٧٨ـ ٣٧٩)، كتاب «الجنائز»، باب آخر في فضل التعزية، حديث (١٠٧٦)، من حديث أبي برزة.
وقال الترمذي: هذا حديث غريب، وليس إسناده بالقوي.
وهذا الحديث لم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة سوى الترمذي.

(٢) ذكره ابن عطية (١/ ٢٢٩).

عنها ـ: «أنَّ ذَلِكَ فِي الأنصارِ».

ومذهبُ مالكٍ والشافعيِّ[١]؛ أنَّ السعْيَ بينهما فرضٌ لا يجزىء تاركه، إلاَّ العودة، قال ابنُ العَرَبِيِّ في «**أحكامه**»[٢] والدليلُ علىٰ ركنيَّته ما رُويَ عن النبيِّ ﷺ؛ أنَّهُ قَالَ: «إنَّ

---

(١) من أركان الحج: السعي بين الصفا والمروة؛ لما روى «الدارقطني» و «البيهقي» بإسناد حسن أنه ﷺ استقبل الناس في المسعى. وقال: «يَا أَيُّها النَّاس اسعوا فإنَّ السَّعْيَ قَدْ كُتِبَ عَلَيْكُمْ»، أي فرض، وأصل السعي: الإسراع، والمراد به هنا: مطلق المشي.

ويشترط لصحة السعي شروط ستة:

الأوّل: البدء بالصفا في الأوتار، وبالمروة في الأشفاع؛ للاتباع مع خبر «خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ»، وخبر «ابْدَءُوا بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ»، فلو خالف الساعي ذلك لم يصح.

الثاني: كونه سبع مرات يقيناً، للاتباع بحسب الذهاب من الصفا إلى المروة مرّة، والإياب من المروة إلى الصفا مرة أخرى، ولا بد أن تكون السبع متيقنةً، فلو شك الساعي في العدد، فإن كان قبل الفراغ، بنى على الأقل وجوباً، وإن كان بعد الفراغ لم يؤثر.

الثالث: أن يقطع الساعي المسافة بين الصفا والمروة في كل مرّة، فلو بقي منها شيء لم يكف.

الرابع: أن يكون قطع المسافة من بطن الوادي، وهو المسعى المعروف الآن.

نعم لو انحرف قليلاً في سعيه عن محلّ السعي لم يضر، كما نصّ عليه الشافِعِيُّ ـ رضي اللَّه عنه ـ.

الخامس: أن يكون بعد طواف الإفاضة أو طواف القدوم؛ لأنه الوارد من فعله ﷺ، ونقل «الماوردي» الإجماع على ذلك.

ومحلّ كونه يقع صحيحاً بعد طواف القدوم إذا لم يكن الساعي قد وقف بعرفة بعد طواف القدوم، فلو وقف بها بعد طواف القدوم، وقبل السعي، لم يصح سعيه، إلا بعد طواف الإفاضة؛ لدخول طواف الفرض، فلا يجوز أن يسعى بعد طواف نفل مع إمكانه بعد طواف الفرض.

ومن فعل السعي بعد طواف القدوم لم تسنّ له إعادته بعد طواف الإفاضة، بل تكره إعادته؛ لأنه ﷺ وأصحابه لم يسعوا إلا بعد طواف القدوم.

نعم تجب إعادة السعي على صبي ورقيق إذا كملا قبل الوقوف بعرفة، أو في أثنائه، كما تقدّم.

السادس: عدم الصارف، فلو حصل السعي بقصد المسابقة مثلاً لم يصح.

ويندب في السعي أمور: منها: أن يخرج من باب الصفا عقب الفراغ من صلاة الطواف واستلام الحجر وتقبيله. ومنها: أن يرقى الذكرُ على الصفا والمروة قدر قامة؛ فإنه ﷺ رقى على كلّ منهما ـ حتى رأى البيت. رواه مسلم. أما النساء والخناثى، فلا يسنّ لهم ذلك إلا إذا خلا المحلّ عن الرجال الأجانب.

ومنها: الذكر الوارد عند كل منهما. ومنها: أن يكون متطهراً من الحدث والخبث، مستور العورة.

ومنها: عدم الركوب إلا لعذر. ومنها: أن يهرول الذكر في وسط المسافة ذهاباً وإياباً، وأما في أوّل المسافة وآخرها، فيمشي على حسب عادته، كما أن المرأة والخنثى لا يهرولان مطلقاً. ومنها: اتصال السعي بالطواف، واتصال أشواط بعضها ببعض من غير تفريق. ومنها: أن يتحرز من إيذاء الغير وألا يشتغل بما يشغل القلب، كالنظر إلى الساعين.

ويكره للساعي أن يقف في أثناء سعيه بلا عذر لحديث أو غيره، وأن يصلّي بعده ركعتين.

(٢) ينظر: «**أحكام القرآن**» (١/ ٤٨).

اللَّهَ كَتَبَ عَلَيكُمُ السَّعْيَ، فَاسْعَوْا»، صحَّحه الدارقطنيُّ[(١)]؛ ويعضِّده المعنى، فإنه شعار، أي: معلم لا يخلو عنه الحجُّ والعمرة، فكان ركناً كالطواف. انتهى.

﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ﴾: أي: زاد برًّا بعد الواجبِ في جميع الأعمال، وقال بعضهم: معناه: من تطوَّع بحجٍّ أو عمرةٍ بعد حجَّةِ الفريضةِ، ومعنى ﴿شَاكِرٌ﴾، أي: يبذل الثوابَ والجزاءَ، ﴿عَلِيمٌ﴾: بالنيات والأعمال لا يضيعُ معه لعاملٍ عَمَلٌ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الذين يكتمون ما أنزلنا...﴾ الآيةَ: المراد بـ «الذين»: أحبار اليهود[(٢)]، ورهبانُ النصارَى الذين كتموا أمْرَ محمَّد ﷺ وتتناول الآية بَعْدُ كلَّ من كتم علمًا من دين اللَّه يُحْتَاجُ إلى بَثِّهِ، وذلك مفسَّر في قول النبيِّ ﷺ: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ، فَكَتَمَهُ، أُلْجِمَ يَوْمَ القِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنَ النَّارِ»[(٣)].

---

(١) أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان، البغدادي الدارقطني، الحافظ الكبير، ولد سنة ٣٠٦، تفقه بأبي سعيد الإصطخري، صنف المصنفات المفيدة، منها السنن والعلل وغيرهما، قال الحاكم: صار أوحد عصره في الحفظ والفهم والورع، وإماماً في النحو، والقراءة، وأشهد أنه لم يخلق على أديم الأرض مثله. مات سنة ٣٨٥.
انظر: **«طبقات ابن قاضي شهبة»** (١/ ١٦١)، **«تاريخ بغداد»** (١٢/ ٣٤)، **«وفيات الأعيان»** (٢/ ٤٥٩).

(٢) ينظر: **«الطبري»** (٣/ ٢٤٩)، و **«معاني الزجاج»** (١/ ٢١٨)، و **«الدر المنثور»** (١/ ١٦٢)، عن مجاهد والسدي وقتادة، وابن كثير (١/ ٢٠٠) عن أبي العالية، و **«غرائب النيسابوري»** (٢/ ٦٧) عن ابن عباس، و **«أسباب النزول»** للواحدي (ص ٣١)، و **«أسباب النزول»** للسيوطي (ص ٢٧).

(٣) ورد من حديث أبي هريرة، وحديث عبد اللَّه بن عمرو بن العاص، وابن مسعود، وابن عباس، وابن عمر، وأبي سعيد الخدري، وجابر بن عبد اللَّه، وأنس بن مالك، وعمرو بن عبسة، وطلق بن علي.
فأما حديث أبي هريرة أخرجه أبو داود (٢/ ٣٤٥) في العلم، باب كراهية منع العلم (٣٦٥٨)، والترمذي (٥/ ٢٩) في العلم، باب ما جاء في كتمان العلم (٢٦٤٩)، وابن ماجه (١/ ٩٦) في «المقدمة»، باب من سئل عن علم فكتمه (٢٦١)، وأحمد في **«المسند»** (٢/ ٢٦٣، ٣٠٥، ٣٤٤، ٣٥٣، ٤٩٥)، وابن أبي شيبة في **«المصنف»** (٩/ ٥٥)، والطيالسي (٢٥٣٤)، وأبو يعلى (١١/ ٢٦٨)، برقم (٦٣٨٣)، وابن حبان (٩٥ـ موارد)، والقضاعي في **«مسند الشهاب»** (٤٣٢)، من طريقين: حماد بن سلمة، وعمارة بن زاذان، وعن علي بن الحكم، عن عطاء بن أبي رباح، عن أبي هريرة به.
وقال الترمذي: حديث حسن. وقال العقيلي في **«الضعفاء»** (١/ ٧٤)، إسناده صالح.
وقال الذهبي في **«الكبائر»** (ص ١٢٢): إسناده صحيح، رواه عطاء بن أبي هريرة.
وقال الحافظ في **«القول المسدد»** ص ٤٥ بعدما أورد الحديث من طريق أبي داود: والحديث وإن لم=

.....

= يكن في نهاية الصحة.. لكنه صالح للحجة.
وأخرجه أحمد (٢/ ٢٩٦، ٤٩٩، ٥٠٨)، وابن أبي شيبة (١٩/ ٥٥)، والخطيب البغدادي في «**تاريخ بغداد**» (٢/ ٢٦٨)، وابن الجوزي في «**العلل المتناهية**» (١٣٤، ١٣٥)، من طريق الحجاج بن أرطأة، عن عطاء به.
وأخرجه الحاكم (١/ ١٠١) من طريق القاسم بن محمد بن حماد، عن أحمد بن عبد الله، عن محمد بن ثور، عن ابن جريج قال: جاء الأعمش إلى عطاء فسأله عن حديث فحدثه، فقلنا له: تحدث هذا وهو عراقي؟ قال: لأني سمعت أبا هريرة يحدث عن النبي ﷺ قال: «من سئل....» فذكره.
وقال الحاكم: هذا حديث تداوله الناس بأسانيد كثيرة، تجمع ويذاكر بها. وهذا الإسناد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وسكت عنه الذهبي. وتعقبه العراقي كما في «**شرح الإحياء**» رقم ٥٦ بقوله: لا يصح من هذا الطريق؛ لضعف القاسم بن محمد بن حماد الدلال الكوفي. قال الدارقطني: حدثنا عنه وهو ضعيف. فلهذا لم أخرجه من هذا الوجه. قال الدارقطني في الجزء السابع من «**الأفراد**»: وإنما يعرف هذا من حديث علي بن الحكم، عن عطاء، عن أبي هريرة.
وأخرجه البيهقي في «**المدخل**» (٥٧٤)، والبغوي في «**شرح السنة**» بتحقيقنا (١/ ٢٣٨) برقم (١٤٠)، من طريق سماك بن حرب، عن عطاء به.
وقال البغوي: هذا حديث حسن.
وأخرجه ابن عدي في «**الكامل**» (٤/ ٤١٠)، ومن طريقه ابن الجوزي في «**العلل المتناهية**» (١٣٧)، من طريق الحسن بن شعيب قال نا إسماعيل بن إبراهيم نا صغدي بن سنان، عن ابن جريج عن عطاء به.
وقال ابن الجوزي(١/ ١٠٦): صغدي، قال يحيى: ليس بشيء.
وأخرجه الطبراني في «**الصغير**» (١/ ١١٤)، وابن عدي في «**الكامل**» (٤/ ١٣٩٥)، ومن طريقه ابن الجوزي في «**العلل**» (١٣٦)، من طريق صدقة بن موسى الدقيقي عن مالك بن دينار، عن عطاء به.
قال الطبراني، وابن عدي: لم يروه عن مالك غير صدقة. ونقل ابن الجوزي قول يحيى في صدقة: ليس بشيء.
وأخرجه ابن عبد البر في «**جامع بيان العلم**» (٦)، وابن الجوزي في «**العلل**» (١٤٠)، وابن عدي في «**الكامل**» (٤/ ١٥٩٦)، من طريقين عن ليث بن أبي سليم عن عطاء به.
وقال ابن عدي: وهذا لا أعلم رفعه عن ليث غير عبد الرحمن بن أبي الجويني ـ الراوي عنه عنده، وعند ابن عبد البر ـ ورواه جرير الرازي، وغيره عن ليث موقوفاً.
وأخرجه ابن ماجة (١/ ٩٨) في «**المقدمة**»، باب من سئل عن علم فكتمه (٢٦٦)، والعقيلي (١/ ٧٤) من طريق إسماعيل بن إبراهيم الكرابيسي، قال: أخبرنا ابن عون، عن ابن سيرين، عن أبي هريرة به.
وقال الحافظ العراقي في «**الشرح**»: وله طريق آخر صحيح من رواية ابن سيرين، عن أبي هريرة أورده ابن ماجة. وقال العلامة ابن القيم في «**تهذيب السنن**» (٥/ ٢٥١): وهؤلاء كلهم ثقات، وعزاه لابن خزيمة أيضاً.
وقال العقيلي في ترجمة الكرابيسي: ليس لحديثه أصل مسند، إنما هو موقوف من حديث ابن عون.
أما حديث عبد الله بن عمرو بن العاص فأخرجه ابن حبان (٩٦ـ موارد)، وابن عبد البر (٨)، والحاكم=

قال ابن العربيِّ[(١)]: وللآية تحقيقٌ، وهو أن العَالِمَ إذا قصد الكتمانَ، عصَىٰ، وإذا لم يقصده، لم يلزمْهُ التبليغُ، إذا عرف أن معه غيره، وقد كان أبو بكر وعمر لا يحدِّثان بكلِّ ما سمعا من النبيِّ ﷺ إلاَّ عند الحاجةِ، وكان الزُّبَيْرُ أقلَّهم حديثاً، ثم قال ابنُ العَرَبِيِّ: فأما من سئل، فقد وجَبَ عليه التبليغُ لهذه الآية، وأما إن لم يُسْأل، فلا يلزمُ التبليغ إلا في القرآن وحْده، وقد ثَبَتَ عن النبيِّ ﷺ في فضيلةِ التبْلِيغ بأنَّه قال: «نَضَّرَ اللَّهُ ٱمْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا، فَأَدَّاهَا كَمَا سَمِعَهَا»[(٢)] انتهى من «أَحْكَامِ القُرْآن».

= في **المستدرك**» (١/ ١٠٢)، والخطيب في «**التاريخ**» (٥/ ٣٨ـ ٣٩)، وابن المبارك في «**الزهد**» (١١٩)، والبيهقي في «**المدخل**» (٥٧٥)، وابن الجوزي في «**العلل**» (١٢٣)، من طرق عن ابن وهب قال: حدثني عبد الله بن عياش بن عباس، عن أبيه، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن عبد الله بن عمرو رفعه به. وصححه الحاكم، وسكت عنه الذهبي، وقال ابن الجوزي: فيه عبد الله بن وهب الفسوي قال ابن حبان: دجال يضع الحديث.

وقال المنذري في «**المختصر**» (٥/ ٢٥١): وهذا إسناد صحيح. وقد ظن أبو الفرج بن الجوزي أن هذا هو ابن وهب النسوي الذي قال فيه ابن حبان: يضع الحديث، فضعف الحديث به، وهذا من غلطاته، بل هو ابن وهب الإمام العلم، والدليل عليه: أن الحديث من رواية أصبغ بن الفرج، ومحمد بن عبد الله بن الحكم، وغيرهما من أصحاب ابن وهب عنه. والنسوي متأخر. من طبقة يحيى بن صاعد. والعجب من أبي الفرج كيف خفي عليه هذا؟ وقد ساقها من طريق أصبغ، وابن عبد الحكم، عن ابن وهب.

وقال الهيثمي في «**المجمع**» (١/ ١٦٦). رواه الطبراني في «**الكبير**»، و «**الأوسط**»، ورجاله موثقون.

وأما حديث ابن مسعود فأخرجه الخطيب في «**التاريخ**» (٦/ ٧٧)، وابن عبد البر (٩)، وابن عدي في «**الكامل**» (٣/ ١٠٦٢، ١٢٩٣، ٦/ ٢١٧٤)، وابن الجوزي في «**العلل**» (١١٥ـ ١١٨)، وابن حبان في «**المجروحين**» (٣/ ٩٧) من طرق عنه.

وعزاه الهيثمي في «**المجمع**» (١/ ١٦٣) للطبراني في «**الكبير**»، و «**الأوسط**»، وقال في إسناد «**الكبير**»: سوار بن مصعب وهو متروك، وفي إسناد «**الأوسط**»: النضر بن سعيد ضعفه العقيلي.

(١) ينظر: «**الأحكام**» (١/ ٤٩).

(٢) ورد من حديث ابن مسعود، وزيد بن ثابت، وجبير بن مطعم، فأما حديث ابن مسعود أخرجه الترمذي (٥/ ٣٣) في «العلم»، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع (٢٦٥٧، ٢٦٥٨)، وابن ماجة (١/ ٨٥) في «**المقدمة**»، باب من بلغ علماً (٢٣٢)، والحميدي في «**مسنده**» (٨٨)، وأحمد (١/ ٤٣٧)، والشافعي في «**مسنده**» (١/ ١٦)، وأبو يعلى (٢٦/ ٥، ٥٢٩٦)، وابن حبان (٧٤، ٧٥، ٧٦) موارد، والرامهرمزي في «**المحدث الفاصل**» برقم (٦، ٧، ٨)، وابن عبد البر في «**جامع بيان العلم**» (١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١)، وأبو نعيم في «**الحلية**» (٧/ ٣٣١)، والخطيب في «**الكفاية**» (ص ١٧٣)، وفي «**شرف أصحاب الحديث**». ص (١٨، ١٩)، والبيهقي في «**معرفة السنن والآثار**» (١/ ١٥ـ ١٦، ٤٣)، وفي «**الدلائل**» (٦/ ٥٤٠)، والقضاعي في «**مسند الشهاب**» (١٤١٩، ١٤٢٠)، وابن أبي حاتم في «**الجرح والتعديل**» (٢/ ٩، ١٠)، وأبو الشيخ في «**الأمثال**» (٢٠٤)، وأبو نعيم في «**تاريخ أصبهان**» (٢/ ٩٠)، والحاكم في «**معرفة علوم الحديث**» ص ٣٢٢ من طرق عنه. =

و ﴿البَيِّنَات والهُدَىٰ﴾: أمر محمَّد ﷺ ثم يعمُّ بعدُ كلَّ ما يكتم من خير، و ﴿في الكتاب﴾ يراد به التوراةُ والإنجيلُ، ويدخل القرآن في عموم الآية.

واختلف في «اللاَّعِنينَ».

فقال قتادة، والربيع: الملائِكةُ والمؤمنون[1]، وهذا ظاهرٌ واضحٌ، وقيل: الحشرات والبهائمُ[2]، وقيل: جميع المخلوقات ما عدا الثقلَيْن الجِنَّ .....

= وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وأما حديث زيد بن ثابت أخرجه أبو داود (٢/ ٣٤٦)، في «العلم»، باب فضل نشر العلم (٣٦٦٠)، والترمذي (٢٦٥٦)، وابن ماجة (٢٣٠)، وأحمد (٥/ ١٨٣)، وابن حبان (٧٢ـ ٧٣) موارد، والدارمي (١/ ٧٥)، والطحاوي في **«مشكل الآثار»** (٢/ ٢٣٢)، وابن عبد البر في **«جامع بيان العلم»** (١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧)، وابن أبي عاصم في **«السنة»** (٩٤)، وابن أبي حاتم في **«الجرح والتعديل»** (٢/ ١١)، والرامهرمزي (٣، ٤)، والخطيب في **«شرف أصحاب الحديث»** (ص ١٧، ١٨)، والخطيب في **«الفقيه والمتفقه»** (٢/ ٧١).

وقال الترمذي: حديث حسن.

* وأما حديث جبير بن مطعم:

فأخرجه ابن ماجة (٢٣١)، وأحمد (٤/ ٨٠، ٨٢)، والدارمي (١/ ٧٤ـ ٧٥)، والطبراني في **«الكبير»** (١٥٤١)، وأبو يعلى في **«مسنده»** (٧٤١٣)، والقضاعي في **«مسند الشهاب»** (١٤٢١)، والطحاوي في **«المشكل»** (٢/ ٢٣٢)، وابن أبي حاتم في **«الجرح والتعديل»** (٢/ ١٠)، وابن حبان في **«المجروحين»** (١/ ٤ـ ٥)، وابن عبد البر في **«جامع بيان العلم»** (١٩٥)، والحاكم في **«المستدرك»** (١/ ٨٧)، من طرق عن محمد بن إسحاق، عن الزهري، عن محمد بن جبير، عن أبيه.

وأخرجه ابن ماجة (٢٣١)، والطبراني في **«الكبير»** (١٥٤٢)، والطحاوي في **«المشكل»** (٢/ ٢٣٢)، من طريق ابن إسحاق، وعن عبد السلام بن أبي الجنوب، عن الزهري، عن محمد بن جبير به.

وقال البوصيري في **«الزوائد»** (١/ ٩٩): هذا إسناد ضعيف؛ لضعف عبد السلام... وأخرجه الطبراني (١٥٤٣)، وابن أبي حاتم (١/ ١٠) من طريق ابن إسحاق، عن عمرو بن أبي عمرو، عن محمد بن جبير، عن أبيه به.

وأخرجه أبو يعلى في **«مسنده»** (٧٤١٤)، والحاكم (١/ ٨٧ـ ٨٨)، من طريق ابن إسحاق، عن عمرو بن أبي عمرو، عن عبد الرحمن بن الحويرث، عن محمد بن جبير به.

وتابعه عليه إسماعيل بن جعفر، عن عمرو به، أخرجه الدارمي في **«سننه»** (١/ ٧٤).

وأخرجه الطبرانيُّ (١٥٤٤)، والحاكم (١/ ٨٧) من طريق نعيم بن حماد قال: ثنا إبراهيم بن سعد عن صالح بن كيسان، عن الزهري، عن محمد بن جبير. وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

(١) أخرجه الطبري (٢/ ٥٩) برقم (٢٣٩٣ـ ٢٣٩٤ـ ٢٣٩٥)، عن قتادة، والربيع، وذكره ابن عطية (١/ ٢٣١)، وأخرجه عبد الرزاق في **«التفسير»** (١/ ٦٥) عن قتادة بلفظ: «الملائكة».

(٢) أخرجه الطبري (٢/ ٥٨) برقم (٢٣٨٥ إلى ٢٣٩٢) عن مجاهد، وعكرمة، أما الأخبار التي عن مجاهد رويت بأسانيد مختلفة.

وذكره ابن عطية الأندلسي (١/ ٢٣١)، والبغوي في **«التفسير»** (١/ ١٣٤) عن مجاهد.

والإِنْسَ[١]، وهذان القولانِ لا يقتضيهما اللفظُ، ولا يثبتان إلا بسندٍ يقطعُ العُذْر، ثم ٱستَثنَى اللَّه سبحانه التائبين.

﴿وَأَصْلَحُوا﴾، أي: في أعمالهم وأقوالهم.

﴿وَبَيَّنُوا﴾، أي: أمر محمَّد ﷺ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار...﴾ الآية: هذه الآية محكمةٌ في الذين وَافَوْا علَىٰ كفرهم، واختلف في معنى قوله: ﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾: والكُفَّار لا يلعنُون أنفسهم.

فقال قتادة، والربيع: المراد بـ ﴿النَّاس﴾: المؤمنون خاصَّة[٢]، وقال أبو العالية: معنى ذلك في الآخرة[٣].

وقوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾، أي: في اللعنة، وقيل: في النار، وعاد الضمير علَيْها، وإن لم يَجْرِ لها ذكر؛ لثبوتها في المعنى.

﴿وَلاَ هُمْ يُنْظَرونَ﴾، أي: لا يُؤَخَّرون عن العذاب، ويحتمل أن يكون من النَّظَر؛
٤١أ نحو قوله تعالَىٰ: ﴿وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ/ يَوْمَ القِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ٧٧] والأول أظهر؛ لأن النظر بالعين إنما يعدَّى بـ «إلَىٰ» إلا شاذًّا في الشعر.

﴿وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَـٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾

---

(١) أخرجه الطبري (٢/ ٦٠) برقم (٢٣٩٦)، وإسناد هذا الخبر: «حدثني موسى قال: حدثنا عمرو قال: حدثنا أسباط عن السدي قال: قال البراء بن عازب....» ثم ذكر الخبر بنحوه.

(٢) أخرجه الطبري (٢/ ٦٢) برقم (٢٤٠٠ـ ٢٤٠١) بإسنادين مختلفين أحدهما: عن قتادة، والآخر عن الربيع. وذكره ابن عطية (١/ ٢٣٢)، والسيوطي في «الدر» (١/ ٢٩٨) عن قتادة.

(٣) أخرجه الطبري (٢/ ٦٢) برقم (٢٤٠٢) بلفظ: «إن الكافر يوقف يوم القيامة، فيلعنه اللَّه، ثم تلعنه الملائكة، ثم يلعنه الناس أجمعون».، وذكره ابن عطية (١/ ٢٣٢)، والبغوي في «تفسيره» (١/ ١٣٤)، والسيوطي في «الدر» (١/ ٢٩٨)، وعزاه لابن جرير.

وقوله تعالى: ﴿وإلهكم إله واحد...﴾ الآية: إعلام بالوحدانيّة.

قال عطاءٌ: لما نزلَتْ هذه الآية بالمدينَةِ، قال كفَّار قريشٍ بمكَّة: ما الدليلُ علَىٰ هذا، وما آيته، وعلامته[1]؟ ونحوه عن ابن المُسَيَّب[2]، فنزل عنْد ذلك قولُه تعالَىٰ: ﴿إِنَّ في خَلْقِ السمواتِ والأرض...﴾ الآيَةَ، أي: في اختراعها وإنشائها.

﴿والنهارُ﴾: من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، يقضي بذلك قولُ النبيِّ ﷺ لِعَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ: «إِنَّمَا هُوَ بَيَاضُ النَّهَارِ، وَسَوَادُ اللَّيْلِ»[3]، وهذا هو مقتضى الفقْهِ في

---

(١) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (١/ ٢٣٢).

(٢) المصدر السابق.

(٣) ورد ذلك من حديث عدي بن حاتم، وسهل بن سعد: فأما حديثُ عدي بن حاتم: فأخرجه البخاري (٤/ ١٥٧) في الصوم: باب قول اللّه تعالى: ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود....﴾، وفي (٨/ ٣١) في التفسير، باب: ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود....﴾ (٤٥٠٩)، ومسلم (٢/ ٧٦٦) في الصيام: باب بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر (٣٣ـ ١٠٩٠)، وأبو داود (١/ ٧١٧) في الصيام، باب في وقت السحور (٢٣٤٩)، والترمذي (٥/ ١٩٥) في التفسير: باب ومن سورة البقرة (٢٩٧٠، ٢٩٧١)، وأحمد (٤/ ٣٧٧)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣/ ٢٨٩) برقم (٩٠٧٩)، وابن جرير في «تفسيره» (٢٩٨٩)، والدارمي (٢/ ٥، ٦)، في الصوم، باب متى يمسك المتسحر من الطعام والشراب، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ٧٩، ٨٠) برقم (١٧٦)، والبيهقي (٤/ ٢١٥) من طريق الشعبي، عن عدي بن حاتم به.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وذكره السيوطي في «الدر» (١/ ٣٦٠)، فزاد في نسبته إلى سفيان بن عيينة، وسعيد بن منصور، وابن المنذر.

وأخرجه البخاري في التفسير (٤٥١٠)، والنسائي (٤/ ١٤٨) في الصيام: باب قول اللّه تعالى: ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود﴾، وابن جرير (٢٩٨٩)، والطبراني (١٧٧، ١٧٨) من طريق مطرف عن الشعبي، عن عدي قال: قلت: يا رسول اللّه، ما الخيط الأبيض من الخيط الأسود؟ أهما الخيطان؟ قال: إنك لعريض القفا، إن أبصرت الخيطين، ثم قال: لا، بل هو سواد الليل، وبياض النهار. وصحَّحه ابن خزيمة (٣/ ٢٠٩) برقم (١٩٢٦)، وذكره السيوطي في «الدر»، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد.

وأخرجه أحمد (٤/ ٣٧٧)، والطبراني في «الكبير» (١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥)، وابن جرير (٢٩٨٨) من طريق مجالد: حدثني عامر حدثني عدي بن حاتم. قال: علمني رسول اللّه ﷺ الصلاة والصيام. فقال: صل كذا، وصل كذا، وصم كذا. فإذا غابت الشمس فكل واشرب، حتى يتبين لك الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، وصم ثلاثين يوماً، إلا أن ترى الهلال قبل ذلك. فأخذت خيطين من شعر أسود وأبيض، فكنت أبصر فيهما فلا يتبين لي، فذكرت ذلك لرسول اللّه ﷺ فضحك، فقال: يا ابن حاتم، إنما ذلك بياض النهار من سواد الليل.

وأما حديث سهل بن سعد: فأخرجه البخاري (٤/ ١٥٧) في الصوم، باب قول اللّه تعالى: ﴿وكلوا=

٣٥٠ ـــــــ

الأجزاء، كأنها جسمٌ واحدٌ، وريح الرحمة لينة تجيء من ههنا وههنا متقطِّعة، فلذلك يقال هي رياحٌ، وهو معنى نشر، وأفردت مع الفلك؛ لأن ريح إجراء السُّفُن، إنما هي واحدةٌ متصلة، ثم وصفت بالطِّيبِ، فزال الاشتراك بينها وبين ريح العذاب، وهي لفظة من ذوات الواوِ، يقال: رِيحٌ، وأَرْوَاحٌ، ولا يقال: «أَرْيَاحٌ»، وإنما يقال: رِيَاحٌ من جِهة الكَسْرة، وطلب تناسب الياء معها، وقد لُحِّن في هذه اللفظة عُمَارَةُ بْنُ عَقِيلِ بْنِ بِلاَلِ بْنِ جَرِيرٍ[1]، فاستعمل «الأَرْيَاحَ» في شعره، ولُحِّنَ في ذلك، وقال له أبو حَاتِمٍ[2]: إنَّ الأرياحَ لا يجوزُ، فقال: أما تَسْمَعُ قولهم: رِيَاح، فقال أبو حَاتِمٍ: هذا خلافُ ذلكَ، فقال: صدَقْتَ، ورَجَع. ﴿والسحاب﴾: جمع سحابَةٍ، سمي بذلك؛ لأنه ينسحبُ، وتسخيره بعثه من مكانٍ إلى آخر، فهذه آيات.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿ومن الناس من يتخذُ من دون اللَّه أنداداً...﴾ الآية: النِّدُّ: النظير،

---

(١) عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية الكلبي، اليربوعي، التميمي: شاعر مقدم، فصيح. من أهل «اليمامة». كان يسكن بادية «البصرة»، ويزور الخلفاء من بني العباس، فيجزلون صلته. وبقي إلى أيام الواثق، وعمي قبل موته. وهو من أحفاد جرير الشاعر. وكان النحويون في البصرة يأخذون اللغة عنه. له أخبار. وهو القائل: [الطويل]

«بدأتم فأحسنتم، فأثنيت جاهداً وإن عدتُمُ أثنيت، والعود أحمد»

والقائل: [الطويل]

«وما النفس إلا نطفة بقرارة إذا لم تكدَّر كان صفواً غديرها»

وجمع من نظمه «ديوان شعر» حققه ونشره شاكر العاشور. ينظر: **«الأعلام»** (٥/ ٣٧)، و **«تاريخ بغداد»** (١٢/ ٢٨٢).

(٢) سهل بن محمد بن عثمان الجشمي السجستاني: من كبار العلماء باللغة والشعر؟ من أهل «البصرة» كان المبرّد يلازم القراءة عليه. له نيف وثلاثون كتاباً، منها كتاب **«المعمّرين»**، و **«النخلة»**، و **«ما تلحن فيه العامة»**، و **«الشجر والنبات»**، و **«الطير»** و **«الأضداد»**، و **«الوحوش»**، و **«الحشرات»**، و **«الشوق إلى الوطن»**، و **«العشب والبقل»**، و **«الفرق بين الآدميين وكل ذي روح»**، و **«المختصر»** في النحو على مذهب الأخفش وسيبويه. وله شعر جيد.

ينظر: **«الأعلام»** (٣/ ١٤٣)، و **«الفهرست»** لابن النديم (١/ ٥٨)، و **«الوفيات»** (١/ ٢١٨).

٣٥٢ ـــــــ

ذَلِكَ، ولكنْ خوطبَ، والمرادُ أمته.

وقرأ حمزةُ وغيره[1] بالياء، أي: ولو يَرَىٰ في الدنيا الذين ظلموا حالَهُمْ في الآخرة، إذ يرون العذابَ، لعلموا أن القوة للَّه.

و ﴿الَّذِينَ اتُّبِعُوا﴾ بفتح التاء والباء: هم العَبَدة لغير اللَّه الضالُّون المقلِّدون لرؤسائهم، أو للشياطينِ، وتبرِّيهم هو بأنْ قالوا إنا لم نضلَّ هؤلاء، بل كفروا بإرادتهم.

والسَّبَبُ؛ في اللغة: الحبلُ الرابط الموصِّل، فيقال في كلِّ ما يتمسَّك به فَيَصِلُ بين شيئين، ﴿وقال الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾، أي: الأتباع.

والكَرَّة: العودة إلى حال قد كانَتْ كذلك، ﴿يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ...﴾ الآيةَ: يحتمل

= «الذين» كان التقديرُ: لاستعظَموا ما حَلَّ بهم، ويكونُ فتحُ «أنَّ» على أنها معمولةٌ ليرى، على أن يكون الفاعلُ «الذين ظلموا»، والرؤيةُ هنا تحتمِلُ أن تكونَ من رؤيةِ القلبِ فتسدَّ «أنَّ» مسدَّ مفعولهما، وأن تكونَ من رؤية البصرِ فتكونَ في موضع مفعولٍ واحدٍ.

وأمَّا قراءةُ «يرى الذين» بالغَيبة وكسرِ «إنَّ» و «إنَّ» فيكونُ الجوابُ قولاً محذوفاً وكُسِرتَا لوقوعِهما بعد القولِ، فتقديرُه على كونِ الفاعلِ ضميرَ الرأي: لقال إنَّ القوةَ؛ وعلى كونه «الذين»: لقالوا، ويكونُ مفعولُ «يرى» محذوفاً أي: لو يرى حالهم. ويُحتمل أن يكونَ الجوابُ: لاستَعْظَم أو لاستَعْظَموا على حَسَبِ القولين، وإنما كُسِرتا استئنافاً، وحَذْفُ جوابِ «لو» شائعٌ مستفيضٌ، وكثُر حَذْفُه في القرآن. وفائدةُ حَذْفِه استعظامُه وذهابُ النفسِ كلَّ مذهبٍ فيه بخلافِ ما لو ذُكِر، فإنَّ السامعَ يقصُر هَمَّه عليه، وقد وَرَدَ في أشعارهم ونثرِهم حَذْفُه كثيراً. قال امرؤ القيس: [الطويل]

وَجَدِّكَ لَوْ شَيْءٌ أَتَانَا رَسُولُهُ ... سِوَاكَ وَلكِنْ لَمْ نجِدْ لك مَدْفعا

وقال النابغة: [الطويل]

فَمَا كَانَ بَيْنَ الْخَيْرِ لَوْ جاءَ سَالِماً ... أَبُو حُجُرٍ إلاَّ لَيَالٍ قَلائِلُ

ينظر: «الدر المصون» (١/ ٤٢٨ـ ٤٢٩)، و «البحر المحيط» (١/ ٦٤٥ـ ٦٤٦).

(١) قراءة أهل مكة والكوفة وأبي عمرو بالياء التحتية «يرى»، وهو اختيار أبي عبيد. وقراءة أهل المدينة وأهل الشام بالفوقية. والمقصود بأهل مكة: ابن كثير، وأهل الكوفة: عاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف العاشر، وأبو عامر بالياء التحتية، وابن جماز عن أبي جعفر، وليس من أهل الشام من يقرأ بياء الغيبة، والمقصود به ابن عامر.

وأما الذين يقرءون بتاء الخطاب، فهم: نافع، وابن وردان عن أبي جعفر، ويعقوب البصري.

والمخاطب: السامع، أو الرسول ﷺ. و «الذين» مفعول به. أما اختيار أبي عبيد لإحدى القراءتين فلا يطعن في الأخرى؛ لأن القراءة سنة متبعة.

ينظر: «حجة القراءات» (١٢٠)، و «السبعة» (١٧٣)، و «الحجة» (٢/ ٢٥٨)، و «العنوان» (٧٢)، و «شرح طيبة النشر» (٤/ ٨٠)، و «معاني القراءات» (١/ ١٨٦)، و «إتحاف فضلاء البشر» (١/ ٤٢٥).

أن يكون من رؤية البَصَر، ويحتمل رؤية القلب، أي: يريهم اللَّه أعمالهم الفاسدة الَّتي ٱرتكَبُوها.

وقال ابنُ مَسْعود: أعمالهم الصالحة التي تركوها[١]، والحَسْرَة: أَعلَىٰ درجات النَّدامة، والهَمّ بما فات، وهي مشتقَّة من الشيء الحَسِيرِ الذي ٱنقطَعَ، وذهبت قوَّته، وقيل: من حَسَر، إذا كشف.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾

وقوله تعالَىٰ: ﴿يَأَيُّها النَّاس كلوا مما في الأرض حلالاً طَيِّباً...﴾ الآية: الخطابُ عامٌّ، و «ما» بمعنى «الَّذِي»، «وحَلاَلاً»: حال من الضمير العائد علَىٰ «مَا»، و «طَيِّباً»: نعتٌ، ويصح أن يكون حالاً من الضمير في «كُلُوا»، تقديره: مستطيبِينَ، والطَّيِّبُ عند مالك: الحلال؛ فهو هنا تأكيدٌ لاختلاف اللفظِ، وهو عند الشافعيِّ: المستَلَذُّ، ولذلك يمنع أكل الحيوان القَذِرِ.

قال الفَخْر[٢]: الحلالُ هو المباحُ الذي انحلَّتْ عقدة الحَظْر عنه، وأصله من الحَلِّ الذي هو نقيضُ العَقْد. انتهى.

و ﴿خُطُوَات﴾: جمع خطوةٍ، والمعنى: النهْيُ عن اتباع الشيطان، وسلوكِ سبله، وطرائقه.

قال ابن عَبَّاس: خطواته: أَعماله[٣]، وقال غيره: آثاره[٤].

* ع[٥] *: وكلُّ ما عدا السنَنَ والشرائعَ من البِدَعِ والمعاصِي، فهي خطواتُ الشيطان.

---

(١) ذكره ابن عطية (١/ ٢٣٦) عن ابن مسعود، والسدي.

(٢) ينظر: «التفسير الكبير» (٥/ ٣).

(٣) أخرجه الطبري (٢/ ٨١) برقم (٢٤٤٦) بلفظ: «عمله»، وذكره ابن عطية في التفسير (١/ ٢٣٧)، والسيوطي في «الدر» (١/ ٣٠٥).

(٤) ينظر: «المحرر» (١/ ٢٣٧).

(٥) ينظر: «المحرر» (١/ ٢٣٧).

وعَدُوّ: يقع للمفرد والمثنّى والجمع.

﴿إِنَّمَا يأمركم بالسُّوء والفَحْشَاءِ. . .﴾ الآيَةَ: «إنما» ههنا: للحصر، وأمر الشيطان: إما بقوله في زَمَن الكهنة، وإما بوَسْوسته.

و ﴿السوء﴾: مصدرٌ من: سَاءَ يَسُوءُ، وهي المعاصِي، وما تسوء عاقبته، ﴿والفَحْشاء﴾: قيل: الزنا، وقيل: ما تفاحَشَ ذكره، وأصل الفُحْش: قُبْحِ المنظر، ثم ٱستعملتِ اللفظة فيما يستقبحُ، والشَّرْعُ: هو الذي يُحَسِّنُ ويُقَبِّحُ، فكُلُ ما نهتْ عنه الشريعةُ، فهو من الفحشاء.

و ﴿مَا لاَ تَعْلَمُون﴾: قال الطبري[1]: يريد: ما حرموا من البَحِيرة، والسَّائبة، ونحوها، وجعلوه شرعاً.

﴿وإذا قيل لَهُمْ﴾، يعني: كفَّارَ العرب، وقال ابن عبَّاس: نزلَتْ في اليهود[2]، والألفُ في قوله سبحانه: ﴿أَوْ لَوْ كَانَ﴾: لَلاَستفهام؛ لأن غاية الفساد في الاِلْتزام؛ أنْ يقولوا: نتبع آباءنا، ولو كانوا لا يعقلون، فقُرِّرُوا على ٱلتزامهم هذا؛ إذ هذه حال آبائهم.

وقوةُ ألفاظ هذه الآية تُعطِي إِبْطَال التقليد، وأجمعتِ الأمَّة على إبطاله في العقَائدِ.

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾

﴿ومَثَلُ الَّذين كفروا. . .﴾ الآية: المرادُ تشبيهُ واعظِ الكافرينَ، وداعِيهِمْ بالراعي الذي يَنْعِقُ بالغَنَم أو الإبل، فلا تسمع إلا دعاءه، ونداءه، ولا تَفْقَهُ ما يقول؛ هكذا فسر ابن عباس، وعكْرمةَ، والسُّدِّيُّ[3]، وسيبويه[4]، فذكَرَ تعالَىٰ بعْضَ هذه الجملة، وبعضَ هذه، ودَلَّ المذْكُور على المحذوفِ، وهذه نهايةُ الإيجاز.

والنَّعِيقُ: زجْر الغَنَم، والصِّيَاحُ بها.

---

(١) «تفسير الطبري» (٣/ ٣٠٣).

(٢) أخرجه الطبري (٢/ ٨٣)، برقم (٢٤٥٥)، وذكره ابن عطية (١/ ٢٣٨)، وابن كثير (١/ ٢٠٤).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٨٤ ـ ٨٥) عن ابن عباس، والسدي، وعكرمة، وكذا أخرجه سفيان الثوري في «التفسير» (١/ ٥٥) عن عكرمة، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (١/ ٢٢٨)، وابن كثير في «التفسير» (١/ ٢٠٤)، والسيوطي في «الدر» (١/ ٣٠٦ـ ٣٠٧).

(٤) ينظر: «الكتاب» (١/ ١٠٨).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾

١٤٢ وقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا/ كلوا من طيِّبات ما رزقناكم...﴾ الآية: الطَّيِّب: هنا يجمع الحلال المستلَذَّ، والآية تشير بتبعيض «مِنْ»؛ إلى أن الحرام رزْقٌ، وحضّ سبحانه على الشكر، والمعنَىٰ: في كل حالةٍ، وفي «**مصابيح البَغَوِيِّ**»؛ عن أبي دَاوُدَ والنَّسائِيِّ عن النبيِّ ﷺ أَنَّهُ قال: «الطَّاعِمُ الشَّاكِرُ كَالصَّائِمِ الصَّابِرِ»[1]. انتهى.

قال القُشَيْرِيُّ: قال أهل العلْم بالأصول: نِعَمُ اللَّهِ تعالَىٰ علَىٰ ضربَيْن: نعمةُ نَفْعٍ، ونعمةُ دَفْعٍ، فنعمةُ النفْعِ: ما أولاهم، ونعمةُ الدفع: ما زَوَىٰ عنهم، وليس كلُّ إنعامه

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٥٣)، كتاب «صفة القيامة»، باب (٤٣) رقم (٢٤٨٦)، حدثنا إسحاق بن موسى الأنصاري، ثنا محمد بن معن، حدثني أبي عن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة به مرفوعاً.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.
وأخرجه الحاكم (٤/ ١٣٦) من طريق عمر بن علي المقدمي، عن محمد بن معن به.
وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.
وأخرجه ابن حبان (٩٥٢ـ موارد) من طريق معتمر بن سليمان، عن معمر، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة به.
وهذا سند منقطع كما أفاد الحافظ في «**الفتح**» (٩/ ٥٨٣)، وقال: لكن في الرواية انقطاع خفي على ابن حبان، فقد رويناه في مسند مسدد عن معتمر، عن معمر، عن رجل من بني غفار عن المقبري اهـ.
والطريق الذي ذكره الحافظ وعزاه لمسدد: أخرجه عبد الرزاق (١٠/ ٤٢٤) رقم (١٩٥٧٣)، وأحمد (٢/ ٢٨٣)، والبيهقي (٤/ ٣٠٦) كتاب «الصيام»، باب ما جاء في الطاعم الشاكر. كلهم من طريق معمر عن رجل من بني غفار، عن المقبري، عن أبي هريرة به. وللحديث طرق أخرى عن أبي هريرة: فأخرجه أحمد (٢/ ٢٨٩)، والحاكم (٤/ ١٣٦) من طريق محمد بن عبد الله بن أبي حرة عن عمه حكيم عن سلمان الأغر عن أبي هريرة.
وأخرجه ابن ماجة (١/ ٥٦١) كتاب «الصيام»، باب فيمن قال: الطاعم الشاكر كالصائم الصابر، حديث (١٧٦٤) من طريق عبد الله بن عبد الله الأموي، عن معن بن محمد عن حنظلة بن علي الأسلمي، عن أبي هريرة به.
وللحديث شاهد آخر من حديث عائشة: أخرجه الحاكم (٢/ ١٢) من طريق عبد العزيز بن يحيى: ثنا سليمان بن بلال، عن علقمة بن أبي علقمة، عن أمه عن عائشة؛ أن رسول الله ﷺ قال: «ليس بالمؤمن الذي يبيت وجاره جائع إلى جنبه».
وسكت عنه الحاكم، وقال الذهبي: عبد العزيز ليس بثقة.
وقال ابن حجر في «**التقريب**» (١/ ٥٢٣): متروك؛ كذبه إبراهيم بن المنذر.

سبحانه انتظام أسبابِ الدنيا، والتمكُّنَ منها، بل ألطافُ اللَّه تعالَىٰ فيما زَوَىٰ عنهم من الدُّنْيَا أكثرُ، وإن قرب العبد من الربِّ تعالَىٰ علَىٰ حسب تباعُدِهِ من الدنيا. انتهى من «**التَّحْبير**».

وقال أبو عمر بن عبد البَرِّ في كتابه المسمَّىٰ بـ «**بهجة المجالس**». قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَىٰ عَبْدٍ بِنِعْمَةٍ، فَعَلِمَ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِلاَّ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ شُكْرَهَا، وَمَا عَلَمَ اللَّهُ مِنْ عَبْدٍ نَدَامَةً عَلَىٰ ذَنْبٍ إِلاَّ غَفَرَ لَهُ قَبْلَ أَنْ يَسْتَغْفِرَهُ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَلْبَسُ الثَّوْبَ، فَيَحْمَدُ اللَّهَ، فَمَا يَبْلُغُ رُكْبَتَيْهِ؛ حَتَّىٰ يُغْفَرَ لَهُ»[1] قال أبو عُمَر: مكتوبٌ في التوراةِ: «اُشْكُر لِمَنْ أَنْعَمَ عَلَيْكَ، وَأَنْعِمْ عَلَىٰ مَنْ شَكَرَكَ؛ فَإِنَّهُ لاَ زَوَالَ لِلنِّعَمِ، إِذَا شُكِرَتْ، وَلاَ مُقَامَ لَهَا، إِذَا كُفِرَتْ». انتهى.

«وإِنْ» من قوله: ﴿إِنْ كنتم إياه تعبدونَ﴾: شرطٌ، والمراد بهذا الشرط التثبيتُ، وهزُّ النفوس؛ كما تقول: اُفْعَلْ كَذَا، إِنْ كنْتَ رجلاً، و «إِنَّمَا» ههنا حاصرة، ولفظ الميتة عمومٌ، والمعنَىٰ مخصِّص لأنَّ الحوتَ لم يدخُلْ قطُّ في هذا العموم، وفي مسند البَزَّار عن النبيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ الخَمْرَ وَثَمَنَهَا، وَحَرَّمَ المَيْتَةَ وَثَمَنَهَا، وحَرَّمَ الْخِنْزِيرَ وَثَمَنَهُ»[2] انتهى من «**الكوكب الدُّرِّيِّ**»؛ للإمام أبي العباس أحمد بن سَعْدٍ التُّجِيبِيِّ.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) لقد أبعد المصنف (رحمه اللَّه) النجعة في هذا الحديث، حيث إن هذا الحديث بهذا اللفظ قد أخرجه أبو داود (٢/ ٣٠١) كتاب «البيوع»، باب في ثمن الخمر والميتة، حديث (٣٤٨٥) من حديث أبي هريرة مرفوعاً.

وللحديث شاهد من حديث جابر: أخرجه البخاري (٤/ ٤٢٤) كتاب «البيوع»، باب بيع الميتة: والأصنام حديث (٢٢٣٦)، ومسلم (٣/ ١٢٠٧) كتاب «المساقاة»، باب تحريم بيع الخمر، والميتة، والخنزير، والأصنام حديث (٧١/ ١٥٨١)، وأحمد (٣/ ٣٢٤، ٣٢٦)، وأبو داود (٣/ ٧٥٦ـ ٧٥٧) كتاب «البيوع»، باب في ثمن الخمر، والميتة حديث (٣٤٨٦). والترمذي (٣/ ٥٩١) كتاب «البيوع»، باب ما جاء في بيع جلود الميتة والأصنام، حديث (١٢٩٧)، والنسائي (٧/ ٣٠٩ـ ٣١٠)، كتاب «البيوع»، باب بيع الخنزير، وابن ماجة (٢/ ٧٣٢)، كتاب «التجارات»، باب ما لا يحل بيعه حديث (٢١٦٧)، وأبو يعلى (٣/ ٣٩٥ـ ٣٩٦) رقم (١٨٧٣)، وابن الجارود (٥٧٨)، والبيهقي (٦/ ١٢) كتاب «البيوع»، باب تحريم بيع الخمر، والميتة، والخنزير والأصنام. والبغوي في «**شرح السنة**» (٤/ ٢١٨ـ بتحقيقنا) من طريق يزيد بن أبي حبيب، عن عطاء بن أبي رباح عن جابر به.

وقال الترمذي: حسن صحيح.

وفي الباب عن عمر بن الخطاب، وابن عباس، وأبو هريرة، وعبد اللَّه بن عمرو، ويحيى بن عباد، وأنس بن مالك:

* حديث عمر بن الخطاب:

أخرجه البخاري (٤/ ٤٨٣) كتاب «البيوع» باب لا يذاب شحم الميتة ويباع ودكه، حديث (٢٢٢٣)، =

﴿والدم﴾ يراد به المسفوحُ؛ لأن ما خالط اللحْمَ، فغير محرَّم بإجماع.

* ت *: بل فيه خلافٌ شاذٌّ، ذكره ابن الحاجبِ وغيره، والمشهورُ: أظهر؛ لقول

= ومسلم (٣/١٢٠٨) كتاب «المساقاة»، باب تحريم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام، حديث (١/ ١٨٥٢)، والنسائي (٧/١٧٧)، كتاب «الفرع والعتيرة»، باب النهي عن الانتفاع بما حرم اللَّه (عز وجل). وابن ماجة (٢/١١٢٢)، كتاب «الأشربة»، باب التجارة في الخمر، حديث (٣٣٨٣). والدارمي (٢/١١٥) كتاب «الأشربة»، باب النهي عن الخمر وشرائها. وأحمد (١/ ٢٥)، والحميدي (١/ ٩) رقم (١٣)، وعبد الرزاق (٨/ ١٩٥ـ ١٩٦) رقم (١٤٨٥٤)، وابن الجارود رقم (٥٧٧)، وأبو يعلى (١/١٧٨) رقم (٢٠٠). والبغوي في «**شرح السنة**» (٤/ ٢٢٠ـ ٢٢١ـ بتحقيقنا) كلهم من طريق طاوس، عن ابن عباس قال: بلغ عمر أن فلاناً باع خمراً فقال: قاتل اللَّه فلاناً؛ ألم يعلم أن رسول اللَّه ﷺ قال: «قاتل اللَّه اليهود؛ حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها».

* حديث ابن عباس:

أخرجه أحمد (١/ ٣٤٧، ٢٩٣)، وأبو داود (٢/ ٢ـ ٣)، كتاب «البيوع»، باب في ثمن الخمر والميتة حديث (٣٤٨٨)، والبيهقي (٦/ ١٣) كتاب «البيوع»، باب تحريم بيع ما يكون نجساً لا يحل أكله. كلهم من طريق أبي الوليد، عن ابن عباس قال: رأيت رسول اللَّه ﷺ جالساً عند الركن قال: فرفع بصره إلى السماء فضحك، فقال: «لعن اللَّه اليهود. . ثلاثاً، إن اللَّه تعالى حرم عليهم الشُّحوم فباعوها، وأكلوا أثمانها، وإن اللَّه تعالى إذا حرم على قوم أكل شيء حرم عليهم ثمنه».

* حديث أبي هريرة:

أخرجه البخاري (٤/ ٤٨٤) كتاب «البيوع»، باب لا يذاب شحم الميتة ولا يباع، ودكه حديث (٢٢٢٤)، ومسلم (٣/١٢٠٨) كتاب «المساقاة»، باب تحريم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام، حديث (١٥٨٣) من طريق سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، أن رسول اللَّه ﷺ قال: «قاتل اللَّه يهوداً؛ حرمت عليهم الشحوم، فباعوها، وأكلوا أثمانها».

* حديث عبد اللَّه بن عمر:

أخرجه أحمد (٢/ ٢١٣) عنه، قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ عام الفتح يقول: «إن اللَّه ورسوله حرم بيع الخمر، والميتة، والخنزير، فقيل: يا رسول اللَّه، أرأيت شحوم الميتة؛ فإنه يدهن به الجلود، ويستصبح بها الناس، فقال: «لا، هي حرام»، ثم قال: «قاتل اللَّه اليهود، إن اللَّه لما حرم عليهم الشحوم جملوها، ثم باعوها، فأكلوا ثمنها».

وذكره الهيثمي في «**المجمع**» (٤/ ٩٤)، وقال: رواه أحمد، والطبراني في «**الأوسط**»، إلا أنه قال: نهى رسولُ اللَّه ﷺ عن ثمن الكلب، وثمن الخنزير، وعن مهر البغي، وعن عسب الفحل. ورجال أحمد ثقات وإسناد الطبراني حسن.

* حديث يحيى بن عباد:

ذكره الهيثمي في «**المجمع**» (٤/ ٩٢) عنه، قال: أهدي للنبي ﷺ زق خمر بعدما حرمت فلما أتي بها النبي ﷺ فقال: «إنَّ الخمر قد حرمت»، فقال بعضهم: لو باعوها فأعطوا ثمنها فقراء المسلمين، فأمر بها النبي ﷺ فأهريقت في وادي من أودية «المدينة»، وقال: «لعن اللَّه اليهود، حرمت عليهم شحومها فباعوها، وأكلوا أثمانها».

قال الهيثمي: رواه الطبراني في «**الأوسط**»، وفيه أشعث بن سوار، وهو ثقة، وفيه كلام. =

عائشةَ ـ رضي اللَّه عنها ـ: «لَوْ حُرِّمَ غَيْرُ المَسْفُوحِ، لَتَتَبَّعَ النَّاسُ مَا فِي العُرُوقِ، وَلَقَدْ كُنَّا نَطْبُخُ اللَّحْمَ، وَالبُرْمَةُ تَعْلُوهَا الصُّفْرَةُ». انتهى.

﴿وما أُهِلَّ به لغير اللَّه﴾.

قال ابن عبَّاس وغيره: المراد ما ذُبِحَ للأنْصَاب والأوثان[1]، و ﴿أُهِلَّ به﴾: معناه صِيحِ به؛ ومنه: استهلالُ المولودِ، وجرَتْ عادة العرب بالصياحِ بِاسْمِ المقصودِ بالذبيحةِ، وغلبَ ذلك في استعمالهم؛ حتى عبر به عن النيَّة التي هي علَّة التحريم.

﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ باغٍ وَلاَ عَادٍ﴾ قال قتادة وغيره: غيْرَ قاصدِ فسادٍ[2] وتعدٍّ؛ بأن يجدَ عن هذه المحرَّمات مندوحةً، ويأكلها، وأصحاب هذا القول يجيزونَ الأكل منها في كلِّ سفر، مع الضرورة، وقال مجاهد وغيره: المعنَىٰ: غير باغٍ على المسلمين، وعَادٍ عليهم، فيدخل في الباغِي والعادِي قُطَّاعُ السبل، والخارجُ علىَ السلطانِ، والمسافر في قَطْع الرحمِ، والغَارَةُ على المسلمين، وما شاكله، ولغير هؤلاء: هي الرخصةُ[3].

= * حديث أنس بن مالك:

أخرجه أحمد (٣/ ٢١٧)، وأبو يعلى (٥/ ٣٨٢) رقم (٣٠٤٢). وابن حبان (١١١٩ـ موارد)، من طريق عبد الرزاق وهو في «**مصنفه**» (٩/ ٢١١ـ ٢١٢) رقم (١٦٩٧٠)، من حديث أنس بن مالك مرفوعاً بلفظ: «قاتل اللَّهُ اليهود، حرمت عليهم الشُّحوم فباعوها، وأكلوا أثمانها».

(١) أخرجه الطبري (٢/ ٩٠) برقم (٢٤٧٩ـ ٢٤٨١) بإسنادين مختلفين عن ابن عباس بنحوه، وذكره ابن عطية (١/ ٢٤٠) والسيوطي في «**الدر**» (١/ ٣٠٨)، وعزاه لابن المنذر، وابن جرير.

(٢) أخرجه الطبري (٢/ ٩٢) برقم (٢٤٩٥) بنحوه. وذكره ابن عطية في «**التفسير**» (١/ ٢٤٠)، والبغوي في «**التفسير**» (١/ ١٤١)، والسيوطي في «**الدر**» (١/ ٣٠٨)، وعزاه لعبد بن حميد.

(٣) الرخصة (بسكون الخاء وحكي ضمها) في اللغة: التيسير والتسهيل. قال الجوهري: الرخصة في الأمر: خلاف التشديد فيه، ومن ذلك رخص الشعر إذا سهل وتيسر.

وفي الاصطلاح: الحكم الثابت على خلاف الدليل لعذر.

وتنقسم الرخصة إلى أربعة أقسام:

الأول: الإيجاب، ويمثل له بوجوب أكل الميتة للمضطر الثابت بقوله تعالى: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ [البقرة: ١٩٥] مع قوله تعالى: ﴿فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه﴾ [البقرة: ١٧٣] على خلاف قوله تعالى: ﴿حرمت عليكم الميتة..﴾ [المائدة: ٣] إلخ فهو رخصة؛ لأنه حكم ثبت على خلاف الدليل لعذر هو حفظ الحياة.

الثاني: الندب، كقصر الصلاة الرباعية في السفر الثابت بقوله ﷺ: «صدقة تصدق اللَّه بها عليكم، فاقبلوا صدقته» على خلاف الدليل الموجب للإتمام، وهو فعله ﷺ مع قوله ﷺ: «صلوا كما رأيتموني أصلي» المبين للعدد المطلوب في قوله تعالى: ﴿أقيموا الصلاة﴾.

الثالث: الإباحة، كإباحة السلم الثابت بقوله ﷺ: «من أسلم فليسلم في كيل معلوم، ووزن معلوم، إلى=

قال مالك[١] ـ رحمه اللَّه ـ: يأكل المضطَرُّ شِبَعَهُ، وفي «**الموطَّإ**» وهو لكثير من العلماءِ أنه يتزوَّد، إذا خشي الضرورة فيما بين يديه/ من مفازةٍ وقَفْرٍ. ٤٢ ب

قال ابنُ العربيِّ في «**أحكامه**»[٢]، وقد قال العلماء: إنَّ من اضطرَّ إلى أكل الميتةِ، والدمِ، ولحمِ الخنزيرِ، فلم يأكلْ، دخل النَّار إلا أنْ يَغْفِرَ اللَّه له. انتهى. والمعنَىٰ: أنه لم يأكلْ حتى مات جوعاً، فهو عاصٍ، وكأنه قتل نفسه، وقد قال تعالى: ﴿ولا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ...﴾ [النساء: ٢٩] الآية إلى قوله: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَاناً وَظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَاراً﴾ [النساء: ٣٠] قال ابن العربيِّ: وإذا دامتِ المَخْمَصة[٣]، فلا خلاف في جواز شبع المضطَرِّ، وإن كانت نادرةً، ففي شبعه قوْلانِ: أحدهما لمالك: يأكل؛ حتى يَشْبَعَ، ويتضلَّع، وقال غيره: يأكل بمقدارِ سدِّ الرَّمقِ، وبه قال ابن حَبِيبٍ[٤]، .....

أجل معلوم» على خلاف قوله ﷺ: «لا تبع ما ليس عندك» الدال على حرمة بيع المعدوم. للحاجة إلى هذا النوع من المعاملة. وإن شئت فارجع إلى كتب الفروع لتقف على حكمة مشرعية السلم.

الرابع: خلاف الأولى، كالفطر في نهار رمضان (للمسافر الذي لا يتأذى بالصوم) المشروع بقوله تعالى: ﴿فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر﴾ [البقرة: ١٨٤] على خلاف قوله تعالى: ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾ [البقرة: ١٨٥] دفعاً للمشقة. وكان خلاف الأولى لقوله تعالى: ﴿وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ [البقرة: ١٨٤].

ينظر: «**البحر المحيط**» للزركشي (١/ ٣٢٥ـ ٣٢٦)، «**الإحكام في أصول الأحكام**» للآمدي (١/ ١٢٢)، «**التمهيد**» للأسنوي (٧٠)، «**نهاية السول**» له (١/ ١٢٠)، «**منهاج العقول**» للبدخشي (١/ ٩٣)، «**غاية الوصول**» للشيخ زكريا الأنصاري (١٩)، «**التحصيل من المحصول**» للأرموي (١/ ١٧٩)، «**المستصفى**» للغزالي (١/ ٩٨)، «**حاشية البناني**» (١/ ١١٩ ـ ١٢٣)، «**الإبهاج**» لابن السبكي (١/ ٨١)، «**الآيات البينات**» لابن قاسم العبادي (١/ ١٨٥).

(١) أخرجه الطبري (٢/ ٩١ـ ٩٢) بإسنادين عن مجاهد. وسعيد بن منصور في سننه (٢/ ٦٤٥) برقم (٢٤٣) وذكره ابن عطية (١/ ٢٤٠).

(٢) ينظر: «**الأحكام**» (١/ ٥٦).

(٣) المخمصة: مَفْعَلَةٌ من الخَمْص، وهو ضمور البطن، ومنه: رجل خامص، وخمصان البطن، وامرأة خمصانة، ولما كان الجوع يؤدي إلى ضمور البطن عُبِّر به عنه: أي فمن اضطر في مجاعة.
ينظر: «**عمدة الحفاظ**» (١/ ٦١٧).
لأن الضرورة تقدر بقدرها، فأكل الميتة محظور، ولكن إبقاء مهجة الإنسان عند المخمصة ضرورة، وليست أقل من المحظور، فيباح المحظور لأجل الضرورة، فعليه الأكل لإبقاء روحه، فلو لم تبح الضرورات المحظورات لما تحقق الضرر، والضرر يزال.

(٤) ابن حبيب: هو أبو مروان عبد الملك بن حبيب، كان إماماً في الحديث، والفقه، واللغة، والنحو، انتهت إليه رئاسة العلم في الأندلس، ولد في «ألبيرة»، وسكن «قرطبة»، وتفقه بابن الماجشون، ومطرف، وعبد اللَّه بن عبد الحكم، وغيرهم، له مؤلفات تزيد على ألف كتاب، أشهرها: «**الواضحة**»، توفي عام ٢٣٨هـ، وقيل ٢٣٩هـ.

وابن المَاجِشُونِ[١]. انتهى.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿إن الذين يكتمون ما أنزل اللَّه من الكتاب...﴾ الآيَةَ.

قال ابن عَبَّاس وغيره: المراد أحبار اليهود الذين كتموا أمْر محمَّد ﷺ، و ﴿الكتاب﴾: التوراة والإنجيل[٢].

* ع[٣] *: وهذه الآية وإن كانَتْ نزلَتْ في الأحبار، فإنها تتناوَلُ من علماء المسلمين مَنْ كتم الحقَّ مختاراً لذلك بسبب دُنْيَا يصيبُهَا، وفي ذكر البَطْنِ تنبيهٌ علَىٰ مذمَّتهم؛ بأنهم باعوا آخرتهم بحظِّهم من المطعم الذي لا خَطَرَ له، وعلى هُجْنَتِهِمْ[٤] بطاعة بُطُونهم، قال الرَّبِيع وغيره: سَمَّىٰ مأكولهم ناراً؛ لأنه يؤول بهم إلى النار[٥]، وقيل: يأكلون النار في جَهَنَّمَ حقيقةً.

* ت *: وينبغي لأهل العلْم التنزُّه عن أخْذ شيء من المتعلِّمين علَىٰ تعليم العلْم، بل يلتمسُونَ الأجر من اللَّه عزَّ وجَلَّ[٦]، وقد قال تعالى لنبيِّه ـ عليه السلام ـ: ﴿قُلْ لاَ

ينظر ترجمته في: «شجرة النور الزكية» (ص ٧٤)، «الديباج» (ص ١٥٤)، «شذرات الذهب» (٢/ ٩٠).

(١) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد اللَّه بن أبي سلمة الماجشون، كنيته أبو مروان، والماجشون هو أبو سلمة، والماجشون: المورد بالفارسية، سمي بذلك لحمرة في وجهه.
كان عبد الملك فقيهاً فصيحاً، دارت عليه الفتوى في أيامه إلى أن مات، كما دارت على أبيه قبله، فهو فقيه تفقه بأبيه وبمالك، وغيرهما، وتفقه به خلق كأحمد بن المعذل، وابن حبيب، توفي عبد الملك سنة اثنتي عشرة، وقيل: ثلاث عشرة، وقيل: أربع عشرة ومائتين هجرية.
ينظر: «الديباج المذهب» (٢/ ٦)، و «ترتيب المدارك» (٢/ ٣٦٠)، و «وفيات الأعيان» (٢/ ٣٤٠)، و «شجرة النور الزكية» (١/ ٥٦).

(٢) أخرجه الطبري (٢/ ٩٤) برقم (٢٥٠٢ـ ٢٥٠٣ـ ٢٥٠٤) عن قتادة، والربيع، والسدي. وذكره ابن عطية في التفسير (١/ ٢٤١).

(٣) «المحرر الوجيز» (١/ ٢٤١).

(٤) الهُجْنَة من الكلام: ما يعيبك، وتقول: لا تفعل كذا فيكون عليك هُجْنَةٌ. ينظر: «لسان العرب» (٤٦٢٥ـ ٤٦٢٦).

(٥) ينظر: «المحرر» (١/ ٢٤١).

(٦) «تفسير الطبري» (٣/ ٣٣٠).

أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً. . .﴾ [الأنعام: ٩٠] الآية، وفي سنن أبي دَاوُدَ، عن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ[(١)]، قال: «عَلَّمْتُ نَاساً مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ الكِتَابَ، وَالقُرْآنَ، وَأَهْدَىٰ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنْهُمْ قَوْساً، فَقُلْتُ: لَيْسَتْ بِمَالٍ، وَأَرْمِي عَلَيْهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، لآتِيَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَلأَسْأَلَنَّهُ، فَأَتَيْتُهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، رَجُلٌ أَهْدَىٰ إِلَيَّ قَوْساً مِمَّنْ كُنْتُ أُعَلِّمُهُ الكِتَابَ وَالقُرْآنَ، وَلَيْسَتْ بِمَالٍ، وَأَرْمِي عَلَيْهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَالَ: إِنْ كُنْتَ تُحِبُّ أَنْ تُطَوَّقَ طَوْقاً مِنْ نَارٍ، فَاقْبَلْهَا»، وَفِي رِوايةٍ: «فَقُلْتُ مَا تَرَىٰ فِيهَا، يَا رَسُولَ اللَّهُ؟ قَالَ: جَمْرَةٌ بَيْنَ كَتِفَيْكَ تَقَلَّدْتَهَا أَوْ تَعَلَّقْتَهَا»[(٢)]. انتهى.

وقوله تعالى: ﴿ولا يكلِّمهم اللَّه﴾: قيل: هي عبارةٌ عن الغضب عليهم، وإزالة الرضَا عنهم؛ إذ في غير موضعٍ من القُرآن ما ظاهره أن اللَّه تعالَىٰ يكلِّم الكافرين، وقال الطبريُّ وغيره: المعنَىٰ: لا يكلِّمهم بما يحبُّونَهُ.

﴿ولا يزكِّيهم﴾، أي: لا يطهِّرهم من موجباتِ العذابِ، وقيل: المعنى: لا يسمِّيهم أزكياء.

وقوله تعالى: ﴿فَمَا أصبرهم على النار﴾: قال جمهور المفسِّرين: «ما» تعجُّب، وهو في حيِّز المخاطبين، أي: هم أهلٌ أن تَعْجَبُوا منهم، وممَّا يطول مُكْثُهم في النَّار، وفي التنزيل: ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ [عبس: ١٧] و ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ [مريم: ٣٨].

---

(١) هو: عبادة بن الصامت بن قيس بن صرم بن فهر بن قيس بن ثعلبة بن غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج، أبو الوليد الأنصاري، الخزرجي.

من مناقبه: نزل فيه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾ [سورة المائدة: الآية ٥١] لما تبرأ من حلفه مع بني قينقاع لما خانوا المسلمين في غزوة الخندق.

توفي سنة ٣٤ بالرملة. وقيل: ببيت المقدس. وقيل: عاش إلى سنة «٤٥».

ينظر ترجمته في: **«الثقات»** (٣/ ٣٠٢)، **«أسد الغابة»** (٣/ ١٦٠)، **«تجريد أسماء الصحابة»** (١/ ٣٩٤)، **«أصحاب بدر»** (١٨٤)، **«الإصابة»** (٤/ ٢٧)، **«الطبقات»** (٩٩، ٣٠٢)، **«المصباح المضيء»** (١/ ٨٥)، **«الجرح والتعديل»** (٦/ ٩٥)، **«تقريب التهذيب»** (١/ ٣٩٥)، **«الاستيعاب»** (٢/ ٨٠٧)، **«تهذيب التهذيب»** (٥/ ١١١)، **«التاريخ الصغير»** (١/ ٤١، ٤٢، ٦٥، ٦٦)، **«التاريخ الكبير»** (٦/ ٩٢)، **«الوافي بالوفيات»** (١٦/ ٦١٨)، **«الطبقات الكبرى»** (٩/ ١٠٧)، **«تهذيب الكمال»** (٢/ ٦٥٥)، **«طبقات الحفاظ»** (٤٥)، **«الأعلام»** (٣/ ٢٥٨)، **«الرياض المستطاب»** (٢٠٧).

(٢) أخرجه أبو داود (٢/ ٢٨٥) كتاب «الإجارة»، باب في كسب المعلم، حديث (٣٤١٦)، وابن ماجة (٢/ ٧٢٩ ـ ٧٣٠) كتاب «التجارات»، باب الأجر على تعليم القرآن، حديث (٢١٥٧)، وأحمد (٥/ ٣١٥)، وعبد بن حميد في **«المنتخب من المسند»** (١٨٣) من طريق المغيرة بن زياد الموصلي عن عبادة بن نسي عن الأسود بن ثعلبة عن عبادة بن الصامت به.

وقال قتادة، والحَسَنُ، وابْنُ جُبَيْر، والربيع: أظهر التعجُّب من صبرهم على النار لَمَّا عملوا عملَ مَنْ وَطَّن نفسه علَيها[١]، وتقديره ما أجرأَهم علَى النَّارِ؛ إذ يعملون عملاً يؤدِّي إليها، وذهب مَعْمَرُ بْنُ المُثَنَّىٰ؛ إلى أن «ما» استفهامٌ، معناه: أيُّ شَيْءٍ صبرهم عَلَى النار[٢]، والأول أظهر.

وقوله سبحانه: ﴿ذلك بأن اللَّه نزَّل الكتاب بالحق...﴾ الآية: المعنَىٰ: ذلك الأمر بأنَّ اللَّه نزَّل الكتابَ بالحَقِّ، فكفروا/ به، والإشارة إلى وجوب النَّار لهم. ٤٣أ

و ﴿الكتابُ﴾: القُرْآن، و ﴿بالحق﴾، أي: بالإخبار الحقِّ، أي: الصادقة.

و ﴿الذين اختلفوا في الكتاب﴾ هم اليهودُ والنصارَىٰ، في قول السُّدِّيِّ[٣]، وقيل: هم كفَّار العرب؛ لقول بعضهم: هو سِحْرٌ، وبعضهم: أساطير، وبَعْضهم: مفترًى، إلى غير ذلك.

و ﴿بَعِيد﴾، هنا: معناه من الحقِّ، والاستقامة.

﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿ليس البرَّ أن تولُّوا وجوهَكُم قبل المشرق والمغرب...﴾ الآيَةَ: قال ابن عَبَّاس وغيره: الخِطَابُ بهذه الآية للمؤمنين، فالمعنَىٰ: ليس البرُّ الصلاةَ وحْدها[٤]،

---

(١) أخرجه الطبري (٢/ ٩٦) برقم (٢٥٠٨ـ ٢٥٠٩ـ ٢٥١٠ـ ٢٥١١ـ ٢٥١٢)، عن قتادة، والحسن، وسعيد بن جبير، والربيع. وذكره ابن عطية (١/ ٢٤٢)، وأخرجه عبد الرزاق في «التفسير» (١/ ٦٦) عن قتادة بلفظ: «ما أجرأهم عليها»، وذكره السيوطي في «الدر» (١/ ٣٠٩) عن قتادة، وعزاه لابن جرير.

(٢) وبه قال السدي وجماعة، كما في تفسير الطبري (٣/ ٣٣٢)، عن السدي، وأبي كريب، وابن زيد، وفي «البحر» (١/ ٦٦٩) عن ابن عباس والسدي، والمبرد ومعمر بن المثنى، وفي «الدر» (١/ ١٦٩) عن السدي، وفي «فتح القدير» (١/ ١٧٢) عنه أيضاً. وينظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٦٤).

(٣) أخرجه الطبري (٢/ ٩٨) برقم (٢٥٢٠) وذكره ابن عطية (١/ ٢٤٢)، والسيوطي في «الدر» (١/ ٣٠٩)، وعزاه لابن جرير.

(٤) أخرجه الطبري (٢/ ٩٩) برقم (٢٥٢١ـ ٢٥٢٤) بإسنادين عن ابن عباس. وذكره ابن عطية (١/ ٢٤٣)، والسيوطي في «الدر» (١/ ٣١٠) بإسنادين، عن ابن عباس، وعزاه لابن جرير، وابن أبي حاتم.

وقال قتادة، والربيع: الخطاب لليهودِ والنصارَىٰ؛ لأنهم تكلَّموا في تحويل القبلة، وفضَّلت كل فرقة تولِّيها، فقيلَ لهم: ليس البرَّ ما أنتم فيه، ولكنَّ البرَّ من آمن باللَّه[١].

وقوله تعالى: ﴿وآتى المال على حُبِّه...﴾ الآية: هذه كلُّها حقوقٌ في المال سوى الزكاةِ، قال الفَخْر[٢]: وروَتْ فاطمةُ بنْتُ قَيْسٍ، أنَّ فِي المَالِ حَقًّا سِوَى الزَّكَاةِ[٣]، وتَلاَ: ﴿وأَتَى المَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ...﴾ الآيةَ، وعنه ﷺ «لاَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ مَنْ بَاتَ شَبْعَانَ، وَجَارُهُ طَاوِياً إِلَىٰ جَنْبِهِ»[٤] انتهى.

---

(١) أخرجه الطبري (٢/ ٩٩ ـ ١٠٠) برقم (٢٥٢٦ـ ٢٥٢٨) عن قتادة، والربيع بن أنس، وذكره ابن عطية (١/ ٢٤٣).
وأخرجه عبد الرزاق في **«التفسير»** (١/ ٦٦) عن قتادة. وذكره السيوطي في **«الدر»** (١/ ٣١٠) عن قتادة، وعزاه لعبد الرزاق، وابن جرير.

(٢) **«التفسير الكبير»** (٥/ ٣٥).

(٣) أخرجه الترمذي (٣/ ٤٨) في الزكاة، باب ما جاء أن في المال حقاً سوى الزكاة (٦٥٩، ٦٦٠). والطبري (٢/ ٥٧)، والدارمي (١/ ٣٨٥) في الزكاة، باب ما يجب في مال سوى الزكاة. والدراقطني (٢/ ١٢٥) في الزكاة، باب تعجيل الصدقة قبل الحول رقم (١١، ١٢). والطحاوي في **«شرح معاني الآثار»** (٢/ ٢٧)، والبيهقي (٤/ ٨٤) في الزكاة: باب الدليل على أن من أدى فرض اللَّه في الزكاة، فليس عليه أكثر منه إلا أن يتطوع... من طريق شريك، عن أبي حمزة، عن الشعبي، عن فاطمة بنت قيس بنحوه.
وقال الترمذي: هذا حديث ليس إسناده بذاك، وأبو حمزة ميمون الأعور يضعف. وروى بيان وإسماعيل بن سالم، عن الشعبي هذا الحديث من قوله. وهذا أصح. وقال البيهقي: هذا حديث يعرف بأبي حمزة ميمون الأعور كوفي، وقد جرحه أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، فمن بعدهما من حفاظ الحديث. والذي يرويه أصحابنا في التعاليق ليس في المال حق سوى الزكاة ـ فلست أحفظ فيه إسناداً.
وأخرجه ابن ماجة بالإسناد السابق (١/ ٥٧٠) في الزكاة، باب ما أدي زكاته ليس بكنز (١٧٨٩) بلفظ: «ليس في المال حق سوى الزكاة».
وقال النووي كما في تخريج أحاديث **«الكشاف»** للزيلعي (١/ ١٠٧): حديث «ليس في المال حق سوى الزكاة» حديث منكر. ثم نقل كلام البيهقي برمته.
وبالجملة فالحديث كيفما كان ضعيف بأبي حمزة ميمون الأعور؛ ضعفه الترمذي. وقال البيهقي: لا يثبت إسناده، تفرد به أبو حمزة الأعور، وهو ضعيف. ومن تابعه أضعف منه.
وللفظ الأول من الحديث شاهد أخرجه البخاري في **«التاريخ الكبير»** (٣/ ٨٩، ٩٠)، من طريق موسى بن إسماعيل، عن محمد بن راشد، عن عبد الكريم، عن حبان بن جزىء، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: «في المال حق بعد الزكاة؟ قال: نعم، يحمل على النجيبة».

(٤) أخرجه البزار (١/ ٧٦ـ **كشف**) رقم (١١٥)، من طريق حسين بن علي الجعفي، ثنا سفيان بن عيينة، عن علي بن زيد بن جدعان، عن أنس مرفوعاً بلفظ: «ليس المؤمن الذي يبيت شبعان وجاره طاوي».
وقال البزار: لا نعلمه، يروى عن أنس إلا من هذا الوجه.
قلت: وفي كلام البزار نظر؛ حيث إن للحديث طريقاً آخر عن أنس: أخرجه الطبراني في **«المعجم**=

قال ابن العربيِّ في «**أحكامه**»[١]: وإذا وقع أداء الزكاة، ثم نزلَتْ بعد ذلك حاجةٌ، فإنه يجبُ صرف المال إليها باتفاقٍ من العلماءِ، وقد قال مالك: يجبُ على كافَّة المسلمين فِدَاءُ أسراهم، وإن ٱستغْرَقَ ذلك أموالَهُمْ، وكذلك إذا منع الوالي الزكاةَ، فهل يجبُ على الأغنياء إغناءُ الفقراء؟ الصحيحُ: وجوبُ ذلك علَيْهم. انتهى.

ومعنى: ﴿آتَى﴾: أعطى علَىٰ حبِّه، أي: على حبِّ المال، ويحتملُ أن يعود الضميرُ على اسْمِ اللَّه تعالَىٰ من قوله: ﴿مَنْ آمن باللَّه﴾، أي: من تَصَدَّقَ مَحَبَّة في اللَّه وطاعته.

* ص *: والظاهر أن الضمير في «حُبِّهِ» عائدٌ على «المال»؛ لأن قاعدتهم أن الضمير لا يعود علَىٰ غير الأقرب إلاَّ بدليلٍ. انتهى.

قال * ع[٢] *: والمعنَى المقصودُ أن يتصدَّق المرءُ في هذه الوجوهِ، وهو صحيحٌ شحيحٌ يخشَى الفَقْر، ويأمل الغنَىٰ؛ كما قال ﷺ[٣]. والشحُّ؛ في هذا الحديث: هو

= **الكبير**» (١/ ٢٥٩) رقم (٧٥١)، من طريق محمد بن سعيد الأثرم، ثنا همام، ثنا ثابت، ثنا أنس قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «ما آمن بي من بات شبعاناً، وجاره جائع إلى جنبه، وهو يعلم به». والحديث ذكره الهيثمي في «**المجمع**» (٨/ ١٧٠)، وقال: رواه الطبراني، والبزار، وإسناد البزار حسن.

والحديث ذكره أيضاً المنذري في «**الترغيب**» (٣/ ٣٣٤)، وقال: رواه الطبراني، والبزار، وإسناده حسن، وللحديث شاهد من حديث ابن عباس.

أخرجه البخاري في «**الأدب المفرد**» رقم (١١٠)، وفي «**التاريخ الكبير**» (٥/ ١٩٥، ١٩٦)، وأبو يعلى (٥/ ٩٢) رقم (٢٦٩٩)، والحاكم (٤/ ١٦٧)، والطبراني في «**الكبير**» (١٢/ ١٥٤) رقم (١٢٧٤١)، والخطيب في «**تاريخ بغداد**» (١٠/ ٣٩٢)، كلهم من طريق سفيان عن عبد الملك بن أبي بشير، عن عبد اللَّه بن المساور، عن ابن عباس قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «ليس المؤمن الذي يشبع، وجاره جائع إلى جنبه».

والحديث ذكره المنذري في «**الترغيب**» (٣/ ٣٣٤)، وقال: رواه الطبراني، وأبو يعلى ورواته ثقات.

وقال الهيثمي في «**المجمع**» (٨/ ١٧٠): رواه الطبراني، وأبو يعلى، ورجاله ثقات.

(١) ينظر: «**الأحكام**» (١/ ٥٩).

(٢) «**المحرر الوجيز**» (١/ ٢٤٣).

(٣) أخرجه البخاري (٣/ ٣٣٤) في الزكاة، باب فضل صدقة الشحيح (١٤١٩)، و (٥/ ٤٣٩ـ ٥٤٠) في «الوصايا»، باب الصدقة عند الموت (٢٧٤٨)، ومسلم (٢/ ٧١٦) في الزكاة، باب بيان أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح (٩٢ـ ٩٣/ ١٠٣٢)، وأبو داود (٢/ ١٢٦) في الوصايا، باب ما جاء في كراهية الإضرار في الوصية (٢٨٦٥)، والنسائي (٥/ ٦٨) في الزكاة، باب أي الصدقة أفضل، و (٦/ ٢٣٧) في الوصايا، باب الكراهية في تأخير الوصية، وابن ماجة (٢/ ٩٠٣) في الوصايا، باب النهي عن الإمساك في الحياة، والتبذير عند الموت (٢٧٠٦). والبخاري في «**الأدب المفرد**» برقم (٧٨٦)، وأحمد (٢/ ٢٣١، ٤١٥، ٤٤٧)، وابن خزيمة (٤/ ١٠٣) برقم (٢٤٥٤)، والبيهقي (٤/ ١٩٠)، والبغوي (٣/ ٤٢٣) برقم=

الغريزيُّ الذي في قوله تعالَىٰ: ﴿وَأُحْضِرَتِ الأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾ [النساء: ١٢٨] وليس المعنَى أنْ يكون المتصدِّق متَّصِفاً بالشحِّ الذي هو البُخْل.

﴿وفي الرِّقَابِ﴾، أي: العتق، وفَكّ الأسْرَىٰ.

﴿والصَّابِرِينَ﴾: نصبٌ على المدح، أو على إضمار فعْلٍ، وهذا مَهْيَعٌ[1] في تكرار النعوتِ.

و﴿البأساء﴾: الفَقْر والفاقة.

﴿والضَّرَّاء﴾: المرض، ومصائبُ البدن، وعن ابن عبَّاس رضي اللَّه عنهما، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوَّلُ مَنْ يُدْعَىٰ إِلَى الجَنَّةِ الَّذِينَ يَحْمَدُونَ اللَّهَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ» رواه الحاكم في «**المستَدْرَكِ**»، وقال: صحيحٌ على شرط مُسْلِمٍ[2]. انتهى من «**السلاح**».

= (١٦٦٥)، من طريق عمارة بن القعقاع، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة قال: «جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول اللَّه، أي الصدقة أفضل؟.....» فذكره.

(١) المهيعُ: هو الطريق الواسع المنبسط. ينظر: «**لسان العرب**» (٤٧٣٨) (هيع).

(٢) أخرجه الطبراني في «**المعجم الصغير**» (١/ ١٠٣)، وفي «**الأوسط**» (٤/ ٤٤) رقم (٣٠٥٧)، وفي «**الكبير**» (١٢/ ١٩) رقم (١٢٣٤٥)، وأبو نعيم في «**الحلية**» (٥/ ٦٩). كلهم من طريق قيس بن الربيع، عن حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس مرفوعاً.
وقال الطبراني: لم يروه عن حبيب إلا قيس بن الربيع، وشعبة بن الحجاج، عن نصر بن حماد الوراق.
وقال أبو نعيم: رواه شعبة عن حبيب بن أبي ثابت، وذكره الهيثمي في «**مجمع الزوائد**» (١٠/ ٩٨)، وقال: رواه الطبراني في الثلاثة بأسانيد، وفي أحدها قيس بن الربيع وثقه شعبة، والثوري، وغيرهما. وضعفه يحيى القطان، وغيره، وبقية رجاله رجال الصحيح اهـ.
قلت: قيس بن الربيع في سند الطبراني في معاجمه الثلاثة، وليس كما يوهم كلام الهيثمي.
والحديث ضعفه الحافظ العراقي في «**تخريج الإحياء**» (٤/ ٧٩)، وأعله بقيس بن الربيع، وقال: ضعفه الجمهور، وهذا الحديث قد رواه شعبة عن حبيب بن أبي ثابت، كما أشار إلى ذلك الحافظ أبو نعيم.
أخرجه الطبراني في «**الصغير**» (١/ ١٠٣)، والبغوي في «**شرح السنة**» (٣/ ٨٤ بتحقيقنا). كلاهما من طريق نصر بن حماد الوراق، نا شعبة عن حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس به.
وهذا سند ضعيف جداً.
نصر بن حماد قال النسائي، وغيره: ليس بثقة، ينظر «**المغني**» للذهبي (٦٦٠٩).
وتابعهما عبد الرحمن بن عبد اللَّه المسعودي، عن حبيب.
أخرجه الحاكم (١/ ٥٠٢).
وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. والمسعودي لم يخرج له مسلم شيئاً؛ فضلاً عن اختلاطه.

وفي صحيح مُسْلِم، عن صُهَيْب[١]، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَجَباً لأَمْرِ المُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ، إِذَا أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ فَشَكَرَ، فَكَانَ خَيْراً لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ، فَكَانَ خَيْراً لَهُ»[٢] انتهى.

﴿وحِينَ البَأْسِ﴾، أي: وقْتَ شدَّة القتال، هذا قولُ المفسِّرين في الألفاظ الثلاثة، تقولُ العربُ: بَئِسَ الرَّجُلُ إِذَا افتقر، وبَؤُسَ إذا شَجُع، ثم وصف تعالَىٰ أهل هذه الأفعال البَرَّة بالصدْقِ في أمورهم، أي: هم عند الظنِّ بهم والرجاء فيهم؛ كما تقول: صَدَقَنِي المَالُ، وصَدَقَنِي الرُّمْحُ، ووصفهم تعالى/ بالتقَىٰ، والمعنَىٰ: هم الذين جَعَلُوا بينهم وبين ٤٣ ب
عذاب اللَّه وقايةً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص...﴾ الآيةَ: ﴿كُتِبَ﴾: معناه: فُرِضَ، وأُثْبِتَ، وصورةُ فَرْضِ القصاصِ[٣]، هو أنَّ القاتل فُرِضَ عليه، إذا أراد

---

(١) هو: صهيب بن سنان بن مالك بن عبد عمرو بن عقيل بن عامر. أبو يحيى. الرومي. الربعي. النمري.
وهو صحابي مشهور. روى عنه أولاده حبيب، وحمزة، وسعد، وصالح، وصيفي، وعباد، وعثمان، ومحمد. وحفيده زياد بن صيفي. وروى عنه أيضاً جابر الصحابي. وسعيد بن المسيب. وإنما قيل له الرومي؛ قيل: لأن الروم سبوه صغيراً حين كان أبوه وعمه عاملين لكسرى على «الأبلة»، وكانت لهم منازل على «دجلة» عند الموصل، وقيل غير ذلك. وروى الستة عنه قال: لم يشهد رسول اللَّه ﷺ مشهداً قط إلا كنت حاضره، ولم يبايع بيعة قط إلا كنت حاضره، ولم يسر سرية قط إلا كنت حاضرها، ولا غزا غزاة قط إلا كنت فيها عن يمينه أو شماله، وما خافوا أمامهم قط إلا كنت أمامه، توفي سنة (٣٨) وقيل (٣٩)، وقيل في شوال سنة ٣٨، وله (٧٠ سنة).
ينظر ترجمته في: **«أسد الغابة»** (٣/ ٣٦)، **«الإصابة»** (٣/ ٢٥٤)، **«الاستيعاب»** (٢/ ٧٢٦)، **«الاستبصار»** (٧٨، ١٣٤)، **«الرياض المستطابة»** (١٣٠)، **«تجريد أسماء الصحابة»** (١/ ٢٦٨)، **«عنوان النجابة»** (١٠٦)، **«أصحاب بدر»** (١٠٨)، **«الثقات»** (٣/ ١٩٤)، **«الكاشف»** (٢/ ٣٢)، **«حلية الأولياء»** (١/ ٣٧٢)، **«التحفة اللطيفة»** (٢/ ١٤٤)، **«تنقيح المقال»** (٥٨١١)، **«بقي بن مخلد»** (٩٥).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٩٥) كتاب «الزهد»، باب المؤمن أمره كله خير، حديث (٦٤/ ٢٩٩٩).
وهذا الحديث لم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة سوى مسلم. وينظر: **«تحفة الأشراف»** (٤/ ٢٠٠).

(٣) القِصاص: أن يُفْعل بالفاعل مثل ما فعل. كذا في «المغرب». وفي **«الصحاح»**: القصاص: القَوَدُ، وَقَدْ أَقَصَّ الأمير فلاناً من فلان إذا اقْتَصّ له منه فجرحه مثل جَرْحه أو قتله. =

الوليُّ القتل، الاِستسلامُ لأمر اللَّه، وأن الوليَّ فرض عليه الوقوفُ عند قتل قاتل وليِّه، وترك التعدِّي علَىٰ غيره، فإن وقع الرضَا بدون القصاص من دية أو عفو، فذلك مباحٌ، والآية معلِّمة أن القِصَاصَ هو الغايةُ عند التَّشَاحِّ[1]، و ﴿القصاصُ﴾: مأخوذ من: قَصِّ الأثر؛ فكأن القاتل سلك طريقاً من القتل، فقص أثره فيها.

ينظر: «الصحاح» (٣/ ١٠٥٢)، و «القاموس المحيط» (٢/ ٣٢٤)، و «المصباح المنير» (٢/ ٧٧٨)، و «المغرب» (٢/ ١٨٢).

وقد اضطربت القوانين الوضعية في هذا القصاص، واختلفت أنظار المفكرين في جوازه أو عدمه، وأخذ كل يدافع عن فكرته، ويحاجج عن رأيه، حتى رمى بعض الغلاة الإسلام بالقسوة في تقرير هذه العقوبة، وقالوا: إنها غير صالحة لهذا الزمن، وقد نسوا أن الإسلام جاء في ذلك بما يصلح البشر على مر الزمن مهما بلغوا في الرقي، وتقدموا في الحضارة.

كانت هذه العقوبة موجودة قبل الإسلام، ولكن للاعتداء فيها يده المثمرة، وللإسراف فيها ضرره البالغ، فحد الإسلام من غلوائها، وقصر من عدوانها، ومنع الإسراف منها. فقال تعالى: ﴿ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل إنه كان منصوراً﴾ [الإسرا: ٣٣] فلم يبح دَمَ من لم يشترك في القتل قال تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى﴾.

وقال عز من قائل: ﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف...﴾ [المائدة: ٤٥] الآية، ولكنه أفسح المجال للفصل بين الناس، وترك للجماعة الراقية مع ذلك أن ترى خيراً في العفو عن الجاني فقال: ﴿فمن تصدَّق به فهو كفَّارة له﴾ [المائدة: ٤٥] على أن العقلاء الذين خبروا الحوادث، وعركوا الأمور، ودرسوا طبائع النفوس البشرية، ونزعاتها وغرائزها، فهداهم تفكيرهم الصحيح إلى صلاح هذه العقوبة، لإنتاج الغاية المقصودة، وهي إقرار الأمن وطمأنة النفوس، ودرء العدوان والبغي، وإنقاذ كثيرين من الهلاك، قال تعالى: ﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب﴾.

ولقد فهم أولو الألباب هذه الحكمة البالغة، وقدروها حق قدرها، وها نحن أولاء نرى اليوم أن الأمم التي ألغت هذه العقوبة عادت إلى تقريرها لما رأته في ذلك من المصلحة.

وأمكننا الآن أن نقول: إنه ليس هناك من خلاف كبير بين الإسلام والقوانين الوضعية في هذا الموضوع.

أما القصاص في غير القتل مما ورد في الآية الكريمة: ﴿والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص﴾ [المائدة: ٤٥] فهو في غاية الحكمة والعدالة؛ إذ لو لم يكن الأمر كذلك لاعتدى القوي على الضعيف، وشوه خلقته، وفعل به ما أمكنته الفرصة لا يخشى من وراء ذلك ضرراً يناله، أو شراً يصيبه، ولو اقتصر الأمر على الديات كما هو الحال في القوانين الوضعية لكان سهلاً على الباغي يسيراً على الجاني، ولتنازل الإنسان عن شيء من ماله في سبيل تعجيز عدوه، وتشويهه ما دامت القوة في يده، ولكنه لو عرف أن ما يناله بالسوء من أعضاء عدوه سيصيب أعضاءه مثله كذلك، انكمش وارتدع، وسلموا جميعاً من الشر.

(١) يقال: هما يتشاحّان على أمر: إذا تنازعاه، لا يريد كل واحد منهما أن يفوته...، وتشاحّ الخصمان في الجدل كذلك. ينظر: «لسان العرب» (٢٢٠٥).

روي عن ابن عَبَّاس؛ أنَّ هذه الآية مُحْكَمة[١]، وفيها إجمال فسَّرته آية «المائدة»، وأن قوله سبحانه: ﴿الحُرُّ بالحُرِّ﴾ يعمُّ الرجال والنساء، وأجمعتِ الأمة علَىٰ قتل الرجُلِ بالمرأةِ، والمرأة بالرجل[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِيَ له من أخيه شيء...﴾ الآيَةَ: فيه تأويلاتٌ:

أحدها: أنَّ «مَنْ» يرادُ بها القاتلُ، و «عُفِيَ»: تتضمن عافياً، وهو وليُّ الدم، والأخُ: هو المقتولُ، و «شَيْءٌ»: هو الدمُ الذي يعفَىٰ عنه، ويرجع إلى أخذ الدية، هذا قول ابْنِ عَبَّاس، وجماعة من العلماء[٣]، والعَفْوُ علَىٰ هذا القولِ علَىٰ بابه.

والتأويلُ الثَّاني: وهو قول مالكٍ؛ أنَّ «مَنْ» يراد بها الوليُّ، وعُفِيَ: بمعنى: يُسِّرَ، لا على بابها في العَفْو، والأخُ: يراد به القاتل، و «شَيْءٌ»: هي الديةُ، والأخوَّة على هذا أخوَّة الإسلام.

والتأويل الثالثُ: أنَّ هذه الألفاظ في معنى: الَّذين نزلَتْ فيهم الآيةُ، وهم قومٌ تقاتَلُوا، فقتل بعضُهم بعضاً، فأُمِرَ النبيُّ ﷺ أن يصلحَ بينهم، ويُقَاصَّهم بعضَهم من بعض بالدِّيَات على ٱستواء الأحرار بالأحرار، والنساء بالنساء، والعبيد بالعبيد، فمعنى الآية: فمن فضِل له من إحدى الطائفتين على الأخرَىٰ شيْءٌ من تلك الدِّيَاتِ، وتكون: «عُفِيَ» بمعنى فَضِلَ.

وقوله تعالى: ﴿فٱتباعٌ﴾: تقديره: فالواجبُ والحُكْمُ: ٱتباع، وهذا سبيلُ الواجباتِ؛ كقوله تعالى: ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩] وأما المندوبُ إلَيْه، فيأتي منصوباً؛ كقوله تعالى: ﴿فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ [محمد: ٤]، وهذه الآية حضٌّ من اللَّه تعالَىٰ علَىٰ حسن الاقتضاءِ من الطالِبِ، وحُسْنِ القضاء من المُؤَدِّي.

وقوله سبحانه: ﴿ذَلِكَ تَخْفِيفٌ﴾ إشارة إلى ما شرعه لهذه الأمة، من أخذ الدية، وكانت بنو إسرائيل لا ديَةَ عندهم، إنما هو القِصَاصُ فَقَطْ، والاِعْتداءُ المتوعَّد عليه في هذه

---

(١) المحكم: هو ما لا يحتمل شيئاً من ذلك، وحكمه بثبوت ما انتظمه على اليقين، ويرادفه المبين عند علماء الشافعية.

(٢) أخرجه الطبري (٢/ ١١٠) برقم (٢٥٧٩)، والبيهقي في «السنن» (٨/ ٣٩ـ ٤٠)، وذكره ابن عطية (١/ ٢٤٥)، وأورده ابن عباس في «تفسيره» (ص ٩٣/ ٥٢) وابن كثير (١/ ٢٠٩)، والسيوطي في «الدر» (١/ ٣١٦)، وعزاه للنحاس في «ناسخه».

(٣) ذكره ابن عطية في «التفسير» (١/ ٢٤٥).

٣٧٠ ـــــــ

قوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْطَىٰ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ؛ فَلاَ وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ»[١].

و ﴿بالمعروفِ﴾: معناه بالقصد الَّذي تعرفه النفوسُ دون إِضرار بالورثة، ولا تَنْزِير[٢] للوصية و ﴿حَقًّا﴾: مصدر مؤكِّد، وخُصَّ «المتقون» بالذكر؛ تشريفاً للرتبة؛ ليتبادر النَّاس إِليها.

وقوله تعالى: ﴿فمن بدَّله بعد ما سمعه...﴾ الآية: الضمير في «بَدَّلَهُ» عائدٌ على الإيصاء، وأمر الميت، وكذلك في «سَمِعَهُ»، ويحتمل أن يعود الذي في «سَمِعَهُ» على أمر اللَّه تعالَىٰ في هذه الآية، والأول أسبق للناظر، و ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: صفتان لا يخفَىٰ معهما شيْءٌ من جَنَفِ الموصِينَ، وتبديلِ المتعدينَ، والجَنَفُ: الميل.

ومعنى الآية علَىٰ ما قال مجاهد: من خشي أن يحيف الموصِي، ويقطع ميراث طائفة، ويتعمَّد الإِذاءة، فذلك هو الجَنَفُ في إِثم، وإِن لم يتعمَّد، فهو الجنف دون إِثم[٣]، فالمعنى: مَنْ وعظه في ذلك وردَّه عنه، وأصلح ما بينه وبين ورثَتِهِ، وما بين الورثة في ذاتهم، فلا إِثم عليه؛ ﴿إِنَّ اللَّهَ غفورٌ رَحِيمٌ﴾ بالموصِي، إِذا عملت فيه الموعظة، ورجع عما أراد من الإِذاءة.

وقال ابن عبَّاس وغيره: معنى الآية: ﴿مَنْ خاف﴾، أي: علِم، ورأَىٰ بعد موت الموصِي؛ أن الموصِيَ حَافَ، وجَنَف، وتعمَّد إِذاءة بعض ورثته، ﴿فَأَصْلَحَ﴾ ما بين الورثة، ﴿فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾، وإِن كان في فعله تبديلٌ مَّا؛ لأنه تبديلٌ لمصلحة، والتبديلُ الذي فيه الإِثم إِنما هو تبديلُ الهَوَىٰ[٤].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن

---

(١) تقدم.

(٢) التنزير: تفعيل من النَّزْر، وهو: القليل التافه من كل شيء. والمقصود ألا يقلل من الوصية ولو شيئاً يسيراً.

(٣) أخرجه الطبري (٢/ ١٢٩) برقم (٢٦٩٧) ـ ٢٦٩٨) بإسنادين مختلفين، عن مجاهد. وذكره ابن عطية (١/ ٢٤٩)، والبغوي في تفسيره (١/ ١٤٨)، والسيوطي في «الدر» (١/ ٣٢١)، وعزاه لابن جرير، وعبد بن حميد.

(٤) أخرجه الطبري (٢/ ١٢٩) برقم (٢٦٩٩)، وذكره ابن عطية (١/ ٢٤٩)، والسيوطي في «الدر» (١/ ٣٢٠)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ ﴾

قوله جلَّت قدرته: ﴿يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام...﴾ الآية: ﴿كتب﴾: معناه فُرِضَ، والصيام؛ في اللغة: الإمساك، ومنه قوله سبحانه: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحمَنِ صَوْماً﴾ [مريم: ٢٦] وفي الشرع: إمساكٌ عن الطعام والشراب مقترنةٌ به قرائنُ؛ مِنْ مُراعاة أوقاتٍ، وغير ذلك.

وقوله تعالى: ﴿كما كُتِبَ على الذين من قبلكم﴾: اختلف في موضع التشبيه: قالتْ فرقة: التشبيهُ: كُتِبَ عليكم كصيامٍ قد تقدَّم في شرع غيركم، فـ «الَّذِينَ» عامٌّ في النصارَىٰ[1] وغيرهم.

و ﴿لَعَلَّكُمْ﴾: ترجٍّ في حقهم.

و ﴿تَتَّقُونَ﴾: قيل على العموم؛ لأن الصيام؛ كما قال ﷺ: «جُنَّةٌ[2] ووِجَاءٌ، وسببُ

---

(١) هذا قولٌ، والقول الثاني: أن التشبيه يعود إلى وقت الصوم وإلى قدره، وهذا ضعيف؛ لأن تشبيه الشيء بالشيء يقتضي استواءهما في أمر من الأمور، فأما أن يقال: إنه يقتضي الاستواء في كل الأمور فلا. ثم القائلون بهذا القول ذكروا وجوهاً. **أحدها**: أن اللّه تعالى فرض صيام رمضان على اليهود، والنصارى، أما اليهود فإنها تركت هذا الشهر وصامت يوماً من السنة، وزعموا أنه يوم غرق فيه فرعون، وكذبوا في ذلك أيضاً؛ لأن ذلك اليوم يوم عاشوراء على لسان رسول اللّه ﷺ، أما النصارى فإنهم صاموا رمضان، فصادفوا فيه الحر الشديد، فحولوه إلى وقت لا يتغير، ثم قالوا عند التحويل: نزيد فيه، فزادوا عشراً، ثم بعد زمان اشتكى ملكهم، فنذر سبعاً، فزادوه، ثم جاء بعد ذلك ملك آخر فقال: ما بال هذه الثلاثة، فأتمه خمسين يوماً، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً﴾ [التوبة: ٣١] وهذا مروي عن الحسن. **وثانيها**: أنهم أخذوا بالوثيقة زماناً، فصاموا قبل الثلاثين يوماً وبعدها يوماً، ثم لم يزل الأخير يستسن بسنة القرن الذي قبله حتى صاروا إلى خمسين يوماً، ولهذا كره صوم يوم الشك، وهو مروي عن الشعبي، **وثالثها**: أن وجه التشبيه أنه يحرم الطعام والشراب والجماع بعد النوم كما كان ذلك حراماً على سائر الأمم. واحتج القائلون بهذا القول بأن الأمة مجمعة على أن قوله تعالى: ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم﴾ [البقرة: ١٨٧] يفيد نسخ هذا الحكم، فهذا الحكم لا بد فيه من دليل يدل عليه، ولا دليل عليه إلا هذا التشبية وهو قوله: ﴿كما كتب على الذين من قبلكم﴾، فوجب أن يكون هذا التشبيه دليلاً على ثبوت هذا المعنى، قال أصحاب القول الأول: قد بينا أن تشبيه شيء بشيء لا يدل على مشابهتهما من كل الوجوه، فلم يلزم من تشبيه صومنا بصومهم أن يكون صومهم مختصاً برمضان، وأن يكون صومهم مقدراً بثلاثين يوماً، ثم إن هذه الرواية مما ينفر من قبول الإسلام إذا علم اليهود والنصارى كونه كذلك.

ينظر: **«الفخر الرازي»** (٥/ ٦٠).

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٢٥)، كتاب «الصوم»، باب فضل الصوم حديث (١٨٩٤)، ومسلم (٢/ ٨٠٦) كتاب «الصيام»، باب فضل الصيام حديث (١٦٢/ ١١٥١). ومالك (١/ ٣١٠) كتاب «الصيام»، باب=

تقوَىٰ؛ لأنه يميتُ الشهوات».

و ﴿أياماً معدوداتٍ﴾: قيل: رمضان، وقيل: الثلاثةُ الأيام من كل شهرٍ، ويومُ عاشوراءَ الَّتي نُسخَتْ بشهر رمضان.

* ص *: و ﴿أياماً﴾: منصوبٌ بفعل مقدَّر يدلُّ عليه ما قبله، أي: صوموا أياماً، وقيل: ﴿أيَّاماً﴾: نصب على الظرف[1] انتهى.

= جامع الصيام حديث (٥٨). وأبو داود (١/ ٧٢)، كتاب «الصيام»، باب الغيبة للصائم حديث (٢٣٦٣). وأحمد (٢/ ٤٦٥)، والبيهقي (٤/ ٢٦٩) كتاب «الصيام»، باب الصائم ينزه صيامه عن اللفظة والمشاتمة، والبغوي في **«شرح السنة»** (٣/ ٤٥٣ـ بتحقيقنا)، كلهم من طريق أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة؛ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «الصيامُ جنة، فلا يرفث، ولا يجهل، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه ـ فليقل: إني صائم مرتين ـ، والذي نفسي بيده، لخلوف فم الصائم أطيب عند اللَّه من ريح المسك، يترك طعامه، وشرابه، وشهوته من أجلي، الصيام لي، وأنا أجزي به، والحسنة بعشر أمثالها» لفظ البخاري.
وأخرجه البخاري (٤/ ١٤١) كتاب «الصيام»، باب هل يقول الصائم: إني صائم إذا شتم، حديث (١٩٠٤). ومسلم (٢/ ٨٠٦)، كتاب «الصيام»، باب فضل الصيام، حديث (١٦٣/ ١١٥١). والنسائي (٤/ ١٢٦٣)، كتاب «الصوم»، باب فضل الصوم، وأحمد (٢/ ٢٧٣)، والبيهقي (٤/ ٢٧٠). كلهم من طريق ابن جريج، حدثني عطاء عن أبي صالح، عن أبي هريرة به.
وأخرجه البخاري (١/ ٣٨١)، كتاب «اللباس»، باب ما يذكر في المسك، حديث (٥٩٢٧). ومسلم (٢/ ٨٠٦) كتاب «الصيام»، باب فضل الصيام، حديث (١٦١/ ١١٥١). والترمذي (٣/ ١٣٦)، كتاب «الصوم»، باب ما جاء في فضل الصوم، حديث (٧٦٤). والنسائي (٤/ ١٦٤)، كتاب «الصوم»، باب فضل الصوم. وأحمد (٢/ ٢٨١)، وعبد الرزاق (٤/ ٣٠٦) رقم (٧٨٩١). والبغوي في **«شرح السنة»** (٣/ ٤٥١ـ بتحقيقنا). كلهم من طريق سعيد بن المسيب عن أبي هريرة به.
وقال الترمذي: حديث أبي هريرة حسن غريب من هذا الوجه.
وأخرجه البخاري (١٣/ ٤٧٢) كتاب «التوحيد»، باب قول اللَّه تعالى: ﴿يريدون أن يبدلوا كلام اللَّه﴾ حديث (٧٤٩٢)، ومسلم (٢/ ٨٠٦) كتاب «الصيام»، باب فضل الصيام، حديث (١٦٤/ ١١٥١)، وأحمد (٢/ ٣٩٣، ٤٤٣، ٤٧٧، ٤٨٠).
وابن ماجة (١/ ٥٢٥)، كتاب «الصيام»، باب ما جاء في فضل الصيام حديث (١٦٣٨)، (٢/ ١٢٥٦)، كتاب «الأدب»، باب فضل العمل حديث (٣٨٢٣)، والبغوي في **«شرح السنة»** (٣/ ٤٥ـ بتحقيقنا)، من طريق الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة.
وأخرجه البخاري (١٣/ ٥٢١) كتاب «التوحيد»، باب ذكر النبي ﷺ، وروايته عن ربه حديث (٧٥٣٨)، وأحمد (٢/ ٤٥٧، ٤٦٧، ٥٠٤). والطيالسي (١/ ١٨١ـ منحة) رقم (٨٦٣)، من طريق محمد بن زياد، عن أبي هريرة.
وأخرجه أحمد (٢/ ٥٠٣)، والدارمي (٢/ ٢٥) كتاب «الصيام»، باب فضل الصيام، وأبو يعلى (١٠/ ٣٥٣) رقم (٥٩٤٧)، من طريق محمد بن عمرو عن أبي سلمة، عن أبي هريرة.

(١) وقيل: منصوبٌ بالصيام، ولم يَذْكُرِ الزمخشري غيرَه. ونَظَّرهُ بقولِكَ: «نَوَيْتُ الخروجَ يوم الجمعةِ»، =

وقوله سبحانه: ﴿فمن كان منكم مريضاً أو على سفر﴾: التقدير: فأفْطَرَ، ﴿فَعِدَّةٌ﴾، وهذا يسمونه فَحْوَى[1] الخطابِ، واختلف العلماءُ في حَدِّ المرض الذي يقع به الفطْر، فقال جمهور العلماء: إذا كان به مرضٌ يؤذيه، ويؤلمه أو يخاف تَمادِيَهُ، أو يخافُ من الصوم تزيُّده، صحَّ له الفطْرُ، وهذا مذْهَبُ حُذَّاقِ أصحاب مالكٍ، وبه يناظرونَ، وأما لفظ مالكٍ: فهو المرضُ الَّذي يَشُقُّ على المرء، ويبلغ به، واختلف في الأفضل/ من الفِطْرِ أو الصَّوْمِ، ومذهبُ مالكٍ ٱستحبابُ الصومِ لمن قَدَرَ علَيْه، وتقصيرُ الصَّلاة حَسَنٌ؛ لأن الذمَّة تبرأ في رخصة الصلاة، وهي مشغولةٌ في أمر الصيام، والصوابُ: المبادرةُ بالأعمال. ٤٤ ب

والسَّفَرُ: سفَرُ الطاعةِ؛ كالحجِّ، والجهادِ؛ بإجماع، ويتصلُ بهذَيْن سفَرُ صلَةِ الرَّحِمِ، وطلبِ المعاشِ الضروريِّ.

وأما سفر التجارة، والمباحاتِ، فمختلَفٌ فيه بالمنع، والجواز، والقولُ بالجواز أرجحُ.

= وهذا ليس بشيءٍ، لأنَّه يلزُم الفصلُ بين المصدرِ ومعمولِهِ بأجنبي، وهو قولُه: «كما كُتِبَ» لأنه ليس معمولاً للمصدر على أيِّ تقدير قَدَّرْتَه. فإنْ قِيل: يُجْعَل «كما كُتِبَ» صفةً للصيام، وذلك على رأي مَنْ يُجيز وَصْفَ المعرَّفِ بأل الجنسيةِ بما يَجْرِي مَجْرى النكرةِ فلا يكونُ أجنبياً. قيل: يَلْزُمُ مِنْ ذلك وصفُ المصدرِ قبل ذِكْرِ معمولِهِ، وهو ممتنعٌ.

وقيل: منصوبٌ بالصيام على أنْ تقدِّر الكافَ نعتاً لمصدرٍ من الصيام، كما قد قال به بعضُهم، وإنْ كان ضعيفاً، فيكونُ التقديرُ: «الصيام صوماً كما كُتِبَ» فجاز أن يَعْمل في «أياماً» «الصيامُ» لأنه إذ ذاك عاملٌ في «صوماً» الذي هو موصوفٌ بـ «كما كُتِبَ» فلا يقعُ الفصلُ بينهما بأجنبي بل بمعمولِ المصدرِ.

وقيل: ينتصِبُ بكُتب: إمَّا على الظرف وإمَّا على المفعولِ به توسُّعاً، وإليه نحا الفَراء وتَبِعَهُ أبو البقاء.

قال أبو حيان: «وكِلا القولينِ خطأٌ: أمَّا النصبُ على الظرفِ فإنه محلٌّ للفعل، والكتابةُ ليست واقعةً في الأيام، لكنْ متعلَّقُها هو الواقعُ في الأيام. وأمَّا النصبُ على المفعولِ اتِّساعاً فإنَّ ذلك مبنيٌّ على كونِهِ ظرفاً لكُتِبَ، وقد تقدَّم أنه خطأ. ينظر: **«الدر المصون»** (١/ ٤٦٠).

(١) وهو: مفهوم الموافقة وهو ما كان مدلول اللفظ في محل المسكوت موافقاً لمعناه في محل المنطوق، ويسمى «دلالة النص»، و «فحوى الخطاب»، و «لحن الخطاب».

وقد اتفق الشَّافعية، والحنفية على حجية الفحوى، واشترط الشافعية أولوية المسكوت.

وينظر تفصيل ذلك في: **«البحر المحيط»** للزركشي (٤/٧)، **«البرهان»** لإمام الحرمين (١/ ٤٤٩)، **«الإحكام في أصول الأحكام»** للآمدي (٣/ ٦٢)، **«نهاية السول»** للأسنوي (٢/ ٢٠٢)، **«غاية الوصول»** للشيخ زكريا الأنصاري (٣٧)، **«المنخول»** للغزالي (٢٠٨)، **«حاشية البناني»** (١/ ٢٤٠)، **«الإبهاج»** لابن السبكي (١/ ٣٦٧)، **«الآيات البينات»** لابن قاسم العبادي (٢٠/ ١٥)، **«حاشية العطار على جمع الجوامع»** (١/ ٣١٩)، **«التحرير»** لابن الهمام (٢٩)، **«حاشية التفتازاني والشريف على مختصر المنتهى»** (٢/ ١٧٢)، **«التقرير والتحبير»** لابن أمير الحاج (١/ ١١٢).

وأما سفر العصْيَان، فمختلف فيه بالجوازِ، والمنعِ، والقولُ بالمنع أرجحُ.

ومسافةُ سفر الفطر؛ عند مالك، حيث تقصر الصلاة ثمانيةٌ وأربعون[1] ميلاً.

---

(١) يُبَاحُ للمسافر الفطر في رمضان إذا تحققت الشروط الآتية:
الأول: أن يكون سفره سفر قصر، أي: أن يكون سفراً طويلاً، والسفر الطويلُ: ما كان مرحلتين فأكثر، وهما: سير يومين من غير ليلة على الاعتبار، أو ليلتين بلا يوم كذلك، أو يوم وليلة مع النزول المعتاد، لنحو استراحة، أو أكلٍ أو صلاةٍ، وأن تكون المرحلتان بسير الأثقالِ. أي: الحيوانات المثقلة بالأحمال، والبحر كالبر في اشتراط المسافة المذكورة، فلو قطع الأميال فيه في ساعة مثلاً لشدة جري السفينة بالهواء، فإنه يبيح له الفطر أيضاً؛ لوجودِ المسافةِ الصالحةِ، وَلاَ يَضُرُّ قَطْعُها في زَمَنٍ يَسيرٍ. فإن قيل: إذا قطع المسافة في لحظة صار مقيماً، فكيف يتصور ترخيصه فيها؟
أجيب بأنّهُ لاَ يَلْزَمُ مِن وُصُولِ المَقْصِدِ انتهاءُ الرُّخْصَةِ.
الشرط الثاني: أن يكون سفره في غير معصية بألاَّ يكون عاصياً بالسفر، وهو الذي أنشأ سفره معصية، ولا عاصياً بالسفر في السفر، وهو الذي أنشأ سفره طاعة ثم قلبه معصية. أمَّا العاصي في السفر، وهو من أنشأ سفره طاعة، واستمر كذلك إلاَّ أنه وقعت منه معصية في أثناء سفره؛ فيجوز له الفطر، وَلَمْ يُجَوِّزْ الشارعُ الفطر لمن كان سفره في معصية؛ لأن ذلك يكون إعانة له على المعصية؛ ولأن جواز الفطر رخصة والرخصة لا تُنَاطُ بالمعَاصِي.
وبناءً على هذين الشرطين يمكن أن يُقَالَ: إنَّ المسافر الذي كان سفره في غير معصية، وكان سفره سفر قصر يُبَاحُ له الفطر بالإجماع؛ لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ أي: فله الفطر وعليه عدة من أيام أخر، ولما روت السيدة عائشة ـ رضي اللّه عنها ـ أن حَمْزَةَ بن عمر الأسلمي قال: يَا رَسُولَ اللّهِ أأصُومُ في السَّفرِ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّه ﷺ: «إنْ شِئْت فَصُمْ، وَإنْ شِئْتَ فَأَفْطِرْ». ثُمَّ إن كان المسافر ممن لا يجهده الصوم. أي: لا يتضرر به، فالأفضل له الصوم؛ لِمَا رُوِيَ عن أنس ـ رضي اللّه عنه ـ أنه قال لِلصَّائِمِ فِي السَّفَرِ: «إنْ أَفْطَرْتَ فَرُخْصَةٌ، وَإنْ صُمْت فَأَفْضَلُ». وأنَّهُ لو أفطر عرض الصوم للنسيان، وحوادث الأيَّام؛ ولأن شهر الصوم له أفضلية وَمَزِيَّةٌ عَلَى سائر الأيَّام. وإن كان المسافر ممن يجهده الصوم، أي: يتضرر به فالأفضلُ له الفطر؛ لما روى جابر ـ رضي اللّه عنه ـ أنَّهُ قال: مَرَّ رَسُولُ اللّهِ ﷺ في سفرٍ بِرَجُلٍ تَحْتَ شَجَرةٍ يَرُشُّ عَلَيْهِ المَاءَ، فقَالَ (عليه السَّلام): «مَا بَالُ هَذَا»؟ قَالُوا: صَائِمٌ يَا رَسُولَ اللّه. قَالَ (عَلَيْهِ السَّلام): «لَيْسَ مِنَ البِّر الصِّيَامُ فِي السَّفَرِ».
فَإنْ صَامَ المُسَافِرُ ثمَّ أَرَادَ أَن يُفْطِرَ فَلَهُ أن يُفْطِر؛ لأن العذر قائمٌ، كما لو صام المريضُ وأراد أَنْ يُفْطِرَ.
الشرط الثالث: أَنْ يكوَ السَّفَر سابقاً على الصوم؛ بأن يكون الشروع فيه سابقاً على الشروع في الصوم، كأن يقع السفر بعد الغروب، وقبل الفجر.
أمَّا إذَا كان الشروع في السَّفَرِ بعد الشروع في الصوم، فيحرم عليه الفطر، ويجب الصوم.
وقال المزني: لَهُ أَنْ يُفْطِر، كما لو أَصْبَحَ الصحيحُ صائماً، ثُمَّ مَرِضَ. والمذهب الأوَّلُ، وهو وجوبُ الصَّوْم وَعَدم جواز الفطر. دليلُ ذَلِكَ: أَنَّهُ عِبَادَةٌ اجتمع فيها سَفَرٌ وَحَضَرٌ، وَكُل عِبَادةٍ يَجْتَمِعُ فيها سَفَرٌ وَحَضَرٌ يَغْلبُ جانب الحضر؛ لأنَّهُ الأصْلُ.
وعلى الأول: لو جامع فيه لزمه الكفارةُ؛ لأنَّه يوم من رمضان هو صائمٌ فيه صوماً لاَ يَجُوزُ فيه الفطر.
الشرط الرابع: أَنْ يرجو المسافرُ إقامةً يقضي فيها ما أفطره من أيام سفره، فإن لم يرجُ إقامة يقضي فيها ما=

٣٧٦ ـــــــ

الناس؛ مَنْ أراد أن يصوم، صام، ومن أراد أن يفطر أطعم مسكيناً، وأفطر، ثم نسخ ذلك بقوله سبحانه: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾[1] [البقرة: ١٨٥]. وقالتْ فرقةٌ: الآية في الشيوخ الذي يطيقونه بتكلُّف شديدٍ[2]، والآيةُ عند مالك: إنما هي فيمَنْ يدركه رمضانٌ ثانٍ، وعليه صومٌ من المتقدِّم، فقد كان يطيق في تلك المدة الصوْمَ، فتركه، والفديةُ عند مالك وجماعةٍ من العلماء: مُدٌّ لكلِّ مسكين.

وقوله تعالى: ﴿فمن تطوع خَيْراً فهو خَيْرٌ له...﴾ الآية: قال ابنُ عَبَّاس وغيره: المراد مَنْ أطعم مسكينَيْنِ فصاعدًا[3]، وقال ابن شِهَابٍ[4]: من زاد الإطعام مع .....

---

(١) أخرجه الطبري (٢/ ١٣٩) برقم (٢٧٤٧)، وقال أحمد شاكر في **«عمدة التفاسير»** (٣/ ٤٢١): «عمر بن المثنى» هكذا في المطبوعة، وأنا أرجح أن يكون صوابه «محمد بن المثنى»، شيخ الطبري الذي يروي عنه كثيراً. ولم أجد من يسمى «عمر بن المثنى» إلا رجلاً واحداً ذكر في **«التهذيب»**، و **«لسان الميزان»**، على أنه من التابعين ثم لم أجترىء على تصحيحه هذا، لاحتمال أن يكون من شيوخ الطبري الذين لم نجد تراجمهم.

عبد الوهاب: هو ابن عبد المجيد الثقفي.

عبد اللَّه: هو ابن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب، عرف بلقب «العمري» وهو ثقة مترجم في **«التهذيب»**، وابن أبي حاتم (٢/ ٢/ ١٠٩ ـ ١١٠)، ومن المحتمل أن يكون في المطبوعة خطأ، وأن يكون صوابه «عبيد اللَّه» بالتصغير، وهو أخو عبد اللَّه أكبر منه، وأوثق عند أئمة الجرح والتعديل، وهو أحد الفقهاء السبعة. مترجم في **«التهذيب»**، وابن أبي حاتم (٢/ ٢/ ٣٢٦ ـ ٣٢٧)، وهو وأخوه يشتركان في كثير من الشيوخ، منهم: «نافع مولى ابن عمر»، وإنما ظننت هذا الاحتمال؛ لأن الحديث مروي من حديث «عبيد اللَّه».

فرواه البيهقي في **«السنن الكبرى»** (٤/ ٢٠٠)، من طريق عبد الوهاب الثقفي، عن عبيد اللَّه بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر. ورواه البخاري مختصراً (٤/ ١٦٤، ٨/ ١٣٦) من طريق عبد الأعلى، وهو ابن عبد الأعلى، عن عبيد اللَّه، عن نافع، عن ابن عمر.

ورواه البيهقي أيضاً من أحد طريقي البخاري.

والحديث صحيح بكل حال .اهـ.

وذكره السيوطي في **«الدر»** (١/ ٣٢٥)، وعزاه لوكيع، وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة في **«المصنف»**، والبخاري، وابن جرير، وابن المنذر، والبيهقي في **«سننه»**. وذكره ابن عطية (١/ ٢٥٢)، عن ابن عمر، والشعبي، وسلمة بن الأكوع، وابن شهاب، ومعاذ بن جبل، وعلقمة، والنخعي، والحسن البصري.

(٢) وذكره ابن عطية في **«تفسيره»** (١/ ٢٥٢).

(٣) أخرجه الطبري (٢/ ١٤٨) برقم (٢٨٠٢) عن ابن عباس بلفظ: «فزاد طعام مسكين آخر»، وذكره ابن عطية (١/ ٢٥٣)، والسيوطي في **«الدر»** (١/ ٣٢٧)، عن طاوس بلفظ: «إطعام مساكين»، وعزاه لعبد بن حميد .اهـ.

(٤) محمد بن مُسْلم بن عُبَيْد اللَّه بن عبد اللَّه بن شِهَاب بن عبد اللَّه بن الحارث بن زُهرة القرشي، =

الصوم[١]، وقال مجاهدٌ: مَنْ زاد في الإطعام على المُدِّ[٢]، و ﴿خَيْراً﴾ الأول قد نُزِّل منزلة مالٍ، أو نفعٍ، و ﴿خَيْرٌ﴾ الثاني والثالثُ صفةُ تفضيلٍ.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ كنتم تعلَمُونَ﴾ يقتضي الحضَّ على الصوْمِ، أي: فاعلموا ذلك وصوموا.

* ت *: وجاء في فضل الصومِ أحاديثُ صحيحةٌ مشهورةٌ، وحدث أبو بكر بْنُ الخَطِيبُ بسنده عن سهل بن سعد الساعديِّ[٣] عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ صَامَ يَوْماً تَطوُّعاً، لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ أَحَدٌ، لَمْ يَرْضَ اللَّهُ لَهُ بِثَوَابٍ دُونَ الجَنَّةِ»[٤]، قال: وبهذا الإِسناد عن أبي هريرة عن النبيِّ ﷺ بمثله. انتهى[٥].

= الزهري، أبو بكر المدني، أحد الأئمة الأعلام وعالم الحجاز والشام. عن ابن عمر، وسهل بن سعد، وأنس، ومحمود بن الربيع، وابن المُسَيِّب وخلق. وعنه أَبَان بن صالح، وأيوب، وإبراهيم بن أبي عَبْلة، وجعفر بن بُرْقان، وابن عيينة، وابن جريج، والليث، ومالك وأمم. قال ابن المديني: له نحو ألفي حديث. قال ابن شهاب: ما استودعت قلبي شيئاً فنسيته. وقال الليث: ما رأيت عالماً قط أجمع من ابن شهاب. وقال أيوب: ما رأيت أعلم من الزهري. وقال مالك: كان ابن شهاب من أسخى الناس وتَقِيًّا، ما له في الناس نظير. قال إبراهيم بن سعد: مات سنة أربع وعشرين ومائة.
ينظر: **«تهذيب الكمال»** (٣/ ١٢٦٩)، و **«تهذيب التهذيب»** (٩/ ٤٤٥)، و **«تقريب التهذيب»** (٢/ ٢٠٧)، و **«خلاصة تهذيب الكمال»** (٢/ ٤٥٧)، و **«الكاشف»** (٣/ ٩٦)، و **«تاريخ البخاري الكبير»** (١/ ٢٢٠)، و **«تاريخ البخاري الصغير»** (١/ ٥٦، ٣٢٠)، و **«الجرح والتعديل»** (٨/ ٣١٨).

(١) أخرجه الطبري (٢/ ١٤٩) برقم (٢٨١٣)، وذكره ابن عطية (١/ ٢٥٣).

(٢) أخرجه الطبري (٢/ ١٤٩) برقم (٢٨١٤)، وذكره ابن عطية (١/ ٢٥٣)، والبغوي في **«التفسير»** (١/ ١٥٠).

(٣) هو: سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة بن كعب. أبو العباس. وقيل: أبو يحيى، الأنصاري، الساعدي.
قال ابن الأثير في **«الأسد»**: شهد قضاء رسول الله ﷺ في المتلاعنين، وأنه فرق بينهما، وكان اسمه حزناً، فسماه رسول الله ﷺ سهلاً. قال الزهري: رأى سهل بن سعد النبي ﷺ وسمع منه، وذكر أنه كان له يوم توفي النبي ﷺ خمس عشرة سنة. توفي سنة (٨٨) وله (٩٦) سنة.
ينظر ترجمته في: **«أسد الغابة»** (٢/ ٤٧٢)، **«الإصابة»** (٣/ ١٤٠)، **«الكاشف»** (١/ ٤٠٧)، **«تجريد أسماء الصحابة»** (١/ ٢٤٤)، **«الثقات»** (٣/ ١٦٨)، **«الاستيعاب»** (٢/ ٦٦٤)، **«تهذيب الكمال»** (١/ ٥٥٥)، **«تهذيب التهذيب»** (٤/ ٢٥٢)، **«تقريب التهذيب»** (١/ ٣٣٦)، **«الجرح والتعديل»** (٤/ ٨٥٣)، **«شذرات الذهب»** (١/ ٦٣)، **«الرياض المستطابة»** (١١٠)، **«الأعلام»** (١/ ١٤٣).

(٤) أخرجه الخطيب في **«تاريخ بغداد»** (١/ ٢٧٨)، عن سهل بن سعد الساعدي.

(٥) ينظر المصدر السابق.

قال ابن عبد البَرِّ في كتابه المسمَّىٰ بـ «**بهجة المَجالِسِ**» قال أبو العالية: الصائمُ في عبادةٍ ما لم يغتَبْ.

قال الشيخُ الصالحُ أبو عبد اللَّه محمَّد البلاليُّ الشافعيُّ في «**اختصاره للإحياء**»: وذكر السُّبْكِيُّ[1] في شرحه؛ أن الغِيبَةَ تمنع ثوابَ الصوْمِ إجماعاً، قال البلاليُّ: وفيه نظر؛ لمشقَّة الاحتراز، نعم، إن أكثر، توجَّهت المقالة. انتهى، وهذا الشيخ البلاليُّ لقيتُهُ، ورويتُ عنه كتابه هَذَا.

وصحَّ عنه ﷺ؛ أنَّهُ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ، فُتِحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ»[2] قال أبو عمر في «**التمهيد**»[3]: وذلك لأن الصوْمَ جُنَّةٌ يستجنُّ بها العَبْدُ من النار، وتُفْتَحُ لهم أبوابُ الجنة؛ لأن أعمالهم تزكُو فيه، وتُقْبَل منهم، ثم أسند أبو عمر عن أبي هريرة، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «أُعْطِيَتْ أُمَّتِي خَمْسَ خِصَالٍ فِي رَمَضَانَ، لَمْ تُعْطَهُنَّ أُمَّةٌ قَبْلَهَا: خُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ/ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، وَتَسْتَغْفِرُ لَهُمُ المَلاَئِكَةُ حَتَّىٰ يُفْطِرُوا، وَيُزَيِّنُ اللَّهُ لَهُمْ كُلَّ يَوْمٍ جَنَّتَهُ، ثُمَّ يَقُولُ: يُوشِكُ عِبَادِي الصَّائِمُونَ أَنْ يُلْقُوا عَنْهُمُ المَئُونَةَ، وَالأَذَىٰ، ثُمَّ يَصِيرُونَ إِلَيْكِ، وَتُصَفَّدُ[4] فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ، فَلاَ يَخْلُصُونَ إِلَىٰ مَا كَانُوا يَخْلُصُونَ إِلَيْهِ فِي غَيْرِهِ، ويَغْفِرُ لَهُمْ آخِرَ لَيْلَةٍ، قيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَهِيَ لَيْلَةُ القَدْرِ؟ ٤٥ أ

---

(١) علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام، الأنصاري، الخزرجي، الشيخ الإمام الفقيه، المحدث، الحافظ، المفسر، المقرىء، الأصولي، المتكلم، النحوي، اللغوي، الأديب الحكيم، المنطقي، الجدلي، الخلافي، النظار، شيخ الإسلام، قاضي القضاة تقي الدين السبكي، ولد بسبك من أعمال الشرقية في صفر سنة ثلاث وثمانين وستمائة. قال ابن الرفعة: إمام الفقهاء ومصنفاته تزيد على المائة والخمسين. توفي في جمادى الآخرة سنة ست وخمسين وسبعمائة.
ينظر: «**ابن قاضي شهبة**» (٣/ ٦٠٣)، و «**الدرر الكامنة**» (٣/ ٥٨)؛ و «**شذرات الذهب**» (٦/ ١٨٧).

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٣٥) كتاب «الصوم»، باب هل يقال: رمضان، أو شهر رمضان، حديث (١٨٩٨، ١٨٩٩)، ومسلم (٢/ ٧٥٨)، كتاب «الصيام»، باب فضل شهر رمضان، حديث (١، ٢/ ١٠٧٩). والنسائي (٤/ ١٢٦ ـ ١٢٧)، كتاب «الصيام»، باب فضل شهر رمضان، وأحمد (٢/ ٣٥٧، ٤٠١)، والدارمي (٢/ ٢٦)، كتاب «الصوم»، باب في فضل شهر رمضان، وابن حبان (٣٤٣٤)، والبيهقي (٤/ ٢٠٢) كتاب «الصيام»، باب ما روي في كراهية قول القائل: جاء رمضان، وذهب رمضان. والبغوي في «**شرح السنة**» (٣/ ٤٤٦ـ بتحقيقنا)، من حديث أبي هريرة مرفوعاً.

(٣) ينظر: «**التمهيد**» (١٦/ ١٥٣).

(٤) صَفَدَه يصْفِدُه صَفْداً وصُفُوداً وصفَّده: أوثقه، وشدّه وقيَّده في الحديد وغيره، وكذلك التصفيد.
ينظر: «**لسان العرب**» (٢٤٥٧).

قَالَ: لاَ، ولَكِنَّ العَامِلَ إِنَّمَا يُوَفَّىٰ أَجْرَهُ إِذَا ٱنْقَضَى»[١]، قال أبو عمر: وفي سنده أبو المِقْدام، فيه ضعف، ولكنَّه محتملٌ فيما يرويه من الفضائل.

وأسند أبو عمر عن الزهْريّ، قال: «تسبيحةٌ في رمَضَان أفضلُ من ألفِ تسبيحةٍ في غيره». انتهى.

* ت *: وخرَّجه الترمذيُّ عن الزهري قال: «تَسْبِيحَةٌ فِي رَمَضَانَ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ تسبيحةٍ في غيره»[٢]. انتهى.

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رمضانَ الذي أنزل فيه القرآن﴾: الشَّهْرُ: مشتقٌّ من الاشتهار.

قال * ص *: الشهر مصْدَرُ: شَهَر يَشْهر، إذا ظهر، وهو اسم للمدَّة الزمانيَّة، وقال الزجَّاج: الشَّهْر: الهلالُ، وقيل: سمِّي الشهْرُ باسمِ الهلالِ. انتهى.

ورَمَضَانُ: عَلِقَهُ هذا الاسمُ من مُدَّة كان فيها في الرَّمَضِ، وشدَّة الحَرِّ، وكان اسمه قبل ذلك نَاثراً[٣].

واختلف في إنزال القرآن فيه، فقال الضَّحَّاك: أنزل في فَرْضِهِ، وتعظيمِهِ، والحضِّ

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٩٢)، والبزار (١/ ٤٥٨ـ كشف) رقم (٩٦٣)، من طريق هشام بن زياد، عن محمد بن محمد بن الأسود، عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعاً.
وقال البزار: لا نعلمه عن أبي هريرة مرفوعاً، إلا بهذا الإسناد، وهشام بصري يقال له: هشام بن زياد أبو المقدام، حدث عنه جماعة من أهل العلم، وليس هو بالقوي في الحديث.
والحديث ذكره الهيثمي في «**مجمع الزوائد**» (٣/ ١٤٣)، وقال: رواه أحمد، والبزار، وفيه هشام بن زياد أبو المقدام، وهو ضعيف .اهـ.
وذكره الحافظ في «**المطالب العالية**» (٩٣٢)، وعزاه لأحمد بن منيع في «**مسنده**».

(٢) ذكره السيوطي في «**الدر**» (١/ ٣٤١)، عن الزهري، وعزاه للأصبهاني.

(٣) الصواب كما في «**اللسان**» (٤٣٣٧) «ناتقاً»، قال ابن منظور: «وناتق: شهر رمضان»، وحكاه عن ابن سيده وغيره.

عليه[١]، وقيل: بدىء بنُزُوله فيه علَى النبيِّ ﷺ وقال ابنُ عبَّاس فيما يؤثر: أنزل إلى السماء الدنيا جملةً واحدةً ليلةَ أربعٍ وعشرينَ من رمَضَان، ثم كان جبريلُ ينزله رِسْلاً رِسْلاً في الأوامر، والنواهي، والأسباب[٢]، وروى وَاثِلَةُ بن الأَسْقَع عن النبيِّ ﷺ؛ أَنَّهُ قَالَ: «نَزَلَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ أَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَالتَّوْرَاةُ لِسِتٍّ مَضَيْنَ مِنْهُ، وَالإِنْجيلُ لِثَلاَثَ عَشْرَةَ، وَالْقُرْآنُ لِأَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ»[٣].

و﴿هُدًى﴾ في موضع نصبٍ على الحال من القُرآن، فالمراد أن القرآن بجملته مِنْ مُحْكَم ومتشابِهٍ وناسخٍ ومنسوخ ـ هُدًى ثم شُرِّفَ، بالذِّكْر، والتخصيصِ البيناتُ منه، يعني: الحلالَ والحرامَ والمواعظَ والمُحْكَمَ كلّه، فالألفُ واللامُ في الهُدَىٰ للعهْدِ، والمراد الأول.

قال * ص *: ﴿هُدًى﴾: منصوبٌ على الحال، أي: هادياً، فهو مصدرٌ وضع موضعَ ٱسْمِ الفاعلِ، وذو الحال القُرآن، والعاملُ «أنزل». انتهى.

و ﴿الفُرْقَانُ﴾: المُفَرِّق بين الحق والباطل، و ﴿شَهِدَ﴾: بمعنى حَضَر، والتقدير: مَنْ حضر المِصْرَ في الشَّهْر، فالشهر نصْبٌ على الظرف.

وقوله سبحانه: ﴿يريدُ اللَّه بكُمُ اليُسْر ولا يريد بكم العُسْر﴾.

قال مجاهد، والضَّحَّاك: اليُسْر: الفِطْر في السفر، والعسر: الصوم في السفر[٤].

* ع[٥] *: والوجْهُ عمومُ اللفظِ في جميع أمورِ الدينِ، وقد فسر ذلك قول النبيِّ ﷺ: «دِينُ اللَّهِ يُسْرٌ».

قلتُ: قال ابْنُ الفاكهانيِّ في «**شرح الأربعينَ**» للنَّوويِّ: فإن قلْتَ: قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً. . .﴾ [الشرح: ٦] الآيَةَ: يدلُّ على وقوع العُسْر قطعاً، وقوله تعالى: ﴿يريدُ

---

(١) ذكره ابن عطية في «**التفسير**» (١/ ٢٥٤).

(٢) ذكره ابن عطية في «**التفسير**» (١/ ٢٥٤).

(٣) ذكره السيوطي في «**الدر المنثور**» (١/ ٣٤٣) وعزاه لابن جرير الطبري.

(٤) أخرجه أحمد (٤/ ١٠٧) من حديث واثلة، وذكره الهيثمي في «**مجمع الزوائد**» (١/ ٢٠٢)، وقال: رواه أحمد، والطبراني في «**الكبير**» و «**الأوسط**»، وفيه عمران بن داود القطان، ضعفه يحيى، ووثقه ابن حبان، وقال أحمد: أرجو أن يكون صالح الحديث. وبقية رجاله ثقات.

(٥) ذكره ابن عطية في «**التفسير**» (١/ ٢٥٥).

(٦) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (١/ ٢٥٥).

اللَّه بكم اليُسْرَ ولا يريد بكم العُسْر﴾ يدلُّ على نفي العسرِ قطعاً؛ لأن ما لا يريده تعالى، لا يكون بإجماع أهل السنة، قلْتُ: العسرُ المنفيُّ غير المثبت، فالمنفيُّ: إنما هو العسر في الأحكام، لا غير، فلا تعارض. انتهى.

وترجم البخاريُّ في «**صحيحه**» قولَ النبيِّ ﷺ: «يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا»، وَكَانَ يُحِبُّ التَّخْفِيفَ وَاليُسْرَ عَلَى النَّاسِ. ثم أسند هو ومسلمٌ عن أنس، قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا، وَسَكِّنُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا»[1] وأسند البخاريُّ ومسلم عن النبيِّ ﷺ/ ؛ أنه قال لأبِي مُوسَىٰ، ومعاذٍ[2]: «يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا»[3]. قال البخاريُّ: حدَّثنا أبو النعمان[4]، قال: ٤٥ ب

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ١٩٦) كتاب «العلم»، باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة، حديث (٦٩)، (١٠/ ٥٢٤) كتاب «الأدب»، باب قول النبي ﷺ: «يسروا ولا تعسّروا» حديث (٦١٢٥)، وفي «**الأدب المفرد**» رقم (٤٦٩)، ومسلم (٣/ ١٣٥٩) كتاب «الجهاد والسير»، باب في الأمر بالتيسير، وترك التنفير، حديث (٨/ ١٨٣٤). وأحمد (٣/ ١٣١، ٢٠٩)، وأبو يعلى (٧/ ١٨٧) رقم (٤١٧٢)، والبغوي في «**شرح السنة**» (٥/ ٣١٥ـ بتحقيقنا)، من طريق أبي التياح عن أنس مرفوعاً.

(٢) هو: معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي بن كعب بن عمرو بن أُدَيّ بن علي بن أسد بن ساردة.. أبو عبد الرحمن، الخزرجي، الأنصاري. ثم الجشمي.
هو من صحابة رسول اللَّه ﷺ وقد روى عنه من الصحابة عمر، وابنه عبد اللَّه، وأبو قتادة، وعبد اللَّه بن عمر، وأنس بن مالك، وأبو ليلى الأنصاري، ومن التابعين جنادة بن أبي أمية، وعبد الرحمن بن علم؛ وأبو إدريس وغيرهم. توفي قيل: في طاعون «عمواس» سنة (١٨ أو ١٧) وله (٣٨) سنة وقيل: (٣٣)، وقيل: (٣٤).
تنظر ترجمته في: «**أسد الغابة**» (٥/ ١٩٤)، «**الإصابة**» (٦/ ١٠٦)، «**الثقات**» (٣/ ٣٦٨)، «**تجريد أسماء الصحابة**» (٢/ ٨٠)، «**بقي بن مخلد**» (٢٦)، «**الاستيعاب**» (٣/ ١٤٠٢)، «**الاستبصار**» (٤٨، ٧١، ١٢٦)، «**شذرات الذهب**» (١/ ٣٠، ٦٢، ٦٣)، «**الجرح والتعديل**» (٨/ ٤٤)، «**غاية النهاية**» (٢/ ٣٠١)، «**العبر**» (١/ ٧٨)، «**تهذيب التهذيب**» (١٠/ ١٨٦)، «**تهذيب الكمال**» (٣/ ١٣٣٨)، «**سير أعلام النبلاء**» (١/ ٤٤٣)، «**المصباح المضيء**» (١/ ٦٦)، «**الأعلام**» (٧/ ٢٥٨)، «**الطبقات الكبرى**» (٩/ ١٨٤).

(٣) أخرجه البخاري (٧/ ٦٦٠)، كتاب «المغازي»، باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع، حديث (٤٣٤٥)، ومسلم (٣/ ١٣٥٩)، كتاب «الجهاد والسير»، باب في الأمر بالتيسير، وترك التنفير، وأحمد (٤/ ٤٠٩).

(٤) تصحف في المطبوعة إلى «أبو اليمان»، وأبو النعمان هو: محمد بن الفضل السَّدوسي، أبو النُّعمان البصري، الحافظ الملقب بـ «عارم». عن الحمَّادَيْن، ومهدي بن ميمون، وَوُهيب بن خالد، وخلق. وعنه البخاري، وأحمد بن حنبل، ومحمد بن يحيى، وَعَبْد بن حُمَيد وخلق. اختلط عارِم. قال أبو حاتم: ثقة، من سمع منه قبل سنة عشرين ومائتين، فسماعه جيد. قال عاصم بن عمر المُقَدَّمي: مات سنة أربع وعشرين ومائتين.
ينظر: «**الخلاصة**» (٢/ ٤٤٩)، و «**تهذيب التهذيب**» (٩/ ٤٠٢)، و «**الكاشف**» (٣/ ٨٩)، و «**التقريب**» (٢/ ٢٠٠)، و «**المغني**» (٥٩٠٣).

حدَّثنا حمَّاد بْنُ زَيْدٍ[١]، عن الأزرقِ بْن قَيْسٍ[٢]. قال: «كُنَّا عَلَىٰ شَاطِىءِ نَهْرٍ بِالْأَهْوَاز[٣] قَدْ نَضَبَ عَنْهُ المَاءُ، فَجَاءَ أَبُو بَرْزَةَ الأَسْلَمِيُّ[٤] عَلَىٰ فَرَسٍ، فَصَلَّىٰ وَخَلَّىٰ فَرَسَهُ، فَانْطَلَقَ الفَرَسُ فَتَرَكَ صَلاتَهُ، وَتَبِعَهَا؛ حَتَّىٰ أَدْرَكَهَا، فَأَخَذَهَا، ثُمَّ جَاءَ، فَقَضَىٰ صَلاتَهُ، وفِينَا رَجُلٌ لَهُ رَأْيٌ، فَأَقْبَلَ يَقُولُ: انْظُرُوا إِلَى هَذَا الشَّيْخِ، تَرَكَ صَلاتَهُ مِنْ أَجْلِ فَرَسٍ، فَأَقْبَلَ، فَقَالَ: مَا عَنَّفَنِي أَحَدٌ مُنْذُ فَارَقْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: وَقَالَ: إِنَّ مَنْزِلِي مُنْزَاحٌ، فَلَوْ صَلَّيْتُ وَتَرَكْتُهُ، لَمْ آتِ أَهْلِي إِلَى اللَّيْلِ، وذكَر أَنَّهُ قَدْ صَحِبَ النَّبِيَّ ﷺ فَرَأَىٰ من تَيْسِيرِهِ[٥]. انتهى.

وقوله تعالى: ﴿ولتكملوا العدة﴾: معناه: ولْيُكْمِلْ من أَفْطَرَ في سفره، أو في مرضه عدَّةَ الأيام التي أفطر فيها.

---

(١) حماد بن زيد بن دِرْهَم الأزدي، أبو إسماعيل الأزرق، البصري، الحافظ، مولى جرير بن حازم، وأحد الأعلام. عن أنس بن سيرين، وثابت، وعاصم بن بَهْدَلة، وابن وَاسِع، وأيوب وخلق كثير. وعنه إبراهيم بن أبي عَبْلة، والثوري، وابن مَهْدي، وأبو الرَّبِيع الزَّهْرَاني وابن المَدِيني وخلائق. قال ابن مَهْدِي: ما رأيت أحفظ منه، ولا أعلم بالسنة، ولا أفقه بـ «البصرة» منه. وقال أحمد: من أئمة المسلمين. قال خالد بن خِدَاش: توفي سنة سبع وتسعين ومائة عن إحدى وثمانين سنة.
ينظر: **«الخلاصة»** (١/ ٢٥١)، و **«تهذيب التهذيب»** (٣/ ٩)، و **«التقريب»** (١/ ١٩٧)، و **«الكاشف»** (١/ ٢٥١)، و **«الثقات»** (٦/ ٢١٧).

(٢) أزرق بن قَيس الحَارِثي بلْحَارِث بن كَعْب بصري. عن أبي بَرْزة وعبد اللَّه بن عمرٍو وأنس. وعنه الحمَّادان وشعبة، ووثقه النسائي. قال الذهبي: بقي إلى حدود العشرين ومائة.
ينظر: **«الخلاصة»** (١/ ٦٤)، و **«تهذيب التهذيب»** (١/ ٢٠٠)، و **«التقريب»** (١/ ٥١)، و **«الكاشف»** (١/ ١٠٢)، و **«الثقات»** (٤/ ٦٢).

(٣) أصله أحواز جمع «حَوْز» أبدلته الفرس؛ لأنه ليس في كلامهم حاء، وكان اسمها في أيام الفرس «خوزستان». وقيل: اسمها هُرْمُز شَهر، وأهل هذه البلاد بأسرها يقال لهم الحوز. ينظر: **«مراصد الاطلاع»** (١/ ١٣٥).

(٤) أبو برزة الأسلمي. قال ابن الأثير في **«الأسد»**: اختلف في اسمه واسم أبيه وأصح ما قيل فيه: نضلة بن عبيد قاله أحمد بن حنبل وابن معين، وقال غيرهما: نضلة بن عبد اللَّه ويقال: نضلة بن عابد، وقال الخطيب أبو بكر عن الهيثم بن عدي: اسم أبي برزة خالد بن نضلة. نزل البصرة وله بها دار وسار إلى خراسان فنزل مرو وعاد إلى البصرة.
ينظر ترجمته في: **«أسد الغابة»** (٦/ ٣١)، **«الإصابة»** (٦/ ٢٣٧)، **«تجريد أسماء الصحابة»** (٢/ ١٥١)، **«بقي بن مخلد»** (١٢٣)، **«الاستيعاب»** (٤/ ١٦١٠)، **«تقريب التهذيب»** (٢/ ٢٩٤)، **«تهذيب التهذيب»** (٢/ ٢٠)، **«تهذيب الكمال»** (٣/ ١٥٨٠)، **«المصباح المضيء»** (١/ ٢٠٨)، **«التاريخ الصغير»** (١/ ١٢٨)، **«الكنى والأسماء»** (١٩)، **«التاريخ لابن معين»** (٢/ ١٥١)، **«التاريخ الكبير»** (٩/ ٩٢)، **تبصير المنتبه»** (٤/ ١٤٧٢).

(٥) أخرجه البخاري (١٠/ ٥٤١)، كتاب «الأدب»، باب قول النبي ﷺ: «يسِّروا ولا تعسروا» حديث (٦١٢٧).

٣٨٤ ـــــــ

* ت *: وليس هذا بٱختلافِ قولٍ.

قال ابن رُشْدٍ في «**البيان**»: الدعاءُ عبادةٌ من العبادات يؤجر فيها الأجر العظيم، أَجيبَتْ دعوته فيما دعا به، أو لم تُجَبْ، وهأنا أنقل، إن شاء اللَّه، من صحيح الأحاديث في هذا المَحَلِّ ما يَثْلَجُ له الصَدْرُ، وعن أنسٍ ـ رضي اللَّه عنه ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لاَ تَعْجِزُوا عَنِ الدُّعَاءِ؛ فَإِنَّهُ لَنْ يَهْلِكَ مَعَ الدُّعَاءِ أَحَدٌ» رواه الحاكم أبو عبد اللَّه في «**المُسْتَدْرَكِ**» على الصحيحين، وابن حِبَّانَ في «**صحيحه**»، واللفظ له، وقال الحاكم: صحيحُ الإسناد[1]، وعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الدُّعَاءُ: سِلاَحُ المُؤْمِنِ، وَعِمَادُ الدِّينِ، وَنُورُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ» رواه الحاكم في «**المستدرك**»، وقال: صحيحٌ[2]، وعن جابرِ بن عبدِ اللَّهِ ـ رضي اللَّه عنهما ـ عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «يَدْعُو اللَّهُ بِالمُؤْمِنِ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّىٰ يُوقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَيَقُولُ: عَبْدِي، إِنِّي أَمَرْتُكَ؛ أَنْ تَدْعُونِي، وَوَعَدْتُكَ أَنْ أَسْتَجِيبَ لَكَ، فَهَلْ كُنْتَ تَدْعُونِي، فَيَقُولُ: نَعَمْ، يَا رَبِّ،/ فَيَقُولُ: أَمَا إِنَّكَ لَمْ ١٤٦أ
تَدْعُنِي بِدَعْوَةٍ إِلاَّ ٱسْتَجَبْتُ لَكَ، أَلَيْسَ دَعَوْتَنِي يَوْمَ كَذَا وَكَذَا لِغَمٍّ نَزَلَ بِكَ؛ أَنْ أُفَرِّجَ عَنْكَ فَفَرَّجْتُ عَنْكَ؟! فَيَقُولُ: نَعَمْ، يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: فَإِنِّي عَجَّلْتُهَا لَكَ فِي الدُّنْيَا، وَدَعَوْتَنِي يَوْمَ كَذَا وَكَذَا لِغَمٍّ نَزَلَ بِكَ، أَنْ أُفَرِّجَ عَنْكَ، فَلَمْ تَرَ فَرَجاً؟ قَالَ: نَعَمْ، يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: إِنِّي ٱدَّخَرْتُ لَكَ بِهَا فِي الجَنَّةِ كَذَا وَكَذَا [و] كَذَا وَكَذَا، وَدَعَوْتَنِي فِي حَاجَةٍ أَقْضِيهَا لَكَ فِي يَوْمِ كَذَا وَكَذَا، فَقَضَيْتُهَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ، يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: فَإِنِّي عَجَّلْتُهَا لَكَ فِي الدُّنْيَا، وَدَعَوْتَنِي فِي يَوْمِ كَذَا وَكَذَا فِي حَاجَةٍ أَقْضِيهَا لَكَ، فَلَمْ تَرَ قَضَاءَهَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ، يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: إِنِّي ٱدَّخَرْتُ لَكَ فِي الجَنَّةِ كَذَا وَكَذَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَلاَ يَدَعُ اللَّهُ دَعْوَةً دَعَا بِهَا عَبْدُهُ المُؤْمِنُ إِلاَّ بَيَّنَ لَهُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ عَجَّلَ لَهُ فِي الدُّنْيَا، وإِمَّا أَنْ يَكُونَ ٱدَّخَرَ لَهُ فِي الآخِرَةِ، قَالَ: فَيَقُولُ المُؤْمِنُ فِي ذَلِكَ المَقَامِ: يَا لَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ عُجِّلَ لَهُ شَيْءٌ مِنْ دُعَائِهِ»، رواه الحاكم في «**المستدرك**»[3].

---

(١) أخرجه ابن حبان (٣/ ١٥٢ ـ ١٥٣) رقم (٨٧١)، والحاكم (١/ ٤٩٣ـ ٤٩٤)، من طريق عمر بن محمد الأسلمي، عن ثابت عن أنس مرفوعاً.

(٢) أخرجه الحاكم (١/ ٤٩٢)، وابن عدي في «**الكامل**» (٦/ ٢١٨١)، وأبو يعلى (١/ ٣٤٤) رقم (٤٣٩). كلهم من طريق محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده، عن علي مرفوعاً. وليس عن أبي هريرة؛ كما ذكره المؤلف. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح، ووافقه الذهبي، والحديث ذكره الهيثمي في «**مجمع الزوائد**» (١٠/ ١٥٠)، وقال: رواه أبو يعلى، وفيه محمد بن الحسن بن أبي يزيد، وهو متروك.

(٣) أخرجه الحاكم (١/ ٤٩٤)، وأبو نعيم في «**الحلية**» (٦/ ٢٠٨)، من طريق الفضل بن عيسى، عن=

وعن ثَوْبَانَ ـ رضي اللَّه عنه ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لاَ يَرُدُّ القَدَرِ إلاَّ الدُّعَاءُ»، رواه الحاكمُ في «**المستدرك**» وابنُ حِبَّانَ في «**صحيحه**»، واللفظ للحاكمِ، وقال: صحيحُ الإِسناد[1].

قلت: وقد أخرج ابن المبارك في «**رقائقه**» هذا الحديثَ أيضاً، قال: حدَّثنا سفيانُ، عن عبد اللَّه بن عيسى عن عبد اللَّه بن أبي الجَعْد[2]، عن ثَوْبَان[3]، قال: قَال رسُولُ

= محمد بن المنكدر، عن جابر مرفوعاً.

وقال الحاكم: هذا حديث تفرد به الفضل بن عيسى الرقاشي، ومحله محل من لا يتهم بالوضع، ووافقه الذهبي، والفضل بن عيسى، قال الحافظ في «**التقريب**»: متروك.

(١) أخرجه ابن ماجة (٢/ ١٣٣٤)، كتاب «الفتن»، باب العقوبات حديث (١٠٢٢)، وأحمد (٥/ ٢٧٧، ٢٨٠، ٢٨٢)، والحاكم (١/ ٤٩٣)، وابن أبي شيبة (١٠/ ٤٤١ ـ ٤٤٢)، والطحاوي في «**مشكل الآثار**» (٤/ ١٦٩)، وأبو نعيم في «**ذكر أخبار أصبهان**» (٢/ ١٠)، والقضاعي في «**مسند الشهاب**» (٨٣١)، من حديث ثوبان مرفوعاً.

قال البوصيري في «**الزوائد**»: هذا إسناد حسن، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وصححه ابن حبان.

(٢) عبد اللَّه بن أبي الجَعْد الأشْجَعِي. عن ثَوْبَان. وعنه عبد اللَّه بن عِيسَى بن أبي لَيْلَى. له عند كل منهما فرد حديث. وثقه ابن حبان. ينظر: «**الخلاصة**» (٢/ ٤٦).

(٣) هو: ثوبان بن بُجْدُد. مولى رسول اللَّه ﷺ.

قال ابن الأثير في «**الأسد**»: هو من «حمير» من «اليمن»، وقيل: هو من سعد العشيرة من «مذحج»، أصابه سباء، فاشتراه رسول اللَّه ﷺ فأعتقه، وقال له: «إن شئت أن تلحق بمن أنت منهم، وإن شئت أن تكون منا أهل البيت». فثبت على ولاء رسول اللَّه ﷺ، ولم يزل معه سفراً وحضراً إلى أن توفي رسول اللَّه ﷺ، فخرج إلى الشام فنزل إلى «الرملة» وابتنى بها داراً، وابتنى بـ «مصر» داراً، وبـ «حمص» داراً، وتوفي بها سنة (٥٤).

روى عن النبي ﷺ أحاديث ذوات عدد.

روى عنه شداد بن أوس، وجبير بن نفير، وأبي إدريس الخولاني، وأبي سلام ممطور الحبشي، ومعدان بن أبي طلحة، وأبي الأشعث الصنعاني، وأبي أسماء الرحبي، وغيرهم.

قال البرقي: روي عنه نحو من خمسين حديثاً.

توفي بـ «حمص» سنة (٥٤).

تنظر ترجمته في: «**أسد الغابة**» (١/ ٢٩٦)، «**الإصابة**» (١/ ٢١٢)، «**الثقات**» (٣/ ٤٨)، «**الاستيعاب**» (١/ ٢١٨)، «**تجريد أسماء الصحابة**» (١/ ٧)، «**العبر**» (١/ ٥٩)، «**در السحابة**» (٧٥٩)، «**صفة الصفوة**» (٦٧٠)، «**الحلية**» (١/ ٣٥٠)، «**التحفة اللطيفة**» (١/ ٤٠١)، «**الوافي بالوفيات**» (١١/ ٢١)، «**التاريخ الكبير**» (٢/ ١٨١)، «**الجرح والتعديل**» (٢/ ٤٦٩)، «**تنقيح المقال**» (١٥٧٨)، «**الزهد**» لوكيع (١٤٠)، «**بقي بن مخلد**» (٣٤)، «**تهذيب الكمال**» (١/ ١٧٦، ٤/ ٤١٣)، «**تهذيب التهذيب**» (٢/ ٣١)، «**تقريب التهذيب**» (١/ ١٢٠)، «**مشاهير علماء الأمصار**» (٣٢٤).

اللَّهِ ﷺ: «لاَ يَرُدُّ القَضَاءَ إلاَّ الدُّعَاءُ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ»[١]. انتهى.

وعن عائشةَ ـ رضي اللَّه عنها ـ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لاَ يُغْنِي حَذَرٌ مَنْ قَدَرٍ، وَالدُّعَاءُ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ، وَإِنَّ البَلاَءَ لَيَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، فَيَتَلَقَّاهُ الدُّعَاءُ، فَيَعْتَلِجَانِ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ» رواه الحاكم في «**مستدركه**»، وقال: صحيحُ الإسناد[٢]، وقوله؛ «فَيَعْتَلِجَانِ»، أي: يتصارعان.

وعن سَلْمَانِ[٣] ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُسْتَجَابَ لَهُ عِنْدَ الكُرَبِ، وَالشَّدَائِدِ، فَلْيُكْثِرِ الدُّعَاءَ فِي الرَّخَاءِ»، رواه الحاكمُ أيضاً، وقال: صحيحُ الإسناد[٤]، وعن ابْنِ عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ فُتِحَ لَهُ فِي

---

(١) أخرجه ابن المبارك في «**الزهد**» (ص ٢٩) رقم (٨٦).

(٢) أخرجه الحاكم (١/ ٤٩٢)، والخطيب في «**تاريخ بغداد**» (٨/ ٤٥٣)، وابن الجوزي في «**العلل**» (٢/ ٣٥٩)، من طريق زكريا بن منظور، عن عطاف بن خالد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة مرفوعاً.
وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وتعقَّبه الذهبي فقال: زكريا بن منظور مجمع على ضعفه.
وقال ابن الجوزي: لا يصح، قال يحيى: زكريا ليس بثقة، وقال الدارقطني: متروك.
والحديث ذكره الهيثمي في «**مجمع الزوائد**» (١٠/ ١٤٩)، وقال: رواه الطبراني في «**الأوسط**»، والبزار، وفيه زكريا بن منظور، وثقه أحمد بن صالح المصري، وضعفه الجمهور، وبقية رجاله ثقات.

(٣) هو: سلمان بن الإسلام. وسلمان الخير، وسلمان الفارسي. أبو عبد اللَّه. مولى رسول اللَّه ﷺ.
كان اسمه قبل الإسلام: مابه بن بوذخشان بن مورسلان بن بهبوذان بن فيروز بن سهرك، من ولد آب الملك.
وأول مشاهده مع رسول اللَّه ﷺ الخندق، ولم يتخلف عن مشهد بعد الخندق، وآخى رسول اللَّه ﷺ بينه وبين أبي الدرداء.
ومما ذكر في مناقبه قول النبي ﷺ: «إن الجنة تشتاق إلى ثلاثة: عليّ وعمار، وسلمان»، كان سلمان من خيار الصحابة وزهادهم وفضلائهم وذي القرب من رسول اللَّه ﷺ. روى عنه ابن عباس، وأنس، وعقبة بن عامر، وأبو سعيد، وكعب بن عجرة، وأبو عثمان النهدي. وغيرهم.
توفي سنة (٣٥) آخر خلافة عثمان.
تنظر ترجمته في: «**أسد الغابة**» (٢/ ٤١٧)، «**الإصابة**» (٣/ ١١٣)، «**الاستيعاب**» (٢/ ٦٣٤)، «**الاستبصار**» (١٢٥)، «**الرياض المستطابة**» (١٠٢)، «**حلية الأولياء**» (٦/ ٣٦٧)، «**الطبقات الكبرى**» (٩/ ٨٤)، «**صفة الصفوة**» (١/ ٥٢٣)، «**التاريخ الكبير**» (٤/ ١٣٤)، «**التاريخ الصغير**» (١/ ٧١)، «**تاريخ بغداد**» (١/ ١٦٣)، «**الكاشف**» (١/ ٣٨٢)، «**تاريخ جرجان**» (٦٤، ١٣٨)، «**التحفة اللطيفة**» (١٦٧).

(٤) أخرجه الحاكم (١/ ٥٤٤)، من طريق عبد اللَّه بن صالح، ثنا معاوية بن صالح، عن أبي عامر الألهاني، عن أبي هريرة مرفوعاً.
=

الدُّعَاءِ مِنْكُمْ، فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الجَنَّةِ»[١]، قال الغَزَّالِيُّ ـ رحمه اللَّه ـ في كتابِ «**الإحياء**»: «فإن قُلْتَ: فما فائدةُ الدعاءِ، والقضاءُ لا يُرَدُّ؟ فاعلمْ أنَّ من القضاءِ رَدَّ البلاء بالدعاءِ، فالدعاءُ سببٌ لردِّ البلاء، واستجلابٌ للرحمة؛ كما أن التُّرْس سبب لردِّ السهم، ثم في الدعاءِ من الفائدة أنه يستدْعِي حضورَ القَلْب، مع اللَّه عزَّ وجلَّ، وذلك منتهى العبادَاتِ، فالدعاءُ يردُّ القلْبَ إلى اللَّه عز وجلَّ بالتضرُّع والاستكانةِ»، فانظره، فإني آثرت الاختصار، وانظر «**سِلاَحَ المُؤمن**» الذي منه نقلْتُ هذه الأحاديثَ.

ومن «**جامع الترمذيِّ**». عن أبي خُزَامَةَ[٢]، واسمه رفَاعَةُ، عن أبيهِ، قال: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ رُقًى نَسْتَرْقِيهَا، وَدَوَاءً نَتَدَاوَىٰ بِهِ، وَتُقَاةً نَتَّقِيهَا، هَلْ تَرُدُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ شَيْئاً؟ قَالَ: هِيَ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ»؛ قال أبو عيسَىٰ: هذا حديث حسنٌ صحيحٌ[٣].

وانظر جوابَ عمر لأبي عُبَيْدة «نَعَمْ، نَفِرُّ من قدر اللَّه إلى قدر اللَّه...» الحديث هو من هذا المعنى. انتهى، واللَّه الموفق بفضله.

٤٦ ب وقوله تعالى: ﴿فليستجيبوا لِي﴾/ قال أبو رجاء الخُرَاسانِيُّ[٤]: معناه: «فَلْيَدْعُونِي».

قال * ع[٥] *: المعنَىٰ: فليطلبوا أن أجيبهم، وهذا هو بابُ «ٱسْتَفْعَلَ»، أي: طلب

= وقال الحاكم: صحيح الإسناد، احتج البخاري بابن صالح. وأبو عامر الألهاني أظنه الهوزني، وهو صدوق. ووافقه الذهبي.
وأخرجه الترمذي (٣٣٨٢)، من طريق شهر بن حوشب، عن أبي هريرة مرفوعاً. وقال الترمذي: غريب.

(١) أخرجه الحاكم (١/ ٤٩٨).
وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي فقال: المليكي ضعيف.

(٢) أبو خُزامة. ذكره المؤلف (رحمنا اللَّه وإياه) بغير نسبة، قال ابن الأثير: كان يسكن «الجناب»، وهي أرض عذرة. له صحبة، عداده من أهل «الحجاز». روى عن عطاء بن يسار.
ينظر ترجمته في: «**أسد الغابة**» (٦/ ٨٨)، و «**الإصابة**» (٧/ ٥١)، و «**بقي بن مخلد**» (٣١٩).

(٣) أخرجه الترمذي (٤/ ٣٩٩ـ ٤٠٠)، كتاب «الطب»، باب ما جاء في الرقى والأدوية، حديث (٢٠٦٥)، وابن ماجة (٢/ ١١٣٧)، كتاب «الطب»، باب ما أنزل اللَّه داء إلا أنزل له شفاء، حديث (٣٤٣٧).
وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٤) عبد اللَّه بن وَاقِد بن الحارث، الحَنَفي، أبو رجاء الهرَوِي. عن عبد اللَّه بن عثمان بن خُثَيْم، وأبي هارون العبدي. وعنه إسحاق بن منصور السَّلُولي. وثقه أحمد وابن معين. ينظر: «**الخلاصة**» (٢/ ١٠٨).

(٥) «**المحرر الوجيز**» (١/ ٢٥٦).

الشيء إلا ما شَذَّ؛ مثل: ٱستغنَى اللَّهُ.

وقال مجاهد وغيره: المعنى: فليجيبوا لي فيما دعوتهم إِلَيْه من الإِيمان، أي: بالطاعة، والعملِ[١].

فائدةٌ: قال صاحب «**غاية المَغْنَم في اسم اللَّه الأَعْظَم**» وهو إِمام عارفٌ[٢] بعلْم الحديث، وكتابه هذا يَشْهَدُ له، قال: ذكر الدِّينَوَرِيُّ[٣] في «**كتاب المُجَالَسَة**»، عن ليثِ بنِ سُلَيْم؛ أن رجلاً وقَفَ علَىٰ قوم، فقال: مَنْ عنده ضيافةٌ هذه الليلةَ، فسكَتَ القومُ، ثم عاد، فقالَ رجُلٌ أَعمَىٰ: عندي، فذَهَبَ بِهِ إِلَىٰ منزله، فعشَّاه، ثم حدَّثه ساعةً، ثم وضع لَهُ وَضُوءاً، فقام الرجُلُ في جَوْف اللَّيْلِ، فتوضَّأ، وصلَّىٰ ما قُضِيَ له، ثم جَعَلَ يدعو، فَٱنْتَبَهَ الأَعْمَىٰ، وجَعَلَ يسمع لدُعَائِهِ، فقال: اللَّهُمَّ، ربَّ الأرواحِ الفانيةِ، والأجسادِ الباليةِ، أسأَلُكَ بطَاعَةِ الأرواحِ الرَّاجعَةِ إِلَىٰ أجسادها، وبطاعةِ الأَجْسَادِ الملتئمَةِ في عروقها، وبطاعة القُبُور المتشقِّقة عن أهلها، وبدَعْوتِكَ الصادقةِ فيهم، وأخذِكَ الحقَّ منهم، وتبريز الخلائقِ كلِّهم من مخافَتِكَ ينتظرُونَ قضاءَكَ، ويرْجُون رحمتَكَ، ويخافُونَ عذابَكَ، أَسأَلُك أَنْ تَجْعَلَ النُّور في بَصَري، والإِخلاصَ في عَمَلِي، وشُكْرَكَ في قَلْبِي، وذِكْرَكَ في لِسَانِي في الليلِ والنهارِ، ما أبقيتَنِي، قال: فَحَفِظَ الأعمَىٰ هذا الدعاءَ، ثم قَامَ، فَتوضَّأ، وصلَّىٰ ركعتَيْنِ، ودعا به فأَصْبَحَ قدْ رَد اللَّهُ عليه بَصَرَهُ. انتهى من «**غاية المَغْنَم في اسم اللَّه الأعظَم**»، وإِطلاَقُ الفناءِ على الأرواحِ فيه تجوُّز، والعقيدةُ أن الأرواح باقيةٌ لا تفنَىٰ، وإِنَّما عبر عن مفارقتها لأجسادها بالفَنَاءِ، هذا هو مراده.

وروى ابنُ المبارك في «**رقائقه**» بسنده عن النبيِّ ﷺ؛ أنه قَالَ: «إِنَّ القُلُوبَ أَوْعِيَةٌ، وَبَعْضُهَا أَوْعَىٰ مِنْ بَعْضٍ، فَٱدْعُوا اللَّهَ أَيُّهَا النَّاسُ، حِينَ تَدْعُونَ، وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَجِيبُ لِعَبْدٍ دَعَاهُ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ غَافِلٍ»[٤]. انتهى.

---

(١) أخرجه الطبري (٢/ ١٦٦) برقم (٢٩٢١) بلفظ: قوله: «فليستجيبوا لي» قال: فليطيعوا لي. قال: «الاستجابة» الطاعة، وذكره ابن عطية (١/ ٢٥٦).

(٢) وهو الشيخ تاج الدين علي بن محمد بن الدريهم الموصلي، المتوفى سنة اثنتين وستين وسبعمائة، وكتابه هذا ذكره حاجي خليفة بعنوان «غاية المغنم في الاسم الأعظم»، وذكر عنه أنه أورد فيه من الأحاديث وأقوال العلماء. ينظر: «**كشف الظنون**» (١١٩٤).

(٣) «**المجالسة**» ـ لأحمد بن مروان الدينوري المالكي، المتوفى سنة ٣١٠ عشرة وثلاثمائة، ضَمَّنَهُ من كتب الأحاديث والأخبار ومحاسن النوادر والآثار، ومنتقى الحكم والأشعار، وانتخب منه بعضهم وسماه «**نخبة المؤانسة من كتاب المجالسة**». ينظر: «**كشف الظنون**» (٢/ ١٥٩١).

(٤) أخرجه ابن المبارك في «**الزهد**» (٢/ ٢١).

قال ابن عطاء اللَّهِ في «لطائفِ المِننِ»: وإذا أراد اللَّه أن يعطِيَ عبداً شيئاً وهبه الاضطرار إِلَيْهِ فيه، فيطلبه بالاِضطرارِ، فيعطَىٰ، وإذا أراد اللَّه أن يمنع عبداً أمراً، منعه الاضطرَار إِلَيْه فيه، ثم منعه إياه، فلا يُخَافُ علَيْكَ أن تضطرَّ، وتطلب، فلا تعطَىٰ، بل يُخَافُ عليك أنْ تُحْرَمَ الاضطرارَ، فتحرم الطَّلَب، أو تَطْلُب بغير اضطرارٍ، فتحرم العطاء. انتهى.

وقوله سبحانه: ﴿وليؤمنوا بي﴾، قال أبو رجاءٍ: في أنَّني أجيبُ دعاءهم، وقال غيره: بل ذلك دعاءٌ إلى الإيمان بجملته.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿أحل لكم ليلة الصيام...﴾ الآيةَ: لفظة ﴿أُحِلَّ﴾ تقتضي أنه كان محرَّماً قبل ذلك[1]، و ﴿لَيْلَةَ﴾: نصب على الظَّرْف.

و ﴿الرَّفث﴾: كناية عن الجِمَاع؛ لأن اللَّه تعالَىٰ كريمٌ يُكَنِّي؛ قاله ابن عَبَّاس[2] وغيره، والرَّفَثُ في غير هذا: ما فَحُشَ من القول، وقال أبو إِسْحَاق[3]: الرَّفَثُ: كلُّ ما يأتيه الرجُلُ، مع المرأة من قُبْلةٍ، ولَمْسٍ[4].

* ع[5] *: أو كلام في هذا المعنى، وسببُ هذه الآيةِ فيما قال ابن عَبَّاس وغيره: إن جماعةً من المسلمين اختانوا أنفُسَهُم، وأصابوا النِّسَاء بعد النَّوْم، أو بعد صلاة العشَاء على

---

(١) ينظر: «تفسير الرازي» (٥/ ٨٨ ـ ٨٩).

(٢) أخرجه الطبري (٢/ ١٦٧ ـ ١٦٨) برقم (٢٩٢٨)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣/ ١٧٩) برقم (١٣٢٣٠). وذكره ابن عطية في «تفسيره» (١/ ٢٥٦)، والبغوي في «التفسير» (١/ ١٥٦).

(٣) «معاني القرآن» (١/ ٢٥٥)، ولفظه: الرَّفَثُ: كلمة جامعة لكل ما يريد الرجل من المرأة.
وينظر: «عمدة الحفاظ» (٢/ ١١٤).

(٤) ذكره ابن عطية في «التفسير» (١/ ٢٥٧).

(٥) «المحرر الوجيز» (١/ ٢٥٧).

الخلافِ في ذلك، منهم عُمَرُ بْنُ الخَطَّاب: جاء إلى امرأته، فأرادها/ ، فقالَتْ له قد نِمْتُ، ١٤٧أ
فَظَنَّ أنها تَغْتَلُّ بذلك، فوقع بها، ثم تحقَّق أنها قد كانت نامَتْ، وكان الوطْءُ بعد نَوْمِ أحدهما ممنوعاً، فذهب عُمَرُ، فاعتذر عندَ رَسُولِ اللَّه ﷺ، فنَزَلَ صدْرُ الآية[1]، وروي أنَ صِرْمَةَ بْنَ قَيْسٍ[2] نام قَبْل الأكْلِ، فبقي كذلك دُونَ أكْلٍ، حتَّىٰ غُشِيَ علَيْهِ في نهارِهِ المُقْبِلِ، فنَزَلَ فيه مَنْ قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَٱشْرَبُوا﴾[3].

واللِّبَاسُ: أصله في الثِّيَاب، ثم شبه ٱلْتِبَاس الرَّجُلِ بالمرأةِ بذلك.

وتَابَ عَلَيْكُمْ، أي: من المعصية التي وقعتم فيها.

قال ابنُ عبَّاس وغيره: ﴿باشرُوهُنَّ﴾ كنايةٌ عن الجماعة، ﴿وَٱبْتَغُوا مَا كَتَبَ[4] اللَّهُ لَكُمْ﴾.

قال ابن عبَّاس وغيره: أي: ٱبتغوا الوَلَدَ[5]، قال الفَخْر[6] والمَعْنَىٰ: لا تباشروهن لقضاء الشهوة فقطْ، ولكنْ لاِبْتغاءِ ما وَضَعَ اللَّه له النِّكاح من التناسُلِ، قال ـ عليه

---

(١) أخرجه الطبري في «التفسير» ٢/ ١٧٠ ـ ١٧١ رقم (٢٩٤٣، ٢٩٤٨، ٢٩٤٩)، وذكره البغوي في «معالم التنزيل» (١/ ١٥٧)، وابن عطية الأندلسي في «المحرر الوجيز» (١/ ٢٥٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٣٥٧)، وعزاه إلى أحمد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم بسند حسن، عن كعب بن مالك.

(٢) صرمة بن قيس بن مالك، النجاري، الأوسي، أبو قيس: شاعر جاهلي، عمر طويلاً، وترهب، وفارق الأوثان في الجاهلية. وكان معظماً في قومه. أدرك الإسلام في شيخوخته، وأسلم عام الهجرة.
ينظر: «الأعلام» (٣/ ٢٠٣)، و «الإصابة» ت (٤٠٥٦)، و «الروض الأنف» (٢/ ٢١).

(٣) أخرجه الطبري (٢/ ١٧٠ـ ١٧١ـ ١٧٣) برقم (٢٩٤٥، ٢٩٤٧، ٢٩٥٧).
وذكره البغوي في «معالم التنزيل» (١/ ١٥٧)، وابن عطية الأندلسي في «المحرر الوجيز» (١/ ٢٥٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٣٥٨)، وعزاه إلى وكيع، وعبد بن حميد، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى.

(٤) أخرجه الطبري في «التفسير» (٢/ ١٧٤) رقم (٢٩٦١)، (٢٩٦٦).
وذكره ابن عطية الأندلسي في «المحرر الوجيز» (١/ ٢٥٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٣٥٩)، وعزاه إلى ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي.

(٥) أخرجه الطبري في «التفسير» (٢/ ١٧٥)، وذكرهُ البغوي في «معالم التنزيل» (١/ ١٥٧)، وابن عطية الأندلسي في «المحرر الوجيز» (١/ ٢٥٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٣٥٩)، وعزاه إلى ابن جرير، وابن أبي حاتم.

(٦) «التفسير الكبير» (٥/ ٩٢).

السلام ـ: «تَنَاكَحُوا، تَنَاسَلُوا؛ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الأُمَمَ»[1] انتهى.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١/ ٥٩٩)، كتاب «النكاح»، باب تزويج الحرائر والولود، حديث (١٨٦٣)، من طريق طلحة بن عمرو الحضرمي، عن عطاء، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «انكحوا؛ فإني مكاثر بكم».

وقال البوصيري في «الزوائد» (٢/ ٧٣): هذا إسناد ضعيف؛ لضعف طلحة بن عمرو المكي الحضرمي اهـ.

وطلحة بن عمرو: قال عمرو بن علي: كان يحيى وعبد الرحمن لا يحدثان عنه. وقال أحمد: لا شيء متروك الحديث.

وقال البخاري: ليس بشيء.

وقال النسائي: متروك الحديث.

وكذلك ضعفه ابن حبان وغيره.

وله لفظ آخر بإسناد آخر: أخرجه أبو داود (٢/ ٥٤٢)، كتاب «النكاح»، باب النهي عن تزويج من لم يلد من النساء، حديث (٢٠٥٠)، والنسائي (٦/ ٦٠ـ ٦٦)، كتاب «النكاح»، باب كراهية تزويج العقيم، والحاكم (٢/ ١٦٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٦٢)، من حديث معقل بن يسار قال: قال رسول الله ﷺ: «تزوجوا الودود الولود؛ فإني مكاثر بكم الأمم».

وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

وأخرجه أيضاً ابن حبان (١٢٢٩ـ موارد)، والبيهقي (٧/ ٨١)، كتاب «النكاح»، باب استحباب التزويج بالودود الولود.

وأخرجه أحمد (٣/ ١٥٨، ٢٤٥)، وسعيد بن منصور (١/ ١٦٤) رقم (٤٩٠)، وابن حبان (١٢٢٨ـ موارد)، والبيهقي (٧/ ٨١ـ ٨٢)، كتاب «النكاح»، باب استحباب التزوج بالودود الولود، والقضاعي في «مسند الشهاب» رقم (٦٧٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٢١٩)، من حديث أنس بلفظ: «تزوجوا الودود الولود؛ فإني مكاثر بكم الأنبياء».

وصححه ابن حبان.

والحديث ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٢٦١)، وقال: رواه أحمد، والطبراني في «الأوسط»، وإسناده حسن.

وأخرجه ابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢١٤٧)، ومن طريقه البيهقي (٧/ ٧٨)، من حديث أبي أمامة بلفظ: «تزوجوا، فإني مكاثر بكم الأمم، ولا تكونوا كرهبانية النصارى».

وفيه محمد بن ثابت البصري، وهو ضعيف؛ قاله الحافظ في «التقريب» (٢/ ١٤٨).

وأخرجه ابن ماجة (١/ ٥٩٢)، كتاب «النكاح»، باب ما جاء في فضل النكاح، حديث (١٨٤٦)، من طريق عيسى بن ميمون، عن القاسم، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «النكاح من سنتي، فمن لم يعمل بسنتي فليس مني، وتزوجوا؛ فإني مكاثر بكم الأمم، ومن كان ذا طول فلينكح، ومن لم يجد فعليه بالصوم؛ فإن الصوم له وجاء».

قال البوصيري في «الزوائد» (٢/ ٦٥): هذا إسناد ضعيف؛ لضعف عيسى بن ميمون اهـ.

وضعفه الحافظ ابن حجر في «تلخيصه» (٢/ ١٠٢)، وقال: ضعيف. =

وقيل: المعنى: ٱبتغوا ليلةَ القَدْرِ.

وقيل: ابتغوا الرُّخْصَة، والتوسعَةَ؛ قاله قتادة، وهو قول حَسَنٌ[١].

﴿وَكُلُوا وَٱشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ...﴾ الآيةُ: نزلت بسبب صِرْمَةَ بْنِ قَيْسٍ، و ﴿حَتَّىٰ﴾: غايةٌ للتبيُّن، ولا يصحُّ أن يقع التبيُّن لأحد، ويحرم عليه الأكل إلا وقدْ مَضَى لطُلُوع الفجْرِ قدْرٌ، والخيط استعارةٌ وتشبيه لرقَّة البياضِ أولاً، ورقَّةُ السوادِ إلحاقٌ به، والمرادُ فيما قال جميع العلماء[٢]: بياضُ النهارِ، وسوادُ الليل.

و ﴿مِنَ﴾ الأولى لٱبتداء الغايةِ، والثانيةُ للتبعيض، و ﴿الفَجْرِ﴾: مأخوذ من تَفَجُّر الماء؛ لأنه ينفجر شيئاً بعد شيْء، وروي عن سَهْل بن سعدٍ وغيره من الصحَابة؛ أن الآية نزلَتْ إلا قوله: ﴿مِنَ الفَجْرِ﴾، فصنع بعض الناسِ خَيْطَيْنِ، أَبْيَضَ وأَسْوَدَ، فنزَلَ قوله تعالَىٰ: ﴿مِنَ الفَجْرِ﴾[٣].

* ع[٤] *: ورُوِيَ؛ أنَّهُ كَانَ بَيْنَ طرفَيِ المُدَّة عامٌ من رمَضَان إلى رمَضَان تأخر

وأخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٢/ ٣٧٧)، من حديث ابن عمر بلفظ: «تزوجوا الودود الولود؛ فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة».

وأخرجه عبد الرزاق (٦/ ١٧٣) رقم (١٠٣٩١) عن سعيد بن أبي هلال مرسلاً.

والحديث صححه الألباني في «الصحيحة» برقم (١٧٨٢).

(١) أخرجه الطبري (٢/ ١٧٦) برقم (٢٩٨٧). وذكره البغوي في «معالم التنزيل» (١/ ١٥٧)، وابن عطية من «المحرر الوجيز» (١/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨).

والسيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٣٥٩)، وعزاه إلى ابن جرير، وابن أبي حاتم.

(٢) ينظر: «الطبري» (٣/ ٥٠٩)، و «المحرر الوجيز» (١/ ٢٥٨)، و «الرازي» (٥/ ٩٤)، و «الوسيط» (١/ ٢٨٧)، و «بحر العلوم» (١/ ١٨٦).

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٥٧) كتاب «الصوم»، باب قوله تعالى: ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل﴾. حديث (١٩١٧). ومسلم (٢/ ٧٦٧) كتاب «الصيام»، باب بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر، وأن له الأكل وغيره، حتى يطلع الفجر، وبيان صفة الفجر الذي تتعلق به الأحكام من الدخول في الصوم، ودخول وقت صلاة الصبح وغير ذلك، حديث (٣٤/ ١٠٩١).

والنسائي (٦/ ٢٩٧) (الكبرى)، كتاب «التفسير»، باب قوله تعالى: ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر﴾. حديث (١١٠٢٢/ ٢).

والطبري في «التفسير» (٢/ ١٨٧) رقم (٢٩٩٨)، وذكره البغوي في «معالم التنزيل» (١/ ١٥٨)، وابن عطية الأندلسي في «المحرر الوجيز» (١/ ٢٥٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٣٦٠)، وعزاه إلى البخاري، ومسلم، والنسائي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (١/ ٢٥٨).

البيان[1] إلى وقت الحاجة، وعَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ جعل خيطَيْن علَىٰ وسَادِهِ، وأخبر النبيَّ ﷺ

---

(١) تأخر البيان إلى وقت الحاجة: بادىء ذي بدء أقول: هناك حالان لكل ما يحتاج إلى تأخير بيان، من عام، ومجمل، ومجاز، ومشترك، وفعل متردد ومطلق:
الحال الأول: أن يتأخر عن وقت الحاجة، وهو الوقت الذي إن أخر البيان عنه لم يتمكن المكلَّف من المعرفة بما تضمنه الخطاب، وهذا يكون في كل ما كان واجباً على الفور، كالإيمان، ورد الودائع.
وقد حكى أبو بكر الباقلاني إجماع أرباب الشرائع على امتناعه.
الحال الثاني: أن يؤخر عن وقت ورود الخطاب إلى وقت الحاجة إلى الفعل، وذلك في الواجبات التي ليست على الفور، ويكون فيما لا ظاهر له كالأسماء المتواطئة والمشتركة، أو له ظاهر وقد استعمل في خلافه، كتأخير بيان التخصيص، وتأخير بيان النسخ، ونحوه.
وقد اختلف العلماء في هذا القسم على مذاهب:
الأول: الجواز مطلقاً، وعليه عامة العلماء من الفقهاء والمتكلمين، كما قال ابن بَرْهان. ومنهم ابن فورك، والقاضي أبو الطيب، والشيخ أبو إسحاق الشيرازي، وابن السمعاني، ونقلوه عن ابن سريج، والإصطخري، والقفال، وكثير من علماء الشافعية. ونقل عن الشافعي ـ كما قال الزركشي في «**البحر**».
وقد اختاره الرازي في «**المحصول**»، وابن الحاجب، وقال الباجي: عليه أكثر أصحابنا. وحكاه القاضي عن مالك.
واستدلوا بآيات، منها قوله سبحانه: ﴿فإذا قرأناه فاتبع قرآنه * ثم إن علينا بيانه﴾ [القيامة: ١٨ـ ١٩].
وهناك حوادث كثيرة جداً ـ كما يقول الشوكاني ـ وقع البيان لها بعد السَّنَة.
المذهب الثاني: المنع مطلقاً، ونقل عن أبي إسحاق المروزي، والصيرفي، وأبي حامد المروزي، والدقاق، ومن المالكية: الأبهري.
قال القاضي: وهو قول المعتزلة، وكثير من الحنفية، وابن داود الظاهري، ونقله القشيري عن داود.
وقد استدل هؤلاء بما لا طائل تحته، قالوا: لو جاز ذلك فإما أن يجوز إلى مدة معينة أو إلى الأبد، وكلاهما باطل، أما إلى المدة المعينة؛ فلكونه تحكماً، ولكونه لم يقل به أحد. وأما إلى الأبد؛ فلكونه يلزم المحذور، وهو الخطاب والتكليف به مع عدم الفهم.
وأجيب عنهم: باختيار جوازه إلى مدة معينة يعلمها اللّه، وهو الوقت الذي يعلم أنه يكلف به فيه؛ فلا تحكم.
المذهب الثالث: جوازه في المجمل دون غيره، وحكي عن الصيرفي وأبي حامد المروزي.
المذهب الرابع: جوازه في العموم، وحكي عن عبد الجبار، وحكاه الروياني والماوردي وجهاً لأصحاب الشافعي.
المذهب الخامس: جوازه في الأوامر والنواهي، لا في الأخبار، وحكي عن الكرخي وبعض المعتزلة.
المذهب السادس: عكسه. حكاه الشيخ أبو إسحاق، ولم ينسبه إلى أحد.
المذهب السابع: جوازه في النسخ دون غيره، ذكره أبو الحسين البصري، وأبو علي، وأبو هاشم، وعبد الجبار.
المذهب الثامن: التفصيل بين ما ليس له ظاهر كالمشترك فلا يجوز، وما له ظاهر كالعام فيجوز.
المذهب التاسع: أن بيان المجمل إن لم يكن تبديلاً ولا تغييراً، جاز مقارناً وطارئاً، وإن كان تغييراً جاز مقارناً، ولا يجوز طارئاً. نقله ابن السمعاني عن أبي زيد من الأحناف. =

فَقَالَ لَهُ: «إِنَّ وِسَادَكَ لَعَرِيضٌ»[١].

واختلف في الحدِّ الذي بتبيُّنه يجبُ الإمساك، فقال الجمهورُ، وبه أخذ الناس، ومضَتْ عليه الأمصار والأعصار، ووردتْ به الأحاديثُ الصِّحَاحُ: إنه الفَجْر المُعْتَرِضُ في الأُفُقِ يَمْنَةً ويَسْرَةً، فبطلوع أوله في الأفق يجبُ الإمساكُ، وروي عن عثمانَ بن عفَّان، وحذيفةَ بن اليَمَانِ، وابن عبَّاس وغيرهم؛ أن الإمساك يجبُ بتبيُّن الفَجْر في الطُّرُق، وعلى رءوس الجبالِ[٢]، وذكر عن حُذَيفة؛ أنه قال: «تَسَحَّرْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ النَّهارُ إِلاَّ أَنَّ الشَّمْسَ لَمْ تَطْلُعْ»[٣].

ومن أكل، وهو يشكُّ في الفجر، فعليه القضاء عند مالك.

وقوله سبحانه: ﴿ثم أتموا الصيام إلى الليل﴾ أمر يقتضي الوجوب، و ﴿إلى﴾: غايةٌ، وإذا كان ما بعدها من جنْسِ ما قبلها، فهو داخلٌ في حكمه، وإذا كان من غير جنْسه، لم يدخلْ في المحدودِ، والليلُ: الذي يتم به الصيامُ: مَغِيبُ قرص الشمسِ، فمن أفطر شاكًّا في غروبها، فالمشهورُ من المَذْهَب؛ أنَّ عليه القضاءَ والكفَّارةَ.

وروى أبو هريرة عن النبيِّ ﷺ؛ أَنَّهُ قَالَ: «ثَلاَثَةٌ لاَ تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الصَّائِمُ حِينَ يُفْطِرُ، والإِمَامُ العَادِلُ، ودَعْوَةُ المَظْلُومِ، يَرْفَعُهَا اللَّهُ فَوْقَ الغَمَامِ، وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ تَعَالَىٰ: وَعِزَّتِي، لأَنْصُرَنَّكِ، وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ» رواه الترمذيُّ/، وابن ماجة، وابن حِبَّان ٤٧ ب

= والمذاهب الثمانية الأخيرة ضعيفة كما أشار إلى ذلك الشوكاني، قال رحمه الله: وأنت إذا تتبعت موارد هذه الشريعة المطهرة وجدتها قاضية بجواز تأخير البيان عن وقت الخطاب قضاء ظاهراً واضحاً لا ينكره من له أدنى خبرة بها وممارسة لها.

ينظر: **«البحر المحيط»** للزركشي (٣/ ٤٩٣)، **«البرهان»** لإمام الحرمين (١/ ١٦٦)، **«الإحكام في أصول الأحكام»** للآمدي (٣/ ٢٨)، **«نهاية السول»** (٢/ ٥٤٠)، **«زوائد الأصول»** للأسنوي (ص ٣٠٤)، **«منهاج العقول»** (٢/ ٢٢٠)، **«غاية الوصول»** للشيخ زكريا الأنصاري (ص ٨٦)، **«التحصيل من المحصول»** للأرموي (١/ ٤٢٩)، **«المنخول»** للغزالي (ص ٦٨)، **«المستصفى»** له (١/ ٣٦٨)، **«حاشية البناني»** (٢/ ٦٩)، **«الآيات البينات»** لابن قاسم العبادي (٣/ ١٢١)، **«حاشية العطار لجمع الجوامع»** (٢/ ١٠٢)، **«المعتمد»** لأبي الحسين (١/ ٣١٤)، **«الإحكام في أصول الأحكام»** لابن حزم (١/ ٨١)، **«حاشية التفتازاني والشريف على مختصر المنتهى»** (٢/ ١٦٤). وينظر: **«كشف الأسرار»** (٣/ ١٠٨)، **«المسودة»** (١٨١)، **«شرح العضد»** (٢/ ١٦٤).

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه الطبري (٢/ ١٧٩) برقم (٣٠٠٢)، وابن عطية الأندلسي في **«المحرر الوجيز»** (١/ ٢٥٨).

(٣) أخرجه الطبري (٢/ ١٨١) برقم (٣٠١٩)، وابن عطية الأندلسي في **«المحرر الوجيز»** (١/ ٢٥٨).

في «**صحيحه**»، وقال الترمذيُّ: واللفظ له؛ حديثٌ حسنٌ، ولفظ ابن ماجة: «حَتَّىٰ يُفْطِرَ»[١]. انتهى من «**السِّلاح**».

وعنه ﷺ: «إِنَّ لِلصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ لَدَعْوَةً مَا تُرَدُّ»، رواه ابنُ السُّنِّيِّ[٢]. انتهى من «**حِلْيَة النوويِّ**»[٣].

وعنه ﷺ؛ أَنَّهُ قَالَ: «لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ». رواه البخاريُّ ومسلم. انتهى[٤].

وروى ابنُ المبارك في «**رقائقه**»، قال: أخبرنا حمَّاد بن سَلَمَةَ، عن واصل[٥] مولى أبي عُيَيْنَة، عن لقيط أَبِي المُغيرَةِ، عن أبي بُرْدَةَ[٦]: أَنَّ أبا موسَى الأَشْعَرِيَّ كَانَ في سفينة

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٥٣٩)، كتاب «الدعوات»، باب «في العفو والعافية»، حديث (٣٥٩٨)، وابن ماجة (١/ ٥٥٧)، كتاب «الصيام»، باب في الصائم لا ترد دعوته، حديث (١٧٥٢)، والبيهقي (٣/ ٣٤٥)، كتاب «صلاة الاستسقاء»، باب استحباب الصيام للاستسقاء لما يرجى من دعاء الصائم، (٨/ ١٦٢)، كتاب «قتال أهل البغي»، باب فضل الإمام العادل، و(١٠/ ٨٨)، كتاب «آداب القاضي»، باب فضل من ابتلي بشيء من الأعمال، فقام فيه بالقسط، وقضى بالحق، وابن حبان كما في «**موارد الظمآن**» (٣/ ١٩٨)، باب دعوة الصائم وغيره، حديث (٨٩٤)، والطيالسي (١/ ٢٥٥)، حديث (١٢٦٤)، وأحمد (٢/ ٣٠٤ـ ٣٠٥)، من حديث أبي هريرة بلفظ: «ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حين يفطر. . . .» وقال الترمذي: «هذا حديث حَسَنٌ».

(٢) أخرجه ابن ماجة (١/ ٥٥٧)، كتاب «الصيام»، باب في الصائم لا ترد دعوته، حديث (١٧٥٣)، وابن السني في «**عمل اليوم والليلة**» رقم (٤٨٢)، من طريق عبد اللَّه بن أبي مليكة عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص مرفوعاً.
وقال البوصيري في «**الزوائد**»: إسناده صحيح.

(٣) «**حلية**» النووي (ص ٢٢٤).

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) واصل الأَسَدِي مولى أبي عُيَيْنَةَ بن المُهَلَّبِ. عن ابن بُرَيْدَةَ، والضَّحَّاك. وعنه حَمَّاد بن زيد، وعَبَّاد بن عَبَّاد. وثقه ابن معين. ينظر: «**الخلاصة**» (٣/ ١٢٦).

(٦) هو: عامر بن قيس بن سُليم بن حضار بن حرب بن عامر بن عنز بن بكر بن عامر بن عذر بن وائل بن ناجية بن الجماهر بن الأشعر بن أَدَد بن زيد بن يشجب. .
أبو بردة. الأشعري. مشهور بكنيته كأخيه. قال ابن حجر في «**الإصابة**»: قال البغوي: سكن «الكوفة». وروى حديثه أحمد، والحاكم من طريق عاصم الأحول عن كريب بن الحارث بن أبي موسى عن عمه أبي بردة قال: قال رسول اللَّه: «اللهم اجعل فناء أمتي قتلاً في سبيلك بالطعن والطاعون».
وله ذكر في حديث آخر من طريق يزيد بن عبد اللَّه بن أبي بردة عن أبي موسى عن جده أبي موسى قال: خرجنا من اليمن في بضع وخمسين رجلاً من قومنا ونحن ثلاثة إخوة: أبو موسى، وأبو بردة، وأبو رهم، فأخرجتنا سفينة إلى النجاشي. أخرجه البغوي من هذا الوجه.
ينظر ترجمته في: «**أسد الغابة**» (٦/ ٢٩)، «**الإصابة**» (٧/ ١٧)، «**الثقات**» (٣/ ٤٥١)، «**تجريد أسماء**=

في البَحْر مرفوع شراعُها، فإذا رجُلٌ يقول: يأَهْلَ السفينةِ، قِفُوا سبْعَ مرارٍ، فقلْنا: ألا تَرَىٰ علَىٰ أيِّ حالٍ نَحْنُ، ثم قال في السابعة، قِفُوا أخبرْكُمْ بقضاءِ قضاه اللَّه علَىٰ نَفْسِهِ؛ أنَّه من عَطَّشَ نَفْسَهُ للَّهِ في يومٍ حارٍّ من أيامِ الدُّنْيَا شديدِ الحَرِّ، كان حقًّا على اللَّه أنْ يرويه يوم القيامة، فكان أبو موسَىٰ يبتغي اليَوْمَ الشَّديدَ الحَرِّ، فيصومه. انتهى.

قال يوسُفُ بن يَحْيَى التَّادِلِيُّ في «**كتاب التشوُّف**»، وخرَّج عبد الرزَّاق في «**مصنَّفه**» عن هشام بنِ حَسَّان[1]، عن واصلِ بن لَقِيط، عن أبي بُرْدة، عن أبي موسَى الأشعريِّ، قَالَ: «غَزَا النَّاسُ بَرًّا وبحراً، فكنْتُ ممَّن غَزَا في البَحْر، فبينما نحْنُ نسيرُ في البَحْر؛ إذ سمعنا صوتاً يقول: يأهل السفينة، قِفُوا أخبرْكُم، فنظرنا يميناً وشَمالاً، فلم نر شيئاً إلا لُجَّةَ البحر، ثم نادى الثانيةَ؛ حتى نادى سبْعَ مراتٍ، يقول كذلك، قال أبو موسَىٰ: فلما كانَتِ السابعةُ، قُمْتُ، فقُلْتُ: ما تخبرنا؟ قال: أخبركم بقضاءِ قضاه اللَّه علَىٰ نَفْسِهِ؛ أنَّ من عَطِشَ للَّه في يوم حَارٍّ، أنْ يرويه اللَّه يوم القيامة»[2]، وذكره ابن حَبِيب في «**الواضحة**»؛ بلفظ آخر. انتهى.

قال ابن المبارك: وأخبرنا أبو بكر بن أبي مَرْيَم الغَسَّانيّ[3]، قال: حدَّثني ضَمْرَةُ بْنُ حَبِيبٍ[4]، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «إنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ بَاباً، وإنَّ بابَ العبادة الصيام»[5]. انتهى.

= **الصحابة**» (٢/ ١٥١)، «**بقي بن مخلد**» (٨٨٣)، «**الاستيعاب**» (٤/ ١٦٠٨)، «**التاريخ الكبير**» (١/ ٢١١)، «**تهذيب الكمال**» (٣/ ١٥٧٩)، «**تهذيب التهذيب**» (١٢/ ١٨)، «**تقريب التهذيب**» (٢/ ٣٩٤)، «**تعجيل المنفعة**» (٤٦٨)، «**الاستبصار**» (٢٣٨)، «**الجرح والتعديل**» (٩/ ٤٣٦)، «**الكاشف**» (٣/ ٣١٢).

(١) هشام بن حَسَّان القُرْدُوسِي الأزْدِي، مولاهم، أبو عبد اللَّه البصري. أحد الأعلام. عن حَفْصة، ومحمد، وأنس بن سيرين، وطائفة. وعنه السفيانان والحمَّادان. ضعفه القطان عن عطاء. وقال عباد بن منصور: ما رأيته عند الحسن قط، قال أبو حاتم: صدوق. قال مكي بن إبراهيم: مات سنة ثمان وأربعين ومائة.
ينظر: «**الخلاصة**» (٣/ ١١٣).

(٢) ذكره السيوطي في «**الدر المنثور**» (١/ ٣٢٩) وعزاه للبيهقي.

(٣) أبو بكر بن عبد اللَّه بن أبي مَرْيَم الغَسَّاني، الحِمْصي، اسمه: بُكَيْر، أو عبد السَّلام. عن مكحول، وخالد بن مَعْدَان. وعنه إسماعيل بن عَيَّاش، وبَقِيَّة. قال الحافظ أبو عبد اللَّه: ضعيف. توفي سنة ست وخمسين ومائة.
ينظر: «**الخلاصة**» (٣/ ٢٠٣).

(٤) ضَمْرَة بن حَبِيب الزُّبَيْدِي، أبو عُبَيْدٍ الحِمصي. عن أبي أُمَامة، وشدَّاد بن أوس. وعنه ابنه عُتْبَة، وأَرْطَاة بن المُنْذِر. وثقه ابن معين. ينظر: «**الخلاصة**» (٢/ ٦).

(٥) أخرجه ابن المبارك في «**الزهد**» (ص ٥٠٠) رقم (١٤٢٣)، وهناد بن السري في «**الزهد**» (٢/ ٣٥٨) رقم (٦٧٩)، والقضاعي في «**مسند الشهاب**» (١٠٣٢)، عن ضمرة بن حبيب مرسلاً.

وروى البخاريُّ ومسلم في «**صحيحيهما**»، عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «كُلُّ عَمَلِ ٱبْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ، الحَسَنَةُ بعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَىٰ سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، قَالَ اللَّهُ: إِلاَّ الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، إِنَّمَا يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي»[1]. انتهى.

وقوله تعالى: ﴿وَلاَ تُبَاشروهُنَّ وأنتُمْ عاكفونَ في المَسَاجد﴾ قالتْ فرقة: المعنى: ولا تجامعوهُنَّ، وقال الجمهور: ذلك يقع على الجِمَاع، فما دونه ممَّا يُتلذَّذ به من النساء، و ﴿عَاكِفُون﴾، أيْ: مُلاَزِمُون، قال مالكٌ ـ رحمه اللَّه ـ وجماعةٌ معه: لا ٱعتكاف إلا في مساجد الجُمُعَاتِ[2]، وروي عن مالكٍ أيضاً؛ أنَّ ذلك في كل مسجدٍ، ويخرج إلى الجُمُعة؛ كما يخرج إلى ضروريِّ أشغالِهِ، قال ابن العربيِّ في «**أحكامه**»[3]: وحرم اللَّه سبحانه المباشَرَةَ في المَسْجد؛ وكذلك تحرم خارجَ المَسْجِدِ؛ لأن معنى الآية، ولا تباشرُوهُنَّ وأنتم ملتزمون لِلاَّعتكاف في المساجد معتقدُونَ له. انتهى. و ﴿تِلْكَ﴾ إشارةٌ إلى هذه الأوامر والنواهِي.

والحُدُودُ: الحواجزُ بيْن الإباحة والحظر؛ ومنه قيل للبوَّاب حَدَّاد؛ لأنه يمنع؛ ومنه الحَادُّ؛ لأنها تُمنع من الزينةِ، والآياتُ: العلاماتُ الهاديةُ إلى الحق.

١٤٨أ وقوله تعالى: ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل...﴾ الآيةَ: الخطابُ لأمة/ نبيِّنا محمَّد ﷺ ويدخلُ في هذه الآيةِ القِمَارُ، والخُدَعُ، والغُصُوب، وجَحْد الحُقُوق، وغَيْرُ ذلك.

وقوله سبحانه: ﴿وتُدْلُوا بها إلى الحُكَّام...﴾ الآية: يقال: أَدْلَى الرَّجُلُ بحجَّة، أو

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) لا يصح الاعتكاف إلا في المسجد؛ لقوله تعالى: ﴿ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد﴾ ووجه الدلالة من الآية: أنه لو صح في غير المسجد لم يختص تحريم المباشرة به؛ لأن الجماع مناف للاعتكاف بالإجماع، فعلم من ذكر المساجد أن المراد أن الاعتكاف لا يكون إلا فيها؛ فدل على أنه لا يجوز إلا في المسجد، والأفضل أن يعتكف في المسجد الجامع؛ لأن رسول اللَّه ﷺ اعتكف في المسجد الجامع؛ ولأن الجماعة في صلواته أكثر؛ ولأنه يخرج من الخلاف، فإن الزهري قال: لا يجوز في غيره. وإن نذر أن يعتكف في مسجد غير الثلاثة، وهي المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجد المدينة، جاز أن يعتكف في غيره؛ لأنه لا مزية لبعضها على بعض؛ فلم تتعين ويصح الاعتكاف في كل مسجد، والجامع أفضل، وأومأ الشافعي في القديم إلى اشتراط الجامع، والصواب جوازه في كل مسجد، ويصح في رحبته، وسطحه بلا خلاف، لأنهما منه.
ينظر: «**الاعتكاف**» لشيخنا أحمد خليفة جبر.

(٣) ينظر: «**أحكام القرآن**» (١/ ٩٦).

بأمْر يرجُو النَّجاح به، تشبيهاً بالذي يرسل الدَّلْو في البِئْر يرجُو بها الماءَ، قال قومٌ: معنى الآية: تُسَارعون في الأموال إلى المخاصَمَة، إذا علمْتم أنَّ الحُجَّة تقوم لكم؛ إمَّا بأن لا تكون على الجاحِدِ بيِّنة، أو يكون مالَ أمانةٍ؛ كاليتيم ونحوه ممَّا يكون القولُ فيه قوله، فالباء في «بِهَا» باءُ السبب[1]، وقيل: معنى الآية: تُرْشُوا بهَا علَىٰ أكْل أكثر منها، فالباء إلزاقٌ مجرَّدٌ؛ وهذا القول يترجَّح لأن الحكَّام مَظِنَّةُ الرُّشَا، إلاَّ من عُصِمَ، وهو الأقل، وأيضاً، فإن اللفظتين متناسبتَان.

﴿تُدْلُوا﴾: من إرسال الدلْوِ، والرِّشْوَةُ: من الرِّشَاءِ؛ كأنها يمدُّ بها؛ لتقضي الحاجة.

والفريقُ: القطْعة، والجزء.

و ﴿بالإِثم﴾ أي: بالظلم.

﴿وأنتم تَعْلَمون﴾ أي: أنكم مبطلون.

﴿۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾﴾

وقوله تعالَى: ﴿يسألونَكَ عن الأهلة﴾، قال ابنُ عَبَّاس وغيره: نَزلَتْ علَىٰ سؤالِ قَوْمٍ من المسلمين النبيَّ ﷺ عنِ الهِلاَلِ، وما فائدةُ مُحَاقِهِ، وكمالِهِ، ومخالفته لحالِ الشمْسِ[2].

و ﴿مَوَاقِيت﴾ أي: لمحَلِّ الدُّيون، وانقضاءِ العِدَدِ والأكْرِيَةِ، وما أشبه، هذا من مصالحِ العبادِ، ومواقيت للحَجِّ أيضاً: يعرف بها وقته وأشهره.

وقوله سبحانه: ﴿وليس البِرّ...﴾ الآية: قال البَرَاء بن عَازِبٍ[3]، والزهْريُّ،

---

(١) وقيل: إنها للتعدية، أي: لترسلوا بها إلى الحكام. ينظر: «**الدر المصون**» (١/ ٤٧٨).

(٢) أخرجه الطبراني في «**تفسيره**» (٢/ ١٨٩) رقم (٣٨٠)، وذكره البغوي (٢/ ١٦٠)، وابن عطية الأندلسي في «**المحرر الوجيز**» (١/ ٢٦١)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (١/ ٣٦٨)، وعزاه إلى ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس.

(٣) هو: البراء بن عازب بن الحارث بن عدي بن جشم بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن عمرو بن مالك بن الأوس.. أبو عمرو. وقيل: أبو عمارة، وهو الأصح. الأوسي. الأنصاري.
قال ابن الأثير في «**الأسد**»: =

وقتادة: سببها أن الأنصار كانوا إذا حَجُّوا، أو اعتمروا، يلتزمون تشرُّعاً ألاَّ يحول بينهم وبَيْن السماء حائلٌ، فكانوا يتسنَّمون ظهور بيوتِهم على الجُدُرَاتِ[١]، وقيل: كانوا يجعلون في ظهور بيوتهم فُتُوحاً يدخلُون منها، ولا يدخلون من الأبواب[٢]، وقيل غير هذا ممَّا يشبهه[٣].

وقوله تعالى: ﴿وقاتلوا في سبيل اللَّه...﴾ الآيةُ هي أول آية نزلَتْ في الأمر بالقتالِ. قال ابن زَيْد، والربيعُ: قوله: ﴿ولا تَعْتَدُوا﴾ أي: في قتالِ مَنْ لم يقاتلْكم، وهذه الموادَعَةُ منسوخةٌ بقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا المُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾[٤] [التوبة: ٣٦]، وقال ابن عَبَّاس وغيره:

= رده رسول اللَّه ﷺ عن «بدر»؛ استصغره. وأول مشاهده «أحد»، وقيل: «الخندق». وغزا مع النبي ﷺ أربع عشرة غزوة. وهو الذي افتتح الري سنة أربع وعشرين صلحاً أو عنوة في قول أبي عمرو الشيباني. وقال أبو عبيدة: افتتحها حذيفة. نزل «الكوفة» وابتنى بها داراً.
توفي في إمارة مصعب بن الزبير، وقيل: في سنة (٧٢).
ينظر ترجمته في: **«أسد الغابة»** (١/ ٢٠٥)، **«الإصابة»** (١/ ١٤٧)، **«الاستيعاب»** (١/ ١٥٥)، **«تجريد أسماء الصحابة»** (١/ ٤٦)، **«الطبقات الكبرى»** (٢/ ٣٧٦)، **«الأعلام»** (٢/ ٤٦)، **«التاريخ الكبير»** (٢/ ١١٧)، **«التاريخ الصغير»** (١/ ٦)، **«الجرح والتعديل»** (٢/ ٣٩٩)، **«تهذيب الكمال»** (١/ ٢١٣٩)، **«تهذيب التهذيب»** (١/ ٤٢٥)، **«تقريب التهذيب»** (١/ ٩٤)، **«تاريخ بغداد»** (١/ ١٧٧)، **«تاريخ ابن معين»** (٢/ ١٤٧)، **«بقي بن مخلد»** (١٤)، **«البداية والنهاية»** (٨/ ٣٢٨)، **«التحفة اللطيفة»** (١/ ٣٦٤)، **«الوافي بالوفيات»** (١/ ١٠٤)، **«الكاشف»** (١/ ١٥١)، **«الثقات»** (٣/ ٢٦)، **«عنوان النجابة»** (٤٩).

(١) أخرجه الطبري (٢/ ١٩٤) برقم (٣٠٩٠)، وذكره البغوي في **«معالم التنزيل»** (١/ ١٦٠)، وابن عطية الأندلسي في **«المحرر الوجيز»** (١/ ٢٦١)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (١/ ٣٦٨)، وعزاه إلى الطيالسي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي المنذر، وابن أبي حاتم عن البراء.
وفي (١/ ٣٦٩)، عن الزهري، وعزاه لابن جرير.
والجَدَرَةُ: حظيرة تصنع للغنم من حجارة. والجمع جَدَرٌ.
والجديرة: زَرْب الغنم. والجديرة: كنيف يتخذ من حجارة يكون للبهْم وغيرها. ينظر: **«لسان العرب»** (٥٦٦).

(٢) أخرجه الطبري (٢/ ١٩٢) رقم (٣٠٨٢)، ورقم (٣٠٨٩). وذكره البغوي في **«معالم التنزيل»** (١/ ١٦٠)، وابن عطية في **«المحرر الوجيز»** (١/ ٢٦١)، عن البراء بن عازب، والزهري، وقتادة.
والسيوطي في **«الدر المنثور»** (١/ ٣٦٩)، عن الزهري.

(٣) أخرجه الطبري (٢/ ١٩٢/ ١٩٣/ ١٩٤) برقم (٣٠٨٢)، (٣٠٨٣) عن البراء، وبرقم (٣٠٨٩)، عن الزهري وبرقم (٣٠٩٠) عن قتادة، وذكره البغوي (١/ ١٦٠)، وابن عطية (١/ ٢٦١) عن البراء بن عازب، والزهري، وقتادة.
كما ذكره السيوطي (١/ ٣٦٨ ـ ٣٦٩)، عن البراء بن عازب، وقتادة.

(٤) أخرجه الطبري (٢/ ١٩٥) برقم (٣٠٩٥)، عن الربيع وبرقم (٣٠٩٦)، عن زيد.
وذكره البغوي في **«معالم التنزيل»** (١/ ١٦١)، عن الربيع.
وابن عطية في **«المحرر الوجيز»** (١/ ٢٦٢)، عن ابن زيد، والربيع.

﴿ولا تعتدُوا﴾ في قتْلِ النساءِ، والصبيانِ، والرهبانِ، وشبههم؛ فهي مُحْكَمَةٌ[١].

وقوله تعالى: ﴿واقتلوهم حيثُ ثقفتموهم...﴾ الآية: قال ابْنُ إسحاق وغيره: نزَلَتْ هذه الآيةُ في شأنِ عَمْرو بن الحَضْرَمِيِّ، وواقدٍ، وهي سَرِيَّةُ عبد اللَّه بن جَحْش[٢]، و ﴿ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ معناه: أحكمتم غلبتهم، يقال: رَجُلٌ ثَقِفٌ لَقِفٌ، إذا كان محكِماً لما يتناوَلُهُ من الأمور[٣].

و ﴿أَخرجوهُمْ﴾: خطابٌ لجميع المؤمنين، والضميرُ لكفار قريش.

و ﴿الْفِتنَةُ أشدُّ مِنَ القَتْلِ﴾، أي: الفتنةُ التي حملوكم علَيْها، ورامُوكم بِهَا على الرُّجوع إلى الكفر ـ أشدُّ من القتْل، ويحتمل أن يكون المعنَىٰ: والفتنةُ، أي: الكفر والضَّلال الذي هم فيه أَشَدُّ في الحَرَمِ، وأعظم جُرْماً من القتل الَّذي عيَّروكم به في شأن ابْنِ الحَضْرَمِيِّ.

وقوله تعالى: ﴿ولا تقاتلوهم عند المَسْجد الحَرَام...﴾ الآية.

قال الجمهورُ[٤]: كان هذا ثُمَّ نُسِخَ، وقال مجاهد: الآية محكمةٌ[٥]، ولا يجوز قتال أحد، يعني: عند المسجد الحرام، إلا بعد أن يقاتل.

قلتُ: وظاهر قوله ﷺ: «وَإِنَّمَا أُحِلَّتْ لِي سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ، وَلَمْ تُحَلَّ لِأَحَدٍ بَعْدِي»[٦] يقوي قول مجاهد، وهذا هو الراجحُ عند الإمام .....

---

(١) أخرجه الطبري (٢/ ١٩٦) برقم (٣١٠٠)، وذكره البغوي في «معالم التنزيل» (١/ ١٦١) من قول ابن عباس، ومجاهد، وذكره ابن عطية الأندلسي في «المحرر الوجيز» (١/ ٢٦٢)، عن ابن عباس، وعمر بن عبد العزيز، ومجاهد.
والسيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٣٧٠)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس.

(٢) عبد اللَّه بن جَحْش الأسدي بن رِياب، ابن يعمر الأسدي. حليف بني عبد شمس. أَحَدُ السابقين.
قَالَ ابْنُ حِبَّان: له صحبة. وقال ابن إسحاق: هاجر إلى الحبشة، وشهد بَدْراً.
ودُفن هو وحمزة في قبرٍ واحد، وكان له يوم قُتل نَيِّفٌ وأربعون سنة.
ينظر: «الإصابة» (٤/ ٣١، ٣٣).

(٣) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٢٦٢).

(٤) ينظر: «تفسير الطبري» (٣/ ٥٦٧)، و «المحرر الوجيز» (١/ ٢٦٣).

(٥) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (١/ ١٦٢)، عن مجاهد، وجماعة، وابن عطية الأندلسي (١/ ٢٦٣) عن مجاهد.

(٦) هذا جزء من حديث أخرجه البخاري (٤٦، ٤٧)، كتاب «جزاء الصيد»، باب لا يحل القتال بمكة، =

٤٠٢ ـــــــ

﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾

﴿وقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تكون فتنةٌ ويكونَ الدِّينُ للَّه﴾: ﴿الفَتْنَة﴾: هنا الشِّرْك، وما تابعه من أذى المؤمنين. قاله ابن عَبَّاس وغيره[١].

و ﴿الدِّينُ﴾ هنا: الطاعةُ، والشَّرْعُ، والانتهاءُ في هذا الموضع يصحُّ مع عموم الآية في الكفار؛ أنْ يكون الدُّخُولَ في الإِسلام؛ ويصحُّ أن يكون أداء الجزية.

وقوله تعالى: ﴿الشهر الحرام بالشَّهْرِ الحرامِ والحرماتُ قصاص...﴾ الآية: قال ابن عبَّاس وغيره: نزلَتْ في عمرة القَضِيَّةِ، وعامِ الحديبيَةِ سنَةَ ستٍّ، حين صدَّهم المشركون، أي: الشهرُ الحرامُ الذي غلَّبكم اللَّه فيه، وأدخلكم الحَرَمَ عليهم سنَةَ سَبْعٍ ـ بالشهر الحرامِ الذي صدُّوكم فيه، والحرمات قصاصٌ[٢].

وقالتْ فرقةٌ: قوله: ﴿والحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾: مقطوعٌ مما قبله[٣]، وهو ابتداء أمر كان في أول الإِسلام أنَّ من انتهكَ حرمَتَكَ، نِلْتَ منه مثْلَ ما اعتدَىٰ عليك.

﴿واتقُوا اللَّه﴾: قيل: معناه في ألاَّ تعتدوا، وقيل: في ألاَّ تزيدُوا على المثل.

وقوله تعالى: ﴿وأنفقوا في سبيل اللَّه ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة...﴾ الآية: سبيلُ اللَّهِ هنا: الجهادُ، واللفظ يتناوَلُ بَعْدُ جميعَ سُبُلِهِ، وفي الصحيح أنَّ أبا أيُّوب الأنصاريَّ[٤] كان على القُسْطَنْطِينِيَّةِ، فحمل رجُلٌ على عَسْكَر العدُوِّ، فقال قومٌ: ألقى هذا بيده إلى التهلكة، فقال أبو أيوب: لا، إنَّ هذه الآيةَ نزلَتْ في الأنصار، حين أرادوا، لمَّا ظهر الإِسلام؛ أن يتركوا الجهادَ، ويَعْمُروا أموالهم، وأما هذا، فهو الذي قال اللَّه تعالَىٰ

---

(١) أخرجه الطبري (١/ ٢٠٠) برقم (٣١٢٤)، وذكره ابن عطية الأندلسي (١/ ٢٦٣)، والسيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٣٧١)، وعزاه لابن جرير، وابن أبي حاتم، والبيهقي.

(٢) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (١/ ١٦٣)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٢٦٣).

(٣) ذكره ابن عطية الأندلسي في «المحرر الوجيز» (١/ ٢٦٤).

(٤) خالد بن زيد بن كُلَيْب بن ثَعْلَبَة، الأنصاري، النَّجَّارِي، أبو أيوب المدني، شهد بدراً والعَقَبَة، وعليه نزل النبي ﷺ حين دخل المدينة. له مائة وخمسون حديثاً.
ينظر: «الخلاصة» (١/ ٢٧٧).

فيه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾[١] [البقرة: ٢٠٧].

وقال ابن عبَّاس، وحذيفةُ بْنُ اليَمَانِ، وجمهورُ الناس: المعنى: لا تُلْقُوا بأيديكم؛ بأنْ تتركُوا النَّفَقَةَ في سَبِيلِ اللَّه، وتخافوا العَيْلَةَ[٢].

﴿وَأَحْسِنُوا﴾: قيل: معناه: في أعمالكم بٱمتثال الطَّاعات؛ روي ذلك عن بعض الصحابة[٣]، وقيل: المعنى: وأحسنوا في الإنفاق في سبيل اللَّهِ، وفي الصَّدَقَات، قاله زَيْدُ بْنُ أَسْلَم[٤]، وقال عِكْرِمَة: المعنَىٰ: وأحْسِنُوا الظنَّ باللَّه عزَّ وجلَّ[٥].

* ت *: ولا شَكَّ أن لفظ الآية عامٌّ يتناول جميعَ ما ذكر، والمخصَّص يفتقر إلى دليل.

فأما حُسْن الظن باللَّه سبحانه، فقد جاءَتْ فيه أحاديثُ صحيحةٌ، فمنها: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي»[٦]، وفي «**صحيح مسلم**»، عن جابر، قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِثَلاَثَةِ أَيَّامٍ يَقُولُ: «لاَ يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلاَّ وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ»[٧] انتهى/. ١٤٩أ

وأخرج أبو بكر بن الخَطِيبِ، بسنده، عن أنسٍ؛ أنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «مِنْ حُسْنِ عِبَادَةِ المَرْءِ حُسْنُ ظَنِّهِ»[٨]. انتهى.

---

(١) ذكره ابن عطية في «**المحرر الوجيز**» (١/ ٢٦٥).

(٢) أخرجه الطبري في «**التفسير**» (٢/ ٢٠٧) رقم (٣١٥٥).
وذكره البغوي في «**معالم التنزيل**» (١/ ١٦٤)، وابن عطية في «**المحرر الوجيز**» (١/ ٢٦٥)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (١/ ٣٧٤)، وعزاه إلى الفريابي، وابن جرير، وابن المنذر.

(٣) ذكره ابن عطية في «**المحرر الوجيز**» (١/ ٢٦٥).

(٤) أخرجه الطبري (٢/ ٢١٢) برقم (٣١٩٠)، وذكره ابن عطية في «**المحرر الوجيز**» (١/ ٢٦٥).

(٥) أخرجه الطبري (٢/ ٢١٢)، رقم (٣١٨٩)، وذكره ابن عطية في «**المحرر الوجيز**» (١/ ٢٦٥)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (١/ ٣٧٥)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير، عن عكرمة.

(٦) تقدم تخريجه.

(٧) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٠٤) كتاب «الجنة وصفة نعيمها وأهلها» باب الأمر بحسن الظن باللَّه تعالى عند الموت، حديث (٨١/ ٢٨٧٧)، من حديث جابر.
وابن ماجه (٢/ ١٢٩٥)، كتاب «الزهد»، باب «التوكل واليقين» رقم (٤١٦٧)، والبيهقي (٣/ ٣٧٨) كتاب «الجنائز»، باب المريض يحسن ظنه باللَّه - عز وجل - ويرجو برحمته»، وأحمد (٣/ ٢٩٣-٣١٥- ٣٢٥- ٣٩٠)، وابن حبان (٢/ ٤٠٣)، كتاب «الرقاق»، باب ذكر الأمر للمسلم بحسن الظن بمعبوده، مع قلة التقصير في الطاعات رقم (٦٣٦)، (٢/ ٤٠٤، ٤٠٥)، كتاب «الرقاق»، باب حث المصطفى ﷺ على حسن الظن بمعبودهم جل وعلا، رقم (٦٣٨).

(٨) أخرجه الخطيب في «**تاريخ بغداد**» (٥/ ٣٧٧).

قال عبد الحَقِّ في «العاقبة»: أَمَّا حسْنُ الظنِّ باللَّهِ عزَّ وجلَّ عند الموت، فواجبٌ؛ للحديث. انتهى.

ويدخل في عموم الآية أنواعُ المعروف؛ قال أبو عمر بن عَبْدِ البَرِّ: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ»[1]، قَالَ أَبُو جُرَيٍّ الْهُجَيْمِيُّ[2]؛ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْصِنِي، قَالَ: «لاَ تَحْقِرَنَّ شَيْئاً مِنَ المَعْرُوفِ؛ أَنْ تَأْتِيَهُ، وَلَوْ أَنْ تُفَرِّغَ مِنْ دَلْوِكَ فِي إِنَاءِ المُسْتَسْقِي، وَلَوْ أَنْ تَلْقَىٰ أَخَاكَ، وَوَجْهُكَ مُنْبَسِطٌ إِلَيْهِ»[3]، وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلام: «أَهْلُ المَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ المَعْرُوفِ فِي الآخِرَةِ»[4]، وقال عليه الصلاة والسَّلام: «إِنَّ لِلَّه

---

(١) أخرجه البخاري (١٠/ ٤٦٢) كتاب «الأدب»، باب كل معروف صدقة حديث (٦٠٢١)، ومسلم (٢/ ٦٩٧)، كتاب «الزكاة» باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف حديث (٥٢/ ١٠٠٥).

(٢) هو جابر بن سليم، وقيل: سليم بن جابر، جُرَيّ الهجيمي مشهور بكنيته.
ينظر: **«أسد الغابة»** ت (٦٣٧)، **«الاستيعاب»** ت (٣٠٥)، **«الثقات»** (٣/ ٢٥٤)، **«تجريد أسماء الصحابة»** (١/ ٧١)، **«تقريب التهذيب»** (٢/ ٣٩)، **«الطبقات الكبرى»** (١٧٩)، **«تهذيب الكمال»** (١/ ١٧٨)، **«الوافي بالوفيات»** (١١/ ٢٦)، **«التاريخ الصغير»** (١/ ١١٧)، **«التاريخ الكبير»** (٢/ ٢٠٥)، **«الجرح والتعديل»** (٢/ ٢٠٢٧)، **«تبصير المنتبه»** (٣/ ٩١٥)، **«الإصابة»** (١/ ٥٤٢).

(٣) أخرجه أبو داود (٢/ ٤٥٤)، كتاب «اللباس»، باب ما جاء في إسبال الإزار، حديث (٤٠٨٤)، وأحمد (٥/ ٦٣)، والحاكم (٤/ ١٨٦)، وابن حبان (٨٦٦ـ موارد).

(٤) أخرجه الطبراني في **«الصغير»** (١/ ٢٦٢ ـ ٢٦٣)، والقضاعي في **«مسند الشهاب»** (٣٠١)، وأبو نعيم في **«حلية الأولياء»** (٩/ ٣١٩) من طريق المسيب بن واضح، ثنا علي بن بكار، ثنا هشام بن حسان، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة مرفوعاً.
وقال الطبراني: لم يروه عن هشام إلا علي، تفرد به المسيب، وقال ابن أبي حاتم في **«العلل»** (٢/ ٢٩٢) رقم (٢٣٨٠): سألتُ أبي عن حديث رواه المسيب بن واضح، عن علي بن بكار، عن هشام بن حسان، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة». قال أبي: هذا حديث منكر جداً اهـ.
والحديث ذكره الهيثمي في **«مجمع الزوائد»** (٧/ ٢٦٦)، وقال: رواه الطبراني في **«الصغير»**، و **«الأوسط»** بإسنادين في أحدهما يحيى بن خالد بن حيان الرقي، ولم أعرفه، ولا ولده أحمد، وفي الأخير المسيب بن واضح، قال أبو حاتم: يخطىء كثيراً .اهـ.
وفي الباب عن أبي موسى، وابن عمر، وعمر، وعلي، وسلمان، وأبي الدرداء، وابن عباس، وأبي أمامة، وقبيصة بن مرة.
* حديث أبي موسى:
أخرجه الطبراني في **«المعجم الصغير»** (١/ ٧٤) من طريق مؤمل بن إسماعيل، ثنا سفيان، عن عاصم الأحول، عن أبي عثمان النهدي، عن أبي موسى الأشعري مرفوعاً.
وقال الطبراني: لم يروه عن سفيان إلا مؤمل.
والحديث أخرجه الدارقطني في **«العلل»** (٧/ ٢٤٢ ـ ٢٤٣)، ومن طريقه ابن الجوزي في **«العلل=**

.....

= **المتناهية»** (٢/٥٠٨) رقم (٨٣٨)، من طريق مؤمل بن إسماعيل به.
وقال الدارقطني: هذا حديث يرويه عاصم الأحول، واختلف عنه، فرواه مؤمل عن الثوري، عن عاصم، عن أبي عثمان، عن أبي موسى.
وخالفه هشام بن لاحق، رواه عن عاصم عن أبي عثمان عن سلمان، عن النبي ﷺ.
وغيرهما يرويه عن عاصم، عن أبي عثمان، عن النبي ﷺ مرسلاً، وهو الصواب.
وقال ابن الجوزي: تفرد به مؤمل عن الثوري، فأسنده عن أبي موسى.
* حديث ابن عمر:
أخرجه البزار (٣٢٩٥ـ كشف)، وابن عدي في **«الكامل»** (٥/ ٢٠٠١)، وابن الجوزي في **«العلل المتناهية»** (٢/ ٥٠٦) رقم (٨٣٥)، من طريق خازم بن مروان. قال: حدثني ابن السائب عن نافع، عن ابن عمر مرفوعاً.
قال ابن أبي حاتم في **«العلل»** (٢/ ١٠٥) رقم (١٨٠٨): قال أبي الحديث الذي روي عن عطاء بن السائب، عن نافع، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ قال: «أهل المعروف في الدنيا، أهل المعروف في الآخرة». قال أبي: هذا حديث باطل .اهـ.
والحديث ذكره الهيثمي في **«مجمع الزوائد»** (٧/ ٢٦٥)، وقال: رواه البزار، وفيه خازم أبو محمد قال أبو حاتم: مجهول.
* حديث عمر:
قال الدارقطني في **«العلل»** (٢/ ٢٤٤ ـ ٢٤٦): يرويه عاصم بن سليمان الأحول، واختلف عنه، فرواه مؤمل عن الثوري عن عاصم عن أبي موسى عن النبي ﷺ، ورواه هشام بن لاحق عن عاصم عن أبي عثمان عن سلمان عن النبي ﷺ. وكلاهما وهم، والصَّواب ما رواه حماد بن زيد، وغيره عن عاصم عن أبي عثمان عن عمر من قوله غير مرفوع، ورواه علي بن مسهر، وغيره، عن عاصم عن أبي عثمان قال: قال رسول الله ﷺ مرسلاً، حدثنا أبو علي المالكي، ثنا زيد بن أخرم، ثنا عبد القاهر بن شعيب قال: ثنا هشام، عن عاصم الأحول، عن أبي عثمان قال: سمعت عمر على المنبر يقول: «إن أهل المعروف... الحديث».
والحديث ذكره الهيثمي في **«مجمع الزوائد»** (٧/ ٢٦٦)، وقال: رواه الطبراني، وفيه هشام بن لاحق تركه أحمد، وقوَّاه النسائي، وبقية رجاله ثقات .اهـ.
* حديث أبي الدرداء:
أخرجه الخطيب (١٠/ ٤٢٠) من طريق هيذام بن قتيبة، قال: نا عبد الملك بن زيد أبو بشر البزار: قال: نا سفيان الثوري، عن العلاء بن الحارث، عن مكحول، عن أبي الدرداء مرفوعاً، ومن طريق الخطيب، أخرجه ابن الجوزي في **«العلل»** (٢/ ٥٠٨) رقم (٨٤٠)، وقال: هيذام مجهول.
* حديث ابن عباس:
أخرجه الطبراني في **«الكبير»** (١١/ ٧١) رقم (١١٠٧٨) من طريق موسى بن أعين، عن ليث، عن مجاهد، عن ابن عباس مرفوعاً. وأخرجه (١١/ ١٩٠ـ ١٩١) رقم (١١٤٦٠)، من طريق عبد الله بن هارون الفروي، ثنا محمد بن منصور، حدثني أبي عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس مرفوعاً. =

عِبَاداً خَلَقَهُمْ لِحَوَائِجِ النَّاسِ، هُمُ الآمِنُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ»[1]. انتهى من كتابه المسمَّىٰ بـ «**بهجة المَجَالسِ وأُنس المُجَالِسِ**».

﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ

= والحديث ذكره الهيثمي في «**المجمع**» (٧/ ٢٦٦)، وقال: رواه الطبراني في «**الكبير**»، و «**الأوسط**»، وفي إسناد الكبير عبد الله بن هارون الفروي وهو ضعيف، وفي الآخر ليث بن أبي سليم.

* حديث أبي أمامة:

أخرجه الطبراني في «**الكبير**» (٨/ ٣١٢ـ ٣١٣) رقم (٨٠١٥)، وقال الهيثمي في «**المجمع**» (٧/ ٢٦٦): وفيه من لم أعرفه.

* حديث قبيصة بن مرة:

أخرجه الطبراني في «**الكبير**» (١٨/ ٣٧٦) رقم (٩٦)، والبزار (٣٢٩٤ـ كشف)، من طريق نصير بن عمرو بن يزيد بن قبيصة بن برمة الأسدي الكوفي قال: سمعت برمة بن ليث يقول: سمعت قبيصة بن برمة به مرفوعاً.

وقال الهيثمي في «**المجمع**» (٧/ ٢٦٥): وفيه علي بن أبي هاشم، قال أبو حاتم: هو صدوق إلا أنه ترك حديثه من أجل أن يتوقف في القرآن، وفيه من لم أعرفه.

* حديث علي:

أخرجه الخطيب (٢/ ٢٤٤)، من طريق محمد بن الحسين البغدادي، عن محمد بن عبد الله بن خليس، عن أبي عثمان بكر بن محمد المازني قال: سمعت سيبويه يقول: سمعت الخليل بن أحمد يقول: سمعت ذراً الهمداني يقول: سمعت الحارث العكلي عن علي بن أبي طالب مرفوعاً.

وله طريق آخر: أخرجه الخطيب (١١/ ٣٢٦) من طريق أيوب بن محمد، عن أبي عثمان المازني به.

ومن طريقي الخطيب أخرجه ابن الجوزي في «**العلل المتناهية**» (٢/ ٥٠٧) رقم (٨٣٦، ٨٣٧).

وقال: هذا حديث لا يصح. أما حديث علي ففي الطريق الأول محمد بن الحسين البغدادي، وكان يسمي نفسه لاحقاً، وقد وضع على رسول الله ﷺ ما لا يحصى؛ ذكره الخطيب. وأما الطريق الثاني فإن أيوب بن محمد مجهول الحال .اهـ.

وللحديث طريق آخر عن علي: أخرجه الحاكم (٤/ ٣٢١)، من طريق حبان بن علي عن سعد بن طريف عن الأصبغ بن نباتة عن علي مرفوعاً بلفظ: «يا علي، إن أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة». وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وتعقبه الذهبي فقال: الأصبغ واه، وحبان ضعفوه.

* حديث سلمان:

أخرجه الطبراني في «**الكبير**» (٦/ ٢٤٦) رقم (٦١١٢)، والعقيلي في «**الضعفاء**» (٤/ ٣٣٧)، من طريق هشام بن لاحق، ثنا عاصم الأحول، عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان مرفوعاً.

قال ابن الجوزي في «**العلل**» (٢/ ٥٠٩): وأما حديث سلمان فقال أحمد بن حنبل: تركت حديث هشام بن لاحق، وقال ابن حبان: لا يجوزُ الاحتجاجُ به.

(١) أخرجه القضاعي في «**مسند الشهاب**» رقم (١٠٠٧، ١٠٠٨).

فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وأتموا الحج والعمرة للَّهِ﴾: قال ابنُ زَيْد وغيره: إتمامهما ألاَّ تفسخا، وأن تتمهما، إذا بدأْتَ بهما[1]، وقال ابن عَبَّاس وغيره: إتمامهما أنْ تقضي مناسكهما كاملةً بما كان فيهما من دماء[2]، وقال سفيانُ الثَّوْرِيُّ: إتمامهما أنْ تخرج قاصداً لهما، لا لتجارةٍ، ولا لغيرِ ذلك[3]؛ ويؤيد هذا قولُهُ: ﴿لِلَّهِ﴾.

وفروضُ الحجِّ: النيَّة[4]، والإحرامُ، والطوافُ[5] المتصلُ بالسعْيِ، يعني: طواف

---

(١) أخرجه الطبري (٢/ ٢١٤) برقم (٣٢٠٧)، وذكره ابن عطية (١/ ٢٦٥).

(٢) أخرجه الطبري (٢/ ٢١٣) برقم (٣١٩٤). وذكره البغوي (١/ ١٦٥)، وابن عطية (١/ ٢٦٦)، والسيوطي (١/ ٣٧٦)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر عن ابن عباس.

(٣) أخرجه الطبري (٢/ ٢١٤) برقم (٣٢٠٦)، وذكره البغوي (١/ ١٦٥ ـ ١٦٦)، وابن عطية (١/ ٢٦٥).

(٤) معناه: نية الدخول في الحج وكيفيته: أن يقصد الحج والإحرام به للَّه تعالى؛ لخبر «إنما الأعمال بالنيات». . ويشترط في النية أن تكون في أشهر الحج؛ لقوله تعالى: ﴿الحَج أَشْهُرٌ مَعْلُومَات﴾ والمراد به وقت إحرام الحجّ.

ويسن اقتران النية بالتلبية بأن ينوي ويلبي بلا فاصل، كما يسنّ في النية ـ التلفظ باللسان، ليساعد اللسان القلب، بأن يقول الشخص: نويت الحج وأحرمت به للَّه (تعالى) إذا كان يحج عن نفسه، أو نويت الحج عن فلان، وأحرمت به للَّه تعالى ـ إذا كان يحج عن غيره.

وصيغة التلبية: «لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك».

وقال أبو حنيفة (رضي اللَّه عنه): لا ينعقد الإحرام حتى يلبّي، أو يسوق الهدي، واستدل «أوّلاً» بقوله (عليه الصلاة والسلام): «أمرني جِبْريلُ أَنْ آمر أصحابي بالتلبية ورفع الصوت. و «ثانياً» بالقياس على الصلاة.

وأجيب عن الأول بأن الأمر أمر استحباب، وإلا لزم رفع الصوت، كما أجيب عن الثاني، بأنّ المقصود من الصلاة الذكر بخلاف الحجّ.

(٥) من أركان الحج الطواف بالبيت؛ لقوله تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالبَيْتِ العَتِيق﴾ [الحج: ٢٩]، والمراد به طواف الإفاضة، لانعقاد الإجماع على ذلك، ولهذا الطواف أسماء غير ذلك، منها «طواف الزيارة»، و «طواف الفرض»، وقد يسمى «طواف الصَّدَر» بفتح الدال، والأشهر أن طواف الصدر هو طواف الوداع.

ومحل طواف الإفاضة بعد الخروج من عرفة؛ ولهذا سمي طواف الإفاضة، ويدخل وقته بنصف ليلة النحر، لمن وقف قبله؛ قياساً على رمي جمرة العقبة، ولا آخر لوقته؛ إذ الأصل، عدم التأقيت إلا إذا دلّ دليل على ذلك، ولا دليل ثمّة. =

الإفاضة، والسَّعْي بين الصفا والمروة عنْدنا؛ خلافاً لأبي حنيفة، والوقوفُ بعرفة[١]، وزاد ابن الماجِشُونَ: جَمْرة العَقَبَة.

وقوله تعالى: ﴿فإن أحصرتم فما ٱستيسر من الهَدْي﴾ هذه الآية نزلَتْ عام الحديبية عنْد جمهور أهل التأويل، وأجمع جمهورُ النَّاس علَىٰ أنَّ المُحْصَرَ بالعَدُوِّ يَحِلُّ حيثُ أُحْصِرَ، وينحر هَدْيه، إن كان ثَمَّ هَدْيٌ، ويحلق رأسه، وأما المُحْصَرُ بمرضٍ، فقال مالك، وجمهور من العلماء: لا يحله إلا البيتُ، ويقيم حتَّىٰ يُفِيقَ، وإن أقام سنين، فإذا وصل البيتَ، بعد فوت الحجِّ، قطع التلبيةَ في أوائل الحرم، وحلَّ بعمرة، ثم تكون عليه حجَّة قضاء، وفيها يكون الهَدْي.

و«مَا» في موضع رفعٍ[٢]، أي: فالواجبُ، أو: فعليكُمْ ما ٱستَيْسَرَ، وهو شاةٌ عند الجمهور.

= ويسن تأخيره إلى بعد طلوع الشمس؛ للاتباع، ويكره تأخيره عن يوم النحر، وفي تأخيره عن أيام التشريق كراهة شديدة، وعن خروجه من «مكة» كراهة أشد.

(١) من أركان الحج: الوقوف بعرفة، لقوله ﷺ: «الحجُّ عرفة» أي: معظمه، ويبتدىء وقته من زوال اليوم التاسع من ذي الحجة؛ لما صح «أَنَّه ﷺ وَقَفَ بَعدَ الزَّوَالِ» مع خبر «خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ»، وينتهي بطلوع فجر يوم النحر، وهو اليوم العاشر من ذي الحجة؛ لقوله ﷺ: «مَنْ أَدْرَكَ عَرَفَةَ قَبْلَ أَنْ يَطْلُعَ الفَجْر فَقَدْ أَدْرَكَ الحَجَّ»، ففي أي جزء من الزمن المذكور وقف المحرم بأرض عرفة أجزأه، دون ما قبله، ودون ما بعده.

نعم لو وقفوا يوم النحر غلطاً لظنهم أنه اليوم التاسع بأن غم عليهم هلال ذي الحجّة، فأكملوا ذا القعدة ثلاثين، ثم بان أن الهلال أهلّ ليلة الثلاثين، أجزأهم ذلك الوقوف بدون قضاء، بشرط ألا يكون عددهم أقلّ من المعتاد، فإذا قلّ عددهم عن حسب العادة وجب عليهم القضاء، كما يجب عليهم القضاء إذا وقفوا اليوم الثامن أو الحادي عشر غلطاً؛ لندرة الغلط فيهما.

والمعتبر في الوقوف بعرفة حضور المحرم بها ولو لحظة ماشياً كان أو راكباً، متيقظاً كان أو نائماً، وسواء حضر لغرض الوقوف أم لا، كأن كان هارباً أو مارًّا في طلب آبق، وسواء علم أنها عرفة، أو لم يعلم أنها هي، وبالجملة فيجزىء الوقوف مع النوم ولو استغرق جميع الوقت، ومع الغفلة، ومع عدم المكث، ومع الجهل بالبقعة واليوم.

وفي حكم أرض عرفة ما اتصل بها وكان في هوائها، فيكفي كون المحرم على دابّة أو سيّارة أو شجرة في أرض المذكورة. ولا يكفي كونه على غصن شجرة خارج عن هوائها، وإن كان أصل الغصن المذكور فيها، ولا كونه على غصن في هوائها وأصله ليس فيها، كما لا يكفي الطيران في جوّها، ولا الوقوف على جزء نقل منها إلى مكان آخر.

وحدّ عرفة من وادي «عُرَنَةَ» إلى الجبال المقبلة على عرفة إلى حوائط بستان بني عامر، وإلى طريق الحصن، وليست النَّمِرَةُ، ولا وادي «عُرَنَة»، ولا صدر مسجد إبراهيم (عليه السلام) من عرفات.

(٢) وفيها قولان آخران:

أحدهما: أنها في محل نصب، أي: فَلْيُهْدِ، أو فلينحر. وهذا مذهب ثعلب. =

وقال ابن عمر وعروة[١]: جَملٌ دون جَمَلٍ، وبقرةٌ دون بقرة[٢].

وقوله تعالى: ﴿ولا تحلقوا رءوسَكُمْ حتَّىٰ يبلغ الهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾ الخطابُ لجميعِ الأمَّة، وقيل: للمحصَرِينَ خاصَّة، ومَحِلُّ الهَدْيِ: حيث يحل نحره، وذلك لمن لم يُحصَرْ بمِنَىٰ، والترتيب: أن يرمي الحاجُّ الجَمْرَة، ثم ينحر، ثم يَحْلِق، ثم يَطُوف للإفاضة.

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ كان منكم مريضاً...﴾ الآية: المعنى: فحَلَق لإزالة الأذَىٰ، ﴿ففديةٌ﴾، وهذا هو فحْوَى الخطاب عند أكثر الأصوليِّين، ونزلَتْ هذه الآية في كَعْب بن عُجْرَةَ[٣]، حِينَ رَآهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَرَأْسُهُ يَتَنَاثَرُ قملاً، فَأَمَرَهُ بِالحَلاَّقِ، ونَزَلَتِ الرخْصَةُ.

والصيامُ؛ عند مالك، وجميع أصحابه: ثلاثةُ أيامٍ، والصدقةُ ستَّة مساكين؛ لكلِّ

= **والثاني**: أنه مبتدأ، والخبر محذوف تقديره: فعليه ما استيسر. ويعزى للأخفش.
ينظر: **«الدر المصون»** (١/ ٤٨٤).

(١) عروة بن الزبير بن العوّام الأسدي، أبو عبد اللّه المدني، أحد الفقهاء السبعة، وأحد علماء التابعين، روى عن أبيه وأمه وكثير من الصحابة.
قال الزهري: عروة بحر لا تكدره الدِّلاء. كان يقرأ كل ليلة ربع القرآن. ولد سنة ٢٩هـ ومات وهو صائم سنة ٩٢هـ، وقيل غير ذلك.
ينظر: **«الخلاصة»** (٢/ ٢٢٦) (٤٨٢٦)، ابن سعد (٥/ ١٣٢ ـ ١٣٥)، و **«الحلية»** (٢/ ١٧٦ ـ ١٨٣)، **«الوفيات»** (٣/ ٢٥٥ ـ ٢٥٨).

(٢) أخرجه الطبري (٢/ ٢٢٥) رقم (٣٢٧٥)، وذكره ابن عطية (١/ ٢٦٧)، والسيوطي (١/ ٣٨٤)، وعزاه لوكيع، وسفيان بن عيينة، وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، من طرق عن ابن عمر.

(٣) هو: كعب بن عجرة بن أمية بن عدي بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن عوف بن غنم بن سواد بن مري بن إراشة... أبو محمد البلوي، حليف الأنصار.
قال الواقدي: ليس بحليف للأنصار، ولكنه من أنفسهم. قال ابن سعد: طلبت اسمه في نسب الأمصار فلم أجده. وقال ابن الكلبي. وساق نسبه إلى «بلي» ثم قال: انتسب كعب في الأنصار في بني عمرو بن عوف، وتأخر إسلامه ثم أسلم وشهد المشاهد كلها. روى عنه ابن عمر، وجابر بن عبد اللّه، وعبد اللّه بن عمرو بن العاص، وابن عياش، وطارق بن شهاب وغيرهم.
ينظر ترجمته في: **«أسد الغابة»** (٤/ ٤٨١)، **«الإصابة»** (٥/ ٣٠٤)، **«الثقات»** (٣/ ٣٥١)، **«الاستيعاب»** (٢/ ١٣٢١)، **«الاستبصار»** (١٩٥)، **«العبر»** (١/ ٥٧)، **«تجريد أسماء الصحابة»** (٢/ ٣١)، **«تاريخ جرجان»** (٢٩٦)، **«الأعلام»** (٥/ ٢٢٧)، **«عنوان النجابة»** (١٤٩)، **«الكاشف»** (٣/ ٨)، **«الإكمال»** (٤/ ٣٩١)، **«الجرح والتعديل»** (٧/ ١٦٠)، **«تهذيب الكمال»** (٣/ ١١٤٧)، **«تهذيب التهذيب»** (٨/ ٤٣٥)، **«تقريب التهذيب»** (٢/ ١٣٥)، **«سير أعلام النبلاء»** (٣/ ٥٢).

مسكينٍ نصفُ صاعٍ، وذلك مُدَّانِ بمُدِّ النبيِّ ﷺ، والنُّسُكُ: شاة بإجماع، ومَنْ أَتَىٰ بأفضلَ منها ممَّا يذبح أو ينحر، فهو أفضلُ والمفتدِي مخيَّر في أيِّ هذه الثلاثة شاء، حيثُ شاء من مكَّة وغيرها.

قال مالكٌ وغيره: كلَّما أتَىٰ في القرآن «أَوْ أَوْ»، فإنه على التخْيير.

وقوله تعالى: ﴿فإذا أمنتم﴾، أي: من العدُوِّ المُحْصِرِ/، قاله ابن عبَّاس وغيره[1]، وهو أشبهُ باللَّفظ، وقيل: معناه: إذا برأتم من مَرَضِكم[2]. ٤٩ ب

وقوله سُبحانه: ﴿فمن تمتَّع بالعمرةِ إلى الحج...﴾ الآية.

قال ابن عبَّاس وجماعةٌ من العلماء: الآيةُ في المحصَرين وغيرهم[3]، وصورة المتمتِّع[4] أنْ تجتمعَ فيه ستَّةُ شروطٍ، أن يكون معتمراً في أشْهُر الحجِّ، وهو من غير

---

(١) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٢٦٨)، والسيوطي (١/ ٣٨٤)، وعزاه إلى سفيان بن عيينة، والشافعي في «الأم»، وعبد الرزاق، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم من طرق عن ابن عباس.

(٢) أخرجه الطبري (٢/ ٢٥١)، وذكره البغوي (١/ ١٧٠)، وابن عطية (١/ ٢٦٨).

(٣) أخرجه الطبري (٢/ ٢٥٤) برقم (٣٤٣١)، وذكره ابن عطية (١/ ٢٦٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٣٨٧)، وعزاه إلى ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٤) وهو عكس الإفراد أن يحرم الشخص بالعمرة أوّلاً من الميقات الذي مرّ عليه في طريقه إن كان غير ميقات بلده، ثم يأتي بأعمالها، وبعد الفراغ منها يحرم بالحج من «مكة» أو من الميقات الذي أحرم منه للعمرة، أو من مثل مسافته، أو من ميقات أقرب منه، وسواء كان إحرامه بالعمرة في أشهر الحج أو قبل أشهره، وسواء حج في العام الذي اعتمر فيه، أو أخر الحج إلى عام قابل، فللتمتع أربع صور، وسمّي الآتي به: متمتعاً؛ لأنه تمتّع بمحظورات الإحرام بين النّسكين. ولدم التمتع شروط أربعة: أن تقع عمرة المتمتع في أشهر الحج، فإذا أحرم بالعمرة قبل أشهر الحج «سواء أتمها قبل دخول أشهر الحج أو أتمها فيها» فلا يجب عليه الدم، لأنه لم يجمع بين الحج والعمرة في أشهر الحج، فأشبه المُفرد. أن يحج من عامه، فإذا اعتمر في أشهر الحج ثم حج في عام آخر أو لم يحج أصلاً، فلا دم عليه، لما روى البيهقي «كان أصحاب رسول الله ﷺ يعتمرون في أشهر الحج، فإذا لم يحجوا من عامهم ذلك لم يهدوا».

ألا ويعود المتمتع بعد فراغه من العمرة إلى الميقات الذي أحرم منه أولاً أو إلى ميقات آخر من مواقيت الحج ليحرم منه بالحج، فإن عاد المتمتع إلى الميقات ليحرم منه بالحج، فلا دم عليه لأن المقتضي للدم هو ذبح الميقات، وقد انتفى بعودة المتمتع إليه.

ألا يكون المتمتع من حاضري المسجد الحرام، لقوله تعالى: ﴿ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام﴾ [البقرة: ١٩٦]، والمراد بحاضري المسجد الحرام من بين مساكنهم، والحرم أقل من مرحلتين، فإن كان المتمتع من أهل هذه الجهة، فلا يلزمه الدم، لقربه من الحرم، والقريب من الشيء يقال له: «حاضره»، قال تعالى: ﴿واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر﴾ [الأعراف: ١٦٣] أي=

خاضِرِي المَسْجِد الحرام، ويحل وينشىء الحَجَّ من عَامِهِ ذلك، دون رُجُوع إِلى وطنه، أو ما ساواه بُعْداً، هذا قول مالِكٍ، وأصحابه، واَختلفَ، لِمَ سُمِّيَ متمتعاً.

فقال ابن القاسِم: لأنه تمتع بكلِّ ما لا يجوز للمُحْرِم فعْلُه مِنْ وقْت حلِّه في العمرة إِلى وقْت إِنشائه الحجَّ[1]، وقال غيره: سمي متمتعاً؛ لأنه تمتَّع بإِسقاط أحد السفرين، وذلك أنَّ حق العمرة أنْ تقصد بسَفَرٍ، وحقّ الحج كذلك، فلمَّا تمتع بإِسقاط أحدهما ألزمه اللَّه تعالَىٰ هَدْياً كالقَارن الَّذي يجمع الحجَّ والعمرةَ في سَفَر واحدٍ، وجُلُّ الأمة[2] على جواز العُمْرة في أَشْهُر الحجِّ للمكِّيِّ ولا دَمَ عليه[3].

وقوله تعالى: ﴿فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج﴾، يعني: من وقتِ يُحْرِمْ إِلى يومِ عرفة، فإِنْ فاته صيامها قبل يوم النحرِ، فليصُمْها في أيام التشريق؛ لأنها من أيام الحج.

﴿وَسَبْعَةٍ إِذا رَجَعْتُمْ﴾، قال مجاهد وغيره: أي: إِذا رجعتم من مِنَىٰ[4]، وقال قتادة، والربيع: هذه رخصةٌ من اللَّه سبحانه[5]، والمعنى: إِذا رجعتم إِلى أوطانكم، ولما جاز أنْ

= قريبة منه. والمعنى في ذلك أنه لم يربح ميقاتاً عامًا لأهله ولمن مرَّ به.
ووقت وجوب الدم على المتمتع هو وقت إحرامه بالحج، لأنه حينئذٍ يصير متمتعاً بالعمرة إلى الحج، ويجوز له أن يذبح بعد فراغه من العمرة وقبل الإحرام بالحج؛ لتقدم أحد سببيه. والأفضل ذبحه يوم النحر ولا آخر لوقته كسائر دماء الجبر بها.

(١) ذكره ابن عطية في «**المحرر الوجيز**» (١/ ٢٦٨).

(٢) والأصل في ذلك ما روي عن قَتَادَةَ أَنَّ أنساً أَخْبَرَهُ قَالَ: اعْتَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَرْبَعَ عُمَرٍ، كُلُّهُنَّ في ذِي القَعْدَةِ إلاَّ الَّتي كَانَتْ مَعَ حَجَّتِهِ: عُمْرَةٌ مِنَ الحديبِيَةِ في ذِي القَعْدَةِ، وَعُمْرَةٌ مِنَ العَامِ المُقْبِلِ فِي ذِي القعْدَةِ، وَعُمْرَةٌ مِنَ الجعرَّانَةِ حَيْثُ قَسَمَ غَنَائِمَ حُنَيْنٍ في ذِي القَعْدَةِ، وعُمْرَةٌ مَعَ حَجَّته».
أخرجه البخاري (٣/ ٨٠١)، كتاب العمرة: باب كم اعتمر النبي ﷺ (١٧٧٨)، وأطرافه في (١٧٧٩ـ ١٧٨٠ـ ٣٠٦٦ـ ٤١٤٨)، ومسلم (٢/ ٩١٦)، كتاب «الحج»، باب بيان عدد عمر النبي ﷺ (٢١٧ـ ١٢٥٣).
وروي عن ابن عمر أنه قال: اعتمر النبي ﷺ أربع عمر، إحداهن في رجب، فأخبرَت عائشة بذلك، قالت: يرحم اللَّه أبا عبد الرحمن؛ ما اعتمر رسول اللَّه ﷺ إلا وهو معه، وما اعتمر في رجب قطّ.
وروي عن مجاهد؛ أن علي بن أبي طالب قال: في كل شهر عمرة، وكان أنس بن مالك بمكة، فكان إذا حمم رأسهُ، خرج فاعتمر.
أخرجه الشافعي، كذا في «**ترتيب المسند**» (٢/ ٣٧٩).

(٣) ذكره ابن عطية في «**المحرر الوجيز**» (١/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨).

(٤) ذكره ابن عطية في «**المحرر الوجيز**» (١/ ٢٧٠).

(٥) ذكره ابن عطية في «**المحرر الوجيز**» (١/ ٢٧٠).

يتوهَّم متوهم التخْيير بين ثلاثةِ أيَّامٍ في الحجِّ أو سبعة إذا رجع، أُزِيلَ ذلك بالجليَّةِ من قوله تعالى: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ﴾.

و﴿كَامِلَةٌ﴾[١] قال الحسن بن أبي الحَسَن: المعنَىٰ: كاملة الثوابِ[٢]، وقيل: كاملةٌ[٣] تأكيدٌ؛ كما تقول: كَتَبْتُ بيَدِي، وقيل: لفظها الإخبار[٤]، ومعناها الأمر، أي: أكملوها، فذلك فرضها، وقوله تعالى: ﴿ذلك لِمَنْ لَمْ يكُنْ أهله...﴾ الآيةَ: الإشارة بذلك علَىٰ قول الجمهورِ هي إلى الهَدْي، أي: ذلك الاشتداد والإلزام، وعلى قول من يرى أن المكِّيَّ لا تجوز له العُمْرة في أشهر الحج، تكون الإشارة إلى التمتُّع، وحُكْمِه؛ فكأن الكلام؛ ذلك الترخيصُ لمن لَمْ؛ ويتأيَّد هذا بقوله: ﴿لِمَنْ لَمْ﴾؛ لأن اللام أبداً إنما تجيء مع الرخص[٥]، واختلف الناس في ﴿حَاضِرِي المَسْجِدِ الحَرَامِ﴾ بعد الإجماع على أهل مكة، وما اتصل بها، فقيل: من تَجِبُ عليه الجمعة بمكَّة، فهو حَضَرِيٌّ، ومن كان أبعد من ذلك، فهو بَدَوِيٌّ، قال * ع[٦] *: فجعل اللفظة من الحضارة، والبداوة.

وقيل: من كان بحيثُ لا يَقْصُرُ الصلاة، فهو حاضرٌ، أي: مشاهدٌ، ومن كان أبعد من ذلك، فهو غائبٌ.

وقال ابن عبَّاس، ومجاهد: أهل الحرم[٧] كلُّه حَاضِرُو المَسْجِدِ الحرامِ، ثم أمر تعالَىٰ بتقواه على العموم، وحذَّر من شديد عقابه.

﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى

---

(١) قال الشافعي في «رسالته»: احْتَمَلَتْ أن تكون زيادةً في التبيين، واحتملت أن يكون أعْلَمَهُمْ أنَّ ثلاثةً إذا جُمِعَتْ إلى سَبْعٍ كانت عشرةً كاملةً. ينظر: «الرسالة» (٢٦).

(٢) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (١/ ١٧٠) وابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٢٧٠).

(٣) أخرجه الطبري (٢/ ٢٦٤)، وذكره البغوي (١/ ١٧٠)، وابن عطية (١/ ٢٧٠).

(٤) أخرجه الطبري (٢/ ٢٦٤)، وذكره ابن عطية (١/ ٢٧٠)، والبغوي (١/ ١٧١).

(٥) وهذا على قول من قال: إن الإشارة بـ «ذلك» المقصود بها: ذلك الترخيص، وأما القائلون بجواز اعتمار المكي في أشهر الحج، فيقولون: إن اللام في قوله تعالى: «لمن» بمعنى «على»، ويصير المعنى: وجوب الدم على من لم يكن من أهل مكة، كقوله عليه السلام: «اشترطي لهم الولاء».
ينظر: «الجامع لأحكام القرآن»، للإمام القرطبي (٢/ ٢٦٨).

(٦) «المحرر الوجيز» (١/ ٢٧١).

(٧) أخرجه الطبري (٢/ ٢٦٥) برقم (٣٥٠٦)، وذكره ابن عطية (١/ ٢٧١)، والسيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٣٩١) عن مجاهد، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر عن ابن عباس.

٤١٤ ـــــــ

لما لا يعقل يأتي كالواحدةِ المؤنَّثة، والقليلُ ليس كذلك، تقول: الأجذاعُ انْكَسَرْنَ والجُذُوعُ انْكَسَرَتْ[١]، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٦] ثم قال: ﴿منها﴾ [التوبة: ٣٦].

وقوله تعالى: ﴿فلا رفَثَ ولا فُسُوقَ...﴾ الآية، وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «فَلاَ رَفَثٌ وَلاَ فُسُوقٌ وَلاَ جِدَالَ»، بالرفع في الاثنين، ونصب الجدال[٢]، و «لا» بمعنى «لَيْسَ»، في قراءة الرفع، والرَّفَثُ الجماعُ في قول ابن عبَّاس، ومجاهد، ومالك[٣]، والفُسُوقُ قال ابن عبَّاس وغيره: هي المعاصِي كلُّها[٤]، وقال ابن زَيْد، ومالك: الفُسُوقُ: الذبْح للأصنام[٥]، ومنه قوله تعالَىٰ: ﴿أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ [الأنعام: ١٤٥]، والأول أولَىٰ.

قال الفَخْر[٦]: وأكثر المحقِّقين حملوا الفِسْقَ هنا على كل المعاصِي؛ قالوا: لِأن

---

(١) وهذا بخلاف قوله: ﴿منها أربعة حرم﴾ [التوبة: ٣٦]، فهناك «أشهر» جمع كثرة، وهنا «حرم» جمع قلة.

(٢) وحجة من فتح أنه نفي لجميع جنس الرفث والفسوق، كما قال: ﴿لا ريب فيه﴾ [البقرة: ٢] وكأن قائلاً قال: هل من رفث؟ هل من فسوق؟
وحجة من رفع: أنه يعلم من الفحوى أنه ليس النفي وقتاً واحداً، ولكنه بجميع ضروبه، وقد يكون اللفظ واحداً، والمراد جميعاً.
ينظر: **«السبعة»** (١٨٠)، و **«الكشف»** (١/ ٢٨٥)، و **«حجة القراءات»** (١٢٨، ١٢٩)، و **«الحجة»** (٢/ ٢٨٦)، و **«شرح الطيبة»** (٤/ ٩٦)، و **«شرح شعلة»** (٢٨٧)، و **«العنوان»** (٧٣)، و **«إتحاف»** (١/ ٤٣٣)، و **«معاني القراءات»** (١/ ١٩٦).

(٣) أخرجه الطبري (٢/ ٢٧٦ ـ ٢٧٧) رقم (٣٥٩٩ـ ٣٦٠٣ـ ٣٦١٣) عن ابن عباس، رقم (٣٦٠٩ـ ٣٦١٤) عن مجاهد.
وذكره البغوي (١/ ١٧٢) عن ابن عباس ومجاهد، وابن عطية (١/ ٢٧٢) عن ابن عباس، ومجاهد، ومالك.
وذكره السيوطي في **«الدر المنثور»** (١/ ٣٩٥)، وعزاه لوكيع، وسفيان بن عيينة، والفريابي، وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وأبي يعلى، وابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٤) أخرجه الطبري (٢/ ٢٧٩ ـ ٢٨٠) رقم (٣٦٣٤، ٣٦٤٨، ٣٦٥٢، ٣٦٥٦)، وذكره البغوي في **«معالم التنزيل»** (١/ ١٧٢). وابن عطية في **«المحرر الوجيز»** (١/ ٢٧٢)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (١/ ٣٩٥)، وفي (١/ ٣٩٦)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وسفيان، ووكيع، والفريابي، وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن أبي يعلى، وابن أبي حاتم.

(٥) أخرجه الطبري (٢/ ٢٨٢) رقم (٣٦٧١)، عن ابن زيد. وذكره ابن عطية (١/ ٢٧٢)، عن ابن زيد، ومالك.

(٦) **«التفسير الكبير»** (٥/ ١٤٠).

اللفظ صالِحٌ للكلِّ ومتناولٌ له، والنهي عن الشيء يوجبُ الاِنتهاءَ عن جَميعِ أنواعه، فحمل اللفْظ على بعض أنواع الفسوقِ تحكُّم من غير دليل. انتهى.

قال ابن عباس وغيره: الجِدَالُ هنا: أن تماري مسلماً[١].

وقال مالك، وابن زَيْد: الجدالُ هنا أن يَخْتَلفَ الناسُ أيهم صادَفَ موقفَ إبراهيمَ ـ عليه السلام ـ؛ كما كانوا يفعلون في الجاهلية[٢]، قُلْتُ: ومعنى الآية: فلا تَرْفُثُوا، ولا تفسُقُوا، ولا تجادلُوا؛ كقوله ﷺ: «وَالصَّوْمُ جُنَّةٌ، فَإِذَا كَانَ صَوْمُ أَحَدِكُمْ، فَلاَ يَرْفُثْ، وَلاَ يَصْخَبْ، فَإِنْ شَاتَمَهُ أَحَدٌ، أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ إِنِّي ٱمْرُؤٌ صَائِمٌ...»[٣] الحديث. انتهى.

قال ابن العربيِّ في «**أحكامه**»[٤]: قوله تعالى: ﴿فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ﴾، أراد نفيه مشروعاً، لا موجوداً، فإنا نجد الرفَثَ فيه، ونشاهده، وخبَرُ اللَّه سبحانه لا يَقَعُ بخلافِ مخبره. انتهى.

قال الفَخْر[٥]: قال القَفَّال: ويدْخُل في هذا النهْيِ ما وقَعَ من بعضهم من مجادلة النبيِّ ﷺ حين أمرهم بفَسْخِ الحَجِّ إلى العمرة، فشَقَّ عليهم ذلك، وقالوا: «أنروحُ إِلَىٰ مِنَىٰ، ومَذَاكِيرُنَا تَقْطُرُ مَنِيًّا...» الحديث. انتهى.

وقوله تعالى: ﴿وما تفعلوا من خير يعلمه اللَّه﴾: المعنى: فيثيب عليه، وفي هذا تحضيضٌ على فعل الخير.

* ت *: وروى أُسَامَةُ بنُ زيدٍ عن النبيِّ ﷺ؛ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ، فَقَالَ لِفَاعِلِهِ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْراً، فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ» رواه الترمذيُّ، والنَّسائي، وابنُ حِبَّانَ في «**صحيحه**» بهذا اللفظ[٦]. انتهى من «**السلاح**» ونحو هذا جوابُهُ ﷺ للمهاجرينَ؛ حَيْثُ

---

(١) أخرجه الطبري (٢/ ٢٨٣ـ ٢٨٤)، رقم (٣٦٧٤ـ ٣٦٧٥ـ ٣٦٨١ـ ٣٦٩٥ـ ٣٦٩٦)، وذكره ابن عطية (١/ ٢٧٣)، والسيوطي (١/ ٣٩٥ـ ٣٩٦)؛ وعزاه إلى وكيع، وسفيان بن عيينة، والفريابي، وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وأبي يعلى، وابن جرير، وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري (٢/ ٢٨٦) رقم (٣٧٠٦)، وذكره البغوي في «**معالم التنزيل**» (١/ ١٧٣)، وابن عطية (١/ ٢٧٣) عن مالك، وابن زيد، وذكره السيوطي (١/ ٣٩٧)، وعزاه لابن جرير عن ابن زيد.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) ينظر: «**الأحكام**» (١/ ١٣٤).

(٥) «**التفسير الكبير**» (١/ ١٤١).

(٦) أخرجه الترمذي (٤/ ٣٨٠) كتاب «البر والصلة»، باب ما جاء في المتبع بما لم يعطه، حديث (٢٠٣٤)، والنسائي في «**الكبرى**» (٦/ ٥٣)، كتاب «عمل اليوم والليلة»، باب ما يقول لمن صنع إليه معروفاً، =

قَالُوا: «مَا رَأَيْنَا كَالأَنْصَارِ»، وأثنوا عليْهم خيراً.

وقوله سبحانه: ﴿وتزوَّدوا فإن خير الزاد التقوَىٰ...﴾ الآية: قال ابن عُمَرَ وغيره: نزلَتِ الآية في طائفةٍ من العرب، كانت تجيء إلى الحج بلا زادٍ، ويبقون عالة على النَّاس، فأمروا بالتزوُّد[1]، وقال بعض النَّاس: المعنَىٰ: تزوَّدوا الرفيقَ الصالحَ، وهذا تخصيصٌ ضعيفٌ، والأَولَىٰ في معنى الآية: وتزوَّدوا لمعادِكُمْ من الأعمال الصالحة، قُلْتُ: وهذا التأويلُ هو الذي صَدَّر به الفخْرُ[2] وهو الظاهرُ، وفي قوله: ﴿فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ حضٌّ على التقوَىٰ.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ۖ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿ليس عليكم جناحٌ...﴾ الآية: الجُنَاحُ: أعم من الإثم؛ لأنه فيما

= حديث (١٠٠٠٨). وابن السني في «**عمل اليوم والليلة**» (٢٧٦)، والطبراني في «**الصغير**» (٢/ ١٤٨)، وأبو نعيم في «**ذكر أخبار أصبهان**» (٢/ ٣٤٥)، كلهم من طريق الأحوص بن جواب، ثنا سعيد بن الخمس، ثنا سليمان التيمي، عن أبي عثمان النهدي، عن أسامة بن زيد مرفوعاً.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن جيد غريب، لا نعرفه من حديث أسامة بن زيد، إلا من هذا الوجه .اهـ.

وصححه ابن حبان برقم (٣٤١٣).

وقال الترمذي أيضاً: وقد روي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بمثله، وسألت محمداً فلم يعرفه اهـ. قلت: والحديث الذي أشار إليه الترمذي:

أخرجه ابن أبي شيبة (٩/ ٧٠)، والبزار (٢/ ٣٩٧ـ كشف) رقم (١٩٤٤)، والطبراني في «**الصغير**» (٢/ ١٤٩)، كلهم من طريق موسى بن عبيدة الربذي، عن محمد بن ثابت، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إذا قال الرجل لأخيه: جزاك اللّه خيراً فقد أبلغ في الثناء».

قال البزار: ومحمد بن ثابت لا نعلم روى عنه إلا موسى بن عبيدة، ولا روى عن أبي هريرة هذا الحديث غيره.

والحديث ذكره الهيثمي في «**مجمع الزوائد**» (٤/ ١٥٣)، وقال: رواه البزار، وفيه موسى بن عبيدة، وهو ضعيف.

(١) أخرجه الطبري في (٢/ ٢٩٠) رقم (٣٧٣٢)، وذكره البغوي في «**معالم التنزيل**» (١/ ١٧٣)، وابن عطية في «**المحرر الوجيز**» (١/ ٢٧٣)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (١/ ٣٩٨)، وعزاه إلى ابن جرير، وابن مردويه، عن ابن عمر.

(٢) ينظر: «**التفسير الكبير**» (٥/ ١٤٣).

يقتضي العقابَ، وفي ما يقتضي الزجْرَ والعتاب.

٥٠ ب و ﴿تَبْتَغُوا﴾: معناه: تَطْلبوا، أي: لا دَرك[١] في أنْ تتجروا وتطلبوا/ الربْحَ.

وقوله تعالى: ﴿فإذا أفضْتُمْ من عرفاتٍ﴾: أجمع أهْل العْلمِ على تمامِ حجِّ من وقف بعرفاتٍ بعد الزوال، وأفاض نهاراً قبل الليل إلا مالك بن أنس، فإنه قال: لا بدَّ أن يأخذ من الليل شيئاً، وأمَّا من وقف بعرفة ليلاً، فلا خلافَ بيْن الأمَّة في تمام حَجِّه.

وأفاض القومُ أو الجيشُ، إذا اندفعوا جملةً، واختلف في تسميتها عرفةَ، والظاهر أنه اسم مرتجلٌ؛ كسائر أسماء البقاع، وعرفةُ هي نَعْمَانُ الأَرَاكِ[٢]، والمَشْعَر الحَرَامُ جمعٌ كله، وهو ما بين جبلَيِ المزدَلِفَةِ من حَدِّ مُفْضَىٰ مَأْزِمَي[٣] عرفَةَ إلى بطن مُحَسِّرٍ[٤]، قاله ابن عبَّاس وغيره[٥]، فهي كلُّها مشعر[٦] إلا بطن مُحَسِّرٍ؛ كما أن عرفة كلُّها موقف إلا بطن عُرَنَةَ[٧] بفتح الراء وضمها، وروي عن النبيِّ ﷺ؛ أَنَّهُ قَالَ: «عَرَفَةُ كُلُّهَا مَوْقِفٌ إِلاَّ بَطْنَ عُرَنَةَ، والمُزْدَلِفَةُ كُلُّهَا مَشْعرٌ، أَلاَ وَٱرْتَفِعُوا عَنْ بَطْنِ مُحَسِّرٍ»[٨]، وذكر هذا عبد اللَّه بن

---

(١) الدَّرَك: التَّبعَةُ، يُسَكَّنُ ويحرك. يقال: ما لحقك من دَرَكِ فعليَّ خلاصَه. ينظر: «**لسان العرب**» (١٣٦٤).

(٢) هو وادٍ في طريق الطائف يخرج إلى عرفات. ينظر: «**لسان العرب**» (٤٤٨٤) (نعم).

(٣) المَأْزِمُ: كل طريق ضيق بين جبلين، ومنه سمي الموضع الذي بين المشعر وعرفة مأزمين. ينظر: «**لسان العرب**» (٧٤) (أزم).

(٤) ومُحَسِّر: بضم الميم، وفتح الحاء، بعدها سين مهملة مشددة مكسورة، بعدها راء، كذا قيده البكري: وهو وادٍ بين «مُزْدَلِفَة» و «منى»، وقيل: سمي بذلك؛ لأن فيل أصحاب الفيل حَسَّرَ فيه، أي: أعيا. وقال البكري: هو وادٍ بـ «جمع». وقال الجوهري: هو موضع بـ «منى». ينظر: «**المطلع**» (١٩٦ـ ١٩٧).

(٥) أخرجه الطبري في «**التفسير**» (٢/ ٢٩٨) رقم (٣٧٩٨)، وذكره ابن عطية في «**المحرر الوجيز**» (١/ ٢٧٤)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (١/ ٤٠١)، وعزاه إلى وكيع، وابن جرير، وابن المنذر عن ابن عباس.

(٦) المشعر الحرام، بفتح الميم، قال الجوهري: وكسر الميم لغة، وهو موضع معروف بـ «مزدلفة»، ويقال له: «قزح». وقد تقدم أن المشعر الحرام و «قزح»، من أسماء المزدلفة، فتكون «مزدلفة» كلها سميت بالمشعر الحرام، و «قزح»، تسمية للكل باسم البعض، كما سمي المكان كله: «بدراً»، باسم ماء به، ويقال له: «بدر». ينظر: «**المطلع**» (١٩٧).

(٧) بضم العين، وفتح الراء والنون بين عرفة والمزدلفة. وكل طريق بين جبلين فهو مأزم، وموضع الحرب أيضاً: مأزِمٌ. قال الجوهري: ومنه سمي الموضع الذي بين المشعر الحرام وعرفة: مأزمين. ينظر: «**المطلع**» (١٩٦).

(٨) بدون الاستثناء لعرفة ومحسر: أخرجه: مسلم (٢/ ٨٨٦: ٨٩٢) كتاب «الحج»، باب حجة النبي ﷺ، حديث (١٤٧/ ١٢١٨)، وغيره من حديث جابر في حديثه الطويل في صفة حج النبي ﷺ، المعروف من رواية محمد بن علي، عن جابر. =

.....

= وفي حديث آخر له أيضاً من رواية عطاء عنه: أخرجه أبو داود (٢/ ٤٧٨، ٤٧٩)، كتاب «المناسك» (الحج)، باب الصلاة بجمع، حديث (١٩٣٧)، وأحمد (٣/ ٣٢٦)، والدارمي (٢/ ٥٦، ٥٧)، كتاب «المناسك»، باب عرفة كلها موقف، والبيهقي (٥/ ١٢٢)، كتاب «الحج»، باب حيث ما وقف من «المزدلفة» أجزأه.

ولفظه، أن رسول الله ﷺ قال: «كل عرفة موقف، وكل مزدلفة موقف، ومنى كلها منحر، وكل فجاج مكة طريق ومنحر».

وورد أيضاً من حديث علي: أخرجه أبو داود (٢/ ٤٧٨)، كتاب «المناسك» (الحج)، باب الصلاة بجمع (١٩٣٥)، والترمذي (٣/ ٢٣٢)، كتاب «الحج»، باب ما جاء أن عرفة كلها موقف، حديث (٨٨٥)، وابن ماجة (٢/ ١٠٠١)، كتاب «المناسك»، باب الموقف بعرفات، حديث (٣٠١٠)، والبيهقي (٥/ ١٢٢)، كتاب «الحج»، باب حيث ما وقف من «المزدلفة» أجزأه، وأحمد (١/ ٧٦).

وقال الترمذي: حسن صحيح.

أما بزيادة الاستثناء المذكور، فورد من حديث جبير بن مطعم، وجابر، وابن عباس، وأبي هريرة، وحبيب بن حماشة، وابن عمر.

* حديث جبير بن مطعم:

أخرجه أحمد (٤/ ٨٢)، والبزار (٢/ ٢٧)، كتاب «الحج»، باب عرفة كلها موقف، حديث (١١٢٦)، والطبراني (٢/ ١٣٨)، رقم (١٥٨٣)، وابن حبان في **«موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان للهيثمي»** (ص ٢٤٩)، كتاب **«الحج»**، باب ما جاء في الوقوف بعرفة والمزدلفة، حديث (١٠٠٨)، والبيهقي (٥/ ٢٣٩)، كتاب «الحج»، باب النحر يوم النحر، وأيام منى كلها، وابن حزم في **«المحلى»** (٧/ ١٨٨) عنه، قال رسول الله ﷺ: «كل عرفات موقف، وارفعوا عن عُرَنَة، وكل مزدلفة موقف، وارفعوا عن محسر، وكل فجاج منى منحر، وكل أيام التشريق ذبح».

والحديث ذكره الهيمثي في **«مجمع الزوائد»** (٣/ ٢٥٤)، وقال: رواه أحمد، والبزار، والطبراني في **«الكبير»**..... ورجاله موثقون .اهـ. وصححه ابن حبان.

* وحديث جابر:

أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٠٠٢)، كتاب «المناسك»، باب الموقف بعرفات، حديث (٣٠١٢)، من طريق القاسم بن عبد الله العمري، ثنا محمد بن المنكدر، عن جابر، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «كل عرفة موقف، وارتفعوا عن بطن عرنة، وكل المزدلفة موقف، وارتفعوا عن بطن محسر، وكل منى منحر إلا ما وراء العقبة».

قال الحافظ البوصيري في **«الزوائد»** (٣/ ٢٧): هذا إسناد ضعيف القاسم بن عبد الله بن عمر قال فيه أحمد بن حنبل: كان كذاباً يضع الحديث، ترك الناس حديثه. وقال البخاري: سكتوا عنه. وقال أبو حاتم، وأبو زرعة، والنسائي: متروك الحديث .اهـ.

وذكره مالك في **«الموطأ»** (١/ ٣٨٨) كتاب «الحج»، باب الوقوف بعرفة والمزدلفة (١٦٦) بلاغاً.

وللحديث طريق آخر عن محمد بن المنكدر مرسلاً.

أخرجه البيهقي (٥/ ١١٥) كتاب «الحج»، باب حيث ما وقف من عرفة أجزأه من طريق عبد الوهاب بن عطاء، عن ابن جريج قال: أخبرني محمد بن المنكدر به. =

الزُّبَيْرِ[(١)] في خطبته، وذِكْرُ اللَّه تعالَىٰ عند المشعر .....

= * حديث ابن عباس:
أخرجه الحاكم (١/ ٤٦٢)، كتاب «المناسك»، والبيهقي (٥/ ١١٥)، كتاب «الحج»، باب حيث ما وقف من عرفة أجزأه، من طريق سفيان بن عيينة، عن زياد بن سعد، عن أبي الزبير، عن أبي معبد، عن ابن عباس قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «عرفة كلها موقف، وارفعوا عن بطن عرنة، والمزدلفة كلها موقف، وارفعوا عن بطن محسر، وشعاب منى كلها منحر».
وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، وشاهده على شرط الشيخين صحيح، إلا أن فيه تقصيراً في سنده، ثم أخرجه من طريق يحيى القطان، عن ابن جريج، أخبرني عطاء، عن ابن عباس قال: كان يقال: «ارتفعوا عن محسر، وارتفعوا عن عرفات».
* حديث أبي هريرة:
أخرجه ابن عدي في «**الكامل**» (٧/ ٢٧١٦)، من جهة يزيد بن عبد الملك النوفلي، عن داود بن فراهج، عنه، والنوفلي ضعيف.
قال الذهبي في «**المغني**» (٢/ ٧٥١): مجمع على ضعفه.
وله طريق صحيح، ذكره ابن عبد البر كما في «**تلخيص الحبير**» (٢/ ٢٥٥)، رواه عبد الرزاق، عن معمر، عن محمد بن المنكدر عن أبي هريرة به.
* حديث حبيب بن خماشة:
أخرجه الحارث بن أبي أسامة (٣٨٠ـ بغية)، في «**مسنده**»، قال: حدثنا محمد بن عمر، ثنا صالح بن خوات، عن يزيد بن رومان، عن حبيب بن عمير بن عدي، عن حبيب بن خماشة الجهني، قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول بعرفة: «عرفة كلها موقف إلا بطن عرنة، والمزدلفة كلها موقف إلا بطن محسر»، وذكره الحافظ في «**التلخيص**» (٢/ ٢٥٥)، وقال: رواه ابن قانع في «**معجم الصحابة**»، وفي إسناده الواقدي، وهو كذاب.
* حديث ابن عمر: أخرجه ابن عدي (٤/ ١٥٨٩، ١٥٩٠)، وفيه عبد الرحمن بن عبد اللَّه العمري. تركوه، واتهمه بعضهم. وقال الحافظ: متروك.
ينظر: «**المغني**» للذهبي (٢/ ٣٨٢)، و «**التقريب**» (١/ ٤٨٧ـ ٤٨٨).

(١) هو: عبد اللَّه بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى.. أبو بكر. وقيل أبو خبيب الأسدي. القرشي.
ولد عام الهجرة، وهو أول مولود للمسلمين بعد الهجرة. من مشاهير الصحابة وفضلائهم، وسيرته شهيرة مع الحجاج بن يوسف الثقفي، وكان قد حفظ عن النبي ﷺ، وعن أبيه، وعن أبي بكر، وعمر، وعثمان، وخالته عائشة أم المؤمنين، وغيرهم، وهو أحد الشجعان.
توفي في جمادى الأولى سنة (٧٣) هـ.
ينظر ترجمته في: «**أسد الغابة**» (٣/ ٢٤٢)، «**الإصابة**» (٤/ ٦٩)، «**الثقات**» (٣/ ٢١٢)، «**الاستيعاب**» (٣/ ٩٥)، «**الاستبصار**» (٧٣)، «**صفة الصفوة**» (٩/ ١١٧)، «**التاريخ الكبير**» (٣/ ٦)، «**الجرح والتعديل**» (٥/ ٥٦)، «**التاريخ الصغير**» (١/ ١٥٩)، «**التاريخ لابن معين**» (٢/ ٤٩)، «**تهذيب الكمال**» (٢/ ٦٨٢)، «**غاية النهاية**» (١/ ٤١٩)، «**الأعلام**» (٤/ ٨٧)، «**الرياض المستطابة**» (٢٠١)، «**رياض النفوس**» (١/ ٤٢)، «**حلية الأولياء**» (١/ ٣٢٩)، «**شذرات الذهب**» (١/ ٤٢)، «**العبر**» (١/ ٤، ٦٠).

الحرام[١] نذبٌ عند أهل العلْم، قال مالك: ومن مَرَّ به، ولم ينزلْ، فعليه دَمٌ.

وقوله تعالى: ﴿وَٱذكروه كما هداكمْ﴾ تعديد للنعمة، وأمر بشكرها.

* ص *: ﴿كما هداكم﴾: الكاف للتشبيهِ، وهو في موضع نصْبٍ على النعت لمصدرٍ محذوفٍ، و «مَا» مصدريةٌ، أي: كهدايتِهِ، فتكون «مَا» وما بعدها في موضع جَرٍّ، إذ يَنْسَبِكُ منْها مع الفعل مصْدَرٌ، ويَحتملُ أن تكون للتعليلِ على مذهب الأخفش، وابن بَرْهَانَ[٢]، وجوَّز ابن عطيَّة وغيره، أنْ تكون «مَا» كافَّة للكاف عن العَمَل، والأول أولى[٣]؛ لأن فيه إقرار الكافِ علَىٰ عملها الجرّ، وقد منع صاحبُ «المُسْتَوْفَىٰ»[٤] أنْ تكون الكافُ مكفوفةً بـ «مَا»؛ واحتج من أثبته بقوله: [الوافر]

لَعَمْرُكَ إِنَّنِي وَأَبَا حُمَيْدٍ ... كَمَا النَّشْوَانُ وَالرَّجُلُ الْحَلِيمُ

أُرِيدُ هِجَاءَهُ وَأَخَافُ رَبِّي ... وَأَعْلَمُ أَنَّهُ عَبْدٌ لَئِيمٌ[٥]

انتهى.

---

(١) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٢٧٤).

(٢) عبد الواحد بن عليّ بن عمر بن إسحاق بن إبراهيم بن بَرهان أبو القاسم الأزديّ العكبَري النّحوي. صاحب العربيّة واللغة والتواريخ وأيّام العرب، قرأ على عبد السلام البصريّ وأبي الحسن وكان أوّل أمره منجماً فصار نحويًا، وكان حنبليًا فصار حنفيًا. مات في جمادى الآخرة سنة ست وخمسين وأربعمائة. ينظر: «بغية الوعاة» (٢/ ١٢٠ ـ ١٢١).

(٣) ينظر: «البحر المحيط» (٢/ ١٠٦)، و «الدر المصون» (١/ ٤٩٥).

(٤) «المستوفى» في النحو، قال السيوطي في «بغية الوعاة» (٣٥٥): «أكثر أبو حيان من النقل عنه». وهو لأبي سعد كمال الدين علي بن مسعود بن محمود بن الحكم الفَرُخان القاضي. وفي «كشف الظنون» أنه علي بن مسعود الفرغاني. لكن قال السيوطي: «كذا، وسماه هكذا ابن مكثوم في «تذكرته».

(٥) البيتان لزياد الأعجم في ديوانه (ص ٩٧)؛ و «الجنى الداني» (ص ٤٨١)؛ و «شرح شواهد المغني» (ص ٥٠١)؛ و «المقاصد النحوية» (٣/ ٣٤٨)؛ وبلا نسبة في «مغني اللبيب» (١/ ١٧٨)، «خزانة الأدب» (١٠/ ٢٠٦ـ ٢٠٨)، «العيني» (٣/ ٤٨)، و «شرح أبيات المغني» للبغدادي (٤/ ١٢٥ـ ١٢٦)، و «الدر المصون» (١/ ٤٩٥).

ويروى البيت الثاني هكذا:

أريد حباءه ويريد قتلي ... واعلم أنه الرجل اللئيمُ

وبعده:

فإن الخمر من شر المطايا ... كما الحفظان شر بني تميم

والنشوان: السكران. والنشوة: السكر. والحليم: الذي عنده تأن.

وتحمُّلٌ لما يثقُل على النفس. يقول: أنا وأبو حُميد كالسَّكران والحليم، أتحمَّل منه وهو يعبَثُ بي. كالسَّكران يَسْفَه على الحليم وهو متحمِّل. وهذا تشبيهٌ تمثيلي. شبَّه حالته معه بحالة الحليم مع السَّكران. ينظر: «خزانة الأدب» (١٠/ ٢٠٩).

ثم ذكّرهم سبحانه بحالِ ضلالهم؛ ليظهر قدر إنعامه عليهم.

﴿وإن كنتم مِنْ قبله﴾، أي: من قبل الهُدَىٰ.

وقوله سبحانه: ﴿ثم أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أفاضَ النَّاسُ﴾ المخاطب بهذه الآيةِ قريشٌ، ومن وَلَدَتْ، قاله ابن عبَّاس وغيره[1]، وذلك أنهم كانوا لا يخرجُونَ من الحَرَم، ويَقِفُون بجَمْعٍ، ويفيضون منْه، مع معرفته أنَّ عرفة هي موقفُ إبراهيم، فقِيلَ لهم: أفيضُوا من حيثُ أفاضَ النَّاس، أي: من عرفة، و«ثُمَّ» ليست في هذه الآية للترتيبِ، إنما هي لعطف جملة كلامٍ على جملة هي منها منقطعةٌ.

وقال الضَّحَّاك: المخاطب بالآيةِ جملةُ الأمَّة، والمرادُ بالناسِ إبراهيم، ويحتملُ أن تكون إفاضةً أخرَىٰ، وهي التي من المزدلفة[2]، وعلَىٰ هذا عوَّل الطَبريُّ[3]، فتكون «ثُمَّ» على بابها، وقرأ سعيدُ بن جُبَيْر: «النَّاسِي»[4]، وتأوَّله آدم ـ عليه السلام ـ، وأمر عز وجل بالاِستغفارِ؛ لأنها مواطنه، ومظَانُّ القبولِ، ومساقطُ الرحْمَةِ، وفي الحديث أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ خَطَب عشيَّة عَرَفَةَ، فقال: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ تَطَاوَلَ عَلَيْكُمْ فِي مَقَامِكُمْ هَذَا، فَقَبِلَ مِنْ مُحْسِنِكُمْ وَوَهَبَ مُسِيئَكُمْ لِمُحْسِنِكُمْ، إِلاَّ التَّبِعَاتِ فِيمَا بَيْنَكُمْ، أَفِيضُوا عَلَى اَسْمِ اللَّهِ»، فَلَمَّا كَانَ غَدَاةَ جَمْعٍ، خَطَبَ، فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ تَطَاوَلَ عَلَيْكُمْ، فَعَوَّضَ التَّبِعَاتِ مِنْ عِنْدِهِ»[5].

﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ

---

(١) أخرجه الطبري في «التفسير» (٢/ ٣٠٧)، وذكره البغوي في «معالم التنزيل» (١/ ١٧٥)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٢٧٥).

(٢) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٢٧٥).

(٣) الطبري لم يصرح بموافقته لتأويل الضحاك، وإنما احترز بوجود الإجماع على خلافه، ولولا الإجماع لقال بقوله. ينظر: «جامع البيان» (٤/ ١٩٠ ـ ١٩١).

(٤) واستدل بها أبو الفتح على أن لام التعريف تدخل على الأعلام للذم كما تدخلها للمدح، فمن الأول قولهم: فلان بن الصَّعِق؛ لأن ذلك داءٌ ناله، فهي بلوى. ومن الثاني: المظفر، والعباس ونحوهما.

ينظر: «المحتسب» (١/ ١١٩)، و «الشواذ» (ص ٢٠)، و «المحرر الوجيز» (١/ ٢٧٦)، و «البحر المحيط» (٢/ ١٠٩)، و «الدر المصون» (١/ ٤٩٧).

(٥) ذكر ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ٢١٥) أحاديث بهذا المعنى عن أنس، وابن عمر، وعبادة. وقال: ليس في هذه الأحاديث شيء يصح.

ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ﴾

وقوله تعالى: ﴿فإذا قضيتم مناسككم/ . . .﴾ الآية. ٥١أ

قال مجاهد: المناسكُ: الذبائحُ، وهي إراقة الدِّماء[١].

* ع[٢] *: والمناسكُ عندي العباداتُ في معالمِ الحجِّ، ومواضع النسك فيه.

والمعنَى: إذا فرغتُمْ من حجِّكم الذي هو الوقوفُ بعرفة، فٱذكروا اللَّه بمحامده، وأثْنُوا عليه بآلائه عندكم، وكانت عادَةُ العَرَبِ، إذا قَضَتْ حجَّها، تقفُ عند الجَمْرة تتفاخَرُ بالآباء، وتذكر أيام أسلافها؛ من بَسَالةٍ، وكَرَم، وغير ذلك، فنزلَتِ الآية، أنْ يُلْزِموا أنفسهم ذكر الله تعالى أكثر من التزامهم ذكر آبائهم بأيامِ الجاهلية، هذا قول جمهور المفسِّرين[٣].

وقال ابن عبَّاس، وعطاء: معنى الآيةِ: وٱذكروا اللَّه؛ كذكر الأطفال آباءهم، وأمهاتهمْ، أي: فاستغيثوا به، والْجئوا إليه[٤].

قال النوويُّ في «حليته»[٥]: والمرادُ من الذِّكْر حضورُ القَلْب، فينبغي أن يكون هو مقصودَ الذاكر، فيحرص على تحصيله، ويتدبَّر ما يذكر، ويتعقَّل معناه، فالتدبُّر في الذكْر مطلوبٌ؛ كما هو مطلوب في القراءة؛ لٱشتراكهما في المعنَى المقصود، ولهذا كان المذهبُ الصحيحُ المختارُ استحبابَ مَدِّ الذاكرِ قوله: «لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ»، لما فيه من التدبُّر، وأقوالُ السلفِ، وأئمةِ الخَلَف في هذا مشهورةٌ. انتهى.

قال الشيخُ العارفُ أبو عبد اللَّه محمَّد بن أحمد الأنصاريُّ الساحليُّ المَالقِيُّ: ومنفعةُ الذكْرِ أبداً إنما هي تَتْبع معناه بالفكْرِ؛ ليقتبس الذاكِرُ من ذكْرِهِ أنوار المعرفة، ويحصل على

---

(١) أخرجه الطبري (٢/ ٣٠٧) رقم (٣٨٤٨)، وذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٢٧٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٤١٦)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير عن مجاهد.

(٢) «المحرر الوجيز» (١/ ٢٧٦).

(٣) ينظر: «معاني الزجاج» (١/ ٢٦٢)، و «الرازي» (٥/ ١٨٣)، و «الدر» (١/ ٢٣٢)، و «الوسيط» (١/ ٣٠٦).

(٤) أخرجه الطبري (٢/ ٣٠٩) برقم (٣٨٦٧)، وذكره البغوي (١/ ١٧٦)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٢٧٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٤١٧).

(٥) «حلية النووي» (ص ٤٠).

اللُّبِّ المراد، ولا خير في ذِكْرٍ مع قَلْبٍ غافلٍ ساهٍ، ولا مع تضْييعِ شيءٍ من رسوم الشرعِ، وقال في موضعٍ آخر من هذا الكتاب الذي ألَّفه في «**السُّلوك**»: ولا مَطْمع للذَّاكر في دَرْكِ حقائقِ الذِّكْرِ إلاَّ بإعمال الفكْر فيما تحْت ألفاظ الذكْر من المعاني، وليدفع خَطَرات نفْسه عن باطنه راجِعاً إلى مقتضى ذكْره؛ حتى يغلب معنى الذكْر علَىٰ قلبه، وقد آن له أنْ يدخل في دائرة أهْل المحاضَرَات. انتهى.

وقوله تعالى: ﴿فمن الناس من يقول ربَّنا آتنا في الدُّنيا...﴾ الآية: قال أبو وائلٍ وغيره: كانت عادتهم في الجاهلية الدُّعَاءَ في مصالحِ الدنْيا فقطْ؛ إذ كانوا لا يعرفون الآخرةَ، فَنُهُوا عن ذلك الدعاءِ المخصوصِ بأمر الدنيا، وجاء النهْيُ في صيغة الخبر عنه، والخَلاَقُ: الحظُّ، والنصيبُ[1].

قال الحسنُ بْنُ أبي الحَسَن: حَسَنَةُ الدنيا: العلْمُ والعبَادة[2].

* ع[3] *: واللفظ أعمُّ من هذا، وحَسَنةُ الآخِرة الجنَّة؛ بإجماع، وعن أنس: قال: كان أكثر دعاءِ النبيِّ ﷺ: «رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ» رواه البخاريُّ ومسلم وغيرهما[4]، زاد مسلمٌ: «وكَانَ أَنَسٌ، إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْعُوَ بِدُعَاءٍ دَعَا بِهَا فِيهِ». انتهى.

﴿أولئكَ لَهُمْ نصيبٌ ممَّا كسبوا﴾ وعْدٌ علَىٰ كسْب الأعمال الصالحة، والربُّ سبحانه سريعُ الحسابِ؛ لأنه لا يحتاجُ إلى عقْد، ولا إعمال فكْر، قيل لعليٍّ - رضي اللَّه عنه -: كيف يحاسِبُ اللَّه الخلائِقَ في يَوْمٍ، فقال: كما يَرْزُقُهُمْ فِي يومٍ، وقيل: الحسابُ هنا: المجازاتُ.

وقيل: معنى الآية: سريعُ مجيءِ يومِ الحسابِ، فيكون المقصدُ بالآية الإنذارَ بيَوْم القيامة.

﴿۞ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ

(١) ذكره ابن عطية في «**المحرر الوجيز**» (١/ ٢٧٦).

(٢) ذكره ابن عطية في «**المحرر الوجيز**» (١/ ٢٧٦).

(٣) «**المحرر الوجيز**» (١/ ٢٧٧).

(٤) أخرجه البخاري (١١/ ١٩٥)، كتاب «الدعوات»، باب قول النبي ﷺ: «ربنا آتنا في الدنيا حسنة» حديث (٦٣٨٩)، ومسلم (٤/ ٢٠٧٠ - ٢٠٧١) كتاب «الذكر والدعاء»، باب فضل الدعاء باللهم آتنا في الدنيا حسنة، حديث (٢٦، ٢٧/ ٢٦٩٠).

إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾

وقوله تعالى: ﴿واذكروا اللَّه في أيام معدوداتٍ﴾. أَمَرَ اللَّه سبحانه بذكْره في الأيام المعدوداتِ/ ، وهي الثلاثة الَّتي بعد يَوْم النحر، ومن جملة الذكْر التكبيرُ في إِثْر الصَّلواتِ. ٥١ ب

قال مالك: يكبِّر من صلاة الظُّهْر يوم النَّحْر إِلى صلاة الصُّبْح من آخر أيام التَّشْريق، وبه قال الشافعيُّ، ومشهور مذهبِ مالكٍ، أنه يكبِّر إِثْر كلِّ صلاةٍ ثلاثَ تكْبيراتٍ.

ومن خواصِّ التكبير وبركتِهِ ما رواه ابن السُّنِّيِّ، بسنده، عن عمرو بن شُعَيْب، عن أبيه، عن جَدِّه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الحَرِيقَ، فَكَبِّرُوا؛ فَإِنَّ التَّكْبِيرَ يُطْفِئُهُ»[١] انتهى من «**حلية النوويِّ**»[٢].

وقوله تعالى: ﴿فمن تعجَّل في يومين...﴾ الآية: قال ابنُ عبَّاس وغيره: المعنى: من نَفَر اليوم الثَّاني من الأيام المعدوداتِ، فلا حرج عليه، ومن تأخَّر إِلى الثالث، فلا إِثم عليه، كلُّ ذلك مباحٌ؛ إِذ كان من العربِ مَنْ يذمُّ المتعجِّل وبالعكْس، فنزلَتِ الآية رافعةً للجُنَاحِ[٣]. قُلْتُ: وأهل مكة في التعجيلِ كغيرهم على الأصحِّ.

ثم أمر سبحانه بالتقْوَىٰ، وذكَّر بالحَشْر، والوقوفِ بين يَدَيْهِ.

وقوله تعالى: ﴿ومن الناسِ من يعجبُكَ قولُهُ في الحياةِ الدنْيَا...﴾ الآية.

قال السُّدِّيُّ: نزلَتْ في الأخْنَسِ بْنِ شريقٍ: أظهر الإِسلام، ثم هَرَب، فمرَّ بقومٍ من المسلمين، فأحرق لهم زرعاً، وقتل حُمُراً[٤].

قال * ع[٥] *: ما ثبت قطُّ أن الأخنس أسلم، قُلْتُ: وفي ما قاله * ع *: نَظَرٌ،

---

(١) أخرجه ابن السني في «**عمل اليوم والليلة**» حديث (٢٩٥)، والعقيلي في «**الضعفاء**» (٢/ ٢٩٦)، من طريق عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جده مرفوعاً.

(٢) «**حلية النووي**» (ص ٣٣٢).

(٣) أخرجه الطبري (٢/ ٣١٨ـ ٣٢١) برقم (٣٩٣١ـ ٣٩٥٧).
وذكره ابن عطية في «**المحرر الوجيز**» (١/ ٢٧٨)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (١/ ٤٢٣).

(٤) أخرجه الطبري (٢/ ٣٢٤) رقم (٣٩٦٤)، وذكره ابن عطية في «**المحرر الوجيز**» (١/ ٢٧٩)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (١/ ٤٢٧)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن السدي.

(٥) «**المحرر الوجيز**» (١/ ٢٧٩).

ولا يلزم من عدم ثبوتِهِ عِنده ألاَّ يثبت عند غيره، وقد ذكر أحمدُ بن نصرِ الدَّاوودِيُّ في تفسيره؛ أنَّ هذه الآية نزلَتْ في الأخْنَس بْنِ شريق. انتهى، وسيأتي للطبريِّ نحوه.

وقال قتادةُ، وجماعة: نزلَتْ هذه الآيةُ في كل مُبْطِن كُفْرٍ، أو نفاقٍ، أو كذبٍ، أو ضرارٍ، وهو يظهر بلسانه خلافَ ذلك، فهي عامَّة[1]، ومعنى: ﴿وَيُشْهِدُ اللَّه﴾، أي: يقول: اللَّه يعلم أنِّي أقول حقًّا، والألَدُّ: الشديدُ الخصومةِ الذي يَلْوِي الحجج في كل جانبٍ، فيشبه انحرافُه المَشْيَ في لَدِيدَيِ[2] الوَادِي.

وعنه ﷺ: «أَبْغَضُ الرِّجَالِ إِلَى اللَّهِ الألَدُّ الخَصْمُ».

و ﴿تَوَلَّىٰ﴾ و ﴿سَعَىٰ﴾: يحتمل معنيين:

أحدهما: أن يكونا فِعْلَ قَلْبٍ، فيجيء «تَوَلَّىٰ» بمعنى: ضَلَّ وغَضِبَ وأنف في نَفْسه، فسعَىٰ بِحِيَلِهِ وإدارته الدوائر علَى الإسلام؛ نحا هذا المنحَىٰ في معنى الآية ابْنُ جُرَيْج، وغيره.

والمعنى الثاني: أن يكونا فِعْلَ شخصٍ، فيجيء «تَوَلَّى» بمعنى: أدبر ونَهَض وسَعَىٰ، أي: بقدميه، فقطع الطريقَ وأفسدها، نحا هذا المنحَى ٱبْنُ عبَّاس وغيره.

وقوله تعالى: ﴿ويهلك الحَرْثَ والنَّسْلَ﴾: قال الطبريُّ[3]: المراد الأخنَسُ في إحراقه الزرْعَ، وقتلِهِ الحُمُرَ.

قال * ع[4] *: والظاهر أن الآية عبارةٌ عن مبالغته في الإفساد.

و ﴿لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ﴾ معناه: لا يحبُّه من أهل الصَّلاح، أو لا يحبُّه دِيناً، وإلا فلا يقع إلاَّ ما يحبُّ اللَّه وقوعه، والفسادُ: واقعٌ، وهذا علَىٰ ما ذهب إليه المتكلِّمون من أنَّ الحُبَّ بمعنى الإرادة.

قال * ع[5] *: والحُبُّ له على الإرادة مزيَّة إيثارٍ؛ إذ الحبُّ من اللَّه تعالى إنما هو

---

(١) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٢٧٩).

(٢) اللَّدِيدانِ: جانبا الوادي. كل واحد منهما لَدِيدٌ. ينظر: «لسان العرب» (٤٠١٩).

(٣) «جامع البيان» (٤/ ٢٣٨).

(٤) «المحرر الوجيز» (١/ ٢٨٠).

(٥) «المحرر الوجيز» (١/ ٢٨١).

لما حَسُنَ من جميع جهاته.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وإذا قيل له اتَّقِ اللَّهَ...﴾ الآية: هذه صفة الكَافِرِ والمنافقِ الذاهِبِ بنَفْسِهِ زَهْواً، ويحذر المؤمن أن يوقعه الحَرَجُ في نحو هذا، وقد قال بعْضُ العلماءِ: كفَىٰ بالمرء إثماً أنْ يقول له أخُوهُ: اتَّقِ اللَّهَ، فيقول له: عَلَيْكَ نَفْسَكَ، مِثْلُكَ يُوصِينِي. قُلْتُ: قال أحمد بن نَصْرٍ الداوودِيُّ: عن ابن مسعودٍ: من أكبر/ الذنبِ أنْ يقال للرجُلِ: اتَّقِ اللَّه، فيقولَ: علَيْكَ نَفْسَكَ، أَنْتَ تَأْمُرُنِي[1]. انتهى. ٥٢ أ

و ﴿العزَّةِ﴾ هنا: المنعة، وشدَّة النفس، أي: اعتزَّ في نفسه، فأوقعته تلك العزةُ في الإثم، ويحتمل المعنَىٰ: أخذته العزَّةُ مع الإثم.

و ﴿حَسْبُهُ﴾، أي: كافيه، و ﴿المِهَادُ﴾: ما مهد الرجلُ لنفسه؛ كأنه الفراشُ.

وقوله تعالى: ﴿ومن الناس من يَشْرِي نفسه...﴾ الآية: تتناول كلَّ مجاهدٍ في سبيل اللَّهِ، أو مستشهدٍ في ذاته، أو مغيِّر منكَرٍ، وقيل: هذه الآية في شهداء غزوة الرَّجِيعِ[2]: عاصمِ بْنِ ثَابِتٍ[3]، وخُبَيْبٍ[4]، وأصحابِهِمَا، وقال عكرمةُ وغيره: هي في طائفةٍ من

---

(١) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (١/ ١٨٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٤٣٠)، وعزاه لوكيع، وابن المنذر، والطبراني، والبيهقي في «الشعب» عن ابن مسعود.

(٢) والرَّجِيعُ (بفتح الراء وكسر الجيم) هو في الأصل: اسم للروث، سمي بذلك لاستحالته. والمراد هنا اسم موضع من بلاد هذيل، كانت الوقعة بقرب منه، فسميت به. ينظر: «فتح الباري» (٨/ ١٣١).

(٣) عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح.
واسم أبي الأقلح قيس بن عصمة بن النّعمان بن مالك بن أميّة بن صُبيعة بن زيد بن مالك بن عمرو بن عوف الأنصاريّ. جَدّ عاصم بن عمرو بن الخطاب لأمّه، من السّابقين الأولين من الأنصار. ينظر: «الإصابة» (٣/ ٤٦٠).

(٤) خُبيب بن عدي: بن مالك بن عامر بن مُجْدَعة بن جَحْجَبَى بن عَوْف بن كُلْفة بن عَوْف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاريّ الأوسيّ.
شهد بَدْراً واستُشهد في عهد النبيّ ﷺ. ينظر: «الإصابة» (٢/ ٢٢٥).

المهاجرينَ، وذكروا حديثَ صُهَيْبٍ[١].

و ﴿يَشْرِي﴾: معناه يبيعُ؛ ومنه ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ [يوسف: ٢٠]، وحكَىٰ قوم؛ أنه يقالُ: شَرَىٰ؛ بمعنى ٱشْتَرَىٰ، ويحتاجُ إِلى هذا من تأوَّل الآية في صُهَيْبٍ؛ لأنه ٱشترَىٰ نفْسَه بمالِهِ.

وقوله تعالى: ﴿واللَّهُ رءُوف بالعبادِ﴾ ترجيةٌ تقتضي الحضَّ على امتثال ما وقع به المدْحُ في الآية؛ كما أن قوله سبحانه: ﴿فحسْبُهُ جهنَّم﴾ تخويفٌ يقتضي التحذيرَ ممَّا وقع به الذمُّ في الآية، ثم أمر تعالَىٰ المؤمنين بالدخولِ في السِّلْم، وهو الإِسلام، والمُسَالمة، وقال ابن عبَّاس: نزلَتْ في أهل الكتابِ، والألف واللام في الشيطانِ للجنْسِ[٢].

و ﴿عَدُوٌّ﴾: يقع للواحدِ، والاثنينِ، والجمعِ، وقوله تعالَىٰ: ﴿فإِن زَلَلْتُمْ من بعد ما جاءتكم البينات...﴾ الآية: أصل الزلل في القدم، ثم يستعمل في الاِعتقاداتِ، والآراءِ، وغَيْرِ ذلك، والمعنَىٰ: ضللتم، و ﴿البيناتُ﴾ محمَّد ﷺ وآياته، ومعجزاته، إِذا كان الخطابُ أوَّلاً لجماعةِ المؤمنين، وإِذا كان الخطابُ لأهل الكتاب، فالبيناتُ ما ورد في شرائعهم من الإِعلام بمحمَّد ﷺ، والتعريفِ به.

و ﴿عَزِيزٌ﴾: صفة مقتضيةٌ أنَّه قادرٌ عليكم لا تعجزونَهُ، ولا تمتنعون منه، و ﴿حكيمٌ﴾، أي: مُحْكِمٌ فيما يعاقبكم به لِزَلَلِكُمْ.

وقوله تعالى: ﴿هل ينظرون﴾، أيْ: ينتظرون، والمراد هؤلاء الذين يزلُّون، والظُّلَلُ: جمع ظُلَّة، وهي ما أَظَلَّ من فوق، والمعنَىٰ: يأتيهم حكم اللَّه، وأمره، ونهيه، وعقابه إِياهم.

وذهب ابن جُرَيْج وغيره؛ إِلى أن هذا التوعُّد هو مما يقع في الدنيا[٣]، وقال قومٌ: بل هو توعُّد بيوم القيامة[٤]، وقال قوم: إِلا أن يأتيهم اللَّه وعيد بيومِ القيامةِ[٥].

---

(١) أخرجه الطبري (٢/ ٣٣٣) برقم (٤٠٠٤)، وذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٢٨١)، والسيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٤٣٠) وعزاه لابن جرير الطبري.

(٢) أخرجه الطبري (٢/ ٣٣٧) برقم (٤٠٢٠)، وذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٢٨٢) والسيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٢١٠) وعزاه لابن جرير. من طريق ابن جريج، عن ابن عباس.

(٣) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٢٨٣).

(٤) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٢٨٣).

(٥) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٢٨٣).

وأما ﴿الملائكةُ﴾، فالوعيد بإتيانهم عندَ المَوْت؛ والغمامُ: أرقُّ السحابِ، وأصفاه وأحسنه، وهو الذي ظُلِّلَ به بنو إسرائيل.

وقال النَّقَّاش: هو ضَبَابٌ أبيض، وقُضِيَ الأمرُ: معناه وقع الجزاء، وعُذِّبَ أهل العصيان، وقرأ معاذ بن جَبَلٍ[1]: «وقضاء الأمر».

وإلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ: هي راجعةٌ إليه سبحانه قَبْل وبَعْد، وإنما نبه بذكْر ذلك في يَوْم القيامة علَىٰ زوالِ ما كان منها إلى الملوك في الدنيا.

﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿سل بني إسرائيل...﴾ الآية: معنى الآية: توبيخُهم علَىٰ عنادهم بعد الآياتِ البيِّناتِ، والمراد بالآيةِ: كم جاءَهُمْ في أمر محمَّد ﷺ من آية مُعرِّفةٍ به دالَّةٍ عليه، و ﴿نعمةُ اللَّهِ﴾: لفظٌ عامٌّ لجميع إنعامه؛ ولكنْ يقوِّي من حال النبيِّ ﷺ معهم؛ أنَّ المشار إليه هنا هو محمَّد ﷺ فالمعنَىٰ: ومن يبدِّلْ من بني إسرائيل صفةَ نعمة اللَّه، ثم جاء اللفظ منسحباً علَىٰ كلِّ مبدِّل نعمةً للَّه، ويدخل في اللفظ كفَّار قريشٍ/، والتوراةُ أيضاً نعمةٌ على بني إسرائيل، فبدَّلوها بالتحريفِ لها، وجَحْدِ أمرِ محمَّد ﷺ، ﴿فإن اللَّه شديدُ العقابِ﴾: خبرٌ يتضمنُ الوعيد. ٥٢ ب

وقوله تعالى: ﴿زُيِّنَ للذين كفروا الحياةُ الدنيا...﴾ الآية: الإشارة إلى كفار قريشٍ؛ لأنهم كانوا يعظمون حالهم من الدنيا، ويغتبطون بها، ويسخرون من أتْبَاعِ النبيِّ ﷺ؛ كبلالٍ[2]، وصُهَيْبٍ، وابنِ مَسْعودٍ، وغيرهم، فذكر اللَّه قبيحَ فعلهم، ونبه على خَفْض

---

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (١/ ٢٨٤)، و «الكشاف» (١/ ٢٥٤)، وفيه أنها عطف على «الملائكة»، وينظر: «الشواذ» (ص ٢٠).

(٢) بلال بن رباح. هو بلال بن حمامة. أبو عبد الرحمن. الحبشي. مؤذن النبي ﷺ قال ابن حجر: اشتراه أبو بكر الصديق من المشركين لما كانوا يعذبونه على التوحيد، فأعتقه، فلزم النبي وأذن له، وشهد معه جميع المشاهد، وآخى النبي بينه وبين أبي عبيدة بن الجراح، ثم خرج بلال بعد النبي مجاهداً. توفي بـ«الشام».

ينظر ترجمته في: «أسد الغابة» (١/ ٢٤٣)، «الإصابة» (١/ ١٧٠)، «الاستيعاب» (١/ ١٧٨)، «تجريد أسماء الصحابة» (١/ ٥٦)، «التاريخ الكبير» (٢/ ١٠٦)، «الجرح والتعديل» (٢/ ٣٩٥)، «الثقات» (٣/ ٢٨)، «تهذيب الكمال» (١/ ١٤٠)، «تهذيب التهذيب» (١/ ٥٠٢)، «العبر» (١/ ٢٤)، «تقريب التهذيب» (١/ ١١٠)، «التحفة اللطيفة» (١/ ٣٨٢)، «الحلية» (١/ ١٤٧).

منزلتهم بقوله: ﴿والذين اتَّقَوْا فوقهم يوم القيامة﴾، ومعنى الفوقيَّة هنا في الدرجَةِ والقَدْر؛ ويحتمل أن يريد أنَّ نعيم المتَّقِينَ في الآخرة فوْقَ نعيم هؤلاءِ الآن. قُلْتُ: وحكى الداوودِيُّ عن قتادة: فوقهم يوم القيامة. قال: فَوْقَهُم في الجَنَّة[1]. انتهى.

ومهما ذكرتُ الداوودِيَّ في هذا «**المختصر**»، فإنما أريد أحمد بن نَصْرٍ الفقيهَ المَالِكِيَّ، ومن تفسيره أنا أنقل. انتهى.

فإن تشوَّفَتْ نفسُك أيها الأخُ إلى هذه الفوقيَّة، ونَيْلِ هذه الدرجة العَليَّة، فَأَرْفُضْ دنياك الدنيَّة، وازهَدْ فيها بالكليَّة؛ لتسلَمَ من كل آفة وبليَّة، وأَقْتَدِ في ذلك بخَيْر البريَّة. قال عِيَاضٌ في «**شِفَاهُ**»[2]: فانظُرْ ـ رحمك اللَّه ـ سِيرَةَ نبيِّنا محمَّد ﷺ وخُلُقَه في المال، تجده قد أوتي خزائنَ الأرْض [ومفاتيح البلاد، وأُحلّت له الغنائم[3]، ولم تحلَّ لنبي قبله، وفتح عليه في حياته ﷺ بلاد الحجاز واليمن؛ وجميع جزيرة العرب، وما دانى ذلك من الشام والعراق][4]، وجُبِيَتْ إِلَيْه الأخماس، [وصدقاتها ما لا يجبى[5] للملوك إلاَّ بعضه][6]، وهادَتْه جماعةٌ من الملوك، فما ٱستأثَرَ بشيء من ذلك، ولا أمْسَكَ دِرْهَماً منْه، بل صرفه مصارفه، وأغنَىٰ به غيره، وقوَّىٰ به المسلمين، ومات ﷺ، ودِرْعُهُ مرهُونَةٌ في نفقةِ عيَالِهِ، وٱقتصر من نفقته ومَلْبَسِهِ علَىٰ ما تدْعُوه ضرُورتُهُ إِليه، وزهد فيما سواه، فكان ـ عليه

---

(١) أخرجه الطبري (٢/ ٣٤٦) رقم (٤٠٥٠)، وابن عطية في «**المحرر الوجيز**» (١/ ٢٨٥)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (١/ ٤٣٤)، وعزاه لعبد الرزاق عن قتادة.

(٢) ينظر: «**الشفا**» (١٢٢ـ ١٢٣).

(٣) الغنيمة في اللغة: ما ينال الرجل أو الجماعة بسعي، ومن ذلك قول الشاعر: [الوافر]

وقد طوّفت في الآفاق حتى ... رضيت من الغنيمة بالإياب

وتطلق الغنيمة على الفوز بالشيء بلا مشقة، ومن قولهم للشيء يحصل عليه الإنسان عفواً بلا مشقة: «غنيمة باردة».

واصطلاحاً: عرفها الشافعية بأنها: مال أو مال ألحق به، كخمر محترمة، حصل لنا من كفار أصليين حربيين، مما هو لهم بقتال منا، أو إيجاف خيل ما، أو نحو ذلك.

وعرفها الحنفية: بما نيل من أهل الشرك عنوة؛ أي قهراً، أو غلبة والحرب قائمة.

وعرفها المالكية: بأنها اسم لما أخذه المسلمون من الكفار بإيجاف الخيل أو الركاب.

وعرفها الحنابلة: بأنها ما أخذ من مال حربي قهراً بقتال وما ألحق به..

ينظر: «**الإقناع**» للخطيب الشربيني (٢/ ٥١٧)، «**أنيس الفقهاء**» (١٨٣)، و «**كشاف القناع**» (٣/ ٧٧).

(٤) من «**الشفا**» (١/ ١٢٣).

(٥) يجبى: يجمع.

(٦) من «**الشفا**» (١/ ١٢٣).

السلام ـ يلبس مَا وَجَدَ، فيلْبَسُ في الغالِبِ الشَّمْلَة، والكساءَ الخَشِنَ، والبُرْدَ الغليظَ. انتهى.

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿كان الناس أمة واحدة...﴾ الآية: قال ابن عبَّاس: ﴿الناس﴾: القُرُونُ التي كانَتْ بين آدم ونوح، وهي عَشَرةٌ كانوا على الحَقِّ؛ حتى اختلفوا، فبعث اللَّه تعالَىٰ نوحاً فمن بعده[1]، وقال ابنُ عبَّاس أيضاً: ﴿كان النَّاس أمةً واحدةً﴾، أي: كفاراً يريد في مدَّة نوحٍ؛ حين بعثه اللَّه[2].

وقال أُبَيُّ بن كعب، وابنُ زَيْد: المرادُ بـ ﴿النَّاس﴾ بنو آدم حين أخرجهم اللَّه نسماً من ظهر آدم، أي: كانوا على الفطْرة[3]، وقيل غير هذا، وكل من قدَّر الناسَ في الآية مؤمنين، قدَّر في الكلام «فَٱخْتَلَفُوا»، وكلُّ من قدَّرهم كفاراً، قدَّر: كانت بعثة النبيِّين إِلَيْهم.

والأُمَّة: الجماعة على المَقْصد، ويسمَّى الواحدُ أُمَّةٍ، إذا كان منفرداً بمَقْصِد، و ﴿مبشِّرين﴾: معناه بالثواب على الطاعةِ، و ﴿مُنْذِرين﴾: بالعقابِ، و ﴿الكتابُ﴾: اسم الجنَسِ، والمعنَىٰ: جميع الكتب، و ﴿لِيَحْكُمَ﴾: مسند إِلى الكتاب؛ في قول الجمهور، والذين أوتوه أرباب العلْم به، وخصوا بالذكْر تنبيهاً منه سبحانه علَىٰ عظيم الشُّنْعة، والقُبْح، و ﴿البيِّنات﴾: الدَّلالات، والحججُ، والبغي: التعدِّي بالباطل، وهَدَىٰ: معناه أرشد،

---

(١) أخرجه الطبري (٢/ ٣٤٧) برقم (٤٠٥١)، وذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٢٨٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٤٣٥)، وعزاه إلى البزار، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم عن ابن عباس.

(٢) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (١/ ١٨٦)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٢٨٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٤٣٥)، وعزاه لابن جرير، وابن أبي حاتم، من طريق العوفي، عن ابن عباس.

(٣) أخرجه الطبري (٢/ ٣٤٨) برقم (٤٠٥٧)، عن ابن زيد.

وذكره البغوي في «معالم التنزيل» (١/ ١٨٦)، عن أبي بن كعب. وابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٢٨٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٤٣٥)، وعزاه لابن جرير، وابن أبي حاتم، عن أبي بن كعب.

والمرادُ بـ ﴿الذين آمنوا﴾ من آمن بمحمَّد ﷺ فقالتْ طائفةٌ: معنى الآية أن الأمم كَذَّب بعضهم كتابَ بعض، فَهَدَى اللَّه أمَّة محمَّد ﷺ للتصديقِ بجميعِهَا[١]، وقالتْ طائفة: إن اللَّه سبحانه هَدَى المؤمنين للحَقِّ فيما ٱختلف فيه أهلُ الكتاب من قولهم: إنَّ إبراهيمَ كَانَ يَهُودِيًّا أوْ نَصْرَانِيًّا[٢]، قال زيْدُ بن أسلم: وكٱختلافهمْ في يوم الجُمُعَة؛ فإن النبيَّ ﷺ / قال: «هذا اليومُ الَّذي اختلفوا فيه، فهَدَانا اللَّه له، فلليهود غَدٌ، وللنصارَىٰ بَعْدَ غد، وفي صيامهمْ، وجميع ما ٱختلفوا[٣] فيه.

١٥٣ أ

قال الفَرَّاء: وفي الكلام قلْبٌ، واختاره الطبريُّ[٤]، قال: وتقديرُهُ: فهدَى اللَّه الذين آمنوا للحقِّ ممَّا اختلفوا فيه، ودعاه إلى هذا التقديرِ خوْفُ أن يحتمل اللفظ أنهم اختلفوا في الحَقِّ، فهدى اللَّه المؤمنين لبَعْضِ ما ٱختلفوا فيه، وعَسَاه غير الحق في نَفْسه؛ نحا إلى هذا الطبريُّ في حكايته عن الفَرَّاء.

قال * ع[٥] *: وٱدِّعَاءُ القَلْب على كتابِ اللَّه دُونَ ضرورة تَدْفَعُ إلى ذلك عَجْزٌ، وسُوء نَظَرٍ. وذلك أنَّ الكلام يتخرَّج على وجهه ورَصْفه؛ لأن قوله: ﴿فهدَىٰ﴾ يقتضي أنهم أصابوا الحَقَّ، وتم المعنَىٰ في قوله: ﴿فِيهِ﴾، وتبيَّن بقوله: ﴿مِنَ الحَقِّ﴾ جنسُ ما وقع الخلاف فيه، و ﴿بِإِذْنِهِ﴾ قال الزجَّاج[٦]: معناه بعِلْمِهِ.

* ع[٧] *: والإذن هو العلم، والتمكين، فإن ٱقْتَرَنَ بذلك أمرٌ، صار أقوَىٰ من الإذن بمزية.

وقوله تعالى: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجَنَّة ولما يأتكم...﴾ الآية: أكثر المفسرين[٨]

---

(١) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٢٨٦).

(٢) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٢٨٧).

(٣) أخرجه الطبري (٢/ ٣٥١) برقم (٤٠٦٤)، وذكره البغوي في «معالم التنزيل» (١/ ١٨٧)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٢٨٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٤٣٦)، وعزاه لابن أبي حاتم، عن زيد بن أسلم.

(٤) «تفسير الطبري» (٤/ ٢٨٦).

(٥) «المحرر الوجيز» (١/ ٢٨٧).

(٦) «معاني القرآن» (١/ ٢٨٥).

(٧) «المحرر الوجيز» (١/ ٢٨٧).

(٨) ينظر: «الطبري» (٤/ ٢٨٨)، و «المحرر الوجيز» (١/ ٢٨٧)، و «بحر العلوم» (١/ ٢٠٠)، و «الرازي» (٦/ ١٧).

أنها نزلَتْ في قصَّة الأحزاب حين حصروا المدينة، وقالَتْ فرقةٌ: نزلَتْ تسليةً للمهاجرين، حين أصيبَتْ أموالهم بعْدَهم، وفيما نَالَهم من أذاية الكَافرينَ لهم.

و ﴿خَلَوْا﴾: معناه: ٱنقرضُوا، أي: صاروا في خَلاَءٍ من الأرض، و ﴿البَأْسَاءُ﴾ في المال، و ﴿الضَّرَّاء﴾ في البدن، و ﴿مَثَل﴾: معناه شبه، والزَّلْزَلَة: شِدَّة التحريك، تكون في الأشْخَاص والأحوال.

وقرأ نافع[1]: «يَقُولُ» بالرفع، وقرأ الباقون بالنَّصْب، وحَتَّىٰ: غايةٌ مجرَّدة تنصبُ الفعل بتقدير «إِلَىٰ أَنْ» وعلى قراءة نافعٍ، كأنها اقترن بها تسببٌ، فهي حرفُ ابتداءٍ ترفَعُ الفعلَ.

وأكثر المتأوِّلين علَىٰ أن الكلام إلى آخر الآية من قول الرَّسُول والمؤمنين، ويكون ذلك من قول الرسُولِ علَىٰ طلب ٱستعجالِ النَّصْر، لا على شَكٍّ ولا ٱرتيابٍ، والرسولُ اسم الجنْسِ، وقالتْ طائفةٌ: في الكلام تقديمٌ وتأخيرٌ، والتقديرُ: حتَّىٰ يقول الذين آمنوا: مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ، فيقولَ الرسولُ: ألا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قريبٌ، فقدم الرسولَ في الرتبة؛ لمكانته، ثم قدم قول المؤمنين؛ لأنه المتقدِّم في الزمان.

قال * ع[2] *: وهذا تحكُّم، وحمل الكلام على وجهه غيرُ متعذِّر، ويحتملُ أن يكون: ﴿أَلا إِنَّ نصْرَ اللَّه قريبٌ﴾ إخباراً من اللَّه تعالى مؤتنفاً بعد تمام ذكْرِ القَوْل.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ﴿٢١٥﴾ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يسألونك ماذا ينفقُونَ قُلْ ما أنفقتم من خير...﴾ الآية: السَّائِلُون: هم المؤمنون، والمعنَىٰ: يسألونك، ما هي الوجوهُ التي ينفقون فيها؟ و «ما» يصحُّ أنْ تكونَ في موضع رفعٍ على الابتداء، و «ذَا»: خبرها بمعنى «الَّذِي» و «يُنْفِقُونَ»: صلةٌ، و «فِيهِ» عائدٌ علَىٰ «ذَا» تقديرُه: ينفقونَهُ، ويصحُّ أن تكون «مَاذَا» ٱسماً واحداً مركَّباً في موضع نصب.

---

(١) وحجته أنها بمعنى «قال»، وليست على الاستقبال، وإنما ينصب من هذا الباب ما كان مستقبلاً.
وحجة الباقين أنها بمعنى الانتظار.
ينظر: «حجة القراءات» (١٣١ـ ١٣٢)، و «السبعة» (١٨١)، و «النشر» (٢/ ٢٢٧)، و «الحجة» للفارسي (٢/ ٣٠٥)، و «الزجاج» (١/ ٢٧٧).

(٢) «المحرر الوجيز» (١/ ٢٨٨).

قال قومٌ: هذه الآية في الزكاة المفروضةِ، وعلَىٰ هذا نسخَ منها الوالِدَانِ[١]، وقال السُّدِّيُّ: نزلَتْ قبل فرض الزكاة، ثم نسختها آية الزكاة المفروضَة[٢]، وقال ابن جُرَيْجٍ وغيره: هي ندْبٌ، والزكاة غيْرُ هذا الإنفاق، وعلَىٰ هذا لا نَسْخَ فيها[٣].

و ﴿مَا تَفْعَلُوا﴾ جزم بالشرط، والجوابُ في الفاءِ، وظاهر الآية الخبرُ، وهي تتضمَّن الوعْدَ بالمجازاتِ، و ﴿كُتِبَ﴾: معناه فُرِضَ واستمر الإجماع على أن الجهاد علَىٰ أمة محمَّد ﷺ فرض كفاية[٤].

وقوله تعالى: ﴿وعسَىٰ أن تكرهوا شيئاً. . .﴾ الآية: قال قومٌ: عسَىٰ مِنَ اللَّهِ واجِبَةٌ، والمعنَىٰ: عسَىٰ أن تكرهوا ما في الجهادِ من المشقَّة، وهو خيرٌ لكم في أنكم تَغْلِبُونَ

---

(١) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٢٨٨).

(٢) أخرجه الطبري (٢/ ٣٥٦) برقم (٤٠٧١)، وذكره البغوي (١/ ١٨٨). وابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٢٨٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٤٣٧)، وعزاه لابن جرير، وابن أبي حاتم، عن السُّدي.

(٣) أخرجه الطبري (٢/ ٣٥٦) برقم (٤٠٧٢)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٢٨٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٤٣٧)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، عن ابن جريج.

(٤) أجمع العلماء على أن الجهاد يكون فرض عين في ثلاثة أحوال:

الأوَّل: أن يستنفر الإمامُ شخصاً أو جماعة للقتال، ففي هذه الحالة يتعين الخروج على من طلب للجهاد. والدليل على ذلك قوله (تعالى): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨].

وجه الدلالة: أن اللَّه (تعالى) أنكر تثاقلهم عن الجهاد، ولو لم يكن متعيناً لما أنكره عليهم. وما رواه الجماعة إلا ابن ماجة عن ابن عبّاس عن النبيّ ﷺ أنه قال: «لاَ هِجْرَة بَعْدَ الفَتْحِ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا».

وجه الدلالة من الحديث: أن النبي ﷺ يقول: من طُلِبَ للجهاد وجب عليه أن ينفر، وهو معنى الوجوب العيني.

الثاني: أن يدخل العدو بلاد المسلمين، أو يتغلب على قطر من أقطارهم، فيتعين القتال حينئذ، والدليل عليه الإجماع؛ لأنه من قبيل إغاثة الملهوف المجمع عليها.

الثَّالِثُ: عند التقاء الصفين يجب على من حضر القتال، ويحرم الانصراف إلا إذا كان مُتَحَرِّفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة. والدليل عليه قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ * وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَه إلاَّ مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاه جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المَصِيرُ﴾ [الأنفال: ١٥ـ ١٦] فقد نهى اللَّه المؤمنين عن التَّوَلِّي يوم الزحف، وتوعدهم عليه، والنهي والتوعد يدلان على أن الثبات واجب، واستفيدت العينية من أداة العموم في قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ﴾. . . . . ثم اختلفوا في غير هذه الأحوال:

فذهب جمهور العلماء إلى أنه فرض كفاية، إذا قام به من فيه الكفاية سقط الطلب عن الباقين.

وقيل: إنه فرض عين، وحكاه الماوردي عن سعيد بن المسيب. وقيل: إنه مندوب.

وتَظْهرون، وتَغْنَمُون، وتؤجَرُون، ومن مات، مَاتَ شهيداً، وعسَىٰ أن تُحِبُّوا الدَّعَةَ، وترك ٥٣ ب
القتَالِ، وهو شرٌّ لكم في أنَّكم تُغْلَبُونَ، وتذلُّون، ويذْهَب أمركم.

قال * ص *: قوله: ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تحبوا شيئًا﴾ عسَىٰ هنا للترجِّي، ومجيئها له كثيرٌ في كلام العرب، قالوا: وكل «عَسَىٰ» في القُرآن للتحقيق، يعْنُون به الوقوعَ إلاَّ قوله تعالَىٰ: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ﴾ [التحريم: ٥] انتهى.

وفي قوله تعالَىٰ: ﴿واللَّهُ يَعْلَمُ...﴾ الآية ـ قوة أمر.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿يسألونك عن الشهرِ الحرام...﴾ الآية نزلَتْ في قصَّة عمرو بن الحَضْرَمِيِّ، وذلك أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ بَعَثَ سَرِيَّةً علَيْها عبد اللَّه بن جَحْشٍ الأسَدِيُّ مَقْدَمَهُ من بَدْر الأولَىٰ، فلقوا عمرو بن الحَضْرَمِيِّ، ومعه عثمانُ بنُ عبد اللَّهِ بْنِ المُغِيرَةِ، وأخوه نَوْفَلٌ المخزوميَّان، والحَكَمُ بْنُ كَيْسَانَ في آخر يوم من رَجَبٍ علَىٰ ما قاله ابْنُ إِسْحَاق[1]، وقالوا: إن تركْنَاهم اليَوْمَ، دخَلُوا الحَرَم، فأزمعوا قتالَهُم، فرَمَىٰ واقدُ بْنُ عبدِ اللَّهِ[2] عمْرَو بْنَ الحَضْرَمِيِّ بسهْم، فقتله، وأَسَرَ عثمانَ بْنَ عبدِ اللَّهِ، والحَكَمَ، وفَرَّ نوفَلٌ، فأعجزهم، وٱستسهلَ المسْلمون هذا في الشَّهْر الحرام؛ خوف فوتهم، فقالَتْ قريشٌ: محمَّد قد استحلَّ الأشهر الحُرُم، وعَيَّروا بذلك، وتوقَّف النبيُّ ﷺ وقَالَ: «مَا أَمَرْتُكُمْ بِقِتَالٍ فِي الأَشْهُرِ الحُرُمِ» فنزلَتْ هذه الآية، و ﴿قِتَالٍ﴾ بدلُ اشتمالٍ عند سيبوَيْه.

وقال الفَرَّاء: هو مخفوضٌ بتقدير «عَنْ» وقرىء[3] بِهِ، والشهْرُ في الآيةِ اسمُ الجنسِ،

---

(١) أخرجه الطبري في «التفسير» (٢/ ٣٦٠) برقم (٤٠٨٥)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٢٨٩).

(٢) واقد بن عبد اللَّه بن عَبْد مناف بن عَرِين بن ثعلبة بن يَرْبوع بن حنظلة بن مالك بن زَيْد مناة بن تميم التميميّ الحنظليّ اليربوعي، حليف بني عديّ بن كعب.

قال مُوسَىٰ بْنُ عُقْبَة فِي «المغَازِي»: واقد، ويقال: وقدان، شهد بَدْراً، وكذا ذكره ابن إسحاق فيمن شهد بَدْراً. ينظر: «الإصابة» (٦/ ٤٦٥).

(٣) وهي في مصحف عبد اللَّه بن مسعود، ينظر: «المحرر الوجيز» (١/ ٢٩٠)، وزاد أبو حيان في «البحر» (٢/ ١٥٤) نسبتها إلى ابن عباس، والربيع، والأعمش.

وكانتِ العربُ قد جعل اللَّه لها الشهْرَ الحرامَ قِوَاماً تعتدلُ عنده، فكانت لا تسفكُ دماً، ولا تغيِّر في الأشهر الحرم، وهي ذُو القَعْدة، وذو الحجَّة، والمُحَرَّم ورَجَبٌ، وروَىٰ جابر بن عبد اللَّه، أنَّ النبيَّ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَغْزُو فِيهَا إِلاَّ أَنْ يُغْزَىٰ، فذلكَ قولُهُ تعالَىٰ: ﴿قُلْ قِتَالٌ فيه كبيرٌ وصدٌّ﴾: مبتدأٌ مقطوعٌ ممَّا قبله، والخبرُ «أَكْبَرُ»، ومعنى الآيةِ؛ علَىٰ قول الجمهورِ: إنكم يَا كُفَّار قُرَيْشٍ تَسْتَعْظِمُون علَيْنا القتالَ في الشَّهْرِ الحَرَام، وما تفْعَلُون أَنْتُمْ من الصَّدِّ عن سبيلِ اللَّهِ لِمَنْ أراد الإِسلام، وكُفْرِكم بِاللَّه، وإِخراجِكُم أَهْلَ المسْجد عنْه؛ كما فعلتم برَسُولِ اللَّه ﷺ وأصحابِهِ، أَكْبَرُ جُرْماً عند اللَّه.

قال الزُّهْرِيُّ ومجاهدٌ وغيرهما: قوله تعالَىٰ: ﴿قُلْ قتالٌ فيه كبيرٌ﴾ منسوخٌ.

* ص *: وسبيل اللَّه: دينُهُ[1]، و ﴿المَسْجد﴾: قراءة الجمهور بالخَفْض، قال المبرِّد، وتبعه ابن عطية[2] وغيره: هو معطوفٌ علَىٰ ﴿سبيل اللَّه﴾؛ وردَّ بأنه حينئذٍ يكون متعلِّقاً بـ «صَدّ»، أي: وصَدّ عن سبيل اللَّهِ، وعن المسجدِ الحرامِ، فيلزم الفَصْلُ بين المصدر، وهو «صَدّ» وبين معموله، وهو «المسجد» بأجنبيٍّ، وهو: «وكُفْرٌ بِهِ»، ولا يجوز.

وقيل: معطوفٌ علَىٰ ضمير «بِهِ»، أي: وكُفْرٌ بِهِ، وَبِالْمَسْجِدِ؛ ورُدَّ بأن فيه عطفاً على الضمير المجرور من غير إعادة الخافض؛ ولا يجوز عند جمهور البَصْرِيِّين، وأجازه الكوفيُّون، ويونُسُ[3]، وأبو الحَسَنِ والشَّلَوْبِينُ[4]، والمختار جوازه؛ لكثرته سماعاً؛ ومنه

---

(١) أخرجه الطبري (٢/ ٣٦٢ـ ٣٦٣ـ ٣٦٥) برقم (٤٠٨٨)، عن مجاهد، وبرقم (٤٠٨٩)، (٤١٠١) عن الزهري، وذكره ابن عطية في «**المحرر الوجيز**» (١/ ٢٩٠)، عن الزهري، ومجاهد.
وذكره أيضاً السيوطي في «**الدر المنثور**» (١/ ٤٤٩) وعزاه للفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، عن مجاهد. وفي (١/ ٤٥٠) عزاه لعبد الرزاق، وأبي داود في «**ناسخه**»، وابن جرير، وابن أبي حاتم، عن الزهري.

(٢) «**المحرر الوجيز**» (١/ ٢٩٠).

(٣) يونس بن حبيب الضبيّ بالولاء، البصريّ، أبو عبد الرحمن. قال السّيرافيّ: بارع في النّحو، من أصحاب أبي عَمْرو بن العَلاء، سمع من العرب، وروى عن سيبويه فأكثر، وله قياس في النّحو، ومذاهب يتفرّد بها. سمع منه الكسائيّ والفرّاء. وكانت له حلْقة بـ «البصرة» ينتابها أهلُ العلم وطلاّب الأدب وفصحاء الأعراب والبادية. مولده سنة تسعين، ومات سنة ثنتين وثمانين ومائة. ينظر: «**البغية**» (٢/ ٣٦٥).

(٤) عمر بن محمد بن عمر بن عبد اللَّه، الأستاذ أبو عليّ الإشبيليّ، الأزديّ، المعروف بالشَّلَوْبين، ومعناه بلغة الأندلس: «الأبيض الأشقر». =

قراءة حمزة: ﴿تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامِ﴾ [النساء: ١] أي: وبالأرحام، وتأويلها على غيره بعيدٌ يُخْرِجُ الكلام عن فصاحته. انتهى.

وقوله تعالى: ﴿والفتنة أكبر من القتلِ﴾: المعنَىٰ عند جمهور المفسِّرين: والفتنةُ التي كُنْتُمْ تفتنون المُسْلمين عن دينهم حتَّىٰ يهلكوا أشدُّ اجتراماً من قَتْلكم في الشَّهْر الحرام، وقيل: المعنى والفِتْنَة أشَدُّ من أن لو قتلوا ذلك المَفْتُون.

وقوله تعالى: ﴿ولا يزالُونَ يقاتلونكم حتَّىٰ يردُّوكم عن دينكم إنِ استطاعوا﴾ هو ابتداءُ خبرٍ من اللَّه تعالَىٰ، وتحذيرٌ منه للمؤمنين.

وقوله تعالى: ﴿ومن يرتدذ﴾، أي: يرجع عن الإسلام إلى الكفر؛ عياذاً باللَّه، قالَتْ طائفةٌ من العلماء: يُستَتَابُ المرتدُّ ثلاثةَ أيام، فإن تاب، وإلا قتل، وبه قال مالك، وأحمد[1]، وأصحابُ الرَّأيِ، والشَّافعيُّ في أحدِ قولَيْه، وفي قولٍ له: يُقْتَلُ دون استتابةٍ، وحبط العمل، إذا انفسد في آخره، فبطل، وميراث المرتدِّ[2] عند مالكٍ والشافعيِّ: في بيْتِ

= قال ابنُ الزُّبير: كان إمامَ عصره في العربيّة بلا مدافع، آخر أئمة هذا الشأن بالمشرق والمغرب، ذا معرفة بنقْد الشِّعر وغيره، بارعاً في التعليم، ناصحاً، أبقى اللَّه به ما بأيدِي أهل المغرب من العربيّة.
روى عن السُّهيليّ، وابن بَشْكُوال، وغيرهما، وأجاز له السِّلَفيّ وغيره، وأخذ عنه ابن أبي الأحوص، وابن فَرْتون وجماعة.
وصنّف تعليقاً على كتاب سيبويه، وشرحين على الجُزوليّة، وله كتاب في النّحو سمّاه «**التوطئة**».
مولده سنة ثنتين وستين وخمسمائة، ومات في العشر الأخير من صفر سنة خمس وأربعين وستمائة.
ينظر: «**البغية**» (٢/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥).

(١) أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني أبو عبد اللَّه المروزي ثم البغدادي. ولد سنة ١٦٤، أخذ الفقه عن الشافعي، وسلك مسلكه، صنف المسند. قال إبراهيم الحربي: كأن اللَّه جمع له علم الأولين والآخرين. توفي سنة ٢٤١.
ينظر: «**طبقات ابن قاضي شهبة**» (١/ ٥٦)، و «**حلية الأولياء**» (٩/ ١٦١)، و «**تذكرة الحفاظ**» (٢/ ٤٣١).

(٢) إذا قتل المرتد أو مات على ردته، فقد اختلف الفقهاء في إرث ورثته المسلمين لماله على الوجه الآتي:
ذهب الشافعي، وابن أبي ليلى، وأبو ثور، وأحمد بن حنبل، ومالك، وداود بن علي، وعلقمة، وقتادة إلى عدم إرث ورثته المسلمين من تركته. واختلف هؤلاء فيما بينهم، فذهب الشافعي، وابن أبي ليلى، وأبو ثور، وابن حنبل إلى أن جميع ماله يكون فيئاً لبيت مال المسلمين، ووافقهم مالك على ذلك، إلا في حالة واحدة هي ما إذا قصد المورّث المرتد حرمان ورثته من ماله فيرثوه في تلك الحالة عنده. وذهب داود بن عَلِيّ إلى أن ماله يكون لورثته الذين ارتد إليهم. وذهب علقمة، وقتادة إلى أن ماله ينتقل لأهل الدين الذين ارتد إليهم.
وذهب الحنفية، وعلي بن أبي طالب، وعبد اللَّه بن مسعود، وسعيد بن المسيب، وعمر بن=

مال المسلمين.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الذين آمنوا والذين هَاجَرُوا وجَاهَدُوا في سَبيلِ اللَّهِ...﴾ الآية:

= عبد العزيز، والحسن، وعطاء، وسفيان الثوري، وزفر إلى إرث ورثته المسلمين من تركته.

وهؤلاء فريقان أيضاً: ذهب علي بن أبي طالب، وابن مسعود، وابن المسيب، وعمر بن عبد العزيز، والحسن وعطاء، والصاحبان من الحنفية إلى أن جميع ماله الذي كسبه في الإسلام وبعد ردته يكون موروثاً لورثته المسلمين. وذهب الإمام أبو حنيفة، وسفيان الثوري، وزفر إلى أن الذي يورث هو كسب إسلامه دون كسب ردته فإنه يكون فيئاً.

استدل القائلون بعدم إرث الورثة المسلمين:

أولاً: بما رواه البراء بن عازب قال: مر بي خالي أبو بردة ومعه الراية، فقلت: إلى أين تذهب؟ فقال: أرسلني رسول الله ﷺ إلى رَجُلٍ نَكَحَ امْرَأَة أَبِيْهِ أَنْ أَقْتُلَهُ وَآخُذ مَالَهُ. دلت الرواية على أن مال المرتد فيء وليس لورثته، فإن إرسال الرسول الرجل لمن فعل فعلاً يخرجه عن الإسلام، وأمره بقتله ـ دليل على أنه ارتد بفعله.

وثانياً: بما روى معاويةُ بنُ قرَّة عَنْ أَبِيْهِ؛ «أنَّ النَّبِيَّ ﷺ بعث جَدَّ مُعَاوِيةَ إِلَى رَجُلٍ عَرَّسَ بِامْرَأَةِ أَبِيْهِ أَنْ يُضْرِبَ عُنقه، ويُخَمِّس مَالَهُ» وهذا يدل على أن مال ذلك الرجل كان مغنوماً بالمحاربة، ولذلك أخذ منه الخمس.

ونوقش الحديثان:

بأن الرسول ﷺ إنما فعل ذلك؛ لأن كلاً من الرجلين، كان محارباً بسبب استحلاله لأمر محظور شرعاً، فكان ماله مغنوماً. ودليل ذلك: أن الراية إنما تعقد للمحاربة لا لغيرها. وإذا كان مغنوماً، فلا حق لورثته والحالة هذه لكونه فيئاً.

واستدلوا ثانياً: بأن المرتد كافر بردته، والمسلم لا يرث الكافر.

ونوقش بالفرق بين المرتد والكافر؛ فإن ملك المرتد فيما كسبه قبل الردة كان صحيحاً، فلم تجز غنيمته، إذ لا تغنم أموال المسلمين؛ لصحة ملكهم له. وإن جاز غنيمة ما كسبه بعد الردة لمحاربته الله والرسول، فكان كالمربي في أمواله. وبهذا يتبين أن مال المرتد غير مال الكافر؛ وكيف يكون مثله والمرتد غير مُقَرٍّ على ما انتقل إليه، ولا يحل التزوج بالمرتدة ولا أكل ذبيحتها ولا كذلك الكافر.

واستدل القائلون بالإرث، وهم الحنفية:

أولاً: بقوله تعالى: ﴿وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٥] وجه الدلالة: أن صلة الرحم باقية بين المرتد وورثته، فتكون سبباً في بقاء الميراث بينهما.

ثانياً: بالآثار: فقد ورد عن كثير من الصحابة توريثهم الورثة المسلمين من المرتد؛ روى زيد بن ثابت قال: بعثني أبو بكر عند رجوعه إلى أهل الردة أن أقسم أموالهم بين ورثتهم المسلمين. وروي مثله عن ابن مسعود، وإليه ذهب أكثر التابعين؛ كسعيد بن المسيب، والحسن. وروي عن علي بن أبي طالب أنه أتي بالمستورد العجلي وقد ارتد، فعرض عليه الإسلام، فأبى أن يسلم، فضرب عنقه، وجعل ميراثه لورثته المسلمين. وروى ابن حزم من طريق المنهال عن معاوية الضرير عن الأعمش عن أبي عمرو الشيباني عن علي بن أبي طالب «اجعلوا ميراث المرتد لورثته من المسلمين». فدلت هذه الآثار على أن ورثة المرتد المسلمين أحق بتركته دون غيرهم إذا كانوا يرثونه في الصدر الأول. =

قال عروة بن الزُّبَيْر وغيره: لما عَنَّفَ المسلمون عبْدَ اللَّه بن جَحْشٍ وأصحابه، شَقَّ ذلك عليهم، فتلافاهم اللَّه عز وجل بهذه الآية، ثم هي باقيةٌ في كلِّ من فعل ما ذكره اللَّه عزَّ وجلَّ[1].

وهَاجَرَ الرجُلُ، إذا انتقل نقلة إقامة من موضع إلى موضع، وقصد ترك الأول إيثاراً للثاني، وهي مُفَاعَلَةٌ من هَجَرَ، وجَاهَدَ مفاعلة من جهدٍ، إذا استخْرَج الجُهْد، و ﴿يَرْجُونَ﴾: معناه يَطْمَعُون ويستقْربُون، والرجاء تنعُّم، والرجاء أبداً معه خوفٌ ولا بدَّ، كما أن الخوف معه رجاء.

* ت *: والرجاءُ ما قارنه عمَلٌ، وإلا فهو أمنيَّة.

﴿۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يسألونك عن الخَمْر والميسر...﴾ الآية: السائلُون هم المؤمنُونَ، والخَمْر: مأخوذ من خمر، إذا ستر؛ ومنه: خِمَارُ المَرْأة، والخَمَرُ: ما واراك من شَجَر وغيره، ومنه قولُ الشاعر: [الوافر]

أَلاَ يَا زَيْدُ وَالضَّحَّاكُ سِيرَا ... فَقَدْ جَاوَزْتُمَا خَمَرَ الطَّرِيقِ[2]

= واستدلوا ثالثاً: بأن المرتد بردته تنتقل أمواله عنه، فلا بد أن تنقل إلى ورثته المسلمين، كما لو انتقلت بالموت، خصوصاً وقد جاء نص المواريث عاماً؛ لأن ظاهر قوله: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ﴾ [النساء: ١١] يقتضي توريث المسلم من المرتد؛ إذ لم يفرق بين الميت المسلم وبين المرتد.

ونوقش: بأن العموم في آية المواريث قد خص بحديث أسامة بن زيد: «لاَ يَرِثُ المُسْلِمُ مِنَ الكَافِرِ» كما خص توريث الكافر من المسلم، وهو وإن كان من أخبار الآحاد إلا أن الأمة تلقته بالقبول، واستعملته في منع توريث الكافر من المسلم، فصار في حيز المتواتر؛ لأن آية المواريث خاصة بالاتفاق. وأخبار الآحاد مقبولة في تخصيص مثلها.

وأجيب: بأن حديث أسامة المراد به إسقاط التوارث بين أهل الملتين، وليست الردة بملة قائمة؛ لأنه غير مُقَرٍّ عليها. وليس محكوماً عليه بحكم الملة التي انتقل إليها، فلم يتناول الحديث محل النزاع.

ينظر: **«أثر الاختلاف في الأحكام»** لشيخنا «بدران أبو العينين»، **«تفسير الجصاص»** (٢/ ١٢٧)، **«مغني»** ابن قدامة (٧/ ١٧٤)، **«المنتقى»** على الموطأ (٦/ ٢٥٠)، **«الأم»** للشافعي (٤/ ٣)، **«المحلى»** لابن حزم (٩/ ٣٠٨).

(١) أخرجه الطبري (٢/ ٣٦٩) برقم (٤١٠٦)، وذكره ابن عطية في **«المحرر الوجيز»** (١/ ٢٩١).

(٢) البيت بلا نسبة في **«الأزهيَّة»** (ص ١٦٥)؛ و **«الدرر»** (٦/ ١٦٨)؛ و **«شرح قطر الندى»** (ص ٢١٠)؛=

ولما كانت الخمر تستُرُ العَقْل، وتغطِّي عليه، سُمِّيت بذلك، وأجمعت الأمة على تحريم خَمْر العِنَبِ، ووجوبِ الحدِّ في القليلِ والكثيرِ منه، وجمهورُ الأمة علَىٰ أن ما أسكر كثيرُهُ مِنْ غير خَمْرِ العِنَبِ محرَّم قليلُهُ وكثيرُهُ، والحدُّ في ذلك واجبٌ.

وروي أنَّ هذه الآية أولُ تطرُّق إلى تحريم الخَمْر، ثم بعده: ﴿لاَ تَقْرَبُوا الصَّلاَةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ﴾ [النساء: ٤٣] ثم ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ...﴾ الآية إلى قوله: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١]، ثم قوله تعالى: ﴿إِنَّما الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾ [المائد: ٩٠] فقال رسُولُ اللَّهِ ﷺ: «حُرِّمَتِ الخَمْرُ»[(١)]،

= و «**شرح المفصل**» (١/ ١٢٩)؛ و «**لسان العرب**» (٤/ ٢٥٧) (خمر)؛ و «**اللمع**» (ص ١٩٥)؛ و «**همع الهوامع**» (٢/ ١٤٢)، و «**الدر المصون**» (١/ ٥٣٥).

واستشهد بقوله: «يا زيد والضحاك» حيث روي بنصب «الضحاك» ورفعه، فدلّ ذلك على أنّ المعطوف على المنادى المبنيّ، إذا كان مفرداً، يجوز فيه وجهان: الرفع على لفظ المنادى، والنصب على محلّه.

(١) أخرجه النسائي (٨/ ٣٢١)، كتاب «الأشربة»، باب ذكر الأخبار التي اعتل بها من أراد شرب السكر، من طريق ابن شبرمة، عن عبد اللَّه بن شداد بن الهاد، عن ابن عباس موقوفاً بلفظ: «حرمت الخمر قليلها وكثيرها، والسكر من كل شراب».

قال النسائي: ابن شبرمة لم يسمعه من عبد اللَّه بن شداد، وأخرجه (٨/ ٣٢١) كتاب «الأشربة»، باب ذكر الأخبار التي اعتل بها من أراد شرب السكر، من طريق ابن شبرمة قال: حدثني الثقة عن عبد اللَّه بن شداد، عن ابن عباس به. قال: خالفه أبو عون محمد بن عبيد اللَّه الثقفي.

فرواه عن عبد اللَّه بن شداد، عن ابن عباس بزيادة: «حرمت الخمر بعينها: قليلها، وكثيرها»....

أخرجه النسائي (٨/ ٣٢١).

ثم أخرجه من طريق عباس بن ذريح، عن أبي عون، عن عبد اللَّه بن شداد، عن ابن عباس قال: «حرمت الخمر؛ قليلها وكثيرها، وما أسكر من كل شراب».

قال النسائي: وهذا أولى بالصواب من حديث ابن شبرمة، وهشيم بن بشير ـ الراوي عنه ـ كان يدلس، وليس في حديثه ذكر السماع من ابن شبرمة، ورواية أبي عون أشبه بما رواه الثّقات عن ابن عباس.

وقد أخرجه النسائي (٨/ ٣٢١)، والدارقطني (٤/ ٢٥٦)، وأبو نعيم في «**الحلية**» (٧/ ٢٢٤)، من طريق شعبة، عن مسعر، عن أبي عون به، عن ابن عباس موقوفاً.

وفي الباب عن علي مرفوعاً: أخرجه العقيلي في «**الضعفاء**» (٤/ ١٢٣ـ ١٢٤)، من طريق محمد بن الفرات الكوفي، عن أبي إسحاق السبيعي، عن الحارث، عن علي قال: طاف النبي ﷺ بين الصفا والمروة أسبوعاً، ثم استند إلى حائط من حيطان مكة، فقال: «هل من شربة»؟ فأتي بقعب من نبيذ، فذاقه، فقطب، قال: فرده، قال: فقام إليه رجل من آل حاطب، فقال: يا رسول اللَّه، هذا شراب أهل مكة، قال: فرده. قال: فصب عليه الماء حتى رغا، ثم شرب، ثم قال: «حرمت الخمر بعينها، والسكر من كل شراب».

قال العقيلي: لا يتابع عليه.

ونقل عن يحيى قوله: ليس بشيء، وعن البخاري قوله: منكر الحديث. =

ولم يحفَظْ عن النبيِّ ﷺ في حدِّ الخمر إلا أنَّه جلد أربعين، خرَّجه مسلم، وأبو داود[١]، وروي عَنْه ﷺ؛ أَنَّهُ ضرب فيها ضَرْباً مُشَاعاً[٢]، وحَزَرَهُ أبو بكر أربعين سوطاً، وعمل بذلك هو، ثُمَّ عمر[٣] ثم تهافَتَ النَّاس فيها، فشدَّد عليهم الحَدَّ، وجعله كَأخفِّ الحدود

وقول العقيلي: لا يتابع عليه، فيه نظر.

فقد تابعه عبد الرحمن بن بشر الغطفاني.

أخرجه هو في «ضعفائه» (٣/ ٤٢٤) من طريقه، عن أبي إسحاق، عن الحارث، عن علي قال: سألت رسول اللّه ﷺ عن الأشربة، عام حجة الوداع، فقال رسول اللّه ﷺ: «حرم اللّه الخمر بعينها، والسكر من كُلِّ شراب».

قال العقيلي: عبد الرحمن بن بشر مجهول في النسب والرواية حديثه غير محفوظ.

ليس له من حديث أبي إسحاق أصل، وهذا يعرف عن عبد اللّه بن شداد بن الهاد، عن ابن عباس قوله.

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٦٧)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣/ ١٥٧)، كتاب «الحدود»، باب حد الخمر، من طريق يزيد بن هارون، عن المسعودي، عن زيد العمي، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد قال: جلد على عهد النبي ﷺ في الخمر بنعلين أربعين، فلما كان زمن عمر جلد بدل كل نعل سوطاً.

وزيد العمي ضعيف، والمسعودي كان قد اختلط.

(٢) أخرجه البخاري (١٢/ ٦٦) كتاب «الحدود»، باب الضرب بالجريد والنعال، حديث (٦٧٧٨)، ومسلم (٣/ ١٣٣٢) كتاب «الحدود»، باب حد الخمر، حديث (٣٩/ ١٧٠٧)، وأبو داود (٤/ ٦٢٦)، كتاب «الحدود»، باب إذا تتابع في شرب الخمر، حديث (٤٤٨٦)، وابن ماجة (٢/ ٨٥٨)، كتاب «الحدود»، باب حد السكران، حديث (٢٥٦٩)، وأحمد (١/ ١٢٥)، وأبو يعلى (١/ ٢٨١) برقم (٣٣٦)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار»، كتاب «الحدود»، باب حد الخمر، والبيهقي (٨/ ٣٢١)، كتاب «الأشربة والحد فيها»، باب الشارب يضرب زيادة على الأربعين. كلهم من حديث علي قال: ما كنت لأقيم حداً على أحد، فيموت، وأجد في نفسي منه شيئاً، إلا صاحب الخمر؛ فإنه لو مات وديته، وذلك أن رسول اللّه ﷺ لم يتبين فيه شيئاً.

قال البيهقي: وإنما أراد ـ واللّه أعلم ـ أن رسولَ اللّه ﷺ لم يسنه زيادة على الأربعين، أو لم يسنه بالسياط، وقد سنه بالنعال، وأطراف الثياب مقدار أربعين.

(٣) أخرجه أبو داود (٤/ ٦٢٨)، كتاب «الحدود»، باب إذا تتابع في شرب الخمر، حديث (٤٤٨٩)، والشافعي (٢/ ٩٠) كتاب «الحدود»، باب حد الشرب، حديث (٢٩٢)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣/ ١٥٦)، كتاب «الحدود»، باب حد الخمر، والحاكم (٤/ ٣٧٥)، كتاب «الحدود»، باب كان الشارب يضرب بالأيدي والنعال، والبيهقي (٨/ ٣٢٠) كتاب «الأشربة»، باب عدد حد الخمر، عن عبد الرحمن بن أزهر قال: «رأيت رسول اللّه ﷺ غداة الفتح، وأنا غلام شاب يتخلل الناس، يسأل عن منزل خالد بن الوليد، فأتي بشارب، فأمرهم، فضربوه بما في أيديهم، فمنهم من ضربه بالسوط، ومنهم من ضربه بعصا، ومنهم من ضربه بنعليه، وحثى رسول اللّه ﷺ التراب، فلما كان أبو بكر، فسألهم عن ضرب النبي ﷺ الذي ضرب، فحزروه أربعين، فضرب أبو بكر أربعين.

وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

ثَمَانِينَ؛ وبه قال مالك[١].

---

(١) ذهب الحنفية والمالكية إلى أن حد الخمر ثمانون، وهو مذهب إسحاق، والأوزاعي، والثوري، وغيرهم، وإحدى الروايتين عن أحمد، وأحد قولي الشافعي، واختاره ابن المنذر.
وذهب الشافعي (في أصح مذهبه) إلى أن قدرها أربعون، وهو مذهب الظاهرية، وأبي ثور، وإحدى الروايتين عن أحمد، قال الشافعي: وللإمام أن يبلغ به ثمانين، وتكون الزيادة على الأربعين تعزيرات على تسببه في إزالة عقله، وفي تعرضه للقذف والقتل وأنواع الإيذاء، وترك الصلاة وغير ذلك.
واحتج الأولون بما رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي وصحّحه عن أنس أن النبي ﷺ «أُتِي بِرَجُلٍ قَدْ شَرِبَ الخَمْرَ، فَجُلِدَ بِجَرِيدَتَيْنِ نَحْوَ أَرْبَعِينَ. وَفَعَلَهُ أَبُو بَكْرٍ، فَلَمَّا كَانَ عُمَرُ اسْتَشَارَ النَّاسَ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنُ: أَخَفُّ الحُدُودِ ثَمَانِينَ. فَأَمَرَ بِهِ عُمَرُ».
وبما رواه أحمد عن أبي سعيد قال: جلد على عهد رسول اللّه ﷺ في الخمر بنعلين أربعين، فلما كان زمن عمر جعل بدل كل نعل سوطاً.
وجه الدلالة: أن شارب الخمر كان يجلد بين يدي رسول اللّه ﷺ ثمانين؛ لأنه كان يضرب بالجريدتين أو بالنعلين مجتمعين أربعين، فتكون الجملة الحاصلة ثمانين؛ لأن كل ضربة ضربتان. وإنْ كانت الرواية الأولى محتملة؛ لقوله: «فَجُلِدَ بِجَرِيدَتَيْنِ نَحْوَ أَرْبَعِينَ» إلا أن الثانية جازمة، بأن الضرب بنعلين أربعين، ولذا استشار عمر الصحابة (رضوان اللّه عليهم أجمعين) فرأوا أن الجلد في الخمر ثمانون سوطاً بدل الضرب بالنعال ونحوها.
وروى الإمام مالك (رضي اللّه عنه) عن ثور بن زيد الدّيلي أن عمر بن الخطاب استشار في الخمر يشربها الرجل فقال له علي بن أبي طالب: «نرى أن تجلده ثمانين؛ فإنه إذا شرب سكر، وإذا سكر هذى، وإذا هذى افترى. أو كما قال. فجلد عمر في الخمر ثمانين».
وجه الدلالة: أن عمر (رضي اللّه عنه) استشار الصحابة في عقوبة شرب الخمر، فأشار عليه عليٌ بأنها ثمانون، فوافقه عمر عليها، وعمل بها؛ فدل ذلك على أنها ثمانون، ولم يعلم له مخالف.
وأما المعقول فقالوا: إن هذا حد في معصيته، فلم يكن أقل من ثمانين، كحد الفرية والزنا.
وأما الإجماع، فقالوا: إن الصحابة في عهد عمر أجمعوا على أن حدّ شرب الخمر ثمانون. يدل لذلك ما روى الدارقطني قال: حدثنا القاضي الحسين بن إسماعيل، قال: حدثنا يعقوب بن إبراهيم الدَّوْرَقي، قال: حدثنا صفوان بن عيسى، قال: حدثنا أسامة بن زيد عن الزهري، قال: أخبرني عبد الرحمن بن أزهر، قال: رأيت رسول اللّه ﷺ يوم حنين، وهو يتخلل الناس يسأل عن منزل خالد بن الوليد، فأتي بسكران، قال: فقال رسول اللّه ﷺ لمن عنده، فضربوه بما في أيديهم، وقال: وحثا رسول اللّه ﷺ عليه التراب قال: ثم أتي أبو بكر (رضي اللّه عنه) بسكران، قال: فتوخى الذي كان من ضربهم يومئذ، فضرب أربعين. قال الزهري: ثم أخبرني حميد بن عبد الرحمن عن ابن وبرة الكلبي قال: أرسلني خالد بن الوليد إلى عمر، قال: فأتيته ومعه عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وعلي بن أبي طالب وطلحة والزبير (رضي اللّه عنهم). وهم معه متكئون في المسجد، فقلت: إن خالد بن الوليد أرسلني إليك وهو يقرأ عليك السلام، ويقول: إن الناس قد انهمكوا في الخمر وتحاقروا العقوبة فيه، فقال عمر: هم هؤلاء عندك، فسلهم، فقال علي: نراه إذا سكر هذى، وإذا هذى افترى، وعلى المفتري ثمانون. قال: فقال عمر: أبلغ صاحبك ما قال، قال: فجلد خالد ثمانين، وعمر ثمانين. =

ويجتنبُ من المضروبِ: الوجْهُ، والفَرْجُ، والقَلْب، والدِّماغ، والخَوَاصر؛ بإجماع.

قال ابن سِيرِينَ، والحسنُ، وابْنُ عَبَّاس، وابن المُسَيَّب، وغيرهم: كلُّ قمارٍ مَيْسِرٌ؛ مِنْ نَرْدٍ وشِطْرَنْجٍ، ونحوه، حتَّى لِعْب الصِّبْيَان بالجَوْز[1].

وأخرج أبو داود والنسائي من حديث عبد الرحمن بن أزهر في قصة الشارب الذي ضربه النبي ﷺ بحنين، وفيه: فلما كان عمر كتب إليه خالد بن الوليد أن الناس قد انهمكوا في الشرب وتحاقروا العقوبة. قال: وعنده المهاجرون والأنصار، فسألهم واجتمعوا على أن يضربه ثمانين.

قال الباجي: «واستدل أن ذلك حكمه، وإلى ذلك ذهب مالك، وأبو حنيفة أن حد شارب الخمر ثمانون، وقال الشافعي: أربعون. والدليل على ما نقوله ما روي من الأحاديث الدالة على أنه لم يكن من النبي ﷺ نص في ذلك على تحديد، وكان الناس على ذلك ثم وقع الاجتهاد في ذلك في زمن عمر بن الخطاب، ولم يوجد عند أحد منهم نص على تحديد، وذلك من أقوى الدليل على عدم النص فيه؛ لأنه لا يصح أن يكون فيه نص باق حكمه، ويذهب على الأمة؛ لأن ذلك كان يكون إجماعاً منهم على الخطأ ولا يجوز ذلك على الأمة، ثم أجمعوا واتفقوا على أن الحد ثمانون، وحكم بذلك على ملأ منهم، ولم يعلم لأحد فيه مخالفة؛ فثبت أنه إجماع.

واستدل الشافعي ومن معه بالسنة، والأثر، والمعقول. فمن السنة ما روى مسلم عن أنس (رضي الله عنه) أن النبي ﷺ كان يضرب في الخمر بالنعال والجريد أربعين.

وجه الدلالة: أن النبي ﷺ كان يضرب في الخمر بالجريد والنعال أربعين؛ فدل ذلك على أنها حده.

وأمّا الأثر، فما روى مسلم عن حُضين بن المنذر قال: شهدت عثمان بن عفان أتي بالوليد قد صلّى الصبح ركعتين ثم قال: أزيدكم، فشهد عليه رجلان أحدهما حمران أنه شرب الخمر، وشهد آخر أنه رآه يتقيؤها، فقال عثمان: إنه لم يتقيأها حتى شربها، فقال: يا علي قم فاجلده، فقال علي: قم يا حسن فاجلده، فقال الحسن: «ول حارّها من تولى قارّها» فكأنه وجد عليه، فقال: يا عبد الله بن جعفر، قم فاجلده، فجلده وعلي يعدّ حتى بلغ أربعين، فقال: أمسك، ثم قال: جلد النبي أربعين، وأبو بكر أربعين، وعمر ثمانين، وكلٌّ سُنَّةٌ، وهذا أحب إليّ».

وجه الدلالة: أن علياً (كرم الله وجهه) جزم في إخباره بأن النبي ﷺ جلد أربعين، وسائر الأخبار ليس فيها عدد محدد إلا بعض الروايات السالفة عن أنس، ففيها نحو الأربعين. بطريق التقريب، والجمع بين الأخبار أن علياً جزم بالأربعين، فهو حجة على من ذكرها بلفظ التقريب، فعملنا بما جزم به عليٌّ في إخباره عن الجلد الواقع في عهد الرسول (عليه الصلاة والسلام) وعهد أبي بكر، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ ولذلك قال لعبد الله بن جعفر لما بلغ الأربعين: أمسك.

وأما المعقول فقالوا: إن الشرب سبب يوجب الحد، فوجب أن يختص بعدد لا يشاركه فيه غيره، كالزنا والقذف.

ينظر: **«الباجي»** على الموطأ (٣/ ١٤٤)، و **«الزرقاني»** على الموطأ (٤/ ٣٤٤)، و **«تفسير القرطبي»** (١٢/ ١٦٥)، و **«فتح الباري»** (١٢/ ٥٥).

(١) أخرجه الطبري (٢/ ٣٧٠ـ ٣٧١) برقم (٤١١٤ـ ٤١١٥)، عن محمد بن سيرين، وبرقم (٤١١٨)، عن الحسين، وبرقم (٤١٢٠) عن سعيد بن المسيب، وبرقم (٤١٢٤) عن ابن عباس.
وذكره ابن عطية (١/ ٢٩٤).

* ت *: وعبارةُ الداوديّ: وعن ابْنِ عُمَر: المَيْسِرُ القِمَار كلُّه[١]، قال ابن عبَّاس: كلُّ ذلك قمارٌ؛ حتى لِعْب الصِّبْيَان بالجَوْز، والكِعَاب[٢]. انتهى.

وقوله تعالى: ﴿قل فيهما إثم كبيرٌ ومنافعُ للنَّاس...﴾ الآية: قال ابن عبَّاس، والرَّبيع: الإثم فيهما بعد التحريم/، والمنفعةُ قبله[٣]. ٥٤أ

وقال مجاهد: المنفعةُ بالخَمْر كسب أثمانها[٤]، وقيل: اللَّذَّة بها إلى غير ذلك من أفراحِها[٥]، ثم أعلم اللَّه عزَّ وجلَّ؛ أنَّ الإثم أكْبَرُ من النَّفْع، وأعود بالضَّرر في الآخرة، فهذا هو التقدمة للتحريم.

وقوله تعالى: ﴿ويسألونَكَ ماذا ينفقُونَ قل العفو﴾ قال جمهور العلماء: هذه نفقاتُ التطوُّع، والعفُو مأخوذ من عَفَا الشَّيْء، إذا كَثُر، فالمعنَى: أنفِقُوا ما فَضَل عن حوائجِكُم، ولم تُؤْذُوا فيه أنفُسَكم، فتكونوا عالَةً على النَّاس.

وقوله تعالى: ﴿كذلك يبيِّن اللَّه لكم الآياتِ لعلَّكم تتفكَّرون﴾: الإشارة إلى ما تقدَّم تبيينُهُ من الخَمْر والمَيْسِر، والإنفاق، وأخبر تعالى؛ أنه يبيِّن للمؤمنين الآياتِ التي تقودُهم إلى الفِكْرة في الدنيا والآخرة، وذلك طريقُ النجاة لمن نفعته فكْرته.

قال الداوديّ: وعن ابن عبَّاس: لعلَّكم تتفكَّرون في الدنيا والآخرةِ، يعني: في زوال الدنْيا وفنائِها، وإقبال الآخرة وبقائِها[٦]. انتهى.

---

(١) أخرجه الطبري (٢/ ٣٧١) برقم (٤١٣٣).

(٢) أخرجه الطبري (٢/ ٣٧١) برقم (٤١٢٤)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٤٥٢)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والنحاس في «ناسخه» عن ابن عباس. والكعَاب: فصوص النرد، واحدها كَعْبٌ وكَعْبَةٌ.
ينظر: «لسان العرب» (٣٨٨٩).

(٣) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٢٩٤) والسيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٤٥٣)، وعزاه لابن جرير، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس.

(٤) أخرجه الطبري (٢/ ٣٧٢) برقم (٤١٣٧)، وذكره ابن عطية (١/ ٢٩٤).

(٥) أخرجه الطبري (٢/ ٣٧٣) برقم (٤١٤٠)، وذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٢٩٤)، والسيوطي (١/ ٤٥٢)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والنحاس في «ناسخه» عن ابن عباس.

(٦) أخرجه الطبري (٢/ ٣٨١) برقم (٤١٨١)، وذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٢٩٥)، والسيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٤٥٦)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ في «العظمة» عن ابن عباس.

قال الغَزَّالِيُّ ـ رحمه اللَّه ـ تَعَالَى: العَاقِل لا يغفُلُ عن ذكْر الآخرةِ في لَحْظة؛ فإنها مصيره ومستقرُّه، فيكون لَهُ في كلِّ ما يراه من ماءٍ، أو نارٍ، أو غيرهما عبرةٌ؛ فإن نظر إلى سوادٍ، ذكر ظلمة اللَّحْد، وإن نَظَر إلى صورة مروِّعة، تذكَّر مُنْكَراً ونكيراً والزبانيةَ، وإن سمع صوتاً هائلاً، تذكَّر نفخة الصُّور، وإنْ رأَىٰ شيئاً حسَناً، تذكَّر نعيم الجنَّة، وإن سمع كلمةَ ردٍّ أو قَبُولٍ، تذكَّر ما ينكشفُ لَهُ من آخر أمره بعد الحسَابِ؛ من ردٍّ أو قبول، ما أجدر أن يكون هذا هو الغالِبَ علَىٰ قَلْبِ العاقِلِ، لا يصرفُهُ عنه إلاَّ مُهِمَّاتُ الدنيا، فإذا نسب مدةَ مُقَامه في الدُّنْيا إلى مدة مُقَامه في الآخِرة، ٱستحْقَرَ الدنيا إنْ لم يكُنْ أغفل قلبه، وأعميتْ بصيرته. انتهى من «**الإحياء**».

وقوله تعالَىٰ: ﴿ويسألونك عن اليتامَىٰ قُلْ إصلاح لهم خير﴾: قال ابن عبَّاس، وسعيد بن المسيَّب: سبب الآية أن المسلمين لما نزلَتْ: ﴿ولا تقربوا مالَ اليَتِيم...﴾ [الأنعام: ١٥٢] و[الإسراء: ٣٤] الآية، ونزلت: ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامَىٰ ظُلْماً﴾ [النساء: ١٠]، تجنبوا اليتامَىٰ وأموالَهم، وعزلوهم عن أنفسهم، فنزلت: ﴿وإن تخالطوهم فإخوانكم...﴾ الآية، وأمر اللَّه سبحانه نبيَّه؛ أن يجيب بأن من قصد الإصلاح في مال اليتيم، فهو خيْرٌ، فرفع تعالى المشقَّة، وأباح الخُلْطة في ذلك إذا قُصِدَ الإصلاح، ورفْقُ اليتيم[1].

وقوله سبحانه: ﴿واللَّه يعلم المُفْسِدَ من المُصْلِح﴾: تحذيرٌ.

وقوله تعالى: ﴿ولو شاء اللَّه لأعنتكم﴾، أي: لأتعبكم في تجنُّب أمر اليتامَى، والعَنَتُ: المشقَّة، ومنه عَقَبَةٌ عَنُوتٌ؛ ومنه: عَنَتُ العُزْبَةِ، و ﴿عَزِيزٌ﴾: مقتضاه لا يرد أمره، و ﴿حَكِيم﴾: أي: مُحْكِمٌ ما ينفذه.

﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾﴾

---

(١) أخرجه الطبري (٢/ ٣٨٢ ـ ٣٨٣ ـ ٣٨٤) برقم (٤١٨٥ ـ ٤١٨٦ ـ ٤١٩٢ ـ ٤١٩٤ ـ ٤١٩٦) عن ابن عباس، وبرقم (٤١٨٧) عن سعيد.

وذكره البغوي (١/ ١٩٤) عن ابن عباس، وابن عطية في «**المحرر الوجيز**» (١/ ٢٩٥ـ٢٩٦)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (١/ ٤٥٦)، وعزاه لأبي داود، والنسائي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه، والحاكم وصححه، والبيهقي في «**سننه**» عن ابن عباس.

وقوله تعالى: ﴿ولا تنكحوا المشركاتِ حتَّىٰ يؤمنَّ﴾ ونَكَح: أصله في الجمَاع، ويستعمل في العَقْد تجوُّزاً.

قالت طائفة: المشركاتُ هنا: من يُشْرِكُ مع اللَّه[1] إلهاً آخرْ.

وقال قتادة وابْنُ جُبَيْر: الآية عامَّة في كل كَافِرة، وخصَّصتها آية المائدة، ولم يتناوَلِ العمومُ قطُّ الكتابيَّاتِ[2]، وقال ابنُ عبَّاس، والحسن: تناولهن العمومُ، ثم نَسَخَتْ آيةُ المائدة بَعْضَ العمومِ في الكتابيَّات[3]، وهو مذهب مالكٍ ـ رحمه اللَّه ـ ذكره ابن حَبِيبٍ.

وقوله تعالى: ﴿ولأمةٌ مؤمنةٌ خَيْرٌ من مشركةٍ...﴾ الآية. هذا إخبار من اللَّه سبحانَه أن المؤمنة المَمْلُوكة خَيْرٌ من المشركة، وإن كانت ذاتَ الحَسَب والمَالِ، ولو أعجبتْكم/ في الحُسْن وغير ذلك، هذا قول الطَّبَرِيِّ وغيره. ٥٤ ب

وقوله سبحانه: ﴿ولا تنكحوا المُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يؤمنوا...﴾ الآية: أجمعت الأمة علَىٰ أن المشرك لا يطأ المؤمنة بوجْهٍ؛ لما في ذلك من الغَضَاضَةِ علَىٰ دين الإسلام.

قال بعض العلماء: إن الولايةَ في النكاحِ نصٌّ في هذه الآية، قلت: ويعني ببعض العلماءِ محمَّدَ بْنَ عليِّ بْنِ حُسَيْنٍ، قاله ابنُ العَرَبِيِّ[4]. انتهى.

ولَعَبْدٌ مُؤمنٌ مملوكٌ خَيْرٌ من مشركٍ حسيبٍ، ولو أعجبكم حُسْنُه ومالُهُ؛ حسبما تقدَّم.

قال * ع[5] *: وتحتمل الآية عندي أن يكون ذكْر العَبْدِ والأمةِ عبارةً عن جميع الناسِ حُرِّهم ومملوكِهم؛ إذْ هم كلُّهم عبيده سُبْحَانه.

وقوله تعالى: ﴿أولئك يَدْعُونَ إلى النَّار﴾، أي: بصحبتهم، ومعاشرتهم، والانْحطاطُ في كثيرٍ من أهوائهم، واللَّه عزَّ وجلَّ مُمِنٌّ بالهداية، ويبيِّنُ الآياتِ، ويحضُّ على الطاعات

---

(١) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٢٩٦).

(٢) أخرجه الطبري (٢/ ٣٨٩) برقم (٤٢٢٠، ٤٢٢١، ٤٢٢٢) عن قتادة، وبرقم (٤٢٢٣) عن سعيد بن جبير، وذكره البغوي (١/ ١٩٥).

وابن عطية (١/ ٢٩٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٤٥٨)، وعزاه إلى وكيع، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والنحاس في «ناسخه» عن سعيد بن جبير، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد عن قتادة.

(٣) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٢٩٦).

(٤) ينظر: «الأحكام» (١/ ١٥٨).

(٥) ينظر: «المحرر الوجيز» (١/ ٢٩٧).

التي هي كلُّها دواعٍ إلى الجنَّة، والإذن: العلْم والتمكينُ، فإن انضافَ إلَىٰ ذلك أمْرٌ، فهو أقوَىٰ من الإذن؛ لأنك إذا قلْتَ: أذنْتُ في كذا، فليس يلزمك أنَّكَ أمرْتَ، و ﴿لعلَّهم﴾: ترجٌ في حق البشر، ومن تذكَّر، عمل حَسَبَ التذكُّر، فنَجَا.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ويسألونك عن المَحِيضِ قُلْ هو أذًى﴾ قال الطبريُّ عن السُّدِّيِّ: إنَّ السائلَ ثابتُ بْنُ الدَّحْدَاحِ[1]، وقال قتادةُ وغيره: إنما سألوه؛ لأنَّ العرب في المدينةِ وما والاها، كانُوا قد اسْتَنُّوا بسُنَّة بني إسرائيل في تجنُّب مواكلة الحائِضِ، ومساكَنَتِها، فنزلَتِ الآية[2].

وقوله تعالى: ﴿فاعتزلُوا النِّساء في المحيضِ﴾ يريدُ: جماعَهُنَّ بما فَسَّر من ذلك رسولُ اللَّه ﷺ مِنْ أنْ تشدَّ الحائِضُ إزارها، ثُمَّ شأنُه بأعلاها.

قال أحمدُ بن نَصْرٍ الداوديّ: روي أنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «اتَّقُوا النِّسَاءَ فِي المَحِيضِ؛ فَإِنَّ الجُذَامَ يَكُونُ مِنْ أَوْلاَدِ المَحِيضِ»[3] انتهى.

قوله تعالى: ﴿وَلاَ تقربوهنَّ حتى يَطْهُرْنَ﴾، وقرأ حمزة[4] وغيره «يَطَّهَّرْنَ»؛ بتشديد الطاء والهاء، وفتحهما، وكلُّ واحدة من القراءَتَيْنِ يحتملُ أنْ يراد بها الاغتسالُ بالماء، وأن يراد بها انقطاعُ الدمِ، وزوالُ أذاه، قال ابنُ العربيُّ في «أحكامه»[5]: سمعْتُ أبا بَكْرٍ

---

(١) أخرجه الطبري (٢/ ٣٩٣) برقم (٤٢٣٧)، وذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٢٩٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٤٦١)، وعزاه لابن جرير.
وهو ثابت بن الدَّحْدَاح بن نُعَيْم بن غَنْم بن إياس، حليف الأنصار. وكان بَلويًا، حالف بني عمرو بن عوف. ويقال: ثابت بن الدحْدَاحَة. ويكنى أبا الدحداح، وأبا الدحداحة. ينظر: «الإصابة» (١/ ٥٠٣) (العلمية).

(٢) أخرجه الطبري (٢/ ٣٩٣) برقم(٤٢٣٤)، وذكره ابن عطية (١/ ٢٩٨). والسيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٤٦٢)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير عن قتادة.

(٣) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٢٥٩)، وعزاه لابن المنذر.

(٤) ينظر: «السبعة» (١٨٢)، و «الكشف» (١/ ٢٩٣)، و «الحجة» (٢/ ٣٢١)، و «حجة القراءات» (١٣٤، ١٣٥)، و «العنوان» (٧٤)، و «شرح الطيبة» (٤/ ٩٩)، و «شرح شعلة» (٢٩٠، ٢٩١)، و «معاني القراءات» للأزهري (١/ ٢٠٢)، و «إتحاف» (١/ ٤٣٨).

(٥) ينظر: «الأحكام» (١٠/ ١٦٤).

الشَّاشِيَّ[١] يقولُ: إذا قيل: لا تَقْرَبْ؛ بفتح الراء، كان معناه: لا تَلْتَبِسْ بالفعلِ، وإذا كان بضم الراء، كان معناه لا تَدْن منه. انتهى.

وجمهورُ العلماء علَىٰ أنَّ وطأها في الدَّمِ ذنْبٌ عظيمٌ يتاب منْه، ولا كفَّارة فيه بمالٍ[٢]، وجمهُورهم علَىٰ أن الطُّهْر الذي يُحِلُّ جماعَ الحائِض، هو بالماءِ؛ كطهر الجُنُب، ولا يجزىء من ذلك تَيَمُّمٌ ولا غيره.

وقوله تعالى: ﴿فإذا تَطَهَّرْنَ...﴾ الآية: الخلافُ فيها كما تقدَّم، وقال مجاهدٌ وجماعةٌ: ﴿تَطَهَّرْنَ﴾، أي: اغتسلْنَ بالماء[٣] بقرينةِ الأمر بالإتيان؛ لأنَّ صيغة الأمْرِ من اللَّهِ

---

(١) القاسم بن القفال الكبير الشاشي محمد بن علي، مصنف «التقريب»، كان إماماً جليلاً حافظاً، برع في حياة أبيه، قال العبادي: إن كتابه «التقريب» قد تخرج به فقهاء خراسان، وازدادت طريقة أهل العراق به حسناً، وقد أثنى البيهقي على التقريب، وقال فيه الإسنوي: ولم أر في كتب الأصحاب أجلَّ منه.
ينظر: «طبقات ابن قاضي شهبة» (١/ ١٨٧)، «هدية العارفين» (١/ ٨٢٧)، «طبقات الإسنوي» (ص ١٠٨).

(٢) اتفق أهل العلم على تحريم غِشيان الحائض، ومَنْ فعَلَهُ عالماً عصى، ومن استَحَلَّه كفَرَ؛ لأنه مُحَرَّمٌ بنَصِّ القرآنِ، ولا يَرتفِعُ التَّحريمُ حتى ينقطِعَ الدمُ وتغتسِلَ عند أكثر أهل العلم، وهو قول سالِم بن عبد اللَّه، وسُليمان بن يَسارٍ، ومُجَاهِدٍ، والحسن، وإبراهيم، وإليه ذهب عامة العلماء، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿فإذا تَطَهَّرْنَ فأْتُوهُنَّ من حَيْثُ أَمَرَكُم اللَّه﴾ أي: اغتسلن.
وذهب أبو حنيفة إلى أنه يجوز غِشيانُهَا بعد ما انقطعَ دَمُهَا لأكثر الحيضِ قبل الغُسْلِ.
واختلف أهل العلم في وجوب الكَفَّارَة بوطءِ الحائض، فذهب أكثرهم إلى أنه يستَغْفِرُ اللَّهَ ولا كفَّارَةَ عليه، وهو قول سعيد بن المُسَيَّب، وسعيد بن جُبَيْر، وإبراهيم النَّخَعِي، والقاسم، وعطاء، والشَّعْبي، وابن سيرين، وبه قال ابن المبارَك، والشَّافِعيُّ، وأصحاب الرأي.
وذهب جماعة إلى إيجاب الكَفَّارَةِ بإتيان الحائض، منهم قَتادَةُ والأوزاعي، وأحمد، وإسحاق، وقاله الشافعي في القديم، لما روى عَنْ ابْنِ عَبَّاس، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ في رَجُلٍ جَامَعَ امْرَأَتَهُ وهِيَ حَائِضٌ.، قَالَ: «إِنْ كَانَ الدَّمُ عَبِيطاً، فَلْيَتَصَدَّقْ بِدِينَارٍ، وإن كَانَ صُفْرَةً، فَنِصْفُ دِينارٍ».
أخرجه الترمذي (١/ ٢٤٥)، أبواب الطهارة: باب ما جاء في الكفارة في ذلك (١٣٧)، وفي سنده عبد الكريم بن أبي المخارق، ضعيف كما في «التقريب» (١/ ٥١٦)، وللحديث طرق أخرى قد بسطها الشيخ شاكر في شرحه للترمذي (١/ ٢٤٥ـ ٢٥٤)، فانظرها؛ ففيها فوائد.
قال أبو عيسى: حديث الكفَّارة في إتيان الحائض قد رُوي عن ابن عباس موقوفاً، ورُوي أنه قال: «إن أصابها في فَوْرِ الدَّم تصدَّق بدينار، وإن كان في انقطاع الدم، فنِصف دينار».
وقال قتادة: دينارٌ للحائض، ونِصْفُ دينارٍ إذا أصابها قبل الغُسل. وقال أحمد: يَتَخيَّرُ بين الدِّينارِ والنصف، وقال الحسن: عليه ما على المُجَامِعِ في نهار رمضان.
ومن لم يوجب الكفارة، ذهب إلى أن حديث ابن عبَّاسٍ لا يصِحُّ مُتَّصِلاً مرفوعاً. ينظر: «شرح السنة» (١/ ٤٠٩ـ ٤١٠).

(٣) أخرجه الطبري (٢/ ٣٩٨ ـ ٣٩٩) برقم (٤٢٧٣). =

تعالَىٰ لا تقعُ إلا على الوَجْه الأكمل، و ﴿فَأْتُوهُنَّ﴾: أمر بعد الحَظْر يقتضي الإباحة، والمعنَىٰ: من حيثُ أمركم اللَّه باعتزالهنَّ، وهو الفَرْج، أو من السُّرَّة إلى الرُّكْبة؛ على الخلاف في ذلك، وقال ابن عبَّاس: المعنى: من قِبَلِ الطُّهْرِ، لا من قِبَلِ الحَيض[١]، وقيل: المعنى مِنْ قِبَلِ حالِ الإباحة، لا صائماتٍ ولا مُحْرِماتٍ، ولا غيرَ ذلك، والتَّوَّابُون: الرجَّاعون، وعُرْفُهُ من الشَّرِّ إلى الخير، والمُتَطَهِّرُونَ: قال عطاءٌ وغيره: المعنَىٰ: بالماء[٢]، وقال مجاهد وغيره: المعنى: من الذنوب[٣].

﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿نساؤكم حَرْث لكم...﴾ الآية مبيحةٌ لهيئات الإتيان كلِّها، إذا كان/ الوطء في موضع الحرثِ، ولفظة «الحَرْث» تعطي أنَّ الإباحة لم تقعْ إلا في الفَرْجِ خاصَّة؛ إذ هو المُزْدَرَعُ. ٥٥أ

قال ابنُ العَرَبِيِّ في «**أحكامه**»[٤]: وفي سبب نزولِ هذه الآية رواياتٌ:

الأولَىٰ: عن جابرٍ، قال: كانَتِ اليهودُ تقولُ: من أتَى ٱمْرَأَةٍ فِي قُبُلِهَا مِنْ دُبُرِهَا، جَاءَ الوَلَدُ أَحْوَلَ، فنزلَتِ الآية، وهذا حديثٌ صحيحٌ خرَّجه الأئمَّة[٥].

= وذكره البغوي في «**معالم التنزيل**» (١/ ١٩٧)، وابن عطية في «**المحرر الوجيز**» (١/ ٢٩٩)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (١/ ٤٦٥)، وعزاه لسفيان بن عيينة، وعبد الرزاق في «**المصنف**»، وابن جرير، وابن المنذر، والنحاس عن مجاهد.

(١) أخرجه الطبري (٢/ ٤٠١) برقم (٤٢٩٢)، وابن عطية في «**المحرر الوجيز**» (١/ ٩٩)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (١/ ٤٦٦)، وعزاه إلى الدارمي، وابن جرير، وابن المنذر، عن ابن عباس.

(٢) أخرجه الطبري (٢/ ٤٠٣) برقم (٤٣٠٤ـ ٤٣٠٥ـ ٤٣٠٦)، وذكره البغوي (١/ ١٩٨)، وابن عطية (١/ ٢٩٩)، والسيوطي (١/ ٤٦٦)، وعزاه لوكيع، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن عطاء.

(٣) أخرجه الطبري (٢/ ٤٠٣) برقم (٤٣٠٨)، وذكره البغوي (١/ ١٩٨)، وابن عطية (١/ ٢٩٩).

(٤) ينظر: «**الأحكام**» (١/ ١٧٣).

(٥) أخرجه البخاري (٨/ ٣٧)، كتاب «التفسير»، باب ﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم﴾، حديث (٤٥٢٨)، ومسلم (٢/ ١٠٥٨ـ ١٠٥٩)، كتاب «النكاح»، باب جواز جماعه امرأته في قبلها من قدامها، ومن ورائها، من غير تعرض للدبر، حديث (١١٧ـ ١١٩/ ١٤٣٥)، وأبو داود (١/ ٦٥٦) كتاب «النكاح»، باب في جامع النكاح، حديث (٢١٦٣)، والترمذي (٥/ ٢٠٠)، كتاب «التفسير»، باب سورة البقرة، حديث (٢٩٨٢). وابن ماجة (١/ ٦٢٠) كتاب «النكاح»، باب إتيان النساء في أدبارهن، حديث (١٩٢٥)، والدارمي (١/ ٢٥٨)، كتاب «الوضوء»، باب إتيان النساء في أدبارهن، وفي (٢/ ١٤٥ ـ ١٤٦) كتاب «النكاح»، باب النهي عن إتيان النساء في أعجازهن، وأبو يعلى (٤/ ٢١)=

الثانية: قالتْ أمُّ سلَمَة[١] عن النبيِّ ﷺ في قوله تعالى: ﴿نساؤُكُمْ حرْثٌ لكمْ﴾: قال: «يَأْتِيها مُقْبِلَةً ومُدْبِرَةً، إِذَا كَانَ فِي صِمَامٍ وَاحِدٍ» خرَّجه مسْلم، وغيره[٢].

الثالثة: ما رَوَى الترمذيُّ أنَّ عمر جاء إلى النبيِّ ﷺ فقَالَ لَهُ: هَلَكْتُ، قَالَ: «وَمَا أَهْلَكَكَ؟ قَالَ: حَوَّلْتُ البَارِحَةَ رَحْلِي، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئاً، حتَّىٰ نزلَتْ: ﴿نساؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُم﴾ أَقْبِلْ وَأَدْبِرْ، وَاتَّقِ الدُّبُرَ»[٣] انتهى.

= برقم (٢٠٢٤)، وابن حبان (٤١٧٤)، والطبري في «**تفسيره**» (٢/ ٣٩٧)، والواحدي في «**أسباب النزول**»(ص - ٥٣)، والطحاوي في «**شرح معاني الآثار**» (٣/ ٤٠). والبيهقي (٧/ ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥)، من حديث جابر. وذكره السيوطي في «**الدر المنثور**» (١/ ٤٦٧)، وعزاه إلى وكيع، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، والبخاري، وأبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجة، وابن جرير، وأبي نعيم، والبيهقي، عن جابر، وقال الترمذي: حديث حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(١) هي: هند بنت أمية بن المغيرة بن عبد اللّه بن عمر بن مخزوم. أم المؤمنين (رضي اللّه عنها) أم سلمة. القرشية. المخزومية.
قال ابن الأثير: كان أبوها يعرف بـ «زاد الركب».. وكانت من المهاجرات إلى الحبشة وإلى المدينة.. وقيل: إنها أول ظعينة هاجرت إلى «المدينة»، واللّه أعلم، وتزوجها رسول اللّه ﷺ بعد أبي سلمة. توفيت سنة (٦٣) على أرجح الأقوال.
ينظر ترجمتها في: «**أسد الغابة**» (٧/ ٣٤٠)، «**الإصابة**» (٨/ ٢٤٠)، «**الاستيعاب**» (٤/ ١٩٣٩)، «**تجريد أسماء الصحابة**» (٢/ ٣٢٢)، «**أعلام النساء**» (٢/ ٢٣٥).

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٢٠٠) في التفسير، باب «ومن سورة البقرة» (٢٩٧٩)، وأحمد (٦/ ٣٠٥، ٣١٠، ٣١٨، ٣١٩)، والدارمي (١/ ٢٥٦) في الوضوء: باب إتيان النساء في أدبارهن، وأبو يعلى في «**مسنده**» (٦٩٧٢)، والطبري في تفسيره (٤٣٤١- ٤٣٤٥)، والطحاوي (٣/ ٤٢- ٤٣)، والبيهقي (٧/ ١٩٥) عن عبد اللّه بن عثمان بن خثيم، عن ابن سابط، عن حفصة بنت عبد الرحمن عن أم سلمة قالت: قال رسول اللّه ﷺ: ﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾، قال: صماماً واحداً، صماماً واحداً.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن..... ويروى في سمام واحد.
ويشهد له حديث جابر عند مسلم (٢/ ١٥٩) في النكاح: باب جواز جماعه امرأته في قبلها من قدامها، ومن ورائها، من غير تعرض للدبر (١١٩- ١٤٣٥). والواحدي في «أسباب النزول» ص (٥٣). والطحاوي (٣/ ٤١)، والبيهقي (٧/ ١٩٥) عن النعمان بن راشد، عن الزهري، عن ابن المنكدر، عن جابر بن عبد اللّه قال: قالت اليهودُ: إذا أتى الرجل امرأته مجبية كان الولد أحول، فنزلت: ﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾، إن شاء مجبية وإن شاء غير مجبية، غير أن ذلك في صمام واحد.

(٣) أخرجه الترمذي (٥/ ٢٠٠) في التفسير، باب «ومن سورة البقرة» (٢٩٨٠)، والنسائي في «**الكبرى**» (٥/ ٣١٤)، في «عشرة النساء» (٨٩٧٧/ ٤) و (٦/ ٣٠٢)، في «التفسير» (١١٠٤٠/ ٣)، وأحمد (١/ ٢٦٧)، والطبري في التفسير (٤٣٤٧)، وأبو يعلى (٢٧٣٦)، والبيهقي (٧/ ١٩٨)، والواحدي في «**أسباب النزول**» ص ٥٣ عن يعقوب القمي، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: جاء عمر إلى رسول اللّه ﷺ فقال: يا رسول اللّه، هلكت.....» فذكره. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. =

قال * ع[١] *: وَ ﴿أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾: معناه عند جمهور العلماء: من أيِّ وجهٍ شئتم؛ مقبلةً، ومدبرةً، وعلَىٰ جَنْب.

قال * ع[٢] *: وقد ورد عَنْ رسُولِ اللَّه ﷺ في مصنَّف النسائيِّ وفي غيره؛ أنه قَالَ: «إِتْيَانُ النِّسَاءِ فِي أَدْبَارِهِنَّ حَرَامٌ»[٣]، وورد عنه فيه، أنَّه قال: «مَلْعُونٌ مَنْ أَتَى ٱمْرَأَةً فِي دُبُرَهَا»[٤]، وورد عنه، أنَّه قال: «مَنْ أَتَى ٱمْرَأَةً فِي دُبُرِهَا فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ قَلْبِ مُحَمَّدٍ»[٥]، وهذا هو الحقُّ المتَّبع، ولا ينبغي لمؤمنٍ باللَّه أن يعرج بهذه النازلة علَىٰ زَلَّة عالِمٍ بعد أنْ تصحَّ عنه، واللَّه المرشِدُ لا ربَّ غيره.

وينظر: «الدر المنثور» (١/ ٤٦٩).

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (١/ ٢٩٩).

(٢) ذكره في «المحرر الوجيز» (١/ ٣٠٠).

(٣) أخرجه بهذا اللفظ النسائي في «السنن الكبرى» (٥/ ٣١٩)، كتاب «عشرة النساء»، باب ذكر الاختلاف على عبد اللَّه بن علي بن السائب، حديث (٨٩٩٥).

(٤) أخرجه أبو داود (١/ ٦٥٥)، كتاب «النكاح»، باب في جامع النكاح، حديث (٢١٦٢)، وأحمد (٢/ ٤٤٤)، وأبو يعلى (١١/ ٣٤٩) برقم (٦٤٦٢)، من حديث أبي هريرة، وليس من حديث خزيمة بن ثابت؛ كما في «المهذب».

(٥) أخرجه أبو داود (٢/ ٤٠٨) كتاب «الطب»، باب في الكهان، حديث (٣٩٠٤)، والترمذي (١/ ٢٤٢ ـ ٢٤٣) كتاب «الطهارة»، باب ما جاء في كراهية إتيان الحائض، حديث (١٣٥)، والنسائي في «الكبرى» (٥/ ٣٢٣)، كتاب «عشرة النساء»، باب ذكر اختلاف ألفاظ الناقلين لخبر أبي هريرة في ذلك، حديث (٩٠١٦، ٩٠١٧)، وابن ماجة (١/ ٢٠٩) كتاب «الطهارة»، باب النهي عن إتيان الحائض، حديث (٦٣٩)، وأحمد (٢/ ٤٠٨، ٤٧٦). والدارمي (١/ ٢٥٩)، كتاب «النكاح»، باب من أتى امرأته في دبرها. والبخاري في «التاريخ الكبير» (٣/ ١٦)، وابن الجارود في «المنتقى» برقم (١٠٧)، والعقيلي في «الضعفاء» (١/ ٣١٨). وابن عدي في «الكامل» (٢/ ٦٣٧). والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣/ ٤٤ ـ ٤٥). والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ١٩٨). كلهم من طريق حكيم الأثرم، عن أبي تميمة الهجيمي، عن أبي هريرة مرفوعاً. وقال الترمذيُّ: لا نعرف هذا الحديث إلا من حديث حكيم الأثرم، عن أبي تميمة الهجيمي، عن أبي هريرة.

وقال البخاري: هذا حديث لا يتابع عليه، ولا يعرف لأبي تميمة سماع من أبي هريرة.

وقال البزار كما في «التلخيص» (٣/ ١٨٠): هذا حديث منكر، وحكيم لا يحتج به، وما انفرد به فليس بشيء.

وقال ابن عدي: الأثرم يعرف بهذا الحديث، وليس له غيره إلا اليسير.

وقد ضعف هذا الحديث البخاري، والترمذي، وابن سيد الناس، والبغوي، والذهبي فقال: إسناده ليس بالقائم، وينظر «فيض القدير» (٦/ ٢٣). وقد صحح هذا الحديث الشيخ أحمد شاكر في «تعليقه على المسند» (١٨/ ٥٦، ١٩/ ١٤٢)، وفند العلل التي علَّلوا بها الحديث بما لا تراه في مكانٍ، فلينظر.

وقوله جلَّت قُدْرته: ﴿وقدِّموا لأنفسكم﴾.

قال السُّدِّيُّ: معناه: قدِّموا الأجْر في تجنُّب ما نُهِيتُمْ عنه، وٱمتثالِ ما أُمِرْتُمْ به - ﴿واتَّقُوا اللَّه﴾: تحذيرٌ - ﴿واعْلَمُوا أنَّكُمْ ملاَقُوهُ﴾: خبرٌ يقتضي المبالغَةَ في التحْذير، أي: فهو مجازيكُمْ علَى البِرِّ والإثم ﴿وبَشِّر المُؤْمِنِينَ﴾: تأنيسٌ لفاعلي البرِّ، ومُتَّبِعي سُنَن الهدَىٰ[1]،

﴿وَلَا تَجْعَلُوا ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ولا تجْعَلُوا اللَّه عرضةً لأيمانِكُم...﴾ الآية: مقصد الآيةِ: ولا تُعرِّضوا اسم اللَّهِ تعالَىٰ، فتكثروا الأيمان به، فإن الحِنْثَ يقع مع الإكثار، وفيه قِلَّة رَعْيٍ لحقِّ اللَّه تعالى.

وقال الزجَّاج[2] وغيره: معنى الآيةِ: أنْ يكون الإنسان، إذا طُلِبَ منه فعْلُ خيرٍ ونحوه، ٱعتلَّ باللَّه، وقال: عليَّ يمينٌ، وهو لم يحلفْ.

وقوله: ﴿عرضةً﴾، قال ابن العربيِّ في «**أحكامه**»[3]: ٱعْلَمْ أنَّ بناء عرض في كلام العربِ يتصرَّف علَىٰ معانٍ مرجعُها إلى المَنْع؛ لأنَّ كلَّ شيء عرضٌ، فقد منع، ويقال لما عرض في السَّمَاء من السحَابِ عَارِضٌ؛ لأنه يمنع من رؤيتها، ومن رؤية البدْرَيْن، والكواكبِ. انتهى.

و ﴿أَنْ تَبَرُّوا﴾: مفعولٌ من أجله[4]، والبِرُّ: جميع وجوه البرِّ، وهو ضِدُّ الإثم

---

(١) ذكره ابن عطية في «**المحرر الوجيز**» (١/ ٣٠٠).

(٢) «**معاني القرآن**» (١/ ٢٩٩).

(٣) ينظر: «**الأحكام**» (١/ ١٧٤ - ١٧٥).

(٤) هذا قولُ الجمهورِ، ثم اختلفوا في تقديرِه، فقيل: إرادةَ أن تَبَرُّوا، وقيل: كراهةَ أن تبروا، قاله المهدوي، وقيل: لترك أنْ تَبروا، قاله المبرد، وقيل: لئلا تبروا، قاله أبو عبيدة والطبري، وأنشدا:

... فَلاَ وَاللَّهِ تَهْبِطُ تَلْعَةً .....

أي: لا تهبطُ، فحذف «لا» ومثلُه: ﴿يُبَيِّنُ اللَّه لكم أَنْ تَضِلُّوا﴾ [النساء: ١٧٦] أي: لئلا تضِلُّوا. وتقديرُ الإرادة هو الوجهُ، وذلك أنَّ التقاديرَ التي ذكرتها بعدَ تقديرِ الإرادة لا يظهرُ معناها، لِما فيه من تعليل امتناعِ الحَلْفِ بانتفاء البِر، بل وقوعِ الحَلْف مُعَلَّلٌ بانتفاء البِرّ، ولا ينعقد منهما شرطٌ وجزاءٌ، لو قلتَ في معنى هذا النهي وعلَّتِه: «إنْ حَلَفْتَ باللَّه بَرَرْتَ» لم يصحَّ، بخلافِ تقديرِ الإرادة، فإنه يُعَلِّل امتناعَ=

ـ و﴿سَمِيعٌ﴾، أي: لأقوالِ العبادِ ـ ﴿عليمٌ﴾: بنياتهمْ، وهو مُجَازٍ على الجميع، واليمين: الحَلِفُ، وأصله أنَّ العَرَب كانت إذا تحالَفَت، أو تعاهَدَت، أخذ الرجل يمينَ صاحبه بيمينه، ثم كَثُر ذلك حتَّىٰ سمي الحلف والعَهْد نفسه يميناً.

وقوله تعالى: ﴿لا يؤاخذُكم اللَّه باللَّغْوِ في أيْمَانكم﴾: اللَّغْو: سَقَطُ الكلامِ الَّذي لا حُكْم لَه.

قال ابنُ عَبَّاس، وعائشَةُ، والشَّعْبِيُّ، وأبو صالِح، ومجاهد: لَغْو اليمينِ: قولُ الرجلِ في دَرْجِ كلامِهِ وٱستعجالِهِ في المحاورة: لا واللَّهِ، وبَلَىٰ وَاللَّهِ، دون قصدٍ لليمينِ، وقد أسنده البخاريُّ عن عائشة[١].

وقال أبو هريرة، والحَسَن، ومالكٌ، وجماعة: لغو اليمين: ما حلف به الرجُلُ على يقينه، فكشف الغيبُ خلافَ ذلك[٢].

٥٥ ب

* ع[٣] *: وهذا اليقينُ/ هو غلبة الظَّنِّ.

وقال زيدُ بْنُ أسْلَمَ: لغو اليمينِ: هو دعاءُ الرجلِ على نَفْسه[٤].

وقال الضَّحَّاك: هي اليمينُ المكفَّرة[٥].

وحكى ابنُ عبد البَرِّ قَولاً؛ أن اللغو أيمانُ[٦] .....

= الحَلْفِ بإرادة وجودِ البِرِّ، وينعقدُ منهما شرطٌ وجزاءٌ، تقول: إنْ حَلَفْتَ لم تَبَرَّ وإنْ لم تَحْلِفْ بَرَرْتَ. ينظر: «الدر المصون» (١/ ٥٤٦ ـ ٥٤٧).

(١) أخرجه الطبري (٢/ ٤١٦ـ ٤١٧ـ ٤١٨ـ ٤١٩) برقم (٤٣٧٧ـ ٤٣٧٨) عن عائشة، وبرقم (٤٣٨٧ـ ٤٣٨٨ـ ٤٤٠١) عن الشعبي، وبرقم (٤٣٧٦) عن ابن عباس، وبرقم (٤٣٩٢) عن أبي صالح.
وذكره البغوي (١/ ٢٠١) عن عائشة، وذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٣٠١)، والسيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٤٨٠)، وعزاه إلى مالك، ووكيع، والشافعي في «الأم»، وعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي، من طرق عن عائشة. وفي (١/ ٤٨١)، وعزاه لسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس.

(٢) أخرجه الطبري (٢/ ٤١٩ـ ٤٢٠ـ ٤٢١)، رقم (٤٤٠٩ـ ٤٤١٠ـ ٤٤١١ـ ٤٤١٢ـ ٤٤٢٣) عن الحسن، (٤٤٢٠ـ ٤٤٢٩ـ ٤٤٣٠) عن مالك، وذكره البغوي (١/ ٢٠١) عن الحسن، وابن عطية (١/ ٣٠١)، والسيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٤٨١)، وعزاه لابن جرير عن أبي هريرة.

(٣) «المحرر الوجيز» (١/ ٣٠١).

(٤) أخرجه الطبري (٢/ ٤٢٤)، وذكره البغوي في «معالم التنزيل» (١/ ٢٠١)، وابن عطية (١/ ٣٠١).

(٥) أخرجه الطبري (٢/ ٤٢٥) برقم (٤٤٦٧)، وذكره ابن عطية (١/ ٣٠١).

(٦) وقد اختلفوا في تفسير «اللغو»: فمنهم من قال: هو ما جرى على لسان الحالف من غير قصد كـ «لا=

المُكْرَهِ[١].

قال * ع[٢] *: وطريقةُ النَّظَر أن تتأمَّل لفظة اللغو، ولفظة الكَسْب، ويُحَكَّم موقعهما في اللغة، فكَسْب المرء ما قَصَده، ونواه، واللَّغْوُ: ما لم يتعمَّده، أو ما حقُّه لهجنته أن يسقط، فيقوَّى على هذه الطريقة بعْض الأقوال المتقدِّمة، ويضعَّف بعضها، وقد رفع اللَّه عز وجَلَّ المؤاخذة بالإطلاق في اللَّغْو، فحقيقته: ما لا إثم فيه، ولا كفارة، والمؤاخذةُ في الأيمان هي بعقوبةِ الآخِرَةِ في الغَمُوس[٣] المَضْبُورة، وفيما تُرِكَ تكفيره ممَّا فيه كفَّارة،

= وَاللَّهِ»، و «بَلَى واللَّهِ» وهم الشافعية ورواية عن أبي حنيفة، وهو مروي عن ابن عمر، وابن عباس، وعائشة (رضي اللَّه عنهم)، والشعبي، وعكرمة، وعطاء، والقاسم وغيرهم. وسواء تعلق عندهم بالماضي أو بالمستقبل؛ لقوله تعالى: ﴿لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ...﴾ الآية. يقال: لَغَا يَلغُو. وَلَغَا يَلغَا إذا تكلّم بما لا حقيقة له، ولا قصد له فيه، قال الأزهري: اللغو في كلام العرب على وجهين:

أحدهما: فضول الكلام، وباطله الذي يجري على غير عقد.

والثاني: ما كان فيه رفث وفحش ومأثم.

وقال قتادة في قوله (تعالى): ﴿لاَ تَسْمَعُ فِيهَا لاَغِيَةً﴾ [الغاشية: ١١] ما يؤثم. وقالت عائشة (رضي اللَّه عنها): «إنَّ رسول اللَّه ﷺ قال (يَعْنِي في اللَّغْوِ فِي اليَمينِ)؛ «هُوَ كَلاَمُ الرَّجُلِ فِي بَيْتِهِ: لاَ وَاللَّه، وَبلَى وَاللَّهِ». أخرجه أبو داود، ورواه الزهري، وعبد الملك بن أبي سليمان، ومالك بن مغول عن عطاء عن عائشة موقوفاً.

وقالت المالكية: هو الحلف على شيء يعتقده الحالف. أي: «يغلب على ظنّه فيظهر له خلافه»، وهو مذهب الحنفية.

وقالت الحنابلة: هو ما جرى على اللسان من غير قصد، أو الحلف على شيء يعتقده، فيظهر له خلافه، ودليلهم ما تقدم للشافعية والمالكية والحنفية.

وإذا نظرنا إلى دليل كلٍّ وجدنا أن اللغوَ الذي ينبغي أن يعتبر هو: ما جرى على اللِّسان من غير قصد فقط؛ لأن هذا هو معنى اللغو في اللغة، والألفاظ تحمل على معانيها اللغوية ما لم يرد عن الشرع ما يحملها على خلافه، ولم يرد عنه ما يُخَالِفُ ذلك، بل وَرَدَ ما يعضده، فقد أَجَابَتْ عائشة (رضي اللَّه عنها) حِينَمَا سُئِلَتْ عَنِ اللَّغْوِ في اليمين بأنه هو كلام الرجل في بيته: «لاَ وَاللَّهِ، وَبَلَى واللَّه». ووافقها على ذلك كثير من الصحابة والتابعين، فإن كان هذا القول قالته عن سماع من رسول اللَّه ﷺ فالحجة فيه واضحة، وإن كان قولاً منها، فهو تفسير لصحابي يعرف معاني الألفاظ اللغوية والمعاني الشرعية، وقوله مقبول.

وأما حديث الرُّماة، فقد قال الحافظ فيه: إنه لا يثبت؛ لأنه من مراسيل الحسن، وهو ممن لا تعتبر مراسيله؛ لأنه كان لا يتحرى الثقة. ينظر: «**الكفارات**» لشيخنا: حسن علي حسانين.

(١) ذكره ابن عطية في «**المحرر الوجيز**» (١/ ٣١٠).

(٢) «**المحرر الوجيز**» (١/ ٣٠٢).

(٣) اليمين الغموس هي: الحلف على فعلٍ أو ترك ماضٍ كاذباً، سميت به؛ لأنها تَغْمِسُ صاحبها في الإثم. =

وبعقوبة الدنيا في إلزام الكفَّارة، فيضعَّف القول بأنها اليمين المكفَّرة؛ لأن المؤاخذة قد وَقَعَتْ فيها، وتخصيصُ المؤاخذة؛ بأنها في الآخرة فقَطْ تحكُّم.

* ت *: والقولُ الأوَّل أرجح، وعليه عَوَّل اللَّخْميُّ وغيره.

وقوله تعالى: ﴿ولكن يؤاخذكم بما كسبَتْ قلوبُكم﴾.

قال ابن عبَّاس وغيره: ما كسب القلْبُ هي اليمينُ الكاذبة الغموسُ[1]، فهذه فيها المؤاخذة في الآخرةِ، أي: ولا تكفّر.

* ع[2] *: وسمِّيت الغَمُوسَ؛ لأنها غَمَسَتْ صاحِبَها في الإثم، و ﴿غَفُور حَلِيمٌ﴾: صفتان لائقتان بما ذكر من طَرْح المؤاخذة، إذ هو بابُ رفْقٍ وتوسعة.

﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿للذين يؤلون من نسائهم...﴾ الآية: ﴿يُؤْلُونَ﴾: معناه يَحْلِفُون، والإيلاءُ: اليمين.

واختلف مَنِ المرادُ بلزومِ حكمِ الإيلاء[3]. فقال مالكٌ: هو الرجُلُ يغاضب امرأته،

= واختلفوا في اليمين الغموس هل لها كفارة؟ فقال أبو حنيفة، ومالك، وأحمد في إحدى الروايتين عنه: لا كفارة لها؛ لأنها أعظم من أن تُكَفَّرْ، وقال الشافعي، وأحمد في الرواية الأخرى: تُكَفَّرْ.
ينظر: **«أنيس الفقهاء»** (١٧٢).

(١) أخرجه الطبري (٢/ ٤٢٧) برقم (٤٤٧٢)، وذكره ابن عطية في **«المحرر الوجيز»** (١/ ٣٠٢).

(٢) **«المحرر الوجيز»** (١/ ٣٠٢).

(٣) الإيلاء لغة: الحلف، وهو: مصدر. يقال: آلى بمدة بعد الهمزة، يؤلي إيلاءً، وتألَّى وأتلى، والألِيَّة، بوزن فعيلة: اليمين، وجمعها ألايا: بوزن خطايا، قال الشاعر: [الطويل]

قليل الألايا حافظ ليمينه ... وإن سبقت فيه الأليَّة برَّت

والألوة (بسكون اللام، وتثليث الهمزة): اليمين أيضاً.
ينظر: **«الصحاح»** (٦/ ٢٢٧)، **«المغرب»** (٢٨)، **«لسان العرب»** (١/ ١١٧)، **«المصباح المنير»** (١/ ٣٥).
واصطلاحاً:
عرفه الحنفية بأنه: عبارة عن اليمين على ترك وطء المنكوحة أربعة أشهر أو أكثر.
وعرَّفه الشافعية بأنه: حلف زوج يصح طلاقه ليمتنعن من وطئها مطلقاً أو فوق أربعة أشهر.
وعرفه المالكية بأنه: حلف الزوج المسلم المكلف الممكن وطؤه بما يدل على ترك وطء زوجته غير الموضع أكثر من أربعة أشهر أو شهرين للعبد، تصريحاً أو احتمالاً، قيد أو أطلق وإن تعليقاً. =

فيحلفُ بيمينٍ يلحقُ عن الحِنْثِ فيها حُكْمُ ألاَّ يطأها؛ ضرراً منه، أكْثَرَ من أربعة أشهر، لا يقصد بذلك إِصلاحَ ولَدٍ رضيعٍ ونحوه، وقال به عطاءٌ وغيره[1].

وقوله تعالى: ﴿من نسائِهِم﴾ يدخل فيه الحرائرُ والإِماء، إِذا تزوَّجن، والتربُّص: التأنِّي والتأخُّر، وأربعَةَ أشْهُرٍ؛ عند مالك، وغيره: للحر، وشهران: للعبد.

وقال الشافعيُّ: هو كالحرِّ، و ﴿فَاءُو﴾: معناه: رجَعُوا؛ ومنه: ﴿حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أمر اللَّه﴾ [الحجرات: ٩] : قال الجُمْهور: وإِذا فاء كَفَّر، والفَيْءُ؛ عند مالكٍ: لا يكون إِلا بالوطْء، أو بالتكْفير في حال العُذْر.

﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿والمطَلَّقات يتربَّصْنَ بأنفسهن ثلاثةَ قُرُوءٍ﴾ حكم هذه الآية قصْدُ الاِستبراءِ، لا أنه عبادةٌ؛ ولذلك خرجَتْ منه مَنْ لم يُبْنَ بها؛ بخلاف عِدَّة الوفاةِ الَّتي هي عبادةٌ ـ والقَرْءُ؛ في اللغةِ: الوقْتُ المعتادُ تردُّده، فالحَيْضُ يسمَّىٰ علَىٰ هذا قُرْءاً، وكذلك يسمَّى الطُّهْرُ قُرءاً.

وعرفه الحنابلة بأنه: حلف الزوج ـ القادر على الوطء ـ باللَّه(تعالى) أو صفة من صفاته على ترك وطء زوجته في قبلها مدة زائدة على أربعة أشهر.

وخصت الأربعة الأشهر بالذكر لأن المرأة يعظم ضررها إذا زاد على ذلك؛ لأنها تصبر عن الزوج أربعة أشهر، وبعد ذلك يفنى صبرها أو يقلّ، روى البيهقي عن عمر أنه خرج مرة في الليل في شوارع المدينة فسمع امرأة تقول: [الطويل]

تطاول هذا الليل واسودّ جانبه ... وأرّقني أن لا خليل ألاعبه
فواللَّه لولا اللَّه تخشى عواقبه ... لحرّك من هذا السرير جوانبه
مخافة ربي والحياء يصدّني ... وأخشى لبعلي أن تنال مراتبه

فقال عمر لابنته حفصة: كم أكثر ما تصبر المرأة عن الزوج؟ وروي أنه سأل النساء فقلن له: تصبر شهرين، وفي الثالث يقل صبرها، وفي آخر الرابع يفقد صبرها، فكتب إلى أمراء الأجناد: ألا تحبسوا رجلاً عن امرأته أكثر من أربعة أشهر.

ينظر: **«تبيين الحقائق/ شرح كنز الدقائق»** (٢/ ٢٦١)، **«مغني المحتاج»** (٣/ ٣٤٣)، **«الشرح الصغير»** (٢/ ٢٧٨، ٢٧٩)، **«المطلع»** (٣٤٣)، **«تحفة المحتاج»** (٨/ ١٨٨)، **«شرح المحلى على المنهاج»** (٢٤).

(١) ذكره ابن عطية في **«المحرر الوجيز»** (١/ ٣٠٢).

واختلف في المراد بالقُرُوء هنا: فقال عُمَرُ وجماعةٌ كثيرةٌ: المراد بالقروء، في الآية: الحَيْضُ، وقالتْ عائشةُ وجماعةٌ من الصَّحابة، والتابعين، ومن بعدهم: المراد: الأطهار، وهو قولُ مالكٍ.

واختلف المتأوِّلون في قوله: ﴿مَا خَلَقَ اللَّه في أرحامِهِنَّ﴾.

فقال ابن عُمَر، ومجاهدٌ، وغيرهما: هو الحَيْضُ، والحَبَل جميعاً، ومعنى النهْيِ عن الكتمان: النهْيُ عن الإضرار بالزَّوْجِ في إلزامه النفقَةَ، وإذهابِ حقه في ٱلارتجاع، فأُمِرْنَ بالصدْقِ نفياً وإثباتاً[1]، وقال قتادة: كانتْ عادتهُنَّ في الجاهليةِ أنْ يكتمْنَ الحَمَل/ ؛ لِيُلْحِقْنَ الولد بالزوْج الجديدِ، ففي ذلك نزلَتِ الآية[2]. ٥٦أ

وقال ابن عَبَّاس: إن المرادَ الحَبَل، والعموم راجحٌ[3]، وفي قوله تعالَىٰ: ﴿ولا يحلُّ لهُنَّ﴾ ما يقتضي أنهنَّ مؤتمناتٌ علَىٰ ما ذكر، ولو كَان الاِستقصَاءُ مباحاً، لم يمكن كَتْمٌ.

وقوله سبحانه: ﴿إن كُنَّ يؤمنَّ باللَّه...﴾ الآية: أي: حقَّ الإيمان، وهذا كما تقولُ: إن كُنْتَ حُرًّا، فٱنْتَصِرْ، وأنتَ تخاطبُ حُرًّا، والبَعْلُ: الزوْجُ، ونصَّ اللَّه تعالى بهذه الآية علَىٰ أن للزوْجِ أن يرتجعَ امرأته المطلَّقة، ما دامَتْ في العدَّة، والإشارة بذلك إلى المدَّة بشرط أنْ يريدَ الإصْلاَح، دون المُضَارَّة؛ كما تُشُدِّدَ على النساء في كَتْم ما في أرحامهن، وقوله تعالى: ﴿ولهنَّ مِثْلُ الذي عليهن...﴾ الآية: تعمُّ جميعَ حقوقِ الزوجيَّة.

وقوله تعالى: ﴿وللرجالِ عليهنَّ درجةٌ﴾ قال مجاهدٌ: هو تنبيهٌ علَىٰ فضْلِ حظِّه على حظِّها في الميراث، وما أشبهه[4]، وقال زيد بن أسلم: ذلك في الطَّاعة؛ علَيْها أنْ تطيعه، وليس علَيْه أن يطيعَهَا[5]، وقال ابن عباس: تلك الدرَجَةُ إشارة إلى حضِّ الرجُلِ على حُسْن

---

(١) أخرجه الطبري (٢/ ٤٦١) برقم (٤٧٣٨)، عن ابن عمر وبأرقام (٤٧٣٩، ٤٧٤٠، ٤٧٤٥) عن مجاهد. وذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٣٠٥)، والسيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٤٩٢)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عمر وفي (١/ ٤٩٢)، وعزاه لعبد الرزاق، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، والبيهقي، عن مجاهد.

(٢) أخرجه الطبري (٢/ ٤٦٢) رقم (٤٧٥٤ـ ٤٧٥٥ـ ٤٧٥٦)، وذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٣٠٥)، والسيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٤٩٢)، وعزاه لعبد الرزاق، وابن جرير، وابن المنذر، وعبد بن حميد عن قتادة.

(٣) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٣٠٥).

(٤) أخرجه الطبري (٢/ ٤٦٧) برقم (٤٧٧٣ـ ٤٧٧٤).
وذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٣٠٥). والسيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٤٩٣)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير عن مجاهد.

(٥) أخرجه الطبري (٢/ ٤٦٨) رقم (٤٧٧٧)، وذكره ابن عطية (١/ ٣٠٥).

العِشرة، والتوسُّع للنساء في المالِ والخُلُقِ[١]، أي: أنَّ الأفضل ينبغِي أنْ يتحامَلَ علَىٰ نفسه، وهو قولٌ حسَنٌ بارعٌ.

﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿الطَّلاق مرَّتَانِ...﴾ الآية: قال عروة بن الزُّبَيْر وغيره: نزلَتْ هذه الآية بياناً لِعَدَدِ الطلاقِ الذي للمرء فيه أنْ يرتجعَ دون تجديدِ مَهْرٍ ووليٍّ[٢]، وقال ابن عبَّاس وغيره: المراد بالآية التعريفُ بسُنَّة الطلاقِ، وأنَّ من طلَّق اثنتَيْنِ، فليتَّق اللَّه في الثالثَةِ، فإما تركَهَا غيْرَ مظلومةٍ شيئاً من حقِّها، وإما أمسكها محسناً عشْرَتَها[٣].

* ع[٤] *: والآية تتضمَّن هذين المعنيين.

٥٦ ب * ص *: الطلاقُ: مبتدأٌ؛ على حذفِ مضافٍ، أي: عدد الطلاق، ومرَّتانِ: خبره. انتهى.

والإمساكُ بالمعروفِ: هو الارتجاعُ بعد الثانية إلى حسن العِشْرةِ، والتسْريحُ: يحتمل لفظه معنَيَيْنِ:

أحدهما: تركها تتمُّ العدة من الثانية، وتكون أملكَ بنَفْسها، وهذا قولُ السُّدِّيِّ، والضَّحَّاك[٥].

والمعنَى الآخر: أن يطلقها ثالثةً، فيسرِّحها بذلك، وهذا قولُ مجاهِدٍ، وعطاءٍ، وغيرهما، وإمْسَاك: مرتفع بالابتداءِ والخبر أمثل أو أحسن.

وقوله تعالى: ﴿ولا يحلُّ لكم أنْ تأخذوا ممَّا آتيتموهن شيئاً...﴾ الآية: خطابٌ

---

(١) ذكره ابن عطية في «**المحرر الوجيز**» (١/ ٣٠٦).

(٢) أخرجه الطبري (٢/ ٤٦٩) رقم (٤٧٨٣)، وذكره البغوي (١/ ٢٠٦)، وابن عطية (١/ ٣٠٦)، والسيوطي (١/ ٤٩٤)، وعزاه لمالك، والشافعي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم عن عروة.

(٣) أخرجه الطبري (٢/ ٤٧٠ـ ٤٧١) برقم (٤٧٩١)، وذكره ابن عطية في «**المحرر الوجيز**» (١/ ٣٠٦).

(٤) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (١/ ٣٠٦).

(٥) أخرجه الطبري (٢/ ٤٧٢ـ ٤٧٣)، برقم (٤٨٠٠ـ ٤٨٠٧) عن السدي، وأرقام (٤٨٠١ـ ٤٨٠٢ـ ٤٨٠٣ـ ٤٨٠٨) عن الضحاك، وذكره ابن عطية في «**المحرر الوجيز**» (١/ ٣٠٦).

للأزواجِ، نهاهم به أن يأخذوا من أزواجهم شيئًا؛ علَىٰ وجه المضارَّة، وهذا هو الخُلْع[١] الذي لا يصحُّ إلاّ بأن لا ينفردَ الرجُلُ بالضَّرر، وخصَّ بالذكْر ما آتى الأَزْوَاجُ نساءَهم؛ لأنه عرف الناس عند الشُّقَاق والفَسَاد أنْ يطلبوا ما خَرَجَ من أيديهم، وحرَّم اللَّه تعالَىٰ علَى الزَّوْجِ في هذه الآية أنْ يأخذ إلا بعد الخوف ألاَّ يقيما حدودَ اللَّه، وأكَّد التحريم بالوعيدِ، وحدود اللَّه في هذا الموضعِ هي ما يلزمُ الزوجَيْنِ مِنْ حُسْنِ العشرة، وحقوقِ العِصْمَة.

وقوله تعالى: ﴿فإن خِفْتم ألاَّ يقيما حدود اللَّه﴾: المخاطبة للحُكَّام والمتوسِّطين لهذا الأمر، وإن لم يكونوا حُكَّاماً، وتَرْكُ إقامة حدود اللَّه: هو ٱستخفافُ المرأة بحقِّ زوجها، وسوءُ طاعتها إياه؛ قاله ابن عباس، ومالكٌ، وجمهور العلماء[٢].

وقال الشَّعبيُّ: ﴿ألاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾: معناه: ألاَّ يطيعَا اللَّه[٣]، وذلك أنَّ المغاضبة تَدْعُو إلى ترك الطاعة.

وقوله تعالى: ﴿فلا جُنَاحَ عليهما فيما ٱفتدَتْ بِهِ﴾ إباحة للفدْية، وشَرَّكَهَا/ في ٱرتفاعِ الجُنَاحِ؛ لأنها لا يجوز لها أن تعطيه مالها حيثُ لا يجُوزُ له أخْذه، وهي تَقْدِرُ على المخاصَمَةِ. ٥٧ أ

قال ابن عَبَّاس، وابنُ عمر، ومالكٌ، وأبو حنيفةَ، وغيرهم: مباحٌ للزَّوْج أن يأخذ من المرأةِ في الفدْيَة جميعَ ما تملكُهُ؛ وقضَىٰ بذلك عمر بن الخَطَّاب[٤].

---

(١) الخلع لُغَةً: النَّزْعُ، وهو استعارةٌ من خَلْعِ اللِّبَاسِ؛ لأن كل واحد منهما لباس للآخر، فكأن كل واحد نزع لباسَهُ منه، وخالعت المرأة زوجها مُخَالَعَةً: إذا افتدت منه، وطلَّقها على الفدية.
واصطلاحاً:
عرفه الأَحْنَافُ بأنه: عبارة عن أَخْذِ المال بإزاء مِلْكِ النكاح، بلفظ الخلع.
وعرفه الشَّافِعِيَّةُ بأنه: فُرْقَةٌ بين الزَّوْجَيْنِ بِعِوَضٍ، بلفظ طَلاَقٍ أو خُلْعٍ.
وعرفه المالكية بأنه: الطلاق بِعِوَضٍ.
وعرفه الحَنَابِلَةُ بأنه: فراق الزوج امْرَأَتَهُ، بِعِوَضٍ يأخذه الزوج، بألفاظ مخصوصة.
ينظر: **«لسان العرب»** (٢/ ١٢٣٢)، و **«المصباح المنير»** (١/ ٢٤٣)، و **«المطلع»** (٣٣١)، **«تبيين الحقائق»** (٢/ ٢٦٧)، **«شرح فتح القدير»** (٤/ ٢١٠)، **«حاشية ابن عابدين»** (٣/ ٤٢٢)، **«مغني المحتاج»** (٣/ ٢٦٢)، **«الشرح الصغير»** للدردير (٣/ ٣١٩)، **«بداية المجتهد»** (٢/ ٩٨)، **«الكافي»** (٢/ ٥٩٧)، **«كشف القناع»** (٥/ ٢١٢)، **«المغني»** (٧/ ٥٣٦).

(٢) أخرجه الطبري (٢/ ٤٧٩) برقم (٤٨٣٩)، عن ابن عباس.
وذكره ابن عطية في **«المحرر الوجيز»** (١/ ٣٠٧).

(٣) ذكره ابن عطية في **«المحرر الوجيز»** (١/ ٣٠٧).

(٤) ذكره ابن عطية في **«المحرر الوجيز»** (١/ ٣٠٧ ـ ٣٠٨).

وقال طَاوُسٌ[١]، والزُّهْرِيّ، والحَسَن، وغيرهم: لا يجوزُ له أنْ يزيدَ على المَهْر الذي أعطاها[٢]، وقال ابن المُسَيِّب: لا أرَىٰ أن يأخذ منها كلَّ مالِها، ولكنْ لِيَدَعْ لها شيئًا[٣].

وقوله تعالى: ﴿تلك حدودُ اللَّه...﴾ الآية: أي: هذه الأوامر والنواهي، فلا تتجاوزُوها، ثم توعَّد تعالَىٰ علَىٰ تجاوُزِ الحَدِّ بقوله: ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حدودَ اللَّه فأولئك هم الظالمونَ﴾، وهو كما قال ﷺ: «الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ»[٤].

﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖۚ وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارٗا لِّتَعۡتَدُواْۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ

---

(١) طاوس بن كيسان اليماني الجندي ـ بفتح الجيم والنون ـ قيل: من الأبناء، وقيل: مولى همدان، الإمام العلم. قيل: اسمه ذكوان. قاله ابن الجوزي. عن أبي هريرة، وعائشة، وابن عباس، وزيد بن ثابت، وزيد بن أرقم. وعنه: مجاهد، وعمرو بن شعيب، وحبيب. قال ابن عباس: إني لأظن طاوساً من أهل الجنة. مات سنة ١٠٦. ينظر: **«خلاصة تهذيب الكمال»** (٢/ ١٥).

(٢) أخرجه الطبري (٢/ ٤٨٣ـ ٤٨٥) بأرقام (٤٨٥٨)، (٤٨٥٩)، (٤٨٦٠)، (٤٨٨٠) عن الحسن، وبرقم (٤٨٦٢) عن ابن طاوس، وبرقم (٤٨٦٣) عن الزهري. وذكره البغوي (١/ ٢٠٧) عن الزهري، وابن عطية في **«المحرر الوجيز»** (١/ ٣٠٨).

(٣) أخرجه الطبري (٢/ ٤٨٣) برقم (٤٨٦١)، وذكره البغوي (١/ ٢٠٧)، وابن عطية في **«المحرر الوجيز»** (١/ ٣٠٨).

(٤) أخرجه البخاري (٥/ ١٢٠ ـ ١٢١) كتاب «المظالم»، باب الظلم ظلمات يوم القيامة، حديث (٢٤٤٧)، وفي **«الأدب المفرد»** رقم (٤٨١)، ومسلم (٤/ ١٩٩٦)، كتاب «البر والصلة»، باب تحريم الظلم، حديث (٥٧/ ٢٥٧٩). وأحمد (٢/ ١٣٧، ١٤٦)، والبيهقي (٦/ ٣٩)، كتاب «الغصب»، باب تحريم الغصب. والبغوي في **«شرح السنة»** (٧/ ٣٦٤ ـ بتحقيقنا). كلهم من طريق عبد اللَّه بن دينار، عن ابن عمر مرفوعاً، وللحديث شاهد من حديث جابر بلفظ: «اتقوا الظلم؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة». أخرجه مسلم (٤/ ١٩٩٦)، كتاب «البر والصلة»، باب تحريم الظلم، حديث (٥٦/ ٢٥٧٩)، والبخاري في **«الأدب المفرد»** رقم (٤٧٩). وأحمد (٣/ ٣٢٣)، من طريق عبيد اللَّه بن مقسم، عن جابر به.
وله شاهد أيضاً من حديث عبد اللَّه بن عمرو.
وأخرجه أحمد (٢/ ١٥٩) عنه مرفوعاً، بلفظ: «الظلم ظلمات يوم القيامة، وإياكم والفحش.....».

وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْاْ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ ﴾

وقوله تعالى: ﴿فإن طلقها فلا تحلُّ له من بعدُ...﴾ الآية: قال ابنُ عَبَّاس وغيره: هو ٱبتداء الطلْقةِ الثالثةِ[1]؛ قال * ع[2] *: فيجيء التسريحُ المتقدِّم ترك المرأة تتمُّ عِدَّتها من الثانية، وأجمعتِ الأُمَّةُ في هذه النازلةِ على ٱتباع الحديثِ الصحيحِ في امرأة رِفاعَةَ[3]، حِينَ تزوَّجت عبْدَ الرحمنِ بْنَ الزَّبِيرِ[4]، فقال لها النبيُّ ﷺ: «لَعَلَّكِ أَرَدتِّ الرُّجُوعَ إِلَىٰ رِفَاعَةَ، لاَ؛ حَتَّىٰ يَذُوقَ عُسَيْلَتَكِ، وَتَذُوقِي عُسَيْلَتَهُ»[5]؛ فرأى العلماء أنه لا يُحِلُّها إلا الوطءُ.

---

(١) أخرجه الطبري (٢/ ٤٨٨) برقم (٤٨٨٦)، وذكره ابن عطية في **«المحرر الوجيز»** (١/ ٣٠٨)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (١/ ٥٠٤)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي عن ابن عباس.

(٢) **«المحرر الوجيز»** (١/ ٣٠٨).

(٣) امرأة رفاعة القرظي التي تزوجها عبد الرحمن بن الزَّبير اختلف في اسمها فقيل: سهيمة، وقيل: عائشة، وقيل: تميمة، حكى الأقوال الثلاثة ابن الأثير في مواضع من كتابه، وذكرها في حرف «التاء» تميمة بنت وهب بن عبيد القرظية، مطلقة رفاعة القرظي.
ينظر: **«تهذيب الأسماء»** (٢/ ٣٧٠).

(٤) عبد الرحمن بن الزَّبير بفتح الزاي ابن بَاطيَاء القُرَشِي، صحابي له حديث، وعنه ابنه الزُّبَيْر.
ينظر: **«الخلاصة»** (٢/ ١٣٢).

(٥) أخرجه مالك (٢/ ٥٣١)، كتاب «النكاح»، باب نكاح المحلل وما أشبهه، حديث (١٧)، من طريق المسور بن رفاعة القرظي، عن الزبير بن عبد الرحمن بن الزبير، أن رفاعة بن سموأل طلق امرأته.....، ومن طريق مالك أخرجه الشافعي في **«الأم»** (٥/ ٢٤٨)، باب نكاح المطلقة ثلاثاً، وابن حبان (١٣٢٣ـ موارد)، والبيهقي (٧/ ٣٧٥) كتاب **«الرجعة»**، باب نكاح المطلقة ثلاثاً.
قال السيوطي في **«تنوير الحوالك»** (٢/ ٦)، قال ابن عبد البر: كذا لأكثر الرواة مرسل، ووصله ابن وهب عن مالك، فقال: عن أبيه، وابن وهب من أجل من روى عن مالك هذا الشأن، وأثبتهم فيه، وتابعه أيضاً ابن القاسم، وعلي بن زياد، وإبراهيم بن طهمان، وعبيد الله بن عبد المجيد الحنفي. كلهم عن مالك، وقالوا فيه: عن أبيه، وهو صاحب القصة .اهـ.
ومن طريق ابن وهب: أخرجه ابن الجارود (٦٨٢)، والبيهقي، (٧/ ٣٧٥) كتاب **«الرجعة»**، باب نكاح المطلقة ثلاثاً.
وأخرجه البزار (٢/ ١٩٤ـ كشف) رقم (١٥٠٤)، من طريق عبيد الله بن عبد المجيد الحنفي، ثنا مالك بن أنس، عن المسور بن رفاعة، عن الزبير بن عبد الرحمن بن الزبير، عن أبيه.
قال الهيثمي في **«مجمع الزوائد»** (٤/ ٣٤٣): رواه البزار، والطبراني، ورجالهما ثقات، وقد رواه مالك في **«الموطأ»** مرسلاً، وهو هنا متصل .اهـ. =

وكلُّهم على أن مَغِيبَ الحَشَفة يُحِلُّ إلا الحسنَ بْنَ أبي الحَسَن، قال: لا يحلُّها إلا الإنزال،

= وقد ورد هذا الحديث مَوْصُولاً من حديث عائشة.

أخرجه أحمد (٦/ ٢٢٦)، والبخاري (٥/ ٢٤٩)، كتاب «الشهادات»، باب شهادة المختبىء، حديث (٢٦٣٩)، ومسلم (٢/ ١٠٥٥ ـ ١٠٥٦)، كتاب «النكاح»، باب لا تحل المطلقة ثلاثاً لمطلقها حتى تنكح زوجاً غيره، حديث (١١١/ ١٤٣٣). والترمذي (٢/ ٢٩٣)، كتاب «النكاح»، باب ما جاء فيمن يطلق امرأته ثلاثاً، حديث (١١١٨). والنسائي (٦/ ١٤٨) كتاب «الطلاق»، باب إحلال المطلقة ثلاثاً، وابن ماجة (١/ ٦٢١ ـ ٦٢٢) كتاب «النكاح»، باب الرجل يطلق امرأته ثلاثاً، حديث (١٩٣٢).

والدارمي (٢/ ١٦١) كتاب «الطَّلاق»، باب ما يحل المرأة لزوجها الذي طلقها. . . . والشافعي (٢/ ٣٤ـ ٣٥) كتاب الطلاق، حديث (١١٠)، والحميدي (١/ ١١١) رقم (٢٢٦)، وعبد الرزاق (٦/ ٣٤٦ـ ٣٤٧) رقم (١١١٣١)، والطيالسي (١/ ٣١٤ـ ٣١٥) رقم (١٦١٢، ١٦١٣). وسعيد بن منصور (٢/ ٧٣ ـ ٧٤) رقم (١٩٨٥). وأبو يعلى (٧/ ٣٩٧) رقم (٤٤٢٣). وابن حبان (٤١٩٩ـ الإحسان)، والبيهقي (٧/ ٣٧٣ ـ ٣٧٤). والبغوي في «شرح السنة» (٥/ ١٦٩ـ بتحقيقنا)، من طريق الزهري، عن عروة، عن عائشة قالت: «جاءت امرأة رفاعة القرظي إلى النبي ﷺ فقالت: كنت عند رفاعة، فطلقني، فبتَّ طلاقي، فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير، وإنما معه مثل هدبة الثوب، فقال: «أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة؛ لا حتى تذوقي عسيلته، ويذوق عسيلتك».

وقال الترمذي: حسن صحيح.

وللحديث طرق أخرى عن عائشة.

فأخرجه البخاري (٩/ ٢٨٤)، كتاب «الطلاق»، باب من قال لامرأته: أنت عليَّ حرام، حديث (٥٢٦٥)، ومسلم (٢/ ١٠٥٧)، كتاب «النكاح»، باب لا تحل المطلقة ثلاثاً لمطلقها، حتى تنكح زوجاً غيره، حديث (١١٤/ ١٤٣٣)، وأحمد (٦/ ٢٢٩)، والدارمي (٢/ ١٦٢)، من طريق هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة به، وأخرجه مسلم (٢/ ١٠٥٧)، كتاب «النكاح»، باب لا تحل المطلقة ثلاثاً لمطلقها، حتى تنكح زوجاً غيره، حديث (١١٥/ ١٤٣٣)، وأحمد (٦/ ١٩٣). وأبو يعلى (٨/ ٣٧٣ ـ ٣٧٤) رقم (٤٩٦٤)، من طريق القاسم بن محمد عن عائشة.

وأخرجه أبو داود (١/ ٧٠٥) كتاب «الطلاق»، باب في المبتوتة لا يرجع إليها زوجها حتى تنكح زوجاً غيره، حديث (٢٣٠٩). وأحمد (٦/ ٤٢) من طريق الأسود عن عائشة.

وأخرجه البخاري (١٠/ ٢٩٣)، من طريق عبد الوهاب عن أيوب عن عِكرمةَ أنَّ رفاعة طلَّق امرأتَه، فتزوجَها عبدُ الرحمن بن الزّبير القُرَظيّ، قالت عائشة: وعليها خِمارٌ أخضر، فشكَتْ إليها، وأرَتها خُضرة بجلدها، فلما جاء رسولُ اللَّه ﷺ ـ والنساء يَنصرُ بعضهنّ بعضاً ـ قالت عائشة: ما رأيتُ مثلَ ما يلقى المؤمِنات، لَجِلدُها أشدُّ خُضرةً من ثَوبها، قال: وسمعَ أنها قد أتَتْ رسولَ اللَّه ﷺ، فجاء ومعهُ ابنانِ له من غيرها، قالت: واللَّه مالي إليه من ذَنب، إلا أنَّ ما معهُ ليسَ بأغنى عني من هذه ـ وأخذَت هدبةً من ثوبها ـ فقال: كذَبَت واللَّه يا رسول اللَّه، إني لأنفضُها نفضَ الأديم، ولكنها ناشزٌ تريد رِفاعة، فقال رسولُ اللَّه ﷺ: فإن كان ذلك لم تَحلِّي له أو تصلحي له حتى يَذوقَ من عُسَيلتِك، قال: وأبصرَ معهُ ابنين له فقال: بَنوكَ هؤلاء؟ قال: نعم. قال: هذا الذي تزعُمين ما تزعمين؟ فواللَّه لهم أشبهَ به من الغُراب بالغراب. =

وهو ذَوْقُ العُسَيْلَةَ[١]، والذي يُحِلُّها عند مالك النكاحُ الصحيحُ، والوطْء المُباح.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ طلَّقها فَلاَ جُنَاح علَيْهما أن يتراجَعَا إِن ظَنَّا أنْ يقيمَا حدود اللَّهِ...﴾ الآية: المعنى: فإنْ طلَّقها المتزوِّج الثَّاني، فلا جُنَاح عليهما، أي: المرأة والزوج الأول. قاله ابن عَبَّاس[٢]، ولا خلاف فيه، والظنُّ هنا علَىٰ بابه من تغليبِ أحد الجائزَيْن، وخص الذين يعلمون بالذكْر تشريفاً.

= وفي الباب عن ابن عمر، وعبيد اللَّه بن عباس، وأنس بن مالك، والفضل بن عباس.

* حديث ابن عمر:

أخرجه أحمد (٢/ ٨٥)، والنسائي (٦/ ١٤٨ ـ ١٤٩)، كتاب «النكاح»، باب إحلال المطلقة ثلاثاً، وابن ماجة (١/ ٦٢٢)، كتاب «النكاح»، باب الرجل يطلق امرأته ثلاثاً فتتزوج، فيطلقها (١٩٣٣)، من طريق محمد بن جعفر، حدثنا شعبة عن علقمة بن مرثد: سمعت سالم بن رزين يحدث عن سالم بن عبد اللَّه بن عمر، عن سعيد بن المسيب، عن ابن عمر به.

أخرجه أحمد (٢/ ٦٢)، والنسائي (٦/ ١٤٩)، والبيهقي (٧/ ٣٧٥)، من طريق سفيان عن علقمة بن مرثد، عن رزين بن سليمان، عن ابن عمر. قال النسائي: هذا أولى بالصَّواب.

وأخرجه أبو يعلى (٨/ ٣٧٤)، رقم (٤٦٦)، من طريق يحيى بن سعيد، عن نافع، عن ابن عمر.

قال الهيثمي في «**المجمع**» (٤/ ٣٤٣)، رواه الطبراني وأبو يعلى، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح.

* حديث عبيد اللَّه بن عباس:

أخرجه أحمد (١/ ٢١٤)، والنسائي (٦/ ١٤٨)، كتاب «الطلاق»، باب إحلال المطلقة ثلاثاً عنه؛ أن الغميصاء أو الرميصاء أتت النبي ﷺ تشتكي زوجها أنه لا يصل إليها، فلم يلبث أن جاء زوجها فقال: يا رسول اللَّه، هي كاذبة وهو يصل إليها، ولكنها تريد أن ترجع إلى زوجها الأول، فقال رسول اللَّه ﷺ: «ليس ذلك حتى تذوقي عسيلته»، وأخرجه أبو يعلى (١٢/ ٨٥ ـ ٨٦) رقم (٦٧١٨) عن عبيد اللَّه بن عباس، والفضل بن عباس به.

وقال الهيثمي في «**المجمع**» (٤/ ٣٤٣)، رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح.

* حديث أنس بن مالك:

أخرجه أحمد (٣/ ٢٨٤)، والبزار (٢/ ١٩٥ ـ كشف) برقم (١٥٠٥)، وأبو يعلى (٧/ ٢٠٧) رقم (٤١٩٩) عنه؛ أن رسول اللَّه ﷺ سئل عن رجل طلق امرأته ثلاثاً، فتزوجت زوجاً، فمات عنها قبل أن يدخل بها. هل يتزوجها الأول، قال: «لا، حتى يذوق عسيلتها».

قال الهيثمي في «**المجمع**» (٤/ ٣٤٣)، وقال: رواه أحمد، والبزار، وأبو يعلى، والطبراني في «**الأوسط**»، ورجاله رجال الصحيح، خلا محمد بن دينار الطاحي، وقد وثقه أبو حاتم، وأبو زرعة، وابن حبان، وفيه كلام لا يضر.

* حديث الفضل بن عباس: ينظر حديث عبيد اللَّه بن العباس.

(١) ذكره ابن عطية في «**المحرر الوجيز**» (١/ ٣٠٩).

(٢) أخرجه الطبري (٢/ ٤٩١) برقم (٤٩٠٩)، وذكره ابن عطية في «**المحرر الوجيز**» (١/ ٣٠٩)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (١/ ٥٠٨)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي، عن ابن عباس.

وقوله تعالى: ﴿وإذا طلَّقتم النساءَ...﴾ الآية: خطابٌ للرجالِ، نُهِي الرجُلُ أن يطول العدَّة، مضارَّةً لها؛ بأن يرتجع قرب انقضائِهَا، ثم يطلِّق بعد ذلك؛ قاله الضَّحَّاك وغيره[1]، ولا خلاف فيه.

ومعنَى: ﴿بَلَغْنَ أَجلهُنَّ﴾: قاربْنَ؛ لأنه بعد بلوغ الأجل لا خيار له في الإمساك، ومعنى: أمسكوهنَّ راجِعُوهنَّ ـ و ﴿بمعروف﴾: قِيلَ: هو الإشهاد[2] ـ ﴿وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ﴾، أي: لا تراجعوهنَّ ﴿ضراراً﴾، وباقي الآية بَيِّنٌ.

وقوله تعالى: ﴿ولا تتخذوا آياتِ اللَّهِ هُزُواً...﴾ الآية: المرادُ بآياته النازلَةُ في الأوامر والنَّواهِي، وقال الحسن: نزلَتْ هذه الآية فيمَنْ طَلَّق لاعباً أو هازئاً، أو راجَعَ كذلك[3].

وقالتْ عائشةُ: قال رَسُولُ اللَّه ﷺ: «ثَلاَثٌ جِدُّهُنَّ جِدٌّ، وَهَزْلُهُنَّ جِدٌّ: النِّكَاحُ، وَالطَّلاَقُ، وَالرَّجْعَةُ»[4].

ثم ذَكَّرَ اللَّه عباده بإنعامه سبحانه علَيْهم بالقرآن، والسُّنَّة، ﴿والحكمة﴾: هي السُّنَّة المبينة مرادَ اللَّه سبحانه.

وقوله تعالى: ﴿وإذا طلقتم النساءَ فبلغْنَ أجلهنَّ فلا تعضُلُوهُنَّ...﴾ الآية: خطابٌ للمؤمنين الذين منْهم الأزواج، ومنهم الأولياءُ؛ لأنهم المراد في تَعْضُلُوهنَّ، وبلوغ الأجلِ في هذا الموضِعِ تناهِيهِ؛ لأن المعنى يقتضي ذلكَ.

وقد قال بعضُ النَّاسِ في هذا المعنَىٰ: إن المراد بـ ﴿تعضُلُوهُنَّ﴾: الأزواجُ؛ وذلك بأن يكون الارتجاعُ مضارَّة؛ عضلاً/ عن نكاحِ الغَيْر، فقوله: ﴿أزواجهن﴾؛ على هذا، يعني به: الرجالَ؛ إذ منهم الأزواج، وعلى أنَ المراد بـ ﴿تعضُلُوهُنَّ﴾ الأولياءُ، فالأزواج ٥٨ أ

(١) أخرجه الطبري (٢/ ٤٩٤) برقم (٤٩٢٢)، وذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٣٠٩).

(٢) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٣٠٩)، والبغوي في (١/ ٢١٠).

(٣) أخرجه الطبري (٢/ ٤٩٦) برقم (٤٩٢٦)، وذكره ابن عطية (١/ ٣١٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٢٣١)، وعزاه لابن أبي شيبة في «المصنف»، وابن جرير، وابن أبي حاتم عن الحسن.

(٤) أخرجه أبو داود (٢/ ٢٥٩)، كتاب «الطلاق»، باب في الطلاق (٢١٩٤)، والترمذي (٣/ ٤٩٠)، كتاب «الطلاق»، باب ما جاء في الحد (١١٨٤)، وابن ماجة (١/ ٦٥٨)، كتاب «الطلاق»، باب من طلق أو نكح (٢٠٣٩)، والدارقطني (٤/ ١٨ ـ ١٩)، كتاب «الطلاق»، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ١٩٧ ـ ١٩٨)، كتاب «الطلاق»، باب ثلاث جدهن جد.

هم الذين كُنَّ في عصمتهم.

«وَالعَضْل»: المَنْع وهو من معنى التضييقِ والتعسيرِ؛ كما يقال: أعْضَلَتِ الدجاجَةُ، إذا عَسُر بيضُها، والدَّاء العُضَال: العسيرُ البرءِ، وقيل: نزلَتْ هذه الآيةُ في مَعْقِل بْنِ يَسَارٍ[1]، وأخته، لما طلَّقها زوجها، وتمَّتْ عدَّتُها، أراد ٱرتجاعَهَا، فمنعَهُ وليُّ المرأة[2]، وقيل: نزلَتْ في جابِرِ بنِ عبدِ اللَّهِ، وأختِهِ[3].

وهذه الآيةُ تقتضي ثبوتَ حَقِّ الولي في إنكاح وليَّته، وقوله: ﴿بالمَعْرُوفِ﴾: معناه: المهر، والإشهاد.

وقوله تعالى: ﴿ذلك يوعَظُ به مَنْ كان منكُم﴾ خطابٌ للنبيِّ ﷺ ثم رجُوعٌ إلى خطابِ الجَمَاعة، والإشارة في ﴿ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ﴾ إلى ترك العَضْل، و ﴿أَزْكَىٰ.... وَأَطْهَرُ﴾: معناه: أطيبُ للنفسِ، وأطهر للعِرْضِ والدِّين؛ بسبب العلاقاتِ التي تكونُ بين الأزواجِ، وربَّما لم يعلمها الوليُّ، فيؤدِّي العَضْلُ إلى الفسادِ، والمخالطةِ؛ علَىٰ ما لا ينبغِي، واللَّه تعالَىٰ يعلَمُ من ذلك ما لا يعلَمُ البَشَر.

﴿۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿والوالدَاتُ يُرْضِعْنَ أولادَهُنَّ حولَيْنِ كاملَيْنِ لِمَنْ أراد أنْ يتمَّ الرَّضَاعة﴾

---

(١) معقل بن يسار بن عبد اللَّه بن معبِّر بن حراق بن أبي بن كعب بن عبد ثور بن هُدْمَة بن لاطم بن عثمان بن عمرو المزني.
ومزينة هي والدة عثمان بن عمرو، ونسبوا إليها.
ومعقل يكنى أبا علي، وقيل: كنيته أبو عبد اللَّه، وقيل: أبو يسار.
ومات في آخر خلافة معاوية. وقيل: عاش إلى إمرة يزيد. وذكره البخاري في «الأوسط» في فَضْل من مات ما بين الستين إلى السبعين.
ينظر: «الإصابة» (٦/ ١٤٦ ـ ١٤٧).

(٢) أخرجه الطبري (٢/ ٤٩٧ ـ ٤٩٨ ـ ٤٩٩) بأرقام (٤٩٣٠ـ ٤٩٣١ـ ٤٩٣٢ـ ٤٩٣٣ـ ٤٩٣٤)، وذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٣١٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٥١١)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير عن مجاهد.

(٣) أخرجه الطبري (٢/ ٤٩٩) رقم (٤٩٤٢)، وذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٣١٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٥١١)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر عن السُّدِّي.

٤٦٦ ـــــــ

وصنفٌ من الرجال، والرِّزْقُ في هذا الحكم: الطعامُ الكافِي.

وقوله: ﴿بالمَعْرُوفِ﴾ يجمع حُسْن القَدْر في الطاعم، وجَوْدَةَ الأداء له، وحُسْنَ الاقتضاء من المرأةِ.

ثم بيَّن سبحانه؛ أنَّ الإنفاق علَىٰ قدر غِنَى الزوْجِ بقوله: ﴿لا تكلَّفُ نَفْسٌ إلاَّ وُسْعَها﴾، وقرأ[1] أبو عمرو، وابن كَثِيرٍ، وأبانُ[2] عن عاصم[3]: «لاَ تُضَارُّ وَالِدَةٌ»؛ بضم الراء، وهو خبر، معناه الأمر، ويحتمل أن يكون الأصلُ: لاَ تُضَارِرْ؛ بكسر الراءِ الأولَىٰ، فـ «وَالِدَةٌ» فاعلةٌ، ويحتمل بفَتْح الرَّاء الأولى، فـ «وَالِدَةٌ»: مفعولٌ لم يسمَّ فاعله، ويعطف «مولود له» على هذا الحدِّ في الاَحتمالَيْن، وقرأ نافعٌ، وحمزةُ، والْكسَائِيُّ، وعاصمٌ: لاَ تُضَارَّ؛ بفتح الراء، وهذا على النهْيِ، ويحتمل أصله ما ذكرنا في الأُولَىٰ، ومعنى الآية في كلِّ قراءة: النهْيُ عن الإضرار، ووجوهُ الضَّرَرِ لا تنحصرُ، وكل ما ذُكِرَ منها في التفاسير،/ فهو مثالٌ. ٥٨ ب

* ت *: وفي الحديثِ: «لاَ ضَرَرَ، وَلاَ ضِرَارَ»، رواه مالكٌ في «**الموطإ**» مرسلاً[4].

---

(١) وحجتهم في ذلك قوله تعالى قَبْلَه: ﴿لا تُكَلَّفُ نفس إلا وسعها﴾ [البقرة: ٢٣٣]، فجعلا الرفع نسقاً عليه، وجعلاه خبراً بمعنى النهي.
ينظر: «**الحجة للقراء السبعة**» (٢/ ٣٣٣)، و «**العنوان**» (٧٤)، و «**شرح طيبة النشر**» (٤/ ١٠٠ ـ ١٠٢)، و «**حجة القراءات**» (١٣٦)، و «**معاني القراءات**» (١/ ٢٠٥)، و «**شرح شعلة**» (٢٩٠)، و «**إتحاف**» (١/ ٤٤٠).

(٢) أبان بن تغلب الربعي، أبو سعد، ويقال: أبو أميمة الكوفي، النحوي، جليل، قرأ على عاصم، وأبي عمرو الشيباني، وطلحة بن مصرف، والأعمش، وهو أحد الذين ختموا عليه. ويقال: إنه لم يختم القرآن على الأعمش إلا ثلاثة منهم أبان بن تغلب، أخذ القراءة عنه عرضاً محمد بن صالح بن زيد الكوفي، توفي سنة إحدى وأربعين ومائة. وقال القاضي أسد: سنة ثلاث وخمسين ومائة. ينظر: «**غاية النهاية**» (١/ ٤).

(٣) عاصم بن أبي النجود بَهْدَلَةَ، الكوفي، الأسدي بالولاء، أبو بكر: أحد القراء السبعة، تابعي من أهل «الكوفة»، ووفاته فيها سنة ١٢٧هـ، كان ثقة في القراءات، صدوقاً في الحديث، قيل: اسم أبيه عبيد، وبهدلة اسم أمه.
ينظر: «**تهذيب التهذيب**» (٥/ ٣٨)، «**الأعلام**» (٣/ ٢٤٨)، «**الوفيات**» (١/ ٢٤٣)، «**غاية النهاية**» (١/ ٣٤٦)، «**ميزان الاعتدال**» (٢/ ٥).

(٤) ورد هذا الحديث من حديث عبادة بن الصامت، وعبد الله بن عباس، وأبي هريرة، وعائشة، وأبي سعيد الخدري، وجابر، وعمرو بن عوف، وأبي لبابة.
* حديث عبادة بن الصامت:
أخرجه ابن ماجه (٢/ ٧٨٤)، كتاب «**الأحكام**»، باب من بنى في حقه ما يضر بجاره، حديث (٢٣٤٠). =

قال النوويُّ في «**الحِلْية**»: ورويناه في «**سُنَن الدَّارَقُطْنِيِّ**» وغيره من طرقٍ متصلاً، وهو حسن انتهى.

= وأحمد (٥/ ٣٢٦ ـ ٣٢٧). وأبو نعيم في «**أخبار أصبهان**» (١/ ٣٤٤)، والبيهقي (١٠/ ١٣٣)، كتاب «**آداب القاضي**»، باب ما لا يحتمل القسمة، كلهم من طريق موسى بن عقبة، ثنا إسحاق بن يحيى بن الوليد، عن عبادة بن الصامت؛ أن رسول اللّه ﷺ قضى أن لا ضرر ولا ضرار.

قال الزيلعي في «**نصب الراية**» (٤/ ٣٨٤)، قال ابن عساكر في «**أطرافه**»: وأظن إسحاق لم يدرك جده.

وقال العلائي في «**جامع التحصيل**» (ص ١٤٤) إسحاق بن يحيى بن الوليد بن الصامت، عن جد أبيه عبادة بن الصامت (رضي اللّه عنه). قال الترمذي: لم يدركه .اهـ. والحديث ذكره البوصيري في «**زوائد ابن ماجة**» (٢/ ٢٢١)، وقال: هذا إسناد رجاله ثقات، إلا أنه منقطع .اهـ. قلت: وهذا فيه نظر، فإن إسحاق بن يحيى قد ذكره ابن عدي في «**الكامل**» (١/ ٣٣٣)، وقال: عامة أحاديثه غير محفوظة.

وقد حكى البوصيري نفسه تضعيفه في «**الزوائد**» (٢/ ١٧٩)، فقال عن إسناد فيه إسحاق هذا: هذا إسناد ضعيف؛ لضعف إسحاق بن يحيى بن الوليد، وأيضاً لم يدرك عبادة بن الصامت؛ قاله البخاري، والترمذي، وابن حبان، وابن عدي.

والحديث ذكره الحافظ أيضاً في «**الدراية**» (٢/ ٢٨٢)، وقال: وفيه انقطاع.

* حديث ابن عباس:

أخرجه أحمد (١/ ٣١٣)، وابن ماجة (٢/ ٧٨٤)، كتاب «الأحكام»، باب من بنى في حقه ما يضر بجاره، حديث (٢٣٤١)، من طريق عبد الرزاق، عن معمر، عن جابر الجعفي، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قال رسول اللّه ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار».

قال البوصيري في «**الزوائد**» (٢/ ٢٢٢): هذا إسناد فيه جابر، وقد اتهم .اهـ.

لكنه توبع تابعه داود بن الحصين: أخرجه الدارقطني (٤/ ٢٢٨)، كتاب «**الأقضية**»، حديث (٨٤) من طريق إبراهيم بن إسماعيل، عن داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس به.

قال الزيلعي في «**نصب الراية**» (٤/ ٣٨٥)، قال عبد الحق في «**أحكامه**»: وإبراهيم بن إسماعيل هذا هو ابن أبي حبيبة وفيه مقال، فوثقه أحمد، وضعَّفه أبو حاتم، وقال: هو منكر الحديث، لا يحتج به .اهـ.

قلت: وضعفه أيضاً البخاري، فقال: منكر الحديث «**التاريخ الكبير**» (١/ ٨٧٣).

وقال الترمذي في «**سننه**» (١٤٦٢): يضعف في الحديث، وقال النسائي فقال في «**الضعفاء**» رقم (٢): ضعيف.

وقال الدارقطني: متروك، ينظر «**سؤالات البرقاني**» (٢٢)، و «**الضعفاء**» له (٣٢).

وقال أبو حاتم: ليس بالقوي ينظر «**العلل**» (١٥٧٥)، وقال الحافظ في «**التقريب**» (١/ ٣١) رقم (١٦٨)، ضعيف.

* حديث أبي هريرة:

أخرجه الدارقطني (٤/ ٢٢٨)، كتاب «الأقضية»، حديث (٨٦)، من طريق أبي بكر بن عياش قال: أراه عن ابن عطاء، عن أبيه، عن أبي هريرة؛ أن النبي ﷺ قال: «لا ضرر ولا ضرورة، ولا يمنعن أحدكم جاره أن يضع خشبة على حائطه».

قال الزيلعي في «**نصب الراية**» (٤/ ٣٨٥)، وأبو بكر بن عياش مختلف فيه. اهـ.

وللحديث علة أخرى، وهي ابن عطاء، واسمه يعقوب بن عطاء بن أبي رباح. =

وقوله تعالى: ﴿وعَلَى الوَارِثِ مِثْلُ ذلك﴾ قال مالكٌ، وجميع أصحابه، والشَّعْبِيُّ،

= قال أحمد: منكر الحديث. وقال مرة أخرى: ضعيف، وقال ابن معين، وأبو زرعة، والنَّسائي: ضعيف.
وقال أبو حاتم: ليس بالمتين يكتب حديثه.
وقال ابن عدي: له أحاديث صالحة، وهو ممن يكتب حديثه، وعنده غرائب.
ينظر «**التهذيب**» (١١/ ٣٩٣).
وقد لخص الحافظ هذه الأقوال فقال في «**التقريب**» (٢/ ٣٧٦) رقم (٣٨٦): ضعيف.
* حديث عائشة:
وله طريقان:
الأول: أخرجه الدارقطني (٤/ ٢٢٧) كتاب «الأقضية»، حديث (٨٣)، من طريق الواقدي: ثنا خارجة بن عبد الله بن سليمان بن زيد بن ثابت، عن أبي الرجال، عن عمرة، عن عائشة، عن النبي ﷺ قال: «لا ضرر ولا ضرار».
والواقدي محمد بن عمر متروك.
الطريق الثاني: أخرجه الطبراني في «**الأوسط**»، كما في «**نصب الراية**» (٤/ ٣٨٦)، حدثنا أحمد بن رشدين، ثنا روح بن صلاح، ثنا سعيد بن أبي أيوب، عن أبي سهيل، عن القاسم بن محمد، عن عائشة؛ أن رسول الله ﷺ قال: «لا ضرر ولا إضرار».
والحديث ذكره الهيثمي في «**مجمع الزوائد**» (٤/ ١١٣)، وقال: رواه الطبراني في «**الأوسط**»، وفيه أحمد بن محمد بن الحجاج بن رشدين. قال ابن عدي: كذبوه .اهـ.
وللحديث طريق آخر أيضاً: أخرجه الطبراني في «**الأوسط**» كما في «**نصب الراية**» (٤/ ٣٨٦)، حدثنا أحمد بن داود المكي، ثنا عمرو بن مالك الراسبي، ثنا محمد بن سليمان بن مسمول، عن أبي بكر بن أبي سبرة، عن نافع بن مالك، عن القاسم بن محمد، عن عائشة؛ أن النبي ﷺ قال: «لا ضرر ولا ضرار».
قال الطبراني: لم يروه عن القاسم إلا نافع بن مالك.
قلت: وهذا الطريق لم يذكره الهيثمي في «**المجمع**»، مع أنه على شرطه.
وأبو بكر بن أبي سبرة: قال البخاري: منكر الحديث... «**التاريخ الصغير**» (٢/ ١٨٤)، وقال مرة: ضعيف... «**الضعفاء الصغير**» (٤١٦). وقال النسائي: متروك الحديث... «**الضعفاء والمتروكين**» (٦٩٧). وقال الدارقطني: متروك... «**الضعفاء والمتروكين**» (٦١٢). وقال البزار: لين الحديث... «**كشف الأستار**» (١١٢٩). وذكره أبو زرعة الرازي في «**أسامي الضعفاء**» (٣٨٠).
* حديث أبي سعيد الخدري:
أخرجه الدارقطني (٤/ ٢٢٨) كتاب «الأقضية»، حديث (٨٦)، والحاكم (٢/ ٥٧)، كتاب «البيوع»، باب النهي عن المحاقلة....، والبيهقي (٦/ ٦٩ ـ ٧٠)، كتاب «الصلح»، باب لا ضرر ولا ضرار، كلهم من طريق الدراوردي، عن عمرو بن يحيى المازني، عن أبيه، عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال: «لا ضرر ولا ضرار»، قال الحاكم: صحيح الإسناد على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.
وقال البيهقي: تفرد به عثمان بن محمد ـ عن الدراوردي ـ. قلت: وفي كلام الثلاثة نظر. =

والزُّهْرِيُّ، وجماعةٌ من العلماء: المرادُ بقوله: ﴿مِثْلُ ذلكَ﴾: أَلاَّ يُضَارَّ، وأمَّا الرزقُ، والكُسْوة، فلا شيء علَيْه منه[1]، قال * ع[2] *: فالإجماع من الأُمَّة في ألاَّ يُضَارَّ الوارثُ، وإنَّما الخلافُ، هل عليه رزقٌ وكُسْوَة أم لا؟

وقوله تعالى: ﴿فَإِن أرادَا فصَالاً...﴾ الآية، أي: فإن أراد الوالدانِ، وفِصَالاً: معناه: فِطَاماً عن الرَّضَاع.

وتحرير القول في هذا: أن فَصْله قَبْل الحولَيْن لا يصحُّ إلا بتراضيهما وألاَّ يكونَ على المولودِ ضَرَرٌ، وأمَّا بعد تمامهما، فمن دعا إلى الفَصْل، فذلك له إلاَّ أن يكون في ذلك علَى الصبيِّ ضَرَرٌ.

= أما صحته على شرط مسلم، فعثمان بن محمد لم يخرج له مسلم شيئاً، ومع ذلك فهو ضعيف ضعَّفه الدارقطني. ينظر: **«لسان الميزان»** (٤/ ١٧٥).

وأما قول البيهقي: «تفرد به عثمان بن محمد»، ففيه نظر أيضاً، فقد تابعه عبد الملك بن معاذ النصيبي عن الدراوردي به؛ كما في **«نصب الراية»** (٤/ ٣٨٥). قال ابن القطان في كتابه: وعبد الملك هذا لا يعرف له حال .اهـ.

وأخرجه مالك (٢/ ٧٤٥)، كتاب «الأقضية»، باب القضاء في المرفق، حديث (٣١)، عن عمرو بن يحيى المازني، عن أبيه؛ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «لا ضرر ولا ضرار». هكذا مرسلاً.

* حديث جابر:

أخرجه الطبراني في **«الأوسط»** كما في **«نصب الراية»** (٤/ ٣٨٦)، ثنا محمد بن عبدوس بن كامل، ثنا حبان بن بشر القاضي قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن يحيى بن حبان، عن عمه واسع بن حبان، عن جابر بن عبد اللَّه قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار في الإسلام».

وذكره الهيثمي في **«مجمع الزوائد»** (٤/ ١١٣)، وقال: رواه الطبراني في **«الأوسط»**، وفيه ابن إسحاق، وهو ثقة لكنه مدلس .اهـ.

وهذا الحديث رواه عبد الرحمن بن مغراء، ثنا محمد بن إسحاق، عن محمد بن يحيى بن حبان، عن عمه واسع بن حبان مرسلاً. أخرجه أبو داود في **«المراسيل»** (ص ٢٩٤) رقم (٤٠٧).

* حديث عمرو بن عوف:

ذكره الحافظ في **«التهذيب»** (٨/ ٤٢١ ـ ٤٢٢)، من طريق كثير بن عبد اللَّه بن عمرو بن عوف، عن أبيه.

* حديث أبي لبابة:

أخرجه أبو داود في **«المراسيل»** (ص ٢٩٤) رقم (٤٠٧).

(١) ذكره البغوي في **«معالم التنزيل»** (١/ ٢١٣)، وابن عطية في **«المحرر الوجيز»** (١/ ٣١٢).

(٢) **«المحرر الوجيز»** (١/ ٣١٢).

وقوله تعالى: ﴿وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم﴾ مخاطبة لجميعِ النَّاسِ، يجمع الآباءَ والأمهاتِ، أي: لهم اتخاذُ الظِّئْر[١]، مع الاتفاقِ علَىٰ ذلك، وأما قوله: ﴿إذا سلمتم﴾، فمخاطبةٌ للرجال خاصَّة إلا عَلَى أحد التأويلَيْن في قراءة مَنْ[٢] قرأ: «أُوتِيتُمْ»، وقرأ السِّتَّة من السبعةِ: «آتَيْتُمْ»؛ بالمدِّ؛ بمعنى أَعْطَيْتم، وقرأ ابن كثير: «أَتَيْتُمْ»؛ بمعنى: فعلتم[٣]؛ كما قال زُهَيْرٌ: [الطويل]

وَمَا كَانَ مِنْ خَيْرٍ أَتَوْهُ فَإِنَّمَا ... تَوَارَثَهُ آبَاءُ آبَائِهِمْ قَبْلُ[٤]

فأحد التأويلين في هذه القراءة كالأول، والتأويل الثَّاني لقتادَةَ، وهو إذا سلَّمتم ما آتيتم من إرادة الاِسترضاع[٥]، أيْ: سلم كلُّ واحدٍ من الأبوين، ورضي، وكان ذلك عَلَى اتفاقٍ منهما، وقَصْدِ خَيْرٍ، وإرادةِ مَعْروفٍ، وعلَىٰ هذا الاِحتمال يدخلُ النساءُ في الخطاب.

* ت *: وفي هذا التأويل تكلُّف.

وقال سفيانُ: المعنَىٰ: إذا سلَّمتم إلى المسترْضعة، وهي الظِّئْر أَجْرَها بالمَعْروف[٦].

وباقي الآية أمْرٌ بالتقْوَى، وتوقيفٌ على أن اللَّه تعالى بصيرٌ بكلِّ عمل، وفي هذا وعيدٌ وتحذيرٌ، أي: فهو مُجازٍ بحَسَبِ عَمَلِكُم.

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ

---

(١) الظِّئْر: المرضعة غير ولدها.
ينظر: «النهاية» (٣/ ١٥٤)، و «لسان العرب» (٢٧٤١).

(٢) وهي رواية شيبان عن عاصم، كما في شواذ ابن خالويه ص (٢٢).

(٣) وقراءة ابن كثير معناها: إذا سلمتم ما أتيتم به.
ينظر: «حجة القراءات» (١٣٧)، و «السبعة» (١٨٣)، و «الحجة» (٢/ ٣٣٥)، و «معاني القراءات» (١/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧)، و «العنوان» (٧٤)، و «شرح الطيبة» (٤/ ١٠٣)، و «شرح شعلة» (٢٩١)، و «إتحاف» (١/ ٤٤٠).

(٤) البيت في ديوان زهير بن أبي سلمى ص (١١٥)، و «تفسير القرطبي» (٣/ ١٧٣)، و «الدر المصون» (١/ ٥٧٥).
تَوارثَه، يعني: وَرِثَه كابرٌ عن كابرٍ. وقال ابن مَيَّادَة في مثله:
إنّ بَنِي العَبّاسِ في مُشْرِفٍ ... يَزِلُّ عَنْهُ الغُفْرُ، الأحْمَرُ
لَهُ الفَعالُ، ولَهُ الوالِدُ الـ ... أكْبَرُ، فالأكْبَرُ، فالأكْبَرُ

(٥) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٣١٣).

(٦) أخرجه الطبري (٢/ ٥٢٣) برقم (٥٠٧٣)، وذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٣١٣).

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿والَّذين يتوفَّوْنَ منكُمْ ويَذَرُون أزواجاً يتربَّصْنَ بأنفسهنَّ﴾ هذه الآيةُ في عدَّة المتوفَّىٰ عنها زوجُها، وظاهرها العمومُ، ومعناها الخصوصُ في الحرائرِ غيْرِ الحَوَامِلِ، ولم تعن الآية لما يشذُّ من مرتابةٍ ونحوها، وعدَّة الحَامِلِ: وضْعُ حملها؛ عند الجمهور.

ورُوِيَ عن عليٍّ، وابن عبَّاس: أقصَى الأجلَيْن[1]، وَيَتَرَبَّصْنَ: خبر يتضمَّن معنى الأمر، والتربُّص: الصبْر والتأنِّي.

والأحاديث عن النبي ﷺ متظاهرة أن التربُّص بإحْدَادٍ، وهو الاِمتناعُ عن الزينة، ولُبْس المَصْبُوغِ الجميلِ، والطِّيب، ونحوه، والتزام المَبِيتِ في مَسْكنها؛ حيث كانَتْ وقت وفَاة الزَّوْج، وهذا قولُ جمهورِ العُلَماء، وهو قولُ مالكٍ، وأصحابه، وجعل اللَّه تعالَىٰ ﴿أربعة أشهرٍ وعَشْراً﴾ عبادةً في العِدَّة فيها اُستبراءٌ للحَمْل؛ إذ فيها تكمل الأربعون، والأربعون، والأربعون؛ حسب الحديثِ الَّذي رواه ابن مَسْعود وغيره، ثم ينفخ الرُّوحُ/، وجعل تعالى العَشْر تكملةً؛ إذ هي مَظِنَّةٌ لظهورِ الحركةِ بالجنينِ، وذلك لنقْصِ الشهور، أو كمالها، أو لسُرْعة حركةِ الجنين، أو إبطائها. ٥٨ ب

قاله ابن المُسَيِّب، وغيره[2].

وقال تعالى: ﴿وَعَشْراً﴾؛ تغْليباً لحكْم الليالِي، وقرأ[3] ابن عَبَّاس: «وَعَشْرَ لَيَالٍ»، قال جمهور العلماء: ويدخل في ذلك اليَوْمُ العَاشِر.

وقوله تعالى: ﴿فإذا بَلَغْنَ أجلهنَّ فلا جناحَ عليكم فيما فعْلن في أنفسهن بالمعروف واللَّه بما تعملون خبيرٌ﴾: ﴿فِيمَا فَعَلْنَ﴾: يريدُ به التزوُّجَ، فما دونَهُ من زينةٍ، واَطِّراح الإحداد؛ قاله مجاهد وغيره[4]، إذا كان مَعْرُوفاً غيْرَ منكر.

قال * ع[5] *: ووجوه المُنْكَر كثيرةٌ، وقوله سبحانه: ﴿واللَّه بما تَعْمَلُونَ خبيرٌ﴾

---

(١) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٣١٤).

(٢) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٩١٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٥١٥)، وعزاه لابن جرير عن قتادة.

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (١/ ٣١٤)، و «البحر المحيط» (٢/ ٢٣٣).

(٤) أخرجه الطبري (٢/ ٥٣٠) برقم (٥٠٩٧ـ ٥٠٩٨).
وذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٣١٤ـ ٣١٥).

(٥) «المحرر الوجيز» (١/ ٣١٥).

وعيدٌ يتضمَّن التحذيرَ، و ﴿خَبِيرٌ﴾: اسم فاعلٍ مِن «خَبَرَ»، إذا تَقَصَّى علْم الشيء.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿ولا جُنَاح علَيْكم فيما عرَّضتم به من خِطْبة النِّسَاء...﴾ الآية: تصريحُ خطبةِ المعتدَّة حرامٌ، والتعريضُ جائزٌ، وهو الكلام الذي لا تصريحَ فيه، ﴿أو أَكْنَنْتُمْ﴾: معناه: سترتم، وأخفيتم.

وقوله تعالى: ﴿ستذكرونَهُنَّ﴾ قال الحَسَن: معناه: ستخطُبُونَهُنَّ[1]، وقال غيره: معناه: علم اللَّه أنكم ستذكُرونَ النِّسَاء المعتدَّاتِ في نفوسكم وبألسنتكُمْ، فنهَىٰ عن أنْ يوصل إلى التواعُدِ معَهُنَّ[2].

* ع[3] *: والسرُّ، في اللغة: يقع على الوَطْء حلالِهِ وحرامِهِ، والآية تعطي النهْيَ عن أنْ يواعد الرجُلُ المعتدَّةَ؛ أن يطأها بعد العدَّة بوجْه التزويجِ، وقال ابن جُبَيْر: ﴿سِرًّا﴾، أيْ: نكاحاً[4]، وهذه عبارة مخلصة.

وأجمعتِ الأمة على كراهةِ المواعَدَةِ في العدَّةِ.

وقوله تعالى: ﴿إلاَّ أن تقولوا قولاً معروفاً﴾ استثناءٌ منقطعٌ، والقولُ المعروف هو ما أبيح من التعريض؛ كقول الرجُل: إنَّكم لأَكْفَاءٌ كِرَامٌ، وما قُدِّرَ كَانَ، ونحو هذا.

وقوله تعالى: ﴿ولا تعزموا عُقْدَة النِّكَاحِ حتَّىٰ يبلغ الكتابُ أجَلَه﴾: عزمُ العقدةِ: عَقْدها بالإِشهاد، والوليِّ، وحينئذ: تسمى عُقْدة.

---

(١) أخرجه الطبري (٢/ ٥٣٥) برقم (٥١٣٦ـ ٥١٣٨)، وذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٣١٥)، والسيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٥١٨)، وعزاه لوكيع، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير عن الحسن.

(٢) أخرجه الطبري (٢/ ٥٣٥) رقم (٥١٣٧)، وذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٣١٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٥١٨)، وعزاه لابن أبي شيبة، وابن جرير عن مجاهد.

(٣) «المحرر الوجيز» (١/ ٣١٦).

(٤) أخرجه الطبري (٢/ ٥٣٧) رقم (٥١٥٨)، وذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٣١٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٥١٩)، وعزاه لعبد الرزاق عن سعيد بن جبير.

* ت *: والظاهر أن العَزْم غَيْرُ العقد، وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يبلغ الكتابُ أجله﴾: يريد تمام العدَّة، والكتاب هنا هو الحدُّ الذي جُعِل، والقَدْر الذي رُسِمَ من المدَّة، وقوله: ﴿واعلَموا أنَّ اللَّه يَعْلَم ما في أنْفُسِكم فاحذروه...﴾ الآية: تحذيرٌ من الوقوع فيما نَهَىٰ عنه، وتوقيفٌ علَىٰ غَفْره وحِلْمه.

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿لا جُنَاح علَيْكم إنْ طَلَّقتم النساء ما لم تَمَسُّوهنَّ أو تفرضوا لهنَّ فريضةً﴾ هذا ابتداءُ إخبارٍ برفع الجُنَاحِ عن المُطَلِّق قبل البِنَاءِ والجِمَاع، فَرَض مَهْراً أو لم يَفْرِضْ، ولمَّا نهَىٰ رسُولُ اللَّه ﷺ عن التزوُّج لمعنَى الذَّوْقِ، وقَضَاءِ الشَّهْوةِ، وأمر بالتزوُّج، طلباً للعصْمَة، وٱلتماسِ ثَوَابِ اللَّهِ، وقَصْدِ دوامِ الصُّحْبَةِ، وقع في نُفُوسِ المؤمنِينَ؛ أنَّ من طلَّق قبل البناء قد واقع جزءاً من هذا المكروه، فنزلَتِ الآية رافعةً للجُنَاحِ في ذلك، إذا كان أصْل النِّكاح علَى المَقْصِد الحَسَن.

وقال قَوْمٌ: ﴿لا جناحَ علَيْكم﴾: معناه: لا طَلَبَ لجميعِ المَهْر، بل عليكُمْ نصْفُ المفروض لِمَنْ فرض لها، والمتعةُ لمن لم يُفْرَضْ لها، وفَرْضُ المهرِ: إثباتُه، وتحديدُهُ، وهذه الآية/ تُعْطِي جوازَ العَقْد على التفويض؛ لأنه نكاحٌ مقرَّر في الآية، مُبَيِّنٌ حكْمُ الطلاق فيه؛ قاله مالك في «المدوّنة». ٥٩أ

والفريضَةُ: الصداق.

وقوله تعالى: ﴿ومتِّعوهنَّ﴾. أي: أعطوهنَّ شيئاً يكون متاعاً لهنَّ، وحمله ابن عُمَر وغيره على الوجُوبِ، وحمله مالكٌ وغيره على النَّدْبِ، واختلف النَّاس في مقدارِ المُتْعة، قال الحَسَن: يمتِّع كلٌّ على قدْره، هذا بخادم، وهذا بأثوابٍ، وهذا بثوبٍ، وهذا بنفقةٍ[1]، وكذلك يقول مالك.

وقوله تعالى: ﴿عَلَى المُوسِعِ قَدَرُهُ وعلى المُقْتِرِ قَدَرُهُ﴾: دليلٌ علَىٰ رفض التحديد، والمُوسِعُ: أي: من اتسع حالُه، والمُقْتِر: المقلُّ القليلُ المالِ، و ﴿مَتَاعاً﴾:

(١) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٣١٩).

نصبٌ على المصدر[١].

وقوله تعالى: ﴿بالمعروفِ﴾، أي: لا حمل فيه، ولا تكلُّف على أحد الجانبَيْنِ، فهو تأكيدٌ لمعنى قوله: ﴿عَلَى المُوسِعِ قَدَرُه وعلى المُقْتِرِ قَدَره﴾، ثم أكَّد تعالى الندْبَ بقوله: ﴿حَقًّا عَلَى المُحْسِنِينَ﴾، أي: في هذه النازلةِ من التمتيعِ هُمْ محسِنُون، ومن قال؛ بأنَّ المتعةَ واجبةٌ، قال: هذا تأكيدٌ للوجوب، أي: على المحسنينَ بالإيمان والإسلام، و ﴿حَقًّا﴾: صفةٌ لقوله تعالَىٰ: ﴿مَتَاعاً﴾.

* ت *: وظاهر الآيةِ عمومُ هذا الحكْمِ في جميع المطلَّقات؛ كما هو مذهبُ الشافعيِّ، وأحمد، وأصحاب الرأي، والظاهرُ حمل المُتْعَة على الوجوبِ؛ لوجوه، منها: صيغةُ الأمر، ومنها: قولُه: ﴿حَقًّا﴾، ومنها: لفظةُ «عَلَىٰ»، ومنها: من جهة المعنَىٰ: ما يترتَّب علَىٰ إمتاعها من جَبْر القلوبِ، وربَّما أدَّىٰ ترك ذلك إلى العَدَاوة والبَغْضاء بَيْن المؤمنين، وقد مال بعضُ أئمَّتنا المتأخِّرين إلى الوجوب. انتهى.

وقوله تعالى: ﴿وإن طلَّقتموهنَّ من قبل أنْ تَمَسُّوهنَّ...﴾ الآية: اختلف في هذه الآية، فقالتْ فرقةٌ، فيها مالك: إنها مُخْرِجَةٌ للمطلَّقة بعد الفَرْض من حُكْم التمتيعِ؛ إذ يتناولها.

قوله تعالى: ﴿ومتِّعوهنَّ﴾: وقال قتادةُ: نَسَخَتْ هذه الآيةُ الآيةَ الَّتي قبلها[٢]، وقال ابن القاسِم في «**المدوَّنة**»: كان المتاعُ لكلِّ مطلَّقة؛ بقوله تعالَىٰ: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٤١]، ولغير المدخولِ بها بالآيةِ الَّتي في سورة «الأحزاب»، فاستثنى اللَّه سبحانَهُ المَفْرُوضَ لها قَبْل الدخولِ بهذه الآية، وأثبت لها نصْفَ ما فَرَضَ فقَطْ[٣]، وزعم زيْدُ بْنُ أسْلَم؛ أنها منسوخة[٤]، حكى ذلك في «**المدوَّنة**» عن زيد بن أسْلَم زعْماً.

وقال ابن القاسِم: إنها استثناءٌ، والتحرير يردُّ ذلك إلى النسخ الَّذي قال زيْدٌ؛ لأنَّ ابْنَ القاسِمِ قال: إن قولَه تعالَىٰ: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ﴾ [البقرة: ٢٤١] عمَّ الجميعَ، ثم استثنَى اللَّه

---

(١) ويجوز أن ينتصب على الحال، والعامل فيه حينئذ ما تضمنه الجار والمجرور «على الموسع» من معنى الفعل، وصاحب الحال ذلك الضمير المستكن في ذلك العامل. والتقدير: قَدَرُ الموسع يستقر عليه في حال كونه متاعاً. وينظر: «**الدر المصون**» (١/ ٥٨٣).

(٢) أخرجه الطبري (٢/ ٥٥٥) برقم (٥٢٥٢)، وذكره ابن عطية في «**المحرر الوجيز**» (١/ ٣٢٠).

(٣) ذكره ابن عطية في «**المحرر الوجيز**» (١/ ٣٢٧).

(٤) ينظر المصدر السابق.

منه هذه التي فُرِضَ لها قبل المَسِيسِ، وقال فريق من العلماء، منهم أبو ثَوْر[١]: المُتْعَة لكلِّ مطلَّقة عموماً، وهذه الآية إنما بينت أن المفروض لها تأخُذُ نصْفَ ما فرض، أي: مع مُتْعَتها، وقرأ الجمهورُ[٢]: «فَنِصْفُ»؛ بالرفع، والمعنى: فالواجبُ نصْفُ ما فرضْتُمْ.

وقوله تعالى: ﴿إلاَّ أنْ يعفُون﴾: ٱستثناءٌ منقطعٌ، و «يَعْفُونَ»: معناه: يتركْنَ ويصفحْنَ، أي: يتركْن النِّصْفَ الذي وجَبَ لهنَّ عند الزوْجِ، وذلك إذا كانت المرأةُ تمْلِكُ أمْرَ نَفْسِها.

واختلف في المرادِ بقوله تعالَىٰ: ﴿أو يعفُوَا الَّذي بِيَدِهِ عُقْدَة النِّكَاح﴾.

فقال ابن عَبَّاس، ومُجَاهدٌ، ومالكٌ، وغيرهم: هو الوليُّ الذي المَرْأَة في حِجْره[٣]، وقالتْ فرْقَة: الذي بيده عُقْدة النكاح هو الزَّوْج[٤]، فعلى القول الأول:/ النَدْبُ في النِّصْف الذي يجبُ للمرأة إمَّا أن تعفو هي، وإما أن يعفو وليُّها، وعلى القول الثَّاني: إما أنْ تعفو هي أيضاً؛ فلا تأخذَ شيئاً، وإما أن يعفو الزوْجُ عن النِّصْفِ الذي يُحَطُّ، فيؤدّي جميع ٥٩ ب

---

(١) أبو عبد اللّه إبراهيم بن خالد بن أبي يمان، أبو ثور، أخذ عن الشافعي ـ رضي اللّه عنه ـ كما أخذ الفقه عن غيره، قال الخطيب البغدادي: كان أحد الثقات المأمونين، ومن الأئمة الأعلام في الدين، وله كتب مصنفة في الأحكام.
ينظر: **«طبقات ابن قاضي شهبة»** (١/ ٥٥)، و **«تهذيب التهذيب»** (١/ ١١٨)، و **«طبقات السبكي»** (١/ ٢٧٧).

(٢) وقرأ علي وزيد بن ثابت «فَنُصْفُ» بضم النون في جميع القرآن. قال ابن عطية: وهي لغة، وكذلك روى الأصمعي قراءة عن أبي عمرو بن العلاء.
ينظر: **«الشواذ»** (ص ٢٢)، و **«المحرر الوجيز»** (١/ ٣٢٠). ونسبها أبو حيان في **«البحر»** (٢/ ٢٤٤) زيادة على ما تقدم إلى السلمي.

(٣) أخرجه الطبري (٢/ ٥٥٨ ـ ٥٥٩) برقم (٥٢٨٦ـ ٥٢٨٧ـ ٥٣٠٨) عن مجاهد برقم (٥٣٠٤) عن ابن عباس. وذكره البغوي في **«معالم التنزيل»** (١/ ٢١٩) عن ابن عباس. وابن عطية في **«المحرر الوجيز»** (١/ ٣٢٠). والسيوطي في **«الدر المنثور»** (١/ ٥٢١)، وعزاه لابن جرير عن ابن عباس.

(٤) أخرجه الطبري (٢/ ٥٦٠ـ ٥٦٣) بأرقام (٥٣١٧ـ ٥٣٦٣) عن علي وشريح. وذكره البغوي في **«معالم التنزيل»** (١/ ٢١٩)، وابن عطية في **«المحرر الوجيز»** (١/ ٣٢١)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (١/ ٥٢١). وعزاه لابن جرير، وابن أبي حاتم، والطبراني في **«الأوسط»**، والبيهقي بسند حسن، عن ابن عمرو، عن النبي ﷺ...
وعزاه لوكيع، وسفيان، والفريابي، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والدارقطني، والبيهقي، عن علي بن أبي طالب.
وعزاه لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، والبيهقي من طرق عن ابن عباس.

المَهْر، ثم خاطب تعالَى الجميعَ؛ نادباً بقوله: ﴿وأنْ تَعْفُوا أقربُ للتقوَىٰ﴾، أي: يا جميعَ الناسِ، وقرأ عليُّ بن أبي طالبٍ. وغيره: «وَلاَ تَنَاسَوا الفَضْلَ»، وهي قراءةٌ متمكِّنة المعنَىٰ[1]؛ لأنه موضع تناسٍ، لا نسيان إلا على التشْبيه.

وقوله تعالى: ﴿ولا تَنْسَوُا الفَضْلَ﴾: ندْبٌ إلى المجاملة.

وقوله: ﴿إن اللَّه بما تَعْمَلُون بَصِيرٌ﴾ خَبَرٌ، وضمنه الوَعْد للمحسِنِ والحِرْمان لغير المُحسن.

﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿حافظوا عَلَى الصَّلوات والصلاةِ الوسْطَى...﴾ الآية: الْخِطابُ لجميع الأمة، والآية أَمْر بالمحافظةِ عَلَى إقامة الصَّلوات في أوقاتها، وبجميع شروطها، وخرَّج الطحاويُّ[2] عن ابنِ مسعودٍ، عن النبيِّ ﷺ قال: «أُمِرَ بِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ أَنْ يُضْرَبَ فِي قَبْرِهِ مِائَةُ جَلْدَةٍ، فَلَمْ يَزَلْ يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَىٰ وَيَدْعُوهُ، حَتَّىٰ صَارَتْ وَاحِدَةً، فَٱمْتَلأَ قَبْرُهُ عَلَيْهِ نَاراً، فَلَمَّا ٱرْتَفَعَ عَنْهُ، أَفَاقَ، فَقَالَ: عَلاَمَ جَلَدتَّنِي؟ قَالَ: إِنَّكَ صَلَّيْتَ صَلاَةً بِغَيْرِ طُهُورٍ، ومَرَرْتَ عَلَىٰ مَظْلُومٍ، فَلَمْ تَنْصُرْهُ»[3]. انتهى من «التذْكِرَة» للقرطبيِّ[4].

وفي الحديثِ: «أنَّ الصَّلاَةَ ثَلاَثَةُ أَثْلاَثٍ الطُّهُورُ ثُلُثٌ، وَالرُّكُوعُ ثُلُثٌ، وَالسُّجُودُ ثُلُثٌ،

---

(١) ينظر: «المحتسب» (١/ ١٢٧)، و «مختصر الشواذ» (ص ٢٢). وزاد ابن عطية نسبتها إلى مجاهد وأبي حيوة، وابن أبي عبلة.
ينظر: «المحرر الوجيز» (١/ ٣٢٢)، و «البحر المحيط» (٢/ ٢٤٧)، و «الدر المصون» (١/ ٥٨٨).

(٢) أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي، الطحاوي، أبو جعفر: فقيه انتهت إليه رياسة الحنفية بـ «مصر»، ولد ونشأ في «طحا» من صعيد مصر ٢٣٩هـ، وتفقه على مذهب الشافعي ثم تحول حنفياً. وتوفي بـ «القاهرة» ٣٢١هـ وهو ابن أخت المزني. من تصانيفه: «شرح معاني الآثار»، و «بيان السنة»، و «الشفعة»، و «المحاضر والسجلات»، و «مشكل الآثار»، و أحكام القرآن»، و «المختصر» في الفقه، وشرحه كثيرون.
ينظر: «الأعلام» (١/ ٢٠٦)، «البداية والنهاية» (١١/ ١٧٤)، «لسان الميزان» (١/ ٢٧٤)، «اللباب» (٢/ ٨٢).

(٣) أخرجه الطحاوي في «مشكل الآثار» (٤/ ٢٣١)، وقال الطحاوي: في هذا الحديث ما يدلُّ على أن تارك الصلاة ليس بكافر؛ لأن من صلى صلاة بغير طهور فلم يصل، وقد أجيبت دعوته، ولو كان كافراً ما أجيبت له دعوة؛ لأن اللّه (تبارك وتعالى) يقول: ﴿وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾.

(٤) ينظر: «التذكرة» (١/ ١٩٥).

فَمَنْ أَدَّاهَا بِحَقِّهَا، قُبِلَتْ مِنْهُ، وَقُبِلَ مِنْهُ سَائِرُ عَمَلِهِ، وَمَنْ رُدَّتْ عَلَيْهِ صَلاَتُهُ، رُدَّ عَلَيْهِ سَائِرُ عَمَلِهِ» رواه النَّسَائِيّ[١]. انتهى من «**الكوكب الدُّرِّيِّ**».

ورَوَىٰ مالكٌ في «**الموطَّإ**»، عن يَحْيَى بْنِ سعيدٍ[٢]؛ أنه قال: «بلَغَنِي أَنَّهُ أَوَّلُ مَا يُنْظَرُ فِيهِ مِنْ عَمَلِ العَبْدِ الصَّلاَةُ، فَإِنْ قُبِلَتْ مِنْهُ، نُظِرَ فِيمَا بَقِيَ مِنْ عَمَلِهِ، وَإِنْ لَمْ تُقْبَلْ مِنْهُ، لَمْ يُنْظَرْ فِي شَيْءٍ مِنْ عَمَلِهِ»[٣]. قال أبو عمر بن عبد البَرِّ في «**التمهيد**»: وقد رُوِيَ هذا الحديثُ مسنَداً عن النبيِّ ﷺ مِنْ وجوهٍ صِحَاحٍ، ثم أسند أبو عمر عن أَنَسِ بنِ حكيم الضَّبِّيِّ[٤]، قال: قَالَ لِي أبو هُرَيْرة: إذا أَتَيْتَ أَهْلَ مِصْرِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ العَبْدُ المُسْلِمُ صَلاَةُ المَكْتُوبَةِ، فَإِنْ أَتَمَّهَا وَإِلاَّ قِيلَ: انْظُرُوا، هَلْ لَهُ مِنْ تَطَوُّعٍ، فَإِنْ كَانَ لَهُ تَطَوُّعٌ، أُكْمِلَتِ الفَرِيضَةُ مِنْ تَطَوُّعِهِ، ثُمَّ يُفْعَلُ بِسَائِرِ الأَعْمَالِ المَفْرُوضَةِ مِثْلُ ذَلِكَ»[٥]، .....

---

(١) أخرجه البزار (١/ ١٧٧ـ **كشف**) رقم (٣٤٩)، من طريق المغيرة بن مسلم، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة به. وقال البزار: لا نعلمه مرفوعاً إلا عن المغيرة، وإنما نحفظه عن أبي صالح عن كعب قوله.
قال الهيثمي في «**مجمع الزوائد**» (١/ ١٥٠): المغيرة ثقة، وإسناده حَسَنٌ.

(٢) يحيى بن سعيد بن قَيْس بن عَمْرو بن سَهْل بن ثَعْلَبَة الأنصاري، النَّجَّاري، قاضي المدينة. عن أنس، وابن المسيِّب، والقاسم، وعِرَاك بن مالك وخلق. وعنه الزهري، والأوزاعي، ومالك، والسفيانان، والحمَّادان، والجريران وأُمم. قال ابن المديني: له نحو ثلاثمائة حديث. وقال ابن سعد: ثقة، حجة، كثير الحديث، وقال أبو حاتم: يوازي الزهري في الكثرة. وقال أحمد: يحيى بن سعيد أثبت الناس. قال القطان: مات سنة ثلاث وأربعين ومائة. ينظر: «**الخلاصة**» (٣/ ١٤٩).

(٣) أخرجه مالك في «**الموطأ**» (١/ ١٧٣)، كتاب «قصر الصلاة في السفر»، باب جامع الصلاة، حديث (٨٩).

(٤) أنس بن حكيم الضَّبِّي، البصري. عن أبي هريرة. وعنه الحسن، وعلي بن زيد.
ينظر: «**الخلاصة**» (١/ ١٠٤).

(٥) أخرجه أبو داود (١/ ٢٩٠ ـ ٢٩١)، كتاب «الصلاة»، باب كل صلاة لا يتمها صاحبها تتم من تطوعه، حديث (٨٦٤). وأحمد (٢/ ٤٢٥)، والبخاري في «**التاريخ الكبير**» (٢/ ٣٣)، والحاكم (١/ ٢٦٢)، من طريق الحسن، عن أنس بن حكيم الضبي، عن أبي هريرة به.
وأخرجه ابن ماجة (١/ ٤٥٨)، كتاب «الصلاة»، باب ما جاء في أول ما يحاسب به العبد الصلاة، حديث (١٤٥٠)، من طريق علي بن زيد، عن أنس بن حكيم الضبي، عن أبي هريرة به.
وأخرجه أبو داود (١/ ٢٩١)، كتاب «الصلاة»، باب كل صلاة لا يتمها صاحبها تتم من تطوعه، حديث (٨٦٥). والحاكم (١/ ٢٦٣)، والبخاري في «**التاريخ**» (٢/ ٣٤)، من طريق حماد بن سلمة، عن حميد، عن الحسن، عن رجل من بني سليط عن أبي هريرة.
وأخرجه الترمذي (٢/ ٢٦٩ ـ ٢٧٠)، كتاب «الصلاة»، باب ما جاء أن أول ما يحاسب به العبد يوم=

وفي روايةِ تَمِيمِ الدَّارِيِّ[١] عن النبيِّ ﷺ؛ بهذا المعنَىٰ.

قال: «ثُمَّ الزَّكَاةُ مِثْلُ ذَلِكَ، ثُمَّ تُؤْخَذُ الأَعْمَالُ عَلَىٰ حَسَبِ ذَلِكَ»[٢]. انتهى.

وذكَرَ اللَّه سبحانه الصَّلاةَ الوسْطَىٰ ثانيةً، وقد دَخَلَتْ قَبْلُ في عموم قوله: «الصَّلَوَاتِ»؛ لأنه أراد تشريفَهَا.

واختلف النَّاس في تعيينها.

فقال عليٌّ، وابن عبَّاسٍ، وجماعة من الصَّحابة: إنها صلاةُ الصُّبْح[٣]، وهو قول مالكٍ، وقالتْ فرقةٌ: هي الظُّهْر، وورد فيه حديث، وقالت فرقة: هي صلاةُ العَصْر، وفي

القيامة الصلاة، حديث (٤١٣). والنسائي (١/ ٢٣٢)، كتاب «الصلاة»، باب المحاسبة على الصلاة، كلاهما من طريق قتادة، عن الحسن، عن حريث بن قبيصة، عن أبي هريرة به.
وقال الترمذي: حديث حسن غريب من هذا الوجه، وقد روي هذا الحديث من غير هذا الوجه، عن أبي هريرة .اهـ. وقد روى هذا الحديث الحسن عن أبي هريرة.
أخرجه أبو داود الطيالسي (١/ ٦٨ـ منحة) رقم (٢٦٤)، وأبو يعلى (١١/ ٩٦) رقم (٦٢٢٥)، من طريق الحسن، عن أبي هريرة.
قال البخاري في **«التاريخ»** (٢/ ٣٥)، ولا يصح سماع الحسن من أبي هريرة في هذا.
وقد وصف الحافظ ابن حجر في **«التهذيب»** (١/ ٣٧٤) هذا الحديث بالاضطراب. وصححه الألباني بطرقه في **«الصحيحة»** (١٣٥٨).

(١) هو: تميم بن أوس بن حارثة أبو رقية. الداري. قال ابن حجر في **«الإصابة»**: مشهور في الصحابة، وكان نصرانيًا، وقدم المدينة فأسلم، وذكر للنبي قصة الجساسة والدجال، فحدث النبي عنه بذلك على المنبر، وعد ذلك من مناقبه. وقال أبو نعيم. كان راهب أهل عصره، وعابد أهل «فلسطين»، وهو أول من أسرج السراج في المسجد. وقال ابن إسحاق: قدم «المدينة» وغزا مع النبي ﷺ.
ينظر ترجمته في: **«أسد الغابة»** (١/ ٢٥٦)، **«الإصابة»** (١/ ١٩١)، **«الثقات»** (٣/ ٣٩)، **«الجرح والتعديل»** (٢/ ٤٤٠)، **«تقريب التهذيب»** (١/ ١١٣)، **«سير أعلام النبلاء»** (٢/ ٤٤٢)، **«جمهرة أنساب العرب»** (٤٢٢)، (٤٥٤)، **«المتفردات والوحدان»** (٦٢)، **«مشاهير علماء الأمصار»** (٥٢)، **«الجمع بين رجال الصحيحين»** (٦٤)، **«تسمية من أخرج لهم البخاري ومسلم»** (٢٢)، **«التاريخ لابن معين»** (١٧).

(٢) أخرجه أبو داود (١/ ٢٩١)، كتاب «الصلاة»، باب كل صلاة لا يتمها صاحبها تتم من تطوعه، حديث (٨٦٦)، وابن ماجة (١/ ٤٥٨) كتاب «الصلاة»، باب ما جاء في أول ما يحاسب به العبد الصلاة، حديث (١٤٢٦). وأحمد (٤/ ١٠٣). والدارمي (١/ ٣١٣)، كتاب «الصلاة»، باب أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة، والحاكم (١/ ٢٦٢)، والطبراني في **«الأوائل»** رقم (٢٣). كلهم من طريق داود بن أبي هند، عن زرارة بن أوفى، عن تميم الداري مرفوعاً.

(٣) ذكره الماوردي في **«النكت والعيون»** (١/ ٣٠٩)، والبغوي في **«معالم التنزيل»** (١/ ٢٢٠)، وابن عطية الأندلسي في **«تفسيره»** (١/ ٣٢٢)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (١/ ٥٣٤).

مُصْحَف عائشةَ[١]، وإملاء حَفْصَة: «صَلاَةِ العَصْرِ»؛ وعلَىٰ هذا القول جمهورُ العلماءِ، وبه أقولُ.

وقال قَبِيصَةُ بن ذُوَيْبٍ[٢]: هي صلاة المَغْرِب[٣]، وحكى أبو عمر بن عبد البَرِّ عن فرقة؛ أنها صلاة العشَاءِ الآخِرَةِ، وقالتْ فرقة: الصلاة الوسطَىٰ لم يعيِّنها اللَّه سبْحانه، فهي في جملة الخَمْس غير معيَّنة؛ كليلة القَدْر، وقالت فرقة: هي صلاة الجُمُعَة، وقال بعضُ العلماء: هي الخَمْس، وقوله أولاً: ﴿عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾ يعم النفْلَ/، والفَرْض، ثم خَصْ الفرْضَ بالذِّكْر. ٦٠ ب

وقوله تعالى: ﴿وقوموا للَّه قانِتِينَ﴾ معناه في صلاتِكُمْ.

واختلف في معنى ﴿قَانِتِينَ﴾.

فقال الشَّعْبِيُّ وغيره: معناه مطيعين[٤]، قال الضَّحَّاك: كل قُنُوتٍ في القرآن، فإنما يُعْنَىٰ به الطاعة[٥]، وقاله أبو سعيدٍ عن النبيِّ ﷺ وقال ابْنُ مسعودٍ وغيره: القُنُوت: السُّكُوت[٦]؛ وذلك أنهم كانوا يتكلَّمون في الصلاة حتَّىٰ نزلَتْ هذه الآيةُ، فأمروا بالسُّكُوت، وقال مجاهد: معنى ﴿قَانِتِينَ﴾ خاشِعِينَ، فالقنوتُ: طُولُ الركوعِ والخشوعِ، وغضُّ البصر، وخَفْضُ الجَنَاح[٧]، قال * ع[٨] *: وإحضارُ الخَشْية، والفِكْرُ في الوقوف

---

(١) وفي مختصر ابن خالويه: «وصلاة العصر» بزيادة واو، ونسبها إلى عائشة، وابن عباس، وجماعة. «**مختصر الشواذ**» (ص ٢٢).
وينظر: «**الكشاف**» (١/ ٢٨٧)، و «**المحرر الوجيز**» (١/ ٣٢٢ ـ ٣٢٣)، و «**البحر المحيط**» (١/ ٢٤٩)، وزاد نسبتها إلى أبي، وعبيد بن عمير.

(٢) قَبيصة بن ذُؤَيْب، عن أبيه، وأبي هريرة، وعنه الزُّهْري، ورجاء بن حَيْوَة وغيره. وثقه ابن حبان، قال عمرو بن علي: مات سنة ست وثمانين. ينظر: «**الخلاصة**» (٢/ ٣٤٩).

(٣) أخرجه الطبري في «**تفسيره**» (٢/ ٥٧٩)، وذكره السيوطي في «**الدر المنثور**» (١/ ٥٤٢)، وعزاه لابن أبي حاتم بسند حسن عن ابن عباس.

(٤) ذكره البغوي في «**معالم التنزيل**» (١/ ٢٢١).

(٥) أخرجه الطبري (٥/ ٢٢٩)، وذكره ابن عطية في «**المحرر الوجيز**» (١/ ٣٢٣).

(٦) أخرجه الطبري في «**تفسيره**» (٢/ ٥٨٥)، وذكره السيوطي في «**الدر المنثور**» (١/ ٢٣٨).

(٧) أخرجه الطبري في «**تفسيره**» (٢/ ٥٨٥)، وذكره الماوردي في «**تفسيره**» (١/ ٣١٠) والبغوي في «**معالم التنزيل**» (١/ ٢٢١)، والسيوطي في «**الدر المنثور**»، (١/ ٥٤٤).

(٨) «**المحرر الوجيز**» (١/ ٣٢٤).

بين يَدَيِ اللَّه سبحَانَه، وقال الرَّبِيعُ: القنوتُ: طولُ القيَامِ، وطولُ الرُّكُوعَ[١].

وقال قومٌ: القنوتُ: الدعاء، و ﴿قَانِتِينَ﴾: معناه دَاعِينَ، روي معناه عن ابن عَبَّاس[٢].

وقول تعالى: ﴿فإِن خفتم فرجالاً أو رُكْباناً...﴾ الآية، أمر اللَّه تعالَىٰ بالقيام له في الصلاة بحالة قُنُوت، وهو الوقار والسَّكينة، وهدوء الجوارح، وهذا على الحالة الغَالبَةِ من الأمْن والطُّمأنينة، ثم ذكر تعالى حالة الخَوْف الطارئَة أحيَاناً، فرخَّص لعبيده في الصَّلاة ﴿رجالاً﴾: متصرِّفين على الأقدام، و ﴿رُكْباناً﴾: على الخَيْل والإبل ونحوهما؛ إيماء، وإشارة بالرأس؛ حيث ما توجَّه، هذا قول جميع العلماءِ، وهذه هي صلاة الفَذِّ الذي قد ضايقه الخَوْفُ على نَفْسه في حال المسايفة، أو مِنْ سَبُعٍ يطلبه، أو عدو يتبعه، أو سَيْلٍ يحملُه، وبالجملة فكلُّ أمرٍ يخافُ منه علَىٰ رُوحِهِ، فهو مبيحٌ ما تضمَّنته هذه الآية.

وأما صَلاَةُ الخَوْف بالإمام، وانقسام النَّاس، فليس حكْمُها في هذه الآية، وسيأتي، إن شاء اللَّه، في «سورة النساء»[٣].

والرُّكْبَان: جمع رَاكِبٍ[٤]، وهذه الرخْصَة في ضِمنها؛ بإجماعٍ من العلماء: أن يكون الإنسان حيثُ ما توجَّه ويتقلَّب ويتصرَّف بحسب نَظَره في نجاة نَفْسِهِ.

* ت *: ورَوَىٰ أبو دَاوُد في «سننه»، عن عبد اللَّه بن أُنَيْسٍ[٥]، قال: «بَعَثَنِي رَسُولُ

---

(١) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (١/ ٢٣٩).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣١٠)، وابن عطية في «تفسيره» (١/ ٣٢٤).

(٣) في تفسير الآية (١٠١)، (١٠٢).

(٤) ينظر: «لسان العرب» (١٧١٢)، و «عمدة الحفاظ» (٢/ ١٢١).

(٥) عبد اللَّه بن أنيس بن أسعد بن حرام بن خبيب بن مالك بن غنم بن كعب بن تيم، أبو يحيى الجهني. القضاعي. الأنصاري. السّلمي. قال ابن الأثير: كان مهاجراً، أنصارياً، عصبياً، شهد بدراً وأحداً وما بعدهما. روى عنه أولاده: عطية، وعمرو، وضمرة، وعبد اللَّه، وجابر بن عبد اللَّه، وبسر بن سعيد. هو الذي سأل رسول اللَّه عن ليلة القدر وقال: إني شاسع الدار، فمرني بليلة أنزل لها قال: «انزل ليلة ثلاث وعشرين» وهو أحد الذين كانوا يكسرون أصنام بني سلمة.
ينظر ترجمته في: «أسد الغابة» (٣/ ١٧٩)، «الإصابة» (٤/ ٣٧)، «الثقات» (٣/ ٢٣٤)، «تجريد أسماء الصحابة» (١/ ٢٩٨)، «الاستيعاب» (٣/ ٨٦٩)، «الاستبصار» (١٣٧)، «شذرات الذهب» (١/ ٦٠)، «حلية الأولياء» (٢/ ٥)، «عنوان النجابة» (١١٧)، «تقريب التهذيب» (١/ ٤٠٢)، «تهذيب التهذيب» (٥/ ١٤٩)، «تهذيب الكمال» (٢/ ٦٦٦)، «بقي بن مخلد» (١١٣)، «الوافي بالوفيات» (١٧/ ٧٦)، «الكاشف» (٢/ ٧٣)، «رياض النفوس» (١/ ٤٥)، «الجرح والتعديل» (٥/ ١)، «التاريخ الكبير» (٣/ ١٤).

٤٨٢ ـــــــ

الَّذِي في «سورة النساءِ»[١]، ونسخ سكنى الحَوْل بالأربعة الأشْهُر والعَشْر[٢]، وقاله ابن عَبَّاس وغيره[٣]: و ﴿متاعاً﴾ نصْب على المَصْدر، وقوله تعالى: ﴿غير إخراج﴾: معناه: ليس لأولياء الميِّت، ووارثي المنزلِ إخراجها، وقوله تعالى: ﴿فإنْ خرجْن...﴾ الآية: معناه: إنَّ الخروجَ، إذا كان من قبل الزوجة، فلا جُنَاح علَىٰ أحدٍ وليٍّ أو حاكم، أو غيره فيما فعلْنَ في أنفسِهِنَّ من تزويجٍ وتزيُّن، وترك إحداد، إذا كان ذلك من المعروفِ الَّذي لا يُنْكَر، وقوله تعالى: ﴿واللَّه عزيزٌ حكيمٌ﴾: صفةٌ تقتضي الوعيدَ بالنِّقْمة لمن خالف الحَدَّ في هذه النازلة، وهذا كلُّه قد زال حكمه بالنَّسْخ المتَّفَقِ عليه.

وقوله تعالى: ﴿وللمطلَّقات متاع بالمعروفِ حَقًّا على المتقين * كذلك يبيِّن اللَّه لكم آياته لعلَّكم تعقلون﴾: قال عطاء بْنُ أبي رَبَاح وغيره: هذه الآية في الثَّيِّبَاتِ اللواتي قد جُومِعْنَ[٤]؛ إذ قد تقدم في غير هذه الآية ذكْر المتعة لِلَّواتي لم يُدْخَلْ بهنَّ.

وقال ابنُ زَيْد: هذه الآية نزلَتْ مؤكِّدة لأمر المتعة؛ لأنه نزل قبل ﴿حَقًّا عَلَى المُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٦]، فقال رجُلٌ: فإنْ لم أُرِدْ أُحْسِنَ، لم أمتِّع، فنزلَتْ ﴿حَقًّا عَلَى المُتَّقِينَ﴾.

قال الطبريُّ: فوجب ذلك عليهم[٥].

﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَـٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ ۖ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين خرَجُوا من ديارهم وهم ألوف حَذَر المَوْت فقال لهم اللَّه مُوتُوا...﴾ الآية: هذه رؤية القَلْب؛ بمعنى: ألم تَعْلَمْ، وقصَّة هؤلاء فيما قال الضَّحَّاك؛ أنهم قوم من بني إسرائيل أُمِرُوا بالجهَادِ، فخافوا المَوْتَ بالقَتْل في الجهادِ، فخرجوا من ديارهم فِرَاراً من ذلك، فأماتهم اللَّه؛ ليعرِّفهم أنه لا يُنْجِيهِمْ من الموت شيْء،

---

(١) آية (١٢).

(٢) آية (٢٣٤) من سورة البقرة.

(٣) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٣٢٦).

(٤) ذكره الطبري (٢/ ٥٩٨)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٣٢٧).

(٥) ذكره الطبري في «تفسيره» (٢/ ٥٩٩).

ثم أحياهم، وأمرهم بالجهادِ، بقوله: ﴿وقاتلوا في سبيل اللَّه. . .﴾ الآية[١].

وروى ابن جريج عن ابن عبَّاس؛ أنهم كانوا من بني إسرائيل، وأنهم كانوا أربعينَ ألفاً، وثمانيةَ آلاف، وأنهم أُميتوا، ثم أُحْيُوا، وبقيتِ الرائحَةُ علَىٰ ذلك السِّبْط من بني إسرائيل إلى اليَوْم، فأمرهم اللَّه بالجهَادِ ثانيةً، فذلك قوله: ﴿وقاتلوا في سَبِيلِ اللَّه﴾[٢].

قال * ع[٣] *: وهذا القَصَصُ كلُّه ليِّن الإسناد، وإنما اللازم من الآية أنَّ اللَّه تعالَىٰ أخبر نبيَّه محمَّداً ﷺ إخباراً في عبارة التنْبيه، والتوقيفِ عنْ قَوْم من البَشَر خَرَجوا من ديارهم فراراً من المَوْت، فأماتهم اللَّه، ثم أحياهم؛ ليعلموا هم وكلُّ من خَلَفَ بعدهم؛ أن الإماتة إنما هي بإذْنِ اللَّه لا بيَدِ غَيْره، فلا معنَىٰ لخوفِ خائفٍ، وجعل اللَّه تعالَىٰ هذه الآية مقدِّمة بين يدَيْ أمره المؤمنين من أُمَّة محمَّد ﷺ بالجهادِ، هذا قول الطَّبري[٤]، وهو ظاهرُ رَصْف الآية.

والجمهورُ علَىٰ أنَّ ﴿أُلُوفٌ﴾ جمعُ أَلْفٍ، وهو جمعُ كَثرة[٥]، وقال ابن زَيْد في لفظة ﴿أُلُوف﴾: إنما معناها، وهم مؤتلفُونَ[٦].

٦١أ وقوله تعالى: ﴿إِن اللَّه لَذُو فَضْل على النَّاس ولكنَّ أكثر النَّاس لا يشكرون/ . . .﴾ الآية: تنبيهٌ علَىٰ فضله سبحانه على هؤلاء القَوْم الذين تفضَّل عليهم بالنعم، وأمرهم بالجهاد، وألاَّ يجعلوا الحَوْل والقُوَّة إلا له سبحانه؛ حَسْبما أمر جميع العالم بذلك، فلم يشكروا نعمته في جميعِ هذا، بل استبدُّوا وظَنُّوا أنَّ حولَهُمْ وسعْيَهم ينجِّيهم، وهذه الآيةُ تَحْذيرٌ لسائر النَّاسِ مِنْ مثل هذا الفعْلِ، أي: فيجب أنْ يشكر النَّاسُ فضْلَه سبحانه؛ في إيجاده لهم، ورزْقِهِ إياهم، وهدايتِهِ بالأوامر والنواهِي، فيكون منهم المبادرة إلى آمتثالها، لا

---

(١) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٣٢٧).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٦٠٢) برقم (٥٦٠٨)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (١/ ٣٢٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٥٥٣).

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (١/ ٣٢٨).

(٤) ينظر: «جامع البيان» (٥/ ٢٧٨).

(٥) هو أحد قسمي جمع التكسير، والآخر هو جمع القلة، فأما جمع القلة فيصدق على الثلاثة إلى العشرة، وأما جمع الكثرة فيدل على أحد عشر فما فوق، ولكل من النوعين صيغ؛ فلجمع القلة أربع صيغ، ولجمع الكثرة ثلاثة وعشرون بناء. ينظر: «معجم المصطلحات النحوية والصرفية» (ص ٥١).

(٦) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٣٢٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٥٥٣).

طَلَبُ الخُرُوج عنها، وفي تَخْصِيصه تعالَىٰ: «الأَكْثَر» دلالةٌ على أنَّ الأقلَّ الشَّاكِر.

وقوله تعالَىٰ: ﴿وقاتلوا في سبيل اللَّه...﴾ الآية: الجمهورُ أن هذه الآية مخاطبة لأمَّة محمَّد ﷺ بالقتالِ في سبيلِ اللَّهِ، وهو الذي يُنْوَىٰ به أن تكون كلمةُ اللَّه هي العليا؛ حَسَب الحديث[1].

وقال ابن عَبَّاس، والضَّحَّاك: الأمْرُ بالقتال هو لِلَّذينَ أُحْيُوا من بني إسرائيل[2]، قال الطبريُّ[3]: ولا وجه لهذا القَوْل، ثم قال تعالَىٰ: ﴿من ذا الذي يُقْرِضُ اللَّه...﴾ الآية، فدخل في ذلك المقاتلُ في سبيل اللَّه، فإنه يقرض؛ رَجَاء ثوابِ اللَّهِ؛ كما فعل عثمانُ في جَيْش العُسْرة، ويُرْوَىٰ أنَّ هذه الآية، لَمَّا نزلَتْ، قال أبو الدَّحْدَاح[4]: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَ إِنَّ اللَّهَ يُرِيدُ مِنَّا القَرْضَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، يَا أَبَا الدَّحْدَاح»، قَالَ: فَإِنِّي قَدْ أَقْرَضْتُهُ حَائِطِي لِحَائِطٍ فِيهِ سِتُّمِائَةِ نَخْلَةٍ، ثُمَّ جَاءَ الحَائِطَ، وَفِيهِ أُمُّ الدَّحْدَاحِ[5]، فَقَالَ: اَخْرُجِي، فَإِنِّي قَدْ أَقْرَضْتُ

---

(١) أخرجه البخاري في العلم (١/ ٢٦٨) باب مَنْ سأل وهو قائم عالماً جالساً (١٢٣)، و (٦/ ٣٣) في الجهاد: باب من قاتل لتكون كلمة اللَّه هي العليا (٢٨١٠) و (٦/ ٢٦٠) في فرض الخمس (٣١٢٦)، و (١٣/ ٤٥٠) في التوحيد: باب ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين﴾ (٧٤٥٨)، ومسلم (٣/ ١٥١٢ـ ١٥١٣) في الإمارة: باب من قاتل لتكون كلمة اللَّه هي العليا فهو في سبيل اللَّه (١٤٩ـ ١٥١/ ١٩٠٤) وأبو داود (١/ ١٨) في الجهاد؛ باب من قاتل لتكون كلمة اللَّه هي العليا (٢٥١٧ـ ٢٥١٨) والترمذي ((٤/ ١٥٤) في فضائل الجهاد: باب ما جاء فيمن يقاتل رياء وللدنيا (١٦٤٦)، والنسائي (٦/ ٢٣) في الجهاد: باب من قاتل لتكون كلمة اللَّه هي العليا، وابن ماجة (٢/ ٩٣١) في الجهاد: باب النية في القتال (٢٧٨٣)، وأحمد (٤/ ٣٩٢، ٣٩٧، ٤٠٢، ٤٠٥، ٤١٧)، والطيالسي (١/ ٢٣٣) برقم (١١٣٥)، وأبو يعلى (٧٢٥٣)، والبيهقي (٩/ ١٦٧، ١٦٨) من طرق عن أبي وائل شقيق بن سلمة عن أبي موسى الأشعري قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول اللَّه، ما القتال في سبيل اللَّه؟ فإن أحدنا يقاتل غضباً، ويقاتل حمية، فرفع إليه رأسه، قال: وما رفع إليه رأسه إلاَّ أنه كان قائماً، فقال: من قاتل لتكون كلمة اللَّه هي العليا، فهو في سبيل اللَّه عز وجل».
وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٣٢٩).

(٣) ينظر: «جامع البيان» (٥/ ٢٨١).

(٤) أبو الدَّحْدَاح الأنصاري: حليف لهم. قال أَبُو عُمَرَ: لم أقف على اسمه ولا نسبه، أكْثَر من أنه من الأنصار حليف لهم، وقال البَغَوِيُّ: أبو الدحداح الأنصاري، ولم يزد.
ينظر: «الإصابة» (٧/ ١٠٠).

(٥) أُمّ الدَّحْدَاح، زوج أبي الدحداح.
لها ذكر في حديث أبي الدحداح، وصدقته بالحائط الذي فيه النخل. فقال: يا أم الدحداح، اخرجي، يعني: من الحائط، ذكره الأشِيري.
ينظر: «أسد الغابة» (٧/ ٣١٦).

رَبِّي حَائِطِي هَذَا، قَالَ: فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كَمْ مِنْ عِذْقٍ مُذَلَّلٍ لِأَبِي الدَّحْدَاحِ فِي الجَنَّةِ»[1].

واستدعاء القَرْض؛ في هذه الآية وغيرها؛ إنما هو تأنيسٌ وتقريبٌ للأفهام، واللَّه هو الغنيُّ الحميدُ.

قال ابنُ العربيِّ في «**أحكامه**»[2] وكَنَى اللَّه عزَّ وجلَّ عن الفقيرِ بنَفْسه العليَّة ترغيباً في الصَّدَقة؛ كما كَنَىٰ عن المريضِ، والجائِعِ، والعاطشِ بنفسه المقدَّسة؛ فقال النبيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ القِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ، مَرِضْتُ، فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أَعُودُكَ، وَأَنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلاَناً مَرِضَ، فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدتَّهُ، لَوَجَدتَّنِي عِنْدَهُ، يَا ابْنَ آدَمَ، ٱسْتَطْعَمْتُكَ، فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أُطْعِمُكَ، وَأَنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ؟! قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ ٱسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلاَنٌ، فَلَمْ تُطْعِمْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ، لَوَجَدتَّ ذَلِكَ عِنْدِي، يَا ابْنَ آدَمَ، ٱسْتَسْقَيْتُكَ، فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أَسْقِيكَ، وَأَنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ؟! قَالَ: ٱسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلاَنٌ، فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَه، وَجَدتَّ ذَلِكَ عِنْدِي». انتهى، واللفظ لصحيح مسلم[3]، قال ابنُ العَرَبِيِّ[4]: وهذا كلُّه خرَجَ مَخْرَجَ التشريفِ لمَنْ كُنِيَ عنه، وترغيباً لمن خوطِبَ انتهى.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «**تفسيره**» (١/ ٩٧ ـ ٩٨)، وعنه الطبري (٥٦١٨)، عن معمر عن زيد بن أسلم قال: لما نزلت ﴿من ذا الذي يقرض اللَّه قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة﴾، قال: جاء أبو الدحداح...
وقال الشيخ شاكر: هذا حديث مرسل؛ فهو ضعيف الإسناد؛ لأن زيد بن أسلم تابعي، ولم يذكر من حدثه من الصحابة.
وأخرجه الطبري في «**تفسيره**» (٥٦٢٠)، وأبو يعلى (٤٩٨٦)، عن خلف بن خليفة عن حميد الأعرج عن عبد اللَّه بن الحارث عن عبد اللَّه بن مسعود قال: لما نزلت: ﴿من ذا الذي يقرض اللَّه قرضاً حسناً﴾، قال أبو الدحداح: ....»، فذكره بنحوه.
وذكره السيوطي في «**الدر**» (١/ ٥٥٤ ـ ٥٥٥)، وزاد فعزاه لسعيد بن منصور، وابن سعد، والبزار، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحكيم الترمذي في «**نوادر الأصول**»، والطبراني، والبيهقي في «**الشعب**».
ولم يعزه لأبي يعلى.
وقال الشيخ شاكر: هذا إسناد ضعيف جداً... فالبلاء في هذه الرواية من حميد الأعرج.

(٢) ينظر «**أحكام القرآن**» (١/ ٢٣٠).

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٩٠) في البر والصلة: باب فضل عيادة المريض (٤٣/ ٢٥٦٩)، عن حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أبي رافع، عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إن اللَّه (عز وجل) يقول يوم القيامة: يا ابن آدم، مرضت فلم تعدني.....» فذكره.

(٤) ينظر: «**أحكام القرآن**» (١/ ٢٣٠).

وقوله: ﴿حَسَناً﴾: معناه: تَطِيبُ فيه النية، ويشبه أيضاً أنْ تكون إِشارة إِلى كثرته وجَوْدته.

وهذه الأضعاف الكثيرةُ إِلى السَّبْعِمِائَةِ التي رُوِيَتْ، ويعطيها مثالُ السُّنْبُلة.

* ت *: والحقُّ الذي لا شَكَّ فيه وجوبُ الإِيمان بما ذكر المولَىٰ سبحانه، ولا سبيل إِلى التحديد؛ إِلاَّ أنْ يثبتَ في ذلك حديثٌ صحيحٌ/، فيصار إِليه، وقد بيَّن ذلك ﷺ ٦١ ب فيما خرَّجه مُسْلِم، والبُخاريُّ، أنظره عند قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾ [البقرة: ٢٦١].

قال * ع *: رُوِيَ أن النبيَّ ﷺ طُلِبَ مِنْهُ أَنْ يُسَعِّر بِسَبَبِ غَلاَءٍ خِيفَ عَلَى المَدِينَةِ، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ البَاسِطُ القَابِضُ، وَإِنِّي لأَرْجُو أَنْ أَلْقَى اللَّهَ، وَلاَ يَتْبَعْنِي أَحَدٌ بِمَظْلَمَةٍ فِي نَفْسٍ؛ وَلاَ مَالٍ»(١)، قال صاحب «سِلاح المؤمن» عند شَرْحه لاسمه تعالَى «القَابِضِ البَاسِطِ»: قال بعْضُ العلماءِ: يجبُ أن يُقْرَنَ بيْنَ هذَيْن الاِسمين، ولا يفصل بينهما؛ ليكون أنبأَ عن القُدْرة، وأدلَّ على الحكمة؛ كقوله تعالى: ﴿يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ﴾، وإِذا قلْتَ: «القَابِض» مفرداً، فكأنَّك قَصَرْتَ بالصفة على المنع والحرْمان، وإِذا جمعْتَ أَثْبَتَّ الصفتين؛ وكذلك القولُ في الخافضِ والرافع والمُعِزِّ والمُذِلِّ. انتهى، وما ذكره عن بعض العلماءِ، هو كلامُ الإِمام الفَخْر في شرحه لأسماء اللَّه الحسنَىٰ، ولفظه: القابضُ والباسطُ: الأحسنُ

---

(١) أخرجه أبو داود (٢/ ٢٩٣)، كتاب «البيوع»، باب في التسعير، حديث (٣٤٥٠)، والبغوي في «شرح السنة» (٤/ ٣٣١ـ بتحقيقنا)، وأحمد (٢/ ٣٣٧)، من طريق العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة؛ «أن رجلاً جاء فقال: يا رسول اللَّه سعر، فقال: بل ادعو، ثم جاء رجل فقال: يا رسول اللَّه، سعر، فقال: بل اللَّه يخفض ويرفع، وإني لأرجو أن ألقى اللَّه، وليس لأحد عندي مظلمة».

وللحديث شاهد قوي من حديث أنس بن مالك.

أخرجه أبو داود (٢/ ٢٩٣ ـ ٢٩٤) كتاب «البيوع»، باب في التسعير، حديث (٣٤٥١)، والترمذي (٣/ ٦٠٥ ـ ٦٠٦) كتاب «البيوع»، باب ما جاء في التسعير، حديث (١٣١٤)، والدارمي (٢/ ٢٤٩) كتاب «البيوع»، باب في النهي أن يسعر في المسلمين، وأحمد (٣/ ٢٨٦)، والبيهقي (٦/ ٢٩) كتاب «البيوع»، باب التسعير، كلهم من طريق حماد بن سلمة، عن قتادة، وثابت، وحميد عن أنس قال: غلا السعر في المدينة على عهد رسول اللَّه ﷺ. فقالوا: يا رسول اللَّه، سعر لنا، فقال: «إن اللَّه هو المسعر القابض الباسط الرازق، وإني لأرجو أن ألقى ربي، وليس أحد منكم يطلبني بمظلمة بدم ولا مال».

وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وأخرجه أبو يعلى (٥/ ٢٤٥) رقم (٢٨٦١)، من طريق حماد بن سلمة، عن قتادة، وثابت، وحميد عن أنس به.

وأخرجه أحمد (٣/ ١٥٦)، من طريق حماد، عن قتادة، عن ثابت، عن أنس.

وأخرجه أبو يعلى (٥/ ١٦٠) رقم (٢٧٧٤)، من طريق مبارك بن فضالة عن الحسن عن أنس به.

في هذين الاِسمَيْن أنْ يقْرَنَ أحدهما في الذِّكْر بالآخر؛ ليكون ذلك أدلَّ على القدرة والحكمةِ؛ ولهذا السببِ قال اللَّه تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ﴾ وإذا ذكرت «القابضَ» منفرداً عن «البَاسِطِ»، كنْتَ قد وصفته بالمَنْع والحرمانِ، وذلك غير جائز، وقوله: «المُعِزُّ المُذِلّ»، وقد عرفْتَ أنه يجبُ في أمثالِ هذَيْن ذكْرُ كل واحد منهما مع الآخر. انتهى.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الملإ من بني إسرائيل مِنْ بعد موسَى...﴾ الآية: هذه الآية خَبَرٌ عن قوم من بني إسرائيل نالتهم ذِلَّةٌ وغَلَبة عَدُوٍّ؛ فطلبوا الإذن في الجِهَاد، وأن يؤمروا به، فلَمَّا أُمِرُوا، كَعَّ أكثرهم[1]، وصبر الأقلُّ، فنصرهم اللَّه، وفي هذا كلِّه مثالٌ للمؤمنين؛ ليحذروا المَكْرُوه منه، ويقتدوا بالحَسَن.

و ﴿المَلأَ﴾: في هذه الآية جميعُ القَوْم؛ لأن المعنَىٰ يقتضيه، وهو أصل اللفظة، ويسمى الأشرافُ «المَلأَ»؛ تشبيهاً، و ﴿مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾: معناه: مِنْ بعد موته، وٱنقضاءِ مدَّته.

وقوله تعالى: ﴿لِنَبِيٍّ لهم﴾، قال ابن إسحاق وغيره: هو شمويلُ بْن بَابِل[2].

وقال السدِّيُّ: هو شَمْعُونُ[3]، وكانت بنو إسرائيل تغلِبُ من حارَبَها، وروي أنها

---

(١) أي: نكصوا على أعقابهم.
ينظر: «لسان العرب» (٣٨٩١).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٦١٠) برقم (٥٦٣٠)، وذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٣٣٠).

(٣) أخرجه الطبري (٢/ ٦١٠) برقم (٥٦٣٠)، وذكره البغوي في «تفسيره» «معالم التنزيل» (١/ ٢٢٦)، وينظر «المحرر الوجيز» لابن عطية (١/ ٣٣٠)، و «النكت والعيون» للماوردي (١/ ٣١٤).

كانت تَضَعُ التابوتَ الذي فيه السكينةِ والبقيَّة في مَأْزِقِ الحرب، فلا تزال تَغْلِبُ؛ حتى عصَتْ، وظهرتْ فيهم الأحداث، وخالف ملوكهم الأنبياء، واتَّبعوا الشَّهوات، وقد كان اللَّه تعالَىٰ أقام أمورهم؛ بأنْ يكون أنبياؤهم يسدِّدون ملوكهم، فلما فعلوا ما ذكرناه، سلَّط اللَّه عليهم أُمماً من الكَفَرة، فغلَبُوهم، وأُخِذَ لهم التابوتُ في بعض الحُرُوب، فذلّ أمرهم.

وقال السُّدِّيُّ: كان الغالبُ لهم «جَالُوتَ»، وهو من العمالقة، فلما رأوا أنه الاِصطلامُ، وذَهَابُ الذِّكْرِ، أَنِفَ بعضُهمْ وتكلَّموا في أمرهم[1]؛ حتى اجتمع ملأهم علَىٰ أنْ قالوا لنبيِّ الوَقْتِ: ﴿ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكاً...﴾ الآية، وإنما طلبوا مَلِكاً يقوم بأمر القتَال، وكانت المَمْلَكَة في سِبْطٍ من أسباط بني إسرائيل يقال لهم: بَنُو يَهُوذا، فعلم النبيُّ بالوحْي، أنه ليس في بيْتِ المَمْلَكَة من يقوم بأمر الحَرْب، ويسَّر اللَّه لذلك طَالُوت، وقرأ جمهور النَّاسِ: «نُقَاتِلْ»؛ بالنون وجزم اللام؛ على جواب الأمر، وأراد النبيُّ المذكور ـ عليه السلام ـ أن يتوثَّق منهم، فوقفهم علَىٰ جهة/ التَّقْرِيرِ، وسَبْرِ ما عنْدَهم بقوله: ﴿هَلْ عسيتُمْ﴾، ومعنى هذه المقالةِ، هل أنتم قريبٌ من التولِّي والفرار، إن كُتِبَ عليكم القِتَالُ. ١٦٢أ

* ص *: ﴿لِنَبِيٍّ﴾ متعلِّق بـ ﴿قَالُوا﴾، واللامُ معناها: التبليغُ. انتهى.

ثم أخبر تعالى أنه لما فرض عليهم القتالَ، تولَّوْا، أي: اضطربَتْ نياتهم، وفَتَرت عزائمهم، إلا قليلاً منهم، وهذا شأن الأمم المتنعِّمة المائلَة إلى الدَّعَة تتمنَّى الحرب أوقاتِ السَّعَة، فإذا حَضَرت الحَرْب، كَعَّتْ، وعن هذا المعنَىٰ نهى النبيُّ ﷺ؛ بِقَوْلِهِ: «لاَ تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدْوِّ، وَاسْأَلُوا اللَّهَ العَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ، فَاثْبُتُوا»[2].

ثم توعَّد سبحانه الظالمينَ في لَفْظ الخبر؛ بقوله: ﴿واللَّه عليمٌ بالظالمين﴾.

وقوله تعالى: ﴿وقال لهم نبيُّهم إن اللَّه قد بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ ملكاً...﴾ الآية: قال وهْبُ بن مُنَبِّهٍ[3]: .....

---

(١) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٣٣٠).

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ١٢٠)، كتاب «الجهاد»، باب كان النبي ﷺ إذا لم يقاتل، حديث (٢٩٦٦). ومسلم (٣/ ١٣٦٢ ـ ١٣٦٣)، كتاب «الجهاد»، باب كراهة تمني لقاء العدو، حديث (٢٠/ ١٧٤٢).

(٣) وهب بن مُنَبِّه بن كامل، الأبْنَاوِي، الصَّنْعَاني، أبو عبد اللَّه الأخباري، عن ابن عباس، وجابر، وأبي سعيد، وطائفة، وعنه سِمَاك بن الفضل، وهَمَّام بن نافع، وخلق.

وثقه النسائي، قال مسلم بن خالد: لبث وهب أربعين سنة لم يرقد على فراشه، قتله يوسف بن عمر سنة عشر ومائة.

ينظر: «الخلاصة» (٣/ ١٣٨).

٤٩٠ ـــــــ

وقد حكى الطبريُّ معناه عن ابْنِ عَبَّاس وغيره[١].

واختلف في كيفيَّة إتيان التابُوتِ، فقال وهب: لما صار التابوتُ عند القوم الذين غَلَبُوا بني إِسْرَائيل، وضَعُوه في كنيسة لهم فيها أصنامٌ، فكانت الأصنام تُصْبِحُ منكَّسة، فجعلوه في قرية قَوْم، فأصاب أولئك القَوْم/ أوجاعٌ، فقالُوا: ما هذا إلاَّ لهذا التابوتِ، ٦٢ ب فلنردَّه إلى بني إسرائيل، فأخذوا عَجَلَةً، فجعلوا التابُوتَ علَيْها، وربَطُوها ببقرتَيْن، فأرسلوهما في الأرضِ نَحْو بلادِ بَني إسرائيل، فبعث اللَّه ملائكَةً تَسُوقُ البقرتَيْنِ؛ حتى دخَلَتَا به علَىٰ بني إسرائيل، وهم في أمر طَالُوتَ، فأيقنوا بالنَّصْر.

وقال قتادةُ، والربيعُ: كان هذا التابوتُ مما تركه موسَىٰ عنْد يُوشَعَ، فجعله يُوشَعُ في البريَّة، ومَرَّتْ علَيْه الدُّهُور؛ حتَّىٰ جاء وقْتُ طَالُوت، فحملَتْه الملائكةُ في الهَوَاء؛ حتى وضعته بينهم، فاَستوثَقَتْ بنو إسرائيل عند ذلك علَىٰ طالوت[٢]، وقيل غير هذا، واللَّه أعلم.

وقوله تعالى: ﴿فيه سكينةٌ من ربِّكم...﴾ الآية: قال ابن عَبَّاس: السكينةُ طَسْتٌ من ذهَبٍ من الجَنَّة[٣]، وقال مجاهدٌ: السكينة لها رأس كرأس الهِرَّة، وجنَاحَان، وذَنَب[٤].

وقال عطاءٌ: السكينة ما يعرفونَ من الآياتِ، فيسكنون إليها[٥]، وقال قتادة: ﴿سكينة من ربِّكم﴾ أي: وقار لكم من ربِّكم[٦].

قال * ع *: والصحيحُ أن التابوت كانَتْ فيه أشياء فاضلةٌ من بقايا الأنبياء وآثارهم، تَسْكُن إلى ذلك النُّفُوس، وتأنس به، ثم قَرَّر تعالَىٰ؛ أن مجيء التابوتِ آية لهم، إنْ كانوا

---

(١) أخرجه الطبري (٥/ ٣١٥)، وذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٣٣٢).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٢٤) برقم (٥٦٦٢، ٥٦٦٣)، و «المحرر الوجيز» (١/ ٣٣٢).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٢٨) برقم (٥٦٧٨)، وذكره البغوي في «معالم التنزيل» (١/ ٢٢٨)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٣٣٢)، والماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣١٦).

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٢٨) برقم (٥٦٧٥)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (١/ ٣٣٢)، و «الدر المنثور» (١/ ٥٦٢)، وعزاه السيوطي لسفيان بن عيينة، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «الدلائل» عن مجاهد.

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٢٩)، والبغوي في «تفسيره معالم التنزيل» (١/ ٢٢٨)، و «النكت والعيون» (١/ ٣١٦)، و «المحرر الوجيز» (١/ ٣٣٢).

(٦) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٢٩) برقم (٥٦٨٤)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣١٦)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٣٣٣).

ممَّن يؤمن ويُبْصر.

* ت *: وهذا يؤيِّد تأويلَ الطبريِّ المتقدِّم.

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿فلما فَصَل طالوتُ بالجنود...﴾ الآية، أي: لما اتفق ملأهم علَىٰ تمليك طالوتَ، وفصل بهم، أيْ: خرج بهم من القُطْرِ، وفَصَلَ حالَ السفر من حال الإِقامة.

قال السُّدِّيُّ وغيره: وكانوا ثمانين ألفاً[1]، ﴿قال إن اللَّه مبتليكم بنَهَرٍ﴾ أي: مختبركم، فمن ظهرت طاعته في تَرْك الماءِ، علم أنه يطيع فيما عدا ذلك، ومن غلبته شهْوَتُه في الماء، وعصى الأمر، فهو بالعصيان في الشدائد أحْرَىٰ؛ ورخَّص للمطيعين في الغُرْفة؛ ليرتفع عنهم أذى العَطَش بعض الاِرتفاعِ، وليكسروا نزاعَ النَّفْس في هذه الحال.

* ت *: ولقد أحْسَنَ من شبه الدُّنْيا بنَهَرِ طالوتَ، فمن اغْتَرَفَ منها غُرفةً بيد الزهْدِ، وأقبل علَىٰ ما يعنيه من أمر آخرته، نجا، ومَنْ أكبَّ عليها، صدَّته عن التأهُّب لآخرته، وقلَّت سلامته إلاَّ أنْ يتدارَكَه اللَّه.

قال ابن عَبَّاس: وهذا النَّهَر بيْن الأَرْدُنِّ وَفِلَسْطِينَ[2]، وقال أيضاً: هو نَهْرُ فِلَسْطِينَ[3].

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٣٩) برقم (٥٧٠٨)، وذكره السيوطي في «الدر» (١/ ٥٦٣).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٤٠) برقم (٥٧١٤)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣١٦).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٤١) برقم (٥٧١٥)، وذكره البغوي (١/ ٢٣١)، والماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣١٧)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٣٣٤)، والسيوطي في «الدر»، وعزاه لابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

قال * ع *: وظاهرُ قولِ طالوتَ ﴿إِنَّ اللَّهِ مُبْتَلِيكُمْ﴾؛ أنه بإخبار من النبيِّ لطالوتَ، ويحتمل أنْ يكون هذا مما ألهم اللَّه إليه طالوتَ، فجرَّب به جنده، وهذه النَّزْعة واجبٌ أنْ تقع من كلِّ متولِّي حَرْب، فليس يحارِبُ إلا بالجنْدِ المطيعِ، وبَيِّنٌ أن الغرفة كَافَّةُ ضرر العَطَش عنْد الحَزَمَةِ[1] الصَّابرين على شَظَف[2] العَيْش الَّذين هم في غير الرفاهيَةِ، وقوله: ﴿فَلَيْسَ مِنِّي﴾، أي: ليس من أصحابي في هذه الحَرْب، ولم يخرجْهم بذلك عن الإيمان، ومثلُ هذا قولُ النبيِّ ﷺ: «مَنْ غَشَّنَا، فَلَيْسَ مِنَّا»[3]، و «مَنْ رَمَانَا بِالنَّبْلِ، .....

---

(١) الحزمة: جمع حازم، ورجل حزيم، وهو من قوم حزماء، وحُزَّم وحُزَّام، وأحزام. وهو العاقل المميز ذو الحُنْكَةِ. ينظر: «**لسان العرب**» (٨٥٩).

(٢) الشَّظَفُ: الشدة والضيق، وَيُبْسُ العيش وشدته.
ينظر: «**لسان العرب**» (٢٢٦٧).

(٣) أخرجه مسلم (١/ ٣٤٨ـ الأبي)، كتاب «**الإيمان**»، باب قول النبي ﷺ: «من غشنا فليس منا»، حديث (١٦٤/ ١٠٢)، وأبو داود (٢/ ٢٩٤) كتاب «البيوع»، باب في النهي عن الغش، حديث (٣٤٥٢)، والترمذي (٣/ ٥٩٧)، كتاب «البيوع»، باب ما جاء في كراهية الغش في البيوع، حديث (١٣١٥)، وابن ماجة (٢/ ٧٤٩) كتاب «التجارات»، باب النهي عن الغش، حديث (٢٢٢٤)، وأبو عوانة (١/ ٥٧)، وأحمد (٢/ ٢٤٢)، والحميدي (٢/ ٤٤٧) رقم (١٠٣٣)، وابن الجارود في «**المنتقى**» رقم (٥٦٤)، وابن حبان (٤٩٠٥ـ الإحسان)، وابن مَنْدَه في «**الإيمان**» رقم (٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢)، والطحاوي في «**مشكل الآثار**» (٢/ ١٣٤)، والحاكم (٢/ ٨ ـ ٩)، والبيهقي (٥/ ٣٢٠)، كتاب «البيوع»، كلهم من طريق العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة به.
وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.
وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم.
قلت: وقد وهم رحمه اللَّه في ذلك؛ فالحديث في «**صحيح** مسلم»، كما تقدم في التخريج.
وللحديث شواهد من حديث ابن عمر، وأبي بردة بن نيار، وابن مسعود، والحارث بن سويد، وقيس بن أبي غرزة، وأبي الحمراء، وعائشة.
* حديث ابن عمر:
أخرجه أحمد (٢/ ٥٠)، والبزار (٢/ ٨٢ ـ كشف) رقم (١٢٥٥)، من طريق أبي معشر، عن نافع، عن ابن عمر؛ أن النبي ﷺ قال: «من غشَّنا فليس منا».
والحديث ذكره الهيثمي في «**مجمع الزوائد**» (٢/ ٢٨٨). وقال: رواه أحمد، والبزار، والطبراني في «**الأوسط**»، وفيه أبو معشر وهو صدوق، وضعَّفه جماعة.
وللحديث طريق آخر عن ابن عمر: أخرجه الدارمي (٢/ ٢٤٨)، كتاب «البيوع»، باب في النهي عن الغش، والقضاعي في «**مسند الشهاب**» (٣٥١)، من طريق يحيى بن المتوكل، ثنا القاسم بن عبيد اللَّه، عن عمه سالم بن عبد اللَّه، عن ابن عمر به. ويحيى بن المتوكل قال الحافظ في «**التقريب**» (٢/ ٣٥٦): ضعيف.
* حديث أبي بردة بن نيار: =

فَلَيْسَ مِنَّا»[١]، و «لَيْسَ مِنَّا مَنْ شَقَّ الجُيُوبَ، وَلَطَمَ الخُدُودَ»[٢].

وفي قوله: ﴿وَمَنْ لم يَطْعَمْهُ﴾ سدُّ الذرائعِ؛ لأنَّ أدْنَى الذَّوْق يدْخُل في لفظ الطّعم،

= أخرجه أحمد (٣/ ٤٦٦)، والبزار (١/ ٦٨ـ كشف) رقم (٦٨)، والطبراني في «**الكبير**» (٢٢/ ١٩٨) رقم (٥٢١)، وابن أبي شيبة (٧/ ٢٩٠). كلهم من طريق جميع بن عمير عن عمه، يعني أبا بردة مرفوعاً.
وقال الهيثمي في «**المجمع**» (٢/ ٣١): رواه البزار، وفيه جميع بن عمير، وثقه أبو حاتم، وضعفه البخاري وغيره.
* حديث ابن مسعود:
أخرجه ابن حبان (٥٦٧)، والطبراني في «**الكبير**» (١٠٢٣٤)، وفي «**الصغير**» (١/ ٢٦١). وأبو نعيم في «**حلية الأولياء**» (٤/ ١٨٨ ـ ١٨٩)، والقضاعي في «**مسند الشهاب**» (٢٥٣). كلهم من طريق عاصم بن بهدلة، عن زر عن ابن مسعود قال: قال رسول اللّه ﷺ: «من غشنا فليس منا، والمكر والخديعة في النار».
* حديث الحارث بن سويد:
أخرجه الحاكم (٢/ ٩).
* حديث قيس بن أبي غرزة:
أخرجه أبو يعلى (٢/ ٢٣٣) رقم (٩٣٣)، من طريق الحكم بن عتيبة، عن قيس بن أبي غرزة مرفوعاً بلفظ: «من غش المسلمين فليس منهم».
وذكره الهيثمي في «**مجمع الزوائد**» (٤/ ٨٢)، وقال: رواه الطبراني في «**الكبير**» و «**الأوسط**»، ورجاله ثقات، وذكره الحافظ في «**المطالب العالية**» (١٣٦١)، وعزاه إلى أبي يعلى.
* حديث أبي الحمراء:
أخرجه ابن ماجة (٢/ ٧٤٩) كتاب «التجارات»، باب النهي عن الغش، حديث (٢٢٢٥)، من طريق أبي داود، عن أبي الحمراء به مرفوعاً.
وأبو داود هو نفيع بن الحارث الأعمى متروك؛ كذبه ابن معين، وغيره.
* حديث عائشة:
أخرجه البزار (٢/ ٨٣ـ كشف) رقم (١٢٥٦)، وقال البزار: لا نعلمه عن عائشة إلا بهذا الإسناد، والحديث ذكره الهيثمي في «**المجمع**» (٤/ ٨١)، وقال: ورجاله ثقات.

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١١/ ٢٢١) رقم (١١٥٥٣)، من طريق عكرمة عن ابن عباس.

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ١٦٣)، كتاب «الجنائز»، باب ليس منا من شق الجيوب، حديث (١٢٩٤)، ومسلم (١/ ٩٩)، كتاب «الإيمان»، باب تحريم ضرب الخدود، حديث (١٦٥/ ١٠٣). والترمذي (٣/ ٣١٥)، كتاب «الجنائز»، باب ما جاء في النهي عن ضرب الخدود، حديث (٩٩٩)، والنسائي (٤/ ٢٠)، كتاب «الجنائز»، باب ضرب الخدود، وابن ماجة (١/ ٥٠٤ ـ ٥٠٥)، كتاب «الجنائز»، باب ما جاء في النهي عن ضرب الخدود وشق الجيوب، حديث (١٥٨٤). وأحمد (١/ ٤٣٢)، والطيالسي (١/ ١٥٧ـ منحة) رقم (٧٤٧). وأبو يعلى (٩/ ١٢٧) رقم (٥٢٠١)، والبيهقي (٤/ ٦٤) كتاب «الجنائز»، والبغوي في «**شرح السنة**» (٣/ ٢٨٨ـ بتحقيقنا)، من حديث عبد اللّه بن مسعود به.
وقال الترمذي: هذا حديث حَسَنٌ صحيح.

فإذا وقع النَّهْيُ عن الطُّعْم، فلا سبيل إلى وقوع الشُّرْبِ ممَّن يتجنَّب الطعْم، ولهذه المبالغةِ لم يأْتِ الكلامُ: ومَنْ لَمْ يَشْرَبْ مِنْهُ.

* ص *: ﴿إلاَّ من ٱغترف غُرْفَةً بيده﴾: استثناءٌ من الجملة الأولَىٰ، وهو قوله: ﴿فَمَنْ شَرِبَ منْهُ فليس منِّي﴾، أيْ: إلاَّ من ٱغترَفَ غُرْفة بيَده، دون الكَرْع،/ فهو منِّي، ٦٣أ والاستثناء إذا تعقَّب جملتين فأكثر، أمكَنَ عَوْده إلى كلٍّ منها، فقيل: يعود على الأخيرة، وقيل: إلى الجميع[1].

وقال أبو البقاء: إنْ شئتَ، جعلته مِنْ «مَنِ» الأولَىٰ، وإنْ شئتَ مِنْ «مَنِ» الثانيةِ، وتُعُقِّبَ؛ بأنه لو كان استثناءً من الثانية، وهي: ﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي﴾، لَلَزِمَ أنْ يكون: ﴿مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةً﴾ ليس منه؛ لأن الاستثناء من الإثبات نفيٌ، ومن النفي إثبات؛ على الصحيح، وليس كذلك؛ لأنه أبيحَ لهم الاغترافُ، والظاهر عوده إلى الأولَىٰ، والجملةُ الثانية مفهومةٌ من الأولَىٰ، لأنه حين ذكر أنَّ من شربه، فليس منه، فُهِمَ من ذلك أنَّ مَنْ لم يشرب منه، فإنه منه. انتهى.

ثم أخبر تعالى؛ أن الأكثر شَرِبَ، وخالَفَ ما أريد منه، روي عن ابن عَبَّاس وغيره؛ أن القوم شَرِبوا على قدر يقينهم، فشرب الكُفَّار شُرْبَ الهيم، وشرب العاصُون دُون ذلك، وٱنصرفَ من القوْمِ ستَّة وسبْعُون ألفاً، وبقي بعض المؤمنين، لم يَشْرَبْ شيئاً، وأخذ بعضهم الغُرْفة، فأما مَنْ شَرب، فلم يرو، بل برَّح به العطش، وأما من ترك الماء، فَحَسُنَتْ حاله،

---

(١) الصحيحُ أنه يعود على الجملة الأولى وهي: ﴿فَمَنْ شَرِبَ منه فليس مني﴾، والجملة الثانيةُ معترضَةٌ بين المستثنى والمستثنَى منه، وأصلُها التأخيرُ، وإنَّما قُدِّمَتْ؛ لأنها تَدُلُّ عليها الأولى بطريقِ المفهوم، فإنَّه لَمَّا قال تعالى: ﴿فَمَنْ شَرِبَ منه فليس مني﴾ فُهِمَ منه أنَّ مَنْ لم يَشربْ فإنَّه منه، فلمَّا كانَتْ مدلولاً عليها بالمفهوم صارَ الفصلُ بها كَلا فصل. وقال الزمخشري: «والجملةُ الثانية في حكم المتأخِرة، إلاَّ أنها قُدِّمَتْ للعنايةِ، كما قُدِّمَ «والصابئون» في قولِهِ: ﴿إن الذين آمنوا والذينَ هادُوا والصابِئون﴾ [الحج: ١٧].

والثاني: أنه مستثنى من الجملةِ الثانيةِ، وإليه ذهب أبو البقاء. وهذا غيرُ سديدٍ لأنه يؤدِّي إلى أن المعنى: ومَنْ لم يَطْعَمْه فإنه مني إلاَّ مَنِ اغتَرَف بيدِهِ فإنه ليس مني؛ لأنَّ الاستثناءَ من النفي إثباتٌ، ومن الإثباتِ نفيٌ، كما هو الصحيحُ، ولكن هذا فاسدٌ في المعنى؛ لأنهم مفسوحٌ لهم في الاغترافِ غَرفةً واحدةً.

والاستثناء إذا تعقَّبَ الجملَ وصَلَحَ عَوْدُهُ على كلٍّ منها هل يختصُّ بالأخيرة أم لا؟ خلافٌ مشهورٌ، فإنْ دَلَّ دليلٌ على اختصاصِهِ بإحدى الجملِ عمِلَ به، والآيةُ من هذا القبيلِ، فإنَّ المعنى يعود إلى عَوْدِهِ إلى الجملَةِ الأولى لا الثانيةِ لِمَا ذكرْتُ لك.

ينظر: «**الدر المصون**» (١/ ٦٠٥).

وكان أَجْلَدَ ممن أخذ الغُرْفَةَ[١].

وقوله تعالى: ﴿فلما جاوَزَهُ هو والذين آمنوا معه...﴾ الآية: أكثر المفسِّرين على أنه إنَّما جاوز النَّهَرَ مَنْ لم يشرَبْ إلا غُرْفة، ومن لم يَشْرَبْ جملةً، ثم كانَتْ بصائرُ هؤلاء مختلفةً؛ فبعضٌ كَعٌّ، وقليلٌ صَمَّم، وهم عِدَّة أهل بدرٍ ثَلاثُمِائَةٍ، وبضْعَةَ عَشَرَ رَجُلاً.

وقوله تعالى: ﴿قالوا لا طاقَةَ﴾.

قال ابن عبَّاس: قال كثير من الأربعةِ الآلافِ الباقيَةِ مع طالُوت، الذين جاوزوا النَّهَر: ﴿لا[٢] طاقة لنا﴾ علَىٰ جهة الفَشَل، والفزع من الموت، وٱنصرفوا عن طالوتَ، فقال المؤمنون الموقنُون بالبَعْث، والرجوعِ إلى اللَّه تعالَىٰ، وهم عِدَّة أهل بَدْر: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ﴾، والظنُّ علَىٰ هذا القول: اليقينُ، والفئةُ: الجماعة التي يرجعُ إليها في الشدائد، وفي قولهم - رضي اللَّه عنهم - ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ...﴾ الآية: تحريضٌ بالمثالِ، وحضٌّ واستشعارٌ للصبر، وٱقتداءٌ بمن صَدَق ربَّه، ﴿واللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ بنصره وتأييده.

وقوله تعالى: ﴿ولما برزوا لجالوتَ وجنوده قالوا ربَّنا أفرغْ علينا صبْراً...﴾ الآية: ﴿بَرَزُوا﴾: معناه صَارُوا في البَرَازِ، وهو الأفْيَحُ من الأرض المتَّسِع، والإِفْرَاغُ: أعظم الصبِّ، وكان جالوتُ أمير العمالقة، ومَلِكَهُم، ورُوِيَ في قصَّة داود وقَتْله جالوتَ؛ أنَّ أصحَابَ طالُوتَ كان فيهم إخوة دَاوُد، وهم بنو أيش، وكان داود صغيراً يرعَىٰ غنَماً لأبيه، فلمَّا حضَرَتِ الحربُ، قال في نفْسه: لأذهبنَّ لرؤية هذه الحرْب، فلمَّا نهض مَرَّ في طريقه بحَجَر، فناداه: يا دَاوُد، خُذْنِي، فَبِي تَقْتُلُ جالُوتَ، ثم ناداه حَجَرٌ آخَرُ، ثم آخر، ثم آخَرُ، فأخَذَها، وجعَلَها في مِخْلاَتِهِ، وسار، فلَمَّا حَضَر البأْسُ، خَرَجَ جالُوتُ يطلب مُبَارِزاً، فكَعَّ الناسُ عَنْه؛ حتَّىٰ قال طالوتُ: مَنْ بَرَز له، ويَقْتُلُه، فأنا أزوِّجه ابنَتِي، وأحكِّمه في مالِي، فجاء داوُدُ، فقال: أنا أَبْرُزُ له، وأقتلُه، فقال له طالوت: فَٱرْكَبْ فَرَسِي، وخُذْ سلاحِي، ففَعَلَ، وخَرَج في أحْسَنِ شِكَّةٍ، فلمَّا مشَىٰ قَليلاً، رجَع، فقال الناسُ: جَبُنَ الفَتَىٰ، فقَالَ داوُد: إنَّ اللَّه سبحانه، إنْ لم يَقْتُلْهُ لِي، ويعينَنِي علَيْه، لم ينفعْنِي هذا الفَرَسُ، ولا هذا السِّلاحُ، ولكنِّي أحبُّ أنْ أقاتِلَهُ علَىٰ عادَتِي، قال: وكان داوُدُ من أرْمَى النَّاس بالمِقْلاعِ، فنَزَلَ، وأخَذَ مِخْلاَتَه،/ فتقلَّدها، وأخَذَ مِقْلاَعه، فخَرَج إلى جَالُوتَ، وهو شَاكٍ فِي السِّلاحِ، فقال له جالوت: «أنْتَ، يا فَتَىٰ، تَخْرُجُ إِلَيَّ». قَالَ: نعم، قال: هكذا؛ كما ٦٣ ب

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٤٥) بنحوه، وذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٣٣٥).

(٢) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (١/ ٣٣٦).

يُخْرَجُ إلى الكَلْبِ، قال: نعم، وأنتَ أهْوَنُ، قَالَ: لَأُطْعِمَنَّ اليَوْمَ لَحْمَكَ الطيرَ، والسِّبَاعَ، ثُمَّ تدَانَيَا، فأدار دَاوُدُ مِقْلاَعَهُ، وأدْخَلَ يدَهُ إلى الحجارةِ، فرُوِيَ أنَّها ٱلْتَأَمَتْ، فصارَتْ واحداً، فأخذه، ووضَعَه في المِقْلاَعِ، وسمَّى اللَّهَ، وأدارَهُ، ورَمَاه، فأصَابَ به رَأسَ جالُوت، فقتله، وحزَّ رأسَهُ، وجعَلَهُ في مِخْلاَته، وٱختَلَطَ النَّاسُ، وحَمَل أصْحَاب طالُوتَ، وكانَتِ الهزيمةُ، ثم إنَّ داوُدَ جاء يَطْلُبُ شرطَهُ من طالُوتَ، فقال له: إن بناتِ المُلُوكِ لهُنَّ غرائِبُ من المَهْرِ، ولا بُدَّ لك من قَتْل مائَتَيْنِ من هؤُلاَء الجَرَاجِمَةِ[1] الذينَ يُؤْذُونَ النَّاس، وتجيئَنِي بغُلُفِهِمْ[2]، وطمع طالوتُ أنْ يُعَرِّض داوُدَ للقَتْلِ بهذه النَّزْعَة، فقَتَل داوُدُ منهم مائَتَيْنِ، وجاء بذلك، وطَلَبَ امرأته، فدَفَعَهَا إليه طالُوتُ، وعَظُم أمْرُ داود، فيُرْوَىٰ؛ أنَّ طالُوتَ تخلَّىٰ له عن المُلْك، وصار هو المَلِكَ، وقد أكْثَر الناس في قَصَص هذه الآية، وذلك كلُّه لَيِّن الأَسانيد؛ فلذلك انتقَيْتُ منه ما تنفكُّ به الآية، ويعلم به مناقلُ النازلة.

وأما الحكْمَةُ التي آتاه اللَّه، فَهِيَ النبوَّة، والزَّبُور، وعلَّمه سبحانه صَنْعَة الدُّرُوع، ومَنْطِقَ الطَّيْر، وغيْرَ ذلك من أنواع علْمه ـ صلَّى اللَّه علَىٰ نبيِّنا وعلَيْه ـ.

وقوله تعالى: ﴿ولوْلا دَفْعُ اللَّه الناسَ بعضَهُمْ ببَعْضٍ لفسدت الأرْضُ...﴾ الآية: أخبر اللَّه سبحانه في هذه الآية؛ أنه لوْلاَ دفعه بالمؤمنين في صدور الكَفَرة علَىٰ مرِّ الدَّهْر، لَفَسَدَتِ الأرْض؛ لأن الكُفْر كان يطبقها، ولكنه سبحانه لا يُخْلِي الزمانَ مِنْ قَائِمٍ بحقٍّ، وداعٍ إلى اللَّه إلى أنْ جعل ذلك في أمَّة محمَّد إلَىٰ قيامِ السَّاعة له الحَمْدُ كَثيراً.

* ص *: ﴿وَلَكِنَّ﴾ استدراكٌ بإثبات الفضل للَّه سبحانه علَىٰ جميع العالمين؛ لما يتوهَّمه من يريد الفَسَاد؛ أنَّ اللَّه غير متفضِّل عليه؛ إذ لم يبلِّغه مقاصده؛ وٱحتيج إلَىٰ هذا التقديرِ؛ لأن «لَكِنَّ» تكونُ بين متنافِيَيْن بوجْهٍ مَّا. انتهى.

والإشارةُ بـ ﴿تِلْكَ﴾ إلى ما سلف من القصص والأنباء، وفي هذه القصَّة بجملتها مثالٌ عظيمٌ للمؤمنين ومعتَبَرٌ، وقد كان أصحابُ نبيِّنا محمَّد ﷺ معدِّين لحَرْب الكفَّار، فلهم في هذه النازلة معتَبَرٌ يقتضي تقْوِيَة النفُوسِ، والثقَةَ باللَّه سبحانه، وغيْرَ ذلك من وجوه العِبَر.

---

(١) أي لصوص يستلبون الناس، وينتهبونهم. والجراجمة: قوم من العجم بالجزيرة. ويقال: الجراجمة نَبَطُ الشام. ينظر: «لسان العرب» (٥٨٦).

(٢) هو جمع غِلافٍ، والغلاف ما اشتمل على الشيء، والغلاف: غلاف السيف والقارورة، وسيف أغلف، وقوس غلفاء، وكذلك كل شيء في غلاف. ورجل مُغَلَّفٌ: عليه غلاف من هذه الأدَم ونحوها. ينظر: «لسان العرب» (٣٢٨٢، ٣٢٨٣).

﴿۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾

قوله سبحانه: ﴿تلك الرسُلُ فضَّلنا بعضهم علَىٰ بعضٍ...﴾ الآية: «تِلْكَ»: رفعٌ بالابتداءِ، والرسُل: خبره، ويجوز أنْ يكُونَ «الرُّسُلُ» عطْفَ بيانٍ، و «فَضَّلْنَا»: الخبَر، و «تِلْكَ»: إشارة إلى جماعة، ونصَّ اللَّه سبحانه في هذه الآية علَىٰ تفضيل بعْض النَّبيِّين عَلَىٰ بعضٍ من غير تعْيين.

وقوله تعالَىٰ: ﴿ورفَعَ بعضَهُم درجاتٍ﴾:

قال مجاهد وغيره: هي إشارة إلى نبيِّنا محمَّد ﷺ؛ لأنه بعث إلى الناس كافَّة، وأعطي الخُمُسَ الَّتي لَمْ يُعْطَهَا أَحَدٌ قبله، وهو أعْظَمُ النَّاس أمَّةً، وختم اللَّه به النبوَّات[1] إلى غير ذلك ممَّا أعطاه من الخُلُقِ العظيم، ومِنْ معجزاتِهِ، وباهرِ آياته، ويَحْتَمِلُ اللفْظُ أن يراد به نبيُّنا محمَّد ﷺ وغيره ممَّن عظُمَتْ آياته، وبيِّناتُ عيسَىٰ - عليه السلام - إحياءُ الموتَىٰ، وإبراء الأكْمَه، والأبْرَص، وخَلْق الطَّيْر من الطِّين، ورُوحُ القُدُسِ جبريلُ - عليه السلام - وقد تقدَّم/ ما قال العلماءُ فيه. ١٦٤أ

وقوله تعالى: ﴿ولو شاء اللَّه ما ٱقتتل الذين من بعدهم...﴾ الآية: معنى الآيةِ: ولو شاء اللَّه ما ٱقتتلَ النَّاس بعد كُلِّ نبيٍّ، فمنهم مَنْ آمَنَ، ومِنْهُمْ مَنْ كفر بغياً وحَسَداً، وعلى حُطَامِ الدنيا، وذلك كلُّه بقضاء، وقَدَرٍ، وإرادةٍ من اللَّه سبحانه، ولو شاء اللَّه خلافَ ذلك، لكانَ، ولكنَّه المستأْثِرُ بسرِّ الحكمة في ذلك، وهو الفَعَّال لما يريد سبحانه.

* ص *: ﴿ولو شاء اللَّه ما ٱقتتل﴾، قيل: في الكلام حذْفٌ، أي: فٱختلف أممهم، فٱقْتَتَلُوا، ولو شاء اللَّهُ، فمفعولُ «شَاءَ» محذوفٌ، أي: «ألاَّ يَقْتَتِلُوا» انتهى.

وقوله: ﴿ما ٱقتتلُوا﴾، أي: بأنْ قاتل المؤمنُونَ الكافرينَ علَىٰ مَرِّ الدهْر، وذلك هو

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٣) برقم (٥٧٥٧) بنحوه، وذكره ابن عطية (١/ ٣٣٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٥٧١)، وعزاه لآدم بن أبي إياس، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «الأسماء والصفات».

دفَاعُ اللَّه النَّاسَ بعضَهُم ببعض.

قوله تعالى: ﴿يأيُّها الذين آمنوا أنفقوا ممَّا رزقْناكم...﴾ الآيةَ، قال ابن جُرَيْج: هذه الآيةُ تجمعُ الزكاةَ والتطوُّع، أي[1]: وجميعَ وجوهِ البرِّ من سبيلِ وصلةِ رحم، وهذا كلامٌ صحيحٌ، لكن ما تقدَّم من الآيات في ذكْر القتَالِ يرجِّح أنَّ هذه النفقةَ في سَبيلِ اللَّه، ويقوِّي ذلك قولُه: ﴿والكَافِرُونَ هم الظَّالمُونَ﴾، أي: فكافِحُوهم بالقتَالِ بالأنْفُس، وإنفاقِ الأموال ممَّا رزقْنَاكم، وهذا غاية الإنعام والتفضُّل منه سبحانه؛ أنْ رَزَق، ثم نَدَب للنفقةِ ممَّا به أنعم، وحذَّر سبحانه من الإمساك إلى أنْ يأتي يَوْم لا يمكنُ فيه بيْعٌ، ولا شراءٌ، ولا استدراكُ نفقةٍ في ذاتِ اللَّه تعالَىٰ، إذ هي مبايعةٌ إذ البيعُ فديةٌ؛ لأن المرء قد يشتري نفْسَه، ومرادَهُ بماله؛ فكأن معنى الآية أنْ لا فديةَ يوم القيامة، ولا خُلَّةَ نافعة، وأهل التقوَىٰ في ذلك اليَوْمِ بينهم خُلَّة، ولكنَّه غير محتاج إلَيْها.

* ت *: وفي قوله: «غَيْر مُحْتَاجٍ إلَيْهَا» قلقٌ، ولا شفاعة يَومَئِذٍ إلا لِمَنْ أذن له سبحانه، فالمنفيُّ مثل حال الدُّنيا من البَيْع، والخُلَّة، والشَّفاعة؛ بغير إذْن المَشْفوع عنده، قال عطاءُ بن دِينَار: الحَمْدُ للَّهِ الَّذي قال: ﴿والكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، ولم يقلْ: والظَّالمُونَ هم الكافرون[2].

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿اللَّه لا إله إلا هو الحيُّ القيوم...﴾ الآية: هذه الآيةُ سيِّدة آي القرآن، وورد في الحديثِ؛ «أنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآن»[3]، وورد «أنَّ مَنْ قَرَأَهَا أَوَّلَ لَيْلِهِ، لَمْ يَقْرَبْهُ شَيْطَانٌ»؛ وكذلك مَنْ قَرَأَهَا أَوَّلَ نَهارِهِ[4]، وهي متضمِّنة التوحيدَ والصِّفاتِ العُلاَ،

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٥) برقم (٥٧٦٢)، وذكره البغوي في «تفسيره»، وذكره أيضاً ابن عطية في «تفسيره» (١/ ٣٣٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٥٧١)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٦) برقم(٥٧٦٤)، وذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز»، (١/ ٣٤٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٥٧١)، وعزاه لابن جرير، وابن أبي حاتم.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٩٦١)، وأبو يعلى كما في «النكت الظراف» (١/ ٣٨)، وابن حبان (٧٨٤). وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (٢/ ٧٦٥)، والحاكم (١/ ٥٦٢). والبيهقي في «الدلائل» (٧/ ١٠٩). والطبراني (٥١٤). كلهم من حديث أبي بن كعب؛ أنه كان له جرن فيه تمر، فكان=

وعن أنسِ بنِ مالكٍ، قال: قال النبيُّ ﷺ لفاطمةَ: «مَا مَنَعَكِ أَنْ تَسْمَعِي، مَا أَوْصَيْتُكِ بِهِ، تَقُولِينَ، إِذَا أَصْبَحْتِ، وَإِذَا أَمْسَيْتِ: يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلاَ تَكِلْنِي إِلَىٰ نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ»، رواه النَّسائيُّ، واللفظ له، والحاكمُ في «**المستدرك**» عَلَى الصَّحيحَيْن، وقال: صحيحٌ علَىٰ شرط الشيخَيْن، يعني البخاريَّ ومسلماً[1]. انتهى من «**السِّلاح**».

وعن ابن مسعود؛ أَنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ إِذَا نَزَلَ بِهِ هَمٌّ أَوْ غَمٌّ، قَالَ: «يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ» رواه الحاكم في «**المستدرك**»، وقال: صحيح الإسناد[2]، ورواه الترمذيُّ من حديث أنسٍ[3]، والنَّسائيّ من حديثِ رَبِيعَةَ بْنِ عامرٍ[4]، انتهى من «**السِّلاح**».

واللَّه: مبتدأ، ولا إِلَهَ: مبتدأ ثانٍ، وخبره محذوفٌ، تقديره معبودٌ أو موجودٌ، وقَيُّوم: بناءُ مبالغةٍ، أي: هو القائم على كلِّ نفس بما كَسَبَتْ؛ بهذا المعنىٰ/ فسَّره مجاهدٌ، والرَّبيع، والضَّحَّاك[5]، ثم نفى عزَّ وجلَّ؛ أنْ تأخذه سِنَةٌ أو نَوْم، وفي لفظٍ: الأَخْذُ غَلَبَةٌ ٦٥أ

= يتعاهده، فوجده ينقص، فحرسه ذات ليلة، فإذا هو بدابة شبه الغلام المحتلم قال: فسلمت، فرد السلام، فقلت: من أنت؟ جني أم إنسي؟ قال: جني. قلت: ناولني يدك، فناولني، فإذا يداه يد كلب، وشعره شعر كلب، فقلت: هكذا خلق الجن؟ قال: لقد علمت الجن أن ما فيهم من هو أشد مني، قلت: ما حملك على ما صنعت؟ قال: بلغني أنك رجل تحب الصَّدقة، فأحببنا أن نصيب طعامك، فقال له أبيٌّ: فما الذي يجيرنا منكم، قال: هذه الآية آية الكرسي التي في «سورة البقرة»، من قالها حين يمسي أجير منا حتى يصبح، ومن قالها حين يصبح أجير منا حتى يمسي، فلما أصبح أتى رسول اللَّه ﷺ فأخبره فقال: «صدق الخبيث».

(١) أخرجه الحاكم (١/ ٥٤٥)، كتاب «الدعاء»، من حديث أنس بن مالك.
وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه الحاكم (١/ ٥٠٩)، من طريق وضاح بن يحيى النهشلي، ثنا النضر بن إسماعيل البجلي، ثنا عبد الرحمن بن إسحاق، ثنا القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه، عن ابن مسعود به، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وتعقبه الذهبي. فقال: عبد الرحمن لم يسمع من أبيه، ومن بعده ليسوا بحجة.

(٣) أخرجه الترمذي (٥/ ٥٣٩) كتاب «الدعوات»، باب (٩٢)، حديث (٣٥٢٤)، من طريق يزيد الرقاشي عن أنس به. وقال: هذا حديث غريب.

(٤) ربيعة بن عامر، صحابي له حديث. وعنه يحيى بن حسان، شيخ لابن المبارك. ينظر: «**الخلاصة**» ت (٢٠٤١).

(٥) أخرجه الطبري في «**تفسيره**» (٣/ ٧) برقم (٥٧٦٧، ٥٧٧٠)، وذكره البغوي في «**تفسيره**» (١/ ٢٣٨)، وابن عطية في «**المحرر الوجيز**» (١/ ٣٤٠)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (١/ ٥٧٩)، وعزاه لابن جرير، وابن أبي حاتم عن الربيع، ولآدم بن أبي أياس، وابن جرير، والبيهقي عن مجاهد.

مًا، فلذلك حَسُنَتْ في هذا الموضِعِ بالنفْيِ، والسِّنَةُ: بدْء النُّعَاس، وليس يفقد معه كلّ الذِّهْن، والنَّوْمُ هو المستثْقَلُ الذي يزولُ معه الذهْن، والمراد بالآية: التنزيهُ أنه سبحانه لا تدركُه آفة، ولا يلحقه خَلل بحالٍ من الأحوال، فجعلت هذه مثالاً لذلك، وأقيمَ هذا المذكورُ من الآفاتِ مقام الجميعِ، وهذا هو مفهومُ الخطَابِ[1]؛ كما قال تعالى: ﴿فلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾ [الإسراء: ٢٣].

* ت *: وبيانه أنه إذا حرم التأفيف، فَأحْرَىٰ ما فوقه من الشَّتْم، والضَّرْب في حقِّ الأبوَيْن، وروَىٰ أبو هريرة، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَحْكِي عَنْ مُوسَىٰ عَلَى المِنْبَرِ، قَالَ: «وَقَعَ فِي نَفْسِ مُوسَىٰ: هَلْ يَنَامُ اللَّهُ ـ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ـ فَأَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكاً فَأَرَّقَهُ ثَلاَثاً، ثُمَّ أَعْطَاهُ قَارُورَتَيْنِ فِي كُلِّ يَدٍ قَارُورَةً، وأَمَرَهُ بِأَنْ يَحْتَفِظَ بِهِمَا، قَالَ: فَجَعَلَ يَنَامُ، وتَكَادُ يَدَاهُ تَلْتَقِيَانِ، ثُمَّ يَسْتَيْقِظُ، فَيَحْبِسُ إِحْدَاهُمَا عَنِ الأُخْرَىٰ؛ حَتَّىٰ نَامَ نَوْمَةً، فَٱصْطَفَقَتْ يَدَاهُ، فَٱنْكَسَرَتِ القَارُورَتَانِ، قَالَ: ضَرَبَ اللَّهُ لَهُ مَثَلاً أَنْ لَوْ كَانَ يَنَامُ، لَمْ تَسْتَمْسِكِ السَّمَاءُ وَالأَرْضِ»[2].

قوله تعالَىٰ: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وما في الأرض﴾، أي: بالملك؛ فهو مالكُ الجميع، وربُّه، ثم قرَّر، ووَقَفَ تعالَىٰ من يتعاطَىٰ أنْ يشفع إلاَّ بإذنه، أي: بأمره.

* ص *: ﴿مَنْ ذا الذي يَشْفَعُ عنده﴾: «مَنْ»: مبتدأ، وهو ٱستفهامٌ معناه النفْيُ؛ ولذا دخلَت «إلاَّ» في قوله: ﴿إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾، والخبر «ذَا»، و «الَّذِي» نعْتٌ لـ «ذَا» أو بدل منه، وهذا على أنَّ «ذا» اسمُ إشارةٍ، وفيه بُعْد؛ لأن الجملة لم تستقلَّ بـ «مَنْ» مع «ذَا»، ولو كان خبراً، لاستقلَّ، ولم يحتجْ إلى الموصولِ، فالأولَىٰ أنَّ «مَنْ» ركِّبت مع «ذَا» لِلاَّستفهامِ. انتهى.

---

(١) يُطْلَقُ المَفهُومُ، ويُقْصَدُ بِهِ مَعْنًى دَلَّ عليه اللَّفْظُ لاَ فِي مَحَلِّ النُّطْقِ، أَوْ هُو: «دلالة اللَّفْظِ عَلَى مَعْنًى في غَير مَحَلِّ النُّطْقِ؛ بأن يكون ذلك المعنى حكماً لغَيْر المذكور في الكلام، وحالاً من أحْوَالِهِ، سواء كان ذلك الحكم مُوَافِقاً لحكم المَذْكُور، أو مخالفاً له.

ينظر: **«المفهوم»** لشيخنا الخضراوي، و **«شرح العضد»** (٢/ ١٧١)، و **«البرهان»** (١/ ٤٤٩)، و **«العدة»** (١/ ١٥٤)، و **«الإحكام»** للآمدي (٣/ ٦٢)، و **«جمع الجوامع»** (١/ ٢٤٠)، و **«الآيات البينات»** (٢/ ١٥، ٢٣)، و **«شرح الكوكب»** (٣/ ٤٨٠، ٤٨٩)، و **«روضة الناظر»** (١٣٨، ١٣٩)، و **«إرشاد الفحول»** (١٧٨ـ ١٩٨)، و **«تيسير التحرير»** (١/ ٩١ ـ ٩٨)، و **«فواتح الرحموت»** (١/ ٤١٣ ـ ٤١٤)، و **«شرح التنقيح»** (٥٣)، و **«الحدود»** للباجي (٥٠)، و **«نشر البنود»** (١/ ٩٤ ـ ٩٨)، و **«المدخل»** (٢٧١).

(٢) أخرجه الطبري في **«تفسيره»** رقم (٥٧٨٠) عن أبي هريرة مرفوعاً.

قال مجاهدٌ وغيره: ﴿ما بَيْنَ أيديهِمْ﴾: الدُّنيا، ﴿وما خَلْفهم﴾: الآخرة[١]، وهذا صحيحٌ في نفْسه عند موت الإنسان؛ لأن ما بين اليَدِ هو كلُّ ما تقدَّم الإنسان، وما خَلْفه: هو كلُّ ما يأتي بعده، ﴿ولاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾، أي: مِن معلوماته؛ لأن علْم اللَّه تعالَىٰ لا يتبعَّض، ومعنى الآية: لاَ مَعْلُومَ لأحدٍ إلا ما شاء اللَّه أنْ يعلمه، قال ابن عبَّاس: كُرْسيُّه: علْمه[٢] [قالَ] الطبريُّ[٣]: ومنه الكُرَّاسَة.

قال * ع[٤] *: والذي تقتضيه الأحاديثُ أنَّ الكرسيَّ مخلوقٌ عظيمٌ بَيْن يَدَي العَرْشِ، والعَرْشُ أعظمُ منْه؛ وقد قال رُسولُ اللَّه ﷺ: «مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ فِي الكُرْسِيِّ إلاَّ كَدَرَاهِمَ سَبْعَةٍ أُلْقِيَتْ فِي تُرْسٍ» وقال أبو ذَرٍّ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا الكُرْسيُّ فِي العَرْش إلاَّ كَحَلْقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُلْقِيَتْ فِي فَلاَةٍ مِنَ الأَرْضِ»[٥] وهذه الآية مُنْبِئَةٌ عن عِظَم مخلوقاتِ اللَّه سبحانَهُ، والمستفادُ من ذلك عِظَمُ قدرتِهِ ـ جل وعلا ـ؛ إذ لا يَؤُوده حفْظُ هذه المخلوقاتِ العظيمةِ، ﴿ولاَ يؤُودُهُ﴾: معناه: لا يُثْقِلُهُ، ولا يشقُّ عليه، وهو تفسيرُ ابن عبَّاس وغيره، و ﴿العَلِيُّ﴾: يراد به عُلُوُّ القَدْر، والمنزلةِ، لا عُلُوُّ المكانِ؛ لأن اللَّه سبحانه منزَّه عن التَّحَيُّز؛ وكذا ﴿العظيمُ﴾: هو صفةٌ؛ بمعنى عِظَم القَدْر، والخَطَر، لا علَىٰ معنى عِظَم الأجْرَام، ومن «**سلاح المؤمن**» قال: وعن أبي أُمَامَةَ، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ آيَةَ الكُرْسِيِّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ مَكْتُوبَةٍ، لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ دُخُولِ الجَنَّةِ إلاَّ أَنْ يَمُوتَ». رواه النَّسَائِيُّ[٦] عن الحُسَيْن بن بِشْرٍ[٧] .....

---

(١) أخرجه الطبري في «**تفسيره**» (٣/ ١١) برقم (٥٧٨٣)، وذكره البغوي في «**تفسيره**» (١/ ٢٣٩)، وابن عطية في «**تفسيره**» (١/ ٣٤١)، والسيوطي في «**الدر المنثور**»، وعزاه لابن جرير (١/ ٥٨٠).

(٢) أخرجه الطبري في «**تفسيره**» (٣/ ١١) برقم (٥٧٨٨)، وذكره ابن عطية في «**تفسيره**» (١/ ٣٤٢)، والماوردي في «**تفسيره**» (١/ ٣٢٥)، وابن كثير في «**تفسيره**» (١/ ٣٠٩)، والسيوطي في «**تفسيره**» (١/ ٥٨٠)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «**الأسماء والصفات**» عنه.

(٣) ذكره الطبري (٣/ ١٢).

(٤) ذكره ابن عطية (١/ ٣٤٢).

(٥) أخرجه الطبري في «**تفسيره**» (٣/ ١٠)، وأبو الشيخ في «**العظمة**» (٢/ ٥٨٧)، من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن أبي ذر.
وقال ابن كثير في «**البداية والنهاية**» (١/ ١٣): أول الحديث مرسل، وعن أبي ذر منقطع.
وقال الذهبي: «**العلو**» (ص ٩١): هذا مرسل، وعبد الرحمن ضعيف.

(٦) أخرجه النسائي في «**الكبرى**» (٦/ ٣٠) كتاب «عمل اليوم والليلة»، باب من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة، حديث (٩٩٢٨).

(٧) الحسين بن بِشر الطَّرَسُوسي، عن محمد بن حِمْيَر، وحَجَّاج بن محمد، وعنه النسائي، ووثقه، قال=

عن محمَّد بن حِمْيَرَ[١]، عن محمَّد بن زِيَادٍ/ الألهانيِّ، عن أبي أُمَامَةَ، فأما الحُسَيْن، فقال ٦٥ ب
فيه النَّسائيُّ: لا بأس به، وقال في موضِعٍ آخر: ثِقَة، وقال أبو حاتِم: شيخ، وأما المُحمَّدان، فاحتجَّ بهما البخاريُّ في «**صحيحه**»، وقد أخرج شيخُنا الحافظُ أبو محمَّد الدِّمْيَاطِيُّ[٢] ـ رحمه اللَّه ـ الْحَدِيثَ في بَعْضِ تصانِيفِهِ مِنْ حديثِ أَبِي أَمَامَةَ، وعليٍّ، وعبد اللَّه بنِ عُمَر، والمُغِيرَة، وجابرٍ، وأَنَس، قال: وإِذَا ضمت هذه الأحاديث بعضُها إِلَىٰ بعض، أخذت قوة. انتهى من «**السلاح**».

وقد أَخْرج البخاريُّ والنَّسَائِيُّ من حديث أبي هُرَيْرة في قصَّته مع الشَّيْطَان وأَخْذِهِ الطَّعام، ما هو مَعْلُومٌ من فَضْل هذه الآية.

وفيه: أنه إذا قرأْتَهَا حِينَ تَأوي إِلَىٰ فِرَاشِكَ، لَمْ يَزَلْ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلاَ يَقْرَبْكَ شَيْطَانٌ؛ حَتَّىٰ تُصْبِحَ، وخرَّجه الترْمِذِيُّ من حدِيثِ أبي أَيُّوبَ في قصَّته مع الغُول نحْو حديث أَبِي هريرة[٣]؛ قال الغزَّاليُّ ما معناه: إنما وصفت بكونها سيِّدة آي القرآن؛ لاشتمالها على اَسْم اللَّه الأعظم، وهو الحيُّ القيومُ؛ قاله في «**الجَوَاهِر**»، وأسند صاحبُ «**غاية المَغْنَم**

= المِزِّي: لم أقف على روايته عنه.
ينظر: «**الخلاصة**» (١/ ٢٢٣).

(١) محمد بن حِمْيَر القُضَاعِي السَّلِيحي الحمصي، عن محمد بن زياد، وبَحِير بن سعد، وصفوان بن عمرو، وخلق، وعنه داود بن رشد، ومحمد بن مُصَفًّى، وعمرو بن عثمان، وخلق.
قال دُحَيم: مات سنة مائتين. ينظر: «**الخلاصة**» (٢/ ٣٩٦ ـ ٣٩٧).

(٢) عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن بن شرق بن الخضر بن موسى، شرف الدين أبو محمد، وأبو أحمد الدمياطي، ولد بـ «دمياط» سنة ٦١٣، وتفقَّه بها وقرأ بالسبع على الكمال الضرير، وسمع الكثير، ورحل، ولازم المنذري سنين، وتخرج به، ودرس لطائفة المحدثين بالمنصورية، وسمع منه أبو الفتح الأبيوردي، وروى عنه من تلامذته: المزي، والبرزالي، والذهبي، وابن سيد الناس والسبكي وغيرهم. نعته الذهبي ببقية نقاد الحديث. وله مصنفات نفيسة منها «**السيرة النبوية**»، و «**الصلاة الوسطى**» وغيرهما. مات سنة ٧٠٥. انظر: «**طبقات ابن قاضي شهبة**» (٢/ ٢٢٠)، «**طبقات السبكي**» (٦/ ١٣٣)، «**الأعلام**» (٤/ ٣١٨).

(٣) أخرجه الترمذي (٥/ ١٨٥) كتاب «فضائل القرآن»، باب ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي، حديث (٢٨٨٠). وأحمد (٥/ ٤٢٣)، والحاكم (٣/ ٤٥٩)، والطبراني في «**الكبير**» (٤/ ١٩٣) رقم (٤٠١١)، وأبو الشيخ في «**العظمة**» (١٠٩١). كلهم من طريق عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبي أيوب الأنصاري به.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.
وذكره السيوطي في «**الدر المنثور**» (١/ ٥٧٦)، وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة، وابن أبي الدنيا في «**مكائد الشيطان**». وأبي نعيم في «**الدلائل**».

في اسم اللَّهِ الأعظَم»، عن غَالِبِ القَطَّان[١]، قال: مكثْتُ عشْرَ سنينَ، أدعو اللَّه أنْ يعلِّمني اسْمَه الأعْظَم الَّذي إذا دُعِيَ به أجَابَ، وإذا سُئِلَ به أعطَىٰ، فأتاني آتٍ في مَنَامِي ثَلاثَ لَيَالٍ مُتَوَالِيَاتٍ يَقُولُ: يَا غَالِبُ قُلْ: يَا فَارِجَ الهَمِّ، وَيَا كَاشِفَ الغَمِّ، يَا صَادِقَ الوَعْدِ، يَا مُوفِياً بِالْعَهْدِ، يَا مُنْجِزاً لِلْوَعْدِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ. انتهى من «**غاية المَغْنَم**».

﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لا إكراه في الدِّين قد تبيَّن الرُّشْد من الغَيِّ﴾: الدِّينُ، في هذه الآية: هو المُعْتَقَدُ، والمِلَّة، ومقتضى قولِ زَيْدِ بن أسْلَمَ أن هذه الآية مكِّيَّة، وأنها من آيات الموادَعَة الَّتي نسخَتْها آية السَّيْف[٢]، وقال قتادةُ والضَّحَّاك بنُ مُزَاحِم: هذه الآية مُحْكَمَةٌ خاصَّة في أهل الكتاب الذينَ يبذُلُون الجزْيَة[٣]، وقوله تعالى: ﴿قد تبيَّن الرُّشْدُ من الغَيِّ﴾: معناه: بنصب الأدلَّة، ووجودِ الرسُول ﷺ الدَّاعِي إلى اللَّه، والآياتِ المُنيرة، والرُّشْدُ: مصْدَر من قولك: رَشِدَ؛ بكسر الشين، وضَمِّها، يَرْشُدُ رُشْداً، ورَشَداً، ورَشَاداً، والغيُّ مصدر من: غَوِيَ يَغْوَىٰ، إذا ضلَّ في معتقد، أو رأْيٍ، ولا يُقَال: الغيُّ في الضلال على الإطلاق، والطَّاغُوتَ بنَاءُ مبالغةٍ من: طَغَىٰ يَطْغَىٰ، واختلف في مَعْنى الطَّاغوت، فقال عُمَر بْنُ الخَطَّاب وغيره: هو الشَّيْطَان[٤]، وقيل: هو السَّاحِر، وقيل: الكَاهِنُ، وقيل: الأصْنَام، وقال بعضُ العلماء: كُلُّ ما عُبِدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فهُوَ طَاغُوتٌ.

---

(١) غالب بن خُطَّاف (بضم المعجمة وتشديد الطاء) القَطَّان، أبو سليمان بن أبي غَيْلاَن البصري، عن ابن سِيرين، وبكر المُزَني، وعنه شُعبة، وابن عُلَيَّة، وبِشر بن المُفَضَّل، وثقه أحمد وابن معين.
ينظر: «**الخلاصة**» (٢/ ٣٢٩).

(٢) أخرجه الطبري في «**تفسيره**» (٣/ ١٨)، وذكره ابن عطية في «**تفسيره**» (١/ ٣٤٢).

(٣) أخرجه الطبري في «**تفسيره**» (٣/ ١٧، ١٨)، برقم (٥٨٢٩) (٥٨٢٣٠)، وذكره البغوي في «**تفسيره**» عن قتادة (١/ ٢٤٠)، والماوردي في «**تفسيره**» (١/ ٣٢٧) عن قتادة، وابن عطية في «**تفسيره**» (١/ ٣٤٣). والسيوطي في «**الدر المنثور**» (١/ ٥٨٣)، وعزاه لعبد بن حميد، وأبي داود في «**ناسخه**»، وابن جرير عن قتادة.

(٤) أخرجه الطبري في «**تفسيره**» (٣/ ٢٠) برقم (٥٨٣٥) وذكره الماوردي في «**تفسيره**» (١/ ٣٢٧)، وابن عطية في «**تفسيره**» (١/ ٣٤٤)، وابن كثير في «**تفسيره**» (١/ ٣١١)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (١/ ٥٨٤)، وعزاه للفريابي، وسعيد بن منصور، وابن جرير، وابن أبي حاتم عن عمر.

* ع[١] *: وهذه تسميةٌ صحيحة في كلِّ معبودٍ يرضى ذلك؛ كفرعَوْنَ ونُمْرُوذ، وأما مَنْ لا يرضَىٰ ذلك، فسمي طاغوتاً في حقِّ العَبَدَةِ، قال مجاهد: العروةُ الوثقَى: الإيمانُ[٢]، وقال السُّدِّيُّ: الإسلام[٣]، وقال ابن جُبَيْر وغيره: لا إله إلا الله[٤].

قال * ع[٥] *: وهذه عباراتٌ تَرْجِعُ إلى معنًى واحدٍ.

والانْفِصَامُ: الانْكسارُ من غَيْر بَيْنُونَةٍ، وقد يجيءُ بمعنى البَيْنُونة[٦]، والقَصْم كسر بالبينونة.

* ت *: وفي «**الموطَّإ**» عن النبيِّ ﷺ؛ أنَّهُ قَالَ: «إِنَّ الوَحْيَ يَأْتِينِي أَحْيَاناً فِي مِثْلِ صَلْصَلَةِ الجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ، فَيَفْصِمُ عَنِّي، وَقَدْ وَعَيْتُ»[٧]. قال أبو عُمَر في «**التمهيد**»: قوله: «فَيَفْصِمُ عَنِّي»: معناه: ينفرجُ عنِّي، ويذهب؛ كما تفصمُ الخلخال، إذا فتحته؛ لتخرجَهُ من الرِّجْل، وكلُّ عُقْدَة حلَلْتَهَا، فقد فَصَمْتَها/، قال اللَّه عز وجلَّ: ﴿فقد ٦٥ ب
ٱستمْسَكَ بالعُرْوة الوثقَىٰ لا ٱنفصامَ لها﴾، وانفصامُ العروةِ أنْ تنفكَّ عن موضعها، وأصْلُ الفَصْم عند العرب: أنْ تفكَّ الخلخال، ولا يبين كَسْره، فإذا كسرته، فقد قَصَمْتَهُ بالقافِ. انتهى.

---

(١) ذكره ابن عطية (١/ ٣٤٤).

(٢) أخرجه الطبري في «**تفسيره**» (٣/ ٢١) برقم (٥٨٤٨) عن محمد بن عمرو، عن أبي عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، وذكره الماوردي في «**تفسيره**» (١/ ٣٢٨)، وابن عطية في «**تفسيره**» (١/ ٣٤٤)، وابن كثير في «**تفسيره**» (١/ ٣١١)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (١/ ٥٨٤)، وعزاه لسفيان، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الطبري في «**تفسيره**» (١/ ٢٢) برقم (٥٨٥٠)، وذكره ابن عطية في «**تفسيره**» (١/ ٣٤٤)، وابن كثير في «**تفسيره**» (١/ ٣١١).

(٤) أخرجه الطبري في «**تفسيره**» (١/ ٢٢)، وابن عطية في «**تفسيره**» (١/ ٣٤٤)، وابن كثير في «**تفسيره**» (١/ ٣١١).

(٥) ذكره ابن عطية في «**المحرر الوجيز**» (١/ ٣٤٤).

(٦) البينونة والبين في كلام العرب جاء على وجهين: يكون بمعنى الفرقة، ويكون الوصل، وهو هنا من الأول، يقال: ضربه فأبان رأسه من جسده وفصله.
ينظر: «**لسان العرب**» (٤٠٣، ٤٠٤).

(٧) أخرجه مالك (١/ ٢٠٢ ـ ٢٠٣): كتاب «القرآن»، باب ما جاء في القرآن، حديث (٧)، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة؛ أن الحارث بن هشام سأل رسول اللَّه ﷺ، كيف يأتيك الوحي؟ فذكره.
ومن طريق مالك: أخرجه البخاري (١/ ٢٥ ـ ٢٦)، كتاب «بدء الوحي»، حديث (٢).
وأخرجه مسلم (٤/ ١٨١٦): كتاب «الفضائل»، باب عرق النبي ﷺ في البرد، حديث (٨٧/ ٢٣٣٣)، من طرق عن هشام بن عروة به.

ولما كان الإيمان ممَّا ينطقُ به اللِّسان، ويعتقده القلبُ، حَسُن في الصفاتِ - ﴿سميع﴾: من أجْل النُّطق، و ﴿عَلِيمٌ﴾ من أجْل المعتقَدِ.

قوله سبحانه: ﴿الله ولي الذين آمنوا...﴾ الآية: الوليُّ من: وَلِيَ، فَإذا لازم أحدٌ أحداً بنَصْره، ووِدِّه، واهتبالِهِ، فهو وليُّه؛ هذا عُرْفُهُ لغةً، ولفظ الآية مترتِّب في الناس جميعاً، وذلك أن منْ آمن منهم، فاللَّه وليُّه، أخرجه من ظلمة الكُفْر إلى نور الإيمان، ومَنْ كفر بعد وجودِ الرسُولِ ﷺ فَشَيْطَانُهُ ومُغْوِيهِ أخرجه من الإيمان؛ إذ هو معدٌّ وأهل للدخول فيه، ولفظ ﴿الطَّاغُوت﴾ في هذه الآيةِ يَقْتَضِي أنَّه اسْمُ جنْسٍ؛ ولذلك قال: ﴿أَوْلِيَاؤُهُمْ﴾؛ بالجَمْع؛ إذ هي أَنْوَاع.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ألم تَرَ إلى الَّذي حَاجَّ إبْرَاهِيمَ في ربِّه...﴾ الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تنبيهٌ، وهي رؤية القَلْب، والَّذِي حَاجَّ إبْرَاهِيمَ، هو نُمْرُوذُ بْنُ كَنْعَانَ[1] مَلِكُ زمانه، وصاحبُ النَّار، والبَعُوضَةِ، قاله مجاهد وغيره[2]، قال قتادة: هو أولُ من تجبَّر، وهو صاحبُ الصَّرْح بِبَابِلَ[3]، قيل: إنه مَلكَ الدُّنْيَا بأجمعها، وهو أحد الكَافِرَيْنِ، والآخر بُخْتَ نَصَّرَ[4]، وقيل: إن النُّمْرُوذَ الذي حاجَّ إبراهيم هو نُمْرُوذُ بْنُ فَالخ، وفي قصص هذه

---

(١) وهو نمروذ بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح ملك بابل الجبار، وهو أول من وضع التاج على رأسه، وتجبر في الأرض وادعى الربوبية. ينظر: «**تفسير ابن كثير**» (١/ ٣١٣)، و «**الطبري**» (٥/ ٤٣٠).

(٢) أخرجه الطبري في «**تفسيره**» (٣/ ٢٥) برقم (٥٨٦٢)، وذكره البغوي في «**تفسيره**» (١/ ٢٤١) بنحوه، وابن عطية في «**تفسيره**» (١/ ٣٤٥)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (١/ ٥٨٥)، وعزاه لابن جرير.

(٣) أخرجه الطبري في «**تفسيره**» (٣/ ٢٦) برقم (٥٨٦٧)، وذكره ابن عطية (١/ ٣٤٤)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (١/ ٥٨٤)، وعزاه لابن جرير.

(٤) «بختنصر البابلي»: كان في ابتداء أمره مسكيناً صعلوكاً مريضاً عالجه رجل كان يقرأ الكتب من بني إسرائيل، أرسله ملك الفرس في عسكر إلى الشام، وأمَّره عليهم، فساروا وغنموا وعادوا سالمين، فلما كثرت في بني إسرائيل الأحداث والمعاصي دخل بخت نصر وجنوده «بيت المقدس»، فقتل بني إسرائيل=

المحاجَّة روايتان.

إحداهما: ذكر زيْد بن أسْلم أنَّ النُّمْروذ هذا قَعَدَ يأمر للنَّاس بالميرة[١]، فكلَّما جاء قومٌ، قال: مَنْ رَبُّكُمْ وَإِلَهُكِمْ، فيقولُونَ: أَنْتَ، فيقولُ: مِيرُوهُمْ، وجاء إبراهيم ـ عليه السلام ـ، يَمْتَارُ، فَقَالَ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ وَإِلَهُكَ؟ قَالَ إِبْرَاهِيمُ: رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ، فَلَمَّا سَمِعَهَا نُمْرُوذُ، قَالَ: أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ، فَعَارَضَهُ إِبْرَاهِيمُ بِأَمْرِ الشَّمْسِ؛ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ، وَقَالَ: لاَ تُمِيرُوهُ، فَرَجَعَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى أَهْلِهِ دُونَ شَيْءٍ، فَمَرَّ عَلَىٰ كَثِيبِ رَمْلٍ؛ كَالدَّقِيقِ، فَقَالَ: لَوْ مَلأْتُ غَرَارَتِي مِنْ هَذَا، فَإِذَا دَخَلْتُ بِهِ، فَرِحَ الصِّبْيَانُ؛ حَتَّىٰ أَنْظُرَ لَهُمَا، فَذَهَبَ بِذَلِكَ، فَلَمَّا بَلَغَ مَنْزِلَهُ، فَرِحَ الصِّبْيَانُ، وَجَعَلاَ يَلْعَبَانِ فَوْقَ الغِرَارَتَيْنِ، وَنَامَ هُوَ مِنَ الإِعْيَاءِ، فَقَالَتِ امْرَأَتُهُ: لَوْ صَنَعْتُ لَهُ طَعَاماً يَجِدُهُ حَاضِراً، إِذَا انْتَبَهَ، فَفَتَحَتْ إِحْدَى الْغِرَارَتَيْنِ، فَوَجَدَتْ أَحْسَنَ مَا يَكُونُ مِنَ الحَوَارِيِّ، فَخَبَزَتْهُ، فَلَمَّا قَامَ، وَضَعَتْهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ هَذَا؟ قَالَتْ: مِنَ الدَّقِيقِ الَّذِي سُقْتَ، فَعَلِمَ إِبْرَاهِيمُ؛ أَنَّ اللَّه يسَّر لَهُمْ ذَلِكَ.

وقال[٢] الربيعُ وغيره في هذا القصص: إن النُّمروذَ لَمَّا قال: أَنَا أُحْيِي وأُمِيتُ، أَحْضَرَ رَجُلَيْنِ، فَقَتَل أَحَدَهُمَا، وأَرْسَلَ الآخَرَ، وقَالَ: قَدْ أَحْيَيْتُ هَذَا، وأَمَتُّ هذا، فردَّ عليْهِ إبراهيمُ بأمْرِ الشمْسِ[٣].

والروايةُ الأخرَىٰ: ذكر السُّدِّيُّ؛ أنه لما خَرَجَ إبراهيمُ من النَّار، وأُدْخِلَ على المَلِكِ، قالَ له: مَنْ ربُّكَ؟ قَالَ: ربِّيَ الَّذِي يُحْيِي ويُمِيتُ[٤].

يقالُ: بُهِتَ الرَّجُلُ، إذا انقطعَ، وقامَتْ عليه الحُجَّةُ.

= وخرب «بيت المقدس»، وعاد إلى «بابل»، وأقام في سلطانه إلى ما شاء اللَّه. ينظر: «**الكامل**» لابن الأثير (١/ ٢٦١، ٢٦٦).

وانظر أقوال المفسرين: في «**تفسير الثوري**» (ص ٧١)، و «**الدر**» (١/ ٣٣١ ـ ٣٣٣) عن علي، وابن عباس، وعكرمة، وقتادة، وسليمان بن بريدة، والضحاك، والسدي، وعبد اللَّه بن سلام، وكعب، والحسن، ووهب. والطبري (٥/ ٤٣٩) عنهم، و «**كنز العمال**» (٢/ ٢٦٤)، وابن كثير (١/ ٣١٤) عن علي وغيره، و «**فتح القدير**» (١/ ٢٧٩).

(١) المِيرَةُ: الطعام يمتاره الإنسان، قال ابن سيده: الميرة جَلَب الطعام، وفي التهذيب: جَلَب الطعام للبيع. ينظر: «**لسان العرب**» (٤٣٠٦).

(٢) أخرجه الطبري في «**تفسيره**» (٣/ ٢٧) برقم (٥٨٧٦) وذكره ابن عطية في «**المحرر الوجيز**» (١/ ٣٤٥).

(٣) أخرجه الطبري في «**تفسيره**» (٣/ ٢٨) برقم (٥٨٧٨)، وذكره ابن عطية في «**تفسيره**» (١/ ٣٤٦).

(٤) أخرجه الطبري في «**تفسيره**» (٣/ ٢٨) برقم (٥٨٧٩) وذكره ابن كثير في «**تفسيره**» (١/ ٣١٣).

وقوله تعالى: ﴿واللَّه لا يَهْدِي القومَ الظَّالمين﴾: إخبارٌ لمحمَّد ﷺ وأمته، والمعنَىٰ: لا يرشدهم في حججهم على ظُلْمهم، وظاهر اللفْظ العمومُ، ومعناه الخصوصُ؛ لأنَّ اللَّه سبحانه قد يَهْدي بعْضَ الظالمينَ بالتَّوْبة والرجوع إلى الإيمان.

قوله تعالى: ﴿أوْ كالذِي مَرَّ علَىٰ قريةٍ وهي خاويةٌ علَىٰ عروشها...﴾ الآية: عطفت «أوْ» في هذه الآية على المعنى الَّذِي هو التعجُّب في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلى الذي حاجَّ﴾.

١٦٦أ قال ابن عبَّاس وغيره: الذي مَرَّ على القَرْيَة هو عُزَيْرٌ، وقال[١]/ وهْبُ بن مُنَبِّهٍ وغيره: هو أَرْمِيَا[٢]، قال ابن إِسحاق: أَرْمِيَا هو الخَضِرُ[٣]، وحكاه النَّقَّاش عن وهْب بن منَبِّه.

واْختلف في القَرْيَةِ، مَا هِيَ؟ فقِيلَ: المُؤْتَفِكَةُ، وقال زيْدُ بن أسلم: قريةُ الَّذين خَرَجُوا مِنْ ديارهم، وهم أُلُوفٌ[٤]، وقال وهْبُ بن مُنَبِّهٍ، وقتادة، والضَّحَّاك، والرَّبيع، وعِكْرِمَة: هي بَيْت المَقْدِسِ[٥]، لما خرَّبها بُخْتَ نَصَّرُ البابليُّ، والعَرِيشُ: سقْف البيتِ، قال السُّدِّيُّ: يقول: هي ساقطةٌ علَىٰ سَقْفِها، أي: سقطت السقْف، ثم سقطت الحيطانُ عليها[٦]، وقال غيره: معناه: خاوية من الناس، وخاوية: معناه: خاليةٌ؛ يقال: خَوَتِ الدَّارُ تَخْوِي خَوَاءً وخُوِيًّا، ويقال: خويت، قال الطبريُّ[٧]: والأول أفْصَحُ، قال * ص *:

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٣٠) برقم (٥٨٩١) وذكره ابن عطية في «تفسيره» (١/ ٣٤٧)، وابن كثير في «تفسيره» (١/ ٣١٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٥٨٧)، وعزاه لابن جرير، وابن عساكر.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٣٠) برقم (٥٨٩٣)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (١/ ٣٤٧)، والماوردي في «تفسيره» (١/ ٣٣١)، وابن كثير (١/ ٣١٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٥٨٩)، وعزاه لعبد الرزاق، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ في «العظمة».

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٣٠) برقم (٥٨٩١)، وذكره الماوردي في «تفسيره» (١/ ٣٣١)، وابن عطية في «تفسيره» (١/ ٣٤٧)، وابن كثير في «تفسيره» (١/ ٣١٤).

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٣٢) برقم (٥٩٠٦)، وذكره الماوردي في «تفسيره» (١/ ٣٣١)، وابن عطية في «تفسيره» (١/ ٣٤٧)، وقد ذكروا هذا الأثر عن ابن زيد.

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٣١) بأرقام (٥٩٠٠)، (٥٩٠١)، (٥٩٠٣)، بأسانيد مختلفة، وذكره البغوي في «تفسيره» (١/ ٢٤٣)، وابن عطية في «تفسيره» (١/ ٣٤٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٥٨٩). وعزاه لابن جرير.

(٦) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٣٣) برقم (٥٩١٠). وذكره ابن عطية في «تفسيره» (١/ ٣٤٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٥٨٩)، وعزاه لابن جرير.

(٧) ذكره الطبري (٣/ ٣٢).

﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾ في موضع الحالِ من فَاعِلِ «مَرَّ» أو من «قَرْيَةٍ» و ﴿علَىٰ عُرُوشَها﴾: قيل: على بابِهَا، والمعنَىٰ: خاويةٌ من أهلها، ثابتةٌ علَىٰ عروشها، والبُيُوت قائمةٌ، والمَجْرور علَىٰ هذا يتعلَّق بمحذوفٍ، وهو ثابتةٌ، وقيل: يتعلَّق بـ «خَاوِيَة» والمعنى: وقعتْ جُدُرَاتُهَا علَىٰ سقوفها بعْد سُقُوط السقوفِ. انتهى، وقد زدنا هذا المعنى وضوحاً في سورة الكهف، واللَّه الموفِّق بفضله.

وقوله: ﴿أَنَّىٰ يُحْيِي هذه اللَّهُ بَعْدَ موتها﴾: ظاهر اللفظ السؤَالُ عن إحياءِ القَرْيَة بعمارةٍ أو سُكَّانٍ، فكأنَّ هذا تلهُّفٌ من الواقِفِ المعتبر علَىٰ مدينة أحبَّته، ويحتمل أنْ يكونَ سؤاله إنما كانَ عن إحياء الموتَىٰ، فضرب له المَثَل في نَفْسه، وحكى الطبريُّ[1] عن بعضهم؛ أنَّ هذا القَوْلَ منه شك في قدرة اللَّه على الإحياء؛ قال * ع[2] *: والصواب ألاَّ يتأول في الآية شكٌّ، وروي في قصص هذه الآية؛ أنَّ بني إسرائيل، لَمَّا أحدثوا الأحدَاثَ، بعث اللَّه عليهم بُخْتَ نَصَّرَ، فقتَلَهُم، وجَلاَهم من بَيتِ المَقْدِسِ، وخرَّبه، فلَمَّا ذهب عنه، جاء عُزَيْرٌ أَوْ أَرْمِيَا، فوقَف على المدينة معتبراً، فقال: ﴿أَنَّىٰ يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾؛ فأماته اللَّه تعالَىٰ، وكان معه حمارٌ قد رَبَطَهُ بحَبْلٍ جديدٍ، وكان معه سَلَّة فيها تِينٌ هو طعامه، وقيل: تِينٌ وعِنَبٌ، وكانتْ معه رِكْوة[3] من خَمْر، وقيل: من عصيرٍ، وقيل: قُلَّة من ماءٍ هي شرابُهُ، وبقي ميتاً مائةَ عامٍ، فروي أنَّه بَلِيَ، وتفرَّقت عظامه هو وحمارُهُ، وروي أنَّ الحمار بَلِيَ، وتفرَّقت أوصاله، دونَ عُزَيْرٍ.

وقوله تعالى: ﴿ثم بعثه﴾: معناه: أحياه، فسأله اللَّه تعالَىٰ بوسَاطَةِ المَلَكِ، كَمْ لَبِثْتَ؛ علَىٰ جهة التقرير، فقال: ﴿لَبِثْتُ يَوْماً أو بَعْضَ يَوْمٍ﴾، قال ابن جُرَيْج، وقتادة، والربيع: أماته اللَّه غدوة يَوْمٍ، ثم بعثه قُرْبَ الغروبِ، فظنَّ هو اليومَ واحداً، فقال: لَبِثْتُ يوماً، ثم رأى بَقِيَّةً مِن الشمْسِ، فَخَشِيَ أنْ يكون كاذباً، فقال: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾، فقيل له: ﴿بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿فَٱنظر إِلى طعامِكَ وشرابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾، أي: لم يتغيَّر.

---

(١) ذكره الطبري (٣/ ٣٣).

(٢) ذكره ابن عطية (١/ ٣٤٨).

(٣) الرَّكوة: إناء صغير من جلد يشرب فيه. والجمع رَكَوَات، ورِكَاءٌ. ينظر: «لسان العرب» (١٧٢٢).

(٤) أخرجه الطبري عن ابن جريج، قتادة، الربيع (٣/ ٣٨) بأرقام (٥٩١٥)، (٥٩١٦)، (٥٩١٧)، (٥٩١٨)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (١/ ٣٤٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٥٨٩)، وعزاه لابن أبي حاتم عن قتادة.

٥١٠ ـــــــ

وقوله تعالى: ﴿فلمَّا تبيَّن له قال أَعْلَمُ﴾: المعنى: قال هو: أَعلَمُ أنَّ اللَّه علَىٰ كلِّ شيء قديرٌ، وهذا عنْدي لَيْسَ بإقرار بما كان قَبْلُ يُنْكِرُهُ؛ كما زعم الطبريُّ[1]، بل هو قولٌ بَعَثَهُ الاعتبارُ؛ كما يقول الإنسان المؤمن، إذا رأى شيئاً غريباً مِنْ قدرةِ اللَّهِ: لاَ إِلَهَ إلاَّ اللَّهُ، ونحْو هذا.

وأما قراءة حمزةَ والكسائي[2]: «قال ٱعْلَمْ» موصولةَ الألفِ، ساكنةَ الميمِ، فتحتمل وجهيْن:

أحدهما: قال المَلَكُ له: ٱعْلَمْ، وقد قرأ ابن مسعود، والأعمشُ[3]: «قِيلَ ٱعْلَمْ».

والوجه الثاني: أنْ يُنَزِّلَ نفسه منزلةَ المُخَاطَبِ الأجنبيِّ المُنْفَصِلِ، أي: قال لنفسه: ٱعْلَمْ، وأمثلةُ هذا كثيرةٌ.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وإذ قال إبراهيمُ رب أرِني كيف تُحيي المَوْتَىٰ قَالَ أو لم تُؤمن قال بلى...﴾ الآية: قال جمهور العلماء: إن إبراهيم ـ عليه السلام ـ لم يكُنْ شَاكًّا في إحياء اللَّه الموتَىٰ قطُّ، وإنما طلب المعايَنَة، وأما قولُ النبيِّ ﷺ: «نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ»[4] فمعناه: أنْ لو كانَ شَكٌّ، لكنَّا نحْنُ أَحَقُّ به، ونحْنُ لا نشكُّ، فإبراهيم ـ عليه

---

(١) ذكره الطبري (٣/ ٤٧).

(٢) ينظر: «**السبعة**» (١٨٩)، و «**الحجة**» (٢/ ٣٨٣)، و «**حجة القراءات**» (١٤٤)، و «**معاني القراءات**» (١/ ٢٢٣)، و «**شرح شعلة**» (٢٩٦)، و «**العنوان**» (٧٥)، و «**شرح الطيبة**» (٤/ ١١٨)، و «**إتحاف**» (١/ ٤٤٩).

(٣) قراءة ابن مسعود ذكرها ابن زنجلة في «**حجة القراءات**» (ص ١٤٤) وابن خالويه في «**مختصر الشواذ**» (ص ٢٣)، والزمخشري في «**الكشاف**» (١/ ٣٠٨)، وقراءتهما معاً في «**المحرر الوجيز**» (١/ ٣٥١)، و «**البحر المحيط**» (٢/ ٣٠٨)، وقراءة الأعمش وحده في «**الدر المصون**» (١/ ٦٢٨).

(٤) أخرجه البخاري (٦/ ٤٧٣)، كتاب «الأنبياء»، باب قوله: ﴿ونبئهم عن ضيف إبراهيم﴾، حديث (٣٣٧٢)، و (٦/ ٤٨١) باب قول اللَّه تعالى: ﴿لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين﴾، حديث (٣٣٨٧)، و (٨/ ٤٩)، كتاب «**التفسير**»، باب: ﴿وإذ قال إبراهيم﴾، حديث (٤٥٣٧)، وباب تفسير سورة يوسف، حديث (٤٦٩٤)، و (١٢/ ٣٩٧)، كتاب «التعبير»، باب رؤيا أهل السجون، حديث (٦٩٩٢)، ومسلم (١/ ١٣٣)، كتاب «الإيمان»، باب زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة، حديث (٢٣٨/ ١٥١)، وابن ماجة (٢/ ١٣٣٥)، كتاب «الفتن»، باب الصبر على البلاء، حديث (٤٠٢٦)، =

السلام ـ أحْرَىٰ ألاَّ يشكَّ، فالحديث مبنيٌّ علَىٰ نفْيِ الشكِّ عن إبراهيم، والذي روي فيه عن النبيِّ ﷺ؛ أنَّهُ قَالَ: «ذَلِكَ مَحْضُ الإِيمَانِ»[1]؛ إنما هو في الخواطر الجاريَةِ الَّتي لا تثبتُ، وأما الشَّكُّ، فهو توقّف بيْن أمرين، لا مزية لأحدهما على الآخرِ، وذلك هو المنفيُّ عن الخليل ﷺ.

وإحياء الموتَىٰ إنما يثبُتُ بالسمْع، وقد كان إبراهيمُ أُعْلِمَ بذلك؛ يدلُّك على ذلك قولُهُ: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، والشكُّ يبعد علَىٰ مَنْ ثبت قدمه في

= والطبري في تفسيره بأرقام (٥٩٧٣)، (٥٩٧٣)، (١٩٣٩٩)، (١٩٤٠٠)، وأحمد (٢/ ٣٢٦)، وابن حبان (٦٢٠٨)، والطحاوي في **«مشكل الآثار»** (١/ ١٣٤)، والبيهقي في **«الأسماء والصفات»** ص (٥٠٧)، وابن منده في **«الإيمان»** (٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١)، والبغوي في **«شرح السنة»** (١/ ١٢٣ـ بتحقيقنا). كلهم من حديث أبي هريرة مرفوعاً.

قال البغوي في **«شرح السنة»** (١/ ١٢٤): حُكي عن أبي إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني أنه قال: لم يشك النبي، ولا إبراهيم (صلوات اللّه عليهما) في أن اللّه قادر على أن يُحيي الموتى، وإنما شكّا أن يجيبهما إلى ما سألاه، ومما يؤيد هذا الذي ذكره المُزَني ما روي عن ابن عباس في قوله عز وجل: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيفَ تُحيي الموتى قال أولَم تُؤمِن قال بَلى ولكن لِيَطْمَئِنَّ قَلبي﴾ قال: أعلم أنك تجيبني إذا دعوتك، وتعطيني إذا سألتُك.

قال أبو سليمان الخطّابي: ليس في قوله: «نحن أحق بالشك من إبراهيم» اعتراف بالشك على نفسه، ولا على إبراهيم، لكن فيه نفي الشك عنهما، يقول: إذا لم أشك أنا، ولم أرتب في قدرة اللّه (عز وجل) على إحياء الموتى، فإبراهيم أولى بأن لا يشك ولا يرتاب، وقال ذلك على سبيل التواضع، والهضم من النفس، وفيه الإعلام أن المسألة من قبل إبراهيم لم تعرض من جهة شك، لكن من قبل زيادة العلم؛ فإن العِيان يفيد من المعرفة والطمأنينة ما لا يفيده الاستدلال، وقوله: ﴿ليطمئن قلبي﴾، أي: بيقين النظر.

(١) أخرجه مسلم (١/ ١١٩): كتاب «الإيمان»، باب بيان الوسوسة في الإيمان، وما يقوله من وجدها، حديث (٢١١/ ١٣٣)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة»، كما في **«تحفة الإشراف»** (٧/ ١٠٧)، وأبو عوانة (١/ ٧٩)، وابن حبان (١٤٩ـ الإحسان)، وابن منده في **«الإيمان»** (٣٤٧)، والطحاوي في **«مشكل الآثار»** (٢/ ٢٥١)؛ والبغوي في **«شرح السنة»** (١/ ١٢٠ـ بتحقيقنا). كلهم من طريق إبراهيم عن علقمة عن ابن مسعود قال: سألنا رسول اللّه ﷺ عن الرجل يجد الشيء، لو خر من السماء فتخطفه الطير كان أحب إليه من أن يتكلم به؟ قال: ذلك محض، أو صريح الإيمان .اهـ.

وقال ابن حبان: إذا وجد المسلم في قلبه، أو خطر بباله من الأشياء التي لا يحل له النطق بها ـ من كيفية الباري جل وعلا، أو ما يشبه هذه، فرد ذلك على قلبه بالإيمان الصريح، وترك العزم على شيء منها ـ كان رده إياها من الإيمان، لا أن خطرات مثلها من الإيمان.

وقال البغوي: قال أبو سليمان الخطابي: قوله ﷺ: «ذلك صريح الإيمان» معناه أن صريح الإيمان هو الذي يمنعكم من قبول ما يلقيه الشيطان في أنفسكم، والتصديق به، وليس معناه أن الوسوسة نفسها صريحُ الإيمان، وذلك أنها إنما تتولد من فعل الشيطان وتسويله، فكيف يكون إيماناً صريحاً.

الإيمان فقَطْ، فكيف بمرتبة النبوَّة والخُلَّة، والأنبياءُ معصومون من الكبائرِ، ومن الصغائرِ التي فيها رذيلةٌ إجماعاً، وإذا تأمَّلت سؤاله ـ عليه السلام ـ وسائِرَ ألفاظ الآيةِ، لم تعط شكًّا، وذلك أنَّ الاستفهام بـ «كَيْفَ»، إنما هو عن حالِ شيء موجودٍ، ومتقرّر الوجودِ عند السائل والمسئول؛ نحو قولكَ: كَيْفَ عِلْمُ زَيْدٍ، وَكَيْفَ نَسْجُ الثَّوْبِ؟ فـ «كَيْفَ» في هذه الآية إنما هي استفهامٌ عن هيئة الإحياء، والإحياءُ متقرِّر، ولما وجدنا بعض المنكرين لوجودِ شيْء قد يعبَّر عن إنكاره بالاِستفهامِ عن حالةٍ لذلك الشيء، يعلم أنها لا تصحُّ، فيلزم من ذلك؛ أنَّ الشيْءَ في نفْسه لا يصحُّ؛ مثال ذلك: أنْ يقولَ مدَّعٍ: أنا أرفَعُ هذا الجَبَلَ، فيقول المكذِّب: كَيْفَ ترفعه، فهذه طريقة مجازٍ في العبارة، ومَعْنَاها: تسليمٌ جدليٌّ؛ كأنه يقول: اَفْرِضْ أنَّك ترفعه، أَرِنِي كَيْفَ، فَلَمَّا كان في عبارةِ الخَلِيلِ ﷺ هذا الاشتراكُ المجازيُّ، خَلَّصَ اللَّه سبحانه ذلك/ ، وحمَلَهُ علَىٰ أنْ يبيّن الحقيقةَ، فقال له: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ﴾ فكمل الأمر، وتخلَّص من كلِّ شك، ثم علَّل ـ عليه السلام ـ سؤالَهُ بالطُّمَأْنينة. ٦٧ ب

* ت *: قال الداوديُّ: وعن ابن جُبَيْر: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ﴾ بالخُلَّة[١]، قال مجاهدٌ، والنَّخَعِيُّ: ﴿ولكنْ ليطمئِنَّ قلْبي﴾، أي: أزداد إيماناً إلى إيماني[٢]، وعن قتادة: لأزداد يقيناً[٣]. انتهى.

قال * ع[٤] *: وقوله تعالى: ﴿أولم تُؤْمِنْ﴾ معناه: إيماناً مطلقاً دخل فيه فضْل إحياء الموتَىٰ، والواو: واو حالٍ دخَلَتْ عليها ألِفُ التقريرِ، وقال * ص *: الهمزة في ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ﴾ للتقرير؛ كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١]؛ وكقوله [الوافر]:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايَا[٥] . . . . . .

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٥٠)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (١/ ٣٥٢).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٥٢)، برقم (٥٩٨٤)، وذكره الماوردي في «تفسيره» (١/ ٣٣٤)، وابن عطية في «تفسيره» (١/ ٣٥٣).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٥٢) برقم (٥٩٧٩)، وذكره الماوردي في «تفسيره» (١/ ٣٣٤)، وابن عطية في «تفسيره» (١/ ٣٥٣).

(٤) ذكره ابن عطية (١/ ٣٥٣).

(٥) صدر بيت لجري، وعجزه

. . . . . وأندى العالمين بُطُونَ رَاحِ =

أي: قد شَرَحْنا لك صدرك، وأنتم خَيْر.

وقولُ ابن عطيَّة[١]: «الواو للحالِ، دخَلَتْ عليها ألفُ التقرير»: متعقَّب، والظاهر أنَّ التقرير منسحبٌ على الجملة المنفيَّة فقطْ، وأن الواو للعطْف. انتهى.

و﴿لِيَطْمَئِنَّ﴾: معناه: ليسكُنَ، فطمأنينةُ القَلْب هي أنْ تَسْكُنَ فِكَرُهُ في الشيء المعتَقَدِ، والفِكَرُ في صورة الإحياء غيْرُ محظورةٍ؛ كما لنا نحن اليوم أنْ نفكِّر فيها، بل هي فِكَرٌ، فيها عِبَرٌ، فأراد الخليلُ؛ أن يعاين، فتذهب فِكَرُهُ في صُورة الإحياء؛ إذ حرَّكه إلى ذلك، إما الدابَّةُ المأكولةُ في تأويل، وإمَّا قولُ النُّمْرُوذِ: أنا أُحْيِي وأميتُ في تأويل آخر، ورُوِيَ أن الأربعة التي أَخَذَ إبراهيم ـ عليه السلام ـ هي الدِّيكُ، وَالطَّاوُسُ، والحَمَامُ، وَالغُرَابُ، قاله مجاهد وغيره[٢]، وقال ابن عباس: مكان الغرابِ الكَرْكِيّ، فروي أنه أخذها ـ عليه السلام ـ حَسَب ما أمر، وذكَّاها، ثم قَطَعها قِطَعاً قِطَعاً صِغَاراً، وجمع ذلك مع الدم والرِّيش، ثم جعل من ذلك المجْمُوع المختلط جزْءاً علَىٰ كلِّ جبل، ووقَفَ هو من حيثُ يَرَىٰ تلك الأجزاء، وأمْسَك رُءُوس الطَّيْر في يده، ثم قال: تَعَالَيْنَ؛ بإذنِ اللَّه، فتطايَرَتْ تلك الأجزاءُ، وطار الدمُ إلى الدمِ، والريشُ إلى الريشِ؛ حتى ٱلتأَمَتْ؛ كما كانَتْ أولاً، وبقيتْ بلا رءوسٍ، ثم كرر النداءَ، فجاءته سعياً؛ حتى وضعت أجسادها في رءوسها، وطارتْ بإذن اللَّه تعالَىٰ.

وقوله تعالى: ﴿فَصُرْهُنَّ﴾، يقال: صُرْتُ الشَّيْءَ، أَصُورُهُ، بمعنى: قطعته، ويقال أيضاً: صُرْتُ الشيْءَ، بمعنى: أَمَلْتُهُ، وقد تأوَّل المفسِّرون اللفظة بمعنى التقطيع، وبمعنى الإمالَةِ، وقد قال ابن عَبَّاس وغيره في هذه الآية: «صُرْهُنَّ»: معناه: قَطِّعْهُنَّ[٣]، وقال

= وهو من قصيدة مدح بها عبد الملك بن مروان مطلعها:

أَتَصْحُو بَلْ فُؤادُكَ غَيْرُ صَاحِ عَشِيَّةَ هَمَّ صَحْبُكَ بِالرَّوَاحِ

وهو في ديوانه (ص ٨٥، ٨٩)، و «**الجنى الداني**» (ص ٣٢)؛ و «**شرح شواهد المغني**» (١/ ٤٢)؛ و «**لسان العرب**» (٧/ ١٠١) (نقص)؛ و «**مغني اللبيب**» (١/ ١٧)؛ وبلا نسبة في «**الخصائص**» (٢/ ٤٦٣، ٣/ ٢٦٩)، و «**رصف المباني**» (ص ٤٦)، و «**شرح المفصل**» (٨/ ١٢٣)، و «**المقتضب**» (٣/ ٢٩٢).

واستشهد بمجيء همزة الاستفهام للإيجاب وتحقق الكلام. والمعنى: أنتم خير من ركب المطايا.

(١) ذكره ابن عطية (١/ ٣٥٣).

(٢) أخرجه الطبري في «**تفسيره**» (٣/ ٥٣) برقم (٥٩٩١) عن مجاهد، وذكره الماوردي في «**تفسيره**» (١/ ٣٣٤)، والبغوي في «**معالم التنزيل**» (١/ ٢٤٨)، وابن عطية في «**المحرر الوجيز**» (١/ ٣٥٢).

(٣) أخرجه الطبري في «**تفسيره**» (٣/ ٥٦) برقم (٥٩٩٦) عن ابن عباس، وذكره الماوردي في «**تفسيره**» (١/ ٣٣٤)، وابن عطية في «**تفسيره**» (١/ ٣٥٤).

قتادة: صُرْهُنَّ: فَصِّلْهن[١]، وقال عطاء بن أبي رَبَاح[٢]: صُرْهُنَّ: أَضمُمْهُنَّ[٣]، وقال ابن زيد: معناه: أَجْمَعْهُنَّ[٤]، وعن ابن عباس أيضاً: أَوْثِقْهُن[٥].

وقرأ قومٌ: «فَصُرَّهُنَّ»؛ بضم الصاد، وشدِّ الراء؛ كأنه يقول: فَشُدَّهُنَّ؛ ومنه: صُرَّة الدَّنَانِيرِ.

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل اللَّه كَمَثَلِ حَبَّة أنبتَتْ سَبْعَ سنابلَ في كلِّ سنبلة مائة حبَّة واللَّه يضاعف لِمَنْ يشاء واللَّه واسع عليم﴾ في الآية بيانُ شرفِ النفقة في سبيلِ اللَّه، وتحسينها، وضمنها التحريض علَىٰ ذلك، وهذه الآيةُ في نفقة التطوُّع، وسبلُ اللَّهِ كثيرةٌ، وهي جميعُ ما هو طاعةٌ، وعائدٌ بمنفعةٍ على المسلمين، وعلى الملَّة وأشهرها وأعظمها غَنَاء الجهَاد؛ لتكون كَلمةُ اللَّه هي العليا، والحبَّة: اسْمُ جنْسٍ لكلِّ ما يزرعه ابن آدم، وأشهر ذلك البُرُّ، وقد يوجد في سنبل القمحِ/ ما فيه مائةُ حبَّة، وأما في سائر الحبوب، فأكثر، وقد ورد القُرآن؛ بأن الحسنة بعَشْر أمثالها؛ واقتضت الآية أنَّ نفقة ٦٧ ب

---

(١) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (١/ ٣٥٤).

(٢) عطاء بن أبي رباح القرشي. مولاهم، أبو محمد الجندي، اليماني، نزيل «مكة» وأحد الفقهاء والأئمة. عن: عثمان، وعتاب بن أسيد مرسلاً، وعن أسامة بن زيد، وعائشة. وعنه: أيوب، وحبيب بن أبي ثابت، وجعفر بن محمد، وجرير بن حازم. قال ابن سعد: كان ثقة عالماً كثير الحديث. وقال أبو حنيفة: ما لقيت أفضل من عطاء. مات سنة ١٣٦هـ.
ينظر: «خلاصة تهذيب الكمال» (٢/ ٢٣٠).

(٣) ذكره الماوردي في «تفسيره» (١/ ٣٣٤)، وابن عطية في «تفسيره» (١/ ٣٥٤).

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٥٧) برقم (٦٠١٢) وذكره الماوردي في «تفسيره» (١/ ٣٣٥) عن أبي عبيدة، وابن عطية في «تفسيره» (١/ ٣٥٤).

(٥) ذكره السيوطي في «تفسيره» (١/ ٥٩٢)، وعزاه إلى ابن جرير، وابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس.

الجهَادِ حسنتها بِسَبْعِمِائَةِ ضعفٍ، وبيَّن ذلك الحديث الصحيحُ، واختلف في معنى قوله سبحانه: ﴿واللَّه يضاعفُ لمن يشاء﴾، فقيل: هي مبينة، ومؤكِّدة لما تقدَّم من ذكْر السَّبْعمائَةِ، وقالت طائفة من العلماء: بل هو إعلام من اللَّه تعالَىٰ؛ بأنه يضاعف لِمَنْ يشاء أكْثَر من سبْعمائة ضعْفٍ.

* ت *: وأرجحُ الأقوالِ عنْدِي قولُ هذه الطائفة، وفي الحديثِ الصحيح عن ابن عبَّاس، عن رسُولِ اللَّه ﷺ فِيمَا يَرْوِيهِ عن ربِّه تبارَكَ وتعالى، قال: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ كَتَبَ الحَسَناتِ والسَّيِّئَاتِ، ثمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ، فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا، كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَىٰ سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَىٰ أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ...» الحديثَ، رواه مسلمٌ والبخاريُّ بهذه الحروفِ[1]. انتهى.

وقال ابن عمر: لمَّا نزلَتْ هذه الآيةُ، قال النبيُّ ﷺ: «رَبِّ، زِدْ أُمَّتِي»، فَنَزَلَتْ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً...﴾ [البقرة: ٢٤٥] الآية، فَقَالَ: «رَبِّ، زِدْ أُمَّتِي»، فَنَزَلَتْ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ...﴾[2] [الزمر: ١٠].

وفي الآية حذفُ مضافٍ، تقديره مَثَلُ إنفاقِ الذين، وَكَمَثَلِ ذِي حَبَّة، وقوله تعالى: ﴿الذين يُنْفِقُونَ أموالهم في سبيل اللَّه ثم لا يتْبعون ما أنفقوا منًّا ولا أذًى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾، لَمَّا تقدَّم في الآية التي قَبْلَها ذِكْرُ فَضْلِ الإنفاقِ في سبيلِ اللَّهِ علَى العُمُوم، بيَّن أنَّ ذلك إنما هو لِمَنْ لم يُتْبِعْ إنفاقَهُ منًّا ولا أذًى، وذلك أنَّ المنفِقَ في سبيلِ اللَّهِ، إنما يريد وجه اللَّه تعالى، ورجاء ثوابه، وأمَّا من أراد من المُنْفِقِ علَيْه جزاءً بوَجْهٍ من الوجوه، فهذا لم يُرِدْ وجْهَ اللَّهِ تعالَىٰ، وهذا هو الذي مَتَىٰ أخلفه ظنه، مَنَّ بالإنفاق وآذَىٰ، إذ لم يكُنْ إنفاقه مخلصاً لوجه اللَّه، فالمَنُّ والأَذَىٰ مُبْطِلانِ للصَّدقة، وهما كاشفان لمقاصد المُنْفِقينَ، والمَنُّ: ذِكْرُ النِّعمة؛ علَىٰ معنى التعديدِ لها، والتقْريع بها، والأَذَى: السَّبُّ والتشكِّي، وهو أعمُّ من المَنِّ، لأن المَنَّ جزء من الأذَىٰ، ولكنَّه نصَّ عليه؛ لكثرة وقوعه، وقال زيدُ بْنُ أَسْلَم: لَئِنْ ظَنَنْتَ أَنَّ سلاَمَكَ يَثْقُلُ علَىٰ من أنفقْتَ علَيْه، تريدُ وجْهَ اللَّه، فلا تسلِّم علَيْه[3]، وقالَتْ له امرأةٌ: «يا أبا أُسَامَة، دُلَّنِي علَىٰ رجُلٍ يخرج

---

(١) أخرجه البخاري (١١/ ٣٣١)، كتاب «الرقاق»، باب من هم بحسنة أو سيئة، حديث (٦٤٩١)، ومسلم (١٣١)، كتاب «الإيمان»، باب إذا هم العبد بحسنة، وأحمد (١/ ٣١٠) من حديث ابن عباس.

(٢) أخرجه ابن حبان (١٦٤٨ـ موارد) وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٣١٣)، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان».

(٣) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (١/ ٣٥٦).

في سَبِيلِ اللَّهِ حقًّا؛ فإنهم إنما يخرجُون؛ ليأْكُلُوا الفواكه، فإنَّ عندي أَسْهُماً وجَعْبَةً[١]، فقالَ لَهَا: لاَ بَارَكَ اللَّه فِي أَسْهُمِكِ وَجَعْبَتِكِ، فَقَدْ آذيتِهِمْ قَبْلَ أَنْ تُعْطِيَهُمْ».

وتضمَّن اللَّه الأَجْرَ للمُنْفِقِ في سبيلِ اللَّه، والأَجْرُ: الجَنَّة، ونفى عنه الخوْفَ لما يستقبلُ، والحُزْنَ علَىٰ ما سَلَف من دنْياه؛ لأنه يغتبط بآخِرَتِهِ.

* ت *: وممَّا جاء من صحيح الآثار في هذا البابِ ما رواه مالِك في «**الموطَّإ**»، عن ابن شِهَابٍ، عن حُمَيْد بن عَبْد الرحمنِ بْن عَوْف[٢]، عن أبي هريرة؛ أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ، يَا عَبْدَ اللَّهِ، هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلاَةِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلاَةِ/، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ الجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا عَلَىٰ مَنْ يُدْعَىٰ مِنْ هَذِهِ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَىٰ أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأَبْوَابِ كُلِّهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ»[٣]، قال أبو عمر بن عبد البَرِّ في «**التمهيد**»[٤]: في هذا الحديثِ من الفقْه: [والفضائل] الحضُّ على الإنفاقِ في سبل الخير، ومعنى زوجَيْنِ، أي: شيئين من نوعٍ واحدٍ؛ نحو درهمَيْن، أو دينارَيْن، أو فرسَيْن، أو قميصَيْن، هكذا قال أهل العلْم، وفيه: أَنَّ من أكثر مِنْ شيء، عُرِفَ به، ونُسِبَ إِلَيْه؛ ألا تَرَىٰ إلى قوله: «فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلاَةِ»، يريد: مَنْ أكثر

٦٨ أ

---

(١) الجَعْبَةُ: كِنَانة النُّشَّاب. ينظر: «**لسان العرب**» (٦٣٠).

(٢) حُميد بن عبد الرحمن بن عَوْف الزُّهري المدني. عن أمه أم كلْثُوم بنت عُقْبَة، وخاله عثمان، وطائفة. وعنه ابنه عبد الرحمن، وابن أخيه سعد، والزُّهري. وثقه أبو زُرْعة وقال: مات سنة خمس وتسعين. ينظر: «**الخلاصة**» (١/ ٢٥٩).

(٣) أخرجه مالك في «**الموطأ**» (٢/ ٤٦٩)، كتاب «الجهاد»، باب ما جاء في الخيل والمسابقة بينها، حديث (٤٩).

ومن طريق مالك أخرجه البخاري (٤/ ١٣٣) كتاب «الصيام»، باب الريان للصائمين، حديث (١٨٩٧)، والترمذي (٥/ ٦١٤) كتاب «المناقب»، باب في مناقب أبي بكر وعمر، حديث (٣٦٧٤)، والنسائي (٤/ ١٦٨ـ ١٦٩) كتاب «الصوم»، باب ذكر الاختلاف على محمد بن أبي يعقوب في حديث أبي أمامة في فضل الصائم، وفي (٦/ ٤٧ ـ ٤٨) كتاب «الجهاد»، باب فضل النفقة في سبيل اللَّه تعالى.

وقال الترمذي: حسن صحيح.

وأخرجه البخاري (٣٦٦٦)، ومسلم (٢/ ٧١٢) كتاب «الزكاة»، باب من جمع الصدقة وأعمال البر، حديث (٨٥/ ١٠٢٧)، والنسائي (٥/ ٩) كتاب «الزكاة»، باب وجوب الزكاة. والبيهقي (٩/ ١٧١) من طريق الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة به.

(٤) ينظر: «**التمهيد**» (٧/ ١٨٤).

منها، فنُسِبَ إِلَيْها؛ لأن الجميع من أهل الصلاة؛ وكذلك: مَنْ أكثر من الجهادِ، ومِنَ الصيامِ علَىٰ هذا المعنَىٰ، والرَّيَّانُ: فَعْلاَن من الرِّيِّ، ومعنى الدعاء من تلك الأبواب: إِعطاؤه ثوابَ العامِلِينَ تلْكَ الأعمال، ونَيْلُه ذلك، واللَّه أعلم، وفيه: أنَّ للجنَّة أبواباً، يعني: متعدِّدة بحَسَب الأعمال. انتهى.

وروى ابن أبي شَيْبَة في «مُسْنَدِهِ»، عن النبيِّ ﷺ: «أنَّ لِكُلِّ أَهْلِ عَمَلٍ بَاباً مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ يُدْعَوْنَ فِيهِ بِذَلِكَ العَمَلِ»[1]. هذا لفظه علَىٰ ما نقله صاحب «**الكوكب الدري**». انتهى.

قوله تعالى: ﴿قولٌ معروفٌ ومغفرةٌ خير من صدقة يتبعها أذًى﴾: هذا إِخبارٌ، جزم من اللَّه تعالى أنَّ القول المعروفَ؛ وهو الدعاءُ والتأنيسُ والترجيةُ بما عند اللَّه ـ خير من صدقة، هي في ظاهرِهَا صدَقَةٌ، وفي باطنها لا شَيْء؛ لأن ذلك القوْلَ المعروفَ فيه أجْر، وهذه لا أجْر فيها، والمَغْفِرَة: السَّتْر للخَلَّة، وسوءِ حالة المُحْتَاج؛ ومِنْ هذا قولُ الأعرابيِّ، وقد سأل قوماً بكلام فصيح، فقال له قائلٌ: مِمَّنِ الرجُل؟ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ غَفْراً، سُوءُ الاِكْتِسَابِ يَمْنَعُ مِنَ الاِنْتِسَابِ».

وقال النَّقَّاشُ يقال: معناه: ومغفرةٌ للسائلِ إِنْ أغلظ أو جفا، إِذا حُرِم.

ثم أخبر تعالى بغنَاهُ عن صدَقَةِ مَنْ هذه حالُهُ، وحلْمِهِ عَمَّن يقع منه هذا وإِمهالِهِ.

وحدَّث [ابن] الجَوْزِيِّ[2] في «**صَفْوة الصَّفْوَة**» بسنده إِلى حارثَةَ بْنِ النُّعْمَانِ[3]

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في «**السنة**» (٢/ ٥٧٨) من حديث أبي هريرة.

(٢) عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، القرشي، البغدادي، أبو الفرج، علامة عصره في التاريخ والحديث، كثير التصانيف، مولده في ٥٠٨هـ، له ثلاثمائة مصنف، منها: «**روح الأرواح**»، «**الأذكياء وأخبارهم**»، «**الناسخ والمنسوخ**»، «**تلبيس إبليس**»، «**صيد الخاطر**»، «**غريب الحديث**»، وغيرها كثير جداً. توفي في ٥٩٧هـ.
ينظر: «**وفيات الأعيان**» (١/ ٢٧٩)، «**البداية والنهاية**» (١٣/ ٢٨)، «**مفتاح السعادة**» (١/ ٢٠٧)، «**ابن الوردي**» (٢/ ١١٨)، «**آداب اللغة**» (٣/ ٩١)، «**دائرة المعارف الإسلامية**» (١/ ١٢٥)، «**الأعلام**» (٣/ ٣١٧)، «**البداية والنهاية**» (١٣/ ٢٨ ـ ٣٠)، و «**العبر**» (٤/ ٢٩٧ ـ ٢٩٨)، و «**هدية العارفين**» (١/ ٥٢٠ ـ ٥٢٣).

(٣) حارثة بن النعمان بن نفع بن زيد بن عُبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النّجار الأنصاريّ.
ذكره مُوسَى بنُ عُقْبَةَ وابْنُ سَعْدٍ فيمن شهد بَدْراً، وقد ذكره ابن إسحاق إلا أنه سمى جدّه رافعاً. وقال ابنُ سَعْدٍ: يكنى أبا عبد اللَّه.
وكان برًّا بأُمه، وهو عند أحمد من طريق معمر عن الزهري، عن عروة أو غيره؛ ولفظه: كان أَبَرَّ الناس بأمه.
ينظر: «**الإصابة**» (١/ ٧٠٧).

الصحابيِّ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال، لَمَّا كُفَّ بصره، جعل خيطاً في مُصَلاَّه إلى بابِ حُجْرته، ووضع عنده مِكْتَلاً فيه تَمْرٌ وغير ذلك، فكان إذا سأل المِسْكِين أخذ من ذلك التَّمْر، ثم أخذ من ذلك الخَيْط؛ حتَّىٰ يأخذ إلى باب الحُجْرة، فيناوله المِسْكِين، فكان أهله يقولُونَ: نَحْنُ نَكْفِيكَ، فيقولُ: سَمِعْتُ رسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ مُنَاوَلَةَ المِسْكِينِ تَقِي مِيتَةَ السُّوءِ» انتهى[1].

وقوله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمَنِّ والأذى...﴾ الآية. العقيدةُ أنَّ السيئات لا تبطل الحسنَاتِ، فقال جُمْهُورُ العلماء في هذه الآية: إن الصدقة التي يعلم اللَّه من صاحبها أنه يمنُّ بها أو يؤذِي؛ فإنها لا تُتقبَّلُ صدَقَةً، وقيل: بل يجعل اللَّه للمَلَكِ علَيْها أمارةً، فهو لا يكتبها، قال * ع[2] *: وهذا حسنٌ؛ لأن المانَّ المُؤْذِيَ لم تكُنْ نيَّته خالصةً للَّه سبحانه، فلم تترتَّب له صدقةٌ، فهذا هو البطلانُ بالمَنِّ والأذَىٰ، وهما لا يبطلان صدَقَةً غيرها سالمةَ النية.

ثم مثَّل اللَّه سبحانه هذا الَّذي يَمُنُّ ويؤذي بحَسَب مقدِّمه نيته؛ بالذي ينفقُ رياءً، لا لوجْه اللَّه/، والرِّيَاءُ: مصدرٌ من «فَاعَلَ» من الرؤية: كأنَّ الرياءَ تظاهُر، وتفاخُر بيْن من لا خير فيه من الناس. ٦٨ ب

قال المَهْدَوِيُّ: والتقدير: كإبطال الذي ينفقُ رِيَاءً.

وقوله تعالى: ﴿ولا يؤمن باللَّه واليوم الآخر﴾ يحتمل أنْ يريد الكافر أو المنافق؛ إذْ كلٌّ منهما ينفق؛ ليقال: جَوَاد، ثم مثَّل سبحانه هذا المُنْفِقَ رياءً بِصَفْوَانٍ عليه ترابٌ، فيظنه الظانُّ أرضاً منْبِتَةً طيِّبةً؛ كما يظنُّ قومٌ أنَّ صدقة هذا المرائي لها قَدْر، أو معنًى، فإذا أصاب الصَّفْوَانَ وابلٌ من المَطَر، انْكَشَف ذلك التُّرَاب، وبقي صَلْداً، فكذلك هذا المرائي، إذا كان يوم القيامة، وحضرت الأعمال، انكشَفَ سرُّه، وظهر أنه لا قَدْر لصدَقَاته، ولا مَعْنًى، والصَّفْوَانُ: الحَجَر الكبيرُ الأملَسُ، والوَابِلُ: الكثير القَوِيُّ من المَطَر وهو الذي يُسَيِّلُ وجْهَ الأرْضِ، والصَّلْدُ من الحجارة: الأملَسُ الصُّلْب الذي لا شيْء فيه، ويستعار للرأسِ الذي لا شَعْرَ فيه.

وقوله تعالى: ﴿لاَ يَقْدِرُون﴾ يريد: الذين يتفقُونَ رياءً، أي لا يقدرون على الاِنْتفاع

---

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ٢/ ٥٢).

(٢) ذكره ابن عطية (١/ ٣٥٧).

٥٢٠ ـــــــ

قال قتادة وغيره: ﴿وتثبيتاً﴾: معناه: وتيقُّناً، أي[١]: أنَّ نفوسهم لها بصائرُ متأكِّدة، فهي تثبتهم على الإنفاق في طاعة اللَّه تثبيتاً، وقال مجاهد والحَسَن: معنى قوله: ﴿وتَثْبِيتاً﴾، أي: أنهم يتثبَّتون، أين يَضَعُونَ صَدَقَاتِهِمْ[٢].

قال الحَسَن: كان الرجُلُ، إذا هَمَّ تثبَّت؛ فإنْ كان ذلك لِلَّه أمضاه، وإنْ خالَطَهُ شيْء أَمْسَك[٣].

والقولُ الأول أصوبُ؛ لأن هذا المعنى الذي ذهب إليه مجاهدٌ، والحسنُ إنما عبارته: «وتَثْبِيتاً»، فإنَّ قال محتجٌّ: إن هذا من المصادر الَّتِي خُرِّجَتْ علَىٰ غير الصَّدْر؛ كقوله تعالى: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾ [المزمل: ٨] ﴿واللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً﴾ [نوح: ١٧] فالجوابُ: أنَّ هذا لاَ يسُوغُ إلاَّ مع ذِكْر الصدرِ، والإفصاحِ/ بالفعْلِ المتقدِّم للمصدر، وأمَّا ٦٩أ إذا لم يقع إفصاحٌ بفعْلٍ، فليس لك أنْ تأتي بمصدر في غير معناه، ثم تقول: أحمله علَىٰ فعْلِ كذا وكذا؛ لفعلٍ لم يتقدَّم له ذكْرٌ، هذا مَهْيَعُ كلامِ العربِ فيما علمتُ.

والرَّبْوَةُ: ما ارتفع من الأرض ٱرتفاعاً يسيراً معه في الأغلب كثافةُ الترابِ وطِيبُهُ وتعمُّقه، وما كان كذلك، فنباتُه أحْسَنُ.

ولفظ الرَّبْوَة: مأخوذ من: رَبَا يَرْبُو، إذا زاد، وآتَتْ: معناه أعطت، والأُكُل؛ بضم الهمزة: الثمر الَّذي يُؤْكَل، والشيء المأْكُول مِنْ كُلِّ شيء، يقال له: أُكُل، وإضافته إلى الجنَّة إضافة ٱختصاصٍ؛ كَسَرْج الدَّابَّة، وبابِ الدَّارِ، وضِعْفَيْن: معناه ٱثْنَيْنِ مِمَّا يظن بها، ويُحْزَر من مثلها.

ثم أكَّد سبحانه مدْحَ هذه الربوة؛ بأنها إنْ لم يصبْها وابلٌ، فإن الطَّلَّ يكفيها، وينوبُ مناب الوابِلِ؛ وذلك لكَرَمِ الأرض، والطَّلُّ: المستدَقُّ من القَطْرِ، قاله ابن عبَّاس وغيره[٤]، وهو مشهورُ اللغة، فشبه سبحانه نُمُوَّ نفقاتِ هؤلاء المُخْلِصِينَ الذين يُرْبِي اللَّه صدقاتِهِمْ؛ كتربية الفَلُوِّ[٥] .....

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٦٩) برقم (٦٠٦٥) عن قتادة. وذكره ابن عطية في «تفسيره» (١/ ٣٥٨).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١/ ٧٠) برقم (٦٠٦٩)، (٦٠٧٠)، وذكره الماوردي في «تفسيره» (١/ ٣٤٠)، وابن عطية في «تفسيره» (١/ ٣٥٩)، وابن كثير في «تفسيره» (١/ ٣١٩).

(٣) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (١/ ٣٥٩).

(٤) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (١/ ٣٦٠).

(٥) الفَلُوُّ والفُلُوُّ والفِلْوُ: الجحش والمهر إذا فطم.
ينظر: «لسان العرب» (٣٤٦٩).

والفصيلِ[١]؛ حسب الحديثِ بنموِّ نباتِ هذه الجنة بالرَّبْوَة الموصُوفةِ، وذلك كلُّه بخلافِ الصَّفْوان، وفي قوله تعالى: ﴿واللَّه بما تعملون بَصِيرٌ﴾: وعد ووعيد.

وقوله تعالَىٰ: ﴿أيودُّ أحدكم أنْ تَكُون له جَنَّةٌ من نَخِيلٍ وأعناب...﴾ الآية: حكى الطبريُّ[٢] عن ابْن زَيْد، أنَّه قرأ قوله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا لا تبطلوا صَدَقاتكم بالمَنِّ...﴾ [البقرة: ٢٦٤] الآية: ثم قال: ضرَبَ اللَّه في ذلك مثلاً؛ فقال: ﴿أيود أحدكم...﴾ الآية، وهذا بيِّن، وهو مقتضى سياقِ الكلام[٣]، وقال ابنُ عَبَّاس: هذا مثَلٌ ضربه اللَّه؛ كأنه قال: أيودُّ أحدُكم أنْ يعمل عمره بعَمَلِ أهْل الخير، فإذا فَنِيَ عمره، واقترَبَ أجله، خَتَم ذلك بعَمَلٍ مِنْ عمل أهْل الشقاء، فَرَضِيَ ذلك عُمَرُ منه، رضي اللَّه عنه[٤]، وروى ابْنُ أبِي مُلَيْكَةَ[٥] عن عُمَر نحوه[٦].

* ع[٧] *: فهذا نظرٌ يحمل الآية علَىٰ كلِّ ما يدخل تحْتَ ألفاظها، وقال بنَحْو هذا مجاهدٌ وغيره[٨]، ونقل الثَّعْلَبِيُّ عن الحَسَن، قال: قَلَّ واللَّهِ، من يعقلُ هذا المَثَلَ شيْخٌ كبر سنه، وضَعُف جسمه، وَكَثُرَ عياله، أَفْقَرُ ما كان إلى جنته، وأحدُكم أفْقَرُ ما يكُونُ إِلَىٰ عمله، إذا انقطعَتِ الدنْيَا عنه. انتهى، وهو حَسَنٌ جدًّا.

---

(١) الفَصِيلُ: ولد الناقة إذا فُصِلَ عن أمه، والجمع فُصْلانٌ، وفِصَالٌ. ينظر: «لسان العرب» (٣٤٢٣).

(٢) أخرجه الطبري (٣/ ٧٧) برقم (٦١٠٢).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١/ ٧٧) برقم (٦١٠٢).

(٤) أخرجه البخاري (٤٥٣٨)، وأخرجه الطبري في «تفسيره» (١/ ٧٥) برقم (٦٠٩٣)، وذكره البغوي في «تفسيره» (١/ ٢٥٣)، وابن عطية في «تفسيره» (١/ ٣٦٠)، والسيوطي في «الدر» (١/ ٦٠٢)، وعزاه لابن المبارك في «الزهد»، وعبد بن حميد، والبخاري، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والحاكم عن ابن عباس.

(٥) عبد اللَّه بن عُبَيْد اللَّهِ بن زُهَيْر، وهو أبو مُلَيكة بن عبد اللَّه بن جُدْعان بن عَمْرو بن كَعْب بن سعد بن تَيْم، التيمي، أبو بكر المكي. عن عائشة، وأم سلمة، وأسماء، وابن عباس. وأدرك ثلاثين من الصحابة (رضي اللَّه عنهم). وعنه ابنه يحيى، وعطاء، وعمرو بن دينار. وثقه أبو حاتم وأبو زرعة. قال البخاري: مات سنة سبع عشرة ومائة.
ينظر: «الخلاصة» (٢/ ٧٦)، و «تهذيب التهذيب» (٥/ ٣٠٦)، «تقريب التهذيب» (١/ ٤٣١)، و «تهذيب الكمال» (٢/ ٧٠٧)، «الكاشف» (٢/ ١٠٦)، «طبقات ابن سعد» (٤٧٣).

(٦) ينظر الأثر السابق، و «المحرر الوجيز» (١/ ٣٦٠).

(٧) ذكره ابن عطية (١/ ٣٦٠).

(٨) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٧٥) برقم (٦٠٩٢)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٦٠٣)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم عن مجاهد.

وقال أبو عبد اللَّه اللَّخْمِيُّ في «مختصره» لتفسير الطبريِّ: وعن قتادة: هذا مثلٌ[١]، فأعقلوا عن اللَّه أمثالَهُ؛ هذا رجلٌ كَبرت سنُّه، ورَقَّ عظمه، وكَثُر عياله، ثم احترقَتْ جنَّته، أحْوجَ ما يَكُون إليها، يقول: أيحبُّ أحدكم أنْ يضلَّ عنه عمله يَوْمَ القيامةِ أحْوَجَ ما يكُونُ إلَيْه. وعن الحَسَنِ نحوه. انتهى.

وخصَّ الأعناب والنَّخيل بالذكْر، لشرفهما، وفَضْلهما علَىٰ سائر الشَّجَر، والواو في قوله: ﴿وَأَصَابَهُ﴾ واو الحالِ؛ وكذلك في قوله: ﴿وَلَهُ﴾، وضعفاءُ: جمعُ ضعيفٍ، والأعصار: الريحُ الشديدةُ العاصفةُ التي فيها إحراق لكلِّ ما مرَّت عليه يكونُ ذلك في شدَّة الحرِّ، ويكون في شدَّة البَرْد، وكلُّ ذلك من فيح جهنَّم.

و ﴿لَعَلَّكُمْ﴾: تَرَجٍّ في حقِّ البَشَر، أي: إذا تأمَّل من بُيِّنَ له هذا البيان رُجِيَ له التفكُّر، وكان أهْلاً له، وقال ابنُ عَبَّاس: تتفكَّرونَ في زوالِ الدنْيَا، وفنَائِها، وإقبال الآخرةِ وبقائها[٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يأيُّها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم...﴾ الآية: هذا خطابٌ لجميع أمَّة نبيِّنا محمَّد ﷺ/ وهذه صيغةُ أمر بالإنفاق، واختلف المتأوِّلون، هل المرادُ بهذا ٦٩ ب الإنفاق الزَّكَاةُ المفروضةُ، أو التطوُّع، والآية تعمُّ الوجهَيْن، لكنَّ صاحب الزكاة يتلَقَّاها على الوُجُوب، وصاحب التطوُّع يتلَقَّاها على الندْبِ، وجمهورُ المتأوِّلين قالوا: معنى ﴿مِنْ طَيِّبَاتِ﴾: من جَيِّد ومختارِ ما كسبتُمْ، وجعلوا الخبيثَ بمعنَى الرديء، وقال ابن زَيْد: معناه: من حلالِ ما كسبتمْ[٣]، قال: وقوله: ﴿وَلاَ تَيَمَّمُوا الخَبِيثَ﴾، أي: الحرام[٤].

* ع[٥] *: وقولُ ابن زيدٍ ليس بالقويِّ من جهة نَسَق الآيةِ، لا من معناه في نَفْسه.

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١/ ٧٧) برقم (٦٠٩٨)، وذكره السيوطي في «تفسيره» (١/ ٦٠٤)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٨٠) برقم (٦١١٨)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (١/ ٣٦١).

(٣) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (١/ ٣٦١).

(٤) ينظر السابق.

(٥) ذكره ابن عطية (١/ ٣٦١).

و﴿كَسَبْتُمْ﴾: معناه: كانت لكُمْ فيه سعاية، ﴿ومِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الأَرْضِ﴾: النباتات، والمَعَادن، والرِّكَاز، وما ضَارع ذلك، و ﴿تَيَمَّمُوا﴾: معناه: تعمدوا، وتَقْصِدوا، والتيمُّم: القصْد، وقال الجُرْجَانِيُّ: قال فريقٌ من الناس: إن الكلام تَمَّ في قوله: ﴿الخَبِيثَ﴾، ثم ابتدأ خَبَراً آخر، فقال: تَنْفِقُونَ منه وأنتم لا تأخذونه إلا إذا أغمضتم، أي: ساهَلْتُم، قال * ع[1] *: كأنَّ هذا المعنَىٰ عتابٌ للنَّفْسِ وتقريعٌ؛ وعلَىٰ هذا، فالضميرُ في ﴿مِنْهُ﴾ عائدٌ على ﴿الخَبِيث﴾.

قال الجُرْجَانِيُّ: وقال فريقٌ آخر: بل الكلامُ متَّصِلُ إلى قوله: ﴿فِيهِ﴾؛ وعلى هذا، فالضمير في «مِنْهُ» عائدٌ على: «مَا كَسَبْتُمْ»؛ كأنه في موضعَ نصب على الحالِ، والمعنَىٰ في الآية: فَلاَ تَفْعَلُوا مع اللَّهِ ما لا ترضَوْنه لأنفُسِكم، وٱعلموا أنَّ اللَّه غنيٌّ عن صدقاتكم، فمَنْ تقرب وطلب مثوبةً، فلْيفعلْ ذلك بما لَهُ قَدْرٌ.

* ت *: وهذا يقوِّي القولَ بأنها في الزكَاةِ المفروضَةِ، و ﴿حَمِيدٌ﴾: معناه محمودٌ.

وقوله تعالى: ﴿الشيطانُ يعدكُم الفقْرَ...﴾ الآية: هذه الآيةُ وما بعدها ـ وإن لم تكُنْ أمراً بالصدقة، فهي جالبةُ النفوس إلى الصدقة ـ بيَّن ـ عزَّ وجلَّ ـ فيها نزغاتِ الشيطانِ، ووسوستَهُ، وعداوتَهُ، وذكَّر بثوابه هو سبحانه، لا رَبَّ غيره، وذَكَّر بتفضُّله بالحكْمة، وأثنَىٰ عليها، ونبَّه أنَّ أهل العقول هم المتذكِّرون الذين يقيمُونَ بالحكْمة قدْرَ الإنفاق في طاعةِ اللَّه، وغير ذلك، ثم ذكر سبحانه علْمَهُ بكلِّ نفقة ونَذْر، وفي ذلك وعْدٌ ووعيدٌ، ثم بيَّن الحِكَمَ في الإعلان والإخفاء؛ وكذلك إلى آخر المعنَىٰ.

والوعد؛ في كلامِ العربِ، إذا أطلق، فهو في الخير، وإذا قُيِّد بالموعود، فقد يقيد بالخَيْر، وقد يقيَّد بالشر؛ كالبِشَارة، وهذه الآية مما قُيِّدَ الوعْدُ فيها بمكْرُوه، والفَحْشَاءُ: كلُّ ما فَحُشَ، وفَحُشَ ذكْرُه، روى ابْنُ مسعودٍ، عن النبيِّ ﷺ؛ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَّةً[2] مِن ٱبْنِ آدَمَ، وَلِلْمَلِكِ لَمَّةً، فَأَمَّا لَمَّةُ الشَّيْطَانِ، فَإِيعَادٌ بالشَّرِّ، وَتَكْذِيبٌ بِالحَقِّ، وأَمَّا لَمَّةُ المَلَكِ، فَإِيعَادٌ بِالخَيْرِ، وَتَصْدِيقٌ بِالحَقِّ، فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ، فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مِنَ اللَّهِ، فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ الأُخْرَىٰ، فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ» ثُمَّ قرأَ ﷺ: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بالفَحْشَاءِ...﴾ الآية. قُلْتُ: هذا حديثٌ صحيحٌ خرَّجه أبو عيسَى التِّرمذيُّ، وقال

---

(١) ذكره ابن عطية (١/ ٣٦٢).

(٢) اللَّمَّة: الهمة والخَطْرَة تقع في القلب. ينظر: «لسان العرب» (٤٠٧٩).

فيه: حَسَنٌ غريبٌ صحيحٌ[١].

والمغفرةُ: هي السَّتْر علَىٰ عبادِهِ في الدنيا والآخرة، والفَضْل: هو الرزق في الدنيا، والتوسعةُ فيه، والنَّعِيمُ في الآخرة، وَبِكُلٍّ قدْ وعد اللَّه جلَّ وعلاَ، وروي، أنَّ في التوراة: «عَبْدِي، أَنْفِقْ مِنْ رِزْقِي، أَبْسُطْ عَلَيْكَ فَضْلِي، فَإِنَّ يَدِي مَبْسُوطَةٌ عَلَىٰ كُلِّ يَدٍ مَبْسُوطَةٍ»؛ وفي القُرآن مصداقه، وهو: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ/ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]. ٧٠أ

* ت *: روى الطَّبرانيُّ سليمانُ بْنُ أحْمَدَ[٢]، بسنده عَنْ عبد اللَّه بنِ عمرٍو، قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ أَطْعَمَ أَخَاهُ حَتَّىٰ يُشْبِعَهُ، وسَقَاهُ مِنَ المَاءِ، حَتَّىٰ يَرْوِيَهُ، بَعَّدَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ سَبْعَ خَنَادِقَ مَا بَيْنَ كُلِّ خَنْدَقَيْنِ مَسِيرَةُ مِائَةِ عَامٍ»[٣]. انتهى.

وعن أبي سَعيدٍ الخُدْرِيِّ ـ رضي اللَّه عنه ـ عَنِ النبيِّ ﷺ قال: «أَيُّمَا مُسْلِمٍ كَسَا مُسْلِماً ثَوْباً عَلَىٰ عُرْيٍ، كَسَاهُ اللَّهُ مِنْ خُضْرِ الجَنَّةِ، وَأَيُّمَا مُسْلِمٍ أَطْعَمَ مُسْلِماً عَلَىٰ جُوعٍ أَطْعَمَهُ اللَّهُ مِنْ ثِمَارِ الجَنَّةِ، وأَيُّمَا مُسْلِمٍ سَقَىٰ مُسْلِماً عَلَىٰ ظَمَإٍ، سَقَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الرَّحِيقِ المَخْتُومِ» أخرجه أبو داود[٤]، مِنْ حديثِ أبي خالدٍ، هو الدَّالانِي[٥]، عن نُبَيْحٍ[٦]،

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٢١٩ ـ ٢٢٠)، كتاب «التفسير» باب سورة البقرة، حديث (٢٩٨٨)، وأبو يعلى (٨/ ٤١٧) رقم (٤٩٩٩)، وابن حبان (٤٠ـ موارد)، والطبري (٣/ ٨٨) كلهم من طريق عطاء بن السائب عن مرة الهمداني عن ابن مسعود به.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

(٢) سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم، ولد بـ «عكا» سنة ٢٦٠هـ. من كبار المحدثين، أصله من «طبرية» الشام، وإليها نسبته، رحل إلى الحجاز، واليمن، ومصر، والعراق، وفارس، والجزيرة، وتوفي سنة ٣٦٠هـ بـ «أصبهان». له ثلاثة معاجم في الحديث، منها **«المعجم الصغير»** وله كتب في **«التفسير»**، و **«الأوائل»**، و **«دلائل النبوة»** وغير ذلك.
ينظر: **«وفيات الأعيان»** (١/ ٢١٥)، و **«النجوم الزاهرة»** (٤/ ٥٩)، و **«تهذيب ابن عساكر»** (٦/ ٢٤٠)، و **«الأعلام»** (٣/ ١٢١).

(٣) ذكره الهيثمي في **«مجمع الزوائد»** (٣/ ١٣٣)، وقال: رواه الطبراني في **«الكبير»** و **«الأوسط»** بنحوه إلا أنه قال: من أطعم أخاه خبزاً، وفيه رجاء بن أبي عطاء، وهو ضعيف.

(٤) أخرجه أبو داود (١/ ٥٢٦) كتاب «الزكاة»، باب في فضل سقي الماء، حديث (١٦٨٢) من طريق أبي خالد الدالاني عن نبيح عن أبي سعيد مرفوعاً.

(٥) أبو خالد الدَّالاَنِي الكوفي، اسمه يزيد بن عبد الرحمن، عن عَمْرو بن مُرَّة، والمِنْهَال بن عَمْرو، وعنه الثوري، وشعبة، وثقه أبو حاتم، وقال النسائي: ليس به بأس، وقال ابن عَدِيّ: في حديثه لين مات سنة مائة. ينظر: **«الخلاصة»** (٣/ ٢١٤).

(٦) نُبَيْح بن عبد اللَّه، العَنَزِي الكوفي، عن جابر، وابن عباس، وابن عمر، وعنه الأسود بن قيس وجماعة، وثقه أبو زرعة. ينظر: **«الخلاصة»** (٣/ ١٠٤).

وقد وثَّق أبو حاتم أبا خالدٍ، وسُئِل أبو زُرْعَة[١] عن نُبَيْح، فقال: هو كوفيٌّ ثقة. انتهى من «**الإلمام في أحاديثِ الأحكَامِ**»؛ لابن دقيقِ العِيدِ[٢].

و ﴿وَاسِع﴾: لِأنه وَسِعَ كلَّ شيء رحمةً وعلماً.

﴿يُؤْتِي الحِكْمَةَ﴾: أَيْ: يعطيها لِمَنْ يَشَاء من عباده، والحكمةُ مصدرٌ من الإحكام، وهو الإتقان في عملٍ أو قولٍ، وكتابُ اللَّهِ حكْمَةٌ، وسُنَّةُ نبيِّه ـ عليه السلام ـ حِكْمَةٌ، وكلُّ ما ذكره المتأوِّلون فيها، فهُوَ جُزْء من الحكْمة التي هي الجنْس، قال الإمامُ الفَخْر في شرحه لأسماء اللَّه الحسنَىٰ: قال المحقِّقون: العلماءُ ثلاثةٌ: علماءُ بأحكامِ اللَّهِ فقط؛ وهم العلماءُ أصحابُ الفتوَىٰ، وعلماءُ باللَّهِ فقَطْ؛ وهم الحكماءُ، وعلماءُ بالقِسْمَيْن؛ وهُمُ الكبراءُ، فالقسْم الأول كالسِّراجِ يحرقُ نَفْسَه، ويضيءُ لغَيْره، والقسم الثَّاني حالُهم أكْمَلُ من الأوَّل؛ لأنه أَشْرَقَ قَلْبُهُ بمَعْرفة اللَّه، وسره بنُور جلالِ اللَّه، إلاَّ أنه كالكَنْز تَحْت التُّرَابِ، لا يصلُ أَثَرُه إِلَىٰ غيره، وأما القسمُ الثالثُ، فهم أشرفُ الأقسامِ، فهو كالشَّمْسِ تضيءُ العَالَمَ؛ لأنه تامٌّ، وفوْقَ التامِّ. انتهى.

وباقي الآية تذكرةٌ بيِّنة، وإقامة لِهِمَمِ الغَفَلَةِ ـ و ﴿الألباب﴾: العقولُ، واحدها لُبٌّ.

﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ

---

(١) عبيد اللَّه بن عبد الكريم بن يزيد بن فَرُّوخ، المخزومي، مولاهم، أبو زرعة الرازي الحافظ، أحد الأعلام والأئمة. عن: أبي نعيم، وقَبِيْصة، وخلائق، وعنه: مسلم، والترمذي، والنسائي، وابن ماجة. قال أحمد: ما جاوز الجسر أحفظ من أبي زرعة، قال إسحاق: كل حديث لا يعرفه أبو زرعة فليس له أصل. وقال صالح بن محمد عنه: إنه قال: أحفظ عشرة آلاف حديث من القرآن. مات سنة أربع وستين ومائتين.

ينظر: «**تهذيب الكمال**» (٢/ ٨٨١)، و «**تهذيب التهذيب**» (٧/ ٣٠)، و و «**خلاصة تهذيب الكمال**» (٢/ ١٩٥)، و «**الكاشف**» (٢/ ٢٣٠)، و «**الجرح والتعديل**» (١/ ٣٢٨)، و «**سير الأعلام**» (١٣/ ١٦٥).

(٢) محمد بن علي بن وهب بن مطيع بن أبي الطاعة القشيري، تقي الدين ابن دقيق العيد، ولد سنة ٦٢٥هـ، تفقه على والده، ثم على ابن عبد السلام، وسمع الحديث من جماعة، قال ابن عبد السلام: ديار مصر تفتخر برجلين في طرفيها: ابن منير بالإسكندرية، وابن دقيق العيد بقوص. قال السبكي: ولم ندرك أحداً من مشايخنا يختلف في أن ابن دقيق العيد هو العالم المبعوث على رأس السبعمائة، وأنه أستاذ زمانه علماً وديناً. . صنف «**الإلمام**» في الحديث، وله «**شرح العمدة**» أملاه إملاء، وله «**الاقتراح في اختصار علوم ابن الصلاح**» وهو مطبوع. مات سنة ٧٠٢. انظر: «**طبقات ابن قاضي شهبة**» (٢/ ٢٢٩)، و «**طبقات الإسنوي**» (ص ٣٣٦)، و «**طبقات السبكي**» (٦/ ٢).

عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ﴾

وقوله تعالى: ﴿وما أنفقتم من نفقةٍ أو نذَرْتم من نذر. . .﴾ الآية: يقال: نَذَرَ الرَّجُلُ كَذَا، إذا التزم فعله.

وقوله تعالى: ﴿فإن اللَّه يعلمه﴾. قال مجاهدٌ: معناه: يُحْصِيه، وفي الآيةِ وعْدٌ ووعيدٌ، أي: مَنْ كان خالص النيَّة، فهو مثابٌ، ومن أنْفَقَ رياءً أو لمعنًى آخَرَ ممَّا يكْشفه المَنُّ والأذَىٰ، ونحو ذلك، فهو ظالمٌ يذهب فعْلُه باطلاً، ولا يجد ناصراً فيه.

وقوله تعالى: ﴿إنْ تبدوا الصدقاتِ فَنِعِمَّا هي. . .﴾ الآية: ذهب جمهورُ المفسِّرين إلى أنَّ هذه الآيةَ في صدَقَةِ التطوُّع، قال ابن عبَّاس: جعل اللَّه صدَقَةَ السِّرِّ في التطوُّع تفضُلُ علانيتها، يقال: بسبعين ضِعْفاً، وجعل صدَقَةَ الفريضَةِ علانيتَهَا أفْضَلَ من سرِّها، يقال: بخَمْسَةٍ وعشْرين ضِعْفاً، قال: وكذلك جميعُ الفرائضِ والنوافلِ في الأشياء كلِّها[١].

* ع[٢] *: ويقوِّي ذلك قولُ النبيِّ ﷺ: «صَلاَةُ الرَّجُلِ فِي بَيْتِهِ أَفْضَلُ مِنْ صَلاَتِهِ فِي المَسْجِدِ إلاَّ المَكْتُوبَة»[٣]، وذلك أن الفرائضَ لا يدْخُلُها رياءٌ، والنوافل عُرْضَةٌ لذلك، قال الطبريُّ[٤]: أجمعَ النَّاس علَىٰ أن إظهار الواجِبِ أفضلُ.

وقوله تعالى: ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾: ثناءٌ علَىٰ إبداء الصدقةِ، ثم حكم أنَّ الإخفاء خيْرٌ من ذلك الإبداءِ، والتقديرُ: نِعْمَ شيءٌ إبداؤها، فالإبداء هو المخصوصُ بالمدْحِ؛/ وخرَّج أبو ٧١أ
داود في «سننه»، عن أبي أُمَامَةَ، قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «انْطُلِقَ بِرَجُلٍ إِلَىٰ بَابِ الجَنَّةِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَإِذَا عَلَىٰ بَابِ الجَنَّةِ مَكْتُوبٌ: الصَّدَقَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَالقَرْضُ الوَاحِدُ بِثَمَانِيَةَ عَشَرَ؛ لأنَّ صاحب القرضِ لا يأتيك إلاَّ وهو محتاجٌ، والصدقةُ ربما وُضِعَتْ في غنيٍّ، وخرَّجه ابن ماجه في «سننه»، قال: حدَّثنا عُبَيْدُ اللَّه بن عبد الكريم، حدَّثنا هشام بْنُ خالدٍ[٥]، حدَّثنا خالدُ بن يَزِيدَ بْنِ أبي مالكٍ[٦]، عن أبيه، عن أنس بن مالك، قال: قَالَ رَسُولُ

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٩٣) برقم (٦١٩٥)، وذكره الماوردي في «النكت» (١/ ٣٤٥)، وابن عطية في «تفسيره» (١/ ٣٦٥)، وابن كثير في «تفسيره» (١/ ٣٢٣).

(٢) ذكره ابن عطية (١/ ٣٦٥).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) ذكره الطبري (٣/ ٩٣).

(٥) هشام بن خالد الأزْرَق، أبو مَرْوَان الدمشقي. عن الوليد بن مُسْلم وجماعة. وعنه أبو داود وابن ماجه. قال أبو حاتم: صَدُوق. قال عَمْرو بن دُحَيْم: مات سنة تسع وأربعين ومائتين.
ينظر: «الخلاصة» (٣/ ١١٣).

(٦) خالد بن يزيد بن عبد الرحمن بن أبي مالك، الهمْداني، أبو هاشم الدمشقي، عن أبيه وأبي رَوْق، وعنه=

اللَّهِ ﷺ: «رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَىٰ بَابِ الجَنَّةِ مَكْتُوبٌ: الصَّدَقَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَالقَرْضُ بِثَمَانِيَةَ عَشَرَ، فَقُلْتُ لِجِبْرِيلَ: مَا بَالُ القَرْضِ أَفْضَلُ مِنَ الصَّدَقَةِ؟ قَالَ: إِنَّ السَّائِلَ يَسْأَلُ وَعِنْدَهُ، وَالمُسْتَقْرِضُ لاَ يَسْتَقْرِضُ إِلاَّ مِنْ حَاجَةٍ»[1]. انتهى من «**التذكرة**».

وقرأ ابن كثير وغيره: «ونُكَفِّرُ»؛ بالنون، ورفع الراء، وقرأ ابن عامر: «وَيُكَفِّرُ»، بالياء، ورفع الراء، وقرأ نافع وغيره: «وَنُكَفِّرْ»، بالنون، والجزمِ، فأما رفع الراء، فهو علَىٰ وجهين:

أحدهما: أن يكون الفعْلُ خبر ابتداءٍ، تقديره: ونحن نكفِّر، أو: واللَّه يكفر.

والثَّاني: القطع، والاستِئْناف، والواو لعطْفِ جملةٍ على جملةٍ، والجزمُ في الراءِ أفصحُ هذه القراءات؛ لأنها تؤذن بدُخُول التكفير في الجزاء، وكونه مشروطاً إن وقع الإخفاء، وأمَّا رفع الراءِ، فليس فيه هذا المعنَىٰ، و «مِنْ» في قوله: ﴿مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ للتبعيضِ المحْضِ، لا أنها زائدةٌ؛ كما زعم قومٌ، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾: وعدٌ ووعيدٌ.

﴿۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ ۚ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿ليس علَيْكَ هُدَاهم...﴾ الآية: وَرَدَتْ آثار أن النبيَّ ﷺ مَنَعَ فُقَرَاء أَهْلِ الذمَّة من الصَّدَقَة، فنزلَتِ الآية مبيحةً لهم، وذكر الطبريُّ[2]؛ أن مَقْصِدَ النبيِّ ﷺ بِمَنْعِ

= أحمد بن أبي الحَوَارِي، وهاه ابن مَعين، وقال ابن حبان: صدوق، في حديثه مناكير، وقال النسائي: ليس بثقة، ووثقه أحمد بن صالح، وأبو زُرْعة الدمشقي، مات سنة خمس وثمانين ومائة.
ينظر: «**الخلاصة**» (١/ ٢٨٦).

(١) أخرجه ابن ماجه (٢/ ٨١٢): كتاب «الصدقات»، باب القرض، حديث (٢٤٣١).
قال البوصيري في «**الزوائد**» (٢/ ٢٥٢): هذا إسناد ضعيف؛ خالد بن يزيد بن عبد الرحمن بن مالك، أبو هشام الهمداني الدمشقي، ضعفه أحمد، وابن معين، وأبو داود، والنسائي، وأبو زرعة، وابن الجارود، والساجي، والعقيلي، والدارقطني وغيرهم. ووثقه أحمد بن صالح المصري، وأبو زرعة الدمشقي. وقال ابن حبان: هو من فقهاء الشام، كان صدوقاً في الرواية ولكنه كان يخطىء كثيراً. وأبوه فقيه «دمشق» ومفتيهم.

(٢) ذكره الطبري (٣/ ٩٤ ـ ٩٥).

الصدَقة، إنَّما كان ليُسْلِمُوا، ولِيَدْخُلُوا في الدِّين، فقال اللَّه سبحانه: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُم﴾، قال * ع[١] *: وهذه الصدقةُ التي أبيحَتْ لهم حسبَمَا تضمَّنته هذه الآثار، إنما هي صدقة التطوُّع، وأما المفروضة، فلا يجزىء دفعها لكَافِرٍ، قال ابن المُنْذِرِ[٢]: إجماعاً فيما عَلِمْتُ، وقول المَهْدَوِيِّ: إباحتها هذه الآية مردودٌ، قال ابن العَرَبِيِّ[٣]، وإذا كان المُسْلِمُ يترك أركان الإِسْلاَم من الصَّلاة، والصيام، فلا تُصْرَفُ إِلَيْه الصدقة؛ حتَّىٰ يتُوبَ، وسائرُ المعاصِي تُصْرَف الصدَقَةُ إِلَىٰ مرتكبيها؛ لدخولِهِمْ في اسم المسلمين. انتهى من **«الإحكام»**، ويعني بالصدقةِ المفروضةَ، والهدى الَّذي ليس على نَبيِّنا ﷺ هو خَلْق الإِيمان في قلوبهم، وأما الهُدَى الذي هو الدعاءُ، فهو علَيْه ﷺ، وليس بمراد في هذه الآية.

ثم أخبرَ سُبْحَانه؛ أنه يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، وفي الآية ردٌّ على القدريَّة وطوائفِ المعتزلةِ، ثم بيَّن تعالَىٰ؛ أنَّ النفقة المقبولَةَ ما كان ابتغاءَ وَجْهِ اللَّهِ.

وفي الآية تأويلٌ آخرُ، وهو أنها شهادة مِنَ اللَّهِ تعالَىٰ للصحابةِ؛ أنهم إنما ينفقون ابتغاءَ وَجْه اللَّه سبحانه، فهو خَبَر منه لهم فيه تفضيلٌ، ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾، أي: في الآخرة، وهذا هو بيانُ قوله: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ﴾، والخير هنا: المالُ/ ؛ بقرينة الإِنفاق، ومتَىٰ لم يقترن بما يدلُّ على أنَّه المال، فلا يلزم أن يكون بمعنى المال، وهذا الذي قلْناه تحرُّزاً من قول عِكْرِمَةَ: كُلُّ خَيْرٍ في كتابِ اللَّهِ، فهو المالُ[٤]. ٧١أ

وقوله تعالى: ﴿للفقراءِ الَّذين أُحْصِرُوا في سبيل اللَّه...﴾ الآية: التقديرُ: الإِنفاق أو الصدقةُ للفقراءِ، قال مجاهد وغيره: المرادُ بهؤلاءِ الفقراءِ فقراءُ المهاجرينَ من قريشٍ وغيرهم[٥].

---

(١) ذكره ابن عطية (١/ ٣٦٧).

(٢) محمد بن إبراهيم بن المنذر، أبو بكر النيسابوري الفقيه، نزيل مكة أحد الأئمة الأعلام، وممن يُقْتَدى بنقله في الحلال والحرام، صنف كتباً معتبرة عند أئمة الإسلام، منها **«الإشراف في معرفة الخلاف»**، و **«الأوسط»** وهو أصل الإشراف، والإجماع والإقناع والتفسير وغير ذلك وكان مجتهداً لا يقلد أحداً. ينظر: **«طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة»** (١/ ٩٨)، **«طبقات الشافعية للسبكي»** (٢/ ١٢٦)، **«وفيات الأعيان»** (٣/ ٣٤٤)، **«شذرات الذهب»** (٢/ ٢٨٠).

(٣) ينظر: **«أحكام القرآن»** (١/ ٢٣٨).

(٤) ذكره ابن عطية في **«تفسيره»** (١/ ٣٦٨).

(٥) أخرجه الطبري في **«تفسيره»** (٣/ ٩٦، ٦٢١٠) بنحوه، وابن عطية في **«تفسيره»** (١/ ٣٦٨) وابن كثير في **«تفسيره»** (١/ ٣٢٤).

* ع[١] *: ثم تتناول الآيةُ كلَّ مَنْ دخل تحْتَ صفة الفَقْر غابِرَ الدَّهْر، ثم بيَّن اللَّه سبحانه من أحْوَالِ أولئك الفقراءِ المهاجِرينَ ما يُوجِبُ الحُنُوَّ عليهم بقوله: ﴿الَّذِينَ أُحْصِرُوا في سبيلِ اللَّه﴾، والمعنَىٰ: حُبِسُوا، ومُنِعُوا، وتأوَّل الطبريُّ[٢] في هذه الآية؛ أنهم هم حَابِسُوا أَنْفُسِهِمْ بِرِبْقَة الدِّيْن، وقصد الجهاد، وخَوْفِ العَدُوِّ، إذ أحاط بهم الكُفْر، فصار خوف العدو عذْراً أحْصِروا به.

* ع[٣] *: كأنَّ هذه الأعذار أحصرتْهم، فالعدُوُّ وكلُّ محيطٍ يحصر، وقوله: ﴿فِي سَبِيلِ اللَّه﴾ يحتملُ الجهادَ، ويحتمل الدخولَ في الإسلام، والضَّرْبُ في الأرض: هو التصرُّف في التجارة، وكانُوا لا يستطيعونَ ضَرْباً في الأرض؛ لكون البلادِ كلِّها كفْراً مطبقاً، وهذا في صدْر الهجْرة، وكانوا ـ رضي اللَّه عنهم ـ من الاِنْقباضِ، وترْكِ المسألةِ، والتوكُّلِ على اللَّه تعالَىٰ؛ بحيث يحسبهم الجاهلُ بباطنِ أحوالهم أغنياءَ.

* ت *: واعْلَمْ أنَّ المواساة واجبةٌ، وقد خرَّج مسلمٌ وأبو داود عن أبي سعيدٍ الخدري، قال: «بَيْنَمَا نَحْنُ فِي سَفَرٍ، مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ علَىٰ راحِلَةٍ، فَجَعَلَ يَصْرِفُ بَصَرَهُ يَمِيناً وَشَمَالاً، فَقَالَ النبيُّ ﷺ: «مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَىٰ مَنْ لاَ ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَىٰ مَنْ لاَ زَادَ لَهُ»، قَالَ: فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ المَالِ مَا ذَكَرَ؛ حَتَّىٰ رُئِينَا أَنَّهُ لاَ حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ[٤] انتهى.

و ﴿التعفُّف﴾: تفعُّلٌ، وهو بناءُ مبالغةٍ من: عَفَّ عن الشيْءِ، إذا أمْسَك عنه، وتنزَّه عن طَلَبه، وبهذا المعنَىٰ فسره قتادةُ وغيره.

* ت *: مَدَح اللَّه سبحانه هؤُلاءِ السَّادَةَ علَىٰ ما أعطاهم من غنى النفْسِ، وفي الحديثِ الصحيحِ: «لَيْسَ الغِنَىٰ عَنْ كَثْرَةِ المَالِ، وَإِنَّمَا الغِنَىٰ غِنَى النَّفْسِ»[٥] وقد صحَّ

---

(١) ينظر: «المحرر» (١/ ٣٦٨).

(٢) ينظر: «الطبري» (٣/ ٩٧).

(٣) ينظر: «المحرر» (١/ ٣٦٨).

(٤) أخرجه مسلم (٣/ ١٣٥٤) كتاب «اللقطة»، باب استحباب المواساة بفضول المال، حديث (١٧٢٨)، وأبو داود (١/ ٥٢٢) كتاب «الزكاة»، باب في حقوق المال، حديث (١٦٦٣)، وأحمد (٣/ ٣٤)، وأبو يعلى (٢/ ٣٢٦) رقم (١٠٦٤) كلهم من طريق أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري به.

(٥) أخرجه البخاري (١١/ ٢٧٦)، كتاب «الرقاق»، باب الغنى غنى النفس، حديث (٦٤٤٦)، ومسلم (٢/ ٧٢٦) كتاب «الزكاة»، باب ليس الغنى عن كثرة العرض، حديث (١٢٠/ ١٠٥١)، والترمذي (٤/ ٥٠٦ـ ٥٠٧) كتاب «الزهد»، باب ما جاء أن الغنى غنى النفس، حديث (٢٣٧٣)، وابن ماجه (٢/ ١٣٤٨٦): =

عنه ﷺ؛ أَنَّهُ قَالَ: «اللَّهُمَّ، اجْعَلْ قُوتَ آلِ مُحَمَّدٍ كَفَافاً» أخرجه مسلم، وغيره[١]، وعنْدِي أن المراد بالآلِ هنا متَّبِعُوه ﷺ.

وفي سنن ابْن مَاجَة، عن أنس، قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا مِنْ غَنِيٍّ، وَلاَ فَقِيرٍ إِلاَّ وَدَّ يَوْمَ القِيَامَةِ أَنَّهُ أُوتِيَ مِنَ الدُّنْيَا قُوتاً»[٢]، وروى مسلم والترمذيُّ عن أبي أُمَامة، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ إِنْ تَبْذُل الفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ، وَإِنْ تُمْسك شَرٌّ لَكَ، وَلاَ تُلاَمُ عَلَىٰ كَفَافٍ، وَٱبْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَاليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَىٰ»[٣]، قال أبو عيسَىٰ،

= كتاب «الزهد»، باب القناعة، حديث (٤١٣٧)، وأحمد (٢/ ٢٤٣)، ٣٩٠)، وأبو يعلى (١١/ ١٣٣) رقم (٦٢٥٩)، وابن حبان (٦٧٩)، والبغوي «**شرح السنة**» (٧: ٢٨٩ـ بتحقيقنا) كلهم من حديث أبي هريرة.
وقال الترمذي: حسن صحيح.
وللحديث شاهد من حديث أنس: أخرجه أبو يعلى (٥/ ٤٠٤) رقم (٣٠٧٩) من طريق الخليل بن عمر العبدي، حدثني أبي عن قتادة عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس».
وقال الهيثمي في «**المجمع**» (١٠/ ٢٤٠): رواه الطبراني في «**الأوسط**»، ورجال الطبراني رجال الصحيح.

(١) أخرجه البخاري (١١/ ٢٨٧) كتاب «الرقاق»، باب كيف كان عيش النبي ﷺ، حديث (٦٤٦٠)، ومسلم (٢/ ٧٣٠)، كتاب «الزكاة»، باب في الكفاف والقناعة (١٢٦/ ١٠٥٥) من حديث أبي هريرة مرفوعاً.

(٢) أخرجه ابن ماجة (٢/ ١٣٨٧) كتاب «الزهد»، باب القناعة، حديث (٤١٤٠)، وأبو نعيم في «**حلية الأولياء**» (١٠/ ٦٩) كلاهما من طريق أبي داود نفيع عن أنس بن مالك مرفوعاً.
ونفيع متروك؛ وكذبه ابن معين، وقد تقدمت ترجمته.

(٣) أخرجه مسلم (٩٧/ ١٠٣٦)، والترمذي (٤/ ٤٩٥) في الزهد، باب (٣٢) برقم (٢٣٤٣)، وأحمد (٥/ ٢٦٢)، والبيهقي (٤/ ١٨٢) عنه مرفوعاً: «يا آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك، وإن تمسكه شر لك، ولا تلام على كفاف وابدأ بمن تعول، واليد العليا خير من اليد السفلى».
وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
وفي الباب عن حكيم بن حزام، وأبي هريرة، وجابر بن عبد الله، وابن عمر..
فأما حديث حكيم فرواه البخاري (٣/ ٣٤٥) في الزكاة، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى (١٤٢٧)، ومسلم (٢/ ٧١٧) في الزكاة، باب بيان أن اليد العليا خير من اليد (٩٥/ ١٠٣٤)، والنسائي (٥/ ٦٩) في الزكاة، باب أي الصدقة أفضل؟ وأحمد (٣/ ٤٠٢ـ ٤٣٤)، والدارمي (٢/ ٣١٠). والطبراني في «**الكبير**» (٣/ ٢١٢) (٣٠٨٢ـ ٣٠٨٣ـ ٣٠٩١ـ ٣٠٩٣ـ ٣١٢٠). والبيهقي (٤/ ١٨٠)، والقضاعي في مسند الشهاب (١٢٢٨ـ ١٢٢٩) بلفظ «أفضل الصدقة عن ظهر غنى، واليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول.
وأما حديث أبي هريرة فرواه البخاري في المصدر السابق (١٤٢٦، ١٤٢٨) و (٩/ ٤١٠) في النفقات، باب وجوب النفقة على الأهل والعيال (٥٣٥٥، ٥٣٥٦) والنسائي (٥/ ٦٩)، وأبو داود (١/ ٥٢٥) في الزكاة، باب الرجل يخرج من ماله (١٦٧٦)، والنسائي (٥/ ٦٩)، وأحمد (٢/ ٢٨٨، ٣٩٤)، (٢/ =

واللفظ له: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ. انتهى.

وقوله سبحانه: ﴿تعرفهم بسيماهُم﴾: السِّيَما؛ مقصورة: العلامةُ، واختلف المفسِّرون في تعيينها، فقال مجاهد: هي التخشُّع والتواضُع[١]، وقال الربيعُ، والسُّدِّيُّ: هي جهد الحاجة، وقَضَفُ الفقر في وجوههم، وقلَّة النعمة[٢]، وقال ابن زَيْد: هي رِثَّة الثياب[٣]، وقال قوم، وحكاه مكِّيٌّ: هي أثر السجود[٤]، قال * ع[٥] *: وهذا حسنٌ، وذلك لأنهم كانوا متفرِّغين متوكِّلين، لا شُغْل لهم في الأغلب إلاَّ الصَّلاة، فكان أثَرُ السُّجود علَيْهم أبداً، والإلحافُ، والإلحاح بمعنى، قال * ع[٦] *: والآيةُ تحتملُ معنيين/. ٧٢أ

أحدهما: نفْي السؤال جملة، وهذا هو الذي عليه الجمهورُ؛ أنهم لا يسألون البَتَّة.

والثاني: نَفْي الإلحاف فقَطْ، أي: لا يظهر لهم سؤال، بل هو قليل وبإجمال.

* ت *: وهذا الثاني بعيدٌ من ألفاظ الآية، فتأمَّله.

* ت *: وينبغي للفقيرِ أنْ يتعفَّف في فَقْره، ويكتفي بعلْمِ ربِّه، قال الشيخُ ٱبْنُ أبي جَمْرة: وقد قال أهْلُ التوفيق: مَنْ لَمْ يَرْضَ باليسيرِ، فهو أسير. انتهى، وذكر

= ٤٠٢، ٤٣٤، ٤٧٦، ٤٨٠، ٥٢٤، ٥٢٧) والحميدي (١٠٥٨)، وابن خزيمة (٤/٩٦، ٩٧) برقم (٢٤٣٦، ٢٤٣٩)، والقضاعي في «**مسند الشهاب**» (٦٣٤، ١٢٣٢) وابن حبان (٣٣٥٢)، والدارقطني (٣/٢٩٧)، وابن الجارود في «**المنتقى**» (٧٥١) بلفظ: «أفضل الصدقة ما تصدق به عن ظهر تعول...».

وأما حديث جابر فرواه أحمد (٣/٣٣٠)، وابن حبان (٨٢٦) مرفوعاً عنه: «أفضل الصدقة عن ظهر غنى... وابدأ بمن تعول، واليد العليا خير من اليد السفلى».

وأما حديث ابن عمر فرواه أحمد (٢/ ٩٣ـ ٩٤) عنه مرفوعاً «المسألة كدوح في وجه صاحبها يوم القيامة. فمن شاء فليستبق على وجهه، وأهون المسألة مسألة ذي الرحم تسأله في حاجته. وخير المسألة مسألة عن ظهر غنى. وابدأ بمن تعول».

(١) أخرجه الطبري في «**تفسيره**» (٣/٩٨)، وذكره الماوردي في «**تفسيره**» (١/٣٤٦)، وابن عطية في «**تفسيره**» (١/٣٦٩).

(٢) أخرجه الطبري في «**تفسيره**» (٣/٩٩) برقم (٦٢٢٣)، (٦٢٢٤)، وذكره الماوردي في «**تفسيره**» (١/ ٣٤٦)، وابن عطية في «**تفسيره**» (١/٣٦٩).

(٣) أخرجه الطبري في «**تفسيره**» (٣/٩٨)، وذكره ابن عطية في «**تفسيره**» (١/٣٦٩).

(٤) ذكره ابن عطية في «**تفسيره**» (١/٣٦٨).

(٥) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (١/٣٦٩).

(٦) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (١/٣٦٩).

عبد الملكِ بْنُ محمَّدِ بْنِ أبي القَاسِم بْن الكَرْدَبُوسِ[١] في «**الاكتفاء فِي أخبار الخُلَفَاء**»، قال: وتكلَّم علي بن أبي طالب ـ رضي اللَّه عنه ـ بتسْعِ كلماتٍ، ثلاثٌ في المناجاةِ، وثلاثٌ في الحكمة، وثلاثٌ في الآداب؛ أمَّا المناجاة، فقالَ: كَفَانِي فَخراً أَنْ تَكُونَ لِي رَبًّا، وكَفَانِي عِزًّا أَنْ أَكُونَ لَكَ عَبْداً، وَأَنْتَ كَمَا أُحِبُّ، فَٱجْعَلْنِي كَمَا تُحِبُّ، وَأَمَّا الحِكْمَةُ، فَقَالَ: قِيمَةُ كُلِّ ٱمْرِىءٍ مَا كَانَ يُحْسِنُهُ، وَمَا هَلَكَ ٱمْرُؤٌ عَرَفَ قَدْرَ نَفْسِهِ، وَالمَرْءُ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ، وَأَمَّا الآدَابُ، فَقَالَ: ٱسْتَغْنِ عَمَّنْ شِئْتَ، فَأَنْتَ نَظِيرُهُ، وَتَفَضَّلْ عَلَىٰ مَنْ شِئْتَ، فَأَنْتَ أَمِيرُهُ، وَٱضْرَعْ إِلَىٰ مَنْ شِئْتَ، فَأَنْتَ أَسِيرُهُ. انتهى.

ولما كانتِ السيما تدلُّ علَىٰ حال صاحبِها، ويعرف بها حاله، أقامَها اللَّه سبحانه مُقَامَ الإخبار عن حَالِ صاحبِها، فقال: «تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ»، وقد قال الشيخُ العارفُ باللَّهِ صاحبُ «**الكَلِمِ الفارقيَّة والحِكَمِ الحقيقيَّة**»: كلُّ ما دلَّ علَىٰ معنًى، فقد أخبر عنه، ولو كان صامتاً، وأشارَ إليه، ولو كان ساكتاً، لكنَّ حصول الفهْمِ والمعرفةِ بحَسَب ٱعتبار المعتَبِرِ، ونَظَر المتأمِّل المتدبِّر. انتهى.

قال * ع[٢] *: وفي الآية تنبيهٌ علَىٰ سوء حالة من يسأل النَّاسَ إلحافاً، وقال: * ص *: وقوله تعالى: ﴿لاَ يَسْأَلُونَ النَّاس إِلْحَافاً﴾، إذا نُفِيَ حُكْمٌ مِنْ محكومٍ عليه بقَيْدٍ، فالأكثر في لسانهم ٱنصرافُ النفْيِ إِلَىٰ ذلك القيدِ، فالمعنَىٰ علَىٰ هذا: ثبوتُ سؤالهم، ونَفْي الإلحاح، ويجوز أنْ ينفي الحُكْم، فينتفي ذلك القَيْد، فينتفي السؤالُ والإلحاح، وله نظائر. انتهى.

وقوله تعالى: ﴿وما تنفقوا مِنْ خَيْرٍ فإن اللَّه به عليم﴾: وعدٌ محضٌ، أي: يعلمه، ويحصيه؛ ليجازي عليه، ويثيب.

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا

---

(١) عبد الملك بن قاسم بن الكَرْدَبُوسِ التوزري، أبو مروان: مؤرخ، نسبته إلى «توزر» بـ «تونس» صنف «**الاكتفاء في أخبار الخلفاء**».
ينظر: «**الأعلام**» (٤/ ١٦١).

(٢) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (١/ ٣٦٩).

خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ ﴾

وقوله تعالى: ﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنَّهار...﴾ الآية: قال ابْنُ عَبَّاس: نزلَتْ هذه الآية في عليِّ بن أبي طَالِبٍ ـ رضي اللَّه عنه ـ كانَتْ لِه أربعةُ دراهِمَ، فتصدَّق بدرهم لَيْلاً، وبدرهم نَهَاراً، وبدرهم سرًّا، وبدرهم علانيةً[1]، وقال قتادةُ: نزلَتْ في المنْفِقِينَ في سبيل اللَّه مِنْ غَيْر تبذيرٍ ولا تقتيرٍ، قال * ع[2] *: والآية، وإنْ كانَتْ نزلَتْ في عليٍّ ـ رضي اللَّه عنه ـ فمعناها يتناولُ كُلَّ مَنْ فعل فِعْلَه، وكلَّ مشَّاءٍ بصدَقَته في الظلم إلى مَظِنَّةِ الحاجة.

وقوله تعالى: ﴿الذين يأكُلُونَ الرِّبَا...﴾ الآية: ﴿الرِّبَا﴾: هو الزيادةُ، مأخوذ من: رَبَا يَرْبُو، إذا نَمَا، وزاد علَىٰ ما كان، وغالبه: ما كانت العربُ تفعله من قولها للغريم: «أَتَقْضِي، أَمْ تُرْبِي»، فكان الغريم يزيدُ في عدد المالِ، ويصبر الطالب عليه، ومن الربا البيِّن التفاضُلُ في النوع الواحِدِ؛ وكذلك أكثر البيوعِ الممنوعَة، إنما تجد منْعها لمعنَىٰ زيادةٍ؛ إما في عينِ مالٍ، أو في منفعةٍ لأحدهما مِنْ تأخيرٍ ونحوه، ومعنى الآية: الذين يكْسِبُون الربا، ويفعلونه، وإنما قصد إلى لفظة الأكْل؛ لأنها أقوى مقاصدِ الناسِ في المَالِ، قال ابن عبَّاس وغيره: معنَى قوله سبحانه: ﴿لاَ يَقُومُونَ﴾، أي: من قبورِهِمْ في البَعْثِ يوم القيامة إلاَّ كما/ يقومُ الَّذي يتخبَّطه الشيطانُ من المَسِّ[3]، قالوا: كلُّهم يُبْعَثُ كالمَجْنُونِ؛ عقوبةً له وتمقيتاً عند جميع المَحْشَرِ؛ ويقوِّي هذا التأويلَ المجْمَع علَيْه أنَّ في قراءة عبد اللَّه بن مسعود: «لاَ يَقُومُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ إلاَّ كَمَا يَقُومُ». ٧٢ ب

وقوله تعالى: ﴿ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثْل الربا﴾ معناه؛ عند جميع المتأولين: في الكفار، وأنه قول بتكذيب الشريعة، والآية كلُّها في الكفار المُرْبِينَ، نزلَتْ، ولهم قيلَ:

---

(١) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (١/ ٣٧١)، والسيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٦٤٢)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن عساكر من طريق عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس به، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣٤٧)، والبغوي في «تفسيره» (١/ ٢٦٠).

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (١/ ٣٧١).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١/ ١٠٢) برقم (٦٢٣٨)، وذكره الماوردي في «تفسيره» (١/ ٣٤٨)، وابن عطية في «تفسيره» (١/ ٣٧٢) بنحوه.

﴿فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾، ولا يقال ذلك لمؤمنٍ عاصٍ، ولكن يأخذ العصاة في الربا بطرف من وعيدِ هذه الآيةِ، ثم جزم اللَّه سبحانه الخَبَر في قوله: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ البَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾، قيل: هذا من عموم القُرآن المخصَّص، وقيل: من مُجْمَلِهِ المبيَّن، قال جعفر بن محمَّدٍ الصَّادِقُ[1]: وحرم اللَّه الربَا؛ ليتقارض النَّاسُ.

وقوله تعالى: ﴿فلَه ما سلف﴾، أي: من الربا؛ لا تباعة علَيْه في الدنيا والآخرة، وهذا حكْمٌ مِنَ اللَّه سبحانه لِمَنْ أسلم من الكفار، وفي قوله تعالى: ﴿وأمره إِلى اللَّه﴾ أربعُ تأويلات:

أحدها: أمْرُ الربا في إمرار تحريمه وغير ذلك.

والثاني: أمر ما سَلَف، أي: في العفْوِ وإِسقاطِ التَّبَعَةِ فيها.

والثالث: أنَّ الضمير عائدٌ علَىٰ ذي الربا؛ بمعنى: أمره إِلى اللَّه في أنْ يثبته على الاِنتهاء أو يعيدَهُ إِلى المعصية.

والرابع: أنْ يعود الضميرُ على المنتهَىٰ، ولكنْ بمعنى التأنيسِ له، وبَسْط أمله في الخَيْر.

وقوله تعالى: ﴿ومن عاد﴾، يعني: إِلى فِعْلِ الربا، والقولِ؛ إِنما البيعُ الرِّبَا، والخلودُ في حق الكافر: خلودُ تأبيدٍ حقيقيّ، وإِن لحظنا الآيةَ في مُسْلمٍ عاصٍ، فهو خلودٌ مستعارٌ على معنى المبالغة.

وقوله تعالى: ﴿يمحق اللَّه الربا ويربي الصدقات﴾، ﴿يمحق﴾: معناه: ينقص، ويذهب؛ ومنه: مِحَاقُ القَمَرِ[2]، وهو اَنتقاصه، ﴿ويربي الصَّدَقَاتِ﴾: معناه: ينميها، ويزيد ثوابها تضاعفاً، تقولُ: رَبَتِ الصدقةُ، وأرْبَاهَا اللَّه تعالَىٰ، وربَّاهَا، وذلك هو التضعيفُ لمن يشاء؛ ومنه قولُ النبيِّ ﷺ «إِنَّ صَدَقَةَ أَحَدِكُمْ لَتَقَعُ فِي يَدِ اللَّهِ تَعَالَىٰ،

---

(١) جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي، أبو عبد اللَّه، الإمام الصادق المدني، أحد الأعلام، عن أبيه وجده أبي أمه، القاسم بن محمد، وعُرْوَة، وعنه خلق لا يحصون منهم ابنه موسى، وشُعْبَة، والسُّفْيَانَان، ومالك، قال الشافعي وابن معين، وأبو حاتم: ثقة، مات سنة ثمان وأربعين ومائة، عن ثمان وستين سنة. ينظر: **«الخلاصة»** (١/١٦٨ ـ ١٦٩).

(٢) المِحَاقُ والمُحَاق: آخر الشهر إذا امَّحَقَ الهِلاَل فلم ير. ينظر: **«لسان العرب»** (٤١٤٧).

فَيُرَبِّيهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ أَوْ فَصِيلَهُ؛ حَتَّىٰ تَجِيءَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وإِنَّ اللُّقْمَةَ لَعَلَىٰ قَدْرِ أُحُدٍ»[١].

قال * ع[٢] *: وقد جعل اللَّه سبحانه هذَيْن الفعلَيْن بعَكْس ما يظنُّه الحريصُ الجَشِيعُ من بني آدم؛ إذ يظن الربا يغنيه، وهو في الحقيقة مُمْحَقٌ، ويظن الصدَقَةَ تُفْقِرُه، وهي في الحقيقة نماءٌ في الدنيا والآخرة، وعن يزيدَ بْنِ أبي حَبِيبٍ[٣]؛ أن أبا الخَيْرِ[٤] حدَّثه؛ أنَّه سمع عقبة بن عَامِرٍ يقولُ: سَمِعْتُ رسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كُلُّ ٱمْرِىءٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ؛ حَتَّىٰ يُفْصَلَ بَيْنَ النَّاسِ» أَوْ قَالَ: «حَتَّىٰ يُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ»، قال يزيد: وكان أبو الخَيْرِ لاَ يُخْطِئُهُ يَوْمٌ لاَ يَتَصَدَّقُ بِشَيْءٍ فِيهِ، وَلَوْ كَعْكَةٍ أَوْ بَصَلَةٍ، قال الحاكم: صحيحٌ علَىٰ شرط مسلمٍ، ولم يخرِّجاه، يعني: البخاريَّ ومسلماً[٥]. انتهى من «**الإلمام في أحاديث الأحكام**»؛ لابن دقيقِ العيدِ.

---

(١) أخرجه البخاري (١٣/ ٤٢٦)، كتاب «التوحيد»، باب قول اللَّه تعالى: ﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾، حديث (٧٤٣٠)، ومسلم (٢/ ٧٠٢) كتاب «الزكاة»، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب، حديث (٦٣، ٦٤/ ١٠١٤) من حديث أبي هريرة.

(٢) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (١/ ٣٧٣).

(٣) يزيد بن أبي حَبِيب مولى شَرِيك بن الطُّفَيْل الأَزْدِي، أبو رَجَاء المصري، عالمها. عن عبد اللَّه بن الحَارِث بن جَزْء، وأبي الخير اليَزَني، وعطاء، وطائفة. وعنه يزيد بن أبي أُنَيْسة. قال ابن سعد: ثقة يتشيع، مات سنة ثمان وسبعين ومائة.
ينظر: «**الخلاصة**» (٣/ ١٦٧)، «**التهذيب**» (١١/ ٣١٨).

(٤) مرثد بن عبد اللَّه الحِمْيَرِي، اليَزَني، أبو الخير المصري الفقيه، عن عمرو بن العاص، وعُقبة بن عامر وطائفة. وعنه يزيد بن أبي حبيب، وجعفر بن ربيعة، وطائفة، قال سعيد بن عُفَيْر: مات سنة تسعين.
ينظر: «**الخلاصة**» (٣/ ١٧).

(٥) أخرجه أحمد (٤/ ١٤٧ ـ ١٤٨)، وأبو يعلى (٣/ ٣٠٠ ـ ٣٠١) رقم (١٧٦٦)، وابن خزيمة (٤/ ٩٤) رقم (٢٤٣١)، وابن حبان (٨١٧ ـ موارد)، والحاكم (١/ ٤١٦)، والبيهقي (٤/ ١٧٧) كتاب «الزكاة»، باب التحريض على الصدقة وإن قلت، وأبو نعيم في «**الحلية**» (٨/ ١٨١)، والبغوي في «**شرح السنة**» (٣/ ٤٠٢ ـ بتحقيقنا) كلهم من طريق ابن المبارك، وهو في «**الزهد**» له (ص ٢٢٧) رقم (٦٤٥) عن حرملة بن عمران عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عقبة بن عامر قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «الرجل في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس». وكان أبو الخير لا يأتي عليه يوم إلا تصدق فيه بشيء ولو كعكة، ولو بصلة.
وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وصححه ابن خزيمة وابن حبان.
وقال الهيثمي في «**المجمع**» (٣/ ١١٣): رواه أحمد، وأبو يعلى، والطبراني. ورجال أحمد ثقات.
وصححه السيوطي في «**الجامع الصغير**» (٦٢٨٢).
وقال المناوي في «**الفيض**» (٥/ ١٣): وقال ـ أي الذهبي ـ في «**المهذب**»: إسناده قوي.

قال الشيخُ ٱبْنُ أبي جَمْرَة: ولا يُلْهَمُ لِلصدقةِ إلاَّ مَنْ سبقَتْ له سابقةُ خَيْر. انتهى.

قال أبو عمر في «التمهيد»: وروي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ أَنَّهُ قَالَ: «مَا أَحْسَنَ عَبْدٌ الصَّدَقَةَ إِلاَّ أَحْسَنَ اللَّهُ الخِلاَفَةَ عَلَىٰ بَنِيهِ، وَكَانَ فِي ظِلِّ اللَّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ، وحُفِظَ فِي يَوْمِ صَدَقَتِهِ مِنْ كُلِّ عَاهَةٍ وَآفَةٍ[1]. انتهى.

وروى أبو داود في «سننه»، أنَّ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ[2]، قَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أُمَّ سَعْدٍ[3] مَاتَتْ، فَأَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: المَاءُ، فَحَفَرَ بِئْراً، وَقَالَ: هَذِهِ لأُمِّ سَعْدٍ»[4].

---

(١) قال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (١/ ٢٢٥): أخرجه ابن المبارك في «الزهد» عن ابن شهاب مرسلاً بإسناد صحيح، وأسنده الخطيب فيمن روى عن مالك من حديث ابن عمر، وضعفه.

(٢) هو: سعد بن عبادة بن دُلَيْم بن حارثة بن أبي حَزِيمة، أبو ثابت، صحابي مشهور، وهو نقيب بني ساعدة، ذكره الواقدي والمدائني، وابن الكلبي فيمن شهد بدراً، وكان سيداً جواداً. وله ولأهله في الجود أخبار حسنة. وكان صاحب راية الأنصار في المشاهد كلها. وكان غيوراً شديد الغيرة، وإياه أراد رسول الله بقوله: «إن سعداً لغيور، وإني لأغير من سعد، والله أغير منا، وغيرة الله أن تؤتى محارمه...» الحديث. روى أبو داود من حديث قيس بن سعد قال: «اللهم اجعل صلواتك ورحمتك على آل سعد بن عُبادة» توفي بـ «الشام» سنة (١١).
ينظر ترجمته في: «أسد الغابة» (٢/ ٣٥٦)، «الإصابة» (٣/ ٨٠)، «الثقات» (٣/ ١٤٨)، «الاستيعاب» (٢/ ٥٩٤)، «الطبقات الكبرى» (٩/ ٧٩)، «بقي بن مخلد» (١٢١)، «سير أعلام النبلاء» (١/ ٢٧٠)، «البداية والنهاية» (٣/ ٣٨٩)، «تقريب التهذيب» (١/ ٢٨٨)، «تهذيب التهذيب» (٣/ ٤٧٥)، «تهذيب الكمال» (١/ ٤٧١)، «الاستبصار» (٧/ ٢٥، ٩٣)، «التحفة اللطيفة» (١٣٠)، «صفة الصفوة» (١/ ٥٠٣)، «الجرح والتعديل» (٤/ ٣٨٢)، «شذرات الذهب» (١/ ٢٨)، «أصحاب بدر» (٢٣٦)، «التاريخ الكبير» (١/ ٢٥)، «الوافي بالوفيات» (١٥/ ٢٠٣)، «تاريخ الإسلام» (٣/ ٩٠).

(٣) عمرة بنت مسعود بن قيس بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجاد، والدة سعد بن عبادة. ماتت في حياة النبي ﷺ سنة خمس. قال ابن سعد: ماتت والنبي ﷺ في غزوة «دومة الجندل» في شهر ربيع الأول، فلمَّا جاء النبيُّ ﷺ المدينة أتى قبرها، فصلَّى عليها.
ينظر: «الإصابة» (٨/ ٢٤٦).

(٤) أخرجه أبو داود (١/ ٥٢٦)، كتاب «الزكاة»، باب في فضل سقي الماء، حديث (١٦٨١) من طريق أبي إسحاق عن رجل عن سعد بن عبادة به.
وأخرجه أحمد (٥/ ٢٨٤)، والنسائي (٦/ ٢٥٥)، كتاب «الوصايا»، باب ذكر الاختلاف على سفيان، حديث (٣٦٦٦) من طريق شعبة عن قتادة عن الحسن عن سعد بن عبادة به نحوه.
وأخرجه النسائي (٦/ ٢٥٤)، كتاب «الوصايا»، باب ذكر الاختلاف على سفيان، حديث (٣٦٦٥)، وابن ماجة (٢/ ١٢١٤)، كتاب «الأدب»، باب فضل صدقة الماء، حديث (٣٦٨٤)، وابن خزيمة، رقم (٢٤٩٧) من طريق هشام الدستوائي عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن سعد بن عبادة قال: قلت: يا رسول الله أي الصدقة أفضل؟ قال: «سقي الماء».
وأخرجه أبو داود (١/ ٥٢٦) كتاب «الزكاة»، باب في فضل سقي الماء، حديث (١٦٨٠) من طريق شعبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب والحسن عن سعد بن عبادة بنحوه.

٥٣٨ ـــــــ

العَبَّاسِ»[١] فبدأ ﷺ بعَمِّه، وأخَصِّ الناسِ به، وهذه من سنن العَدْلِ للإمام أنْ يفيض العَدْل على نَفْسه وخاصَّته، فيستفيض في النَّاس، ثم رجع رسُولُ اللَّه ﷺ إلى المدينةِ، واستعملَ علَىٰ مكَّة عَتَّابَ بْنَ أَسِيدٍ[٢]، فلمَّا استنزل ﷺ أهْلَ الطائِفِ بَعْد ذلك إلى الإسْلام، اشترطوا شُرُوطاً، وكان في شروطهم: أنَّ كُلَّ رباً لهم على النَّاسِ؛ فإنهم يأخذونه، وكُلُّ رباً علَيْهم، فهو موضُوعٌ، فيروَىٰ؛ أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَّر لهم هذه، ثم ردَّها اللَّه بهذه الآية؛ كما ردَّ

= الرَّحْمَنِ، حَتَّى تكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الجبل» وربَا السَّوِيقَ ونحوه رُبُوًّا: صَبَّ عليه الماء فانتفخ، وقوله (عز وجل) في صفة الأرض: ﴿اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [الحج: ٥] قيل: معناه عظمت وانتفخت.
وقرىء: «وربأت»؛ فمن قرأ: «وربت» فهو من ربا يربو، إذا زاد على أيِّ الجهات زاد.
ومن قرأ: «وربأت» بالهمز فمعناه: ارتفعت، وسابَّ فلان فلاناً، فأربى عليه في السِّباب، إذا زاد عليه.
وقوله (عز وجل): ﴿فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً﴾ [الحاقة: ١٠] أي: أخذة تزيد على الأخذات.
قال الجوهري: أي: زائدة، كقولك: «أربيت، إذا أخذت أكثر مما أعطيت».
واصطلاحاً:
عرفه الحنفيةُ بأنه: فَضْلُ مَالٍ خالٍ عن عِوَضٍ، شُرِطَ لأحد العاقدين، في معاوضة مَالٍ بمال.
وعرفه الشَّافعيةُ بأنه: عَقْدٌ على عِوَضٍ مخصوص، غير معلوم التماثُل في معيار حالة العقد، أي: مع تأخير في البَدَلَيْنِ، أو أحدهما.
وعرفه المالكيةُ بأنه: عقد معاوضة على نقد أو طعام مخصوص بجنسه، مع التفاضل، أو مع التأخير مطلقاً.
وعرفه الحنابلة بأنه: الزِّيَادَةُ في أشياء مَخْصُوصة.
وقد قَسَّمَ الفقهاء الرِّبَا إلى قسمين، وزاد الشافعية قسماً ثالثاً:
١ ـ رِبَا الفَضْل، وهو: البَيْعُ مع زيادة أحد العوضين عن الآخر.
٢ ـ ربا النَّسَاء، وهو: البيع لأجل، أو تأخير أحد العوضين عن الآخر.
٣ ـ ربا اليد، وهو: البيع مع تأخير قبضهما، أو قبض أحدهما.
ينظر: **«الصحاح»** (٦/ ٢٣٥٠)، و **«المغرب»** (١٨٢)، و **«المصباح المنير»** (١/ ٣٣٣)، و **«المطلع»** (٢٣٩).
وينظر: **«شرح فتح القدير»** (٧/ ٣)، **«تبيين الحقائق شرح كنز الحقائق»** (٤/ ٨٥)، **«تحفة الفقهاء»** للسمرقندي (٢/ ٣١)، **«مغنى المحتاج»** (٢/ ٢١)، **«فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب»** (١/ ١٦١)، **«المغني»** (٤/ ١٢٢)، **«مجمع الأنهر»** (٢/ ٨٣)، **«كشاف القناع»** (٣/ ٢٥١).

(١) هو جزء من حديث جابر في صفة حج النبي ﷺ، وقد تقدم تخريج هذا الحديث عند آيات الحج في سورة البقرة.

(٢) عَتَّاب بن أَسِيد بن أبي العِيص الأُموي، أبو عبد الرحمن من مُسْلِمة الفتح. وَلِي للنبي ﷺ «مكَّة» وله عشرون سنة. وعنه ابن المسيِّب، وعطاء مرسلاً؛ لأنه مات يوم مات الصِّديق. وذكر الطبراني أنه عمل لعمر، وفي صحيح مسلم حديث يدل على ذلك إلى سنة إحدى وعشرين.
ينظر: **«الخلاصة»** (٢/ ٢٠٨).

صُلْحَه لكُفَّار قُرَيْش في ردِّ النِّسَاءِ إليهم عامَ الحُدَيْبية، وذكَرَ النَّقَّاش رواية؛ أنَّ رسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ أَنْ يُكْتَبَ فِي أَسْفَلِ الكِتَابِ لِثَقِيفٍ: «لَكُمْ مَا لِلْمُسْلِمِينَ، وَعَلَيْكُمْ مَا عَلَيهِمْ»، فلما جاءَتْ آجال رِبَاهُمْ، بعثوا إلى مكَّة لِلاَقتضاءِ، وكانَتْ علَىٰ بني المُغِيرَةِ المَخْزُومِيِّينَ، فقال بنو المُغِيرَةِ: لا نُعْطِي شَيئاً؛ فإن الربَا قد وُضِعَ، ورفعوا أمرهم إلى عَتَّابِ بْنِ أَسِيدٍ بمكَّة، فَكَتَب به إِلَىٰ رسُولِ اللَّه ﷺ فَنَزَلَتِ الآية، وكتَبَ بها رسُولُ اللَّه ﷺ إِلَىٰ عتَّابٍ، فعلمتْ بها ثقيفٌ، فكَفَّت: هذا سببُ الآية على اختصارٍ ممَّا روى ابْنُ إِسحاق، وابْنُ جُرَيْجٍ، والسُّدِّيُّ وغيرهم[1].

فمعنى الآية: اجعلوا بينكم وبيْنَ عذابِ اللَّهِ وقايةً بترككمْ ما بَقِيَ لكُمْ من رباً، وصَفْحِكُمْ عنه، ثم توعَّدَهُمْ تعالَى، إن لم يذروا الربَا بحَرْبٍ منه، ومِنْ رسوله، وأمَّته، والحَرْب داعية القَتْلِ.

وقوله تعالى: ﴿فَأْذَنوا﴾ قال سِيبَوَيْهِ: آذَنْتُ: أعْلَمْتُ.

* ت *: وهكذا فسره البخاريُّ، فقال: قال أبو عبد اللَّهِ: فَأْذَنُوا، فَاعْلَمُوا[2]، وقال * ع[3] *: هي عنْدِي من الأَذَنِ، وقال ابن عَبَّاس وغيره: معناه فَاستيقِنُوا بحَرْبٍ[4].

ثم ردَّهم سبحانه مع التوبة إلى رءوس أموالهم، وقال لهم: لا تَظْلِمُونَ في أخذِ الزائِدِ، ولا تُظْلَمُونَ في أنْ يتمسَّك بشيء من رءوس أموالكُمْ، ويحتمل لا تَظْلِمُونَ في مَطْلٍ، لأن مَطْل الغنيِّ ظُلْمٌ؛ كما قال ـ عليه الصلاة والسلام[5] ـ فالمعنَىٰ أنه يكون

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٠٧) برقم (٦٢٥٦)، (٦٢٥٧) عن ابن جريج والسدي، والأثر ذكره ابن عطية في «تفسيره» (١/ ٣٧٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٦٤٦)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن السدي، وعزاه لابن جرير عن ابن جريج.

(٢) ينظر: صحيح البخاري (٨/ ٥٢)، كتاب «التفسير»، باب ﴿فأذنوا بحرب من الله﴾، حديث (٤٥٤٢).

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (١/ ٣٧٥).

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١/ ٨) برقم (٦٢٦٥)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (١/ ٣٧٥)، والسيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٦٤٧)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٥) أخرجه مالك (٢/ ٦٧٤)، كتاب «البيوع»، باب جامع الدين والحول، حديث (٨٤)، والبخاري (٤/ ٤٦٤) كتاب «الحوالة»، باب هل يرجع في الحوالة، حديث (٢٢٨٧)، ومسلم (٣/ ١١٩٧)، كتاب «المساقاة»، باب تحريم مطل الغني، حديث (٣٣/ ١٥٦٤)، وأبو داود (٣/ ٦٤٠)، كتاب «البيوع»، باب في المطل، حديث (٣٣٤٥)، والنسائي (٧/ ٣١٧)، كتاب «البيوع»، باب الحوالة. والترمذي (٣/ ٦٠٠)، كتاب «البيوع»، باب مطل الغني ظلم، حديث (١٣٠٨)، وابن ماجه (٢/ ٨٠٣) كتاب=

القضاءُ، مع وضعِ الربا؛ وهكذا سنة الصُّلْح، وهذا أشبه شيء بالصُّلْح؛ ألا ترَىٰ أنَّ النبيَّ ﷺ لَمَّا أشارَ علَىٰ كَعْبِ بْنِ مالِكٍ في دَيْنِ ابْنِ أَبِي حَدْرَدٍ بِوَضْعِ الشَّطْرِ، فقال كَعْبٌ: نَعَمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِلآخَرِ: «قُمْ، فَاقْضِهِ»[1]، فَتلقَّى العلماءُ أمره بالقَضَاء سُنَّةً في المصالَحَاتِ.

= «الصدقات»، باب الحوالة، حديث (٢٤٠٣)، والشافعي في **«الأم»** (٣/ ٢٣٣)، كتاب «الحوالة». وأحمد (٢/ ٢٤٥)، والدارمي (٢/ ٢٦١) كتاب «البيوع»، باب في مطل الغني ظلم. والحميدي (٢/ ٤٤٧) رقم (١٠٣٢)، وأبو يعلى (١١/ ١٧٢ ـ ١٧٣) رقم (٦٢٨٣)، والطحاوي في **«مشكل الآثار»** (٤/ ٨)، والبيهقي (٦/ ٧٠) كتاب «الحوالة»، باب من أحيل على ملىء فليتبع، كلهم من طريق أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «مطل الغني ظلم، وإذا أحيل أحدكم على ملىء فليتبع».

وأخرجه البخاري (٥/ ٧٥) كتاب «الاستقراض»، باب مطل الغني ظلم، حديث (٢٤٠٠)، ومسلم (٣/ ١١٩٧)، كتاب «المساقاة»، باب تحريم مطل الغني. وأحمد (٢/ ٣١٥)، وعبد الرزاق (٨/ ٣١٦) رقم (١٥٣٥٥)، والبيهقي (٦/ ٧٠) كتاب «الحوالة»، باب من أحيل على ملىء فليتبع، كلهم من طريق معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مطل الغني ظلم».

لفظ البخاري هكذا مختصراً.

وأخرجه الطبراني في **«الصغير»** (١/ ٢٣١) من طريق أبي قرة موسى بن طارق عن ابن جريج عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مطل الغني ظلم».

وقال الطبراني: لم يروه عن صالح إلا ابن جريج، تفرد به أبو قرة. قال السهمي في «سؤالاته للدارقطني» (٤٠٢): سألت أبا الحسن الدارقطني، قلت: أبو قرة موسى بن طارق لا يقول: «أخبرنا» أبداً، يقول: ذكر فلان. أيش العلة فيه؟ فقال: هو سماع له كله، وقد كان أصاب كتبه آفة فتورع فيه، فكان يقول: ذكر فلان .اهـ.

وأخرجه الخطيب في **«تاريخ بغداد»** (٦/ ٢٩٤) من طريق علي بن مسهر عن عاصم الأحول عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مطل الغني ظلم».

* وفي الباب عن ابن عمر:

أخرجه الترمذي (٣/ ٦٠٠ ـ ٦٠١) كتاب «البيوع»، باب ما جاء في مطل الغني أنه ظلم، حديث (١٣٠٩)، وابن ماجة (٢/ ٨٠٣) كتاب «الصدقات»، باب الحوالة، حديث (٢٤٠٤)، وأحمد (٢/ ٧١) من طريق هشيم: ثنا يونس بن عبيد عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «مطل الغني ظلم، وإذا أحلت على ملىء فاتبعه، ولا تبع بيعتين في واحدة».

والحديث ذكره الحافظ البوصيري في **«الزوائد»** (٢/ ٢٤٢) مع أنه ليس على شرطه؛ فقد أخرجه الترمذي أيضاً، ولم ينفرد به ابن ماجة.

فقال: هذا إسناد رجاله ثقات غير أنه منقطع، قال أحمد بن حنبل: لم يسمع يونس بن عبيد من نافع شيئاً، إنما سمع من ابن نافع عن أبيه. وقال ابن معين وأبو حاتم: لم يسمع من نافع شيئاً.

(١) أخرجه البخاري (١/ ٦٥٧)، كتاب «الصلاة»، باب التقاضي والملازمة في المسجد، حديث (٤٥٧)، (١/ ٦٦٩)، كتاب «الصلاة»، باب رفع الصوت في المسجد، حديث (٤٧١)، ومسلم (٣/ ١١٩٢)، كتاب «المساقاة»، باب استحباب الوضع من الدين، حديث (٢٠، ٢١/ ١٥٥٨).

٧٣ ب وقوله سبحانه: ﴿وإن كان ذُو عُسْرَةٍ/ ، فنظرة إِلَىٰ مَيْسَرَة﴾ حكم اللَّه تعالَىٰ لأرباب الربَا برُءُوس أموالهم عنْدَ الواجدين للمال، ثم حكم في ذِي العُسْرَةِ بالنَّظَرَةِ إلى حال اليُسْرِ، والعُسْرُ: ضيقُ الحالِ من جهة عدمِ المالِ، والنَّظِرَةُ التأخيرُ.

* ت *: وفي «**الصحيحين**» عَنِ النبيِّ ﷺ، قَالَ: «كَانَ رَجُلٌ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَكَانَ يَقُولُ لِفَتَاهُ: إِذَا أَتَيْتَ مُعْسِراً، فَتَجَاوَزْ عَنْهُ، لَعَلَّ اللَّهَ يَتَجَاوَزُ عَنَّا، قَالَ: فَلَقِيَ اللَّهَ فَتَجَاوَزَ عَنْهُ»[1]، وفي «**صحيح مسلم**»: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْجِيَهُ اللَّهُ مِنْ كَرْبِ يَوْمِ القِيَامَةِ، فَلْيُنَفِّسْ عَنْ مُعْسِرٍ، أَوْ يَضَعْ عَنْهُ»، وفي روايةٍ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً، أَوْ وَضَعَ عَنْهُ، أَنْجَاهُ اللَّهُ مِنْ كَرْبِ يَوْمِ القِيَامَةِ»، وفي رواية: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً أَوْ وَضَعَ عَنْهُ، أَظَلَّهُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ»[2]. انتهى.

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ٣٦١)، كتاب «البيوع»، باب من أنظر معسراً، حديث (٢٠٧٨)، ومسلم (٣/ ١١٩٦)، كتاب «المساقاة»، باب فضل إنظار المعسر، حديث (٣١/ ١٥٦٢) من حديث أبي هريرة.

(٢) ورد من حديث أبي اليسر، وأبي هريرة، وأبي قتادة، وعثمان، وابن عباس، وكعب بن عجرة، وأسعد بن زرارة.

* حديث أبي اليسر:

أخرجه أحمد (٣/ ٤٢٧)، والدارمي في «**السنن**» (٢/ ٢٦١)، كتاب «البيوع»، باب فيمن أنظر معسراً، ومسلم في «**الصحيح**» (٤/ ٢٣٠٢)، كتاب «الزهد» (٥٣)، باب حديث جابر الطويل، وقصة أبي اليسر (١٨)، الحديث (٧٤/ ٣٠٠٦)، وابن ماجة «**السنن**» (٢/ ٨٠٨)، كتاب «الصدقات» (١٥)، باب إنظار العسر. (١٤)، الحديث (٢٤١٩)، والحاكم في «**المستدرك**» (٢/ ٢٨ ـ ٢٩)، كتاب «البيوع»، باب من أنظر معسراً، والبيهقي في «**السنن الكبرى**» (٦/ ٢٨)، كتاب «البيوع»، باب من عجل له أدنى من حقه، وأبو نعيم في «**الحلية**» (٢/ ١٩ ـ ٢٠) في ترجمة كعب بن عمرو أبي اليسر، رقم (١١٥) بلفظ: «من أنظر معسراً أو وضع عنه، أظله اللَّه في ظله يوم لا ظل إلا ظله» وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووهم، لإخراج مسلما إياه.

* حديث أبي هريرة:

أخرجه الترمذي في «**السنن**» (٣/ ٥٩٩)، كتاب البيوع (١٢)، باب ما جاء في إنظار المعسر والرفق به (٦٧)، الحديث (١٣٠٦). والقضاعي في «**مسند الشهاب**» (١/ ٢٨١)، الحديث (٤٥٩) بلفظ: «من أنظر معسراً أو وضع له، أظله اللَّه تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله». قال الترمذي: حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

* حديث أبي قتادة:

أخرجه أحمد (٥/ ٣٠٠، ٣٠٨)، والدارمي (٢/ ٢٦١ ـ ٢٦٢)، ومسلم (٣/ ١١٩٦) كتاب «المساقاة»، باب فضل إنظار المعسر، الحديث (٣٢/ ١٥٦٣)، وأبو نعيم في «**الحلية**» (٦/ ٢٦٦) في ترجمة حماد بن زيد، رقم (٣٧٣) بلفظ: «من نفس عن غريمه أو محا عنه، كان في ظل العرش يوم القيامة» لفظ أحمد والدارمي، وقال مسلم: «من سره أن ينجيه اللَّه من كُرب يوم القيامة، فلينظر معسراً، أو ليضع عنه» وقال أبو نعيم: «من أنظر معسراً أو وهب له، أظله اللَّه في ظله يوم لا ظل إلا ظله».

* حديث عثمان: =

والمَيْسَرَةُ: مصدرٌ بمعنى اليُسْرِ، وٱرتفع: «ذُو عُسْرَةٍ» بـ «كان» التامة الَّتي هي بمعنى: «وُجِدَ، وَحَدَثَ»، وارتفعَ قَوْلِه: «فَنَظِرَةٌ»؛ علَى خبر ابتداءٍ مقدَّر، تقديره فالواجبُ نَظِرَةٌ.

واختلف أهْلُ العلْم هلْ هذا الحُكْم بالنَّظِرَةِ إلى الميسرةِ واقفٌ علَىٰ أهل الربا خاصَّة، وهو قول ابن عبَّاس، وشُرَيْح[1]، أو هو منسحبٌ علَىٰ كلِّ دَيْنٍ حلالٍ، وهو قولُ جمهور

= أخرجه عبد اللَّه بن أحمد في «**زوائد المسند**» (١/ ٧٣) بلفظ: «أظل اللَّه عبداً في ظله يوم لا ظل إلا ظله، أنظر معسراً أو ترك لغارم» وقال الهيثمي في «**المجمع**» (٤/ ١٣٦): وفيه عباس بن الفضل، ونسب إلى الكذب.

* وحديث ابن عباس:

أخرجه أحمد في «**المسند**» (١/ ٣٢٧) عنه قال: خرج رسول اللَّه ﷺ إلى المسجد وهو يقول بيده هكذا، وأومأ أبو عبد الرحمن بيده إلى الأرض: «من أنظر معسراً، أو وضع له، وقاه اللَّه من فيح جهنم».

وذكره الهيثمي في «**مجمع الزوائد**» (٤/ ١٣٦ ـ ١٣٧) وقال: رواه أحمد، وفيه عبد اللَّه بن جعوبة السلمي، ولم أجد من ترجمه، وبقية رجاله رجال الصحيح.

* حديث آخر لابن عباس:

أخرجه الطبراني في «**الكبير**» (١١٣٣٠) عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «من أنظر معسراً إلى ميسرته، أنظره اللَّه بدينه إلى نوبته».

قال الهيثمي في «**المجمع**» (٤/ ١٣٨): رواه الطبراني في «**الكبير**» و «**الأوسط**»، وفيه الحكم بن الجارود، ضعفه الأزدي. وشيخ الحاكم وشيخ شيخه لم أعرفهما.

* حديث كعب بن عجرة:

أخرجه الطبراني في «**الصغير**» (١/ ٢٠٩ ـ ٢١٠)، و «**الكبير**» (١٩/ رقم ٢١٤) «من أنظر معسراً أو يسر عليه، أظله اللَّه في ظله يوم لا ظل إلا ظله».

وذكره الهيثمي في «**المجمع**» (٤/ ١٣٧)، وقال: رواه الطبراني في الثلاثة، وفيه عبيدة بن معتب، وهو متروك.

* حديث أسعد بن زرارة:

أخرجه الطبراني في الكبير (٨٩٩) بلفظ «من سره أن يظله اللَّه يوم لا ظل إلا ظله، فليسر على معسر، أو ليضع عنه».

وذكره الهيثمي في «**المجمع**» (٤/ ١٣٧)، وقال: رواه الطبراني في «**الكبير**» من طريق عاصم بن عبيد اللَّه عن أسعد، وعاصم ضعيف، ولم يدرك أسعد بن زرارة.

(١) شُرَيْح بن الحارث بن قَيْس بن الجَهْم بن مُعَاوِية الكِنْدِي، أبو أُمَيَّة الكوفي، مخضرم، ولي لعمر «الكوفة» فقضى بها ستين سنة، وكان من جلة العلماء، وأذكى العالم عن علي وابن مسعود، وعنه الشَّعْبي، وأبو وائل، وثقه ابن معين، قال الشعبي: كان أعلم الناس بالقضاء. وقال ابن حُصَيْن: اختصم إليه رجلان فحكم على أحدهما، فقال: قد علمت من حيث أُتيت، فقال شريح: لعن اللَّه الراشي والمرتشي والكاذب، قال محمد بن نُمَيْر: مات سنة ثمانين على الأصح، عن مائة وعشر سنين وقيل: عشرين سنة.

ينظر: «**الخلاصة**» (١/ ٤٤٧).

العلماء[١]؟

* ع[٢] *: وما قاله ابن عبَّاس إنما يترتَّب، إذا لم يكُنْ فقر مُدْقِعٌ، وأما مع الفقر والعُدْمِ الصريحِ، فالحُكْمُ هي النَّظِرة ضرورةً.

* ت *: ولا يخالف ابن عبَّاس في ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وأنْ تصدَّقوا خيرٌ لكم﴾: نَدَبَ اللَّه بهذه الألفاظ إلى الصدَقَة على المُعْسِر، وجعل ذلك خيراً من إنظاره، قاله جمهور العلماء.

وروى سعيدُ بْنُ المُسَيَّبِ، عن عمر بن الخَطَّاب؛ أنه قَالَ: كان آخر ما نَزَلَ من القُرآن آية الربا، وقُبِضَ رسولُ اللَّه ﷺ ولَمْ يفسِّرْها لَنَا، فدَعُوا الرِّبَا والرِّيبَةَ[٣].

وقال ابن عباس: آخر ما نزل آية الربا[٤].

قال * ع[٥] *: ومعنى هذا عندي، أنها من آخر ما نَزَلَ؛ لأن جمهور النَّاس؛ ابنُ عبَّاس، والسُّدِّيُّ، والضَّحَّاك، وابنُ جُرَيج، وغيرهم، قالوا: آخر آية نزلَتْ قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾، ورُوِيَ أَنَّ قوله: ﴿وَاتَّقُوا﴾ نزلَتْ قبل موْتِ النبيِّ ﷺ بِتِسْعِ ليالٍ، ثم لم ينزلْ بعدها شيْءٌ، ورُوِيَ بثلاثِ ليالٍ، وروي أنَّها نزلَتْ قبل موتِهِ بثَلاَثِ ساعَاتٍ، وأنَّه ﷺ قَالَ: «اجْعَلُوهَا بَيْنَ آيَةِ الرِّبَا وَآيَةِ الدَّيْنِ»، وحكَىٰ مَكِّيٌّ؛ أنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «جَاءَنِي جِبْرِيلُ، فَقَالَ: اجْعَلْهَا عَلَىٰ مِائَتَيْنِ وَثَمَانِينَ آيَةً مِنَ البَقَرةِ»[٦].

وقوله تعالى: ﴿واتقوا يوْماً ترجعون فيه إلى اللَّه...﴾ الآية: وعْظٌ لجميعِ الناسِ، وأمْرٌ يخصُّ كلَّ إنسان.

* ت *: حدَّثني من أثقُ به؛ أنه جَلَسَ عند شَيْخٍ من الأفاضلِ يُجَوِّدُ علَيْه القُرآن،

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١١٠) برقم (٦٢٧٤) عن ابن عباس، وبرقم (٦٢٧٥) عن ابن سيرين، والأثر ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣٥٢) عن ابن عباس، وابن عطية (١/ ٣٧٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٦٥٠).

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (١/ ٣٧٧).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١١٤) (٦٣٠٥)، وذكره الماوردي في «تفسيره» (١/ ٣٥٣)، وابن عطية في «تفسيره» (١/ ٣٧٧).

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١١٤) برقم (٦٣٠٧).

(٥) ينظر: «المحرر الوجيز» (١/ ٣٧٨).

(٦) ينظر: «تفسير القرطبي» (٣/ ٣٧٤).

فقرئَتْ عليه هذه الآيةُ، فَبَكَىٰ عندها، ثم بَكَىٰ، إِلَىٰ أَنْ فاضتْ نفْسُه، ومَالَ، فحَرَّكُوه، فإذا هو مَيِّتٌ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ ونَفَعَ بِهِ، يَا هَذَا، مَنْ صَحَا عَقْلُه مِنْ سُكْر هواه، وجَهْلِهِ، ٱحْتَرَقَ بنَارِ النَّدَم والخَجَلِ مِنْ مهابة نَظَرِ ربِّه، وتنكَّرت صُورةُ حالِهِ في عَيْنِهِ نفوسَ الأغبياءِ الجُهَّال، غَافِلَةً عن العظمة والجَلاَل، ولاَهِيَةً عن أهْوَال المَعَاد والمَآل، مَشْغُولَةً برذائلِ الأفْعَال، وفُضُولِ القِيلِ والقَال، والاَستنباطِ والاَحْتِيَالِ؛ لاَزدياد الأمْوَال، ولا يَعْلَمُون أنَّها فِتْنَةٌ وَوَبَال، وطُولُ حِسَابٍ وبَلاَء وبَلْبَالَ[1]، ٱغتَنِمُوا، يا ذوِي البَصَائر نعْمَةَ الإمهال، وٱطَّرِحُوا خَوَادِعَ الأمانِي، وكَوَاذِب/ الآمال، فكأنْ قد فجأتْكُم هواجمُ الآجال. انتهى من ٧٤
«الكَلِم الفارقيَّة، فِي الحِكَم الحقيقيَّة».

و ﴿يَوْماً﴾: نصب على المفعول، لا على الظرف، وجمهور العلماء على أنَّ هذا اليوم المحذَّر منه هو يومُ القيامةِ، والحِسَابِ والتوفيةِ، وقال قومٌ: هو يوم المَوْت، والأول أصَحُّ، وهو يومٌ تنفطرُ لذكْره القُلُوب، وفي هذه الآيةِ نصٌّ علَىٰ أنَّ الثوابَ والعقابَ متعلِّق بكَسْب الإنْسَان، وهذا ردٌّ على الجبريَّة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ ۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ ۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۖ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿يأيها الَّذين آمنوا إذا تداينتُم بدَيْن إلى أجَل مسمًّى فاكتبوه. . .﴾ الآيَةَ.

قال ابن عبَّاس: هذه الآية نزلَتْ في السَّلَم خاصَّة[2]، .....

---

(١) البَلْبَالُ: والبَلاَبِلُ، والبَلْبَلَةُ: شدة الهم والوسواسُ في الصدور وحديث النفس. ينظر: **«لسان العرب»** (٣٥١) (بلل).

(٢) أخرجه الطبري في **«تفسيره»** (٣/ ١١٦) برقم (٦٣١٥)، وذكره ابن عطية في **«تفسيره»**.

قال * ع[١] *: معناه أنَّ سَلَمَ أهْلِ المدينة كانَ سَبَبَ الآيةِ، ثم هِيَ تتناوَلُ جميعَ المدايَنَات؛ إجماعاً، ووصفُهُ الأَجَلَ بـ ﴿مُسَمًّى﴾ ـ دليلٌ علَىٰ أنَّ الجهالة لا تجوزُ، وقال جمهورُ العلماء: الأمر بالكَتب ندْبٌ إلى حفظ الأموال، وإزالة الرّيب، وإذا كان الغريمُ تقيًا، فما يضرُّه الكَتْب، وإن كان غير ذلك، فالكتب ثقافٌ في دَيْنِهِ وحَاجَة صاحبِ الحقِّ، قال بعضهم: إن أشهدتَّ، فحَزْمٌ، وإن ٱئتمنْتَ، ففي حِلٍّ وَسَعةٍ.

* ع[٢] *: وهذا هو القول الصحيحُ، ثم علم تعالَىٰ أنه سيقع الاِئتمانُ، فقال: إن وقع ذلك، ﴿فَلْيُؤَدِّ...﴾ [البقرة: ٢٨٣] الآية، فهذه وصيَّة للذِينَ علَيْهم الدُّيون.

واختلف في قوله تعالى: ﴿وليكتُبْ بينكم كاتبٌ﴾.

فقال عطاءٌ، والشَّعْبِيُّ: واجبٌ على الكاتِبِ أنْ يكْتُبَ، إذا لم يوجَدْ سواه[٣]، وقال السُّدِّيُّ: هو واجبٌ مع الفَرَاغ[٤].

وقوله: ﴿بالعَدْلِ﴾: معناه: بالحَقِّ، ثم نهى اللَّه سبحانه الكُتَّابَ عن الإباءَة، وحكى المَهْدَوِيُّ عن الرَّبيعِ، والضَّحَّاك؛ أنَّ قوله تعالى: ﴿وَلاَ يأْبَ﴾ منسوخٌ بقوله: ﴿ولاَ يُضَارَّ كاتبٌ ولا شهيدٌ﴾، قال[٥] * ع[٦] *: أما إذا أمكن الكتاب، فلَيْسَ يجبُ الكَتْب علَىٰ معيَّن، بل له الاِمتناع، إلا إذا ٱستأجره، وأمَّا إذا عدم الكاتبُ، فيتوجَّه وجوبُ النَّدْب حينئذٍ على الكَاتِبِ.

وقوله تعالى: ﴿وليُمْلِلِ الذي عَلَيْه الحقُّ...﴾ الآية: أَمَرَ اللَّه تعالى الَّذي علَيْه الحقُّ بالإملال؛ لأنَّ الشهادة، إنما تكونُ بحَسَب إقراره، وإذا كتبت الوثيقةُ، وأقر بها، فهي

---

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (١/ ٣٧٨).

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (١/ ٣٧٩).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١١٩) برقم (٦٣٣٩) عن عطاء، وذكره الماوردي في «تفسيره» (١/ ٣٥٥)، وابن عطية في «تفسيره» (١/ ٣٧٩).

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١١٩) برقم (٦٣٤٢)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (١/ ٣٧٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٦٥٥)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن السدي، وذكره.

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١١٩) برقم (٦٣٤٠، ٦٣٤١)، وذكره الماوردي في «تفسيره» (١/ ٣٥٥) عن الضحاك، وذكره أيضاً ابن عطية في «تفسيره» (١/ ٣٧٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٦٥٥)، وعزاه لابن جرير عن الضحاك.

(٦) ينظر: «المحرر الوجيز» (١/ ٣٧٩).

كإمْلاله، والبَخْسُ: النقْصُ بنوعٍ من المخادَعَة، والمُدَافعة، وهؤلاءِ الذين أُمِرُوا بالإملال هم المالكُون لأنفسهم، إذا حَضَرُوا.

ثم ذكر تعالى ثلاثةَ أنواعٍ تقَعُ نوازلُهُمْ في كلِّ زمانٍ، فقال: ﴿فَإِنَّ كانَ الَّذِي علَيْه الحقُّ سفيهاً﴾، والسفيهُ: الهَلْهَلُ الرأي في المالِ، الذي لا يحسنُ الأخذ لنَفْسِهِ ولا الإعطاء منها؛ مشبَّه بالثوْبِ السَّفِيهِ، وهو الخفيفُ النَّسْجِ، والسَّفَهُ: الخِفَّة، وهذه الصفة في الشريعةِ لا تخلُو من حجر أبٍ، أو وصيٍّ وذلك هو وليُّه، ثم قال: ﴿أَوْ ضَعِيفاً﴾، والضعيفُ: هو المدخُولُ في عَقْلِهِ، وهذا أيضاً قد يكونُ وليُّه أباً أو وصيًّا، والذي لا يستطيعُ أن يُمِلَّ هو الصغيرُ، ووليُّه وصيُّه أو أبوه، والغائبُ عن موضعِ الإشهاد لمرضٍ أو لغيرِ ذلك مِنَ الأعذار، ووليُّه وكيلُهُ، وأمَّا الأخْرَسُ، فيسوغُ أنْ يكونَ من الضعفاء، والأوْلَىٰ أنه ممَّن لا يستطيعُ.

وقوله: ﴿بالعَدْلِ﴾: معناه: بالحَقِّ، وقَصْدِ الصواب.

وقوله تعالى: ﴿واستشهدوا شهيدَيْنِ...﴾ الآية: الاستشهادُ: طلبُ الشهادةِ/، وعبَّر ٧٤ ب
ببناءِ مبالغة في «شَهِيدَيْنِ»؛ دلالةً على مَنْ قد شهد، وتكرَّر ذلك منه؛ فكأنه إشارة إلى العدالة، قال ابنُ العربيِّ في «**أحكامه**»[1]: والصحيحُ أنَّ الأمر بالاِستشهادِ محمولٌ على الندب. اهـ.

وقوله تعالى: ﴿من رِجالِكُمْ﴾: نصٌّ في رفضِ الكفارِ، والصِّبْيَانِ، والنِّساء، وأما العبيدُ، فاللفظ يتناولهم.

واختلف العلماء فيهم، وقولُ مالكٍ، والشافعيِّ، وأبي حنيفةَ، وجمهورِ العلماءِ: أنَّ شهادتهم لا تجوزُ، وغلبوا نقْضَ الرِّقِّ.

واَسْمُ كان الضميرُ الذي في قوله: ﴿يَكُونَا﴾، والمعنَىٰ؛ في قول الجمهور: فإن لم يكن المستشْهَدُ رجلَيْنِ، وقال قومٌ: بلْ المعنَىٰ: فإن لم يوجَدْ رجلانِ.

ولا يجوز اَستشهادُ المَرْأَتَيْنِ إلا مع عَدَم الرجال، قال * ع[2] *: وهذا قول ضعيفٌ؛ ولفظ الآية لا يعطيه، بل الظاهرُ منه قولُ الجمهور.

---

(١) ينظر: «**أحكام القرآن**» (١/ ٢٥١).

(٢) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (١/ ٣٨١).

وقوله: ﴿فرجلٌ وامرأتانِ﴾، أي: فليشهدْ أو فليكُنْ رجُلٌ وامرأتان.

وقوله تعالى: ﴿مِمَّنْ ترضَوْنَ من الشهداءِ﴾: رفعٌ في موضع الصفةِ؛ لقوله: ﴿فرجلٌ وامرأتانِ﴾، وهذا الخطابُ لجميعِ الناسِ، المتلبِّس بهذه القصَّة هم الحُكَّام، وهذا كثيرٌ في كتاب اللَّه يعمُّ الخطابُ فيما يتلبَّس به البعْض.

وفي قوله: ﴿مَمَّنْ ترضَوْنَ﴾: دليلٌ على أنَّ في الشهود من لا يُرْضَىٰ؛ فيجيء من ذلك، أنَّ الناس ليسوا بمحمولِينَ عَلَى العَدَالة؛ حتى تَثْبُتَ لهم.

وقوله تعالى: ﴿أن تضل إحداهما...﴾ الآيةَ: «أنْ» مفعولٌ من أجله، و الشهادةُ لم تقع؛ لأَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهما، وإنما وقع إشهاد امرأتَيْن؛ لأنَّ تُذَكِّر إحداهما، إنْ ضلَّت الأخرَىٰ، قال سيبوَيْهِ، وهذا كما تقول: أعْدَدتُّ هذه الخَشَبَةَ؛ أنْ يميلَ الحَائِطُ، فأدعمه.

* ع[1] *: ولما كانتِ النفوسُ مستشرفةً إلى معرفة أسباب الحوادِثِ، قدم في هذه العبارة ذكْرَ سبب الأمر المقْصُود إلَىٰ أنْ يخبر به، وهذا مِنْ أبْرَعِ الفَصَاحَةِ؛ إذ لو قال لكَ رجُلٌ: أعْدَدْتُّ هذه الخشبةَ؛ أنْ أدعم بها هذا الحائطَ، لقال السامعُ: ولِمَ تدعم حائطاً قائماً، فيجب ذكر السبب، فيقال: إذا مَالَ، فجاء في كلامِهِمْ تقديمُ السَّبَبِ أخْصَرَ من هذه المحاورة، قال أبو عبيد: ومعنى: ﴿تضلَّ﴾ تنسَىٰ[2].

* ع[3] *: والضَّلال عن الشهادة: إنما هو نسيانُ جزءٍ منها، وذكْرُ جزء، ويبقَى المرء بَيْن ذلك حيرانَ ضَالاً.

وقوله تعالى: ﴿ولا يأبَ الشهداءُ إذا ما دُعُوا...﴾ الآية: قال قتادة وغيره: معنى الآيةِ: إذا دُعُوا أنْ يشهدوا[4]، وقال الحسن بن أبي الحسن: الآيةُ جمعت أمرَيْن: لا تأب إذا دُعِيتَ إلَىٰ تحصيل الشهادةِ، ولا إذا دُعِيتَ إلى أدائها[5] وقاله ابن عباس[6]، وقال

---

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (١/ ٣٨٢).

(٢) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (١/ ٣٨٣).

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (١/ ٣٨٢).

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٢٦) برقم (٦٣٦٦) بنحوه، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (١/ ٣٨٣)، والسيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٦٥٧) بنحوه، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير عن قتادة.

(٥) أخرجه الطبري (٣/ ١٢٧) برقم (٦٣٦٩)، وذكره الماوردي في «تفسيره» (١/ ٣٥٧)، وابن عطية في «تفسيره» (١/ ٣٨٣).

(٦) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٢٧) برقم (٦٣٧٠)، وذكره الماوردي في «تفسيره» (١/ ٣٥٧).

مجاهد: معنى الآيةِ لا تأبَ، إذا دُعِيتَ إلى أداء شهادة قد حصَلَتْ عندك[١]، وأسند النَّقَّاشُ إلى النبيِّ ﷺ؛ أنَّه فسر الآية بهذا.

* ت *: وهذا هو الحقيقة في الآيةِ، وأما تسمية الشيْءِ بِما يَئُولُ إليه، فمجازٌ، والشاهد حقيقةً من حصَلَتْ له الشهادة، قال مجاهد: فأما إذا دُعِيتَ أوَّلاً، فإن شئت؛ فاذهب، وإن شئت، فلا تذهب»[٢]، وقاله جماعة، قال * ع[٣] *: والآية كما قال الحَسَنُ جمعتْ أمرَيْنِ، والمسلمون مندوبون إلى معونة إخوانهم، فإذا كانت الفُسْحَة لكَثْرة الشهودِ والأَمْنِ مِنْ تعطُّل الحق، فالمدعُو مندوبٌ، وإن خِيفَ تَلَفُ الحقِّ بتأخُّر الشاهد، وجب عليه القيام بها؛ سِيَمَا إن كانت محصَّلةً، ودُعِيَ لأدائها،/ فهذه آكَدُ؛ لأنها قِلاَدَةٌ في العُنُق ١٧٥ أ
وأمانةٌ تقتضي الأداء.

* م *: ﴿ولا يأب الشهداء﴾، قال أبو البقاءِ: مفعولُ «يأب» محذوفٌ، أي: ولا يأب الشهداءُ إقامةَ الشهادةِ أو تحمُّل الشهادةِ، «وإذا»: ظرفٌ لـ «يَأْبَ»، ويحتمل أنْ يكون ظرفاً للمفعول المحذوفِ .اهـ.

وَ ﴿تَسْأَمُوا﴾: معناه تَملُّوا، وقدَّم الصغير؛ اهتماماً به، و ﴿أَقْسَط﴾: معناه أعدلُ، و ﴿أقوم﴾، أي: أشدُّ إقامةً، وقيل: أقْوَمُ، من: قَامَ؛ بمعنى: اعْتَدَلَ، و ﴿أَدْنَىٰ﴾: معناه: أقربُ، و ﴿تَرْتَابُوا﴾: معناه: تَشُكُّوا.

قال ابنُ هِشَام: ﴿إِلَىٰ أَجَلِهِ﴾: لا يصحُّ تعلُّقه بـ «تَكْتُبُوهُ»؛ لاقتضائه استمرار الكتابة إلى أجل الدَّيْن، وإنَّما هو حالٌ، أي: مستقِرًّا في الذِّمَّة إلى أجله .اهـ من «المُغْني».

وقوله تعالى: ﴿إلاَّ أنْ تكونَ تجارةً حاضرةً...﴾ الآية: لما علمَ اللَّه سبحانه مشَقَّة الكتْب عليهم، نصَّ علَىٰ ترك ذلك، ورَفْع الجُنَاح فيه، في كلِّ مبايعة بنَقْد، وذلك في الأغلَبِ، إنما هو في قليلٍ كالطَّعام ونحوه، لا في كثير؛ كالأملاك ونحوها، وقال السُّدِّيُّ، والضَّحَّاك: هذا فيما كان يداً بيدٍ، تأخذ وتُعْطي[٤].

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٢٧) برقم (٦٣٧٥) بنحوه، وذكره الماوردي بنحوه في «تفسيره» (١/ ٣٥٧)، وابن عطية في «تفسيره» (١/ ٣٨٣).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٢٨) برقم (٦٣٧٦)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (١/ ٣٨٣)، والسيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٦٥٧) وعزاه لسفيان، وعبد بن حميد، وابن جرير، عن مجاهد.

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (١/ ٣٨٣).

(٤) أخرجه الطبري (٣/ ١٣٢) برقم (٦٣٩٧) عن السدي، وبرقم (٦٣٩٨) عن الضحاك، وذكره ابن عطية (١/ ٣٨٣).

وقوله تعالى: ﴿تديرونَها﴾: يقتضي التقابُضَ والبينونَةَ في المقبوضِ.

وقوله تعالى: ﴿وأشهدوا إذا تبايعتم﴾، ٱختلف، هَلْ ذلك على الوجوب، أوْ على الندب؟ والوجوبُ في ذلك قَلِقٌ؛ أمَّا في الدقائق، فصعب شاقٌّ، وأما ما كَثُر، فربَّما يقصد التاجر الاِستِئْلافَ بتَرْكِ الإشهاد إلى غير ذلك من المصالِحِ، فلا يُشْهِد، ويدخل ذلك كله في الاِئْتمان، ويبقَى الأمر في الإشهاد نَدْباً؛ لما فيه من المصلحة في الأغلب، وحكى المهدويُّ عن قومٍ؛ أنهم قالوا: ﴿وأشهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ منسوخٌ بقوله تعالَىٰ: ﴿فَإِنْ أَمِنَ...﴾ [البقرة: ٢٨٣] الآية: وذكره مكِّيٌّ عن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ.

واختلف النَّاس في معنى قوله تعالى: ﴿وَلاَ يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ﴾، أي: كٱختلافهم في قوله تعالى: ﴿لا تُضَارَّ والدةٌ بولدها﴾ [البقرة: ٢٣٣]، هل الفعلُ مسند إلى الفاعل، فأصله: «وَلاَ يُضَارِرُ كَاتِبٌ ولاَ شَهِيدٌ»؛ بكسر الراء، وقيل: مسندٌ إلى المفعول الذي لم يسمَّ فاعله، فأصله: «وَلاَ يُضَارَرُ»؛ بفتحها.

* ع[1] *: ووجوه المضارَّة لا تنحصرُ، وفكُّ الفعْلِ هي لغةُ الحجازِ، والإدغامُ لغة تَمِيمٍ.

وقوله: ﴿وإنْ تفعلوا فإنه فُسُوقٌ بكُمْ﴾؛ أيْ: وإنْ تفعلوا المضارَّة، وقوله: ﴿بِكُمْ﴾، أي: حَالٌ بِكُمْ.

وباقي الآية موعظةٌ وتهديدٌ، واللَّه المستعانُ لا ربَّ غيره، وقيل: معنى الآية الوعْدُ؛ لأنَّ من ٱتقَىٰ عُلِّمَ الخَيْرَ وأُلْهِمَهُ.

* ت *: وفي «العتبية» مِنْ سماع ٱبْنِ القَاسِم، قال: سَمِعْتُ مالكاً يقولُ: سَمِعْتُ أنَّه يقالُ: ما زَهِدَ عَبْدٌ، وٱتَّقَى اللَّهَ إلا أنْطَقَهُ اللَّهُ بالحكْمَة. اهـ.

والمراد بهذا العلْم العلْمُ النافعُ الَّذي يُورِثُ الخشيةَ؛ قال أبو عُمَرَ بنُ عبْدِ البَرِّ: رُوِّينَا عنْ مَسْروقٍ، قال: «كَفَىٰ بالمَرْءِ عَلْماً أنْ يخشَى اللَّهَ، وكفى بالمَرْءِ جهلاً أنْ يُعْجَب بعلْمه»، أبو عمر: إنما أعرفه بعَمَلِهِ. اهـ من كتاب «فضل العلْم».

﴿۞ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (١/ ٣٨٥).

تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾

وقوله تعالى: ﴿وإن كنتم علىٰ سفر...﴾ الآية: لما ذكر اللَّه تعالى النَّدْبَ إلى الإشهاد، والكتْبِ؛ لمصلحة حفظ الأموال والأديان ـ عقَّب ذلك بذكْر حال الأعذار المانعة من الكتب، وجعل بدلها الرهْنَ، ونصَّ على السفر؛ إذ هو الغالب من الأعذار، ويدخل في ذلك بالمعنَىٰ كلُّ عذر./ ٧٥ ب

قال * ع[1] *: رَهَنَ الشَّيْءَ؛ في كلام العرب معناه: دَامَ، واستمرَّ، قيل: ولما كان الرهنُ بمعنى الثبوتِ، والدوامِ[2]، فمِنْ ثَمَّ بطَل الرهْنُ؛ عند الفقهاء: إذا خرج مِنْ يد

---

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (١/ ٣٨٦).

(٢) الرهن يطلق لُغَةً على العين المرهونة.

قال ابن سيده: الرهن ما وضع عند الإنسان مما ينوب مَنَابَ ما أخذ منه يقال: رهنت فلاناً رهناً، وارتهنته إذا أخذه رهناً، والرهينة (واحدة الرهائن): الرهن. والهاء للمبالغة كالشتيمة والشتم، ثم استعملا في معنى المرهون، فقيل: هو رهن بكذا، أو رهينة بكذا.

وفي الحديث: «كل غُلاَم رهينة بعَقِيقَتِهِ».

ومعناه: أن العقيقة لازمة له لا بد منها، فشبهه في لزومها، وعدم انفكاكه منها بالرهن في يد المُرْتَهِن.

قال الخَطَّابي: تكلم الناس في هذا، وأجود ما قيل فيه ما ذهب إليه أحمد بن حنبل، قال: هذا في الشفاعة، يريد أنه إذا لم يَعُقَّ عنه، فمات طفلاً لم يشفع في والديه، أي: أن كل غلام محبوس، ومرهون عن الشفاعة بسبب ترك العقيقة عنه.

وقيل: معناه أنه مرهون بأذى شَعَره، واستدلوا بقوله: «فَأَمِيطُوا عنه الأَذَى» وهو ما عَلِقَ به من دم الرَّحِم.

ورَهَنَهُ الشيء يرهنه رَهْناً، ورَهَنه عنده، كلاهما، جعله عنده رهناً، ورَهَنَه عنه جعله رهناً بدلاً منه.

قال الشاعر: [الكامل]

ارْهَنْ بُنَيَّكَ عَنْهُمْ وَأَرْهَنْ بُنَيَّ

أي: أَرْهَنْ أنا بَنِيَّ كما فعلت أنت.

ويطلق على الدوام والحبس.

قال ابن عرفة: الرهن في كلام العرب هو الشيء الملزم، يقال: هذا راهن لك، أي: دائم محبوس عليك، وقوله تعالى: ﴿كل نفس بما كَسَبَتْ رهينةٌ﴾ و ﴿كل امرىء بما كسب رهين﴾ أي: محتبس بعمله، ورهينة محبوسة بكَسْبها.

وحديث: «نفس المؤمن مَرْهُونة بدَيْنِهِ حتى يقضى عنه» أي محبوسة عن مقامها الكريم.

قال الشاعر: [البسيط]

وَفَارَقَتْكَ بِرَهْنٍ لا فِكَاكَ لَهُ يَوْمَ الوَدَاعِ فَأَمْسَى الرَّهْنُ قَدْ غَلِقَا =

٥٥٢ ـــــــ

فقال مالك، وجميعُ أصحابه، وجمهور العلماء: قَبْض العَدْل قبضٌ.

وقال الحَكَم بن عُتَيْبَةَ[1]، وغيره: ليس بقَبْض.

وقولُ الجمهورِ أصحُّ؛ من جهة المعنى في الرهن.

وقوله تعالى: ﴿فإن أمن بعضكم بعضاً﴾: شرطٌ ربَطَ به وصيَّةَ الذي علَيْه الحقُّ بالأداء.

قال ابن العربيِّ في «أحكامه»[2]: قوله تعالى: ﴿فإن أمن بعضكم بعضاً﴾: معناه: إن أسقط الكَتْبَ، والإشهادَ، والرَّهْنَ، وعوَّل على أمانة المعامَلِ، فليؤدِّ الأمانةَ، وليتَّقِ اللَّه ربَّه؛ وهذا يبيِّن أنَّ الإشهاد ليس بواجبٍ؛ إذ لو كان واجباً، لما جاز إسقاطه، ثم قال: وجملة الأمر أنَّ الإشهاد حزْم، والائتمانَ ثقةٌ باللَّه تعالَىٰ من الدائنِ، ومروءةٌ من المِدْيَان، ثم ذكر الحديثَ الصحيحَ[3] في قصَّة الرَّجُل من بني إسرائيل الذي استسْلَفَ ألْفَ دينارٍ، وكيف تَعَامَلاَ علَىٰ الائتمانِ، ثم قال ابنُ العربيِّ: وقد رُوِيَ عن أبي سعيد الخدريِّ؛ أنه قرأ هذه الآية، فقال: هذا نسخ لكلِّ ما تقدَّم، يعني: من الأمر بالكَتْب، والإشهاد،

= وقال ابن المقري: فإن شرطا وضعه عند عدل أو عدلين جاز. قال شارحه: لو عبر بدل عدل بثالث لكان أولى؛ فإن الفاسق كالعدل في ذلك وقد رأى أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد، وعطاء، وعمرو بن دينار، والثوري، وابن المبارك، وإسحاق، وأبو ثور: أن قبضه يقوم مقام قبض المرتهن إذا شرطا وضعه عند عدل.

وجنح ابن أبي ليلى، وقتادة، والحارث العسكري، والظاهرية إلى أنه لا يقوم مقامه.

ينظر: «الرهن» لشيخنا حسن مصطفى، و «الأم» (٣/ ١٢٣)، و «المهذب» (١/ ٣٠٤)، والقرطبي (٣/ ٤١٠)، و «البحر الرائق» (٨/ ٢٩١)، و «ابن عابدين» (٥/ ٣٣٤)، و «تكملة فتح القدير» (٨/ ٢٢١)، و «الشرح الكبير» لابن قدامة (٤/ ٤١٤)، و «المغني» له (٤/ ٣٨٧).

(١) الحكم بن عُتَيْبة الكِنْدي، مولاهم، أو أبو عبد اللَّه الكوفي، أحد الأعلام، عن أبي جُحَيْفة، وعبد اللَّه بن شدَّاد، وأبي وَائل، وعبد الرحمن بن أبي ليْلى، وخلق، وعنه منصور، والأعمش، ومِسْعَر، وشُعْبَة، وأبي عَوَانة، وخلق، قال العِجْلي: ثقة ثبت من فقهاء أصحاب إبراهيم، صاحب سنة واتباع، قال أبو نعيم: مات سنة خمس عشرة ومائة، عن خمس وستين سنة.
ينظر: «الخلاصة» (١/ ٢٤٥).

(٢) ينظر: «أحكام القرآن» (١/ ٢٦٢).

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ٣٥) في البيوع: باب التجارة في البحر (٢٠٦٣)، و (٤/ ٥٤٨ـ ٥٤٩) في الكفالة: باب الكفالة في القرض والديون بالأبدان وغيرها (٢٢٩١)، وأحمد (٢/ ٣٤٨) من طريق ليث بن سعد عن جعفر بن ربيعة عن عبد الرحمن بن هرمز عن أبي هريرة (رضي اللَّه عنه) عن رسول اللَّه ﷺ أنه ذكر رجلاً من بني إسرائيل... فذكره.

والرهن .اهـ.

وقوله: ﴿فلْيُؤَدِّ﴾: أمر بمعنى الوجوبِ، وقوله: ﴿أمانَتَهُ﴾: مصْدَرٌ سُمِّيَ به الشيْء الذي في الذمَّة.

وقوله تعالى: ﴿ولا تكتموا الشهادةَ...﴾ الآية: نهي فيه تهديدٌ ووعيدٌ، وخص تعالَىٰ ذكْر القَلْب؛ إذ الكَتْم من أفعاله، وإذ هو البُضْعَةُ التي بصلاحها يصْلُحُ الجَسَدُ كُلُّه؛ كما قال ﷺ، وفي قوله تعالى: ﴿واللَّهُ بما تعملون عَلِيمٌ﴾ توعُّدٌ، وإنْ كَانَ لفظُها يعمُّ الوعيدَ والوَعْدَ.

وروى البَزَّارُ في «مسنده»، عن النبيِّ ﷺ؛ أنَّهُ قَالَ: «مَنْ مَشَىٰ إِلَىٰ غَرِيمِهِ بِحَقِّهِ، صَلَّتْ عَلَيْهِ دَوَابُّ الأَرْضِ، وَنُونُ المَاءِ، ونَبَتَتْ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ شَجَرَةٌ، تُغْرَسُ فِي الجَنَّةِ، وَذَنْبُهُ يُغْفَرُ»[1] اهـ من «الكوكب الدري».

قوله تعالى: ﴿للَّه ما في السموات وما في الأرض...﴾ الآية: المعنَىٰ: جميعُ ما في السمواتِ، وما في الأرض مِلْكٌ له سُبْحَانَهُ.

وقوله تعالى: ﴿وإنْ تبدوا ما في أنفسكم...﴾ الآية: قوله: ﴿ما في أنفسكم﴾ يقتضي قوَّةُ اللفظ أنَّه ما تقرَّر في النفْسِ، وٱستصحبتِ الفكْرةَ فيه، وأما الخواطر التي لا يُمْكِنُ دفْعُها، فليسَتْ في النفْسِ، إلا علَىٰ تجوُّز.

وٱختلف في معنى هذه الآية.

فقال عِكْرِمَةُ وغيره: هي في معنى الشهادةِ التي نُهِيَ عن كتمها[2]، فلفظ الآية؛ علَىٰ هذا التأويل: العمومُ، ومعناه الخصوصُ؛ وكذا نقل الثعلبيُّ.

وقال ابن عبَّاس: وأبو هريرة، وجماعةٌ من الصَّحابة والتابعين: إن هذه الآية، لَمَّا نزلَتْ، شَقَّ ذلك على الصَّحابة، وقالوا: هَلَكْنَا، يَا رَسُولَ اللَّهِ، إنْ حُوسِبْنَا بِخَوَاطِرِ نُفُوسِنَا، وَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ لكِنَّهُ قَالَ لَهُمْ: «أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا، كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا، بَلْ قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا،/ فَقَالُوهَا: فَأَنْزَلَ اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ ٧٥ ب

(١) أخرجه البزار (٢/ ١١٩ـ كشف) رقم (١٣٤٢)، من طريق إسماعيل بن عياش، عن عبد الرحمن بن سليمان، عن أبي سعد، عن معاوية بن إسحاق، عن سعيد بن المسيب، عن ابن عباس به.
وقال الهيثمي في «المجمع» (٤/ ١٥٢): رواه البزار، وفيه جماعة لم أجد من ترجمهم.

(٢) أخرجه الطبري (٣/ ١٤٣) برقم (٦٤٥٢)، وذكره ابن عطية (١/ ٣٨٩).

وُسْعَهَا﴾[1] [البقرة: ٢٨٦]؛ ونَسَخ بِهَذِهِ تِلْكَ» هذا معنى الحديثِ الصحيحِ، وله طرقٌ من جهاتٍ، واختلفتْ عباراته، وتعاضَدَتْ عبارةُ هؤلاء القائلين بلفظة النَّسْخِ في هذه النازلةِ.

وقال ابن عبَّاس: لما شقَّ ذلك علَيْهم، فأنزل اللَّه تعالَىٰ: ﴿لا يكلِّف اللَّهُ نفساً إلاَّ وسْعها...﴾ الآيةَ، فنسختِ الوسوسةُ، وثَبَتَ القوْلُ، والفعْلُ.

وقال آخرون: هذه الآيةُ محكمةٌ غير منْسُوخةٍ، واللَّه محاسِبٌ خلقه علَىٰ ما عملوه، وأضمروه، وأرادوه، ويَغْفِرُ للمؤمنين، ويأخذ به أهل الكفر والنفاق؛ ورجَّح الطبريُّ[2] أنَّ

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ١١٥ـ ١١٦) كتاب «الإيمان»، باب بيان أنه سبحانه وتعالى لم يكلف إلا ما يطاق، حديث (١٢٥/١٩٩)، وأحمد (٢/ ٤١٢)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٦٦١). كلهم من طريق العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: لما نزلت: ﴿للَّه ما في السموات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به اللَّه﴾ اشتد ذلك على أصحاب رسول اللَّه ﷺ، فأتوا رسول اللَّه ﷺ ثم بركوا على الركب، فقالوا: أي رسول اللَّه، كلفنا من الأعمال ما نطيق: الصلاة، والصيام، والجهاد، والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية، ولا نطيقها، قال رسول اللَّه ﷺ: «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا، غفرانك ربنا وإليك المصير» قالوا: سمعنا وأطعنا، غفرانك ربنا وإليك المصير، فلما اقترأها القوم، ذلت بها ألسنتهم، فأنزل اللَّه في إثرها: ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن باللَّه وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾، فلما فعلوا ذلك نسخها اللَّه تعالى، فأنزل اللَّه (عز وجل): ﴿لا يكلف اللَّه نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾، قال: نعم، ﴿ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا﴾ قال: نعم، ﴿ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به﴾ قال: نعم، ﴿واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾.

والحديث ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٦٦١)، وزاد نسبته إلى أبي داود في «ناسخه»، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

وورد أيضاً بنحو ذلك من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما: أخرجه مسلم (١/ ١١٦)، كتاب «الإيمان»، باب بيان أنه سبحانه وتعالى لم يكلف إلا ما يطاق، حديث (١٢٥/٢٠٠). والترمذي (٥/ ٢٠٦)، كتاب «التفسير»، باب سورة البقرة، حديث (٢٩٩٢). وأحمد (١/ ٢٣٣). والنسائي في «الكبرى» (٦/ ٣٠٧)، كتاب «التفسير»، باب قوله تعالى: ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه﴾، حديث (١١٠٥٩)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ١٠٥)، والحاكم (٢/ ٢٨٦)، كلهم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس به.

وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه؛ ووافقه الذهبي.

وفيه نظر: فقد أخرجه مسلم كما تقدم في التخريج.

والحديث ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٦٦١)، وزاد نسبته إلى ابن المنذر، والبيهقي في «الأسماء والصفات».

(٢) ينظر: «الطبري» (٣/ ١٤٩).

الآية محكَمَةٌ غير منْسُوخة.

* ع[1] *: وهذا هو الصوابُ، وإنَّما هي مخصَّصة، وذلك أنَّ قوله تعالى: ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تُخفوه﴾: معناه: بما هو في وُسْعكم، وتحتَ كَسْبِكُم، وذلك استصحابُ المعتقد، والفِكْر فيه، فلما كان اللفظ ممَّا يمكنُ أنْ تدخل فيه الخواطرُ، أشفَقَ الصحابةُ، والنبيُّ ﷺ فبيَّن اللَّه تعالَىٰ لهم ما أراد بالآيةِ الأولَىٰ، وخصَّصَها، ونصَّ على حُكْمِهِ؛ أنه لا يكلِّف نفساً إلا وسْعَهَا، والخواطرُ ليْسَتْ هي، ولا دفعُهَا في الوُسْع، بل هي أمر غالبٌ، وليست مما يُكْسَبُ، ولا يُكْتَسَبُ، وكان في هذا البيان فَرَحُهُمْ، وكَشْفُ كربهم، وتأتي الآية محكمةً لا نَسْخَ فيها، وممَّا يدفع أمر النَّسْخ؛ أن الآية خَبَرٌ، والأخبار لا يدخُلُها النَّسْخُ، فإن ذهب ذاهبٌ إلى تقرير النَّسْخِ، فإنما يترتَّب له في الحُكْم الذي لَحِقَ الصحابة، حِينَ فزعوا من الآية، وذلك أن قول النبيِّ ﷺ لهم: «قولُوا سَمِعْنَا وأطعنا»، يجيء منه: الأمر بأن يبنُوا علَىٰ هذا، ويلتزموه، وينتظروا لُطْفَ اللَّه في الغُفْران، فإذا قرّر هذا الحكم، فصحيحٌ وقوعُ النَّسْخ فيه، وتشبه الآية حينئذٍ قوله تعالَى: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ [الأنفال: ٦٥]، فهذا لفظه الخَبَرُ، ولكنَّ معناه: ٱلتزموا هذا، وٱبنُوا عليه، واصبروا بحَسَبِهِ، ثم نسخ ذلك بَعْد ذلك، فهذه الآية في البقرة أشبهُ شَيْء بها.

وقوله تعالى: ﴿ويعذِّب من يشاء﴾، يعني: من العصاةِ، وتعلَّق قومٌ بهذه الآية ممَّن قال بجوازِ تكْليفِ ما لا يُطَاقُ، وقالوا: إن اللَّه قد كلَّفهم أمْرَ الخواطرِ، وذلك مما لا يطَاق، قال * ع[2] *: وهذا غير بيِّن، وإنما كان أمر الخواطر تأويلاً أوَّله أصحاب النبيِّ ﷺ ولم يثبتْ تكليفاً إلا على الوَجْه الذي ذكَرْناه من تقرير النبي ﷺ، إنَّهُ علَىٰ ذلك، قال الشيخ الوليُّ العارفُ باللَّه ٱبْنُ أبي جَمْرَةَ: والخواطرُ عندهم ستَّةٌ يعني عند العلماءِ العارفينَ باللَّه: أولُها الهَمَّة، ثم اللَّمَّة، ثم الخَطْرة؛ وهذه الثلاثُ عندهم غَيْرُ مُؤاخذٍ بها، ثم نِيَّة، ثمَّ إرادَةٌ، ثم عَزِيمَةٌ، وهذه الثلاثُ مؤَاخذ بها .اهـ.

وقوله تعالى: ﴿آمن الرسولُ بما أنزل إليه من ربه...﴾ الآية: سببُ هذه الآية أنَّه لما نزلَتْ: ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم﴾، وأشفق منها النبيُّ ﷺ وأصحابه، ثم تقرَّر الأمر على أنْ قالوا: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾، ورجعوا إلى التضرُّع والاِستكانةِ، مدَحهم اللَّه تعالَىٰ، وأثنَىٰ عليهم في هذه الآيةِ، وقدَّم ذلك بين يدَيْ رِفْقِهِ بهم، فجمع لهم تعالَى التشريفِ بالمَدْحِ، والثناءِ، ورفع المشقَّة في أمر الخواطرِ، وهذه ثمرة الطَّاعَة والانقطاعِ إلى اللَّه تعالَىٰ، لا كما

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (١/ ٣٨٩).

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (١/ ٣٩٠).

قالتْ بنو إسرائيل: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [البقرة: ٩٣]؛ فأعقبهم ضدَّ ذلك، وهذه ثمرة العصيان، أعاذنا اللَّه من نِقَمِهِ.

و﴿آمَنَ﴾ معناه: صدَّق، والرسولُ: محمَّد ﷺ، و ﴿مَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ﴾: القُرآن، وسائرُ ما أوحى اللَّه إِلَيْه من جملة ذلك، وكُلُّ لفظة تصلح للإحاطة، وهي كذلك هُنَا، والإِيمانُ باللَّه: هو التصديقُ به، أي: بوجودِهِ وصفاتِهِ، ورفْضُ كلِّ معبود سواه، والإِيمان بملائكته: هو اعتقادُهم أنهم عبادُ لِلَّهِ مكْرَمُون، لا يعصُون اللَّه ما أمرهم، ويَفْعَلُون ما يُؤْمَرون، والإِيمان بكتبه: هو التصديقُ بكلِّ ما أَنْزَلَ سبحانه علَىٰ أنبيائه.

وقرأ الجمهور: ﴿لاَ نُفَرِّقُ﴾؛ بالنون[1]. والمعنَىٰ: يقولون: لا نفرِّق.

ومعنَىٰ هذه الآية: أن المؤمنين ليسوا كاليَهُودِ والنصارَىٰ؛ في أنَّهم يؤمنون ببَعْضٍ، ويكفرون ببعض.

وقوله تعالى: ﴿وقالوا سمعنا وأطعنا﴾: مدح يقتضي الحضَّ على هذه المقالة، وأنْ يكون المؤمنُ يمتثلُها غَابِرَ الدَّهر، والطاعةُ: قبولُ الأوامرِ، و ﴿غُفْرَانَكَ﴾: مصدرٌ، والعاملُ فيه فعْلٌ، تقديره: نَطْلُبُ أوْ نَسْأَلُ غُفْرَانَكَ.

* ت *: وزاد أبو حَيَّان[2]، قال: وجوَّز بعضُهم الرفْعَ فيه، علَىٰ أنْ يكون مبتدأً، أيْ: غفرانُكَ بُغْيَتُنَا .اهـ.

﴿وإِلَيْكَ المَصِيرُ﴾: إقرار بالبعثِ، والوقوفِ بَيْنَ يَدَيْهِ سبحانه، وروي أنَّ النبيَّ ﷺ، لما أنزلَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الآيَةُ، قَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَجَّلَ الثَّنَاءَ عَلَيْكَ، وَعَلَىٰ أُمَّتِكَ، فَسَلْ تُعْطَهْ، فَسَأَلَ إِلَىٰ آخِرِ السُّورَةِ[3].

---

(١) وروي عن أبي عمرو «يفرق» كما في «الكشاف» (١/ ٣٣١)، ورويت عن سعيد بن جبير ويحيى بن يعمر، وأبي زرعة بن عمر بن جرير، ويعقوب كما في «المحرر الوجيز» (١/ ٣٩٢).

وقرأ عبد اللَّه «يفرقون»، ينظر: «الكشاف» (١/ ٣٣١)، و «المحرر الوجيز» (١/ ٣٩٢)، و «البحر المحيط» (٢/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠)، و «الدر المصون» (١/ ٦٩٤).

(٢) ينظر: «البحر المحيط» (٢/ ٣٨٠).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٦٥٠١)، وابن أبي شيبة (١١/ ٥٠١) رقم (١١٨٢٤)، وسعد بن منصور (٤٧٨) عن حكيم بن جابر به، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٦٦٥)، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم، والحديث مرسل.

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾

وقوله تعالىٰ: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَها...﴾ الآية: خبرُ جزم نصَّ علىٰ أنَّه لا يكلِّف اللَّه العبادَ مِنْ وقْتِ نزولِ الآيةِ عبادةً مِنْ أعمالِ القَلْب والجوارحِ إلاَّ وهِيَ في وُسْعِ المكلَّف، وفي مقتضى إدراكه وبنيته، وبهذا انكشفَتِ الكُرْبَةُ عن المسلِمِينَ في تأوُّلهم أمْر الخواطِرِ، وهذا المعنَى الذي ذكَرْناه في هذه الآية يَجْرِي مع معنَىٰ قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨] وقوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، قال العراقيُّ: ﴿وُسْعَها﴾، أي: طاقتها .اهـ.

قال * ع[1] *: واختلف النَّاسُ في جوازِ تكليفِ ما لا يُطَاقُ في الأحكام الَّتي هي في الدُّنيا بعد اتفاقِهِمْ علَىٰ أنَّه ليس واقعًا الآنَ في الشَّرْعِ، وأنَّ هذه الآية آذَنَتْ بعدمه، واختلف القائلُونَ بجوازِهِ، هل وَقَعَ في رسالةِ سَيِّدنا محمَّد ﷺ أمْ لاَ؟

فقالَتْ فرقة: وقَعَ في نازلةِ أبِي لَهَبٍ؛ لأنه حَكَم علَيْه بتَبِّ اليدَيْنِ، وصَلْيِ النَّارِ؛ وذلك مُؤْذِنٌ أنه لا يؤمِنُ، وتكليفُ الشرْعِ له الإيمان راتب، فكأنه كُلِّف أنْ يؤمِنَ، وأنْ يكون في إيمانه أنَّه لا يؤمن؛ لأنه إذا آمَن، فلا محالة أنْ يُدَيَّنَ بسورة: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾.

وقالتْ فرقةٌ: لم يقَعْ قطُّ، وقوله تعالَىٰ: ﴿سَيَصْلَىٰ نَاراً﴾ [المسد: ٣] إنما معناه: إن وافَىٰ على كفره.

* ع[2] *: وما لا يطاقُ علَىٰ أقسامٍ:

منه المُحَالُ عقْلاً؛ كالجمْعِ بين الضِّدَّيْن، ومنْه المُحَالُ عادَةً؛ كرفع إنسانٍ جبلاً، ومنْه ما لا يطاقُ مِنْ حيث هو مُهْلِكٌ؛ كالاِحتراقِ بالنارِ، ونحوه، ومنه ما لا يطاقُ لِلاَشتغالِ بغَيْره، وهذا/ إنما يقال فيه مَا لاَ يطاقُ عَلَىٰ تجوُّزٍ كثيرٍ. ٧٦ ب

وقوله تعالى: ﴿لها ما كَسَبَتْ﴾، يريدُ: من الحسناتِ، ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾، يريد:

---

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (١/ ٣٩٣).

(٢) ينظر: المصدر السابق.

من السَّيِّئاتِ؛ قاله جماعة المفسِّرين؛ لا خلاف في ذلك، والخواطُر ونحوها ليس من كَسْب الإنسان، وجاءت العَبَارةُ في الحَسَنَاتِ بـ «لَهَا»؛ من حيثُ هي مما يفرح الإنسان بكسبه، ويسر المرء بها، فتضاف إلى ملكه، وجاءَتْ في السيئة بـ «عَلَيْها»؛ من حيث هي أوزارٌ، وأثقال، ومتحَملاتٌ صعْبَةٌ؛ وهذا كما تقول: لي مالٌ، وعليَّ دَيْنٌ، وكرَّر فعْلَ الكَسْب، فخالف بين التصريفَيْن حسنًا لنمط الكلامِ؛ كما قال: ﴿فَمَهِّلِ الكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً﴾ [الطارق: ١٧] هذا وجه.

* ع[١] *: والذي يظهر لِي في هذا أنَّ الحسناتِ ممَّا يكسب دُونَ تكلُّف؛ إذ كاسبُها علَىٰ جادَّة أمر اللَّه، ورسْم شرعه، والسيِّئَاتُ تُكْتَسَبُ؛ ببناءِ المبالغة؛ إذ كاسبها يتكلَّف في أمرها خَرْقَ حجابِ نَهْيِ اللَّه تعالَىٰ، ويتخطَّاه إِلَيْها، فيحسن في الآية مجيءُ التصريفَيْن لهذا المعنى.

وقال المهدويُّ وغيره: معنى الآيةِ: لاَ يُؤَاخَذُ أحدٌ بذَنْبِ أحدٍ[٢]؛ قال * ع[٣] *: وهذا صحيحٌ في نفسه، لكن من غير هذه الآية.

وقوله تعالى: ﴿ربَّنا لا تؤاخِذْنا﴾: معناه: قُولُوا، واختلف الناسُ في معنى قوله سبحانه: ﴿إِنْ نسينَا أَوْ أخطأنا﴾، فذهب كثير من العلماء إِلَىٰ أَنَّ هذا الدعاءَ في النسيانِ الغالبِ، والخَطَإِ غَيْر المقصودِ، وهو الصحيحُ عندي، قال قتادةُ في تفسير الآيةِ: بلغَنِي أنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهِ تَعَالَىٰ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي عَنْ نِسْيَانِهَا وَخَطَئِهَا»، وقال السُّدِّيُّ: لما نزلَتْ هذه الآية، فقالوها، قَالَ جِبْرِيلُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «قَدْ فَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ، يَا مُحَمَّدُ»، قال * ع[٤] *: فظاهر قولَيْهما ما صحَّحته؛ وذلك أن المؤمنين، لما كُشِفَ عنهم ما خافوه في قوله تعالى: ﴿يُحَاسِبْكُمْ به اللَّه﴾ [البقرة: ٢٨٤]، أمروا بالدعاء في ذلك النوْعِ الذي لَيْسَ من طاقة الإنسان دفْعُهُ، وذلك في النسيانِ، والخطإ، والإصر الثقيلِ، وما لاَ يطاقُ علَىٰ أتمِّ أنواعه، وهذه الآية علَىٰ هذا القولِ تقضِي بجوازِ تكليفِ ما لا يطاقُ؛ ولذلك أمر المؤمنون بالدعاءِ في ألاَّ يقع هذا الجائزُ الصَّعْبُ. ومذهب أبي الحَسَنِ الأشعريِّ[٥] وجماعةٍ من

---

(١) ينظر: المصدر السابق.

(٢) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (١/ ٣٩٣).

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (١/ ٣٩٣).

(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (١/ ٣٩٤).

(٥) علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد اللَّه بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى، الشيخ أبو الحسن الأشعري، البصري، إمام المتكلمين، وناصر سنة سيد المرسلين، =

٥٦٠ ـــــــ

صاحب «**سلاح المؤمن**»: هذا الحديثُ رواه الجماعةُ، يعني: الستةَ، ومعنى: «كَفَتَاهُ» أجزتَاهُ عنْ قيامِ الليل، وقيل: كَفَتَاهُ مِنْ كلِّ شيطانٍ، فلا يقربه ليلَتَهُ، وقيل: كفتاه ما يكُونُ مِنَ الآفاتِ تلكَ الليلةَ، وقيل: معناه حَسْبُهُ بهما فضلاً وأجراً، ويحتمل الجميع، واللَّه أعلم .اهـ من «**سلاح المؤمن**».

وقال عليٌّ ـ رضي اللَّه عنه ـ: «ما أظنُّ أَحَداً عَقَلَ، وأدْرَكَ الإِسْلاَمَ يَنَامُ، حَتَّىٰ يَقْرَأَهُمَا»[1] وفي الحديثِ؛ أن النبيَّ ﷺ، قَالَ: «أُوتِيتُ هَؤُلاَءِ الآياتِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ البَقَرَةِ، مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ العَرْشِ لَمْ يُؤْتَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي»[2].

كمل تفسير سورة البقرة، والحمد للَّه

---

(١) ذكره ابن عطية في «**تفسيره**» (١/ ٣٩٥)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (١/ ٦٦٩)، وعزاه للدارمي، ومحمد بن نصر، وابن الضريس، وابن مردويه عن علي.

(٢) تقدم تخريجه.

محتوى الجزء الأول من تفسير الثعالبي

مقدمة المحقق ٥

المبحث الأول: نبذة عن حياة الثعالبي ٩

ـ اسمه وكنيته ولقبه ٩

ـ رحلاته وشيوخه ٩

١ ـ محمد بن خلفه بن عمر التونسي ١٢

٢ ـ ولي الدين العراقي ١٣

٣ ـ محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر مرزوق .. ١٤

٤ ـ أبو القاسم بن أحمد بن محمد المعتل البلوي ١٧

٥ ـ علي بن عثمان المنجلاتي ١٩

٦ ـ أحمد النقاوسي البجاني ١٩

٧ ـ عيسى بن أحمد بن محمد بن محمد الغبريني ١٩

٨ ـ سليمان بن الحسن البوزيدي ٢٠

٩ ـ محمد بن علي بن جعفر الشمس ٢١

١٠ ـ عمر بن محمد القلشاني ٢٢

١١ ـ علي بن موسى البجائي ٢٢

١٢ ـ البساطي ٢٣

١٣ ـ أبو الحسن علي بن محمد البليليتي ٢٣

١٤ ـ أبو يوسف يعقوب الزغبي ٢٣

ـ شيوخه الدين لم يذكره في رحلته ٢٣

١ ـ عبد الله بن مسعود التونسيّ ٢٣

٢ ـ عبد العزيز بن موسى بن معطي العبدوسي ٢٤

٣ ـ عبد الواحد الغرياني ٢٥

٥٦٤ ـــــــ

٣ ـ عكرمة ٦٧
٤ ـ طاووس ٧٠
ـ مدرسة المدينة: تلاميذ أُبَيّ بن كعب ٧٤
١ ـ أبو العالية ٧٤
٢ ـ محمد بن كعب القرظي ٧٥
٣ ـ زيد بن أسلم ٧٥
ـ مدرسة العراق: تلاميذ عبد الله بن مسعود ٧٦
١ ـ علقمة بن قيس ٧٦
٢ ـ مسروق ٧٧
٣ ـ عامر الشعبي ٧٧
٤ ـ الحسن البصري ٧٨
٥ ـ قتادة ٧٩
ـ قيمة التفسير المأثور عن التابعين ٨١
ـ سمات التفسير في تلك المرحلة ٨٢
ـ التفسير في عصر التدوين ٨٢
ـ أقسام التفسير ٨٣
ـ الاتجاه الأثري في التفسير ٨٣
ـ ابن جرير الطبري ٨٤
ـ طريقة الطبري في التفسير ٨٥
ـ الاتجاه اللغوي ٨٦
ـ الاتجاه البياني ٨٨
المبحث الثالث: الكلام على تفسير الثعالبي ٩١
١ ـ مصادر من كتب التفسير ٩١
٢ ـ كتب غريب القرآن والحديث ٩٤
٣ ـ المصادر التي اعتمد عليها من كتب السنة ٩٥
٤ ـ كتب الترغيب والترهيب ٩٥
٥ ـ كتب في الأحكام الفقهية والأصولية ٩٦
٦ ـ كتب الخصائص والشمائل ٩٦

٧ ـ كتب في التربية وتهذيب النفوس ٩٦
٨ ـ في الأسماء والصفات ٩٧
٩ ـ ومن كتب التاريخ ٩٧
١٠ ـ كتب أخرى منثورة ٩٧
ـ منهج الإمام الثعالبي في تفسيره ٩٨
١ ـ جمعه بين التفسير بالمأثور والرأي ٩٩
٢ ـ تعرضه لمسائل في أصول الدين ١٠٠
٣ ـ مسائل أصول الفقه في تفسيره ١٠١
٤ ـ تعرضه لآيات الأحكام ١٠٢
٥ ـ احتجاجه باللغة والمسائل النحوية ١٠٣
٦ ـ ذكره لأسباب النزول ١٠٤
٧ ـ ذكره للقراءت الواردة في الآية ١٠٥
٨ ـ احتجاجه بالشعر ١٠٨
٩ ـ موقفه من الإسرائيليات ١٠٩
ـ وصف النسخ المعتمد عليها في كتاب تفسير الثعالبي ١١٣
ـ نماذج من صور مخطوطات الكتاب ١١٥

الجزء الأول
من تفسير الثعالبي

ـ مقدمة المؤلف ١١٧
ـ باب في فضل القرآن ١٢٣
ـ باب في فضل تفسير القرآن وإعرابه ١٣٥
ـ فصل فيما قيل في الكلام في تفسير القرآن والجرأة عليه ومراتب المفسرين ١٣٨
ـ فصل: أنزل القرآن على سبعة أحرف ١٤٥
ـ فصل في ذكر الألفاظ التي في القرآن مما للغات العجم بها تعلق ١٤٨
ـ باب تفسير أسماء القرآن وذكر السورة والآية ١٥٠
ـ باب في الاستعاذة ١٥٤
ـ باب في تفسير ﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم﴾ ١٥٦

- تفسير فاتحة الكتاب ١٦١
- تفسير سورة البقرة ١٧٤

طبع على مطابع
دار إحياء التراث العربي

تفسير الثعالبي

المسمى

بالجواهر الحسان في تفسير القرآن

للإمام عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف أبي زيد الثعالبي المالكي

(٧٨٦ - ٨٧٥ هـ)

حقق أصوله على أربع نسخ خطية وعلق عليه وخرج أحاديثه

الشيخ علي محمد معوض

والشيخ عادل أحمد عبد الموجود

وشارك في تحقيقه

الأستاذ الدكتور عبد الفتاح أبو سنة

خبير التحقيق بمجمع البحوث الإسلامية

وعضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

وعضو لجنة المصحف بالأزهر الشريف

الجزء الخامس

دار إحياء التراث العربي مؤسسة التاريخ العربي

بيروت - لبنان

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة
لدار احياء التراث العربي
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

دار إحياء التراث العربي

بيروت حارة حريك شارع دكاش بناية كليوباترا - بملكه

هاتف: 836551 - 836696 - 836766

تلكس: 23644 ص. ب: 11/7957 بيروت - لبنان

فاكس: 2124783422 001

تفسير الثعالبي

الجزء الخامس

تفسيرُ سُورَةِ يَسٓ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ بِإِجْمَاعٍ

إلا أَنَّ فرقة قَالَتْ: إن قوله تعالى: ﴿ونكتب ما قدموا وآثارهم﴾ نزلَتْ في بني سلمة حين أرادوا أن ينتقلوا إلى جوار مسجد النبي ﷺ، وورد في فضل يسٓ آثارٌ عديدةٌ، فعن مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ، أن النبيَّ ﷺ قال: «قَلْبُ القُرْآنِ يسٓ لاَ يَقْرَؤُهَا رَجُلٌ يُرِيدُ اللَّهَ وَالدَّارَ الآخِرَةَ إِلاَّ غُفِرَ لَهُ، ٱقْرَؤُوهَا عَلَى مَوْتَاكُمْ»[1] رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم في «**المستدرك**»، وهذا لفظ النسائي، وهو عند الباقين مختصرٌ. انتهى من «**السِّلاح**».

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾﴾.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يسٓ *والقرآن الحكيم* إنك لمن المرسلين﴾ قد تقدَّم الكلام في الحروف المقَطَّعة، ويختص هذا الموضعُ بأَقوالٍ، منها: أن ابن جبير قَالَ: يسٓ ٱسْمٌ من أسماء محمد ـ عليه السلام[2] ـ وقال ابن عباس: معناه: يا إنسانُ، بالحبشية[3].

وقال أيضاً: هو بلغة طَيِّىءٍ[4]، وقال قتادةُ: «يسٓ» قسم و«الصراط» الطريق، والمعنى: إنك على طريق هدى بيِّن ومَهْيَعِ رشاد[5]، واختَلَفَ المفسرون في قوله تعالى:

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) ذكره ابن عطية في «**تفسيره**» (٤/ ٤٤٥).

(٣) أخرجه الطبري في «**تفسيره**» (١٠/ ٤٢٤) برقم: (٢٩٠٤٨)، وذكره ابن عطية في «**تفسيره**» (٤/ ٤٥٤)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٥/ ٤٨٤)، كلهم عن ابن عباس، وعزاه السيوطي لابن مردويه عن ابن عباس، وذكره ابن كثير (٣/ ٥٦٣) عن سعيد بن جبير.

(٤) ذكره البغوي في «**تفسيره**» (٤/ ٥)، وابن عطية في «**تفسيره**» (٤/ ٤٤٥).

(٥) ينظر: «**تفسير القرطبي**» (١٥/ ٥).

﴿ما أنذر آباؤهم﴾ فقال عِكْرِمَةُ: «ما» بمعنى: الذي[١]، والتقدير: الشيءُ الذي أُنذِر آباؤهم من النارِ/ والعذابِ، ويحتملُ أن تكون «ما» مصدريةً على هذا القول، ويكونُ الآباءُ هُمُ الأَقْدَمُونَ على مر الدهرِ. ٨٥ ب

وقوله: ﴿فهم﴾ مع هذا التأويل بمعنى: فإنّهم، دخلتِ الفاءُ لِقَطْع الجملة من الجملة، وقال قتادةُ: «ما» نافيةٌ[٢]، فالآباءُ عَلى هَذا هم الأقْرَبُونَ مِنْهُمْ، وهذه الآيةُ كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾ [سبأ: ٤٤] وهذه النُّذَارةُ المنفيةُ: هي نذارة المبَاشَرَة، كما قدَّمَنا، و﴿حَقَّ القَوْلُ﴾ معناه: وَجَبَ العذابُ وسبَقَ القضَاءُ بهِ، وهذا فيمَنْ لم يؤمنْ من قريشٍ كَمَنْ قُتِل بِبَدْرٍ، وغيرِهم.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِيَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً...﴾ الآية.

قال مكي: قيل: هي حقيقةٌ في الآخِرَة إذا دخلوا النار[٣].

وقال ابن عباس وغيره: الآيةُ استعارةٌ لِحالِ الكَفَرَةِ الذين أرادوا النبيَّ ﷺ بسوءٍ، فجعلَ اللَّهُ هذهِ مثَلاً لَهُمْ في كَفِّهِ إيَّاهُمْ عَنْهُ ومَنْعِهم مِنْ إذَايَتِهِ حينَ بَيَّتُوهُ[٤].

وقالتْ فرقة: الآيةُ مُسْتَعَارَةُ المعاني مِنْ مَنْعِ اللَّه تعالى إيَّاهم مِنَ الإيمَانِ، وَحَوْلِه بَيْنَهم وبَيْنَه، وهذا أرجح الأقوال، و«الغُلُّ»: ما أحاط بالعُنق على معنى التَّثْقِيفِ والتَّضْيِيقِ والتَّعْذِيبِ.

وقوله: ﴿فهي﴾ يحتملُ أنْ تَعُودَ على الأغلالِ، أي: هي عريضة تبلَغُ بحرفِها الأذقَانَ، والذَّقَنُ: مُجْتَمَعُ اللَّحْيَيْنِ، فَيَضْطَرُّ المغلولُ إلى رفع وجههِ نحو السماء، وذلك هو الإقْمَاحُ، وهو نحوُ الإقْنَاعِ في الهيئة.

---

(١) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/٤٤٦).
(٢) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/٤٤٦).
(٣) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/٤٤٦).
(٤) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/٤٤٧).

قال قتادة: المقمح: الرافعُ رأسه[١]، ويحتملُ ـ وهو قول الطبري[٢] ـ أنْ تَعُودَ (هي) على الأيْدِي؛ وذلك أن الغُلَّ إنما يكونُ في العُنُقِ مَعَ اليَدَيْنِ، ورُوِي أن في مصحف ابن مسعودٍ[٣] وأُبيٍّ «إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَيْمَانِهِمْ» وفي بعضها «في أَيْدِيهِمْ»، وأرَى الناسَ عَليُّ بنُ أبي طالبٍ الإقْمَاحَ فَجَعَلَ يَدَيْهِ تَحْتَ لَحْيَيْهِ وأَلْصَقَهُمَا وَرَفَعَ رَأْسَهُ[٤]، **وقرأ** الجمهورُ: «سُدًّا» ـ بِضَمِّ السينِ في الموضعين ـ، **وقرأ** حمزةُ والكسائي وغيرُهما[٥] (سَدًّا) ـ بفتح السين ـ، فقيل: هما بمعنًى، أي: حائلاً يَسُدُّ طَريقَهم، وقال عكرمةُ: مَا كَانَ مِمَّا يَفْعَلُه البَشرُ فهو بالضَّمِّ، وما كان خِلْقَةً فهو بالفَتْحِ[٦]، ومعنى الآية: أن طريقَ الهُدَى سُدَّ دُونَهم.

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿إنما تنذر من اتبع الذكر...﴾ الآية، «إنما» ليست للحَصر هنا؛ بل هيَ على جِهة تخصيصِ مَنْ ينفعُه الإنذارُ، «واتباعُ الذكر» هو العملُ بما في كتابِ اللَّه والاقتداءُ به. قال قتادة: الذكر: القرآن[٧].

وقوله: ﴿بالغيب﴾، أي: بالخَلَواتِ عِنْد مَغِيبِ الإنسانِ عَنْ أعينِ البشَرِ. ثم أخبر ـ تعالى ـ بإحيائهِ المَوْتَى ردًّا على الكَفَرةِ، ثم توعَّدَهم بذِكْرِ كُتُبِ الآثار وإحصاءِ كلِّ شَيْءٍ، وكُلِّ مَا يَصْنعهُ الإنسانُ فَيَدْخُلُ فِيما قَدَّمَ، ويَدْخُلُ فِي آثاره، لكنه سبحانه؛ ذكرَ الأمْرَ من الجهتَينِ؛ وليُنَبِّهَ على الآثارِ التي تَبْقَى، وتُذْكَرُ بَعْدَ الإنسانِ من خَيْرٍ وشرٍ.

---

(١) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٤٧) عن قتادة، وابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٥٦٤) عن أم زرع.

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» (١٠/ ٤٢٦).

(٣) ينظر: «الكشاف» (٤/ ٦)، و«المحرر» (٤/ ٤٤٧).

(٤) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٤٧).

(٥) وقرأ بها حفص عن عاصم.
وفي قراءة الباقين قال قوم: ما كان من فعل بني آدم فهو السُّد، وما وجد مخلوقاً فهو السَّدُّ. وعكس أبو عمرو.
ينظر: «إعراب القراءات» (٢/ ٢٢٩)، و«السبعة» (٥٣٩)، و«الحجة» (٦/ ٣٧)، و«حجة القراءات» (٥٩٦)، و«العنوان» (١٥٩)، و«إتحاف» (٢/ ٣٩٧).

(٦) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٤٧).

(٧) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٢٩) برقم: (٢٩٠٦٥)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٤٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٨٧).
وعزاه السيوطي لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

وقال جابر بن عبد اللَّه وأبُو سعيد: إن هذه الآيةَ نَزَلت في بني سَلَمَةَ[١]؛ على ما تقدم، وقولُ النبي ـ عليه السلام ـ لَهُمْ: «دِيارُكُم تكْتبُ آثاركم»، والإمامُ المبينُ: قال قتادة وابن زيد: هو اللَّوحُ المحفُوظُ[٢]، وقالت فرقة: أراد صُحُفَ الأعمانِ.

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُواْ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّيٓ إِذًا لَّفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾

٨٦أ وقوله تعالى: / ﴿واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية...﴾ الآية، رُوِي عَنْ ابن عباس والزهري وعكرمة: أن القريةَ هنا هي أنطاكيَّة[٣]، واخْتُلِفَ في هؤلاء المُرْسَلِينَ؛ فقال قتادة وغيره: كانوا من الحواريِّينَ الذين بعثهم عيسى حِين رُفِعَ، وصُلِبَ الذي أُلْقِيَ عَلَيْهِ شَبَهُهُ، فَتَفَرَّقَ الحواريُّونَ في الآفاق، فَقَصَّ اللَّه ـ تعالى ـ هنا قصَّةَ الذين نَهَضُوا إلى أنْطَاكيَّة[٤].

وقالت فرقة: بل هؤلاء أنبياءُ مِن قِبَل اللَّهِ عزّ وجلّ.

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٢٩) برقم: (٢٩٠٧٢) عن جابر، وعن أبي سعيد رقم: (٢٩٠٧٣)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٤٨) عن ابن عباس وجابر وأبي سعيد، وذكره ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٥٦٥) عنهما، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٨٨) عن أبي سعيد، وعزاه لعبد الرزاق، والترمذي وحسنه، والبزار، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم، وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان»، وعن جابر بن عبد اللَّه، وعزاه لمسلم، وابن مردويه.

(٢) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٤٨) عن مجاهد، وقتادة، وابن زيد.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٣١) برقم: (٢٩٠٨٣) عن عكرمة، وعن ابن عباس وغيره رقم (٢٩٠٨٤)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٤٩) عن ابن عباس، والزهري، وعكرمة، وابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٥٦٦) عنهم، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٨٩) عن ابن عباس، وعزاه للفريابي، وعن عكرمة، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٣١) برقم: (٢٩٠٨٢)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٤٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٩٠)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة.

قال * ع[١] *: وهذا يُرَجِّحُهُ قَوْلُ الكَفَرَةِ ﴿ما أنتم إلا بشر مثلنا﴾ فإنها محاورةٌ إنما تقال لمن ادَّعى الرِّسَالَةَ من اللَّه تعالى، والآخرُ مُحْتَمَلٌ، وذَكرَ المفسرون في قَصَص الآيةِ أشياء يَطُولُ ذِكْرُها والصِّحَّةُ فيها غَيْر مُتَيَقَّنَةٍ، فَاخْتَصَرْتُه واللاَّزِمُ مِنَ الآيةِ أنَّ اللَّه تعالى بَعَثَ إلَيْهَا رَسُولَيْنِ، فَدَعَيَا أهلَ القَرْيَةِ إلى عبادةِ اللَّهِ وتوحيدِه، فَكَذَّبُوهُما فَشَدَّدَ اللَّهُ أمرهما بثالثٍ، وقامت الحجةُ على أهلِ القريةِ، وآمن منهم الرجلُ الذي جاءَ يسعى، وقتلوه في آخر أمره وكفروا، وأصابتْهم صيحةٌ مِن السَّمَاء فَخَمَدُوا، **وقرأ** الجمهُور[٢]: «فَعَزَّزْنا» بِشَدِّ الزاي، على معنى: قَوَّيْنَا. وشَدَّدْنَا؛ وبهذا فسّره مجاهد وغيره[٣]، وهذه الأمة أنكرت النبوَّاتِ بقولِها: ﴿وما أنزل الرحمٰن من شيء﴾ قال بعضُ المتأولين: لما كَذَّبَ أهْلُ القرية المرسلينَ أسرع فيهم الجُذَامُ.

وقال مقاتل: احْتَبَسَ عنهم المطر؛ فلذلك قالوا: ﴿إنا تطيرنا بكم﴾[٤]، أي: تَشاءَمْنَا بكم، والأظهر أن تَطَيُّرَ هؤلاءِ إنَّما كَانَ بِسَبَبِ ما دخَلَ قَرْيَتَهُمْ من اخْتِلافِ كَلِمَتِهِمْ وافْتِتَان النَّاسِ.

وقوله: ﴿أئن ذكرتم﴾ جوابُه محذوف، أي: تَطَيَّرْتُم، قاله أبو حيان[٥] وغيره، انتهى، وقولهُم ـ عليهم السلام ـ: ﴿طائركم معكم﴾، معناه: حظُّكُمْ وَمَا صَارَ لَكُمْ من خير وشرٍّ مَعَكُمْ أي: من أَفْعَالِكم وَمِنْ تَكَسُّبَاتِكُمْ، ليس هو من أجْلنا، **وقرأ** حمزة والكسائي وابن عامر: «أَإِنْ ذُكِّرْتُمْ» بهمزتين[٦]؛ الثانيةُ مكسورةٌ. وقَرأ نافعٌ وغيرُه بتسهيل الثانية، وردِّها ياءً: «أَيِنْ ذُكِّرْتُمْ». وأخبر تعالى عن حالِ رجلٍ جَاء من أقصى المدينةِ يَسْعَى؛ سَمِعَ المرسلينَ وفَهِمَ عَن اللَّهِ تعالى، فَدَعَا عَنْد ذلكَ قومَه إلى اتّباعِهم والإيمان بِهِم، إذ هوَ

---

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٤٤٩).

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٤٤٩)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣١٣)، و«الدر المصون» (٥/ ٤٧٧).
وقد قرأ أبو بكر بالتخفيف، وقرأ بها الحسن، وأبو حيوة، وأبان، والمفضل.
ينظر: «السبعة» (٥٣٩)، و«الحجة» (٦/ ٣٨)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٢٣٠)، و«معاني القراءات» (٢/ ٣٠٤)، و«شرح الطيبة» (٥/ ١٦٦)، و«العنوان» (١٥٩)، و«حجة القراءات» (٥٩٧)، و«شرح شعلة» (٥٥٧)، و«إتحاف» (٢/ ٣٩٨).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٣١) برقم: (٢٩٠٨٥)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٤٩).

(٤) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٤٩)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٩)، ولم يعزه لأحد.

(٥) ينظر: «البحر المحيط» (٧/ ٣١٤).

(٦) وقرأها هكذا حفص، وقرأها المفضل مثل قراءة نافع، يعني بتسهيل الهمزة الثانية.
ينظر: «السبعة» (٥٤٠)، و«الحجة» (٦/ ٣٨)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٢٣٠)، و«معاني القراءات» (٢/ ٣٠٦)، و«شرح الطيبة» (٥/ ١٦٧)، و«العنوان» (١٥٩)، و«إتحاف» (٢/ ٣٩٨).

١٠ ـــــــ

﴿۞ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ٢٨ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ ٢٩ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٣٠ أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ٣١ وَإِن كُلّٞ لَّمَّا جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ٣٢﴾

وقوله تعالى: ﴿وما أنزلنا على قومه من بعده من جند...﴾ الآية، مخاطبة للنبيّ ﷺ فيها توعُّدٌ لقريْشٍ وتَحْذِيرُ أنْ يَنْزلَ بهمْ مِنَ العَذَابِ مَا نَزَلَ بقَومِ حَبِيبِ النَّجَّار.

قال مجاهد: لَم يُنْزِلِ اللَّهُ عَليهم من جُنْدٍ أرادَ أنه لم يُرْسِل إليهم رَسُولاً ولاَ اسْتَعْتَبَهُمْ[1]، قال قتادة: وَاللَّهِ، ما عَاتَبَ اللَّهُ قَوْمَهُ بَعْد قَتْلِه حَتَّى أهْلَكَهُمْ[2].

وقال ابن مسعود: أراد: لَمْ يَحْتَجْ فِي تَعْذِيبِهِمْ إلى جُنْدٍ، بلْ كَانَتْ صَيْحَةٌ واحِدَةٌ؛ لأنهم كانُوا أيْسَرَ وأهْوَنَ من ذلك[3]، واخْتُلِفَ في قوله تعالى: ﴿وما كنا منزلين﴾ فقالتْ فرقة: «ما» نافيةٌ، وقالت فرقة: «ما» عَطْفٌ عَلَى جندٍ، أي: من جند ومن الذي كنَّا منزلينَ على الأممِ مثلهم قبلَ ذلكَ، و«خامدون» أي: ساكنُونَ موتَى.

وقوله تعالى: ﴿يا حسرة﴾ الحسرةُ التَلَهُّفُ: وذلك أن طِباعَ كُلِّ بَشَرٍ تُوجِبُ عَنْدَ سَمَاعِ حَالِهِمْ وعَذَابِهم على الكُفْرِ وَتَضْيِيعِهم أمْرَ اللَّهَ، أن يُشْفِقَ وَيَتَحَسَّرَ على العِبَاد، وقال الثَّعْلَبِيُّ: قال الضَّحَّاك: إنها حسرةُ الملائِكَة على العباد في تكذيبِهِمُ الرسل، وقال ابن عباس: حلُّوا مَحَلَّ مَنْ يتَحَسَّرُ عَلَيْهِ، انتهى. **وقرأ** الأعرج[4] وأبو الزنَاد ومسلم بن جندب: (يا حَسْرَهْ) بالوقفِ على الهاء وهو أبلغ في معنى التَحَسُّرِ والتَّشْفِيقِ وهَزِّ النَفْسِ.

وقوله تعالى: ﴿ما يأتيهم من رسول...﴾ الآية، تمثيلٌ لِفِعْلِ قُرَيْشٍ؛ وإيَّاهم عَنى

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٣٧) برقم: (٢٩١١١)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٥٢)، وابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٥٦٩).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٣٧) برقم: (٢٩١١٣)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٥٢)، وابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٥٦٩).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٣٧) برقم: (٢٩١١٤)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٥٢)، وابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٥٦٩).

(٤) وقد استثقلها أبو الفتح، وأطال الكلام حولها.
ينظر: «المحتسب» (٢/ ٢٠٨، ٢١١)، و«مختصر الشواذ» (١٢٥)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٤٥٢)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣١٨)، و«الدر المصون» (٥/ ٤٨١).

بقوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا﴾، **وقرأ** جمهورُ الناس «لَمَا جَمِيعٌ» ـ بتخفيف الميم ـ، وذلك على زيادة «ما» للتأكيد والمعنى: لَجَمِيعٌ، **وقرأ** عاصمٌ والحسَنُ وابن جبير[1] (لمَّا) ـ بشدِّ الميم ـ، قالوا: هي بمنزلة «إلاَّ» و﴿مُحْضَرُونَ﴾ قال قتادة: مُحَشَّرُونَ يوم القيامة[2].

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وآية لهم الأرضُ الميتة أحييناها...﴾ الآية، و﴿آية﴾: معناه وعلامةٌ على الحَشْرِ وبَعْثِ الأجْسَادِ، والضميرُ في (لهم) لِكُفَّارِ قُرَيْشٍ، والضميرُ في (ثَمَرِهِ) قيل هو عائدٌ على الماءِ الذي تَضَمَّنَه ذكرُ العيونِ، وقيلَ: هو عائدٌ على جميع مَا تَقَدَّمَ مُجْمَلاً: كأنه قال: مِنْ ثَمَرِ مَا ذَكَرْنَا «وما» في قوله: ﴿وما عملته أيديهم﴾ قال الطبري[3]: هي اسمٌ معطوفٌ على الثمر، أي: يقع الأكل مِن الثمرِ، ومما عملتهُ الأيدِي بالغَرْسِ والزِّراعَةِ ونحوهِ.

وقالت فرقة: هي مصدريةٌ وقيل: هي نافيةٌ، والتقديرُ أنهم يأكلون من ثمره وهُو شَيْءٌ لَمْ تَعْمَلْه أيديهم؛ بل هي نعْمَة مِنَ اللَّهِ تعالى عليهم، والأزواجُ: الأنواع من جميع الأشياء.

وقوله: ﴿ومما لا يعلمون﴾ نظيرُ قوله تعالى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨].

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾

---

(١) وقرأ بها ابن عامر، وحمزة، والكسائي.
ينظر: «**معاني القراءات**» (٢/ ٣٠٥)، و«**العنوان**» (١٥٩)، و«**حجة القراءات**»(٥٩٧)، و«**إتحاف**» (٢/ ٤٠٠)، و«**المحرر الوجيز**» (٤/ ٤٥٢)، و«**البحر المحيط**» (٧/ ٣١٩).

(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ٤٣٩) برقم: (٢٩١١٩)، بلفظ: أي هم يوم القيامة، وذكره ابن عطية في «**تفسيره**» (٤/ ٤٥٢)، والسيوطي في «**تفسيره**» (٥/ ٤٩٣)، بلفظ: «يوم القيامة»، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٣) ينظر: «**تفسير الطبري**» (١٠/ ٤٤٠).

وقوله تعالى: ﴿وآية لهم الليل نسلخ منه النهار﴾ هذه الآياتُ جعلَها اللَّهُ عز وجل أدلةً على قدرتِه ووُجوبِ الألوهية له، و﴿نسلخ﴾ معناه نَكْشِطُ ونُقَشِّرُ: فهي اسْتِعارة.

قلت: قال الهروي: قوله تعالى: ﴿وآية لهم الليل نسلخ منه النهار﴾ أي: نخرجه منه إخراجاً لا يَبْقَى من ضَوْءِ النهار معه شيء، انتهى. و﴿مظلمون﴾ داخلون في الظلام، ومُسْتَقَرُّ الشَّمْسِ: ـ على ما في الحديث عن النبي ﷺ من طريق أبي ذَرٍّ ـ «بَيْنَ يَدَيِ العَرْشِ تَسْجُدُ فِيه كُلَّ لَيْلَةٍ بَعْدَ غُرُوبِها» وهو فِي البخاري[1]؛ وفي حديثٍ آخر «أَنَّهَا تَسْجُدُ/ في عَيْنٍ حَمِئَةٍ»[2] و﴿منازلَ﴾ منصوبٌ عَلى الظَّرفِ وهي المنازِلُ المعروفةُ عندَ العرَب، وهي ثمانيةٌ وعِشْرُونَ مَنْزِلَةً يَقْطَع القَمَرُ مِنها كلَّ لَيْلَةٍ مَنْزِلَةً، وعَودَتُه هي استهلالُه رَقِيقاً وحينئذ يُشْبه العُرْجُونَ، وُهو الغُصْنُ مِنَ النَّخْلَةِ الذي فيه شَمَارِيخُ التَّمْرِ، فإنَّه يَنْحَنِي وَيَصْفَرُّ إذا قَدِمَ، ويَجِيءُ أشْبَهَ شَيءٍ بِالهلال؛ قاله الحسَن[3]، والوُجود يَشْهَدُ له، و﴿القديم﴾ معناه: العَتِيقُ الذي قَدْ مَرَّ عَلَيْهِ زَمَنٌ طَوِيلٌ، وَ﴿يَنْبَغِي﴾ هنا مُسْتَعْمَلَة فيما لا يمكنُ خِلافُه؛ لأنها لاَ قُدْرَةَ لَهَا عَلى غَيْرِ ذلك، والـ«فلك» فيما رُوِيَ عنِ ابْنِ عَباسٍ مُتَحَرِّك مُسْتَدِير كَفَلَكَةِ المغْزَلِ فِيهِ جَمِيعُ الكَوَاكِبِ[4] و﴿يسبحون﴾ معناه: يَجْرُونَ وَيَعُومُونَ.

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

---

(١) أخرجه البخاري (١٣/ ٤١٥) كتاب «التوحيد» باب: وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم برقم: (٧٤٢٤)، (٨/ ٤٠٢) كتاب «التفسير» باب: ﴿والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم﴾ (٤٨٠٢)، (٦/ ٣٤٢ ـ ٣٤٣)، كتاب «بدء الخلق»، باب: صفة الشمس والقمر ﴿بحسبان﴾ (٣١٩٩)، ومسلم (١/ ٤٥٣ ـ ٤٥٤) ـ الأبي، كتاب «الإيمان» باب: الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان (٢٥٠/ ١٥٩)، وأبو داود (٢/ ٤٣٣)، كتاب «الحروف والقراءات» باب: (١)، (٤٠٠٢) نحوه، والترمذي (٤/ ٤٧٩)، كتاب «الفتن» باب: ما جاء في طلوع الشمس من مغربها (٢١٨٦)، والنسائي في «التفسير» (٢/ ٢٠٤ ـ ٢٠٥)، تفسير سورة يس (٤٥٠)، والنسائي في **«الكبرى»** (٦/ ٤٣٩) كتاب «التفسير» باب: قوله تعالى: ﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾ (١١٤٣٠/ ١).
قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) ينظر: الحديث السابق.

(٣) أخرجه الطبري (١٠/ ٤٤٢) برقم: (٢٩١٢٥)، وذكره ابن عطية (٤/ ٤٥٤)، وذكره السيوطي في **«الدر المنثور»** (٥/ ٤٩٦)، وعزاه لابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الطبري في **«تفسيره»** (١٠/ ٤٤٣) برقم: (٢٩١٣٧)، وذكره ابن عطية في **«تفسيره»** (٤/ ٤٥٤)، وابن كثير في **«تفسيره»** (٣/ ٥٧٣).

وقوله تعالى: «وآية لهم أنا حملنا ذرياتهم في الفلك» الآية، ذكرَ الذريةَ لِضَعْفِهم عن السفر، فالنعمةُ فيهم أمْكَنُ، والضمير المتصل بالذريات، هو ضميرُ الجنس، كأنه قال: ذرياتُ جنسِهم أو نوعِهم؛ هذا أصح ما يتجه في هذا.

وأما معنى الآية؛ فقال ابن عباس وجماعةٌ: يريد بالذرياتِ المحمولينَ: أصحابَ نوحٍ في السفينةِ، ويريد بقوله: ﴿من مثله﴾ السفن الموجودةَ في جنسِ بني آدم إلى يوم القيامة، وإيَّاها أرَادَ بقوله: ﴿وإن نشأ نغرقهم﴾[1]، وقال مجاهدٌ وغيرُه: المراد بقوله: «أنا حملنا ذرياتهم في الفلك المشحون»: السفنُ الموجودةُ في بني آدم إلى يوم القيامة، ويريد بقوله: ﴿وخلقنا لهم من مثله ما يركبون﴾ الإبلَ وسائرَ ما يُرْكَبُ؛ فتكون المماثلة في أنه مركوبٌ مُبَلِّغٌ إلى الأقطار فقط، ويعودُ قولهُ: ﴿وإن نشأ نغرقهم﴾ على السفنِ الموجودةِ في الناس[2]، والصريخُ؛ هنا بمعنى المُصْرِخِ المُغِيثِ.

وقوله تعالى: ﴿إلا رحمة منا﴾ قال الكسائيُّ: نصبَ ﴿رحمةً﴾ على الاسْتِثْنَاءِ، كأنه قال: إلاَّ أَنْ نَرْحَمَهُمْ.

وقوله: ﴿إلى حين﴾ يريدُ إلى آجالِهم المضروبةِ لهم، ثم ابْتَدَأَ الإخبارَ عَنْ عُتُوِّ قريشٍ بقوله: ﴿وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم﴾ قال قتادة ومقاتل: ما بين أيديهم: هو عذابُ الأمم الذي قد سَبَقَهُمْ في الزمن[3]؛ وهذا هو النظرُ الجيدُ: وقال الحسنُ: خُوِّفُوا بما مضَى من ذنوبِهم؛ وبما يأتي منها[4]، قال * ع *: وهذا نحوُ الأولِ في المعنى.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم اللَّه . . .﴾ الآية، الضميرُ في قوله

---

(١) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٥٥).

(٢) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٥٥).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٤٧) برقم: (٢٩١٦٨) عن قتادة، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ١٤)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٥٥) كلاهما عن قتادة ومقاتل، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٩٨)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٤) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٥٥).

﴿لهم﴾ لقريشٍ؛ وسبب الآيةِ أن الكفارَ لمَّا أسلمَ حواشِيهم مِنَ الموالي وغيرِهِمْ، والمستضعفين، قطعوا عنهم نَفَقَاتِهم وصِلاتِهم، وكان الأمرُ بمكةَ أوَّلاً فيه بعض الاتِّصَال في وقت نزول آيات المُوَادَعَةِ، فَنَدَبَ أولئك المؤمنونَ قَرَابَاتِهم من الكفارِ، إلى أَنْ يَصِلُوهُمْ ويُنْفِقُوا عليهم، مِمَّا رَزَقَهُم اللَّه؛ فقالوا عند ذلك: ﴿أنطعم من لو يشاء اللَّه أطعمه﴾.

وقالتْ فرقة: سبب الآيةِ أنَّ قريشاً شَحَّتْ بِسَبَبِ أزمةٍ على المساكينِ جميعاً مُؤمن وَغَيْرِ مؤمن، فَنَدَبَهُم النبيُّ ﷺ إلى النَّفَقَةِ على المساكينَ، وقولهُم يَحْتَمِلُ معنيين:

أحدهما: يخرَّج على اختيارِ لجُهَّالِ العَرَبِ، فَقَد رُوِيَ أن أعْرَابِيًّا كان يرعى إبله فيجعلُ السِّمَانَ في الْخِصْبِ، والمَهَازِيلَ في المَكَانِ الجَدْبِ، فقيل له في ذلك؛ فقال: أكْرِمُ مَا أَكْرَمَ اللَّهُ وأهين ما أهانَ اللَّهُ، فيخرَّج قولُ قريشٍ على هذا المعنى، ومن أمثالهم: «كُنْ مَعَ اللَّهِ عَلَى المدبِرِ».

والتأويل الثاني: أن يكونَ كلامُهم بمعنى الاسْتِهْزَاءِ بقول محمد ـ عليه السلام ـ: إنَّ ثَمَّ إلٰهاً هو الرزَّاقُ، فكأنهم قالوا: لِمَ لاَ يَرْزُقُهم إلٰهُك الذي تزعم، أي: نحن لا نطعم من لو يشاء هذا الإلٰه الذي زعمْتَ، لأطْعَمَهُ.

/ وقوله تعالى: ﴿إن أنتم إلا في ضلال مبين﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يكونَ من قول الكَفَرَةِ للمؤمنين، أي: في أمركم لنا بالنفقةِ؛ وفي غير ذلكَ من دينكم، ويحتملُ أن يكون من قولِ اللَّهِ تعالى للكفرةِ. وقولهم: ﴿متى هذا الوعد﴾ أي: متى يوم القيامة. ٨٧ ب

وقيل: أرادوا: متى هذا العذابُ الذي تَتَهَدَّدُنَا به، و﴿ما ينظرون﴾ أي: يَنْتَظِرُونَ، و«ما» نافيةٌ، وهذه الصيحةُ هي صيحةُ القيامةِ؛ وهي النَّفْخَةُ الأولَى، وفي حديثِ أبي هريرةَ[1] أن بَعْدَهَا نَفْخَةَ الصَّعْقِ، ثم نَفْخَةَ الحَشْرِ، وهي التي تَدُومُ؛ فَمَا لها مِنْ فَوَاقٍ، وأصل ﴿يَخِصِّمُون﴾: يَخْتَصِمُونَ، والمعنى: وهم يَتَحَاوَرُونَ ويتراجعونَ الأَقْوَالَ بَيْنَهُمْ، وفي مُصْحَف أُبَيِّ بن كَعْبٍ «يختصمون»[2]، ﴿ولا إلى أهلهم يرجعون﴾؛ لإعجالِ الأمْرِ، بلْ تَفِيضُ أنفُسهم؛ حيثُ مَا أَخَذَتْهُم الصيحةُ.

---

(١) أخرجه البخاري (٨/ ١١٦) كتاب «التفسير» باب: قوله تعالى: ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح﴾ برقم: (٤٦٠٤)، ومسلم (٤/ ١٨٤٣) كتاب «الفضائل» باب: من فضائل موسى عليه السلام (١٥٩/ ٢٣٧٣).

(٢) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٤/ ٤٥٧)، و«**البحر المحيط**» (٧/ ٣٢٥)، و«**الدر المصون**» (٥/ ٤٨٧).

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون﴾ هذه نَفْخَةُ البعثِ، والأجْدَاثُ: القبُور، و﴿ينسلون﴾ أي يَمْشُونَ مُسْرِعِين. وفي قراءة ابن مسعود[١]: «مَنْ أَهَبَّنَا مِنْ مَرْقَدِنَا»، وَرُوِيَ عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ وغيرِهِ: أن جميعَ البَشَرِ يَنَامُونَ نَوْمَةً قَبْلَ الحشرِ[٢].

قال * ع[٣] *: وهذا غيرُ صحيحِ الإِسْنَاد، وإنما الوجهُ في قولهم: ﴿مِنْ مَرْقَدِنَا﴾: أنها اسْتَعَارَةٌ؛ كَمَا تَقُولُ في قتيلٍ: هذا مرقَدُه إلى يومِ القيامةِ.

وقوله: ﴿هذا ما وعد الرحمٰن﴾ جوَّزَ الزَّجَّاجُ أنْ يكونَ «هذا» إشارةً إلى المَرْقَدِ، ثم اسْتَأْنَفَ ﴿ما وعد الرحمٰن﴾ ويُضْمِرُ الخبرَ «حق» أو نحوه، وقال الجمهور: ابتداءُ الكلامِ: ﴿هذا ما وعد الرحمٰن﴾ واخْتُلِفَ في هذه المقَالَةِ مَنْ قالَها؟ فقال ابن زيد: هيَ مِنْ قَوْلِ الكفرةِ[٤]، وقال قتادة ومجاهد: هي من قولِ المؤمنينَ للكفارِ[٥].

وقال الفراء: هي مِنْ قَوْلِ الملائكةِ[٦]، وقالت فرقة: هي مِنْ قَوْلِ اللَّهِ ـ تعالى ـ على جِهَةِ التَّوْبِيخ، وباقي الآية بيِّنٌ.

---

(١) ينظر: «المحتسب» (٢/ ٢١٤)، و«الكشاف» (٤/ ٢٠)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٤٥٨).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٥١) برقم: (٢٩١٨٠)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٥٨)، وابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٥٧٤)، والسيوطي في «تفسيره» (٥/ ٤٩٩)، وعزاه لابن الأنباري عن أبيّ بن كعب.

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٤٥٨).

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٥١) برقم: (٢٩١٨٦)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٥٨)، وابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٥٧٤).

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٥١) برقم: (٢٩١٨٤) عن مجاهد، وعن قتادة برقم: (٢٩١٨٥)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ١٥) عن مجاهد، وذكره ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٥٧٤) عن غير واحد من السلف، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٠٠)، وعزاه لهناد في «الزهد» وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن الأنباري عن مجاهد، ولعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٦) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٥٨)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ١٥)، وذكره ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٥٧٤) عن الحسن، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٠٠)، وعزاه لابن أبي حاتم.

﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿إن أصحاب الجنة اليومَ في شغل﴾ قال ابن عباس وغيره: هو افْتِضَاضُ الأبكار[1].

وقال ابن عباس أيضاً: هو سماع الأوتارِ[2].

وقال مجاهد: معناهُ: نعيمٌ قَدْ شَغَلَهُمْ[3].

قال * ع[4] *: وهذا هو القول الصحيح؛ وتعيينُ شَيْءٍ دونَ شَيْءٍ لا قياسَ له.

وقوله سبحانه: ﴿هم وأزواجهم في ظلال﴾ جاءَ في «**صحيح البخاري**» وغيره عَن النبيّ ﷺ قَال: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ في ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إلاَّ ظِلُّهُ: إمامٌ عادِلٌ، وَشَابٌ نَشَأَ في عِبَادَةِ رَبِّه، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُتَعَلِّقٌ بِالمَسْجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا في اللَّه، اجتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيه، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ؛ فَقَال: إِنِّي أخافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ؛ فَأَخْفَاهَا حَتَّىٰ لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ تَعَالَىٰ خَالِياً فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»[5] انتهى. وهذا الظِّلُّ المذكورُ في الحديث؛ هو في المَحْشَرِ.

قال الشيخ ابن أبي جَمْرَةَ (رضي اللَّه عنه): وظِلاَلُ الآخِرَةِ، ما فيها مُباحٌ؛ بل كلُّها قد تملكت بالأَعْمَالِ التي عملها العاملون الذين هَدَاهُم اللَّه تعالى؛ فليسَ هناك لصعلوكِ الأَعْمَالِ ظلٌّ، انتهى؛ وهو كما قال، فشَمِّرْ عَنْ سَاقِ الجِدِّ؛ إن أردْتَ الفوز؛ أيُّها الأخُ والسلام. و﴿الأرائك﴾: السررُ المفروشةُ، قيل: ومِنْ شَرْطِها أنْ تَكُونَ عليها حَجَلَة وإلاَّ

---

(١) أخرجه الطبري في «**تفسيره**» (١٠/ ٤٥٢) عن عبد اللَّه بن مسعود برقم: (٢٩١٨٧)، وعن ابن عباس برقم: (٢٩١٨٨)، وعن سعيد بن المسيب برقم: (٢٩١٩١)، وذكره البغوي في «**تفسيره**» (٤/ ١٥)، وابن عطية في «**تفسيره**» (٤/ ٤٥٨)، وابن كثير في «**تفسيره**» (٣/ ٥٧٥)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٥/ ٥٠٠)، وعزاه لابن أبي شيبة، وابن أبي الدنيا في «**صفة الجنة**»، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه من طرق عن ابن عباس. ولعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا، وعبد اللَّه بن أحمد في «**زوائد الزهد**»، وابن المنذر عن ابن مسعود.

(٢) ذكره ابن عطية في «**تفسيره**» (٤/ ٤٥٨)، وابن كثير في «**تفسيره**» (٣/ ٥٧٥).

(٣) أخرجه الطبري في «**تفسيره**» (١٠/ ٤٥٢) برقم: (٢٩١٩٢)، بلفظ: «في نعمة»، وذكره ابن عطية في «**تفسيره**» (٤/ ٤٥٨).

(٤) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٤/ ٤٥٨).

(٥) تقدم تخريجه.

فليستْ بأرِيكةٍ؛ وبذلك قيَّدها ابن عَبَّاسٍ وغيره[١].

وقوله: ﴿ما يدعون﴾ بمنزلةِ ما يَتَمَنَّوْنَ.

١٨٨أ قال أبو عُبَيْدَةَ: العربُ تقولُ: ٱدَّعِ عَلَيَّ ما شِئْتَ/ بمعنى: تَمَنَّ عَلَيَّ.

وقوله: ﴿سلام﴾ قِيلَ: هي صفةٌ، أي: مُسَلَّمٌ لَهُم، وخالصٌ، وقِيل: هو مبتدأ، وقيل: هو خبرُ مبتدإٍ.

﴿وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿وامتازوا اليوم﴾ فيه حَذْفٌ تقديره؛ ونقول للكفرة، «وامتازوا» معناه: انْفَصِلُوا وانْحَجِزُوا؛ لأن العَالَمَ فِي الموقف إنما هم مختلطون. قُلْتُ: وهَذَا يَحْتَاجُ إلى سَنَدٍ صحيح، وفي الكلام إجمال، ويومُ القيامةِ هو مواطن، ثم خاطَبَهُمْ تعالى لما تَمَيَّزُوا، تَوْبِيخاً وتَوْقِيفاً على عَهْدِهِ إليهم ومخالفتِهم له، وعبادةُ الشيطانِ هي طاعتُهُ والانقيادُ لإغْوائِهِ.

وقوله: ﴿هذا صراط مستقيم﴾ إشارَةٌ إلى الشرائع؛ إذ بعَثَ اللَّهُ آدم إلى ذريتِه؛ ثمَّ لَمْ تَخْلُ الأرْضُ من شريعةٍ إلى خَتْمِ الرسالةِ بسيدِنا محمدٍ خَاتَمِ النبيِّينَ، و«الجِبِلُّ»: الأمةُ العظيمة، ثم أَخْبَرَ سبحانَهُ نبيَّه محمَّداً ـ عليه السلام ـ أخبَاراً تُشَارِكُهُ فيه أُمَّتُه؛ بقوله: ﴿اليَوْمَ نَخْتِمُ عَلىٰ أَفْوَاهِهِم﴾ وذلك أن الكفارَ يَجْحَدُونَ، ويَطْلبُون شهيداً عليهم من أنفسهم؛ حَسْبَمَا وَرَدَ في الحديث الصحيح؛ فعندَ ذلِك يَخْتِمُ اللَّهُ ـ تعالى ـ على أفواههم، ويَأْمُرُ جَوَارِحَهُمْ بالشَّهَادَةِ؛ فَتَشْهَدُ.

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾﴾.

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٥٤) عن ابن عباس برقم: (٢٩١٩٩) وعن مجاهد (٢٩٢٠٠)، وعن عكرمة (٢٩٢٠٣)، وعن قتادة (٢٩٢٠٥)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٥٩)، وزاد نسبته للحسن، وذكره ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٥٧٥).

وقوله سبحانه: ﴿ولو نشاء لطمسنا على أعينهم﴾ الضميرُ في «أعْيُنِهِمْ» لكفارِ قريش، ومعنى الآية: تَبْيِينُ أَنَّهُمْ في قَبْضَةِ القدرةِ، وبمَدْرَجِ العَذَابِ.

قالَ الحَسَنُ وقتادة: أراد الأعْيُنَ حقيقة[1]، والمعنى: لأَعْمَيْنَاهُمْ؛ فَلاَ يَرَوْنَ كَيْفَ يَمْشُونَ؛ ويؤيدُ هذا مجانسةُ المَسْخِ لِلْعَمَى الحَقِيقِيِّ.

وقوله: ﴿فاستبقوا الصراط﴾ معناه: على الفَرْضِ والتقدير، كأَنَّه قال: ولو شِئْنَا لأَعْمَيْنَاهم، فَاحْسِبْ أو قَدِّرْ أَنَّهُمْ يَسْتَبِقُونَ الصِّرَاطَ؛ وهو الطريقُ، فَأَنَّى لَهُمْ بالإبْصَارِ، وَقَدْ أَعْمَيْنَاهُمْ، وعبارةُ الثَّعْلَبِيِّ: وقالَ الحسنُ والسدي: ولو نشاء لَتَرَكْنَاهُمْ عُمْياً يَتَرَدَّدُونَ؛ فَكَيْفَ يُبْصِرُونَ الطريقَ حينئذ، انتهى، وقال ابن عباس: أراد: أعْيُنَ البَصَائِرِ[2]؛ والمَعْنَى: لو شِئْنَا لَحَتَمْنَا عَلَيْهِمْ بِالكُفْرِ؛ فلم يهتدِ منهم أحَدٌ أبداً، وبَيَّنَ تعالى في تنكِيسِه المُعَمَّرِينَ، وأن ذلك مما لا يَقْدِرُ عليه إلا هو سبحانه، وتَنْكِيسُه: تَحَوُّلُ خَلْقِه من القوةِ إلى الضَّعْفِ؛ ومِنَ الفَهْمِ إلى البَلَهِ، ونَحْوُ ذلك.

ثم أَخْبَرَ تعالى عَن حالِ نبيه محمدٍ ـ عليه السلام ـ رَادًّا عَلى مَنْ قَال من الكفرة: إنه شَاعرٌ وإن القرآن شِعْرٌ ـ بقوله: ﴿وما علمناه الشعر...﴾ الآية.

﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾﴾.

وقوله تعالى: «لتنذر من كان حياً» أي: حيَّ القَلْبِ والبَصِيرَةِ، ولم يكن مَيِّتاً لكُفْرِهِ؛ وهذه استعارةٌ، قال الضحاك: ﴿من كان حياً﴾ معناه: عاقِلاً[3]، ﴿ويحق القول﴾ معناه:

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٥٩) عن الحسن برقم: (٢٩٢١٧) وعن قتادة (٢٩٢١٨)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٦١)، وابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٥٧٧)، والسيوطي في «تفسيره» (٥/ ٥٠٤)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن الحسن.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٥٨) برقم: (٢٩٢١٦)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٦١)، وذكره ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٥٧٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٠٤)، وعزاه السيوطي لابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «الأسماء والصفات».

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٦١) برقم: (٢٩٢٣١)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٦٢)، وابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٥٨٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٠٦)، وعزاه للبيهقي في «شعب الإيمان».

يُحَتِّمَ العذابُ ويَجِبَ الخُلُودُ.

وقوله تعالى: ﴿أولم يروا أنا خلقنا﴾ الآية. مخاطَبةٌ لقريشٍ أيضاً.

وقوله: ﴿أيدينا﴾ عبارةٌ عَنِ القُدْرةِ، واللَّه تعالى مُنَزَّهٌ عَنِ الجارِحَةِ.

وقوله تعالى: ﴿فهم لها مالكون﴾ تنبيهٌ على النِعْمَةِ.

وقوله: ﴿وهم لهم جند محضرون﴾ أي: يُحْضَرُونَ لهُمْ في الآخِرةِ عَلَىٰ معنى التوبيخِ والنِّقْمةِ، وسَمَّى الأصْنَامَ جُنْداً؛ إذْ هُمْ عُدَّةٌ للنِّقْمَة من الكفرة، ثم آنَسَ اللَّهُ نبيَّه ـ عليه الصلاة والسلام ـ بقوله: ﴿فلا يحزنك قولهم﴾ وَتَوَعَّدَ الكَفَرَةَ بقوله: ﴿إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة...﴾ الآية، والصحيحُ في سببِ نزولِ الآيةِ هو ما رَوَاهُ ابنُ وَهْبٍ عَنْ مَالِكٍ؛ وقالهُ ابنُ إسْحَاقٍ وغيرهُ أن أُبَيَّ بْنَ خَلَفٍ؛ جاء بعَظْم/ رَمِيم، فَفَتَّهُ فِي وَجْهِ النَّبِيِّ ﷺ وَحِيَالَهُ، وقَالَ: مَنْ يُحْيِي هذا يا محمد[1]؛ ولاَبَيٍّ هذاً مع النَّبِيِّ ﷺ مَقَامَاتٌ ومَقَالاَتٌ إلى أن قَتَلَهُ النبيُّ ﷺ بيدهِ يومَ أُحُدٍ؛ طَعَنَهُ بِحَرْبَةٍ في عنقه. ٨٨ ب

وقوله: ﴿ونسي خلقه﴾ يَحْتَمِلُ أنْ يكونَ نسيانَ الذُّهُولِ، ويحتملُ أنْ يكُونَ نسيانَ التَّرْكِ، والرَّمِيمُ: البالي المُتَفَتِّتُ، وهو الرُّفَاتُ، ثم دلَّهُم سبحانه عَلى الاعْتِبَارِ بالنَّشْأَةِ الأولى، ثم عَقَّبَ تعالى بدليل ثَالثٍ في إيجادِ النَّارِ في العُودِ الأخْضَرِ المُرْتَوِي ماءً، وهذا

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٦٤) برقم: (٢٩٢٤٠) عن مجاهد، وبرقم: (٢٩٢٤٢) عن قتادة، وذكره البغوي (٤/ ٢٠)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٦٤)، وابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٥٨١)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٠٧)، وعزاه لابن مردويه عن ابن عباس.

هو زِنَادُ العَرَبِ، والنارُ موجودةٌ في كل عودٍ غَيْرَ أَنَّها في المُتَخَلخِل المَفْتُوحِ المَسَامِّ أَوْجَدُ، وكذلك هو المَرْخُ والعَفَار، وجمعَ الضميرَ جَمْعَ مَنْ يَعْقِلُ في قوله: ﴿مثلهم﴾؛ من حيثُ إن السمواتِ والأَرْضَ متضمِّنةٌ مَنْ يَعْقِلُ من الملائِكَةِ والثَّقَلَيْنِ؛ هذا تأويلُ جماعةٍ، وقيل: ﴿مثلهم﴾ عائدٌ على الناسِ، وبَاقِي الآيَةِ بَيِّنٌ.

تَفسِيرُ سُورَةِ «الصَّافَّات»

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾﴾.

قوله عز وجل: ﴿والصافات صفاً﴾ الآية، أقْسَمَ تعالى في هذه الآية بأشْيَاءَ مِنْ مخلوقاتِه، قالَ ابنُ مسعودٍ وغيرُه: «الصافات» هي الملائكة تَصُفُّ في السماءِ في عبادةِ اللَّه عز وجل[١].

وقالت فرقة: المرادُ: صفوفُ بني آدم في القتال في سبيل اللَّهِ، قال * ع[٢] *: واللفظُ يَحْتَمِلُ أنْ يَعُمَّ هذه المذكوراتِ كلَّها، قال مجاهد: «وَالزاجِرات» هي الملائكة تَزْجُرُ السحابَ وغير ذلك من مخلوقاتِ اللَّه تعالى[٣]، وقال قتادة: «الزاجرات» هي آيات القرآن[٤]، و«التاليات ذِكْراً» معناه: القارئات، قال مجاهد: أراد الملائكة التي تَتْلُو ذِكره[٥]،

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٦٧) عن مسروق برقم: (٢٩٢٤٧) وعن عبد الله (٢٩٢٤٨)، وعن قتادة برقم: (٢٩٢٤٩)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٢٢) عن ابن عباس والحسن وقتادة، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٦٥)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥١٠)، وعزاه لعبد الرزاق، والفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، والحاكم وصححه من طرق عن ابن مسعود.

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٤٦٥).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٦٧) برقم: (٢٩٢٥٢) عن مجاهد وبرقم: (٢٩٢٥٣) عن السدي، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٦٥) عنهما، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥١٠)، وعزاه لابن المنذر، وأبي الشيخ في «العظمة» عن ابن عباس.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٦٨) برقم: (٢٩٢٥٤)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٢٢)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٦٥)، وابن كثير (٤/ ٢) عن الربيع بن أنس، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥١٠)، وعزاه لابن أبي حاتم عن الربيع بن أنس.

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٦٨) برقم: (٢٩٢٥٥)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٢٢)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٦٥).

وقال قتادة: أراد بني آدم الذين يَتْلُونَ كُتُبَهُ المنزلةَ وتسبيحَه وتكبيرَه ونحوَ ذلك[١]، والمُقْسَمُ عليه: قولهُ: ﴿إن إلٰهكم لواحد﴾.

وقوله: ﴿مَارِد﴾ قال العراقيُّ: مَارِدٌ سُخِطَ عَلَيْهِ، وهكذا ﴿مريد﴾ [الحج: ٣] انتهى؛ وهَذَا لَفْظُهُ، والمَلأ الأعلى: أهلُ السَّمَاءِ الدنيا فما فوقها، وسُمِّيَ الكُلُّ منهم أعْلى؛ بالإضَافَةِ إلى ملإِ الأرْضِ الذي هو أسفلُ، والضمير في ﴿يَسَّمَّعُونَ﴾ للشياطين، **وقرأ** حمزة، وعاصم في رواية حفص: «لا يَسَّمَّعُونَ»، ـ بشد السين والميم[٢] ـ، بمعنى: لا يَتَسَمَّعُونَ، فينتفي على قراءة الجمهورِ سَمَاعُهُمْ، وإن كانوا يستمعون؛ وهو المعنى الصحيحُ، ويعْضُدُه قولهُ تعالى: ﴿إنهم عن السمع لمعزولون﴾ [الشعراء: ٢١٢] ﴿ويقذفون﴾ معناه: يُرْجَمُونَ، والدُّحُورُ: الإصْغار والإهانَةُ، لأن الدَّحْرَ هو الدَّفْعُ بِعُنْفٍ، وقال البخاريُّ: ﴿ويقذفون﴾ يُرْمَوْنَ[٣] و﴿دحوراً﴾ مُطْرَدِين، وقال ابن عباسٍ: «مدحوراً» مَطْرُوداً[٤]، انتهى، والوَاصِبُ: الدائم؛ قاله مجاهد وغيره[٥]، وقال أبو صالح: الواصبُ: المُوجِعُ[٦]، ومنه الوَصَبُ، والمعنى: هذه الحالُ هي الغالبةُ على جميع الشياطين إلا مَنْ شَذَّ فَخَطَفَ خَبَراً أو نَبَأً، ﴿فأتْبَعَهُ شِهَابٌ﴾ فأحرقَه، والثَّاقِبُ، النافِذُ بضوئه وشعاعِه المنير؛ قاله قتادة وغيره[٧].

﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾﴾.

---

(١) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٦٥).

(٢) وقرأ بها الكسائي.
ينظر: «السبعة» (٥٤٦)، و«الحجة» (٦/ ٥٢)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٢٤٤)، و«معاني القراءات» (٢/ ٣١٦)، و«شرح الطيبة» (٥/ ١٨٠)، و«العنوان» (١٦١)، و«حجة القراءات» (٦٠٥)، و«شرح شعلة» (٥٦٢)، و«إتحاف» (٢/ ٤٠٨).

(٣) أخرجه البخاري (٨/ ٤٠٥) كتاب «التفسير» باب: سورة الصافات، معلقاً عن مجاهد.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٧٢) برقم: (٢٩٢٧١) عن مجاهد بلفظ: «مطرودين»، وذكره ابن عطية في «تفسيره»(٤/ ٤٦٦) عن مجاهد.

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٧٣) برقم: (٢٩٢٧٦) عن مجاهد، وبرقم: (٢٩٢٧٧) عن ابن عباس وبرقم: (٢٩٢٧٨) عن عكرمة، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٦٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥١١)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٦) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٦٦).

(٧) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٧٤) برقم: (٢٩٢٨٠)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٦٧) عن قتادة، والسدي، وابن زيد.

وقوله تعالى: ﴿فاستفتهم أهم أشد خلقاً أم من خلقنا﴾ أي: فلا يُمْكِنُهُمْ أن يقولوا إلا أنَّ خَلْقَ مَنْ سواهُم من الأمَمِ والملائِكَة، والجنِّ والسَّمواتِ والأرضِ والمشارِق والمغارِبِ وغير ذلك ـ هو أشَدُّ مِنْ هؤلاءِ المخاطَبِينَ، وبأن الضمير/ في ﴿خَلَقْنَا﴾ يرادُ به ما تقدم ذكره، قال مجاهد وقتادة وغيرهما: ويُؤَيِّدُه ما في مصحف ابن مسعود «أَمْ مَنْ عَدَدْنَا»[1]؛ وكذلك قرأ الأَعْمَشُ[2]. ٨٩أ

وقوله تعالى: ﴿إنا خلقناهم من طين﴾ أي: خلقُ أصلِهم وهو آدم ـ عليه السلام ـ، واللاّزِبُ: اللازمُ: يَلْزَمُ ما جاورَهُ ويَلْصَقُ به، وهُوَ الصَّلْصَالُ، ﴿بل عَجِبْتَ﴾ يا محمدُ مِنْ إعْرَاضِهِم عن الحق، **وقرأ** حمزةُ والكسائي «بل عَجِبْتُ» ـ بضم التاء ـ[3]؛ وذلك على أن يكونَ تَعَالَى هو المُتَعَجِّبُ ومعنَى ذَلِكَ مِن اللَّه تعالى: أنه صِفَةُ فِعْلٍ، ونحوُه قولهُ ﷺ: «يَعْجَبُ اللَّهُ مِنَ الشَّابِّ لَيْسَتْ لَهُ صَبْوَةٌ» فإنَّما هِي عِبَارَةٌ عَمَّا يُظْهِرُهُ اللَّه ـ تعالى ـ في جانِبِ المُتَعَجَّبِ مِنْهُ من التعظيمِ أو التحقير حَتَّى يصيرَ الناسُ مُتَعَجِّبِينَ مِنه، قال الثعلبي: قال الحسينُ بن الفضل: التعجبُ من اللَّهِ إنكارُ الشيء، وتعظيمهُ؛ وهو لغة العرب، انتهى.

وقوله: ﴿ويسخرون﴾ أي: وهمْ يَسْخَرُونَ من نُبُوَّتِكَ.

﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ۞ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

وقوله: ﴿وإذا رأوا آية يستسخرون﴾ يريدُ بالآية: العلامةَ والدلالة، ورُوِيَ أنَّها نزلتْ في رُكَانة وَهُوَ رَجُلٌ من المشركينَ مِن أهلِ مكةَ؛ لقيَهُ النبيُّ ﷺ في جَبَلٍ خَالٍ وهُوَ يَرْعَى غَنَماً له؛ وكانَ أقْوَىٰ أهْلِ زَمانِه، فقال له النبيُّ ﷺ: «يَا رُكَانَةُ؛ أَرَأَيْتَ إنْ صَرَعْتُكَ؛ أَتُؤْمِنُ بِي؟ قَالَ: نَعَمْ، فَصَرَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ ثَلاثاً، ثُمَّ عَرَضَ عَلَيْهِ آيَاتٍ مِنْ دُعَاءِ شَجَرَةٍ وإقْبَالَهَا،

---

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٤٦٧)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣٣٩).

(٢) يعني: مخففة الميم.
ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٤٦٧)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣٣٩)، و«الدر المصون» (٥/ ٤٩٧).

(٣) ينظر: «السبعة» (٥٤٧)، و«الحجة» (٦/ ٥٣)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٢٤٥)، و«معاني القراءات» (٢/ ٣١٧)، و«شرح الطيبة» (٥/ ١٨١)، و«العنوان» (١٦١)، و«حجة القراءات» (٦٠٦)، و«شرح شعلة» (٥٦٢)، و«إتحاف» (٢/ ٤٠٨).

ونَحْوَ ذَلك مما اخْتَلَفَتْ فيه ألفاظُ الحديثِ، فَلَمَّا فَرَغَ ذلكَ لَم يُؤْمِنْ، وجاءَ إلى مَكَّةَ، فَقَالَ: يَا بني هَاشِم، سَاخِرُوا بِصَاحِبِكُمْ أَهْلَ الأرضِ، فنزلَتْ هذه الآية فيه وفي نُظَرَائِه، و﴿يستسخرون﴾ قَال مجاهد وقتادة: معناه: يَسْخَرُونَ[1]، ثم أمر تعالى نبيَّه أن يُجِيبَ تَقْرِيرَهُمْ وٱسْتِفْهامَهُمْ عَنِ البَعْثِ بـ﴿نَعَمْ﴾، وأن يزيدَهُمْ في الجواب، أَنَّهُمْ معَ البعث في صَغَارٍ وذلَّةٍ واستكانةٍ، والدَّاخِرُ: الصَّاغِرُ الذليلُ، وقَدْ تَقَدَّمَ بيانهُ غيرَ ما مَرَّةٍ، والزَّجْرَةُ الواحدةُ: هِيَ نَفْخَةُ البَعْثِ، قال العِرَاقِيُّ: الزَّجْرَةُ: الصَّيْحَةُ بِٱنْتِهَارٍ، انتهى. و﴿الدِّين﴾: الجزاءُ، وأجمَع المفسِّرُونَ على أن قولَه تعالى: ﴿هذا يَوْمُ الفَصْلِ الذي كُنْتُمْ به تكذِّبون﴾ لَيْسَ هو من قولِ الكَفَرَةِ وإنما المعنى: يُقَالُ لهُم.

وقوله: ﴿وأزواجهم﴾ معناه: أنوَاعُهُم وضُرَباؤهم؛ قاله عُمَرُ وَابْنُ عَبَّاسٍ وقتادة[2]، ومعهم ﴿ما كانوا يعبدون * من دون اللَّه﴾ مِنْ آدَمِيٍّ رَضِيَ بذلكَ، ومن صَنَم وَوَثَنٍ؛ توبيخاً لهم وإظهاراً لِسُوءِ حالهم، وقال الحسنُ: ﴿أزواجهم﴾ نساؤهم المشركاتُ: وقاله ابن عباس أيضاً[3].

وقوله تعالى: ﴿فاهدوهم﴾ معناه: قَدِّمُوهم واحملوهم على طريق الجحيم، ثم يأمر اللَّهُ تعالى بوقوفهم ـ على جِهَةِ التَّوْبِيخِ لهم ـ والسؤال، قال جمهور المفسرين: يُسْأَلُونَ عن أعمالهم ويُوقَفُونَ على قُبْحِها، وقد تقدَّم قولهُ ﷺ: «لاَ تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ...» الحديثَ، قال * ع[4] *: ويَحْتَمِلُ عندي أنْ يكونَ المعنَىٰ علىٰ نحوِ ما فسَّره تعالَىٰ بقولهِ: ﴿مَالَكُمْ لاَ

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٧٧) برقم: (٢٩٣٠٢) عن قتادة وبرقم: (٢٩٣٠٣) عن مجاهد، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٦٨)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥١٣)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن قتادة، ولعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٧٩) برقم: (٢٩٣١٢) عن عمر بن الخطاب وبرقم: (٢٩٣١٣) عن ابن عباس، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٦٨)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤) عن عمر، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥١٣)، وعزاه لعبد الرزاق، والفريابي، وابن أبي شيبة، وابن منيع في مسنده، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «البعث» من طرق النعمان بن بشير عن عمر، وللفريابي، وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «البعث» عن ابن عباس، ولعبد بن حميد، وابن مردويه، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٣) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٦٩) عن الحسن وابن عباس، وذكره ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤) عن ابن عباس.

(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٤٦٩).

تَنَاصَرُونَ﴾ أي: إنهم مسؤولونَ عن امْتِنَاعِهم عن التَّنَاصُرِ؛ وهذا علَىٰ جهة التَّوْبِيخِ، وقرأ خلق[1] «لا تَتَنَاصَرُونَ». * ت *: قال عِيَاضٌ في «المدارك»: كان أبو إِسْحَاقَ الجبنياني ظَاهِرَ الحُزْنِ، كثيرَ الدَّمْعَةِ يَسْرُدُ الصِّيَامَ، قال ولده أبو الطاهِر: قال لي أبي: إن إنساناً بقي في آية سنةً لَمْ يَتَجَاوَزْهَا، وهِي قوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ فقلتُ له: أَنْتَ هُوَ؟ فَسَكَتَ، فعلمتُ أَنَّه/ هو، وكانَ إذا دَخَلَ في الصَّلاَةِ: لَوْ سَقَطَ البيتُ الذي هو فيه، ما التَفَتَ، إقبالاً علَىٰ صَلاَتِهِ، واشْتِغَالاً بمناجَاة ربِّهِ، وكانَ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ تَضْيِيقاً عَلَىٰ نَفْسِهِ؛ ثم عَلى أَهْلِه، وكان يأكلُ البَقْلَ البَرِّيَّ والجَرَادَ إذا وَجَدَهُ ويَطْحَنُ قُوتَهُ بِيَدِهِ شَعِيراً، ثُم يَجْعَلُهُ بِنُخَالَتِهِ دَقِيقاً في قِدْرٍ مع مَا وَجَدَ مِنْ بَقْلٍ بَرِّيٍّ وَغيره، حتَّىٰ إنّه رُبَّما رَمَى بِشَيْءٍ مِنْهُ لِكَلْبٍ أَو هِرٍّ؛ فَلا يَأْكُلُهُ، وكانَ لِبَاسُهُ يَجْمَعُهُ مِنْ خِرَقِ المَزَابِلِ وَيُرَقِّعُهُ، وَكَانَ يَتَوَطَّأُ الرَّمْلَ، وَفي الشِّتَاءِ يَأْخُذُ قِفَافَ المَعَاصِرِ المُلْقَاةِ على المَزَابِلِ يجعلُها تَحْتَهُ، قال وَلَدُهُ أبو الطَّاهِرِ: وكنَّا إذا بَقِينَا بلا شَيْءٍ نَقْتَاتُهُ، كُنْتُ أَسْمَعُهُ في اللَّيْلِ يَقُولُ: [البسيط]

٨٩ ب

مَالِي تِلاَدٌ ولاَ ٱسْتَطْرَفْتُ مِنْ نَشَبٍ ... وَمَا أُؤَمِّلُ غَيْرَ اللَّهِ مِنْ أَحَدِ
إِنَّ القُنُوعَ بِحَمْدِ اللَّهِ يَمْنَعُنِي ... مِنَ التَّعَرُّضِ لِلْمَنَّانَةِ النَّكِدِ

انتهى.

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾ هذه الجماعَةُ التي يقْبِلُ بعضُها على بعضٍ هي جِنٌّ وإنْسٌ؛ قاله قتادة[2]، وتَسَاؤُلُهم هو على معنى التَّقْرِيعِ واللَّوْمِ والتَّسَخُّطِ، والقائلون: ﴿إنكم كنتم تأتوننا﴾ إما أنْ يكونَ الإنْسُ يقولونها للشياطينِ؛ وهذا قول مجاهد وابن زيد[3]، وإما أنْ يكونَ ضَعَفَةُ الإنْسِ يقولُونَهَا لِلكبراءِ والقادةِ، واضطَرَبَ

---

(١) وقع في المطبوعة: «وقرأ خالد»، وهو تحريف، والصواب: خلق، كما أثبتناه.
وينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٤٦٩).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٨١) برقم: (٢٩٣٢٧)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٦٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥١٥)، وعزاه السيوطي لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٨١) برقم: (٢٩٣٢٨) عن مجاهد وبرقم: (٢٩٣٣١) عن ابن زيد، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٦٩) عنهما، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥١٥)، كلاهما عن مجاهد، وعزاه السيوطي لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد.

المُتَأَوِّلُونَ في معنى قولهم: ﴿عن اليمين﴾؛ فعبَّر ابنُ زيد وغيرُه عنه بطريقِ الجَنَّةِ[١]، ونحو هذا من العباراتِ التي هي تفسيرٌ بالمَعْنَىٰ، ولا يختصُّ بنَفْسِ اللَّفْظَةِ، والذي يخصُّها مَعَانٍ: منها أن يريدَ باليمين: القوةَ. أي: تحملونَنَا على طريقِ الضَّلالَةِ بقوةٍ، ومنها أن يريدَ باليمينِ. اليُمْنَ، أي: تأتوننا من جِهَة النصائِح والعملِ الذي يُتَيَمَّنُ به، ومن المعاني التي تحتملها الآيةُ؛ أن يريدوا: إنكم كُنتم تجيئُونَنَا من جهة الشَّهَوَاتِ، وأكثرُ ما يَتمكَّنُ هذا التأويلُ مع إغواء الشياطين، وقيلَ: المعنَىٰ تَحْلِفونَ لنا، فاليمينُ علَىٰ هذا: القَسَمُ، وقد ذَهَبَ بعضُ العلماءِ في ذكرِ إبليسَ جهاتِ بني آدم في قوله: ﴿مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِم وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧] إلى ما ذكرناه من جهةِ الشهوات. ثم أخْبَرَ تعالى عن قول الجِنّ المجيبينَ لهؤلاءِ بقولهم: ﴿بل لم تكونوا مؤمنين﴾، أي: ليس الأمْرُ كما ذكرتمْ؛ بل كانَ لكمُ اكتسابُ الكُفْرِ؛ وما كانَ لنَا عليكم حُجَّةٌ، وبنحو هذا فَسَّرَ قَتَادَةُ وَغَيْرُهُ أَنَّهُ قولُ الجِنِّ إلى ﴿غاوين﴾[٢]. ثم أخْبَرَ تعالى بأنهم جميعاً في العذابِ مشتركون، وأنَّ هذا فعلُه بأهل الجُرْم والكُفْر.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله...﴾ الآية، قُلْتُ: جاء في فضل «لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ» أحاديثُ كثيرةٌ؛ فمنها ما رواه أبو سعيدٍ الخُدْرِيُّ عن النبي ﷺ أنه قال: قَالَ مُوسَىٰ: يَا رَبِّ؛ علِّمْنِي شَيْئاً أَذْكُرُكَ بِهِ، وأدْعُوكَ بِهِ، قال: قُلْ يَا مُوسَى: «لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ» قال: يَا رَبِّ، كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُ هَذَا، قَالَ: قُلْ: «لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ» قَالَ: إِنَّمَا أُرِيدُ شَيْئاً تَخُصُّنِي بِهِ، قَالَ: يَا مُوسَىٰ، لَوْ أَنَّ السَّمٰوَاتِ السَّبْعَ والأَرَضِينَ السَّبْعَ فِي كِفَّةٍ، و«لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ» في كِفَّةٍ ـ مَالَتْ بِهِنَّ «لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ»[٣] ـ رواه النسائي وابن حِبَّانَ في

---

(١) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٦٩).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٨٢) برقم: (٢٩٣٣٢)، بلفظ: قال: قالت لهم الجن: ﴿بل لم تكونوا مؤمنين﴾ حتى بلغ: ﴿قوماً طاغين﴾، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٧٠).

(٣) أخرجه ابن حبان (١٤/ ١٠٢) كتاب «التاريخ» باب: ذكر سؤال كليم الله ربه أن يعلمه شيئاً يذكره، برقم: (٦٢١٨)، والنسائي في «الكبرى» (٦/ ٢٠٨ ـ ٢٠٩) كتاب «عمل اليوم والليلة» باب: أفضل الذكر والدعاء، برقم: (١٠٦٧٠/ ٤)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٢٨)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» ص ١٠٢، ١٠٣، وأبو يعلى (٢/ ٥٢٨)، برقم: (٤٢٠/ ١٣٩٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٣٢٨).

=

١٩٠ «صحيحه»، واللفظ لابن حِبَّان، وعنه ﷺ قال: «وقول لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ/ لاَ تَتْرُكُ ذَنْباً وَلاَ يُشْبِهُهَا عَمَلٌ»[1]، رواه الحاكم في «المُسْتَدْرَكِ عَلَى الصَّحِيحَيْنِ» وقال صحيح الإسنَاد، انتهى منَ «السِّلاح»، والطائفةُ التي قالَتْ: ﴿أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون﴾ هي قريشٌ وإشارتهم بالشاعر إلى النبيِّ ﷺ، فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بقوله: ﴿بل جاء بالحق وصدق المرسلين﴾ الذينَ تَقَدَّمُوهُ، ثم أَخْبَرَ تعالَىٰ مخاطباً لهم بقوله: ﴿إنكم لذائقوا العذاب الأليم﴾ الآية.

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿إلا عباد اللَّه المخلصين﴾ استثناءٌ مُنْقَطِعٌ وهؤلاءِ المؤمنون.

وقوله: ﴿معلوم﴾ معناه: عندهُمْ.

وقوله: ﴿بيضاء﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يعودَ على الكأسِ، ويحتملُ أنْ يعودَ على الخَمْرِ، وهو أظهرُ، قال الحسنُ: خَمْرُ الجَنَّةِ أَشَدُّ بياضاً مِنَ اللَّبَنِ[2]، وفي قراءة ابن مسعود[3]: «صفراء» فهذا وصفُ الخمرِ وحدَها، والغَوْلُ: اسمٌ عامٌّ في الأذى، وقال ابن عباس وغيره: الغَوْلُ: وَجَعٌ في البطْنِ[4]، وقال قتادةُ هو صُدَاعٌ في الرَّأْسِ[5] و﴿ينزفُونَ﴾ من

= قال الحاكم: هذا حديث صحيح.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٨٥): رواه أبو يعلى، ورجاله وثقوا، وفيهم ضعف.

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٥١٤)، وقال: صحيح.

(٢) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٧٢).

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٤٧٢)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣٤٤)، و«الدر المصون» (٥/ ٥٠١)، و«مختصر الشواذ» ص: (١٢٨)، وزاد نسبتها إلى الحسن والضحاك.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٨٥) برقم: (٢٩٣٤٩) عن ابن عباس، وبرقم: (٢٩٣٥٠) عن مجاهد، وبرقم: (٢٩٣٥١) عن ابن زيد، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٧٢) عنهم، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٦) أيضاً عنهم، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥١٧)، وعزاه لابن جرير عن ابن عباس، ولهناد، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن مجاهد، ولعبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير.

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٨٥) برقم: (٢٩٣٤٨) عن ابن عباس، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٧٢) عن ابن عباس، وقتادة، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٧) عنهما، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥١٦) أيضاً عنهما، وعزاه لابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «البعث» عن ابن عباس، ولعبد الرزاق، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن قتادة.

قولك: نُزِفَ الرَّجُلُ إذا سَكِرَ، وبإذْهابِ العَقْلِ فَسَّره ابن عباس[١]، **وقرأ** حمزة والكسائي «يُنْزِفُونَ» بكسرِ الزاي[٢] من «أَنْزَفَ» وله معنيان:

[أحدهما: سَكِر.

والثاني: نَفِدَ شَرَابُه.

وهذا كله مَنْفِيٌّ عَنْ أهلِ الجنَّةِ.

و﴿قاصرات الطرف﴾][٣] قال ابن عباس وغيره معناه على أزواجهن[٤]، أي: لا ينظُرْنَ إلى غيرهم، و﴿عِين﴾: جَمْعُ «عَيْنَاءَ»، وهي الكَبِيرةُ العَيْنينِ في جَمَالٍ.

﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿كأنهن بيض مكنون﴾ قال ابن جبير والسُّدِّيُّ: شَبَّه ألوانَهُنَّ بِلَوْنِ قِشْرِ البَيْضَةِ الداخليِّ، وهو المكنونُ[٥]، أي المَصُونُ، ورجَّحه الطبريُّ[٦]، وقال الجمهور: شَبَّه أَلْوَانَهُنَّ بَلَوْنِ قِشْرِ البَيْضَةِ من النَّعَام، وهو بياضٌ قَدْ خالَطَتْهُ صُفْرَةٌ حَسَنَةٌ، و﴿مكنون﴾ أي: بالريش، وقال ابن عباس فيما حَكَى الطَبريُّ: «الْبَيْضُ المَكْنُونُ» أَرَادَ به الجَوْهَرَ

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٨٦) برقم: (٢٩٣٥٦) عن ابن عباس وبرقم: (٢٩٣٥٨) عن مجاهد، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٧٢) عن ابن عباس وقتادة، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥١٦)، وعزاه لعبد الرزاق، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن قتادة، ولابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «البعث» عن ابن عباس.

(٢) ينظر: «السبعة» (٥٤٧)، و«الحجة» (٦/ ٥٤)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٢٤٦)، و«معاني القراءات» (٢/ ٣١٨)، و«شرح الطيبة» (٥/ ١٨٣)، و«العنوان» (١٦١)، و«حجة القراءات» (٦٠٨)، و«شرح شعلة» (٥٦٢)، و«إتحاف» (٢/ ٤١١).

(٣) سقط في: د.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٨٧) برقم: (٢٩٣٦٢) عن ابن عباس، وبرقم: (٢٩٣٦٣) عن مجاهد، وبرقم: (٢٩٣٦٤) عن السدي، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٧٣) وزاد نسبته لابن زيد وقتادة، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥١٧)، وعزاه لابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «البعث» عن ابن عباس، ولعبد بن حميد عن مجاهد.

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٨٨) برقم: (٢٩٣٧١) عن سعيد بن جبير وبرقم: (٢٩٣٧٢) عن السدي.

(٦) ينظر: «تفسير الطبري» (١٠/ ٤٨٩)

المَصُونَ[١]، قال * ع[٢] *: وهذا يَرُدُّهُ لَفْظُ الآيةِ، فلا يَصِحُّ عَنِ ابن عباس.

وقوله تعالى: ﴿فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون * قال قائل منهم...﴾ الآيةَ، هذا التَّساؤُلُ الذي بَيْنَ أهْلِ الجَنَّةِ هو تساؤُلُ رَاحَةٍ وَتَنَعُّم؛ يَتَذَاكَرُونَ أُمُورَهُمْ في الجَنَّةِ وأمْرَ الدنيا وحالَ الطَّاعَةِ والإيمَانِ فيها، ثم أخْبَرَ تعالَىٰ عَنْ قَوْلِ قائِلٍ منهم في قِصَّتِهِ، وهو مثالٌ لِكُلِّ مَنْ لَهُ قَرِينُ سَوْءٍ، فَيُعْطِي هَذَا المثالُ التَّحَفُّظَ مِنْ قُرَنَاءِ السوءِ، قال الثعلبيُّ: قوله: ﴿إني كان لي قرين﴾ قال مجاهد: كان شَيْطَاناً[٣]، انتهى، وقال ابنُ عباس وغيره: كان هذانِ منَ البَشَرِ؛ مُؤمِنٌ وكَافِرٌ[٤]، وقال فُرَاتُ بْنُ ثَعْلَبَةَ البَهْرَانِيُّ في قَصَصِ هَذَيْنِ: إنَّهُمَا كَانَا شَرِيكَيْنِ بثمانيةِ آلاف دينارٍ، فكَانَ أحدُهُمَا مَشْغُولاً بِعِبَادةِ اللَّهِ، وكان الآخرُ كافراً مُقْبِلاً علَىٰ مَالِهِ، فَحَلَّ الشَّرِكَةَ مع المؤمِنِ وَبقيَ وَحْدَه لِتَقْصِيرِ المؤمِنِ في التِّجَارَةِ، وجَعَلَ الكَافِرُ كُلَّمَا اشْتَرَى شَيْئاً من دَارٍ أو جَاريةٍ أو بستانٍ ونحوِهِ، عرضه عَلى المؤمِنِ وفَخَرَ عليه، فَيَمْضِي المؤمِنُ عندَ ذلكَ، وَيَتَصَدَّقُ بنحوِ ذلك؛ لِيَشْتَرِي بِه من اللَّهِ تعالَىٰ في الجَنَّةِ، فكانَ مِنْ أمرِهمَا في الآخِرَةِ ما تَضَمَّنَتْهُ هذه[٥] الآية، وحكى السُّهَيْلِيُّ أن هذين الرجلَيْنِ هما المذكورانِ في قوله تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ...﴾ الآية [الكهف: ٣٢] انتهى، و«مَدِينُونَ» معناه: مُجَازَوْنَ مُحَاسَبُونَ؛ قاله ابن عَبَّاس وغيره[٦].

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٨٩) برقم: (٢٩٣٧٥) بلفظ: اللؤلؤ المكنون، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٧٣)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥١٧)، وعزاه لابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «البعث» عن ابن عباس.

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٤٧٣).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٩٠) برقم: (٢٩٣٧٩)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٢٨)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٧٣)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥١٨)، وعزاه السيوطي للفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٩٠) برقم: (٢٩٣٨٠) عن ابن عباس، وذكره البغوي (٤/ ٢٨)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٧٣)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٨)، كلاهما عن ابن عباس.

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٩٠) برقم: (٢٩٣٨١)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٧٣)، وذكره ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥١٩)، وعزاه السيوطي لسعيد بن منصور.

(٦) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٩١) برقم: (٢٩٣٨٢)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٧٤)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٢١)، وعزاه السيوطي لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، عن مجاهد، ولعبد بن حميد عن قتادة.

﴿قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿قال هل أنتم مطلعون﴾ الآية،/ في الكلام حَذْفٌ، تقديرُه: فقالَ لِهذَا الرجلُ حاضِرُوهُ مِنَ الملائِكَةِ: إنَّ قَرِينَكَ هذا في جَهَنَّمَ يُعَذَّبُ فقال عند ذلك: ﴿هل أنتم مطلعون﴾ يخاطِبُ بـ«أَنْتُم» الملائكةَ أو رفقاءَه في الجنةِ أو خَدَمَتَهُ؛ وَكُلُّ هذا حَكَى المَهْدَوِيُّ، وقَرَأ أبو عمرو في رواية حُسَيْنٍ «مُطْلِعُونَ» بسكون الطاء وفتح النون[1]، وقرِىء شاذًّا «مُطْلِعُونِ» ـ بسكون الطاء وكسر النون[2] ـ، قال ابن عباس وغيره: ﴿سواء الجحيم﴾ وَسَطُه[3]، فقال له المؤمِنُ عند ذلك: ﴿تاللَّه، إنْ كِدْتَ لتردينِ﴾ أي: لَتُهْلِكُنِي بإغْوائِكَ، والرَّدَى: الهلاكُ، وقولُ المؤمِنِ: ﴿أفما نحن بميتين﴾ إلى قوله: ﴿بمعذبين﴾ يحتملُ أن تكونَ مخاطبةً لِرُفَقَائِهِ في الجَنَّةِ، لمَّا رَأَىٰ مَا نَزَلَ بِقَرِينِهِ، ونَظَرَ إلى حالِه في الجنَّةِ وحالِ رُفَقَائِهِ؛ قَدَّرَ النعمةَ قَدْرَهَا، فَقَالَ لهم على جهة التوقيفِ على النِّعْمَةِ: أفما نحن بميِّتين ولا معذَّبين، ويجيء على هذا التأويل قوله: ﴿إن هذا لهو الفوز العظيم﴾ إلى قوله: ﴿العاملون﴾ مُتَّصِلاً بكَلاَمِهِ خِطَاباً لرفقائِهِ، ويحتمل قوله: ﴿أفما نحن بميتين﴾ أن تكونَ

٩٠ ب

---

(١) ينظر: «المحرر الوجيز»(٤/ ٤٧٤).
ووقع في رواية أبي بكر بن مجاهد أن أبا عمرو قرأها مثل قراءة الباقين، غير أنه قرأ: «فأُطْلِع» مبنياً للمجهول.
ينظر: «السبعة» (٥٤٨)، و«الحجة» (٦/ ٥٥ ـ ٥٦)، و«مختصر الشواذ» ص: (١٢٨)، و«المحتسب» (٢/ ٢١٩).

(٢) وقرأ بها أبو البرهسم، وعمار بن عمار.
قال ابن عطية: وردُّ هذه القراءة أبو حاتم وغيره ولحنوها؛ وذلك أنها جمعت بين ياء الإضافة ونون المتكلم، والوجه أن يقال: «مطلعيّ». ووجه القراءة أبو الفتح بن جني، وقال: أنزل الفاعل منزل الفعل المضارع، وأنشد الطبري [الوافر]:

وما أدري وظن كل ظن ... أمسلمني إلى قومي شراحي

وقال الفراء: يريد شراحيل.
ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٤٧٤)، و«المحتسب» (٢/ ٢٢٠)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣٤٦)، و«الدر المصون» (٥/ ٥٠٣).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٩١) برقم: (٢٩٣٨٥) عن ابن عباس، وبرقم: (٢٩٣٨٧) عن الحسن، وبرقم: (٢٩٣٨٩) عن قتادة، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٢٨) عن ابن عباس، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٢١)، وعزاه لابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

مخاطبةً لقرينه؛ على جهة التوبيخ، كأنَّه يقول: أين الذي كنتَ تقولُ من أنَّا نموتُ وَلَيْسَ بَعْدَ الموتِ عِقَابٌ ولا عَذَابٌ، ويكونُ قولُه تعالَىٰ: ﴿إن هذا لهو الفوز العظيم﴾ إلى قوله: ﴿العاملون﴾ يحتمل أنْ يَكُونَ من خِطَابِ المُؤْمِنِ لقرينهِ؛ وإليه ذَهَبَ قتادة[1]، ويحتملُ أنْ يَكُونَ من خِطَابِ اللَّه ـ تعالَىٰ ـ لمحمَّد ـ عليه السلام ـ وأُمَّتِه، ويُقَوِّي هذَا قَوْلُهُ: ﴿لمثل هذا فليعمل العاملون﴾ وهُوَ حَضٌّ عَلى العَمَلِ؛ والآخِرَةُ لَيْسَتْ بِدَارِ عَمَلٍ.

﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾﴾

وقولُهُ تَعالَىٰ: ﴿أذلك خَيْرٌ نزلاً أم شجرةُ الزَّقُّوم﴾ المرادُ بالآية: تقريرُ قريشٍ والكفارِ، قال * ع[2] *: وفي بعض البلادِ الجَدْبَةِ المجاورةِ للصَّحَارَى ـ شجرةٌ مُرَّةٌ مَسْمُومَةٌ لَهَا لَبَنٌ، إنْ مَسَّ جِسْمَ أَحَدٍ؛ تَوَرَّمَ وَمَاتَ مِنْهُ في أغلب الأمْرِ؛ تُسَمَّى شجَرَةَ الزَّقُّومِ، والتَّزَقُّمُ في كَلاَمِ العَرَبِ: البَلْعُ عَلَى شِدَّةٍ وَجَهْدٍ.

وقوله تعالى: ﴿إنا جعلناها فتنة للظالمين﴾ قال قتادة ومجاهد والسُّدِّيُّ: يريد أبا جهل ونظراءه[3]، وقد تقدم بيانُ ذلك.

وقوله تعالى: ﴿كأنه رءوس الشياطين﴾ اخْتَلَفَ في معناه؛ فقالت فرقة: شَبَّهَ طَلْعَها بثَمَرِ شَجَرَةٍ مَعْرُوفَةٍ يقالُ لَها «رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ»، وهي بناحِيَةِ اليَمَنِ، يقال لها: «الأَسْتَنُ»، وقالت فرقة: شَبَّهَ برُؤُوسِ صِنْفٍ منَ الحيَّاتِ يُقَالُ لها «الشَّياطِين»، وهي ذواتُ أَعْرَافٍ، وقالت فرقة: شَبَّه بما اسْتَقَر في النُّفُوسِ مِنْ كَرَاهَةِ رؤوس الشياطين وقُبْحِهَا؛ وإنْ كانَتْ لاَ تُرَى؛ لأن الناسَ إذا وصفوا شَيْئاً بِغَايَةِ القُبْحِ قَالوا: كأنَّه شَيْطَانٌ؛ ونَحوُ هذا قولُ امْرِىءِ القيس: [الطويل].

---

(١) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٧٥).

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٤٧٥).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٩٤) برقم: (٢٩٣٩٩) عن السدي، وبرقم: (٢٩٤٠٠) عن مجاهد، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٧٥)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ١٠) عن مجاهد، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٢٢)، وعزاه لعبد بن حميد عن مجاهد، ولابن مردويه عن ابن عباس.

٣٣ ـــــــ

والمخصوصُ بالمَدْحِ محذوفٌ، أي: فَلنِعْمَ المجيبُونَ نَحْنُ، انتهى.

﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وجعلنا ذريته هم الباقين﴾ قال ابن عبَّاسٍ وقتادة: أهْلُ الأرضِ كلُّهُمْ من ذريةِ نوحٍ[1]، وقالت فرقة: إنَّ اللَّه تعالى أَبْقَى ذريةَ نُوحٍ وَمَدَّ نَسْلَه، وليسَ الأمْرُ بأَنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا انْحَصَرُوا إلى نَسْلِهِ، بَلْ في الأُمَمِ مَنْ لاَ يَرْجِعُ إِلَيْه، والأول أشْهَرُ عَنْ عُلَماءِ الأمَّة، وقالوا: نوحٌ هو آدم الأصغر، قال السُّهَيْلِيُّ: ذُكِرَ عَنْ رسول اللَّه ﷺ، أنه قال في قوله ـ عز وجل ـ: ﴿وجعلنا ذريته هم الباقين﴾: [إنَّهم] سامٌ وحَامٌ ويافثُ[2]، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿وتركنا عليه في الآخرين﴾ معناهُ: ثناءً حسَناً جَميلاً باقياً آخِرَ الدَّهْرِ؛ قاله ابن عباس وغيره[3]، و﴿سَلاَمٌ﴾ رفعٌ بالابتداء مُسْتَأنف، سَلَّمَ اللَّهُ به عليه لِيَقْتَدِيَ بذلك البَشَرُ. * ت *: قال أبو عُمَرَ في «التمهيد»: قال سعيد ـ يعني: ابن عبد الرحمٰن الجُمَحِيَّ ـ: بلَغَني أنه مَنْ قَالَ حِينَ يُمْسِي: ﴿سَلاَمٌ عَلَى نُوحٍ في العَالَمِينَ﴾ لَمْ تَلْدَغْهُ عَقْرَبٌ، ذَكَرَ هذا عندَ قولِ النبيِّ ﷺ للأسْلَمِيِّ الذي لَدَغَتْهُ عَقْرَبٌ: «أمَا لَوْ أَنَّكَ قُلْتَ حِينَ أمْسَيْتَ: أعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ تَضُرَّكَ إنْ شَاءَ اللَّهُ»[4]، قَالَ أبُو

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٩٨) برقم: (٢٩٤٢٠) عن قتادة، وبرقم: (٢٩٤٢١) عن ابن عباس، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٧٧)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ١٢)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٢٤)، كلهم عن ابن عباس، وقتادة، وعزاه السيوطي لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة، ولابن المنذر عن ابن عباس.

(٢) أخرجه الترمذي في «سننه» (٥/ ٣٦٥)، كتاب «تفسير القرآن» باب: ومن سورة الصافات برقم: (٣٢٣٠)، والطبري (١٠/ ٤٩٧) برقم: (٢٩٤١٩)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٢٤)، وعزاه إلى ابن أبي حاتم، وابن مردويه.
قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث سعيد بن بشير.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٩٨) برقم: (٢٩٤٢٢) عن ابن عباس، وبرقم: (٢٩٤٢٤) عن قتادة، وذكره ابن عطية (٤/ ٤٧٧)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ١٢)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٢٤)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة، ولابن المنذر عن ابن عباس.

(٤) هذا الحديث روي من طريق أبي هريرة، وخولة بنت حكيم، وعمرو بن العاص، وسهيل بن أبي صالح عن أبيه.
أما طريق أبو هريرة: أخرجه مسلم (٤/ ٢٨١) «الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار»، باب: في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره، برقم: (٢٧٠٩)، وأبو داود (٢/ ٤٠٦) كتاب «الطب» باب: كيف الرقى، برقم: (٣٨٩٩)، وابن حبان (٧/ ٣٨٦) ـ الموارد برقم: (٢٣٦٠) ولم يذكر نبأ الأسلمي، =

عُمَرَ: وَرَوَى [ابنُ وَهْبٍ][1] هذَا الحديثَ عَنْ مالكٍ يَعْني: حديثَ: «أعوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ» بإسْنَادِهِ مِثْلَ ما في «**المُوطَّإِ**»، إلا أنَّه قال في آخره: «لَمْ يَضُرَّكَ شَيْءٌ»[2] انتهى.

وقوله تعالى: ﴿ثم أغرقنا الآخرين﴾ قال جماعة من العلماء: إنَّ الغَرَقَ عَمَّ جميعَ النَّاسِ، وأسْنَدُوا في ذلك أحَادِيثَ، قَالُوا: وَلَمْ يَكُنِ الناسُ حينئذٍ بهذهِ الكَثْرَةِ؛ لأنَّ عَهْدَ آدم كانَ قريباً، وكانتْ دَعْوَةُ نُوحٍ ونُبُوَّتُهُ قَدْ بَلَغَتْ جميعَهم، لِطُولِ المدَّةِ واللَّبْثِ فِيهم، فَتَمادَوْا عَلَى كُفْرِهِمْ، وَلَمْ يَقْبَلُوا مَا دَعَاهُمْ إليه من عبادةِ الرحمٰنِ؛ فلذلكَ أغْرَقَ اللَّهُ جميعَهُمْ.

﴿۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾

= والنسائي في «**الكبرى**» (٦/ ١٥٢) كتاب «عمل اليوم والليلة» باب: ما يقول إذا خاف شيئاً من الهوام حين يمسي، برقم: (١٠٤٢٤/ ٤)، وأبو يعلى (١٢/ ٤٤) برقم: (٦٦٨٨/٨٤٨)، ومالك في «**الموطأ**» (٢/ ٩٥١) كتاب «الشعر» باب: ما يؤمر به من التعوذ، برقم: (١١)، وأحمد (٢/ ٣٧٥)، وابن ماجه (٢/ ١١٦٢) كتاب «الطب» باب: رقية الحية والعقرب برقم: (٣٥١٨)، وأبو نعيم في «**الحلية**» (٧/ ١٤٣)، والخطيب في «**تاريخ بغداد**» (١/ ٣٨٠).

أما الحديث من طريق خولة بنت حكيم: أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٨) كتاب «الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار» باب: في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره، برقم: (٥٤/ ٢٧٠٨)، (٥٥/ ٢٧٠٨)، والنسائي في «**الكبرى**» (٦/ ١٤٤) كتاب «عمل اليوم والليلة» باب: ما يقول إذا نزل منزلاً، برقم: (١٠٣٩٤/ ١ ـ ٢)، والترمذي (٥/ ٤٩٦) كتاب «الدعوات» باب: ما جاء ما يقول إذا نزل منزلاً، برقم: (٣٤٣٧)، وابن ماجه (٢/ ١١٧٤)، كتاب «الطب» باب: الفزع والأرق وما يتعوذ منه، برقم: (٣٥٤٧)، وأحمد (٦/ ٣٧٧)، والبيهقي في «**السنن**» (٥/ ٢٥٣) كتاب «الحج» باب: ما يقول إذا نزل منزلاً، ومالك في «**الموطأ**» (٢/ ٩٧٨) كتاب «الاستئذان» باب: ما يؤمر به من الكلام في السفر، والدارمي (٢/ ٢٨٩) كتاب «الاستئذان» باب: ما يقول إذا نزل منزلاً، وعبد الرزاق في «**المصنف**» (٥/ ١٦٦)، كتاب «المناسك» باب: ما يقول إذا نزل منزلاً، رقم: (٩٢٦١)، وابن حبان (٦/ ٤١٨)، كتاب «الصلاة» باب: ذكر الشيء الذي إذا قال المسافر في منزله أمن الضرر من كل شيء حتى يرتحل منه، برقم: (٢٧٠٠).

ولم تأتِ من هذا الطريق قصة الأسلمي. قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

وأما طريق عمرو بن العاص: أخرجه أبو داود (٢/ ٤٠٥)، كتاب «الطب» باب: كيف الرقى؟ رقم: (٣٨٩٣) نحو حديث أبي هريرة.

وأما طريق سهيل بن أبي صالح عن أبيه: أخرجه أبو داود (٢/ ٤٠٦) كتاب «الطب» باب: كيف الرقى؟ رقم: (٣٨٩٨).

(١) سقط في: د.

(٢) ينظر: الحديث السابق.

وقوله تعالى: ﴿وإن من شيعته﴾ قال ابنُ عبَّاسٍ وغيره: الضميرُ عائِدٌ على نوحٍ[(١)]، والمعنى: في الدينِ والتَّوْحيدِ، وقَال الطبريُّ وغيره عن الفَرَّاءِ: الضميرُ عائِدٌ عَلى محمدٍ، والإِشَارَةُ إليه.

وقوله: ﴿أئفكا﴾ استفهامٌ بمعنى التقرير، أي: أَكَذِباً ومُحَالاً، ﴿آلهة دُونَ اللَّهِ تريدون﴾.

وقوله: ﴿فما ظنكم﴾ تَوْبِيخٌ وتحذيرٌ وتَوَعُّدٌ.

﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿فنظر نظرة في النجوم﴾ رُوِيَ أنَّ قَوْمَهُ كانَ لهم عِيدٌ يَخْرُجُونَ إليه فَدَعَوْا إبراهيمَ ـ عليه السلام ـ إلى الخروج مَعَهُمْ، فَنَظَرَ حينَئِذٍ، واعتَذَرَ بِالسُّقْمِ، وأرادَ البَقَاءَ لِيُخَالِفَهُمْ إلى الأصْنَامِ، ورُوِيَ أنَّ عِلْمَ النُّجُومِ كانَ عندَهم مَنْظُوراً فِيه مُسْتَعْمَلاً؛ فأوْهَمَهُم هو من تلكَ الجهة، قالت فرقة: وقوله: ﴿إني سقيم﴾ مِنَ المعَارِيضِ الجَائِزَةِ.

﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿فراغ إلى آلهتهم﴾ «راغ» معناه: مَالَ.

وقوله: ﴿ألا تأكلون﴾ هو على جِهَةِ الاسْتِهْزَاءِ بِعَبَدَةِ تلكَ الأصْنَامِ، ثم مَالَ عِنْدَ ذَلِكَ إلَى ضَرْبِ/ تلك الأصْنامِ بِفَأْسٍ حَتَّى جَعَلَها جُذَاذاً، واخْتُلِفَ في معنى قوله: ﴿باليمين﴾ ٩١ ب
فقال ابن عَبَّاس: أراد يُمْنَىٰ يَدَيْهِ[(٢)]، وَقِيلَ: أرادَ بِقُوَّتِه؛ لأنَّه كانَ يَجْمَعُ يَدَيْهِ مَعاً بِالفَأْسِ، وقيل: أراد باليمينِ، القَسَمَ في قوله: ﴿وتَاللَّهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾ [الأنبياء: ٥٧]، والضميرُ

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٩٩) برقم: (٢٩٤٢٧)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٧٧)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ١٢)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٢٥) كلهم عن ابن عباس، وعزاه السيوطي لابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٠٢) برقم: (٢٩٤٥٢)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٧٩).

في «أقبلوا» لكُفَّارِ قَوْمِهِ و﴿يَزِفُّونَ﴾ معناه: يُسْرِعُونَ، وٱخْتَلَفَ المتأَوِّلُونَ في قوله: ﴿وما تعملون﴾ فَمَذْهَبُ جماعةٍ من المفسرين: أن «ما» مصدرية، والمعنى: أنَّ اللَّهَ خَلَقَكُمْ وأَعْمَالَكُمْ، وهذه الآيةُ عندهُمْ قَاعِدَةٌ في خَلْقِ اللَّهِ تعالَىٰ أفْعَالَ العِبَادِ؛ وهو مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ[1]، وقالت فرقة: «ما» بمعنى: الَّذِي، و«البنيان» قيل: كانَ في مَوْضِع إيقَادِ النَّارِ،

---

(١) المراد من أفعال العباد: المعنى الحاصل بالمصدر الذي هو متعلق الإيجاد والإيقاع، أعني ما نشاهده من الحركات والسكنات مثلاً، لا المعنى المصدري الذي هو الإيجاد والإيقاع، لأنه من الأمور اللاموجودة واللامعدودة المسماة بالحال كما ذهبت إليه مشايخ الحنفية، واختاره القاضي أبو بكر الباقلاني، وإمام الحرمين من الأشاعرة؛ أو هو أمر اعتباري عند نفاة الحال، فلا يتعلق به خلق ولا إيجاد وإلا لزم التسلسل، وإطلاق المصدر على المعنى الحاصل بالمصدر، وإن كان مجازاً من قبيل إطلاق اللازم وإرادة الملزوم، إلا أنه كثير الوقوع، فلا يحتاج إلى قرينة. وتنقسم أفعال العباد إلى: اختيارية، كحركة البطش، وإلى: اضطرارية، كحركة الارتعاش، وإلى أفعال مباشرة، وإلى أفعال متولدة، كحركة المفتاح المتولدة من حركة اليد، ثم إن أفعال العباد منها ما يتعلق بالجوارح، ومنها ما يتعلق بالقلوب، هذا كله بالنسبة للمستيقظ.

وأما أفعال النائم فقد اختلفوا فيها، فقال بعضهم: إنها مقدورة مكتسبة للنائم، والنوم لا يضاد القدرة، وإن كان يضاد العلم وغيره من الإرادات، وقال بعضهم: إنها غير مقدورة له، وأن النوم يضاد القدرة كما يضاد العلم، وبعضهم لا يقطع بكونها مكتسبة، ولا بكونها ضرورية بل كل من الأمرين ممكن.

وقد استدل القائلون بأن أفعال النائم مقدورة له بما يأتي:

«أولاً»: بأن النائم كان قادراً في يقظته، وقدرته باقية، والنوم لا ينافيها، فوجب استصحاب حكمها.

«ثانياً»: بأن النائم إذا انتبه فهو على ما كان عليه في نومه، ولا يتجدد أمر وراء زوال النوم، وهو قادر بعد الانتباه، وزوال النوم غير موجب للاقتدار، ولا وجوده نافياً للقدرة.

«ثالثاً»: قد يوجد من النائم، ما لو وجد منه في حال اليقظة، لكان واقعاً على حسب الداعي والاختيار، والنوم، وإن نافى القصد فلا ينافي القدرة.

«رابعاً»: نجد تفرقة ضرورية بين حركة النائم، وحركة المرتعش، وما ذاك إلا أن حركته مقدورة له، وحركة المرتعش غير مقدورة له.

وقال النافون المقدرة: قولكم: النوم لا ينافي القدرة: دعوى كاذبة؛ فإن النائم منفعل محضاً متأثر صرفاً ولهذا لا يمتنع ممن يؤثر فيه، وقولكم: لم يتجدد له أمر غير زوال النوم، غَيْر مسلم به؛ لأن التجدد: زوال المانع من القدرة، فعاد إلى ما كان عليه؛ كمن أوثق غيره رباطاً، ومنعه من الحركة، فإذا حُلَّ رباطه، تجدد زوال المانع.

والتحقيق: أن حركة النائم ضرورية له غير مكتسبة، وكما فرقنا في حق المستيقظ بين حركة ارتعاشه وحركة تصفيقه، كذلك نجد تفرقة ضرورية بين حركة النائم وحركة المستيقظ

وعلى كل حال فالمثبتون للقدرة وهم المعتزلة وبعض الأشعرية والنافون لها وهم: أبو إسحاق وغيره، والمتوقفون في ذلك هم: جمهور الأشعرية، والقاضي أبو بكر، متفقون على أن أفعال النائم غير داخلة تحت التكليف.

أما أفعال الساهر فاختيارية؛ لأنه وإن كان يفعل الفعل مع غفلته وذهوله، فهو إنما يفعله بقدرته؛ إذ لو كان عاجزاً لما تأتى منه الفعل وله إرادة لكن غافل عنها؛ فالإرادة شيء، والشعور بها شيء آخر. =

وقيل: بَلْ كَانَ لِلْمَنْجَنِيقِ الذي رُمِي عَنْه، واللَّه أعلم.

= فالعبد قد يكون له إرادة وهو ذاهلٌ عن شعوره بها؛ لاشتغال محل التصور منه بأمر آخر منعه من الشعور بالإرادة، فعملت عملها، وهي غير مشعور بها، وإن كان لا بد من الشعور عند كل جزء.
ومع كل فالفعل الاختياري يستلزم الشعور بالفعل في الجملة، وأما الشعور به بالتفصيل فلا يستلزمه.
وأما زائل العقل بجنون أو سكر، فليست أفعاله اضطرارية، كأفعال الملجأ، ولا اختيارية بمنزلة أفعال العاقل العالم بما يفعله، بل هي نوع آخر يشبه الاضطرارية، وأفعاله كفعل الحيوان وفعل الصبي الذي لا تمييز له؛ إذ لكل واحد من هؤلاء داعية إلى الفعل يتصورها، وإرادة يقصد بها، وقدرة ينفذ بها، فهذه أفعال طبيعية، واقعة بالداعي والإرادة والقدرة، وإن كانت الداعية التي فيهم غير داعية العاقل العالم بما يفعله؛ لأنه يتصور ما في الفعل من الغرض، ثم يريده ويفعله، ولهذا لم يكلف أحد من هؤلاء بالفعل، فأفعالهم لا تدخل تحت التكليف، وليست كأفعال الملجأ ولا المكره.
وهي مضافة إليهم مباشرة، وإلى خالق ذواتهم وصفاتهم وأفعالهم خلقاً.
فهي مفعولة وأفعال لهم.
لا خلاف في أن أفعال العباد اضطرارية، مخلوقة للَّه تعالى، ولا في أن الكلام اللفظي القائم بالنبي ﷺ على تقدير حدوثه مخلوق له تعالى. أما عند أهل السنّة فظاهر، وأما عند المعتزلة، فإما بنفي اختياريته، أو باستثنائه من الكلية. وأما أفعال العباد الاختيارية، فقد اختلفوا في الخالق لها، فقالت الجبرية: الخالق لأفعال العباد الاختيارية هو اللَّه فقط ولا دخل لقدرة العبد في فعله البتة، بل هو مجبورٌ ومقهور، وأن حركته الاختيارية، لا اختيار له فيها، وأنها كحركة الأشجار عند هبوب الرياح، وكحركة الأمواج، وأن العبد كالريشة المعلقة في الهواء.
وقال الشيخ أبو الحسن الأشعري: فعل العبد واقع بقدرة اللَّه، ومخلوق له، وأن قدرة العبد لها دخل في الفعل الاختياري بالكسب والاختيار، وأن اللَّه قد جرت عادته بأن يخلق فعل العبد الاختياري مقارناً لقدرته، وهذا هو الكسب عنده.
وقال القاضي أبو بكر الباقلاني: أصلُ الفعل واقع بقدرة اللَّه تعالى، وأما وصفه فواقع بقدرة العبد، كما في لطم اليتيم تأديباً وإيذاء، فإن ذات اللطم واقعة بقدرة اللَّه تعالى، وكونه طاعة على الأول ومعصية على الثاني بقدرة العبد. والظاهر أنه لم يرد أن قدرة العبد مستقلة في خلق وصف الفعل، وإلا لزم عليه ما لزم على المعتزلة، بل أراد أن القدرة لها دخل في ذلك الوصف فهو بالنسبة إلى العبد طاعة ومعصية، كذا ذكره المحقق الديواني، وقد ورد على مذهبه: أن هذه الصفات أمورٌ اعتبارية تلزم فعل العبد باعتبار موافقتها للشرع، أو مخالفتها له، فلا وجه لكون وصف الفعل واقعاً بقدرة العبد، وهذا مدفوع بأن كون الفعل طاعة أو معصية إنما هو بالنية والإرادة الجزئية والعزم، وهي مقدورة للعبد وبسببها يكون الفعل طاعة أو معصية، وهذا بعينه ما ذهب إليه الماتريدية.
وقال الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني من أهل السنّة، وكذا النجار من المعتزلة: إن أصل الفعل ووصفه، واقع بمجموع القدرتين، قدرة اللَّه وقدرة العبد، ثم الأستاذ إن أراد: أن قدرة العبد غير مستقلة بالتأثير وأنها إذا انضمت إليها قدرة الله تعالى صارت مستقلة بتوسط هذ الإعانة على ما قدره البعض فقريب من الحق، وإن أراد أن كلاً من القدرتين مستقلة بالتأثير كما اشتهر عنه في مذهبه فباطل، لامتناع مؤثرين على أثر واحد، وإن جوز اجتماعهما كما اشتهر عنه.
وقال صاحب المسايرة وهو الكمال بن الهمام: إن جميع ما يتوقف عليه أفعال الجوارح، والنفوس من =

.....

الميل والداعية والاختيار لا تأثير لقدرة العبد فيه، وإنما محل قدرته العزم المصمم، فإذا أوجد العبد ذلك العزم المصمم خلق اللّه له الفعل عقبه، وهذا ينطبق على كلام القاضي أبي بكر الباقلاّني، لأن كون الفعل طاعة أو معصية إنما هو بالنية، والإرادة الجزئية، والعزم عنده «أي عند القاضي».

وقال بعض المحققين من أهل السنّة: اللّه خالق لفعل العبد الاختياري والعبد فاعل له حقيقة. وبيان ذلك أن اللّه خلق قدرة العبد وأذن لها أن تتصرف في المقدور حسب اختيار العبد فيكون الفعل مخلوقاً للّه، لأنه واقع بالقدرة التي خلقها اللّه فيه، وقد جعلها تتصرف في المقدور ويكون الفعل المقدور واقعاً بالقدرة الحادثة، ومضافاً إلى العبد كسباً وفعلاً حقيقة، «ومثال ذلك»: أن العبد لا يملك التصرف في مال سيده، ولو استبد بالتصرف في مال سيده لم ينفذ تصرفه، فإذا أذن له في بيع ماله فباعه نفذ، والبيع في التحقيق معزو إلى السيد من حيث إن سببه إذنه، ولولا إذنه لم ينفذ التصرف، ولكن العبد يؤمر بالتصرف، ويُنهى ويوبَّخ على المخالفة، فالعبد فعلها حقيقة واللّه خالقه، وخالق ما فعل به من القدرة والإرادة، وخالق فاعليته، والعبد غير مستقل بالإيجاد، لأن قدرته وإرادته جزء سبب أو شرط.

وقال الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي: المختار عندنا أن عند حصول القدرة والداعية المخصوصة يجب الفعل، وعلى هذا التقدير يكون العبد فاعلاً على سبيل الحقيقة، ومع ذلك فتكون الأفعال بأسرها واقعة بقضاء اللّه تعالى وقدره، وذلك أنا لما اعترفنا بأن الفعل واجب الحصول عند مجموع القدرة والداعي؛ فقد اعترفنا بكون العبد فاعلاً وجاعلاً فلا يلزمنا مخالفة ظاهر القرآن، وإذا قلنا بأن المؤثر في الفعل مجموع القدرة والداعي، مع أن هذا المجموع حصل بخلق اللّه تعالى، فقد قلنا بأن الكل بقضاء اللّه تعالى وقدره.

وقال جمهور المعتزلة: فعل العبد واقع بقدرته وحدها على سبيل الاستقلال بلا إيجاب بل باختيار.

وقال إمام الحرمين: فعل العبد واقع بقدرته وإرادته بالإيجاب استقلالاً لا بالاختيار فيكون موافقاً لمذهب الحكماء وهذا ما اشتهر عنه بين القوم، ولكن تحقيق مذهبه أن الخالق لفعل العبد الاختياري هو اللّه تعالى كما صرح به في الإرشاد، حيث قال: «اتفق أئمة السلف قبل ظهور البدع والأهواء على أن الخالق هو اللّه تعالى ولا خالق سواه، وأن الحوادث كلها حدثت بقدرة اللّه تعالى من غير فرق بين ما تتعلق به قدرة العباد، وبين ما لا تتعلق به، فإن تعلق الصفة بشيء لا يستلزم تأثيرها فيه، كالعلم بالعلوم، والإرادة بفعل الغير، فالقدرة الحادثة لا تؤثر في مقدورها، واتفقت المعتزلة ومن تابعهم من أهل الزيغ على أن العباد موجدون لأفعالهم مخترعون لها بقدرهم».

واحتج أهل الحق القائلون بأن اللّه هو الخالق لأفعال العباد الاختيارية بآيات كثيرة تدل على أن اللّه هو الخالق لأفعال العباد، وأنها داخلة تحت قدرته ومشيئته كما دخلت تحت علمه فمنها: قول اللّه تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾، [الزمر: ٦٢] وهذا عام لا يخرج عنه شيء من العالم، أعيانه وأفعاله وحركاته وسكناته، وليس مخصوصاً بذاته وصفاته، فإنه الخالق بذاته وصفاته وما سواه مخلوق له، واللفظ قد فرق بين الخالق والمخلوق، وصفاته سبحانه داخلة في مسمى اسمه، فإن اللّه سبحانه اسم للإله الموصوف بكل صفة كمال، المنزه عن كل صفة نقص ومثال، والعالم قسمان: أعيان وأفعال، وهو الخالق لأعيانه، وما يصدر عنها من الأفعال، كما أنه العالم بتفاصيل ذلك فلا يخرج شيء منه عن علمه، ولا عن قدرته، ولا عن خلقه ومشيئته.

ومنها: قول اللّه تعالى حكاية عن خليله إبراهيم عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿أتعبدون ما تنحتون واللّه

= خلقكم وما تعملون﴾ [الصافات: ٩٥ ـ ٩٦] أي عملكم «فما» مصدرية كما قدره بعضهم والاستدلال بها ظاهر، ولكن ليس بقوي، إذ لا تناسب بين إنكاره عليهم عبادة ما ينحتونه بأيديهم وبين إخبارهم؛ لأن اللّه خالق لأعمالهم من عبادة تلك الآلهة ونحتها وغير ذلك فالأَوْلى: أن تكون «ما» موصولة، أي: واللّه خلقكم وخلق آلهتكم التي عملتموها بأيديكم فهي مخلوقة له لا لآلهة شركاء معه، فأخبر أنه خلق معموله، وقد «خلق» عملهم وصنعهم، ولا يقال المراد مادته، فإن مادته غير معمولة لهم، وإنما يصير معمولاً بعد عملهم.
وقال بعضهم: لا مانع من جعل «ما» مصدرية لحصول الطباق مع المصدرية إذ المعنى: إنكم تعبدون منحوتاً تصيرونه بعملكم صنماً، والحال أن اللّه تعالى خلقكم وخلق عملكم الذي به يصير المنحوت صنماً، فإنهم لم يعبدوا الأصنام من حيث كونها حجارة، وإنما عبدوها من حيث أشكالها، فهم في الحقيقة، إنما عبدوا عملهم، وبذلك تقام عليهم الحجة بأنهم وعملهم مخلوقان للّه تعالى، فكيف يعبد المخلوق مخلوقاً مثله، مع أن المعبود كسب العابد وعمله.
ولكن ينبغي أن يجعل هذا المصدر بمعنى المعمول أي: المعنى الحاصل بالمصدر ليصح تعلق الخلق به، ثم تحمل الإضافة بمعونة المقام على الاستغراق، لأن المقام مقام التمدح، وإن كان أصل الإضافة للعهد ليتم المقصود إذ على تقدير: ألا تكون الإضافة للاستغراق يجوز أن يكون المراد ببعض المعمولات أمثال السرير بالنسبة إلى النجار فلا يتم المقصود، وهو إثبات أن جميع أفعال العباد، ومعمولاتهم مخلوقة له تعالى.
والرد على المعتزلة إذ لا خلاف لهم: في أن أمثال هذا المعمول من الجواهر مخلوقة له تعالى لا مدخل للعبد فيها، وإنما الخلاف فيما يقع بكسب العبد ويسند إليه، مثل الصوم، والصلاة، والزكاة، والأكل، والشرب، والقعود، ونحو ذلك:
قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلالاً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الجِبَالِ أَكْنَاناً وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الحَرَّ، وَسَرابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾، فأخبر سبحانه: أنه هو الذي جعل السرابيل، وهي الدروع والثياب المصنوعة ومادتها لا تسمى سرابيل إلا بعد صنع الآدميين لها، فإذا كانت مجعولة للّه فهي مخلوقة له بجملتها وصورتها ومادتها وهيئاتها، ونظير هذا قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَناً وجعل لكم من جُلُودِ الأَنْعَامِ بيوتاً تَسْتَخِفُّونَها يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيوم إِقَامَتِكُمْ﴾ [النحل: ٨٠].
فأخبر سبحانه: أن البيوت المصنوعة المستقرة والمتنقلة له، وهي إنما صارت بيوتاً بالصنعة الآدمية، ومنها قوله تعالى ـ حكاية عن خليله إبراهيم أنه قال: ﴿رب اجعلني مُقِيْمَ الصلاة ومن ذُرِّيَتِي﴾ [إبراهيم: ٤٠]، وقوله: ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً من النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِم﴾ [إبراهيم: ٣٧]، وقوله: ﴿وجَعَلنا في قلوب الذين اتَّبعوهُ رَأْفَةً ورحمةً، ورُهبَانِيَّةً﴾ [الحديد: ٧]، وقوله: ـ حكاية عن زكريا ـ أنه قال عن ولده: ﴿واجعله رب رضيًا﴾ [مريم: ٦]. ومن السنة قول النبي ﷺ: «اللّهم اجعلني لك شكّاراً، لك ذكّاراً، لك رهّاباً، لك مِطْواعاً، مُخْبِتاً إليك، أوّاهاً مُنِيباً».
فسأل ربه أن يجعله كذلك، وهذه كلها أفعال اختيارية، واقعة بقدرة اللّه خلقاً وبقدرة العبد كسباً.
احتج أهل الحق على أن العبد فاعل مختار بالمعقول، والمنقول، أما المعقول: فإن الإنسان لَيُدْرِك إدراكاً حسياً، ويعلم بضرورة العقل وبديهته، علماً لا يخالجه شك، ولا يداخله مرية، أن بين صحيح الأعضاء وبين من لا صحة لأعضائه فرقاً كبيراً، فإن صحيح الأعضاء بفعل القيام والعقود وسائر الحركات مختاراً غير مكره ولا يضطر ولكن سقيم الأعضاء لم يفعله أصلاً، فهذا الفرق يدل على أن العبد فاعل مختار، =

وقوله: ﴿إني ذاهب إلى ربي...﴾ الآية، قالتْ فرقة: كان قولُهُ هذا بَعْدَ خُرُوجِهِ مِنَ النَّارِ، وأنَّه أَشَارَ بِذَهَابِهِ إِلَىٰ هِجْرَتِهِ مِنْ [أَرْضِ][1] بَابِلَ؛ حَيْثُ كَانَتْ مملكةُ نُمْرُودَ، فَخَرَجَ إلى الشَّامِ، وقالت فِرْقَةٌ: قال هذه المقالةَ قَبْلَ أنْ يُطْرَحَ فِي النَّارِ؛ وإنما أراد لِقَاءَ اللَّهِ؛ لأنَّه ظَنَّ أنَّ النَّارَ سَيَمُوتُ فِيها، وقال: ﴿سيهدين﴾ أي: إلى الجَنَّةِ؛ نَحَا إِلَىٰ هذَا المَعْنَىٰ قتادةُ[2]، قال * ع[3] *: وللعارفينَ بهذَا الذَّهَابِ تَمَسُّكٌ واحْتِجَاجٌ في الصَّفَاءِ، وهُو مَحْمَلٌ حَسَنٌ في ﴿إني ذاهب﴾ وحْدَهُ، والتأويلُ الأولُ أظْهرُ في نَمَطِ الآيةِ، بما يأتي بَعْدُ؛ لأنَّ الهدايةَ مَعَهُ تَتَرَتَّبُ، والدُّعَاءُ في الوَلَدِ كذلك، ولاَ يَصِحُّ مَعَ ذَهَابِ المَوْتِ، وباقي الآيةِ تَقَدَّمَ قَصَصُهَا، وأَنَّ الراجحَ أنَّ الذَّبِيحَ هُوَ إِسْمَاعِيلُ، وذَكَرَ الطبريُّ[4] أنَّ ابن عباس قال: الذبيحُ، إسماعيل[5]، وتَزْعُمُ اليهودُ أنَّهُ إسْحَاقُ، وكَذَبَتِ اليهُودُ، وذُكِرَ أيضاً أنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ العزيزِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَجُلاً يهوديًا كانَ أَسْلَمَ وحَسُنَ إسلامُه، فَقَال: الذَّبِيحُ هُوَ إِسْمَاعِيلُ[6]، وإن اليهودَ لَتَعْلَمُ ذلكَ، ولكنهمْ يَحْسُدُونَكُمْ مَعْشَرَ العَرَبِ: أنْ تَكُونَ هٰذِهِ

= وإن كان الخالق لفعله هو الواحد القهار.
أما المنقول: قال الله تعالى: ﴿جزاءً بما كانوا يَعْملون﴾، ﴿لِمَ تقولون ما لا تَفْعَلون﴾ [الصف: ٢]، ﴿وعملوا الصَّالِحَاتِ﴾ [البقرة: ٢٥].
فقضى سبحانه وتعالى على أننا نعمل ونفعل، فالعبد مختار والله خالق، وقال تعالى: ﴿وفاكهةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُوْنَ﴾ [الواقعة: ٢٠] فهذا يدل على أن للإنسان اختياراً؛ لأن أهل الدنيا وأهل الجنة سواء، في أن الله تبارك وتعالى خالق أعمال العباد جميعاً.
ينظر: **«أفعال العباد»** لشيخنا عبد الرحمٰن إبراهيم ص: (٢) وما بعدها.

(١) سقط في: د.
(٢) ذكره ابن عطية في **«تفسيره»** (٤/ ٤٨٠).
(٣) ينظر: **«المحرر الوجيز»** (٤/ ٤٨٠).
(٤) ينظر: **«تفسير الطبري»** (١٠/ ٥١٣).
(٥) أخرجه الطبري في **«تفسيره»** (١٠/ ٥١٢) برقم: (٢٩٥٠٩)، وذكره البغوي في **«تفسيره»** (٤/ ٣٢)، وابن عطية في **«تفسيره»** (٤/ ٤٨١).
(٦) ذكره البغوي في **«تفسيره»** (٤/ ٣٢)، وابن عطية في **«تفسيره»** (٤/ ٤٨١)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٥/ ٥٣٠)، وعزاه لابن إسحاق، عن محمد بن كعب.
والحق أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام، وهو الذي يدل عليه ظواهر الآيات القرآنية، فلا عجب إن ذهب إليه جمهرة الصحابة والتابعين ومن بعدهم وأئمة الحديث منهم السادة العلماء: علي، وابن عمر، وأبو هريرة، وأبو الطفيل، وسعيد بن جبير، ومجاهد، والشعبي، والحسن البصري، ومحمد بن كعب القرظي، وسعيد بن المسيب، وأبو جعفر محمد الباقر، وأبو صالح، والربيع بن أنس، والكلبي، وأبو عمرو بن العلاء، وأحمد بن حنبل، وغيرهم وهو إحدى الروايتين عن ابن عباس وفي **«زاد المعاد»** لابن القيم: أنه الصواب عند علماء الصحابة والتابعين فمن بعدهم، وهذا الرأي هو المشهور عند العرب =

= قبل البعثة، وذكره أمية بن أبي الصلت في شعر له.
وقد نقل العلامة ابن القيم عن شيخه الإمام ابن تيمية في هذا كلاماً قوياً حسناً، أحببت نقل خلاصته لما فيه من الحجة الدامغة قال: «ولا خلاف بينهم ـ أي: النسابين ـ أن عدنان من ولد إسماعيل عليه السلام»، وإسماعيل هو الذبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين، ومن بعدهم.
وأما القول بأنه إسحاق فباطل بأكثر من عشرين وجهاً، وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية ـ قدس الله روحه يقول: «هذا القول إنما هو متلقى عن أهل الكتاب مع أنه باطل بنص كتابهم»، فإن فيه: «أن الله أمر إبراهيم أن يذبح ابنه بكره» وفي لفظ «وحيده»، ولا يشك أهل الكتاب مع المسلمين أن إسماعيل هو بكر أولاده. والذي غرَّ أصحاب هذا القول: أن في التوراة التي بأيديهم: «اذبح ابنك إسحاق» قال: وهذه الزيادة من تحريفهم، وكذبهم، لأنها تُناقض قوله: «اذبح بكرك ووحيدك»، ولكن اليهود حسدت بني إسماعيل على هذا الشرف، وأحبوا أن يكون لهم، وأن يسوقوه إليهم، ويحتازوه لأنفسهم دون العرب ويأبى الله إلا أن يجعل فضله لأهله، وكيف يسوغ أن يقال: إن الذبيح إسحاق؟ والله تعالى قد بشر أم إسحاق به، وبابنه يعقوب فقال تعالى ـ حكاية لقول الملائكة لإبراهيم لما أتوه بالبشرى: ﴿لاَ تَخَفْ إنا أُرْسِلْنَا إلى قوم لوط * وامرأَتُهُ قائمةٌ فَضَحِكَتْ فبشرناها بإسحاق ومن وَرَاء إسحاق يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧٠ ـ ٧١].
فمحالٌ أن يبشرها بأن يكون لها ولد ثم يأمر بذبحه، ولا ريب أن يعقوب عليه السلام داخل في البشارة، فتناول البشارة لإسحاق ويعقوب في اللفظ واحد، ويدل عليه أيضاً أن الله سبحانه ذكر قصة إبراهيم وابنه الذبيح في سورة الصافات (الآيات: ١٠٣، ١١١].
ثم قال تعالى: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بإسحاقَ نبيًا من الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات: ١١٢] فهذه بشارة من الله تعالى له: شكراً على صبره على ما أمر به، وهذا ظاهر جداً في أن المبشر به غير الأول، بل هو كالنص فيه.
وأيضاً فلا ريب أن الذبيح كان بمكة، ولذلك جعلت القرابين يوم النحر بها، كما جعل السعي بين الصفا والمروة، ورمي الجمار تذكيراً لشأن إسماعيل وأمه، وإقامة لذكر الله، ومعلوم أن إسماعيل وأمه هما اللذان كانا بمكة، دون إسحاق وأمه، ولهذا اتصل مكان الذبح وزمانه بالبيت الحرام الذي اشترك في بنائه إبراهيم وإسماعيل، وكان النحر بمكة من تمام حج البيت الذي كان على يد إبراهيم وابنه إسماعيل، زماناً ومكاناً، ولو كان الذبح بالشام ـ كما يزعم أهل الكتاب ومن تلقى عنهم، لكانت القرابين والنحر بالشام لا بمكة.
وأيضاً فإن الله سبحانه وتعالى سمى الذبيح حليماً، لأنه لا أحلم ممن أسلم نفسه للذبح طاعةً لربه، ولما ذكر إسحاق سماه عليماً، فقال تعالى: ﴿هل أتاك حديثُ ضَيْفِ إبراهيم المُكْرَمين * إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال سَلاَمٌ قومٌ مُنكَرونَ﴾... إلى أن قال: ﴿قالوا لا تخف وبشَّروه بغلامٍ عليم﴾ [الذاريات: ٢٤ ـ ٢٨].
وهذا إسحاق بلا ريب، لأنه من امرأته، وهي المبشَّرة، وأما إسماعيل فمن السرية ـ يعني: هاجر ـ وأيضاً فلأنهما بُشِّرَا بِهِ على الكبر، واليأس من الولد، وهذا بخلاف إسماعيل فإنه ولد قبل ذلك.
وأيضاً فإن سارة امرأة الخليل ﷺ غارت من هاجر وابنها أشد الغيرة فإنها كانت جارية. فلما ولدت إسماعيل وأحبه أبوه اشتدت غيرة سارة فأمر اللهُ سبحانه أن يُبعدَ عنها هاجر وابنها، ويسكنها في أرض مكة، لتبرد عن سارة حرارة الغيرة، وهذا من رحمة الله تعالى بها ورأفته وإبعاده الضرر عنها، وجبره=

الآيَاتُ وَالْفَضْلُ وَاللَّهِ في أَبِيكُمْ، والسَّعْيُ في هذه الآيةِ: العَمَلُ والعبادةُ والمَعُونَةُ، قاله ابن عَبَّاسٍ[١] وغيرُهُ، وقال قتادةُ: السَعْيُ على القَدَمِ يريدُ سَعْياً مُتَمَكِّناً[٢]، وهذا في المعنَىٰ نَحْوُ الأَوَّلِ.

وقوله: ﴿إِنِّي أَرَى في المنام...﴾ الآية، يُحْتَمَلُ أَنْ يكونَ رَأَىٰ ذلِكَ بِعَيْنِهِ؛ ورُؤيا الأنبياءِ وَحْيٌ، وعُيِّنَ لَهُ وقتُ الامْتِثَالِ، ويُحْتَمَلُ أَنَّه أُمِرَ في نومِه بِذَبْحِهِ، فَعبَّر عَنْ ذلكَ بقوله: ﴿إني أرى﴾ أي: أرى ما يوجبُ أنْ أذْبَحَكَ، قال ابن العَرَبِيِّ في «**أحكامه**»[٣]: واعلم أن رُؤيا الأنبياءِ وَحْيٌ فَمَا أُلْقِيَ إليهم، ونَفَثَ بِهِ المَلَكُ في رُوعِهِمْ، وضَرَبَ المثَلَ لَه عَلَيْهِم ـ فَهُو حَقٌّ؛ ولذلكَ قَالَتْ عَائِشَةُ: وَمَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّهُ يُنْزلُ فِيَّ قُرْآنٌ يُتْلَىٰ، ولٰكِنِّي رَجَوْتُ أَنْ يَرَىٰ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللَّهُ بِهَا، وَقَدْ بَيَّنَّا حقيقةَ الرُّؤيا، وأن البَارِيَ ـ تعالىٰ ـ يَضْرِبُهَا مثَلاً للناسِ، فمنها أسماءٌ وكُنَى، ومنها رُؤْيَا تَخْرُجُ بِصِفَتِهَا، ومنها رُؤيا تَخْرُجُ بتأويلٍ، وهُوَ كُنْيَتُهَا. ولما اسْتَسْلَمَ إبراهيمُ وولدُه إسماعيلُ ـ عليهما السلام ـ لقضاءِ اللَّهِ، أُعْطِيَ إبراهيمُ ذَبِيحاً فِدَاءً، وقيل له: هذا فداءُ وَلَدِكَ، فامْتَثِلْ فِيه مَا رَأَيْتَ؛ فإنَّه حقيقةُ مَا خاطبناك/ فيه، وهُو كِنَايَةٌ لاَ اسْمٌ، وجَعَلَهُ مُصَدِّقاً للرؤيا بمبادَرةِ الامْتِثَال، انتهى. ١٩٢أ

= لها، فكيف يأمر بعد هذا بذبح ابنها دون ابن الجارية؟!! بل حكمته البالغة اقتضت أن يأمر بذبح ولد السرية فحينئذٍ يرق قلب السيدة عليها وعلى ولدها، وتتبدل قسوة الغيرة رحمة، ويظهر لها بركة الجارية وولدها، وأن اللّه لا يضيع بيتاً هذه وابنها منهم، وليُرِيَ عباده جَبْرَه بعد الكسر، ولُطْفَهُ بعد الشدة، وأن عاقبة صبر هاجر وابنها على البعد والوحدة والغربة والتسليم إلى ذبح الولد ـ آلت إلى ما آلت إليه من جعل آثارهما ومواطىء أقدامهما مناسك لعبادة المؤمنين، ومتعبداً لهم إلى يوم القيامة بذلة وانكسار.

ثم أيهما أشد وقعاً على النفس وأعظم بلاء: أن يؤمر إبراهيم بذبح إسحاق وله ولد آخر يجد فيه إبراهيم بعض المعوض عن الابن المذبوح؟ أم يؤمر بذبح ولده ووحيده وبكره الذي رُزِقه على كبر، وأتى بعد طول انتظار وشدة اشتياق ولم يكن هناك بارقة أمل في أن يرزق إبراهيم بولد بعده؟.

إن اللّه تعالى قد وصف واقعة الذبح هذه بأنها البلاء المبين أي: الابتلاء والاختبار المبين الذي يتميز فيه المخلص من غيره، ولا ينطبق هذا الوصف ولا يتحقق هذا البلاء إلا إذا كان الذبيح هو إسماعيل الابن الوحيد البكر.

(١) أخرجه الطبري في «**تفسيره**» (١٠/ ٥٠٦) برقم: (٢٩٤٦٩) بلفظ: العمل، وذكره ابن عطية في «**تفسيره**» (٤/ ٤٨١) عن ابن عباس، ومجاهد، وابن زيد، وذكره السيوطي في «**الدر المنثور**» (٥/ ٥٢٧)، بلفظ: العمل، وعزاه لابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٢) ذكره ابن عطية في «**تفسيره**» (٤/ ٤٨١).

(٣) ينظر: «**أحكام القرآن**» (٤/ ١٦١٧).

٤٤ ـــــــ

وكما تقول: سَقَطَ لِشِقِّهِ الأَيْسَرِ، والجَبِينانِ: ما اكْتَنَفَ الجَبْهَةَ مِنْ ههنا، ومن ههنا، و«أَنْ» من قوله: ﴿أَنْ يَا إِبراهيم﴾ مُفَسِّرَةٌ لاَ مَوْضِعَ لَهَا مِنَ الإِعْرَابِ، و﴿صَدَّقْتَ الرؤيا﴾ يحتملُ أنْ يريدَ بقَلْبِكَ أو بِعَمَلِكَ، و«الرؤيا» اسمٌ لِمَا يُرَىٰ مِن قِبَلِ اللَّهِ ـ تعالى ـ، والمَنَامُ والحُلْمُ: اسمٌ لما يُرَىٰ منْ قِبَلِ الشَّيْطَانِ؛ ومنه الحديث الصحيح: «الرُّؤْيَا مِنَ اللَّهِ، والحُلْمُ مِنَ الشَّيْطَانِ»، و﴿البلاء﴾: الاخْتِبَارُ، والذَّبْحُ العظيمُ» في قول الجمهور: كَبْشٌ أَبْيَضُ أَعْيَنُ، وَجَدَهُ وَرَاءَهُ مَرْبُوطاً بسَمُرَةٍ، وأَهْلُ السُّنَّةِ عَلَىٰ أَنَّ هذه الْقِصَّةَ نُسِخَ فيها العَزْمُ على الْفِعْلِ؛ خلافاً للمعتزلة، قال أحمد بن نَصْرٍ الداوودي: وإنْ نَسَخَ اللَّهُ آيَةً قَبْلَ العَمَلِ بِهَا؛ فإنَّما يَنْسَخُها بَعْدَ اعْتِقَادِ قَبُولِها وهُوَ عَمَلٌ انتهى من تفسيره عند قوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾ [البقرة: ١٠٦]، قال * ع[1] *: ولا خلافَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ أَمَرَّ الشَّفْرَةَ عَلَىٰ حَلْقِ ٱبْنِهِ فَلَمْ تَقْطَعْ، والجمهورُ أَنَّ أَمْرَ الذَّبحِ كانَ بِمِنًى، وقال الشَّعْبِيُّ: رَأَيْتُ قَرْنَيْ كَبْشٍ إِبْرَاهِيمَ مُعَلَّقَتَيْنِ في الكَعْبَةِ[2]، وَرَوَىٰ عِمْرَانُ بنُ حُصَيْنٍ: أَنَّ النبيَّ ﷺ قال: «يَا فَاطِمَةُ، قُومِي لِأُضْحِيَتِكِ، فَٱشْهَدِيهَا؛ فَإِنَّهُ يُغْفَرُ لَكِ عِنْدَ أَوَّلِ قَطْرَةٍ مِنْ دَمِهَا كُلُّ ذَنْبٍ عَمِلْتِيهِ، وَقُولِي: إِنَّ صَلاَتِي ونُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، لاَ شَرِيكَ لَه وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ المُسْلِمِينَ» قال عِمْرَانُ: قلت: يا رسُولَ اللَّهِ، هَذَا لَكَ وَلِأَهْلِ بَيْتِكَ خَاصَّةً، أَمْ لِلْمُسْلِمِينَ عَامَّةً؟ قَال: «لاَ، بَلْ لِلْمُسْلِمِينَ عَامَّةً» رواه الحاكم في **«المستدرك»**[3] انتهى من **«السِّلاَح»**.

وقوله تعالى: ﴿وظالم لنفسه﴾ توعُّد لمنْ كَفَرَ من اليهودِ بمحمَّد ـ عليه السلام ـ، و﴿الكتاب المستبين﴾: هو التوراةُ، قال قتادة وابن مَسْعُود: إِلْيَاسُ: هو إدريسُ ـ عليه

= والحديث أخرجه البخاري (١٠/ ٨٩) كتاب «الأشربة» باب: هل يستأذن الرجل عن يمينه في الشرب ليعطي الأكبر، رقم: (٥٦٢٠)، (٥/ ١٢٣) كتاب «المظالم» باب: إذا أذن له أو أحله ولم يبين كم هو، (٢٤٥١)، (٦/ ٢٦٧) كتاب «الهبة» باب: الهبة المقبوضة وغير المقبوضة، والمقسومة وغير المقسومة (٢٦٠٥)، ومسلم (٣/ ١٦٠٤) كتاب «الأشربة» باب: استحباب إدارة الماء واللبن ونحوهما، عن يمين المبتدىء (١٢٧/ ٢٠٣٠)، ومالك في **«الموطأ»** (٢/ ٩٢٦، ٩٢٧) كتاب «صفة النبي ﷺ» (١٨)، وأبو داود الطيالسي (١/ ٣٣٢) كتاب «الأشربة» باب: إيثار من على اليمين بالشرب برقم: (١٦٨١)، والبيهقي في **«السنن الكبرى»** (٧/ ٢٨٦) كتاب «الصداق» باب: الأيمن فالأيمن في الشرب، وأحمد (٥/ ٣٣٣)، والطبراني (٦/ ١٧٠) (٥٨٩٠).

(١) ينظر: **«المحرر الوجيز»** (٤/ ٤٩١).

(٢) أخرجه الطبري في **«تفسيره»** (١٠/ ٥١٣) برقم: (٢٩٥٢٢)، وذكره ابن عطية في **«تفسيره»** (٤/ ٤٨٣).

(٣) أخرجه الحاكم في **«المستدرك»** (٤/ ٢٢٢)، كتاب «الأضاحي».

قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

قال ابن أبي حاتم في **«العلل»** (٢/ ٣٨، ٣٩) برقم: (١٥٩٦) ـ قال: منكر.

السلام ـ[١]، وقالت فرقة: هو مِنْ وَلَدِ هَارُونَ، **وقرأ** نافِع وابن عامِر: «عَلَىٰ آلِ يَاسِينَ»، **وقرأ** الباقون: «عَلَىٰ إِلْيَاسِينَ» ـ بألفٍ مكسورةٍ ولام ساكنةٍ[٢] ـ، فَوُجِّهَتِ الأولَىٰ؛ علَىٰ أنها بمعنى: «أهْل»، و«ياسِينُ»: اسمُ لإلياسَ، وقيلَ: هو اسم لمحمَّد ـ عليه السلام ـ، ووُجِّهَتِ الثانيةُ علَىٰ أنَّها جَمْعُ «إِلْيَاسِيٍّ»، **وقرأ** ابن مسعود والأعمش: «وإِنَّ إِدْرِيسَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ، وَسَلاَمٌ عَلَىٰ إِدْرِيسِينَ»، قال السُّهيليُّ: قال ابن جِنِّيْ: العربُ تتلاعبُ بالأسماءِ الأعجميةِ تلاعباً؛ فـ «ياسين»، و«إلياسُ» و«اليَاسِينُ» شيءٌ واحدٌ، انتهى.

* ت *: وحكى الثعلبيُّ هنا حكايةً عَنْ عَبْدِ العزيزِ بْنِ أبي رواد، عن رجلٍ لَقِي إلياسَ في أيَّام مَرْوانَ بن الحَكَم، وأخبَرَهُ بعَدَدِ الأبْدَالِ وعَن الخَضِرِ في حكايةٍ طويلةٍ لا ينبغي إنكارُ مثلها؛ فأولياءُ اللَّهِ يُكاشَفُونَ بِعَجَائِبَ، فلا يُحْرَمُ الإنْسَانُ التَّصْدِيقَ بِهَا، جعلنَا اللَّه مِنْ زُمْرَةِ أوليائه، انتهى.

﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾

وقوله: ﴿أتدعون بعلاً﴾ معناه: أتعْبُدُون، قَال الحسن والضَّحَّاك وابن زيد: بَعْلٌ: اسمُ صَنَم: كانَ لَهُمْ، ويقال له: بَعْلَبَك[٣]، وذكر ابنُ إسحاقٍ عن فرقة: أَنَّ بَعْلاً اسْمُ امرأةٍ كَانَتْ أَتَتْهُمْ بضلالةٍ، **وقرأ** حمزة والكسائي وعاصم: «اللَّهَ ربَّكم وربَّ آبائكم»[٤] كلُّ ذلك

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٢٠) برقم: (٢٩٥٦٩) عن قتادة وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٣٦) عن ابن مسعود، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٨٣) والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٣٧)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن عساكر عن ابن مسعود، ولعبد بن حميد عن قتادة.

(٢) ينظر: «السبعة» (٥٤٨ ـ ٥٤٩)، و«الحجة» (٦/ ٥٩)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٢٤٩)، و«معاني القراءات» (٢/ ٣٢٢)، و«شرح الطيبة» (٥/ ١٨٤)، و«العنوان» (١٦٢)، و«حجة القراءات» (٦١٠)، و«شرح شعلة» (٥٦٣)، و«إتحاف» (٢/ ٤١٤).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٢١) برقم: (٢٩٥٧٦) عن الضحاك، وبرقم: (٢٩٥٧٧) عن ابن زيد، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٨٤) وزاد نسبته للحسن.

(٤) ينظر: «السبعة» (٥٤٩)، و«الحجة» (٦/ ٦٣)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٢٥١)، و«معاني القراءات» (٢/ ٣٢١)، و«شرح الطيبة» (٥/ ١٨٧)، و«العنوان» (١٦٢)، و«حجة القراءات» (٦١٠)، و«شرح شعلة» (٥٦٤)، و«إتحاف» (٢/ ٤١٥).

بالنَّصبِ بَدَلاً مِن قوله: ﴿أحسنَ الخالقين﴾ **وقرأ** الباقونَ كلَّ ذلكَ بالرفعِ على القَطْعِ والاستئناف، والضميرُ في ﴿كذَّبوه﴾ عائِدٌ على قومِ إلياسَ، و﴿محضرون﴾ معناه: مَجْمُوعُونَ لعذابِ اللَّهِ.

وقوله تعالى: ﴿وإنكم لتمرون عليهم﴾ مخاطبةٌ لقريشٍ، ثم وبَّخَهُمْ بقوله: ﴿أفلا تعقلون﴾.

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وإن يونس...﴾ الآية/ هو يونُسُ بن مَتَّى ﷺ، وهُو مِنْ بنِي إسرائيل. ٩٢ ب

وقوله تعالى: ﴿إذ أبق...﴾ الآية، وذلك أنه لما أخْبَرَ قَوْمَهُ بِوقْتِ مجيءِ العذَابِ، وغَابَ عَنْهُمْ، ثم إنَّ قَوْمَهُ لَما رَأَوْا مَخَايِلَ العَذَابِ أنابُوا إلى اللَّهِ، فَقبلَ تَوْبَتَهُمْ، فلَمّا مَضَى وقتُ العَذَابِ، وَلَمْ يُصِبْهُمْ، قال يونسُ: لا أرْجِعُ إليهمْ بِوَجْهِ كَذَّابٍ، ورُوِي أنَّه كَانَ في سيرَتِهِمْ أَنْ يَقْتُلُوا الكَذَّابَ فَأَبقَ إلى الْفُلْكِ، أيْ: أَرَادَ الهُرُوبَ، ودَخَلَ في البَحْرِ، وعبَّر عَنْ هُرُوبِهِ بالإِباقِ مِنْ حَيْثُ [إنَّه] فَرَّ عَنْ غَيْرِ إذْنِ مولاهُ، فَرُوِيَ عَنِ ابنِ مسعودٍ؛ أنه لمَّا حَصَلَ في السفينةِ، وأبْعَدَتْ في البحرِ، رَكَدَتْ وَلَمْ تَجْرِ؛ وغيرُها من السُّفُن يجري يميناً وشِمالاً، فقال أهلها إنَّ فينا لصَاحبَ ذَنْبٍ وَبِهِ يَحْبِسُنَا اللَّهُ تعالَىٰ، فقالُوا: لِنَقْتَرِعْ، فأَخَذُوا لِكُلِّ وَاحِدٍ سَهْماً، وَاقْتَرَعُوا، فَوَقَعَتِ القُرْعَةُ عَلى يونُسَ، ثَلاثَ مراتٍ، فَطَرَحَ حينَئِذٍ نَفْسَهُ، والْتَقَمَهُ الحُوتُ[1]، ورُوي أَنَّ اللَّهَ تعالى أَوْحَى إلى الحوتِ أَني لَمْ أَجْعَلْ يُونُسَ لَكَ رِزْقاً، وإنما جَعَلْتُ بَطْنَكَ لَه حِرْزاً وسِجْناً، فهذا مَعْنَىٰ ﴿فساهَمَ﴾.

والمُدْحَضُ: المغلوبُ في مُحَاجَّةٍ أوْ مَسَاهَمَةٍ، وعبارةُ ابنِ العَرَبِيِّ في **«الأحكام»**[2]: «وأوْحَى اللَّه تعالَىٰ إلى الحُوتِ: إنا لَمْ نَجْعَلْ يونُسَ لَكَ رِزْقاً، وإنما جعلنا بَطْنَكَ له مَسْجِداً» الحديثَ، انتهى، ولَفْظَةُ «مَسْجِدٍ»: أَحْسَنُ من السِّجْنِ، فَرَحِمَ اللَّهُ عَبداً لَزِمَ الأَدَبَ لا سِيَّمَا مَعَ أَنْبِيَائِهِ وأَصْفِيائِه، والـ«مُلِيمُ»: الَّذِي أَتَى مَا يُلاَمُ عَلَيه؛

---

(١) ذكره البغوي في **«تفسيره»** (٤/ ٤٢) عن ابن عباس ووهب، وذكره ابن عطية في **«تفسيره»** (٤/ ٤٨٥) عن ابن مسعود.

(٢) ينظر: **«أحكام القرآن»** (٤/ ١٦٢٢).

وبذلك فَسَّر مجاهدٌ وابنُ زيد[١].

﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿فلولا أنه كان من المسبحين﴾ قيل: المرادُ: القائلينَ: سُبْحَانَ اللَّهِ في بَطْنِ الحُوتِ؛ قاله ابن جُرَيْجٍ[٢]، وقالتْ فِرْقَةٌ: بَلِ التَّسْبِيحُ هنا الصَّلاَةُ، قال ابن عبَّاس وغَيْره: صَلاَتُهُ في وَقْتِ الرَّخَاءِ نَفَعَتْهُ في وَقْتِ الشِّدَّةِ[٣]؛ وقال هذا جماعةٌ من العلماءِ، وقال الضَّحَّاك بن قَيْس على مِنْبَرِهِ: اذْكُرُوا اللَّه؛ عباد اللَّه؛ في الرَّخَاءِ يَذْكُرْكُمْ في الشِّدَّةِ، إن يُونَسَ كانَ عَبْداً للَّهِ ذَاكِراً له، فَلَمَّا أصابَتْهُ الشِّدَّةُ نَفَعُه ذلك، قالَ اللَّهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿فلولا أنه كان من المسبحين * للبث في بطنه إلى يوم يبعثون﴾، وإن فرعونَ كانَ طَاغِياً بَاغِياً فَلَمَّا أدْرَكَهُ الغَرَقُ، قَال: آمَنْتُ، فَلَمْ يَنْفَعْهُ ذلكَ، فَاذْكُروا اللَّهَ في الرَّخَاءِ يَذْكُرْكُمْ في الشِّدَّةِ[٤]، وقال ابن جُبَيْرٍ: الإشارَةُ بقولِهِ: ﴿من المسبحين﴾ إلى قوله: ﴿لاَ إِلَٰهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[٥] [الأنبياء: ٨٧].

﴿۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿فنبذناه بالعراء...﴾ الآية، «العَرَاءُ»: الأرْضُ الفيحاءُ التي لاَ شَجَرَ فيها ولاَ مَعْلَمَ، قال ابن عباس وغيره في قوله: ﴿وهو سقيم﴾: إنَّه كالطفلِ المَنْفُوسِ، بُضْعَةُ لَحْمٍ[٦]، وقال بعضهم كاللَّحْمِ النَّيْءِ، إلاَّ أنَّه لَمْ يَنْقُصْ مِنْ خَلْقِهِ شَيْءٌ، فأنْعَشَهُ اللَّهُ في ظِلِّ اليَقْطِينَةِ بِلَبَنِ أُرْوِيَّةٍ [كَانَتْ تُغَادِيه وتُراوِحُهُ، وقيل: بلْ كَانَ يَتَغَذَّىٰ من اليَقْطِينَةِ،

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/٥٢٧) برقم: (٢٩٥٩٦) عن مجاهد، وبرقم: (٢٩٥٩٨) عن ابن زيد بلفظ: مذنب، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/٤٣)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/٤٨٦) عنهما، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/٥٤٢)، وعزاه لعبد بن حميد عن مجاهد.

(٢) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/٤٨٦).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/٥٢٨) برقم: (٢٩٦٠٠) عن قتادة، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/٤٨٦) عن ابن عباس، وقتادة، وأبي العالية، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/٥٤٣)، وعزاه لأحمد، وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/٥٢٨) برقم: (٢٩٦٠٦)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/٤٨٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/٥٤٣)، وعزاه لابن أبي شيبة.

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/٥٢٩) برقم: (٢٩٦٠٨)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/٤٣).

(٦) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/٥٢٩) برقم: (٢٩٦١٤) عن السدي، ورقم: (٢٩٦١٥) عن ابن عباس، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/٤٨٦)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/٢١).

ويجدُ منها ألوانَ الطَّعَام وأنواعَ[(١)] شهواتِه، قال ابن عبَّاس وأبو هريرة وعمرو بن مَيمُونٍ: اليقطين: القَرْعُ خَاصَّة[(٢)]، وقيل، كُلُّ مَا لاَ يَقُومُ على ساقٍ كَالبَقُولِ والقَرْعِ والبطِّيخِ ونحوِه مما يَمُوتُ؛ من عَامِهِ، ومشهورُ اللُّغَةِ أنَّ اليقطينَ هو القَرْعُ، فَنَبَتَ لَحْمُ يونُسَ ـ عليه السلام ـ وصَحَّ، وحَسُنَ لَوْنُهُ، لأنَّ وَرَقَ القَرْعِ أنْفَعُ شيءٍ لِمَنْ تَسَلَّخَ جِلْدُهُ، وهُوَ يَجْمَعُ خِصَالاً حميدةً، بَرْدُ الظِّلِّ [ولِينُ] المَلْمَسِ، وأنَّ الذُّبَابَ لاَ يقربُها، حكى النَّقَّاشُ أن مَاءَ وَرَقِ القَرْعِ إذا رُشَّ به مَكانٌ، لَمْ يَقْرَبْهُ ذُبَابٌ، ورُوِيَ أنَّهُ كان يوماً نائِماً، فأيْبَسَ اللَّهُ تِلْكَ اليَقْطِينَةَ، وقيل: بَعَث عَلَيها الأَرَضَةَ فَقَطَعَتْ وَرَقَها، فانْتَبَهَ يُونُسُ لِحَرِّ الشَّمْسِ، فَعَزَّ عَلَيْه شَأنُها، وجَزِعَ لَه؛ فأوحَى اللَّهُ إلَيْهِ: يا يونُسُ، جَزِعْتَ لِيُبْسِ الْيَقْطِينَةِ، وَلَمْ تَجْزَعْ لإهْلاكِ مِائَةِ ألفٍ أو يَزِيدُونَ تَابُوا فَتُبْتُ عَلَيْهِمْ.

﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُواْ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون﴾ قال الجمهور: إنَّ هذه الرسالةَ هي رِسالتهُ الأولى ذكرَها اللَّهُ في آخر القَصَصِ، وقال قَتَادَةُ وغيره: هذه رسالةٌ أُخْرَى بَعْدَ أنْ نُبِذَ بالعراء، وهي إلى أهل «نِينَوَىٰ» من ناحِيةِ المَوْصِلِ[(٣)]، **وقرأ** الجمهور[(٤)]: «أو يزيدون» فقال ابن عباس: «أو» بمعنى «بل»[(٥)] ورُوِي عَنْه أنه[(٦)] **قرأ**: «بل يزيدون»/ وقالت فرقة: «أو» هنا بمعنى الواو، **وقرأ** جعفر بن محمد[(٧)]: «ويزيدون» وقال المُبَرِّدُ، وكثيرٌ مِنَ

١٩٣أ

---

(١) سقط في: د.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٣٠) برقم: (٢٩٦٢١) عن ابن عباس، وبرقم: (٢٩٦٢٢) عن عمرو بن ميمون، وبرقم: (٢٩٦٢٥) عن أبي هريرة بلفظ: الشجرة الدُّبَّاء، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٤٣)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٨٧)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢١)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٤٦)، وعزاه لابن جرير من طريق ابن قسيط عن أبي هريرة، ولابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن مسعود.

(٣) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٨٧) عن ابن عباس، وقتادة.

(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٤٨٧)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣٦٠).

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٣١)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٨٧)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٢).

(٦) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٤٨٧).

(٧) ينظر: «المحتسب» (٢/ ٢٢٦)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٤٨٧)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣٦٠).

البَصْرِيِّين: قوله: ﴿أو يزيدونَ﴾ المعنى: على نَظَرِ البَشَرِ وحَزْرِهم، أي: من رآهم قال: مائة ألف أو يزيدون، ورَوَىٰ أُبَيُّ بنِ كَعْبٍ عن النبيِّ ﷺ أَنَّهُمْ كانوا مائةً وعشرينَ ألفاً.

* ت *: وعبارة أحمد بن نَصْرٍ الدَّاوودِي: وعن أبي بن كَعْب قال: سألتُ النَّبيَّ ﷺ عن الزيادتين: ﴿الحسنى وزيادة﴾ [يونس: ٢٦]، ﴿وأرسلناه إلى مائة ألف أوْ يزيدون﴾ قال يزيدون عشرين ألفاً، وأحسبه قال: الحسنى: الجنة، «والزيادة» النظرُ إلى وجهِ اللَّه ـ عز وجل[1] ـ، انتهى، وفي قوله: ﴿فآمنوا فمتعناهم إلى حين﴾ مثالٌ لقريشٍ إنْ آمنوا، ومنْ هنا حَسُنَ انتقالُ القَوْلِ والمحاوَرَةِ إِلَيْهِم بقوله: ﴿فاستفتهم﴾؛ فإنما يعود على ضميرِهم، على ما في المعنى من ذِكْرِهِمْ، والاستفتاءُ: السؤال؛ وهو هنا بمعنى التَّقريعِ والتَّوْبيخِ في جعلهمُ البَنَاتِ للَّه، تعالى اللَّهُ عَنْ قولِهِمْ، ثم أخبر [اللَّهُ] تعالى عن فرقةٍ منهم بلغَ بِها الإِفْكُ والكَذِبُ إلى أَنْ قالتْ: ولدَ اللَّهُ الملائكةَ؛ لِأَنَّه نَكَحَ في سَرَوَاتِ الجِنِّ، تعالَى اللَّهُ عن قولِهِم، وهذه فرقةٌ، مِنْ بَنِي مُدْلِجٍ فيما رُوِيَ، **وقرأ** الجمهور[2]: «أَصْطَفَى البَنَاتِ» بهمزةِ الاسْتفهامِ عَلَى جهةِ التَّقْرِيعِ[3] والتوبيخِ.

﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وجعلوا بينه وبين الجِنة نسباً﴾ الجِنَّةُ هنا: قيل: همُ الملائِكَةُ: لأنها مُسْتَجِنَّةٌ، أي: مُسْتَتِرَةٌ، وقيل: الجِنَّةُ همُ الشياطينُ، والضميرُ في ﴿جعلوا﴾ لِفِرْقَةٍ من كفارِ قريشٍ والعَرَبِ، ﴿ولقد علمتِ الجِنَّةُ إنهم لمحضرون﴾ أي: سَتَحْضُرُ أَمْرَ اللَّهِ وثوابَه وعقابَه، ثم نَزَّهَ ـ تعالى ـ نفسَه عما يصِفُهُ الكفرةُ، ومِنْ هَذا استثْنَىٰ عبادَه المُخْلَصِينَ؛ لأَنَّهُمْ يَصِفُونَهُ بِصِفَاتِهِ العُلاَ، وقالت فرقة: اسْتَثْنَاهُمْ من قولِه: ﴿لمحضرون﴾ وعبارةُ الثعلبي:

---

(١) ورد سؤال أبيّ بن كعب عن قوله تعالى: ﴿وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون﴾ فقال: يزيدون عشرون ألفاً، وذلك في حديث: أخرجه الترمذي (٥/ ٣٦٥) كتاب «تفسير القرآن» باب: ومن سورة الصافات برقم: (٣٢٢٩).
قال الترمذي: هذا حديث غريب.
أما الزيادة الثانية، وهي التي في قوله تعالى: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ فالحديث: أخرجه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٥١) برقم: (١٧٦٤٨)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٥٤٧) تفسير سورة يونس: آية رقم (٢٦)، وعزاه إلى ابن أبي حاتم، والدارقطني، وابن مردويه واللالكائي، والبيهقي في كتاب «الرؤية» عن أُبَيّ بن كعب أنه سأل رسول اللَّه ﷺ عن ذلك.

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٤٨٨)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣٦١)، و«الدر المصون» (٥/ ٥١٤).

(٣) في د: التقرير.

﴿ولقد علمت الجنة﴾ أي: الملائكة أنَّ قائِلي هذه المقالةِ مِنَ الكفرةِ ﴿لمحضرون﴾ في النَّارِ، وقيل للحسابِ، والأولُ أوْلَى لأنَّ الإحْضَارَ متَى جَاء في هذه الصُّورة عُنِيَ بهِ العذابُ ﴿إلا عباد اللَّه المخلصين﴾ فإنَّهُمْ ناجُونَ مِنَ النَّار، انتهى، وفي البخاريِّ ﴿لمحضرون﴾ أي: سيُحْضَرُونَ للحِسَابِ، انتهى.

﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿فإنكم وما تعبدون﴾ بمعنى: قل لهم يا محمد، إنَّكم وأصنَامَكم مَا أَنْتُم بمضلِّينَ أَحَداً بسبَبِها وَعَلَيْهَا إلاَّ مَنْ قَدْ سَبَقَ عليه القضاءُ؛ فإنَّه يَصْلَى الجَحِيمَ في الآخرةِ ولَيْسَ لَكُمْ إضْلالُ مَنْ هَدَى اللَّهُ تعالى، وقالت فرقة: ﴿عليه﴾ بمعنى: «به» والفَاتِنُ: المُضِلُّ في هذا الموضعِ؛ وكذلك فسَّره ابن عَباس وغيره[1]، وحذفت اليَاءُ مِنْ ﴿صَالِ﴾ للإضَافةِ.

ثم حكى ـ سبحانه ـ قولَ الملائِكَةِ ﴿وما مِنَّا إلا له مقام معلوم﴾؛ وهذا يؤيِّدُ أَن الجِنَّةَ أرادَ بِها الملائِكةَ، وتقديرُ الكلامَ وما منا مَلَكٌ، وَرَوَتْ عَائِشَةُ ـ رضي اللَّه عنها ـ عَن النبيِّ ﷺ: «أَنَّ السَّمَاءَ مَا فِيها مَوْضِعُ قَدَمٍ إلاَّ وَفِيهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ أَوْ وَاقِفٌ يُصَلِّي»، وَعَنِ ابنِ مَسْعُودٍ وغَيرِه نَحْوُه[2].

﴿والصَّافُّونَ﴾ معناه: الواقِفُونَ صفوفاً، و﴿المُسَبِّحُونَ﴾، يحتملُ أن يريدَ بِه الصَّلاَةَ، ويحتملُ أنْ يريدَ قَولَ: سبحَان اللَّهِ، قال الزَّهْرَاوِيُّ: قيل: إن المسْلِمِينَ إنما اصْطَفُّوا في الصلاةِ؛ مُذْ نَزَلَتْ هذهِ الآيةُ، ولا يصطفُّ أَحَدٌ من أهلِ المِلَلِ غَيْرُ المسلِمينَ، ثمَّ ذكرَ تعالىٰ مَقَالَةَ بَعْضِ الكفارِ، قال قتادةُ وغيرُه: فإنهم قَبل نبُوَّةِ نبيِّنا محمد ﷺ، قالوا: لو كَانَ لَنَا كتابٌ أو جاءَنا رسولٌ، لَكُنا عِبَادَ اللَّهِ المخْلَصِينَ، فلما جَاءهم محمَّدٌ كَفرُوا به، فَسَوْفَ

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٣٦) برقم: (٢٩٦٦١) عن ابن عباس بنحوه، وبرقم: (٢٩٦٦٤) عن الحسن، وبرقم: (٢٩٦٦٧) عن إبراهيم، وذكره البغوي (٤/ ٤٥)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٨٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٤٨)، وعزاه لابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٣٩) برقم: (٢٩٦٨٠)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٨٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٥٠)، وعزاه لعبد الرزاق، والفريابي، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن ابن مسعود.

يَعْلَمُون[١]، وهذا وَعِيدٌ مَحْضٌ، ثم آنَسَ تعالى نبيَّه وأولياءَه بأنَّ القَضَاء قد سَبَق، والكلمةُ قَدْ حَقَّتْ بأنَّ رُسُلَهُ سبحانه هم المنصُورُونَ، على من نَاوَأَهُمْ، وجُنْدُ اللَّهِ همُ الغزاةُ.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿فتول عنهم﴾ أمْرٌ لنبيِّهِ بالمُوَادَعَةِ، وَوَعْدٌ جَمِيلٌ، و﴿حتَّىٰ حينٍ﴾ قيل هو يومُ بَدْرٍ، وقِيل: يومُ القيامةِ.

وقولهُ تَعَالَىٰ: ﴿وأبْصِرْهُمْ فسوفَ يبصرون﴾ وَعْدٌ للنَّبي ﷺ وَوَعِيدٌ لهُمْ، ثم وبَّخهم على استعجالِ العذَابِ ﴿فإذا نزل﴾ أي: العذابُ، ﴿بساحتهم فساء صباح المنذرين﴾ والساحةُ الفِنَاء، وسُوءُ الصباح: أيضاً مستعملٌ في وُرُودِ[٢]/ الغَارَاتِ، قلْتُ: ومنه قولُ النبيِّ ﷺ لَمَّا أَشْرَفَ عَلَىٰ خَيْبَرَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إِنَّا إِذا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ، فَسَاءَ صَبَاحُ المُنْذَرِينَ»[٣] انتهى، ٩٣ ب

---

(١) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٨٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٥٢)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٢) في جـ هنا: انتقل من سورة ص إلى الترقيم في المخطوط برقم: (١) وقد سرنا نحن معه على تسلسل الترقيم.

(٣) هذا حديث صحيح متفق على صحته: أخرجه البخاري (٢/ ١٠٧) كتاب «الأذان» باب: ما يُحْقَنُ بالأذان من الدماء. (٦١٠)، (١/ ٥٧٢) كتاب «الصلاة» باب: ما يذكر في الفخذ (٣٧١)، (٢/ ٥٠٧ ـ ٥٠٨) كتاب «الخوف» باب: التبكير والغلس بالصبح والصلاة عند الإغارة والحرب (٩٤٧)، (٤/ ٤٨٩) كتاب «البيوع» باب: بيع العبد والحيوان بالحيوان نسيئة (٢٢٢٨) طرفاً منه، (٤/ ٤٩٤) كتاب «البيوع» باب: هل يسافر بالجارية قبل أن يستبرئها؟ (٢٢٣٥)، (٦/ ٩٨) كتاب «الجهاد والسير» باب: فضل الخدمة في الغزو (٢٨٨٩)، (٦/ ١٠١ ـ ١٠٢) كتاب «الجهاد والسير» باب: من غزا بصبي للخدمة (٢٨٩٣)، (٦/ ١٣٠) كتاب «الجهاد والسير» باب: دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام والنبوة (٢٩٤٣ ـ ٢٩٤٤ ـ ٢٩٤٥)، (٦/ ١٥٦) كتاب «الجهاد والسير» باب: التكبير عند الحرب (٢٩٩١)، (٦/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣) كتاب «الجهاد والسير» باب: ما يقول إذا رجع من الغزو (٣٠٨٥ ـ ٣٠٨٦)، (٦/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤) كتاب «الجهاد والسير» باب: الصلاة إذا قدم من سفر (٣٠٨٧)، (٦/ ٧٣٢) كتاب «المناقب» باب: (٢٨) (٣٦٤٧)، (٧/ ٤٣٦) كتاب «المغازي» باب: أحدٌ جبل يحبُّنا ونحبه (٤٠٨٣ ـ ٤٠٨٤)، (٧/ ٥٣٤) كتاب «المغازي» باب: غزوة خيبر (٤١٩٧ ـ ٤١٩٨ ـ ٤١٩٩ ـ ٤٢٠٠ ـ ٤٢٠١)، (٧/ ٥٤٧) كتاب «المغازي» باب: غزوة خيبر(٤٢١١ ـ ٤٢١٢ ـ ٤٢١٣)، (٩/ ٢٩) كتاب «النكاح» باب: اتخاذ السراري، ومن أعتق جارية ثم تزوجها (٥٠٨٥)، (٩/ ١٣٢) كتاب «النكاح» باب: البناء في السفر (٥١٥٩)، (٩/ ١٤٠) كتاب «النكاح» باب: الوليمة ولو بشاة (٥١٦٩)، (٩/ ٤٤٠) كتاب «الأطعمة» باب: الخبز المرقق، والأكل على الخوان

وقَرَأَ ابن مسعود: «فَبِئْسَ صَبَاحُ»[١]، والعزة في قولهِ: ﴿ربّ العزة﴾ هي العزة المَخْلُوقَةُ الكائِنَةُ للأنبياءِ والمؤمِنينَ؛ وكذلك قال الفقهاءُ مِنْ أجْلِ أنَّها مَرْبُوبَةٌ؛ قال محمدُ بن سُحْنُونَ وغيره: مَنْ حَلَفَ بعزَّةِ اللَّهِ، فَإنْ كَانَ أرادَ صِفَتَهُ الذَّاتِيَّةَ، فَهِي يَمينٌ، وإنْ كَانَ أَرَادَ عِزَّتَهُ الَّتِي خَلَقَ بَيْنَ عِبَادِهِ، وَهي الَّتِي في قَوْلِه: ﴿رَبِّ العِزَّةِ﴾ فَلَيْسَتْ بَيَمِينٍ، ورُوِيَ عَن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «إذا سَلَّمْتُمْ عَليّ، فَسَلِّمُوا عَلَى المُرْسَلِينَ؛ فإنَّما أَنَا أَحَدُهُمْ»[٢] صلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَعَلَى آله وعَلَىٰ جميع النبيِّين وسلَّم.

والسفرة (٥٣٨٧)، (٩/ ٤٦٥) كتاب «الأطعمة» باب: الحيس برقم: (٥٤٢٥)، (٩/ ٤٦٦) كتاب «الأطعمة» باب: ذكر الطعام (٤٤٢٨)، (٩/ ٥٧٠) كتاب «الذبائح والصيد» باب: لحوم الحمر الإنسية برقم: (٥٥٢٨)، (١٠/ ٢٦) كتاب «الأضاحي» باب: ما يؤكل من لحوم الأضاحي وما يتزود منها (٥٩٦٨)، (١٠/ ٥٨٤) كتاب «الأدب» باب: قول الرجل: «جعلني اللَّه فداك» (٦١٨٥)، (١١/ ١٧٧) كتاب «الدعوات» باب: التعوذ من غلبة الرجال (٦٣٦٣)، (١١/ ١٨٢) كتاب «الدعوات» باب: الاستعاذة من الجبن والكسل (٦٣٦٩)، (١٣/ ٣١٦) كتاب «الاعتصام بالكتاب والسنة» باب: إثم من دعا إلى ضلالة أو سن سنة سيئة (٧٣٣٣)، ومسلم (٢/ ١٠٤٣ ـ ١٠٤٤) كتاب «النكاح» باب: فضيلة إعتاقه أمة ثم يتزوجها(٨٤/ ١٣٦٥)، والنسائي (٦/ ١٣١، ١٣٤) كتاب «النكاح» باب: البناء في السفر (٣٣٨٠)، وأحمد (٣/ ١٠١، ١٠٢، ١١١، ١٦٣، ١٦٤، ١٨٦، ٢٠٦، ٢٤٦، ٢٦٣، ٢٧٠، ٢٧١)، والبيهقي (٢/ ٢٣٠) كتاب «الصلاة» باب: من زعم أن الفخذ ليست بعورة، وما قيل في السرة والركبة (٩/ ٥٥) كتاب «السير» باب: قسمة الغنيمة في دار الحرب (٩/ ٧٩ ـ ٨٠) كتاب «السير» باب: قتل النساء والصبيان في التبيت والغارة من غير قصد، وما ورد في إباحة التبيت، وابن حبان (١١/ ٥١ ـ ٥٢) كتاب «السير» باب: ذكر البيان على المرء إذا أتى دار الحرب أن لا يشن الغارة حتى يصبح (٤٧٤٧)، ومالك في **«الموطأ»** (٢/ ٤٦٨ ـ ٤٦٩) كتاب «السير» باب: الخروج وكيفية الجهاد (٤٧٤٦)، والترمذي (٤/ ١٢١) كتاب «السير» باب: في البيات والغارات (١٥٥٠).

(١) ينظر: **«الكشاف»** (٤/ ٦٨)، و**«المحرر الوجيز»** (٤/ ٤٩٠)، و**«البحر المحيط»** (٧/ ٣٦٤).

(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ٥٤٣) برقم: (٢٩٧٠٤)، وذكره السيوطي في **«الدر المنثور»** (٥/ ٢٩٤) ـ ط دار المعرفة، وعزاه إلى عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة.

تَفسِيرُ سُورَةِ «صٓ»

[وَهِيَ] مَكِّيَّةٌ بِإِجْمَاعٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿صٓۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝٣ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾

قرأ أُبَيُّ بن كَعْبٍ والحسن وابن أبي إسحاقَ: «صَادِ» - بِكَسْرِ الدالِ[1] -، والمعنى: مَاثِلِ القرآن بِعَمَلِكَ، وقارِبْهُ بطاعَتِكَ، وكذا فسَّرهُ الحَسَن[2]، أي: انظر أينَ عَمَلُكَ مِنْهُ، وقال الجمهورُ: إنه حَرْفُ مُعْجَم يَدْخُلُه مَا يَدْخُل أوائِلَ السور مِنَ الأَقْوَالِ، وَيَخْتَصُّ هذا بأنْ قَالَ بعضُ الناسِ: معناه: صَدَقَ محمد ﷺ، وقال الضَّحَّاك: معناهُ: صَدَقَ اللَّهُ[3]، وقال محمد بن كَعْب القُرَظِيُّ: هو مِفْتَاحُ أَسْمَاءِ اللَّهِ: صَمَدٌ صَادِقٌ، ونحوُهُ[4].

وقوله: ﴿والقرءان ذي الذكر﴾ قَسَمٌ؛ قال ابن عباسٍ وغيره: معناه: ذي الشَّرَفِ الباقي المُخَلَّدِ[5]،

---

(١) وقرأ بها أبو السمال.
ينظر: «مختصر الشواذ» ص: (١٢٩)، و«المحتسب» (٢/ ٢٣٠)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٤٩١)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣٦٦)، وزاد نسبتها إلى ابن أبي عبلة، ونصر بن عاصم، وهي في «الدر المصون» (٥/ ٥١٩).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٤٤) برقم: (٢٩٧٠٦)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٩١)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٥٦)، وعزاه لعبد بن حميد.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٤٥) برقم: (٢٩٧١٢)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٤٧)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٩١)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٥٦)، وعزاه لابن جرير.

(٤) ذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٤٧)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٩١).

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٤٦) برقم: (٢٩٧١٧)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٤٧)، وابن عطية في في «تفسيره» (٤/ ٤٩١)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٥٦) كلهم عن ابن عباس.

وقالَ قتادة: ذي التذكرةِ للنَّاسِ والهداية لهم[١]، وقالت فرقةٌ: ذي الذِّكْرِ للأُمَمِ والقَصَصِ والغُيُوبِ، * ت *: ولا مانَعَ [مِنْ] أَنْ يُرَادَ الجميعُ، قال * ع[٢] *: وأما جَوَابُ القَسَمِ، فَاخْتُلِفَ فيه؛ فقالت فرقة: الجوابُ في قوله: ﴿صٓ﴾؛ إذ هُوَ بمعنى: صَدَقَ اللَّهُ أو صَدَقَ محمَّد ﷺ، وقال الكوفيُّون والزَّجَّاج[٣]: الجَوَابُ في قوله: ﴿إن ذلك لَحَقٌّ تخاصُمُ أهْلِ النَّارِ﴾ [ص: ٦٤]، وقَالَ بَعْضُ البصريِّين ومنهم الأخفَشُ: الجوابُ في قوله: ﴿إِنْ كُلٌّ إِلاَّ كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾ [ص: ١٤]، قال * ع[٤] *: وهذانِ القولانِ بَعيدانِ، وقال قتادة[٥] والطبري[٦]: الجواب مقدَّرٌ قَبْلَ «بل»، وهذا هو الصحيحُ، وتقديره: والقرآن، ما الأَمْرُ كَما يَزْعُمُونَ، ونَحْوُ هَذَا مِنَ التَّقْدِير، فَتَدَبَّرْهُ، وقال أبو حَيَّان[٧]: الجوابُ: إنك لمن المرسلين، وهو ما أَثْبتَ جَوَاباً للقرآن حينَ أَقْسَمَ بِهِ، انتهى، وهو حَسَن، قال أبو حيان: وقوله: ﴿في عزة﴾ هي قراءةُ الجمهور، وعن الكسائي[٨] بالغين المعجمة والراء، أي: في غَفْلَةٍ، انتهى.

والعِزَّةُ هنا: المُعَازَّةُ والمُغَالَبَةُ والشِّقَاقُ ونحوُهُ، أيْ: هم في شِقٍّ، والحَقُّ في شِقٍّ، وكَمْ للتكثير، وهي خَبَرٌ فِيه مثالٌ ووعيدٌ، وهِي في مَوْضِعِ نَصْبٍ بـ﴿أهلكنا﴾.

وقوله: ﴿فنادوا﴾ معناهُ: مُسْتَغِيثين، والمعنى: أنهم فَعلوا ذلك بعد المُعَايَنَةِ، فَلَمْ ينفعهم ذلك؛ ولم يكُنْ في وَقْتِ نَفْعٍ، و﴿لات﴾ بمعنى: ليس، واسْمُهَا مقدَّرٌ عند سِيبَوَيْهِ، تقدِيره: وَلاَتَ الحِينُ حِينَ مَنَاصٍ، والمَنَاصُ: المَفَرُّ، ناصَ يَنُوصَ: إذا فَرَّ وَفَاتَ، قالَ ابن عَبَّاس: المَعْنَىٰ: ليسَ بِحِينِ نَزْوٍ وَلاَ فِرَارٍ ضُبِطَ القوم[٩]، والضميرُ في ﴿عجبوا﴾ لكفارِ قريشٍ.

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٤٦) برقم: (٢٩٧١٩)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٩١)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٦).

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٤٩١).

(٣) ينظر: «معاني القرآن» (٤/ ٣١٩).

(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٤٩١).

(٥) ذكره الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٤٧) عن قتادة، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٩٢).

(٦) ينظر: «تفسير الطبري» (١٠/ ٥٤٧).

(٧) ينظر: «البحر المحيط» (٧/ ٣٦٧).

(٨) وقرأ بها حماد بن الزبرقان، وأبو جعفر، والجحدري.
ينظر: «البحر المحيط» (٧/ ٣٦٧)، و«الدر المصون» (٥/ ٥٢٠).

(٩) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٤٨) برقم: (٢٩٧٢٥)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٩٢)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٥٦)، وعزاه السيوطي للطيالسي، وعبد الرزاق، والفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، والحاكم وصححه عن التميمي.

﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴿٨﴾﴾

١٩٤أ قوله تعالى: ﴿وانطلق الملأ منهم أن/ امشوا واصبروا على ءالهتكم...﴾ الآية، رُوِيَ فِي قَصَصِ هذهِ الآيةِ، أنَّ أشْرَافَ قُرَيْشٍ اجْتَمَعُوا عِنْدَ مَرَضِ أبي طالبٍ، وقالوا: إن مِنَ القبيحِ علينا أن يموتَ أبو طالب، ونُؤْذِيَ محمَّداً بَعْدَهُ، فتقولُ العربُ: تركُوهُ مُدَّةَ عَمِّهِ، فَلَمَّا مَاتَ آذَوْهُ، ولكن لِنذهبْ إلى أبي طالب فَيُنْصِفَنَا مِنْهُ ويَرْبِطَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ رَبْطاً، فَنَهَضُوا إليه، فقالوا: يا أبا طالب: إن محمداً يَسُبُّ آلهتَنا، ويُسَفِّهُ آراءنا، ونحنُ لا نُقَارُّهُ عَلَىٰ ذلك، ولكن افْصِلْ بَيْنَنَا وبَيْنَهُ في حياتِكَ بأن يُقِيمَ في منزلِهِ يَعْبُدُ ربَّهُ الذي يَزْعُمُ ويدعُ آلهتنا وسَبَّها، ولا يَعْرِضُ لأحَدٍ منا بشيْءٍ من هذا، فبعث أبو طالب إلى النبي ﷺ فقال: يا محمَّدُ، إن قومَكَ قَد دَعَوْكَ إلى النَّصَفَةِ، وهِيَ أن تَدَعَهُمْ وتَعْبُدَ رَبَّكَ وَحْدَكَ، فَقال: أوَ غَيْرَ ذلكَ يا عَمُّ؟ قال: وما هو؟ قال: يُعْطُونَنِي كَلِمَةً تَدِينُ لَهُمْ بِهَا العَرَبُ، وَتُؤَدِّي إِلَيْهِمُ الْجِزْيَةَ بِهَا العَجَمُ، قَالُوا: وَمَا هِيَ؟! فَإِنَّا نُبَادِرُ إِلَيْهَا! قَالَ: «لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ»؛ فَنَفَرُوا عِنْدَ ذَلِكَ، وَقَالُوا: مَا يُرْضِيكَ مِنَّا غَيْرُ هٰذَا؟ قال: «واللَّهِ، لَوْ أَعْطَيْتُمُونِي الأَرْضَ ذَهَباً وَمَالاً»[1] وفي روايةِ «لَوْ جَعَلْتُمُ الشَّمْسَ فِي يَمِينِي والقَمَرَ فِي شِمَالِي مَا أَرْضَىٰ مِنْكُمْ غَيْرَهَا» فَقَامُوا عِنْدَ ذَلِكَ، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ لِبَعْضٍ: ﴿أجعل الآلهة إلٰهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب﴾، ويُرَدِّدُونَ هذا المعنَىٰ، وعُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ يقولُ: ﴿امشوا واصبروا على آلهتكم﴾، فقوله تعالى: ﴿وانطلق الملأ﴾ عبارةٌ عن خروجِهم عَن أبي طالبٍ وانطلاقِهِمْ من ذلكَ الجَمْعِ، هذا قولُ جماعةٍ من المفسِّرين.

وقوله: ﴿أن امشوا﴾ نَقَلَ الإمامُ الفخرُ[2] أَنَّ «أن» بمعنى: «أي»، انتهى، وقولهم: ﴿إن هذا لشيء يراد﴾ يريدون ظهورَ محمَّدٍ وعلوَّه، أي: يُرادُ مِنَّا الانقيادُ لَه، وأنْ نكونَ له أتْبَاعاً، ويريدونَ بِالمِلَّةِ الآخرةِ مِلَّةَ عِيسَىٰ، قاله ابنُ عبَّاس، وغيره[3]؛ وذلك أنها ملَّةٌ شُهِرَ فيها التثليثُ.

---

(١) أخرجه الطبري (١٠/٥٥٣) برقم: (٢٩٧٥٠) وعن السدي برقم: (٢٩٧٥١)، وعن ابن عباس مختصراً، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/٢٩٦) ـ ط دار المعرفة، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٢) ينظر: «تفسير الرازي» (٢٦/١٥٦).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٥٢) برقم: (٢٩٧٤٢) عن ابن عباس، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/٤٩)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٩٤)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٨)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/٥٥٨)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر عن مجاهد.

ثم تَوَعَدَّهُمْ ـ سبحانه ـ بقوله: ﴿بل لما يذوقوا عذاب﴾ أي: لو ذاقُوهُ، لَتَحَقَّقُوا أنَّ هذه الرسالة [حقٌّ].

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿أم عندهم خزائن رحمة ربك...﴾ الآية، عبارةُ الثعلبيّ: ﴿أم عندهم خزائن رحمة ربك﴾ يعني: مَفاتيح النبوَّة حتى يُعْطُوا مَنِ اخْتَارُوا، نظيرَهَا ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [الزُخْرف: ٣٢].

قوله تعالى: ﴿أم لهم ملك السمٰوات والأرض وما بينهما﴾ يعني: أنَّ ذلكَ للَّهِ تعالى؛ يَصْطَفِي مَنْ يَشَاءُ ﴿فليرتقوا في الأسباب﴾ فَلْيَصْعَدُوا فِيمَا يُوَصِّلُهُمْ إلى السمواتِ، فليأتوا منها بالوحي إلَىٰ مَنْ يختارونَ، وهذا أمْرُ توبيخٍ وتَعْجِيزٍ، انتهى، ونحوه كلامُ * ع[1] *.

ثم وعدَ اللَّهُ نبيَّهُ النَّصْرَ، فقال: ﴿جند ما هنالك مهزوم﴾ أي: مَغْلُوبٌ ممنوعٌ مِن الصُّعُودِ إلى السماء، ﴿من الأحزاب﴾ أي: من جملة الأحزابِ، قال * ع[2] *: وهذا تأويل قَوِيٌّ، وقالت فرقة: الإشارة بـ﴿هنالك﴾ إلى حمايةِ الأصْنَامِ وعَضْدِهَا، أي: هؤلاءِ القومُ جندٌ مهزومٌ في هذهِ السبيلِ، وقال مجاهد: الإشارةُ بـ«هنالك» إلى يوم بدر[3]، وهي من الأمورِ المُغَيَّبَةِ أُخْبِرَ بها عليه السلام.

«وما» في قوله: ﴿جند مَّا﴾ زائدةٌ مؤكِّدةٌ، وفيها تخصيصٌ، وباقي الآية بيِّنٌ.

وقال أبو حَيَّانَ[4] ﴿جند﴾ خَبَرُ مبتدإٍ محذوفٍ، أي: هُمْ جُنْدٌ وما زَائِدَة أو صِفَة أُرِيدَ بها التعظيمُ على سبيل الهُزْءِ بهم/ أو الاسْتِخْفَافِ؛ لأن الصفةَ تُسْتَعْمَلُ على هذينِ المعنيينِ، و﴿هنالك﴾ ظرفُ مكانٍ يُشَارُ بهِ إلى البَعِيدِ، في مَوْضِعِ صِفَةٍ لـ﴿جُنْد﴾، أي: كائنٌ هنالك، أو متعلِّقٌ بـ﴿مهزوم﴾، انتهى. ٩٤ ب

---

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٤٩٥).

(٢) ينظر: المصدر السابق.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٥٥) برقم: (٢٩٧٦٦)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٤٩)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٩٥) عن مجاهد، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٥٨)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٤) ينظر: «البحر المحيط» (٧/ ٣٧٠).

﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وما ينظر هؤلاء﴾ أي: ينتظرُ، ﴿إلا صيحةً واحدةً﴾ قال قتادة: تَوَعَّدَهُمْ سُبْحَانَهُ بصيحةِ القِيَامَةِ والنفخ في الصُّور[1]، قَالَ الثَّعْلَبِيُّ: وقد رُوِيَ هذا التفسيرُ مرفوعاً، وقالتْ طائِفَةٌ: تَوَعَّدَهُمْ اللَّهُ بِصَيْحَةٍ يُهْلَكُونَ بِهَا في الدنيا، ﴿ما لها من فواق﴾ قرأ الجمهورُ - بفتح الفاءِ -، وقَرأ حمزةُ والكسائي «فُوَاق» - بِضم الفاء[2] -، قال ابن عباس: هما بمعنًى، أي: ما لَها من انْقِطَاعٍ وَعَوْدَةٍ، بَلْ هِي مُتَّصِلَةٌ حَتَّىٰ تُهْلِكَهُمْ[3]، ومنه: فُوَاقُ الحَلْبِ، وهُوَ المُهْلَةُ التي بَيْنَ «الشُّخْبَيْنِ»، وقال ابن زَيْدٍ وغيرُهُ: المعنَىٰ مُخْتَلِفٌ[4]، فالضَّمُّ كَمَا تَقَدَّمَ مِنْ مَعْنَى فُوَاقِ النَّاقَةِ، والفتحُ بِمَعْنَى الإفَاقَةِ، أيْ: لا يُفِيقُونَ فيها كما يُفِيقُ المَرِيضُ، والمَغْشِيُّ عَلَيْهِ، والْقِطُّ: الحَظُّ والنصيبُ، والْقِطُّ أَيْضاً الصَّكُّ والكتابُ من السُّلْطَانِ بِصِلة، ونحوهِ، واختلِف في الْقِطِّ هُنَا، ما أرادوا به؟ فقال ابن جُبَيْر: أرادوا به: عَجِّلْ لَنَا نَصِيبَنَا من الخَيْرِ والنَّعيمِ في دُنْيَانا[5]، وقال أبو العالية: أرادوا عَجِّل لنا صُحُفَنَا بأيمانِنا[6]؛ وذلك لمَّا سَمِعُوا في القرآن أَنَّ الصُّحُفَ تُعْطَىٰ يوم القيامةِ بالأيْمَانِ والشَّمائِلِ، وقال ابن عباس وغَيره: أرادوا ضِدَّ هَذَا من العذابِ ونحوهِ[7]، وهذا نظيرُ قولهم ﴿فأمْطِرْ

---

(١) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٩٥)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٥٨)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٢) ينظر: «السبعة» (٥٥٢)، و«الحجة» (٧/ ٦٦)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٢٥٥)، و«معاني القراءات» (٢/ ٣٢٥)، و«شرح الطيبة» (٥/ ١٩٠)، و«العنوان» (١٦٣)، و«حجة القراءات» (٦١٣)، و«شرح شعلة» (٥٦٤)، و«إتحاف» (٢/ ٤١٩).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٥٨) برقم: (٢٩٧٧٧)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٥٠)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٩٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٥٩)، وعزاه لابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٥٨) برقم: (٢٩٧٨٢)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٩٦).

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٦٠) برقم: (٢٩٧٨٩)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٥٠)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٩٦).

(٦) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٦٠) عن آخرين، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٩٦) عن أبي العالية، والكلبي.

(٧) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٥٩) برقم: (٢٩٧٨٣) عن ابن عباس، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٥٠)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٩٦)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٥٩)، وعزاه للطستي عن ابن عباس.

عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ [الأنفال: ٣٢] قال * ع[١] *: وعلى كل تأويل، فكَلاَمُهُم خَرَجَ عَلى جِهَةِ الاسْتِخْفَافِ والهُزْءِ.

﴿واذكر عبدنا دَاوُدَ ذا الأَيْدِ﴾ أَي: فَتَأَسَّ به ولاَ تَلْتَفِتْ إِلَىٰ هؤلاءِ، «والأَيْدِ» القُوَّةُ في الدين والشرع والصَّدْعُ به، والـ﴿أوابُ﴾ الرَّجَّاعُ إلى طَاعةِ اللَّهِ، وقاله مجاهد وابن زيد[٢] وفسَّره السُّدِّيُّ: بالمُسَبِّح[٣]، وتسبيحُ الجِبَالِ هنا حقيقةٌ، و﴿الإشْرَاق﴾: ضياءُ الشَّمْسِ وارتفاعُها، وفي هذين الوَقْتَيْنِ كانت صلاَةُ بني إسرائيل، قال الثعلبيُّ: وليس الإِشْرَاقُ طُلُوعَ الشَّمْسِ، وإنما هو صَفَاؤُها وضوءها، انتهى. قال ابن العربي في «**أحكامه**»[٤]: قال [ابن عباس][٥]: ما كنتُ أعْلَمُ صلاةَ الضُّحَىٰ في القرآن حتى سمعتُ اللَّهَ تعالى يقول: ﴿يسبحن بالعشي والإشراق﴾[٦] قال ابن العربي[٧]: أما صلاةُ الضُّحَىٰ فَهِي في هٰذِهِ الآيةِ نافلةٌ مُسْتَحَبَّةٌ، ولا ينبغي أنْ تُصَلَّىٰ حتى تتبينَ الشمسُ طَالعةً قَدْ أشْرَقَ نُورُهَا، وفي صلاةِ الضحَىٰ أحاديثُ أُصُولُهَا ثلاثةٌ: الأولُ حديثُ أبي ذَرٍّ وغيرِه عنِ النبيِّ ﷺ؛ أَنَّه قال: «يُصْبِحُ عَلَىٰ كُلِّ سُلاَمَىٰ مِنِ ٱبْنِ آدَمَ صَدَقَةٌ؛ تَسْليمُهُ عَلَىٰ مَنْ لَقِيَ صَدَقَةٌ، وأَمْرُهُ بالمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، ونَهْيُهُ عَنِ المُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وإمَاطَتُهُ الأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ، وبُضْعُهُ أَهْلَهُ صَدَقَةٌ، ويجزىء مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ رَكْعَتَانِ مِنَ الضُّحَىٰ»[٨].

---

(١) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٤/ ٤٩٦).

(٢) أخرجه الطبري في «**تفسيره**» (١٠/ ٥٦١) برقم: (٢٩٧٩٦) عن مجاهد، وبرقم: (٢٩٨٠٠) عن ابن زيد، وذكره ابن عطية في «**تفسيره**» (٤/ ٤٩٦) عنهما، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٥/ ٥٦٠)، وعزاه لعبد بن حميد عن مجاهد.

(٣) أخرجه الطبري في «**تفسيره**» (١٠/ ٥٦٢) برقم: (٢٩٧٩٩) عن السدي، وذكره البغوي في «**تفسيره**» (٤/ ٥١) عن سعيد بن جبير، وابن عطية في «**تفسيره**» (٤/ ٤٩٦) عن السدي، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٥/ ٥٦٠)، وعزاه لابن جرير عن ابن عباس، ولابن جرير عن مجاهد، ولابن أبي حاتم عن عمرو بن شرحبيل.

(٤) ينظر: «**أحكام القرآن**» (٤/ ١٦٢٤).

(٥) سقط في: د.

(٦) أخرجه الطبري في «**تفسيره**» (١٠/ ٥٦٢) برقم: (٢٩٨٠٣)، و (٢٩٨٠٤) عن ابن عباس، وذكره البغوي في «**تفسيره**» (٤/ ٥١)، وابن عطية في «**تفسيره**» (٤/ ٤٩٦)، وابن كثير في «**تفسيره**» (٤/ ٣٠)، وذكره السيوطي في «**الدر المنثور**» (٥/ ٥٦١)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، عن عطاء الخرساني عن ابن عباس، ولعبد بن حميد عن عكرمة عن ابن عباس، ولابن المنذر، وابن مردويه عن ابن عباس.

(٧) ينظر: «**أحكام القرآن**» (٤/ ١٦٢٥).

(٨) تقدم تخريجه.

الثَّانِي: حديثُ سَهْلِ بْنِ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ الجُهَنِيِّ عَنْ أَبِيهِ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «مَنْ قَعَدَ في مُصَلاَّهُ حِينَ يَنْصَرِفُ مِنْ صَلاَةِ الصُّبْحِ، حَتَّىٰ يُسَبِّحَ رَكْعَتَيْ الضُّحَىٰ لاَ يَقُولُ إِلاَّ خَيْراً، غُفِرَتْ خَطَايَاهُ، وإِنْ كَانَتْ أَكْثَرَ مِنْ زَبَدِ البَحْرِ»(١).

الثالثُ: حَدِيثُ أُمِّ هانىء أنّ النبيَّ ﷺ صَلَّىٰ يَوْمَ الفَتْحِ ثَمَانِيَ رَكَعَاتٍ(٢)، انْتَهَى.

٩٥أ * ت *: وَرَوَى أبو عيسى/ الترمذيُّ وغَيْرُهُ عن أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ صَلَّى الفَجْرَ في جَمَاعَةٍ، ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللَّهَ تَعَالَىٰ، حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ، ثُمَّ صَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ، كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وعُمْرَةٍ تَامَّةٍ»(٣)، قَالَ الترمذيُّ: حديثٌ حَسَنٌ، انتهى. قال الشَّيْخُ أَبو الحَسَنِ بْنُ بَطَّالٍ في شرحه للبُخَارِيِّ: وعن زيدِ بْنِ أَسْلَمَ قَالَ: سمعتُ عَبد اللَّهِ بْنَ عُمَرَ يقولُ لأبي ذَرٍّ: أَوْصِنِي يَا عَمُّ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَمَا سَأَلْتَنِي؛ فَقَالَ: «مَنْ صَلَّى الضُّحَىٰ رَكْعَتَيْنِ، لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الغافِلِينَ، وَمَنْ صَلَّىٰ أَرْبَعاً، كُتِبَ مِنَ

---

(١) أخرجه أبو داود (١/ ٤١١) كتاب «الصلاة» باب: صلاة الضحى برقم: (١٢٨٧)، وأحمد (٣/ ٤٣٩)، والبيهقي (٣/ ٤٩) كتاب «الصلاة» باب: من استحب أن لا يقوم من مصلاه حتى تطلع الشمس.

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٤٦٩) كتاب «الصلاة» باب: الصلاة في الثوب الواحد، حديث (٣٥٧)، ومسلم (١/ ٤٩٨) كتاب «صلاة المسافرين» باب: استحباب صلاة الضحى، حديث (٨٢/ ٣٣٦)، وأبو داود (١/ ٤١٢) كتاب «الصلاة» باب: صلاة الضحى، حديث (١٢٩٠ ـ ١٢٩١)، والنسائي (١/ ١٢٦) كتاب «الطهارة» باب: ذكر الاستتار عند الاغتسال، حديث (٢٢٥)، والترمذي (٥/ ٧٣ ـ ٧٤) كتاب «الاستئذان» باب: ما جاء في مرحباً، حديث (٢٧٣٤)، وابن ماجه (١/ ٤٣٩) كتاب «الصلاة» باب: ما جاء في صلاة الضحى، حديث (١٣٧٩)، ومالك (١/ ١٥٢) كتاب «قصر الصلاة في السفر» باب: صلاة الضحى، حديث (٢٧ ـ ٢٨)، وأحمد (٦/ ٣٤١ ـ ٣٤٢ ـ ٣٤٣ ـ ٤٢٣ ـ ٤٢٥)، وأبو عوانة (٢/ ٢٦٩ ـ ٢٧٠)، والدارمي (١/ ٣٣٨ ـ ٣٣٩) كتاب «الصلاة» باب: صلاة الضحى، والحميدي (١/ ١٥٨، ١٦٠) برقم: (٣٣١ ـ ٣٣٢ ـ ٣٣٣)، والبيهقي (٣/ ٤٨) كتاب «الصلاة» باب: ذكر من رواها ثمان ركعات، والبغوي في **«شرح السنة»** (٢/ ٥١٧) ـ بتحقيقنا من طرق عن أم هانىء أن النبي ﷺ دخل بيتها يوم فتح مكة فاغتسل وصلى ثمان ركعات، فلم أر صلاة قط أخف منها، غير أنه يتم الركوع والسجود.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) أخرجه الترمذي (٢/ ٤٨١) كتاب «الصلاة» باب: ذكر ما يستحب من الجلوس في المسجد بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس، من حديث أنس.

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب، وفي الباب من حديث أبي أمامة: أخرجه الطبراني في **«الكبير»** (٨/ ٢٠٩)، وذكره الهيثمي في **«مجمع الزوائد»** (١٠/ ١٠٧) كتاب «الأذكار» باب: ما يفعل بعد صلاة الصبح والمغرب.

قال الهيثمي: إسناده جيد.

العَابِدِينَ، ومَنْ صَلَّىٰ ستّاً، لَمْ يَلْحَقْهُ ذَلِكَ اليَوْمَ ذَنْبٌ، وَمَنْ صَلَّىٰ ثَمانياً، كُتِبَ مِنَ القَانِتِينَ، ومَنْ صَلَّىٰ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً، بَنَىٰ اللَّهُ لَهُ بَيْتاً فِي الجَنَّةِ»[1] انتهى.

﴿والطير﴾: عَطْفٌ عَلَى الْجِبَالِ، أي: وسَخَّرْنَا الطيرَ، و﴿محشورة﴾ معناهُ مجموعةً، والضميرُ في «لهُ» قَالَتْ فِرْقَةٌ: هو عائدٌ على اللَّهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ فـ ﴿كُلٌّ﴾ على هذا، يُرَادُ بِهِ: دَاوُدُ والجبالُ والطيرُ، وقالت فرقة: هو عائدٌ على داودَ فـ﴿كُلٌّ﴾ على هذا يُرَادُ بِهِ الجبالُ والطيرُ.

﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وشَدَدْنَا مُلْكَه﴾: عبارةٌ عامَّةٌ لجميعِ مَا وَهَبَه اللَّه تَعالى من قوَّةٍ وجندٍ ونعمةٍ، ﴿وفَصْلَ الخِطَاب﴾ قال ابن عباس وغيره: هو فَصْلُ القَضاءِ بَيْنَ الناسِ بالحقِ وإصابتُه وفَهْمُه[2]، وقال الشعبي: أرادَ قَوْلَ «أمَّا بَعْدُ» فإنه أَوَّلُ مَنْ قَالَها[3]، قال * ع[4] *: والذي يُعْطِيهِ اللفظُ أنَّه آتاه فَصْلَ الخطابِ، بمعنى أنَّه إذا خَاطَبَ في نَازِلةٍ، فَصَلَ المَعْنَىٰ وأوْضَحَهُ، لا يأْخُذُهُ في ذلك حَصَرٌ وَلا ضَعْف.

---

(١) ذكره الهيثمي في «**مجمع الزوائد**» (٢/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠) كتاب «العيدين» باب: صلاة الضحى، وعزاه إلى البزار.
قال الهيثمي: فيه حسين بن عطاء ضعفه أبو حاتم، وغيره، وذكره ابن حبان في «**الثقات**» وقال: يخطىء ويدلس. ا هـ.
وفي الباب من حديث أبي أمامة: ذكره الهيثمي أيضاً في «**مجمع الزوائد**» (٢/ ٢٤٠)، وعزاه إلى الطبراني في «**الكبير**».
قال الهيثمي: فيه موسى بن يعقوب الزمعي، وثقه ابن معين وابن حبان، وضعفه المديني وغيره، وبقية رجاله ثقات. ا هـ.

(٢) أخرجه الطبري في «**تفسيره**» (١٠/ ٥٦٤) برقم: (٢٩٨١٤) عن ابن عباس، وبرقم: (٢٩٨١٥) عن مجاهد، و (٢٩٨١٦) عن السدي، وذكره البغوي في «**تفسيره**» (٤/ ٥٢)، وابن عطية في «**تفسيره**» (٤/ ٤٩٧)، وابن كثير في «**تفسيره**» (٤/ ٣٠)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٥/ ٥٦٣)، وعزاه للحاكم عن السدي، ولابن أبي حاتم عن ابن عباس، ولابن المنذر، عن مجاهد، ولعبد بن حميد، وابن المنذر، عن أبي عبد الرحمٰن، ولعبد بن حميد، وابن المنذر عن الحسن.

(٣) أخرجه الطبري في «**تفسيره**» (١٠/ ٥٦٥) برقم: (٢٩٨٢٦)، وذكره البغوي في «**تفسيره**» (٤/ ٥٢)، وابن عطية في «**تفسيره**» (٤/ ٤٩٧)، وابن كثير في «**تفسيره**» (٤/ ٣٠)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٥/ ٥٦٤)، وعزاه لابن جرير عن الشعبي، ولابن أبي حاتم، والديلمي عن أبي موسى الأشعري.

(٤) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٤/ ٤٩٧).

وقوله تعالى: ﴿وهل أتاك نبأ الخصم...﴾ الآية مخاطبةٌ للنبي ﷺ، واسْتُفْتِحَتْ بالاسْتِفْهَام؛ تَعْجِيباً مِنَ القصَّةِ وتفخيماً لها، والخصمُ يُوصَفُ بِهِ الواحِدُ والاثْنَانِ والجَمْع، و﴿تسوَّروا﴾ معناه: عَلَوْا سُورَهُ، وهو جَمْعُ «سُورَةٍ» وهي القطعةُ من البناء، وَتَحْتَمِلُ هذه الآيةُ أن يكونَ المُتَسَوِّرُ اثْنَيْنِ فَقَطْ، فَعَبَّرَ عَنْهُما بلَفْظِ الجَمْعِ، ويحتملُ أن يكونَ معَ كلِّ واحدٍ منَ الخَصْمَيْنِ جَمَاعَةٌ، و﴿المحْرَابُ﴾ المَوْضِعُ الأرْفَعُ مِنَ القَصْرِ أو المَسْجِدِ، وهو موضع التعبُّد، وإنما فَزِعَ منهم مِنْ حَيْثُ دَخَلُوا من غير الباب، ودون استئذان، ولا خلافَ بَيْن أهلِ التأويلِ أنَّ هذا الخَصْمَ إنما كانوا ملائكةً بَعَثَهُمْ اللَّهُ ضَرْبَ مَثَلٍ لداودَ، فاختصموا إليه في نازلةٍ قَدْ وَقَعَ هُو في نَحْوِهَا، فأَفْتَاهُمْ بِفُتْيَا هِي وَاقِعَةٌ عليه في نازلته، ولَمَّا شَعَرَ وَفَهِمَ المُرَادَ، خَرَّ رَاكِعاً وأَنَابَ، واسْتَغْفَرَ، وأمَّا نَازِلَتُهُ الَّتي وَقَع فِيها، ففيها للقُصَّاصِ تَطْوِيلٌ، فَلَمْ نَرَ سَوْقَ جَمِيعِ ذلكَ لِعَدَمِ صِحَّتِهِ.

ورُوِيَ فِي ذلكَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ما معناه؛ أن دَاوُدَ كَانَ في مِحْرَابِهِ يَتَعَبَّدُ؛ إذْ دَخَلَ عَلَيْهِ طَائِرٌ حَسَنُ الهَيْئَةِ، فَمَدَّ يَدَهُ إليْه؛ ليأْخُذَهُ، فَزَالَ مُطْمِعاً لَه مِنْ مَوْضِعٍ إلَى مَوْضِعٍ، حَتَّى اطَّلَعَ عَلَى امْرَأَةٍ لَهَا مَنْظَرٌ وَجَمَالٌ، فَخَطَرَ فِي نَفْسِهِ أنْ لَوْ كَانَتْ مِنْ نِسَائِهِ، وَسَأَلَ عَنْهَا، فَأُخْبِرَ أَنَّهَا امْرَأَةُ أُورِيَّا، وَكَانَ في الجِهَادِ فَبَلَغَهُ أنَّه اسْتُشْهِدَ فَخَطَبَ المَرْأَةَ، وَتَزَوَّجَهَا، فَكَانَتْ أُمَّ سُلَيْمَانَ فِيمَا رُوِيَ عَنْ قَتَادَةَ، فَبَعَثَ اللَّهُ الخَصْمَ لِيُفْتِيَ[1]، قَالَتْ فرقةٌ من العلماء: وإنما وَقَعَتْ المعَاتَبَةُ عَلَىٰ/ هَمِّهِ، وَلَمْ يَقَعْ مِنْه شَيْءٌ سِوَى الهَمِّ، وكانَ لِدَاوُدَ فِيما رُوِيَ تِسْعٌ وتِسْعُونَ امْرَأَةً، وَفي كُتُبِ بَنِي إسرائيل في هذه القصة صُوَرٌ لاَ تَلِيقُ، وقد قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: مَنْ حَدَّثَ بِما قَالَ هؤلاءِ القُصَّاصُ في أَمْرِ دَاوُدَ، جَلَدْتُهُ حَدَّيْنِ لما ارْتَكَبَ مِنْ حُرْمَةِ مَنْ رَفَعَ اللَّهُ قَدْرَهُ[2]. ٩٥ ب

وقوله: ﴿خَصْمَانِ﴾ تقديرُه: نَحْنُ خصمانِ، و﴿بغى﴾ معناه: اعْتَدَىٰ واسْتَطَالَ، ﴿ولا تشطط﴾ معناه: وَلاَ تَتَعَدَّ في حُكْمِكَ، و﴿سواء الصراط﴾ معناه: وَسَطُهُ.

﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٧٠) عن ابن عباس برقم: (٢٩٨٥٢)، وبرقم: (٢٩٨٥٣) عن السدي، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٥٢)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٩٨)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٦٤)، وعزاه لابن أبي شيبة في «المصنف»، وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٢) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٩٩).

وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ ﴾

وقوله: ﴿إن هذا أخي﴾ [إعرابُ «أخي»][1] عَطْفُ بَيَانٍ، وذلك أن مَا جَرَىٰ من هذه الأشياء صِفةٌ كالخَلْقِ والخُلُقِ وسَائِرِ الأوْصَافِ، فَإِنَّه نَعْتٌ مَحْضٌ، والعاملُ فيه هو العاملُ في الموصوفِ، وما كان مِنْهَا مِمَّا لَيْسَ يُوصَفُ بِهِ بَتَّةً، فهو بَدَلٌ والعَامِلُ فيه مُكَرَّرٌ أي: تقديراً يقال: جَاءَنِي أخوك زيدٌ، فالتقديرُ: جَاءَنِي أَخُوكَ، جَاءَنِي زَيْدٌ، ومَا كَان مِنها مِمَّا لاَ يُوصَفُ بِهِ واحْتِيجَ إلى أنْ يُبَيَّنَ بِه، وَيَجْرِي مَجْرَى الصِّفَةِ، فَهُوَ عَطْفُ بَيَانٍ.

«والنعجة» في هذه الآيةِ عَبَّرَ بِهَا عَنِ المَرْأَةِ، والنعجةُ في كلام العرب: تقعُ على أنثَىٰ بَقَرِ الوَحْشِ، وعَلَىٰ أُنْثَى الضَّأْنِ، وتُعَبِّرُ العَرَبُ بِهَا عن المَرْأَةِ.

وقوله: ﴿أكفلنيها﴾ أي: رُدَّهَا في كَفَالَتِي، وقال ابنُ كَيْسَانَ: المعنى: اجْعَلْهَا كِفْلِي، أي: نَصِيبِي، ﴿وَعَزَّنِي﴾ معناه: غَلَبَنِي، ومنه قول العربِ: «مَنْ عَزَّ بَزَّ» أي: مَنْ غَلَبَ، سَلَبَ، ومَعْنَىٰ قوله: ﴿في الخطاب﴾ أي: كان أوْجَهَ مِنِّي، فإذَا خَاطَبْتُهُ، كانَ كلامُه أقْوَىٰ من كلامي، وقُوَّتُهُ أعْظَمَ مِنْ قُوَّتِي.

ويُرْوَىٰ أنَّه لَمَّا قَالَ: ﴿لقد ظلمك بسؤال نعجتِك﴾، تَبَسَّما عند ذلكَ، وَذَهَبَا، وَلَمْ يَرَهُما لحِينه، فَشَعَرَ حينئذ للأمْرِ، ويُرْوَىٰ أنَّهُمَا ذَهَبَا نَحْوَ السَّمَاءِ بِمَرْأَى مِنْه.

﴿والخلطاء﴾: الشُّرَكَاءِ في الأمْلاَكِ، والأُمُورِ، وهذا القَوْلُ مِنْ دَاوُدَ وَعْظٌ لِقَاعِدَةِ حَقٍّ، ليُحَذِّرَ الخَصْمَ مِنَ الوُقُوعِ في خلافِ الحقِّ.

وقوله تعالى: «إلا الذين ءامنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم»: قال أبو حيان[2]: ﴿وقليل﴾ خبرٌ مقدَّم، و«مَا» زائِدةٌ تُفِيدُ مَعْنَى التَّعْظِيمِ، انتهى.

وَرَوَى ابْنُ المبارَكِ في «**رقائقه**» بسندِه عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «أشَدُّ الأعْمَالِ ذِكْرُ اللَّهِ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ، والإنْصَافُ مِنْ نَفْسِكَ، وَمُوَاسَاةُ الأخِ في المالِ»[3] انتهى.

وقوله تعالى: ﴿وظن داود أنما فتناه﴾ معناه: شَعَر لِلأَمْرِ وَعَلِمَهُ، و﴿فتناه﴾ أي: ابْتَلَيْنَاهُ وامْتَحَنَّاهُ، وقال البخاريُّ: قال ابن عباس: ﴿فتناه﴾ أي: اختَبَرْنَاهُ، وأسْنَد البخاريُّ

---

(١) سقط في: د.

(٢) ينظر: «**البحر المحيط**» (٧/ ٣٧٧).

(٣) ذكره الحافظ ابن حجر في «**لسان الميزان**» (٦/ ٣٢٦) من طريق الشافعي عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر، وقال: وهذا موضوع على هؤلاء رقم: (١١٦٣).

عن مجاهدٍ قال: سألتُ ابنَ عباسٍ عَنْ سَجْدَةِ «صٓ» أين تَسْجُدُ، فَقَالَ: أَوَ مَا تَقْرَأُ ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وسُلَيْمَانَ﴾ [الأنعام: ٨٤] إلى قوله: ﴿أولئك الذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠] فَكَانَ داوُد مِمَّن أُمِرَ نَبِيُّكُمْ أنْ يَقْتَدِيَ بِهِ، فَسَجَدَهَا دَاوُدُ؛ فَسَجَدَهَا رسولُ اللَّه ﷺ[1]، انتهى، فتأمَّلَهُ وما فيه مَنَ الْفِقْهِ، وقَرأ أبو عمرو في رِوَاية علي بن نَصْرٍ: «فَتَنَاهُ» ـ بتخفيفِ التاء والنون ـ على إسنادِ الفعلِ للخَصْمَيْنِ[2]، أي: ٱمْتَحَنَاهُ عَنْ أَمْرِنَا، قال أبو سعيدٍ الخُدْرِيُّ: «رأيتُنِي في النوم أكتُبُ سورَة «صٓ» فَلَما بَلَغْتُ/ قَوْلَهُ: ﴿وَخَرَّ رَاكِعَاً وأناب﴾ سَجَدَ القلمُ، ورَأيتُنِي في مَنام آخَرَ، وشَجَرَةٌ تَقْرَأُ سُورَةَ «صٓ» فلما بَلَغَتْ هَذَا، سَجَدَتْ، وَقَالَتْ: اللَّهُمَّ، اكْتُبْ لِي بِهَا أجراً، وَحُطَّ عَنِّي بِهَا وِزْراً، وٱرْزُقْنِي بِهَا شُكْراً، وَتَقَبَّلْهَا مِنِّي كَمَا تَقَبَّلْتَها مِنْ عَبْدِكَ دَاوُدَ، فقال النبيُّ ﷺ: وَسَجَدْتَ أَنْتَ يَا أَبا سَعِيد؟ قُلْتُ: لاَ، قال: أَنْتَ كُنْتَ أَحَقَّ بالسَّجْدَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ، ثم تَلاَ نبيُّ اللَّهِ الآياتِ حتى بَلَغَ: ﴿وأناب﴾، فَسَجَدَ، وقَالَ كَمَا قَالَتِ الشَّجَرَةُ». ١٩٦أ

﴿وأنابَ﴾ مَعْنَاهُ: رَجَعَ، * ت *: وحديثُ سجودِ الشجرةِ رواهُ الترمذيُّ وابن ماجَه والحاكمُ وابنُ حِبَّان في «**صحيحَيهما**»، وقال الحاكم: هو منْ شَرْطِ الصِّحَّةِ، انتهى من «**السلاح**».

والزُّلْفَى: القُرْبَةُ والمكانةُ الرفيعةُ، والمآبُ: المَرْجِعُ في الآخِرَةِ من آب يَؤُوبُ: إذا رَجَعَ.

﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض﴾ تقديرُ الكلامِ: وقُلْنَا لَهُ يا داوُدُ، قال * ع[3] *: ولاَ يُقَالُ: خليفةُ اللَّهِ إلا لرسولِه، وأما الخلفاءُ، فكل واحدٍ

---

(١) أخرجه البخاري (٨/ ٤٠٥) كتاب «التفسير» باب: سورة صٓ: (٤٨٠٧)، (٤٨٠٦) نحوه، وأخرجه ابن أبي شيبة (١/ ٣٧٠) كتاب «الصلاة» باب: من قال في صٓ سجدة وسجد فيها (٤٢٥٥، ٤٢٥٩، ٤٢٦٨) عن ابن عباس نحوه، وذكره السيوطي في «**الدر المنثور**» (٥/ ٥٧١).

(٢) ينظر: «**السبعة**» (٥٥٣)، و«**الحجة**» (٦/ ٧٠)، و«**معاني القراءات**» (٢/ ٣٢٧)، و«**إتحاف**» (٢/ ٤٢١)، وذكرها الأخير عن الشنبوذي. وينظر: «**المحتسب**» (٢/ ٢٣٢).

(٣) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٤/ ٥٠٢).

خَليفَةٌ للذي قَبْلَهُ، ومَا يَجِيءُ في الشِّعْرِ مِنْ تَسْمِيَة أحدهِم خليفةَ اللَّهِ! فذلك تجوُّزٌ وَغُلُوٌّ؛ أَلا تَرىٰ أن الصَّحابَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ـ حَرَزُوا هذا المعنى، فقالوا لأبي بَكْرٍ: خليفةُ رسولِ اللَّهِ، وبهذا كَانَ يُدْعَىٰ مدةَ خلافَتِه، فَلَمَّا وَلِيَ عُمَرُ؛ قالُوا: يا خليفةَ خليفةِ رَسُولِ اللَّهِ، فَطالَ الأمْرُ، وَرأَوْا أَنَّهُ في المُسْتَقْبَلِ سَيَطُولُ أَكْثَرَ؛ فَدَعَوْهُ أَمِيرَ المُؤمنينَ، وقُصِرَ هَذا الاسْمُ عَلى الخُلَفَاءِ.

وقوله: ﴿فيضلّك﴾ قالَ أبو حيان[1]: منصوبٌ في جوابِ النَّهْي، (ص) أبو البقاءِ وقيل: مجزومٌ عَطْفاً عَلَى النَّهْيِ وفُتِحَتِ [اللامُ][2] لالْتِقَاءِ الساكنين، انتهى.

وقوله سبحانه: ﴿إن الذين يضلون عن سبيلِ اللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿وليتذكر أولوا الألباب﴾: اعْتِرَاضٌ فصيحٌ بين الكلامينِ من أمرِ دَاوُدَ وسليمانَ، وهو خطابٌ لنبينا محمدٍ ﷺ، وعِظَةٌ لأمَّتِه، و﴿نَسُوا﴾ في هذه الآية معْنَاهُ تَرَكُوا، ثم وقفَ تَعالى عَلى الفَرْقِ عندَه بيْنَ المؤمِنينَ العامِلينَ بالصَّالِحَاتِ وبَيْنِ المفْسِدِينَ الكَفَرَةِ وبَيْنَ المتَّقِينَ والفُجَّارِ، وفي هَذَا التوقيفِ حَضٌّ عَلَى الإيمانِ والتَّقْوَىٰ، وتَرْغِيبٌ في عَمَلِ الصالحات، قَال ابنُ العَرَبِيِّ[3]: نَفَى اللَّهُ تَعَالَى المساواةَ بَيْنَ المؤمِنينَ والكافِرِينَ، وبَيْنَ المتقينَ والفُجَّار؛ فلا مُسَاوَاةَ بَيْنَهُمْ في الآخرةِ، كَما قَالهُ المفَسِّرون ولاَ في الدُّنْيَا أيْضاً؛ لأنَّ المؤمنينَ المتقينَ معصومُونَ دَماً ومالاً وعرْضاً، والمُفْسِدُونَ في الأرض والفُجَّارُ مُبَاحُو الدَّمِ والمالِ والعِرْضِ، فَلاَ وَجْهَ لِتَخْصِيصِ المفسِّرِينَ بِذَلِكَ في الآخرة دون الدُّنْيَا، انتهى من «**الأحكام**»؛ وهذا كما قال، وقوله تعالى في الآية الأخرَىٰ: ﴿سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ [الجاثية: ٢١] يشهد له، وباقي الآية بَيِّنٌ.

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا ءاياته﴾ قال الغَزَّالِيُّ في «**الإحْيَاءِ**»: اعْلَمْ أن القرآن مِنْ أَوَّلِه إلى آخِرِه تحذيرٌ وتخويفٌ لاَ يَتَفَكَّرُ فيه مُتَفَكِّرٌ إلا وَيَطُولُ حُزْنُهُ، وَيَعْظُمُ خَوْفُه إنْ كَانَ مُؤْمِناً بِمَا فِيه، وَتَرى النَّاسَ يَهْذُونَهُ هَذًّا، يُخْرِجُونَ الحُروفَ مِنْ مُخَارِجِها، ويَتَنَاظَرُونَ عَلَىٰ خَفْضِها ورَفْعِها وَنَصْبِها، لاَ يَهُمُّهُمْ الالتِفَاتُ إلى مَعانِيها والعملِ

---

(١) ينظر: «**البحر المحيط**» (٧/ ٣٧٨).

(٢) سقط في: د.

(٣) ينظر: «**أحكام القرآن**» (٤/ ١٦٤٦).

٩٦ ب بما فِيها، وَهَلْ/ في العِلم غُرُورٌ يَزِيدُ عَلَىٰ هذا، انتهى من كِتَابِ ذَمِّ الغُرُور.

واختلفَ المتأولونَ في قَصَصِ هذهِ الخيل المَعْرُوضَةِ عَلى سُلَيْمَانَ ـ عَلَيْهِ السلامُ ـ فقال الجُمْهُورُ: إنَّ سُلَيْمَانَ ـ عَلَيْهِ السلام ـ عُرِضَتْ عليه آلافٌ مِنَ الخَيْلِ تَرَكَهَا أَبُوهُ، فأُجْرِيَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ عِشَاءً، فَتَشَاغَلَ بجريها وَمَحَبَّتِهَا، حَتَّىٰ فَاتَهُ وَقْتُ صَلاَةِ العَشِيِّ، فَأَسِفَ لِذَلِكَ؛ وَقَالَ: رُدُّوا عَلَيَّ الخَيْلَ؛ فَطَفِقَ يَمْسَحُ سُوقَها وأَعْنَاقَها بالسَّيْفِ، قَالَ الثَّعْلَبِيُّ وغيره، وجَعَل يَنْحَرُهَا تَقَرُّباً إِلَىٰ اللَّهِ تعالى؛ حيثُ اشْتَغَل بِهَا عَنْ طَاعَتِهِ، وكان ذلكَ مُبَاحاً لَهُمْ كما أُبِيحَ لَنا بهيمةُ الأَنْعَامِ، قال * ع[1] *: فَرُوِيَ أَنَّ اللَّهَ تعالَىٰ أَبْدَلَهُ مِنْهَا أَسْرَعَ منها، وهي الرِّيحُ، قال ابن العربيِّ في «**أحكامه**»[2]: و﴿الخير﴾ هنا هي الخيل؛ وكذلكَ قَرأَها ابنُ مَسْعُود: «إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الخَيْلِ»[3] انتهى، و«الصَّافِنُ»: الذي يَرْفَعُ إِحْدَىٰ يديه؛ وقَدْ يَفْعَلُ ذلكَ برِجْلِهِ؛ وهي علامةُ الفَرَاهِيَة؛ وأَنْشَدَ الزَّجَّاجُ[4]: [الكامل]

أَلِفَ الصُّفُونَ فَمَا يَزَالُ كَأَنَّهُ ... مِمَّا يَقُومُ عَلَى الثَّلاَثِ كَسِيرَا[5]

قالَ بَعْضُ العلَماء: ﴿الخير﴾ هنَا أرادَ به الخَيْلَ، والعَرَبُ تُسَمي الخَيْلَ، الخَيْرَ، وفي مِصْحَفِ ابْن مَسْعُودٍ: «حُبَّ الخَيْلِ» باللامِ.

والضميرُ في ﴿توارت﴾ للشمسِ، وإن كَانَ لَمْ يَتَقَدَّم لَهَا ذِكْرٌ، لأَنَّ المَعْنَىٰ يَقْتَضِيهَا، وأيضاً فَذِكْرُ العَشِيِّ يَتَضَمَّنُهَا، وقالَ بعضُ المفسرينَ ﴿حتى توارت بالحجابِ﴾، أَي: الخيلُ دَخَلَتْ إِصْطَبْلاَتِهَا، وقال ابنُ عبَّاسٍ والزُّهْرِيُّ: مَسْحُهُ بالسُّوقِ والأَعْنَاقِ لَمْ يَكُنْ بالسَّيْفِ؛ بل بيدهِ تَكْرِيماً لَها؛ ورَجَّحَهُ الطبريُّ[6]، وفي البخاري: ﴿فطفق مسحاً﴾ يمسحُ أَعْرَافَ الخَيلِ وعَرَاقِيبَهَا؛ انتهى، وعن بعضِ العلماءِ أَنَّ هذهِ القصةَ لَمْ يَكُنْ فيها فَوْتُ صلاةٍ، وقالوا: عُرِضَ على سليمانَ الخيلُ وهو في الصلاةِ، فأشَارَ إِليهم؛ أي: إني في صلاةٍ،

---

(١) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٤/ ٥٠٣).

(٢) ينظر: «**أحكام القرآن**» (٤/ ١٦٤٨).

(٣) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٤/ ٥٠٤).

(٤) ينظر: «**معاني القرآن**» (٤/ ٣٣٠).

(٥) البيت بلا نسبة في «**الأزهية**» ص: (٨٧)، و«**أمالي ابن الحاجب**» (٢/ ٦٣٥)، و«**شرح شواهد المغني**» (٢/ ٧٢٩)، و«**لسان العرب**» (١٣/ ٢٤٨) (صفن)، و«**مغني اللبيب**» (١/ ٣١٨)، وينظر: «**الكشاف**» (٢/ ٢٨٤)، و«**البحر المحيط**» (٧/ ٣٨٨)، و«**الدر**» (٥/ ٥٣٤).

(٦) أخرجه الطبري في «**تفسيره**» (١٠/ ٥٧٩) برقم: (٢٩٨٩٢) عن ابن عباس، وذكره البغوي في «**تفسيره**» (٤/ ٦١)، وابن عطية في «**تفسيره**» (٤/ ٥٠٤)، وابن كثير في «**تفسيره**» (٤/ ٣٤)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٥/ ٥٨٠)، وعزاه لابن أبي حاتم عن ابن عباس.

فأزَالُوهَا عَنْهُ حتى أَدْخَلُوها في الإِصْطَبْلاَتِ، فقالَ هو، لَمَّا فَرَغَ من صلاته: إني أَحْبَبْتُ حُبَّ الخيرِ، أي: الذي عِنْدَ اللَّهِ في الآخِرةِ؛ بسببِ ذِكْرِ ربي، كَأَنه يقول: فَشَغَلَنِي ذلكَ عَنْ رُؤْيَةِ الخيلِ، حتى أُدْخِلَتْ إِصْطَبْلاَتِهَا، رُدُّوهَا عَليّ، فَطَفِقَ يَمْسَحُ أَعْرَافَهَا وسُوقَهَا، تَكْرمةً لها، أي: لأَنَّها معدَّةٌ للجهَادِ، وهذا هو الراجحُ عند الفخر[1]، قال: ولو كانَ مَعْنَىٰ مَسْحِ السُّوقِ والأعناقِ قَطْعَهَا لَكَانَ مَعْنَىٰ قوله: ﴿وَٱمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾ [المائدة: ٦] قَطعَهَا * ت *: وهَذَا لا يلزمُ للقرينَةِ في الموضعين، اهـ. قال أبو حَيَّان[2]: و﴿حُبَّ الخَيْرِ﴾ قال الفراء: مفعولٌ بهِ، ﴿وأحببت﴾ مُضَمَّنٌ مَعْنَىٰ آثَرْتُ، وقيلَ: منصوبٌ على المصدرِ التَّشْبِيهِي، أي: حبًا مِثْلَ حُبِّ الخير، انتهى.

وقوله: ﴿عن ذكر ربي﴾ «عن» عَلَىٰ كُلِّ تَأويلٍ هنا للمُجَاوَزَةِ من شيءٍ إلى شَيْءٍ، وَتَدَبَّرْهُ فإنه مُطَّرِدٌ.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿ولقد فتنا سليمان...﴾ الآية، * ت *: اعْلَمْ ـ رَحِمَكَ اللَّهُ ـ أن الناسَ قَدْ أَكْثَرُوا في قَصَصِ هذهِ الآيةِ بما لاَ يُوقَفُ على صِحَّتِه، وحكى الثعلبي في بعض الروايات؛ أنَّ سليمانَ ـ عليه السلام ـ لَما فُتِنَ، سَقَطَ الخَاتَمُ مِنْ يَدِه، وَكَانَ فِيه مُلْكُهُ، فأعاده إلَىٰ يده، فَسَقَطَ؛ وأَيْقَنَ بالفتنة، وأَنَّ آصِف بْنَ بَرْخِيَّا قال له: يا نبيَّ اللَّهِ، إنَّكَ مَفْتُونٌ؛ ولذلكَ/ لاَ يَتَمَاسَكُ الخَاتَمُ فِي يَدِكَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ يَوْماً؛ فَفِرَّ إلى اللَّهِ تَعَالَىٰ تَائِباً مِنْ ذَنْبِكَ، وَأَنَا أَقُومُ مَقَامَكَ في عَالَمِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَىٰ إِلَىٰ أَنْ يَتُوبَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَلَيْكَ، فَفَرَّ سُلَيْمَانُ هَارِباً إِلَىٰ رَبِّهِ مُنْفَرِداً لِعِبَادَتِهِ، وأَخَذَ آصِفُ الخَاتَمَ، فَوَضَعَهُ في يدِه، فَثَبَتَ، وقيلَ: إن الجَسَدَ الَّذِي قَالَ اللَّهُ تعالى: ﴿وألقينا على كرسيه جسداً﴾ هُو آصِفُ كَاتِبُ سُلَيْمَانَ، وهو الذي عندَه عِلْمٌ مِن الكتَابِ، وأقام آصِفُ في ملكِ سليمانَ وعيالِهِ يَسِيرُ بِسِيرَتِهِ الحسَنةِ، ويَعْمَلُ بِعَمَلِهِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ يوماً إِلَىٰ أَنْ رَجَعَ سليمانُ إلى منزله تائِباً إلى اللَّه تعالَىٰ، ورَدَّ اللَّه تعالَىٰ عليه مُلْكَهُ، فأَقَامَ آصِفُ عن مجلسهِ، وجَلَسَ سليمانُ عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ، وأعادَ الخاتَمَ، وقالَ سَعِيدُ بن المسيِّب: إن سليمانَ بنَ دَاوُدَ ـ عليهمَا السلامُ ـ ٱحْتَجَبَ عنِ الناسِ ثلاثةَ أَيَّامٍ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: أَنْ يا سُلَيْمَانُ، ٱحْتَجَبْتَ عنِ الناسِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ، فَلَمْ

٩٧ أ

(١) ينظر: «تفسير الفخر الرازي» (٢٦/ ١٧٩).
(٢) ينظر: «البحر المحيط» (٧/ ٣٨٠).

تَنْظُرْ في أُمورِ عِبَادِي، ولم تُنْصِفْ مَظْلُوماً مِنْ ظَالِمٍ، وذكر حديثَ الخاتم كما تقدَّم، انتهى، وهذَا الذي نقلناه أشْبَهُ ما ذُكِرَ، وأَقْرَبُ إلى الصَّوَابِ؛ واللَّه أعلم، وقال عِيَاضٌ: قوله تعالى: ﴿ولقد فَتَنَّا سليمان﴾ معناه: ابتَلَيْنَاهُ، وابتلاؤه: هُو مَا حُكِي في الصحيح أنه قال: «لأَطُوفَنَّ الليلةَ عَلَىٰ مِائَةِ ٱمْرَأَةٍ كُلُّهُنَّ يَأْتِينَ بِفَارِسٍ يُجاهِدُ في سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَمْ يَقُلْ: «إنْ شَاءَ اللَّهُ» فلم تَحْمِلْ مِنْهُنَّ إلا امرأةٌ جاءَتْ بِشِقِّ رَجُلٍ»[1]، الحديث، قال أصحابُ المعانِي: والشِّقُّ هو الجسدُ الذي أُلْقِيَ عَلَىٰ كرسيه حين عُرِضَ عليه؛ وهي كانتْ عقوبتُهُ ومحنته، وقيل: بَلْ مَاتَ، وأُلْقِيَ عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ مَيِّتاً، وأما عَدَمُ استثْنَائِه، فأَحْسَنُ الأجوبةِ عنه، ما رُوِيَ في الحديثِ الصحيح أَنَّهُ نَسِيَ أَنْ يَقُولَ: «إنْ شَاءَ اللَّهُ»، ولاَ يَصِحُّ مَا نَقَلَهُ الأخباريُون من تَشَبُّه الشيطانِ به وتسَلُّطِهِ عَلَىٰ مُلْكِهِ، وتصرُّفِه في أمَّتِه؛ لأن الشَّيَاطِينَ لاَ يُسَلَّطُونَ عَلَىٰ مِثْلِ هذا، وقد عُصِمَ الأنبياءُ من مثله، انتهى، * ت *: قالَ ابن العربي: ﴿وألقينا على كرسيه جسداً﴾ يَعني جسدَه لا أَجْسَادَ الشَّيَاطينِ؛ كما يقولُه الضعفاءُ، انتهى من «**كتاب تفسير الأفعال**» له، قال ابنُ العربيِّ في «**أحكامَه**»: وما ذكره بعضُ المفسِّرينَ مِنْ أن الشيطان أخذَ خاتَمَهُ، وجَلَسَ مجلسَه، وحَكَمَ الخَلْقَ عَلَىٰ لسانِه ـ قولٌ باطلٌ قَطْعاً ـ؛ لأن الشياطينَ لا يَتَصَوَّرُونَ بِصُوَرِ الأَنْبِيَاءِ؛ ولا يُمَكَّنُونَ من ذلك؛ حتَّىٰ يظنَّ الناسُ أنَّهم مع نبيِّهم في حَقٍّ، وهم مَعَ الشياطينِ في بَاطِلٍ؛ ولو شاءَ ربُّكَ لوَهَبَ من المعرفةِ [والدِّينِ] لمنْ قَالَ هٰذا القولَ ما يَزَعُهُ عن ذِكْرِهِ، ويَمْنَعُهُ مِن أَنْ يَسْطُرَهُ في دِيوَان من بعده، انتهى.

وقوله: ﴿وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد...﴾ الآية، قال * ع[2] *: من المقطوعِ به أَنَّ سُلَيْمَانَ ـ عليه السلامُ ـ إنما قَصَدَ بذلكَ قَصْداً بِرًّا؛ لأن للإنسان أن يرغبَ من فضلِ اللَّهِ فيما لا يَنَالهُ أحدٌ؛ لا سيما بِحَسَبِ المَكَانَةِ والنبوَّةِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٤١) كتاب «الجهاد والسير» باب: من طلب الولد للجهاد (٢٨١٩)، (٦/ ٥٢٨) كتاب «أحاديث الأنبياء» باب: قول اللَّه تعالى: ﴿ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب﴾ (٣٤٢٤)، (٩/ ٢٥٠) كتاب «النكاح» باب: قول الرجل لأطوفن الليلة على نسائي (٥٢٤٢)، (١١/ ٥٣٣) كتاب «الأيمان والنذور» باب: كيف كانت يمين النبي ﷺ؟ (٦٦٣٩)، (١١/ ٦١٠) كتاب «كفارات اليمين» باب: الاستثناء في الأيمان(٦٧٢٠)، (١٣/ ٤٥٥) كتاب «التوحيد» باب: في المشيئة والإرادة (٧٤٦٩)، ومسلم (٣/ ١٢٧٥، ١٢٧٦)، كتاب «الأيمان» (٧٤٦٩) باب: يمين الحالف على نية المستحلف (٢٣/ ١٦٥٤ ـ ٢٥/ ١٦٥٤) والنسائي (٧/ ٢٥، ٢٦) كتاب «الأيمان والنذور»، باب: إذا حلف فقال له رجل إن شاء اللَّه، هل له استثناء؟ (٣٨٣١).

(٢) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٤/ ٥٠٥).

﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ
مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ
﴿٤٠﴾ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ
بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا
فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ
أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ
ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿فسخَّرنا له الرِّيح...﴾ الآيةَ، كَانَ لسليمانَ كُرْسِيٌّ فيه جنودُهُ، وتأتي/ عليه الريحُ الإعصارُ، فَتَنْقُلُهُ من الأرضِ حتى يَحْصُلَ في الهواء، ثم تتولاَّهُ الرُّخَاءُ؛ وهي اللَّيِّنَةُ القويَّةُ لا تَأْتِي فيها دُفَعٌ مُفْرِطَةٌ فَتَحْمِلُهُ؛ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ، و﴿حيثُ أَصَابَ﴾: معناه: حيثُ أراد؛ قاله وهْبٌ وغيره[1]، قال * ع[2] *: وَيُشْبِهُ أنَّ (أَصَابَ) مُعَدًّىٰ «صَابَ يَصُوبُ»، أي: حيث وَجَّه جنودَه، وقال الزَّجَّاج[3]: معناه: قصدَ، قلت: وعليه اقْتَصَرَ أبو حيَّان؛ فإنه قال: أصاب: أي قَصَدَ؛ وأنْشَد الثعلبيُّ: [المتقارب]

٩٧ ب

أَصَابَ الكَلاَمَ فَلَمْ يَسْتَطِعْ ... فَأَخْطَا الْجَوَابَ لَدَى الْمَفْصِلِ[4]

انتهى.

وقوله: ﴿كُلَّ بَنَّاء﴾ بَدَلٌ من ﴿الشَّيَاطينَ﴾ و﴿مقرَّنين﴾ معناه: مُوثَقِينَ؛ قد قُرِنَ بعضُهم ببعض، و﴿الأصفاد﴾ القيودُ والأغْلاَلُ، قال الحَسَنُ: والإشارةُ بقوله: ﴿هذا عطاؤنا...﴾ الآية، إلى جميع ما أعطاهُ اللَّه سبحانه مِنَ الملكِ[5]؛ وأمرَه بأن يَمُنَّ عَلى من يشاءُ ويُمْسِك عَمَّنْ يشاء، فكأنه وَقَفَهُ علَىٰ قَدْرِ النِّعمة، ثم أباح له التصرُّفَ فيه بمشيئته؛ وهذا أصح الأقوال وأجمعها لتفسير الآية، وتقدَّمت قصة أَيُّوبَ في سورة الأنبياء.

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٨٤) برقم: (٢٩٩١٧) عن ابن عباس، وبرقم: (٢٩٩١٩) عن مجاهد، وبرقم: (٢٩٩٢٠) عن الحسن، و (٢٩٩٢٣) عن وهب بن منبه، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٦٥)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٠٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٨٧)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر عن قتادة، ولابن المنذر عن الضحاك.

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٥٠٦).

(٣) ينظر: «معاني القرآن» (٤/ ٣٣٣).

(٤) ينظر: البيت في «البحر المحيط» (٧/ ٣٨٢)، و«الدر المصون» (٥/ ٥٣٦) والقرطبي (١٥/ ١٣٤).

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٨٥) برقم: (٢٩٩٢٩) عن الحسن، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٠٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٨٨)، وعزاه لعبد بن حميد عن قتادة.

وقوله: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ...﴾ الآيةَ، النُّصْبُ: المَشَقَّةُ، فيحتمل أن يشيرَ إلى مسّه حين سلَّطَهُ اللَّه علَىٰ إهلاكِ مالِه وولدِه وجِسْمِه؛ حَسْبَما رُوِيَ في ذلك، وقِيلَ: أشار إلى مسِّه إياه في تعرُّضِه لأَهْلِه؛ وطلبِهِ منهَا أنْ تُشْرِكَ باللَّه؛ فكأَنَّ أَيُّوبَ تَشَكَّىٰ هذا الفَصْلَ، وكان عليه أشدَّ مِن مَرَضه، وهنا في الآية محذوفٌ تقديرُه: فاسْتَجَابَ له وقَال: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ فَرُوِيَ أَن أيوب رَكَضَ الأرض فَنَبَعَتْ له عينُ ماءٍ صافيةٌ باردةٌ؛ فشرِبَ منها، فذهَبَ كُلُّ مَرَضٍ في دَاخِلِ جَسَدِهِ، ثم اغْتَسَلَ فذهبَ ما كانَ في ظاهِر بَدَنِه، ورُوِيَ أن اللَّه تعالى وَهَبَ له أهلَه ومالَه في الدنيا، ورَدَّ من ماتَ منهم، وما هلكَ من ماشيته وحالِه، ثم باركَ له في جميعِ ذلك، ورُوِيَ أن هذا كلَّه وُعِدَ به في الآخِرَة، والأول أَكْثَرُ في قول المفسِّرين.

* ت *: وعن عبد اللَّه بن مسعود ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ، إِذَا أَصَابَهُ هَمٌّ أَوْ حُزْنٌ: اللَّهُمَّ، إِنِّي عَبْدُكَ وابْنُ عَبْدِكَ وابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ ٱسْمٍ هُوَ لَكَ؛ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ أَوِ ٱسْتَأْثَرْتَ بِهِ في عِلْمِ الغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ القُرْآنَ العَظِيمَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجَلاَءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إلاَّ أَذْهَبَ اللَّهُ غَمَّه وَأَبدَلَه مكَانَ حُزْنِهِ فَرَحاً، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: يَنْبَغي لَنَا أَنْ نَتَعَلَّمَ هَذِهِ الكَلِمَاتِ؟ قَالَ: أَجَلْ، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَنْ يَتَعَلَّمَهُنَّ»[1]. قال صاحب «**السِّلاَح**»: رواه الحاكم في «**المُسْتَدْرَكِ**»، وابن حِبَّان في «**صحيحه**». * ت *: ورويناهُ من طريقِ النوويِّ عن ابن السُّنِّيِّ بسندهِ عَنْ أبي موسى الأَشْعَرِيِّ، عن النبي ﷺ وفيه: «أنا عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ ابنُ أَمَتِكَ في قَبْضَتِكَ»، وفيه: «فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: إِنَّ المَغْبُونَ لَمَنْ غُبِنَ هَؤُلاَءِ الكلماتِ، فَقَالَ: أَجَلْ، فَقُولُوهُنَّ/ وَعَلِّمُوهُنَّ؛ مَنْ قَالَهُنَّ، ٱلْتِمَاسَ مَا فِيهِنَّ أَذْهَبَ اللَّهُ تَعَالَىٰ حُزْنَهُ وَأَطَالَ فَرَحَه»[2] انتهى. ١٩٨أ

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٤٥٢)، وابن حبان في «**صحيحه**» (٣/ ٢٥٣) كتاب «الرقائق» باب: الأدعية ذكر الأمر لمن أصابه هم أو حزن أن يسأل اللَّه ذهابه عنه وإبداله إياه فرحاً (٩٧٢)، وابن حبان (٧/ ٤٠٤، ٤٠٥) ـ الموارد باب: ما يقول إذا أصابه هم أو حزن (٢٣٧٢)، وأبو يعلى (٩/ ١٩٨ ـ ١٩٩) (٣٣١/ ٥٢٩٧)، والحاكم (١/ ٥٠٩) كتاب «الدعاء» والشجري في «**أماليه**» (١/ ٢٩٩)، وذكره الهيثمي في «**مجمع الزوائد**» (١٠/ ١٣٩)، (١٠/ ١٨٩ ـ ١٩٠).

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم إن سلم من إرسال عبد الرحمٰن بن عبد اللَّه عن أبيه فإنه مختلف في سماعه عن أبيه. ا هـ.

قال الهيثمي في «**مجمع الزوائد**» (١٠/ ١٣٩) رجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح غير أبي سلمة الجهني وقد وثقه ابن حبان.

(٢) أخرجه ابن السني في «**عمل اليوم والليلة**» (٣٣٤).

وقوله: ﴿وذكرى﴾ معناه: موعِظَةٌ وتذكرةٌ يَعْتَبِرُ بها أُولُو العقولِ، وَيَتَأَسَّوْنَ بِصَبْرِهِ في الشدائدِ، ولا يَيْئَسُونَ من رحمة اللَّه علَىٰ حال.

ورُوِي أن أيُّوبَ ـ عليه السلام ـ كانت زوجَتُهُ مدَّةَ مَرَضِه تَخْتَلِفُ إلَيْه فيتلقَّاها الشيطانُ في صورة طَبِيبٍ، ومرةً في هيئة نَاصِحٍ؛ وعلى غير ذلك، فيقول لها: لو سَجَدَ هذَا المريضُ للصَّنَم الفُلاَنِيِّ لَبَرِىءَ، لَوْ ذَبَحَ عَنَاقاً للصَّنَمِ الفُلاَنِيِّ لَبرِىءَ، ويَعْرِضُ عليها وجوهاً من الكفر، فكانَتْ هي ربَّما عرضت شَيْئاً من ذلك على أيوب، فيقولُ لها: لقيتِ عَدُوَّ اللَّهِ في طريقك، فلمَّا أغْضَبَتْهُ بهذا ونحوِهِ؛ حلَفَ عليها لَئِن برىء من مرضِه ليضربنَّها مائةَ سَوْطٍ، فلما بَرِىءَ؛ أَمَرَه اللَّه تعالى أن يأخُذَ ضِغْثاً فيه مائةُ قَضِيبٍ، «والضغثُ»: القبضةُ الكبيرةُ من القضبانِ ونحوِها مَنَ الشجرِ الرَّطْبِ؛ قاله الضَّحَّاكُ[1] وأهلُ اللغة، فيضربُ بهِ ضربةً واحدةً، فَتَبَرُّ يمينُهُ؛ وهذا حكمٌ قد وَرَدَ في شرعِنا عن النبيِّ ﷺ [مِثْلُه في حدِّ الزنا لرجُلٍ زَمِنٍ، فأمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ][2] بِعِذْقِ نَخْلَةٍ فِيهِ شَمَارِيخُ مِائَةٌ أو نَحْوُهَا، فَضُرِبَ ضَرْبَةً[3]، ذكر الحديثَ أبو داود، وقال بهذا بعضُ فقهاء الأمة، وَلَيْسَ يرى ذلك مالكُ بنَ أنس وأصحابه، وكذلك جمهورُ العلماء على ترك القول به، وأن الحدودَ والبِرَّ في الأيمانِ لا تقع إلا بتمام عَدَدِ الضَّرَبَاتِ، **وقرأ** الجمهور «أولي الأيدي»[4] يعني: أولي القوة في طاعةِ اللَّه؛ قاله ابن عباس ومجاهد[5]، وقالت فرقة: معناه: أولي الأيدي والنِّعَمِ الَّتي أسْدَاها اللَّهُ إليهم من النبوَّة والمكانةِ، ﴿والأبصار﴾ عبارةٌ عن البصائِر، أي: يُبْصِرونَ الحقائِقَ وينظرونَ بنورِ اللَّهِ تعالى، **وقرأ** نافع وحده: «بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ»[6]، على

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٩١) برقم: (٢٩٩٥٦)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٠٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٩١)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر عن ابن عباس.

(٢) سقط في: د.

(٣) أخرجه أبو داود (٢/ ٥٦٧) كتاب «الحدود» باب: في إقامة الحد على المريض (٤٤٧٢)، وابن ماجه (٢/ ٨٥٩) كتاب «الحدود» باب: الكبير والمريض يقام عليه الحد (٢٥٧٤)، وأحمد (٥/ ٢٢٢).

(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٥٠٩)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣٨٥)، و«الدر المصون» (٥/ ٥٣٧).

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٩٢) برقم: (٢٩٩٦٠) عن ابن عباس، وبرقم: (٢٩٩٦٣) عن مجاهد، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٦٦)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٠٩)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٩٣)، وعزاه لابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس، ولعبد بن حميد عن مجاهد.

(٦) ينظر: «السبعة» (٥٥٤)، و«الحجة» (٦/ ٧٢)، و«معاني القراءات» (٢/ ٣٢٨)، و«شرح الطيبة» (٥/ ١٩٢)، و«العنوان» (١٦٣)، و«حجة القراءات» (٦١٣)، و«شرح شعلة» (٥٦٥)، و«إتحاف» (٢/ ٤٢٢).

الإضافة، **وقرأ** الباقون «بِخَالِصَةٍ» على تنوينِ «خالِصَةٍ» فـ«ذِكْرَىٰ» على هذه القراءةِ بدلٌ من خالِصَةٍ فيحتملُ أنْ يكونَ معنى الآية: أنا أخلصناهم بأن خَلُصَ لهم التذكيرُ بالدارِ الآخرةِ ودعاءِ الناس إليها؛ وهذا قول قتادةَ[1]، وقيل المعنى: أنا أخْلَصْنَاهم، بأنْ خَلُصَ لهم ذكرَهم للدارِ الآخرة وخوفُهم لها والعملُ بحسب ذلك؛ وهذا قول مجاهد[2]، وقال ابن زيد: المعنى أنا وَهَبْنَاهُمْ أَفْضَلَ مَا في الدارِ الآخرةِ، وأخْلَصْناهم به، وأعطيناهم إياه[3]، ويحتمل أن يريدَ بالدارِ دارَ الدنيا على معنى ذكر الثناءِ والتعظيمِ من الناس.

﴿هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿هذا ذِكر﴾ يحتملُ معنيَيْنِ:

أحدهما: أن يشيرَ إلى مَدْحِ مَنْ ذُكِرَ وإبقاءِ الشَّرَفِ له، فيَتأيَّدُ بهذا قولُ مَنْ قَال: إن الدارَ يرادُ بها الدنيا.

والثاني: أن يُشيرَ بهذا إلى القرآن، أي: ذكرٌ للعالم.

﴿وجنات﴾ بدل من ﴿حسن مآب﴾ و﴿مفتحة﴾ نَعْتٌ لـ﴿جناتٍ﴾، و﴿الأبواب﴾ مفعولٌ لَمْ يُسَمَّ فاعله، وباقي الآيةِ بيِّن.

﴿هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾﴾

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٩٣) برقم: (٢٩٩٦٩)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٦٦)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٠٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٩٣)، وعزاه لابن المنذر عن الضحاك.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٩٣) برقم: (٢٩٩٧٠) عن مجاهد، و(٢٩٩٧١) عن السدي، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٦٦)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٠٩)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٩٣)، وعزاه لابن المنذر.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٩٤) برقم: (٢٩٩٧٢)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٦٦)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٠٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٩٣)، وعزاه لعبد بن حميد عن الحسن.

وقوله سبحانه: ﴿هذا وإن للطاغين لشر مآب...﴾ الآية، التقديرُ: الأمرُ/ هذا، ويحتمل أنْ يكونَ التقديرُ: هذا واقعٌ أو نحوَهُ، و«الطغيان» هنا في الكُفْرِ. ٩٨ ب

وقوله تعالى: ﴿هذا فليذوقوه حميم وغساق﴾ **قرأ** الجمهورُ: «غَسَاق» ـ بتخفيف السينِ[١] ـ وهو اسم بمعنى السائِل، قال قتادةُ: الغَسَاقُ: ما يَسِيلُ من صديدِ أهلِ النار[٢]، قال * ص *: الغَسَاقُ السَّائِل، وعن أبي عبيدةَ أيضاً: الباردُ المُنْتِنُ بلُغَةِ التُّرْكِ[٣]، انتهى، قال الفخرُ[٤]: ﴿هذا فليذوقوه حميم وغساق﴾ فيه وجْهَانِ: الأول على التقديم والتأخير، والتقديرُ: هذا حميمٌ وغساقٌ أي: منه حميمٌ وغساقٌ، انتهى، * ت *: والوجهُ الثاني: أنَّ الآيةَ لَيْسَ فيها تقديمٌ ولا تأخيرٌ وهو واضِح، **وقرأ** الجمهور ﴿وآخَرُ﴾ بالإفرادِ، ولَهُمْ عذابٌ آخَرُ، ومعنى ﴿مِن شكله﴾ أي: من مِثْلِهِ وضَرْبِهِ، **وقرأ** أبو عمرو وحدَه: «وأُخَرُ» على الجمعِ[٥]، و﴿أزواج﴾ معناه: أنواع، والمعنى: لهم حميمٌ وغساقٌ، وأغذية أُخَرُ من ضَرْبِ ما ذُكِرَ.

وقوله تعالى: ﴿هذا فوج﴾ هو مِمَّا يُقَالُ لأهْلِ النارِ، إذا سِيقَ عامَّةُ الكفَّارِ والأتباعِ إليها؛ لأن رؤساءَهم يَدْخلونَ النارَ أولاً، والأظهرُ أنَّ قائلَ ذلكَ لَهُمْ ملائكةُ العذابِ، وهو الذي حكَاه الثعلبيُّ وغَيْرُهُ، ويحتملُ أنْ يكونَ ذلكَ من قولِ بعضِهم لبعض، فيقولُ البعضُ الأخرُ: ﴿لا مرحباً بهم﴾ أي، لا سَعَةَ مَكَانٍ، ولا خَيْرَ يَلْقَوْنَهُ.

وقوله: ﴿بل أنتم لا مرحباً بكم﴾ حكايةٌ لقولِ الأتبَاعِ لرؤسائِهم، أي: أنتم قَدَّمْتُمُوهُ لنا بإغوائِكم وأسلفتم لنا ما أوجب هذا، قال العِرَاقِيُّ: [الرجز]

---

(١) وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص بتشديد السين.
ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٤/ ٥١٠)، و«**السبعة**» (٥٥٥)، و«**الحجة**» (٦/ ٧٨)، و«**معاني القراءات**» (٢/ ٣٣٠)، و«**شرح الطيبة**» (٥/ ١٩٣)، و«**العنوان**» (١٦٣)، و«**حجة القراءات**» (٦١٥)، و«**شرح شعلة**» (٥٦٥)، و«**إتحاف**» (٢/ ٤٢٣).

(٢) أخرجه الطبري في «**تفسيره**» (١٠/ ٥٩٨) برقم: (٢٩٩٩٠)، وذكره البغوي في «**تفسيره**» (٤/ ٦٧)، وابن عطية في «**تفسيره**» (٤/ ٥١٠)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٥/ ٥٩٤)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة، ولابن أبي شيبة، وهناد، وعبد بن حميد عن أبي رزين، ولهناد عن عطية.

(٣) ذكره البغوي في «**تفسيره**» (٤/ ٦٧)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٥/ ٥٩٤)، وعزاه لابن جرير عن عبد الله بن بريدة.

(٤) ينظر: «**تفسير الفخر الرازي**» (٢٦/ ١٩٢).

(٥) ينظر: «**السبعة**» (٥٥٥)، و«**الحجة**» (٦/ ٧٨)، و«**معاني القراءات**» (٥/ ١٩٣)، و«**العنوان**» (١٦٣)، و«**حجة القراءات**» (٦١٥)، و«**شرح شعلة**» (٥٦٦)، و«**إتحاف**» (٢/ ٤٢٣).

مُـقْـتَـحِـمٌ أَيْ دَاخِـلٌ بِـشِـدَّهْ مُـجَـاوِزٌ لِـمَـا اقْـتُـحِـمْ بِـالـشِّـدَّهْ

انتهى.

وقوله تعالى: ﴿قالوا ربنا من قدم لنا هذا...﴾ الآية، هو حكايةٌ لقول الأتباعِ أيضاً دَعَوْا على رؤسائِهم؛ بأن يكونَ عذابُهُمْ مُضَاعَفاً.

﴿وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وقالوا ما لنا لا نرى رجالاً كنا نعدهم من الأشرار...﴾ الآية: الضميرُ في ﴿قالوا﴾ لأشْرَافِ الكفارِ ورؤسائِهم، وهذا مطَّرِدٌ في كل أمة، ورُوِيَ أن قائِلي هذه المقالةِ أهْلُ القَلِيبِ؛ كأبِي جَهْلٍ وأُمَيَّةَ بنِ خَلَفٍ وعُتْبَةَ بن رَبيعةِ، ومَنْ جَرَى مَجْرَاهُمْ، وأنَّ الرجالَ الذين يشيرون إليهم هم كَعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، وبِلاَلٍ وصُهَيْبٍ، ومَنْ جَرَىٰ مجراهم، قاله مجاهد[1] وغيره، والمعنى: كنا في الدنيا نَعُدُّهم أشْرَاراً، **وقرأ** حمزةُ والكسائي وأبو عمرو «أتَّخَذْنَاهُمْ» بِصِلَةِ الألِف[2]، على أن يكونَ ذلك في موضِعِ الصفةِ لرجال، **وقرأ** الباقونَ «أَتَّخَذْنَاهُمْ» بهمزةِ الاسْتِفْهَام، ومعناها: تقريرُ أنفسِهم على هذا؛ على جهة التوبيخ لها والأسفِ، أي: اتخذناهم سِخْرِيًّا ولم يكونوا كذلك، **وقرأ** نافع وحمزة والكسائي: «سُخْرِيًّا» ـ بضم السين ـ من السُّخْرةِ، والاستخدامِ، **وقرأ** الباقون: «سِخْرِيًّا» ـ بكسر السين[3] ـ، ومعناها المشهورُ من السَّخْرِ الذي هو بمعنى الهُزْءِ، وقولُهُمْ: ﴿أم زاغت﴾ معادلةٌ لما في قولِهِمْ: ﴿ما لنا لا نرى﴾ والتقديرُ في هذه الآيةِ: أمَفْقُودُونَ هم أَمْ هُمْ معنا، ولكن زاغَتْ عنهم أبصارنا، فلا نراهم، والزَّيْغُ: المَيْلُ.

١٩٩أ ثم أخْبَرَ تعالى نبيَّه بقوله:/ ﴿إن ذلك لحق تخاصم أهل النار﴾ والإشارةُ

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦٠٢) برقم: (٣٠٠١٤) وبرقم: (٣٠٠١٥) عن مجاهد، وذكره البغوي (٤/ ٦٨)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥١٢)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٢)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٩٥)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن عساكر عن مجاهد.

(٢) ينظر: «السبعة» (٥٥٦)، و«الحجة» (٦/ ٨٢)، و«معاني القراءات» (٢/ ٣٣١)، و«شرح الطيبة» (٥/ ١٩٣)، و«العنوان» (١٦٣)، و«حجة القراءات» (٦١٧)، و«شرح شعلة» (٥٦٦)، و«إتحاف» (٢/ ٤٢٣).

(٣) ينظر: «الحجة» (٦/ ٨٥)، و«العنوان» (١٦٣)، و«حجة القراءات» (٦١٨)، و«إتحاف» (٢/ ٤٢٤).

بقوله تعالى: ﴿قل هو نبأ عظيم﴾ إلى التوحيد والمَعَادِ، فهي إلى القرآن وجميعِ ما تَضَمَّنَ، وعِظَمُهُ أنَّ التصديقَ بِهِ نجاةٌ والتكذيب به هَلَكَةٌ، ووبَّخَهُمْ بقوله: ﴿أنتم عنه معرضون﴾، ثم أُمِرَ ـ عليه السلام ـ أن يقولَ محتجًا علىٰ صِحَّةِ رسالتِه: «﴿ما كان لي من علم بالملإ الأعلى﴾ لولا أنْ اللَّه أخْبَرَنِي بذلك» والملأ الأعلى أَرَادَ بِهِ: الملائكةَ، واخْتُلِفَ في الشَّيْءِ الذي هُوَ اخْتِصَامُهُمْ فِيه؛ فقالت فرقةٌ: اخْتِصَامُهُمْ في شأن آدَمَ: كقولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠] وَيَدُلُّ على ذلك ما يأتي من الآياتِ، وقالت فرقة: بل اختصَامُهم في الكفَّارَاتِ وَغَفْرِ الذُّنُوبِ، ونحوه فإن العَبْدَ إذا فعل حسنَةً، اخْتَلَفَتِ الملائكةُ في قَدْرِ ثوابِهِ في ذلك، حتى يَقْضِيَ اللَّهُ بما شاء، وروي في هذا حديثٌ فَسَّرَهُ ابنُ فُورَكَ يتضمَّنُ أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ له ربُّهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ في نومه: «أتَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ المَلأُ الأَعْلَىٰ؟ قُلْتُ: لاَ، قَالَ: اخْتَصمُوا في الْكَفَّارَاتِ والدَّرَجَاتِ، فَأَمَّا الكَفَّارَاتُ: فَإِسْبَاغُ الوُضُوءِ في الغَدَوَاتِ البارِدَةِ، ونَقْلُ الأَقْدَامِ إِلَى الجَمَاعَاتِ، وَانْتِظَارُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ، وأَمَّا الدَّرَجَاتُ: فَإِفْشَاءُ السَّلام، وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَالصَّلاَةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ» الحديثَ[1] قال ابن العربيِّ في «**أحكامِه**»: وقَدْ رَوَاهُ الترمذيُّ صحيحاً، وفيه «قال: سَلْ؛ قَالَ: اللَّهُمَّ، إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ المُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ المَسَاكِينِ، وأَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي، وَإِذَا أَرَدْتَ فِتْنَةً في قَوْمٍ، فَتَوَفَّنِي غَيْرَ مَفْتُونٍ، وأَسْأَلُكَ حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَعَمَلاً يُقَرِّبُ إِلَيَّ حُبكَ» قال رسول اللَّه ﷺ: «إِنَّهَا حَقٌّ فَٱرْسُمُوهَا، ثُمَّ تَعَلَّمُوهَا»، انتهى.

﴿إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبۡلِيسَ ٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿٧٦﴾﴾

وقوله: ﴿إن يُوحَىٰ إِلَيَّ إلا أَنَّمَا أنا نذير مبين﴾ قال الفراء: إن شئتَ جَعَلْتَ «أَنَّما» في موضِعِ رفعٍ، كأنَّهُ قَالَ: مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إلا الإِنْذَارُ، أو: ما يُوحَىٰ إِلَيَّ إلا أَنِّي نَذِيرٌ مُبينٌ، انتهى، وهكذا قال أَبو حَيَّان[2]: «إن» بمعنى: «ما» وباقي الآيةِ بَيِّنٌ مِمَّا تَقَدَّمَ في «البَقَرَةِ» وغيرِها.

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٤٣) عن معاذ بن جبل. وفي الباب من حديث ابن عباس أخرجه الترمذي (٥/ ٣٦٦ ـ ٣٦٧) كتاب «تفسير القرآن» باب: ومن سورة صٓ (٣٢٣٣ ـ ٣٢٣٤)، وقال: حديث حسن غريب من هذا الوجه.

(٢) ينظر: «**البحر المحيط**» (٧/ ٣٩١).

وقوله تعالى: ﴿بيديَّ﴾ عبارةٌ عن القُدْرَةِ والقُوَّةِ.

وقوله: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾: المعنى: أَحَدَثَ لك الاسْتكبارُ الآن أم كنتَ قديماً مِمَّنْ لا يليق أنْ تُكَلَّفَ مِثْلَ هذا لِعَلُوِّ مَكَانِك؛ وهذا على جهةِ التوبيخِ له.

﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿قال فاخرج منها فإنك رجيم * وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين * قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين * إلى يوم الوقت المعلوم﴾ الآية، «الرَّجِيمُ» أي: المرجُومُ بالقولِ السَّيِّىءِ، واللعنةُ: الإبْعَادُ.

وقوله سبحانه: ﴿فالحَقُّ والحَقَّ أقولُ﴾ قال مجاهدٌ: المعنى: فالحقُّ أنا[1]، **وقرأ** الجمهور: «فالْحَقَّ وَالحَقَّ» بِنَصْبِ الاثْنَيْنِ، فأما الثاني، فمنصوبٌ بـ«أقول» وأما الأوَّلُ فَيَحْتَمِلُ أنْ يَنْتَصِبَ عَلَى الإغْرَاءِ، ويحتملُ أنْ ينتصبَ على القَسَم، على إسقاط حرفِ القَسَم، كأنه قال: فَوَالحَقِّ؛ ثم حَذَفَ الحَرْفَ؛ كَمَا تَقُولُ: اللَّهَ، لأَفْعَلَنَّ، تريدُ واللَّهِ؛ ويقوِّي ذلك قولُه: ﴿لأَملأَنَّ﴾ وقد قال سِيبَوَيْهِ: قلتُ للخَلِيلِ: ما معْنَى: «لأَفْعَلَنَّ» إذا جاءتْ مبتدأَةً؟ فقال: هي بتقديرِ قَسَم مَنْوِيٍّ، وقالَتْ فرقةٌ: «الحَقَّ» الأول/ منصوبٌ بفعلٍ ومُضمر، **وقرأ** ابن عباس: «فَالحَقُّ وَالحَقُّ»[2] برفعِ الاثنين، **وقرأ** عاصمٌ وحمزة: «فَالحَقُّ» بالرفع، وَ«الحَقَّ» ـ بالنصب[3] ـ، وهي قراءةُ مجاهدٍ وغيرِه[4].

٩٩ ب

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦٠٧) برقم: (٣٠٠٣٣)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٧٠)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥١٦)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٠٠)، وعزاه لسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٢) وبها قرأ الأعمش ومجاهد.
ينظر: «مختصر الشواذ» ص: (١٣١)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٥١٦)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣٩٣)، و«الدر المصون» (٥/ ٥٤٧).

(٣) ينظر: «السبعة» (٥٥٧)، و«الحجة» (٦/ ٨٧)، و«معاني القراءات» (٢/ ٣٣٣)، و«شرح الطيبة» (٥/ ١٩٤)، و«العنوان» (١٦٤)، و«حجة القراءات» (٦١٨)، و«شرح شعلة» (٥٦٦)، و«إتحاف» (٢/ ٤٢٥).

(٤) وقرأ بها الأعمش وأبان بن تغلب.
ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٥١٦)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣٩٣)، وزاد نسبتها إلى طلحة، وخلف، والعبسي، وحمزة، وعاصم.

ثم أمر تعالى نبيَّه [أنْ] يخبرَهم بأنه ليس بسائلٍ منهم عليه أجراً وأنه ليس ممن يتكَلَّفُ ما لم يُجْعَلْ إليه، ولا يَخْتَلِي بغيرِ ما هُوَ فيه، قال الزُّبَيْرُ بْنُ العَوَّام: نادَىٰ منادِي النبيِّ ﷺ: «اللَّهُمَّ، اغفِرْ لِلَّذِينَ لاَ يَدَّعُونَ، ولاَ يَتَكَلَّفُونَ؛ أَلاَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنَ التَّكَلُّفِ وَصَالِحُو أُمَّتِي».

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾﴾

وقوله: ﴿إن هو﴾ يريدُ القرآن و﴿ذِكْر﴾ بمعنى تَذْكِرَة، ثم توعَّدَهُمْ بقوله: ﴿ولتعلمُنَّ نبأه بعد حين﴾ وهذَا على حَذْفٍ تقديرُه: لتعلمنَّ صِدْقَ نَبئه بعد حين، قال ابن زيد: أشار إلى يوم القيامة[1]، وقال قتادة والحَسَن: أشار إلى الآجالِ الَّتي لهم[2]؛ لأن كُلَّ وَاحِدٍ منهم يَعْرِفُ الحَقَائِقَ بَعْدَ مَوْتِهِ.

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦٠٩) برقم: (٣٠٠٤١)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٧٠) عن عكرمة، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥١٦)، وابن كثير في «تفسيره» عن عكرمة، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٠١)، وعزاه لابن جرير عن ابن زيد.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦٠٨) برقم: (٣٠٠٣٩) عن قتادة والحسن، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٧٠)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥١٦)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٠١)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر عن مجاهد.

تَفْسِيرُ سُورَةِ الزُّمَرِ

[وَهِيَ] مَكِّيَّةٌ بِإِجْمَاعٍ

غيرَ ثلاثِ آيات نزلَتْ في شَأْن وَحْشِيٍّ قَاتِلِ حمزةَ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِب، وهي ﴿قُلْ يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم...﴾ الآياتِ، وقَالتْ فرقة: إلى آخر السورة هو مدني، وقيل: فيها مدني سبع آيات.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿تنزيلُ الكتاب...﴾ الآية، ﴿تنزيلُ﴾ رفع بالابتداءِ، والخبرُ قوله: ﴿من الله﴾ وقالتْ فرقَة: ﴿تنزيل﴾ خَبَرُ مبتدإٍ محذوفٍ، تقديرُه: هذا تنزيلٌ، والإِشَارَةُ إلى القرآنِ؛ قاله المفسرون، ويظهرُ لِي أَنَّه اسمٌ عامٌ لجميعِ ما تَنَزَّلَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فكأنَّه أَخْبَرَ إخباراً مجرَّداً أَنَّ الكُتُبَ الهاديةَ الشارِعَة إنما تَنْزيلُهَا من اللَّه تعالَىٰ، وجَعَلَ هذا الإِخْبَارَ تَقْدِمَةً وتَوْطِئَةً لقوله: ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب﴾.

وقوله: ﴿بالحق﴾ معناه: متضمِّناً الحَقَّ، أي: بالحقِّ فيه، وفي أَحْكَامِهِ وأخباره، و﴿الدين﴾ هنا يَعُمُّ المُعْتَقَدَاتِ وأعمالَ الجَوَارِحِ، قال قتادة: و﴿الدين الخالص﴾: «لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ»[1].

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦١١) برقم: (٣٠٠٤٦)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٧١)، وابن عطية (٤/ ٥١٨)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٥)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٠٢)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر.

وقوله تعالى: ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء. . .﴾ الآية، أي: يقولون مَا نَعْبُدُهُمْ إلا ليُقَرِّبُونَا إلى اللَّه زُلْفَىٰ، وفي مصحف ابن مسعودٍ: «قَالُوا مَا نَعْبُدُهُمْ»[1] وهي قراءة ابن عبَّاس وغيرِه، وهذه المقالة شائعةٌ في العرب في الجاهلية يقولون في معبوداتِهم منَ الأصْنام وغيرها: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى اللَّه، قال مجاهد: وقد قال ذلك قومٌ من اليهودِ في عُزَيْرٍ، وقومٌ من النصارَىٰ في عيسَىٰ[2].

و﴿زلفى﴾ بمعنى قُرْبَةٍ وتَوْصِلَةٍ، [كأنهم] قَالُوا ليقرِّبونا إلى اللَّه تَقْرِيباً، وكأنَّ هذه الطوائفَ كلَّها تَرَى نُفُوسَها أقلَّ من أن تَتَّصِلَ هي باللَّه، فكانت تَرَىٰ أن تَتَّصِلَ بمخلوقاتِه.

وَ﴿زُلْفَىٰ﴾ عند سيبَوَيْهِ، مَصْدَرٌ في موضع الحال كأنَّه تَنَزَّلَ مَنْزِلَةَ «مُتَزَلِّفِينَ» والعاملُ فيه ﴿يُقَرِّبُونَا﴾، وقرأ الجَحْدَرِيُّ[3] «كذَّابٌ كَفَّارٌ» بالمبالَغَةِ فيهما، وهذه المبالغةُ إشارةٌ إلى التَوَغُّلِ في الكُفْرِ.

وقوله تعالى: ﴿لو أراد اللَّه أن يتخذ ولداً﴾ معناه: اتِّخَاذُ التشريفِ والتبنِّي؛ وعلى هذا يستقيمُ قولُه تعالى: ﴿لاصطفى/ مما يخلق﴾ وأمَّا الاتخاذُ المعهودُ في الشاهدِ ١٠٠أ فَمُسْتَحِيلٌ أن يُتَوَهَّمَ في جهة اللَّه تعالى، ولا يستقيمُ عليه معنى قوله: ﴿لاصطفى مما يخلق﴾، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمٰنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً﴾ [مريم: ٩٢] لفظٌ يعمُّ اتخَاذَ النسلِ واتخاذَ الاصطِفاء، فأما الأول فمعقولٌ، وأمَّا الثاني فمعروفٌ بخبر الشرع، ومما يدل على أن مَعْنى قوله: ﴿أَنْ يَتَّخِذَ﴾ إنما المقصودُ به اتخاذٌ اصطِفَاءٍ، وَتَبَنٍّ ـ قولُهُ: ﴿مِمَّا يَخْلُقُ﴾ أي: مِنْ موجوداتِه ومُحْدَثَاتِه ـ ثم نَزَّهَ سبحانه نفسَه تنزيهاً مطلقاً عن كلِّ ما لاَ يَلِيقُ بِهِ سبحانه.

وقوله تعالى: ﴿يكوِّر الليل على النهار. . .﴾ الآية، معناه: يُعِيدُ مِنْ هَذَا على هذا، ومنه كُورُ العِمَامَة التي يَلْتَوِي بعضُها على بعض، فكأن الذي يطولُ مِن النهارِ أو الليلِ

---

(١) وقرأ بها مجاهد وابن جبير.
ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/٥١٨)، و«الكشاف» (٤/١١١)، و«البحر المحيط» (٧/٣٩٨).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/٦١١) برقم: (٣٠٠٤٨)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/٥١٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/٦٠٣)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٣) ينظر: «مختصر الشواذ» (١٣١)، و«المحرر الوجيز» (٤/٥١٨)، وزاد نسبتها إلى أنس بن مالك، ثم قال: ورويت عن الحسن، والأعرج، ويحيى بن يعمر.
وينظر: «البحر المحيط» (٧/٣٩٩)، و«الدر المصون» (٦/٥).

١٢أ يصيرُ مِنْه على الآخرِ جُزْءٌ فيستُرُهُ، وكأن الآخرَ الذي يَقْصُرُ يَلِجُ في الذي[١]/ يَطولُ، فيستَتِرُ فيه.

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها﴾ قيل: «ثُمَّ» هنا: لترتيب الإِخْبَارِ لا لترتِيبِ الوُجُودِ[٢]، وقيل: قوله: ﴿خلقكم من نفس واحدة﴾: هو أخذ الذريةَ مِن ظهر آدم، وذلك شيءٌ كان قبل خلق حَوَّاءَ، * ت *: وهذا يحتاج إلى سندٍ قاطعٍ.

وقوله سبحانه: ﴿في ظلماتٍ ثلاثٍ﴾ قالت فرقة: الأُولَىٰ هي ظَهْرُ الأَبِ، ثم رَحِمُ الأمِّ، ثم المَشِيمَةُ في البَطْن، وقال مجاهد وغيره: هي المَشِيمَةُ والرَّحِمُ والبَطْنُ[٣]، وهذه الآياتُ كلُّها فيها عِبَرٌ وتنبيهٌ على تَوْحِيدِ الخالِقِ الذي لاَ يَسْتَحِقُّ العبادةَ غَيْرُهُ وتوهينٌ لأمْرِ الأصنام.

وقوله سبحانه: ﴿إن تكفروا فإن اللَّه غني عنكم...﴾ الآية، قال ابنُ عباس: هذه

---

(١) من هنا انتقلنا بالترقيم من على المخطوط من النسخة (د).

(٢) في (ثُمَّ) هذه أوجه:
«أحدها»: أنها على بابها من الترتيب بمُهْلَةٍ، وذلك أنه يُرْوَى أنه تعالى أخْرَجَنَا من ظهر آدم كالذَّرِ ثم خَلَقَ حَوَّاءَ بعد ذلك بزمان.
«الثاني»: أنها على بابها أيضاً، ولكن لِمُدْرَكٍ آخر وهو أَن يُعْطَفَ بها ما بعدها على ما فُهِمَ من الصفة في قوله «وَاحِدَةٍ»؛ إِذْ التقديرُ من نفسٍ وَحَدَتْ أي: انفردت ثم جُعِلَ منها زوجُها.
«الثالث»: إنها للترتيب في الإِخْبَارِ لا في الزمان الوجودي؛ كأنه قيل: كان مِنْ أَمرِها قبل ذلك أَنْ جَعَلَ منها زوجَها.
ينظر: **«الدر المصون»** (٦/ ٥ ـ ٦).

(٣) أخرجه الطبري في **«تفسيره»** (١٠/ ٦١٥) برقم: (٣٠٠٦٩) عن عكرمة، و (٣٠٠٧١) عن ابن عباس، و (٣٠٠٧٢) عن مجاهد، وبرقم: (٣٠٠٧٣) عن قتادة، وبرقم: (٣٠٠٧٤) عن السدي، وذكره البغوي في **«تفسيره»** (٤/ ٧٢)، وابن عطية في **«تفسيره»** (٤/ ٥٢٠)، وابن كثير في **«تفسيره»** (٤/ ٤٦)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٥/ ٦٠٣)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر عن قتادة، ولعبد بن حميد، وابن المنذر عن مجاهد.

هذه الآيةُ مخاطبَةٌ للكفارِ[١]، قال * ع[٢] *: وتحتملُ أن تكونَ مخاطبةً لجميع الناس، لأن اللَّهَ سبحانه غنيٌّ عَن جميعِ الناسِ، وهم فقراءُ إليه، واخْتَلَفَ المتأولونَ مِن أهْلِ السنةِ في تأويل قوله تعالى: ﴿ولا يرضى لعباده الكفر﴾ فقالت فرقة: «الرِّضا» بمعنى الإرادَةِ، والكلامُ ظاهرُه العمومُ، ومعناه الخصوصُ فيمن قَضَى اللَّهُ له بالإيمان، وحتَّمَهُ له، فعبادُه عَلَىٰ هذا ملائكتُهُ ومؤمِنو الإنْسِ والجِنِّ، وهذا يتركَّبُ عَلَىٰ قول ابن عباس[٣]، وقالت فرقة: الكلامُ عُمُومٌ صحيحٌ، والكُفْرُ يقعُ مِمَّنْ يَقَعُ بإرادَةِ اللَّهِ تعالَىٰ، إلا أنه بَعْدَ وُقُوعِهِ لاَ يَرْضَاهُ دِيناً لهم، ومعنى لا يرضاه: لا يشكرُه لهُمْ، ولا يُثيبُهم بِهِ خَيْراً، فالرضا: على هذا هو صفةُ فِعْلٍ بمعنى القَبُولِ، ونحوِه، وتأمَّلِ الإرَادَةَ فإنما هي حقيقةٌ فيما لَمْ يَقَعْ بَعْدُ، والرِّضا، فإنما هُو حقيقةٌ فِيمَا قَدْ وَقَعَ، واعْتَبِرْ هذا في/ آيات القرآن تجِدْهُ، وإنْ كانت العربُ قد تستعمل في أشعارها على جهة التجوُّز هذا بَدَلَ هذا. ٢ ب

وقوله تعالى: ﴿وإن تشكروا يرضه لكم﴾ عمومٌ، والشكرُ الحقيقيُّ في ضِمْنِهِ الإيمانُ، قال النوويُّ: وَرُوِّينَا في «سُنَنِ أبي دَاوُدَ» عن أبي سعيدِ الخُدْرِيِّ، أن رسولَ اللَّه ﷺ قال: «من قال: رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبّاً وبِالإسْلاَمِ دِيناً وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولاً، وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّة»[٤] انتهى.

﴿۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾

وقوله تعالى: ﴿وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه...﴾ الآية: ﴿الإنسان﴾ هنا: الكافرُ، وهذه الآيةُ بَيَّنَ تعالَىٰ بها عَلَى الكُفَّارِ، أنَّهُمْ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ يَلْجَؤونَ إليه في حالِ الضروراتِ، و﴿خوَّله﴾ معناه مَلكه وحكَّمَه فيها ابتداءً من اللَّهِ لاَ مُجَازَاةً، ولا يقالُ في الجزاء «خَوَّلَ».

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦١٧) برقم: (٣٠٠٧٩)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٢٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٠٤)، وعزاه لابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «الأسماء والصفات».

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٥٢١).

(٣) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٢١).

(٤) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٥١٨) كتاب «الدعاء». قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

وقوله تعالى: ﴿نسي ما كان يدعو إليه﴾ قالت فرقة: «ما» مصدريةٌ، والمعنى: نسِيَ دعاءَه إليه في حالِ الضَّرُورَةِ، وَرَجَعَ إِلَىٰ كُفْرِهِ، وقالت فرقة: «ما» بمعْنَى الذي، والمرادُ بها اللَّه تعالى، أي: نسي اللَّه، وعبارة الثعلبي: قوله: ﴿نسي ما كان يدعو إليه من قبل﴾ أي: تَرَكَ عبادَة اللَّه تعالى والتضرُّعَ إليهِ من قَبْلُ في حال الضُّرِّ انتهى» وباقي الآية بيِّنٌ.

وقوله تعالى: «أَمَنْ هُوَ قَانِتٌ» بتخفيف الميم، هي قراءة نافع وابنِ كَثِيرٍ وحمزة[١]، والهَمْزةُ للتقرير والاستفهام، وكأنه يقولُ: أهذا القَانتُ خَيْرٌ أم هذَا المذكورُ الذي يتمتَّعُ بكُفْرِهِ قليلاً، وهو من أَصْحَاب النار، **وقرأ** الباقونَ: «أَمَّنْ» بتشديدِ الميم، والمعنى: أهذا الكافرُ خَيْرٌ أَمَّنْ هُو قَانِتٌ؟ والقانتُ: المطِيعُ؛ وبهذا فسَّره ابنُ عبَّاس ـ رضي اللَّه عنهما[٢] ـ، والقُنُوتُ في الكلام يَقَع عَلى القِراءةِ وَعَلى طُولِ القيامِ في الصلاةِ؛ وبهذا
١٣ / فسَّره ابنُ عُمَرَ ـ رَضِي اللَّه عنهما[٣] ـ قال الفَخْرُ[٤]: قيل: إن المرادَ بقوله: ﴿أمن هو قانت آناء الليل﴾: عُثْمَانُ بْنُ عفَّانَ؛ لأنَّه كَان يُحْيِي الليل، والصحيحُ أنها عامَّةٌ في كلِ من اتَّصَفَ بهذه الصِّفَةِ، وفي هذه الآية تنبيهٌ على فضلِ قيامِ الليلِ، انتهى، ورُوِيَ عن ابن عَبَّاسٍ؛ أَنَّه قالَ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُهَوِّنَ اللَّهُ عليه الوقوفَ يوم القيامةِ، فَلْيَرَهُ اللَّهُ في سَوَادِ اللَّيْلِ سَاجِداً وقائِماً»[٥]، * ت * قال الشيخ عبدُ الحَقِّ في «العَاقِبَةِ»: وعن قَبِيصَةَ بْنِ سُفْيَانَ قال: رأيتُ سُفْيانَ الثَّوْرِيَّ في المنام بعد موته؛ فقلتُ له: ما فعل اللَّه بك؟ فقال: [الطويل]

نَظَرْتُ إِلَىٰ رَبِّي عِيَاناً فَقَالَ لِي ... هَنِيئاً رِضَائي عَنْكَ يَا بْنَ سَعِيدِ
لَقَدْ كُنْتَ قَوَّاماً إِذَا اللَّيْلُ قَدْ دَجَا ... بِعَبْرَةِ مَحْزُونٍ وَقَلْبٍ عَمِيدِ
فَدُونَكَ فَاخْتَرْ أَيَّ قَصْرٍ تُرِيدُهُ ... وَزُرْنِي فَإِنِّي مِنْكَ غَيْرُ بَعِيدِ[٦]

وكَانَ شُعْبَة بن الحَجَّاج، ومِسْعَرُ بْن كِدَام، رجلَيْنِ فَاضِلَيْنِ، وكانَا مِنْ ثِقَاتِ المُحَدِّثِينَ وحُفَّاظِهِم، وكان شُعْبَةُ أَكْبَرَ فَمَاتَا، قال أبو أحمد اليَزِيدِيُّ، فرَأَيتُهما في النَّوْمِ،

---

(١) ينظر: «الحجة» (٦/ ٩٢)، و«معاني القراءات» (٢/ ٣٣٥)، و«شرح الطيبة» (٥/ ١٩٦)، و«العنوان» (١٦٥)، و«حجة القراءات» (٦٢٠)، و«شرح شعلة» (٥٦٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» (٢/ ٤٢٨).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦٢١) برقم: (٣٠٠٨٨) عن ابن عباس وبرقم: (٣٠٠٨٩) عن السدي، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٢٣)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٧).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦٢١) برقم: (٣٠٠٨٧)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٧٣)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٢٣)

(٤) ينظر: «تفسير الرازي» (٢٦/ ٢١٩).

(٥) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٢٣).

(٦) ينظر: الأبيات في «العاقبة» (١٣٧).

وكنتُ إِلَىٰ شُعْبَةَ أَمْيَلَ مِنِّي إِلَىٰ مِسْعَرٍ، فقلتُ: يا أبا بِسْطَامَ؛ ما فَعَلَ اللَّهُ بك؟ فقال: وَفَّقَكَ اللَّه يا بُنَيَّ، اَحْفَظْ ما أقُولُ:

حَبَانِي إِلٰهِي فِي الْجِنَانِ بِقُبَّةٍ ... لَهَا أَلْفُ بَابٍ مِنْ لُجَيْنٍ وَجَوْهَرَا
وَقَالَ لِيَ الْجَبَّارُ: يَا شُعْبَةُ الَّذِي ... تَبَحَّرَ فِي جَمْعِ الْعُلُومِ وَأَكْثَرَا
تَمَتَّعْ بِقُرْبِي إِنَّنِي عَنْكَ ذُو رِضاً ... وَعَنْ عَبْدِيَ الْقَوَّامِ فِي اللَّيْلِ مِسْعَرَا
كَفَىٰ مِسْعَراً عِزًّا بِأَنْ سَيَزُورُنِي ... وَأَكْشِفُ عَنْ وَجْهِي وَيَدْنُو لِيَنْظُرَا
وَهٰذَا فِعَالِي بِالَّذِينَ تَنَسَّكُوا ... وَلَمْ يَأْلَفُوا فِي سَالِفِ الدَّهْرِ مُنْكَرَا[1]

انتهى. «والآناء»: الساعاتُ واحدها/ «إِنًى»؛ كـ«مِعًى» ويقال: «إِنْيٌ» ـ بكسر الهمزة ٣ ب
وسكون النون ـ، و«أَنًى» على وزن «قَفاً».

وقوله سبحانه: ﴿يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه﴾ قال ابْنُ الجوزيِّ في «المُنْتَخَبِ»: يقولُ اللَّه تعالى: «لاَ أَجْمَعُ عَلَىٰ عَبْدِي خَوْفَيْنِ وَلاَ أَمْنَيْنِ؛ مَنْ خَافَنِي في الدُّنْيَا، أَمَّنْتُهُ في الآخِرَةِ، وَمَنْ أَمِنَنِي في الدُّنْيَا خَوَّفْتُهُ في الآخِرَةِ»، يَا أَخِي؛ امتطَى القَوْمُ مَطَايَا الدُّجَىٰ عَلَىٰ مَرْكَبِ السَّهَرِ، فَمَا حَلُّوا وَلاَ حَلُّوا رِحَالَهُمْ حَتَّى السَّحَرْ، دَرَسُوا القُرآن فَغَرَسُوا بِأَيْدِي الْفِكْرِ أَزْكَى الشَّجَرْ، وَمَالُوا إِلى النُّفُوسِ بِاللَّوْمِ؛ فَلاَ تَسْأَلْ عَمَّا شَجَرْ، رَجَعُوا بِنَيْلِ القَبُولِ مِنْ ذَلِكَ السَّفَرْ، وَوَقَفُوا عَلَىٰ كَنْزِ النَّجَاةِ وَمَا عِنْدَكَ خَبَرْ، فإذا جَاء النَّهَارُ قَدَّمُوا طَعَامَ الجُوعِ، وَقَالُوا لِلنَّفْسِ: هَذَا الَّذِي حَضَرْ، حَذَوْا عزَمَاتِ طَاحَتِ الأَرْضُ بَيْنَهَا، فَصَارَ سُرَاهُمْ في ظُهُورِ العَزَائِمْ، تَرَاهُمْ نُجُومَ اللَّيْلِ مَا يَبْتَغُونَهُ عَلَىٰ عَاتِقِ الشِّعْرَىٰ وَهَامِ النَّعَائِمْ، مَالَتْ بِالقَوْمِ رِيحُ السَّحَرِ مَيْلَ الشَّجَرِ بِالأَغْصَانْ، وَهَزَّ الخَوْفُ أَفْنَانَ القُلُوبِ فَانْتَشَرَتِ الأَفْنَانْ، فَالقَلْبُ يَخْشَعُ واللِّسَانُ يَضْرَعُ وَالعَيْنُ تَدْمَعُ وَالوَقْتُ بُسْتَانْ، خَلْوَتُهُمْ بِالحَبِيبِ تَشْغَلُهُمْ عَنْ نُعْمٍ وَنَعْمَانْ، سُرُورُهُمْ أَسَاوِرُهُمْ وَالخُشُوعُ تِيجَانْ، خُضُوعُهُمْ حُلاَهُمْ وَمَاءُ دَمْعِهِمْ دُرٌّ وَمَرْجَانْ، بَاعُوا الْحِرْصَ بِالقَنَاعَةِ فَمَا مُلْكُ أَنُوشِرْوَانْ، فَإِذَا وَرَدُوا القِيَامَةَ تَلَقَّاهُمْ بَشَرٌ: لَوْلاَكُمْ مَا طَابَ الجِنَانْ، يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانْ، أَيْنَ أَنْتَ مِنْهُمْ يَا نَائِمُ كَيَقْظَانْ، كَمْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ أَيْنَ الشُّجَاعُ مِنَ الجَبَانْ، مَا لِلْمَوَاعِظِ فِيكَ نُجْحٌ، مَوْضِعُ القَلْبِ/ بِاللَّهْوِ مِنْكَ مَلآنْ، ١٤ أ
يَا أَخِي، قِفْ عَلَىٰ بَابِ النَّجَاحِ وَلٰكِنْ وُقُوفَ لَهْفَانْ، وَارْكَبْ سُفُنَ الصَّلاَحِ، فَهٰذَا المَوْتُ طُوفَانْ، إِخْوَانِي، إِنَّمَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ مَرَاحِلْ؛ وَمَرْكَبُ العُمْرِ قَدْ قَارَبَ السَّاحِلْ، فَانْتَبِهْ لِنَفْسِكَ وَازْدَجِرْ يَا غَافِلْ، يَا هَذَا، أَنْتَ مُقِيمٌ فِيَّ مُنَاخِ الرَّاحِلِينَ؛ وَيْحَكَ اغْتَنِمْ أَيَّامَ الْقُدْرَةِ قَبْلَ

(١) ينظر: الأبيات في «العاقبة» (١٣٨).

صَيْحَةِ ٱلانْتِزَاعِ، فَما أَقْرَب مَا يُنْتَظَرْ، وَمَا أَقَلَّ المُكْثَ فِيمَا يَزُولُ وَيَتَغَيَّرْ. انتهى.

﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿قل يا عباد الذين ءامنوا اتقوا ربكم﴾ يُرْوَى أنَّ هذهِ الآيةَ نزلتْ في جَعْفَرِ بن أبي طالب وأصحابِهِ، حِينَ عزموا على الهجرة إلَىٰ أرض الحبشة[1]، ووعد سبحانه بقوله: ﴿للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة﴾ فقولهُ: ﴿في هذه الدنيا﴾ متعلق بـ﴿أَحْسَنُوا﴾، والمعنَىٰ: إنَّ الذين يُحْسِنُونَ في الدنيا لَهُمْ حَسَنَةٌ في الآخِرَة، وهي الجنةُ والنعيمُ؛ قاله مقاتلٌ[2] ويحتملُ أنْ يريدَ: أن الذينَ يُحْسِنُونَ لهُم حسَنَةٌ في الدنيا، وهي العافيةُ والظهورُ وولايةُ اللَّهِ تعالى؛ قاله السُّدِّيُّ[3]، والأَوَّلُ أرجح أن الحسَنَةَ هِي في الآخِرة.

وقوله سبحانه: ﴿وأَرض اللَّه واسعةٌ﴾ حَضٌّ عَلى الهجرةِ، ثم وَعَدَ تعالى على الصَّبْرِ على المكارِهِ، والخروج مِنَ الوَطَنِ ونُصْرَةِ الدينِ وجميعِ الطاعات ـ بِتَوْفِيَةِ الأجورِ بغير حِسَابٍ، وهذا يحْتَمِلُ معنيين:

أحدهما: أن الصابرَ يُؤْتَىٰ أَجْرَهُ وَلاَ يحاسَبُ على نعيمٍ ولا يُتَابَعُ بذنوبٍ، ويكونُ في جملة الذين يدخلون الجنةَ بغير حساب.

والثاني من المعنيين: أن أجورَ الصابرينَ تُوَفَّىٰ بغَيْرِ حَصْرٍ وَلا عَدٍّ، بلْ جُزَافاً، وهذه استعارةٌ للكثرةِ التي لا تحصى؛ وإلى هذا التأويلِ ذَهَبَ جمهورُ المفسرينَ، حتى قال قتادةُ: لَيْسَ ثَمَّ واللَّهِ/ مِكْيَالٌ ولا ميزان[4]، وفي الحديث أَنَّهُ لما نزلت ﴿واللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ ٤ ب

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٧٤)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٢٣).
(٢) ذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٧٣)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٢٣).
(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦٢٢) برقم: (٣٠٠٩٤)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٧٣)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٢٣).
(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦٢٢) برقم: (٣٠٠٩٦)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٧٤) عن علي رضي الله عنه، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٢٤)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٠٥)، وعزاه لعبد بن حميد.

يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٦١] قال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ، زِدْ أُمَّتِي»، فَنَزَلَتْ بَعْدَ ذلِكَ ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَه أَضْعَافاً كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥] فقال: «اللَّهُمَّ زِدْ أُمَّتِي» حتى نزلَتْ: ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾، قال: «رَضِيتُ يَا رَبِّ».

وقوله تعالى: ﴿قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم﴾ من المعلوم أنه ـ عليه السلام ـ معصومٌ من العِصْيَانِ، وإنما الخطابُ بالآيةِ لأُمَّتِهِ يَعُمُّهُمْ حكمُهُ، ويحقُّهم وعيدُهُ.

وقوله: ﴿فاعبدوا ما شئتم من دونه﴾ هذه صيغةُ أَمْرٍ عَلَىٰ جِهَةِ التهْدِيدِ، وهذا في القرآنِ كثيرٌ، و«الظُّلَّة» ما غَشِيَ وعَمَّ كالسَّحَابَةِ وَسَقْفِ البيت، ونحوِه.

[وقوله سبحانه: ﴿ذلك يخوف اللَّه به عباده﴾ يريد: جميعَ العَالَمِ].

﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿والذين اجتنبوا الطاغوت...﴾ الآية، قال ابن زيد: إن سببَ نزولِها زيدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ وَسَلْمَانُ الفَارِسِيُّ وأَبُو ذَرٍّ الغِفَارِيُّ، والإشارةُ إليهم[1].

* ت *: سُلَيْمَانُ إنما أسلم بالمدينةِ، فَيَلْزَمُ عَلَىٰ هذا التأويلِ أن تكونَ الآيةُ مدنيةً، وقال ابن إِسْحَاق: الإشَارةُ بِها إلى عَبْدِ الرحمنِ بْنِ عَوْفٍ، وسَعْدِ بْنِ أبي وَقَّاصٍ، وَسَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ، والزُّبَيْرِ، وذَلك أنه لما أسْلم أَبو بَكْرٍ سَمِعُوا ذلك؛ فَجَاؤُوهُ، فقالوا: أَأَسْلَمْتَ؟ قال: نَعَمْ؛ وذَكَّرَهُمْ باللَّه سبحانه، فآمَنُوا بأجمعهم، فنزلَتْ فيهم هذه الآية، وهي على كلِّ حالٍ عامَّةٌ في الناس إلى يوم القيامة يتناولُهُمْ حُكْمُهَا، و﴿الطاغوت﴾: كلُّ ما عُبِدَ من دون اللَّه.

وقوله سبحانه: ﴿الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾: كَلاَمٌ عامٌّ في جميع الأقوال، والمَقْصِدُ الثناءُ على هؤلاءِ في نفوذِ بصائرهم، وقوام نَظَرِهِم، حتى إنهم إذا سمعوا قولاً مَيَّزوه واتبعوا أحْسَنه، قال أبو حيَّان[2]: ﴿الذين يستمعون﴾ صفةٌ/ لـ﴿عِبَاد﴾، ٥أ
وقيلَ: الوَقْفُ على عباد، ﴿والَّذِينَ﴾ مبتدأٌ خبرُهُ ﴿أولئك﴾ ومَا بَعْدَهُ، انتهى.

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦٢٥) برقم: (٣٠١٠٨)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٧٥)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٢٥)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٠٧)، وعزاه لابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم.

(٢) ينظر: «البحر المحيط» (٧/ ٤٠٤).

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿أفمن حق عليه كلمة العذاب أفانت تنقذ [من في النار﴾ قالت فرقةٌ: معنى الآيةِ: أَفَمَنْ حَقَّتْ عَلَيْه كلمةُ العَذَابِ فَأَنْتَ تُنْقِذهُ]، لكنَّه زَادَ الهَمْزَةَ الثانيةَ؛ تَوْكِيداً، وأظْهرَ الضميرَ تَشْهيراً لهؤلاءِ القَومِ وإظهاراً لِخِسَّةِ منازِلهم.

وقوله تعالى: ﴿لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف...﴾ الآية مُعَادَلَةٌ وتَحْضِيضٌ على التقوَىٰ، وعَادَلَتْ ﴿غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ﴾ ما تَقَدَّمَ مِنَ الظُّلَلِ فَوْقَهُمْ وَتَحْتَهُمْ، والأحاديثُ الصحيحةُ في هذا البابِ كثيرةٌ، ثُمَّ وَقَفَ تَعالَىٰ نبيَّه ـ عليه السلام ـ وأُمَّتَهُ على مُعْتَبَرٍ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، فقال: ﴿ألم تر أن اللَّه أنزل من السماء ماء...﴾ الآيةَ، قال الطبريُّ[1]: الإشارةُ إلى ماءِ المطرِ ونَبْعِ العيونِ منه، ﴿وسلكه﴾ معناه: أجْرَاهُ وأدْخَلَهُ في الأرضِ، و﴿يهيج﴾ معناه: يَيْبَسُ، وهاجَ الزَّرْعُ والنباتُ: إذَا يَبِسَ، والحُطَامُ: اليابِسُ المُتَفَتِّتُ، ومعنى ﴿لَذِكْرَىٰ﴾ أيْ: للبَعْث من القبورِ وإحياء الموتَىٰ؛ على قياسِ هذا المِثَالِ المذكورِ.

﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿أفمن شرح اللَّه صدره للإسلام...﴾ الآيةَ، رُوِيَ أنَّ هذهِ الآيةَ نزلَتْ في عَلِيٍّ وحمزةَ، وأبي لَهَبٍ وابنه؛ وهمَا اللذان كَانا من القَاسِيَةِ قلوبُهُمْ[2]، وفي الكلامِ محذوفٌ يدلُّ عليه الظاهِرُ؛ تقديره: أفمن شَرَحَ اللَّه صدره كالقاسِي القَلْبِ المُعْرِضِ عن أمرِ اللَّه، وشَرْحُ الصدرِ: استعارةٌ لتحصيلهِ للنظر الجَيِّدِ والإيمانِ باللَّه، والنُّورُ: هدايةُ اللَّه تعالَىٰ، وهي أشبهُ شَيْءٍ بالضَّوْءِ، قال ابن مسعود: قلنا يا رَسُولَ اللَّهِ! كَيْفَ ٱنْشِرَاحُ الصَّدْرِ؟ قال: إذا دَخَلَ النُّورُ القَلْبَ، ٱنْشَرَحَ وَانْفَسَحَ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّه، وَمَا عَلامَةُ ذَلِكَ؟ قَالَ: الإنَابَةُ إلَى دَارِ/ الخُلُودِ، والتَّجَافِي عَنْ دَارِ الغُرُورِ، والتَّأَهُّبُ لِلْمَوْتِ قَبْلَ نُزُولِ المَوْتِ[3]، والقسوةُ: شِدَّةُ القَلْب، وهي مأخوذةٌ من قَسْوَةِ الحَجَرِ، شَبَّهَ قَلْبَ الكافرِ بهِ في

٥ ب

(١) ينظر: «تفسير الطبري» (١٠/٦٢٦).
(٢) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/٥٢٧).
(٣) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/٦٠٩)، وعزاه إلى ابن مردويه.

صَلاَبَتِهِ وقِلَّةِ ٱنْفِعَالِهِ، للوَعْظِ، وَرَوَى الترمذيُّ عن ابن عُمَرَ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «لاَ تُكْثِرُوا الكَلاَمَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الكَلاَمِ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ قَسْوَةٌ لِلْقَلْبِ وإِنَّ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنَ اللَّهِ القَلْبُ القَاسِي»[1]، قال الترمذيُّ: هذا حديث حسنٌ غريبٌ. انتهى وقال مالكُ بن دِينَارٍ: مَا ضُرِبَ عَبْدٌ [بعقوبةٍ] أَعْظَمَ من قَسْوَةِ قلبِهِ، قال ابن هِشَامٍ: قوله تعالى: ﴿فويل للقاسية قلوبُهم من ذكر اللَّه﴾ «من» هنا: مرادِفَةٌ «عَنْ»، وقيل: هي للتعليلِ، أي: مِنْ أَجْلِ ذكر اللَّه؛ لأنه إذا ذُكِرَ اللَّه، قَسَتْ قلوبُهُمْ؛ عياذاً باللَّه، وقيل: هي للابتداءِ، انتهى من «المغني».

قال الفَخْرُ[2]: ٱعْلَمْ أَنَّ ذِكْرَ اللَّهِ سببٌ لحصولِ النُّورِ والهدايةِ وزيادةِ ٱلاطْمِئْنَانِ في النفوس الطاهرة الروحانية، وقد يُوجِبُ القَسْوَةَ والبُعْدَ عنِ الحَقِّ في النفوسِ الخبيثة الشيطانية، فإذا عَرَفْتَ هذا، فنقول: إِنَّ رأسَ الأدْوِيَةِ التي تفيدُ الصحةَ الروحانيةَ ورُتْبَتَها هو ذِكْرُ اللَّهِ، فإذا اتفق لبعضِ النفوسِ أَنْ صَارَ ذِكْرُ اللَّهِ سبباً لازْدِيادِ مَرَضِها، كانَ مَرَضُ تلكَ النفوسِ مَرَضاً لا يُرْجَىٰ زوالُهُ، ولا يُتَوَقَّعُ علاجُهُ، وكانَتْ في نِهَايَةِ الشَّرِّ والرَّدَاءَةِ، فلهذا المعنَىٰ قال تعالَىٰ: ﴿فويلٌ للقاسية قلوبهم من ذكر اللَّه أولئك في ضلال مبين﴾ وهذا كَلاَمٌ كَامِلٌ مُحَقَّقٌ، انتهى.

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿اللَّه نزل أحسن الحديث﴾ يريد القرآن، وروي عَنِ ابْنِ عبَّاس أن سبَبَ هذه الآيةِ أَنَّ قَوْماً من الصحابةِ قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَدِّثْنَا بِأَحَادِيثَ حِسَانٍ، / وَأَخْبِرْنَا بِأَخْبَارِ الدَّهْرِ، فنزلَت الآية[3]. ١٦

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٠٧)، كتاب «الزهد» باب: منه برقم: (٢٤١١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤/ ٢٤٥) باب: في حفظ اللسان (٤٩٥١) من طريق عبد اللَّه بن عمر، وأخرجه مالك مرسلاً، قال: إنه بلغه أن عيسى ابن مريم كان يقول: «لا تكثروا الكلام...» الحديث نحوه.

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث إبراهيم بن عبد اللَّه بن حاطب.

(٢) ينظر: «تفسير الفخر الرازي» (٢٦/ ٢٣٢).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦٢٩) برقم: (٣٠١٢٥)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٢٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٠٩)، وعزاه لابن جرير.

وقوله: ﴿متشابهاً﴾ معناه مُسْتَوياً لا تَنَاقُضَ فيه ولا تَدَافُعَ، بل يُشْبِهُ بَعْضُهُ بعضاً في رَصْفِ اللَّفْظِ، ووَثَاقَةِ البراهينِ، وشَرَفِ المعاني؛ إذْ هِيَ اليَقِينُ في العقائدِ في اللَّهِ وصفاته وأفعالِهِ وشرعِهِ، و﴿مثاني﴾ معناه: مَوْضِعُ تَثْنِيَةٍ للقصَصِ والأقضيةِ والمَوَاعِظِ تُثَنَّىٰ فيهِ ولاَ تُمَلُّ مَع ذلك ولا يَعْرِضُهَا ما يَعْرِضُ الحديثَ المُعَادَ، وقال ابن عباس، ثُنِّيَ فِيه الأَمْرَ مِرَاراً[1]، ولا ينصرفُ ﴿مَثَانِي﴾ لأنه جمعٌ لا نَظِيرَ له في الواحد.

وقوله تعالى: ﴿تقشعرُّ منه جلود الذين يخشون ربهم﴾ عبارة عَنْ قفِّ شَعْرِ الإنسانِ عندَما يُدَاخِلُهُ خَوْفٌ ولِينُ قَلْبٍ عند سماعِ موعظةٍ أو زَجْرِ قرآن ونحوهِ، وهذه علامةُ وقوعِ المعنى المُخْشِعِ في قلبِ السامعِ، وفي الحديث؛ أَنَّ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ **قرأ** عند النبيِّ ﷺ، فَرَقَّتِ الْقُلُوبُ؛ فَقَالَ النبي ﷺ: «اغْتَنِمُوا الدُّعَاءَ عِنْدَ الرِّقَّةِ؛ فَإِنَّهَا رَحْمَةٌ»[2] وقال العبَّاسُ بن عبد المُطَّلِبِ: قال النبيُّ ﷺ: «مَنِ اقْشَعَرَّ جِلْدُهُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تعالى، تَحَاتَّتْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ كَمَا تَتَحَاتُّ عَنِ الشَّجَرَةِ اليَابِسَةِ وَرَقُهَا»، وَقَالَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ: «كان أَصْحَابُ النبيِّ ﷺ تَدْمَعُ أَعْيُنُهُمْ وتقشعرُّ جلودُهم عند سماع القرآن، قيل لها: إن أقواماً اليومَ إذا سَمِعوا القرآن خَرَّ أحدُهم مَغْشِياً عليه، فقالت: أعوذُ باللَّهِ من الشيطانِ»[3]، وعن ابن عمر نحوُه، وقال ابن سيرين: بيننَا وبين هؤلاء الذين يُصْرَعُونَ عند قراءة القرآن أن يُجْعَلَ أَحَدُهم عَلى حَائِطٍ [مَادًّا] رِجْلَيْهِ، ثُمَّ يُقْرأُ عَلَيْه القرآن كلُّه/، فإن رَمَىٰ بِنَفْسِهِ، فهو صَادِقٌ[4]. ٦ ب

* ت *: وهذا كله تغليظٌ على المُرَائِينَ والمتصنِّعين، ولا خلاف أعلمهُ بين أربابِ القلوبِ وأئمَّةِ التصوُّفِ أن المُتَصَنِّعَ عندهم بهذه الأمور مَمْقُوتٌ، وأما مَنْ غَلَبَه الحالُ لِضَعْفِهِ وقَوِيَ الوارِدُ عليه حتَّىٰ أَذْهَبَهُ عَنْ حِسِّه؛ فهو إن شاء اللَّهُ مِن السادةِ الأَخْيارِ والأولياء الأبرار، وقَد وَقَعَ ذلك لكثير من الأَخْيارِ يَطُولُ تَعْدَادُهم؛ كابن وهب وأحمد بن مُعَتِّبٍ المالكيَّيْنِ، ذكرهما عياض في «**مداركه**»، وأنهما ماتا من ذلك؛ وكذلك مالك بن دينار ماتَ

---

(١) أخرجه الطبري في «**تفسيره**» (١٠/ ٦٢٨) برقم: (٣٠١٢١)، وذكره ابن عطية في «**تفسيره**» (٤/ ٥٢٧)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٥/ ٦١٠) بنحوه، وعزاه لابن مردويه.

(٢) القضاعي في «**مسند الشهاب**»، (٦٩٢) وذكره الهندي في «**كنز العمال**» (٢/ ١٠٢) (٣٣٤١)، والعجلوني في «**كشف الخفاء ومزيل الإلباس**» (١/ ١٦٨) (٤٤٠).

(٣) ذكره البغوي في «**تفسيره**» (٤/ ٧٧)، وابن عطية في «**تفسيره**» (٤/ ٥٢٨)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٥/ ٦١٠)، وعزاه لسعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن مردويه، وابن أبي حاتم، وابن عساكر عن عبد اللَّه بن عروة بن الزبير عن جدته أسماء.

(٤) ذكره البغوي في «**تفسيره**» (٤/ ٧٧)، وابن عطية في «**تفسيره**» (٤/ ٥٢٨).

مِنْ ذلك؛ ذكره عبد الحَقِّ في «العاقبة»، وغيرهم ممن لا يَحصَىٰ كثرةً، ومن كلام عزِّ الدين بن عَبْدِ السَّلام ـ رحمه اللَّه ـ في قواعده الصُّغرَىٰ قال: وقَدْ يَصِيحُ بَعْضُهُمْ لِغَلَبَةِ الحَالِ عَلَيْهِ، وَإِلْجَائِهَا إِيَّاهُ إِلى الصِّيَاحِ، وهو في ذلك مَعْذُورٌ، ومَنْ صَاحَ لِغَيْرِ ذَلِكَ، فَمُتَصَنِّعٌ لَيْسَ مِنَ القَوْمِ في شَيْءٍ، وكذلِكَ من أظهر شيئاً من الأحوال رياءً أو تسميعاً، فإنه ملحَقٌ بالفجَّار دونَ الأَبْرَارِ، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿ذلك هدى اللَّه﴾ يحتملُ أَنْ يشيرَ إلى القرآن ويحتملُ أنْ يشير إلى الخَشْيَةِ واقْشِعْرَارِ الجُلُودِ، أيْ: ذلك أَمَارَةُ هدَى اللَّهِ.

قال الغَزَّالِيُّ في «الإحياء»: والمُسْتَحَبُّ من التالِي للقرآن أن يَتأثر قلبهُ بآثار مختلفةٍ بحسْبِ اخْتِلاَفِ الآيات، فيكون له بحسَبِ كُلِّ فهم حالٌ يَتَّصِفُ به قلبُهُ من الحُزْن والخَوْفِ والرجاءِ وغَيْرِ ذلك، ومَهْمَا تَمَّتْ معرفتُهُ كانَتِ الخَشْيَةُ أَغْلَبَ الأحْوَالِ عَلَىٰ قلبهِ، انتهى، قال الشيخ الوليُّ عبد اللَّه بن أبي جَمْرَةَ: وكان النبيُّ ﷺ في قيامِهِ يَكْسُوهُ من كل آية يَقْرَؤُهَا حَالٌ يُنَاسِبُ مَعْنَىٰ تلكَ الآية، وكذلك يَنْبَغِي أن تَكُونَ تلاوةُ/ القرآن وألاَّ يكونَ تالِيهِ ٧أ
كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً، انتهى.

﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب...﴾ الآيَةَ، تقريرٌ بمعنى التَّعْجِيبِ، والمعنى: أَفَمَنْ يَتَّقِي بوجْهِهِ سُوءَ العَذَابِ كَالمُنَعَّمِينَ في الجنةِ، قال مجاهد[1]: ﴿يتقي بوجهه﴾، أي: يُجَرُّ على وَجْهِه في النَّارِ.

وقالَتْ فِرْقَةٌ: ذلك لِمَا رُوِيَ أَنَّ الكافرَ يُلْقَىٰ في النارِ مكتُوفاً مربوطةً يداه إِلَىٰ رِجْلَيْهِ مَعَ عُنُقِهِ، ويُكَبُّ على وجهِه، فليس له شَيْءٌ يَتَّقِي به إلا وَجْهَهُ، وقالت فرقة: المعنى في ذلك صفةُ كَثْرَةِ مَا يَنَالُهُمْ من العذابِ يتَّقِيهِ بِكُلِّ جَارِحَةٍ مِنْهُ حَتَّىٰ بِوَجْهِهِ الذي هُوَ أَشْرَفُ جوارحِهِ، وهذا المعنى أَبْيَنُ بلاغةً، ثم مَثَّلَ لقريشٍ بالأمم الذين مِنْ قبلهم، وما نالَهُمْ مِنَ

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦٣٠) برقم: (٣٠١٢٧)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦١١)، وعزاه السيوطي للفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر.

العذابِ في الدنيا المتَّصِلِ بعذابِ الآخرةِ الذي هو أكبر، ونَفَى اللَّهُ سبحانه عن القرآن العِوَجَ؛ لأنَّهُ لا اخْتِلاَفَ فيه، ولا تناقُضَ، ولا مَغْمَزَ بِوَجْهٍ.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مثَلاً رَجُلاً فيه شركاء متشاكسون...﴾ الآية، هَذا مَثَلٌ ضربَه اللَّهُ سبحانه في التوحيدِ، فَمَثَّلَ تَعَالَىٰ الكافرَ العابِدَ للأوثانِ والشياطينِ بِعَبْدٍ لِرجَالٍ عِدَّةٍ؛ في أَخْلاَقِهِم شَكَاسَةٌ وَعَدَمُ مُسَامَحَةٍ؛ فهم لذلك يُعَذِّبُونَ ذلك العَبْدَ بتضايقهم في أوقاتهم، ويضايِقُون العبدَ في كثْرَةِ العَمَلِ؛ فهو أَبَداً في نَصَبٍ منهم وعناءٍ، فكذلك عَابِدُ الأَوْثَانِ الذي يَعْتَقِدُ أَنَّ ضُرَّهُ ونَفْعَهُ عِنْدَهَا؛ هو معذَّبُ الفِكْرِ بِهَا وبحراسَةِ حَالِهِ مِنْهَا، ومَتَىٰ تَوَهَّمَ أنه أَرْضَىٰ صَنَماً بالذبح له في زعمِه، تَفَكَّر فيما يصنعُ معَ الآخرِ؛ فهو أبداً تَعِبٌ في ضلالٍ، وكذلك هو المُصَانِعُ للنَّاس المُمْتَحَنُ بخدمةِ الملوكِ،/ ومَثَّلَ تَعالى المُؤْمِنَ باللَّهِ وحدَهُ؛ بعَبْدٍ لرجُلٍ واحدٍ يُكَلِّفُه شُغْلَهُ؛ فهو يعمله عَلَىٰ تُؤَدَةٍ وقَدْ سَاسَ مَوْلاَهُ، فالمولى يَغْفِر زَلَّتهُ ويشكُرُه على إجادةِ عَمَلِهِ، و﴿مثلاً﴾ مفعول بـ﴿ضرب﴾ و﴿رجلاً﴾ نَصْبٌ على البَدَلِ و﴿متشاكسون﴾ معناه: لا سَمْحَ في أخلاقِهم؛ بل فيها لَجَاجٌ، **وقرأ** ابن كثير وأبو عمرو «سالماً»[1] أي: سالماً من الشِّرْكَة، ثم وَقَفَ تعالى الكفارَ بقوله: ﴿هل يستويان مثلاً﴾ ونَصْبُ ﴿مثلاً﴾ على التمييز؛ وهذا التوقيفُ لا يجيبُ عَنْهُ أحدٌ إلاَّ بأنهما لا يستويان؛ فلذلك عَامَلَتْهُمُ العِبَارَةُ الوجيزةُ عَلَىٰ أنهم قد أجابوا، فقال: ﴿الحمد للَّه﴾ أي: على ظهور الحجَّةِ عليكم من أقوالِكم، وباقي الآية بيِّن.

٧ ب

والاخْتِصَامُ في الآية قيلَ: عَامٌّ في المؤمنِين والكَافِرين، قال * ع[2] *: ومعنى الآيةِ عندي: أن اللَّه تعالى تَوَعَّدَهُم بأنهم سيَتَخاصَمُونَ يَوْمَ القيامةِ في معنَىٰ ردِّهم في وجهِ الشريعةِ وتكذيبِهِمْ لرسول اللَّه ﷺ، وَرَوَى الترمذيُّ من حديث عبد اللَّه بن الزُّبَيْرِ قال: «لما نَزَلَتْ: ﴿ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾ قال الزُّبَيْرُ: يا رَسُولَ اللَّهِ: أَتُكَرَّرُ

---

(١) ينظر: «السبعة» (٥٦٢)، و«الحجة» (٦/ ٩٤)، و«معاني القراءات» (٢/ ٣٣٨)، و«شرح الطيبة» (٥/ ١٩٧)، و«العنوان» (١٦٥)، و«حجة القراءات» (٦٢٢)، و«شرح شعلة» (٥٦٧)، و«إتحاف» (٢/ ٤٢٩).

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٥٣٠).

عَلَيْنَا الخُصُومَةُ بَعْدَ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا في الدُّنْيَا؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: إنَّ الأَمْرَ إِذَنْ لَشَدِيدٌ»[١] انتهى.

﴿۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿فمن أظلم ممن كذب على اللَّه. . .﴾ الآية، الإشارةُ بهذا الكذبِ إلى قولهم: «إن للَّه صاحبةً وولداً» وقولِهِمْ: هذا حلالٌ، وهذا حرامٌ، افتراءً على اللَّه، ونحوَ ذلك، وكذَّبُوا أيضاً بالصِّدْقِ، وذلك تكذيبُهم بما جاءَ به محمدٌ ﷺ، ثم توعَّدَهم سبحانه تَوَعُّداً فيه احتقارُهم بقوله: ﴿أليس في جهنم مثوى للكافرين﴾ **وقرأ** ابن مسعود: «والَّذِينَ جَاءُوا/ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقُوا بِهِ»[٢] والصدقُ هنا القرآن والشَّرْعُ بجُمْلَتِهِ؛ وقالتْ فرقةٌ «الذي» يراد بِهِ: «الذين»، وحُذِفَتِ النونُ، قال * ع *: وهذا غيرُ جَيِّدٍ وَتَرْكِيبُ «جاء» عليه يَرُدُّ ذلك، بل «الذي» ههنا هي للجنس، والآيةُ مُعَادِلة لقولِهِ: ﴿فمن أظلم﴾. قال قتادة وغَيْرُهُ: الذي جاء بالصِّدْقِ هو محمَّدُ ـ عليه السلام ـ والَّذي صَدَّقَ به همُ المؤمنونَ[٣]؛ وهذا أَصْوَبُ الأقْوالِ، وذَهَبَ قومٌ إلى أن الذي صدَّقَ به أبو بكرٍ، وقيل: عليٌّ وتَعْمِيمُ اللفظ أَصْوَبُ. ٨ أ

وقولُهُ سبحانه: ﴿أولئك هم المتقون﴾ قال ابن عبَّاس: اتَّقَوُا الشِّرْكَ[٤].

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٧٠) كتاب «تفسير القرآن» باب: ومن سورة الزمر (٣٢٣٦)، والحاكم (٢/ ٤٣٥) كتاب «التفسير»، والحميدي (١/ ٣٣ ـ ٣٤) (٦٢)، وأحمد (١/ ١٦٤، ١٦٧)، وذكره السيوطي في «**الدر المنثور**» (٥/ ٦١٣ ـ ٦١٤)، وعزاه إلى عبد الرزاق، وابن منيع، وابن مردويه، وأبو نعيم في «**الحلية**»، والبيهقي في «**البعث والنشور**».
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٢) ينظر: «**الكشاف**» (٤/ ١٢٨)، و«**المحرر الوجيز**» (٤/ ٥٣١)، و«**البحر المحيط**» (٧/ ٤١١).

(٣) أخرجه الطبري في «**تفسيره**» (١١/ ٥) برقم: (٣٠١٤٥) عن قتادة، وبرقم: (٣٠١٤٦) عن ابن زيد وذكره البغوي في «**تفسيره**» (٤/ ٧٩)، وابن عطية في «**تفسيره**» (٤/ ٥٣١)، وابن كثير في «**تفسيره**» (٤/ ٥٣)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٥/ ٦١٥)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٤) أخرجه الطبري في «**تفسيره**» (١١/ ٦) برقم: (٣٠١٥٠)، وذكره ابن عطية في «**تفسيره**» (٤/ ٥٣٢)، وابن كثير في «**تفسيره**» (٤/ ٥٣)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٥/ ٦١٥)، وعزاه لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «**الأسماء والصفات**».

وقوله تعالى: ﴿ليكفر﴾ يحتملُ أن يَتَعَلَّقَ بقوله: ﴿المحسنين﴾ أي: الذين أحسنوا، لكَيْ يُكَفِّرَ؛ وقاله ابن زيد[1]، ويحتملُ أن يتعلَّقَ بفعلٍ مُضْمَرٍ مَقْطُوعٍ مما قَبْلَهُ؛ تقديرهُ: يَسَّرَهُمُ اللَّهُ لذلكَ؛ لِيُكَفِّرَ، لأنَّ التَّكْفِيرَ لاَ يكونُ إلا بَعْدَ التَّيْسِيرِ لِلْخَيْرِ.

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿أليس اللَّه بكافٍ عبده﴾ تقويَةٌ لنَفْسِ النبيِّ ﷺ، وقرأ حمزةُ والكسائيُّ: «عباده»[2] يريد الأنبياءَ، وأنتَ يَا محمدُ أحدُهُمْ، فيدخلُ في ذلكَ المُؤْمِنُونَ المطيعُونَ والمتوكِّلُونَ على اللَّه سُبْحَانَهُ.

وقوله سبحانه: ﴿ويخوفونك بالذين مِنْ دُونِهِ﴾ أيْ: بالذين يَعْبُدُونَ، وباقي الآية بَيِّنٌ، وقد تقدَّم تفسيرُ نظيرِهِ.

وقوله تعالى: ﴿فمن اهتدى فلنفسه﴾، أيْ: فلنفسه عَمِلَ وَسَعَىٰ، ومَنْ ضَلَّ فَعَلَيْهَا جَنَىٰ، ثم نبَّه تَعالَىٰ على آية مِنْ آياته الكبرى، تدلُّ الناظِرَ على الوحدانيَّةِ، وأنَّ ذلك لا شِرْكَةَ فيه لِصَنَم، وهي حالةُ التَّوَفِّي، وذلكَ أَنَّ ما تَوَفَّاهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ على الكَمَالِ، فهو الذي يَمُوتُ، وما تَوَفَّاهُ تَوفِّياً غَيرَ مُكَمَّلٍ فهو الذي يكونُ في النَّوْم، قال ابن زيدٍ: النومُ وفاةٌ

---

(١) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٣٢).

(٢) ينظر: «السبعة» (٥٦٢)، و«الحجة» (٦/ ٩٥)، و«معاني القراءات» (٢/ ٣٣٨)، و«شرح الطيبة» (٥/ ١٩٨)، و«العنوان» (١٦٥)، و«حجة القراءات» (٦٢٢)، و«شرح شعلة» (٥٦٧)، و«إتحاف» (٢/ ٤٢٩).

والموتُ وفاة[١]/ وكثَّرَ الناسُ في هذه الآية، وفي الفَرْقِ بَيْنَ النَّفْسِ والرُّوحِ، وَفَرَقَ قَوْمٌ بَيْنَ ٨ ب
نَفْسِ التمييزِ ونفس التخيُّل؛ إلى غير ذلك مِن الأقوال التي هي غَلَبَةُ ظَنٍّ، وحقيقةُ الأمْرِ في هذا هي مما ٱستأثرَ اللَّه به وَغَيَّبَهُ عن عِبَادِهِ في قوله: ﴿قل الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾[الإسراء: ٨٥]، ويكفيكَ أن في هذه الآية ﴿يتوفَّى الأنفس﴾، وفي الحديثِ الصحيحِ: إِنَّ اللَّهَ قَبَضَ أَرْوَاحَنَا حِينَ شَاءَ، وَرَدَّهَا عَلَيْنَا حِينَ شَاءَ[٢]. وفي حديث بلالٍ في الوَادي؛ فقد نطقتِ الشريعةُ بقَبْضِ الرُّوحِ والنَّفس، وقد قال تعالى: ﴿قلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ والظاهرُ أنَّ الخَوْضَ في هذا كُلِّهِ عَنَاءٌ، وإنْ كَان قَد تعرَّضَ للقَوْلِ في هذا ونحوه أئمةٌ، ذَكَرَ الثعلبيُّ عن ابن عباس؛ أنه قال: «في ابن آدم نَفْسٌ ورُوحٌ بَيْنَهُمَا مِثْلُ شُعَاعِ الشَّمْسِ، فالنَّفْسُ هِيَ الَّتي بها العَقْلُ والتمييزُ، والرُّوحُ هي التي بها النَّفَسُ والتَّحَرُّكُ، فإذا نام العَبْدُ قَبَضَ اللَّهُ تَعَالَىٰ نَفْسَهُ ولم يَقْبِضْ رُوحَه»[٣]، وجاءَ في آداب النَّوم وأذكار النائِم أحاديثُ صحيحةٌ؛ ينبغي للعبدِ ألاَّ يُخْلِيَ نفسَه مِنها، وقد رَوَىٰ جابرُ بن عبد اللَّه عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «إذا أَوَى الرَّجُلُ إِلَىٰ فِرَاشِهِ، ٱبْتَدَرَهُ مَلَكٌ وَشَيْطَانٌ، فيقُولُ المَلَكُ: ٱخْتِمْ بِخَيْرٍ، ويقُولُ الشَّيْطَانُ: ٱخْتِمْ بِشَرٍّ، فَإِنْ ذَكَرَ اللَّهَ تَعَالَىٰ، ثُمَّ نَامَ؛ بَاتَ المَلَكُ يَكْلَؤُهُ، فَإِنِ ٱسْتَيْقَظَ؛ قال الملكُ: افْتَحْ بِخَيْرٍ، وَقَالَ الشَّيْطَانُ: ٱفْتَحْ بِشَرٍّ، فإنْ قَالَ: الحَمْدُ للَّهِ الَّذِي رَدَّ إِلَيَّ نَفْسِي، وَلَمْ يُمِتْهَا في مَنَامِهَا، الحَمْدُ للَّهِ الَّذِي يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولاَ، وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ/ إلاَّ ٩ أ
بِإِذْنِهِ، إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ، فإن وَقَعَ مِنْ سَرِيرِهِ، فَمَاتَ، دَخَلَ الجَنةَ»[٤]، رواه

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٠) برقم: (٣٠١٦٣)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٣٣).

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٧٩ ـ ٨٠) كتاب «مواقيت الصلاة» باب: الأذان بعد ذهاب الوقت برقم: (٥٩٥)، (١٣/ ٤٥٥) كتاب «التوحيد» باب: في المشيئة والإرادة (٧٤٧١)، وأحمد (٥/ ٣٠٧)، والبيهقي (١/ ٤٠٣ ـ ٤٠٤) كتاب «الصلاة» باب: الأذان والإقامة للفئة، (٢/ ٢١٦) كتاب «الصلاة» باب: لا تفريط على من نام عن صلاة أو نسيها، وأبو داود (١/ ١٧٤) كتاب «الصلاة» باب: من نام عن صلاة أو نسيها (٤٣٩)، والنسائي (٢/ ١٠٥ ـ ١٠٦) كتاب «الإمامة» باب: الجماع للفائت من الصلاة برقم: (٨٤٦)، وابن حبان في «صحيحه» (٤/ ٤٤٨) كتاب «الصلاة» باب: ذكر خبر أوهم غير المتبحر في صناعة العلم: أن الصلاة الفائتة لا تؤدى عند طلوع الشمس حتى تبيض، (١٥٧٩)، وذكره البغوي في «شرح السنة» (٢/ ٨٦) كتاب «الصلاة» باب: الأذان للفائتة والإقامة لها (٤٣٩).
كلهم عن أبي قتادة عن أبيه، إلا أن بعضهم زاد، وبعضهم رواه مختصراً.

(٣) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٣٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦١٦)، وعزاه لابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٤٨) كتاب «الدعاء»، وابن حبان (٧/ ٣٨٩ ـ ٣٩٠) ـ الموارد

النسائي، واللفظ له، والحاكمُ في «**المستدرك**» وابن حِبَّانَ في «**صحيحه**»، وقال الحاكم: صحيحٌ على شرط مُسْلِم، وزاد آخره: «الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يُحْيِي المَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» انتهى من «**السِّلاح**»، وفيه عن أبي هريرةَ عن النبي ﷺ قال: مَنْ قَالَ حِينَ يَأْوِي إِلَىٰ فِرَاشِهِ: «لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ؛ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَالحَمْدُ لِلَّهِ وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، ـ غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ أَوْ خَطَايَاهُ ـ شَكَّ مِسْعَرٌ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ»[1] رواه ابن حِبَّان في «**صحيحه**»، ورواه النسائي موقوفاً، انتهى، وروى الترمذيُّ عن أبي أُمَامَةَ قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقولُ: «مَنْ أَوَىٰ إِلَىٰ فِرَاشِهِ طَاهِراً يَذْكُرُ اللَّهَ حَتَّى يُدْرِكَهُ النُّعَاسُ، لَمْ يَنْقَلِبْ سَاعَةً مِنَ اللَّيْلِ يسألُ اللَّهَ شَيْئاً مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ إِلاَّ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ»[2]، انتهى، والأَجَلُ المُسَمَّىٰ

(٣٣٦٢)، وابن حبان في «**صحيحه**» (٢/ ٣٤٣) كتاب «الزينة والتطيب» باب: آداب الطعام ذكر الشيء الذي إذا قاله المرءُ عند استيقاظه من النوم دخل الجنة بقوله ذلك؛ إن أدركته منيته (٥٥٣٣)، والنسائي في «**الكبرى**» (٦/ ٢١٣) كتاب «عمل اليوم والليلة» باب: ما يقول إذا انتبه من منامه (١٠٦٨٩/ ١)، وذكره المنذري في «**الترغيب والترهيب**» (١/ ٤٦٩)، كتاب «النوافل» باب: الترغيب في كلمات يقولهن حين يأوي إلى فراشه، وما جاء فيمن نام ولم يذكر اللَّه تعالى (٨٨١)، والهيثمي في «**مجمع الزوائد**» (١٠/ ١٢٣) كتاب «الأدعية» باب: ما يقول إذا أوى إلى فراشه وإذا انتبه.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. ا هـ.

وقال الهيثمي: رواه أبو يعلى، وهو عنده (٣/ ٣٢٦ ـ ٣٢٧) برقم: (١٧٩١)، ورجاله رجال الصحيح غير إبراهيم بن الحجاج الشامي وهو ثقة. ا هـ بتصرف.

(١) أخرجه ابن حبان (٧/ ٣٩٤) ـ الموارد (٢٣٦٥)، وابن حبان (١٢/ ٣٣٨) كتاب «الزينة والتطيب» باب: آداب الطعام، وذكر الشيء الذي يغفر اللَّه ذنوب قائله إذا أوى إلى فراشه (٥٥٢٨)، وابن السني في «**عمل اليوم والليلة**» (٧٢٧)، وأبو نعيم في «**أخبار أصفهان**» (١/ ٢٦٧)، وذكره المنذري في «**الترغيب والترهيب**» (١/ ٤٦٨) كتاب «النوافل» باب: الترغيب في كلمات يقولهن حين يأوي إلى فراشه وما جاء فيمن نام ولم يذكر اللَّه تعالى، برقم: (٨٧٩)، والهندي في «**كنز العمال**» (١٥/ ٣٤٧ ـ ٣٤٨) (٤١٣٢٣) وفي الباب من حديث أبي هريرة أخرجه أحمد في «**المسند**» (٢/ ١٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٥٤٠) كتاب «الدعوات» باب: (٩٣) (٣٥٢٦) والطبراني في «**المعجم الكبير**» (٨/ ١٤٧) (٧٥٦٨)، وذكره المنذري في «**الترغيب والترهيب**» (١/ ٤٦٣)، كتاب «النوافل» باب: الترغيب في أن ينام الإنسان طاهراً ناوياً للقيام (٨٦٩)، والنووي في «**الأذكار**» (١٣٤) كتاب «ما يقوله إذا دخل في الصلاة» باب: ما يقرأ في الوتر وما يقوله بعدها (٢٦/ ٢٤٢).

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

وللحديث شاهد نحوه من حديث معاذ بن جبل: أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٢٧٧) كتاب «الدعاء» باب: ما يدعو به إذا انتبه من الليل (٣٨٨١)، والنسائي في «**الكبرى**» (٦/ ٢٠١)، كتاب «عمل اليوم والليلة» باب: ثواب من أوى طاهراً إلى فراشه يذكر اللَّه تعالى حتى تغلبه عيناه (١٠٦٤٢/ ٢)، وأبو داود (٢/ ٣٧٠) كتاب «الأدب» باب: في النوم على طهارة(٥٠٤٢)، وأحمد (٥/ ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٤١، ٢٤٤)، وذكره

في هذه الآيةِ: هُوَ عُمْرُ كُلِّ إِنْسَانٍ، والضمائرُ في قوله تعالى: ﴿أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون﴾: للأصنام.

﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وإذا ذُكِرَ اللَّه وحده اشمأزَّتْ قلوبُ الذين لا يؤمنونَ بالآخرة...﴾ الآية، قال مجاهدٌ وغيره[1] نَزَلَتْ في قراءةِ النبيِّ ﷺ سورة النَّجم عِنْدَ الكَعْبَةِ بِمَحْضَرٍ من الكُفَّارِ، وقرأ ﴿أفرأيتُم اللاتَ والعُزَّى...﴾ [النجم: ١٩] الآية، وألقى الشيطانُ يَعْنِي في أسْمَاعِ الكفارِ (تلك الغَرانِقَةَ العُلَىٰ) عَلَى مَا مَرَّ في سُورَةِ الحَج، فَاسْتَبْشَرُوا، واشمأَزَّتْ نُفُوسُهُمْ: معناه: تَقَبَّضَتْ كِبْراً وأَنَفَةً وكَرَاهِيَةً ونُفُوراً.

وقوله/ تعالى: ﴿قل اللهم فاطر السمٰوات...﴾ الآية، أَمْرٌ لنبيهِ ـ عليه السلام ـ بالدعاءِ إليه وَرَدُّ الحُكْم إِلَىٰ عَدْلِهِ، ومعنَىٰ هذا الأَمْرِ تَضمُّنُ الإجابةِ. ٩ ب

وقوله تعالى: ﴿وبدا لهم من اللَّه ما لم يكونوا يحتسبون﴾ قال الثعلبيُّ: قال السُّدِّيُّ: ظَنُّوا أشياءَ أَنَّهَا حسناتٌ فبدَتْ سَيِّئاتٍ[2]، قال * ع *: قال سفيانُ الثوريُّ: ويلٌ لأهل الرياءِ مِن هذه الآية[3]، وقال عكرمة بن عَمَّار: جَزِع محمَّدُ بْنُ المُنْكَدِرِ عند المَوْتِ، فقيل

المنذري في «الترغيب والترهيب» (١/ ٤٦٢) كتاب «النوافل» باب: الترغيب في أن ينام الإنسان طاهراً ناوياً للقيام (٨٦٧).

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٨١) عن مجاهد ومقاتل، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٣٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦١٨)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر عن مجاهد.

(٢) ذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٨٢).

(٣) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٣٥).

له: ما هَذَا؟ فقال: أخافُ هذه الآيةَ ﴿وبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿ثم إذا خَوَّلْنَاهُ نعمة منا...﴾ الآية، قال الزَّجَّاجُ[2]: التَّخْوِيلُ العطاءُ عَنْ غَيْرِ مُجَازَاةٍ، والنِّعْمَةُ هنا عامَّةٌ في المالِ وغيرِه، وتَقْوَى الإشارةُ إلى المالِ بقوله: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ قال قتادة: يريد إنما أُوتيتُهُ علَىٰ علْم مِنِّي بوجهِ المَكَاسِبِ والتِّجاراتِ[3]، ويحتملُ أن يريد: علَىٰ عِلْمٍ من اللَّهِ فيَّ واستحقاقِ حُزْتُهُ عندَ اللَّه، ففي هذا التأويلِ اغترارٌ باللَّه، وفي الأول إعْجَابٌ بالنَّفْسِ، ثم قال تعالى: ﴿بل هي فِتنة﴾ أي: ليس الأمْرُ كما قَال؛ بل هذه الفَعْلَةُ بِهِ فِتْنَةٌ له وابْتِلاَءٌ، ثم أَخْبَرَ تَعالَىٰ عمَّنْ سَلَفَ من الكَفَرَةِ؛ أَنَّهُمْ قَدْ قَالُوا هذه المقالَةَ كَقَارُونَ وغيره، ﴿فما أَغْنَىٰ عنهم ما كانوا يكسبون﴾ مَنَ الأَمْوَالِ، ﴿والذين ظلموا من هؤلاء﴾ المعاصرينَ لَكَ، يا مُحَمَّدُ، ﴿سيصيبهم سيئاتُ ما كسَبوا﴾. قال أبو حَيَّان: ﴿فما أغنى﴾ يحتملُ أن تَكونَ «ما» نافيةً أو استفهاميةً فيها معنى النَّفْي، انتهى.

﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة اللَّه...﴾ الآية، هذه الآيةُ عامَّةٌ في جميع النَّاسِ إلى يوم القيامةِ، فتَوْبَةُ الكَافِرِ تَمْحُو ذَنْبَهُ، وتوبة العاصي تمحو/ ذنبَهُ؛ علَىٰ ما تقدَّم تفصيلُهُ، واختُلِفَ في سبب نزولِ هذه الآية، فقال عطاءُ بن يَسَارٍ: نزلَتْ في وَحْشِيٍّ قَاتِلِ حمزة[4]، وقال ابن إسحاق وغيره: نزلَتْ في قوم بمكَّةَ آمنوا، ولم يُهَاجِرُوا وفَتَنَتْهُمْ قُرَيْشٌ، فَافْتَتَنُوا، ثم نَدِمُوا وَظَنُّوا أنهم لا تَوْبَةَ لَهم، [فنزلَتِ] الآيةُ فِيهِم، منهم الوَلِيدُ بْنُ الوَلِيدِ وَهِشَامُ بْنُ العَاصي[5]؛ وهذا قولُ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، وأنه كَتَبَهَا بِيدِهِ إِلَىٰ هشام بْنِ العَاصِي، الحديثَ، وقالتْ فرقةٌ: نزلَتْ في قوم كُفَّارٍ مِنْ أَهْلِ الجاهليَّةِ، قالوا: وَمَا يَنْفَعُنَا الإِسْلاَمُ، وَنَحْنُ قد زَنَيْنَا وَقَتَلْنَا النَّفْسَ، وأَتَيْنَا كُلَّ كَبيرةٍ،

١١٠

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٨٢)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٣٥).
(٢) ينظر: «معاني القرآن» (٤/ ٣٥٧).
(٣) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٣٦).
(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٤) برقم: (٣٠١٧٦)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٨٣)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٣٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٢١)، وعزاه لابن جرير عن عطاء بن يسار.
(٥) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٣٧) عن قتادة والسدي، وابن أبي إسحاق.

فَنَزَلَتِ الآيةُ فِيهِمْ، وقالَ عليُّ بْنُ أبي طَالِبٍ، وابنُ مَسْعُودٍ، وابنُ عُمَرَ: هذِهِ أرْجَى آية في القرآن[١]، ورَوَى ثَوْبَانُ عَنِ النبيِّ ﷺ قال: «مَا أُحِبُّ أَنَّ لي الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا بِهَذِهِ الآيةِ[٢] ﴿قُلْ يَا عِبَادِي . . .﴾» ﴿وأسْرَفُوا﴾ معناه أفْرَطُوا، والقَنَطُ أعْظَمُ اليَأْسِ، **وقرأ** نافعٌ والجمهورُ «تَقْنَطُوا» بفتح النون[٣]، قال أبو حاتم: فيلزمهم أن يقرؤوا «مِنْ بَعْدِ مَا قَنِطُوا» [الشورى: ٢٨] ـ بكسرها ـ ولم يقرأ بهِ أحَدٌ، **وقرأ** أبو عمرو «تَقْنِطُوا» ـ بالكسر[٤] ـ.

وقوله: ﴿إن اللَّه يغفر الذنوب جميعاً﴾ عمومٌ بمعنى الخصوصِ؛ لأن الشِّرْكَ لَيْسَ بداخلٍ في الآيةِ إجماعاً، وهي أيضاً في المعاصِي مقيَّدةٌ بالمشيئةِ، ورُوِيَ أنَّ النبيَّ ﷺ **قرأ**: «إن اللَّه يغفرُ الذنوبَ جَميعاً ولاَ يُبَالِي»[٥] وقَرَأَ ابنُ مَسْعُودٍ[٦]: «إنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً لِمَنْ يَشَاءُ» ﴿وأنِيبُوا﴾ معناه: ارْجِعُوا.

﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَـٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّـٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَـٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾﴾

---

(١) أخرجه الطبري في «**تفسيره**» (١١/ ١٥) برقم: (٣٠١٨١) عن ابن مسعود وبرقم: (٣١٠٨٤) عن علي، وذكره ابن عطية في «**تفسيره**» (٤/ ٥٣٧)، وابن كثير في «**تفسيره**» (٤/ ٥٩)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٥/ ٦٢١).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٢٧٥)، والبيهقي في «**شعب الإيمان**» (٥/ ٤٢٣) باب: في معالجة كل ذنب بالتوبة (٧١٣٧)، والطبري (١١/ ١٦) (٣٠١٨٧)، وذكره السيوطي في «**الدر المنثور**» (٥/ ٣٣١)، وعزاه إلى ابن أبي حاتم، وابن مردويه.

(٣) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٤/ ٥٣٧).

(٤) وقرأ بها حمزة والكسائي، ويعقوب، وخلف.
ينظر: «**العنوان**» (١٦٥)، و«**إتحاف**» (٢/ ٤٣٠).

(٥) أخرجه الحاكم (٢/ ٢٤٩) كتاب «التفسير»، والترمذي (٥/ ٣٧٠)، كتاب «التفسير» باب: ومن سورة الزمر (٣٢٣٧).
قال الحاكم: هذا حديث غريب عالٍ، ولم أذكر في كتابي هذا عن شهر غير هذا الحديث الواحد. اهـ.
قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث ثابت عن شهر بن حوشب قال: وشهر بن حوشب يروي عن أم سلمة الأنصارية وأم سلمة الأنصارية هي أسماء بنت يزيد.

(٦) ينظر: «**الشواذ**» ص: (١٣٢)، و«**الكشاف**» (٤/ ١٣٥)، وزاد نسبتها إلى ابن عباس.
وينظر: «**المحرر الوجيز**» (٤/ ٥٣٧).

وقوله سبحانه: ﴿واتبعوا أحسن﴾ معناه: أن القرآن العزيزَ تضمَّنَ عقائدَ نيرةً وأوامرَ ونواهيَ مَنْجِيَةً وَعِدَاتٍ على الطاعاتِ، والبِرِّ، وتضمَّن أيضاً حدوداً على المعاصِي وَوَعِيداً على بَعْضِها/ فالأحسنُ للمرءِ أنْ يسلك طَريق الطاعةِ والانتهاءِ عن المعصيةِ والعفوِ في الأمورِ ونحوِ ذلك مِنْ أنْ يسلكَ طريقَ الغَفْلَةِ والمعصيةِ؛ فَيُحَدُّ أو يَقَعَ تَحْتَ الوعيدِ، فهذا المعنَىٰ هو المقصود بـ﴿أَحْسَنَ﴾، وليس المعنى: أنَّ بعضَ القرآن أحْسَنُ مِنْ بَعْضٍ من حيثُ هو قرآن، * ت *: وَرَوَىٰ أبو بكرِ بْنُ الخَطِيبِ بسنده عن أبي سعيد الخدريِّ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: في قولِ اللَّهِ ـ عزَّ وجَلَّ ـ: ﴿يَا حَسْرَتَىٰ﴾ قال: الحسرةُ أن يرى أهلُ النارِ منازِلَهُمْ من الجنة، قال: فهي الحسرةُ[1]، انتهى.

١٠ ب

وقوله: ﴿فرطت في جنبِ اللَّه﴾ أي: في جِهَةِ طاعتهِ وتضييعِ شريعتِه والإيمانِ به، وقال مجاهدٌ: ﴿في جَنْبِ اللَّهِ﴾ أي: في أمر اللَّه[2]، وقولُ الكافِر: ﴿وإنْ كنْتُ لمن الساخرين﴾ نَدَامَةٌ على ٱستهزائِهِ بِأَمْرِ اللَّهِ ـ تَعَالَىٰ ـ، و«كرة» مصدرٌ مِنْ كَرّ يَكُرُّ، وهذا الكونُ في هذه الآيةِ داخلٌ في التَّمَنِّي، وباقي الآيةِ أنوارُهُ لائحةٌ، وحُجَجُهُ واضحةٌ، ثم خاطبَ تعالَىٰ نبيَّه بِخَبَرِ مَا يَرَاهُ يومَ القيامةِ من حالَةِ الكُفّار، وفي ضِمْنِ هذَا الخبرِ وَعِيدٌ بَيِّنٌ لمعاصريه ـ عليه السلام ـ فقال: ﴿ويوم القيامة ترى الذين كذَبوا على اللَّه وجوههم مسودةً﴾ ﴿تَرَى﴾ من رؤيةِ العينِ، وظاهرُ الآية أنَّ وجوههم تَسْوَدُّ حقيقةً.

﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿وينجي اللَّه الذين اتقوا بمفازتهم...﴾ الآية، ذَكَر تعالَىٰ حَالَةَ المُتَّقينَ ونجاتهم؛ لِيُعَادِلَ بِذَلِكَ ما تَقَدَّمَ من شَقَاوَةِ الكَافِرِينَ، وفي ذلك تَرْغِيبٌ في حالةِ المتقين؛ لأن الأشياء تَتَبَيَّنُ بِأَضْدَادِها، و«مفازتهم» مصدَرٌ مِن الفَوْزِ، وفي الكلام حَذْفُ مضافٍ، تقديرُهُ: ويُنَجِّي اللَّهُ الذين ٱتَّقَوْا بأسْبَابِ مفازَتِهِمْ، والـ﴿مقاليد﴾: المفاتيح؛ وقاله

---

(١) أخرجه الطبري في (٥/١٧٨) برقم: (١٣١٨٩)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٣/٣٨٩) برقم: (١٥٠٢)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٣/٩)، وعزاه إلى ابن أبي حاتم، والطبراني، وأبي الشيخ، وابن مردويه.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/١٩) برقم: (٣٠١٩٥)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/٨٥)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/٥٣٨).

ابن عباس[١]/ ، «واحدها «مِقْلاَدٌ» كـ«مِفْتَاحٍ»، وقال عثمان بن عَفَّان: سألتُ النبيَّ ﷺ عن ١١ أ
﴿مقاليد السموات والأرض﴾ فقال: «هِيَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وسُبْحَانَ اللَّهِ، وَالحَمْدُ للَّهِ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ باللَّهِ العَلِيِّ العَظِيمِ هُوَ الأَوَّلُ والآخِرُ والظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ يُحْيِي ويُمِيتُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»[٢].

وقوله تعالى: ﴿ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك﴾ قالت فرقة: المعنَىٰ: ولقد أوحِي إلى كُلِّ نبيٍّ؛ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ، * ت *: قد تقدَّمَ غيرُ مَا مَرَّةٍ، بأنَّ ما وَرَدَ مِن مِثْلِ هذا، فهو محمولٌ على إرادةِ الأمَّةِ لعِصْمَة النبي ﷺ، وإنما المرادُ مَنْ يمكنُ أنْ يَقَعَ ذلكَ مِنْهُ، وخُوطِبَ هو ﷺ تعظيماً للأمْرِ، قال * ص *: ﴿ليحبطن﴾ جوابُ القَسَمِ، وجَوابُ الشَّرْطِ محذوفٌ؛ لِدَلاَلَةِ جَوابِ القسمِ عليه، انتهى.

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا ۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَـٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿ومَا قَدَروا اللَّه حق قدره﴾ معناهُ وما عَظَّمُوا اللَّه حقَّ عظَمتهِ، ولا وَصَفُوهُ بصفاتِهِ، ولا نَفَوْا عَنْهُ مَا لاَ يليقُ به، قال ابن عبَّاسٍ: نزلتْ هذه الآيةُ في كُفَّارِ قُرَيْشٍ الذينَ كَانَتْ هذهِ الآياتُ كلُّها محاورةً لهم، وردًّا عليهم[٣]، وقالت فرقة: نزلتْ في

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٢٢) برقم: (٣٠٢٠٥) عن ابن عباس، وبرقم: (٣٠٢٠٦) عن قتادة، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٨٦)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٣٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٢٥)، وعزاه لابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس، والفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر عن مجاهد.

(٢) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٢٦)، وعزاه إلى أبي يعلى، ويوسف القاضي في «سننه»، وأبي الحسن القطان في «المطولات»، وابن السني في «عمل اليوم والليلة»، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٢٤) برقم: (٣٠٢٠٩)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٤٠)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٦٢) عن مجاهد.

قومٍ من اليهودِ تَكَلَّمُوا في صفاتِ اللَّه تعالى، فَأَلْحَدُوا وَجَسَّمُوا وَأَتَوْا بِكُلِّ تَخْلِيطٍ.

وقوله تعالى: ﴿والأرض جميعاً قبضته﴾ معناه: في قَبْضَتِهِ، واليمينُ هنا، والقبضةُ عِبارةٌ عَنِ القُدْرَةِ والقُوَّةِ، وما ٱخْتَلَجَ في الصُّدُورِ من غَيْرِ ذَلِكَ بَاطِلٌ، و﴿صعق﴾ في هذه الآية، معناه: خَرَّ مَيِّتاً، و﴿الصُّورُ﴾: القَرنُ، ولا يُتَصَوَّرُ هنا غَيْرُ هذا، ومَنْ يَقُولُ: ﴿الصُّور﴾ جمع صُورَةٍ، فإنما يَتوجَّهُ قولهُ فِي نَفْخَةِ البَعْثِ، وقد تَقَدَّمَ بَيَانُ نَظِيرِ هٰذِهِ/ الآيةِ في غَيْرِ هذا المَوْضِعِ. ١١ ب

وقوله تعالى: ﴿ثم نفخ فيه أُخْرَىٰ﴾ هي نفخةُ البَعْثِ، وفي الحديث: «أَنَّ بَيْن النَّفْخَتَيْنِ أربعين» لاَ يَدْرِي أبو هريرةَ سَنَةً أو شَهْراً أَوْ يَوْماً أَوْ سَاعَةً * ت *: ولفظُ مُسْلِم: عن أبي هريرةَ قال: قال النبيُّ ﷺ ومَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ، قَالُوا: يَا أَبا هُرَيْرَةَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَبَيْتُ قَالُوا: أَرْبَعُونَ شَهْراً؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالُوا: أَربَعُونَ يَوماً؟ قالَ: أَبَيْتُ الحَدِيثَ، قال صَاحِبُ «**التَّذْكِرَةِ**»[1]: فقيل: معنى قوله: «أَبَيْتُ» أي: ٱمتنعتُ من بَيَانِ ذلك؛ إذْ ليس هو مِمَّا تَدْعُو إليه حاجةٌ، وعلَىٰ هذا كانَ عِنده عِلْمُ ذلك، وقيل: المعنى: أَبَيْتُ أَنْ أَسْأَلَ[2] النبيَّ ﷺ عَنْ ذٰلِكَ، وعَلَىٰ هذا: فلاَ عِلْمَ عِنْدَهُ، والأَوَّلُ أَظْهَرُ، وقد جاء أَنَّ مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعِينَ عَاماً، انتهى، وقد تَقَدَّمَ أَنَّ الصحيحَ في المستثنَىٰ في الآيةِ أَنَّهُمُ الشُّهَدَاءُ قَال الشيخُ أبو محمَّدِ بْنُ بُزَيزَةَ في «**شرح الأحكام الصغرَىٰ**» لعبد الحَقِّ: الذي تلقيناه من شيوخنا المحققين أن العَوالِمَ التي لاَ تَفْنَىٰ سَبْعَةٌ: العَرْشُ، والكُرْسِيُّ، واللَّوْحُ، والقَلَمُ، والجَنَّةُ، والنَّارُ، والأَرْوَاحُ. انْتَهَىٰ.

﴿وأشرقت الأرض بنور ربها﴾ معناه: أضاءت وعَظُمَ نُورُهَا، و﴿الأرض﴾ في هذه الآية: الأرض المُبَدَّلَةُ من الأرْضِ المَعْرُوفَةِ.

وقوله: ﴿بنور ربها﴾ إضَافَةُ مُخلوق[3] إلى خَالِقٍ، و﴿الكتاب﴾ كتابُ حِسَابِ

---

(١) ينظر: «**التذكرة**» (١/ ٢٣١).

(٢) أخرجه البخاري (٨/ ٤١٤) كتاب «التفسير» باب: ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السمٰوات ومن في الأرض إلا من شاء اللَّه ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾ (٤٨١٤)، (٨/ ٥٥٨) كتاب «التفسير» باب: ﴿يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً﴾ (٤٩٣٥)، ومسلم (٤/ ٢٢٧٠) كتاب «الفتن وأشراط الساعة» باب: ما بين النفختين (١٤١/ ٢٩٥٥)، (١٤٣/ ٢٩٥٥)، وأخرجه مختصراً مالك (١/ ٢٣٩) كتاب «الجنائز» باب: جامع الجنائز (٤٨)، والنسائي (٤/ ١١١ ـ ١١٢)، كتاب «الجنائز» باب: أرواح المؤمنين برقم: (٢٠٧٧)، وابن ماجه (٢/ ١٤٢٥)، كتاب «الزهد» باب: ذكر القبر والبلى (٤٢٦٦).

(٣) في د: خلق.

الخلائِقِ، وَوَحَّدَهُ على اسْمِ الجِنْسِ؛ لأنَّ كلَّ أحَدٍ له كتابٌ عَلى حِدَةٍ، «وجيء بالنبيئين» أي: لِيَشْهَدُوا عَلَىٰ أممهم، و﴿الشهداء﴾ قيل: هو جمع «شَاهِد» وقيل: هو جمع «شَهِيدٍ» في سبِيلِ اللَّهِ، والأولُ أبْيَنُ في معنى التَّوَعُّدِ، والضميرُ في قوله ﴿بينهم﴾/ عائدٌ على العالم ١٢ أ بِأجْمَعِهِ، إذِ الآيةُ تدلُّ عليهم، و﴿زمراً﴾ مَعْنَاهُ: جماعاتٍ متفرقةً، واحدتها: زُمْرَة.

وقوله: ﴿فتحت﴾ جوابُ «إذَا»، والكَلاَمُ هنا يَقْتَضِي أن فَتْحَها إنما يكُونَ بَعْدَ مجيئِهم، وفي وُقوفِهم قَبْل فَتْحِها مَذَلَّةٌ لهُمْ، وهَكَذا هي حالُ السُّجُونِ ومَواضِعِ الثِّقَافِ والعَذَابِ؛ بِخلافِ قولِهِ في أهْلِ الجَنَّةِ ﴿وَفُتِحَتْ﴾، فالواو مؤذِنَةٌ بأنهم يَجِدُونَها مَفْتُوحَةً كَمَنَازِلِ الأفْرَاحِ والسُّرُورِ.

وقوله تعالى: ﴿وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسلٌ منكم يتلون عليكم ءايات ربكم...﴾ الآية، في قوله: ﴿منكم﴾ أعْظَمُ في الحُجَّةِ، أي: رُسُلٌ مِنْ جِنْسِكُمْ؛ لا يَصْعُبُ عليكم مَرَامُهم، ولا فَهْمُ أقوالِهِم.

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم﴾: لَفْظٌ يعمُّ كُلَّ مَنْ يدخلُ الجنةَ من المؤمنينَ الذين اتَّقَوُا الشِّرْكَ، والواو في قوله: ﴿وفتحت﴾ مؤذِنَةٌ بأنها قَدْ فتحت قبل وصولِهم إليها، وقالتْ فِرْقَةٌ: هي زائدةٌ وقالَ قَوْمٌ: أشَارَ إلَيْهِمُ ابن الأنباريِّ، وضَعَّفَ قولَهُم: هذه واو الثمانيةِ، وقد تقدَّم الكلامُ عليها، وجَوابُ «إذا» فُتِحَتْ، وعَنِ المُبَرِّدِ: جوابُ «إذا» محذوفٌ، تقديره بعد قوله: ﴿خالدين﴾: سُعِدُوا وسقطَتْ هذه الواوُ في مصحف ابن مسعود، ﴿وسلامٌ عليكم﴾ تحيةٌ، و﴿طبتم﴾ معناه: أعمالاً ومُعْتَقَداً وَمُسْتَقَرًّا وجَزَاءً، ﴿وأورثنا الأرض﴾ يُريدُ: أرْضَ الجَنَّةِ، و﴿نتبوأ﴾ معناه: نتخذ أمْكِنَةً ومَسَاكِنَ، ثم وَصَفَ تعالَىٰ حَالَةَ الملائِكَةِ مِنَ العَرْشِ وَحُفُوفَهُمْ به والحفُوفُ الإحْدَاقُ بالشَّيْءِ، وهذه اللفظة مأخوذةٌ من الحِفَافِ، وهو الجانبُ، قال ابن المبارك في «رقائقه»: أخبرنا مَعْمَرٌ عن أبي إسحاق/ عن عاصم بن ضَمْرَةَ عن علي؛ أنه تلا هذه الآية: ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم إلى ١٢ ب الجنة زمراً حتى إذا جاءوها﴾ قال: وَجَدُوا عِنْدَ بَابِ الجَنَّةِ شَجَرَةً يخرجُ مِنْ ساقها عَيْنَانِ، فَعَمَدُوا إلى إحداهما كأنما أمروا بها، فاغْتَسَلُوا بها، فَلَمْ تَشْعَثْ رُؤُوسُهم بَعْدَها أبداً، ولم تَتَغَيَّرْ جُلُودُهُمْ بَعْدَهَا أبداً كأنما دُهِنُوا بِالدُّهْنِ، ثم عمدوا إلى الأخرَىٰ، فَشَرِبُوا مِنْهَا،

فَطَهُرَتْ أجوافُهم، وغَسَلَتْ كُلَّ قَذِرٍ فيها، وَتَتَلَقَّاهُمْ عَلَىٰ كلِّ بَابٍ مِنْ أبوابِ الجَنَّةِ ملائكةٌ: ﴿سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾، ثم تتلقَّاهم الوِلْدَانُ يُطِيفُونَ بهم كما يُطِيفُ وِلْدَانُ الدُّنْيا بالحَمِيمِ، يجيءُ من الغَيْبَةِ يقولونَ: أَبْشِرْ، أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ كَذَا وَكَذَا، وأَعَدَّ اللَّهُ لَكَ كَذَا، ثم يَذْهَبُ الغُلاَمُ مِنْهُمْ إلى الزَّوْجَةِ مِنْ أَزْوَاجِهِ، فيقولُ: قَدْ جَاءَ فُلاَنٌ بِٱسْمِهِ الَّذِي كَانَ يَدَّعِي به في الدنيا، فَتَقُولُ لَهُ: أَنْتَ رَأَيْتَهُ؟ فَيَسْتَخِفُّها الفَرَحُ حَتَّىٰ تَقُومَ عَلَىٰ أُسْكُفَّةِ بَابِها، ثم ترجِعُ، فيجيءُ، فَيَنْظُرُ إِلَىٰ تَأْسِيسِ بنيانِهِ من جَنْدَلِ اللؤلؤ أخضَرَ وأصْفَر وأحْمَر؛ مِنْ كُلِّ لَوْنٍ ثم يجلسُ فينظُرُ؛ فإذا زَرَابِيُّ مبثُوثَةٌ، وأكوابٌ موضوعَةٌ، ثُمَّ يَرْفَعُ رَأْسَهُ ـ فَلَوْلاَ أَنَّ اللَّهَ قَدَّرَ ذَلِكَ، لأَذْهَبَ بَصَرَهُ ـ إنَّما هُوَ مِثْلُ البَرْقِ؛ ثم يقول: الحمدُ لِلَّهِ الذِي هَدَانَا لِهذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللَّهُ، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿يسبِّحون بحمد ربهم﴾ قَالَتْ فرقَةٌ معناه: أَنَّ تَسْبِيحَهُمْ يَتَأَتَّىٰ بِحَمْدِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ، وقالَتْ فرقةٌ: تسبيحُهُمْ هُوَ بترديدِ حَمْدِ اللَّهِ، وتَكْرَارِهِ، قال الثعلبيُّ: مُتَلَذِّذِينَ لاَ مُتَعَبِّدِينَ مُكَلَّفِينَ[1].

وقوله تعالى: ﴿وقيل الحمد للَّه رب العالمين﴾ خَتْمٌ للأمرِ، وقولٌ جَزْمٌ عِنْدَ فصلِ القَضَاءِ، أي: أن هذا المَلِكَ/ الحَاكِمَ العادلَ ينبغي أن يُحْمَدَ عِنْدَ نفوذِ حكمه وإكمال قضائِهِ بَيْنَ عِبَادِهِ، وَمِنْ هٰذِهِ الآيةِ جُعِلَتْ ﴿الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ خَاتمةَ المجالِسِ والمُجْتَمَعَاتِ في الْعِلْمِ، قال قَتَادَةُ: فَتَحَ اللَّهُ أَوَّلَ الخَلْقِ بالحمدِ، فقال: ﴿الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ والأَرْضَ﴾ [الأنعام: ١] وخَتَمَ القيامَةَ بالحَمْدِ في هذه الآية[2]. ١٣ أ

قال * ع[3] *: وَجَعَلَ سُبْحَانَهُ ﴿الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العالمين﴾ فَاتِحَةَ كتابِهِ؛ فَبِه يُبْدَأُ كلُّ أمْرٍ وَبِه يُخْتَمُ، وحَمْدُ اللَّهِ تعالَىٰ وتقديسُهُ ينبغي أن يكونَ مِن المؤمنِ؛ كما قيل: [الطويل]

وَآخِرُ شَيْءٍ أَنْتَ فِي كُلِّ ضَجْعَةٍ ... وَأَوَّلُ شَيْءٍ أَنْتَ عِنْدَ هُبُوبِي[4]

---

(١) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٤٤).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٣٦) برقم: (٣٠٢٦٤)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٤٤)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٦٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٤٢)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٥٤٤).

(٤) ينظر: المصدر السابق (٤/ ٥٤٤).

تَفسِيرُ «سُورَةِ غَافِرٍ»

[وَهِيَ] مَكِّيَّةٌ

رَوَىٰ أَنَسٌ عن النبيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: الحَوَامِيمُ دَيْباجُ القرآن[١]، وَمَعْنَىٰ هذه العبارةِ: أَنَّهَا خَلَتْ مِنَ الأَحْكَامِ وقَصُرَتْ على المَوَاعِظِ والزَّجْرِ وطُرُقِ الآخِرَة مَحْضاً، وعن ابن مسعودٍ أن النبيَّ ﷺ قالَ: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَرْتَعَ في رِيَاضٍ مُونِقَةٍ مِنَ الجَنَّةِ، فَلْيَقْرَإِ الحَوَامِيمَ»[٢].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝٤ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۝٥﴾

قوله تعالى: ﴿حمٓ﴾: تقدَّم القولُ في الحُرُوفِ المقطَّعَةِ، ويَخْتَصُّ هذا المَوْضِعُ بقولٍ آخرَ قاله الضَّحَّاكُ والكسائي؛ أنَّ ﴿حمٓ﴾ هِجَاءُ (حُمَّ) ـ بضم الحاء وتشديد الميم المفتوحةِ ـ؛ كأنه يقولُ: حُمَّ الأَمْرُ وَوَقَعَ تنزيلُ الكِتَابِ مِنَ اللَّهِ[٣]، وقال ابن عَبَّاسٍ: الٓر، وحمٓ، ونٓ، هي حروفُ الرحمٰن مقطَّعةٌ في سُورٍ[٤]، وسأَل أعرابيٌّ النبيَّ ﷺ عن حم ما هو؟ فقال: بَدْءُ أَسْمَاءٍ، وَفَوَاتِحُ سُوَرٍ، و﴿ذِي الطَّوْلِ﴾ معناه: ذي/ التَطَوُّلِ والمَنِّ بكلِّ نعمةٍ، فَلاَ خَيْرَ إلاَّ مِنْهُ سبحانَهُ، فَتَرَتَّبَ في هٰذِهِ الآيةِ وعيدٌ بَيْنَ وَعْدَيْنِ، وهكذا رحمتُهُ سبحانه تَغْلِبُ غَضَبَهُ، قال * ع[٥] *: سمعتُ هذه النَّزْعَةَ مِنْ أبي ـ رحمه اللَّه ـ وهُوَ نحوٌ مِنْ قَوْلِ عُمَرَ ـ رضي اللَّه عنه ـ: «لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ»[٦] * ت *: هو حديثٌ، والطَّوْلُ: الإِنْعَامُ، وعبارةُ البخاريِّ: الطَّوْلُ: التَّفَضُّلُ، وَحَكَى الثعلبيُّ عَنْ أَهْلِ الإِشَارَةِ أَنَّه

---

(١) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٤٣)، وعزاه إلى أبي الشيخ، وأبي نعيم، والديلمي.

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٥٤٥).

(٣) ذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٩٠)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٤٥).

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٣٧) برقم: (٣٠٢٦٥)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٩٠)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٤٥).

(٥) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٥٤٦).

(٦) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٤٦).

تعالى: غافرُ الذَّنْبِ فَضْلاً، وقابِلُ التَّوْبِ وَعْداً، شَدِيدُ العقابِ عَدْلاً، لا إِلَهَ إلاَّ هو إليه المصيرُ فَرْداً، وقال ابن عبَّاس: الطَّولُ: السَّعَةُ، والغِنى[1]، وتقلب الذين كفروا في البلاد: عبارَةٌ عَنْ تَمَتُّعِهِمْ بالمَسَاكِنِ والمَزَارِعِ والأَسْفَارِ وغَيْرِ ذَلِكَ، ﴿وهمَّت كل أمة برسولهم ليأخذوه﴾ أي: لِيُهْلِكُوهُ، كما قال تعالى: ﴿فأخذتهم﴾، والعربُ تقولُ لِلْقَتِيلِ: أُخِذَ، ولِلأَسيرِ كَذَلِكَ؛ قال قتادة: ﴿لِيَأْخُذُوهُ﴾ مَعْنَاهُ: لِيَقْتُلُوهُ[2]، و﴿ليدحضوا﴾ معناهُ ليُزْلِقُوا ويَذْهَبُوا، والمَدْحَضَةُ: المَزَلَّةُ، والمَزْلَقَةُ.

وقوله: ﴿فكيفَ كَانَ عقاب﴾: تَعْجِيبٌ وتعظيمٌ، وليس باسْتفهامٍ عن كيفيَّة وقوع الأَمْرِ.

﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾

وقوله سبحانه: «وكذلك حَقَّتْ كلمات ربك على الذين كفروا» الآية، في مصحفِ ابن مسعودٍ «وَكَذَلِكَ سَبَقَتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ»[3] والمعنى: وَكَمَا أَخَذَتْ أولئك المَذْكُورِينَ فَأَهْلَكَتْهُمْ، فكذلك حَقَّتْ كلماتي علَىٰ جميعِ الكُفَّارِ، مَنْ تَقَدَّمَ منْهُمْ ومَنْ تَأَخَّرَ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّار.

وقوله تعالى: ﴿الذين يحملون العرشَ ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به...﴾ الآية، أَخْبَرَ اللَّهُ سبحانَهُ بِخَبَرٍ يتضمَّنُ تَشْرِيفَ المؤمنِينَ، ويُعظِّمُ الرَّجاءَ لهم، وهو أنَّ الملائِكَةَ الحَامِلِينَ لِلْعَرْشِ والذينَ/ حَوْلَ العَرْشِ؛ وهؤلاءِ أفضلُ الملائِكَةِ يستغْفِرُونَ للمؤمنين، ويسألون اللَّهَ لَهُمُ الرَّحْمَةَ والجَنَّةَ؛ وهذا معنى قوله تعالى في غير هذه الآية، ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْداً مَسْئُولاً﴾ [الفرقان: ١٦] أي سأَلَتْهُ الملائكةُ، قال * ع[4] *: وفَسَّرَ

١٤أ

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٣٩) برقم: (٣٠٢٧١)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٩٠)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٤٦)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٧٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٤٥)، وعزاه لابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «الأسماء والصفات».

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٠) برقم: (٣٠٢٧٧)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٩١) عن ابن عباس، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٤٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٤٦)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد عن قتادة.

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٥٤٧)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤٣٢).

(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥٤٧).

في هذه الآية المُجْمَلَ الذي في قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ في الأَرْضِ﴾[الشورى: ٥]؛ لِأَنَّ الملائِكَةَ لا تستغفرُ لكافرٍ، وقد يجوز أن يُقَال: إنَّ استغفارَهم لهمُ بمعنى طَلَبِ هدايتِهم، وبلغني أنَّ رجُلاً قال لبعض الصالحين: ٱدْعُ لي، وٱستَغْفِرْ لي، فقالَ لَهُ: تُبْ، وٱتَّبِعْ سَبِيلَ اللَّهِ يَسْتَغْفِرْ لَكَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي، وتلا هذه الآيَةَ، وقال مُطَرِّفُ بْنُ الشِّخِّيرِ: وَجَدْنَا أَنْصَحَ الْعِبَادِ لِلْعِبَادِ المَلاَئِكَةَ، وأغَشَّ العِبَادِ لِلْعِبَادِ الشَّياطِينَ[1]، وتلا هذه الآية، وروى جابرٌ؛ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: أُذِنَ لي أَن أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ حَمَلَةِ العَرْشِ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ وَعاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِمائَةِ سَنَةٍ[2]، قال الداوُوديُّ: وعن هارونَ بْنِ رِيابٍ قال: حملةُ العَرْشِ ثمانيةٌ يَتَجاوبُونَ بصوْتٍ حَسَنٍ، فأرْبَعَةٌ يقولونَ: سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ عَلَىٰ حِلْمِكَ بَعْدَ عِلْمِكَ، وأَرْبَعَةٌ يَقُولُونَ: سُبْحَانَكَ وبِحَمْدِكَ عَلَىٰ عَفْوِكَ بَعْدَ قُدْرَتِكَ، انتهى. وَرَوَىٰ أبو داودَ عن جَابِرِ بن عبدِ اللَّه، عن النبيِّ ﷺ قال: «أُذِنَ لي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلاَئِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ العَرْشِ، أنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ [مَسِيرَةَ] سَبْعِمَائَةِ عَامٍ»[3]، انتهى، وقد تقدَّم.

وقولهم: ﴿ربَّنَا وسعت كل شيء رحمة وعلماً﴾ معناه: وسِعتْ رَحْمَتُكَ وَعِلْمُكَ كُلَّ شَيْءٍ.

وقوله: «ومَنْ صَلَحَ من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم»: رُوِيَ عن سعِيدِ/ بْنِ جُبَيْرٍ في ذلك: أنَّ الرَّجُلَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَبل قَرَابَتِهِ، فَيَقُولُ: أَيْنَ أَبِي؟ أَيْنَ أُمِّي، أَيْنَ ٱبْنِي، أَيْنَ زَوْجِي، فيلحقونَ بِهِ؛ لِصَلاَحِهِمْ ولتنبيهِ عليهم، وطَلَبِهِ إِيَّاهُمْ، وهٰذِهِ دَعْوَةُ المَلاَئِكَةِ[4]. ١٤ ب

وقولهم: ﴿وقهم السيئات﴾ معناه: اجْعَلْ لهم وِقَايَةً تقيهمُ السيئاتِ، واللَّفْظُ يحتملُ

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٣) برقم: (٣٠٢٨٤)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٩٣)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٤٨)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٧٢)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٤٩)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد عن قتادة عن مطرف بن عبد الله بن الشخير.

(٢) أخرجه أبو داود (٢/ ٦٤٥) كتاب «السنة» باب: في الجهمية والمعتزلة(٤٧٢٧)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٠/ ١٩٤ ـ ١٩٥) (٥٣٣٤).
وقال أبو نعيم في «الحلية» (٣/ ١٥٨): غريب من حديث محمد عن ابن عباس، لم نكتبه إلا من حديث جعفر عن ابن عجلان، وحديث جابر قد رواه عن محمد غيره.
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: رواه الطبراني في «الأوسط» ورجاله رجال «الصحيح».

(٣) ينظر: المصدر السابق.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٢) برقم: (٣٠٢٨٢)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٩٣)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٤٨)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٧٢).

أَنْ يكونَ الدعاءُ في أن يدفعَ اللَّهُ عنهم أَنْفُسَ السيئاتِ حتَّىٰ لاَ يَنَالَهُمْ عذابٌ مِن أَجْلِهَا، ويحتملُ أَنْ يكونَ الدعاءُ في دَفْعِ العَذَابِ اللاَّحِقِ من السيئاتِ، فيكونُ في اللَّفْظِ على هذا حذْفُ مضافٍ، كأنه قال: وقِهِمْ جَزَاءَ السيِّئاتِ، قال الفَخْرُ[1]: وقوله تعالى: ﴿ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته﴾ يعني: من تَقِ السيئاتِ في الدنيا، فَقَدْ رَحِمْتَهُ في يوم القيامةِ، انتهى، وهذا رَاجِعٌ إِلى التأويل الأول.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿إن الذين كفروا ينادون لمقت اللَّه أكبر من مقتكم أنفسكم...﴾ الآية، رُوِي أنَّ هذه الحالَ تَكُونُ للكُفَّارِ عِنْدَ دخولِهِمُ النَّارَ؛ فإنَّهم إذا دَخَلُوا[2] فيها مَقَتُوا أَنْفُسَهُمْ وتُنَادِيهِمْ مَلاَئِكَةُ العَذَابِ عَلَىٰ جهة التوبيخ: لَمَقْتُ اللَّهِ إِيَّاكُمْ في الدُّنْيَا؛ إِذْ كُنْتُمْ تُدْعَوْنَ إلى الإيمانِ فتكفرونَ، أَكْبَرُ مِنْ مقتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ اليَوْمَ، هذا هو معنى الآية؛ وبه فسَّر مجاهد وقتادة وابن زيد[3]، واللامُ في قوله: ﴿لَمقْتُ﴾ يحتملُ أنْ تكونَ لامَ ابتداءٍ، ويحتملُ أن تكونَ لامَ قَسَمٍ، وهو أصوبُ، و﴿أَكْبرُ﴾ خبر الابْتِدَاءِ، واخْتُلِفَ في مَعْنَى قَوْلِهِم: ﴿أمتنا اثنتين...﴾ الآية، فقال ابن عبَّاس وغَيره: أرادوا مَوْتَةً كَوْنَهُمْ في الأَصْلاَبِ، ثم إحياءَهم في الدنيا، ثم إماتَتَهم الموتَ المعروفَ، ثم إحياءَهم يوم القيَامَةِ، وهي كالتي في سورة البقرة ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً...﴾[4] [البقرة: ٢٨]

---

(١) ينظر: «تفسير الفخر الرازي» (٢٧/ ٣٤).

(٢) في د: ادخلوا.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٣) برقم: (٣٠٢٨٦) عن مجاهد، وبرقم: (٣٠٢٨٧) عن قتادة، وبرقم: (٣٠٢٨٩) عن ابن زيد، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٩٣)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٤٩)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٧٢)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٤٩)، وعزاه لعبد بن حميد عن الحسن، ولعبد بن حميد، وابن المنذر عن مجاهد.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٤) برقم: (٣٠٢٩٠) عن قتادة، وبرقم: (٣٠٢٩٢) عن ابن عباس، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٩٣)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٤٩)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٧٣) عن ابن مسعود، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٥٠)، وعزاه للفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، والحاكم وصححه عن ابن مسعود، ولابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس، ولعبد بن حميد عن أبي مالك، ولعبد بن حميد، وابن المنذر عن قتادة.

الآية، وقال السُّدِّيُّ: أرادوا أنه/ أحيَاهم في الدنيا، ثم أماتهم، ثم أحياهم في القبر وقتَ السُّؤال، ثم أماتَهم فيه، ثم أحياهم في الحَشْر[1]، قال * ع[2] *: هذا فيه الإحياءُ ثلاثَ مِرَارٍ، والأول أثْبَتُ، وهذه الآية متَّصلةُ المعنى بالتي قَبْلَهَا، وبَعْدَ قولهم: ﴿فهل إلى خروج من سبيل﴾ محذوفٌ يَدُلُّ عليه الظاهِرُ، تقديرهُ. لا إسْعَافَ لِطَلبَتِكُمْ، أو نَحْوَ هذا من الرَّدِّ. ١٥أ

﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿ذلكم﴾ يحتملُ أنْ يكونَ إشارةً إلى العذابِ الذي هُمْ فيه، أو إلى مَقْتِهِمْ أنْفُسَهُمْ أو إلى المَنْعِ والزَّجْرِ والإهانةِ.

وقوله تعالى: ﴿ذلكم بأنه إذا دعي اللَّه وحده﴾ معناه بحَالَةِ تَوْحِيدٍ ونَفْيٍ لِمَا سِوَاهُ، كَفَرْتُمْ، وإنْ يُشْرَكْ به اللاَّتَ والعُزَّىٰ وغَيْرَهُمَا، صَدَّقْتُمْ، فالحُكْمُ اليومَ بعذابِكم وتخليدِكم في النارِ للَّهِ؛ لا لتلكَ التي كنتم تُشركُونَها معه في الألوهيَّةَ.

وقوله سبحانه: ﴿فادعوا اللَّه مخلصين له الدين...﴾ الآيةُ مخاطَبَةٌ للمؤمنِينَ أصْحَابِ نبيِّنا محمَّدٍ ﷺ و«ادعوا» معناه: اعْبُدُوا.

﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿رفيع الدرجات﴾ يحتملُ أنْ يريدَ بالدرجاتِ صفاتِه العُلَىٰ، وعبَّر بما يَقْرُبُ من أفهامِ السامعينَ، ويحتملُ أنْ يريدَ: رفيعُ الدرجاتِ التي يُعْطِيها للمؤمنينَ، ويتفضَّلُ بها علَىٰ عبادِهِ المُخْلِصِينَ في جَنَّتِهِ، و﴿العرش﴾ هو الجِسْمُ المخلوقُ الأعْظَمُ الذي السمٰواتُ السَّبْعُ والكرسيُّ والأَرَضُونَ فيه كالدنانيرِ في الفَلاَةِ من الأَرْضِ.

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٥) برقم: (٣٠٢٩٦)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٩٣)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٤٩)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٧٣).

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٥٤٩).

وقوله تعالى: ﴿يلقي الرُّوحَ من أمره على من يشاء من عباده﴾ قال الضَّحَّاك: الرُّوحُ هنا هُو: الوَحْيُ القُرْآنُ وغيره مما لَمْ يُتْلَ[1] وقال قَتَادَةُ والسُّدِّيُّ: الرُّوحُ: النُّبُوَّة[2] ومكانتُها؛ كما قال تعالى: ﴿رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢] وسَمَّىٰ هذا رُوحَاً؛ لأنه تَحْيَا به/ الأمَم والأزمانُ كما يَحْيَا الجَسَدُ برُوحِهِ، ويحتملُ أَن يكونَ إلقاءُ الرُّوحِ عامًّا لِكُلِّ ما يُنْعِمُ اللَّهُ بِهِ على عبادِهِ المهتَدِينَ في تفهيمه الإيمانَ والمعقولاتِ الشريفةَ، والمُنْذِرُ بيوم التَّلاقِ على هذا التأويلِ هو اللَّهُ تعالى، قال الزَّجَّاج: الرُّوحُ كُلُّ ما فيهِ حَيَاةُ النَّاسِ، وكُلُّ مُهْتَدٍ حَيٌّ، وكلُّ ضَالٍّ كالمَيتِ. ١٥ ب

وقوله: ﴿من أمره﴾ إنْ جعلته جِنْساً للأمورِ فـ«مِنْ» للتَّبعيضِ أو لابتداءِ الغَايَةِ، وإنْ جَعَلْتَ الأمْرَ مِنْ معنى الكلامِ فـ«مِنْ» إما لابتداءِ الغايةِ، وإمَّا بمعنى الباءِ، ولا تكونُ للتبعيضِ بَتَّةً، **وقرأ** الجمهور: «لتنذر» بالتاء على مخاطبةِ النبيِّ ﷺ، **وقرأ** أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ وجماعةٌ: «لينذر»[3] بالياء، ﴿ويوم التلاق﴾ معناه: تلاقِي جميعِ العالمِ بعضِهم بعضاً، وذلك أمرٌ لَمْ يَتَّفِقْ قَطُّ قَبْلَ ذَلِكَ اليَوْمِ.

وقوله: ﴿يوم هم بارزون﴾ معناه في بَرَازٍ من الأَرْضِ يَسْمَعُهُمُ الدَّاعِي ويَنْفُذُهُمُ البَصَرُ.

وقوله تعالى: ﴿لمن الملك اليوم﴾ رُوِيَ أَنَّ اللَّه تعالَىٰ يُقَرِّرُ هٰذَا التقريرَ، ويَسْكُتُ العَالَمُ هَيْبَةً وجَزعاً، فيجيبُ ـ سبحانه ـ هو نفسُهُ بقوله: ﴿للَّه الواحد القهار﴾، ثم يُعْلِمُ اللَّهُ تعالَىٰ أَهْلَ المَوْقِفِ بأَنَّ اليَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نفسٍ بما كسبتْ، وَبَاقِي الآيةِ تَكَرَّر مَعْنَاهُ، فانْظُرْهُ في مواضِعه.

ثم أمر اللَّه تعالى نبيَّه ـ عليه السلام ـ بإنْذارِ العَالَمِ وتحذيرِهِمْ مِنْ يوم القيامةِ وأهوالِه، و«الآزِفَة»: القريبةُ مِنْ أَزِفَ الشيءُ إذا قَرُبَ، و﴿الآزِفة﴾ في الآيةَ: صِفَةٌ لمحذوفٍ قَدْ عُلِمَ واسْتَقَرَّ في النفوس هولُه، والتقديرُ يَوم الساعة الآزفة، أو الطَّامَةُ: الآزفةُ، ونحو هذا.

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٦) برقم: (٣٠٣٠١) عن الضحاك، وبرقم: (٣٠٣٠٠) عن قتادة، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٥٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٥٠)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر عن قتادة.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٧) برقم: (٣٠٣٠٣) عن السدي، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٥٠).

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٥٥١)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤٣٧)، و«الدر المصون» (٦/ ٣٣).

وقوله ـ سبحانه ـ: ﴿إذ القلوب لدى الحناجر﴾ معناه: عندَ الحناجِر، أي/ قد ١٦أ صَعِدَتْ من شِدَّةِ الهولِ والجزع، والكَاظِمُ الَّذِي يردُّ غيظَهُ وجزعَهُ في صَدْرِهِ، فمعنى الآية: أنهم يَطْمَعُونَ في رَدِّ ما يجدونه في الحناجر، والحال تغالبهم، و﴿يطاع﴾ في مَوْضِعِ الصفةِ لـ﴿شفيع﴾؛ لأن التقدير: ولا شفيعٍ مطاعٍ، قال أبو حيان[1] ﴿يطاع﴾ في مَوْضِعِ صفة لـ﴿شَفيع﴾، فيحتملُ أنْ يكونَ في موضعِ خَفْضٍ على اللفظِ، أو في موضِع رفع على الموضِعِ، ثم يحتملُ النَّفيُ أنْ يكونَ مُنْسَحِباً على الوصْفِ فقَطْ، فيكونُ ثَمَّ شَفِيعٌ، ولَكنَّه لا يُطَاعُ، ويحتملُ أن يَنْسَحِبَ على الموصوفِ وصفتِهِ، أي: لا شفيعَ فيطاعَ، انتهى. وهذا الاحتمالُ الأخير هو الصوابُ، قال * ع[2] *: وهذهِ الآيةُ كُلُّها عندي اعتراضٌ في الكلام بليغٌ.

﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾﴾

وقوله: ﴿يعلم خائنة الأعين﴾ مُتَّصِلٌ بقوله: ﴿سريع الحساب﴾ [غافر: ١٧] وقالتْ فرقة: ﴿يعلم﴾ متصلٌ بقوله: ﴿لا يخفى على اللَّه منهم شيء﴾ [غافر: ١٦] وهذا قولٌ حسنٌ يقوِّيهِ تَنَاسُبُ المَعْنَيينِ، ويُضَعِّفُه بُعْدُ الآيةِ من الآيةِ وكَثْرَةُ الحائِل، والخائنةُ: مصدرٌ كالخِيَانَةِ، ويحتمل أن تكونَ ﴿خائنة﴾ اسمَ فاعِل، أي: يعلم الأعين إذا خانتْ في نظَرِها، قال أبو حَيَّان[3]: والظاهرُ أن: ﴿خائنةَ الأعينِ﴾ من إضافةِ الصفةِ إلى الموصوفِ، أي: الأَعْيُن الخائنة، كقوله: [البسيط]

..... وَإِنْ سَقَيْتِ كِرَامَ النَّاسِ فَاسْقِينَا[4]

أي: الناسَ الكرامَ، وجوَّزُوا أن يكونَ ﴿خائنة﴾ مصدراً، كـ«العافية» أي: يعلم خِيانَةَ الأعينِ، انتهى، وهذه الآيةُ عِبَارَةٌ عَن عِلم اللَّهِ ـ تعالى ـ بجميعِ الخفيَّاتِ، فمِنْ ذَلِكَ كَسْرُ

---

(١) ينظر: «البحر المحيط» (٧/ ٤٣٨).
(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٥٥٢).
(٣) ينظر: «البحر المحيط» (٧/ ٤٣٩).
(٤) عجز بيت لبشامة بن حزن النهشلي وصدره:
إنا محيوك يا سلمى فحينا .....
ينظر: «خزانة الأدب» (٨/ ٣٠٢)، و«شرح ديوان الحماسة» للمرزوقي ص: (١٠٠)، و«المقاصد النحوية» (٣/ ٣٧٠)، و«البحر» (٧/ ٤٥٧)، و«الدر المصون» (٦/ ١٣٦)، والشاهد في قوله: «كرام الناس» حيث أضاف الصفة إلى الموصوف.

الجُفُونِ والغَمْزُ بالعَيْنِ، أو النظرةُ التي تُفْهِمُ معنًى؛ ومنه قولُ النبي ﷺ [لأصحابه في شَأْنِ رَجُلٍ ٱرْتَدَّ ثمَّ جاء لِيُسْلِمَ: «هَلاَّ قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْكُمْ حِينَ تَلَكَّأْتُ عَنْهُ، فَضَرَبَ عُنُقَهُ؟ فقالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلاَ أَومَأْتَ إِلَيْنَا؟ فقال ﷺ][1]: مَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ أَنْ تَكُونَ لَهُ خَائِنَةُ الأَعْيُنِ»[2]، وفي بعضِ الكتبِ المنزَّلةِ مِنْ قَولِ اللَّه عزَّ وجلَّ/: أَنَا مِرْصَادُ الْهِمَمِ أَنَا العَالِمُ بِمَجَالِ الْفِكْرِ وَكَسْرِ الجُفُونِ، وقال مجاهدٌ: «خائنة الأعين»: مُسَارَقَةُ النظرِ إلى مَا لاَ يَجُوزُ[3]، ثم قَوَّى تعالى هذا الإخبارَ بقولِهِ: ﴿وما تخفي الصدور﴾ مما لَمْ يَظْهَر على عينٍ ولا غَيْرِهَا، وأسند أبو بكر بن الخَطِيبِ عن مولى أمِّ مَعْبَدٍ الخُزَاعِيَّةِ عن النبي ﷺ أنه كان يدعو: «اللهمَّ طَهِّرْ قَلْبِي مِنَ النِّفَاقِ، وَعَمَلِي مِنَ الرِّيَاءِ، وَلِسَانِي مِنَ الكَذِبِ، وعَيْنِي مِنَ الخِيَانَةِ؛ فإنَّكَ تَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُدُورُ»[4]، انتهى. قال القُشَيْرِيُّ في: «التحبير» وَمَنْ عَلِمَ اطِّلاَعَ الحقِّ - تعالى عليه - يكونُ مُرَاقِباً لربِّهِ؛ وعلامتُه أنْ يكونَ مُحَاسِباً لِنَفْسِهِ، ومَنْ لم تَصِحَّ محاسبتُهُ، لم تصحَّ مراقبتُهُ، وسُئِلَ بعضُهُمْ عَمَّا يَسْتَعِينُ به العبدُ على حفظِ البصر، فقال: يَسْتَعِينُ عليه بعلمِه أنَّ نظرَ اللَّه إليه سَابِقٌ على نظرِهِ إلى مَا ينظرُ إليه، انتهى.

١٦ ب

وقوله سبحانه: ﴿واللَّه يقضي بالحق﴾ أي: يجازي الحسنةَ بعَشْرٍ والسيئةَ بمثلِها، ويُنْصِفُ المظلومَ من الظالمِ؛ إلى غير ذلك من أقضية الحقِّ والعدلِ، والأصْنامُ لا تقضي بشَيْءٍ، ولا تُنَفِّذُ أمراً، و﴿يدعون﴾ معناه: يَعْبُدُونَ.

﴿۞ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾﴾

---

(١) سقط في: د.

(٢) أخرجه النسائي (٧/ ١٠٥) كتاب «تحريم الدم» باب: الحكم في المرتد برقم: (٤٠٦٧)، والحاكم (٢/ ٥٤)، والدارقطني (٣/ ٥٩)، والبيهقي (٨/ ٢٠٢) من حديث سعد بن أبي وقاص.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٠) برقم: (٣٠٣١٧)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٩٥)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٥٣)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٥٣)، وعزاه السيوطي لعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٤) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٥/ ٢٦٨)، وذكره الهندي في «كنز العمال» (٢/ ١٨٤) (٣٦٦٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٤٩)، وعزاه إلى الحكيم الترمذي.

وقوله سبحانه: ﴿أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثاراً في الأرض فأخذهم اللَّه بذنوبهم وما كان لهم من اللَّه من واق﴾ الضميرُ في: ﴿يسيروا﴾ لكفارِ قُرَيْش، والآثارُ في الأرضِ هي المبانِي والمآثِرُ والصِّيتُ الدُّنْيَوِيُّ، وذُنُوبُهُمْ كانَتْ تكذيبَ الأنبياءِ، والواقي الساترُ المانعُ؛ مأخوذٌ مِن الوِقَايةِ، وباقي الآيةِ بيِّن، وخصَّ تعالى هَامَانَ وقَارُونَ بالذِّكْرِ تَنْبِيهاً على مكانِهِما من الكُفْرِ؛ ولكَوْنِهِمَا أشْهَر رِجَالِ فرعونَ،/ وقيل: إن قارونَ هذا لَيْسَ بقارون بني إسرائيل، وقيلَ: هو ١١٧أ ذلكَ، ولكنَّه كانَ منقطعاً إلى فرعونَ خادماً له مُسْتَغْنِياً معه.

وقوله: ﴿ساحر﴾ أي: في أمْرِ العَصَا، و﴿كذاب﴾ في قوله: إني رسولُ اللَّهِ، ثم أخبرَ تعالى عنهم أنهم لما جَاءَهُمْ موسى بالنبوّة والحقِّ من عند اللَّهِ؛ قال هؤلاءِ الثَّلاثَةُ وأَجْمَعَ رَأْيُهم علَىٰ أَنْ يُقَتِّلَ أَبْنَاءَ بني إسرائيلَ أَتْبَاعِ مُوسَىٰ، وشُبَّانُهُمْ وَأَهْلُ القُوَّةِ مِنْهُمْ، وأن يُسْتَحْيَا النساءُ لِلْخِدْمَةِ وَالاسْتِرْقَاقِ، وهذا رجوعٌ منهم إلى نحو القتل الأولِ الذي كان قَبْلَ ميلادِ موسَىٰ، ولكنَّ هذا الأخيرَ لم تَتِمَّ لهم فيه عزمةٌ، ولاَ أعانَهُمُ اللَّه تَعَالَىٰ على شَيْءٍ منه، قال قتادة: هذا قَتْلٌ غيرُ الأولِ الذي [كانَ] حَذَرَ المولودِ[1]، وسَمَّوْا مَنْ ذَكَرْنَا مِنْ بني إسرائيلَ أَبْنَاءَ؛ كما تقولُ لأَنْجَادِ القبيلةِ أو المدينةِ وأَهْلِ الظُّهُورِ فِيها: هؤلاءِ أبناءُ فُلانَةٍ.

وقوله تعالى: ﴿وما كَيْدُ الكَافِرِينَ إلا في ضَلالٍ﴾ عبارةٌ وَجِيزَةٌ تُعْطي قوَّتُها أنَّ هؤلاءِ الثلاثةَ لَمْ يُقْدِرْهُمُ اللَّهُ تعالى على قتلِ أحدٍ مِنْ بني إسرائيل، ولاَ نَجَحَتْ لهم فيهم سِعَايَةٌ.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٢) برقم: (٣٠٣٢١)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٩٥)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٥٤)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٧٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٥٤)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد.

سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ ﴾

وقوله تعالى: ﴿وقال فرعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ موسى...﴾ الآيةَ، الظاهرُ مِنْ أمرِ فِرْعَوْنَ أنه لمَّا بَهَرَتْهُمْ آيات مُوسَىٰ ـ عليه السلام ـ انْهَدَّ رُكْنُهُ، واضْطَرَبَتْ معتقداتُ أَصْحَابِهِ، ولم يَفْقِدْ مِنْهُمْ من يجاذبُهُ الْخِلاَفُ في أمْرِه، وذلك بَيِّنٌ مِنْ غَيرِ مَا مَوْضِعٍ مِنْ قِصَّتهما، وفي هذه الآية علَىٰ ذلك دَلِيلاَنِ:

أحدُهما: قوله: ﴿ذروني﴾؛ فليستْ هذه مِنْ ألفاظِ الجَبَابِرَةِ المتمكِّنِينَ مِنْ إنفاذ أوامِرِهِمْ.

والدليل الثاني: مَقَالَةُ المُؤْمِنِ وَمَا صَدَعَ به، وإنَّ مكاشَفَتَهُ لِفِرْعَوْنَ أكْثَرُ مِنْ مُسَاتَرَتِهِ، وحُكْمُه بِنُبُوَّةِ موسَىٰ أظْهَرُ/ من تَوْرِيَتِهِ في أَمْرِهِ، وأمَّا فِرْعَوْنُ فإنما نَحا إلى المَخْرَقَةِ والتَمْوِيهِ والاضْطرابِ، ومن ذلك قوله: ﴿ذروني أقتل موسى وليدع ربه﴾ أي: إني لا أبالي بربِّ مُوسَىٰ، ثم رجَعَ إلى قومِه يُرِيهم النَّصِيحَةَ والحماية لهم، فقالَ: ﴿إني أَخَافُ أن يبدِّل دينكم﴾ والدين: السلطانُ؛ ومنه قولُ زُهَيْرٍ: [البسيط] ١٧ ب

لَئِنْ حَلَلْتَ بِحَيٍّ في بَنِي أَسَدٍ ... في دِينِ عَمْرٍو وَحَالَتْ بَيْنَنَا فَدَكُ[1]

وقرأ حمزةُ والكسائي وعاصم: «أَوْ أَنْ يُظْهِرَ» **وقرأ** الباقون: «وَأَنْ يُظْهِرَ»[2]؛ فعلَى القراءةِ الأولى: خافَ فِرْعَوْنُ أَحَدَ أمْرَيْنِ، وعلى الثانيَةِ: خَافَ الأَمْرَيْنِ معاً، ولَمَّا سَمِعَ موسَىٰ مقالةَ فِرْعَوْنَ دَعَا، وقال: ﴿إني عذت بربي وربكم...﴾ الآيةَ، ثم حكَى اللَّهُ سبحانه مقالةَ رَجُلٍ مُؤْمِنٍ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ؛ شرَّفَه بالذكْرِ وخلَّدَ ثَنَاءَه في الأُمَمِ غَابِرَ الدَّهْرِ، قال * ع[3] *: سمعتُ أبي ـ رحمه اللَّه ـ يقول: سمعتُ أَبا الفَضْلِ ابْنَ الجَوْهَرِيِّ على المنبر يقول؛ وَقَدْ سُئِلَ أن يتكلَّمَ في شيءٍ من فضَائِلِ الصحابةِ، فأَطْرَقَ قليلاً، ثُمَّ رَفَع رأْسَهُ، وأنشد: [الطويل]

---

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٥٥٥).

(٢) ينظر: «السبعة» (٥٦٩)، و«الحجة» (٦/ ١٠٧)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٢٦٥)، و«معاني القراءات» (٢/ ٣٤٤)، و«شرح الطيبة» (٥/ ٢٠٥)، و«العنوان» (١٦٧)، و«حجة القراءات» (٦٢٩)، و«شرح شعلة» (٥٧٠)، و«إتحاف» (٢/ ٤٣٦).

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٥٥٥).

عَنِ الـمَـرْءِ لاَ تَسْأَلْ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارَنِ مُقْتَدِ[١]

مَاذَا تُرِيدُ من قومٍ قَرَنَهُمُ اللَّهُ بنبيِّه، وخصَّهم بمشاهدةِ وَحْيِهِ، وقَدْ أَثْنَى اللَّهُ تعالَىٰ على رَجُلٍ مُؤْمِنٍ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ، كَتَمَ إِيمانَهُ وأَسَرَّهُ، فجعلَه تعالَىٰ في كتابِهِ، وأَثْبَتَ ذِكْرَهُ في المصاحِفِ، لكلامٍ قَالَه في مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ الْكُفْرِ، وأَيْنَ هُوَ مِنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ـ رضي اللَّه عنه ـ؛ إِذْ جَرَّدَ سَيْفَهُ بمكَّةَ، وقال: واللَّهِ، لاَ أَعْبُدُ اللَّهَ سِرًّا بَعْدَ اليَوْمِ، قال مقاتل: كان هذا المؤمنُ ابْنَ عَمِّ فِرْعَوْنَ[٢]، قال الفَخْرُ[٣]: قيل: إنَّه كانَ ابْنَ عَمٍّ لِفِرْعَوْنَ، وكانَ جَارِياً مَجْرَىٰ وَلِيِّ العهدِ له، ومَجْرَىٰ صاحبِ السِّرِّ لَه، وقيلَ: كانَ قِبْطِيًّا مِنْ قومِ /فرعونَ، وقيل: إنه كانَ من بني إسرائيل، والقولُ الأولُ أَقْرَبُ؛ لأن لَفْظَ الآلِ يقعُ على القَرَابَةِ والعشيرةِ، انتهى. ١٨أ

قال الثعلبيُّ: قال ابنُ عباس وأَكْثَرُ العُلَمَاءِ: كانَ اسمُهُ «حَزْقِيلَ»[٤]، وقيل: حَزِيقَال، وقيل: غير هذا، انتهى.

وقوله: ﴿يصبكم بعض الذي يعدكم﴾ قال أبو عُبَيْدَةَ وغَيْره: ﴿بعض﴾ هنا بمعنى: «كل»[٥]، وقال الزَّجَّاج: هو إِلْزَامُ الحُجَّةِ بِأَيْسَرِ ما في الأمرِ[٦]، وليسَ فيه نَفْيُ إِصَابَةِ الكُلِّ، قال * ع[٧] *: ويظهرُ لي أنَّ المعنَىٰ: يُصِبْكُمُ القَسْمُ الواحدُ مما يَعِدُ بِهِ، [لأنَّه ـ عليه السلام ـ وَعَدَهُمْ إِنْ آمَنُوا بالنَّعِيمِ، وإِنْ كَفَرُوا بالعذابِ الأَلِيمِ، فإن كانَ صادِقاً، فالعذابُ بَعْضُ مَا وَعَدَ بِهِ][٨]، وقولُ المؤمِنِ: ﴿يا قومِ لكم الملكُ اليوم ظاهرين في الأرض﴾ اسْتِنْزَالٌ لهم وَوَعْظٌ.

وقوله: ﴿في الأرضِ﴾ يريدُ أَرْضَ مِصْرَ، وهذه الأقوالُ تَقْتَضِي زَوالَ هَيْبَةِ فرعونَ؛

---

(١) البيت ذكره الخطابي في «العزلة» ص: (٦٩).
ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/٥٥٦).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٤) برقم: (٣٠٣٢٣) عن السدي، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٩٦)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/٥٥٦)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٧٧).

(٣) ينظر: «الفخر الرازي» (٢٧/ ٥٠).

(٤) ذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٩٦) عن ابن عباس، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٥٥)، وعزاه لابن المنذر.

(٥) ذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٩٦)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/٥٥٦).

(٦) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/٥٥٦).

(٧) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/٥٥٦).

(٨) سقط في: د.

ولذلكَ اسْتَكَانَ هُوَ، وَرَاجَعَ بقوله: ﴿ما أريكم إلا ما أَرَىٰ﴾ واخْتَلَفَ الناسُ مِنَ المُرَادِ بقوله تعالى: ﴿وقال الذي ءامن﴾، فقالَ الجمهورُ: هو المُؤْمِنُ المَذْكُورُ؛ قَصَّ اللَّهُ تَعَالَىٰ أقاويله إلى آخر الآيات، وقالتِ فرقةٌ: بلْ كَلاَمُ ذلك المُؤْمِنِ قد تَمَّ؛ وإنما أراد تعالى: ﴿بِالَّذِي آمَنَ﴾ موسَى ـ عليه السلام ـ مُحْتَجِّينَ بقوَّةِ كَلاَمِهِ، وذكْرِ عذابِ الآخرةِ وغير ذلك؛ ولم يَكُنْ كَلاَمُ الأوَّلِ إلا بملاينةٍ لهم.

وقوله: ﴿مثل يوم الأحْزَاب﴾ أي: مثلَ يَوْمِ منْ أَيَّامِهِمْ؛ لأنَّ عذابَهُمْ لم يكُنْ في عَصْرٍ واحِدٍ، والمرادُ بالأحزابِ المُتَحَزِّبُونَ على الأنبياءِ، و﴿مثل﴾ الثاني: بدلٌ مِن الأوَّل، والدَّأْبُ: العادةُ، «ويوم التنادي» معناه: يَوْمَ يُنَادِي قَومٌ قَوْماً، ويناديهمُ الآخرُونَ؛ واخْتُلِفَ في التنادِي المُشَارِ إِلَيْهِ، فقال قتادةُ: هو نِدَاءُ أَهْلِ الجَنَّةِ أَهْلَ النارِ، ﴿فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حقًّا[1]﴾ [الأعراف: ٤٤] وقيل: هو النداءُ الذي يَتَضَمَّنُهُ قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإِمَامِهِم﴾ [الإسراء: ٧١] قال * ع[2] *: ويحتملُ/ أَنْ يكُونَ المُرَادُ التَّذْكِيرَ بِكُلِّ نِدَاءٍ في الْقِيَامَةِ فيه مَشَقَّةٌ على الكُفَّار والعُصَاةِ؛ وذلك كثِيرٌ. **وقرأ** ابن عبَّاس والضَّحَّاك وأبو صَالِحٍ: «يوم التنَادِّ» بشدِّ الدال[3]؛ وهذا معنًى آخرُ لَيْسَ من النداءِ، بل هُو مِنْ: نَدَّ البعيرُ: إذا هَرَبَ؛ وبهذا المعنى فسَّر ابنُ عبَّاسٍ والسُّدِّيُّ هذه[4] الآيةَ، وَرَوَتْ هذه الفِرْقَةُ، في هذا المعنَىٰ حَدِيثاً أَنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ إذا طَوَى السَّمَوَاتِ نَزَلَتْ مَلاَئِكَةُ كُلِّ سَمَاءٍ، فكانَتْ صَفًّا بَعْدَ صَفٍّ مستديرةً بالأرْضِ التي عليها الناسُ لِلْحِسَابِ؛ فَإِذَا رَأَى الخَلْقُ هولَ القيامةِ، وأَخْرَجَتْ جَهَنَّمُ عنقاً إلى أصحابها، فَرَّ الكُفَّارُ ونَدُّوا مدْبِرينَ إلى كل جهةٍ، فتردُّهم الملائِكَةُ إِلَى المَحْشَرِ؛ لا عَاصِمَ لَهُمْ، والعاصمُ: المُنْجِي.

١٨ ب

﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/٥٦) برقم: (٣٠٣٣١)، (٣٠٣٣٢) عن قتادة، (٣٠٣٣٣) عن ابن زيد، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/٥٥٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/٦٥٦)، وعزاه لعبد بن حميد.

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/٥٥٨).

(٣) وقرأ بها الكلبي.
ينظر: «المحتسب» (٢/٢٤٣)، و«الشواذ» ص: (١٣٣)، و«المحرر الوجيز» (٤/٥٥٨)، و«البحر المحيط» (٧/٤٤٤)، وزاد نسبتها إلى ابن مقسم، والزعفراني. وهي في «الدر المصون» (٦/٣٩).

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/٥٧) برقم: (٣٠٣٣٥) عن الضحاك، (٣٠٣٣٦) عن السدي، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/٩٧)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/٥٥٨)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/٧٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/٦٥٦)، وعزاه لابن المبارك، وعبد بن حميد، وابن المنذر عن الضحاك.

قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ﴾

وقوله: ﴿ولقد جاءكم يوسفُ...﴾ الآية، قالت فرقةٌ منهمُ الطبريُّ[١]: يوسفُ المذكورُ هنا هو يوسفُ بنُ يَعْقُوبَ ـ عليهما السلام ـ وَرُوِيَ عن وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ؛ أن فرعونَ مُوسَىٰ هُو فِرْعَوْنُ يُوسُفَ عُمِّر إِلَىٰ زَمَنِ مُوسَىٰ[٢]، وَرَوَىٰ أَشْهَبُ عَنْ مالِكٍ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ فِرْعَوْنَ عَمَّرَ أَرْبَعْمِائَةِ سَنَةٍ وأَرْبَعِينَ سَنَةً، وقالَتْ فرقةٌ: بل هُو فِرْعَونٌ آخر.

وقوله: ﴿كبر مقتاً﴾ أي: كَبُرَ مَقْتاً جِدَالُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ، فَٱخْتَصَرَ ذِكْرَ الْجِدَالِ؛ لدلالة تقدُّمِ ذِكْرِهِ عليه، **وقرأ** أبو عَمْرٍو وَحْدَهُ: «عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ» بالتنوينِ، **وقرأ** الباقونَ بغيرِ تنوينٍ[٣]، وفي مصحف ابن مسعود[٤]: «عَلَىٰ قَلْبِ [كُلِّ][٥] مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ»، ثم إن فرعونَ لما أَعْيَتْهُ الْحِيَلُ في مُقَاوَمَةِ مُوسَىٰ، نحا إلى المَخْرَقَةِ، ونادَىٰ هَامَانَ وزيرَهُ أَنْ يَبْنِيَ لَهُ صرْحاً؛ فَيُرْوَىٰ أنه طَبَخَ الآجُرَّ لهذا الصَّرْحِ، ولم يُطْبَخْ قبْلَهُ، وبناه ارتفاعَ أربعمائةِ ذراعٍ، فبعثَ اللَّهُ جِبْرِيلَ فَمَسَحَهُ/ بجَنَاحِه، فكسَرَهُ ثَلاثَ كِسَرٍ، تَفَرَّقَتِ اثنتانِ، ووقَعَتْ ثالثةٌ في البَحْرِ، ﴿والأسبابُ﴾ الطُّرُقُ؛ قاله السُّدِّيُّ[٦]، ١٩ أ

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» (١١/ ٥٨).

(٢) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٥٩).

(٣) وقرأ بها: ابن ذكوان عن ابن عامر.
ينظر: «إعراب القراءات» (٢/ ٢٦٨)، و«حجة القراءات» (٦٣٠)، و«السبعة» (٥٧٠)، و«الحجة» (٦/ ١٠٩)، و«معاني القراءات» (٢/ ٣٤٦)، و«شرح الطيبة» (٥/ ٢٠٦)، و«العنوان» (١٦٧)، و«شرح شعلة» (٥٧١)، و«إتحاف» (٢/ ٤٣٧).

(٤) ينظر: «مختصر الشواذ» ص: (١٣٣)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٥٥٩).

(٥) سقط في: د.

(٦) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٠) برقم: (٣٠٣٤٢) عن أبي صالح، و (٣٠٣٤٣) عن السدي، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٦٠)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٨٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٥٧)، وعزاه لعبد بن حميد عن أبي صالح.

١١٦ ـــــــ

ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ بَلَىٰ قَالُواْ فَٱدْعُواْ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ ﴾

وقوله تعالى: ﴿ويا قوم ما لي أدعوكم إلى النجاة...﴾ الآية، قد تقدَّمَ ذِكْرُ الخِلافِ، هل هذهِ المقالاتُ لموسَىٰ أو لمؤمنِ آل فرعون، والدعاءُ إلى النجاةِ هو الدعاءُ إلى سببِها؛ وهو توحيدُ اللَّهِ تعالى وطاعتُه، وباقي الآية بيِّنٌ.

وقوله: ﴿أن ما تدعونني﴾ المعنى: وإنَّ الذي تدعونَني إليه من عبادةِ غيرِ اللَّهِ لَيْسَ له دعوة، أي: قَدْرٌ وَحَقٌ يجب أنْ يُدْعَىٰ أحدٌ إليه ثم توعَّدَهم بأنَّهم سَيَذْكُرُونَ قولَه عند حُلُولِ/ العذابِ بهم، والضميرُ في ﴿وقاه﴾ يحتملُ أنْ يعودَ على موسَىٰ، أو على مؤمنِ آل فرعون؛ علَى ما تقدَّم من الخلاف. ١٩ ب

وقال القائلون بأنه مؤمن آل فرعون: إن ذلك المؤمنَ نجا مع مُوسَىٰ ـ عليه السلام ـ في البَحْرِ، وَفَرَّ في جملةِ مَنْ فَرَّ معَه مِنَ المتَّبِعينَ.

وقوله تعالى في آل فرعون: ﴿النار يعرضون عليها غدوًّا وعشيًّا...﴾ الآية، قوله: ﴿النار﴾ رَفْعٌ على البَدَلِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿سُوءُ﴾ وقيلَ رفعٌ بالابتداءِ، وخَبَرُهُ ﴿يعرضون﴾ قالت فرقةٌ: هذا الغُدُوُّ والعَشِيُّ هو في الدنيا، أي: في كل غُدُوٍّ وَعَشِيٍّ من أيام الدنيا يُعْرَضُ آلُ فِرْعَوْنَ على النَّارِ، قال القرطبيُّ في «التذكرة»[1]: وهذا هو عذابُ القَبْرِ في البَرْزَخِ، انتهى؛ وكذا قال الإمام الفخر[2]، ورُوِيَ في ذلك أنَّ أرواحَهُمْ في أجوافِ طَيْرٍ سُودٍ تَرُوحُ بِهِمْ وَتَغْدُو إلى النارِ؛ وقالَهُ الأوزاعِيُّ[3] ـ عافانا اللَّه من عذابه ـ، وخرَّج البخاريُّ ومسلمٌ عن

---

(١) ينظر: «التذكرة» (١/ ١٩١).

(٢) ينظر: «تفسير الرازي» (٢٧/ ٦٤).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٦) برقم: (٣٠٣٧٠) عن الأوزاعي، وبرقم: (٣٠٣٦٨) عن الهذيل بن شرحبيل (٣٠٣٦٩) عن السدي، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٩٩)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٦٢)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٨٢)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٥٩)، وعزاه لابن أبي شيبة، وهناد، وعبد بن حميد عن هذيل بن شرحبيل، ولعبد بن حميد عن الضحاك، ولعبد الرزاق، وابن أبي حاتم عن ابن مسعود.

ابْنِ عمر؛ أنَّ النبي ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بالغَدَاةِ والعَشِيِّ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَمِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، يقالُ لَهُ: هذا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[١]، انتهى.

وقوله [تعالى] ﴿ويوم [تقوم الساعة][٢]﴾ أي: وَيَوْمَ القِيَامَةِ يُقَالُ: ﴿أَدْخِلُوا آل فرعونَ أَشَدَّ العَذَابِ﴾ وآل فرعون: أَتْبَاعُهُ وأَهْلُ دينهِ، والضميرُ في قولهِ: ﴿يتحاجُّون﴾ لجميعِ كفارِ الأُمَم، وهذا ابتداءُ قصص لا يَخْتَصُّ بآل فرعونَ، والعامِلُ في: «إِذْ» فَعْلٌ مضمرٌ، تقديره: اذْكُرْ، ثم قال جميعُ مَنْ في النارِ لخَزَنَتِهَا: ﴿ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب﴾؛ فراجَعَتْهُمُ الخَزَنَةُ علَىٰ مَعْنَى التَّوبِيخِ والتقريرِ: ﴿أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات﴾، فأقَرَّ الكُفَّارُ عند ذلك، و﴿قالوا/ بلى﴾، أي: قَدْ كَانَ ذلك، فقالَ لهم الخَزَنَةُ عِنْدَ ذلك: ادعوا أنتم إذن، وهذا على معنى الهُزْءِ بهِم. ١٢٠أ

وقوله تعالى: ﴿وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾ قيل: هو من قول الخَزَنَةِ، وقيل: هو من قول اللَّه تعالى إخباراً منه لمحمَّدٍ ـ عليه السلام ـ، ثم أخبَر تعالى أنه ينصر رسلَه والمؤمنينَ في الدنيا والآخرةِ، ونصرُ المؤمِنينَ داخلٌ في نَصْرِ الرُّسُلِ، وأَيْضاً، فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ للمؤمنينَ الفضلاءِ وُدًّا، وَوَهَبَهُمْ نَصْراً إذا ظُلِمُوا، وَحَضَّتِ الشريعَةُ على نَصْرِهِمْ؛ ومنه قوله ﷺ: «مَنْ رَدَّ عَنْ أَخِيهِ في عِرْضِهِ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَرُدَّ عَنْهُ نَارَ جَهَنَّمَ»[٣]،

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ٢٨٦) كتاب «الجنائز» باب: الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي (١٣٧٩)، (٦/ ٣٦٦) كتاب «بدء الخلق» باب: ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة (٣٢٤٠)، (١١/ ٣٦٩) كتاب الرقاق، باب: سكرات الموت (٦٥١٥)، ومسلم (٤/ ٢١٩٩) كتاب «الجنة وصفة نعيمها وأهلها» باب: عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه (٦٥ ـ ٦٦/ ٢٨٦٦)، وابن حبان (٧/ ٤٠٠ ـ ٤٠١)، كتاب «الجنائز» باب: ذكر الإخبار بأن أهل القبور تعرض عليهم مقاعدهم التي يسكنونها في كل يوم مرتين (٣١٣٠)، ومالك (١/ ٢٣٩) كتاب «الجنائز» باب: جامع الجنائز (٤٧)، وأحمد (٢/ ١١٣، ١١٦)، والترمذي (٣/ ٣٧٥) كتاب «الجنائز» باب: ما جاء في عذاب القبر (١٠٧٢)، والترمذي (٤/ ١٠٧) كتاب «الجنائز» باب: وضع الجريدة على القبر (٢٠٧٢)، وابن ماجه (٢/ ١٤٢٧) كتاب «الزهد» باب: ذكر القبر والبلى (٤١٧٠)، والطيالسي (١/ ١٥٣) كتاب «الجنائز» باب: ما جاء في حسن الظن بالله والكشف لكل إنسان عن مصيره (٧٣٦).
قال أبو عيسى: وهذا حديث حسن صحيح.

(٢) في د: ويوم القيامة.

(٣) أخرجه البيهقي (٨/ ١٦٨) كتاب «قتال أهل البغي» باب: ما جاء في الشفاعة والذب عن عرض أخيه المسلم من الأجر، وأحمد (٦/ ٤٥٠)، والترمذي (٤/ ٣٢٧) كتاب «البر والصلة» باب: ما جاء في الذب عن عرض المسلم برقم: (١٩٣١)، وذكره المنذري في «الترغيب والترهيب» (٣/ ٥٠١) كتاب «الأدب وغيره» باب: الترهيب من الغيبة والبهت وبيانهما، والترغيب في ردهما برقم: (٤١٩٤) عن أبي الدرداء

وقوله ـ عليه السلام ـ: «مَنْ حَمَىٰ مُؤْمِناً مِنْ مُنَافِقٍ يَغْتَابُهُ، بَعَثَ اللَّهُ مَلَكاً يَحْمِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[١].

وقوله تعالى: ﴿ويوم يقوم الأشهاد﴾ يريدُ يَوْمَ القيامةِ، قال الزَّجَّاج[٢]، و﴿الأشهادُ﴾: جَمْعُ شَاهِدٍ، وقال الطبري[٣]: جمع شَهِيدٍ، كَشريفٍ وأشْرَافٍ، و﴿يومَ لا ينفع﴾ بَدَلٌ من الأوَّلِ، والمَعْذِرَةُ، مَصْدَرٌ، كالعُذْرِ، ثم أخبرَ تَعَالَىٰ بقصَّةِ موسَىٰ ومَا آتاه منَ النُّبوَّةِ، تأنيساً لمحمَّدٍ، وضَرْبَ أُسْوَةٍ وتذكيراً بما كانتِ العربُ تَعْرفُه مِنْ أمرِ موسى، فبيَّنَ ذلكَ أن محمداً لَيْسَ ببِدْعٍ من الرسل، والهُدَى: النُّبُوَّةُ والحكمةُ؛ التوراةُ تَعُمُّ جميعَ ذلك.

وقوله تعالى: ﴿واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار﴾ قال الطبريُّ[٤]: ﴿الإبكارُ﴾: من طلوع الفَجْرِ إلى طلُوعِ الشَّمْسِ، وقيلَ: مِنْ طلوعِ الشمْسِ إلى ارْتِفَاعِ الضُّحَىٰ، وقال الحَسَنُ: ﴿بالعَشِيِّ﴾ يريدُ صلاةَ العَصْرِ، ﴿والإبكارِ﴾ يريدُ صلاةَ الصُّبْحِ[٥].

وقوله تعالى: ﴿إن في صدورهم إلاَّ كِبْر﴾ [أي: ليسُوا عَلَىٰ شَيْءٍ، بَلْ في صُدُورِهِمْ كِبْر][٦]/ وأَنَفَةٌ عليك، ثُمَّ نَفَىٰ أنْ يكونُوا يبلغُون آمالهم بِحَسَبِ ذلكَ الكِبْرِ، ثم أمَرَهُ تعالى بالاسْتِعَاذَةِ باللَّهِ في كل أمْرِه مِنْ كُلِّ مُسْتَعَاذٍ مِنْه. ٢٠ ب

﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس﴾: فيه توبيخٌ لهؤلاءِ

كلهم بنحوه.

قال الترمذي: هذا حديث حسن.

(١) أخرجه أبو داود (٢/ ٦٨٧) كتاب «الأدب» باب: من رد عن مسلم غيبته برقم: (٤٨٨٣)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٣٧٧) برقم: (١١٩٥).

(٢) ينظر: «معاني القرآن» (٤/ ٣٧٦).

(٣) ينظر: «تفسير الطبري» (١١/ ٧٠).

(٤) ينظر: «تفسير الطبري» (١١/ ٧١).

(٥) ذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ١٠١)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٦٥)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٦١)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد عن قتادة.

(٦) سقط في: د.

الكفرةِ المتكبِّرينَ، كأنه قال: مخلوقاتُ اللَّهِ أَكْبَرُ وأَجَلُّ قَدْراً مِنْ خَلْقِ البَشَرِ، فما لأحدٍ منهم يَتَكَبَّرُ على خالقِه، ويحتملُ أنْ يكونَ الكلامُ في مَعْنَى البَعْثِ، وأنَّ الذي خلقَ السمواتِ والأرْضَ قادِرٌ على خَلْقِ الناسِ تَارَةً أُخْرَىٰ، والخَلْقُ هنا: مَصْدَرٌ مضافٌ إلى المفعولِ، ﴿والذين ءامنوا وعملوا الصالحات﴾ يعادلهم قولُهُ: ﴿ولا المسيء﴾ وهو اسمُ جِنْسٍ يَعُمُّ المسيئينَ.

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾ آيةُ تَفَضُّلٍ ونِعْمَةٍ وَوَعْدٍ لأمَّةِ محمَّدٍ ﷺ بالإجابَةِ عنْدَ الدُّعَاءِ؛ قال النوويُّ: ورُوِّينا في «**كتاب الترمذيِّ**» عَنْ عُبَادَة بْنِ الصَّامِتِ، أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا عَلَى الأَرْضِ مُسْلِمٌ يَدْعُو اللَّهَ تَعَالَىٰ بِدَعْوَةٍ إِلاَّ آتَاهُ اللَّه إِيَّاهَا أَوْ صَرَفَ [عَنْهُ] مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ، فقالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: إِذَنْ نُكْثِرَ، قَالَ: اللَّهُ أَكْثَرُ»[1]: قَال الترمذيُّ: حَديثٌ حسنٌ صحيحٌ، وَرَوَاهُ الحاكِم في «**المستدرك**» من رواية أبي سعيد الخُدْرِيِّ، وزاد فيه: «أَو يَدَّخِرَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلَهَا»[2]، انتهى، قال ابنُ عَطَاءِ اللَّهِ: لاَ يَكُنْ تَأَخُّرُ أَمَدِ العَطَاءِ مَعَ الإِلْحَاحِ في الدُّعَاءِ مُوجِباً لِيَأْسِكَ؛ فهُو ضَمِنَ لَكَ الإِجَابَةَ فِيمَا يختارُ لكَ لاَ فِيمَا تختَارُ لنفسِكَ، وفي الوَقْتِ الذي يُرِيدُ لاَ في الوَقْتِ الذي تُرِيدُ، انتهى، وعن أبي هريرةَ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «يَقُولُ اللَّهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ/ عَبْدِي بِي، وأَنَا مَعَهُ إِذَا دَعَاني» رواه الجماعةُ إلاَّ أَبا داود[3]: واللفظ لِمُسْلِم، انتهى من «**السِّلاَح**»، وقالت فرقة: معنى ﴿ادعوني﴾: ٱعْبُدُونِي، و﴿أستجب﴾ معناه: بِالنَّصْرِ والثوابِ؛ ويدلُّ على هذا قوله: ﴿إن الذين يستكبرون عن عبادتي...﴾ ١٢١أ

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٥٦٦) كتاب «الدعوات» باب: في انتظار الفرج وغير ذلك، برقم: (٣٥٧٣).
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

(٢) أخرجه الحاكم (١/ ٤٩٣) كتاب «الدعاء»، وأحمد (٣/ ١٨).
قال الحاكم: هذا الحديث صحيح الإسناد، إلا أن الشيخين لم يخرجاه عن علي بن علي الرفاعي.

(٣) أخرجه البخاري (١٣/ ٣٩٥) كتاب «التوحيد» باب: قول اللَّه تعالى: ﴿ويحذركم اللَّه نفسه﴾، وقوله عز وجل: ﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك﴾ برقم: (٧٤٠٥)، وطرفاه في (٧٥٠٥، ٧٥٣٧)، ومسلم (٤/ ٢٠٦١) كتاب «الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار» باب: الحث على ذكر اللَّه تعالى، برقم: (٢/ ٢٥٧٦)، (٤/ ٢٠٦٨) (٢١/ ٢٦٧٥)، والترمذي (٥/ ٥٨١) كتاب «الدعوات» باب: في حسن الظن باللَّه عز وجل، برقم: (٣٦٠٣)، وأحمد (٢/ ٢٥١).
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

الآية، * ت *: وهذا التأويلُ غَيْرُ صحيحٍ، والأولُ هو الصَّوَابُ ـ إن شاء اللَّه ـ؛ للحَدِيثِ الصحيحِ؛ فَقَدْ رَوَى النعمانُ بنُ بَشِيرٍ ـ رضي اللَّه عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ». وقرأ: ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾[1] رواه أبو داودَ والترمذي والنسائي وابنُ ماجه والحاكم وَابن حِبَّان في «صَحيحيهما»؛ وقال الترمذيُّ، ـ واللفظ له ـ: حديثٌ حسَنٌ صحيحٌ، وقال الحاكم: صحيحُ الإسناد، انتهى من «السِّلاَح» والدَّاخِرُ، الصَّاغِرُ الذَّلِيلُ.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَـٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿اللَّه الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه...﴾ الآياتِ، هذا تنبيهٌ على آياتِ اللَّهِ وعِبَرِهِ، متَىٰ تأمَّلَهَا العَاقِلُ أدَّتْهُ إلى توحيدِ اللَّه سبحانه، والإقرارِ برُبُوبيَّتِهِ، و﴿تؤفكون﴾ معناه: تُصْرَفُونَ عن طريقِ النظرِ والهُدَى، ﴿كذلك يؤفك﴾ أي: على هذه الهيئةِ وبهذهِ الصفةِ صَرَفَ اللَّه تعالى الكُفَّارَ الجاحدينَ بآياتِ اللَّهِ مِنَ الأُمَمِ المتقدِّمةِ عن طريق الهُدَىٰ.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾﴾

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٧٤ ـ ٣٧٥) كتاب «تفسير القرآن» باب: ومن سورة المؤمن، برقم: (٣٢٤٧)، وابن ماجه (٢/ ١٢٥٨)، كتاب «الدعاء» باب: فضل الدعاء، برقم: (٣٨٢٨)، وأحمد (٤/ ٢٦٧، ٢٧١، ٢٧٦، ٢٧٧)، والطيالسي (١/ ٢٥٣) كتاب «الأذكار والدعوات» باب: ما جاء في فضل الدعاء وآدابه، برقم: (١٢٥٢)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٩١) كتاب «الدعاء»، وابن حبان (٨/ ٣٢) ـ الموارد باب: ما جاء في فضل الدعاء، برقم: (٢٣٩٦).
قال الحاكم: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقد رواه شعبة، وجرير عن منصور عن ذر.
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وقوله تعالى: ﴿هو الذي خلقكم مِنْ تُرَابٍ ثم من نُطْفَةٍ ثم مِنْ عَلَقَةٍ ثم يخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخاً ومنكم من يتوفى من قبل﴾ الآية، تنبيهٌ على الوُحْدَانِيَّةِ بالعبْرة في ابن آدم وتدريج خَلْقِهِ.

٢١ ب وقوله سبحانه: ﴿ومنكم من يتوفى من قبل﴾ عبارة/ تُرَدِّدُ في الأَدْرَاجِ المذكورةِ، فمن الناسِ مَنْ يَمُوتُ قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ طِفْلاً وآخرون قَبْلَ الأَشُدِّ، وآخرون قبلَ الشيخوخةِ، ﴿ولتبلغوا أَجلاً مسمًّى﴾، أي: ليبلغَ كلُّ واحدٍ أَجلاً مُسَمًّى لا يتعدَّاهُ، و﴿لعلكم تعقلون﴾ الحقائقَ إذا نَظَرْتم في هذا وتَدَبَّرْتُمْ حكمةَ اللَّه تعالَىٰ.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ ۚ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات اللَّه...﴾ الآيَةُ في الكُفَّارِ المُجَادِلِينَ في رِسَالَةِ نبيِّنا محمَّد ـ عليه السلام ـ ﴿ويسحبون﴾ معناه يُجَرُّونَ، والسَّحْبُ: الجَرُّ، والحَمِيمُ الذائبُ الشديدُ الحَرِّ من النَّارِ، و﴿يسجرون﴾: قال مجاهد[1]: معناه تُوَقَدُ النَّارُ بهِم، والعَرَبُ تَقُول؛ سَجَرْتُ التَّنُّورَ: إذا مَلأْتَهُ نَاراً، وَقَالَ السُّدِّيُّ: يُسْجَرُونَ: يَحْرَقُونَ[2]، ثم أَخْبَرَ تعالى؛ أنهم يُقَالُ لهم: أين الأَصْنَامُ التي كُنْتُم تَعْبُدونَ في الدنيا؟ فيقولون: ضَلُّوا، أي: تلفوا لنا وغَابوا، ثُمَّ تضطَرِبُ أَقْوَالُهُمْ ويَفْزَعُونَ إلى الكَذِبِ، فيقولونَ: ﴿بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا من قبل شَيْئاً﴾ ثم يقال لهؤلاءِ الكفَّارِ المعذبين: ﴿ذلكم﴾: العذابُ الذي أنتم فيه ﴿بما كنتم تفرحون﴾ في الدنيا بالمعاصي والكفرِ، ﴿وتمرحون﴾ قال مجاهد: معناه: الأَشَرُ والبَطَرُ[3].

---

(١) أخرجه الطبري (١١/٧٨) برقم: (٣٠٤٠١)، وذكره البغوي» (٤/١٠٥)، وزاد نسبته لمقاتل، وابن عطية (٤/٥٦٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/٦٧٠)، وعزاه للفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري (١١/٧٨) برقم: (٣٠٤٠٢)، وذكره ابن عطية (٤/٥٦٩).

(٣) أخرجه الطبري (١١/٧٩) برقم: (٣٠٤٠٥)، وذكره البغوي (٤/١٠٥)، وابن عطية (٤/٥٧٠)، =

وقوله تعالى: ﴿ادخلوا أبواب جهنم﴾ معناه: يقالُ لَهُمْ قبل هذهِ المحاورةِ في أول الأمْرِ: ادْخُلُوا؛ لأنَّ هذه المخاطبةَ إنما هي بعدَ دُخولهم، ثم آنَسَ تعالى نبيَّه، وَوَعَدَهُ بقَولِهِ: ﴿فاصْبِرْ إنَّ وعد اللَّه حق﴾ أي: في نصرك وإظهار أمرِك؛ فإنَّ ذلك أَمْرٌ إما أنْ تَرَىٰ بَعْضَهُ في حياتِكَ، فَتَقَرَّ عَيْنُكَ به، وإما أنْ تَمُوتَ قَبْلَ ذلك، فإلَىٰ أمرنا وتَعْذِيبِنَا يَصِيرُونَ ويَرْجِعُونَ.

قال أبو حيَّان[1]: و«ما» في «إمَّا» زائدةٌ لتأكِيدِ معنى الشَّرْطِ، انتهى.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾﴾

وقوله تعالى/: ﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك﴾ هذِه الآيةُ رَدٌّ عَلى العربِ الذينَ استبعدوا أن يبعثَ اللَّهُ بشراً رَسُولاً. ١٢٢

وقوله تعالى: ﴿فإذا جاء أمر اللَّه قضي بالحق...﴾ الآية، يحتمل أن يريدَ بأمر اللَّه القيامة، فتكونَ الآيةُ توَعُّداً لهم بالآخرةِ، ويحتمل أن يريدَ بأمر اللَّهِ إرسالَ رَسُولٍ وبَعْثَةَ نبيٍّ قَضَىٰ ذلكَ وأَنْفَذَهُ بِالحَقِّ؛ وخَسِرَ كُلُّ مُبْطِلٍ. * ت *: والأول أَبْيَنُ.

وقوله تعالى: ﴿اللَّه الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها...﴾ الآية، هذه آياتٌ فيها عِبَرٌ وتعديدُ نِعَم، و﴿الأنعام﴾: الأزواجُ الثمانيةُ، و﴿منها﴾ الأولَىٰ للتبعيضِ، وقال الطبري[2] في هذه الآية: الأَنعامُ تَعُمُّ الإبلَ والبَقَرَ والغَنَمَ والخَيْلَ والبِغَالَ والحَمِيرَ، وغَيْرَ ذلك مما يُنْتَفَعُ به من البهائمِ، فـ﴿منها﴾ في الموضعين علَىٰ هذا للتَّبْعِيضِ.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا

= والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٧٠)، وعزاه للفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(١) ينظر: «البحر المحيط» (٧/ ٤٥٦).

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» (١١/ ٨٠).

بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾

وقوله تعالى: ﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثاراً في الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون...﴾ الآية، هذا احتجاجٌ على قريشٍ بما أظهر سبحانه في الأمم السالفةِ من نِقَمَاتِهِ في الكفارِ الذين كانوا أَكْثَرَ منهم، وأَشَدَّ قُوَّةً قال أبو حيان[1]: ﴿فما أغنى﴾ «مَا» نافيةٌ أو استفهامية بمعنى النفي، انتهى.

وقوله سبحانه: ﴿فلما جاءتهم رسلهم بالبينات﴾ الآية، الضميرُ في (جاءتهم) عائدٌ على الأمم المذكورةِ، واخْتَلفَ المفسِّرونَ في الضميرِ في ﴿فرحوا﴾ على مَنْ يَعُودُ؟ فقال مجاهدٌ وغيره: هو عائد على الأمم المذكُورِينَ[2]، أي: فَرِحُوا بما عِنْدَهُمْ من الْعِلْم في ظَنِّهِمْ ومُعْتَقَدِهِمْ من أنهم لا يُبْعَثُونَ ولا يحاسَبُونَ، قال ابن زيد: واغترُّوا بعلمِهِم بالدنيا والمعاش، وظنوا أنه لا آخرة؛ فَفَرِحُوا[3]/ وهذا كقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الحياة الدُّنْيَا﴾ [الروم: ٧] وقالت فرقة: الضميرُ في ﴿فرحوا﴾ عائدٌ على الرُّسُلِ، وفي هذا التأويلِ حَذْفٌ وتقديره: فلما جَاءتهم رسُلُهم بالبيناتِ، كذَّبُوهُمْ فَفَرِحَ الرُّسُلُ بما عندَهم من العلمِ باللَّهِ والثقةِ به، وبأنه سينصُرُهُمْ، والضمير في ﴿بهم﴾ عائدٌ على الكفارِ بلا خِلافٍ، ثم حَكَىٰ سبحانَهُ حالةَ بَعْضِهِمْ مِمَّنْ آمَنَ بَعْدَ تَلَبُّسِ العذابِ بهِم، فَلَمْ يَنْفَعْهم ذلك؛ وفي ذكر هذا حضٌّ على المبادرة. ٢٢ ب

و﴿سُنَّتَ﴾ نصبٌ على المصدرِ، * ت *: وقيل: المعنى: احْذَرُوا سُنَّةَ اللَّهِ، كقوله: ﴿نَاقَةَ اللَّه﴾ [الشمس: ١٣] قَالَ الفَخْرُ، وقوله: ﴿هُنَالِكَ﴾: اسْمُ مَكَانٍ مُسْتَعَارٌ للزَّمَانِ، أي: وخَسِرُوا وقتَ رؤية البأْس، انتهى، وصلى اللَّه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، وسلم تسليماً.

---

(١) ينظر: «البحر المحيط» (٧/ ٤٥٧).

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٨٢) برقم: (٣٠٤١٣)، وذكره البغوي (٤/ ١٠٦)، وابن عطية (٤/ ٥٧١)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٨٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٧٠)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر عن مجاهد.

(٣) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٧١).

تفسير سورة فصلت

وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٤ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ۝٥ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۝٧ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٨ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ۝١٠ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ۖ قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ۝١١﴾

رُوِيَ أَنَّ عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ ذَهَبَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ؛ ليحْتَجَّ عَلَيْهِ، وَيَبَيِّنَ لَهُ أَمْرَ مُخَالَفَتِهِ لِقَوْمِهِ، فَلَمَّا فَرَغَ عُتْبَةُ مِنْ كَلاَمِهِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ»: ﴿حمٓ * تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ إلى قوله: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [السجدة: ١٣] فَأُرْعِدَ الشَّيْخُ، وقَفَّ شَعْرُهُ، وأَمْسَكَ عَلَىٰ فَمِ النبيِّ ﷺ، وَنَاشَدَهُ بِالرَّحِمِ أَنْ يُمْسِكَ[1]، وقَالَ حِينَ فَارَقَهُ: وَاللَّهِ، لَقَدْ سَمِعْتُ شَيْئاً مَا هُوَ بِالشِّعْرِ، وَلاَ هُوَ بِالكَهَانَةِ، وَلاَ هُوَ بِالسِّحْرِ، ولَقَدْ ظَنَنْتُ أَنَّ صَاعِقَةَ الْعَذَابِ عَلَىٰ رَأْسِي، و﴿الرحمٰن الرحيم﴾: صِفَتَا رَجَاءٍ ورحمةٍ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، و﴿فُصِّلَتْ﴾ معناهُ بُيِّنَتْ ﴿آياته﴾ أي: فُسِّرَتْ معانيه،/ فَفُصِّلَ بين حلاله وحرامه، ووَعْدِهِ ووَعِيدِهِ، ٢٣ أ
وقيل: فُصِّلَتْ في التنزيلِ، أي: نزل نجوماً، ولم ينزلْ مرةً واحدةً، وقيل: فُصِّلَتْ بالمواقف وأنواعِ أَوَاخِرِ الآيِ، ولم يكن يرجعُ إلى قافية ونَحْوِها؛ كالسَّجْعِ والشِّعْرِ.

وقوله تعالى: ﴿لقوم يعلمون﴾ قالت فرقة: يعلمون الأشياء، ويعقلون الدلائل، فكأنَّ القرآن فُصِّلَتْ آياته لهؤلاء؛ إذ هم أهل الانتفاع بها، فَخُصُّوا بالذكر؛ تشريفاً، وقالت فرقة:

---

(١) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/٦٧٣)، وعزاه إلى ابن إسحاق، وابن المنذر، والبيهقي في «الدلائل»، وابن عساكر.

﴿يعلمون﴾: متعلِّقٌ في المعنى بقوله: ﴿عربيًا﴾ أي: لقوم يعلمون ألفاظه، ويتحقَّقون أنَّها لم يخرجْ شيْءٌ منها عن كلام العرب، وَكأَنَّ الآيَةَ عَلَىٰ هذا التأْويلِ رَادَّةٌ علَىٰ مَنْ زَعَمَ أَنَّ في كتابِ اللَّهِ ما لَيْسَ في كلامِ العَرَبِ، والتأويلُ الأوَّلُ أَبْيَنُ وأَشْرَفُ مَعْنًى وبَيِّنٌ أنَّه ليس في القرآن إلاَّ ما هو مِنْ كَلاَمِ العَرَبِ، إمَّا مِنْ أَصْلِ لغتِها، وإمَّا مِمَّا عرَّبته من لغة غيرها، ثم ذُكِرَ في القرآن وهو مُعَرَّبٌ مُسْتَعْمَلٌ.

وقوله تعالى: ﴿فهم لا يسمعون﴾ نفي لسماعهم النافعِ الذي يُعْتَدُّ به، ثم حكَىٰ عنهم مقالتهم التي باعدوا فيها كُلَّ المباعدة، وأرادوا أن يُؤْيِسُوهُ من قبولهم ما جاء به، وهي: ﴿قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه﴾ وأكِنَّةٌ: جمع كِنَانٍ، والوَقْر: الثِّقْلُ في الأذن الذي يمنع السمع.

وقوله تعالى: ﴿وويل للمشركين * الذين لا يؤتون الزكاة...﴾ الآية: قال الحسن: المراد بالزكاة: زكاة المال[1]، وقال ابن عباس والجمهور: الزكاة في هذه الآية: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ التَّوْحِيدُ[2]؛ كما قال موسَىٰ لفرعَوْنَ: ﴿هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ﴾ [النازعات: ١٨] ويُرَجِّحُ هذا التأويل أَنَّ الآية مَكِّيَّةٌ، وزكاة المال إنما نزلَتْ بالمدينة؛ وإنَّما هذه زكاة القلب والبدن، أي: تطهيره من المعاصي؛ وقاله مجاهد والربيع[3]، وقال الضَّحَّاكُ ومقاتلُ: معنى الزكاة هنا: النفقة في الطاعة[4]، و﴿غير ممنون﴾ قال ابن عباس: معناه: غَيْر منقوصٍ[5]، وقالت فرقة: معناه: غَيْر مَقْطُوعٍ؛ يقال: مَنَنْتُ الحَبْلَ: إذا قَطَعْتهُ، وقال مجاهد: معناه: غير محسوب[6]، قال * ع[7] *: ويظهر في الآية أَنَّهُ وصفه بعدم المَنِّ والأَذَىٰ من حيثُ هو من جهة اللَّه تعالى، فهو شريفٌ لا مَنَّ فيه، وأُعْطِيَاتُ البشر هي التي يدخلها المَنُّ، والأنداد: الأشباهُ والأَمْثَالُ، وهي إشارةٌ إلَىٰ كُلِّ ما عُبِدَ مِنْ دُونِ اللَّه.

٢٣ ب

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٨٦) برقم: (٣٠٤٢٤) عن قتادة، وذكره البغوي (٤/ ١٠٧) آية رقم: (٧)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤).

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٨٦) برقم: (٣٠٤٢٢)، وذكره البغوي (٤/ ١٠٧)، وابن عطية (٥/ ٥)، وابن كثير (٤/ ٩٢) ط الحلبي، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٧٥)، وعزاه إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «الأسماء والصفات».

(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ٥).

(٤) ذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ١٠٨)، وابن عطية (٥/ ٥).

(٥) أخرجه الطبري (١١/ ٨٦) برقم: (٣٠٤٢٧)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ١٠٨)، وابن عطية (٥/ ٥).

(٦) أخرجه الطبري (١١/ ٨٦) برقم: (٣٠٤٢٨)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ١٠٨) آية رقم: (٨)، وابن عطية (٥/ ٥).

(٧) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٥).

وقوله تعالى: ﴿وبارك فيها﴾ أي: جعلها منبتَّةً للطَّيِّبات والأطعمة، وجعلها طهوراً إلى غير ذلك من وجوه البركة، وفي قراءةِ ابن مسعود: «وَقَسَّمَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا»[١] واخْتُلِفَ في معنى قوله: ﴿أقواتها﴾ فقال السُّدِّيُّ: هي أقواتُ البَشَرِ وأرزاقُهُمْ، وأضافها إلى الأرض، من حيثُ هي فيها وَعَنْهَا[٢]، وقال قتادة: هي أقواتُ الأرض: من الجبال، والأنهار، والأشجار، والصُّخُور، والمعادن، والأشياءِ التي بها قِوَامُ الأَرْضِ ومَصَالِحُها[٣]، وروى ابنُ عباس في هذا حديثاً مرفوعاً، فشبَّهها بالقُوتِ الذي به قِوَامُ الحيوان، وقال مجاهَدٌ أراد أقواتَهَا من المَطَرِ والمياه، وقال الضَّحَّاكُ وغيره: أراد بقوله: ﴿أقواتها﴾: خصائصها التي قَسَّمها في البلاد من المَلْبُوسِ والمطعومِ[٤]، فجعل في بَلَدٍ وفي قُطْرٍ ما ليس في الآخِرِ، لِيَحْتَاجَ بعضُهم إِلَىٰ بعضٍ، ويُتَقَوَّت مِنْ هذه في هذه، وهذا قريبٌ من الأَوَّلِ.

وقوله تعالى: ﴿في أربعة أيام﴾ يريد: باليومين الأولين، **وقرأ** الجمهور: «سَوَاءً» بالنصب على الحال[٥]، أي: سَوَاءً هي وما انْقضَىٰ فيها، **وقرأ** أبو جعفر بن القَعْقَاع: «سَوَاءٌ»[٦] ـ بالرفع ـ، أي: هِيَ سَوَاءٌ، **وقرأ** الحسن[٧]: «سَوَاءٍ» بالخفض على نعت الأيَّام، واخْتُلِفَ في معنى: «للسائلين»: فقال قتادة معناه: سواءٌ لِمَنْ سَأَلَ واسْتَفْهَمَ/ عن الأَمْرِ ٢٤أ وحقيقةِ وُقُوعِهِ، وأراد العِبْرَةَ فيه، فإنَّه يجده[٨]، كما قال تعالى، وقال ابن زيد وجماعة: معناه: مستوٍ مُهَيَّأٌ أمر هذه المخلوقات ونَفْعُهَا للمحتاجِينَ إِلَيْهَا من البشر، فعَبَّر عنهم بـ﴿السائلين﴾ بمعنى «الطالبين»؛ لِأَنَّهُ من شَأْنهم، ولاَ بُدَّ طَلَب ما ينتفعون به، فهم في حُكْمِ مَنْ سَأَلَ هذه الأشياء، إذ هُمْ أهل حاجة إليها، ولفظة «سواء» تجري مَجْرَى عَدْل وزَوْر، في أنْ تَرِدَ على المفرد والجمع والمذكر والمؤنث.

---

(١) ينظر: **«الكشاف»** (٤/ ١٨٨)، و**«المحرر الوجيز»** (٥/ ٦).

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٨٩) برقم: (٣٠٤٣٦)، وذكره ابن عطية (٥/ ٦).

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٨٩) برقم: (٣٠٤٣٨ ـ ٣٠٤٣٩)، وذكره ابن عطية (٥/ ٦).

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٩٠) برقم: (٣٠٤٤٦)، وذكره البغوي في **«تفسيره»** (٤/ ١٠٨) آية رقم: (١٠)، وابن عطية (٥/ ٦).

(٥) ينظر: **«المحرر الوجيز»** (٥/ ٦)، و**«البحر المحيط»** (٧/ ٤٦٥)، و**«الدر المصون»** (٦/ ٥٧).

(٦) وذُكرت عن يعقوب.
ينظر: **«مختصر الشواذ»** ص: (١٣٤)، و**«المحرر الوجيز»** (٥/ ٦)، و**«البحر المحيط»** (٧/ ٤٦٥).

(٧) وقرأ بها عيسى، وابن أبي إسحاق، وعمرو بن عبيد، وزيد بن علي، ويعقوب.
ينظر: **«المحرر الوجيز»** (٥/ ٦)، و**«البحر المحيط»** (٧/ ٤٦٥)، و**«الدر المصون»** (٦/ ٧٥).

(٨) أخرجه الطبري (١١/ ٩١) برقم: (٣٠٤٤٨ ـ ٣٠٤٤٩)، وذكره ابن عطية (٥/ ٦)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٥/ ٦٧٧)، وعزاه إلى عبد الرزاق، وعبد بن حميد.

وقوله سبحانه: ﴿ثم استوى إلى السماء﴾ معناه: بقدرته واختراعه إلى خلق السماء وإيجادها.

وقوله تعالى: ﴿وهي دخان﴾ رُوِيَ: أنَّها كانت جسماً رخواً؛ كالدُّخَانِ أوِ البُخَارِ، ورُوِيَ: أنَّه ممَّا أَمَرَهُ اللَّه تَعالَىٰ أنْ يَصْعَدَ مِنَ الماء، وهنا محذوفٌ، تقديرهُ: فأوجَدَهَا، وأتقنها، وأكمل أمْرهَا، وحينئذٍ قال لها وللأرْضِ ائتيا بمعنى ائتيا أمري وإرادتي فيكما، **وقرأ** ابن عباس: «آتِيَا»[1] بمعنى: أعطيا مِنْ أنفُسِكُمَا من الطاعة ما أردتُهُ منكما[2]، والإشارةُ بهذا كلِّه إِلَىٰ تسخيرهما وما قَدَّرَهُ اللَّه من أعمالهما.

وقوله: ﴿أو كرهاً﴾ فيه محذوف تقديره ائْتِيَا طَوْعاً وإلاَّ أتيتما كرهاً.

وقوله سبحانه: ﴿قالتا﴾ أراد الفرقتَيْنِ جعل السمواتِ سماءَ والأرضِينَ أرْضاً، واخْتُلِفَ في هذه المقالةِ مِنَ السَّمٰوَاتِ والأرضِ، هَلْ هُوَ نُطْقٌ حقيقة أو هو مجازٌ؟ لما ظهر عليها من التذلُّل والخضوعِ والانقيادِ الذي يتنزل منزلة النُّطْقِ، قال * ع[3] *: والقول الأوَّل: أنَّه نُطْقٌ حقيقة ـ أَحْسَنُ؛ لأنه لا شَيْءَ يدفعه ـ، وأنَّ العبرة به أَتَمُّ والقدرةَ فيه أظهرُ.

﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿فقضاهن﴾ معناه: فَصَنَعَهُنَّ وأَوْجَدَهُنَّ، ومنه قول أبي ذُؤَيْبٍ: [الكامل]

٢٤ب وَعَلَيْهِمَا/ مَسْرُودَتَانِ قَضَاهُمَا دَاوُدُ أَوْ صَنَعُ السَّوَابِغِ تُبَّعُ[4]

---

(١) وقرأ بها سعيد بن جبير، ومجاهد.
ينظر: «المحتسب» (٢/ ٢٤٥)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٧)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤٦٦)، و«الدر المصون» (٦/ ٥٨).

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٩٢) برقم: (٣٠٤٥٢)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ١٠٩) آية رقم (١١)، وابن عطية (٥/ ٧).

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٧).

(٤) وهو لأبي ذؤيب «في سرّ صناعة الإعراب» (٢/ ٧٦٠)، و«شرح أشعار الهذليين» (١/ ٣٩)، و«شرح المفصل» (٣/ ٥٩)، و«لسان العرب» (٨/ ٣١) (تبع)، (٨/ ٢٠٩) (صنع)، (١٥/ ١٨٦) (قضى)، و«المعاني الكبير» ص: (١٠٣٩)، وبلا نسبة في «شرح المفصل» (٣/ ٥٨).

وقوله تعالى: ﴿وأوحَىٰ في كل سماء أمرها﴾ قال مجاهد وقتادة: أوحَىٰ إِلى سُكَّانِها وَعَمَرَتِها من الملائكة وإِليها هي في نَفْسِهَا ـ ما شاء تعالَىٰ ـ مِنَ الأُمُورِ التي بها قوامها وصلاحها[١].

وقوله: ﴿ذلك﴾ إِشارة إِلَى جَمِيعِ ما ذكر، أي: أَوْجَدَهُ بِقُدْرَتِهِ، وأحكمه بِعِلْمِهِ.

وقوله تعالى: ﴿فإِن أعرضوا﴾ يعني: قريشاً، والعرب الذين دَعَوتَهُم إِلى عبادة اللَّه تعالى عن هذه الآيات البَيِّنَات ﴿فقل أنذرتكم صاعقةً مثْلَ صاعقةِ عاد وثمود﴾ **وقرأ** النَّخَعِيُّ وغيره: ﴿صَعْقَة﴾ فيهما[٢]، وهذه قراءة بَيِّنَةُ المعنى؛ لأنَّ الصعقة الهلاكُ الوَحيُّ، وأمَّا الأولَىٰ فهي تشبيهٌ بالصاعقةِ، وهي الوقعة الشديدة من صوت الرعد، فشُبِّهَتْ هنا وقعةُ العذاب بها؛ لأنَّ عاداً لم تُعَذَّبْ إِلاَّ بِرِيحٍ، وإِنَّما هذا تشبيهٌ واستعارةٌ، وعبارةُ الثعلبيِّ: ﴿صاعقةٌ﴾ أي: واقعةٌ وعقوبةٌ مِثْلُ صاعقةِ عَادٍ وثَمُودَ، انتهى، قال * ع[٣] *: وَخَصَّ عاداً وثَمُودَ بالذِّكْر؛ لوقوفِ قُرَيْشٍ علَىٰ بلادها في اليمن وفي الحِجْرِ في طريق الشام، قال الثعلبِيُّ: و﴿من بين أيديهم ومن خلفهم﴾ يعني: قبلهم وبعدهم، وقامت الحُجَّةُ عليهم في أَنَّ الرسالة والنذارة عمتهم خبراً ومباشرة، وقال * ع[٤] *: قوله: ﴿ومن خلفهم﴾ أي: جاءهم رسول بعد اكتمال أعمارهم وبعد تَقَدُّمِ وجودهم في الزَّمَنِ، فلذلك قال: ﴿ومن خلفهم﴾ ولا يتوجه أنْ يجعل ﴿ومنْ خلفهم﴾ عبارة عَمَّا أتى بعدهم؛ لأنَّ ذلك لا يلحقهم منه تقصير.

* ت *: وما تقدم للثعلبيِّ وغيره أَحْسَنُ؛ لأَنَّ مقصد الآية اتصال النذارة بهم وبمن قبلهم وبمن بعدهم؛ إذ ما من أُمَّةٍ إِلاَّ وفيها نذير، وكما قال تعالى: ﴿رُسُلَنَا تَتْرا...﴾ [المؤمنون: ٤٤] وأيضاً فإِنَّه جمع في اللفظ عاداً وثَمود وبالضرورة أَنَّ/ الرسولَ الذي ٢٥أ
أُرْسِلَ إِلَىٰ ثمودَ هو بَعْدَ عادٍ، فليس لِرَدٍّ * ع *: وَجْهٌ؛ فتأمله.

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٩٢ ـ ٩٣) برقم: (٣٠٤٥٥ ـ ٣٠٤٥٦)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٥/ ٧)، وذكره ابن كثير (٤/ ٩٣) ولم يعزه لأحد، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٧٨)، وعزاه إلى عبد بن حميد، والفريابي عن مجاهد، وعبد بن حميد عن قتادة.

(٢) وقرأ بها: ابن الزبير، والسلمي، وابن محيصن.
ينظر: «مختصر الشواذ» ص: (١٣٤)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٨)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤٦٨)، و«الدر المصون» (٦/ ٥٩).

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٨).

(٤) ينظر: المصدر السابق.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿فأرسلنا عليهم ريحاً...﴾ الآية، تقدَّم قَصَصُ هؤلاء، **وقرأ** نافع، وأبو عمرو، وابن كثير: ﴿نَحْسَاتٍ﴾ ـ بسكون الحاء[1] ـ، وهي جمعُ «نَحْس» **وقرأ** الباقون: ﴿نَحِسَاتٍ﴾ ـ بكسر الحاء ـ جمع «نَحِسٍ» علَىٰ وزن حَذِرٍ، والمعنَىٰ في هذه اللفظة: مشائيمُ من النَّحْسِ المعروفِ، قاله مجاهد وغيره[2]، وقال ابن عبَّاس: ﴿نحسات﴾ معناه مُتَتَابِعَاتٍ[3]، وقيل: معناه: شديدة، أي: شديدة البَرْدِ.

وقوله تعالى: ﴿فهدَيْنَاهُمْ﴾ معناه: بَيَّنَّا لهم؛ قاله ابن عَبَّاس وغيره، وهذا كما هي الآن شريعةُ الإسلامُ مُبَيَّنَةٌ لليهودِ والنصارَى المُخْتَلِطِينَ بنا، ولكِّنهم يعرضون ويشتغلون بالضِّدِّ، فذلك ٱستحبابُ العَمَىٰ على الهُدَىٰ، و﴿العذاب الهون﴾ هو الذي معه هَوَانٌ وإذلالٌ؛ قال أبو حَيَّان[4]: «الهون» مصْدَرٌ بمعنى «الهَوَانِ»، وُصِفَ به العذاب، انتهى، و﴿أعداء اللَّه﴾ هم الكفار المخالفون لأمر اللَّه سبحانه، و﴿يوزعون﴾ معناه: يُكَفُّ أَوَّلُهُمْ حَبْساً على آخرهم؛ قاله قتادة، والسُّدِّيُّ[5]، وأهل اللغة، وهذا وصف حال من أحوال الكفرة في بعض أوقات القيامة، وذلك عند وصولهم إلى جَهَنَّمَ، فإنَّه سبحانه يستقرهم عند ذلك على أنفسهم، ويسألون سؤالَ توبيخ عن كُفْرهم فيجحدُونَ، ويحسبون أَنْ لا شاهِدَ

---

(١) ينظر: «**السبعة**» (٥٧٦)، و«**الحجة**» (٦/ ١١٦)، و«**إعراب القراءات**» (٢/ ٢٧٥)، و«**إعراب القراءات**» (٢/ ٣٥١)، و«**شرح الطيبة**» (٥/ ٢١٠)، و«**العنوان**» (١٦٩)، و«**حجة القراءات**» (٦٣٥)، و«**شرح شعلة**» (٥٧٢)، و«**إتحاف**» (٢/ ٤٤٢).

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٩٦) برقم: (٣٠٤٦٨)، (٣٠٤٧٠) عن مجاهد، (٣٠٤٧١) عن السدي، وذكره ابن عطية في «**تفسيره**» (٥/ ٩).

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٩٥) برقم: (٣٠٤٦٧)، وذكره ابن عطية في «**تفسيره**» (٥/ ٩)، وابن كثير (٤/ ٩٥) ولم يعزه لأحد.

(٤) ينظر: «**البحر المحيط**» (٧/ ٤٧١).

(٥) أخرجه الطبري (١١/ ٩٨ ـ ٩٩) برقم: (٣٠٤٨٣ ـ ٣٠٤٨٤)، وذكره البغوي في «**تفسيره**» (٤/ ١١٢) آية رقم (١٩)، وابن عطية (٥/ ١٠).

عليهم، ويطلبون شهيداً عليهم من أنفسهم، وفي الحديث الصحيح: «إِنَّ الْعَبْدَ ـ يَعْنِي الكَافِرَ ـ يَقُولُ: يَا رَبِّ، أَلَيْسَ وَعَدْتَنِي أَلاَّ تَظْلِمَنِي؟ قَالَ: فَإِنَّ ذَلِكَ لَكَ، قَالَ: فَإِنِّي لاَ أَقْبَلُ عَلَيَّ شَاهِداً إِلاَّ مِنْ نَفْسِي، قَالَ فَيُخْتَمُ عَلَىٰ فِيهِ، وَتَتَكَلَّمُ أَرْكَانُهُ بِمَا كَانَ يَعْمَلُ، قَالَ: فَيَقُولُ لَهُنَّ: بُعْداً لَكُنَّ، وَسُحْقاً، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُدَافِعُ»[1]/ الحديث، قال أبو حيَّان[2]: ﴿حتى إذا ما جاءوها﴾: «ما» بعد «إذا» زائدة للتوكيد، انتهى. ٢٥ ب

﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وما كنتم تستترون﴾ يحتمل أنْ يكون من كلام الجلود، ويحتمل أنْ يكون من كلام اللَّه عز وجل، وجمهور الناس على أنَّ المراد بالجلود الجلودُ المعروفةُ، وأمَّا معنى الآية فيحتمل وجهين:

أحدهما: أن يريد وما كنتم تَتَصَاونُونَ وتَحجِزُونَ أَنْفُسَكُمْ عن المعاصي والكُفْر؛ خوفَ أَنْ يشهد، أو لِأَجْلِ ﴿أنْ يشهد عليكم سمعكم...﴾ الآية، وهذا هو مَنْحَىٰ مجاهد[3]، والمعنى الثاني أنْ يريد: وما يمكنكم ولاَ يسَعُكُمْ الاخْتفاءُ عن أَعْضَائِكُمْ، والاستتارُ عنها بكُفْرِكُمْ ومعاصيكم، وهذا هو مَنْحَى السُّدِّيِّ[4]، وعن ابن مسعود قال: «إِنِّي لمستترٌ بأستارِ الكعبةِ، إِذْ دَخَلَ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ: قُرَشِيَّانِ وَثَقَفِيٌّ أَوْ ثَقَفِيَّانِ وقُرَشِيٌّ، قَلِيلٌ فِقْهُ قُلوبِهِمْ، كَثِيرٌ شَحْمُ بُطُونِهِمْ، فَتَحَدَّثُوا بِحَدِيثٍ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: أَتَرَى اللَّهَ يَسْمَعُ مَا قُلْنَا؟ فَقَالَ الآخَرُ: يَسْمَعُ إِذَا رفعْنَا، وَلا يَسْمَعُ إِذَا أَخْفَيْنَا، وَقَالَ الآخَرُ: إِنْ كَانَ يَسْمَعُ مِنْهُ شَيْئاً فَإِنَّهُ يَسْمَعُهُ كُلَّهُ، فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ بِذَلِكَ فَنَزَلَتْ هذه الآيةُ: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾، وقرأ حتى بلغ: ﴿وَإِن يستعتبوا فما هم من المعتبين﴾»[5].

---

(١) ينظر: «الدر المنثور» (٥/ ٣٥).

(٢) ينظر: «البحر المحيط» (٧/ ٤٧١).

(٣) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٥/ ١١).

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ١٠٠) برقم: (٣٠٤٩٣)، وابن عطية (٥/ ١١)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٨٠).

(٥) أخرجه البخاري مختصراً (٨/ ٤٢٤) كتاب «التفسير» باب: ﴿وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن اللَّه لا يعلم كثيراً مما تعملون﴾ (٤٨١٦)، (٨/ ٤٢٤ ـ ٤٢٥)=

قال الشيخ أبو محمَّدِ بْنُ أبي زَيْدٍ في آخر: «**مُخْتَصَرِ المُدَوَّنَةِ**» له: واعلم أنَّ [الأجساد التي أطاعت أو عصت، هي التي تُبْعَثُ يومَ القيامة لِتُجَازَىٰ، والجلودُ التي كانَتْ في الدنيا، والألسنةُ][1]، والأيْدِي، والأرجُلُ هي التي تشهد عليهم يوم القيامة على مَنْ تشهَدُ، انتهى.

قال القرطبيُّ في «**تذكرته**»[2]: واعلم أَنَّ عند أهل السنة أَنَّ تلك الأجسادَ الدُّنْيَوِيَّةَ تُعَادُ بأعيانها وأعراضِهَا بلا خلافٍ بينهم في ذلك، انتهى، ومعنى ﴿أرداكم﴾: أهلككم، والرَّدَى: الهَلاَكُ؛ وفي صحيح «**البخاريِّ**» و«**مسلم**» عن جابر قال: سمعتُ النَّبِيَّ ﷺ يقولُ قبل وفاته بثلاثٍ: «لاَ يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»[3] وذكره ابن أبي الدنيا في «**كتابِ حسن الظنِّ باللَّه عز وجلَّ**»، وزاد فيه: «فَإِنَّ قَوْماً قَدْ أَرْدَاهُمْ سُوءُ ظَنِّهِمْ بِاللَّهِ، فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ انتهى، ونقله أيضاً صاحب «**التذكرة**».

٢٦ أ

وقوله تعالى: ﴿فإن يصبروا﴾ مخاطبةٌ للنبيِّ ﷺ والمعنى: فإنْ يصبروا أوْ لا يَصْبِرُوا، واقتصر لدلالة الظاهِرِ علَىٰ ما ترك.

وقوله تعالى: ﴿وإن يستعتبوا﴾ معناه: وإنْ طَلَبُوا العُتْبَىٰ، وهي الرضَا فما هم مِمَّنْ يُعْطَاها ويَسْتَوْجِبُهَا؛ قال أبو حَيَّان[4]: قراءة الجمهور: «وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا» مبنيًا للفاعل[5]، و: ﴿مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ مبنيًا للمفعول، أي: وإنْ يعتذروا فما هم من المَعْذُورِينَ، انتهى.

= كتاب «التفسير» باب: ﴿وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين﴾ (٤٨١٧)، (١٣/ ٥٠٤) كتاب «التوحيد» باب: قول اللَّه تعالى: ﴿وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم، ولكن ظننتم أن اللَّه لا يعلم كثيراً مما تعملون﴾ (٧٥٢١)، ومسلم (٤/ ٢١٤١) كتاب «صفات المنافقين وأحكامهم» باب: (٥/ ٢٧٧٥)، وابن حبان (٢/ ١١٦) كتاب «البر والإحسان» باب: الإخلاص وأعمال السر (٣٩٠)، والحميدي (١/ ٤٧) (٨٧)، والترمذي (٥/ ٣٧٥) كتاب «تفسير القرآن» باب: ومن سورة حَم السجدة، (٣٢٤٨ ـ ٣٢٤٩)، وأحمد (١/ ٣٨١، ٤٠٨، ٤٢٦، ٤٤٢، ٤٤٣).

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(١) سقط من: د.

(٢) ينظر: «**التذكرة**» (١/ ٢٢٧).

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٠٤) كتاب «الجنة وصفة نعيمها وأهلها» باب: الأمر بحسن الظن باللَّه تعالى عند الموت، حديث (٨١/ ٢٨٧٧) من حديث جابر.

(٤) ينظر: «**البحر المحيط**» (٧/ ٤٧٢).

(٥) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٥/ ١٢)، و«**البحر المحيط**» (٧/ ٤٧٢)، و«**الدر المصون**» (٦/ ٦٤).

ثم وصف تعالى حالهم في الدنيا وما أصابهم به حِينَ أعرضوا، فَحَتَّمَ عليهم، فقال: ﴿وقَيَّضْنَا لهم قرناء﴾، أي: يَسَّرْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ سَوْءٍ من الشياطين وغُوَاةِ الإِنْسِ.

وقوله: ﴿فزينوا لهم ما بين أيديهم﴾ أي: عَلَّمُوهم، وقَرَّروا لهم في نفوسهم معتقداتِ سوءٍ في الأمور التي تقدَّمتهم من أمر الرسُلِ والنُبُوَّاتِ، ومَدْحِ عبادةِ الأصنامِ، واتِّباعِ فعل الآباء، إلى غير ذلك مِمَّا يُقَالُ: إِنَّه بين أيدِيهِمْ، وذلك كلُّ ما تقدَّمهم في الزَّمَنِ، واتَّصَلَ إِليهم أثره أو خَبَرُهُ، وكذلك أعطُوهُمْ معتقداتِ سوءٍ فيما خَلْفهم، وهو كلُّ ما يأتي بَعْدَهُمْ من القيامة والبعث ونَحْوِ ذلك ﴿وحق عليهم القول﴾ أي: سبق عليهم القضاءُ الحَتْمُ، وأَمَرَ اللَّهُ بتَعْذِيبِهِمْ في جملةِ أُمَمٍ مُعَذَّبِينَ، كُفَّارٍ من الجنِّ والإِنس.

وقالت فرقة: «في» بمعنى «مع»، أي: مع أمم، قال * ع[1] *: والمعنى/ يتأدى بالحرفين، ولا نحتاج أنْ نجعل حرفاً بمعنى حَرْفٍ، إذ قد أبى ذلك رؤساءُ البَصْرِيِّينَ. ٢٦ ب

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن...﴾ الآية: حكاية لما فعله بعض كفار قريش، كأبي جَهْلٍ وغيره، لما خافوا استمالَةَ القُلُوبِ بالقُرْآنِ، قالوا: متَىٰ قرأَ محمد فألْغطوا بالصَّفِيرِ والصِّيَاحِ وإِنشادِ الشِّعْرِ؛ حتى يَخْفَىٰ صَوْتُهُ، فهذا الفعلُ منهم هو اللغو، وقال أبو العالية: أرادوا: قَعُوا فيه وعَيِّبوه، وقولهم: ﴿لعلكم تغلبون﴾ أي: تطمسون أمر محمد، وتُمِيتُون ذكره، وتَصْرِفُون عنه القلوبَ، فهذه الغاية التي تمنوها، ويأبى اللَّه إِلاَّ أنْ يتم نوره ولو كره الكافرون.

وقوله تعالى: ﴿فلنذيقنَّ الذين كفروا عذاباً شديداً...﴾ الآية، قوله: ﴿فلنذيقنَّ﴾: الفاء دخلَتْ على لام القسم، وهي آيةُ وعيدٍ لقريشٍ، والعذابُ الشديدُ: هو عذابُ الدنيا في بَدْرٍ وغيرها، والجزاء بأسوإِ أعمالهم هو عذابُ الآخرة.

* ت *: حَدَّثَ أبو عُمَرَ في **«كتاب التمهيد»** قال: حدَّثنا أحمد بن قَاسِمٍ، قال: حدَّثنا محمَّدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ، قال: حدَّثنا إِبراهيمُ بْنُ موسَى بْنِ جَمِيلٍ، قال: حدَّثنا

---

(١) ينظر: **«المحرر الوجيز»** (٥/١٢).

عبد اللَّه بن محمَّد بن أبي الدنيا، قال: حدثنا العَتَكِيُّ. قال: حدثنا خالد أبو يزيد الرَّقِّيُّ عن يحيى المَدَنِيِّ، عن سالِم بْنِ عبد اللَّه عن أبيه قال: خرجْتُ مرةً، فمررْتُ بِقَبْرٍ مِنْ قُبُورِ الجاهِلِيَّةِ، فإذا رجلٌ قد خرج من القَبْرِ، يَتَأَجَّجُ ناراً، في عُنُقِهِ سلسلةٌ، ومعي إِدَاوَةٌ مِنْ مَاءٍ، فَلَمَّا رآني قال: يَا عَبْدَ اللَّهِ، ٱسْقِنِي، قال: فَقُلْتُ: عَرِّفْنِي، فَدَعَانِي بِٱسْمِي، أو كلمة تقولها العَرَبُ: يا عَبْدِ اللَّهِ، إِذْ خَرَجَ عَلَىٰ أَثَرِهِ رَجُلٌ من القَبْرِ، فقال: يَا عَبْدَ اللَّهِ، لاَ تَسْقِهِ، فَإِنَّهُ كَافِرٌ، ثُمَّ أَخَذَ السِّلْسِلَةَ فَٱجْتَذَبَهُ، فَأَدْخَلَهُ القَبْرَ. قال: ثم أَضَافَنِي اللَّيْلَ إِلَىٰ بَيْتِ عَجُوزٍ، إِلَىٰ جَانِبِهَا قَبْرٌ، فسمعْتُ مِنَ القَبْرِ صَوْتاً يَقُولُ:/ بَوْلٌ وَمَا بَوْلٌ، شَنٌّ وَمَا شَنٌّ، فقلتُ للعَجُوزِ: ما هٰذَا؟ قالَتْ: كَانَ زَوْجاً لِي، وكان إِذَا بَالَ لَمْ يَتَّقِ البَوْلَ، وكُنْتُ أَقُولُ لَهُ: وَيْحَكَ! إِنَّ الجَمَلَ إِذَا بَالَ تَفَاجّ، وكان يَأْبَىٰ، فهو يُنَادِي من يَوْم مَاتَ: بَوْلٌ وَمَا بَوْلٌ، قلتُ: فما الشَّنُّ؟ قالت: جاء رجلٌ عطشانُ فقال: ٱسْقِنِي! فقال: دُونَكَ الشَّنَّ، فإذا لَيْسَ فيه شَيْءٌ؛ فخَرَّ الرَّجُلُ مَيِّتاً، فهُو ينادي مُنْذُ ماتَ: شَنٌّ وَمَا شَنٌّ، فلما قَدِمْتُ علَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أخبرتُهُ، فنهَىٰ: أَنْ يُسَافِرَ الرَّجُلُ وَحْدَهُ. قال أبو عمر: هذا الحديث في إسناده مجهولُونَ، ولم نُورِدْهُ لِلاحتجاجِ به؛ ولكنْ لِلاعتبار، وما لم يكنْ حكم، فقد تسامح الناسُ في روايته عن الضعفاء، انتهى من ترجمة عبد الرحمن بن حَرْمَلَةَ، وكلامه على قول النبي ﷺ: «الشَّيْطَانُ يَهُمُّ بِالْوَاحِدِ وَالاِثْنَيْنِ، فَإِذَا كَانُوا ثَلاَثَةً لَمْ يَهُمَّ بِهِمْ»(١) وقد ذكرنا الحكاية الأولى عن الوَائِلِيِّ في سورة ﴿اقرأ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ بغير هذا السند، وأَنَّ الرجُلَ الأَوَّلَ هو أبو جَهْلٍ، انتهى، ثم ذكر تعالَىٰ مقالة كُفَّارِ يومِ القيامة إذا دَخَلُوا النار؛ فإنَّهم يَرَوْنَ عظيمَ ما حَلَّ بِهِمْ وسُوء مُنْقَلَبِهِمْ، فَتَجُولُ أَفكارهم فيمن كان سبب غوايتهم ومبادي ضلالتهم، فيعظم غيظهم وَحَنَقُهُمْ عليه، وَيَوَدُّونَ أَنْ يَحْصُلَ في أشدِّ عذابٍ، فحينئذٍ يقولُونَ: ﴿ربنا أرنا اللذين أضلانا﴾ وظاهر اللفظ يقتضِي أَنَّ الذي في قولهم: ﴿اللذين﴾ إنما هو لِلْجِنْسِ، أي: أَرِنا كلَّ مُغْوٍ من الجنِّ والإِنْسِ، وهذا قول جماعة من المفسرين.

٢٧ أ

وقيل: طلبوا ولد آدم الذي سَنَّ القَتْلَ والمعصية من البَشَرِ، وإبليسَ الأبالسة من الجِنِّ، وهذا قولٌ لا يخفَىٰ ضعفه، والأَوَّلُ هو/ القويُّ، وقولهم: ﴿نجعلهُمَا تحت أقدامنا﴾ يريدون في أسفل طبقة في النار؛ وهي أشدُّ عذاباً.

٢٧ ب

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ

---

(١) أخرجه مالك (٢/ ٩٧٨) كتاب «الاستئذان» باب: ما جاء في الوحدة في السفر للرجال والنساء (٣٦)، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٢١٨).
قال الهيثمي: رواه البزار وفيه عبد الرحمٰن بن أبي الزناد وهو ضعيف.

وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾

وقوله تعالى: ﴿إن الذين قالوا ربنا اللَّه ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألاّ تخافوا ولا تحزنوا﴾ قال سفيان بن عبد اللَّه الثَّقَفِيُّ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي بِأَمْرٍ أَعْتَصِمُ بِهِ، قَالَ: «قُلْ: رَبِّيَ اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقِمْ»(١).

* ت *: هذا الحديث خَرَّجه مسلم في «**صحيحه**»، قال صاحب «**المُفْهِم**»: جوابه ﷺ من جوامع الكَلِم، وكأَنَّهُ مُنْتَزَعٌ من قول اللَّه تعالى: ﴿إن الذين قالوا ربنا اللَّه ثم استقاموا...﴾ الآية، وتلخيصه: اعْتَدَلُوا على طاعته قولاً وفعلاً وعقداً، انتهى من «**شرح الأربعين حديثاً**» لابْنِ الفَاكِهَانِيِّ، قال * ع(٢) *: واخْتَلَفَ النَّاسُ في مقتضَىٰ قوله: ﴿ثم استقاموا﴾ فذهب الحَسَنُ وجماعةٌ إِلَىٰ أَنَّ معناه: اسْتَقَامُوا بالطاعاتِ واجتنابِ المعاصِي، وتلا عُمَرُ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ هذه الآية على المِنْبَرِ، ثم قال: استقاموا ـ واللَّهِ ـ بطاعتهِ، ولم يروغوا روغانَ الثَّعَالِبِ، قال * ع(٣) *: فذهب ـ رحمه اللَّه ـ إِلى حَمْلِ الناس على الأَتَمِّ الأَفْضَلِ، وإِلاَّ فيلزم على هذا التأويل من دليل الخطاب ألاَّ تتنزل الملائكةُ عِنْدَ الموت على غير مستقيم على الطاعَةِ، وذهب أبو بكْرٍ ـ رضي اللَّه عنه ـ وجماعةٌ معه إلى أَنَّ المعنَىٰ: ثم: استقامُوا علَىٰ قولهم: رَبُّنَا اللَّهُ، فلم يختلَّ توحيدُهُمْ، ولا اضطَرَبَ إيمانهم، قال * ع(٤) *: وفي الحديث الصحيح: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلاَمِهِ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّه، دَخَلَ الجَنَّةَ»(٥)

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٢٢٢) ـ الأبي كتاب «الإيمان» باب: جامع أوصاف الإسلام (٦٢/ ٣٨)، والترمذي (٤/ ٦٠٧) كتاب «الزهد» باب: ما جاء في حفظ اللسان (٢٤١٠)، وابن ماجه (٢/ ١٣١٤) كتاب «الفتن» باب: كف اللسان في الفتنة (٣٩٧٢)، والدارمي (٢/ ٢٩٨) كتاب «الرقاق» باب: في حفظ اللسان، وابن حبان (٨/ ٢٣٧) ـ الموارد (٢٥٤٣)، وأخرجه الحاكم (٤/ ٣١٣)، والطبراني (٧/ ٧٨) (٦٣٩٦)، وأبو نعيم في «**الحلية**» (١/ ٦٥)، والخطيب في «**تاريخ بغداد**» (٩/ ٢٣٤) (٤٨٧٧).
وأخرجه ابن حبان (٣/ ٢٢١ ـ ٢٢٢) كتاب «الرقائق» باب الأدعية: ذكر ما يجب على المرء من سؤال الباري تعالى الثبات والاستقامة على ما يقربه إليه بفضل اللَّه علينا بذلك (٩٤٢)، بلفظ: «قل آمنت باللَّه...» الحديث، وأحمد (٣/ ٤١٣).
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وقد روي من غير وجه عن سفيان بن عبد اللَّه الثقفي.

(٢) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٥/ ١٤).

(٣) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٥/ ١٤).

(٤) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٥/ ١٤).

(٥) أخرجه الحاكم في «**المستدرك**» (١/ ٣٥١، ٥٠٠)، وأبو داود (٢/ ٢٠٧) كتاب «الجنائز» باب: في التلقين برقم: (٣١١٦)، وأحمد (٥/ ٢٣٣، ٢٤٧) من حديث معاذ بن جبل. =

وهذا هو الْمُعْتَقَدُ إِن شاء اللَّه، وذلك أَنَّ العصاة من أُمَّةِ محمَّد وغيرها فرقتان: فأَمَّا مَنْ غفر اللَّه له، وترك تعذيبه، فلا محالة أَنَّه مِمَّن/ تتنزَّل عليهم الملائكة بالبشارة، وهو إِنَّما استقام على توحيده فَقَطْ، وأَمَّا مَنْ قَضَى اللَّهُ بِتَعْذِيبِهِ مُدَّةً، ثم [يأمر] بإِدخاله الجَنَّةَ، فلا محالة أَنَّه يلقَىٰ جميعَ ذلك عند مَوْتِهِ وَيَعْلَمُهُ، وليس يَصِحُّ أَنْ تكون حاله كحالة الكافر واليائِسِ مِنْ رحمة اللَّه، وإِذا كان هذا فقَدْ حَصَلَتْ له بشارة بأَلاَّ يخافَ الخُلُودَ، ولا يحزنَ منه، ويدخلَ فيمن يقال لهم: ﴿أبشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾ ومع هذا كله فلا يختلف في أَنَّ المُوَحِّدَ المستقيمَ عَلَى الطَّاعَةِ أَتَمُّ حالاً وأكمل بشارةً، وهو مقصد أمير المؤمنين عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ، وبالجملة، فكُلَّما كان المرءُ أَشَدَّ ٱستعداداً، كان أَسْرَعَ فوزاً بفَضْلِ اللَّه تعالَىٰ؛ قال الثعلبيُّ: قوله تعالى: ﴿تتنزل عليهم الملائكة﴾ أي: عند الموت ﴿ألاَّ تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا﴾ قال وَكِيعٌ: والبُشْرَىٰ في ثلاثة مَوَاطِنَ: عند الموت، وفي القبر، وعند البعث، وفي البخاريِّ: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ المَلاَئِكَةُ﴾ أي: عند الموت[1]، انتهى، قال ابن العربيِّ في «أحكامه»[2]: ﴿تتنزل عليهم الملائكة﴾ قال المُفَسِّرُونَ: عند الموت، وأنا أقول: كُلَّ يَوْمٍ، وأَوْكَدُ الأيام: يومُ الموت، وحينَ القَبْرِ، ويَوْمُ الفزع الأكبر، وفي ذلك آثار بَيَّنَّاها في موضعها، انتهى، قال * ع[3] *: قوله تعالى: ﴿أن لا تخافوا ولا تحزنوا﴾: أَمَنَةٌ عامَّةٌ في كُلِّ هَمٍّ مستأنفٍ، وتسليةٌ تَامَّةٌ عن كُلِّ فَائِتٍ مَاضٍ، وقال مجاهدٌ: المعنَىٰ: لا تخافُونَ ما تَقْدُمُونَ عليه، ولا تحزنوا عَلَىٰ ما خلَّفتم من دنياكم.

٢٨أ

= قال الحاكم (١/ ٣٥١): هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وقد كنت أمليت حكاية أبي زرعة وآخر كلامه كان سياقه هذا الحديث.

قال ابن حجر في «تلخيص الحبير» (٢/ ٢١١) كتاب «الجنائز»، أعله ابن القطان بصالح بن أبي عريب، وأنه لا يعرف، وتعقب بأنه روى عنه جماعة، وذكره ابن حبان في «الثقات».

وفي الباب من حديث أبي هريرة: أخرجه ابن حبان (٢/ ٤٦٣) ـ الموارد (٩١٧) نحوه، وابن حبان (٧/ ٢٧٢) كتاب «الجنائز» باب: فصل في المحتضر، ذكر العلة التي من أجلها أمر بهذا الأمر (٣٠٠٤)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٣/ ٣٨٧) كتاب «الجنائز» باب: تلقنة المريض (٦٠٤٥) نحوه.

وأخرجه مختصراً: مسلم (٢/ ٦٣١) كتاب «الجنائز» باب: تلقين الموتى لا إله إلاَّ اللَّه (٢/ ٩١٧)، وأبو يعلى (١١/ ٤٤) (٣٤٤/ ٦١٨٤)، وابن ماجه (١/ ٤٦٤) كتاب «الجنائز» باب: ما جاء في تلقين الميت لا إله إلاّ اللَّه (١٤٤٤)، والبيهقي (٣/ ٣٨٣) كتاب «الجنائز» باب: ما يستحب من تلقين الميت إذا حضر، وابن الجارود في «المنتقى» (١٣٦)، (٥١٣).

(١) ينظر: «صحيح البخاري» (٨/ ٤١٨) كتاب «التفسير» باب: سورة حم السجدة.

(٢) ينظر: «الأحكام» (٤/ ١٦٦١).

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ١٥).

* ت *: وذكر أبو نُعَيْم عن ثابتٍ البُنَانيِّ أَنَّه **قرأ**: حم السجدةِ حَتَّىٰ بلغ: ﴿إن الذين قالوا ربنا اللَّه ثم استقاموا تتنزَّل عليهم/ الملائكة﴾، فوقف، وقال: بلغنا أنَّ العَبْدَ المؤمن حين ٢٨ ب يُبْعَثُ من قبره يتلقَّاه المَلَكَانِ اللَّذانِ كانا معه في الدنيا، فيقولانِ له: لاَ تَخَفْ، ولا تَحْزَنْ، وأبشر بالجنة التي كنت تُوْعَدُ، قال: فَأَمَّنَ اللَّه خوفَه، وأَقَرَّ عينه، الحديث[1]. انتهى. قال ابن المبارك في «**رقائقه**»: سمعتُ سفيانَ يَقُولُ في قوله تعالى: ﴿تتنزل عليهم الملائكة﴾: أي عند الموت ﴿أَلاَّ تخافوا﴾: ما أمامكم ﴿ولا تحزنوا﴾: على ما خلفتم من ضَيْعَاتِكُمْ ﴿وأبشروا بالجَنَّة التي كنتم توعدون﴾ قال: يُبَشَّرُ[2] بثلاث بشاراتٍ: عند الموت، وإذا خرج من القبر، وإذا فَزِعَ، ﴿نَحْنُ أولياؤكم في الحياة الدنيا﴾ قال: كانوا معهم، قال ابن المبارك: وأخبرنا رَجُلٌ عن منصورٍ، عن مجاهدٍ في قوله تعالَىٰ: ﴿نحن أولياؤُكُمْ في الحياة الدنيا﴾ قال: قُرَنَاؤُهُمْ يلقونهم يوم القيامة، فيقولون: لا نفارقُكُمْ حتَّىٰ تدخلوا الجنة، اهـ.

وقوله تعالى: ﴿نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ المتكلم بـ﴿نحن أولياؤكم﴾ هم الملائكة القائلون: ﴿لا تخافوا ولا تحزنوا﴾ أي: يقولون للمؤمنين عند الموت وعند مشاهدة الحق: نحن كُنَّا أولياءَكُمْ في الدنيا، ونحن هُمْ أولياؤكم في الآخرة؛ قال السُّدِّيُّ: المعنى: نحن حَفَظَتُكُم في الدنيا، وأولياؤكم في الآخرة[3]، والضمير في قوله: ﴿فيها﴾ عائدٌ على الآخرة، و﴿تدَّعون﴾ معناه: تَطْلُبُونَ؛ قال الفَخْرُ[4]: ومعنى كونِهِمْ أولياءَ للمؤمنين، إشارةٌ إلى أَنَّ للملائكة تأثيراتٍ في الأرواحِ [البشريَّةِ، بالإلهاماتِ والمُكَاشَفَاتِ اليقينيَّةِ والمناجاتِ الخفيَّةِ؛ كما أَنَّ للشياطينِ تَأْثيراتٍ في الأرواحِ][5] بإلقاء الوسَاوِسِ، وبالجملة، فَكَوْنُ الملائكةِ أولياءَ للأرواح الطَّيِّبَةِ الطاهرةِ، حاصِلٌ من جهاتٍ كثيرةٍ معلومةٍ لأربابِ المكاشفاتِ والمشاهَدَاتِ، فَهُمْ يَقُولُونَ: كما أَنَّ تلك الولاياتِ حاصلةٌ في الدنيا، فهي تكونُ باقيةً في الآخرة؛ فإنَّ تلك العلائِقَ ذاتِيَّةٌ/ لازمة، غير مائلة إلى ٢٩ أ الزوال؛ بل تصير بعد الموت أَقْوَىٰ وأَبقَىٰ؛ وذلك لأَنَّ جوهر النفْسِ من جنس الملائكة، وهي كالشُّعْلَةِ بالنسبة إلى الشمس والقطرة بالنسبة إلى البحر، وإنَّما التَّعَلُّقَاتُ الجَسَدَانِيَّةُ

---

(١) ذكره السيوطي في «**الدر المنثور**» (٥/ ٦٨٣)، وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) في د: يبشرهم.

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ١٠٩) برقم: (٣٠٥٣٨)، وذكره البغوي في «**تفسيره**» (٤/ ١١٤)، وابن عطية (٥/ ١٥).

(٤) ينظر: «**تفسير الفخر الرازي**» (١٤/ ١٠٦).

(٥) سقط في: د.

والتدبيراتُ البدنيَّةُ هي الحائلة بَيْنَهَا وبين الملائكة، فإذا زالَتْ تلك العلائِقُ، فقد زَالَ الْغِطَاءُ، واتَّصَلَ الأثر بالمؤثر، والقطرةُ بالبَحْرِ، والشعلةُ بالشمْسِ، انتهى.

* ت *: وقد نقل الثعلبيُّ من كلام أرباب المعاني هنا كلاماً كثيراً حَسَناً جِدًّا، موقظاً لأربابِ الهِمَم، فانْظُرْهُ إنْ شِئْتَ، وروى ابن المبارك في «**رقائقه**» بسنده عن النبيِّ ﷺ؛ أَنَّهُ قال: «إِذَا فَنِيَتْ أَيَّامُ الدُّنْيَا عَنْ هَذَا الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ، بَعَثَ اللَّهُ إِلَىٰ نَفْسِهِ مَنْ يَتَوَفَّاهَا، قَالَ: فَقَالَ صَاحِبَاهُ اللَّذَانِ يَحْفَظَانِ عَلَيْهِ عَمَلَهُ: إِنَّ هَذَا قَدْ كَانَ لَنَا أَخاً وَصَاحِباً، وَقَدْ حَانَ الْيَوْمَ مِنْهُ فِرَاقٌ، فَأْذَنُوا لَنَا، أَوْ قَالَ: دَعُونَا نُثْنِ عَلَىٰ أَخِينَا، فَيُقَالُ: أَثْنِيَا عَلَيْهِ، فَيَقُولاَنِ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْراً، وَرَضِيَ عَنْكَ، وَغَفَرَ لَكَ، وأَدْخَلَكَ الجَنَّةَ؛ فَنِعْمَ الأَخُ كُنْتَ والصَّاحِبُ؛ مَا كَانَ أَيْسَرَ مُؤْنَتَكَ، وَأَحْسَنَ مَعُونَتَكَ عَلَىٰ نَفْسِكَ، مَا كَانَتْ خَطَايَاكَ تَمنَعُنَا أَنْ نَصْعَدَ إِلَىٰ رَبِّنَا، فَنُسَبِّحَ بِحَمْدِهِ، وَنُقَدِّسَ لَهُ، وَنَسْجُدَ لَهُ، وَيَقُولُ الَّذِي يَتَوَفَّىٰ نَفْسَهُ: اخْرُجْ أَيُّهَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ إِلَىٰ خَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ، فَنِعْمَ مَا قَدَّمْتَ لِنَفْسِكَ، اخْرُجْ إِلَى الرَّوْحِ وَالرَّيْحَانِ وَجَنَّاتِ النَّعِيمِ وَرَبٌّ عَلَيْكَ غَيْرِ غَضْبَانَ، ، وَإِذَا فَنِيَتْ أَيَّامُ الدُّنْيَا عَنِ الْعَبْدِ الْكَافِرِ، بَعَثَ اللَّهُ إِلَىٰ نَفْسِهِ مَنْ يَتَوَفَّاهَا، فَيَقُولُ صَاحِبَاهُ اللَّذَانِ كَانَا يَحْفَظَانِ عَلَيْهِ عَمَلَهُ: إِنَّ هَذَا قَدْ كَانَ لَنَا صَاحِباً، وَقَدْ حَانَ مِنْهُ فِرَاقٌ/ ، فَأْذَنُوا لَنَا، وَدَعُونَا نُثْنِ عَلَىٰ صَاحِبِنَا، فَيُقَالُ: أَثْنِيَا عَلَيْهِ فَيَقُولاَنِ: لَعْنَةُ اللَّهِ وَغَضَبُهُ عَلَيْهِ، وَلاَ غَفَرَ لَهُ، وَأَدْخَلَهُ النَّارَ فَبِئْسَ الصَّاحِبُ؛ مَا كَانَ أَشَدَّ مُؤْنَتَهُ، وَمَا كَانَ يُعِينُ عَلَىٰ نَفْسِهِ؛ إِنْ كَانَتْ خَطَايَاهُ وَذُنُوبُهُ لَتَمْنَعُنَا أَنْ نَصْعَدَ إِلَىٰ رَبِّنَا فَنُسَبِّحَ لَهُ، وَنُقَدِّسَ لَهُ، وَنَسْجُدَ لَهُ، وَيَقُولُ الَّذِي يَتَوَفَّىٰ نَفْسَهُ: اخْرُجْ أَيُّهَا الرُّوحُ الخَبِيثُ إِلَىٰ شَرِّ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ، فَبِئْسَ مَا قَدَّمْتَ لِنَفْسِكَ، اخْرُجْ إِلَى الحَمِيمِ وَتَصْلِيَةِ الجَحِيمِ وَرَبٌّ عَلَيْكَ غَضْبَانٌ»[1]، انتهى.

٢٩ ب

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى اللَّه. . .﴾ الآية ابتداءُ توصيةٍ لنبيِّه ـ عليه السلام ـ، وهو لفظ يَعُمُّ كلَّ مَنْ دعا قديماً وحديثاً إلى اللَّه عزَّ وجلَّ من الأنبياء والمؤمنين، والمعنى: لا أَحَدَ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ هذه حالُهُ، وإلى العمومِ ذهب الحسن

(١) أخرجه نعيم بن حماد في «**زوائد الزهد**» (٤٠ ـ ٤١) باب: ما يبشر به الميت عند الموت، وثناء الملكين عليه.

ومقاتلٌ وجماعةٌ[١]، وقيل: إنَّ الآية نزلَتْ في المُؤَذِّنينَ، وهذا ضعيفٌ؛ لأنَّ الآية مَكِّيَّةٌ، والأذانُ شُرِعَ بالمدينةِ، قال أبو حَيّان[٢]: ﴿ولا السيئة﴾ «لا» زائدة للتوكيدِ، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿ادفع بالتي هي أحسن﴾ آية جَمَعَتْ مكارمَ الأخلاقِ وأنواعَ الحِلْم، والمعنى: ٱدْفَعْ ما يعرض لك مع الناس في مخالطتهم بالفعلة أو بالسيرة التي هي أَحْسَنُ، قال ابن عبَّاس: أمره اللَّه تعالَىٰ في هذه الآية بالصَّبْر عند الغَضَبِ، وَالحِلْم عند الجَهْل، والعَفْوِ عِنْدَ الإِسَاءَةِ، فإذا فعل المؤمنُونَ ذلك، عَصَمَهُمُ اللَّه من الشيطانَ، وخضع لهم عَدُوُّهم، ﴿كأنه ولي حميم﴾[٣] البخاريُّ: «وليٌّ حميم» أي: قريب، انتهى،، وفسَّر مجاهدٌ وعطاءٌ هذه الآية بالسَّلاَمِ عند اللِّقاء[٤]، قال * ع[٥] *: ولا شَكَّ أنَّ السلام هو مبدأُ الدَّفعِ بالتي هي أحسن، وهو جزء منه، والضمير في قوله: ﴿يلقاها﴾ عائد على هذه الخُلُقِ التي يقتضيها قوله: ﴿ادفع بالتي هي أحسن﴾، وقالت فرقة:/ المراد: وما يُلَقَّى «لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ»، وهذا تفسير لا يقتضيه اللفظ. ١٣٠أ

وقوله سبحانه: ﴿إلا الذين صبروا﴾: مدح بليغ للصابرين، وذلك بَيِّنٌ للمتأَمِّلِ؛ لأنَّ الصَّبْرَ على الطاعات وعنِ الشهوات جامع لخصَالِ الْخَيْر كلِّها، والحظُّ العظيمُ: يَحْتَمِلُ أن يريد من العقل والفضلِ؛ فتكونَ الآية مدحاً لِلْمُتَّصِفِ بذلك، ويحتمل أن يريد: ذو حظ عظيم من الجنة وثواب الآخرة، فتكونَ الآية وعداً، وبالجنة فسر قتادةُ الحَظَّ هنا[٦].

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ١٠٩ ـ ١١٠) برقم: (٣٠٥٣٩) عن الحسن، و (٣٠٥٤٠) عن قتادة بنحوه، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ١١٤) عن الحسن، وابن عطية (٥/ ١٥).

(٢) ينظر: «البحر المحيط» (٧/ ٤٧٦).

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ١١١) برقم: (٣٠٥٤٤)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ١١٥)، وابن عطية في «تفسيره» (٥/ ١٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٨٥)، وعزاه إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ١١١) برقم: (٣٠٥٤٥ ـ ٣٠٥٤٦)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٨٥)، وعزاه إلى عبد الرزاق، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٥) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ١٦).

(٦) أخرجه الطبري (١١/ ١١٢) برقم: (٣٠٥٤٩)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ١١٥)، وابن عطية (٥/ ١٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٨٥)، وعزاه إلى عبد الرزاق، وعبد بن حميد.

يَسْتَمُونَ ۝٣٨ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٣٩ ﴾

وقوله تعالى: ﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ باللَّه﴾ «إمَّا»: شرطٌ وجوابُ الشرطِ قوله: ﴿فاستعذ﴾ والنَّزْغُ: فِعْلُ الشيطانِ في قَلْبٍ أو يدٍ من إلقاءِ غَضَبٍ، أو حقدٍ، أو بطشٍ في اليد.

فمن الغضب هذه الآية، ومن الحقد قوله: ﴿نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْني وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ [يوسف: ١٠٠]، ومن البَطْشِ قولُ النَّبيِّ ﷺ: «لاَ يُشِرْ أَحَدُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ بِالسِّلاَحِ؛ لاَ يَنْزَغُ الشَّيْطَانُ في يَدِهِ فَيُلْقِيَهُ في حُفْرَةٍ مِنْ حُفَرِ النَّارِ»[1]. ومن دعاء الشيخ الوليِّ العارف باللَّه سبحانه، محمَّد بن مَسَرَّة القُرْطُبِيِّ: اللَّهُمَّ، لاَ تَجْعَلْ صدري للشيطان مَرَاغاً، ولا تُصَيِّرْ قلبي له مجالاً، ولا تَجْعَلْنِي، مِمَّنِ استفزَّهُ بصوته، وأجلب عليه بخيله ورَجْلِهِ، وكُنْ لي من حبائله مُنْجِياً، ومن مصائده مُنْقِذاً، ومن غَوَايَتِهِ مُبْعِداً، اللهم إنَّه وَسْوَسَ في القلب، وألقى في النَّفْس ما لا يطيقُ اللِسانُ ذِكْرَهُ، ولا تستطيعُ النَّفْس نشره مِمَّا نَزَّهَك عنه عُلُوُّ عِزِّكَ، وسُمُوُّ مجدك، فَأَزِلْ يا سيِّدِي ما سَطَرَ، وٱمْحُ ما زَوَّرَ بوَابِلٍ من سحائِبِ عَظَمَتِكَ وطُوفَانٍ مِنْ بِحَارِ نُصْرَتِكَ، وٱسْلُلْ عليه سيفَ إبعادك، وٱرْشُقْهُ بسهام إقصائِكَ، وأحرِقْهُ بنار ٣٠ ب /ٱنتقامِكَ، واجعل خَلاَصِي منه زائداً في حُزْنِهِ، وَمُؤَكِّداً لأسفه، ثم قال رحمه اللَّه: اعلم أَنَّه ربما كان العبد في خَلْوَتِهِ مشتغلاً بتلاوته، ويجدُ في نفسه من الوسوسة ما يحولُ بينه وبين رَبِّه، حتى لا يَجِدَ لطعم الذِّكْرِ حلاوةً، ويجدَ في قلبه قساوةً، وربما اعتراه ذلك مع الاجتهاد في قراءته؛ وعِلَّةُ ذلكَ أَنَّ الذِّكْرَ ذِكْرَانِ: ذكرُ خَوْفٍ ورهبةٍ، وذكْرُ أَمْنٍ وغفلةٍ، فإذا كان [الذِّكْرُ بالخَوْفِ والرهبة، خَنَسَ الشيطانُ، ولم يحتملِ الحَمْلَةَ، وأذهب الوسوسة؛ لأنَّ الذكر إذا كان][2] باجتماع القلب وصِدْقِ النية، لم يكُنْ للشيطانِ قُوَّةٌ عند ذلك، وانقطعَتْ علائقُ حِيَلِهِ؛ وإنَّما قُوَّتُهُ ووسوستُهُ مع الغَفْلَة، وإذا كان [الذِّكْرُ بالأَمْنِ والغَفْلَةِ لَمْ تفارقْهُ الوَسْوَسَةُ، وإنِ ٱستدام العَبْدُ الذِّكْرَ والقراءةَ؛ لأَنَّ على قلب الغافلِ غشاوةً؛ ولا يجد][3] صاحبها لطعم الذكْرِ حلاوةً، فَتَحَفَّظْ على دينك من هذا العَدُوِّ، وليس لك أن تزيله عن

---

(١) أخرجه البخاري (١٣/ ٢٦) كتاب «الفتن» باب: قول النبي ﷺ: «من حمل علينا السلاح فليس منا» (٧٠٧٢)، ومسلم (٤/ ٢٠٢٠) كتاب «البر والصلة والآداب» باب: النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم (١٦/ ٢٦١٧)، وأحمد (٢/ ٣١٧).

(٢) سقط في: د.

(٣) سقط في: د.

مرتبته، ولا أَنْ تزيحَهُ عن وطنه، وإنما أُبيحَ لك مجاهدته، فاستعنْ باللَّه يُعِنْك، وثِقْ باللَّه؛ فإنَّهُ لا يَخْذُلُكَ؛ قال تعالَىٰ: ﴿والَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا، وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، انتهى من تصنيفه ـ رحمه اللَّه ـ.

وندب سبحانه في الآية المتقدمة إلى الأخذ بمكارم الأخلاق، ووعد على ذلك، وعَلِمَ سبحانه أَنَّ خِلْقَةَ البشر تغلب أحياناً وتَثُورُ بِهِمْ سَوْرَةُ الغضب ونَزْغُ الشيطان؛ فَدَلَّهُمْ في هذه الآية على ما يُذْهِبُ ذلك، وهي الاستعاذة به عزَّ وجلَّ، ثم عَدَّدَ سبحانه آياته؛ ليعتبر فيها، فقال: ﴿ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر﴾، ثم قال تعالى: ﴿لا تسجدوا للشمس ولا للقمر﴾: وإنْ كانت لكم فيهما منافع؛ لأَنَّ النفع منهما إنَّما هو بتسخير اللَّهِ إيَّاهما، فهو الذي ينبغي أَنْ يُسْجَدَ له، والضمير في ﴿خلقهن﴾ قيل: هو عائد على الآيات المتقدم ذكرُهَا، وقيل: عائد على الشمس والقمر، والاثنان جمع، وأيضاً جمع ما لاَ يَعْقِلُ يُؤَنَّثُ/، فلذلك قال: ﴿خلقهن﴾ ومن حيث يقال: شُمُوسٌ وأقمار؛ لاِختلافهما بالأَيَّامِ ساغ أنْ يعود الضميرُ مجموعاً، وقيل: هو عائد على الأربعة المذكورة. ٣١أ

* ت *: ومن كتاب «**المستغيثين باللَّه**» لأبي القاسم بن بَشْكَوَال حَدَّثَ بسنده إلى أَنس بن مالك، قال: تقرأ «حم السجدة»، وتَسْجُدُ عند السجدة، وتَدْعُو؛ فإنَّه يُسْتَجَابُ لك، قال الراوي: وَجَرَّبْتُهُ فوجدته مُسْتَجاباً، انتهى،، ثم خاطب جل وعلا نَبِيَّهُ ـ عليه السلام ـ بما يتضمَّن وعيدهم وحقارَة أمرهم، وأَنَّهُ سبحانه غَنِيٌّ عن عبادتهم بقوله: ﴿فإن استكبروا...﴾ الآية، وقوله: ﴿فالذين﴾ يعني بهم الملائكة هم صَافُّونَ يسبحون، و﴿عند﴾ هنا ليست بظرف مكان؛ وإنَّما هي بمعنى المنزلة والقربةِ؛ [كما تقول: زَيْدٌ عنْدَ الْمَلِكِ جليلٌ، ويُرْوَىٰ أَنَّ تَسبيحَ الملائكة قد صار لهم كالنَّفْسِ لبني آدم، ﴿ولا يسئمون﴾ معناه: لا][1] يَملُّون، ثم ذكر تعالى آيةً منصوبةً؛ ليعتبر بها في أمر البعث من القبور، ويستدِلَّ بما شُوهِدَ من هذه علَىٰ ما لم يُشَاهَدْ، فقال: ﴿ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة ...﴾ الآية، وخشوع الأرض هو ما يظهر عليها من استكانة وشَعَثٍ بالجَدْبِ، فهي عابسةٌ كما الخاشِعُ عَابِسٌ يكاد يَبْكِي، واهتزازُ الأرض: هو تَخَلْخُلُ أَجْزَائِهَا وَتَشَقُّقُهَا للنبات، ورُبُوُّهَا: هو انتفاخها بالماء وعُلُوُّ سطحِها به، وعبارة البخاريِّ: اهتزت بالنبات، ورَبَت: ارتفعَت اهـ، ثم ذكر تعالَىٰ بالأمر الذي ينبغي أنْ يُقَاسَ على هذه الآية، والعبرة، وذلك إحياء الموتى، فقال: ﴿إن الذي أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير﴾ والشيء في اللغة: الموجود.

---

(١) سقط في: د.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿إن الذين يلحدون في ءاياتنا لا يخفون علينا...﴾ الآية، آيةُ وعيدٍ، والإلحاد: المَيْلُ، وهو هنا ميل عن الحَقِّ؛/ ومنه لَحْدُ المَيِّتِ؛ لأنَّه في جانب، يقال: لَحَدَ الرَّجُلُ، وألحد بمَعْنًى. ٣١ ب

واخْتُلِفَ في إلحادهم هذا: ما هو؟ فقال قتادة وغيره: هو إلحاد بالتكذيب[١]، وقال مجاهد وغيره[٢]: هو بالمُكَاءِ والصفير واللغو الذي ذهبوا إليه، وقال ابن عباس: إلحادهم: وَضْعُهُمْ للكَلاَمِ غَيْرَ موضعه، ولفظة[٣] الإلحاد تَعُمُّ هذا كُلَّه، وباقي الآية بَيِّنٌ.

وقوله تعالى: ﴿اعملوا ما شئتم﴾ وعيدٌ في صيغة الأمر؛ بإجماع من أهل العلم.

وقوله تعالى: ﴿إن الذين كفروا بالذكر...﴾ الآية: يريد بـ﴿الذين كفروا﴾ قريشاً، و﴿الذكر﴾: القرآن؛ بإجماع.

واختُلِفَ في الخبر عنهم: أين هو؟ فقالت فرقة: هو في قوله: ﴿أولئك ينادون من مكان بعيد﴾ [فصلت: ٤٤]، ورُدَّ بكثرة الحائل، وأنَّ هنالك قوماً قد ذكروا بحسن رد قوله: «أولئك ينادون عليهم»، وقالت فرقة: الخبر مُضمَرٌ، تقديره: إنَّ الذين كفروا بالذكر لما جاءهم، هَلَكُوا أو ضَلُّوا، وقيل: الخبر في قوله: ﴿وإنه لكتاب عزيز﴾ وهذا ضعيف لا يتجه، وقال عمرو بن عُبَيْدٍ: معناه في التفسير: إنَّ الذين كفروا بالذِّكْرِ لما جاءهم كفروا به، وإنه لكتاب عزيز؛ قال * ع[٤] *: والذي يَحْسُنُ في هذا هو إضمار الخبر، ولكِنَّهُ عند قوم في غير هذا الموضع الذي قدَّره هؤلاء فيه؛ وإنَّما هو بعد ﴿حكِيم حميد﴾، وهو أَشَدُّ

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ١١٥) برقم: (٣٠٥٦٢)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ١١٦)، وابن عطية (٥/ ١٨)، وابن كثير (٤/ ١٠٢)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٨٨)، وعزاه إلى عبد الرزاق، وعبد بن حميد.

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ١١٥) برقم: (٣٠٥٦١)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ١١٦)، وابن عطية (٥/ ١٨).

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ١١٥) برقم: (٣٠٥٦٥)، وابن عطية (٥/ ١٨)، وابن كثير (٤/ ١٠٢)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٨٧)، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (٧/ ١٩).

إظهاراً لِمَذَمَّةِ الكُفَّارِ به؛ وذلك لأَنَّ قوله: ﴿وإنه لكتاب﴾ داخل في صفة الذكر المُكَذَّبِ بِهِ؛ فلم يتم ذكر المُخْبَر عنه إلاَّ بعد استيفاء وصفِهِ، ووصفَ اللَّه تعالى الكتابَ بالعِزَّةِ؛ لأنه بصحة معانيه مُمْتَنِعٌ الطَّعْنُ فيه والإزراء عليه، وهو محفوظ من اللَّه تعالى؛ قال ابن عباس: معناه: كريمٌ على اللَّه تعالى[1].

وقوله تعالى: ﴿لا يأتيه/ الباطل﴾ قال قتادة والسُّدِّيُّ: يريد: الشيطان[2]، وظاهر ١٣٢أ اللفظَ يَعُمُّ الشيطان، وأنْ يجيء أمْرٌ يُبْطِلُ منه شَيْئاً.

وقوله: ﴿من بين يديه﴾ معناه: ليس فيما تقدم من الكتب ما يُبْطِلُ شَيْئاً منه.

وقوله: ﴿ولا من خلفه﴾ أي: ليس يأتي بعده من نَظَرِ ناظر وفِكْرَةِ عاقل ما يبطل شيئاً منه، والمراد باللفظة عل الجملة: لا يأتيه الباطل من جهة من الجهات.

وقوله: ﴿تنزيل﴾ خبر مبتدإٍ، أي: هو تنزيلٌ.

وقوله تعالى: ﴿ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك﴾: يحتمل معنيين:

أحدهما: أنْ يكون تسليةً للنَّبِيِّ ﷺ عن مقالات، قومه وما يلقَاهُ من المكروه منهم.

والثاني: أنْ يكون المعنَىٰ: ما يقال لك من الوحي، وتُخَاطَبُ به من جهة اللَّه تعالى إلاَّ ما قد قيل للرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿ولو جعلناه قرآناً أعجمياً...﴾ الآية، الأَعْجَمِيُّ: هو الذي لا يفصح، عربيًّا كان أو غير عربيٍّ، والعَجَمِيُّ: الذي ليس من العرب، فصيحاً كان أو غيرَ فصيحٍ، والمعنى: ولو جعلنا هذا القرآن أعجمِيًّا، لا يبين لقالوا واعترضوا: لولا بينت

---

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (٤/١١٦)، وابن عطية (٥/١٩).

(٢) أخرجه الطبري (١١/١١٧) برقم: (٣٠٥٧١ ـ ٣٠٥٧٢)، وذكره البغوي (٤/١١٦)، وابن عطية (٥/١٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/٦٨٩)، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن الضريس.

آياته، وهذه الآية نزلت بسبب تخليطٍ كان من قريش في أقوالهم من أجل حروف وقعت في القرآن، وهي مِمَّا عُرِّبَ من كلام العجم؛ كسِجِّينٍ وإِسْتَبْرَق ونحوه، **وقرأ** الجمهور: ﴿ءأعجمي وعربي﴾ على الاستفهام وهمزة ممدودة قبل الألف، وقَرَأَ حمزةُ والكسائيُّ وحَفْصٌ: «أَأَعْجَمِيٌّ» بهمزتين[1]، وكأنهم يُنْكِرُونَ ذلك، ويقولون: أأعجمي وعربي مُخْتَلِطٌ؟ هذا لا يحسن [ثم قال تعالى][2]: ﴿قل هو﴾ يعني القرآن ﴿للذين آمنوا هدى وشفاء﴾ واختلف الناس في قوله: ﴿وهو عليهم/ عمى﴾ فقالت فرقة: يريد بـ«هو» القرآن، وقالت فرقة يريد بـ«هو» الوَقْرَ، وهذه كلُّها استعاراتٌ، والمعنى: أَنَّهم كالأعمى وصاحب الوقر؛ وهو الثِّقْلُ في الأذن، المانِعُ من السمع؛ وكذلك قوله تعالى: ﴿أولئك ينادون من مكان بعيد﴾ يحتمل معنيين، وكلاهما مَقُولٌ للمفسِّرين: ٣٢ ب

أحدهما: أنَّها استعارة لِقِلَّة فِهمهم، شَبَّهَهُمْ بالرجل ينادَىٰ على بُعْدٍ، يَسْمَعُ منه الصوت، ولا يفهمُ تفاصيلَهُ ولا معانيه، وهذا تأويلُ مجاهد[3].

والآخر: أنَّ الكلام على الحقيقة، وأَنَّ معناه: أَنَّهم يوم القيامة يُنَادَوْنَ بكفرهم وقبيح أعمالهم من بعد؛ حتى يَسْمَعَ ذلك أهلُ الموقف؛ ليُفْضَحُوا على رؤوس الخلائق، ويكونَ أعظمَ لتوبيخهم؛ وهذا تأويل الضَّحَّاكِ[4].

قال أبو حَيَّان[5]: ﴿عمًى﴾ - بفتح الميم - مصدر عَمِيَ، انتهى.

ثم ضرب اللَّه تعالى أمر موسَىٰ مثلاً للنبي - عليه السلام - ولقريش، أي: فَعَلَ أولئك كأفعال هؤلاء، حين جاءهم مِثْلُ ما جاء هؤلاءِ، والكلمةُ السابقةُ هي حَتْمُ اللَّهِ تعالى بتأخير عذابهم إلى يوم القيامة، والضمير في قوله: ﴿لفي شكٍّ منه﴾ يحتمل أنْ يعودَ على موسى، أو على كتابه.

وقوله تعالى: ﴿من عمل صالحاً فلنفسه...﴾ الآية: نصيحةٌ بليغةٌ لِلْعَالَمِ، وتحذيرٌ وترجيَةٌ.

---

(١) بل قراءة عاصم بالهمزتين، إنما هي من رواية أبي بكر عنه، لامن رواية حفص، وقرأ الأخير بالمد كقراءة الباقين.
ينظر: «السبعة» (٥٧٦)، و«الحجة» (٦/ ١١٩)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٢٧٨)، و«معاني القراءات» (٢/ ٣٥٢)، و«العنوان» (١٦٩)، و«حجة القراءات» (٦٣٧)، و«إتحاف» (٢/ ٤٤٤).

(٢) سقط في: د.

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ١٢٠) برقم: (٣٠٥٨٧)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢١)، وابن كثير (٤/ ١٠٣).

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ١٢٠) برقم: (٣٠٥٩٠)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢١).

(٥) ينظر: «البحر المحيط» (٧/ ٤٨١).

﴿۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿إليه يرد علم الساعة...﴾ الآية، المعنى: إنَّ علم الساعة ووقتَ مجيئها يَرُدُّهُ كُلُّ مؤمِنٍ متكلِّم فيه إلى اللَّه عز وجل.

وقوله تعالى: ﴿ويوم يناديهم أين شركائي...﴾ الآية، التقدير: واذكر يوم يناديهم، والضمير في ﴿يناديهم﴾ الأظهر والأسبق فيه للفهم: أنَّه يريد الكفارَ عَبَدَةَ الأوثان، ويحتمل أنْ يريد كُلَّ مَنْ عُبِدَ من دون اللَّه من إنسانٍ وغَيْرِهِ، وفي هذا ضَعْفٌ، وأمَّا الضمير/ في ١٣٣أ قوله: ﴿وضلَّ عنهم﴾ فلا احتمالَ لِعَوْدَتِهِ إلاَّ على الكفار، و﴿ءاذنَّاك﴾ قال ابن عباس وغيره: معناه: أعلمناك ما مِنَّا مَنْ يشهدُ، ولا مَنْ شَهِدَ بأنَّ لك شريكاً ﴿وضل عنهم﴾ أي: نَسُوا ما كانوا يقولُونَ في الدنيا، ويَدْعُونَ من الآلهة والأصنام، ويحتمل أن يريد: وضَلَّ عنهم الأصنام، أي: تلفت، فلم يجدوا منها نَصْراً، وتلاشَىٰ لهم أمْرُهَا.

وقوله: ﴿وظنوا﴾ يحتمل أنْ يكونَ متَّصِلاً بما قبله، ويكون الوقْفُ عليه، ويكون قوله: ﴿ما لهم مِنْ محيص﴾ استئنافاً، نفَى أنْ يكُونَ لهم مَلْجأ أو موضِعَ رَوَغَانٍ، تقول: حَاصَ الرَّجُلُ: إِذَا رَاغَ لِطَلَبِ النجاةِ مِنْ شَيْءٍ؛ ومنه الحديثُ: «فَحاصُوا حَيْصَةَ حُمُرِ الْوَحْشِ إِلَى الأَبْوَابِ»(١)، ويكونَ الظَّنُّ على هذا التأويل على بابه، أي: ظَنُّوا أنَّ هذه المقالة ﴿ما مِنَّا من شهيد﴾ مَنْجَاةٌ لهم، أو أمر يموِّهون به، ويحتمل أنْ يكون الوقف في قوله: ﴿من قبل﴾، ويكون ﴿وظنوا﴾ متصلاً بقوله: ﴿ما لهم من محيص﴾ أي: ظنوا ذلك، ويكون الظن على هذا التأويل بمعنى اليقين، وقد تقدَّم البحثُ في إطلاق الظن على اليقين.

* ت *: وهذا التأويلُ هو الظاهرُ، والأوَّلُ بعيدٌ جدًّا.

وقوله تعالى: ﴿لا يسأم الإنسان من دعاء الخير﴾ هذه آياتٌ نزلَتْ في كُفَّارٍ، قيل: في

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٤٢ ـ ٤٣ ـ ٤٤) كتاب «بدء الوحي» باب: (٦) (٧)، (٨/ ٦٢ ـ ٦٣)، كتاب «التفسير» باب: ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا اللَّه﴾ (٤٥٥٣).

الوليد بن المُغِيرَةِ، وقيل: في عُتْبَةَ بنِ رَبِيعَةَ، وجُلُّ الآية يُعْطِي أَنَّها نزلَتْ في كُفَّارٍ، وإِنْ كان أَوَّلُها يتضمن خُلُقاً ربما شارك فيها بَعْضُ المؤمنين.

و﴿دعاء الخير﴾ إضافته إضافة المصدر إلى المفعول، وفي مصحف ابن مسعود[1]: «مِنْ دُعَاءٍ بالْخَيْرِ» والخيرُ في هذه الآية المالُ والصحَّةُ، وبذلك تليق الآية بالكفَّار.

٣٣ ب وقوله تعالى: ﴿ليقولن هذا لي﴾ أي: بعملي وبما سعيت/ ولا يرى أَنَّ النِّعَمَ إِنَّما هي فَضْلٌ من اللَّهِ تعالَىٰ؛ قال * ص *: ﴿ليقولن﴾ قال أبو البقاءِ: هو جَوَابُ الشَّرْطِ، والفاء محذوفةٌ، وقيل: هو جوابُ قَسَمٍ محذوفٍ، قال * ص *: قُلْتُ: هذا هو الحَقُّ، والأَوَّلُ غلَطٌ؛ لأَنَّ القَسَمَ قد تقدَّم في قَوله: ﴿ولئن﴾ فالجواب له، ولأَنَّ حذف الفاء في الجواب لا يجوزُ، انتهى، وفي تغليط الصَّفَاقُسِيِّ لأبي البقاء نظر.

وقوله: ﴿وما أظن الساعة قائمة﴾ قولٌ بَيِّنٌ فيه الجَحْدُ والكُفْر، ثم يقول هذا الكافر: ﴿ولئن رجعت إلى ربي﴾: كما تقولُونَ: «إِن لي عنده للحسنى» أي: حالاً ترضيني من مال، وبنين، وغيرِ ذلك، قال * ع[2] *: والأمانيُّ على اللَّه تعالى، وتركُ الجِدِّ في الطاعةِ مذمومٌ لكُلِّ أحد؛ فقد قال عليه السلام: «الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لَمَا بَعْدَ المَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنِ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّىٰ عَلَى اللَّهِ»[3].

﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ ﴿٥١﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرۡتُم بِهِۦ مَنۡ أَضَلُّ مِمَّنۡ هُوَ فِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمۡ فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمۡۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ ﴿٥٤﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأىٰ بجانبه...﴾ الآية، ذَكَرَ سبحانه الخُلُقَ الذميمة من الإنسان جملةً، وهي في الكافر بَيِّنَةٌ متمكِّنة، وأَمَّا المُؤْمِنُ، ففي الأغلب يَشْكُرُ على النعمة، وكثيراً ما يصبر عند الشدة، و﴿نَأَىٰ﴾ معناه: بَعُدَ ولم يَمِلْ إِلَىٰ شُكْر ولا طَاعَةٍ.

وقوله: ﴿فذو دعاءٍ عريضٍ﴾ أي: وطويلٍ أيضاً، وعبارةُ الثعلبيِّ: ﴿عريض﴾ أي:

---

(١) ينظر: «مختصر الشواذ» ص: (١٣٥)، و«الكشاف» (٤/ ٢٠٥)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٢٢)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤٨٢)، و«الدر المصون» (٦/ ٧١).

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٢).

(٣) تقدم.

كثير، والعربُ تستعملُ الطُّولَ والعَرْضَ كليهما في الكَثرة من الكلام، انتهى.

ثم أمر تعالى نبيَّهُ أنْ يوقِّف قريشاً على هذا الاحتجاج، وموضع تغريرهم بأنفسِهم، فقال: ﴿قل أرأيتم إن كان من عند اللَّه﴾، وخالفتموه ألستم على هلكة؟ فمن أَضَلُّ مِمَّنْ يبقى عَلَىٰ مِثْلِ هذا الغَرَرِ مَعَ اللَّهِ؛ وهذا هو الشِّقَاقُ؛ ثم وعد تعالى/ نَبِيَّهُ ـ عليه السلام ـ ٣٤أ بأَنَّهُ سَيُرِي الكُفَّارَ آياته، واخْتُلِفَ في معنى قوله سبحانه: ﴿في الآفاق وفي أنفسهم﴾ فقال المِنْهَالُ والسُّدِّيُّ وجماعةٌ: هو وَعْدٌ بما يفتحه اللَّه علَىٰ رسوله من الأقطارِ حَوْلَ مَكَّةَ، وفي غيرِ ذَلِكَ مِنَ الأَرْضِ؛ كخَيْبَرَ ونحوها ﴿وفي أنفسهم﴾: أراد به فَتْحَ مَكَّةَ[1]؛ قال * ع[2] *: وهذا تأويلٌ حَسَنٌ، يتضمَّن الإعلام بِغَيْبٍ ظَهَرَ بَعْدَ ذلك، وقال قتادةُ والضَّحَّاكُ ﴿سنريهم آياتِنَا في الآفاق﴾: هو ما أصاب الأُمَمَ المُكَذِّبَةَ في أقطار الأرض قديماً[3]، ﴿وفي أنفسهم﴾: يوم بدر، والتأويلُ الأَوَّلُ أرْجَحُ، واللَّه أعلم، والضمير في قوله تعالى: ﴿أنه الحق﴾ عائد على الشرع والقرآن فبإظهار اللَّهِ نَبِيَّهُ وفتحِ البلاد عليه يتبيَّن لهم أَنَّه الحَقُّ.

وقوله: ﴿بربك﴾ قال أبو حَيَّان[4]: الباء زائدة، وهو فاعل ﴿يَكْفِ﴾ أي: أو لَمْ يَكْفِهِمْ رَبُّكَ، انتهى، وباقي الآية بَيِّنٌ.

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ١٢٥) برقم: (٣٠٦٠٤) عن السدي، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٣)، وابن كثير (٤/ ١٠٥).

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٣).

(٣) ذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ١١٨) عن مجاهد، والحسن، والسدي، والكلبي، وابن عطية (٥/ ١١٨).

(٤) ينظر: «البحر المحيط» (٧/ ٤٨٣).

تَفْسِيرُ سُورَةِ الشُّورَىٰ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

وقال مُقَاتِلٌ: فيها مدني [قوله تعالى: ﴿ذلك الذي يبشر اللَّه عباده﴾ إلى ﴿الصدور﴾][1].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ۝٤ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾

قوله تعالى: ﴿حمٓ عٓسٓقٓ﴾ قال الثعلبيُّ: قال ابن عباس: إنَّ ﴿حمٓ عٓسٓقٓ﴾ هذه الحروف بأعيانِهَا نزلَتْ في كُلِّ كُتُبِ اللَّهِ المُنَزَّلَةِ علَىٰ كُلِّ نَبِيٍّ أُنْزِلَ عليه كتاب؛ ولذلك قال تعالى: ﴿كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك﴾[2]، **وقرأ** الجمهور: ﴿يُوحِي﴾ بإسناد الفعل إلى اللَّه تعالى، **وقرأ** ابن كثير وحده: «يوحَى» ـ بفتح الحاء ـ على بناء الفعل لِلْمَفْعُولِ[3]، والتقدير: يُوحِي إليكَ القرآنَ.

٣٤ ب وقوله تعالى: ﴿وإلى الذين من قبلك﴾: يريدُ من الأنبياءِ الذين نَزَلَ عليهم/ الكتابُ، **وقرأ** نافع والكسائيُّ «يَتَفَطَّرْنَ»، **وقرأ** أبو عمرو، وعاصم: «يَنْفَطِرْنَ»[4] والمعنى فيهما: يتصدَّعْنَ ويتشقَّقْنَ، خضوعاً وخشيةً من اللَّه تعالى، وتعظيماً وطاعةً.

---

(١) سقط في: د.

(٢) ذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ١١٩)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٥).

(٣) ينظر: «السبعة» (٥٨٠)، و«الحجة» (٦/ ١٢٦)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٢٨١)، و«معاني القراءات» (٢/ ٣٥٥)، و«شرح الطيبة» (٥/ ٢١٢)، و«العنوان» (١٧٠)، و«حجة القراءات» (٦٣٩)، و«شرح شعلة» (٥٧٤)، و«إتحاف» (٢/ ٤٤٨).

(٤) يعني من رواية أبي بكر، وأما رواية حفص فمثل الباقين.
ينظر: «السبعة» (٥٨٠)، و«الحجة» (٦/ ١٢٧)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٢٨٣)، و«العنوان» (١٧٠)، و«حجة القراءات» (٦٤٠)، و«إتحاف» (٢/ ٤٤٨).

وقوله: ﴿من فوقهن﴾ أي: من أعلاهن، وقال الأخفشُ، عليُّ بْنُ سُلَيْمَان: الضمير في ﴿من فوقهنَّ﴾ للكُفَّار، أي: من فوق الجماعاتِ الكافرةِ والفِرَقِ المُلْحِدَةِ مِنْ أجْلِ أقوالها تَكادُ السَّمٰواتُ يتفطَّرْنَ، فهذه الآية على هذا كالتي في «كهيعص»: ﴿تَكَادُ السَّمٰوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾ [مريم: ٩٠] الآية، وقالت فرقة: معناه: من فوق الأرضين، إذْ قد جَرَىٰ ذِكْرُ الأرض.

وقوله تعالى: ﴿ويستَغْفِرُونَ لمن في الأرض﴾ قالَتْ فرقةٌ: هذا منسوخٌ بقوله تعالى: ﴿ويستغفرون للذِين آمنوا﴾ [غافر: ٧] قال * ع[1] *: وهذا قولٌ ضعيفٌ، لأَنَّ النَّسْخ في الأخبار لاَ يُتَصَوَّرُ، وقال السُّدِّيُّ ما معناه: إنَّ ظاهر الآية العمومُ، ومعناها الخصوصُ في المؤمنين، فكأنَّه قال: ويستغفرون لمن في الأرض من المؤمنين[2]، وقالت فرقة: بل هِيَ علَىٰ عمومها: لكنَّ استغفارَ الملائكة ليس بطَلَبِ غفرانٍ للكفرة مَعَ بقائهم على كُفْرهم، وإنَّما استغفارهم لهم بمعنى طلب الهداية التي تُؤَدِّي إلى الغفران لهم، وتأويل السُّدِّيِّ أرجحُ.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء اللَّه حفيظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل﴾ هذه آية تسليةٍ للنَّبيِّ ﷺ ووعيد للكافرين، والمعنى: ليس عليك إلاَّ البلاغ فقطْ، فلا تَهْتَمَّ بعدم إيمان قريشٍ وغيرهم، اللَّه هو الحفيظُ عليهم كُفْرَهُمْ المُحْصِي لأعمالهم، المُجَازِي عليها، وأَنْتَ لَسْتَ بوكيلٍ عليهم، وما في هذه الألفاظِ مِنْ موادَعَةٍ فمنسوخٌ؛ قال الإمام الفَخْرُ في شرحه لأسماء الله/ الحسنى، عند كلامه على اسمه سبحانه «الحفيظ»: قال ١٣٥أ بعضهم: ما من عبد حَفِظَ جوارِحَه إلاَّ حَفِظَ اللَّه عليه قَلْبَهُ، وما من عبد حَفِظَ اللَّهُ عليه قلبه إلاَّ جعله حُجَّةً على عباده، انتهى، ثم قال تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً [المعنى: وكما قضينا أمرك هكذا، وأمضيناه في هذه السورةِ كذلك أوحينا إليك قرآناً عربيًا][3] مبيناً لهم، لا يحتاجُونَ إِلَىٰ آخَرَ سِوَاهُ؛ إذْ فَهْمُهُ مُتَأَتٍّ لَهُمْ، ولم نكلِّفْكَ إلاَّ إنذار مَنْ ذكر، و﴿أم القرى﴾ هي مكة، و﴿يوم الجمع﴾ هو يوم القيامة، أي: تخوفهم إيَّاهُ.

---

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/٢٦).

(٢) أخرجه الطبري (١١/١٢٩) برقم: (٣٠٦١٥).

(٣) سقط في: د.

وقوله: ﴿فريق﴾ مرتَفِعٌ على خبر الابتداء المُضْمَرِ؛ كأنَّه قال: هُمْ فريقٌ في الجنة، وفريقٌ في السَّعِيرِ، ثم قَوَّىٰ تعالى تسليةَ نَبِيِّه بأَنْ عَرَّفَه أَنَّ الأمر موقوفٌ على مشيئة اللَّه من إيمانهم أو كُفْرهم، وأَنَّه لو أراد كونهم أُمَّةً واحدةً على دينٍ واحدٍ، لجمعهم عليه؛ ولكِنَّه سبحانه يدخل مَنْ سبقَتْ له السعادةُ عنده في رحمته، ويُيَسِّره في الدنيا لعمل أهل السعادة، وأَنَّ الظالمين بالكفر المُيَسَّرِينَ لعمل الشقاوة ما لهم من ولي ولا نصير، قال عبدُ الحَقِّ ـ رحمه اللَّه ـ في **«العاقبة»**: وقد علمتَ (رحمك اللَّه) أَنَّ الناس يوم القيامة صنفان:

صنف مُقَرَّبٌ مُصَانٌ.

وآخر مُبْعَدٌ مُهَانٌ.

صنف نُصِبَت لهم الأَسِرَّة والحِجَال؛ والأرائكُ والكِلاَل؛ وجُمِعَتْ لَهُمُ الرغائبُ والآمالُ.

وآخَرُونَ أُعِدَّتْ لهم الأراقمُ والصِّلاَلِ؛ والمقامعُ والأغلالِ؛ وضروبُ الأهوال والأنْكَال، وأنْتَ لا تعلم من أَيِّهما أنْتَ؛ ولا في أَيِّ الفريقَيْن كُنْتَ: [الكامل]

نَزَلُوا بِمَكَّةَ في قَبَائِلِ نَوْفَلِ ... وَنَزَلْتُ بِالْبَيْدَاءِ أَبْعَدَ مَنْزِلِ
وَتَقَلَّبُوا فَرِحِينَ تَحْتَ ظِلاَلِهَا ... وَطُرِحْتُ بِالصَّحْرَاءِ غَيْرَ مُظَلَّلِ
٣٥ ب وَسُقُوا مِنَ الصَّافي الْمُعَتَّقِ رِيُّهُمْ ... وَسُقِيتُ دَمْعَةَ/ وَالِهٍ مُتَمَلْمِلِ

بكى سفيانُ الثوريُّ ـ رحمه اللَّه ـ ليلةً إلى الصَّبَاحِ، فقيل له: أبكاؤك هذا على الذنوب؟ فأخذ تِبْنَةً من الأرض، وقال: الذنوبُ أَهْوَنُ من هذا؛ إِنَّما أَبْكِي؛ خوفَ الخاتمةِ، وبَكَى سفيان، وغير سفيان، وَإِنَّهُ لَلأَمْر يُبْكَىٰ عليه؛ وَيصرف الاهتمام كلّه إليه.

وقد قيل: لا تَكُفَّ دَمْعَك؛ حَتَّىٰ تَرَىٰ في المعاد رَبْعَك.

وقيل: يابْنَ آدم، الأقلام عليك تَجْرِي؛ وأنْتَ في غفلة لا تَدْرِي، يابْنَ آدمَ دَعِ التنافُسَ في هذه الدار؛ حتى تَرَىٰ ما فَعَلَتْ في أمرِكَ الأَقْدَار، سمع بعض الصالحينَ مُنْشِداً ينشد: [الطويل]

أَيَا رَاهِبِي نَجْرَانَ مَا فَعَلَتْ هِنْد ... .

فبكَىٰ ليلةً إلى الصباح، فَسُئِلَ عن ذلك فقال: قلتُ في نفسي: ما فعلَتِ الأقدار فيّ؛ وماذا جَرَتْ به عَلَيّ؟ انتهى.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿أم اتخذوا من دونه أولياء فاللَّه هو الولي...﴾ الآية، قوله: ﴿أم اتخذوا﴾: كلامٌ مقطوعٌ مِمَّا قَبْلَهُ، وليستْ بمعادلةٍ، ولكنَّ الكلام كأنَّه أَضْرَبَ عن حُجَّةٍ لهم أو مقالةٍ مُقَرَّرَةٍ، فقال: ﴿بل اتخذوا﴾ هذا مشهورُ قولِ النَّحْوِيِّينَ في مِثْلِ هذا، وذهب بعضهم إلى أَنَّ «أم» هذه هي بمنزلة ألف الاستفهام دون تقدير إِضرابٍ، ثم أثبت الحكم بأَنَّه عز وجل هو الوليُّ الذي تنفع ولايته.

وقوله تعالى: ﴿وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى اللَّه...﴾ الآية، المعنى: قل لهم يا محمَّد: وما اختلفتم فيه، أَيُّها الناس، مِنْ تكذيبٍ وتصديقٍ، وإيمانٍ وكفرٍ، وغَيْرِ ذلك فالحُكْمُ فيه والمجازاةُ عنه لَيْسَتْ إِلَيَّ ولا بيدي؛ وإِنَّما ذلك إلى اللَّه تعالى، الذي صفاته ما ذُكِرَ من إِحياء الموتى والقدرة على كل شيء.

وقوله تعالى: ﴿جعل لكم من أنفسكم أزواجاً﴾ يريد: زوجَ الإِنسان الأنثى، وبهذه
/ النعمة اتفق الذرء، وليست الأزواج ههنا الأنواع. ١٣٦أ

وقوله: ﴿ومن الأنعام أزواجاً﴾ الظاهر أيضاً فيه والمُتَّسِقُ أَنَّهُ يريد إِناث الذُّكْرَان، ويحتمل أنْ يريد الأنواع، والأوَّل أظهر.

وقوله: ﴿يذرؤكم﴾ أي: يخلقكم نسلاً بعد نَسْلٍ، وقرناً بعد قَرْنٍ؛ قاله مجاهد والناس، فلفظة «ذرأ» تزيد على لفظة «خلق» معنى آخرَ ليس في «خلق»، وهو توالي طبقات على مَرِّ الزمان.

وقوله: ﴿فيه﴾ الضمير عائد على الجَعْلِ يتضمَّنه قوله: ﴿جعل لكم﴾ وهذا كما تقول: كَلَّمْتُ زَيْداً كلاماً أكرمته فيه، وقال القُتَبِيُّ: الضمير للتزْوِيجِ، ولفظة «في» مشتركة على معانٍ، وإِنْ كان أصلها الوعاء، وإِليه يردها النظر في كل وجه.

وقوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾ الكاف مؤكِّدة للتشبيه، فنفي التشبيه أوكَدُ مَا يكُونُ؛ وذلك أَنَّك تقول: زيدٌ كعمرو، وزيْدٌ مِثْلُ عمرو، فإِذا أردتَ المبالغة التامَّة قلتَ: زيدٌ كَمِثْلِ عَمْرٍو، وجرتِ الآية في هذا الموضع على عُرْفِ كلامِ العَرَبِ، وعلى هذا المعنى

شواهِدُ كثيرة، وذهب الطَّبَرِيُّ[١] وغيره إلى أَنَّ المعنى: ليس كهو شيء، وقالوا: لفظة ﴿مثل﴾ في الآية توكيدٌ، وواقعةٌ موقع «هو»، و«المقاليد»: المفاتيحُ؛ قاله ابن عبَّاس وغيره[٢]، وقال مجاهدٌ هذا أصلها بالفارِسِيَّةِ[٣]، وهي ههنا ٱستعارةٌ لوقوعِ كُلِّ أمرٍ تَحْتَ قدرته سبحانه، وقال السُّدِّيُّ: المقاليدُ: الخزائن[٤]، وفي اللفظ على هذا حذفُ مضافٍ، قال قتادة: مَنْ ملك مقاليد خزائن، فالخزائن في مِلْكِهِ[٥].

﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً...﴾ الآية، المعنى: شرع لكم وبَيَّنَ مِنَ المعتقدات والتوحيدِ ما وَصَّىٰ به نوحاً قَبْلُ.

وقوله: ﴿والذي﴾ عطف على ﴿ما﴾، وكذلك ما ذكر بَعْدُ مِنْ إقامة الدِّينِ مشروعٌ ٱتفقَتِ النُّبُوَّاتُ فِيهِ؛ وذلك في المعتَقَدَاتِ، وأَمَّا الأحكامُ بانفرادها فَهِيَ في الشرائعِ مختلفةٌ، وهي المرادُ في قوله تعالى: ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً﴾ [المائدة: ٤٨] وإقامة الدين هو توحيدُ اللَّهِ ورَفْضُ سِوَاهُ.

وقوله تعالى: ﴿ولا تتفرقوا﴾: نَهْيٌ عن المُهْلَكِ مِنْ تفرُّق الأنحاء والمذاهب، والخيرُ كُلُّه في الأُلْفَةِ واجتماع الكلمة، ثم قال تعالى لنبيِّه ـ عليه السلام ـ: ﴿كَبُرَ على المشركين ما تدعوهم إليه﴾: من توحيد اللَّه ورَفْضِ الأوثان؛ قال قتادة: كَبُرَ عليهم «لا إله إلا اللَّه» وأبى اللَّه إلاَّ نَصْرها[٦]، ثم سَلاَّه تعالَىٰ عنهم بقوله: ﴿اللَّه يجتبي إليه من يشاء...﴾ الآية،

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» (١١/ ١٣٣).
(٢) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٥/ ٢٩).
(٣) أخرجه الطبري (١١/ ١٣٣، ١٣٤) برقم: (٣٠٦٣٠)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٩).
(٤) أخرجه الطبري (١١/ ١٣٤) برقم: (٣٠٦٣٢)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٩).
(٥) ذكره ابن عطية (٥/ ٢٩).
(٦) أخرجه الطبري (١١/ ١٣٥) برقم: (٣٠٦٤٠)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٩).

أي: يختار ويصطفي؛ قاله مجاهد وغيره[١] و﴿ينيب﴾ يرجع عنِ الكُفْرِ ويحرص على الخير ويطلبه.

﴿وما تفرقوا﴾ يعني: أوائل اليهود والنصارى ﴿إلا من بعد ما جاءهم العلم﴾.

وقوله: ﴿بغياً بينهم﴾ أي: بَغَىٰ بعضُهم على بَعْضٍ، وأدَّاهم ذلك إلى اختلاف الرأي وافتراقِ الكلمةِ، والكلمة السابقة قال المفسرون: هي حتمه تعالى القضاءَ بأَنَّ مجازاتهم إنَّما تقع في الآخرة، ولولا ذلك لَفَصَلَ بينهم في الدنيا، وغَلَّبَ المُحِقَّ على المُبْطِلِ.

وقوله تعالى: ﴿وإن الذين أورثوا الكتاب﴾ إشارة إلى معاصري نَبِيِّنا محمد ـ عليه السلام ـ من اليهود والنصارى.

وقيل: هو إشارة إلى العرب؛ والكتاب على هذا هو القرآن، والضمير في قوله: ﴿لفي شك منه﴾ يحتمل أنْ يعودَ على الكتاب، أو على محمد، أو على الأجل المُسَمَّىٰ، أي: في شَكٍّ من البعث؛ على قول مَنْ رأى أَنَّ الإشارة إلى العرب، ووَصَف الشَّكَّ بـ﴿مُريبٍ﴾؛ مبالغة فيه، واللام في قوله تعالى: ﴿فلذلك فادع﴾ قالت فرقة: هي بمنزلة «إلى»؛ كأنه قال: فإلى ما وَصَّى به الأنبياءَ من التوحيدِ فَٱدْعُ، وقالت فرقة: بل هي بمعنى «من أجل» كأنه قال: من أجلِ أَنَّ الأمر كذا وكذا، ولكونه كذا فَٱدْعُ أَنْتَ إلى ربك، وبَلِّغْ ما أُرْسِلْتَ به، وقال الفخر[٢]: يعني فلأجلِ ذلك التفرُّقِ، ولأجْلِ ما حَدَثَ من الاختلافاتِ الكثيرةِ في الدينِ فادع إلى الاتفاقِ على المِلَّةِ الحنيفيَّة، واستقِمْ عليها وعلى الدعوة إليها؛ كما أمرك اللَّه، ولا تَتَّبِعْ أهواءهم الباطلة، انتهى، وخوطب ـ عليه السلام ـ بالاستقامة، وهو قد كان مستقيماً بمعنى: دُمْ على ٱستقامتك، وهكذا الشَّأْنُ في كُلِّ مأمورٍ بشيءٍ هو مُتَلَبِّسٌ به، إنَّما معناه الدوام، وهذه الآية ونحوها كانت نُصْبَ عَيْنَي النبيِّ ـ عليه السلام ـ، وكانت شديدة الموقع من نفسه، أعني قوله تعالى: ﴿واستقم كما أمرت﴾، لأنَّها جملة تحتها جميعُ الطاعاتِ وتكاليفُ النبوَّة، وفي هذا المعنَىٰ ـ قال عليه السلام ـ: «شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُها»، فَقِيلَ لَهُ: لِمَ ذَلِكَ، يَا نَبِيَّ اللَّه؟ فَقَالَ: لأَنَّ فِيهَا: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾[٣] [هود: ١١٢] وهذا الخطابُ له ـ عليه السلام ـ بحَسَبِ قُوَّتِهِ في أمْرِ اللَّه عز وجل، وقال: هو لأُمَّتِهِ بحسب ضعفهم: استقيموا ولن تُحْصُوا.

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٢٩).

(٢) ينظر: «الفخر الرازي» (١٤/ ١٣٦).

(٣) تقدم.

وقوله تعالى: ﴿ولا تتبع أهواءهم﴾ يعني: قُرَيْشاً.

* ت *: وفَرَضَ الفَخْرُ هذه القَضِيَّةَ في أهْلِ الكتاب، وذكر ما وقع من اليهود ومحاجَّتهم في دفع الحقِّ وجَحْدِ الرسالة، وعلى هذا فالضمير في: ﴿أَهْوَاءهم﴾ عائدٌ عليهم، واللَّه أعلم .اهـ.

ثم أَمَرَهُ تعالَىٰ أَنْ يَقُولَ: ﴿آمنت بما أنزل اللَّه من كتاب﴾، وهو أَمْرٌ يَعُمُّ سائِرَ أمته.

وقوله: ﴿وأمرت لأعدل بينكم﴾ قالت فرقة: اللام في ﴿لِأَعْدِلَ﴾ بمعنى: أنْ أعدل بينكم، وقالت فرقة: المعنى وَأُمِرْتُ بما أُمِرْتُ به من التبليغ والشَّرْعِ؛ لِكَيْ أعدلَ بينكم.

وقوله: ﴿لنا أعمالنا ولكم أعمالكم﴾ إلى آخر الآية ـ ما فيه من مُوَادَعَةٍ منسوخٌ بآية السَّيْفِ.

وقوله: ﴿لا حجة بيننا وبينكم﴾ أي: لا جدال، ولا مناظرةَ؛ قد وَضَحَ الحق، وأنتم تعاندون، وفي قوله: ﴿اللَّه يجمع بيننا﴾: وعيدٌ بَيِّنٌ.

﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿والذين يحاجون في اللَّه...﴾ الآية، قال ابن عباس ومجاهد: نزلت في طائفة من بني إسرائيل هَمَّتْ بردِّ الناس عن الإسلام وإضلالهم[1]، وقيل: نزلت في قريشٍ؛ لأنَّها كانت أبداً تحاول هذا المعنى، و﴿يحاجون في اللَّه﴾ معناه: في دين اللَّه أو توحيدِ اللَّه، أي: يحاجُّون فيه بالإبطال والإلحاد وما أشبهه، والضمير في ﴿له﴾ يحتمل أنْ يعودَ على اللَّه تبارك وتعالى، ويحتمل أنْ يعودَ على الدِّينِ والشرع، ويحتمل أنْ يعودَ على النبي ـ عليه السلام ـ و﴿داحضة﴾ معناه: زاهقة، والدَّحْضُ الزَّهقُ، وباقي الآية بَيِّن.

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ١٣٨ ـ ١٣٩) برقم: (٣٠٦٤٩، ٣٠٦٥١)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣١)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٩٦ ـ ٦٩٧)، وعزاه إلى ابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس، وعبد بن حميد، وابن المنذر عن مجاهد نحوه.

وقوله سبحانه: ﴿اللَّه الذي أنزل الكتاب بالحق﴾ معناه: مضمناً الحق، أي: بالحق في أحكامه، وأوامره، ونواهيه، وأخباره، ﴿والميزان﴾ هنا: العدل؛ قاله ابن عباس ومجاهد[1]، والناس، وحكى الثعلبيُّ عن مجاهد؛ أَنَّهُ قال: هو هنا الميزان الذي بأيدي الناس[2]، قال * ع[3] *: ولا شَكَّ أَنَّه داخل في العدل وجزء منه.

وقوله تعالى: ﴿وما يدريك لعل الساعة قريب﴾ وعيدٌ للمشركين، وجاء لفظ ﴿قريب﴾ مُذَكَّراً من حيثُ تأنيث السَّاعَةِ ـ غيرُ حقيقيٍّ ـ، وإِذْ هي بمعنى الوقت.

* ت *: ينبغي للمؤمن العاقل أنْ يتدبَّر هذه الآيةَ ونظائرها، ويقدِّر في نفسه أَنَّه المقصود بها: [البسيط]

لاَهٍ بِـدُنْـيَـاهُ وَالأَيَّـامُ تَـنْـعَـاهُ ... وَالْـقَـبْـرُ غَـايَـتُـهُ وَالـلَّـحْـدُ مَـأْوَاهُ
يَـلْـهُـو فَـلَـوْ كَـانَ يَـدْرِي مَـا أُعِـدَّ لَـهُ ... إِذَنْ لأَحْـزَنَـهُ مَـا كَـانَ أَلْـهَـاهُ

قال الغَزَّاليُّ في «الإحياء» قال أبو زكريَّا التَّيْمِيُّ: بينما سليمانُ بنُ عبد الملك في المسجد الحرام؛ إِذ أُوتِيَ بحَجَرٍ منقوشٍ، فَطَلَبَ مَنْ يَقْرَؤُهُ، فأوتي بِوهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ، فإذا فيه: ابنَ آدمَ، إنك لو رأيْتَ قُرْبَ ما بَقِيَ من أَجْلِك، لَزَهِدْتَ في طول أملك؛ وَلَرَغِبْتَ في الزيادَةِ مِنْ عَمَلِك، وَلَقَصَّرْتَ مِنْ حِرْصِكَ وحِيَلِكَ، وإنما يلقاك غداً نَدَمُك؛ لو قد زَلَّتْ بك قَدَمُك، وأسلمك أَهلُكَ وَحَشَمُك، فَفَارَقَكَ الوَلَدُ والقَرِيب؛ وَرَفَضَكَ الوَالِدُ والنَّسِيب، فلا أَنْتَ إِلى دُنْيَاك عائد؛ ولا في حَسَنَاتِك زَائِد، فَاعْمَلْ ليومِ القيامةْ، قبل الحسرة والندامةْ.

فبكَىٰ سليمان بكاءً شديداً، انتهى،، وباقي الآية بيِّن.

ثم رَجَّى تبارك وتعالى عباده بقوله: ﴿اللَّه لطيف بعباده﴾ و﴿لطيفٌ﴾ هنا بمعنى رفيق مُتَحَفٍّ، والعباد هنا المؤمنون.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا

(١) أخرجه الطبري (١١/ ١٣٩) برقم: (٣٠٦٥٥) عن مجاهد، وذكره البغوي (٤/ ١٢٣) عن قتادة، ومجاهد، ومقاتل، وابن عطية (٥/ ٣١)، وابن كثير (٤/ ١١١)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٩٧)، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.
(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٣١).
(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٣١)

كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمۡۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ﴾

وقوله تعالى: ﴿من كان يريد حرث الآخرة﴾ معناه: إرادة مُسْتَعِدٍّ عاملٍ، لا إرادةُ مُتَمَنٍّ مُسَوِّفٍ، والحَرْثُ في هذه الآية: عبارةٌ عن السَّعْيِ والتكسُّبِ والإِعْدَاد.

وقوله تعالى: ﴿نزد له في حرثه﴾ وَعْدٌ مُتَنَجِّزٌ؛ قال الفَخْرُ[1]: وفي تفسير قوله: ﴿نَزد له في حرثه﴾ قولان:

الأوَّلُ: نزد له في توفيقه وإِعانته، وتسهيلِ سبيل الخَيْرَاتِ والطاعاتِ عليه، وقال مقاتل: نزد له في حَرْثِهِ بتضعيفِ الثواب؛ قال تعالى: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [فاطر: ٣٠] انتهى، وقوله: ﴿ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها﴾ معناه: ما شئنا منها ولمن شئنا، فَرُبَّ مُمْتَحَنٍ مُضَيَّقٌ عليه حريصٌ علَىٰ حَرْثِ الدنيا، مريدٌ له، لا يَحُسُّ بغيره، نعوذُ باللَّهِ مِنْ ذلك! وهذا الذي لا يعقل غيرَ الدنيا هو الذي نفى أنْ يكون له نصيبٌ في الآخرة.

وقوله تعالى: ﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به اللَّه﴾ «أم» هذه منقطعةٌ لا معادلةٌ، وهي بتقدير «بل»، وألف الاستفهام، والشركاء في هذه الآية يحتمل أنْ يكونَ المراد بهم الشياطين والمُغْوِينَ من أسلافهم، ويكون الضمير في ﴿لهم﴾ للكفار المعاصرين لمحمد ـ عليه السلام ـ فالاشتراك ههنا هو في الكفر والغواية، وليس بشركة الإِشراك باللَّه ـ ويحتمل أنْ يكون المراد بالشركاء: الأصنام والأوثان؛ على معنى: أم لهم أصنام جعلوها شركاءَ للَّه في أُلُوهِيَّتِهِ، ويكون الضمير في ﴿شرعوا﴾ لهؤلاء المعاصرين من الكفار ولآبائهم، والضمير في ﴿لهم﴾ للأصنام الشركاء، و﴿شرعوا﴾ معناه: أثبتوا، ونهجوا، ورسموا و﴿الدين﴾ هنا: العوائدُ والأحكامُ والسِّيرَةُ، ويَدْخُلُ في ذلك أيضاً المُعْتَقَدَاتُ السُّوء؛ لأَنَّهُم في جمِيع ذلك وضعوا أوضاعاً فاسدة، وكلمة الفصل هي ما سبق من قضاء اللَّه تعالى بأَنَّهُ يُؤخِّرُ عقابهم للدار الآخرة، والقضاء بينهم هو عذابهم في الدنيا ومجازاتهم.

وقوله تعالى: ﴿ترى الظالمين﴾ هي رؤية بَصَرٍ، و﴿مشفقين﴾ حال، وليس لهم في هذا الإِشفاق مدح؛ لأَنَّهم إِنَّما أشفقوا حين نزل بهم، وليسوا كالمؤمنين الذين هم في الدنيا مُشْفِقُون من أمر الساعة، كما تقدم، وهو واقع بهم.

---

(١) ينظر: «الفخر الرازي» (١٤/ ١٤٠).

أبو حيان[١]: ضمير ﴿هو﴾ عائد على العذاب، أو على ما كسبوا بحذف مضاف، أي: وبال ما كسبوا، انتهى، والروضات: المواضع المونقة النَّضِرة.

﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿ذلك الذي يبشر اللَّه عباده﴾ إشارة إلى قوله تعالى في الآية الأخرى: ﴿وبشر المؤمنين بأن لهم من اللَّه فضلاً كبيراً﴾ [الأحزاب: ٤٧].

وقوله تعالى: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾ اختلف الناسُ في معناه فقال ابن عباس وغيره: هي آية مَكِّيَّةٌ نزلت في صدر الإسلام، ومعناها: استكفاف شَرِّ الكفار ودفع أذاهم، أي: ما أسألكم على القرآن إلاَّ أَنْ تَوَدُّوني لقرابةِ بيني وبينكم؛ فَتَكُفُّوا عَنِّي أذاكم[٢]، قال ابن عباس، وابن إسحاق، وقتادة: ولم يكن في قريش بطن إلاَّ وللنَّبِيِّ ﷺ فيه نسب أو صِهْرٌ[٣]، فالآية على هذا فيها استعطافٌ مَّا، ودفع أذًى، وطلبُ سلامة منهم، وذلك كله منسوخ بآية السيف، ويحتمل هذا التأويل أنْ يكون معنى الكلام استدعاء نصرهم، أي: لا أسألكم غرامة ولا شيئاً إلاَّ أَنْ تَوَدُّوني لقرابتي منكم، وأنْ تكونوا أولى بي من غيركم، قال * ع[٤] *: وقُرَيْشٌ كُلُّها عندي قُرْبَىٰ، وإنْ كانت تتفاضل، وقد رُوِيَ عن النبي ﷺ أنَّه قال: «مَنْ مَاتَ عَلَى حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ مَاتَ شَهِيداً، ومَنْ مَاتَ عَلَىٰ بُغْضِهِم، لَمْ يَشمَّ رَائِحَةَ الجَنَّةِ»[٥]، وقال ابن عَبَّاس أيضاً: ما يقتضي أَنَّ الآية مَدَنِيَّةٌ، وأَنَّ

---

(١) ينظر: «البحر المحيط» (٧/ ٤٩٣).

(٢) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٥/ ٣٣).

(٣) أخرجه البخاري (٨/ ٤٢٦) كتاب «التفسير» باب: إلا المودة في القربى (٤٨١٨) عن ابن عباس، والترمذي (٥/ ٣٧٧) كتاب «التفسير» باب: ومن سورة حم عسق (٣٢٥١)، وابن جرير في «تفسيره» (١١/ ١٤٢) (٣٠٦٦٢ ـ ٣٠٦٦٣)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ١٢٥) عن ابن عباس جميعهم، وابن عطية (٥/ ٣٣)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٩٩)، وعزاه إلى مسلم وابن مردويه، وعبد بن حميد، وأحمد عن ابن عباس.

(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٤).

(٥) ينظر: القرطبي (١٦/ ٢٣) تفسير سورة الشورى.

الأنصار جَمَعَتْ لرسُولِ اللَّه ﷺ مالاً وساقَتْهُ إِليه، فَرَدَّهُ عليهم، وَنَزَلَتِ الآيةُ في ذلك[١]، وقيلَ غَيْرُ هٰذَا، وعلَىٰ كُلِّ قولٍ، فَالاِستثناءُ مُنْقَطِعٌ، و﴿إِلاَّ﴾ بمعنى «لَكِنْ» و﴿يقترف﴾ معناه: يَكْتَسِب، ورَجُلٌ قُرَفَةٌ إِذا كان محتالاً كسوباً و﴿غفور﴾ معناه: ساترٌ عُيُوبَ عباده، و﴿شكور﴾ معناه: مُجازٍ على الدقيقة من الخير، لا يضيع عنده لعاملٍ عَمَلٌ.

وقوله تعالى: ﴿أم يقولون افترى على اللَّه كذباً﴾ «أم» هذه مقطوعةٌ مضمنة إِضراباً عن كلام متقدِّم، وتقريراً على هذه المقالة منهم.

وقوله تعالى: ﴿فإن يشإِ اللَّه يختم على قلبك﴾ معناه؛ في قول قتادة وفرقة من المفسرين: ينسيك/ القرآن[٢]، والمراد الرَّدُّ على مقالة الكُفَّار، وبيانُ إِبْطَالِهَا، كأَنَّهُ يقُولُ: وكيف يَصِحُّ أَنْ تكون مفترياً، وأنت من اللَّه بمرأًى ومَسْمَعٍ؟ هو قَادِرٌ لو شاء أَنْ يختم على قلبك؛ فلا تَعْقِلُ، ولا تنطق، ولا يستمرُّ افتراؤك؛ فمقصدُ اللفظ: هذا المعنى، وحُذِفَ ما يَدُلُّ عليه الظاهر؛ اختصاراً واقتصاراً، وقال مجاهد: المعنى: فإِن يشإِ اللَّه يختمْ على قلبك بالصبر لأذى الكفار، ويربطْ عليك بالجَلَدِ[٣]، فهذا تأويل لا يتضمَّن الردَّ على مقالتهم؛ قال أبو حَيَّان: وذكر القُشَيْرِيُّ أَنَّ الخطاب للكفار، أي: يختم على قلبك أَيُّهَا القائلُ؛ فيكون انتقالاً من الغيبة للخطاب، ﴿ويَمْحُ﴾: استئنافُ إِخبارٍ؛ لا داخل في الجواب، وتسقط الواو من اللفظ؛ لالتقاء الساكنين، ومن المصحف؛ حملاً على اللفظ، انتهى. ٣٦ ب

وقوله تعالى: ﴿ويمح﴾ فعل مستقبل، خبر من اللَّه تعالى أَنَّهُ يمحو الباطل، ولا بُدَّ إِمَّا في الدنيا وإِمَّا في الآخرة، وهذا بحسب نازلة نازلة، وكتب ﴿يمح﴾ في المصحف بحاء مرسلة، كما كتبوا: ﴿وَيَدْعُ الإِنْسَانُ﴾ [الإسراء: ١١] إِلى غير ذلك مِمَّا ذهبوا فيه إِلى الحذف والاختصار.

وقوله: ﴿بكلماته﴾ معناه: بما سبق في قديم علمه وإِرادته من كون الأشياء، فالكلمات: المعاني القائمة القديمة التي لا تبديلَ لها، ثم ذكر تعالى النعمة في تَفَضُّلِهِ بقبول التوبة من عباده، وقبول التوبة فيما يستأنف العبد من زمانه وأعماله ـ مقطوعٌ به بهذه الآية، وأمَّا ما سلف من أعماله فينقسم، فأمَّا التوبة من الكفر فَمَاحِيَةٌ كُلَّ ما تَقَدَّمَها من مظالم العباد

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٤).

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ١٤٦) برقم (٣٠٦٩١)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٤) والسيوطي (٥/ ٧٠٣) وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد.

(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٥).

الفائتة وغير ذلك، وأمَّا التوبة من المعاصي فلأهل السُّنَّةِ فيها قولان: هل تُذْهِب المعاصي السالفةَ للعبد بينه وبين خالقه؟ فقالت فرقة: هي مُذْهِبَةٌ لها، وقالت فرقة: هي في مشيئة اللَّه تعالى،/ وأجمعوا أنَّها لا تُذْهِبُ مظالم العباد، وحقيقةُ التوبة: الإقلاعُ عن المعاصِي، ١٣٧أ والإقبالُ، والرجوعُ إلى الطاعات، ويلزمها النَّدَمُ عَلَىٰ ما فَاتَ؛ والعَزْمُ على ملازمة الخَيْرَات.

وقال سَرِيٌّ السَّقَطِيُّ: التوبة: العَزْمُ على ترك الذنوب؛ والإقبالُ بالقَلْبِ على عَلاَّم الغيوب، وقال يحيى بن مُعَاذٍ: التائبُ: مَنْ كَسَرَ شَبَابَهُ علَىٰ رأسه، وكَسَرَ الدنيا على رأسِ الشيطان، [ولزم الفِطام][1] حتى أتاه الحِمَام[2].

وقوله تعالى: ﴿عن عباده﴾ بمعنى مِنْ عباده، وكأنه قال: التوبة الصادرة عن عباده، **وقرأ** الجمهور: «يَفْعَلُونَ» بالياء على الغَيْبَة، **وقرأ** حمزة والكسائيُّ: «تَفْعَلُونَ» بالتاء على المخاطبة[3]، وفي الآية توعُّد.

وقوله تعالى: «ويستجيب» قال الزَّجَّاجُ وغيره: معناه: يجيبُ، والعَرَبُ تَقُولُ: أجاب واسْتَجَابَ بمعنًى، و﴿الذين﴾ على هذا التأويل: مفعول «يستجيب»، وروي هذا المعنى عن معاذِ بن جَبَلٍ، ونحوه عن ابن عباس[4]، وقالت فرقة: المعنى: ويستدعي الذين آمنوا الإجابة من ربهم بالأعمال الصالحات، ودَلَّ قوله: ﴿ويزيدهم من فضله﴾ على أنَّ المعنى: فيجيبهم، و﴿الذين﴾ على هذا القول فَاعِلُ ﴿يَسْتَجِيبُ﴾، وقالتْ فرقة: المعنى: ويجيبُ المؤمنونَ رَبَّهم، فـ﴿الذِينَ﴾ فاعلٌ بمعنى: يجيبُونَ دَعْوَةَ شَرْعِهِ ورسالتِهِ، والزيادة من فضله هي تضعيفُ الحسنات، ورُوِيَ عن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قال: «هِيَ قَبُولُ الشَّفَاعَاتِ في المُذْنِبِينَ، والرِّضْوَانُ».

﴿۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾

---

(١) سقط في: د.

(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٥).

(٣) وقرأ بها حفص عن عاصم.
ينظر: **«السبعة»** (٥٨٠)، **«الحجة»** (٦/ ١٢٨)، **«إعراب القراءات»** (٢/ ٢٨٣)، **«معاني القراءات»** (٢/ ٣٥٦)، **«شرح الطيبة»** (٥/ ٢١٢)، **«العنوان»** (١٧٠)، **«حجة القراءات»** (٦٤١)، **«إتحاف»** (٢/ ٤٥٠).

(٤) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٥).

وقوله تعالى: ﴿ولو بسط اللَّه الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير﴾ قال عمرو بن حُرَيْثٍ وغيره: إنَّها نزلت؛ لأَنَّ قوماً من أهل الصفَّة طلبوا من رسول اللَّه ﷺ أنْ يُغْنِيَهُمُ/ اللَّه، ويبسطَ لهم الأموالَ والأرزاق، فأعلمهم اللَّه تعالى أنَّه لو جاء الرِّزْقُ على اختيار البَشَر واقتراحهم، لكان سَبَبَ بغيهم وإفسادهم؛ ولكنه عز وجل أعلمُ بالمَصْلَحَةِ في كُلِّ أحدٍ: ﴿إنه بعباده خبير بصير﴾: بمصالحهم، فهو ينزل لهم من الرزق القَدْرَ الذي بِهِ صَلاَحُهُمْ؛ فرُبَّ إنْسَانٍ لاَ يَصْلُحُ، وتَنْكَفُّ عاديته إلاَّ بالفقر. ٣٧ ب

* ت *: وقد ذكرنا في هذا المختصر أحاديثَ كثيرةً مختارةً في فضل الفقراء الصابرين ـ ما فيه كفايةٌ لمن وُفِّق، وقد روى ابن المبارك في «**رقائقه**» عن سعيد بن المُسَيِّبِ قال: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: أَخْبِرْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ بِجُلَسَاءِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قال: هُمُ الخَائِفُونَ، الخَاضِعُونَ، المُتَوَاضِعُونَ، الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيراً، قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَهُمْ أَوَّلُ النَّاسِ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ؟ قال: لا، قَالَ: فَمَنْ أَوَّلُ النَّاسِ يَدْخُلُ الجَنَّةَ؟ قال: الفُقَرَاءُ يَسْبِقُونَ النَّاسَ إِلَى الجَنَّةِ، فَتَخْرُجُ إِلَيْهِمْ مِنْهَا مَلاَئِكَةٌ، فَيَقُولُونَ: ارْجِعُوا إِلَى الْحِسَابِ، فَيَقُولُونَ: عَلاَمَ نُحَاسَبُ، وَاللَّهِ مَا أُفِيضَتْ عَلَيْنَا الأَمْوَالُ في الدُّنْيَا فَنَقْبِضَ فِيهَا وَنَبْسُطَ، وَمَا كُنَّا أُمَرَاءَ نَعْدِلُ وَنَجُورُ؛ وَلَكِنَّا جَاءَنَا أَمْرُ اللَّهِ فَعَبَدْنَاهُ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ»[1] انتهى.

وقوله عز وجل: ﴿وهو الذي ينزل الغيثَ مِنْ بَعْدِ ما قَنَطُوا...﴾ الآية، تعديدُ نِعَمِ اللَّه تعالى الدَّالَّةِ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّتِهِ، وأنَّه المولى الذي يستحقُّ أَنْ يُعْبَدُ دونَ ما سواه من الأنداد، **وقرأ** الجمهور: «قَنَطُوا» بفتح النون، **وقرأ** الأعمش: «قَنِطُوا» بكسرها، وهما لغتان[2]، ورُوِيَ أَنَّ عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ قيل له: أجدبت الأرض، وقَنِطَ النَّاس، فقال: مُطِرُوا إِذَنْ، بمعنى أنَّ الفرج عند الشِّدَّةِ.

وقوله تعالى/ ﴿وينشر رحمته﴾ قيل: أراد بالرحمة: المطر، وقيل: أراد بالرحمة هنا: الشمْسَ، فذلك تعديد نعمة غير الأولى، وذلك أَنَّ المطر إذا أَلَمَّ بعد القنط حَسُنَ موقعُهُ، فإذا دَامَ سُئِمَ، فتجيء الشمْسُ بعده عظيمةَ المَوْقِعِ. ٣٨ أ

---

(١) أخرجه أبو نعيم بن حماد في «**زوائده**» على الزهد (٨٠) (٢٨٣).

(٢) وقرأ بها يحيى بن وثاب.

ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٥/ ٣٦)، و«**البحر المحيط**» (٧/ ٤٩٥)، و«**الدر المصون**» (٦/ ٨١).

وقوله تعالى: ﴿وهُوَ الوَلِيُّ الحميد﴾ أي: مَنْ هذه أفعاله هو الذي ينفع إذا وَالَىٰ، وتُحْمَدُ أفعاله ونعمه، قال القُشَيْرِيُّ: اسمه تعالى: «الولي»، أي: هو المتولِّي لأحوال عباده، وقيل: هو من الوالي، وهو الناصر، فأولياءُ اللَّه أنصار دينه، وأشياعُ طاعته، والوليُّ: في ـ صفة العبد ـ مَنْ يُوَاظِبُ على طاعة رَبِّه، ومِنْ علاماتِ مَنْ يكونُ الحَقُّ سبحانه وَلِيَّهُ ـ أنْ يصونه، ويكفِيَهُ في جميع الأحوال، ويُؤَمِّنَهُ، فيغارَ على قلبه أنْ يتعلَّقَ بمخلوقٍ في دفع شَرٍّ أو جَلْبِ نَفْعٍ؛ بل يكونُ سبحانه هو القائِمَ عَلَىٰ قلبه في كُلِّ نَفَسٍ، فيحقِّق آماله عند إشاراته، ويعجِّلَ مَآرِبَهُ عند خَطَرَاتِهِ، ومن أماراتِ ولايته لِعَبْدِهِ: أنْ يُدِيمَ توفيقَهُ حَتَّىٰ لو أرادَ سُوءاً، أو قصد محظوراً ـ عَصَمَهُ عن ٱرتكابه، أو لو جنح إلى تقصير في طاعة، أبَىٰ إلاَّ توفيقاً وتأييداً، وهذا من أماراتِ السعادَةِ، وعَكْسُ هذا مِنْ أماراتِ الشقاوة، ، ومن أمارات ولايته أيضاً أنْ يرزقه مَوَدَّةً في قُلُوب أوليائه، انتهى من «**التحبير**».

ثم ذكر تعالى الآية الكُبْرَىٰ الدَّالَّةَ على الصَّانِعِ، وذلك خَلْقُ السمٰواتِ والأرضِ.

وقوله [تعالى]: ﴿وما بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دابَّةٍ﴾ يتخرَّجُ علَىٰ وجوهٍ: منها: أنْ يريدَ إِحْدَاهُمَا، وهو ما بَثَّ في الأرض دونَ السمٰوات، ومنها: أنْ يكون تعالى قد خلق في السمٰوات وبَثَّ دوابَّ لا نعلَمُهَا نَحْنُ، ومنها: أنْ يريد الحيواناتِ التي تُوجَدُ في السحاب، وقد تَقَعُ أحياناً كالضفادع/ ونحوها؛ فَإِنَّ السَّحَابَ داخل في اسم السماء. ٣٨ ب

وقوله تعالى: ﴿وهو على جمعهم﴾ يريد: يومَ القيامة عند الحشر من القبور.

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿٣١﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأۡ يُسۡكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظۡلَلۡنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وما أصابكم من مصيبة﴾ **قرأ** جمهور القُرَّاء: «فَبِمَا» بفاء، وكذلك هي في جُلِّ المصاحف، **وقرأ** نافع وابن عامر: «بِمَا» دون فاء[1]، قال أبو علي الفارسيُّ: أصاب من قوله: ﴿وما أصابكم﴾ يحتمل أنْ يكون في موضع جَزْم، وتكون «ما» شرطيةً، وعلَىٰ هذا لا يجوزُ حَذْفُ الفاءِ عِنْدَ سِيبَوَيْهِ، وجَوَّزَ حَذْفَهَا أبو الحَسَنِ الأَخْفَشُ، وبعضُ

---

(١) وقراءة الجمهور أجود في العربية، لأن الفاء مجازاة جواب الشرط، والمعنى: ما يصيبكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم.
ينظر: «**حجة القراءات**» (٦٤٢)، و«**السبعة**» (٥٨١)، و«**الحجة**» (٦/ ١٢٨)، و«**معاني القراءات**» (٢/ ٣٥٦)، و«**شرح الطيبة**» (٥/ ٢١٤)، و«**العنوان**» (١٧٠)، و«**شرح شعلة**» (٥٧٤)، و«**إتحاف**» (٢/ ٤٥٠).

البغداديِّينَ؛ على أَنَّها مُرَادَةٌ في المعنى، ويحتمل أنْ يكون «أصاب» صلة لـ«مَا»، وتكون «ما» بمعنى «الذي»، وعلى هذا يتجه حذفُ الفاء وثبوتها، لكن معنى الكلام مع ثبوتها التلازم، أي: لولا كَسْبُكُمْ ما أصابتكم مصيبة، والمصيبة إِنَّما هي بكسب الأيدي، ومعنى الكلام مع حذفها يجوز أن يكون التلازم، ويجوز أنْ يُعَرَّىٰ منه، قال * ع[1] *: وأَمَّا في هذه الآية، فالتلازم مُطَّرِدٌ مع الثبوت والحذف، وأمَّا معنى الآية، فاختلف الناسُ فيه، فقالت فرقة: هو إِخبار من اللَّه تعالى بأَنَّ الرزايا والمصائبَ في الدنيا إِنَّما هي مجازات من اللَّه تعالى على ذنوب المرء وخطاياه، وأنَّ اللَّه تعالى يعفو عن كثير، فلا يعاقب عليه بمصيبة، وقال النبي ﷺ: «لاَ يُصِيبُ ابْنَ آدَمَ خَدْشُ عُودٍ، أَوْ عَثْرَةُ قَدَمٍ، وَلاَ اخْتِلاَجُ عِرْقٍ إِلاَّ بِذَنْبٍ، وَمَا يَعْفُو عَنْهُ أَكْثَرُ»[2]، وقال مُرَّةُ الهَمدَانِيُّ: رأيتُ عَلَىٰ ظهرِ كَفِّ شُرَيْحٍ قُرْحَةً، فقلتُ: ما هذا؟ فقال: هذا بما كَسَبَتْ يَدَيَّ، ويعفو [اللَّه][3] عن كثير، وقيل لأبي سليمانَ الدَّارَانِيِّ: ما بالُ الفضلاء لا يَلُومُونَ مَنْ أساءَ/ إِليهم؟ فقال: لأَنَّهُمْ يعلَمُونَ أَنَّ اللَّه تعالى هو الذي ٱبْتَلاَهُمْ بذنوبهم، ورَوَى عليُّ بْنُ أبي طَالِبٍ ـ رضي اللَّه عنه ـ عن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قال: «مَا أَصَابَكُمْ مِنْ مَرَضٍ، أَوْ عُقُوبَةٍ، أَوْ بَلاَءٍ في الدُّنْيَا ـ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ، وَاللَّهُ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُثَنِّيَ عَلَيْكُمُ الْعُقُوبَةَ في الآخِرَةِ، وَمَا عَفَا اللَّهُ عَنْهُ في الدُّنْيَا، فَاللَّهُ أَحْلَمُ مِنْ أَنْ يَعُودَ فِيهِ بَعْدَ عَفْوِهِ»[4] وقال الحَسَنُ: معنى الآية في الحُدُودِ، أي: ما أصابكم من حَدٍّ من حُدُودِ اللَّه، فبما كسبَتْ أيديكم، ويعفو اللَّه عن كثير، فيستره على العبد حتى لا يُحَدَّ عليه، ثم أَخبر تعالَىٰ عن قُصُورِ ٱبْنِ آدَمَ وَضَعْفِهِ، وأَنَّه في قبضة القدرة لا يعجز طَلَب رَبِّه، ولا يُمْكِنُه الفِرَارُ منه، و«الجواري»: جمع جارية وهي السفينةُ، و﴿الأعلام﴾: الجبال، وباقي الآية بَيِّنٌ، فيه الموعظةُ وتشريفُ الصَّبَّارِ الشَّكُورِ.

٣٩أ

---

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٧).

(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ١٥٣) (٩٨١٥) عن قتادة، وذكره الهندي في «كنز العمال» (٣/ ٣٤١) (٦٨٤٩)، وعزاه إلى سعيد بن منصور.

(٣) سقط في: د.

(٤) أخرجه أحمد (١/ ٨٥)، وأبو يعلى (١/ ٣٥٢) (١٩٣/ ٤٥٣)، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٠٧).

قال الهيثمي: رواه أحمد، وأبو يعلى، وفيه أزهر بن راشد وهو ضعيف. وله شاهد من طريق آخر منه: أخرجه الترمذي (٥/ ١٦) كتاب «الإيمان» باب: ما جاء لا يزني الزاني وهو مؤمن (٢٦٢٦)، وابن ماجه (٢/ ٨٦٨) كتاب «الحدود» باب: الحد كفارة (٢٦٠٤)، وأحمد (١/ ٩٩، ١٥٩)، والحاكم (٢/ ٤٤٥).
قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب صحيح. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿أو يوبقهن بما كسبوا﴾: أَوْبَقْتُ الرَّجُلَ: إذا أَنْشَبْتهُ في أمْرٍ يَهْلِكُ فِيهِ، وهو في السفُنِ تغريقها و﴿بما كسبوا﴾ أي: بذنوب رُكَّابها، **وقرأ** نافع، وابن عامر: «وَيَعْلَمُ» بالرفع؛ على القطع والاستئناف، **وقرأ** الباقون والجمهور: «وَيَعْلَمَ» بالنصب[1]؛ على تقدير «أنْ»، و«المَحِيصُ»: المَنْجَىٰ، وموضعُ الرَّوَغَانِ.

ثم وعَظَ سبحانه عبادَهُ، وحَقَّر عندهم أمر الدنيا وشأنها، ورَغَّبَهُمْ فيما عنده من النعيم والمنزلة الرفيعة لديه، وعَظَّم قَدْرَ ذلك في قوله: ﴿فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا [وزينتها] وما عند اللَّه خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكَّلون﴾ **وقرأ** الجمهور[2]: ﴿كَبَائِرَ﴾ على الجمع؛ قال الحسن: هي كُلُّ ما تُوُعِّدَ فيه بالنار[3]، وقد تقدَّم ما ذَكَرَهُ الناس في الكبائر في سورة النساء وغيرها، ﴿والفواحش﴾: قال السُّدِّيُّ[4]: الزنا، وقال مقاتل: مُوجِبَاتُ الحدود[5]. / ٣٩ ب

وقوله تعالى: ﴿وإذا ما غضبوا هم يغفرون﴾ حَضٌّ على كسر الغضب والتدرُّب في إطفائه؛ إذ هو جمرةٌ من جَهَنَّمَ، وبَابٌ مِنْ أبوابها، وقال رجلٌ للنَّبِيِّ ﷺ: «أَوْصِنِي، قَالَ: لاَ تَغْضَبْ، قَالَ: زِدْنِي، قَالَ: لاَ تَغْضَبْ، قَالَ: زِدنِي، قَالَ: لاَ تَغْضَبْ»[6]، ومَنْ جاهد

---

(١) ينظر: **«السبعة»** (٥٨١)، و**«الحجة»** (٦/ ١٣٠)، و**«إعراب القراءات»** (٢/ ٢٨٥)، و**«معاني القراءات»** (٢/ ٣٥٧)، و**«شرح الطيبة»** (٥/ ٢١٤)، و**«العنوان»** (١٧٠)، و**«حجة القراءات»** (٦٤٣)، و**«إتحاف»** (٢/ ٤٥٠).

(٢) وقد قرأ حمزة والكسائي بالإفراد «كبير».
ينظر: **«المحرر الوجيز»** (٥/ ٣٩)، و**«السبعة»** (٥٨١)، و**«الحجة»** (٦/ ١٣٢)، و**«إعراب القراءات»** (٢/ ٢٨٦)، و**«معاني القراءات»** (٢/ ٣٥٨)، و**«شرح الطيبة»** (٥/ ٢١٥)، و**«العنوان»** (١٧٠)، و**«حجة القراءات»** (٦٤٣)، و**«شرح شعلة»** (٥٧٤)، و**«إتحاف»** (٢/ ٤٥١).

(٣) ذكره ابن عطية في **«تفسيره»** (٥/ ٣٩).

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ١٥٤) برقم: (٣٠٧٢٢)، وذكره البغوي في **«تفسيره»** (٤/ ١٢٩)، وابن عطية (٥/ ٣٩).

(٥) أخرجه البغوي (٤/ ١٢٩)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٩).

(٦) أخرجه البخاري (١٠/ ٥٣٥) كتاب «الأدب» باب: الحذر من الغضب (٦١١٦)، والبيهقي (١٠/ ١٠٥) كتاب «آداب القاضي» باب: لا يقضي وهو غضبان، نحوه من حديث أبي هريرة، والترمذي (٤/ ٣٧١) كتاب «البر والصلة» باب: ما جاء في كثرة الغضب (٢٠٢٠)، نحو حديث البخاري والبيهقي عنه. =

هذا العَارِضَ مِنْ نَفْسِهِ حتَّىٰ غَلَبَهُ، فقدْ كُفِيَ هَمًّا عظيماً في دنياه وآخرته.

* ت *: وروىٰ مالكٌ في «**المُوَطَّإِ**» أَنَّ رجُلاً أتى النبيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلِّمْنِي كَلِمَاتٍ أَعِيشُ بِهِنَّ وَلاَ تُكْثِرْ عَلَيَّ فَأَنْسَىٰ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «لاَ تَغْضَبْ»[1] قال أبو عُمَرَ بْنُ عَبْدِ البَرِّ: أراد: عَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي بكلماتٍ قليلةٍ؛ لئلاَّ أَنْسَىٰ إِنْ أَكْثَرْتَ عَلَيَّ، ثم أسند أبو عُمَرَ من طُرُقٍ عن الأحنفِ بن قَيْسٍ عن عَمِّه جَارِيَةَ بْنِ قُدَامَةَ، أَنَّه قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْ لي قَوْلاً يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهِ، وأَقْلِلْ لِي؛ لَعَلِّي أَعْقِلُهُ، قَالَ: «لاَ تَغْضَبْ، فَأَعَادَ عَلَيْهِ مِراراً، كُلُّها يُرَجِّعُ إليه رسُولُ اللَّه: لاَ تَغْضَبْ»، انتهىٰ[2] من «**التمهيد**»، وأسند أبو عُمَرَ في «**التمهيد**» أيضاً عن عبد اللَّه بن أبي الهُذَيْلِ قال: لما رأىٰ يحيَىٰ أَنَّ عيسَىٰ مُفَارِقُهُ قال له: أَوْصِنِي، قَالَ: لا تَغْضَبْ، قال: لاَ أَسْتَطِيعُ، قال: لا تَقْتَنِ مَالاً، قال عَسَى. انتهى. وروى ابن المبارك في «**رقائقه**» بسنده عن النبيِّ ﷺ قال: «مَنْ كَفَّ لِسَانَهُ عَنْ أَعْرَاضِ المُسْلِمِينَ أقال اللَّهُ عَثْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ عَنْهُمْ، وَقَاهُ اللَّهُ عَذَابَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[3]، قال ابن المُبَارَكِ: وأخبرنا/ ثَوْرُ بْنُ يَزِيدَ، عن خالدِ بْنِ مَعْدَانَ قال: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وتعالَىٰ يَقُولُ: «مَنْ ذَكَرَنِي في نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ في نَفْسِي، وَمَنْ ذَكَرَنِي في مَلاَ ذَكَرْتُهُ في مَلاَ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَمَنْ ذَكَرَنِي حِينَ يَغْضَبُ ذَكَرْتُهُ حِينَ أَغْضَبُ فَلَمْ أَمْحَقْهُ فِيمَنْ أَمْحَقُ[4]» انتهى. ٤٠أ

﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾﴾

= قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.
وفي الباب من حديث جارية بن قدامة التيمي رضي اللَّه عنه: أنه قال: يا رسول اللَّه ﷺ قل لي قولاً ينفعني اللَّه به، وأقلل لعلي لا أَغْفِلُهُ، قال: «لا تغضب...» الحديث.
أخرجه ابن حبان (١٢/ ٥٠٢) كتاب «الحظر والإباحة» باب: الاستماع المكروه وسوء الظن والغضب والفحش، ذكر الإخبار عما يجب على المرء من ذم النفس عن الخروج إلى ما لا يرضي اللَّه ـ جلّ وعلا ـ بالغضب (٥٦٨٩ ـ ٥٦٩٠)، وأحمد (٣/ ٤٨٤)، (٥/ ٣٤)، والحاكم (٣/ ٦١٥)، والبخاري في «**التاريخ الكبير**» (٢/ ٢٣٧) (٢٣٠٩)، والطبراني (٢/ ٢٦٢) (٢٠٩٤) (٢١٠٧)، والخطيب في «**تاريخ بغداد**» (٣/ ١٠٨) (١١١٠).

(١) أخرجه مالك في «**الموطأ**» (٢/ ٩٠٦) كتاب «حسن الخلق» باب: ما جاء في الغضب (١١).
(٢) أخرجه ابن عبد البر في «**التمهيد**» (٧/ ٢٤٦)، وانظر الحديث قبل السابق.
(٣) أخرجه ابن المبارك في «**الزهد**» (٢٥٧) (٧٤٥)، وذكره الهندي في «**كنز العمال**» (٣/ ٣٥٤) (٦٩٠٢)، وعزاه إلى الديلمي.
(٤) تقدم تخريج هذا الحديث مسنداً.

وقوله تعالى: ﴿والذين استجابوا﴾ مَدْحٌ لكلِّ مَنْ آمَنَ باللَّهِ، وقَبِلَ شَرْعَهُ، ومَدَحَ اللَّهُ تعالى القَوْمَ الذين أَمْرُهُمْ شورَىٰ بينهم؛ لأنَّ في ذلك اجتماعَ الكلمة، والتَّحَابَّ، واتصالَ الأيْدِي، والتَّعَاضُدَ على الخير، وفي الحديث: «مَا تَشَاوَرَ قَوْمٌ قَطُّ إِلاَّ هُدُوا لِأَحْسَنِ، مَا بِحَضْرَتِهِمْ»[1].

وقوله تعالى: ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ معناه: في سبيل اللَّه، وبِرَسْم الشَّرْعِ؛ وقال ابن زيد قوله تعالى: ﴿والذين استجابوا لربهم...﴾ الآية، نزلت في الأَنصار[2]، والظاهر أَنَّ اللَّه تعالى مدح كلَّ مَنِ اتَّصَفَ بهذه الصفةِ كائناً مَنْ كَانَ، وهل حَصَلَ الأنصارُ في هذه الصفة إلا بعد سَبْقِ المهاجرين إليها ـ رضي اللَّهُ عَنْ جميعهم بِمَنِّه وكرمِهِ ـ.

وقوله عز وجل: ﴿والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون﴾: مدح سبحانه في هذه الآية قوماً بالانتصار مِمَّنْ بَغَى عليهم، ورجح ذلك قوم من العلماء وقالوا: الانتصار بالواجب تغيير منكر، قال الثعلبيُّ: قال إبراهيم [النَّخَعِيُّ] في هذه الآية: كانوا يكرهون أَنْ يُسْتَذَلُّوا، فإذا قدروا عفوا، انتهى.

وقوله سبحانه: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ قيل: سُمِّي الجزاء باسم الابتداء، وإن لم يكن سيئة، لتشابههما في الصورة، قال * ع[3] *: وإنْ أخذنا السيِّئة هنا بمعنى المصيبة في حَقِّ البشر، أي: يسوء هذا هذا ويسوءه الآخر ـ فلسنا نحتاج إلى أنْ نقول: سمى العقوبة باسم الذنب؛ بل الفعل الأَوَّلِ والآخر سيئة، قال الفخر: اعلم أَنَّهُ تعالى/ لما قال: ٤٠ ب
﴿والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون﴾ أردفه بما يَدُلُّ على أَنَّ ذلك الانتصار يجب أَنْ يكون مُقَيَّداً بالمثل؛ فإنَّ النقصان حَيْفٌ، والزيادة ظلم، والمساواة هو العدل؛ فلهذا السبب قال تعالى: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ انتهى؛ وَيَدُلُّ على ذلك قوله تعالى: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به﴾ ونحوه من الآي، واللام في قوله: ﴿ولمن انتصر بعد ظلمه﴾ لام التقاء القسم.

وقوله: ﴿من سبيل﴾ يريد: من سبيل حرج ولا سبيل حكم، وهذا إبلاغ في إباحة الانتصار، والخلاف فيه: هل هو بين المؤمن والمُشْرِكِ، أو بين المؤمنين؟.

---

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٨١) باب: المشورة (٢٥٣) نحوه، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٧٠٧)، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.
(٢) أخرجه الطبري (١١/ ١٥٤) برقم: (٣٠٧٢٣)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٩).
(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٤٠).

﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿إنما السبيل على الذين يظلمون الناس...﴾ الآية، المعنى: إنما سبيل الحكم والإثم على الذين يظلمون الناس، روى التِّرْمِذِيُّ عن كعب بن عُجْرَةَ قال: قال لي النَّبِيُّ ﷺ: «أُعِيذُكَ بِاللَّهِ يَا كَعْبُ مِنْ أُمَرَاءٍ يَكُونُونَ، فَمَنْ غَشِيَ أَبْوَابَهُمْ فَصَدَّقَهُمْ في كَذِبِهِمْ، وأَعَانَهُمْ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ، فَلَيْسَ مِنِّي، وَلَسْتُ مِنْهُ، وَلاَ يَرِدُ عَلَي الْحَوْض، يا كَعْبُ، الصَّلاَةُ بُرْهَانٌ، والصَّبْرُ جُنَّةٌ حَصِينَةٌ، والصَّدَقَةُ تُطْفِىءُ الخطيئة كما يُطْفِىءُ الماءُ النَّارَ، يا كَعْبُ لاَ يَرْبُو لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ إلاَّ كَانَتِ النَّارُ أَوْلَىٰ بِهِ». قال أبو عيسَىٰ: هذا حديثٌ حسنٌ، وخرَّجه أيضاً في «كتاب الفتن» وصحَّحه[1]، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿إنما السبيل﴾ إلى قوله: ﴿أَلِيمٌ﴾: اعتراضٌ بَيْنَ الكلامَيْنِ، ثم عاد في قوله: ﴿ولمن صبر﴾ إلى الكلام الأول، كأنَّه قال: ولمنِ انتصر بعد ظلمه فَأُولَئِكَ ما عليهم من سبيل، ﴿ولمن صبر وغفر...﴾ الآية، واللام في قوله: ﴿ولمن صبر﴾ يصِحُّ أنْ تكون لام قَسَمٍ، ويصح أنْ تكون لام الابتداء، و﴿عزم الأمور﴾: مُحْكَمُهَا ومُتْقَنُهَا، والحميدُ العاقبةِ منها، فمَنْ رأى أَنَّ هذه الآية/ هي فيما بين المؤمنين والمشركين، وأَنَّ الصبر للمشركين كان أفضل قال: إنَّ الآية نسخت بآية السيف، ومَنْ رأى أَنَّ الآية بين المؤمنين، قال: هي مُحْكَمَةٌ، والصبر والغفران أفضل إجماعاً، وقال رسول اللَّه ﷺ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، نَادَىٰ مُنَادٍ: مَنْ كَانَ لَهُ عَلَى اللَّهِ أَجْرٌ فَلْيَقُمْ، فَيَقُومُ عَنَقٌ مِنَ النَّاسِ كَبِيرٌ، فَيُقَالُ: مَا أَجْرُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: نَحْنُ الَّذِينَ عَفَوْنَا عَمَّنْ ظَلَمَنَا في الدُّنْيَا»[2].

٤١أ

وقوله تعالى: ﴿ومن يضلل اللَّه فما له من ولي من بعده﴾ تحقير لأمر الكَفَرَةِ، أي: فلا يُبَالي بهم أحدٌ من المؤمنين؛ لأنَّهم صائرون إلى ما لا فلاحَ لهم معه، ثم وصف تعالى

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٥٢٥) كتاب «الفتن» باب: (٧٢) (٢٢٥٩)، والنسائي (٧/ ١٦٠ ـ ١٦١) كتاب «البيعة» باب: من لم يعن أميراً على الظلم (٤٢٠٨)، وابن حبان (٥/ ١٤١) (١٥٦٩)، وأحمد (٣/ ٣٩٩) كلهم نحوه.
قال الترمذي: هذا حديث صحيح غريب، لا نعرفه من حديث مِسْعَرٍ إلا من هذا الوجه.

(٢) أخرجه العقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٢٦٥).

لنبيِّه حالهم في القيامة عند رؤيتهم العذاب، وقولهم: ﴿هل إلى مرد من سبيل﴾ ومرادهم: الرَّدُّ إلى الدنيا، والرؤية هنا رؤيةُ عَيْنٍ، والضميرُ في قوله: ﴿عليها﴾ عائدٌ على النار، وإنْ لم يتقدَّم لها ذِكْرٌ من حيثُ دَلَّ عليها قوله: ﴿رأوا العذاب﴾.

وقوله: ﴿من الذل﴾ يتعلق بـ﴿خاشعين﴾.

وقوله تعالى: ﴿ينظرون من طرف خفي﴾ قال قتادة والسُّدِّيُّ[1]: المعنى: يسارقون النَّظَرَ؛ لما كانوا فيه من الهَمِّ وسوء الحال لا يستطيعون النَّظَرَ بجميعِ العَيْنِ؛ وإنَّما ينظرون ببعضها؛ قال الثعلبيُّ: قال يونس: ﴿مِنْ﴾ بمعنى الباء، ينظرون بطرف خَفِيٍّ، أي: ضعيف؛ من أجل الذُّلِّ والخوف، ونحوُه عن الأخفش، انتهى، وفي البخاريِّ ﴿من طرف خفي﴾، أي: ذليل.

وقوله تعالى: ﴿وقال الذين ءامنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة...﴾ الآية، وقول ﴿الذين آمنوا﴾ هو في يوم القيامة عند ما عاينوا حال الكفار وسوء مُنْقَلَبِهِمْ.

وقوله تعالى: ﴿ألا إن الظالمين في عذاب مقيم﴾ يحتمل أنْ يكون من قول المؤمنين/ يومئذ، حكاه اللَّه عنهم، ويحتمل أَنْ يكون استئنافاً من قول اللَّه عز وجل وأخباره لنبيه محمد ـ عليه السلام ـ. ٤١ ب

﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون اللَّه...﴾ الآية، إنحاء على الأصنام والأوثان التي أظهر الكفار ولايتها، واعتقدَتْ ذلك دِيناً، ثم أَمَرَ تعالى نَبِيَّه أنْ يأمرهم بالاستجابة لدعوة اللَّه وشريعته من قبل إتيان يوم القيامة الذي لا يُرَدُّ أحد بعده إلى عمل، قال * ع[2] *: في الآية الأخرَىٰ في سورة «آلم غلبت الروم»: ويحتمل أن يريد: لا يَرُدُّه رَادٌّ حتى لا يقع، وهذا ظاهر بحسب اللفظ، ، و«النكير»: مصدر بمعنى الإنكار؛

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ١٥٩) برقم: (٣٠٧٣٨ ـ ٣٠٧٣٩)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤١).

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٤٢).

قال الثعلبيُّ: ﴿ما لكم من ملجإ﴾: أي مَعْقِل، ﴿وما لكم من نكير﴾ أي: من إنكارٍ على ما ينزل بكم من العذاب بغير ما بكم، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿فإن أعرضوا...﴾ الآية تسلية للنَّبِيِّ ﷺ، والإنسان هنا اسم جنس، وجَمَعَ الضمير في قوله: ﴿تصبهم﴾ وهو عائد على لفظ الإنسان من حيث هو اسم جنس.

﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿للَّه ملك السمٰوات والأرض يخلق ما يشاء...﴾ الآية، هذه آية اعتبار دَالٌّ على القُدْرَةِ والمُلْكِ المحيط بالجميع، وأَنَّ مشيئته تعالى نافذة في جميع خلقه وفي كُلِّ أمرهم، وهذا لا مدخل لصنم فيه، فإنَّ الذي يخلق ما يشاء هو اللَّه تبارك وتعالى، وهو الذي يقسم الخلق؛ فيهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الأولاد الذكور، ﴿أو يزوجهم﴾ أي: ينوعهم ذكراناً وإناثاً، وقال محمد ابن الحَنَفِيَّة: يريد بقوله تعالى: ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ﴾ التَّوْءَمَ، أي: يجعل في بطن زوجاً من الذُّرِّيَّة ذكراً وأنثىٰ[1]، و«العقيم»: الذي لا يُولَدُ له، وهذا كله مُدَبَّرٌ بالعلم والقدرة/ وبدأ في هذه الآية بذكر الإناث؛ تأنيساً بِهِنَّ لِيُهْتَمَّ بصونهنَّ والإحسانِ إليهنَّ، وقال النبيُّ ـ عليه السلام ـ: «مَنِ ٱبْتُلِيَ مِنْ هَذِهِ البَنَاتِ بِشَيْءٍ، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ، كُنَّ لَهُ حِجَاباً مِنَ النَّارِ»[2]، وقال واثلةُ بْنُ الأَسْقَعِ: مِنْ يُمْنِ المَرْأَةِ تبكيرُها بالأنثىٰ قبل الذكر[3]؛ لأنَّ اللَّه تعالى بدأ بِذِكْرِ الإناث؛ حكاه عنه الثعلبيُّ قال: وقال

١٤٢أ

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٤٣).

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ٣٣٢) كتاب «الزكاة» باب: اتقوا النار ولو بشق تمرة، والقليل من الصدقة (١٤١٨)، (١٠/ ٤٤٠) كتاب «الأدب» باب: رحمة الولد وتقبيله ومعانقته (٥٩٩٥)، ومسلم (٤/ ٢٠٢٧) كتاب «البر والصلة والآداب» باب: فضل الإحسان إلى البنات (١٤٧/ ٢٦٢٩)، والترمذي (٤/ ٣١٩) كتاب «البر والصلة» باب: ما جاء في النفقة على البنات والأخوات (١٩١٣)، وابن حبان (٧/ ٢٠١) كتاب «الجنائز» باب: ما جاء في الصبر وثواب الأعمال، ذكر الاستتار من النار ـ نعوذ باللَّه منها ـ للمسلم إذا ابتلي بالبنات فأحسن صحبتهن (٢٩٣٩)، وأحمد (٦/ ٣٣)، والبيهقي (٧/ ٤٧٨) كتاب «النفقات» باب: النفقة على الأولاد.
قال الترمذي: هذا حديث حسن.

(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ٤٣).

إسحاق بن بِشْرٍ: نزلَتْ هذه الآيةُ في الأَنبياء[١]، ثم عَمَّتْ فـ﴿يَهَبُ لمن يشاء إناثاً﴾ يعني: لوطاً ـ عليه السلام ـ، و﴿يهب لمن يشاء الذكور﴾ يعني إبراهيم ـ عليه السلام ـ، ﴿أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً﴾ يعني: نبيَّنا محمَّداً ـ عليه السلام ـ، ﴿ويجعل من يشاء عقيماً﴾ يعني: يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّاء ـ عليهما السلام ـ.

وقوله تعالى: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه اللَّه إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً...﴾ الآية، نزلَتْ بسبب خَوْضٍ كان للكفار في معنى تكليم اللَّه موسَىٰ ونحو ذلك، ذهَبَ قريشٌ واليهودُ في ذلك إلى تجسيم ونحوه، فنزلت الآية مُبَيِّنَةً صورةَ تكليم اللَّه عبادَهُ، كيف هو، فَبَيَّنَ اللَّه تعالى أَنَّهُ لا يكُونُ لِأَحَدٍ مِنَ الأنبياءِ، ولا ينبغِي له، ولا يمكنُ فيه أنْ يُكَلِّمه اللَّه إلاَّ بأَنْ يوحي إليه أحَدَ وجوه الوَحْيِ من الإلهام؛ قال مجاهد: أوِ النَّفْثِ في القَلْبِ[٢]، أو وَحْيٍ في منام، قال النَّخَعِيّ: وكانَ من الأنبياء مَنْ يُخَطّ له في الأرض ونحو هذا، أو بأنْ يُسْمِعَهُ كلامه دون أن يعرف هو للمتكلِّم جهةً ولا حَيِّزاً كموسَىٰ ـ عليه السلام ـ، وهذا معنى ﴿مِنْ وراءِ حِجَابٍ﴾ أي: من خفاء عن المُكَلَّم لا يحدُّه ولا يتسوَّر بذهنه عليه، وليس كالحجابِ في الشاهد، أو بأنْ يرسِلَ إليه مَلَكاً يُشَافِهُهُ بوحْيِ اللَّه/ عز ٤٢ ب
وجل، قال الفخر[٣]: قوله: ﴿فيوحي بإذنه ما يشاء﴾ أي: فيوحي ذلك المَلَكُ بإذن اللَّه ما يشاءُ اللَّه انتهى، **وقرأ** جمهور القُرَّاءِ والناس: «أَوْ يُرْسِلَ» بالنصب «فَيُوحي» بالنصب أيضاً، **وقرأ** نافع، وابن عامر، وابن عباس، وأهل المدينة: «أَوْ يُرْسِلُ» بالرفع فيوحي ـ بسكون الياء[٤] ـ، وقوله: ﴿أو من وراء حجاب﴾ «مِنْ» متعلِّقةٌ بفعْلٍ يَدُلُّ ظاهر الكلام عليه، تقديره: أو يكلِّمه من وراء حجاب، وفي هذه الآيةِ دليلٌ على أَنَّ الرسالة من أنواع التكليم، وأَنَّ مَنْ حَلَفَ: لا يُكَلِّم فلاناً، وهو لم ينوِ المشافهة، ثم أرسل رسولاً حَنِثَ.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا...﴾ الآية، المعنى: وبهذه الطرق، ومن هذا الجنس أوحينا إليك، أي: بالرسول، و«الرُّوحُ» في هذه الآية: القرآن

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٤٣).
(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٤٣).
(٣) ينظر: «مفاتيح الغيب» (٢٧/ ١٦٣).
(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٤٣)، و«البحر المحيط» (٧/ ٥٠٤)، و«الدر المصون» (٦/ ٨٨).

آن وهدى الشريعة، سَمَّاه رُوحاً من حيث يُحْيي به البَشَرَ والعَالَم؛ كَما يُحْيِي الجسدَ بالروح، فهذا على جهة التشبيه.

وقوله تعالى: ﴿من أمرنا﴾ أي: واحد من أُمورنا، ويحتمل أَنْ يكون الأمر بمعنى الكلام، و﴿مِن﴾ لابتداء الغاية.

وقوله تعالى: ﴿ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان﴾ توقيفٌ علَىٰ مِقْدَارِ النعمةِ، والضميرُ في ﴿جَعَلْنَاهُ﴾ عائدٌ على الكتابِ، و﴿نهدي﴾ بمعنى: نُرْشِدُ، **وقرأ** جمهور الناس: «وإِنَّكَ لَتَهْدِي» ـ بفتح التاء وكسر الدال ـ، **وقرأ** حَوْشَبٌ: «لَتُهْدَىٰ» ـ بضم التاء وفتح الدال ـ، **وقرأ** عاصم: «لَتُهْدِي» ـ بضم التاء وكسر الدال ـ.

وقوله: ﴿صراط اللَّه﴾ يعني: صراط شرع اللَّه، ثم استفتح سبحانه القَوْلَ في الإِخبار بصيرورة الأمور إِليه سبحانه؛ مبالغةً وتحقيقاً وتثبيتاً، فقال: ﴿ألا إلى اللَّه تصير الأمور﴾

١٤٣أ قال الشيخُ/ العارفُ باللَّه أبو الحسن الشاذليُّ رحمه اللَّه: إِنْ أردتَ أَنْ تغلب الشَّرَّ كُلَّه، وتلحق الخيرَ كُلَّه، ولا يَسْبِقَكَ سَابِق، وإِنْ عمل ما عمل ـ فقل: يا مَنْ له الخَيْرُ كُلُّهُ، أسألك الخيرَ كُلَّه، وأعوذ بك من الشَّرِّ كُلِّه، فإِنَّك أنت اللَّه الغَنِيُّ الغفُورُ الرَّحِيم، أَسْأَلُكَ بالهادِي محمد ﷺ إِلَىٰ صراطٍ مستقيم، صراطِ اللَّهِ الذي له ما في السَّمٰوَاتِ وما في الأرض، أَلاَ إِلى اللَّه تصيرُ الأمور، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مَغْفِرَةً تَشْرَحُ بها صَدْرِي، وتَضَعُ بها وِزْرِي، وترفعُ بها ذِكْرِي، وتُيَسِّرَ بها أمري، وتُنَزِّهَ بها فكري، وتُقَدِّسَ بها سِرِّي، وتكشفَ بها ضُرِّي، وترفَعَ بها قَدْرِي؛ إِنَّك على كُلِّ شَيْءٍ قدير، اهـ.

* قلت *: قوله تعالى: ﴿ما كنت تدري ما الكتاب﴾: هذا بَيِّنٌ، وقوله: ﴿ولا الإِيمان﴾: فيه تأويلات: قيل معناه: ولا شرائع الإِيمان ومعالمَه؛ قال أبو العالية: يعني: الدعوةَ إِلى الإِيمان، وقال الحسين بن الفَضْل: يعني أهل الإِيمان، مَنْ يؤمن ومَنْ لا يؤمن، وقال ابن خُزَيْمَةَ: الإِيمان هنا الصلاة؛ دليله: «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ» [البقرة: ١٤٣] قال ابن أبي الجَعْدِ وغيره: احترق مُصْحَفٌ فلم يبقَ منه إِلاَّ: ﴿أَلاَ إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾ وغَرِقَ مصحفٌ فامحى كُلُّه إِلاَّ قولَه: ﴿أَلاَ إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾ نقله الثعلبيُّ وغيره[1]، انتهى.

قال العبد الفقير إِلى اللَّه تعالى، عبدُ الرحمن بْنُ محمَّدِ بنِ مَخْلُوفٍ الثَّعَالِبِيُّ، لَطَفَ اللَّه به في الدَّارَيْنِ: قد يَسَّر اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ في تحرير هذا المختَصَر، وقد أودعتُهُ بحمد اللَّه

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٤٤).

جزيلاً من الدُّرر، قد استوعبتُ فيه بحمد اللَّه مُهِمَّاتِ ابْنِ عطيَّةَ، وزدته فوائدَ جليلةً من غيره، وليس الخَبَرُ كالْعِيَانِ، تَوَخَّيْتُ فيه بحمد/ اللَّه الصَّوَاب؛ وجعلته ذخيرةً عند اللَّه لِيَوْمِ ٤٣ ب
المآبِ، لا يَسْتَغْنِي عنه المُنْتَهِي؛ وفيه كفايةٌ للْمُبْتَدِي، يستغني[1] به عن المُطَوَّلاَت؛ إِذْ قد حَصَّل منها لُبَابَهَا؛ وكَشَفَ عن الحقائقِ حِجَابَهَا.

{ التَّعْرِيفُ بِرِحْلَةِ المُؤَلِّفِ }

رحلْتُ في طَلَبِ العِلْم في أواخرِ القَرْنِ الثَّامِنِ، ودخلْتُ بِجَايَةَ في أوائل القرن التاسع، فلقيتُ بها الأئمةَ المُقْتَدَىٰ بهم، أَصحابَ سيِّدِي عبد الرحمنِ الوغليسيِّ متوافرين، فحضَرْتُ مجالسَهُمْ، وكانَتْ عُمْدَةُ قراءتي بها على سيدي [علي بن][2] عثمان المَانْجِلاَتِيِّ ـ رحمه اللَّه ـ بمَسْجِدِ عَيْنِ البَرْبَرِ، ثم ارتحلْتُ إِلى تُونُسَ، فلقيت بها سيدي عيسى الغبريني والأُبِّيَّ، والبرزليَّ، وغيرهم، وأخذْتُ عنهم، ثم ارتحلْتُ إلى المشرق، فلقيتُ بِمِصْرَ الشيْخَ وَلِيَّ الدِّينِ العِرَاقِي، فأخذْتُ عنه علوماً جَمَّةً مُعْظَمُهَا عِلْمُ الحديث، وفتح اللَّه لي فيه فتحاً عظيماً، وكتب لي وأَجَازَنِي جميعَ ما حضَرْتُهُ عليه، وأطلق في غيره، ثم لقيتُ بمَكَّةَ بعض المحدِّثين، ثم رجعتُ[3] إلى الديار المصرية وإِلى تُونُسَ، وشاركْتُ مَنْ بها، ولقيت بها شيخَنَا أبا عبد اللَّه محمَّدَ بْنَ مَرْزُوقٍ قادماً لإِرادة الحَجِّ، فأخذتُ عنه كثيراً، وأجازني [التدريسَ] في أنواع الفُنُونِ الإِسلاميَّةِ، وحَرَّضَنِي على إِتمام تقييدٍ وضعتُه على ابن الحاجِبِ الفرعيِّ.

قلت: ولما فرغْتُ من تحرير هذا المختَصَرِ وافَقَ قدومَ شيخِنَا أبي عبد اللَّهِ محمد بن مرزوقٍ علينا في سَفْرَةٍ سافرها من تِلْمِسَانَ متوجِّهاً إِلى تُونُسَ، ليصلح/ بَيْنَ سلطانها وبين ٤٤ أ
صَاحِبِ تِلْمِسَانَ، فأوقفته على هذا الكتاب، فنظر فيه وأمعن النظر، فَسُرَّ به سروراً كثيراً ودعا لنا بخير، واللَّه الموفِّق بفَضْلِه.

---

(١) في د: يستعين.
(٢) سقط في: د.
(٣) في د: رجعنا.

تَفسِيرُ سُورَةِ الزُّخْرُفِ

وهِيَ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝٤﴾

﴿حمٓ * والكتابِ المبين﴾ ﴿والكتاب﴾: خُفِضَ بواو القَسَم، والضمير في ﴿جعلناه﴾ عائدٌ على الكتابِ، ﴿وإنَّه﴾ عطف على ﴿جعلناه﴾، وهذا الإِخبارُ الثَّانِي وَاقِعٌ أيضاً تحتَ القَسَم، و﴿أمّ الكتاب﴾: اللوح المحفوظ، وهذا فيه تشريفٌ للقرآن، وترفيع، واخْتَلَفَ المُتَأَوِّلُونَ: كيف هو في أُمِّ الكتاب؟ فقال قتادة وغيره: القرآن بأجمعه فيه منسوخ، ومنه كان جبريل ينزل، وهنالك هو عَلِيٌّ حكيم[1]، وقال جمهور الناس: إِنَّما في اللوح المحفوظ ذِكْرُهُ ودرجته ومكانته من العُلُوِّ والحكمة.

﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ۝٥ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ۝٦ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٧ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٨﴾

وقوله سبحانه: ﴿أفنضرب﴾ بمعنى: أفنترك؛ تقول العرب: أَضْرَبْتُ عن كذا وضَرَبْتُ: إِذا أَعْرَضْت عنه وتركْتهُ، و﴿الذكر﴾ هو: الدعاء إِلى اللَّه، والتذكير بعذابِه، والتخويف من عقابه، وقال أبو صالح: الذِّكْرُ هنا أراد به العذاب نفسه[2]، وقال الضَّحَّاكُ ومجاهد: الذكر القرآن[3].

وقوله: ﴿صَفْحاً﴾: يحتمل أَنْ يكون بمعنى العفو والغفر للذنوب، فكأَنَّهُ يقول: أفنترك تذكيركم وتخويفكم عفواً عنكم، وغفراً لإِجرامكم؛ من أجل أنْ كنتم قوماً مسرفين، أي: هذا لا يصلح؛ وهذا قول ابن عباس ومجاهد[4] ويحتمل قوله: ﴿صفحاً﴾ أنْ يكون

---

(١) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٥/ ٤٥).

(٢) ينظر: المصدر السابق.

(٣) ينظر: المصدر السابق.

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ١٦٧) برقم: (٣٠٧٧٠ـ٣٠٧٧١) عن قتادة نحوه، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ١٣٤).

بمعنى مغفولاً عنه، أي: نتركه يَمُرُّ لا تؤخذون/ بقبوله ولا بتدبُّره، فكأنَّ المعنى: أفنترككم ٤٤ ب
سُدًى، وهذا هو مَنْحَىٰ قتادةَ وغيره، **وقرأ** نافع وحمزة والكسائي: «إِنْ كُنْتُمْ» بكسر الهمزة[1]، وهو جزاءٌ دَلَّ ما تقدَّمه على جوابه، **وقرأ** الباقون بفتحها بمعنى: من أجل أَنْ، والإِسراف في الآية هو كُفْرُهُمْ.

«وكم أرسلنا من نبيء في الأولين» أي: في الأُمَمِ الماضية، كقوم نوحٍ وعادٍ وثمودَ وغيرهم.

«وما يأتيهم من نبيء إلا كانوا به يستهزءون» أي: كما يستهزىء قومك بك، وهذه الآية تسلية للنَّبِيِّ ﷺ، وتهديد بأَنْ يصيبَ قريشاً ما أصاب مَنْ هو أَشَدُّ بَطْشاً منهم.

﴿ومضىٰ مثل الأولين﴾ أي: سلف أمرهم وسُنَّتُهم، وصاروا عبرةً غَابِرَ الدَّهْرِ، أنشد صاحبُ «**عنوان الدِّرَايَةِ**» لشيخه أبي عبد اللَّه التَّمِيميِّ: [البسيط]

يَا وَيْحَ مَنْ غَرَّهُ دَهْرٌ فَسُرَّ بِهِ ... لَمْ يَخْلُصِ الصَّفْوُ إِلاَّ شِيبَ بِالْكَدَرِ
هُوَ الْحِمَامُ فَلاَ تُبْعِد زِيَارَتَهُ ... وَلاَ تَقُلْ لَيْتَنِي مِنْهُ عَلَىٰ حَذَرِ
انْظُرْ لِمَنْ بَادَ تَنْظُرْ آيَةً عَجَباً ... وَعِبْرَةً لِأُولِي الأَلْبَابِ وَالْعِبَرِ
أَيْنَ الأُلَىٰ جَنَبُوا خَيْلاً مُسَوَّمَةً ... وَشَيَّدُوا إِرَماً خَوْفاً مِنَ الْقَدَرِ
لَمْ تُغْنِهِمْ خَيْلُهُمْ يَوْماً وَإِنْ كَثُرَتْ ... وَلَمْ تُفِدْ إِرَمٌ لِلْحَادِثِ النُّكُرِ
بَادُوا فَعَادُوا حَدِيثاً إِنَّ ذَا عَجَبٌ ... مَا أَوْضَحَ الرُّشْدَ لَوْلاَ سَيِّىءُ النَّظَرِ
تَنَافَسَ النَّاسُ فِي الدُّنْيَا وَقَدْ عَلِمُوا ... أَنَّ الْمُقَامَ بِهَا كَاللَّمْحِ بِالْبَصَرِ

انتهى.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ

---

(١) ينظر: «**السبعة**» (٥٨٤)، و«**الحجة**» (٦/ ١٣٨)، و«**إعراب القراءات**» (٢/ ٢٩٢)، و«**معاني القراءات**» (٢/ ٣٦١)، و«**شرح الطيبة**» (٥/ ٢١٧)، و«**العنوان**» (١٧١)، و«**حجة القراءات**» (٦٤٤)، و«**شرح شعلة**» (٥٧٥)، و«**إتحاف**» (٢/ ٤٥٣).

ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

وقوله سبحانه: ﴿ولئن سألتهم من خلق السمٰوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم﴾: الآيةُ ابتداءُ احتجاجٍ علَىٰ قُرَيْشٍ/ يوجبُ عليهم التناقُضَ من حيث أَقرّوا بالخَالِقِ، وعَبَدُوا غيره، وجاءتِ العبارةُ عنِ اللَّه بـ﴿العزيز العليم﴾؛ ليكونَ ذلك تَوْطِئَةً لما عَدَّدَ سبحانه من أوصافه التي ابتدأَ الإِخبار بها، وقَطَعَهَا من الكلام الذي حَكَىٰ معناه عن قُرَيْشٍ. ٤٥أ

وقوله تعالى: ﴿الذي جعل لكم الأرض مهداً وجعل لكم فيها سبلاً لعلَّكم تهتدون﴾ الآية، هذه أوصافُ فِعْلٍ، وهي نِعَمٌ من اللَّه سبحانه على البَشَرِ، تقوم بها الحُجَّةُ على كُلِّ مُشْرِكٍ.

وقوله: ﴿الذي جعل لكم﴾ ليس هو مِنْ قَوْلِ المسؤولين، بل هو ابتداء إِخبارٍ من اللَّه تعالى.

وقوله سبحانه: ﴿والذي نزل من السماء ماء بقدر﴾ قيل: معناه: بقدر في الكفاية للصلاح لا إِكثار فَيَفْسُدَ، ولا قِلَّة فيقصر؛ بل غيثاً مُغِيثاً، وقيل: ﴿بقَدَرٍ﴾ أي: بقضاء وحَتْم، وقالت فرقة: معناه: بتقديرٍ وتحريرٍ، أي: قدر ماء معلوماً، ثم اختلف قائلُو هذه المقالَة فقال بعضهم: ينزل في كلِّ عامٍ ماءً قَدْراً واحداً، لا يَفْضُلُ عامٌ عاماً، لكن يكثر مرَّةً ههنا ومرة ههنا، وقال بعضهم: بل ينزل تقديراً مَّا في عَامٍ، وينزل في آخرَ تقديراً مَّا، وينزل في آخر تقديراً آخرَ بِحَسَبِ ما سَبَقَ به قضاؤه لا إِلٰه إلا هو.

قُلْتُ: وبعض هذه الأقوالِ لا تُقَالُ من جهة الرأْيِ، بل لا بُدَّ لها من سَنَدٍ، و﴿أنشرنا﴾ معناه: أَحْيَيْنَا؛ يقال: نُشِرَ المَيِّتُ وأَنْشَرَهُ اللَّهُ، والأزواجُ هنا الأنواعُ من كل شيْءٍ، و﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿مِنَ الفُلْكِ وَالأنعام﴾ للتبعيض، والضمير في ﴿ظهوره﴾ عائدٌ على/ النوع المركوبِ الذي وقَعَتْ عليه «ما»، وقد، بَيَّنَتْ آية أخرَىٰ ما يقال عند ركوب الفُلْكِ، وهو: «بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ» [هود: ٤١] وإِنما هذه خاصَّةٌ فيما يُرْكَبُ من الحيوان، وإِنْ قَدَّرنا أَنَّ ذِكْر النعمة هو بالقَلْبِ، والتذكُّر بدء الراكِبُ بـ﴿سُبْحَانَ الذي سخر لنا هذا﴾، وهو يرى نعمة اللَّه في ذلك وفي سواه و﴿مُقْرِنِينَ﴾ أي: مطيقين، وقال أبو حيَّان ﴿مُقْرنين﴾: خبر كان، ومعناه غالبين ضابطين، انتهى، وهو بمعنى الأَوَّل، ﴿وإِنا إلى ربنا لمنقلبون﴾ أَمْرٌ بالإِقرار بالبعث. ٤٥ب

* ت *: وعن حمزة بن عمرو الأسلميِّ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلَىٰ ظَهْرِ كُلِّ بَعِيرٍ شَيْطَانٌ، فَإِذَا رَكِبْتُمُوهَا فَسَمُّوا اللَّهَ» رواه ابن حِبَّان في «**صحيحه**»[1]، انتهى من «**السلاح**»، وينبغي لمن مَلَّكَهُ اللَّه شيئاً من هذا الحيوان أَنْ يَرْفُقَ به ويُحْسِنَ إليه؛ لينالَ بذلك رضا اللَّه تعالى، قال القُشَيْرِيُّ في «**التحبير**»: وينبغي لِلْعَبْدِ أنْ يكُونَ مُعَظِّماً لِرَبِّه، نَفَّاعاً لخلقه، خيراً في قومه، مُشْفِقاً علَىٰ عباده؛ فَإِنَّ رأس المعرفة تعظيمُ أمر اللَّه سبحانه، والشفقَةُ على خَلْقِ اللَّه، انتهى، ورَوَىٰ مالكٌ في «**المُوَطَّإِ**» عن النبيِّ ﷺ؛ أَنَّه قال: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ إِذِ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَوَجَدَ بِئْراً فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ، فَخَرَجَ فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ، يَأْكُلُ الثَّرَىٰ مِنَ العَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي بَلَغَ مِنِّي، فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلأَ خُفَّهُ، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ حَتَّى رَقَى فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّ لَنَا في الْبَهَائِمِ أَجْرَاً؟!/ فَقَالَ: في كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ»[2]. ٤٦أ

قال أبو عُمَرَ في «**التمهيد**»: وكذا في الإساءة إلى الحيوان إِثْمٌ، وقد رَوَىٰ مالكٌ، عن نافع، عن ابنِ عمر؛ أَنَّ النبيَّ ﷺ قال: «دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ في هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا فَلاَ هِيَ أَطْعَمَتْهَا، ولاَ هِيَ أَطْلَقَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ»[3]، ثم أسند أبو عُمَرَ؛ «أَنَّ النبيَّ ﷺ دَخَلَ حَائِطاً مِنْ

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤٩٤)، وابن حبان (٤/ ٦٠٢ ـ ٦٠٣) كتاب «الصلاة» باب: شروط الصلاة، ذكر البيان بأن قوله ﷺ: «فإنها خُلقت من الشياطين» لفظة أطلقها على المجاوزة لا على الحقيقة برقم: (١٧٠٣)، والطبراني (٣/ ١٧٠٦) (٢٩٩٣).

قال الهيثمي في «**مجمع الزوائد**» (١٠/ ١٣٤): رواه أحمد والطبراني في «**الكبير**» و«**الأوسط**» ورجالهما رجال الصحيح غير محمد بن حمزة، وهو ثقة.

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ١٣٦) كتاب «المظالم» باب: الآبار التي على الطريق إذا لم يتأذَّ بها (٢٤٦٦)، ومسلم (٤/ ١٧٦١) كتاب «السلام» باب: فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها (١٥٣/ ٢٢٤٤).

(٣) أخرجه البخاري (٦/ ٤٠٩) كتاب «بدء الخلق» باب: إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه فإن في أحد جناحيه داء وفي الآخر شفاء، وخمس من الدواب فواسق يُقتلن في الحرم (٣٣١٨)، ومسلم (٤/ ١٧٦٠) كتاب «السلام» باب: تحريم قتل الهرة (١٥١/ ٢٢٤٢)، و (٤/ ٢٠٢٢) كتاب «البر والصلة والآداب» باب: تحريم تعذيب الهرة ونحوها (١٢٣/ ٢٢٤٢)، (١٣٤/ ٢٢٤٢)، وابن حبان (٢/ ٣٠٥) كتاب «البر والإحسان» باب: فصل من البر والإحسان، ذكر استحباب الإحسان إلى ذوات الأربع رجاء النجاة من العقبى به (٥٤٦)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١١٥) (٣٧٩)، والدارمي (٢/ ٣٣٠ ـ ٣٣١) كتاب «**الرقاق**» باب: دخلت امرأة النار في هرة، البيهقي (٥/ ٢١٤) كتاب «الحج» باب: كراهية قتل النملة للمحرم وغير المحرم، وكذلك ما لا ضرر فيه مما لا يؤكل، (٨/ ١٣) كتاب «النفقات» باب: نفقة الدواب، وأحمد (٢/ ١٥٩، ١٨٨).

وفي الباب من حديث أبي هريرة: أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٢٣) كتاب «البر والصلة والآداب» باب: تحريم تعذيب الهرة ونحوها، من الحيوان الذي لا يؤذى برقم: (١٣٥/ ٢٦١٩)، وأحمد (٢/ ٢٦١، ٢٦٩، ٢٨٦، ٣١٧، ٤٢٤، ٤٥٧، ٤٦٧، ٤٧٩، ٥٠١، ٥٠٧، ٥١٩)، وابن ماجه (٢/ ١٤٢١) كتاب=

حِيطَانِ الأَنْصَارِ، فَإِذَا جَمَلٌ قَدْ أُتِيَ فَجُرْجِرَ، وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَمَسَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَرَاتَهُ وَذِفْرَاهُ، فَسَكَنَ، فَقَالَ: مَنْ صَاحِبُ الجَمَلِ؟ فَجَاءَ فَتًى مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ: هُوَ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: أَمَا تَتَّقِي اللَّهَ في هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللَّهُ؛ إِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وتُدْئِبُهُ»[1] ومعنى ذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، أي: قَطَرَتْ دموعُهما قطراً ضعيفاً، والسَّرَاةُ الظَّهْرُ، «والذِّفْرَىٰ»: ما وراءَ الأذنَيْن عن يمين النُّقْرَةِ وشِمَالِهَا، انتهى.

﴿وَجَعَلُوا لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿وجعلوا له من عباده جزءاً﴾ أيْ: جَعَلَتْ كُفَّارُ قُرَيْشٍ والعربِ للَّه جزءاً، أي: نصيباً وحَظًّا، وهو قولُ العَرَبِ: «الملائكة بنات اللَّه»؛ هذا قول كثير من المتأولين، وقال قتادة: المراد بالجُزْء: الأَصْنَامُ وغيرها[2] فـ﴿جُزْءاً﴾ معناه: نِدًّا.

* ت *: وباقي الآية يُرَجِّحُ تأويلَ الأكثرِ.

وقوله: ﴿أم اتخذ﴾: إضرابٌ وتقريرٌ وتوبيخٌ؛ إذِ المحمود المحبوبُ من الأولاد قد خَوَّلَهُ اللَّه بني آدم، فكيفَ يتَّخِذُ هو لنفسه النصيب الأدنى، وباقي الآية بَيِّنٌ مِمَّا ذُكِرَ في «سورة النحل» وغيرها.

ثم زاد سبحانه في توبيخهم وإفساد رأيهم بقوله: ﴿أَو من ينشأ في الحلية﴾ التقدير: أو مَنْ يُنَشَّأُ في الْحِلْيَةِ هو الذي خَصَصْتُم به اللَّه عز وجل، والحِلْيَةُ: الْحَليُ من الذهب/ والفضة والأحجار، و﴿ينشَّأ﴾ معناه: ينبت وَيَكْبُر، و﴿الخصام﴾: المحاجَّةُ ومجاذبة المحاورة، وقَلَّ ما تجد امرأة إلاَّ تُفْسِدُ الكلام وتخلط المعاني، وفي مصحف ابن مسعود[3]: «وَهُوَ في الكَلاَمِ غَيْرُ مُبِينٍ» والتقدير: غير مُبِينٍ غَرَضاً أو منزعاً ونحو هذا،

٤٦ ب

«الزهد» باب: ذكر التوبة برقم: (٤٢٥٦)، وابن حبان (١٢/ ٤٣٨ ـ ٤٣٩) كتاب «الحظر والإباحة» باب: فصل فيما يتعلق بالدواب، ذكر الخبر الدال على أن المسيء إلى ذوات الأربع قد يتوقع له دخول النار في القيامة بفعله ذلك، برقم: (٥٦٢١).

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٠٤).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٧٢) برقم: (٣٠٧٨٩ ـ ٣٠٧٩٠) عن قتادة، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٨ ـ ٤٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٧١٧)، وعزاه إلى ابن حميد، وعبد الرزاق، وابن المنذر.

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٤٩).

وقال ابن زيد: المراد بـ﴿مَنْ ينشأ في الحلية﴾: الأصنامُ والأوثان، لأنَّهم كانوا يجعلون الحَلْيَ علَىٰ كثير منها، ويتخذون كثيراً منها من الذهب والفضة[١]، **وقرأ** أكثر السبعة: «وجَعَلُوا المَلاَئِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمٰنِ إِناثاً» **وقرأ** الحَرَمِيَّانِ وابنُ عَامِرٍ: «عِنْدَ الرَّحْمٰنِ إِناثاً» وهذه القراءة أَدَلُّ على رفع المنزلة[٢].

وقوله تعالى: «أَأُشْهِدُوا خَلْقَهُمْ» معناه أَأُحْضِرُوا خَلْقَهُمْ، وفي قوله تعالى: ﴿ستكتب شهادتهم ويسئلون﴾ وعيدٌ مُفْصِحٌ، وأسند ابن المبارك عن سليمان بن راشِدٍ؛ أنه بلغه أَنَّ ٱمْرَأً لا يشهدُ شهادةً في الدنيا إلاَّ شَهِدَ بها يومَ القيامة على رؤوس الأشهاد، ولا يمتدح عبداً في الدنيا إلاَّ امتدحه يوم القيامة على رؤوس الأشهاد، قال القرطبيُّ في «**تذكرته**»: وهذا صحيح؛ يَدُلُّ على صِحَّتِهِ قوله تعالى: ﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْئَلُونَ﴾ وقوله: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [قٓ: ١٨] انتهى.

﴿وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾

وقوله سبحانه: ﴿وقالوا لو شاء الرحمٰن ما عبدناهم...﴾ الآية، أي: ما عبدنا الأصنام.

* ت *: وقال قتادة وغيره: يعني: ما عبدنا الملائكة[٣]، وجعل الكفارُ إمهالَ اللَّه لهم دليلاً على رضاه عنهم، وأنَّ ذلك كالأمرِ به، ثم نفى سبحانه علمهم بهذا، وليس عندهم كتاب مُنَزَّلٌ يقتضي ذلك؛ وإنَّما هم يَظُنُّونَ ويحدسون/ ويُخَمِّنُون، وهذا هو ٤٧أ
الخَرْصُ والتخرُّص، والأُمَّة هنا بمعنى الملَّة والديانة، والآية على هذا تُعِيبُ عليهم التقليد،

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ١٤٧) برقم: (٣٠٨٠٠)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٩).

(٢) ينظر: «**السبعة**» (٥٨٥)، و«**الحجة**» (٦/ ١٤٠)، و«**إعراب القراءات**» (٢/ ٢٩٥)، و«**معاني القراءات**» (٢/ ٣٦٢)، و«**شرح الطيبة**» (٥/ ٢١٨)، و«**العنوان**» (١٧١)، و«**حجة القراءات**» (٦٤٧)، و«**شرح شعلة**» (٥٧٦)، و«**إتحاف**» (٢/ ٤٥٤).

(٣) ذكره البغوي في «**تفسيره**» (٤/ ١٣٦) آية رقم: (٢٠)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٥/ ٧١٩)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

وذكر الطبريُّ[١] عن قوم أَنَّ الأمَّة الطريقة، ثم ضرب اللَّه المثل لنبيِّه محمد ـ عليه السلام ـ وجعل له الأُسْوَةَ فيمن مضى من النذر والرسل؛ وذلك أَنَّ المُتْرَفِينَ من قومهم، وهم أهل التنعُّم والمال، قد قابلوهم بِمِثْلِ هذه المقالةِ، وفي قوله عز وجل: ﴿فانتقَمْنَا منهم...﴾ الآية: وعيدٌ لقريشٍ، وضَرْبُ مَثَلٍ لهم بِمَنْ سَلَفَ من الأمم المُعَذَّبَةِ المُكَذِّبَةِ لأنبيائها.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿وإذ قال إبراهيم﴾ المعنى: واذكر إِذ قال إِبراهيم لأبيه وقومه: ﴿إنني براء مما تعبدون﴾ أي: فافعل أَنْتَ فِعْلَهُ، وتَجَلَّدْ جَلَدَهُ، وَ﴿بَرَآءٌ﴾: صفة تجري على الوَاحِدِ والاثْنَيْنِ والجَمْعِ؛ كَعَدْلٍ وَزَوْرٍ، **وقرأ** ابن مسعود: «بَرِيءٌ»[٢].

وقوله: «إلا الذي فطرني» قالت فرقة: الاستثناء مُتَّصِلٌ، وكانوا يعرفون اللَّه ويُعَظِّمُونه، إِلاَّ أَنَّهم كانوا يشركون معه أصنامهم، فكأَنَّ إِبراهيم قَالَ لهم: أنا لا أوافقكم إِلاَّ على عبادة اللَّه الذي فطرني، وقالت فرقة: الاستثناء مُنْقَطِعٌ، والمعنى: لكنَّ الذي فطرني هو معبودي الهادي المُنْجي من العذاب، وفي هذا استدعاءٌ لهم، وترغيبٌ في طاعةِ اللَّه، وتطميع في رحمته.

والضمير في قوله: ﴿وجعلها كلمة...﴾ الآية، قالت: فرقة: هو عائد على كلمته بالتوحيد في قوله: ﴿إنني براء﴾ وقال مجاهد وغيره: المراد بالكلمة: لا إله إلا اللَّه[٣]، وعاد عليها الضمير، وإِنْ كان لم يجر لها ذكر؛ لأَنَّ اللفظ يتضمَّنها، والعَقِبُ: الذُّرِّيَّةُ، ووَلَدُ الوَلَدِ ما امتدَّ فرعهم.

﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» (١١/ ١٧٦).

(٢) وقرأ بها الأعمش.
ينظر: «مختصر الشواذ» ص: (١٣٦)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٥١)، و«البحر المحيط» (٨/ ١٣)، و«الدر المصون» (٦/ ٩٦).

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ١٧٩) برقم: (٨٠٨١٨ ـ ٨٠٨١٩)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ١٣٧)، وابن عطية (٥/ ٥٢)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٧٢٠)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾

وقوله:/ ﴿بل متعت هؤلاء﴾ يعني قريشاً ﴿حتى جاءهم الحق ورسول﴾، وذلك هو ٤٧ ب
شرع الإسلام، والرسول [هو] محمد ﷺ و﴿مبين﴾ أي: يبين لهم الأحكام، والمعنى في الآية: بل أمهلتُ هؤلاءِ وَمَتَّعْتُهُمْ بالنعمة ﴿ولما جاءهم الحق﴾ يعني القرآن ﴿قالوا هذا سحر﴾.

﴿وقالوا﴾ يعني قريشاً: ﴿لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾ يعني: من إحدى القريتين، وهما مَكَّةُ والطَّائِفُ، ورجل مَكَّةَ هو الوَلِيدُ بْنُ المُغِيرَةِ في قول ابن عباس وغيره[1]، وقال مجاهد: هو عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ[2]، وقيل غير هذا، ورجل الطائف: قال قتادة: هو عُرْوَةُ بْنُ مسعود[3]، وقيل غير هذا، قال * ع[4] *: وإنَّما قصدوا إلى من عظم ذكره بالسِّنِّ، وإلاَّ فرسول اللَّه ﷺ كان أعظمَ من هؤلاء؛ إذ كان المُسَمَّىٰ عندهم «الأمين»، ثم وَبَّخَهُم سبحانه بقوله: ﴿أهم يقسمون رحمت ربك﴾ و«الرحمة» اسم عامٌّ يشمل النُّبُوَّةَ وغيرها، وفي قوله تعالى: ﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم﴾ تزهيدٌ في السعايات، وعون على التَّوَكُّلِ على اللَّه عز وجل؛ وللَّه دَرُّ القائل: [الرجز]

[كَمْ جَاهِلٍ يَمْلِكُ دُوراً وَقُرًى ... [وَعَالِمٍ يَسْكُنُ بَيْتاً بِالْكِرَا][5]
لَمَّا سَمِعْنَا قَوْلَهُ سُبْحَانَهُ ... نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ زَالَ المِرَا[6]

وروى ابن المبارك في «رقائقه» بسنده عن النبيِّ ﷺ أَنَّهُ قال: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْراً أَرْضَاهُ بِمَا قَسَمَ لَهُ، وَبَارَكَ لَهُ فِيهِ، وَإِذَا لَمْ يُرِدْ بِهِ خَيْراً، لَمْ يُرْضِهِ بِمَا قَسَمَ لَهُ، وَلَمْ يُبَارِكْ لَهُ فِيهِ»[7] انتهى، و﴿سخريًا﴾ بمعنى التسخير، ولا مدخل لمعنى الهزء في هذه الآية.

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ١٨١) برقم: (٣٠٨٢٩)، وذكره ابن عطية (٥/ ٥٢)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ١٢٦ ـ ١٢٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٧٢١)، وعزاه إلى ابن مردويه، وابن أبي حاتم.
(٢) أخرجه الطبري (١١/ ١٨١) برقم: (٣٠٨٣٠)، وذكره البغوي (٤/ ١٣٧)، وابن عطية (٥/ ٥٢)، وابن كثير (٤/ ١٢٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٧٢١)، وعزاه إلى ابن عساكر.
(٣) أخرجه الطبري (١١/ ١٨١) برقم: (٣٠٨٣١)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ١٣٧)، وابن عطية (٥/ ٥٢)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٧٢١)، وعزاه إلى عبد بن حميد.
(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٥٣).
(٥) سقط في: د.
(٦) ذكر بعضه ابن عطية في «المحرر» (٥/ ٥٣).
(٧) ذكره السيوطي في «الجامع الكبير» (١١١٧)، وعزاه للديلمي عن أبي هريرة.

وقوله تعالى: ﴿ورحمت ربك خير مما يجمعون﴾ قال قتادة والسُّدِّيُّ: يعني الجنة[١]، قال * ع[٢] *: ولا شَكَّ أَنَّ الجنة هي الغاية، ورحمة اللَّه في الدنيا بالهداية والإِيمان خير من/ كُلِّ مال، وفي هذا اللفظ تحقير للدنيا، وتزهيد فيها، ثم استمرَّ القولُ في تحقيرها بقوله سبحانه: ﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة...﴾ الآية؛ وذلك أَنَّ معنى الآية أَنَّ اللَّه سبحانه أبقى على عباده، وأنعم عليهم بمراعاة بقاء الخير والإِيمان، وشاء حفظه على طائفة منهم بَقِيَّةَ الدهر، ولولا كراهيةُ أنْ يكونَ الناسُ كُفَّاراً كُلُّهم، وأَهْلَ حُبٍّ في الدنيا وتجرُّدٍ لها ـ لوسَّعَ اللَّه على الكفار غايةَ التوسعة، ومَكَّنَهم من الدنيا؛ وذلك لحقارتها عنده سبحانه، وأنها لا قَدْرَ لها ولا وزنَ؛ لفنائها وذَهَابِ رسومها، فقوله: ﴿أمَّة واحدة﴾ معناه في الكُفْرِ؛ قاله ابن عباس وغيره[٣]، ومن هذا المعنى قوله ﷺ: «لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَزِنُ عِنْدَ اللَّه جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، مَا سَقَىٰ كَافِراً مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ»[٤] وروى ابن المبارك في **«رقائقه»** بسنده عن عَلْقَمَةَ عن عبد اللَّه قال: «اضْطَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى حَصِيرٍ فَأَثَّرَ الحَصِيرُ في جَنْبِهِ، فَلَمَّا ٱسْتَيْقَظَ، جَعَلْتُ أَمْسَحُ عَنْهُ، وَأَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلاَ آذَنْتَنِي قَبْلَ أَنْ تَنَامَ عَلَىٰ هَذَا الحَصِيرِ، فَأَبْسُطَ لَكَ عَلَيْهِ شَيْئاً يَقِيكَ مِنْهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا لِيَ ولِلدُّنْيَا، وَمَا لِلدُّنْيَا وَمَا لِي مَا أَنَا وَالدُّنْيَا إِلاَّ كَرَاكِبٍ ٱسْتَظَلَّ في فَيْءِ أَوْ ظِلِّ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا»[٥] انتهَىٰ، وقد خَرَّجه التِّرمذيُّ، وقال: حديثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، و﴿سقفاً﴾ جمع

١٤٨أ

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ١٨٤) برقم: (٣٠٨٤١ ـ ٣٠٨٤٢)، وذكره ابن عطية (٥/ ٥٣)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٥/ ٧٢٢)، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٢) ينظر: **«المحرر الوجيز»** (٥/ ٥٣).

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ١٨٤) برقم: (٣٠٨٤٣)، وذكره ابن عطية (٥/ ٥٣)، وابن كثير (٤/ ١٢٧)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٥/ ٧٢٢)، وعزاه إلى ابن أبي حاتم، وابن المنذر عن ابن عباس، ولعبد الرزاق، وعبد بن حميد عن قتادة، وابن المنذر عن مجاهد.

(٤) أخرجه الترمذي (٤/ ٥٦٠) كتاب «الزهد» باب: ما جاء في هوان الدنيا على اللَّه عز وجل (٢٣٢٠)، وأبو نعيم في **«الحلية»** (٣/ ٢٥٣).

قال الترمذي: هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه.

(٥) أخرجه الترمذي (٤/ ٥٨٨ ـ ٥٨٩) كتاب «الزهد» باب: (٤٤) (٢٣٧٧)، وأحمد (١/ ٣٩١، ٤٤١)، وابن ماجه (٢/ ١٣٧٦) كتاب «الزهد» باب: مثل الدنيا (٤١٠٩)، وأخرجه في **«دلائل النبوة»** (١/ ٣٣٧ ـ ٣٣٨)، والبيهقي في **«شعب الإيمان»** (٧/ ٣١١) (١٠٤١٥)، وأبو نعيم في **«الحلية»** (٤/ ٢٣٤).

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

قال أبو نعيم: غريب من عمرو وإبراهيم، تفرد به المسعودي، ورواه المعافي بن عمران، ووكيع بن الجراح، ويزيد بن هارون عن المسعودي مثله، وحدث به جرير عن الأعمش عن إبراهيم، وهو غريب. =

سَقْف، والمعارج: الأدراج التي يُطْلَعُ عليها؛ قاله ابن عباس وغيره[١]، و﴿يظهرون﴾ معناه: يعلون؛ ومنه حديث عائشةَ ـ رضي اللَّه عنها ـ والشمس في حجرتها لم تظهر/ بعد، ٤٨ ب والسُّرُرُ: جمع سرير، والزُّخْرُفُ: قال ابن عَبَّاس، والحسن، وقتادة والسُّدِّيُّ: هو الذهب[٢]، وقالت فرقة: الزُّخْرُفُ: التزاويق والنَّقْش ونحوه؛ وشاهده: ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ [يونس: ٢٤] **وقرأ** الجمهور: ﴿وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَا﴾ ـ بتخفيف الميم ـ من «لما»؛ فـ«إِنْ» مُخَفَّفَةٌ من الثقيلة، واللام في «لما» داخلةٌ؛ لتَفْصِلَ بين النفي والإِيجاب، **وقرأ** عاصم، وحمزة، وهشام بخلافٍ عنه ـ بتشديد الميم ـ من «لَمَّا»[٣]؛ فـ«إِنْ» نافيةٌ بمعنى [«مَا»، و«لَمَّا» بمعنى][٤] «إِلاَّ»، أي: وما كُلُّ ذلك إِلاَّ متاعُ الحياة الدنيا، وفي قوله سبحانه: ﴿والآخرة عند ربك للمتقين﴾ وعْدٌ كريمٌ، وتحريضٌ على لزوم التقوَىٰ، إِذْ في

= وفي الباب من حديث ابن عباس نحوه: أخرجه ابن حبان (٨/ ٢٠٩) ـ الموارد (٢٥٢٦)، وابن حبان (١٤/ ٢٦٥) كتاب «التاريخ» باب: صفته ﷺ وأخباره، ذكر ما مثل المصطفى ﷺ نفسه والدنيا بمثل ما مثل به (٦٣٥٢)، وأحمد (١/ ٣٠١)، والحاكم (٤/ ٣٠٩، ٣١٠) والطبراني (١١/ ٣٢٧) (١١٨٩٨)، والبيهقي في **«شعب الإيمان»** (٧/ ٣١٢) (٧/ ١٠٤).

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه. ا هـ.

قال الهيثمي في **«مجمع الزوائد»** (١٠/ ٣٢٩): ورجال أحمد رجال الصحيح غير هلال بن خباب، وهو ثقة. ا هـ.

وفي الباب من حديث ابن عمر: أن رسول اللَّه ﷺ أتى فاطمة رضي اللَّه عنها فوجد على بابها ستراً... إلى أن قال: «وما أنا والدنيا وما أنا والرقم...» الحديث. أخرجه البخاري (٥/ ٢٧٠) كتاب «الهبة» باب: هدية ما يكره لبسها (٢٦١٣)، وأبو داود (٢/ ٤٧٠) كتاب «اللباس» باب: في اتخاذ الستور (٤١٤٩)، وأحمد (٢/ ٢١)، وابن حبان في **«صحيحه»** (١٤/ ٢٦٧) كتاب «التاريخ» باب: صفته ﷺ وأخباره، وذكر ما مثل به المصطفى ﷺ نفسه والدنيا بمثل ما مثل به. (٦٣٥٣)، والبيهقي في **«شعب الإيمان»** (٧/ ٣١٢) (١٠٤١٦).

(١) أخرجه الطبري (١١/ ١٨٦) برقم: (٣٠٨٥٠، ٣٠٨٥٤) عن ابن عباس، و (٣٠٨٥١) عن قتادة، و (٣٠٨٥٢) عن السدي، و (٣٠٨٥٣) عن قتادة، و (٣٠٨٥٥) عن ابن زيد، وذكره ابن عطية (٥/ ٥٤)، وابن كثير (٤/ ١٢٧)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٥/ ٧٢٢)، وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ١٨٦ ـ ١٨٧) برقم: (٣٠٨٥٨، ٣٠٨٦٢)، وذكره ابن عطية (٥/ ٥٤)، وابن كثير (٤/ ١٢٧)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٥/ ٧٢٢)، وعزاه إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس، وعبد الرزاق، وعبد بن حميد عن قتادة.

(٣) ينظر: **«السبعة»** (٥٨٦)، و**«الحجة»** (٦/ ١٤٩)، و**«إعراب القراءات»** (٢/ ٢٩٧)، و**«معاني القراءات»** (٢/ ٣٦٤)، و**«شرح الطيبة»** (٥/ ٢٢٠)، و**«العنوان»** (١٧١)، و**«حجة القراءات»** (٦٤٩)، و**«إتحاف»** (٢/ ٤٥٦).

(٤) سقط في: د.

الآخرة هو التباينُ الحقيقيُّ في المنازل؛ قال الفخر[١]: بَيَّنَ تعالَىٰ أَنَّ كُلَّ ذلك متاع الحياة الدنيا، وأَمَّا الآخرة فهي باقيةٌ دائمةٌ، وهي عند اللَّه وفي حُكْمِهِ للمتَّقِينَ المُعْرِضِينَ عَنْ حُبِّ الدنيا، المقبلين عَلَىٰ حُبِّ المَوْلَى، انتهى.

﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾﴾

وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمٰن﴾ الآية، وعَشَا يَعْشُو معناه: قَلَّ الإبصارُ منه، ويقال أيضاً: عَشِيَ الرجلُ يَعْشَىٰ: إذا فَسَدَ بَصَرُه، فلم يَرَ، أو لَمْ يَرَ إلاَّ قليلاً، فالمعنى في الآية: ومَنْ يَقِلُّ بَصَرُهُ في شرع اللَّه، ويغمضُ جفونه عن النَّظَرِ في ذِكْرِ الرحْمٰنِ، أي: فيما ذكَّر به عباده، أي: فيما أنزله من كتابه، وأوحاه إلى نَبِيِّه.

وقوله: ﴿نُقَيِّض له شيطاناً﴾ أي: نُيَسِّرْ له، ونُعِدَّ، وهذا هو العقاب على الكفر بالحتم وعدمِ الفلاحِ، وهذا كما يقال: إنَّ اللَّه تعالى يُعَاقِبُ على المعصية بالتزيُّد في المعاصي، ويجازي على الحسنة بالتزيُّد من الحَسَنَاتِ، وقد روي هذا المعنى مرفوعاً. قال * ص *: ﴿ومن يَعْشُ﴾ الجمهور بضم الشين[٢]، أي: يَتَعَامَ ويتجاهَلْ، فـ﴿مَنْ﴾ شرطيةٌ، و﴿يَعْشُ﴾ مجزومٌ بها، و﴿نقيِّضْ﴾/ جوابُ ﴿مَنْ﴾، انتهى، والضمير في قوله: ﴿وإنهم﴾ عائد على الشياطين، وفيما بعده عائد على الكُفَّارِ، **وقرأ** نافع وغيره[٣]: «حَتَّى إِذَا جَاءَانَا»؛ على التثنية، يريد: العاشي والقرين؛ قاله قتادة وغيره[٤]، **وقرأ** أبو عمرو وغيره: «جَاءَنا» يريد العاشي وحدَه[٥]، وفاعل ﴿قال﴾ هو العَاشِي، قال الفَخْرُ[٦]: ورُوِيَ أَنَّ الكافر

١٤٩أ

---

(١) ينظر: «**الرازي**» (٢٧/ ١٨٢).

(٢) ينظر: «**الدر المصون**» (٦/ ٩٨).

(٣) وقرأ بها ابن كثير وابن عامر، وأبو بكر.
ينظر: «**السبعة**» (٥٨٦)، و«**الحجة**» (٦/ ١٥٠)، و«**إعراب القراءات**» (٢/ ٢٩٧)، و«**معاني القراءات**» (٢/ ٣٦٥)، و«**شرح الطيبة**» (٢/ ٢٢٢)، و«**العنوان**» (١٧١)، و«**حجة القراءات**» (٦٥٠)، و«**شرح شعلة**» (٥٧٧)، و«**إتحاف**» (٢/ ٤٥٦).

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ١٨٩) برقم: (٣٠٨٦٩)، وذكره ابن عطية (٥/ ٥٥).

(٥) ينظر: مصادر القراءة السابقة.

(٦) ينظر: «**تفسير الفخر الرازي**» (٢٧/ ١٨٣).

إذا بُعِثَ يوم القيامة من قبره أَخَذَ شَيْطَانٌ بيده، فلم يُفَارِقْهُ حَتَّىٰ يصيِّرهما اللَّه إلى النار، فذلك حيث يقول: ﴿يا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ المَشْرِقَيْنِ﴾ انتهى.

وقوله: ﴿بعد المشرقين﴾ يحتمل مَعَانِيَ:

أحدها: أن يريد بُعْدَ المشرق من المغرب، فَسَمَّاهما مَشْرِقَيْنِ؛ كما يقال القَمَرَانِ، والعُمَرَانِ.

والثاني: أنْ يريد مشرق الشمس في أطول يوم، ومشرقها في أقصر يوم.

والثالث: أنْ يريد بعد المشرقَيْنِ من المغربين، فاكتفى بذكر المشرقين.

قلت: واستبعد الفَخْرُ التأويل الثاني قال: لأَنَّ المقصودَ من قوله: ﴿يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين﴾ المبالغةُ في حصول البُعْدِ، وهذه المبالغة إنَّما تحصل عند ذكر بُعْدٍ لا يمكن وُجُودُ بُعْدٍ أزيدَ منه، والبُعْدُ بين مشرق الشتاء ومشرق الصيف ليس كذلك، فَيَبْعُدُ حَمْلُ اللَّفْظِ عليه؛ قال: والأَكْثَرُونَ عَلَى التأويل الأَوَّلِ، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿ولن ينفعكم اليوم...﴾ الآية، حكايةٌ عن مقالة تُقَالُ لهم يوم القيامة، وهي مقالة مُوحِشَةٌ فيها زيادةُ تعذيبٍ لهم ويأْسٍ من كل خير، وفاعل ﴿ينفعكم﴾ الاشتراك، ويجوز أنْ يكون فاعل ﴿ينفعكم﴾ التَبَرِّي الذي يدل عليه قوله: ﴿يا ليت﴾.

وقوله سبحانه: ﴿أفأنت تسمع الصم...﴾ الآية، خطاب لِلنَّبِيِّ ﷺ وباقي الآية / تكرَّر معناه غيرَ ما مَرَّةٍ. ٤٩ ب

﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿فاستمسك بالذي أوحي إليك﴾ أي: بما جاءك من عند اللَّه من الوحي المتلوِّ وغيره.

وقوله: ﴿وإنه لذكر لك﴾ يحتمل أَنْ يريد: وإِنَّهُ لشرف في الدنيا لكَ ولِقَوْمِكَ يعني: قُرَيْشاً؛ قاله ابن عباس وغيره[1]، ويحتمل أنْ يريد: وإِنَّه لتذكرة وموعظة، فـ«القومُ» علَىٰ هذا أُمَّتُهُ بأجمعها، وهذا قول الحسن بن أبي الحسن[2].

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ١٩١) برقم: (٣٠٨٧٧)، وذكره ابن عطية (٥/ ٥٧)، وذكره السيوطي في «**الدر المنثور**»، وعزاه إلى ابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه، والبيهقي في «**شعب الإيمان**».

(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٥٧).

وقوله: ﴿وسوف تسئلون﴾ قال ابن عباس وغيره: معناه: عن أوامر القرآن ونواهيه[١]، وقال الحسن: معناه: عن شكر النعمة فيه[٢]، واللفظ يحتمل هذا كلَّه ويعمُّه.

وقوله تعالى: ﴿واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا...﴾ الآية، قال ابن زيد، والزُّهْرِيُّ: أما إنَّ النبي ﷺ لم يَسْأَلِ الرُّسُلَ ليلةَ الإِسْراءِ عن هذا؛ لأَنَّهُ كان أَثْبَتَ يقيناً مِنْ ذلك، ولم يكُنْ في شَكٍّ، وقال ابنُ عَبَّاسٍ وغيره: أراد: وَٱسْأَلْ أَتْبَاعَ مَنْ أرسلنا وحَمَلَةَ شرائعهم[٣]، وفي قراءة ابن مسعود وأُبَيٍّ: «واسْئَلِ الَّذِينَ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ»[٤].

* ت *: قال عِيَاضٌ: قوله تعالى: «واسئل من أرسلنا من قبلك...» الآية: الخطابُ مواجهةٌ للنبيِّ ﷺ، والمراد المشركون؛ قاله القُتَبِيُّ، ثم قال عِيَاضٌ: والمراد بهذا، الإِعلامُ بأَنَّ اللَّه عزَّ وجلَّ لم يأذنْ في عبادة غيره لأحد؛ رَدًّا على مُشْرِكي العرب وغيرهم في قولهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣] انتهى.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا...﴾ الآية، ضَرْبُ مثلٍ وأسوةٍ للنبيِّ ﷺ بموسَىٰ ـ عليه السلام ـ ولِكُفَّارِ قريشٍ بقوم فرعونَ.

وقوله: ﴿وأخذناهم بالعذاب﴾ أي: كالطوفان والجراد والقُمَّلِ والضفادع،/ وغير ذلك ﴿لعلهم يرجعون﴾ أي: يتوبون ويرجعون عن كفرهم، وقالوا لما عاينوا العذاب لموسى: ﴿يأيه السَّاحِرُ﴾ [أي]: العَالِمُ، وإنَّما قالوا هذا على جهة التعظيم والتوقير؛ لِأَنَّ عِلْمَ السحر عندهم كان علماً عظيماً، وقيل: إنَّما قالوا ذلك على جهة الاستهزاء، والأَوَّلُ أرجَحُ، وقولهم: ﴿ادع لنا ربك بما عهد عندك إننا لمهتدون﴾ أي: إن نَفَعَتْنَا دَعْوَتُكَ. ١٥٠ أ

---

(١) ينظر: المصدر السابق.
(٢) ينظر: المصدر السابق.
(٣) أخرجه الطبري (١١/ ١٩٢) برقم: (٣٠٨٨٧) عن ابن زيد نحوه، وذكره ابن عطية (٥/ ٥٧).
(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٥٧).

وقوله: ﴿أليس لي ملك مصر...﴾ الآية: مِصْرُ من بحر الإسكندريَّة إلى أُسْوَان بطول النيل، والأنهار التي أشار إليها هي الخُلْجَانُ الكِبَارُ الخارجةُ من النِّيل.

﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾

وقوله: ﴿أم أنا خير﴾ قال سِيبَوَيْهِ: «أَمْ» هذه المعادلةُ، والمعنى: أفأنتم لا تبصرون؟ أم تبصرون، وقالت فرقة: «أم» بمعنى «بل»، **وقرأ** بعض الناس[1]: «أَمَا أَنَا خَيْرٌ» حكاه الفَرَّاءُ، وفي مصحف أُبَيِّ بن كعب[2]: «أَمْ أَنا خَيْرٌ أَمْ هَذَا» و﴿مهين﴾ معناه: ضعيف، ﴿ولا يكاد يبين﴾ إشارةٌ إلى ما بقي في لسان موسَىٰ من أَثَرِ الجَمْرَة، وكانت أحدثَتْ في لسانه عُقْدَةً، فَلَمَّا دعا في أَنْ تُحَلَّ لِيُفْقَهَ قولُهُ، أُجِيبَتْ دَعْوَتُهُ، لكِنَّهُ بقي أثرٌ كان البيانُ يقع معه، فَعَيَّرَهُ فرعونُ به.

وقوله: ﴿ولا يكاد يبين﴾ يقتضي أَنَّه كان يُبِين.

وقوله: ﴿فلولا ألقي عليه﴾: يريد من السماء، على معنى التكرمة، **وقرأ** الجمهور: «أَسَاوِرَةٌ» وقرأ حفص عن عاصم: «أَسْوِرَةٌ»[3] وهو ما يجعل في الذِّرَاعِ من الحلي، وكانت عادة الرجال يومئذ لُبْسَ ذلك والتَّزَيُّنَ به.

* ت *: وذكر بعض المفسرين عن مجاهد أَنَّهم كانوا إذا سَوَّدُوا رجلاً سَوَّرُوهُ بِسِوَارٍ، وَطَوَّقُوهُ بِطَوْقٍ من ذهب؛ علامةً لسيادته، فقال فرعون: هلا/ ألقى رَبُّ موسَىٰ ٥٠ ب
على موسَىٰ أساورةً من ذهب، أو جاء معه الملائكةُ مقترنين مُتَتَابعين، يُقَارِنُ بعضُهُمْ بَعْضاً، يمشون معه شاهدين له، انتهى، وقال * ع[4] *: قوله: ﴿مقترنين﴾: أي: يحمونه، ويشهدون له، ويقيمون حُجَّتَهُ.

* ت *: وما تقدَّم لغيره أحسنُ، ولا يُشَكُّ أنْ فرعونَ شَاهَدَ مِنْ حماية اللَّه لموسَىٰ

---

(١) ينظر: «الكشاف» (٤/ ٢٥٨)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٥٩)، و«البحر المحيط» (٨/ ٢٣).
(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٥٩).
(٣) ينظر: «الحجة» (٦/ ١٥١)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٣٠٠)، و«معاني القراءات» (٢/ ٣٦٦)، و«شرح الطيبة» (٥/ ٢٢٢)، و«العنوان» (١٧١)، و«حجة القراءات» (٦٥١)، و«شرح شعلة» (٥٧٧)، و«إتحاف» (٢/ ٤٥٧).
(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٦٠).

أموراً لم يَبْقَ معه شَكٌّ في أنَّ اللَّه قَدْ مَنَعَهُ منه.

وقوله سبحانه: ﴿ءاسفونا﴾ معناه: أغضبونا بلاَ خِلاَفٍ.

وقوله: ﴿فجعلناهم سَلَفاً﴾ «السلف»: الفارط المُتَقَدِّمُ، أي: جعلناهم متقدِّمين في الهلاك؛ لِيَتَّعِظَ بهم مَنْ بعدهم إلى يوم القيامة، وقال البخاريُّ: قال قتادةُ: ﴿مثلاً للآخرين﴾ عِظَةً[1]، انتهى.

﴿۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًاۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿ولما ضرب ابن مريم مثلاً...﴾ الآية، روي عن ابن عباس وغيره في تفسيرها؛ أَنَّهُ لما نَزَلَتْ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾ [آل عمران: ٥٩] الآية، وكَوْنُ عيسَىٰ من غير فَحْلٍ ـ قالت قريشٌ: ما يريد محمدٌ من ذكر عيسَىٰ إلاَّ أَنْ نعبده نَحْنُ كما عَبَدَتِ النصارَىٰ عيسَىٰ، فهذا كان صدودُهُمْ[2].

وقوله تعالى: ﴿وقالوا آآلهتنا خير أم...﴾ هذا ابتداء معنى ثان، وذلك أَنَّهُ لما نزل: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] الآية، قال [ابن] الزِّبَعْرَى ونظراؤه: يا محمد، آآلهتنا خير أم عيسَىٰ؟ فنحن نرضَىٰ أنْ تكُونَ آلهتنا مع عِيسَىٰ؛ إِذْ هُوَ خَيْرٌ منها، وإِذْ قد عُبِدَ، فهو من الحَصَبِ إِذَنْ، فقال اللَّه تعالى: ﴿ما ضربوه لك إلا جدلاً﴾ ومغالطةً، ونَسُوا أَنَّ عيسَىٰ لم يُعْبَدْ برضاً منه، وقالتْ فرقةٌ: المراد بـ﴿هُوَ﴾ محمَّد ﷺ وهو قولُ قتادة[3]، وفي مصحف [أُبَيٍّ]: «خَيْرٌ أَمْ هَذَا»[4] فالإشارة إلى/ نبيِّنا ٥١أ
محمد ـ عليه السلام ـ، وقال ابن زيد وغيره: المراد بـ﴿هو﴾ عيسى[5]، وهذا هو الراجح، ثم أخبر تعالى عنهم أَنَّهم أهلُ خصام ولَدَدٍ، وأخبر عن عيسى بقوله: ﴿إن هو إلا عبد أنعمنا عليه﴾ أي: بالنبوَّة والمنزلة العاليةَ.

---

(١) أخرجه البخاري (٨/ ٤٢٨) كتاب «التفسير» باب: سورة الزخرف، معلقاً، ووصله الفريابي عن مجاهد، وزاد لمن بعدهم، والحديث: أخرجه الطبري (١١/ ٢٠٠) برقم: (٣٠٩١٧) عن قتادة.

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٢٠٠) برقم: (٣٠٩١٧ ـ ٣٠٩١٨ ـ ٣٠٩١٩) عن مجاهد وقتادة، وذكره ابن عطية (٥/ ٦٠).

(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ٦١).

(٤) تقدمت.

(٥) أخرجه الطبري (١١/ ٢٠٢) برقم: (٣٠٩٣٧)، وذكره ابن عطية (٥/ ٦١).

* ت *: ورُوِّينَا في «جامع الترمذيِّ» عن أبي أُمَامَةَ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إلاَّ أُوتُوا الجَدَلَ، ثم تلا هذه الآية: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾»[1] قال أبو عيسَىٰ: هذا حديث حسنٌ صحيحٌ، انتهى.

وقوله: ﴿وجعلناه مثلاً﴾ أي: عبرةً وآية ﴿لبني إسرائيل﴾ والمعنى: لا تستغربوا أَنْ يُخْلَقَ عيسَىٰ مِنْ غَيْرِ فَحْلٍ؛ فَإِنَّ القُدْرَةَ تقتضي ذلك، وأكثر منه.

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾﴾

وقوله: ﴿ولو نشاء لجعلنا منكم﴾ معناه: لجعلنا بدلاً منكم، أي: لو شاء اللَّهُ لَجَعَلَ بَدَلاً من بني آدم ملائكةً يسكُنُونَ الأَرْضَ، ويخلفون بني آدم فيها، وقال ابن عباس ومجاهد: يخلف بعضهم بعضاً[2]، والضمير في قوله: ﴿وإنه لعلم﴾ قال ابن عَبَّاس وغيره: الإِشارة به إِلى عيسى[3]، وقالت فرقة: إِلى محمد، وقال قتادة وغيره: إِلى القرآن[4].

* ت *: وَكَذَا نقل أبو حيَّان[5] هذه الأقوالَ الثلاثة، ولو قيل: إِنَّه ضميرُ الأمر والشَّأن؛ استعظاماً واستهوالاً لِأَمْرِ الآخِرَةِ ما بَعُدَ، بل هو المتبادَرُ إِلى الذِّهْنِ، يَدُلُّ عليه: ﴿فلا تَمْتَرُنَّ بها﴾، واللَّه أعلم، ، **وقرأ** ابن عباس[6]، وجماعة: «لَعَلَمٌ» ـ بفتح العين

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٧٨ ـ ٣٧٩) كتاب «تفسير القرآن» باب: ومن سورة الزخرف (٣٢٥٣)، وابن ماجه (١/ ١٩) المقدمة: باب: (٧) (٤٨)، والحاكم في «**المستدرك**» (٢/ ١١٢)، والطبراني في «**الكبير**» (٨/ ٣٣٣) (٨٠٦٧).
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، إنما نعرفه من حديث حجاج بن دينار، وحجاج ثقة مُقارِب الحديث، وأبو غالب اسمه: حَزَوَّر. ا هـ.
قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ا هـ.
قال الذهبي: صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٨/ ٤٢٨) كتاب «التفسير» باب: سورة الزخرف، معلقاً وهو موصول عند عبد الرزاق عن معمر عن قتادة، والطبري (١١/ ٢٠٤) (٣٠٩٤٤) عن ابن عباس، (٣٠٩٤٧) عن قتادة، وابن عطية (٥/ ٦١).

(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ٦١).

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٢٠٥) برقم: (٣٠٩٦١) عن قتادة، والحسن، وذكره ابن عطية (٥/ ٦١).

(٥) ينظر: «**البحر المحيط**» (٨/ ٢٦).

(٦) وقرأ بها أبو هريرة، وقتادة، والضحاك، ومجاهد، وأبو نضرة، ومالك بن دينار.
ينظر: «**مختصر الشواذ**» ص: (١٣٦)، و«**الكشاف**» (٤/ ٢٦١)، و«**المحرر الوجيز**» (٥/ ٦١)، و«**البحر المحيط**» (٨/ ٢٦)، و«**الدر المصون**» (٦/ ١٠٦).

واللام ـ، أي: أمارة، **وقرأ** عِكْرِمَةُ[1]: «لَلْعِلْمُ» بلامين الأولى مفتوحة، **وقرأ** أُبَيٌّ: «لَذِكْرٌ لِلسَّاعَةِ»[2] فمن قال: إنَّ الإشارة إلى عيسى حَسَنٌ مع تأويله «عِلْم» و«عَلَم»، أي: هو إشعارٌ بالساعة، وشَرْطٌ/ من أشراطها، يعني: خروجه في آخر الزمان، وكذلك مَنْ قال: الإشارة إلى النبي ﷺ، أي: هو آخر الأنبياء، وقد قال: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ» يعني السبابة والوُسْطَىٰ، ومَنْ قال: الإشارة إلى القرآن حَسُنَ قوله مع قراءة الجمهور، أي: يعلمكم بها وبأهوالها. ٥١ ب

وقوله: ﴿هذا صراط مستقيم﴾: إشارة [إلى] الشرع.

﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿ولما جاء عيسى بالبينات﴾ يعني: إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، وغير ذلك، وباقي الآية تكرَّر معناه.

وقوله: ﴿هذا صراط مستقيم﴾ حكايةٌ عن عيسَىٰ ـ عليه السلام ـ، إذْ أشار إلى شرعه.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿هل ينظرون﴾ يعني: قريشاً، والمعنى: ينتظرون و﴿بغتة﴾ معناه: فجأة، ثم وَصَفَ سُبْحَانَه بَعْضَ حالِ القيامة، فقال: ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو﴾، وذلك لهولِ مطلعها والخوف المُطِيفِ بالناس فيها؛ يتعادى ويتباغضُ كُلُّ خليل كان في الدنيا على غير تُقَى؛ لأنَّه يرى أَنَّ الضَّرَرَ دخل عليه من قِبَلِ خليله، وأَمَّا المُتَّقُونَ فَيَرَوْنَ أَنَّ النفْعَ دخَلَ من بعضهم على بعض، هذا معنى كلام عليٍّ ـ رضي اللَّه عنه ـ وخَرَّجَ البَزَّارُ عن ابن عَبَّاس قال: «قيل: يا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ جُلَسَائِنَا خَيْرٌ؟ قَالَ: مَنْ ذَكَّرَكُمْ باللَّهِ رُؤْيَتُهُ، وَزَادَكُمْ في عِلْمِكُمْ مَنْطِقُهُ، وَذَكَّرَكُمْ بِاللَّهِ عَمَلُهُ»[3] اهـ، فمِنْ مِثْلِ هؤلاء تصلُحُ الأُخُوَّةُ

---

(١) ينظر: **«المحرر الوجيز»** (٥/ ٦١)، و**«البحر المحيط»** (٨/ ٢٦)، و**«الدر المصون»** (٦/ ١٠٦).

(٢) ينظر: **«الكشاف»** (٤/ ٢٦١)، و**«المحرر الوجيز»** (٥/ ٦١).

(٣) أخرجه أبو يعلى (٤/ ٣٢٦) (٢٤٣٧) من حديث ابن عباس، وذكره الهيثمي في **«مجمع الزوائد»** (١٠/ ٨١)، وقال: رواه البزار عن شيخه علي بن حرب ولم أعرفه، وبقية رجاله وثقوا.
وذكره الحافظ في **«المطالب العالية»** (٣٢٣٣)، وعزاه إلى عبد بن حميد، وأبي يعلى.

الحقيقية، واللَّه المستعانُ، ومن كلام الشيخ أبي مَدْيَنَ ـ رضي اللَّه عنه ـ: دليلُ تخليطِكَ صُحْبَتُكَ للمخلِّطين، ودليلُ انقطاعِكَ صُحْبَتُكَ لِلمُنْقَطِعِين، وقال ابن عطاء اللَّه في «**التنوير**»: قَلَّ ما تَصْفُو لَكَ الطَّاعَات، أو تَسْلَمُ/ من المخالَفَات، مع الدخول في الأسباب، ٥٢ أ
لاِستلزامها لمعاشرة الأضداد؛ ومخالطة أَهْلِ الغَفْلة والبِعَاد، وأَكْثَرُ ما يعينك على الطاعات رؤيةُ المُطِيعين، وأَكْثَرُ ما يُدْخِلُكَ في الذَّنْبِ رؤيةُ المُذْنِبين، كما قال ـ عليه السلام ـ: «المَرْءُ عَلَىٰ دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»[1] والنفس من شأنها التَّشَبُّهُ والمحاكَاةُ بصفَاتِ مَنْ قارَنَهَا، فصحبةُ الغافلين مُعِينَةٌ لها علَىٰ وجود الغَفْلَةِ، انتهى،، وفي «**الحِكَم الفارقيَّة**»: مَنْ ناسب شَيْئاً انجذب إليه؛ وظَهَرَ وَصْفُهُ عليه، وفي «**سماع العُتْبِيَّة**» قال مالك: لا تصحبْ فاجراً؛ لئلاَّ تتعلمَ من فجوره، قال ابن رُشْدٍ: لا ينبغي أنْ يصحب إلاَّ مَنْ يُقْتَدَى به في دينه وخيره؛ لأَنَّ قرينَ السوء يُرْدِي؛ قال الحكيم: [الطويل]

[إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ فَصَاحِبْ خِيَارَهُمْ ... وَلاَ تَصْحبِ الأَرْدَىٰ فَتَرْدَىٰ مَعَ الرَّدِي]
عَنِ الْمَرْءِ لاَ تَسْأَلْ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ ... فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارَنِ يَقْتَدِي

انتهى.

* ت *: وحديث: «المَرْءُ عَلَىٰ دِينِ خَلِيلِهِ» أخرجه أبو داود، وأبو بكر بن الخطيب وغيرهما، وفي «**المُوَطَّإِ**» من حديث معاذ بن جبل، قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: قال اللَّه تبارك وتعالى: «وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَالمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ والمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ»[2] قال أبو عمر: إسناده صحيحٌ عن أبي إدريس الخولانيِّ عن معاذ، وقد رواه جماعة عن معاذٍ، ثم أسند أبو عمر من طريق أبي مسلم الخولاني، عن معاذ قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «المُتَحَابُّونَ في اللَّه عَلَىٰ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ في ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ»[3]، قال أبو مسلم: فخرجت فلقيتُ عُبَادَةَ بنَ الصَّامِتِ، فذكرتُ له حديث

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٥٨٩) كتاب «الزهد» باب: (٤٥) (٢٣٧٨)، وأحمد (٢/ ٣٠٣)، والحاكم (٤/ ١٧١).
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
قال الحاكم: حديث أبي الحباب صحيح إن شاء اللَّه تعالى ولم يخرجاه. ا هـ.
قال الذهبي: صحيح إن شاء اللَّه.
قال أبو نعيم في «**الحلية**» (٣/ ١٦٥): غريب من حديث سعيد وصفوان تفرد به عنه فيما قيل محمد بن إبراهيم الأسلمي.

(٢) أخرجه مالك (٢/ ٩٥٣ ـ ٩٥٤) كتاب «الشعر» باب: ما جاء في المتحابين في اللَّه (١٦)، وأحمد (٥/ ٢٤٧).

(٣) أخرجه الحاكم (٤/ ٤٢٠)، وأحمد (٥/ ٢٣٦ ـ ٢٣٧).
قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

٥٢ ب / مُعَاذٍ، فقال: وَأَنا سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ: قَالَ: «حَقَّتْ مَحَبَّتِي عَلَى المُتَحَابِّينَ فِيَّ، وحَقَّتْ مَحَبَّتِي عَلَى المُتَزَاوِرِينَ فيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتي عَلَى المُتَبَاذِلِينَ فيَّ، ، والمُتَحَابُّونَ في اللَّهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ في ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ»[1] انتهى من «**التمهيد**».

﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖۖ وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ كَثِيرَةٞ مِّنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴿٧٣﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿يا عبادي﴾ المعنى: يقال لهم، أي: للمتقين، وذكر الطبريُّ[2] عن المعتمر عن أبيه أنه قال: سمعت أَنَّ الناس حين يُبْعَثُونَ ليس منهم أَحَدٌ إِلاَّ فَزِعَ، فينادي منادٍ: يا عبادي، لا خوفٌ عليكم اليوم، ولا أنتم تحزنون، فيرجوها الناسُ كُلُّهم، فَيُتْبِعُها: ﴿الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين﴾ قال: فَيَيْئَسُ منها جميعُ الكُفَّار.

وقوله: ﴿الذين آمنوا﴾ نعت للعباد، و﴿تحبرون﴾ معناه: تنعمون وتُسَرُّونَ، و«الحبرة»: السرور، و«الأكواب»: ضَرْبٌ من الأَواني؛ كالأباريق، إِلاَّ أنها لا آذانَ لها ولا مَقَابِضَ.

﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ وَهُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿إن المجرمين﴾ يعني: الكُفَّارَ، و«المُبْلِسُ»: المُبْعَدُ اليائسُ من الخير؛ قاله قتادة وغيره[3]، وقولهم: ﴿ليقض علينا ربك﴾ أي: لِيُمِتْنَا رَبُّك؛ فنستريحَ، فالقضاء في هذه الآية: الموتُ؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ [القصص: ١٥]، ورُوِيَ في تفسير هذه الآية عن ابن عباس؛ أَنَّ مالكاً يقيم بعد سؤالهم ألف سنة، ثم حينئذ

---

(١) أخرجه الحاكم (٤/ ١٦٩)، وأحمد (٥/ ٢٣٩)، وابن حبان (٨/ ١٩١) (٢٥١٠)، وأبو نعيم في «**حلية الأولياء**» (٢/ ١٣١).
قال الحاكم: وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ا هـ. ووافقه الذهبي.
قال الهيثمي في «**مجمع الزوائد**» (١٠/ ٢٨٢): رواه عبد اللَّه بن أحمد، والطبراني باختصار، والبزار بعد حديث عبادة فقط، ورجال عبد اللَّه، والطبراني وثقوا.

(٢) ينظر: «**تفسير الطبري**» (١١/ ٢٠٩).

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٢١٢) برقم: (٣٠٩٨٩)، وذكره ابن عطية (٥/ ٦٤).

يقول لهم: ﴿إنكم ماكثون﴾[١].

﴿لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿لقد جئناكم﴾ يحتملُ أنْ يكونَ مِنْ تَمَامِ قول مالِكٍ لهم، ويحتمل أنْ يكون من قول اللَّه تعالى لقريشٍ، فيكونُ فيه تخويفٌ فصيحٌ بمعنى: انظروا كيف يكون حالكم؟!.

وقوله تعالى: ﴿أم/ أبرموا أمراً﴾ أي: أحكموا أمراً في المكر بالنبيِّ ﷺ ﴿فإنا ٥٣ أ
مبرمون﴾ أي: مُحْكِمُون أمراً في نَصْرِهِ ومجازاتهم، والمراد بـ«الرسل» هنا: الحَفَظَةُ من الملائكة يكتبون أعمال العباد، وتَعُدُّ للجزاء يوم القيامة.

«واخْتُلِفَ في قوله تعالى: ﴿قل إن كان للرحمٰن ولد فأنا أول العابدين﴾ فقال مجاهد: المعنى إنْ كان للَّه ولد في قولكم، فأنا أَوَّل مَنْ عَبَدَ اللَّه وَوَحَّدَهُ وكَذَّبكم[٢]، وقال ابن زيد وغيره: «إن»: نافية بمعنى «ما»؛ فكأنَّه قال: قل ما كان للرحمن ولد[٣]، وهنا هو الوقف على هذا التأويل، ثم يبتدىء قوله: ﴿فأنا أول العابدين﴾ قَال أبو حاتم قالت فرقةٌ: العابِدُونَ في الآية: مِنْ عَبِدَ الرجلُ: إذا أَنِفَ وأنكر، والمعنى: إنْ كان للرحمن ولد في قولكم، فأنا أَوَّلُ الآنفين المُنْكِرِينَ لذلك، **وقرأ** أبو عبد الرحمن: «فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِدِينَ» قال أبو حاتم: العَبِدُ ـ بكسر الباء ـ: الشَّدِيدُ الغضب، وقال أبو عُبَيْدَةَ: معناه: أول الجاحدين[٤]، والعَرَبُ تقولُ: عَبَدَني حَقِّي، أي: جَحَدَنِي، وباقي الآية تنزيه للَّه سبحانه، ووعيد للكافرين، و﴿يومهم الذي يوعدون﴾ هو يوم القيامة، هذا قول الجمهور، وقال عِكْرَمَةُ وغيره: هو يوم بَدْرٍ[٥].

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٢١٣) برقم: (٣٠٩٩١)، وذكره ابن عطية (٥/ ٦٤).
(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٢١٥) برقم: (٣١٠٠٦)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٥/ ٦٥)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ١٣٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٧٣٥)، وعزاه إلى عبد الرزاق، وعبد بن حميد.
(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٢١٥) برقم: (٣١٠٠٩)، وذكره ابن عطية (٥/ ٦٥).
(٤) ذكره ابن عطية (٥/ ٦٦).
(٥) ذكره ابن عطية (٥/ ٦٦).

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾

وقوله جَلَّتْ عظمته: ﴿وهو الذي في السماء إله...﴾ الآية، آيةُ تعظيم وإخبارٍ بأُلوهِيَّتِهِ سبحانه، أي: هو النافذ أَمْرُهُ في كُلِّ شيء، **وقرأ** عمر بن الخَطَّاب، وأُبَيٌّ، وابنِ مسعود، وغيرهم[1]: «وَهُوَ الَّذِي في السَّمَاءِ اللَّهُ وَفي الأَرْضِ اللَّهُ» وباقي الآية بَيِّنٌ، ثم [أَعْلَمَ سبحانه] أَنَّ مَنْ عُبِدَ من دون اللَّه لا يملك شفاعةً يَوْمَ القيامة، إلاَّ مَنْ شَهِدَ بالحق، وهم الملائكة، وعيسى/ وعُزَيْرٌ؛ فإِنَّهُمْ يملكون الشفاعة؛ بأنْ يُمَلِّكُها اللَّه إِيَّاهم؛ إذ هم مِمَّنْ شَهِدَ بالحقِّ، وهم يعلمونه، فالاستثناء على هذا التأويل مُتَّصِلٌ، وهو تأويل قتادة[2]، وقال مجاهد وغيره: الاستثناء في المشفوع فيهم[3]، فكأَنَّه قال: لا يشفع هؤلاءِ الملائكةُ، وعيسى، وعُزَيْرٌ إلاَّ فيمن شَهِدَ بالحق، أي: بالتوحيد فآمن على عِلْم وبَصِيرةٍ، فالاستثناء على هذا التأويل مُنْفَصِلٌ، كأَنَّه قال: لكن مَنْ شَهِدَ بالحَقِّ؛ فيشفع فيهم هؤلاءِ، والتأويل الأَوَّلُ أصوب، **وقرأ** الجمهور: «وَقِيلَهُ» بالنصب[4]، وهو مصدر؛ كالقَوْلِ، والضَّمِيرُ فيه لِنَبِيِّنا محمَّد ﷺ، واخْتُلِفَ في الناصب له، فقالت فرقة: هو معطوف على قوله: ﴿سِرَّهُمْ ونَجْوَاهُم﴾ ولفظ البخاريِّ ﴿وقِيلَهُ يَا رَبِّ﴾: تفسيرُهُ: أيحسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهم ونَجْوَاهُمْ [و] لا نَسْمَعُ قِيلَهُ يا رَبِّ، انتهى،، وقيل: العامل فيه ﴿يكتبون﴾ ونزل قوله تعالى: ﴿وقيله يا رب﴾ بمنزلة شَكْوَىٰ محمَّد ـ عليه السلام ـ واستغاثَتِهِ مِنْ كُفْرِهِمْ وعُتُوِّهم، **وقرأ** حمزةُ وعاصمٌ: «وَقِيلِهِ» بالخفض[5]؛ عطفاً على الساعة.

٥٣ ب

---

(١) وقرأ بها علي ويحيى بن يعمر، واليماني.
ينظر: **«مختصر الشواذ»** ص: (١٣٧)، و**«المحرر الوجيز»** (٥/ ٦٦)، وزاد نسبتها إلى جابر بن زيد، وأبي الشيخ، والحكم بن أبي العاصي، وبلال بن أبي بردة، وابن السميفع. وزاد أبو حيان (٨/ ٢٩): عمر بن عبد العزيز، وحميد، وابن مقسم، وهي في **«الدر المصون»** (٦/ ١٠٩).

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٢١٨) برقم: (٣١٠١٩)، وذكره ابن عطية (٥/ ٦٦).

(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ٦٦).

(٤) وقرأ برفعه الأعرج، وأبو قلابة، ومجاهد.
ينظر: **«المحتسب»** (٢/ ٢٥٨)، و**«المحرر الوجيز»** (٥/ ٦٧)، و**«البحر المحيط»** (٨/ ٣٠)، وزاد نسبتها إلى الحسن، وقتادة، ومسلم بن جندب.
وينظر: **«الدر المصون»** (٦/ ١١٠)، وقراءة السبعة ستأتي.

(٥) وقرأ الباقون بالنصب. قال السمين، وأما قراءة النصب ففيها ثمانية أوجه: =

وقوله سبحانه: ﴿فاصفح عنهم﴾: مُوَادَعَةٌ منسوخةٌ ﴿وقل سلام﴾ تقديره: أَمْرِي سلامٌ، أيْ: مسالمة ﴿فسوف تعلمون﴾.

= «أحدها»: أنه منصوب على محل «السَّاعَةِ»؛ كأنه قيل: إنه يَعْلَمُ السَّاعَةَ ويَعْلَمُ قيلَهُ كذا.
«الثاني»: أنه معطوفٌ على «سِرَّهُمَ وَنَجْوَاهُمْ»، أي: لا يعلَمُ سرَّهُم وَنَجْواهم ولا يعلم قيله.
«الثالث»: عطف على مفعول «يَكْتُبُونَ» المحذوف، أي: يكْتبونَ ويكتبونَ قيلَهُ كذا أيضاً.
«الرابع»: أنه عطف على مفعول «يَعْلَمُونَ» المحذوف، أي: يعلمون ذلك ويعلمون قيلَهُ.
«الخامس»: أنه مَصْدَرٌ أي: قَالَ قيلَهُ.
«السادس»: أن ينتصب بإِضْمَارِ فِعْلٍ، أي: اللَّه يَعْلَمُ قِيلَ بِرَسُولِهِ وهو محمد ﷺ.
«السابع»: أن ينتصب على محل «بِالْحَقِّ»، أي: شَهِدَ بالحَقِّ وبقيله.
«الثامن»: أن ينتصب على حذف حرف القَسَمِ كقوله:

..... فَـذَاكَ أَمَـانَـةُ الـلَّـهِ الـثَّـرِيـدُ

ينظر: «الدر المصون» (٦/ ١٠٩ ـ ١١٠)، و«السبعة» (٥٨٩)، و«الحجة» (٦/ ١٥٩)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٣٠٤)، و«معاني القراءات» (٢/ ٣٦٩)، و«شرح الطيبة» (٥/ ٢٢٧)، و«العنوان» (١٧٢)، و«حجة القراءات» (٦٥٥)، و«شرح شعلة» (٥٧٩)، و«إتحاف» (٢/ ٤٦٠).

تَفْسِيرُ سُورَةِ الدُّخَانِ

وهِيَ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣﴾

﴿حمٓ * والكِتَابِ المُبِينِ * إنا أَنْزَلْنَاهُ في لَيْلَةٍ مباركَةٍ. . .﴾ الآية، قوله: ﴿والكتاب المبين﴾ قَسَمٌ أقسم اللَّه تعالى به، وقوله: ﴿إنا أنزلناه﴾ يحتمل أنْ يقَعَ القَسَمُ عليه، ويحتملُ أَنْ يكون وصفاً للكتاب، ويكون الذي وقع القَسَمُ عليه ﴿إنا كنا منذرين﴾، / واخْتُلِفَ في تعيين الليلة المباركة، فقال قتادَةُ، والحسن، وابن زيد: هي ليلة القَدْرِ[1]، ومعنى هذا النزول أَنَّ ابتداء نزوله كان في ليلة القَدْرِ؛ وهذا قول الجمهور، ، وقال عِكْرِمَةَ: الليلة المباركة هي ليلة النصف من شعبان[2]، قال القُرْطُبِيُّ: والصحيح أَنَّ الليلةَ التي يُفْرَقُ فِيهَا كُلُّ أَمْرٍ حَكِيم، ليلةُ القَدْرِ مِنْ شَهْر رمضانَ، وهي الليلة المباركة، انتهى من «**التذكرة**»، ونحوُهُ لابن العربيِّ. ٥٤ أ

﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝٧ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٨ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۝٩ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝١٠ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١١ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ۝١٢ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ۝١٣ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ۝١٤ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ۝١٥ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ۝١٦ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ۝١٧﴾

وقوله تعالى: ﴿فيها يفرق كل أمر حكيم﴾ معناه يُفْصَلُ من غيره وَيَتَخَلَّصُ، فعن عِكْرِمَةَ أَنَّ اللَّه تعالَىٰ يَفْصِلُ ذلك للملائكة في ليلة النصف من شعبان[3]، وفي بعض

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٢٢٠) برقم: (٣١٠٢٦، ٣١٠٢٨) عن قتادة، وابن زيد، وذكره البغوي في «**تفسيره**» (٤/ ١٤٨) عنهما، وابن عطية (٥/ ٦٨)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٥/ ٧٣٨)، وعزاه إلى عبد الرزاق، وعبد بن حميد عن قتادة.

(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٦٨).

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٢٢٣) برقم: (٣١٠٣٩).

الأحاديث عن النبي ﷺ؛ أَنَّهُ قال: «تُقْطَعُ الآجَالُ مِنْ شَعْبَانَ إِلَى شَعْبَانَ، حَتَّىٰ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْكِحُ وَيُولَدُ لَهُ، وَلَقَدْ خَرَجَ ٱسْمُهُ في المَوْتَىٰ[1]» وقال قتادة، والحسن، ومجاهد: يُفْصَلُ في ليلة القدر كُلُّ ما في العام المُقْبِلِ، من الأقدار، والأرزاقِ، والآجال، وغير ذلك، و﴿أمراً﴾ نُصِبَ على المصدر[2].

وقوله: ﴿إنا كنا مرسلين﴾ يحتمل أنْ يريدَ الرُّسُلَ والأَشْيَاءَ، ويحتمل أَنْ يريدَ الرحمة التي ذكر بَعْدُ، واختلف الناس في «الدخان» الذي أمر اللَّه تعالى بارتقابه، فقالت فرقة؛ منها عليٌّ، وابن عباس، وابن عمر، والحَسَنُ بْنُ أبي الحَسَنِ، وأبو سَعِيدٍ الخُدْرِيُّ: هو دُخَانٌ يجيء قَبْلَ يوم القيامة، يُصِيبُ المؤمنَ منه مِثْلُ الزكام، ويَنْضَحُ رُؤُوسَ المنافِقِينَ والكافِرِينَ، حتى تكونَ كأَنَّها مَصْلِيَّةٌ حنيذة[3]، وقالت فرقة، منها ابن مسعود: هذا الدخان قد رأته قريشٌ حين دعا عليهم النبيُّ ﷺ بِسَبْعٍ كَسَبْعِ يُوسُفَ، فكان الرجُلُ يَرَىٰ من الجُوع دُخَاناً بينه وبين السماء[4]؛ وما/ يأتي من الآيات يُؤَيِّدُ هذا التأويلَ، وقولهم: ﴿إنا مؤمنون﴾ كان ذلك منهم مِنْ غَيْرِ حقيقةٍ، ثم قال تعالى: ﴿أَنَّىٰ لهم الذكرى﴾ أي: من أين لهم التَّذَكُّرُ وَالاتعاظُ بعد حُلُولِ العذاب؟ ﴿وقد جاءهم رسولٌ مبينٌ﴾ يعني: محمداً ﷺ فـ﴿تولَّوْا عنه﴾، أي: أعرضوا ﴿وقالوا: معلَّم مجنونٌ﴾. ٥٤ ب

وقوله: ﴿إنكم عائدون﴾ أي: إلى الكفر، واختلف في يوم البَطْشَةِ الكُبْرَىٰ، فقالتْ فرقةٌ: هو يوم القيامة، وقال ابن مسعود وغيره: هو يوم بدر[5].

﴿أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ

---

(١) أخرجه الديلمي في «مسند الفردوس» (٢/ ١١٥) (٢٢٢٨)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٦)، وذكره الهندي في «كنز العمال» (١٥/ ٦٩٤) (٤٢٧٨٠) وكلاهما عزاه إلى ابن زنجويه.

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٢٢٢) برقم: (٣١٠٣٥) عن مجاهد، (٣١٠٣٦ ـ ٣١٠٣٧) عن قتادة، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ١٤٨)، وابن عطية (٥/ ٦٨)، والسيوطي في «الدر المنثور»، وعزاه إلى عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن نصر، والبيهقي عن قتادة.

(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ٦٩).

(٤) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٧٤٤)، وعزاه إلى البيهقي في «دلائل النبوة».

(٥) أخرجه الطبري (١١/ ٢٣٠) برقم: (٣١٠٧٠) عن ابن مسعود، (٣١٠٧١) عن مسروق، (٣١٠٧٢) عن ابن مسعود، (٣١٠٧٣ ـ ٣١٠٧٤) عن مجاهد، (٣١٠٧٥) عن أبي العالية، (٣١٠٧٦) عن ابن عباس، (٣١٠٧٩) عن أبي بن كعب، (٣١٠٨٠) عن الضحاك، وذكره ابن عطية (٥/ ٧٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٧٤٥)، وعزاه إلى ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن مردويه.

تُجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾﴾

وقوله: ﴿أن أدوا﴾ مأخوذ من الأداء، كأنَّه يقول: أنِ ادْفَعُوا إِليَّ، وأعطوني، ومَكِّنُوني من بني إِسرائيل، وَإِيَّاهم أراد بقوله: ﴿عباد اللَّه﴾، وقال ابن عباس: المعنى: اتبعوني إِلى ما أدعوكم إِليه من الحَقِّ[1]، فعباد اللَّه على هذا مُنَادًى مضافٌ، والمؤدَّىٰ هي الطاعة، والظاهر من شرع موسَىٰ ـ عليه السلام ـ أَنَّهُ بُعِثَ إِلَىٰ دعاء فرعونَ إِلَى الإِيمَان، وأَنْ يرسل بني إِسرائيل، فلمَّا أبى أَنْ يُؤمن ثبتت المكافحة في أنْ يرسل بني إِسرائيل، وقوله بعد: ﴿وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون﴾ كالنَّصِّ في أَنَّه آخر الأمرِ، إِنَّما يطلب إِرسال بني إِسرائيل فقط.

وقوله: ﴿وأن لا تعلوا على اللَّه...﴾ الآية: المعنى: كانت رسالته، وقوله: ﴿أن أدوا﴾ ﴿وأن لا تعلوا على اللَّه﴾ أيْ: على شرع اللَّه، وَعَبَّرَ بالعُلُوِّ عن الطغيان والعُتُوِّ، و﴿أن ترجمون﴾ معناه: الرجم بالحجارة المُؤَدِّي إِلى القتل؛ قاله قتادة وغيره[2]، وقيل: أراد الرجم بالقول، والأول أظهر؛ لأنَّه الذي عاذَ منه، ولم يَعُذْ من الآخر.

* قلت *: وعن ابن عمر قال: قال النبيُّ ﷺ: «مَنِ ٱسْتَعَاذَ باللَّهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَكُمْ باللَّهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنِ ٱسْتَجَارَ باللَّهِ فَأَجِيرُوهُ، وَمَنْ أَتَىٰ إِلَيْكُمْ بِمَعْرُوفٍ/ فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَقْدِرُوا فَٱدْعُوا لَهُ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا أَنْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ»[3]، رواه أبو داود، والنسائيُّ، والحاكم، وابن حِبَّانَ في «**صحيحيهما**»، واللفظ للنَّسَائِيِّ، وقال الحاكم: صحيحٌ على شَرْطِ الشيخَيْنِ ـ يعني البخاريَّ ومسلماً ـ اهـ من «**السلاح**». ٥٥أ

وقوله: ﴿فاعتزلون﴾ متاركَةٌ صريحةٌ، قال قتادة: أراد خَلُّوا سَبِيلِي.

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٧٠).

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٢٣٣) برقم: (٣١٠٩٨ ـ ٣١٠٩٩) عن قتادة، وذكره البغوي في «**تفسيره**» (٤/ ١٥١) عنه، وابن عطية في «**تفسيره**» (٥/ ٧١)، وابن كثير (٤/ ١٤١).

(٣) أخرجه أبو داود (١/ ٥٢٤) كتاب «الزكاة» باب: عطية من سأل باللَّه عز وجل (١٦٧٢)، (٢/ ٧٥٠) كتاب «الأدب» باب: في الرجل يستعيذ من الرجل (٥١٠٩)، وأحمد (٢/ ٦٨، ١٢٧)، والنسائي (٥/ ٨٢) كتاب «الزكاة» باب: من سأل باللَّه عز وجل (٢٥٦٧)، والحاكم (١/ ٤١٢)، وابن حبان (٨/ ١٩٩) كتاب «الزكاة» باب: المسألة والأخذ وما يتعلق به من المكافأة والثناء والشكر، ذكر الأمر بالمكافأة لمن صنع إليه معروف (٣٤٠٨)، وأبو نعيم في «**الحلية**» (٩/ ٥٦).
قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، قد تابع عمار بن زريق على إقامة هذا الإسناد: أبو عوانة، وجرير بن عبد اللَّه الحميد، وعبد العزيز بن مسلم القملي عن الأعمش.

وقوله: ﴿فدعا ربه﴾ قبله محذوفٌ، تقديرُهُ: فما أجابوه لِمَا طُلِبَ منهم.

وقوله: ﴿فأسر﴾ قبله محذوفٌ، أي: قَالَ اللَّهُ له فَأَسْرِ بِعبادِي، قال ابن العربيِّ في «**أحكامه**»[1]: السُّرَىٰ: سَيْرُ الليل، و«الإِدْلاَجُ» سَيْرُ السَّحَرِ، و«التَّأْوِيبُ»: سير النهار، ويقال: سَرَىٰ وأَسْرَىٰ، انتهى.

واخْتُلِفَ في قوله تعالى: ﴿واترك البحر رَهْواً﴾ متى قالها لموسى؟ فقالت فرقة: هو كلامٌ مُتَّصِلٌ بما قبله، وقال قتادَةُ وغيره: خُوطِبَ به بعد ما جاز البحر[2]، وذلك أَنَّهُ هَمَّ أَنْ يضرب البَحْر؛ ليلتئم؛ خَشْيَةَ أَنْ يدخل فرعونُ وجنودُهُ وراءَهُ، و﴿رَهْواً﴾ معناه: ساكناً كما جُزْتَهُ، قاله ابن عباس[3]، وهذا القول هو الذي تؤيِّده اللغَةُ؛ ومنه قول القُطَامِيِّ: [البسيط]

يَمْشِينَ رَهْواً فَلاَ الأَعْجَازُ خَاذِلَةٌ ... وَلاَ الصُّدُورُ عَلَى الأَعْجَازِ تَتَّكِلُ[4]

ومنه: [البسيط]

وَأُمَّةٌ خَرَجَتْ رَهْواً إِلَىٰ عِيدِ ... .

أي: خرجوا في سُكُونٍ وَتمَهُّلٍ.

فقيل لموسَىٰ ـ عليه السلام ـ: اتْرُكِ البَحْرَ سَاكِناً على حاله من الانفراق؛ ليقضي اللَّه أمراً كان مفعولاً.

﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾﴾

---

(١) ينظر: «**أحكام القرآن**» (٤/ ١٦٩١).

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٢٣٤) برقم: (٣١١٠١ ـ ٣١١٠٢) عن قتادة نحوه، وذكره البغوي في «**تفسيره**» (٤/ ١٥١)، وابن عطية (٥/ ٧٢).

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥) برقم: (٣١١٠٣، ٣١١٠٥)، وذكره ابن عطية (٥/ ٧٢)، وابن كثير (٤/ ١٤١).

(٤) البيت في «**ديوانه**» ص: (٤)، وينظر: «**البحر المحيط**» (٨/ ٣١)، و«**المحرر الوجيز**» (٥/ ٧٢)، و«**الدر المصون**» (٦/ ١١٥)، في «**المحرر**»: «يمشون».

وقوله تعالى: ﴿كم تركوا﴾ «كم» للتكثير، أي: كَمْ تَرَكَ هؤلاءِ المُغْتَرُّونَ من كثرة الجنَّات والعيونِ، فَرُوِيَ أَنَّ الجناتِ كَانَتْ مُتَّصِلَةً/ ضِفَّتَي النيلِ جميعاً من رشيد إلى أُسْوَانَ، وأَمَّا العيونُ فيحتملُ أَنَّه أراد الخُلْجَانَ، فشبهها بالعيون، ويحتمل أَنَّها كانت ونَضِبَتْ، ذكر الطُّرْطُوشِيُّ في «**سِرَاجِ الملوك**» له، قال: قال أبو عبد اللَّه بن حَمْدُونَ: كنت مع المُتَوَكِّلِ لما خرج إلى دمشقَ، فركِبَ يوماً إِلَىٰ رُصَافَةِ هشام بن عبد الملك، فنظر إلى قُصُورِها، ثم خرج، فنظر إلى دَيْرٍ هناك قديم حَسَنِ البناءِ بين مزارعَ وأشجارٍ، فدخله، فبينما هو يطوفُ به إذ بَصُرَ برُقْعَةٍ قد أُلْصِقَتْ في صدره؛ فأمر بقلعها، فإذا فيها مكتوبٌ هذه الأبياتُ: [الطويل]

٥٥ ب

أَيَا مَنْزِلاً بالدَّيْرِ أَصْبَحَ خَالِياً ... تَلاعَبُ فِيهِ شَمْأَلٌ وَدَبُورُ
كَأَنَّكَ لَمْ يَسْكُنْكَ بِيضٌ أَوانِسٌ ... وَلَمْ تَتَبَخْتَرْ في قِبَابِكَ حُورُ
وَأَبْنَاءُ أَمْلاَكٍ غَوَاشِمُ سَادَةٌ ... صَغِيرُهُمُو عِنْدَ الأَنَامِ كَبِيرُ
إِذَا لَبِسُوا أَدْرَاعَهُمْ فَعَوَابِسٌ ... وَإِنْ لَبِسُوا تِيجَانَهُمْ فَبُدُورُ
عَلَىٰ أَنَّهُمْ يَوْمَ اللِّقَاءِ ضَرَاغِمٌ ... وَأَنَّهُمُو يَوْمَ النَّوَالِ بُحُورُ
لَيَالِي هِشَامٌ بالرُّصَافَةِ قَاطِنٌ ... وَفِيكَ ابْنُهُ يَا دَيْرُ وَهْوَ أَمِيرُ
إِذِ الْعَيْشُ غَضٌّ وَالخِلاَفَةُ لَذَّةٌ ... وَأَنْتَ طَرُوبٌ وَالزَّمَانُ غَرِيرُ
وَرَوْضُكَ مُرْتَادٌ وَنَوْرُكَ مُزْهِرٌ ... وَعَيْشُ بَنِي مَرْوَانَ فِيكَ نَضِيرُ
بَلَىٰ فَسَقَاكَ الْغَيْثُ صَوْبَ سَحَائِبٍ ... عَلَيْكَ لَهَا بَعْدَ الرَّوَاحِ بُكُورُ
تَذَكَّرْتُ قَوْمِي فِيكُمَا فَبَكَيْتُهُمْ ... بِشَجْوٍ وَمِثْلِي بِالْبُكَاءِ جَدِيرُ
فَعَزَّيْتُ نَفْسِي وَهْيَ نَفْسٌ إِذَا جَرَىٰ ... لَهَا ذِكْرُ قَوْمِي ـ أَنَّةٌ وَزَفِيرُ
لَعَلَّ زَمَاناً جَارَ يَوْماً عَلَيْهِمُو ... لَهُمْ بِالَّذِي تَهْوَى النُّفُوسُ ـ يَدُورُ
فَيَفْرَحَ مَحْزُونٌ وَيَنْعَمَ بَائِسٌ ... وَيُطْلَقَ مِنْ ضِيقِ الوَثَاقِ أَسِيرُ
٥٦ أ رُوَيْدَكَ إِنَّ/ الدَّهْرَ يَتْبَعُهُ غَدٌ ... وَإِنَّ صُرُوفَ الدَّائِرَاتِ تَدُورُ

فلما قرأها المتوكِّل، ٱرتاع، ثم دعا صاحب الدَّيْرِ، فسأله عَمَّن كتبها، فقال: لا عِلْمَ لي به، وانصرف، انتهى، وفي هذا وشبهه عِبْرَة لأولِي البصائر المستَيْقِظِينَ، ، اللهم، لا تجعلْنَا مِمَّنْ ٱغْتَرَّ بزَخَارِفِ هذه الدارِ!!.

[من الطويل]

أَلاَ إِنَّمَا الدُّنْيَا كَأَحْلاَمِ نَائِمٍ وَمَا خَيْرُ عَيْشٍ لاَ يَكُونُ بِدَائِمِ

وقرأ جمهور الناس: «ومَقَامٍ» - بفتح الميم -[١]؛ قال ابن عباس وغيره: أراد المنابر[٢].

وعلى قراءة ضم الميم[٣] قال قتادة: أراد: المواضِعَ الحِسَانَ من المساكِنِ وغيرِهَا[٤]، والقولُ بالمنابرِ بعيدٌ جدًّا، و«النَّعْمَةُ» - بفتح النون -: غَضَارَةُ العيشِ ولَذَاذَةُ الحياة، «والنِّعْمَةُ» - بكسر النون -: أَعَمُّ من هذا كُلِّه، وقد تكون الأمراضُ والمصائبُ نِعَماً، ولا يقال فيها: «نَعْمَةٌ» - بالفتح -، **وقرأ** الجمهور: «فاكهين»[٥] ومعناه: فَرِحينَ مسرورين ﴿كذلك وأورثناها قوماً آخرين﴾ أي: بعد القِبْطِ، وقال قتادة: هم بنو إسرائيل[٦]، وفيه ضعف، وقد ذكر الثعلبيُّ عن الحَسَنِ؛ أَنَّ بني إسرائيل رَجَعُوا إِلَىٰ مِصْرَ بعد هلاك فِرْعَوْنَ[٧]، واختلف المتأوِّلُون في معنى قوله تعالى: ﴿فما بكَتْ عليهم السماءُ والأَرْضُ﴾، فقال ابن عباس وغيره: وذلك أَنَّ الرجُلَ المؤمنَ إذا مَاتَ، بَكَىٰ عليه من الأرض موضِعُ عباداتِهِ أربعين صَبَاحاً، وبَكَىٰ عليه من السماءِ مَوْضِعُ صُعُودِ عمله، قالوا: ولم يكن في قوم فرعونَ مَنْ هذه حَالُهُ، فَتَبْكِي عليهمُ السماءُ والأَرْضُ[٨]، قال * ع[٩] *: والمعنى الجَيِّدُ في الآية: أَنَّها استعارةٌ فصيحةٌ تَتَضمَّن تحقير أمرهم، وأَنَّه لم يتغير لأجل هلاكهم شيء، ومثله قوله ﷺ: «لاَ يَنْتَطِحُ فِيهَا عَنْزَانِ»، وفي الحديثِ عن النبيِّ ﷺ/ أَنَّهُ قال: «مَا مَاتَ ٥٦ ب

---

(١) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٥/ ٧٢)، و«**البحر المحيط**» (٨/ ٣٦)، و«**الدر المصون**» (٦/ ١١٥).

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٢٣٦) برقم: (٣١١١٥ - ٣١١١٦) عن مجاهد، وسعيد بن جبير، وذكره ابن عطية (٥/ ٧٢)، وابن كثير (٤/ ١٤١) عن مجاهد، وسعيد بن جبير، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٥/ ٧٤٧)، وعزاه إلى ابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٣) وقرأ بها ابن هرمز، وقتادة، وابن السميفع، ونافع في رواية خارجة.
ينظر: «**البحر المحيط**» (٨/ ٣٦)، و«**الدر المصون**» (٦/ ١١٥).

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٢٣٦) برقم: (٣١١١٧) عن قتادة نحوه، وذكره البغوي في «**تفسيره**» (٤/ ١٥١)، وابن عطية (٥/ ٧٢)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٥/ ٧٤٧)، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٥) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٥/ ٧٣)، و«**البحر المحيط**» (٨/ ٣٦)، و«**الدر المصون**» (٦/ ١١٥).

(٦) أخرجه الطبري (١١/ ١٣٩) برقم: (٣١١١٩)، وذكره ابن عطية (٥/ ٧٣).

(٧) ذكره ابن عطية (٥/ ٧٣).

(٨) أخرجه الطبري (١١/ ٢٣٧ - ٢٣٨) برقم: (٣١١٢٢، ٣١١٢٧)، وذكره ابن عطية (٥/ ٧٣)، وابن كثير (٤/ ١٤٢)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٥/ ٧٤٧)، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، والبيهقي في «**شعب الإيمان**».

(٩) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٥/ ٧٣).

مُؤْمِنٌ في غُرْبَةٍ غَابَتْ عَنْهُ فِيهَا بَوَاكِيهِ، إِلاَّ بَكَتْ عَلَيْهِ السَّمَاءُ والأَرْضُ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الآية، وَقَالَ: إِنَّهُمَا لاَ يَبْكِيَانِ عَلَىٰ كَافِرٍ»[1] قال الداوودي. وعن مجاهد: ما مات مؤمنٌ إلاَّ بكَتْ عليه السماءُ والأرضُ، وقال: أفي هذا عجبٌ؟! وما للأرضِ لا تَبْكِي عَلَىٰ عبدٍ كانَ يَعْمُرُها بالرُّكُوعِ والسجودِ، وما للسماء لا تَبْكِي علَىٰ عبدٍ كان لتسبيحِهِ وتكبيرِهِ فيها دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ؟![2] انتهى.

وروى ابن المبارك في «**رقائقه**» قال: أخبرنا الأَوْزاعيُّ قال: حدَّثني عطاءٌ الخُرَاسَانِيُّ، قال: مَا مِنْ عَبْدٍ يسجد للَّهِ سَجْدَةً في بُقْعَةٍ من بِقَاعِ الأرضِ، إلاَّ شَهِدَتْ له يَوْمَ القيامةِ، وبَكَتْ عليه يَوْمَ يَمُوتُ، انتهى، وروى ابن المبارك أَيْضاً عن أبي عُبَيْدٍ صاحبِ سليمانَ «أَنَّ العبد المؤمن إذا مات تنادَتْ بِقَاعُ الأرضِ: عَبْدُ اللَّهِ المُؤْمِنُ مَاتَ قَالَ: فَتَبْكِي عَلَيْهِ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ، فيقولُ الرحْمٰنُ تبارَكَ وَتعالَىٰ: مَا يُبْكِيكُمَا عَلَىٰ عَبْدِي؟ فَيَقُولاَنِ: يَا رَبَّنَا، لَمْ يَمْشِ عَلَىٰ نَاحِيَةٍ مِنَّا قَطُّ إِلاَّ وَهُوَ يَذْكُرُكَ» .اهـ.

و﴿منظرين﴾ أي: مُؤَخَّرِينَ ﴿والعذاب المهين﴾: هو ذبح الأبناءِ، والتَّسْخِيرُ، وغيْرُ ذلك.

وقوله: ﴿على علم﴾ أي: على شَيْءٍ قد سَبَقَ عندنا فِيهِمْ، وثَبَتَ في علمنا أَنَّه سَيَنْفُذُ، ويحتملُ أنْ يكون معناه: على علمٍ لهم وفضائلَ فيهم على العالمين، أي: عَالِمِي زمانهم؛ بدليل أَنَّ أُمَّةَ محمد خير أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ للناس ﴿وآتيناهم من الآيات﴾: لفظ جامع لما أجرى اللَّه من الآيات على يدي موسى، ولما أنعم به على بني إسرائيل، والبلاء في هذا الموضع: الاختبارُ والامتحانُ؛ كما قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥] الآية، و﴿مُبِين﴾ بمعنى: بَيِّنٌ/ ثم ذَكَرَ تعالَىٰ قريشاً على جهة الإنكار لقولهم وإنكارهم للبَعْثِ، فقال: ﴿إِنَّ هؤلاء ليقولُونَ * إن هي﴾ أي: ما هي ﴿إلا موتتنا الأولَىٰ وما نحن بِمُنْشَرِينَ﴾ أي: بمبعوثين، وقولُ قُرَيْشٍ: ﴿فأتوا بآبائنا﴾ مُخَاطَبَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ طلبوا منه أَنْ يُحْيِيَ اللَّهُ لَهُمْ بَعْضَ آبائِهِمْ، وَسَمَّوْا له قُصَيًّا وغيره، كي يسألوهم عَمَّا رأَوْا في آخرَتهم. ٥٧ أ

---

(١) أخرجه ابن جرير (١١/٢٣٨) برقم: (٣١١٢٩)، وذكره السيوطي في «**الدر المنثور**» (٥/٧٤٨)، وعزاه إلى ابن أبي الدنيا.

(٢) أخرجه الطبري (١١/٢٣٨) برقم: (٣١١٢٥، ٣١١٢٨) عن مجاهد، وابن كثير في «**تفسيره**» (٤/ ١٤٢).

﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿أهم خير أم قوم تبع...﴾ الآية، آيةُ تقريرٍ ووعيدٍ، و﴿تُبَّع﴾: مَلِكٌ حِمْيَرِيٌّ، وكان يقال لكل ملك منهم: «تُبَّع» إلاَّ أَنَّ المُشَارَ إليه في هذه الآية رَجُلٌ صالحٌ؛ رُوِيَ عن النبيِّ ﷺ من طريق سَهْلِ بنِ سَعْدٍ «أَنَّ تُبَّعاً هَذَا أَسْلَمَ وَآمَنَ بِاللَّهِ»[1]، وقد ذكره ابن إسْحَاقَ في السيرة، قال السُّهَيْلِيُّ: وبَعْدَ ما غزا تُبَّعٌ المدينة، وأراد خَرَابَهَا أُخْبِرَ بِأَنَّها مُهَاجَرُ نَبِيٍّ اسْمُهُ أَحْمَدُ، فانصرف عَنْهَا، وقال فيه شعراً وأودعه عند أهلها، فكانوا يتوارثونه كابراً عن كابر، إلى أَنْ هاجر إليهم النبي ـ عليه السلام ـ فَأَدَّوْهُ إليه، ويقال: إنَّ الكتاب والشعر [كانا] عند أبي أيوبَ الأنصاريِّ [ومنه]: [من المتقارب]

شَهِدتُ عَلَىٰ أَحْمَدٍ أَنَّهُ ... رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ بَارِي النَّسَمْ
فَلَوْ مُدَّ عُمْرِي إِلَىٰ عُمْرِهِ ... لَكُنْتُ وَزِيراً لَهُ وَابْنَ عَمّ[2]

وذكر الزَّجَّاجُ[3]، وابن أبي الدنيا: أَنَّه حُفِرَ قَبْرٌ بـ«صنعاء» في الإسلام، فَوُجِدَ فيه امرأتانِ صحيحتان، وعند رأسهما لَوْحٌ من فِضَّةٍ مكتوبٌ فيه بالذَّهَبِ: هذا قَبْرُ حُبَّىٰ ولَمِيسَ، ويُرْوَىٰ: وتُماضِرَ ابْنَتَيْ تُبَّع، ماتتا وهما تَشْهَدَانِ أَنْ لاَ إِلٰه إلاَّ اللَّه، ولا تُشْرِكَانِ به شَيْئاً، وعلَىٰ ذلك مَاتَ الصَّالِحُونَ قَبْلَهُمَا، انتهى، و﴿يوم الفصل﴾: هو يَوْمُ القيامة/ وهذا ٥٧ ب
هو الإِخْبَارُ بِالبَعْثِ، و«المَوْلَىٰ» في هذه الآية: يَعُمُّ جميعَ المَوَالِي.

﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿إن شجرت الزقوم * طعام الأثيم﴾ رُوِيَ عن ابن زيد؛ أَنَّ الأثيم

---

(١) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٧٤٩)، وعزاه إلى الطبراني، وابن مردويه.
(٢) وبعدها:
وجاهدتُ بالسيفِ أعداءَه ... وفرَّجت عن صَدْرِه كلَّ هم
ينظر: «الروض الأنف» (١/ ٣٥).
(٣) ينظر: «معاني القرآن» (٤/ ٤٢٧).

المشار إليه أَبُو جَهْلٍ، ثم هي بالمعنى تتنَاوَلُ كُلَّ أثيم، وهو كُلُّ فاجر، رُوِيَ أَنَّهَا لَمَّا نَزَلَتْ، جَمَعَ أبو جَهْلٍ عَجْوَةً وَزُبْداً، وقال لأصحابه: تَزَقَّمُوا، فهذا هو الزَّقُّومُ، وهو طَعَامِي الذي حَدَّثَ به محمَّدٌ، قال * ع[1] *: وإِنَّما قصد بذلك ضَرْباً من المغالطة والتلبيس عَلَى الجَهَلَةِ.

وقوله سبحانه: ﴿كالمهل﴾ قال ابن عباس، وابن عمر[2]: «المُهْلُ»: دُرْدِيُّ الزَّيْتِ وعَكَرُهُ، وقال ابن مَسْعُودٍ وغيره[3]: «المُهْلُ»: ما ذاب مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ، والمعنى: أَنَّ هذه الشجَرَةَ إِذا طَعِمَهَا الكافِرُ في جَهَنَّمَ، صارَتْ في جوفه تَفْعَلُ كما يفعل المُهْلُ المُذَابُ من الإِحراق والإفساد، ، و﴿الحميم﴾: الماءُ السُّخْنُ الذي يتطايَرُ من غليانه.

وقوله: ﴿خذوه...﴾ الآية، أي: يقال يومئذ للملائكة: خذوه، يعني الأثيم ﴿فاعتلوه﴾ و«العَتْلُ»: السَّوْقُ بعُنْفٍ وإِهانةٍ، ودَفْعٌ قَوِيٌّ مُتَّصِلٌ، كما يُسَاقُ أبداً مرتكبُ الجرائمِ، و«السَّوَاء»: الوَسَط، وقيل: المُعْظَمُ، وذلك متلازِمٌ.

وقوله تعالى: ﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم﴾ مُخَاطَبَةٌ على معنى التَّقْرِيعِ.

﴿إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿إن هذا ما كنتم به تمترون﴾: عبارة عن قولٍ يُقَالُ للكَفَرَةِ، ثم ذكر تعالى حالة المُتَّقِينَ، فقال: ﴿إن المتقين في مقام أمين﴾ أي: مأمون، «والسُّنْدُسُ»: رقيقُ الحَرِيرِ، و«الإِسْتَبْرَقُ»: خَشِنُهُ.

وقوله: ﴿متقابلين﴾: وَصْفٌ لمجالسِ أهل الجَنَّةِ، لأَنَّ بعضهم لا يستدبر بعضاً في المجالس، وقرأ الجمهور: ﴿وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ وقرأ ابن مسعود: «بِعِيسٍ عِينٍ» وهو جمع «عَيْسَاءَ»، وهي البيضاء[4]/ ؛ وكذلك هي من النُّوقِ، وروى أبو قِرْصَافَةَ عن النبي ﷺ أَنَّه قال: «إِخْرَاجُ القُمَامَةِ مِنَ المَسْجِدِ مُهُورُ الحُورِ العِينِ» قال الثعلبيُّ: قال مجاهد: يَحَارُ

٥٨ أ

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٧٦).

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٢٤٣ ـ ٢٤٤) برقم: (٣١١٥٢، ٣١١٥٥) عن ابن عباس، وذكره ابن عطية (٥/ ٧٦).

(٣) أخرجه الطبري (٨/ ٢١٨) برقم: (٢٣٠٤٠)، وذكره ابن عطية (٥/ ٧٦).

(٤) ينظر: «مختصر الشواذ» ص: (١٣٨)، و«المحتسب» (٢/ ٢٦١)، و«الكشاف» (٤/ ٢٨٣)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٧٨).

فِيهِنَّ الطَّرْفُ من بياضهنَّ وصفاء لونهنَّ، يُرَى مُخُّ سُوقِهِنَّ من وراء ثيابِهِنَّ، ويَرَى الناظر وَجْهَهُ في كعب إحداهُنَّ كالمرآة من رِقَّةِ الجِلد وصفاء اللون[1]، انتهى.

﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿يدعون فيها بكل فاكهة﴾ أي: يدعون الخَدَمَةَ والمتصرِّفين.

قال أبو حيان[2]: ﴿إلاَّ الموتة﴾: استثناء مُنْقَطِعٌ، أي: لكن الموتة الأولَىٰ ذَاقُوهَا، انتهى،، والضمير في ﴿يَسَّرناه﴾ عائدٌ على القرآن ﴿بلسانك﴾ أي: بِلُغَة العرب؛ قال الوَاحِدِيُّ: ﴿لعلَّهم يتذكرون﴾: أي: يَتَّعِظُون، انتهى، وفي قوله تعالى: ﴿فارتقب إنهم مرتقبون﴾ وَعْدٌ للنبي ﷺ ووعيدٌ للكافرين.

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٢٤٨) برقم: (٣١١٧٦)، عن ابن نجيح عن مجاهد، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ١٥٥).

(٢) ينظر: «البحر المحيط» (٨/ ٤١).

تَفْسِيرُ سُورَةِ الجَاثِيَةِ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٣ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٤ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٥ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝٦ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٨﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿حمٓ * تنزيل الكتاب من اللَّه العزيز الحكيم * إن في السمٰوات والأرض لآياتٍ للمؤمنين﴾ قال أبو حيَّان[1]: أجاز الفَخْرُ الرَّازِي في ﴿العزيز الحكيم﴾ أنْ يكونا صفتينِ لـ«اللَّه»، وهو الراجح، أو لـ«الكتاب»؛ ورُدَّ بأنَّه لا يجوز أنْ يكونا صفتين للكتاب من وجوهٍ، انتهى.

وذكر تبارَكَ وتعالَىٰ هنا الآياتِ الَّتِي في السَمٰوَاتِ والأرضِ مُجْمَلَةً غَيْرَ مُفَصَّلَةٍ، فكأَنَّها إحالةٌ على غوامِضَ تُثِيرُها الفِكَر، ويُخْبِرُ بكثيرٍ منها الشَّرْعُ؛ فلذلك جعلها للمؤمنين، ثم ذكر سبحانه خلق البشر والحيوان، وكأَنَّه أَغْمَضَ؛ فجعله/ للموقنين الذين لهم نظر يُؤَدِّيهم إلى اليقين، ثم ذكر اختلاف الليل والنهار، والعِبْرَة بالمطرِ والرياحِ، فجعل ذلك لقومٍ يعقلون؛ إذ كُلُّ عاقلٍ يُحَصِّلُ هذه ويفهم قَدْرَهَا. ٥٨ ب

قال * ع[2] *: وإنْ كان هذا النَّظَرُ لَيْسَ بلازِمٍ وَلاَ بُدَّ، فإن اللفظ يعطيه، والرزق المُنَزَّلُ من السماء هو: المَاءُ، وسَمَّاهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ رِزْقاً بمآلِهِ، لأَنَّ جَمِيعَ ما يَرْتَزِقُ، فَعَنِ الماءِ هُوَ.

وقوله: ﴿نتلوها عليك بالحق﴾ أي: بالصدق والإعلام بحقائق الأمور في أنفسها.

وقال جلَّتْ عظمته: ﴿فبأي حديث بعد اللَّه وءاياته يؤمنون﴾ آية تقريعٍ وتوبيخٍ، وفيها

---

(١) ينظر: «البحر المحيط» (٨/ ٤٣).

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٧٩).

قُوَّةُ تهديدٍ، والأَفَّاكُ: الكَذَّابُ الذي يقَعُ منه الإِفْكُ مِراراً، والأَثِيمُ: بناءُ مُبَالَغَةٍ، اسمُ فاعلٍ من أَثِمَ يأْثَمُ، ورُوِيَ أَنَّ سبب الآية أبو جَهْلٍ، وقيل: النَّضْرُ بنُ الحَارِثِ، والصواب أَنَّها عامَّةٌ فيهما وفي غيرهما، وأَنَّها تَعُمُّ كُلَّ مَنْ دخل تحت الأوصافِ المذكورة إِلَىٰ يوم القيامة و﴿يُصِرُّ﴾ معناه: يَثْبُتُ على عقيدته من الكُفْرِ.

وقوله: ﴿فبشره بعذاب أليم﴾ أي: مُؤْلِم.

﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ ۖ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وإذا علم من آياتنا شيئاً﴾ أي: أُخْبِرَ بشيْءٍ من آياتنا، فعلم نَفْسَ الخبر لا المعنى الذي تضمَّنه الخَبَرُ، ولو عَلِمَ المعانِيَ الَّتِي تَضَمَّنَها أخبارُ الشَّرْعِ، وَعَرَفَ حقائِقَهَا ـ لكان مؤمناً.

* ت *: وفي هذا نظر؛ لأَنَّه ينحو إلى القَوْلِ بأَنَّ الكفر لا يُتَصَوَّرُ عناداً مَحْضاً، وقد تَقَدَّمَ اختيارُهُ ـ رحمه اللَّه ـ لذلك في غير هذا المَحَلِّ، فَقِفْ عليه، وخَشْيَةُ الإِطالة منَعَتْنِي مِنْ تَكْرَارِهِ هنا.

﴿هَٰذَا هُدًى ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿هذا هدى﴾ إِشارة إِلى القرآن.

وقوله: ﴿لهم عذاب﴾ بمنزلة قولك: لهم حَظٌّ، فَمِنْ هذه الجهةِ/ ومِنْ جِهَةِ تَغَايُرِ اللفظَيْنِ حَسُنَ قوله: ﴿عذاب من رجز﴾، إِذ الرِّجْزُ هو العذابُ. ٥٩أ

وقوله: ﴿لتجري الفُلْكُ فيه بأمره﴾ أَقَامَ القُدْرَةَ والإِذْنَ مُنَابَ أَنْ يَأْمُرَ البَحْرَ والنَّاسَ بذلك، وقرأ مَسْلَمَةُ بْنُ مُحَارِبٍ[1]: «جَمِيعاً مِنة» بضم التاء، وقرأ أيضاً: «جَمِيعاً مَنُّهُ» [بفتح الميم وشد النون والهاء][2] وقرأ ابن عباس: «مِنَّةً» بالنصب على المصدر[3].

---

(١) أما الأولى فذكرها ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٨٢)، وأما القراءة الثانية عنه، فقد ذكرها ابن عطية أيضاً، وكذلك ابن خالويه في «مختصر الشواذ» ص: (١٣٩)، وابن جني في «المحتسب» (٢/ ٢٦٢)، والزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٢٨٨).

(٢) سقط في: د.

(٣) وقرأ بها عبيد بن عمير، وعبد اللَّه بن عمرو بن العاص، والجحدري. =

وقوله تعالى: ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ قال الغَزَّاليُّ في «الإحياء»: الْفِكْرُ والذِّكْرُ أعلَىٰ مقامَاتِ الصالحين، وقال ـ رحمه اللَّه ـ: اعلم أَنَّ الناظرين بِأنوار البصيرة عَلِمُوا أنْ لا نجاةَ إلاَّ في لقاء اللَّه عزَّ وجلَّ، وأَنَّه لا سبيل إلى اللقاء إلاَّ بأَنْ يَمُوتَ العبد مُحِبًّا للَّه تعالَىٰ، وعارِفاً به، وأَنَّ المحبَّةَ والأُنْسَ لا يتحصَّلانِ إلاَّ بدوامِ ذِكْرِ المحبوب، وأَنَّ المعرفة لا تحصل إلاَّ بدوام الفِكْرِ، ولن يتيسَّر دوامُ الذِّكْرِ والفِكْرِ إلاَّ بوداع الدنيا وشهواتها والاجتزاءِ منها بقَدْرِ البُلْغَةِ والضَّرُورَةِ، ثم قال: والقرآنُ جامعٌ لفَضْلِ الذِّكْرِ والفِكْرِ والدُّعَاءِ مَهْمَا كان بِتَدَبُّرٍ، انتهى.

﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿قل للذين ءامنوا يغفروا...﴾ الآية، قال أَكْثَرُ النَّاسِ: هذه الآيةُ منسوخةٌ بِآية القتال، وقالَتْ فرقةٌ: بل هي مُحْكَمَةٌ؛ قال * ع[1] *: الآية تتضمَّن الغُفْرَانَ عُمُوماً، فينبغي أَنْ يقال: إنَّ الأُمور العظام، كالقتل والكُفْرِ مُجَاهَرَةً ونحو ذلك ـ قد نَسَخَتْ غفرانَهُ، آيةُ السَّيْفِ والجِزْيَةِ، وما أحكمه الشَّرْعُ لا محالة، وأَنَّ الأُمورَ الحقيرةَ كالجَفَاءِ في القول ونحوِ ذلك تحتملُ أنْ تبقَىٰ مُحْكَمَةً، وأنْ يكونَ العفْوُ عنها أقربَ إلى التقوى.

٥٩ ب وقوله ﴿أيام اللَّه﴾ قالت فرقة: معناه: أيام إنعامه، ونَصْرِهِ، وتنعيمه/ في الجنة، وغَيْرُ ذلك، وقال مجاهد: ﴿أيام اللَّه﴾: أيامُ نِقَمِهِ وعَذَابِهِ[2]، وباقي الآية بَيِّنٌ.

وقوله سبحانه: ﴿فما ٱختلفوا إلاَّ مِنْ بَعْدِ ما جاءهم العِلْمُ بغياً بينهم...﴾ الآيةُ، قَدْ تَقَدَّم بيان نظيرها في سورة يُونُسَ وغيرها.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ

= ينظر: «الشواذ» ص: (١٣٩)، و«المحتسب» (٢/ ٢٦٢)، و«الكشاف» (٤/ ٢٨٨)، و«المحرر» (٥/ ٨٢).

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٨/ ٨٢).

(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٨٣).

وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾

وقوله سبحانه: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر...﴾ الآيَةَ: «الشريعةُ» لُغَةً: مَوْرِدُ المياه، وهي في الدين من ذلك؛ لأَنَّ الناس يَرِدُونَ الدينَ ابتغاءَ رحمةِ اللَّهِ والتقرُّبِ منه، و«الأمر» وَاحدُ الأمور، ويحتمل أنْ يكون وَاحِدَ الأَوَامِرِ، و﴿الذين لا يعلمون﴾ هم: الكُفَّارُ، وفي قوله تعالى: ﴿وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض واللَّه ولي المتقين﴾ تحقيرٌ للكفرة من حيث خروجهم عن ولاية اللَّه تعالى.

* ت *: وقد قال ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ: «أَجِيبُوهُمْ فَقُولُوا: اللَّهُ مَوْلانَا، وَلاَ مَوْلَىٰ لَكُمْ»[1]، وذلك أَنَّ قريشاً قالوا للصحابة: لنا العُزَّىٰ، ولاَ عُزَّىٰ لَكُمْ.

وقوله عز وجل: ﴿هذا بصائر للناس﴾ يريد: القرآن، وهو جمع «بَصِيرَةٍ»، وهو المُعْتَقَدُ الوثيقُ في الشيء، كأَنَّه من إِبْصَارِ القَلْبِ؛ قال أبو حَيَّان: وقُرِىءَ: «هذه» أي: هذه الآيات، انتهى.

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

وقوله سبحانه: ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات﴾ قيل: إِنَّ الآية نزلَتْ بسبب ٱفتخارٍ كان للكُفَّارِ على المؤمنين، قالوا: لَئِنْ كَانَتْ آخِرَةٌ، كما تزعمون، لَنُفَضَّلَنَّ عليكم فيها، كما فُضِّلْنَا في الدُّنْيَا.

و﴿اجترحوا﴾ معناه: اكتسبوا، وهذه الآية متناولة بلفظها حالَ العُصَاةِ من حال أهل التقوى، وهي موقف للعارفين يَبْكُونَ عنده، ورُوِيَ عن الرَّبِيعِ بْنِ خَيْثَم، أَنَّهُ كانَ يُرَدِّدُهَا ليلةً حتَّى أَصْبَحَ[2]، وكذلك عن الفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ[3]، وكان يقول لنفسه: لَيْتَ/ شِعْرِي! ١٦٠أ
مِنْ أيِّ الفَرِيقَيْنِ أَنْتَ؟ وقال الثعلبيُّ: كانت هذه الآية تُسَمَّى مَبْكَاةَ العابدين[4]، قال * ع[5] *: وأَمَّا لفظها فيعطي أَنَّه اجتراحُ الكُفْرِ، بدليل معادلته بالإِيمان، ويحتمل أَنْ تكونَ

---

(١) تقدم تخريجه.
(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٨٥).
(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ٨٥).
(٤) ذكره ابن عطية (٥/ ٨٥).
(٥) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٨٥)

المعادلة بَيْنَ الاجتراحِ وَعَمَلِ الصالحات، ويكونَ الإيمانُ في الفريقَيْنِ، ولهذا بكى الخائفون ـ رضي اللَّه عنهم ـ.

* ت *: وروى ابن المبارك في «رقائقه» بسنده؛ أَن تَمِيماً الدَّارِيَّ ـ رضي اللَّه عنه ـ باتَ ليلةً إِلى الصَّبَاحِ، يَرْكَعُ وَيَسْجُدُ، وَيُرَدِّدُ هذه الآية: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ الآية، ويبكي ـ رضي اللَّه عنه ـ، انتهى.

وقوله: ﴿ساء ما يحكمون﴾: «ما» مصدريةٌ، والتقدير: ساء الحُكْمُ حُكْمُهُم.

﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿أفرأيت من اتخذ إلٰهه هواه...﴾ الآية: تسليةٌ للنَّبِيِّ ﷺ أي: لا تَهْتَمَّ بأمر الكَفَرَةِ من أجل إعراضهم عن الإيمان، وقوله: ﴿إِلٰهه هَوَاهُ﴾ إشارة إلى الأصنام؛ إذ كانوا يعبدون ما يَهْوَوْنَ من الحجارة، وقال قتادة: المعنى: لا يَهْوَى شيئاً إلا رَكِبَهُ، لا يخافُ اللَّه[1]؛ فهذا كما يقال: الهَوَىٰ إِلٰهٌ مَعْبُودٌ، وهذه الآية وإِنْ كانت نزلَتْ في هَوَى الكُفْر؛ فهِي مُتَنَاوِلَةٌ جميعَ هوى النفس الأَمَّارَةِ؛ قال النبيُّ ﷺ: «وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، وَتَمَنَّىٰ عَلَى اللَّهِ»[2]، وقال سَهْلٌ التُّسْتَرِيُّ: هَوَاكَ دَاؤُكَ؛ فَإِنْ خَالَفْتَهُ فَدَوَاؤُكَ، ، وقال وهْبٌ: إذا عَرَضَ لك أمران، وشككْتَ في خَيْرِهِمَا، فَٱنْظُرْ أَبْعَدَهُمَا مِنْ هَوَاكَ فَأْتِهِ؛ ومن الحكمة في هذا قول القائل: [الطويل]

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْصِ الْهَوَىٰ قَادَكَ الْهَوَىٰ ... إِلَىٰ كُلِّ مَا فِيهِ عَلَيْكَ مَقَالُ

٦٠ ب قال الشيخ ابن أبي جَمْرَةَ: قولُهُ/ ﷺ: «فَيُقَالُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئاً فَلْيَتْبَعْهُ» «شيئاً» يعم جَمِيعَ الأشياء، مُدْرَكَةً كانَتْ أو غَيْرَ مُدْرَكَةٍ، فالمُدْرَكُ: كالشمس والقمر، وَغَيْرُ المُدْرَكِ، مِثْلُ: الملائكة والهَوَىٰ؛ لقوله عزَّ وجَلَّ: ﴿أفرأَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوَاهُ﴾، وما أشبه ذلك، انتهى، قال القُشَيْرِيُّ في «رسالته»: وحُكِيَ عن أبي عمران الواسطيِّ قال: ٱنكسرَتْ بنا السفينةُ، فَبَقِيتُ أنا وٱمْرَأَتِي على لَوْحٍ، وقد وَلَدَتْ في تِلْكَ الحَالِ صَبِيَّة، فصَاحَتْ بي، وقالت: يَقْتُلُنِي العَطَشُ، فقلْتُ: هو ذا يَرَىٰ حالَنَا، فرفعتُ رَأْسِي، فإذا رجُلٌ في الهواء جالِسٌ في يده سِلْسِلَةٌ من ذَهَبٍ، وفيها كُوزٌ من ياقُوتٍ أَحْمَرَ، فقال: هَاكَ،

---

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (٤/١٥٩، ١٦٠) آية رقم: (٢١).
(٢) تقدم.

أَشْرَبَا، قال: فأخذتُ الكُوزَ فَشَرِبْنَا منه، فإذا هو أطيبُ مِنَ المِسْكِ، وأبردُ مِنَ الثَّلْجِ، وأحلَىٰ من العَسَلِ، فقلت: مَنْ أَنْتَ ـ رَحِمَكَ اللَّه؟ ـ فقال: عبدٌ لمولاكَ، فقلْتُ له: بِمَ وَصَلْتَ إِلَىٰ هذا؟ فقال: تركْتُ هَوَايَ لمَرْضَاتِهِ، فأجلَسَنِي في الهواء، ثُمَّ غَابَ عَنِّي، ولم أره، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿على علم﴾ قال ابن عباس[1]: المعنى: على عِلْمٍ من اللَّه تعالى سَابِقٍ، وقالت فرقة: أي: على عِلْمٍ من هذا الضَّالِّ بتَرْكِهِ للحَقِّ وإعراضِهِ عنه، فتكُونُ الآية علَىٰ هذا التأويل من آيات العِنَادِ؛ من نحو قوله: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل: ١٤].

وقوله تعالى: ﴿وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة﴾ استعاراتٌ كُلُّهَا.

وقوله: ﴿مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾ فِيهِ حَذْفُ مضافٍ، تقديره: مِنْ بعدِ إضلالِ اللَّهِ إيَّاه، واخْتُلِفَ في معنى قولهم: ﴿نَمُوتُ ونَحْيَا﴾ فقالت فرقة: المعنى: يَمُوتُ الآباء، ويحيا الأبناء، وقالت فرقة: المَعْنَىٰ: نَحْيَا ونَمُوتُ،/ فوقع في اللفظ تقديم وتأخير، وقولهم: ﴿وما يهلكنا إلا الدهر﴾ أي: طولُ الزمانِ. ٦١أ

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿وإذا تتلى عليهم ءاياتنا بينات﴾ يعني: قريشاً، ﴿ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا﴾ أي: يا محمَّد، أَحْيِ لنا قُصَيًّا حَتَّىٰ نَسْأَلَهُ، إِلَىٰ غَيْرِ ذلك من هذا النحو، فنزلت الآية في ذلك، ومعنى ﴿إن كنتم صادقين﴾ أي: في قولكُمْ أَنَّا نُبْعَثُ بعد الموت.

ثم أمر اللَّه تعالى نَبِيَّه أنْ يخبرَهم بالحال السابقة في علم اللَّه التي لا تُبَدَّلُ بأَنَّه يحيي الخلق ثم يميتهم... إلى آخر الآية، وباقي الآية بَيِّنٌ.

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٢٦٢) برقم: (٣١٢٠٣)، وذكره ابن عطية (٥/ ٨٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٧٥٨)، وعزاه إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم، واللالكائي في «السنة»، والبيهقي في «الأسماء والصفات».

و﴿المبطلون﴾: الداخلون في الباطل.

وقوله سبحانه: ﴿وترى كل أمة جاثية﴾ هذا وصفُ حالِ القيامة وهولها، والأُمَّةُ: الجماعة العظيمة من الناس، وقال مجاهد[1]: الأُمَّةُ: الواحد من الناس؛ قال * ع[2] *: وهذا قلق في اللغة، وإنْ قيل في إبراهيمَ «أُمَّة» وفي قُسِّ بْنِ سَاعِدَةَ، فذلك تَجوُّزٌ على جهة التشريف والتشبيه، و﴿جاثية﴾ معناه: على الرُّكَب؛ قاله مجاهد وغيره[3]، وهي هَيْئَة المُذْنِبِ الخَائِفِ، وقال سُلَيْمَانُ: في القيامة ساعَةٌ قَدْرُ عَشْرِ سنين، يَخِرُّ الجميعُ فيها جُثَاةً على الرُّكَبِ.

وقوله: ﴿كل أمة تدعى إلى كتابها﴾ قالت فرقة: معناه: إلى كتابها المُنَزَّلِ عليها، فَتُحَاكَمُ إليه، هل وافقته أو خالفته؟ وقالت فرقة: أراد إِلَىٰ كتابها الذي كتبته الحَفَظَةُ علَىٰ كل واحد من الأُمَّةِ.

وقوله سبحانه: ﴿هذا كتابنا﴾ يحتمل أنْ تكون الإشارة إلى الكتب المُنَزَّلَةِ، أو إلى اللوح المحفوظ أو إلى كُتُبِ الحَفَظَةِ؛ وقال ابن قُتَيْبَةَ: إلى القرآن.

وقوله سبحانه: ﴿إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾ قال الحَسَنُ: هو كُتُبُ الحَفَظَةِ على بني آدمَ[4]، وروى ابن عباس وغيره حديثاً؛ أَنَّ اللَّه تَعالى يَأْمُرُ/ بِعَرْضِ أَعْمَالِ الْعِبَادِ كُلَّ يَوْمِ خَمِيسٍ، فَيُنْقَلُ مِنَ الصُّحُفِ الَّتِي كَانَتْ تَرْفَعُ الحَفَظَةَ ـ كُلُّ مَا هُوَ مُعَدٌّ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ ثَوَابٌ أَوْ عِقَابٌ، وَيُلْغَى البَاقِي؛ فهَذَا هُوَ النَّسْخُ من أَصْلٍ. ٦١ ب

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾﴾

وقوله عز وجل: ﴿فأما الذين ءامنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته﴾ أي: في جَنَّتِهِ.

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٨٨).

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٨٨).

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٢٦٥) برقم: (٣١٢١٣) عن مجاهد، (٣١٢١٤) عن ابن زيد، وذكره ابن عطية (٥/ ٨٨)، وابن كثير (٤/ ١٥٢).

(٤) ذكره البغوي (٤/ ١٦١) آية رقم: (٢٩)، وابن عطية (٥/ ٨٩).

﴿وأما الذين كفروا أفلم تكن﴾ أي: فيقال لهم: ﴿أفلم تكن آياتي تتلى عليكم﴾ وقرأ حمزة وحده: «وَالسَّاعَةَ»[1] ـ بالنصب ـ؛ عطفاً على قوله: ﴿وعد اللَّه﴾، وقرأ ابن مسعود[2]: «وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا»، وباقيْ الآية بيِّن.

وقوله سبحانه: ﴿وبدا لهم سيئات ما عملوا...﴾ الآية، حكايةُ حالِ يوم القيامة ﴿وحاق﴾ معناه: نزل وأحاطَ، وهي مُسْتَعْمَلَة في المَكْرُوهِ، وفي قوله: ﴿ما كانوا﴾ حذفُ مضافٍ، تقديره: جزاءَ ما كانوا به يستهزئُون.

﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾

وقوله عز وجل: ﴿وقيل اليوم ننساكم﴾ معناه: نترككم كما تركتم لقاءَ يومكم هذا، و﴿آيات اللَّه﴾ هنا: لفظ جامعٌ لِآيات القرآن وللأدِلَّةِ التي نَصَبَهَا اللَّهُ تعالَىٰ، للنَّظَرِ، ﴿ولا هم يستعتبون﴾ أي: لا يُطْلَبُ منهم مراجعةٌ إِلَىٰ عملٍ صَالِحٍ.

وقوله سبحانه: ﴿فلله الحمْدُ رَبِّ السَمٰوَاتِ ورَبِّ الأَرْضِ...﴾ إلى آخر السورة ـ تحميدٌ للَّه عزَّ وجلَّ، وتحقيقٌ لأُلوهِيَّتِهِ، وفي ذلك كَسْرٌ لأمرِ الأصنامِ وسائرِ ما تعبده الكَفَرَةُ، و﴿الكبرياءُ﴾: بناءُ مبالغةٍ.

---

(١) وعلى قراءة الباقين فيها ثلاثة أوجه: الابتداء، وما بعدها من الجملة المنفية خبرها.
«الثاني»: العطف على محل اسم «إن»؛ لأنه قبل دخولها مرفوع بالابتداء.
«الثالث»: أنه عطف على محل «إن» واسمها معاً، لأن بعضهم ـ كالفارسي والزمخشري ـ يرون: أن لـ «إن» واسمها موضعاً، وهو الرفع بالابتداء.
ينظر: «الدر المصون» (٦/ ١٣٢)، و«السبعة» (٥٩٥)، و«الحجة» (٦/ ١٧٩)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٣١٥)، و«معاني القراءات» (٢/ ٣٧٧)، و«شرح الطيبة» (٥/ ٢٣٥)، و«العنوان» (١٧٤)، و«حجة القراءات» (٦٦٢)، و«شرح شعلة» (٥٨٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» (٢/ ٤٦٨).

(٢) وينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٨٩).

تَفسِيرُ سُورَةِ الأَحْقَافِ

وهِيَ مَكِّيَّةٌ

إلاَّ آيتين، وهما قوله تعالى: ﴿قل أرأيتم إن كان من عند اللَّه وكفرتم به. . .﴾ الآية، وقوله سبحانه: ﴿فاصبر كما صبر أولوا العزم﴾ الآيَةَ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ/ ٦٢أ

﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾﴾

قوله سبحانه: ﴿حمٓ * تنزيل الكتاب﴾ يعني: القرآن.

وقوله سبحانه: ﴿ما خلقنا السمٰواتِ والأرضَ وما بينهما إلا بالحَقِّ وأجلٍ مسمًّى والذين كفروا عما أنذروا معرضون﴾: هذه الآية موعظة، وزَجْرٌ، المعنى: فانتبهوا أَيُّهَا الناسُ، وانْظُرُوا ما يُرَادُ بكم ولِمَ خُلِقْتُمْ، «والأَجَلُ المُسَمَّىٰ»: هو يَوْمُ القيامةِ.

وقوله: ﴿قل أرأيتم ما تدعون﴾ [معناه[1]:] ما تَعْبُدُونَ، ثم وقفهم على السَّمٰوَاتِ؛ هَلْ لهم فيها شِرْكٌ، ثم استدعَىٰ منهم كتاباً مُنَزَّلاً قبل القرآن يتضمَّن عبادَةَ الأَصْنَام، قال ابن العربيِّ في «**أحكامه**»[2]: هذه الآية مِنْ أَشْرَفِ آية في القرآن؛ فإنَّها استوفَتِ الدَّلالَةَ على الشرائع عَقْلِيِّهَا وسَمْعِيِّها؛ لقوله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ في السَّمٰوَاتِ﴾ فهذا بيانٌ لأدِلَّة العَقْلِ المتعلِّقة بالتوحيدِ، وحُدُوثِ العالم، وانفراد البارِي تعالَىٰ بالقدرة والعِلْم والوجُودِ والخَلْقِ، ثم قال: ﴿ائتوني بكتاب من قبل هذا﴾: على ما تقولون، وهذا بيان لأدلَّة السَّمْع؛ فَإِنَّ مدرك الحق إنما يكون بدليل العقل أو بدليل الشرع، حسبما بَيَّنَّاهُ من مراتب الأدِلَّة في كتب الأصول،

---

(١) سقط في: د.

(٢) ينظر: «**أحكام القرآن**» (٤/ ١٦٩٦).

ثم قال: ﴿أو أثارة من علم﴾ يعني: أو عِلْمٍ يؤْثَرُ، أي: يُرْوَىٰ ويُنْقَلُ، وإنْ لم يكن مكتوباً، انتهى.

وقوله: ﴿أو إثارةٍ﴾ معناه: أو بَقِيَّةٍ قديمةٍ من عِلْمِ أحد العلماءِ، تقتضي عبادة الأصنام، و«الأثارة» البَقِيَّةُ من الشيء، وقال الحسنُ: المَعْنَىٰ: من عِلْمٍ تستَخْرِجُونَهُ فتثيرونه[1]، وقال مجاهدٌ: المعنَىٰ: هل مِنْ أَحَدٍ يأثر علماً في ذلك[2]، وقالَ القرطبيُّ: هو الإسناد؛ ومنه/ قول الأَعْشَىٰ: من [السريع] ٦٢ ب

إنَّ الَّـذِي فِـيـهِ تَـمَـارَيْـتُـمَـا بُـيِّـنَ لِـلـسَّـامِـعِ وَالآثِـرِ[3]

أي: وللمُسْنِدِ عن غيره، وقال ابن عباس[4]: الأثارة: الخَطُّ في التراب، وذلك شيْءٌ كانَتِ العَرَبُ تفعله، والضمير في قوله: ﴿وهم عن دعائهم غافلون﴾ هو للأصنام في قول جماعة، ويحتمل أنْ يكون لِعَبَدَتِهَا.

﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء﴾ وَصْفُ ما يكون يومَ القيامةِ بَيْنَ الكُفَّار وأصنامهم من التَّبَرِّي والمُنَاكَرَةِ، وقد بُيِّنَ ذلك في غير هذه الآية.

﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا﴾ أي: آيات القرآن، ﴿قال الذين كفروا للحقِّ﴾ يعني: القرآن ﴿هذا سحر مبين﴾ أي: يُفَرِّقُ بين المرءِ وَبَنِيهِ.

وقوله سبحانه: ﴿قل إن ٱفتريته فلا تملكون لي من اللَّه شيئاً﴾ المعنى: إنِ افتريته،

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٧٧٢) برقم: (٣١٢٢٨)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٥/ ٩٢)، وابن كثير (٤/ ١٥٤).

(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٩٢).

(٣) البيت في «ديوانه» (٩٢)، «اللسان» (أثر)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٩٢)، والآثر: الذي يحفظ الأثر، أي: الرواية.

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٢٧٢) برقم: (٣١٢٢٣)، وذكره ابن عطية (٥/ ٩٢)، وابن كثير (٤/ ١٥٤)، والسيوطي (٦/ ٤)، وعزاه إلى ابن المنذر، والطبراني، وابن مردويه، والفريابي، وعبد بن حميد.

فاللَّه حَسْبِي في ذلك، وهو كان يعاقبني ولا يُمْهِلُنِي، ثم رجَعَ القَوْلُ إلى الاستسلام إلى اللَّه، والاستنصارِ به عليهم، وانتظارِ ما يَقْتَضِيهِ عِلْمُهُ بما يُفِيضُونَ فيه مِنَ البَاطِلِ ومُرَادَّة الحَقِّ، وذلك يقتضي مُعَاقَبَتَهُمْ؛ ففي اللفظ تهديد، والضمير في ﴿به﴾ عائدٌ على اللَّه عزَّ وجَلَّ.

وقوله سبحانه: ﴿وهو الغفورُ الرَّحِيم﴾ تَرجيةٌ واستدعاءٌ إلى التوبة، ثم أمره عزَّ وجلَّ أنْ يحتجَّ عليهم بأنَّه لم يكن بِدْعاً من الرسل، والبِدْعُ والبَدِيعُ من الأشياءِ ما لم يُرَ مِثْلُهُ، المعنَىٰ: قد جاء قَبْلِي غيري؛ قاله ابن عَبَّاس وغيره[1].

* ت *: ولفظ البخاريِّ: وقال ابن عباس: ﴿بِدْعاً من الرسل﴾ أي: لَسْتُ بأوَّلِ الرُّسُلِ[2]، واختلف الناسُ في قوله: ﴿وما أدري ما يفعل بي ولا بكم﴾ فقال ابن عباس وجماعةٌ: كان هذا في صَدْرِ الإِسْلاَمِ، ثم بعد ذلك عَرَّفَهُ/ اللَّه عزَّ وجلَّ بأنَّه قد غفر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّرَ، وبأنَّ المؤمنين لهم من اللَّه فضلٌ كبيرٌ، وهو الجَنَّةُ، وبأنَّ الكافرين في نار جَهَنَّمَ[3]؛ والحديثُ الصَّحِيحُ الذي وقع في جنازة عُثْمانَ بنِ مَظْعُونٍ يُؤَيِّدُ هذا[4]، وقالت فرقة: معنى الآية: وما أدري ما يُفْعَلُ بي ولا بكم من الأوامر والنواهي، وقيل غير هذا. ٦٣ أ

وقوله: ﴿إن أتبع إلا ما يوحَىٰ إليَّ﴾ معناه: الاِستسلامُ والتَّبَرِّي من عِلْمِ المُغَيَّبَاتِ، والوقوفُ مع النذارةِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾

---

(١) أخرجه البخاري (٨/ ٤٣٩) كتاب «التفسير» باب: سورة الأحقاف تعليقاً، وقال ابن حجر: وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وللطبري من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله، والطبري (١١/ ٢٧٥) (٣١٢٢٣)، وذكره ابن عطية (٥/ ٩٣)

(٢) انظر السابق.

(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ٩٤).

(٤) ينظر: «مجمع الزوائد» (٩/ ٣٠٥)، كتاب «المناقب» باب: فضل عثمان بن مظعون رضي اللَّه عنه.

وقوله عز وجل: ﴿قل أرأيتم إن كان من عند اللَّه وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل...﴾ الآية، جوابُ هذا التوقيفِ محذوفٌ، تقديره: أَلَيْسَ قد ظلمتم؟! ودَلَّ على هذا المُقَدَّرِ قولُهُ تعالَىٰ: ﴿إن اللَّه لا يهدي القوم الظالمين﴾ قال مجاهد وغيره: هذه الآية مدنية[١]، والشاهد عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلاَمٍ، وقد قال عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلاَمٍ: فيَّ نَزَلَتْ، وقال مَسْرُوقُ بْنُ الأَجْدَعِ والجمهورُ: الشاهد موسَى بْنُ عِمْرَانَ ـ عليه السلام ـ، والآية مكية[٢]، ورَجَّحَه الطَّبْرِيُّ[٣].

وقوله: ﴿على مثله﴾ يريد بالمثلِ التوراةَ، والضمير عائد في هذا التأويل على القرآن، أي: جاء شاهد من بني إسرائيل بمثله أَنَّه من عند اللَّه سبحانه.

وقوله: ﴿فآمن﴾، على هذا التأويل، يعني به تصديقَ موسَىٰ وتبشيرَهُ بِنَبِيِّنا محمَّدٍ ﷺ.

وقوله سبحانه: ﴿ومن قبله﴾ أي: مِنْ قَبْلِ القرآنِ ﴿كتاب موسى﴾ يعني: التوراة ﴿وهذا كتاب﴾ يعني القرآن ﴿مصدق﴾ للتوراة التي تَضَمَّنَتْ خبره، وفي مصحف ابن مسعود[٤]: «مُصَدِّقٌ/ لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ» و﴿الذين ظلموا﴾ هم: الكفار، وعَبَّرَ عن المؤمنين بالمحسنين؛ ليناسِبَ لفظ «الإِحسان» في مقابلة «الظلم». ٦٣ ب

ثم أخبر تعالى عن حُسْنِ [حال] المستقيمين، وذهب كَثِيرٌ من الناس إِلى أَنَّ المعنى: ثم استقاموا بالطاعات والأعمال الصالحات، وقال أبو بكر الصديق ـ رضي اللَّه عنه ـ المعنى: ثم استقاموا بالدَّوَامِ على الإِيمان[٥]؛ قال * ع[٦] *: وهذا أَعَمُّ رجاءً وأَوْسَعُ، وإِن كان في الجملة المؤمنة من يُعَذَّبُ وَيَنْفُذُ عليه الوعيد، فهو مِمَّنْ يَخْلُدُ في الجَنَّةِ، وينتفي عنه الخوفُ والحُزْنُ الحَالُّ بالكَفَرَةِ.

وقوله تعالى: ﴿جزاء بما كانوا يعملون﴾ قد جعل اللَّه سبحانه الأعمالَ أَمَارَاتٍ علَىٰ ما سَيَصِيرُ إِليه العَبْدُ، لا أَنَّها توجب على اللَّه شيئاً.

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٩٤).
(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٩٤).
(٣) ينظر: «تفسير الطبري» (١١/ ٢٨١).
(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٩٥).
(٥) ذكره ابن عطية (٥/ ٩٦).
(٦) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٩٦).

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿ووصينا الإنسان﴾ يريد: النوع، أي: هكذا مَضَتْ شرائِعِي وكُتُبِي، فَهِيَ وَصِيَّةٌ من اللَّه في عباده، وبِرُّ الوالدَيْنِ واجبٌ، وعُقُوقُهُمَا كبيرةٌ، وقد قال النبيُّ ﷺ: «كُلُّ شَيْءٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ إِلاَّ شَهَادَةَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّه، وَدَعْوَةَ الْوَالِدَيْنِ»[1] قال * ع[2] *: ولن يَدْعُوَا في الغالب إلاَّ إذا ظلمَهُمَا الوَلَدُ، فهذا يَدْخُلُ في عُمُومِ قوله ـ عليه السلام ـ: «اتَّقُوا دَعْوَةَ المَظْلُومِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»[3] ثم عَدَّدَ سُبْحَانَهُ عَلَى الأَبْنَاءِ مِنَنَ الأُمَّهَاتِ.

وقوله تعالى: ﴿حملته أمه كرهاً﴾ قال مجاهد، والحسن، وقتادة: حملته مَشَقَّةً، ووضعته مَشَقَّةً، قال أبو حَيَّان[4]: ﴿وحمله﴾ علَىٰ حَذْفِ مضافٍ، أي: مدَّة حمله، انتهى.

٦٤أ وقوله: ﴿ثلاثون شهراً﴾ يقتضى أَنَّ مُدَّة/ الحمل والرَّضَاع هي هذه المُدَّةُ، وفي البقرة: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٣٣] فيترتب من هذا أَنَّ أَقَلَّ مُدَّةِ الحَمْلِ سِتَّةُ أَشهر، وأقلَّ ما يَرْضَعُ الطفلُ عَامٌ وتسعَةُ أشْهُرٍ، وإكمال الحولَيْنِ هو لمن أراد أَنْ يُتِمَّ الرضاعة، وهذا في أمد الحَمْلِ، هو مذهب مالك وجماعة من الصحابة، وأقوى الأقوال في بلوغ الأَشُدِّ ستةٌ وثلاثُونَ سنَةً، قال * ع[5] *: وإنَّما ذكر تعالى الأربعين؛ لأَنَّها حَدٌّ للإنسان في فلاحه ونَجَابَتِهِ، وفي الحديث: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجُرُّ يَدَهُ عَلَىٰ وَجْهِ مَنْ زادَ عَلَى الأَرْبَعِينَ وَلَمْ يَتُبْ، فَيَقُولُ: بِأَبِي، وَجْهٌ لاَ يُفْلِحُ».

* ت *: وحَدَّثَ أبو بَكْرٍ ابْنُ الخَطِيبِ في «تاريخ بَغْدَادَ» بسنده المُتَّصِلِ عن أنسٍ، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إِذَا بَلَغَ الْعَبْدُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، أَمَّنَهُ اللَّهُ مِنَ البَلاَيَا الثَّلاَثِ: الجُنُونِ، وَالجُذَامِ، وَالْبَرَصِ، فَإِذا بَلَغَ خَمْسِينَ سَنَةً خَفَّفَ اللَّهُ عَنْهُ الحِسَابَ، فَإِذَا بَلَغَ سِتِّينَ سَنَةً رَزَقَهُ

---

(١) ذكره الهندي في «كنز العمال» (٣٣١٨)، وعزاه إلى ابن النجار في «التاريخ».
(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٩٦).
(٣) أخرجه أحمد (٣/ ١٥٣) من طريق أنس.
(٤) ينظر: «البحر المحيط» (٨/ ٦١).
(٥) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٩٧).

اللَّهُ الإِنَابَةَ لِمَا يُحِبُّ، فَإِذَا بَلَغَ سَبْعِينَ سَنَةً غَفَرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، وَشُفِّعَ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ، وَنَادَاهُ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: هَذَا أَسِيرُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ»[1] انتهى، وهذا ـ واللَّه أعلم ـ في العبد المُقْبِلِ على آخرته، المشتغل بطاعة ربه.

وقوله: ﴿رب أوزعني﴾ معناه: ادفع عني الموانع، وأَجِرْنِي من القواطع؛ لأجل أنْ أشكرَ نعمتك، ويحتمل أنْ يكون ﴿أَوْزِعْنِي﴾ بمعنى: اجعل حَظِّي ونصيبي، وهذا من التوزيع.

* ت *: وقال الثعلبيُّ وغيره ﴿أوزِعْنِي﴾: معناه: ألهمني، وعبارة الفَخْر[2]: قال ابن عباس ﴿أوزعني﴾: معناه: ألهمني[3]، قال صَاحِبُ «الصِّحَاح» ٱسْتَوْزَعْتُ/ اللَّهَ فَأَوْزَعَنِي، أي: استَلْهَمْتُهُ فألْهَمَنِي، انتهى، قال ابن عباس ﴿نعمتك﴾: في التوحيد ٦٤ ب

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٨٩)، وذكره الهندي في «كنز العمال» (١٥/ ٦٧٠) (٤٢٦٦٢)، وعزاه إلى الديلمي عن أنس، قال ابن حجر في «القول المسدد» في الذب عن مسند الإمام أحمد بن حنبل: حدثنا أنس بن عياض حدثني يوسف بن أبي ذرة عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري عن أنس بن مالك قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «ما من معمر يعمر في الإسلام أربعين سنة، إلا صرف اللَّه عنه أنواعاً من البلاء: الجنون، والجذام، والبرص، فإذا بلغ خمسين سنة لين اللَّه عليه الحساب، فإذا بلغ ستين رزقه اللَّه الإنابة إليه بما يحب، فإذا بلغ سبعين أحبه اللَّه، وأحبه أهل السماء، فإذا بلغ الثمانين قبل اللَّه حسناته، وتجاوز عن سيئاته، فإذا بلغ تسعين غفر اللَّه له ما تقدم من ذنبه، وما تأخر، وسمي أسير اللَّه في أرضه، وشفع لأهل بيته». ورواه أحمد أيضاً موقوفاً على أنس:
قال: حدثنا أبو النضر، ثنا الفرج، ثنا محمد بن عامر، عن محمد بن عبيد اللَّه، عن جعفر بن عمرو، عن أنس بن مالك قال: إذا بلغ الرجل المسلم أربعين سنة أمنه اللَّه من أنواع من البلاء: من الجنون، والجذام، والبرص، وإذا بلغ الخمسين لين اللَّه عز وجل عليه حسابه، وإذا بلغ الستين رزقه اللَّه إنابة يحبه عليه، وإذا بلغ السبعين أحبه اللَّه وأحبه أهل السماء، فإذا بلغ الثمانين تقبل اللَّه منه حسناته، ومحا عنه سيئاته، فإذا بلغ التسعين غفر اللَّه له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وسمي: أسير اللَّه في الأرض، وشفع في أهله. وعلة الحديث المرفوع يوسف بن أبي ذرة، وفي ترجمته أورده ابن حبان في «تاريخ الضعفاء» وقال: يروي المناكير التي لا أصل لها من كلام رسول اللَّه ﷺ، لا يحل الاحتجاج به بحال. روي عن جعفر بن عمرو عن أنس ذاك الحديث، وأورد ابن الجوزي في «الموضوعات» هذا الحديث من الطريقين: المرفوع والموقوف، وقال: هذا الحديث لا يصح عن النبي ﷺ، وأعل الحديث الموقوف بالفرج بن فضالة، وحكى أقوال الأئمة في تضعيفه، قال: وأما محمد بن عامر فقال ابن حبان: يقلب الأخبار ويروي عن الثقات ما ليس من أحاديثهم. وأما محمد بن عبيد اللَّه فهو العرزمي، قال أحمد: ترك الناس حديثه. قلت: وقد خلط فيه الفرج بن فضالة فحدث به هكذا وقلب إسناده مرة أخرى فجعله من حديث ابن عمر مرفوعاً أيضاً، رواه أحمد أيضاً.
ينظر: «القول المسدد» (٧ ـ ٨).

(٢) ينظر: «تفسير الرازي» (٢٨/ ١٨).

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٢٨٤) برقم: (٣١٢٦٢، ٣١٢٦٤)، وذكره ابن عطية (٥/ ٩٧).

و﴿صالحاً ترضاه﴾: الصلواتِ، والإصلاحُ في الذُّرِّيَّةِ: كونُهم أَهْلَ طاعة وخيرٍ[١]، وهذه الآية معناها: أَنْ هٰكَذَا ينبغي للإنسان أنْ يَكُونَ، فهي وَصِيَّةُ اللَّه تعالى للإنسان في كُلِّ الشرائع، وقولُ مَنْ قال: إنَّها في أبي بكر وأبويه ـ ضعيف؛ لأَنَّ هذه الآية نزلت بمَكَّةَ بلاَ خِلاَفٍ، وأبو قُحَافَةَ أَسْلَمَ عامَ الفتح، وفي قوله تعالى: «أولئك الذين يتقبل عنهم...» الآية: دليلٌ على أَنَّ الإشارة بقوله: ﴿ووصينا الإنسان﴾ إنما أراد بها الجِنْسَ.

وقوله: ﴿في أصحاب الجنة﴾ يريد: الذين سبقت لهم رحمةُ اللَّه، قال أبو حَيَّان[٢] ﴿في أصحاب الجنة﴾ قيل: ﴿في﴾ على بابها، أي: في جملتهم؛ كما تقول: أَكْرَمَنِي الأَمِيرُ في نَاسٍ، أي: في جملةِ مَنْ أَكْرَمَ، وقيل: ﴿في﴾ بمعنى مع، انتهى.

﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿والذي قال لوالدَيْهِ﴾ قال الثعلبيُّ: معناه: إذ دَعَوَاهُ إلى الإيمان[٣]، ﴿أُفٍّ لكما...﴾ الآية، انتهى، و﴿الذي﴾ يعني به الجِنْس عَلَىٰ حَدِّ العموم في التي قبلها في قوله: ﴿ووصينا الإنسان﴾؛ هذا قول الحسن وجماعة[٤]، ويشبه أَنَّ لها سبباً من رَجُلٍ قال ذلك لأبويه، فلما فرغ من ذكر المُوَفَّقِ، عَقَّبَ بذكر هذا العَاقِّ، وقد أنكرتِ عائِشَةُ أَنْ تكونَ الآية نزلت في عبد الرحمن بن أبي بَكْر، وقالت: مَا نَزَلَ في آلِ أبي بَكْرٍ مِنَ القُرْآنِ غَيْرُ بَرَاءَتِي[٥].

* ت *: ولا يُعْتَرَضُ عليها بقوله تعالى: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾ [التوبة: ٤٠]، ولا بقوله: ﴿وَلاَ يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ﴾ [النور: ٢٢] كما بَيَّنَّا ذلك في غير هذه الآية، قال * ع[٦] *:

---

(١) ذكره ابن كثير ولم يعزه إلى أحد.
(٢) ينظر: «البحر المحيط» (٨/ ٦١).
(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ٩٨).
(٤) ينظر: المصدر السابق.
(٥) أخرجه الحاكم(٤/ ٤٨١)، والنسائي في «التفسير» (٥١١)، والخطابي في «غريب الحديث» (٢/ ٥١٧) من طريق محمد بن زياد عن عائشة. وصححه الحاكم، وتعقبه الذهبي فقال: محمد لم يسمع من عائشة.
(٦) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٩٩).

والأَصوبُ أنْ تكونَ الآية عامَّةً في أَهل هذه الصفات، والدليلُ القاطعُ على ذلك: قوله تعالى: ﴿أولئك الذين/ حق عليهم القول في أمم﴾ وكان عبدُ الرحمن بن أبي بكر ـ رضي ٦٥أ
اللَّه عنه ـ من أفاضل الصحابة، ومن أبطال المسلمين، ومِمَّنْ له في الإسلام غَنَاءٌ يومَ اليمامة وغيره، و﴿أفٍّ﴾ بالتنوين قراءة نافع وغيره[1]، والتنوينُ في ذلك عَلاَمَةُ تنكيرٍ؛ كما تَسْتَطْعِمُ رَجُلاً حَدِيثاً غَيْرَ مُعَيَّنٍ فتقول: «إِيهٍ» منونةً، وإِنْ كان حديثاً مُشَاراً إليه قلت: «إِيهِ» بغير تنوين.

وقوله: ﴿أتعدانني أن أخرج﴾ المعنى: أَنْ أُخْرَجَ مِنَ القَبْرِ إِلى الحَشْرِ، وهذا منه استفهامٌ بمعنى الهُزْءِ والاِستبعاد. ﴿وقد خلت القرون من قبلي﴾ معناه: هَلَكَتْ ومَضَتْ، ولم يخرجْ منهم أحد، ﴿وهما يستغيثان اللَّه﴾ يعني: الوالدَيْنِ يقُولاَنِ له: ﴿ويلك آمن﴾.

وقوله: ﴿ما هذا إلا أساطير الأولين﴾ أي: ما هذا القول الذي يتضمَّنُ البَعْثَ من القبور إلاَّ شيءٌ سَطَرَهُ الأَوَّلُون في كتبهم، يعني: الشرائعَ، وظاهر ألفاظ هذه الآية أَنَّها نزلَتْ في مُشَارٍ إليه، قال: وقِيلَ له، فنعى اللَّه إلينا أقواله؛ تحذيراً من الوقوع في مثلها.

وقوله: ﴿أولئك﴾ ظاهره أَنَّها إِشارة إِلَىٰ جنسٍ، و﴿حق عليهم القول﴾ أي: قول اللَّه: إِنَّهُ يُعَذِّبُهُم؛ قال أبو حَيَّان[2] ﴿في أمم﴾ أي: في جملة أُمَمٍ فـ«في» على بابها، وقيل: ﴿في﴾ بمعنى مع، وقد تقدم ذلك، انتهى.

وقوله: ﴿قد خلت من قبلهم من الجن والإنس﴾ يقتضى أَنَّ الجِنَّ يموتون، وهكذا فَهِمَ الآية قتادة[3]، وقد جاء حديثٌ يقتضي ذلك.

وقوله سبحانه: ﴿ولكل درجات﴾ يعني: المحسنين والمُسِيئِين، قال ابن زيد: ودرجات المحسنين تذهبُ/ عُلْواً، ودرجاتُ المسيئين تذهب سُفْلاً[4]، وباقي الآية بَيِّنٌ في ٦٥ب
أَنَّ كُلَّ امرىءٍ يجتني ثَمَرَةَ عَمَلِهِ مِنْ خَيْرٍ أو شَرٍّ، ولا يُظْلَمُ في مجازاته.

---

(١) وقرأ بها حفص.
ينظر: «السبعة» (٥٩٧)، و«الحجة» (٦/ ١٨٥)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٣١٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» (٢/ ٤٧١).
(٢) ينظر: «البحر المحيط» (٨/ ٦٢).
(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٢٨٨) برقم: (٣١٢٧٨)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٠٠).
(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٢٨٨) برقم: (٣١٢٧٨)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٠٠)

٢٢٠ ـــــــ

الإِيمَانِ، إِن الْبَذَاذَةَ مِنَ الإِيمَانِ»[١] قال أبو داوُدَ: يعني: التَّقَحُّلَ، وفسر أبو عمر بن عبد البَرِّ: «البَذَاذَةَ» بِرَثِّ الْهَيْئَةِ، ذكر ذلك في «**التمهيد**»، وكذلك فَسَّرَهَا غيره، انتهى،، وروى ابن المبارك في «**رقائقه**» من طريق الحسن عن النبيِّ ﷺ أَنَّهُ خَرَجَ في أَصْحَابِهِ إِلَى بَقِيعِ الغَرْقَدِ، فَقَالَ: «السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْقُبُورِ، لَوْ تَعْلَمُونَ مَا نَجَّاكُمُ اللَّهُ مِنْهُ مِمَّا هُوَ كَائِنٌ بَعْدَكُمْ! ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَىٰ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: هَؤُلاَءِ خَيْرٌ مِنْكُمْ؛ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِخْوانُنَا، أَسْلَمْنَا كَمَا أَسْلَمُوا، وَهَاجَرْنَا كَمَا هَاجَرُوا، وَجَاهَدْنَا كَمَا جَاهَدُوا، وَأَتَوا عَلَىٰ آجَالِهِمْ فَمَضَوْا فِيهَا وَبَقِينَا في آجالِنَا، فَمَا يَجْعَلُهُمْ خَيْراً مِنَّا؟! قال: هَؤُلاَءِ خَرَجُوا مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَأْكُلُوا مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً، وَخَرَجُوا وَأَنا الشَّهِيدُ عَلَيْهِمْ، وإِنَّكُمْ قَدْ أَكَلْتُمْ مِنْ أُجُورِكُمْ، وَلاَ أَدْرِي مَا تُحْدِثُونَ مِنْ بَعْدِي؟ قال: فَلَمَّا سَمِعَهَا الْقَوْمُ عَقَلُوهَا وَانْتَفَعُوا بِهَا، وَقَالُوا: إِنَّا لَمُحاسَبُونَ بِمَا/ أَصَبْنَا مِنَ الدُّنْيَا، وَإِنهُ لَمُنْتَقَصٌ بِهِ مِنْ أُجُورِنَا»[٢] انتهى،، ومنها حديثُ ٦٦ ب
ثَوْبَانَ في «**سنن أَبي دَاوُدَ**»: قال ثَوْبَانُ: كانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا سَافَرَ كَانَ آخِرُ عَهْدِهِ بِإِنْسَانٍ مِنْ أَهْلِهِ فَاطِمَةَ، وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ عَلَيْهَا فَاطِمَةَ، فَقَدِمَ مِنْ غَزَاةٍ، وَقَدْ عَلَّقَتْ مِسْحاً أَوْ سِتْراً عَلَىٰ بَابِهَا، وَحَلَّتِ الحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ قُلْبَيْنِ مِنْ فِضَّةٍ، فَلَمْ يَدْخُلْ، فَظَنَّتْ أَنَّما مَنَعَهُ أَنْ يَدْخُلَ مَا رَأَىٰ؛ فَهَتَكَتِ السِّتْرَ، وَفَكَّتِ القُلْبَيْنِ عَنِ الصَّبِيَّيْنِ وَقَطَعَتْهُمَا عَنْهُمَا، فَانْطَلَقَا إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَبْكِيَانِ، فَأَخَذَهُمَا مِنْهُمَا، وَقَالَ: يَا ثَوْبَانُ، اذْهَبْ بِهِمَا إِلَى آلِ فُلاَنٍ؛ إِنَّ هَؤُلاَءِ أَهْلِي أَكْرَهُ أَنْ يَأْكُلُوا طَيِّبَاتِهِمْ في حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا، يَا ثَوْبَانُ، اشْتَرِ لِفَاطِمَةَ قَلاَدَةً مِنْ عَصْبٍ وَسِوَارَيْنِ مِنْ عَاجٍ» انتهى[٣]، * ص *: **قرأ** الجمهور: «أَذْهَبْتُمْ» على الخبر، أي: فيقال لهم: أذهبتم طَيِّبَاتكم، وابن كثير بهمزة بعدها مَدَّة مُطَوَّلَةٌ، وابن عامر بهمزتين حَقَّقَهما ابن ذَكْوَانَ، ولَيَّنَ الثانيةَ هشامٌ وابن كثير في روايةٍ[٤]، والاستفهامُ هنا على معنى التوبيخ والتقريرِ، فهو خبر في المعنَىٰ، ولهذا حَسُنَتِ الفاء في قوله: ﴿فَالْيَوْمَ﴾، ولو كان استفهاماً مَحْضاً لما دخلَتِ الفاء، انتهى، و﴿عذاب الهون﴾ هو الذي اقترن به هوانٌ، فالهُونُ والهَوَانُ بمعنى.

---

(١) أخرجه أبو داود (٢/ ٤٧٤) كتاب «الترجل» باب: (١) (٤١٦١)، والحميدي (١/ ١٧٣) (٣٥٧)، وابن ماجه (٢/ ١٣٧٩) كتاب «الزهد» باب: من لا يؤبه له(٤١١٨)، والحاكم (١/ ٩).

(٢) أخرجه ابن المبارك (١/ ١٧١) برقم: (٤٩٨).

(٣) أخرجه أبو داود (٢/ ٤٨٦ ـ ٤٨٧) كتاب «الترجل» باب: ما جاء في الانتفاع بالعاج، (٤٢١٣)، وذكره السيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ٤٣)، وعزاه إلى أحمد، والبيهقي في «**شعب الإيمان**».

(٤) ينظر: «**الحجة**» (٦/ ١٨٨)، و«**إعراب القراءات**» (٢/ ٣٢٠)، و«**معاني القراءات**» (٢/ ٣٨١)، و«**العنوان**» (١٧٥)، و«**حجة القراءات**» (٦٦٥)، و«**إتحاف**» (٢/ ٤٧٢).

ثم أمر تعالى نبيَّه بذكر هود وقومه عادٍ؛ على جهة المثال لقريشٍ، وقد تقدَّم قَصَص عادٍ مُسْتَوفًى في «سورة الأعراف»، فلينظر هناك، والصحيحُ من الأقوال أنَّ بلادَ عادٍ كانت باليمن، ولهم كانَتْ إِرَمُ ذاتُ العمادِ، و﴿الأحقافُ﴾: جَمْعُ «حِقْفٍ» وهو الجبل المستطيل المُعْوَجُّ/ من الرَّمْلِ. ٦٧ أ

وقوله سبحانه: ﴿وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا إلا اللَّه إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ ﴿خَلَتْ﴾ معناه: مَضَتْ إلى الأرض الخَلاَءِ، و﴿النذر﴾ جمع نَذِيرٍ، وقولهم: ﴿لتأفكنا﴾ معناه: لِتَصْرِفَنَا، وقولهم: ﴿فأتنا بما تعدنا﴾ تصميم منهم على التكذيب، وتعجيزٌ له في زعمهم.

﴿قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿قال إنما العلم عند اللَّه...﴾ الآية، المعنى: قال لهم هود: إنَّ هذا الوعيد ليس من قِبَلِي، وإنما الأمر فيه إلى اللَّه، وعِلْمُ وقته عنده، وإنَّما عَلَيَّ أَنْ أُبَلِّغَ فقطْ، والضميرُ في ﴿رَأَوْهُ﴾ يحتمل أنْ يعودَ على العذاب، ويحتمل أنْ يعودَ على الشيء المرئيِّ الطالعِ عليهم، وهو الذي فَسَّرَهُ قوله: ﴿عارضاً﴾ و«العَارِض»: هو ما يَعْرِضُ في الجَوِّ من السحاب المُمْطِر؛ قال ابن العربيِّ في «**أحكامه**» عند تفسيره قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٤]: كُلُّ شيء عَرَضَ، فقد مَنَعَ، ويقال لِمَا عَرَضَ في السماء من السحاب: «عارِضٌ»؛ لأنَّه مَنَعَ من رؤيتها ومن رؤية البدر والكواكب، انتهى، ورُوِيَ في معنى قوله: ﴿مستقبل أوديتهم﴾؛ أَنَّ هؤلاء القومَ كانوا قد قَحَطُوا مُدَّةً، فطلع هذا العارض من جهة كانوا يُمْطَرُونَ بها أبداً، جاءهم من قِبَلِ وادٍ لهم يسمونه المُغِيثَ، قال ابن عباس: ففرحوا به، وقالوا: هذا عارضٌ مُمْطِرُنا، وقد كذب هودٌ فيما أوعد به، فقال لهم هُودٌ ـ عليه السلام ـ: ليس الأمر كما رأيتم، بل هو ما/ استعجلتم به ٦٧ ب في قولكم: ﴿فأتنا بما تعدنا﴾ [الأحقاف: ٢٢]، ثم قال: ﴿ريح فيها عذاب أليم﴾ وفي قراءة ابن مسعود[1]: «مُمْطِرُنَا قَالَ هُودٌ: بَلْ هُوَ رِيحٌ» بإظهار المُقَدَّرِ و﴿تدمِّر﴾ معناه:

---

(١) ينظر: «**المحتسب**» (٢/ ٢٦٥)، و«**الكشاف**» (٤/ ٣٠٧)، و«**المحرر الوجيز**» (٥/ ١٠٢).

تُهْلِكُ، و«والدمار»: الهلاك، وقوله: ﴿كل شيء﴾ ظاهره العموم، ومعناه الخُصُوصُ في كُلِّ ما أُمِرَتْ بتدميره، وروي أَنَّ هذه الريح رمتهم أجمعين في البَحْرِ.

ثم خاطب جلَّ وعلا قريشاً على جهة الموعظة بقوله: ﴿ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه﴾ فَـ«مَا» بمعنى «الذي»، و«إن» نافية وقعتْ مكان «مَا» لمختلف اللفظ، ومعنى الآية: ولقد أعطيناهُمْ من القُوَّةِ والغِنَىٰ والبَسْطِ في الأموال والأجسامِ ـ ما لم نُعْطِكُمْ، ونالهم بسَبَبِ كُفْرِهِمْ هذا العَذَابُ؛ فأنتم أحرَىٰ بذلك؛ إذا تماديتم في كفركم، وقالت فرقة: «إِنْ» شرطية، والجواب محذوف، تقديره: في الذي إِنْ مَكَّنَّاكم فيه طغيتم، وهذا تَنَطُّعٌ في التأويل، و«ما» نافية في قوله: ﴿فما أغنى عنهم﴾؛ ويقوِّي ذلك دخولُ «مِنْ» في قوله: ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾، وقالت فرقةٌ: بل هي استفهامٌ؛ على جهة التقرير؛ و﴿من شيء﴾ ـ على هذا ـ تأكيدٌ؛ وهذا على غير مذهب سيبَوَيْهِ في دخول «مِنْ» في الجواب.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ ۖ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾﴾

وقوله عز وجل: ﴿ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى...﴾ الآية، مخاطبة لقريشٍ على جهة التمثيلِ ﴿وصرفنا الآيات﴾ يعني: لهذه القرى.

وقوله سبحانه: ﴿فلولا نصرهم...﴾ الآية، يعني: فهلا نَصَرَتْهُمْ أصنامُهُمْ، «بل ضَلُّوا عنهم» أي: انتلفوا عنهم وقت/ الحاجة ﴿وذلك إفكهم﴾ إشارةٌ إلى قولهم في الأصنامِ: إنها آلهةٌ. ٦٨ أ

وقوله: ﴿وما كانوا يفترون﴾ يحتمل أَنْ تكون «ما» مصدريةً، فلا تحتاج إلى عائد، ويحتمل أَنْ تكون بمعنى «الذي» فهناك عائد محذوف، تقديره: يَفْتَرُونَهُ.

﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وإذ صرفنا إليك نفراً من الجنِّ...﴾ الآية، ابتداءُ وَصْفِ قِصَّةِ الجنِّ ووفادتهم على النبيِّ ﷺ، وقد اختلفتِ الرُّوَاةُ هنا: هَلْ هذا الجنُّ هُمُ الوَفْدُ أو

المُتَجَسِّسُونَ؟ واختلفتِ الرواياتُ أيضاً عنِ ابنِ مَسْعُودٍ وغيرِهِ في هذا الباب.

والتحرير في هذا أَنَّ النبيَّ ﷺ جاءه نَفَرٌ من الجِنِّ دون أَنْ يَشْعُرَ بهم، وهم المتجسِّسون المتفرِّقون من أَجْلِ رَجْمِ الشُّهُبِ الذي حَلَّ[1] بِهِمْ، وهؤلاءِ هُمُ المرادُ بقوله تعالَىٰ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ...﴾ [الجن: ١] الآية، ثم بعد ذلك وفد عليه وَفْدُهُمْ؛ حَسْبَمَا وَرَدَ في ذلك من الآثار[2].

وقوله: ﴿نفراً﴾ يقتضي أَنَّ المصروفين كانوا رجالاً لا أنثى فيهم، والنَّفَرُ والرَّهْطُ هم: القوم الذين لا أُنْثَىٰ فيهم.

وقوله تعالى: ﴿فلما حضروه قالوا أنصتوا﴾ فيه تَأَدُّبٌ مع العلم، وتعليم كيف يُتَعَلَّمُ ﴿فلما قضي﴾ أي: فرغ من تلاوة القرآنِ واستماع الجن، قال جابر بن عبد اللَّه وغيرُه: إِنَّ النبي ﷺ لَمَّا قَرَأَعليهم سورة «الرحمٰن» فكان إِذَا قال: ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمٰن: ١٣] قالوا: لا بشَيْءٍ مِنْ آلائك نُكَذِّبُ، رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ، ولَمَّا وَلَّتْ هذه الجملةُ
٦٨ ب تفرَّقَتْ/ على البلاد مُنْذِرَةً لِلْجِنِّ، وقولهم: ﴿إنا سمعنا كتاباً﴾ يَعْنُونَ: القرآن.

* ت *: وقولهم: ﴿مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾ يحتمل أَنَّهُمْ لم يعلموا بِعِيسَى؛ قاله ابن عباس[3]، أوْ أَنَّهم على دِينِ اليهودِ، قاله عطاء[4]؛ نقل هذا الثعلبيُّ، ويحتمل ما تَقَدَّم ذِكْره

---

(١) أخرجه البخاري (٨/ ٥٣٧ ـ ٥٣٨) كتاب «التفسير» باب: سورة ﴿قل أوحي إلي﴾ (٤٩٢١)، ومسلم (٢/ ٤٠٣) ـ النووي، كتاب «الصلاة» باب: الجهر بالقراءة في الصبح (١٤٩، ٤٤٩)، والترمذي (٥/ ٤٢٦) كتاب «تفسير القرآن» باب: ومن سورة الجن (٣٣٢٣)، وأحمد (١/ ٢٥٢).

(٢) أخرجها البخاري (٧/ ٢٠٨) كتاب «مناقب الأنصار» باب: ذكر الجن، وقول اللَّه تعالى: ﴿قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن﴾ (٣٨٦٠).
وعن عامر أنه سأل علقمة: «هل كان ابن مسعود شهد مع رسول اللَّه ﷺ ليلة الجن؟...» الحديث. أخرجه مسلم (٢/ ٤٠٤) ـ النووي، كتاب «الصلاة» باب: الجهر بالقراءة في الصبح (١٥٠/ ٤٥٠)، وأبو داود (١/ ٦٩) كتاب «الطهارة» باب: الوضوء بالنبيذ (٨٥) نحوه، والترمذي (١/ ٢٩) كتاب «الطهارة» باب: ما جاء في كراهية ما يستنجى به (١٨) نحوه، (٥/ ٣٨٢) كتاب «تفسير القرآن» باب: ومن سورة الأحقاف (٣٢٥٨) نحوه.
وروي من حديث ابن عباس: أخرجه مسلم (٢/ ٤٠٥) ـ النووي، كتاب «الصلاة» باب: الجهر بالقراءة في الصبح (١٥١/ ٤٥٠)، وأخرجه أحمد (١/ ٣٩٨)، وابن ماجه (١/ ١٣٥)، كتاب «الطهارة وسننها» باب: الوضوء بالنبيذ (٣٨٤) نحوه، وأبو داود (١/ ٦٩) كتاب «الطهارة» باب: الوضوء بالنبيذ (٨٤) مختصراً نحوه.

(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ١٠٦).

(٤) ذكره ابن عطية (٥/ ١٠٥).

في غير هذا، وأَنَّهم ذكروا المُتَّفَقَ عليه، انتهى.

﴿مُصَدِّقاً لما بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ وهي التوراة والإنجيل، وداعي اللَّه هو محمَّدٌ ﷺ ﴿وآمِنُوا بِهِ﴾ أي: باللَّه ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ...﴾ الآية.

* ت *: وذكر الثعلبيُّ خلافاً في مُؤمني الجِنِّ، هل يُثَابُونَ على الطاعةِ ويدخُلُونَ الجَنَّة، أو يُجَارُونَ من النار فقطْ؟ اللَّه أعلم بذلك، قال الفخر: والصحيحُ أَنَّهم في حُكْمِ بني آدم يستحِقُّون الثوابَ على الطاعة، والعقابَ على المعصية، وهو قول مالك، وابن أبي لَيْلَىٰ؛ قال الضَّحَّاكُ: يدخلون الجنة، ويأكلون ويشربون[1]، انتهى، وقد تَقَدَّمَ ما نقلناه عن البخاريِّ في سورة الأنعام؛ أَنَّهُمْ يُثَابُونَ.

وقوله سبحانه: ﴿وَمَنْ لاَ يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ...﴾ الآية: يحتملُ أَنْ يكون مِنْ تمام كلام المُنْذِرين، ويحتمل أَنْ يكونَ من كلام اللَّه عزَّ وجلَّ، و«المُعْجِزُ»: الذاهبُ في الأَرض الذي يُعْجِزُ طالِبَهُ؛ فلا يَقْدِرُ عليه.

وقوله سبحانه: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوا﴾ الضمير لقريش؛ وذلك أَنَّهم أنكروا البعث وعَوْدَ الأجساد، وهُمْ مع ذلك معترِفُونَ بأَنَّ اللَّه تعالى خَلَقَ السَّمٰوَاتِ والأَرْضَ، فَأُقِيمَتْ عليهم الحُجَّةُ مِنْ أقوالهم * ص *: قال أبو حَيَّان[2]: والباء في قوله: ﴿بِقَادِرٍ﴾ زائدةٌ، انتهى.

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ المعنى: واذكرْ يومَ، وهذا وعيدٌ لكفَّار قريشٍ وغيرهم،/ وهذا عَرْضُ مباشرةٍ. ٦٩أ

وقوله: ﴿أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ﴾ أي: يقال لهم: أليس هذا بالحق؟ ﴿قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا﴾ فصدَّقوا بذلك حيث لا ينفعهم التصديقُ، فَرُوِيَ عن الحَسَنِ؛ أنه قال: إِنَّهم لَيُعَذَّبُونَ في النارِ، وهم راضون بذلك لأنفسهم يعترفون أَنَّهُ العَدْل[3].

واخْتُلِفَ في تعيين أُولي الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ، ولا محالةَ أَنَّ لكل نبيٍّ ورسولٍ عَزْماً وصَبْراً.

---

(١) ينظر: «تفسير البغوي» (٤/ ١٧٥).

(٢) ينظر: «البحر المحيط» (٨/ ٦٦).

(٣) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ١٠٧).

وقوله: ﴿وَلاَ تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ معناه: ولا تستعجلْ لهم عذاباً؛ فإنَّهم إليه صائرون، ولا تَسْتَطِلْ تعميرَهُمْ في هذه النِّعْمَةِ؛ فَإِنَّهم يوم يَرَوْنَ العذاب كأنهم لَم يَلْبَثُوا في الدنيا إلاَّ ساعةً لاِحتقارهم ذلك؛ لأَنَّ المنقضيَ من الزمان يصير عَدَماً.

* ت *: وإذا علمتَ ـ أَيُّها الأخُ ـ أَنَّ الدنيا أضغاثُ أحْلاَم، كان من الحزم اشتغالُكَ الآنَ بتَحْصِيلِ الزادِ لِلْمَعَاد، وحِفْظِ الحَواسِّ، ومراعاةِ الأنفاس، ومراقبة مَوْلاَك، فَاتَّخِذْهُ صاحباً، وذَرِ الناس جانباً؛ قال أبو حامد الغَزَّالِيُّ ـ رحمه اللَّه ـ: اعلم أَنَّ صاحبك الذي لا تفارقُهُ في حَضَرِكَ وسَفَرِكَ، ونَوْمِكَ ويَقَظَتِكَ، بل في حياتك، وموتك ـ هو رَبُّك، ومولاك، وسَيِّدُك، وخالقك، ومهما ذكرتَهُ فهو جَلِيسُكَ؛ إذ قال تعالى: «أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي»، ومهما انْكَسَرَ قلبُكَ حُزْناً علَىٰ تَقْصِيرِكَ في حق دِينِكَ، فهو صَاحِبُكَ ومُلاَزِمُكَ؛ إذْ قال: «أَنَا عِنْدَ الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوبهمْ مِنْ أَجْلِي»[1] فلو عرفته يا أخي حَقَّ معرفتِهِ لاَتَّخذْتَهُ صَاحِباً، وتركْتَ النأَسَ جانباً، فإنْ لم تَقْدِرْ/ عَلَىٰ ذلك في جميع أوقاتك، فَإِيَّاكَ أنْ تُخْلِيَ ٦٩ ب
ليلَكَ ونهارَكَ عَنْ وَقْتٍ تخلُو فيه بمولاَكَ، وتَلَذَّذُ بمناجاتِهِ، وعند ذلك فعليكَ بآدَابِ الصُّحْبَةِ مع اللَّه تعالَىٰ، وآدابُهَا: إطراقُ الطَّرْفِ، وجَمْعُ الهَمِّ، ودَوَامُ الصَّمْتِ، وسُكُونُ الجَوَارِحِ، ومُبَادَرَةُ الأَمْرِ، واجتنابُ النَّهْيِ، وقِلَّةُ الاِعتراضِ عَلَى الْقَدَرِ، ودَوَامُ الذِّكْرِ باللسان، ومُلاَزَمَةُ الفِكْرِ، وإيثارُ الحَقِّ، واليَأْسُ من الخَلْقِ، والخضوعُ تحتَ الهيبَةِ، والانْكِسَارُ تحت الحياء، والسُّكُونُ عن حِيَلِ الكَسْبِ ثِقَةً بالضَّمَان، والتَوَكُّلُ علَىٰ فَضْلِ اللَّه معرفةً بحسن اختياره؛ وهذا كله ينبغي أنْ يكون شعارَكَ، في جميع لَيْلِكَ ونَهَارِك، فإنَّهُ آداب الصحبة مع صاحب لا يفارقك، والخلق كُلُّهم يفارقُونَكَ في بَعْضِ أوقاتك، انتهى من «**بداية الهداية**».

وقوله: ﴿بَلاَغٌ﴾ يحتمل معانيَ:

أحدُهَا: أَنْ يكون خبر مبتدإ محذوفٍ، أي: هذا إنذارٌ وتبليغٌ.

ويحتمل أنْ يريد: كأنْ لم يلبثوا إلاَّ ساعةً كانَتْ بلاغَهُمْ، وهذا كما تَقُولُ: متاعٌ قليلٌ، وقيل غَيْرُ هذا، **وقرأ** أبو مِجْلَزٍ وغَيره[2]: ﴿بَلِّغْ﴾ على الأمر، **وقرأ** الحسنُ بْنُ أبي

---

(١) ينظر: «**إتحاف السادة المتقين**» للزبيدي (٦٣).

(٢) وقرأ بها أبو سراج الهذلي.
ينظر: «**مختصر الشواذ**» ص: (١٤٠)، و«**المحتسب**» (٢/٢٦٨)، و«**المحرر الوجيز**» (٥/١٠٨)، و«**البحر المحيط**» (٨/٦٨)، و«**الدر المصون**» (٦/١٤٥).

الحَسَنِ: ﴿بَلاَغٍ﴾ بالخفْضِ نعتاً لـ﴿نَهَارٍ﴾[١].

وقوله سبحانه: ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ وقُرِىءَ شَاذاً[٢]: ﴿فَهَلْ يَهْلِكُ﴾ ببناء الفعل للفاعل، وفي هذه الآية وعيدٌ مَحْضٌ، وإِنذارٌ بَيِّنٌ؛ وذلك أَنَّ اللَّه عز وجل جعل الحسنة بعشر أمثالها والسيئةَ بمثلها، وغفر الصغائر باجتنابِ الكبائرِ، ووعد الغفرانَ على التوبة، فلن يهلك على اللَّه إلاَّ هالَكَ؛ كما قال ﷺ، قال الثعلبيُّ: يقال: إِن قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الفَاسِقُونَ﴾ أَرْجَىٰ آية في كتاب اللَّه/ عزَّ وجلَّ للمؤمنين. ٧٠أ

---

(١) وقرأ بها عيسى.
ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/١٠٨)، و«البحر المحيط» (٨/٦٨)، و«الدر المصون» (٦/١٤٥).

(٢) قرأ بها ابن محيصن، وروي عنه كسر اللام. قال أبو الفتح: وأما «يهْلَك» بفتح الياء واللام جميعاً فشاذة، ومرغوب عنها، لأن الماضي هَلَك، فعل مفتوحة العين، ولا يأتي يَفْعَل، بفتح العين فيهما جميعاً إلا الشاذ.
ينظر: «المحتسب» (٢/٢٦٨)، و«مختصر الشواذ» ص: (١٤١)، و«المحرر الوجيز» (٥/١٠٨)، و«البحر المحيط» (٨/٦٨)، و«الدر المصون» (٦/١٤٥).

تَفسِيرُ سُورَةِ محمد

وهِيَ مَدَنِيَّةٌ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۝٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ۝٣﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ ﴿الذين كفروا﴾: إشارةٌ إِلَىٰ أَهْلِ مَكَّةَ الذين أَخْرَجُوا النبيَّ ﷺ.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...﴾ الآية: إشارةٌ إلى الأنصار الذين آووا، ونصروا، وفي الطائفتين نزلتِ الآيتان؛ قاله ابن عباس ومجاهد[1]، ثم هي بَعْدُ تَعُمّ كُلَّ مَنْ دخل تحت ألفاظها.

وقوله: ﴿أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ أيْ: أَتْلَفَهَا، ولم يجعلْ لها نَفْعاً.

* ت *: وقد ذكَرْنا في سورة «الصف» أنَّ اسم محمد ﷺ لم يَتَسَمَّ به أحدٌ قبله إلاَّ قَوْمٌ قليلُونَ، رجاءَ أَنْ تكونَ النُّبُوَّةُ في أبنائهم، واللَّهُ أَعْلَمُ حيثُ يَجْعَلُ رسالاته، قال ابن القَطَّانِ: وعن خَلِيفَةَ وَالِدِ أَبِي سُوَيْدٍ قال: سألْتُ محمَّدَ بْنَ عَدِيِّ بن أبي رَبِيعَةَ: كيف سَمَّاكَ أبوك محمَّداً؟ قال: سألْتُ أبي عَمَّا سَأَلْتَنِي عَنْهُ، فقال لي: كُنْتَ رَابِعَ أربعةٍ من بني غَنْمٍ أنا فيهم، وسفيانُ بْنُ مُجَاشِعِ بْنِ جَرِيرٍ، وأُمَامَةُ بْنُ هِنْدِ بْنِ خِنْدِفٍ. ويزيدُ بنُ رَبِيعَةَ، فخَرَجْنا في سَفْرَةٍ نُرِيدُ ابنَ جَفْنَةَ مَلِكَ غَسَّانَ، فلما شارفنا الشام، نزلنا على غَدِيرٍ فيه شجراتٌ، وقُرْبَهُ شَخْصٌ نائمٌ، فتحدَّثْنَا فاستمعَ كلاَمَنَا، فَأَشْرَفَ علَيْنَا، فقال: إنَّ هذه لُغَةٌ، ما هي لغة هذه البلاد، فقلنا: نَحْنُ قومٌ من مُضَرَ، فقال: مِنْ أَيِّ المُضَرِيِّينَ؟ قلنا: من خِنْدِف، قال: إِنَّهُ يُبْعَثُ فيكم خاتَمُ النبيِّين، فَسَارِعُوا إِلَيْه، وخُذُوا بحظِّكُمْ منه تَرْشُدُوا، قلنا: ما اسْمُه؟ قال: محمَّد، فَرَجَعْنَا، فَوُلِدَ لِكُلِّ واحدٍ مِنَّا ابْنٌ سَمَّاه محمَّداً، وذكره

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٣٠٤) برقم: (٣١٣٣٤)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ١٧٧) عن ابن عباس، وابن عطية (٥/ ١٠٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٩)، وعزاه إلى الفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم، وابن مردويه.

المدائنيُّ، / انتهى. ٧٠ ب

وقوله تعالى في المؤمنين: ﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ قال قتادة: معناه: حالهم[١]، وقال ابن عباس: شأنهم[٢].

وتحريرُ التفسيرِ في اللفظة أنَّها بمعنى الفِكْرِ والموضعِ الذي فيه نظرُ الإنْسَانِ، وهو القلب، فإذا صَلُحَ ذلك منه، فقد صَلُحَ حالُهُ، فكأنَّ اللفظةَ مُشِيرَةٌ إلى صلاح عقيدتهم، وغيرُ ذلك من الحال تَابِعٌ، فقولك: خَطَرَ في بالي كذا، وقولك: أَصْلَحَ اللَّهُ بَالَكَ: المرادُ بهما واحدٌ؛ ذكره المُبَرِّدُ، ، والبَالُ: مصدر كالحال والشأن، ولا يُسْتَعْمَلُ منه فِعْلٌ، وكذلك عُرْفُهُ لا يُثَنَّىٰ ولا يُجْمَعُ، وقد جاء مجموعاً شاذًّا في قولهم: «بَالاَت».

و﴿الباطل﴾ هنا: الشيطانُ، وكُلُّ ما يأمر به؛ قاله مجاهد[٣]، و﴿الحَقُّ﴾ هنا: الشَّرْعُ ومحمَّد ـ عليه السلام ـ.

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ﴾: الإشارة إلى الأتباع المذكورينَ من الفريقَيْنِ.

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ...﴾ الآية: قال أَكْثَرُ العلماءِ: إنَّ هذه الآية وآيةَ السَّيْفِ، وهي قوله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُّمُوهُم﴾ [التوبة: ٥] مُحْكَمَتَانِ، فقوله هنا: ﴿فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ بمثابة قوله هنالك: ﴿فَاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾، وصرَّح هنا بذكر المَنِّ والفداء، ولم يُصَرِّحْ به هنالك، فهذه مُبَيِّنَةٌ لِتِلْكَ، وهذا هو القولُ القويُّ، وقوله: ﴿فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ مصدر بمعنى

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٣٠٥) برقم: (٣١٣٣٧ ـ ٣١٣٣٨)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٠٩)، وابن كثير (٤/ ١٧٢)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٩)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٣٠٤) برقم: (٣١٣٣٥) بمعناه، (٣١٣٣٦) عن مجاهد، وذكره ابن عطية (٥/ ١٠٩)، وابن كثير (٤/ ١٧٢).

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٣٠٥) برقم: (٣١٣٤٠)، وذكره ابن عطية (٥/ ١١٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٠)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

الفِعْل، أي: فاضربوا رقابهم وعَيِّنَ مِنْ أنواع القَتْلِ أَشْهَرَهُ، والمراد: ٱقتُلُوهُمْ بأَيِّ وجه أَمكَنَ؛ وفي «صحيح مسلم» عن النبيِّ ﷺ قال: «لا يَجْتَمِعُ كَافِرٌ وَقَاتِلهُ في النَّارِ أَبَداً»[١].

١٧١أ وفي «**صحيح البخاري**» عنه ﷺ قال: «مَا اغْبَرَّتْ/ قَدَمَا عَبْدٍ في سَبِيلِ اللَّهِ؛ فَتَمَسَّهُ النَّارُ»[٢] انتهى.

والإِثخان في القوم أنْ يكثر فيهم القتلَىٰ والجرحَىٰ، ومعنى: ﴿فَشُدُّوا الوَثَاقَ﴾ أي: بمن لم يُقْتَلْ، ولم يترتَّب فيه إلاَّ الأَسْرُ، ومَنًّا وفِدَاءً: مصدران منصوبانِ بفعلَيْن مُضْمَرَيْنِ.

وقوله: ﴿حَتَّى تَضَعَ الحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ معناه: حتى تذهبَ الحربُ وتزولَ أثقالُهَا، والأوزار: الأثقال؛ ومنه قول عَمْرِو بنِ مَعْدِ يكرِبَ: [من المتقارب]

وَأَعْـــدَدْتُ لِـــلْـــحَـــرْبِ أَوْزَارَهَـــا رِمَـــاحـــاً طِـــوَالاً وَخَـــيْـــلاً ذُكُـــورَا[٣]

واختلف المتأولون في الغاية التي عندها تضع الحربُ أوزارها، فقال قتادة: حتى يُسَلِّمَ الجميعُ[٤]، وقال حُذَّاقُ أهل النظر: حتى تغلبوهم وتَقْتُلُوهُمْ، وقال مجاهد: حتى ينزلَ عيسى ابْنُ مَرْيَمَ[٥]، قال * ع[٦] *: وظاهر اللفظ أَنَّهُ استعارةٌ يُرَادُ بها التزامُ الأَمْرِ أبداً؛ وذلك أَنَّ الحربَ بين المؤمنين والكافرين لا تضع أوزارها، فجاء هذا كما تقول: أنا أفعل كذا وكذا إِلَىٰ يَوْمِ القيامةِ، وإِنَّما تريد أَنَّك تفعله دائماً.

---

(١) أخرجه مسلم (٣/ ١٥٠٥) كتاب «الإمارة» باب: من قتل كافراً ثم سدد، حديث (١٣٠/ ١٨٩١)، وأحمد (٢/ ٣٩٧)، والبيهقي (٩/ ١٦٥) من حديث أبي هريرة.

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ٣٥) كتاب «الجهاد والسير» باب: من اغبرت قدماه في سبيل اللَّه، وقول اللَّه عز وجل: ﴿ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول ـ إلى قوله ـ إن اللَّه لا يضيع أجر المحسنين﴾ [التوبة: ١٢٠] (٢٨١١)، والبيهقي (٩/ ١٦٢) كتاب «السير» باب: فضل المشي في سبيل اللَّه.

(٣) البيت للأعشى ميمون بن قيس، وهو في «**ديوانه**» (٧١)، «**مشاهد الإنصاف**» (١/ ٢٥١)، «**التهذيب**» (١٣/ ٢٤٤) (وزر)، «**اللسان**» (وزر)، و«**البحر المحيط**» (٨/ ٧٥) منسوباً لعمرو بن معدي كرب، وقال: أنشده ابن عطية لعمرو هذا، وأنشده الزمخشري للأعشى. ينظر: «**الكشاف**» (٤/ ٣١٧)، و«**الدر المصون**» (٦/ ١٤٧).

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٣٠٨) برقم: (٣١٣٥٤ ـ ٣١٣٥٥)، وذكره ابن عطية (٥/ ١١١)، وذكره ابن كثير(٤/ ١٧٣)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ٢١)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٥) أخرجه الطبري (١١/ ٣٠٨) برقم: (٣١٣٥٣)، وذكره ابن عطية (٥/ ١١١)، وابن كثير (٤/ ١٨٣)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ٢١)، وعزاه إلى الفريابي، وعبد بن حميد.

(٦) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٥/ ١١١).

﴿وَلَوْ يشَاء اللَّهُ لانْتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ أي: بعذابٍ مِنْ عنده، ولكن أراد سبحانه ٱختبارَ المؤمنين، وأنْ يَبْلُوَ بعضَ الناس ببعضٍ، **وقرأ** الجمهور: ﴿قَاتَلُوا﴾ **وقرأ** عاصم بخلاف عنه: ﴿قَتَلُوا﴾ ـ بفتح القاف والتاء ـ، **وقرأ** أبو عمرو وحَفْصٌ: ﴿قُتِلُوا﴾ ـ بضم القاف وكسر التاء[1] ـ، قال قتادة: نزلَتْ هذه الآيةُ فيمَنْ قُتِلَ يوم أُحُدٍ من المؤمنين[2].

وقوله سبحانه: ﴿سَيَهْدِيهِمْ﴾ أي: إلى طريقِ الجَنَّةِ.

* ت *: ذكر الشيخ أبو نُعَيْم الحافظُ أنَّ مَيْسَرَةَ الخادمَ قال: غزونا في بعض الغَزَوَاتِ، فإذا فتًى إلى جانِبي، وإذا هو مُقَنَّعٌ بالحديد، فَحَمَلَ على/ المَيْمَنَةِ، فَثَنَاها، ثُمَّ على المَيْسَرَةِ حتى ثَنَاهَا، وحَمَلَ عَلَى القَلْبِ حتى ثناه، ثم أنشأ يقول: [الرجز] ٧١ ب

أَحْسِنْ بِمَوْلاَكَ سَعِيدُ ظَنَّا ... هَذا الَّذِي كُنْتَ لَهُ تَمَنَّى
تَنَحِّ يَا حُورَ الْجِنَانِ عَنَّا ... مَالَكِ قَاتَلْنَا وَلاَ قُتِلْنَا
لَكِنْ إِلَىٰ سَيِّدِكُنَّ ٱشْتَقْنَا ... قَدْ عَلِمَ السِّرَّ وَمَا أَعْلَنَّا

قال: فحمل، فقاتل، فَقَتَلَ منهم عدداً، ثم رَجَعَ إلى مَصَافِّهِ، فتكالَبَ عليه العَدُوُّ، فإذا هو ـ رضي اللَّه تعالى عنه ـ قد حمل على الناس، وأنشأ يقول: [الرجز]

قَدْ كُنْتُ أَرْجُو وَرَجَائِي لَمْ يَخِبْ ... أَلاَّ يَضِيعَ الْيَوْمَ كَدِّي وَالطَّلَبْ
يَا مَنْ مَلاَ تِلْكَ الْقُصُورَ بِاللُّعَبْ ... لَوْلاَكَ مَا طَابَتْ وَلا طَابَ الطَّرَبْ

ثم حَمَلَ ـ رضي اللَّه عنه ـ فقاتل، فَقَتَلَ منهم عَدَداً، ثم رجع إلى مَصَافِّه، فتكالَبَ عليه العَدُوُّ فحَمَلَ ـ رضي اللَّه عنه ـ في المرة الثالثة، وأنشأ يقول: [الرجز]

يَا لُعْبَةَ الخُلْدِ قِفِي ثُمَّ ٱسْمَعِي ... مَالَكِ قَاتَلْنَا فَكُفِّي وَٱرْجِعِي
ثُمَّ ٱرْجِعِي إِلَى الْجِنَانِ وَأَسْرِعِي ... لاَ تَطْمَعِي لاَ تَطْمَعِي لاَ تَطْمَعِي

فقاتل ـ رضي اللَّه عنه ـ حتَّىٰ قُتِلَ، انتهى من ابن عَبَّاد شارح «**الحِكَم**».

---

(١) ينظر: «**السبعة**» (٦٠٠)، و«**الحجة**» (٦/ ١٩٠)، و«**إعراب القراءات**» (٢/ ٣٢٣)، و«**معاني القراءات**» (٢/ ٣٨٥)، و«**شرح الطيبة**» (٦/ ٧)، و«**العنوان**» (١٧٦)، و«**حجة القراءات**» (٦٦٦)، و«**شرح شعلة**» (٥٨٥)، و«**إتحاف**» (٢/ ٤٧٥).

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٣٠٩) برقم: (٣١٣٥٨ ـ ٣١٣٥٩)، وذكره ابن عطية (٥/ ١١١)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ٢٣)، وعزاه إلى عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم.

٢٣٢ ـــــــ

﴿۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ﴿١٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾﴾

وقوله عز وجل: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا في الأَرْضِ﴾: توقيف لقريش، وتوبيخٌ وَ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يريدُ: ثمودَ وقَوْمَ شُعَيْبٍ وغيرهم، والدمار: الإفساد، وهَدْمُ البناء، وإذهابُ العُمْرَانِ، والضميرُ في قوله: ﴿أَمْثَالُهَا﴾ يَصِحُّ أَنْ يعودَ على العَاقِبَةِ، ويَصِحُّ أَنْ يعود على الفَعْلَةِ التي يتضمَّنها قوله: ﴿دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ الآية، المَوْلَى: الناصِرُ المُوَالِي، قال قتادة: نزلَتْ هذه/ الآيةُ يَوْمَ أُحُدٍ[1]، ومنها انتزع النبيُّ ﷺ رَدَّهُ على أبي سُفْيَانَ حينَ قال: «قُولُوا: اللَّهُ مَوْلانَا، وَلاَ مَوْلَىٰ لَكُمْ»[2]. ٧٢ ب

وقوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ﴾ أي: أكلاً مجرَّداً عن الفِكْرِ والنظر، وهذا كما تقول: الجاهلُ يعيشُ كما تعيشُ البهيمةُ، والمعنى: يعيشُ عَدِيمَ الفَهْمِ والنَّظَرِ في العَوَاقِبِ.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم ﴿١٤﴾ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ﴾ يعني: مَكَّة ﴿الَّتِي أَخْرَجَتْكَ﴾ معناه: وَقْتَ الهِجْرَةِ، ويقال: إنَّ هذه الآيةَ نزلَتْ إثْرَ خُرُوجِ النَّبِيِّ ﷺ من مَكَّةَ،

= (٥٩٩٢)، ومسلم (١/ ٣٨٧ ـ ٣٨٨) ـ الأبي، كتاب «الإيمان» باب: بيان حكم عمل الكافر إذا أسلم بعده (١٩٤/ ١٢٣)، وأحمد (٣/ ٤٠٢، ٤٣٤)، والبيهقي (٩/ ١٢٣) كتاب «السير» باب: ترك أخذ المشركين بما أصابوا، وابن حبان (٢/ ٣٧ ـ ٣٨) كتاب «البر والإحسان» باب: ما جاء في الطاعات وثوابها، ذكر إطلاق اسم الخير على الأفعال الصالحة إذا كانت من غير المسلمين (٣٢٩)، والحميدي (١/ ٢٥٣) (٥٥٤)، والطبراني في «الكبير» (٣/ ٢١٠) (٣٠٧٦)، وعبد الرزاق في «المصنف» (١٠/ ٤٥٣ ـ ٤٥٤)، كتاب «الجامع» باب: حديث النبي ﷺ (١٩٦٨٥).

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ١١٣).

(٢) تقدم.

وقيل غَيْرُ هذا[١].

وقوله سبحانه: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ...﴾ الآية، توقيفٌ وتقريرٌ، وهي معادلةٌ بين هذَيْن الفريقَيْن، واللفظ عامٌّ لأهل هاتين الصفتين غابرَ الدَّهرِ، و﴿عَلَى بَيِّنَةٍ﴾ أي: على يقين وطريق واضحةٍ وعقيدة نَيِّرَةٍ بَيِّنَةٍ.

وقوله سبحانه: ﴿مَثَلُ الجَنَّةِ...﴾ الآية، قال النَّضْرُ بن شُمَيْلٍ وغيره ﴿مَثَلُ﴾ معناه: صفةٌ؛ كأَنَّهُ قال: صفة الجنة: ما تسمَعُونَ فيها كذا وكذا.

وقوله: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ معناه: غيرُ مُتَغَيِّرٍ؛ قاله ابن عباس وقتادة[٢]، وسواءٌ أنتن أو لم يُنْتِنْ.

وقوله في اللبن: ﴿لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ﴾: نَفْيٌ لجميعِ وجوهِ الفَسَادِ فيه.

وقوله: ﴿لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ جمعتْ طِيبَ الطَّعْمِ وَزَوالَ الآفاتِ من الصُّدَاعِ وغيره، وتصفيةُ العَسَلِ مُذْهِبَةٌ لمومه وَضَرَره.

* ت *: ورُوِّينَا في «**كتاب التِّرْمِذِيِّ**» عن حَكِيم بن مُعَاوِيَةَ عنِ أبيه عن النبيِّ ﷺ قال: «إِنَّ في الجَنَّةِ بَحْرَ المَاءِ، وَبَحْرَ الْعَسَلِ، وَبَحْرَ اللَّبَنِ، وَبَحْرَ الخَمْرِ، ثُمَّ تَشَقَّقُ الأَنْهَارُ بَعْدُ»[٣] قال أبو عيسَىٰ: هذا حديث حسنٌ صحيحٌ، انتهى.

٧٣أ وقوله: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ أي: من هذه الأنواع/ لكنها بعيدة الشبه؛ تلك لا عَيْبَ فيها ولا تَعَبَ.

وقوله: ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ معناه: وتنعيمٌ أعطته المغفرةُ وَسَبَّبَتْهُ، وإلاَّ فالمغفرة إِنَّما هي قبل دخول الجَنَّةِ.

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٣١٣) برقم: (٣١٣٧٢)، وذكره السيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ٢٤)، وعزاه إلى عبد بن حميد، وأبي يعلى، وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٣١٣ ـ ٣١٤) برقم: (٣١٣٧٣ ـ ٣١٣٧٤) بمثله ومعناه، وذكره ابن عطية (٥/ ١١٤)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ٢٥)، وعزاه إلى ابن أبي حاتم عن ابن عباس، وعبد الرزاق، وعبد بن حميد عن قتادة بمعناه.

(٣) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٩٩) كتاب «صفة الجنة» باب: ما جاء في صفة أنها الجنة (٢٥٧١)، وأحمد (٥/ ٥)، والبيهقي في «**البعث والنشور**» (٢٦٤)، وذكره السيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ٢٥)، وعزاه إلى ابن المنذر، وابن مردويه.
قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

وقوله سبحانه: ﴿كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ...﴾ الآية، قبله محذوفٌ، تقديره: أَسُكَّانُ هذه، أو تقديره: أهؤلاءِ المتقون كَمَنْ هو خالد في النار.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ﴾ يعني بذلك: المنافقين ﴿حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفاً﴾؛ عَلَى جِهَةِ الاسْتِخْفَاف، ومنهم مَنْ يقوله جهالةً ونسياناً، و﴿آنِفاً﴾ معناه: مبتدئاً، كأَنَّه قال: ما القولُ الذي ٱئْتَنَفَهُ الآنَ قَبْلَ ٱنفصالِنَا عَنْهُ، والمفسِّرون يقولون: ﴿آنِفاً﴾ معناه: الساعةَ الماضيةَ، وهذا تفسيرٌ بالمعنى.

* ت *: وقال الثعلبيُّ: ﴿آنِفاً﴾ أي: الآنَ، وأصله الابتداء، قال أبو حَيَّان[1]: ﴿آنِفاً﴾ بالمدِّ والقَصْرِ: اسمُ فاعِل، والمُسْتَعْمَلُ من فعله: ٱئْتَنَفْتُ، ومعنى: ﴿آنفاً﴾ مبتدئاً، فهو منصوبٌ على الحال، وأعربه الزَّمْخَشْرِيُّ ظَرْفاً، أي: الساعةَ، قال أبو حَيَّان[2]: ولا أعلم أحداً من النحاة عَدَّه مِنَ الظُّرُوفِ، انتهى، وقال العِرَاقِيُّ: ﴿آنفاً﴾ أي: الساعة.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ٱهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾ أي: زادهم اللَّه هدى، ويحتمل: زادهم استهزاءُ المنافقين هُدًى، قال الثعلبيُّ: وقيل: زَادَهُمْ ما قال النبيُّ ﷺ هُدًى؛ قال * ع[3] *: الفاعل في ﴿وَآتَاهُمْ﴾ يتصرَّفُ القولُ فيه بحسب التأويلاتِ المذكورةِ، وأقواها أنَّ الفاعِلَ اللَّهُ تعالى، ﴿وآتاهم﴾ معناه: أعطَاهُمْ، أي: جعلهم مُتَّقِينَ.

وقوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾ يريد: المنافقين، والمعنى: فهل يَنْتَظِرُونَ؟ و﴿بَغْتَةً﴾ معناه/ فجأة. ٧٣ ب

وقوله: ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ أي: فينبغي الاستعدادُ والخوفُ منها، والذي جاء من

---

(١) ينظر: «البحر المحيط» (٨/ ٧٩).
(٢) ينظر: المصدر السابق.
(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ١١٥).

أشراط الساعة: محمَّدٌ ﷺ؛ لأنَّه آخر الأنبياء، وقال ـ عليه السلام ـ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»[1] والأحاديثُ كثيرةٌ في هذا الباب.

وقوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَٰهَ إِلاَّ ٱللَّهُ...﴾ الآية: إضرابٌ عن أمْرِ هؤلاء المنافقين، وذكر الأَهَمِّ من الأمر، والمعنى: دُمْ علَىٰ عِلْمِكَ، وهذا هو القانُونُ في كُلِّ مَنْ أُمِرَ بشيْء هو مُتَلَبِّسٌ به، وكُلُّ واحدٍ مِنَ الأُمَّةِ داخلٌ في هذا الخِطابِ، وعن أبي هريرةَ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «مَا قَالَ عَبْد: لاَ إِلَٰهَ إِلاَّ اللَّهُ مُخْلِصاً، إِلاَّ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الجَنَّةِ، حَتَّىٰ تُفْضِيَ إِلَى الْعَرْشِ مَا اجْتُنِبَتْ الكَبَائِرُ»[2]، رواه الترمذي والنسائيُّ، وقال

---

(١) يروى هذا الحديث عن جمع من الصحابة، منهم: أنس بن مالك، وجابر بن عبد اللَّه، وأبو هريرة، وسهل بن سعد.
فأما حديث أنس رضي اللَّه عنه: أخرجه البخاري (١١/ ٣٥٥) كتاب «الرقاق» باب: قول النبي ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين» (٦٥٠٤)، ومسلم (٤/ ٢٢٦٨)، كتاب «الفتن وأشراط الساعة» باب: قرب الساعة (١٣٣ ـ ١٣٤/ ٢٩٥١)، والترمذي (٤/ ٤٩٦) كتاب «الفتن» باب: ما جاء في قول النبي ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين ـ يعني السبابة والوسطى ـ» (٢٢١٤)، والخطيب في «**تاريخ بغداد**» (٦/ ٢٨١)، وأحمد (٣/ ١٢٣، ١٢٤، ١٣٠، ١٣١، ١٩٣، ٢١٨، ٢٢٢، ٢٣٧، ٢٧٤)، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
أما طريق جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنه: أخرجه مسلم (٣/ ٤١٨) ـ النووي كتاب «الجمعة» باب: تخفيف الصلاة والخطبة(٤٣/ ٨٦٧)، والنسائي (٣/ ١٨٨) كتاب «الخطبة» باب: كيف الخطبة (١٥٧٨)، وابن ماجه (١/ ١٧) «المقدمة» باب: (٧) (٤٥)، وابن حبان (١/ ١٨٦) المقدمة: باب: الاعتصام بالسنة (١٠)، وأبو يعلى (٤/ ٨٥) (٣٤٦/ ٢١١١)، وابن خزيمة (٣/ ١٤٣) كتاب «جماع أبواب الآذان والخطبة في الجمعة» باب: صفة خطبة النبي ﷺ وبدؤه فيها بحمد اللَّه والثناء عليه (١٧٨٥)، والبيهقي (٣/ ٢٠٦)، كتاب «الجمعة» باب: رفع الصوت في الخطبة (٩/ ٢١٣)، كتاب «الجمعة» باب: كيف يستحب أن تكون الجمعة، وأحمد (٣/ ٣١٠ ـ ٣١١).
وفي الباب من حديث أبي هريرة: أخرجه البخاري (١١/ ٣٥٥)، كتاب «الرقاق» باب: قول النبي ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين» (٦٥٠٥)، وابن ماجه (٢/ ١٣٤)، كتاب «الفتن» باب: أشراط الساعة (٤٠٤٠)، وابن حبان (١٥/ ١٣ ـ ١٤)، كتاب «التاريخ» باب: إخباره ﷺ عما يكون في أمته من الفتن والحوادث (٦٦٤١).
أما من طريق سهل بن سعد الساعدي: أخرجه البخاري (١١/ ٣٥٥) كتاب «الرقاق» باب: قول النبي ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين» (٦٥٠٣)، (٩/ ٣٤٨)، كتاب «الطلاق» باب: اللعان (٥٣٠٢)، وأحمد (٤/ ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٥، ٣٣٨، ٣٠٩).

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٥٧٥)، كتاب «الدعوات» باب: دعاء أم سلمة (٣٥٩٠)، والنسائي (٦/ ٢٠٨) ـ «**الكبرى**»، كتاب «عمل اليوم والليلة» باب: أفضل الذكر وأفضل الدعاء (١٠٦٦٩/ ٣)، والمنذري في «**الترغيب والترهيب**» (٢/ ٣٩٢) (٢٢٥٥) كلهم قال: «... أبواب السماء...»، وليس أبواب الجنة.
وأخرجه الخطيب في «**تاريخ بغداد**» (١١/ ٣٩٤) (٦٢٧١) نحوه.
قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

الترمذيُّ واللفظ له: حديث حسن غريب، انتهى من «**السلاح**».

وقوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ أي: لِتَسْتَنَّ أُمَّتُكَ بِسُنَّتِكَ.

* ت *: هذا لفظ الثعلبيِّ، وهو حَسَنٌ، وقال عِيَاضٌ: قال مَكِّيٌّ: مخاطبةُ النبيِّ ﷺ ههنا هي مخاطبةٌ لأُمَّتِهِ، انتهى.

قال * ع[1] *: وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ أَنَّهُ قال: «مَنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مَا يَتَصَدَّقُ بِهِ، فَلْيَسْتَغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ»[2] وبَوَّبَ البخاريُّ ـ رحمه اللَّه ـ العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ؛ لقوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّه﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ...﴾ الآية: وواجبٌ على كل مؤمن أنْ يستغفر للمؤمنين والمؤمنات؛ فإنَّها صَدَقَةٌ، وقال الطبريُّ وغيره[3]: ﴿مُتَقَلَّبَكُمْ﴾: مُتَصَرَّفَكُمْ في يقظتكم ﴿ومَثْوَاكُمْ﴾ منامكم، وقال ابن عباس: ﴿متقلبكم﴾ تَصَرُّفُكُمْ في حياتكم الدنيا ﴿ومثواكم﴾: إقامتكم في قبوركم، وفي آخرتكم[4].

وقوله عز وجل: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلاَ نُزِّلَتْ سُورَةٌ...﴾ الآية: هذا ابتداءُ وَصْفِ حالِ المؤمنينَ؛ عَلىٰ جهة المَدْحِ لهم، ووصفِ حالِ المنافقين؛ على جهة الذَّمِّ؛ وذلك أَنَّ المؤمنين كان حرصهم على الدين يبعثهم على تَمَنِّي ظهور الإِسلامِ وتمنِّي قتال العدوِّ، وكانوا يأنسونَ بالوحي، ويستوحشون/ إذا أبطأ، وكان المنافقون على العكس من ذلك. ١٧٤أ

وقوله: ﴿مُحْكَمَةٌ﴾ معناه: لا يقعُ فيها نسخ، وأَمَّا الإِحكام الذي هو الإِتقان، فالقرآن كلُّه سواءٌ فيه، والمرض الذي في قلوب المنافقين هو فَسَادُ مُعْتَقَدِهِمْ، ونظر الخائف المولَّه قريبٌ من نظر المَغْشِيِّ عليه، وَخَسَّسَهُمْ هذا الوصف والتشبيه.

وقوله تعالى: ﴿فَأَوْلَى لَهُمْ * طَاعَةٌ﴾ «أَوْلَىٰ»: وزنها أَفْعَلُ، من وَلِيَكَ الشَّيْءُ يَلِيكَ، والمشهورُ من ٱستعمالِ أَوْلَىٰ أَنَّك تقول: هذا أَوْلَىٰ بك من هذا، أي: أَحَقُّ، وقد تَسْتَعْمِلُ العرب «أَوْلَىٰ لكِ» فقطْ على جهة الاختصار، لما معها من القول على جهة الزَّجْرِ والتَّوَعُّدِ،

---

(١) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٥/١١٦).

(٢) ذكره الهيثمي في «**مجمع الزوائد**» (١٠/٢١٣) كتاب «التوبة» باب: الاستغفار للمؤمنين والمؤمنات. قال الهيثمي: رواه الطبراني في «**الأوسط**» وفيه من لم أعرفهم.

(٣) ينظر: «**تفسير الطبري**» (١١/٣١٨).

(٤) ذكره البغوي في «**تفسيره**» (٤/١٨٣) برقم: (١٩)، وابن عطية (٥/١١٦).

فتقول: أَوْلَىٰ لَكَ يا فُلاَنُ، وهذه الآية من هذا الباب؛ ومنه قوله تعالى: ﴿أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾ [القيامة: ٣٤] وقالت فرقة: ﴿أولى﴾ رُفِعَ بالابتداء، و﴿طاعة﴾ خبره، قال * ع[١] *: وهذا هو المشهورُ من ٱستعمال «أَوْلَىٰ»، وقيل غير هذا، قال أبو حيَّان[٢]: قال صاحب «الصِّحَاحِ»: ﴿أَوْلَى لَكَ﴾: تهديدٌ ووعيدٌ، قال أبو حَيَّان[٣]: والأكثر على أَنَّه اسم مُشْتَقٌّ من الوَلي، وهو القُرْبُ، وقال الجُرْجَانِيُّ: هو مأخوذ من الوَيْلِ، فَقُلِبَ، فوزنه «أَفْلَعْ»، انتهى.

﴿فإِذا عَزَمَ الأَمْر﴾: ناقضوا وعصَوْا، قال البخاريُّ: قال مجاهد: ﴿عَزَمَ الأَمْرُ﴾ جَدَّ الأَمْرُ[٤]. انتهى.

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ مخاطبةٌ لهؤلاءِ الذينَ في قلوبهم مرضٌ، والمعنى: فهل عَسَىٰ أَنْ تفعلُوا إِنْ تولَّيتم غيرَ أَنْ تُفْسِدُوا في الأرض، وتُقَطِّعُوا أرحامكم، ومعنى ﴿إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أي: إِنْ أعرضتم عن الحَقِّ، وقيل المعنى: إِنْ توليتم أمور الناس من الولاية؛ وعلى هذا قيل: إِنَّها نزلَتْ في بني هاشِمٍ، وبني أُمَيَّةَ ذكره الثعلبيُّ.

* ت *: وهو عندي بعيدٌ لقوله: ﴿أولئك الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ فتعيَّن التأويل
٧٤ ب / الأَوَّل، واللَّه أعلم.

وفي البخاريِّ عن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَاطِعٌ»[٥]

---

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ١١٧).

(٢) ينظر: «البحر المحيط» (٨/ ٨١).

(٣) ينظر: «البحر المحيط» (٨/ ٨١).

(٤) أخرجه البخاري (٨/ ٤٤٢) كتاب «التفسير» باب: سورة محمد ﷺ معلقاً بصيغة الجزم، ووصله الفريابي من طريق ابن أبي نجيح عنه.

(٥) أخرجه البخاري (١٠/ ٤٢٨) كتاب «الأدب» باب: إثم القاطع (٥٩٨٤)، ومسلم (٤/ ١٩٨١)، كتاب «البر والصلة والآداب» باب: صلة الرحم وتحريم قطيعتها (١٨ ـ ١٩/ ٢٥٥٦)، وأبو داود (١/ ٥٣٠)، كتاب «الزكاة» باب: في صلة الرحم (١٦٩٦)، والترمذي (٤/ ٣١٦)، كتاب «البر والصلة» باب: ما جاء في صلة الرحم (١٩٠٩)، والبيهقي (٧/ ٢٧)، كتاب «الصدقات» باب: الرجل يقسم صدقته على قرابته وجيرانه، إذا كانوا من أهل السهمان، كما جاء في صلة الرحم وحق الجار، وأحمد (٤/ ٨٠، ٨٣، ٨٤)، وابن حبان (٢/ ١٩٩)، كتاب «البر والإحسان» باب: صلة الرحم وقطعها، ذكر نفي دخول الجنة عن قاطع رحمه (٤٥٤)، وعبد الرزاق في «المصنف» (١١/ ١٦٩ ـ ١٧٠)، كتاب «الجامع» باب: صلة

يعني: قاطعَ رحِم، وفيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ في رِزْقِهِ، وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ في أَثَرِهِ ـ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»[١] .اهـ، وفي «صحيح مسلم» عن عائشةَ قالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ»[٢] وفي رواية: «لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَاطِعٌ»[٣] وفي طريق: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَيُنْسَأَ لَهُ في أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»[٤] وخرَّجه البخاريُّ من طريق أبي هريرةَ[٥]؛ على ما تقدَّم، وخرَّج البخاريُّ عن أبي هريرةَ عن النبيِّ ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الخَلْقَ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ، قَالَتِ الرَّحِمُ: هَذَا مُقَامُ العَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَىٰ يَا رَبِّ، قَالَ: فَهُوَ لَكِ، قال رَسُولُ اللَّه ﷺ: فَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا في الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾[٦]» وفي رواية: قال اللَّه «مَنْ وَصَلَكِ وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَكِ قَطَعْتُهُ»[٧] انتهى.

ورَوَىٰ أبو داودَ في «سُنَنِهِ» عن عبد الرحمن بن عَوْفٍ قال: سمعتُ رسُول اللَّهِ ﷺ يقول: «قَال اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أنا الرَّحْمٰنُ، وَهِيَ الرَّحِمُ شَقَقْتُ لَهَا مِنْ اسْمِي، مَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَتُّهُ»[٨]. انتهى.

الرحم (٢٠٢٢٩)، والطبراني (٢/ ١١٨، ١٢٠) (١٥٠٩، ١٥١٩)، والحميدي (١/ ٢٥٤) (٥٥٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٧) باب: إثم قاطع الرحم (٦٤)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٣٠٨).

(١) روى هذا الحديث أنس بن مالك، وأبو هريرة رضي اللَّه عنهما.
فأما حديث أنس: أخرجه البخاري (٤/ ٣٥٣) كتاب «البيوع» باب: من أحب البسط في الرزق (٢٠٦٧)، ومسلم (٤/ ١٩٨٢) كتاب «البر والصلة والآداب» باب: صلة الرحم وتحريم قطيعتها (٢٠ ـ ٢١/ ٢٥٥٧)، وأبو داود (١/ ٥٢٩) كتاب «الزكاة» باب: في صلة الرحم (١٦٩٣)، والنسائي في «الكبرى» (٦/ ٤٣٨)، كتاب «التفسير» باب: سورة فاطر (١١٤٢٩/ ١).
وأما من طريق أبي هريرة رضي اللَّه عنه: أخرجه البخاري (١٠/ ٤٢٩)، كتاب «الأدب» باب: من بسط له في الرزق بصلة الرحم (٥٩٨٥).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٨١)، كتاب «البر والصلة والآداب» باب: صلة الرحم وتحريم قطيعتها (١٧/ ٢٥٥٥) عن عائشة.

(٣) تقدم.

(٤) تقدم

(٥) تقدم.

(٦) أخرجه البخاري (١٠/ ٤٣٠)، كتاب «الأدب» باب: من وصل وصله اللَّه، برقم: (٥٩٨٧).

(٧) أخرجه البخاري (١٠/ ٤٣٠)، كتاب «الأدب» باب: من وصل وصله اللَّه، (٥٩٩٨).

(٨) أخرجه أبو داود (١/ ٥٣٠)، كتاب «الزكاة» باب: في صلة الرحم (١٦٩٥)، والترمذي (٤/ ٣١٥)، كتاب «البر والصلة» باب: ما جاء في قطيعة الرحم (١٩٠٧)، والبيهقي (٧/ ٢٦)، كتاب «الصدقات» باب: الرجل يقسم صدقته على قرابته وجيرانه إذا كانوا من أهل السهمين لما جاء في صلة الرحم وحق الجار.

وقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ إشارة إلى المرضى القلوب المذكورين.

وقوله: ﴿فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾: استعارةٌ لعدم فهمهم.

١٧٥أ وقوله عزَّ من قائلٍ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ...﴾ الآية: توقيفٌ وتوبيخٌ، وتَدَبُّرُ القرآن زعيم بالتبيين والهُدَىٰ لمتأمِّله.

* ت *: قال الهرويُّ: قوله تعالى: ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾ معناه: أفلا يتفكَّرُون فيعتبرون؛ يُقَالُ: تَدَبَّرْتُ الأمر: إذا نظرت في أدباره وعواقبه، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ معناه: بل على قلوب أقفالها، وهو الرَّيْنُ الذي منعهم من الإيمان، ورُوِيَ أَنَّ وَفْدَ اليَمَنِ وَفَدَ على النبي ﷺ وفيهمْ شَابٌّ، فقرأَ النَّبِيُّ ﷺ هذه الآيةَ، فقال الفتى: عَلَيْهَا أَقْفَالُهَا حَتَّىٰ يَفْتَحَها اللَّهُ تَعَالَىٰ ويُفَرِّجَهَا، قَالَ عُمَرُ: فَعَظُمَ في عَيْنِي، فما زَالَتْ في نَفْسِ عُمَرَ ـ رضي اللَّه عنه ـ حَتَّىٰ وَلِيَ الخلافَة فَاسْتَعَانَ بِذَلِكَ الفَتَىٰ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى ۙ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ﴿٢٩﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ...﴾ الآية: قال قتادة: نزلَتْ في قَوْمٍ من اليهود[1]، وقال ابن عباس وغيره: نَزَلَتْ في منافقين كانوا أَسْلَمُوا، ثم نافَقَتْ قُلُوبُهُم[2]، والآيةُ تَعُمُّ كُلَّ مَنْ دخل في ضمن لفظها غَابِرَ الدَّهْرِ، و﴿سَوَّلَ﴾ معناه: رجَّاهم سؤلهم وأمانِيهم، ونقل أبو الفتح عن بعضهم؛ أَنَّهُ بمعنَىٰ دلاَّهم مأخوذٌ من السَّوَلِ، وهو الاسترخاء والتَّدَلِّي، وقال العراقيُّ ﴿سَوَّلَ﴾ أي: زَيَّنَ سُوءَ الفعل.

قال الترمذي: هذا حديث صحيح.

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ١٨٤)، وابن عطية في «تفسيره» (٥/ ١١٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٣)، وعزاه إلى عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٣٢٢) برقم: (٣١٤١٢)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ١٨٤)، وابن عطية (٥/ ١١٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٣).

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا...﴾ الآية، قيل: إنَّها نزلت في بني إسرائيل الذين تقدَّم ذِكْرُهم الآن، ورُوِيَ أَنَّ قوماً من قُرَيْظَةَ والنَّضِيرِ كانوا يَعِدُونَ المنافقين في أمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ والخلافِ علَيْهِ بنَصْرٍ ومؤازرةٍ؛ فذلك قولهم: ﴿سَنُطِيعُكُمْ في بَعْضِ الأَمْرِ﴾ **وقرأ** الجمهور: «أَسْرَارَهُمْ» ـ بفتح الهمزة ـ، **وقرأ** حمزة والكسائيُّ وحفص: «إِسْرَارَهُمْ» ـ بكسرها[1] ـ.

وقوله سبحانه: ﴿فَكَيْفَ إِذَا/ تَوَفَّتْهُمُ المَلاَئِكَةُ﴾ يَعْنِي: مَلَكَ المَوْتِ وأعوانه، ٧٥ ب والضمير في ﴿يَضْرِبُونَ﴾ للملائكة، وفي نحو هذا أحاديثُ تقتضي صفة الحالِ، ﴿وَمَا أَسْخَطَ اللَّهَ﴾: هو الكفر، والرِّضْوَانُ: هنا الحَقُّ والشَّرْعُ المُؤَدِّي إلى الرضوان.

وقوله سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ...﴾ الآية، توبيخ للمنافقين وَفَضْحٌ لسرائرهم، والضِّغْنُ: الحقد، وقال البخاريُّ: قال ابن عباس: «أَضْغَانَهُمْ» حَسَدَهُمْ[2]، انتهى.

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لأَرَيْنَاكَهُمْ...﴾ الآية، لم يُعَيِّنْهُم سبحانه بالأسماء والتعريف التامّ؛ إبقاءً عليهم وعلى قراباتهم، وإنْ كانوا قد عُرِفُوا بلحن القول، وكانوا في الاشتهار على مراتبَ كابنِ أُبَيٍّ وغيره، والسِّيما: العلامة، وقال ابن عباس والضَّحَّاكُ: إنَّ اللَّه تعالى قد عَرَّفَهُ بهم في سورة براءة بقوله: ﴿وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً﴾[3]

---

(١) وحجة من أفرد قوله تعالى: ﴿ألم يعلموا أن اللَّه يعلم سِرَّهم﴾ [التوبة: ٧٨] فلما أفرد السر ولم يجمع فكذلك قال: «إسرارهم». وأما الأخرون، فكأنهم جمعوا للاختلاف في ضروب السر، وقد قيل: إنه جمع فأخرج الأسرار بعددهم، كما قال بعدها: ﴿واللَّه يعلم أعمالكم﴾.
ينظر: «**حجة القراءات**» (٦٦٩)، و«**السبعة**» (٦٠١)، و«**الحجة**» (٦/ ١٩٦)، و«**إعراب القراءات**» (٢/ ٣٢٦)، و«**معاني القراءات**» (٢/ ٣٨٧)، و«**شرح الطيبة**» (٦/ ١٠)، و«**العنوان**» (١٧٦)، و«**حجة القراءات**» (٦٦٩)، و«**شرح شعلة**» (٥٨٦)، و«**إتحاف**» (٢/ ٤٧٨).

(٢) أخرجه البخاري (٨/ ٤٤٢)، كتاب «التفسير» باب: سورة محمد ﷺ معلقاً بصيغة الجزم، ووصله ابن أبي حاتم من طريق ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس، وذكره البغوي في «**تفسيره**» (٤/ ١٨٥)، والسيوطي (٦/ ٥٤)، وعزاه إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٣٢٤) برقم: (٣١٤١٦ ـ ٣١٤١٧)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٢٠).

[التوبة: ٨٤] وفي قوله: «قُلْ لَنْ تخرُجُوا مَعِيَ أَبَداً وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوّاً» [التوبة: ٨٣] قال * ع *: وهذا في الحقيقة ليس بتعريف تامٍّ، ثم أخبر تعالى أَنَّهُ سيعرفهم في لحن القول، أي: في مذهب القول ومنحاه ومَقْصِدِهِ، واحتجَّ بهذه الآية مَنْ جعل الحَدَّ في التعريض بالقذف.

* ص *: قال أبو حيان[1]: «ولتعرفنهم» اللام جواب قسم محذوف، انتهى.

وقوله سبحانه: ﴿واللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُم﴾ مخاطبة للجميع من مؤمن وكافر.

وقوله سبحانه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ المُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ . . .﴾ الآية، كان الفُضَيْلُ بن عِيَاضٍ إذا قرأ هذه الآية بكى، وقال: اللهم لا تبتلنا فإنك إنْ بلوتنا فضحتنا، وهتكت أستارنا.

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ . . .﴾ الآية، قالت فرقة: نزلت في بني إسرائيل، وقالت/ فرقة: نَزَلَتْ في قوم من المنافقين، وهذا نحو ما تقدم، وقال ابن عباس: نزلت في المطعمين في سفرة بدر[2]، وقالت فرقة: بل هِي عامَّةٌ في كل كافر. ١٧٦أ

وقوله: ﴿لَنْ يَضُرُّوا اللَّه شيئاً﴾ تحقيرٌ لهم.

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلاَ تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ رَوِيَ أَنَّ هذه الآية نزلت في بني أَسَدٍ من العرب، وذلك أَنَّهم أسلموا، وقالوا للنبي - ﷺ -: نحن آثرناك على كُلِّ شيء، وجئناك بأنفسنا وأهلينا، كأَنَّهم يمنُّون بذلك، فنزل فيهم: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا . . .﴾[3] الآية، ونزلت فيهم هذه الآية وظاهر الآية العموم.

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ . . .﴾

---

(١) ينظر: «البحر المحيط» (٨/ ٨٤).

(٢) ذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ١٧٦)، وابن عطية (٥/ ١٢١).

(٣) أخرجه النسائي في «الكبرى» (٦/ ٤٦٧)، كتاب «التفسير» باب: قوله تعالى: ﴿يمنون عليك أن أسلموا﴾ (١١٥١٩/ ١)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١١٣)، وعزاه إلى البزار، وابن مردويه.

الآية، رُوِيَ أَنَّها نزلت بسبب أَنَّ عديَّ بن حاتم قال: يا رسول اللَّه، إِنَّ حَاتِماً كَانَتْ لَهُ أَفْعَالُ بِرٍّ فَمَا حَالُهُ؟ فقال النَّبِيُّ ﷺ: هُوَ في النَّارِ فَبَكَى عَدِيٌّ، وَوَلَّى فَدَعَاهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ لَهُ: «أَبِي وَأَبُوكَ وَأَبُو إِبْراهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمٰنِ في النَّارِ» ونزلت هذه الآية في ذلك[1]، وظاهر الآية العموم في كُلِّ ما تناوَلته الصفة.

وقوله سبحانه: ﴿فَلاَ تَهِنُوا﴾ معناه: لا تَضْعُفُوا ﴿وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ﴾ أي: إلى المسالمة، وقال قتادة: معنى الآية: لا تكونوا أُولَى الطائفتين ضَرَعَتْ للأخرَى[2]: قال * ع[3]* وهذا حَسَنٌ مُلْتَئِمٌ مع قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال: ٦١].

﴿وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ﴾: في موضع الحال، المعنى: فلا تَهِنُوا وأنتم في هذه الحال، ويحتمل أنْ يكون إخباراً بمغيب أبرزه الوجودُ بعد ذلك، والأعلون: معناه الغالبون والظاهرون من العُلُوِّ.

وقوله: ﴿واللَّه معكم﴾ معناه:/ بنصره ومَعُونَتِهِ وَيتِرُ معناهُ: يُنْقِصُ ويُذْهِبُ، والمعنى: لن يَتِركم ثوابَ أعمالكم. ٧٦ ب

﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّما الحياة الدُّنيا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ تحقير لأمر الدنيا.

وقوله: ﴿وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ﴾ معناه: هذا هو المطلوب منكم، لا غيره؛ لا تُسْأَلُون أموالكم، ثم قال سبحانهُ مُنَبِّهاً على خُلق ابن آدم: ﴿إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا﴾ والإحفاء هو أشدُّ السؤال، وهو الذي يَسْتَخْرِجُ ما عند المسؤول كرهاً.

---

(١) أخرجه أحمد (٤/٢٥٨) بلفظ: قلت: يا رسول اللَّه، إن أبي كان يصل الرحم ويفعل كذا وكذا، قال: «إن أباك أراد أمراً فأدركه».

(٢) أخرجه الطبري (١١/٣٢٦، ٣٢٧) برقم: (٣١٤٢٦، ٣١٤٢٨)، وذكره ابن عطية (٥/١٢٢).

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/١٢٢).

* ت *: وقال الثعلبيُّ: ﴿فيحفكم﴾ أي: يجهدكم ويلحف عليكم.

وقوله: ﴿تبخلوا﴾ جزماً على جواب الشرط «ويخرج أضغانكم» أي: يخرج اللَّه أضغانكم، وقرأ يعقوب: «وَنُخْرِجْ» بالنون، والأضغان: مُعْتَقَدَاتُ السوء[1]، وهو الذي كان يخاف أنْ يعترِيَ المسلمين، ثم وقف اللَّه تعالى عباده المؤمنين على جهة التوبيخ لبعضهم بقوله: ﴿هَأَنْتُمْ هٰؤُلاَءِ﴾ وكرر «هاء» التنبيه؛ تأكيداً.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّما يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ﴾ أي: بالثواب ﴿وَاللَّهُ الغَنِيُّ﴾ أي: عن صدقاتكم ﴿وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ﴾ إلى ثوابها.

* ت *: هذا لفظ الثعلبيِّ، قال * ع *: يقال: بَخِلْتُ عليك بكذا، وبخلت عنك بمعنى أمسكت عنك، وروى التِّرْمِذِيُّ عن أبي هريرةَ عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «السَّخِيُّ قَرِيبٌ مِنَ اللَّهِ، قَرِيبٌ مِنَ الجَنَّةِ، قَرِيبٌ مِنْ النَّاسِ، بَعِيدٌ مِنَ النَّارِ، وَالْبَخِيلُ بَعِيدٌ مِنَ اللَّهِ، بَعِيدٌ مِنَ الجَنَّةِ، بَعِيدٌ مِنَ النَّاسِ، قَرِيبٌ مِنَ النَّارِ، وَلَجَاهِلٌ سَخِيٌّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ عَابِدٍ بَخِيلٍ»، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن. غريب، انتهى[2].

وقوله سبحانه: ﴿وَإِنْ تَتَولَّوا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ﴾ قالت فرقة: هذا الخطاب لجميع المسلمين والمشركين والعرب حينئذٍ، والقوم الغير هم فارس، وروى أبو هريرةَ أَنَّ النبيَّ ﷺ سُئِلَ عَنْ هٰذَا وَكَانَ سَلْمَانُ إِلَى جَنْبِهِ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى فَخِذِهِ وَقَالَ: «قَوْمُ هَذَا؛

---

(١) وقرأ بها ابن عباس.
ينظر: «مختصر الشواذ» ص: ١٤٢)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ١٢٣)، و«البحر المحيط» (٨/ ٨٥)، و«الدر المصون» (٦/ ١٥٨).

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٣٠٢) كتاب «البر والصلة» باب: ما جاء في السخاء، حديث (١٩٦١)، والعقيلي في «الضعفاء» (٢/ ١١٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٤٢٩) (١٠٨٥٢)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ١٨٠) ـ بتحقيقنا، كلهم من طريق سعيد بن محمد الوراق عن يحيى بن سعيد عن الأعرج، عن أبي هريرة مرفوعاً.
قال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه من حديث يحيى بن سعيد عن الأعرج عن أبي هريرة إلا من حديث سعيد بن محمد، وقد خولف سعيد بن محمد في رواية هذا الحديث عن يحيى بن سعيد إنما يروى عن يحيى بن سعيد عن عائشة شيء مرسل. ا هـ.
وقال العقيلي: ليس لهذا الحديث أصل من حديث يحيى ولا غيره وقال ابن الجوزي: لا يصح، المتهم به سعيد بن محمد الوراق، قال يحيى: ليس بشيء، وقال النسائي: ليس بثقة. وقال البيهقي: تفرد به سعيد بن محمد وهو ضعيف.
=

.....

= وقال السيوطي في «اللآلىء المصنوعة» (٢/ ٩١) قلت) أخرجه الترمذي، وابن حبان في «روضة العقلاء»، والبيهقي في «شعب الإيمان»، والخطيب في كتاب «البخلاء» من طريق عن سعيد الوراق به، وقال ابن حبان: غريب، وقال البيهقي: تفرد به سعيد بن محمد الوراق وهو ضعيف، والله أعلم. ا هـ. وللحديث شواهد من حديث عائشة، وأنس، وجابر.

حديث عائشة:

أخرجه الطبراني في «الأوسط» كما في «اللآلىء» (٢/ ٩٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٤٢٨ ـ ٤٢٩) (١٠٨٥٠)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ١٨١) ـ بتحقيقنا، من طريق سعيد بن مسلمة، حدثنا يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم التيمي عن عائشة مرفوعاً بلفظ: «السخي قريب من الله قريب من الناس بعيد من النار، والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس قريب من النار، والجاهل السخي أحب إلى الله من العاقل البخيل». قال ابن الجوزي: سعيد بن مسلمة، قال يحيى: ليس بشيء، وقال ابن حبان: منكر الحديث جداً فاحش الخطأ، وقال ابن عدي: ليس لهذا الحديث أصل من حديث يحيى بن سعيد ولا غيره، وقال الدارقطني: لهذا الحديث طرق لا يثبت منها شيء بوجه ا هـ.

وللحديث طريق آخر عن عائشة:

أخرجه الخطيب في كتاب «البخلاء» كما في «اللآلىء» (٢/ ٩٢)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ١٨١) من طريق خالد بن يحيى القاضي عن غريب بن عبد الواحد القرشي عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن سعيد بن المسيب عن عائشة مرفوعاً.

وقال ابن الجوزي: خالد وغريب مجهولان.

وقال السيوطي: أقره صاحب «الميزان» على أن اسمه غريب، والذي في كتاب «البخلاء» للخطيب: عنبسة بن عبد الواحد. ا هـ.

وأخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٤٢٨) (١٠٨٤٧) من طريق تليد بن سليمان، وسعيد بن مسلمة عن يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم عن علقمة بن وقاص عن عائشة مرفوعاً.

وقال البيهقي: تليد وسعيد ضعيفان.

وأقره صاحب «اللآلىء» (٢/ ٩٢).

حديث أنس:

أخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ١٨٠) ـ بتحقيقنا، من طريق محمد بن تميم، حدثنا قبيصة بن محمد عن موسى بن عبيدة عن يزيد الرقاشي عن أنس مرفوعاً: «لما خلق الله الإيمان قال: «إلهي، قوني، فقواه بحسن الخلق، ثم خلق الكفر فقال الكفر: إلهي قوني، فقواه بالبخل، ثم خلق الجنة، ثم استوى على العرش، ثم قال: ملائكتي فقالوا: ربنا، لبيك وسعديك قال: السخي قريب من جنتي قريب من ملائكتي بعيد من النار، والبخيل بعيد مني بعيد من ملائكتي قريب من النار».

قال ابن الجوزي: المتهم به محمد بن تميم قال ابن حبان: كان يضع الحديث.

وقال السيوطي في «اللآلىء» (٢/ ٩٢) محمد بن تميم يضع.

حديث جابر:

أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٤٢٨) (١٠٨٤٨) من طريق سعيد بن مسلمة، عن جعفر بن محمد عن أبيه، عن جابر مرفوعاً. =

لَوْ كَانَ الدِّينُ فِي الثُّرَيَّا لَنَالَهُ رِجَالٌ مِنْ أَهْلِ فَارِسَ»[١].

= وقد تقدم ضعف سعيد: وللحديث شاهد أيضاً من حديث ابن عباس: أخرجه تمام في فوائده كما في «اللآلىء» (٢/ ٩٣)، وفيه محمد بن زكريا الغلابي.
قال الدارقطني: يضع الحديث.
ينظر: «تنزيه الشريعة» (١/ ١٠٥).
والحديث: ذكره السيوطي في «الجامع الصغير» (٤/ ١٣٨) ـ فيض، برقم: (٤٨٠٤)، من حديث أبي هريرة، وجابر، وعائشة، ورمز له بالضعف، ووافقه المناوي في «شرحه» وقال المناوي في «الفيض» (٤/ ١٣٨ ـ ١٣٩): (السخي قريب من اللّه) أي: من رحمته وثوابه، فليس المراد قرب المسافة، تعالى اللّه عنه، إذ لا يحل الجهات، ولا ينزل الأماكن، ولا تكتنفه الأقطار، (قريب من الناس) أي: من محبتهم فالمراد: قرب المودة، (قريب من الجنة) لسعيه فيما يدنيه منها، وسلوكه طريقها، فالمراد هنا قرب المسافة، وذلك جائز عليها؛ لأنها مخلوقة، وقربه منها: برفع الحجاب بينه وبينها، وبعده عنها: كثرة الحجب، فإذا قلّت الحجب بينك وبين الشيء. قلت مسافته، أنشد بعضهم:

يقولون لي دار الأحبة قد دنت ... وأنت كئيب إن ذا لعجيب
فقلت وما تغني ديار قريبة ... إذا لم يكن بين القلوب قريب

والجنة والنار محجوبتان عن الخلق بما حفتا به من المكاره والشهوات، وطريق هتك هذه الحجب مبينة في مثل: «الإحياء»، و«القوت» من كتب القوم، (بعيد من النار والبخيل بعيد من اللّه) أي: من رحمته، (بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار)، وقال الغزالي: والبخل ثمرة الرغبة في الدنيا، والسخاء ثمرة الزهد والثناء على الثمرة ثناء على المثمر لا محالة، والسخاء: ينشأ من حقيقة التوحيد والتوكل والثقة بوعد اللّه وضمانه للرزق، وهذه أغصان شجرة التوحيد التي أشار إليها الحديث، والبخل: ينشأ من الشرك وهو الوقوف مع الأسباب والشك في الوعد، قال الطيبي: التعريف في السخي والبخيل للعهد الذهني وهو ما عرف شرعاً أن السخي من هو والبخيل من هو، وذلك أن من أدى الزكاة فقد امتثل أمر اللّه، وعظمه، وأظهر الشفقة على خلقه، وواساهم بماله، فهو قريب من اللّه وقريب من الناس، فلا تكون منزلته إلا الجنة، ومن لم يكن كذلك فبالعكس؛ ولذلك كان جاهل سخي أحب إلى اللّه من عابد بخيل، كما قال: (ولجاهل سخي أحب إلى اللّه من عابد بخيل) فخولف ليفيد أن الجاهل غير العابد السخي أحب إلى اللّه من العابد العالم البخيل، فيالها من حسنة غطت على عيبين عظيمين، ويا لها من سيئة حطت حسنتين خطيرتين، على أن الجاهل السخي سريع الانقياد بما يؤمر به من نحو تعلم، وإلى ما ينهى عنه بخلاف العالم البخيل، (تنبيه) قال الراغب: من شرف السخاء والجود، أن اللّه قرن اسمه بالإيمان، ووصف أهله بالفلاح، والفلاح أجمع لسعادة الدارين، وحق للجود أن يقترن بالإيمان، فلا شيء أخص منه به ولا أشد مجانسة له فمن صفة المؤمن: انشراح الصدر ﴿فمن يرد اللّه أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً﴾، وهما من صفة الجواد والبخيل لأن الجواد يوصف بسعة الصدر والبخيل بضيقه ا هـ.

(١) أخرجه البخاري (٨/ ٥١٠) كتاب «التفسير» باب: قوله: ﴿وآخرين منهم لما يلحقوا بهم﴾ (٤٨٩٧)، ومسلم (٤/ ١٩٧٢)، كتاب «فضائل الصحابة» باب: فضل فارس (٢٣٠ ـ ٢٣١/ ٢٥٤٦)، وأحمد (٢/ ٣٠٩).

وقوله سبحانه: ﴿ثُمَّ لاَ يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ معناه: في الخلاف والتوَلي والبُخْلِ بالأموال ونحوِ هذا، وحكى الثعلبيُّ قولاً أَنَّ القوم الغير هم الملائكة.

* ت *: وليس لأحد مع الحديث: إِذا صَحَّ نظر، ولولا الحديثُ لاحتمل أن يكون الغير ما يأتي من الخَلَفِ بعد ذهاب السَّلَفِ، على ما ذكر في غير هذا الموضع.

تَفْسِيرُ سُورَةِ الْفَتْحِ

وهِيَ مَدَنِيَّةٌ

هذه السورة نزلت على النَّبِيِّ ﷺ مُنْصَرَفَهُ من الحُدَيْبِيَّةِ، وفي ذلك أحاديث كثيرة عن أَنَس[1] وابن مسعود غيرهما[2]، وفي تلك السفرة قال النبي ﷺ لعمر: «لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ سُورَةٌ هِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» خَرّجه البخاريُّ وغيره.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٤﴾

قوله عز وجل: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً...﴾ الآية، قال قوم: يريد فَتْحَ مَكَّةَ، وقال جمهور الناس، وهو الصحيح الذي تَعْضُدُهُ قصة الحديبية: إِنَّ قوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ إِنَّما معناه هو ما يَسَّرَ اللَّه عز وجل لنبيِّه في تلك الخرجة من الفتح البَيِّنِ الذي استقبله، ونزلت السورة مؤنسة للمؤمنين؛ لأَنَّهم كانوا استوحشوا من رَدِّ قريشٍ لهم ومن تلك المهادنة التي جعلها/ اللَّه سبباً للفتوحات، واستقبل النَّبِيُّ ﷺ في تلك السفرة أَنَّهُ هَادَنَ عَدوَّه ريثما يَتَقَوَّى هو، وظهرت على يديه آية الماء في بئر الحديبية؛ حيث وضع فيه

---

(١) أخرجه البخاري ((٧/ ٥١٦) كتاب «المغازي» باب: غزوة الحديبية، قول اللَّه تعالى: ﴿لقد رضي اللَّه عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾ [الفتح: ١٨] (٤١٧٢)، (٨/ ٤٤٧) كتاب «التفسير» باب: ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾ (٤٨٣٤)، ومسلم (٣/ ٤١٣) كتاب «الجهاد والسير» باب: صلح الحديبية في الحديبية (٩٧، ٩٧/ ١٧٨٦)، والترمذي (٥/ ٣٨٥-٣٨٦) كتاب «التفسير» باب: ومن سورة الفتح (٣٢٦٣)، وأحمد (٣/ ١٧٣)، وابن ماجه (٢/ ٩٢، ٩٤) كتاب «البر والإحسان» باب: ما جاء في الطاعات وثوابها (٣٧٠-٣٧١)، والبيهقي (٥/ ٢١٧) كتاب «الحج» باب: المحصر يذبح ويحل حيث أحصر.

(٢) أخرجه البخاري (٨/ ٤٤٦) كتاب «التفسير» باب: ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾ (٤٨٣٣)، والترمذي (٥/ ٣٨٥) كتاب «التفسير» باب: ومن سورة الفتح (٣٢٦٢)، والنسائي في **«الكبرى»** (٦/ ٤٦١)، كتاب «التفسير» باب: قوله تعالى: ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾ (١٤٩٩/ ١)، وأحمد (١/ ٣١)، والبيهقي في **«دلائل النبوة»** (٤/ ١٥٤) كلهم عن عمر بن الخطاب.
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب، رواه بعضهم عن مالك مرسلاً.

سهمه، وثاب الماءُ حتى كَفَى الجيش، واتَّفَقَتْ بيعةُ الرضوان، وهي الفتح الأعظم؛ قاله جابر بن عبد اللَّه والبَرَاءُ بن عازب[١]، وبلغ هَدْيُهُ مَحِلَّهُ؛ قاله الشَّعْبِيُّ[٢]، واستقبل فتح خيبر، وامتلأت أيدي المؤمنين، وظهرت في ذلك الوقت الروم على فارس، فكانت من جملة الفتح؛ فَسُرَّ بها ﷺ هو والمؤمنون؛ لظهور أهل الكتاب على المجوس، وشَرَّفَه اللَّه بأنْ أخبره أنَّه قد غفر له ما تقدَّمَ من ذنبه وما تأَخَّرَ، أي: وإنْ لم يكن ذنب.

* ت *: قال الثعلبيُّ: قوله: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ﴾ قال أبو حاتم: هذه لام القسم، لما حُذِفَتِ النون من فعله كُسِرَتْ، ونُصِبَ فعلها؛ تشبيهاً بلام «كي»، انتهى.

قال عياض: ومقصد الآية أنَّك مغفور لك، غيرَ مؤاخذ بذنب، إنْ لو كان، انتهى.

قال أبو حيان[٣]: ﴿لِيَغْفِرَ﴾ اللام لِلْعِلَّةِ، وقال * ع *: هي لام الصيرورة، وقيل: هي لام القسم، ورُدَّ بأنَّ لام القسم لا تُكْسَرُ وَلا يُنْصَبُ بها، وأُجِيبَ بأَنَّ الكَسْرَ قد عُلِّلَ بالحمل على «لام كي» وأَمَّا الحركة فليست نصباً؛ بل هي الفتحة الموجودة مع النون، بَقِيَتْ بعد حذفها دَالَّةً على المحذوف، ورُدَّ بأَنَّهُ لم يُحْفَظْ من كلامهم: واللَّهِ ليقوم ولا باللَّه ليخرج زيد، انتهى.

وفي «**صحيح البخاريِّ**» عن أنس بن مالك: «إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً»: الحديبية[٤]، انتهى.

وقوله سبحانه: ﴿ويتم نعمته عليك﴾ أي:/ بإظهارك وتغليبك على عَدُوِّك، ٧٨ أ
والرُّضْوَانُ في الآخرة والسَّكِينَةُ فعيلة من السكون، وهو تسكين قلوبهم لتلك الهُدْنَةِ مع قريش حتَّى اطمأَنَّتْ، وعلموا أَنَّ وعد اللَّه حق.

﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٣٣٤) برقم: (٣١٤٦١ ـ ٣١٤٦٢)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ١٨٨) عن البراء بن عازب، وذكره ابن عطية (٥/ ١٢٥)، وابن كثير (٤/ ١٨٢)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٨).

(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ١٢٥).

(٣) ينظر: «البحر المحيط» (٨/ ٩٠).

(٤) أخرجه البخاري (٨/ ٤٤٧) كتاب «التفسير» باب: ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾ (٤٨٣٤)، والطبري (١١/ ٣٣٣) (٣١٤٥٨)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ١٨٨)، وابن عطية، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٨)، وعزاه إلى ابن أبي شيبة، وابن مردويه، والبيهقي.

﴿ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿لِيُدْخِلَ المُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ...﴾ الآية، رُوِيَ في معنى هذه الآية أَنَّه لَمَّا نزلت: ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلاَ بِكُمْ﴾ [الأحقاف: ٩] تَكَلَّمَ فيها أهل الكفر، وقالوا: كيف نَتَّبِعُ مَنْ لا يعرف ما يُفْعَلُ به وبالناس؟! فَبَيَّنَ اللَّه في هذه السورة ما يفعل به بقوله: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ فَلَمَّا سمعها المؤمنون قالوا: هنيئاً لك يا رسول اللَّه، لقد بَيَّنَ اللَّه لك ما يفعل بك، فما يفعل بنا؟ فنزلت: ﴿لِيُدْخِلَ المُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ﴾ إلى قوله: ﴿مَصِيراً﴾ فعرَّفه اللَّه ما يفعل به وبالمؤمنين وبالكافرين، وذكر النقاش أَنَّ رجلاً من «عَكّ» قال: هذا الذي لرسول اللَّه، فما لنا؟ فقال النبيُّ ﷺ: «هِيَ لِي وَلاِمَّتِي كَهَاتَيْنِ، وَجَمَعَ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ».

وقوله: ﴿وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّآتِهِم﴾ هو من ترتيب الجمل في السرد، لا ترتيب وقوع معانيها؛ لأَنَّ تكفير السيئات قبل إدخالهم الجنة.

وقوله: ﴿الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ﴾ قيل: معناه: من قولهم: ﴿لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ...﴾ [الفتح: ١٢] الآية، وقيل: هو كونهم يعتقدون اللَّه بغير صفاته العلى.

وقوله: ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ [أي: دائرة السوء][1] الذي أرادوه بكم في ظَنِّهم السوءَ، ويقال للأقدار والحوادث التي هي في طَيِّ الزمان: دائرة،/ لأَنَّها تدور بدوران الزمان. ٧٨ ب

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً...﴾ الآية، مَنْ جعل الشاهِدَ مُحَصِّلَ الشهادة من يوم يحصلها، فقوله: ﴿شاهداً﴾ حال واقعة، ومَنْ جعل الشاهد مُؤَدِّي الشهادةَ فهي حال مستقبلة، وهي التي يسميها النحاة المُقَدَّرَةَ، والمعنى: شاهداً على الناس بأعمالهم، وأقوالهم حين بَلَّغْتَ، ﴿ومُبَشِّراً﴾: أهلَ الطاعة برحمة اللَّه، ﴿وَنَذِيراً﴾: من عذاب اللَّه أهلَ المعصية، ومعنى ﴿تُعَزِّرُوهُ﴾ تعظموه وتكبروه؛ قاله ابن عباس[2]، **وقرأ** ابن عباس

---

(١) سقط في: د.

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٣٣٧) برقم: (٣١٤٦٨)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٢٩).

وغيره: ﴿تُعَزِّرُوهُ﴾ بزاءين من العِزَّةِ[١]، قال الجمهور: الضمير في ﴿تعزِرُوه وتوقروه﴾ للنبيِّ ﷺ وفي ﴿تُسَبِّحُوهُ﴾ للَّه عز وجل، والبُكْرَةُ: الغُدُوُّ، والأصيل: العَشِيُّ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾: يريد في بيعة الرضوان، وهي بيعة الشجرة، حين أخذ رسول اللَّه ﷺ الأهبة لقتال قريش، لِمَا بَلَغَهُ قتل عثمانَ بن عفانَ، رسولِهِ إليهم، وذلك قبل أن ينصرفَ من الحُدَيْبِيَّةِ، وكان في ألف وأربعمائة، وبايعهم ﷺ على الصبر المتناهي في قتال العَدُوّ إلى أقصى الجهد حتى قال سَلَمَةُ بن الأكوع وغيره: بايعنا رسول اللَّه ﷺ على الموت[٢]، وقال عبد اللَّه بن عمر، وجابر بن عبد اللَّه: بايعنا رسول اللَّه ﷺ على ألاَّ نَفِرَّ[٣]، والمبايعة في هذه الآية مُفَاعَلَةٌ من البيع؛ لأنَّ اللَّه تعالى اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأَنَّ لهم الجنة، ومعنى ﴿إِنَّما يُبَايِعُونَ اللَّه﴾ أَنَّ صفقتهم إنما يمضيها ويمنح/ الثمن اللَّه تعالى. ٧٩أ

* ت *: وهذا تفسير لا يَمَسُّ الآية، ولا بُدَّ، وقال الثعلبيُّ: «إنما يبايعون اللَّه» أي: أخذك البيعة عليهم عقد اللَّه عليهم، انتهى، وهذا تفسير حسن.

وقوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ﴾ قال جمهور المتأولين: اليد بمعنى النعمة، إذْ نعمة اللَّه في نفس هذه المبايعة لما يستقبل من محاسنها «فَوْقَ أَيْدِيهِمْ»: التي مَدُّوها لبيعتك، وقيل: المعنى: قُوَّةُ اللَّه فوقَ قُوَاهُمْ في نصرك.

* ت *: وقال الثعلبيُّ: «يد اللَّه فوق أيديهم» أي: بالوفاء والعهد، وقيل: بالثواب، وقيل: «يد اللَّه»: في المِنَّةِ عليهم «فوق أيديهم»: في الطاعة عند المبايعة، وهذا حَسَنٌ قريب من الأول.

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ نَكَثَ﴾ أي: فَمَنْ نقض هذا العهد، فإنما يجني على نفسه ومَنْ

---

(١) وقرأ بها محمد بن السميفع اليماني.
ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ١٢٩)، و«البحر المحيط» (٨/ ٩٢). وقال السمين: وقرأ الجحدري «تعززوه» كالعامة إلا أنه بزاءين من العزة. «الدر المصون» (٦/ ١٦٠).
(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٣٤٨) برقم: (٣١٥٢٠) عن عمرو بن الأشج.
(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٣٤٩) برقم: (٣١٥٢٧) عن قتادة، وذكره ابن كثير (٤/ ١٨٦) عن جابر بن عبد اللَّه.

أَوفى بما عاهد عليه اللَّهَ فسنؤتيه أجراً عظيماً، وهو الجنة.

﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿سَيَقُولُ لَكَ المُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعْرَابِ﴾ قال مجاهد وغيره[1]: هم جُهَيْنَةُ ومُزَيْنَةُ، ومَنْ كان حول المدينة من الأعراب؛ وذلك أَنَّ النبي ﷺ حين أراد المسيرَ إلى مَكَّة عام الحديبية مُعْتَمِراً، استنفر مَنْ حولَ المدينة من الأعراب وأَهلِ البوادي؛ ليخرجوا معه؛ حذراً من قريش، وأحرم بالعمرة، وساق معه الهَدْيَ؛ ليعلمَ الناس أنه لا يريد حرباً، فتثاقل عنه هؤلاء المُخَلَّفُونَ، ورأوا أَنَّهُ [يستقبل][2] عدوّاً عظيماً من قريش وثقيف وكنانة والقبائل المجاورة لمكة، وهم الأحابيش، ولم يكن تَمَكَّنَ إيمانُ هؤلاءِ المُخَلَّفِينَ، فقعدوا/ عن النبي - ﷺ - وتخلَّفُوا وقالوا: لَنْ يرجع مَحمد ولا أصحابه من هذه السفرة، ففضحهم اللَّه في هذه الآية، وأَعْلَمَ نَبِيَّه محمداً ﷺ بقولهم، واعتذارهم قبلَ أَنْ يَصِلَ إليهم، فكان كما أخبر اللَّه سبحانه، فقالوا: «شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا عَنْكَ فَاسْتَغْفِرْ لَنَا» وهذا منهم خُبْثٌ وإبطال، لأَنَّهم قالوا ذلك مُصَانَعَةً من غير توبة ولا ندم؛ فلذلك قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ في قُلُوبِهِمْ﴾ ثم قال تعالى لنبيِّه - عليه السلام -: ﴿قُلْ﴾: لَهُمْ ﴿فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرّاً﴾ أي: مَنْ يحمي منه أموالكم وأهليكم إِنْ أراد بكم فيها سوءاً، وفي مصحف ابن مسعود[3]: إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءاً

٧٩ ب

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٣٤٠) برقم: (٣١٤٨٤)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ١٦١)، وابن عطية (٥/ ١٣٠)

(٢) سقط في: د.

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ١٣٠).

ثم رَدَّ عليهم بقوله: ﴿بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾ ثم فَسَّرَ لهم العِلَّةَ التي تخلَّفُوا من أجلها بقوله: ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ...﴾ الآية، و﴿بوراً﴾ معناه: هلكى فاسدين، والبوار الهلاك، والبور في لغة «أَزْد عمان»: الفاسد، ثم رجى سبحانه بقوله: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾ ثم إِنَّ اللَّه سبحانه أَمَرَ نَبِيَّه [على] ما رُوِيَ [بغزو] خيبرَ، ووعده بفتحها، وأعلمه أَنَّ المُخَلَّفِينَ إذا رأوا مسيرَ رسول اللَّه ـ ﷺ ـ إلى يهود، وهم عَدُوٌّ مُسْتَضْعَفٌ ـ طلبوا الكونَ معه؛ رغبةً في عَرَضِ الدنيا والغنيمة، فكان كذلك.

وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلاَمَ اللَّهِ﴾ معناه: أنْ يغيروا وعده لأهلِ الحُدَيْبِيَّةِ بغنيمة/ خيبرَ، وقال ابن زيد[1]: كلام اللَّه هو قوله تعالى: ﴿لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عَدُوّاً﴾، قال * ع *: وهذا ضعيف؛ لأَنَّ هذه الآية نزلت في غزوة تبوك في آخر عمره ﷺ وآية هذه السورة نزلت عامَ الحديبية، وأيضاً فقد غَزَتْ جُهَيْنَةُ ومُزَيْنَةُ بعد هذه المُدَّةِ مع رسول اللَّه ﷺ يعني غزوة الفتح، فتح مَكَّة. ١٨٠أ

* ت *: قال الثعلبي: وعلى التأويل الأَوَّل عامَّةُ أهل التأويل، وهو أصوب من تأويل ابن زيد.

وقوله: ﴿كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ يريد وعده قبل باختصاصهم بها، وباقي الآية بين.

وقوله سبحانه: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ قال قتادة وغيره: هم هوازن وَمَنْ حارب النبيَّ ـ عليه السلام ـ يومَ حُنَيْنٍ[2]، وقال الزُّهْرِيُّ وغيره[3]: هم أهل الرِّدَّةِ وبنو حنيفة باليمامة، وحكى الثعلبيُّ عن رافع بن خديج أَنَّهُ قال: واللَّهِ لقد كُنَّا نقرأ هذه الآية فيما مضى، ولا نعلم مَنْ هم حَتَّى دعا أبو بكر إلى قتال بني حنيفة، فعلمنا أَنَّهُمْ هم المراد[4]، وقيل: هم فارس والروم، **وقرأ** الجمهور: «أَوْ يُسْلِمُونَ»[5] على القطع أي: أو

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٣٤٣) برقم: (٣١٤٩٢)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٣١).

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٣٤٥) برقم: (٣١٥٠٤ ـ ٣١٥٠٥)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ١٩٢)، وابن عطية (٥/ ١٣٢).

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٣٤٥) برقم: (٣١٥٠٦)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ١٩٢)، وابن عطية (٥/ ١٣٢)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٦)، وعزاه إلى ابن المنذر، والطبراني.

(٤) ذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ١٩٢)، وابن عطية (٥/ ١٧٦).

(٥) وقرأ أبي بن كعب فيما حكى الكسائي: «أو يسلموا» بنصب الفعل على تقدير: أو يكون أن يسلموا، =

هم يسلمون دونَ حرب، قال ابن العربي[١]: والذين تَعَيَّنَ قتالُهم حتى يسلموا مِنْ غير قبول جزية، هم العرب في أَصَحِّ الأقوال، أوِ المرتدون، فأَمَّا فارس والروم فلا يُقَاتَلونَ إِلى أَنْ يسلموا؛ بل إِنْ بذلوا الجزية قُبِلَتْ منهم، وهذه الآية إِخبار بمغيب؛ فهي من معجزات النبي ﷺ، انتهى من «الأحكام».

وقوله: ﴿فَإِنْ تُطِيعُوا﴾ أي: فيما تُدعون إِليه، وباقي الآية بَيِّنٌ.

٨٠ب ثم ذكر تعالى أهل/ الأعذار، ورَفَعَ الحرج عنهم، وهو حكم ثابت لهم إِلى يوم القيامة، ومع ارتفاع الحَرَج فجائز لهم الغزوُ، وأجرهم فيه مُضَاعَفٌ، وقد غزا ابن أُمِّ مكتوم [وكان يُمْسِكُ الرَّايةَ في بعض حروب القادسية، وقد خَرَّجَ النسائِيُّ هذا المعنى، وذكر ابنَ أمِّ مكتوم][٢] رحمه اللَّه.

﴿۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾﴾

وقوله عز وجل: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ...﴾ الآية، تشريف لهم - رضي اللَّه عنهم - وقد تَقَدَّمَ القولُ في المبالغة ومعناها، وكان سببَ هذه المبايعة أَنَّ رسول اللَّه ﷺ أراد أَنْ يبعث إِلى مَكَّةَ رجلاً يُبَيِّنُ لهم أَنَّ النبي ﷺ لا يريد حرباً؛ وإِنَّما جاء مُعْتَمِراً، فبعث إِليهم خداش بن أُمَيَّةَ الخُزَاعِيَّ، وحمله ﷺ على جَمَلٍ له يقال له: الثعلب، فلما كَلَّمَهُمْ عَقَرُوا الجمل، وأرادوا قتل خداش فمنعته الأحابيش، وبلغ ذلك النبيَّ ﷺ فأراد بَعْثَ عمر بن الخطاب، فقال له عمر: يا رسول اللَّه، إِنِّي أخاف قريشاً على نفسي، وليس بِمَكَّةَ من بني عَدِيٍّ أَحَدٌ يحميني، ولكن ابعث عثمان؛ فهو أَعَزُّ بِمَكَّةَ مِنِّي، فبعثه النبي ﷺ فذهب، فلقيه أبان بن سعيد بن العاصي فنزل عن دَابَّتِهِ فحمله عليها، وأجاره حتى بلغ

= ومثله قول امرىء القيس [الطويل]:

فقلت له لا تبك عينك إنما ... تحاول ملكاً أو تموتَ فتُعذَرا

ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ١٣٢)، و«البحر المحيط» (٨/ ٩٤)، وزاد نسبتها إلى زيد بن علي، وهي في «الدر المصون» (٦/ ١٦٢).

(١) ينظر: «أحكام القرآن» (٤/ ١٧٠٥).

(٢) سقط في: د.

الرسالة، فقالوا له: إنْ شِئْتَ يا عثمان أَنْ تطوف بالبيت فَطُفْ به، فقال: ما كنت لأطوفَ حتى يطوفَ به النبي ﷺ ثم إنَّ بَنِي سعيد بن العاصي حَبَسُوا عثمانَ على جهة المبرة، فأبطأ على النبيِّ ﷺ وكانتِ الحُدَيْبِيَّةُ من مَكَّةَ على نحو عَشَرَةِ أميال، فصرخ صارخ من عسكر رسول اللَّه ﷺ: قُتِلَ عثمانُ، فجثا رسول اللَّه ﷺ/ والمؤمنون، وقالوا: لا نبرحُ ـ إنْ كان ٨١أ هذا ـ حتى نُنَاجِزَ القوم، ثم دعا الناسَ إلى البيعة فبايعوه ﷺ ولم يَتَخَلَّفْ عنها إلاَّ الجد بن قيس المنافق، وجعل النبيُّ ﷺ يَدَهُ على يَدِهِ، وقال: هذه يَدٌ لعثمانَ[١]، وهي خير، ثم جاءَ عثمانُ سالماً والشجرة سمرة كانت هنالك ذهبت بعد سنين.

وقوله سبحانه: ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ قال الطبريُّ[٢]، ومنذر بن سعيد: معناه: من الإيمان وصِحَّتِهِ، والحبِّ في الدين والحِرْصِ فيه، **وقرأ** الناس: «وَأَثَابَهُمْ»[٣] قال هارون: وقد قرأت: «وَآتَاهُمْ» بالتاء بنقطتين[٤]، والفتح القريب: خيبر، والمغانم الكثيرة: فتح خيبرَ.

وقوله تعالى: ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ...﴾ الآية، مخاطبة للمؤمنين، ووعد بجميع المغانم التي أخذها المسلمون ويأخذونها إلى يوم القيامة؛ قاله مجاهد وغيره[٥].

وقولهُ: ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ﴾ يريد خيبَر، وقال زيد بن أسلم وابنه: المغانم الكثيرة: خيبر[٦]، وهذه إشارة إلى البيعة والتَّخَلُّصِ من أمر قريش، وقاله ابن عباس[٧].

---

(١) ورد ذكر البيعة في حديث ابن عمر، أخرجه البخاري (٦/ ٢٧١) كتاب «فرض الخمس» باب: إذا بعث الإمام رسولاً في حاجة أو أمره بالمقام هل يسهم له؟ (٣١٣٠) وأطرافه في (٣٦٩٨، ٣٧٠٤، ٤٠٦٦، ٤٥١٣، ٤٥١٤، ٤٦٥٠، ٧٠٩٥)، والترمذي (٥/ ٦٢٩)، كتاب «المناقب» باب: في مناقب عثمان بن عفان رضي اللَّه عنه (٣٧٠٦)، وأحمد (٢/ ١٢٠)، وأبو يعلى في «مسنده» (٩/ ٤٥٠) (١٨٥/ ٥٥٩٩).
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» (١١/ ٣٥٠).

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ١٣٤)، و«البحر المحيط» (٨/ ٩٦).

(٤) قرأ بها الحسن ونوح القارىء.
ينظر: «مختصر الشواذ» ص: (١٤٢)، و«البحر المحيط» (٨/ ٩٦).

(٥) أخرجه الطبري (١١/ ٣٥١) برقم: (٣١٥٣٣)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٣٤)، وابن كثير (٤/ ١٩١)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٧٠).

(٦) أخرجه الطبري (١١/ ٣٥١) برقم: (٣١٥٣٤) عن ابن زيد، وذكره ابن عطية (٥/ ١٣٥).

(٧) أخرجه الطبري (١١/ ٣٥١) برقم (٣١٥٣٧) وذكره ابن عطية (٥/ ١٣٥)، وابن كثير (٤/ ١٩١).

وقوله سبحانه: ﴿وَكَفَّ أَيْدِي النَّاسِ عَنْكُمْ﴾ قال قتادة: يريد كَفَّ أيديهم عن أهل المدينة في مغيب النبي ﷺ والمؤمنين[١]، ﴿وَلِتَكُونَ آيَةً﴾ أي: علامة على نصر المؤمنين، وحكى الثعلبيُّ عن قتادة أَنَّ المعنى: كَفَّ اللَّه غطفان ومَنْ معها حين جاؤوا لنصر خيبَر[٢]، وقيل: أراد كَفَّ قريشاً.

﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿وأخرى لم تقدروا عليها﴾ قال ابن عباس: الإشارة إلى بلاد فارس والروم[٣]، وقال قتادة والحسن: الإشارة إلى مَكَّةَ[٤]، وهذا قول يَتَّسِقُ معه المعنى ويتأيَّد/ . ٨١ ب

وقوله: قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا معناه: بالقُدْرَةِ وَالْقَهْرِ لأهلها، أي: قد سبق في علمه ذلك، وظهر فيها أَنَّهم لم يقدروا عليها.

* ت *: قوله: وظهر فيها إلى آخرِهِ كلامٌ غير محصل، ولفظ الثعلبيِّ: ﴿وأخرى لم تقدروا عليها﴾ أي: وعدكم فتح بلدة أخرى لم تقدروا عليها، قد أحاط اللَّه بها لكم حَتَّى يفتحها عليكم، وقال ابن عباس[٥]: علم اللَّه أَنَّه يفتحها لكم، قال مجاهد[٦]: هو ما فتحوه حتى اليوم، ثم ذكر بَقِيَّةَ الأقوال، انتهى.

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٣٥٢) برقم: (٣١٥٣٨ ـ ٣١٥٣٩)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٣٥)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٧٧)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ١٣٥).

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٣٥٣) رقم (٣١٥٤١)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ١٩٨) وابن عطية (٥/ ١٣٥).

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٣٥٤) برقم: (٣١٥٥١ ـ ٣١٥٥٢) عن قتادة، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ١٩٨)، وابن عطية (٥/ ١٣٥)، وابن كثير (٤/ ١٩١) عن قتادة، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٧١)، وعزاه إلى عبد الرزاق، وعبد بن حميد.

(٥) ذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ١٩٨)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ١٩٢).

(٦) أخرجه الطبري (١١/ ٣٥٣) برقم: (٣١٥٤٥)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ١٩٨).

وقوله سبحانه: ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني[١]: كفار قريش في تلك السنة ﴿لَوَلَّوُا الأَدْبَارَ ثُمَّ لاَ يَجِدُونَ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً﴾.

وقوله: سنة اللَّه أي: كَسُنَّةِ اللَّه، إشارةً إلى وقعة بدر، وقيل: إشارة إلى عادة اللَّه من نصر الأنبياء، ونصب «سنة» على المصدر.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ...﴾ الآية، رُوِيَ في سببها أَنَّ قريشاً جمعت جماعة من فتيانها، وجعلوهم مع عِكْرِمَةَ بن أبي جهل، وخرجوا يطلبون غرَّةً في عسكر النبيِّ ﷺ واختلف الناسُ في عدد هؤلاء اختلافاً متفاوتاً؛ فلذلك اختصرته، فلمَّا أَحَسَّ بهم المسلمون بعث رسول اللَّه ﷺ في أَثَرِهِمْ خالدَ بنَ الوليد، وسَمَّاهُ يومئذٍ سَيْفَ اللَّه في جملة من الناس، فَفَرُّوا أمامهم، حَتَّى أدخلوهم بُيُوتَ مَكَّةَ، وأَسَرُوا منهم جملة، فَسِيقُوا إلى النبيِّ ﷺ فَمَنَّ عليهم وأطلقهم[٢]؛ قال الوَاحِدِيُّ: وكان ذلك سَبَبَ الصلح بينهم، انتهى.

وقوله سبحانه: ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: أهل مكة ﴿وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي: منعوكم من العمرة، وذلك أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خرج من المدينة إلى الحديبية في/ ٨٢أ ذي القَعدة سنة ست يريد العمرة وتعظيم البيت وخرج معه بمائة بدنة وقيل بسبعين فأجمعت قريش لحربه وغوروا المياه التي تقرب من مكة فجاء ﷺ حتى نزل على بئر الحديبية وحينئذ وضع سهمه في الماء فجرى غمراً حتى كفى الجيش ثم بعث ﷺ إليهم عثمان كما تقدم وبعثوا هم رجالاً آخرهم سهيل بن عمرو وبه انعقد الصلح على أن ينصرف ﷺ ويعتمر من قابل فهذا صدهم إياه وهو مستوعب في السير، و﴿الهدي﴾ معطوف على الضمير في «صدوكم» [أي] وصدوا الهدي، و﴿معكوفاً﴾ حال، ومعناه: محبوساً، تقول عكفت الرجل عن حاجته إذا حبسته، وحبس الهدي من قبل المشركين هو بصدهم، ومن قبل المسلمين لرؤيتهم ونَظَرِهِمْ في أَمرهم؛ لأجل أَنْ يبلغَ الهَدْيُ مَحِلَّهُ، وهو مَكَّةُ والبَيْتُ، وهذا هو حَبْسُ المسلمين، وذكر تعالى العِلَّةَ في أَنْ صَرَفَ المسلمين، ولم يمكنهم من دخول مَكَّةَ في تلك الوجهة، وهي أَنَّهُ كان بمكة مؤمنون من رجال ونساء خَفِيَ إيمانهم، فَلَوِ استباح المسلمون بيضتها أهلكوا أولئك المؤمنين؛ قال قتادة[٣]: فدفع اللَّه عن المشركين بأولئك

---

(١) في د: يبتغي.

(٢) أخرجه الطبري (١١/٣٥٦) برقم: (٣١٥٦٠)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/٧٥)، وعزاه إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن أبزي.

(٣) أخرجه الطبري (١١/٣٦٣) برقم: (٣١٥٧٣)، وذكره البغوي (٤/٢٠٤)، وابن عطية (٥/١٣٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/٧٦)، وعزاه لابن جرير.

المؤمنين، والوَطْءُ هنا: الإهلاك بالسيف وغيره؛ ومنه قوله ﷺ: «اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرٍ[1]» قال أبو حيَّان[2]: ﴿وَلَوْلاَ رِجَالٌ﴾ جوابها محذوف؛ لدلالة الكلام عليه، أي: ما كَفَّ أيديَكم عنهم، انتهى، والمَعَرَّةُ: السوء والمكروه اللاحق؛ مأخوذ من العُرِّ والعُرَّة وهو الجَرَبُ الصَّعْبُ اللاَّزِمُ، واخْتُلِفَ/ في تعيين هذه المَعَرَّةِ، فقال الطبريُّ[3]: وَحَكَاهُ الثعلبيُّ: هي الكَفَّارة، وقال مُنْذِرٌ: المَعَرَّة: أنْ يعيبهم الكُفَّار، ويقولوا: قتلوا أهل دينهم، وقال بعضُ المفسِّرين: هي المَلاَمُ، والقولُ في ذلك، وتألُّمَ النفْسِ في باقي الزمان، وهذه أقوالٌ حِسَانٌ، وجواب «لولا» محذوفٌ، تقديره: لولا هؤلاءِ لدخلتم مكَّةَ، لكن شرَّفْنَا هؤلاءِ المؤمنِينَ بأنْ رَحِمْنَاهُمْ، ودفعنا بسببهم عن مَكَّةَ ليدخل اللَّه، أي: لِيُبَيِّنَ للناظر أنَّ اللَّه يدخلَ من يشاء في رحمته أو، أي: لِيقعَ دخولهم في رحمة اللَّه ودفعه عنهم. ٨٢ ب

* ت *: وقال الثَّعْلَبِيُّ: قوله: «بِغَيْرِ عِلْمٍ» يحتمل أنْ يريد بغير علم مِمَّنْ تكلَّم بهذا، والمَعَرَّةُ: المشقة «لِيُدْخِلَ اللَّهُ في رَحْمَتِهِ» أيْ: في دين الإسلام «مَنْ يَشَاءُ»: من أهل مكة قبل أن تدخلوها، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾ أي: لو ذهبوا عن مَكَّةَ؛ تقول: زِلْتُ زيداً عن موضعه إزالة، أي: أذهبته، وليس هذا الفعل من «زَالَ يَزُولُ»، وقد قيل: هو منه، **وقرأ** أبو حيوةَ

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٥٧٢) كتاب «الاستسقاء» باب: دعاء النبي ﷺ: «واجعلها عليهم سنين كسني يوسف» (١٠٠٦)، (٦/ ٤٨١) كتاب «أحاديث الأنبياء» باب: قول اللَّه تعالى: ﴿لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين﴾ (٣٣٨٦)، (١٠/ ٥٩٦) كتاب «الأدب» باب: تسمية الوليد (٦٢٠٠)، (١١/ ١٩٧) كتاب «الدعوات» باب: تكرير الدعاء (٦٣٩٣)، ومسلم (٣/ ١٩٠ ـ ١٩١) كتاب «المساجد ومواضع الصلاة» باب: استحباب القنوت في جميع الصلاة، إذا نزلت بالمسلمين نازلة (٢٩٤، ٢٩٤/ ٦٧٥)، (٢٩٥/ ٦٧٥)، وابن حبان (٥/ ٣٠١) كتاب «الصلاة» باب: صفة الصلاة (١٩٦٩، ١٩٧٢)، باب: فصل في القنوت (١٩٨٦)، وأبو داود (١٠/ ٤٥٧) كتاب «الصلاة» باب: القنوت في الصلاة (١٤٤٢)، وأحمد (٢/ ٢٣٩، ٢٥٥، ٢٧١، ٣٩٦، ٤٠٧، ٤١٨، ٥٠٢، ٥٢١)، وابن ماجه (١/ ٣٩٤) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها: باب: ما جاء في القنوت في صلاة الفجر (١٢٤٤)، والبيهقي (٢/ ١٩٧، ١٩٨، ٢٠٠) كتاب «الصلاة» باب: القنوت في الصلاة عند النازلة، (٢/ ٢٠٧) كتاب «الصلاة» باب: الدليل على أنه يقنت بعد الركوع، (٢/ ٢٤٤) كتاب «الصلاة» باب: ما يجوز من الدعاء في الصلاة، (٩/ ١٤) كتاب «السير» باب: ما جاء في عذر المستضعفين، والدارقطني (٢/ ٣٨) كتاب «الوتر»، وأنه ليس بفرض، والوتر على البعير، باب: صفة القنوت وبيان موضعه برقم: (٧)، والحميدي (٢/ ٤١٩) (٩٣٩)، والبيهقي في «**دلائل النبوة**» (٤/ ١٧٦).

(٢) ينظر: «**البحر المحيط**» (٨/ ٩٧).

(٣) ينظر: «**تفسير الطبري**» (١١/ ٣٦٣).

وقتادة: «تَزَايَلُوا» بألف[١]، أي: ذهب هؤلاء عن هؤلاء، وقال النَّحَّاس: وقد قيل: إنَّ قوله: ﴿وَلَوْلاَ رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ...﴾ الآية: يريدُ: مَنْ في أصلاب الكافرين مِمَّنْ سيُؤْمِنُ في غابر الدهر، وحكاه الثعلبيُّ والنَّقَّاش عن عليِّ بْنِ أبي طالب ـ رضي اللَّه عنه ـ عن النبي ﷺ مرفوعاً، والحَمِيَّةُ التي جعلوها هي حَمِيَّةُ أهل مكة في الصَّدِّ؛ قال الزُّهْرِيُّ: وهي حمية سُهَيْلٍ ومَنْ شَاهَدَ مِنْهُمْ عقدَ الصُّلحِ، وجعلها سبحانه حَمِيَّةً جاهلية، لأنَّها كانت منهم بغير حُجَّةٍ، إذ لم يأت ﷺ مُحارِباً لهم، وإنما جاء معتمراً معظِّماً لبيت اللَّه، والسكينة: هي الطُّمْأَنِينَةُ إلى أَمْرِ رسُولِ اللَّه ﷺ، والثقةُ بوعد اللَّه، والطاعةُ، وزوالُ/ الأَنَفَةِ التي لحقت ١٨٣أ
عُمَرَ وغيره، «وكَلِمَةُ التَّقْوَى»: قال الجمهور: هي لا إله إلا اللَّه، ورُوِيَ ذلك عن النبيِّ ﷺ وفي مصحف ابن مسعود[٢]: «وَكَانُوا أَهْلَهَا [وَأَحَقَّ بِهَا» والمعنى: كانوا أهلها] على الإطلاق في علم اللَّه وسابق قضائه لهم، وروى أبو أمامة عن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا نَادَى المُنَادِي فُتِحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، واسْتُجِيبَ الدُّعَاءُ، فَمَنْ نَزَلَ بِهِ كَرْبٌ أَوْ شِدَّةٌ فَلْيَتَحَيَّنِ المُنَادِيَ، فَإِذَا كَبَّرَ كَبَّرَ، وَإِذَا تَشَهَّدَ تَشَهَّدَ، وَإِذَا قَالَ: حَيَّ عَلَى الصَّلاَةِ، قَالَ: حَيَّ عَلَى الصَّلاَةِ، وَإِذَا قَالَ: حَيَّ عَلَى الْفَلاَحِ، قَالَ: حَيَّ عَلَى الفَلاَحِ، ثُمَّ يَقُولُ: رَبِّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ الصادِقَةِ المُسْتَجَابِ لَهَا، دَعْوَةِ الحَقِّ وَكَلِمَةِ التَّقْوَىٰ، أَحْيِنَا عَلَيْهَا، وَأَمِتْنَا عَلَيْهَا، وَابْعَثْنَا عَلَيْهَا، وَاجْعَلْنَا مِنْ خِيَارِ أَهْلِهَا أَحْيَاءً وَأَمْوَاتاً، ثُمَّ يَسْأَلُ اللَّهَ حَاجَتَهُ» رواه الحاكم في «**المُسْتَدْرَكِ**»، وقال: صحيح الإسناد[٣]، انتهى من «**السِّلاَح**».

فقد بَيَّنَ ﷺ في هذا الحديث معنى «كلمة التقوى» على نحو ما فُسرَ به الجمهور، والصحيح أنه يعوض عن الحَيْعَلَةِ الحَوْقَلَةُ؛ ففي «**صحيح مسلم**»: «ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الصَلاَةِ، قَالَ: لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الْفَلاَحِ، قَالَ: لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ[٤]» الحديث، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾ إشارة إلى علمه بالمؤمنين الذين دفع عن كفار قريش بسببهم، وإلى علمه بوجه المصلحة في صلح الحديبية؛ فيُرْوَى أَنَّهُ لما انعقد

---

(١) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٥/ ١٣٧)، و«**البحر المحيط**» (٨/ ٩٨)، وزاد نسبتها إلى ابن أبي عبلة، وابن مقسم، وابن عون. وهي في «**الدر المصون**» (٦/ ١٦٤).

(٢) وهي في مختصر ابن خالويه ص: (١٤٣) هكذا: وكانوا أهلها أحق من غير واو. ونسبها إلى أصحاب عبد اللَّه بن مسعود. وكما أثبتها «**المصنف**» عند ابن عطية في «**المحرر الوجيز**» (٥/ ١٣٨).

(٣) أخرجه الحاكم (١/ ٥٤٦ ـ ٥٤٧)، وأبو نعيم في «**حلية الأولياء**» (١٠/ ٢١٣).

(٤) أخرجه مسلم (٢/ ٣٢١) كتاب «الصلاة» باب: استحباب القول مثل قول المؤذن، برقم: (١٢/ ٣٨٥).

٨٣ ب الصلحُ أَمِنَ الناسُ في تلك المُدَّةِ الحربَ والفتنةَ، وامتزجوا وعَلَتْ دعوةُ الإسلام،/ وانقاد إلى الإسلام كُلُّ مَنْ له فهم، وزاد عدد الإسلام في تلك المدة أَضعافَ ما كان قبلَ ذلك؛ قال * ع *[1]: ويقتضي ذلك أَنَّ النبي ﷺ، كان في عام الحديبيةِ في أَرْبَعَ عَشْرَةَ مائة، ثم سار إلى مَكَّةَ بعد ذلك بعامين في عَشَرَةِ آلاف فارس - ﷺ -.

* ت *: المعروف عَشَرَةُ آلاف، وقوله فارس ما أَظُنُّهُ يَصِحُّ فتأمله في كتب السيرة.

﴿لَقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالحَقِّ...﴾ الآية: «رُوِيَ في تفسيرها أن النبي ﷺ رَأَىٰ في مَنَامِهِ عِنْدَ خُرُوجِهِ إِلَى الْعُمْرَةِ أَنَّهُ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ هُوَ وَأَصْحَابُهُ، بَعْضُهُمْ مُحَلِّقُونَ، وَبَعْضُهُمْ مُقَصِّرُونَ»[2] وقال مجاهد: رأى ذلك بالحديبية فأخبر الناسَ بهذه الرؤيا، فَوَثِقَ الجميعُ بأَنَّ ذلك يكون في وجهتهم تلك، وقد كان سَبَقَ في علم اللَّه أنَّ ذلك يكون، لكن ليس في تلك الوجهة، فَلَمَّا صَدَّهُمْ أهلُ مَكَّةَ قال المنافقون: وأين الرؤيا؟ ووقع في نفوس بعض المسلمين شيء من ذلك، فأجابهم النبي ﷺ بأَنْ قَالَ: «وَهَلْ قُلْتُ لَكُمْ: يَكُونُ ذَلِكَ فِي عَامِنَا هَذَا»، أَوْ كَمَا قَالَ، ونطق أبو بكر قبل ذلك بنحوه[3]، ثم أنزل اللَّه عز وجل: ﴿لقد صدق اللَّه رسوله الرؤيا بالحق...﴾ الآية، واللام في: ﴿لَتَدْخُلُنَّ﴾ لامُ القَسَمِ.

وقوله: ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ اخْتُلِفَ في هذا الاستثناء، فقال بعض العلماء: إِنَّما استثنى من حيثُ إِنَّ كل واحد من الناس متى رَدَّ هذا الوعد إلى نفسه،/ أمكن أَنْ يتمّ الوعد فيه وأَلاَّ يتمّ؛ إِذ قد يموت الإِنسان أو يمرض لحينه، فلِذلك استثنى عز وجل في الجملة؛ إِذ فيهم - ولا بُدَّ - مَنْ يموتُ أو يمرض. ٨٤ أ

* ت *: وقد وقع ذلك حسبما ذكر في السِّيَرِ، وقال آخرون: هو أخذ من

---

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/١٣٨).

(٢) أخرجه الطبري (١١/٣٦٧) برقم: (٣١٦٠٢)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/٧٩).

(٣) أخرجه الطبري (١١/٣٦٧) برقم: (٣١٦٠١)، وذكره ابن عطية (٥/١٣٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/٧٩)، وعزاه للفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، والبيهقي في «الدلائل».

اللَّه تعالى [على عباده][1] بأدبه في استعمال الاستثناء في كل فعل.

* ت *: قال ثعلب: استثنى اللَّه تعالى فيما يعلم؛ ليستثنيَ الخَلْقُ فيما لا يعلمون، وقيل غير هذا، ولما نزلت هذه الآية عَلِمَ المسلمون أَنَّ تلك الرؤيا ستخرج فيما يستأنفونه من الزمان، فكان كذلك، فخرج ﷺ في العام المُقْبِلِ واعتمر.

وقوله سبحانه: ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾ يريد ما قَدَّرَهُ من ظهور الإسلام في تلك المدة ودخول الناس فيه.

وقوله: ﴿مِنْ دُونِ ذَلِكَ﴾ أي: من قبل ذلك، وفيما يدنو إليكم، واختلف في الفتح القريب، فقال كثير من العلماء: هو بيعة الرضوان وصُلْحُ الحديبية، وقال ابن زيد[2]: هو فتح خيبر.

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّه﴾ قال جمهور الناس: هو ابتداء وخبر، استوفى فيه تعظيمَ منزلة النبي ﷺ.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ ابتداء، وخبره: ﴿أَشِدَّاءُ﴾ و﴿رُحَمَاءُ﴾ خبر ثانٍ، وهذا هو الراجح؛ لِأَنَّهُ خبر مضاد لقول الكفار: «لا تكتب مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ»، ﴿والذين معه﴾ إشارة إلى جميع الصحابة عند الجمهور، وحكى الثعلبيُّ عن ابن عباس أَنَّ الإشارة إلى مَنْ شَهِدَ الحديبية[3].

* ت *: ووصف تعالى الصحابة بأَنَّهُمْ رحماء بينهم، وقد جاءت أحاديثُ صحيحةٌ في تراحم المؤمنين؛ حدثنا الشيخ وليُّ الدين العراقيُّ بسنده عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاصي أَنَّ رسولَ اللَّه ﷺ قال: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ؛ ارْحَمُوا مَنْ في الأَرْضِ / ٨٤ ب

(١) سقط في: د.
(٢) أخرجه الطبري (١١/٣٦٨) برقم: (٣١٦١٠)، وذكره ابن عطية (٥/١٤٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/٧٩)، وعزاه لابن جرير.
(٣) ذكره ابن عطية (٥/١٤٧).

يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ»[١] وأخرج الترمذيُّ من طريق أبي هريرة عن النبي ﷺ أَنَّهُ قال: «لاَ تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إِلاَّ مِنْ [قَلْبِ] شَقِيٍّ»[٢] وخَرَّجَ عن جرير بن عبد اللَّه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «مَنْ لاَ يَرْحَمِ النَّاسَ، لاَ يَرْحَمْهُ اللَّهُ»[٣] قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وهذا الحديث خَرَّجه مسلم عن جرير، وخَرَّجَ مسلم أيضاً من طريق أبي هريرةَ: «مَنْ لاَ يَرْحَمْ لاَ يُرْحَمْ»[٤] انتهى، وبالجملة: فأسباب الألفة والتراحم بين المؤمنين كثيرةٌ، ولو بأَنْ تَلْقَى أخاك بوجه طَلْقٍ، وكذلك بَذْلُ السلام وَطيِّبُ الكلام، فالمُوَفَّقُ لا يحتقر من المعروف شيئاً، وقد روى الترمذي الحكيم في كتاب «**ختم الأولياء**» له بسنده عن عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: «إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ كَانَ أَحَبُّهُمَا إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَحْسَنُهُمَا بِشْراً بِصَاحِبِهِ» أَوْ قَالَ: «أَكْثَرُهُمَا [بِشْراً] بِصَاحِبِهِ، فَإِذَا

---

(١) أخرجه أبو داود (٢/ ٧٠٣) كتاب «الأدب» باب: في الرحمة (٤٩٤١)، والترمذي (٤/ ٣٢٣ ـ ٣٢٤) كتاب «البر والصلة» باب: ما جاء في رحمة المسلمين (١٩٢٤)، وأحمد (٢/ ١٦٠)، والحاكم في «**المستدرك**» (٤/ ١٥٩)، والبيهقي (٩/ ٤١) كتاب «السير» باب: ما على الوالي من أمر الجيش، والحميدي (٢/ ٢٦٩) (٥٩١).
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه أبو داود (٢/ ٧٠٣) كتاب «الأدب» باب: في الرحمة (٤٩٤٢)، والترمذي (٤/ ٣٢٣) كتاب «البر والصلة» باب: ما جاء في رحمة المسلمين (١٩٢٣).
قال الترمذي: هذا حديث حسن.

(٣) أخرجه البخاري (١٠/ ٤٥٢) كتاب «الأدب» باب: رحمة الناس والبهائم (٦٠١٣)، ومسلم (٤/ ١٨٠٩) كتاب «الفضائل» باب: رحمته ﷺ الصبيان والعيال، وتواضعه وفضل ذلك (٦٦، ٦٦/ ٢٣١٩)، والطبراني (٢/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥) (٢٤٩١ ـ ٢٤٩٢ ـ ٢٤٩٣ ـ ٢٤٩٥)، والبيهقي (٨/ ١٦١) كتاب «قتال أهل البغي» باب: ما على السلطان من القيام فيما ولي بالقسط والنصح للرعية، والرحمة بهم، والشفقة عليهم والعفو عنهم ما لم يكن حداً، والحميدي (٢/ ٣٥١) (٨٠٢)، وأحمد (٤/ ٣٥٨، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٥، ٣٦٦).

(٤) أخرجه البخاري (١٠/ ٤٤٠) كتاب «الأدب» باب: من ترك صبية غيره حتى تلعب به، أو قبلها أو مازحها (٥٩٩٧)، ومسلم (٤/ ١٨٠٨ ـ ١٨٠٩) كتاب «الفضائل» باب: رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك (٦٥، ٦٥/ ٢٣١٨)، وأبو داود (٢/ ٧٧٧) كتاب «الأدب» باب: في قبلة الرجل ولده (٥٢١٨)، والترمذي (٤/ ٣١٨) كتاب «البر والصلة» باب: ما جاء في رحمة الولد (١٩١١)، والبخاري في «**الأدب المفرد**» (٣٥) (٩١)، وابن حبان (٢/ ٢٠٢) كتاب «البر والإحسان» باب: الرحمة (٤٥٧، ٤٦٣)، (١٢/ ٤٠٦ ـ ٤٠٧) كتاب «الحظر والإباحة» باب: ذكر الإباحة أن يقبل الرجل ولده، وولد ولده وما بعده (٥٥٩٤، ٥٥٩٦)، (١٥/ ٤٣١) كتاب «إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة» باب: ذكر ملاعبة المصطفى ﷺ للحسين بن علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه (٦٩٧٥)، وأحمد (٢/ ٢٢٨، ٢٤١، ٢٦٩، ٥١٤).
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

تَصَافَحَا، أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا مِائَةَ رَحْمَةٍ، تِسْعُونَ مِنْهَا لِلَّذِي بَدَأَ، وَعَشَرَةٌ لِلَّذِي صُوفِحَ»[١]، انتهى.

وقوله: ﴿تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً﴾ أي: ترى هاتين الحالتين كثيراً فيهم و﴿يبتغون﴾: معناه: يطلبون.

وقوله سبحانه: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ﴾ قال مالك بن أنس: كانت جِبَاهُهُم مَتْرِبَةً من كثرة السجود في التراب؛ وقاله عِكْرِمَةُ، ونحوه لأبي العالية[٢]، وقال ابن عباس وخالد الحنفي/ وعطية: هو وعد بحالهم يومَ القيامة من اللَّه تعالى، يجعل لهم نوراً من ٨٥أ
أَثر السجود[٣]، قال * ع[٤] *: كما يجعل غُرَّةً من أثر الوضوء، حسبما هو في الحديث، ويؤيد هذا التأويلَ اتصالُ القولِ بقوله: «فَضْلاً مِنَ اللَّهِ» وقال ابن عباس: السَّمْتُ الحَسَنُ هو السيما، وهو خشوع يبدو على الوجه[٥]، قال * ع[٦] *: وهذه حالةُ مُكْثِرِي الصلاةَ؛ لأَنَّها تنهاهم عن الفحشاء والمنكر، وقال الحسن بن أبي الحسن، وشِمْرُ بن عَطِيَّةَ: «السيما»: بَيَاضٌ وصُفْرَةٌ وتَبْهِيجٌ يعتري الوجوهَ من السَّهَرِ[٧]، وقال عطاء بن أبي رباح، والربيع بن أنس: «السِّيمَا»: حُسْنٌ يعتري وُجُوهَ المُصَلِّينَ[٨]، قال * ع[٩] *: ومن هذا الحديثُ الذي في «الشِّهاب»: «مَنْ كَثُرَتْ صَلاَتُهُ بِاللَّيْلِ حَسُنَ وَجْهُهُ

---

(١) ذكره المتقي الهندي في «كنز العمال» (٩/ ١١٤) (٢٥٢٤٥)، وعزاه لأبي الشيخ، والحكيم الترمذي عن عمر.

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٣٧١) عن عكرمة برقم: (٣١٦٣٢)، وذكره البغوي (٤/ ٢٠٦) عن عكرمة، وأبي العالية، وابن عطية (٥/ ١٤١).

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٣٧٠) عن ابن عباس برقم: (٣١٦١٣)، وعن خالد الحنفي برقم: (٣١٦١٤)، وذكره البغوي (٤/ ٢٠٦) عن ابن عباس، وابن عطية (٥/ ١٤١)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٨٢)، وعزاه للبخاري في «تاريخه»، وابن نصر عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما.

(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ١٤١).

(٥) أخرجه الطبري (١١/ ٣٧٠) برقم: (٣١٦٢١)، وذكره البغوي (٤/ ٢٠٦)، وابن عطية(٥/ ١٤١)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٠٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٨١)، وعزاه لمحمد بن نصر في كتاب «الصلاة»، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «سننه».

(٦) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ١٤١).

(٧) أخرجه الطبري (١١/ ٣٧١) عن الحسن برقم: (٣١٦٢٨)، وعن شمر بن عطية برقم: (٣١٦٣٠)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٤١).

(٨) ذكره البغوي (٤/ ٢٠٦)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٤١).

(٩) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ١٤١).

بِالنَّهَارِ»[١] قال * ع[٢] *: وهذا حديث غَلِطَ فيه ثابت بن موسى الزاهد، سَمِعَ شَرِيكَ بنَ عبد اللَّه يقول: حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ عن أبي سفيانِ، عن جابر، ثم نزع شريك لما رأى ثابتاً الزاهد فقال يعنيه: مَنْ كَثُرَتْ صَلاَتُهُ بِاللَّيْلِ، حَسُنَ وَجْهُهُ بِالنَّهَارِ، فَظَنَّ ثابت أَنَّ هذا الكلام حديث متركِّب على السند المذكور، فَحَدَّثَ به عن شريك.

* ت *: واعلم أَنَّ اللَّه سبحانه جعل حُسْنَ الثناء علامةً على حسن عُقْبَى الدار، والكون في الجنة مع الأبزار، جاء بذلك صحيح الآثار عن النبي المختار؛ ففي «**صحيح البخاريِّ**» و«**مسلم**» عن أنس قالَ: «مَرُّوا بِجَنَازَةٍ فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا خَيْراً، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وَجَبَتْ، ثُمَّ مَرُّوا بِأُخْرَىٰ فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ:/ وَجَبَتْ، فَقَالَ عُمَرُ: مَا وَجَبَتْ؟ فَقَالَ: هَذا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْراً فَوَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ، وَهَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا فَوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ في الأَرْضِ»[٣]، انتهى، ونقل صاحب «**الكوكب الدُّرِّيِّ**» من مسند البَزَّارِ عنِ النبيِّ ﷺ أَنَّه قال: «يُوشِكُ أَنْ تَعْرِفُوا أَهْلَ الجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِمَ؟ قَالَ: بالثَّنَاءِ الحَسَنِ وَالثَّنَاءِ السَّيِّىءِ»[٤]، انتهى، ونقله صاحب كتاب «**التشوُّف إلى رجال التصوُّف**» وهو الشيخ الصالح أبو يعقوب يوسف بن يحيى التاذلي، عن ابن أبي شيبةَ، ولفظه: وخَرَّجَ

٨٥ ب

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١/ ٤٢٢) كتاب «إقامة الصلاة والسنة فيها» باب: ما جاء في قيام الليل (١٣٣٣)، والخطيب في «**تاريخ بغداد**» (١/ ٣٤١) (٢٥٧)، (١٣/ ٣٨) (٦٩٩٥)، وابن الشجري في «**أماليه**» (١/ ٢٠٥، ٢٠٨).
قال العجلوني في «**كشف الخفاء ومزيل الإلباس**» (٢/ ٣٣٨) (٢٥٨٧): لا أصل له، وإن روي من طرق عند ابن ماجه بعضها عن جابر، وأورد الكثير منها عن القضاعي وغيره، قال: ولكن قرأت بخط شيخنا في بعض أجوبته أنه ضعيف، بل قواه بعضهم؛ والمعتمد الأول، وأطنب ابن عدي في رده، قال ابن طاهر: ظن القضاعي أن الحديث صحيح لكثرة طرقه، وهو معذور؛ لأنه لم يكن حافظاً انتهى.
واتفق أئمة الحديث: ابن عدي، والدارقطني، والعقيلي، وابن حبان، والحاكم على أنه من قول شريك لثابت، وقال ابن عدي: سرقه جماعة من ثابت، كعبد اللَّه بن شبرمة الشريكي، وعبد الحميد بن بحر، وغيرهما، وقال ابن حجر المكي في «**الفتاوى**»: أطبقوا على أنه موضوع، مع أنه في «**سنن ابن ماجه**».

(٢) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٥/ ١٤١).

(٣) أخرجه البخاري (٣/ ٢٧٠) كتاب «الجنائز» باب: ثناء الناس على الميت (١٣٦٧) (٥/ ٢٩٩) كتاب «الشهادات» باب: تعديل كم يجوز؟ (٢٦٤٢)، ومسلم (٢/ ٦٥٥) كتاب «الجنائز» باب: فيمن يتسنى عليه خير أو شر (٦٠، ٦٠/ ٩٤٩)، وابن ماجه (١/ ٤٧٨) كتاب «الجنائز» باب: ما جاء في الثناء على الميت (١٤٩١).

(٤) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٤١١) كتاب «الزهد» باب: الثناء الحسن (٤٢٢١)، والبيهقي (١٠/ ١٢٣) كتاب «آداب القاضي» باب: اعتماد القاضي على تزكية المشركين وجرحهم، والحاكم (١/ ١٢٠).
قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد.

أبو بكر بن أبي شيبةَ أَنَّهُ قال ﷺ في خُطْبَتِهِ: «تُوشِكُوا أَنْ تَعْرِفُوا أَهْلَ الجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَوْ قَالَ: خِيَارَكُمْ مِنْ شِرَارِكُمْ، قَالُوا: بِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: بِالثَّنَاءِ الحَسَنِ، وَبِالثَّنَاءِ السَّيِّىءِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ»[1]. ومن كتاب «**التشوُّف**» قال: وخَرَّجَ البزَّارُ عن أنس قال: «قيل: يا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَهْلُ الجَنَّةِ؟ قال: مَنْ لاَ يَمُوتُ حَتَّىٰ تُمْلأَ مَسَامِعُهُ مِمَّا يُحِبُّهُ، قِيلَ: فَمَنْ أَهْلُ النَّارِ؟ قَالَ: مَنْ لاَ يَمُوتُ حَتَّى تُمْلأَ مَسَامِعُهُ مِمَّا يَكْرَهُ» قال: وخَرَّج البَزَّارُ عن أبي هريرةَ «أَنَّ رجلاً قال: يا رَسُولَ اللَّهِ، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ أَدْخُلُ بِهِ الجَنَّةَ، قَالَ: لاَ تَغْضَبْ، وَأَتَاهُ آخَرُ، فَقَالَ: مَتَىٰ أَعْلَمُ أَنِّي مُحْسِنٌ؟ قَالَ: إِذَا قَالَ جِيرَانُكَ: إِنَّكَ مُحْسِنٌ، فَإِنَّكَ مُحْسِنٌ، وَإِذَا قَالُوا: إِنَّكَ مُسِيءٌ، فَإِنَّكَ مُسِيءٌ»[2] انتهى، ونقل القرطبي في «**تذكرته**» عن عبد اللَّه بن السائب قال: مَرَّتْ جنازةٌ بابن مسعود فقال لرجُلٍ: قُمْ فانظرْ أَمِنْ أهل الجنَّةِ هُوَ أَمْ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فقال الرجل: ما يُدْرِينِي أمِنْ أهل الجنة هو أَمْ مِنْ أهل النار؟ قال: انظر ما ثَنَاءُ الناسِ عليه، فأنتم شهداءُ اللَّه في الأرض،/ انتهى وباللَّه التوفيق، وإياه نستعين. ٨٦أ

وقوله سبحانه: ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ...﴾ الآية: قال مجاهد وجماعة من المتأولين: المعنى: ذلك الوصف هو مَثَلُهُمْ في التوراة ومثلهم في الإنجيل[3]، وتم القول، و﴿كَزَرْعٍ﴾ ابتداءُ تمثيل، وقال الطبريُّ وحكاه عن الضَّحَّاك[4]: المعنى: ذلك الوصف هو مثلهم في التوراة، وتَمَّ القولُ، ثم ابتدأ ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ﴾[5].

* ت *: وقيل غير هذا، وأبينها الأَوَّلُ، وما عداه يفتقر إلى سند يقطع الشك.

وقوله تعالى: ﴿كَزَرْعٍ﴾ على كل قول هو مَثَلٌ للنبيِّ ـ عليه السلام ـ وأصحابِهِ في أَنَّ النبي ـ عليه السلام ـ بُعِثَ وَحْدَهُ فكان كالزرع حَبَّةً واحدة، ثم كَثُرَ المسلمون فهم كالشطء، وهو فراخ السُّنْبُلَةِ التي تنبت حول الأصل؛ يقال: أشطأتِ الشجرةُ: إذا أخرجت غُصُونَها، وأشطأ الزرع: إذا أخرج شطأه، وحكى النقاش عن ابن عباس أَنَّهُ قال: الزَّرْعُ: النَّبِيُّ ﷺ، ﴿فَآزَرَهُ﴾: عليُّ بن أبي طالب، ﴿فاستغلظ﴾ بأبي بكر، ﴿فاستوى على سوقه﴾ بعمر بن الخطاب.

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٤٦٦)، والبيهقي (١٠/ ١٢٣) كتاب «آداب القاضي» باب: اعتماد القاضي على تزكية المشركين وجرحهم.

(٢) تقدم تخريجه شاهداً لحديث: «لا تغضب».

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٣٧٣) برقم: (٣١٦٤١)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٤٢).

(٤) ينظر: «**تفسير الطبري**» (١١/ ٣٧٢).

(٥) أخرجه الطبري (١١/ ٣٧٢) برقم: (٣١٦٣٥)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٤٢).

* ت *: وهذا لَيِّنُ الإِسناد والمتن، كما ترى، واللَّه أعلم بِصِحَّتِهِ[١].

وقوله تعالى: ﴿فآزره﴾ له معنيان:

أحدهما: ساواه طولاً.

والثَّاني: أنَّ: «آزره» و«وَازَرَهُ» بِمعنى: أعانه وَقَوَّاهُ؛ مأخوذٌ من الأَزْرِ، وفَاعِلُ «آزر» يحتملُ أنْ يكون الشَّطْءَ، ويحتمل أَنْ يكون الزَّرْعَ.

وقوله تعالى: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الكُفَّارُ﴾ ابتداء كلام قبله محذوف، تقديره: جعلهم اللَّه بهذه الصفة؛ ليغيظ بهم الكفار، قال/ الحسن: مِنْ غَيْظِ الكُفَّارِ قولُ عُمَرَ بِمَكَّةَ: لاَ يُعْبَدُ اللَّهُ سِرّاً بَعْدَ الْيَوْمِ[٢]. ٨٦ ب

وقوله تعالى: ﴿منهم﴾ هي لبيان الجنس، وليست للتبعيض؛ لأَنَّه وعد مرجٍ للجميع.

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ١٤٢).

(٢) ذكره البغوي (٤/ ٢٠٦)، وابن عطية (٥/ ١٤٣).

تفسيرُ سُورَةِ «الحُجُرَاتِ»

وهِيَ مَدَنِيَّةٌ بِإجْمَاعٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٣﴾

قوله عز وجل: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ. . .﴾ الآية: قال ابن زيد: معنى: ﴿لا تقدموا﴾ لا تمشوا[1]، **وقرأ** ابن عباس، والضَّحَّاكُ، ويعقوب: ـ بفتح التاءِ والدال[2] ـ، على معنى: لا تَتَقَدَّمُوا، وعلى هذا يجيء تأويل ابن زيد، والمعنى على ضم التاء: بين يدي قولِ اللَّه ورسوله، ورُوِيَ أَنَّ سَبَبَ هذه الآية أَنَّ وفد بني تميم لما قَدِمَ، قال أبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ـ رضي اللَّه عَنْهُ ـ: يا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ أَمَرْتَ الْقَعْقَاعَ بنَ مَعْبَدٍ؟ وَقَالَ عُمَرُ: لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَلْ أَمِّرِ الأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: مَا أَرَدْتَ إِلا خِلافي، فَقَالَ عُمَرُ: مَا أَرَدْتُ خِلاَفَكَ، وَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا، فَنَزَلَتِ الآيةُ، وذهب بعض قَائِلِي هذه المَقَالَةِ إِلَىٰ أَنَّ قوله: ﴿لا تقدموا﴾: أي: وُلاَةً، فهو من تقديم الأمراء، وعموم اللفظ أحسن، أي: اجعلوه مبدأ في الأَقوال والأَفعال، وعبارة البخاريِّ: وقال مجاهد: «لا تقدموا»: لا تَفْتَاتُوا على رسول اللَّه ﷺ حتى يقضيَ اللَّه عز وجل على لسانه، انتهى[3].

وقوله سبحانه: ﴿لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ﴾ الآية، هي أيضاً في هذا الفنِّ المتقدِّم؛ فرُوِيَ أَنَّ سببها ما تقدم عن أبي بكر وعمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ والصحيح أَنَّها نزلت بسبب عادة الأَعراب من الجَفَاءِ وعُلُوِّ الصَّوْتِ، وكان ثابت بن قيس بن شماس ـ رضي اللَّه عنه ـ مِمَّنْ

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ١٤٤).

(٢) ينظر: «**المحتسب**» (٢/ ٢٧٨)، و«**المحرر الوجيز**» (٥/ ١٤٤)، و«**البحر المحيط**» (٨/ ١٠٥)، وزاد نسبتها إلى أبي حيوة، وابن مقسم، وهي في «**الدر المصون**» (٦/ ١٦٨).

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٣٧٧) برقم: (٣١٦٥٩)، وذكره البغوي (٤/ ٢٠٩)، وابن كثير في «**تفسيره**» (٤/ ٢٠٥)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ٨٦)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن مردويه، والبيهقي في «**شعب الإيمان**».

٨٧أ في صوته/ جهارة فلما نزلت هذه الآية اهْتَمَّ وخاف على نفسه، وجلس في بيته لم يخرج، وهو كئيب حزين حتى عَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ خبره فبعث إليه، فآنسه، وقال له: «امْشِ في الأَرْضِ بَسطاً؛ فإِنَّكَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ»، وَقَالَ لَهُ مَرَّةً: «أَمَا تَرْضَىٰ أَنْ تَعِيشَ حَمِيداً، وَتَمُوتَ شَهِيداً؟»[1] فعاش كذلك، ثم قُتِلَ شَهِيداً بِاليَمَامَةِ يَوْمَ مُسَيْلَمَةَ.

* ت *: وحديث ثابت بن قيس وتبشيره بالجنة خَرَّجَهُ البخاريُّ، وكذلك حديث أبي بكر وعمر وارتفاع أصواتهما خَرَّجه البخاريُّ أيضاً، انتهى.

وقوله: ﴿كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ أي: كحال أحدكم في جفائه، فلا تنادوه باسمه: يا محمد، يا أحمد؛ قاله ابن عباس وغيره[2]، فأمرهم اللَّه بتوقيره، وأنْ يدعوه بالنبوَّةِ والرسالة، والكلام اللَّيِّنِ، وكَرِهَ العلماءُ رفعَ الصوت عند قبرِ النبي ﷺ وبحضرة العَالِمِ وفي المساجد، وفي هذه كلها آثار؛ قال ابن العربيِّ في **«أحكامه»**[3]: وحُرْمَةُ النبي ﷺ مَيِّتاً كحرمته حَيًّا، وكلامه المأثور بعد موته في الرِّفْعَةِ مِثْلُ كلامه المسموع من لفظه، فإذا قُرِئَ كلامُه وجب على كل حاضر ألاَّ يرفعَ صوتَهُ عليه، ولا يُعْرِضَ عنه، كما كان يلزمه ذلك في مجلسه عند تَلَفُّظِهِ بِهِ، وقد نَبَّهَ اللَّه تعالى على دوام الحُرْمَةِ المذكورة على مرور الأزمنة بقوله: ﴿وَإِذَا قُرِئَ القُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ [الأعراف: ٢٠٤] وكلام النبي ﷺ هو من الوحي، وله من الحُرْمَةِ مِثْلُ ما للقرآن، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿أَنْ تَحْبَطَ﴾ مفعول من أجله، أي: مخافةَ أَنْ تحبطَ، ثم مدح سبحانه
٨٧ب الذين يَغُضّون/ أصواتهم عند رسول اللَّه، وغَضُّ الصوت خَفْضُهُ وكَسْرُهُ، وكذلك البصر، ورُوِيَ: أَنَّ أبا بكر وعمر كانا بعد ذلك لا يُكَلِّمان رسول اللَّه ﷺ إلاَّ كَأَخِي السِّرَارِ، وأَنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يحتاج مع عمر بعد ذلك إلى استعادة اللفظ؛ لأَنَّهُ كان لا يسمعه من إخفائه إيَّاه[4]، و﴿امتحن﴾ معناه: اختبر وطَهَّرَ كما يُمْتَحَنُ الذهبُ بالنار، فَيَسَّرَهَا وهَيَّأها للتقوى، وقال عمر بن الخطاب: امتحنها للتقوى: أذهب عنها الشهوات[5].

---

(١) أخرجه الحاكم (٣/ ٢٣٤)، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.
(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ١٤٥).
(٣) ينظر: **«أحكام القرآن»** (٤/ ١٧١٤ ـ ١٧١٥).
(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٣٨٠) برقم: (٣١٦٧٣)، وذكره البغوي (٤/ ٢١٠)، وابن عطية (٥/ ١٤٥)، وابن كثير في **«تفسيره»** (٤/ ٢٠٦)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٦/ ٨٦)، وعزاه للبزار، وابن عدي، والحاكم، وابن مردويه عن أبي بكر الصديق رضي اللَّه عنه.
(٥) ذكره ابن عطية (٥/ ١٤٥)، وابن كثير في **«تفسيره»** (٤/ ٢٠٦)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٦/ ٨٩)، وعزاه لأحمد في **«الزهد»** عن مجاهد.

قال * ع[1] *: من غَلَبَ شهوتَه وغضبَه فذلك الذي امتحن اللَّه قلبه للتقوى، وبذلك تكونُ الاستقامة، وقال البخاريُّ: ﴿امتحن﴾: أخلص، انتهى.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ نزلت في وفد بني تميم وقولِهِمْ: يا محمدُ، اخرج إلينا، يا محمد، اخرج إلينا، وفي مصحف ابن مسعود: «أَكْثَرُهُمْ بَنُو تَمِيمٍ لاَ يَعْقِلُونَ» وباقي الآية بَيِّنٌ.

وقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ وقُرِىءَ «فَتَثَبَّتُوا» رُوِيَ في سبب الآية: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ الْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ بْن أبي مُعَيْطٍ إِلَى بَنِي الْمُصْطَلِقِ مُصَدِّقاً، فَلَمَّا قَرُبَ مِنْهُمْ خَرَجُوا إِلَيْهِ، فَفَزِعَ مِنْهُمْ، وظَنَّ بِهِمْ شَرًّا، فَرَجَعَ، وقال للنبيِّ ﷺ: قَدْ مَنَعُونِي الصَّدَقَةَ، وَطَرَدُونِي، وَٱرْتَدُّوا، فَغَضِبَ النَّبِيُّ ﷺ وَهَمَّ بِغَزْوِهِمْ، فَوَرَدَ وَفْدُهُمْ مُنْكِرِينَ لِذَلِكَ»[2]، ورُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا قَرُبَ مِنْهُمْ بَلَغَهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ قَالُوا: لاَ نُعْطِيهِ الصَّدَقَةَ وَلا نُطِيعُهُ، فقال ما ذكرناه فنزلَتِ الآية، و﴿أَنْ تُصِيبُوا﴾ معناه: مخافة أَنْ/ تصيبوا، ٨٨أ
قال قتادة: وقال النبي ﷺ عندما نزلت هذه الآية: «التَّثَبُّتُ مِنَ اللَّهِ وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ»[3].

---

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ١٤٦).

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٣٨٣ ـ ٣٨٤) برقم: (٣١٦٨٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٩٢)، وعزاه إلى ابن مُنْدَه، وابن مردويه.

(٣) أخرجه البيهقي (١٠/ ١٠٤) كتاب «آداب القاضي» باب: التثبت في الحكم، وأبو يعلى (٧/ ٢٤٧ ـ ٢٤٨)، (١٥٠١/ ٤٢٥٦).
قال الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٢٢): رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح.
قلت: فيه سعد بن سنان، ويقال له: سنان بن سعد، وقد قال المزي في «تهذيب الكمال»: وقال أبو حاتم بنُ حِبَّان في كتاب «الثِّقات»: حَدَّث عنه المِصْرِيُّون، وهم مُختلفون فيه، وأرجو أن يكونَ الصَّحيح سِنان بنُ سَعْد، وقد اعتبرتُ حديثه، فرأيتُ ما روي عن سِنان بن سَعْد يشبه أحاديثَ الثِّقات، وما روي عن سعْد بن سِنان، وسَعيد بن سِنان فيه المناكير، كأنَّهما اثنان، فاللَّه أعلم.
وقال أبو عُبيد الآجُرِيُّ: سألتُ أبا داود عن سِنان بن سَعْد، فقال: كان أحمد لا يكتبُ حديثَه. =

وقوله سبحانه: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ توبيخ للكذبة، والعَنَتُ: المشقة.

وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ رجوع من الخطاب إلى الغيبة، كأنه قال: ومنِ اتصف بما تقدم من المحاسن أولئك هم الراشدون.

وقوله سبحانه: ﴿فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً﴾ أي: كان هذا فضلاً من اللَّه ونعمةً، وكان قتادة ـ رحمه اللَّه ـ يقول: قد قال اللَّه تعالى لأصحاب محمد ـ عليه السلام ـ: ﴿واعلموا أَنَّ فيكم رسول اللَّه لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم﴾ وأنتم واللَّه أسخف رأياً، وأطيش أحلاماً، فَلْيَتَّهِمَ رَجُلٌ نفسَه، ولينتصح كتاب اللَّه تعالى[1].

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ سبب الآية ـ في قول الجمهور ـ هو ما وقع بين المسلمين المتحزبين في قضية عَبْد اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ حين مَرَّ به النبيُّ ﷺ راكباً على حماره مُتَوَجِّهاً إلى زيارة سعد بن عبادَةَ في مرضه، حسبما

= قال أبو داود: قلتُ لأحمد بن صالح: سِنان بن سَعْد سمِع أَنَساً؟ فغضِبَ مِن إجلالِهِ له.
وقال عبد اللَّه بن أحمد بن حَنْبَلَ، عن أبيهِ: تركتُ حديثَه؛ لأن حديثَه مُضطرِب، غير محفوظ. قال: وسمِعته مرةً أخرى يقول: يشبه حديثُه حديثَ الحَسَن، لا يشبه حديثَ أنس.
وقال أحمد بنُ أبي يَحيى، عن أحمد بن حَنْبَل: لم أكتُب أحاديثَ سِنان بن سَعْد؛ لأنَّهم اضطَربوا فيها، فقال بعضُهم: سَعْد بن سِنان، وبعضُهم: سِنان بن سَعْد.
وقال محمَّد بنُ علي الوَرَّاق، عن أحمد بن حَنْبَل: روى خمسةَ عَشر حديثاً منكرة كلَّها، ما أعرِف منها واحداً.
وقال أبو بكر بن أبي خَيْثَمَة. سألتُ يحيى بن مَعين عن سَعْد بن سِنان الذي روى عنه يَزيد بنُ أبي حِبيْب، فقال: ثقةٌ.
وقال إبراهيم بنُ يعقوب الجُوْزَجانيُّ: أحاديثُهُ واهيةٌ، لا تشبه أحاديثَ النَّاسِ عن أَنَس.
وقال النَّسائيُّ: منكرُ الحديثِ.
وقال أبو أحمد بنُ عَدِيّ: وهذهِ الأحاديثُ يحمِل بعضُها بَعْضاً، وليس هذه الأحاديث ممَّا يجب أن يترك أصلاً، كما ذكر ابنُ حَنْبَل: أنه تَرَكَ هذه الأحاديث.
روى له البُخاريُّ في «الأدب»، وأبو داود، والتِّرمذيُّ، وابنُ ماجه.

(١) أخرجه الطبري (١١/٣٨٦) برقم: (٣١٦٩٣)، وذكره ابن عطية (٥/١٤٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/٩٤)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير.

هو معلوم في الحديث الطويل، ومدافعة الفئة الباغية مُتَوَجِّهَةٌ في كل حال، [وأَمَّا التَهَيُّؤُ] لقتالهم فمع الولاة، وقال النبي ﷺ: «حَكَمَ اللَّهُ في الْفِئَةِ البَاغِيَةِ أَلاَّ يُجْهَزَ عَلَىٰ جَرِيحِهَا، وَلا يُطْلَبَ هَارِبُهَا، وَلاَ يُقْتَلَ أَسِيرُهَا، وَلاَ يُقْسَمَ فَيْئُهَا»[1] و﴿تفيء﴾ معناه: ترجع، **وقرأ** الجمهور: «بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ» وذلك؛ رعايةً لحال أَقَلِّ عدد يقع فيه القتال والتشاجر، **وقرأ** ابن عامر: «بَيْنَ إِخْوَتِكُمْ»[2] **وقرأ** عاصم الجَحْدَرِيُّ: «بَيْنَ إِخْوَانِكُمْ»[3] وهي قراءة حسنة؛ لأَنَّ الأكثر في جمع الأخ في الدِّينِ ونحوه من غير النسب/ : «إِخْوَان»، والأكثر في جمعه من النسب: «إِخْوَة» و«آخَاء»، وقد تتداخل هذه الجموعُ، وكُلُّها في كتاب اللَّه. ٨٨ ب

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿يأيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ﴾ الآية: هذه الآية والتي بعدها نزلت في خُلُقِ أهل الجاهلية؛ وذلك أَنَّهم كانوا يجرون مع شهواتِ نفوسهم، لم يقومهم أمر من اللَّه ولا نهي، فكان الرجل يسخر، ويلمز، وينبز بالألقاب، ويَظُنُّ الظنونَ، ويتكلم بها، ويغتاب، ويفتخر بنسبه، إلى غير ذلك من أخلاق النفوس البطَّالة، فنزلت هذه الآية؛ تأديباً لهذه الأُمَّةِ، وروى البخاريُّ ومسلم والترمذيُّ واللفظ له عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ، لاَ يَخُونُهُ وَلاَ يَكْذِبُهُ، وَلاَ يَخْذُلُهُ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ حَرَامٌ: عِرْضُهُ، وَمَالُهُ، وَدَمُهُ، التَّقْوَى ههنا، بِحَسْبِ ٱمْرِىءٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْتَقِرَ

---

(١) ذكره الهيثمي في «**مجمع الزوائد**» (٦/ ٢٤٦)، وقال: رواه البزار، والطبراني في «**الأوسط**»، وقال لا يروى عن النبي ﷺ إلا بهذا الإسناد، وفيه كوثر بن حكيم، وهو ضعيف.

(٢) ينظر: «**السبعة**» (٦٠٦)، و«**الحجة**» (٦/ ٢٠٧)، و«**معاني القراءات**» (٣/ ٢٤)، و«**شرح الطيبة**» (٦/ ١٥)، و«**حجة القراءات**» (٦٧٥)، و«**إتحاف**» (٢/ ٤٨٦).

(٣) وقرأ بها زيد بن ثابت، وابن مسعود، والحسن، وابن سيرين. قال ابن خالويه: وسمعت ابن مجاهد يقول: روى عبد الوارث عن أبي عمرو أنه كان ربما قرأ «بين إخوتكم»، وربما قرأ بالنون «إخوانكم»، وربما قرأ بالياء «بين أخويكم».
ينظر: «**الشواذ**» ص: (١٤٤)، و«**المحتسب**» (٢/ ٢٧٨)، و«**المحرر الوجيز**» (٥/ ١٤٩)، وزاد نسبتها إلى حماد بن سلمة.
وينظر: «**البحر المحيط**» (٨/ ١١١)، وزاد نسبتها إلى ثابت البناني. وهي في «**الدر**» (٦/ ١٧٠).

أَخَاهُ الْمُسْلِمَ»[١] انتهى، ويسخر معناه: يستهزىء، وقد يكون ذلك المُسْتَهْزَأُ به خيراً من الساخر، والقوم في كلام العرب واقع على الذُّكْرَان، وهو من أسماء الجَمْع؛ ومن هذا قول زُهَيْر: [من الوافر]

وَمَا أَدْرِي وَسَوْفَ إِخَالُ أَدْرِي أَقَوْمٌ آلُ حِصْنٍ أَمْ نِسَاءُ[٢]

وهذه الآية أيضاً تقتضي اختصاص القوم بالذكران، وقد يكون مع الذكران نساء، فيقال لهم قوم؛ على تغليب حال الذكور، و﴿تَلْمِزُوا﴾ معناه: يطعن بعضُكم على بعض بذكر النقائص ونحوه، وقد يكون اللَّمْزُ بالقول وبالإشارة ونحوه مِمَّا يفهمه آخر، والهَمْزُ لا يكون إلاَّ باللسان، وحكى الثعلبيُّ أَنَّ اللمز ما كان في المشهد، والهَمْزَ ما كان في المغيب، وحكى الزهراويُّ عكس ذلك.

وقوله تعالى: ﴿أَنْفُسَكُمْ﴾ معناه: بعضكم بعضاً؛ كما قال تعالى: ﴿أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٦٦] كأنَّ المؤمنين كنفس واحدة، إذ هم/ إخوة؛ كما قال ﷺ: «كَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَىٰ سَائِرُهُ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّىٰ»[٣]، وهم كما قال أيضاً: «كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً»، والتنابز: التَّلَقُّبُ، والتَّنَبُزُ واللقب واحدٌ، واللقب ـ يعني المذكور في الآية ـ هو: ما يُعْرَفُ به الإنسان من الأسماء التي يَكْرَهُ سماعَهَا، وليس من هذا قول المُحَدِّثِينَ: سليمان الأعمش، وواصل الأحدب ونحوه مِمَّا تدعو الضرورة إليه، وليس فيه قصد استخفاف وأذى، وقال ابن زيد: معنى: ﴿ولا تنابزوا بالألقاب﴾ أي: لا يَقُلْ أحد لأحد: يا يهوديُّ، بعد إسلامه، ولا: يا فاسقُ، بعد توبته، ونحو هذا. ٨٩أ

وقوله سبحانه: ﴿بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ﴾ يحتمل معنيين:

أحدهما: بئس اسم تكتسبونه بعصيانكم ونبزكم بالألقاب فتكونون فُسَّاقاً بالمعصية بعد إيمانكم.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) ينظر: «**ديوانه**» ص: (٧٣)، و«**الاشتقاق**» ص: (٤٦)، و«**جمهرة اللغة**» ص: (٩٧٨)، و«**الدرر**» (٢/ ٢٦١، ٤/ ٢٨، ٥/ ١٢٦)، و«**شرح شواهد الإيضاح**» ص: (٥٠٩)، و«**شرح شواهد المغني**» ص: (١٣٠، ٤١٢)، والصاحبي في «**فقه اللغة**» ص: (١٨٩)، و«**مغني اللبيب**» ص: (٤١، ١٣٩، ٣٩٣، ٣٩٨)، وبلا نسبة في «**همع الهوامع**» (١/ ١٥٣، ٢٤٨، ٢/ ٧٢).

(٣) أخرجه البخاري (١٠/ ٤٥٢) كتاب «الأدب» باب: رحمة الناس والبهائم (٦٠١١)، ومسلم (٤/ ١٩٩٩ ـ ٢٠٠٠) كتاب «البر والصلة والآداب» باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم (٦٦، ٦٦/ ٢٥٨٥).

والثاني: بئس قول الرجل لأخيه: يا فاسق بعد إيمانه؛ وعن حذيفةَ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: شَكَوْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَرَبَ لِسَانِي، فَقَالَ: «أَيْنَ أَنْتَ مِنَ الاسْتِغْفَارِ؟! إِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ»(١) رواه النسائي واللفظ له، وابن ماجه، والحاكم في «**المُسْتَدْرَكِ**»، وقال: صحيحٌ على شرط مسلم، وفي رواية للنسائي: «إِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ في الْيَوْمِ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ»(٢)، والذَّرَبُ ـ بفتح الذال والراء ـ هو الفُحْشُ، انتهى من «**السلاح**»، ومنه عن ابن عمر: «إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ في المَجْلِسِ الوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ: رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمِ»(٣) رَوَاه أبو داود، وهذا لفظه، والترمذي والنسائي،/ وابن ماجه، وابن حبان في «**صحيحه**»، وقال الترمذيُّ: حسن صحيح غريب، انتهى. ٨٩ ب

ثم أمر تعالى المؤمنين باجتناب كثير من الظن، وألاَّ يعملوا ولا يتكلموا بحسبه؛ لما في ذلك وفي التجسس من التقاطُع والتَّدَابُرِ، وحكم على بعضه أنَّه إثم، إذ بعضُه ليس بإثم، والظَّنُّ المنهيُّ عنه هو أَنْ تَظُنَّ شرًّا برجل ظاهره الصلاح، بلِ الواجب أنْ تزيل الظن وحكمه، وتتأوَّلَ الخيرَ؛ قال * ع(٤) *: وما زال أولو العزم يحترسون من سُوءِ الظنِ، ويجتنبون ذرائعه، قال النوويُّ: واعلم أَنَّ سوء الظن حرام، مثل القول، فكما يَحْرُمُ أَنْ تحدِّثَ غيرَك بمساوىء إنسان ـ يَحْرُمُ أَنْ تحدث نفسَك بذلك، وتسيءَ الظَّنَّ به؛ وفي الصحيح عنه ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ؛ فَإِنَّهُ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ»(٥) والأحاديث بمعنى ما ذكرناه

---

(١) أخرجه النسائي (٦/ ١١٧) ـ «**الكبرى**» كتاب «عمل اليوم والليلة» باب: ما يقول من كان ذرب اللسان (١٠٢٨٤/ ٣)، وابن ماجه (٢/ ١٢٥٤) كتاب «الأدب» باب: الاستغفار (٣٨١٧)، والحاكم (١/ ٥١١) نحوه.
قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه النسائي (٦/ ١١٧)، كتاب «عمل اليوم والليلة» باب: ما يقول من كان ذرب اللسان (١٠٢٨٢/ ١).

(٣) أخرجه أبو داود (١/ ٤٧٥) كتاب «الصلاة» باب: في الاستغفار (١٥١٦)، والترمذي (٥/ ٤٩٤ ـ ٤٩٥) كتاب «الدعوات» باب: ما يقول إذا قام من المجلس (٣٤٣٤)، وابن ماجه (٢/ ١٢٥٣) كتاب «الأدب» باب: الاستغفار (٣٨١٤)، وأحمد (٢/ ٢١، ٦٧، ٨٤)، وابن حبان (٨/ ١١٤) ـ الموارد (٢٤٥٩)، و (٣/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧) كتاب «الرقاق» باب: الأدعية ذكر وصف الاستغفار الذي كان يستغفر ﷺ بالعدد الذي ذكرناه (٩٢٧)، والنسائي في «**الكبرى**» (٦/ ١١٩) كتاب «عمل اليوم والليلة» باب: كيف الاستغفار (١٠٢٩٢/ ١).
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٤) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٥/ ١٥١).

(٥) أخرجه البخاري معلقاً بصيغة الجزم (٥/ ٤٤١)، كتاب «الوصايا» باب: قول اللَّه عز وجل: ﴿من بعد وصية يوصي بها أو دين﴾ [النساء: ١٢]، وقال ابن حجر: هو طرف من حديث وصله المصنف في

كثيرة، والمراد بذلك عَقْدُ القلب وحكمه على غيره بالسوء، فأَمَّا الخواطر وحديث النفس، إذا لم يستقر، ويستمر عليه صاحبه ـ فَمَعْفُوٌّ عنه باتفاق العلماء؛ لأَنَّهُ لا اختيارَ له في وقوعه، ولا طريقَ له إِلى الانفِكاك عنه، انتهى.

قال أبو عمر في **«التمهيد»**: وقد ثبت عن النبي ﷺ أَنَّهُ قال: «حَرَّمَ اللَّهُ مِنَ المُؤْمِنِ دَمَهُ، وَمَالَهُ، وعِرْضَهُ، وأَلاَّ يُظَنَّ بِهِ إِلاَّ الْخَيْرَ»[1] انتهى، ونقل في موضع آخر بسنده: أَنَّ عمر بن عبد العزيز كان إِذا ذُكِرَ عنده رجل بفضل أو صلاح قال: كيف هو إِذا ذُكِرَ عنده إِخوانه؟ فإِنْ قالوا: إِنَّه يتنقَّصهم، وينالُ منهم، قال عمر: ليس هو كما تقولون، وإِنْ قالوا: إِنَّه يذكر منهم جميلاً وخيراً، ويُحْسِنُ الثَّنَاءَ عليهم، قال: هو كما تقولون إِن شاء اللَّه، انتهى من **«التمهيد»**، وروى أبو داودَ في **«سننه»** عن أبي هريرةَ عن النبي ﷺ/ قال: «حُسْنُ الظَّنِّ مِنْ حُسْنِ الْعِبَادَةِ»[2] انتهى. وقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَجَسَّسُوا﴾ أي: لا تبحثوا عن مخبَّآت أمور الناس، وادفعوا بالتي هي أحسن، واجتزئوا بالظواهر الحسنة، **وقرأ** الحسن وغيره: «وَلاَ تَحَسَّسُوا» بالحاء المهملة؛ قال بعض الناس: التَجَسُّسُ بالجيم في الشَّرِّ، وبالحاء في الخير، قال * ع[3]*: وهكذا ورد القرآن، ولكن قد يتداخلان في الاستعمال.

١٩٠أ

«الأدب» من وجهين عن أبي هريرة، وقد أخرجه (١٠/ ١٠٦) كتاب «النكاح» باب: لا يخطب على خطبة أخيه حتى ينكح أو يدع (٥١٤٣) موصولاً عن أبي هريرة، وأخرجه أيضاً (١٠/ ٤٩٦) كتاب «الأدب» باب: ما ينهى عن التحاسد والتدابر، وقوله تعالى: ﴿ومن شرّ حاسد إذا حسد﴾ (٦٠٦٤)، (١٠/ ٤٩٩)، كتاب «الأدب» باب: ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم، ولا تجسسوا﴾ (٦٠٦٦)، (١٢/ ٦) كتاب «الفرائض» باب: تعليم الفرائض رقم: (٦٧٢٤)، وأبو داود (٢/ ٦٩٧) كتاب «الأدب» باب: في الظن برقم: (٤٩١٧)، والترمذي (٤/ ٣٥٦) كتاب «البر والصلة» باب: ما جاء في ظن السوء (١٩٨٨)، وأحمد (٢/ ٢٤٥، ٢٨٧، ٣١٢، ٣٤٢، ٤٦٥، ٤٧٠، ٤٧٢، ٤٩١، ٤٩٢، ٥٠٤، ٥١٧، ٥٣٩)، وابن حبان (١٢/ ٤٩٩ ـ ٥٠٠)، كتاب «الحظر والإباحة» باب: الاستماع المكروه، وسوء الظن، والغضب والفحش، ذكر الزجر عن سوء الظن بأحد المسلمين (٥٦٨٧)، ومالك (٢/ ٩٠٧ ـ ٩٠٨) كتاب «حسن الخلق» باب: ما جاء في المهاجرة (١٥٠)، والبيهقي (٦/ ٨٥) كتاب «الإقرار» باب: ما جاء في إقرار المريض لورثته (٧/ ١٨٠) كتاب «النكاح» باب: لا يخطب الرجل على خطبة أخيه إذا رضيت به المخطوبة أو رضي به أبو البكر حتى يأذن أو يترك، (٨/ ٣٣٣) كتاب «الأشربة والحد فيها» باب: ما جاء في النهي عن التجسس، (١٠/ ٢٣١) كتاب «الشهادات» باب: شهادة أهل العصبية.

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(١) أخرجه الطبراني (١١/ ٣٧) برقم: (١٠٩٦٦).

(٢) أخرجه أبو داود (٢/ ٧١٦ ـ ٧١٧) كتاب «الأدب» باب: في حسن الظن (٤٩٩٣)، والحاكم (٤/ ٢٥٦)، وأحمد (٢/ ٤٠٧، ٤٩١)، وابن حبان (٨/ ٣٠ ـ ٣١) ـ الموارد (٢٣٩٥)، وابن حبان (٢/ ٣٩٩) كتاب «الرقائق» باب: حسن الظن باللّه تعالى، وذكر البيان بأن حسن الظن للمرء المسلم من حسن العبادة (٦٣١).

(٣) ينظر: **«المحرر الوجيز»** (٥/ ١٥١).

* ت *: وقد وردت أحاديث صحيحة في هذا الباب، لولا الإطالة لجلبناها.

﴿وَلاَ يَغْتَبْ﴾ معناه: لا يذكرْ أحدُكم من أخيه شيئاً هو فيه، ويكره سماعَه، وقد قال النبيُّ ﷺ: «إِذَا ذَكَرْتَ مَا في أَخِيكَ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِذَا ذَكَرْتَ مَا لَيْسَ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّه»[(١)]، وفي حديث آخر: «الغِيبَةُ أَنْ تَذْكُرَ الْمُؤْمِنَ بِمَا يَكْرَهُ، قِيلَ: وَإِنْ كَان حَقًّا؟ قَالَ: إِذَا قُلْتَ بَاطِلاً فَذَلِكَ هُوَ الْبُهْتَانُ»[(٢)] وحكى الزهراوي عن جابر عن النبي ﷺ أَنَّهُ قال: «الغِيبَةُ أَشَدُّ مِنَ الزِّنَا، قِيلَ: وَكَيْفَ؟! قال: لِأَنَّ الزَّانِيَ يَتُوبُ فَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَالَّذِي يَغْتَابُ لاَ يُتَابُ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَسْتَحِلَّ»[(٣)]، قال * ع[(٤)] *: وقد يموت من اغْتِيبَ، أو يأبى، وروى أبو داودَ في «سننه» عن أنس بن مالك قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لَمَّا عُرِجَ بي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ، يَخْمِشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هٰؤُلاَءِ يَا جِبْرِيلُ؟! قَالَ: هٰؤُلاَءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ في أَعْرَاضِهِمْ»[(٥)] انتهى.

والغِيبَةُ مشتقة من «غَابَ يَغِيبُ» وهي القول في الغائب، واسْتُعْمِلَتْ في المكروه، ولم يُبَحْ في هذا المعنى إلاَّ ما تدعو الضرورةُ إليه، من تجريح الشهود، وفي التعريف/ بمن ٩٠ ب
استنصح في الخطاب ونحوهم: لقول النبيِّ ﷺ: «أَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ لاَ مَالَ لَهُ» وما يقال في الفَسَقَةِ أيضاً، وفي وُلاَةِ الجَوْرِ، ويُقْصَدُ به: التحذيرُ منهم؛ ومنه قوله ـ عليه السلام ـ: «أَعَنِ الْفَاجِرِ تَرْعَوُونَ؟! اذْكُرُوا الْفَاجِرَ بِمَا فِيهِ، مَتَى يَعْرِفُهُ النَّاسُ إِذَا لَمْ تَذْكُرُوهُ؟!»[(٦)].

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٠١) كتاب «البر والصلة والأداب» باب: تحريم الغيبة (٧٠/ ٢٥٨٩)، وأبو داود (٢/ ٦٨٥) كتاب «الأدب» باب: في الغيبة (٤٨٧٤)، والترمذي (٤/ ٣٢٩) كتاب «البر والصلة» باب: ما جاء في الغيبة (١٩٣٤)، وأحمد (٢/ ٢٣٠، ٣٨٦، ٤٥٨).

(٢) ينظر ما قبله.

(٣) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥/ ٣٠٦) باب: في تحريم أعراض الناس (٦٧٤١) عن أبي سعيد الخدري، وجابر.
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٩٤ ـ ٩٥): رواه الطبراني في «الأوسط» وفيه عباد بن كثير الثقفي وهو متروك ا هـ.
وللبيهقي رواية عن أنس في «شعب الإيمان» (٥/ ٣٠٦) (٦٧٤٢).

(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ١٥١).

(٥) أخرجه أبو داود (٢/ ٦٨٥ ـ ٦٨٦) كتاب «الأدب» باب: في الغيبة (٤٨٧٨)، وذكره الألباني في «الصحيحة» (٢/ ٥٩) (٥٣٣).

(٦) أخرجه البيهقي (١٠/ ٢١٠) كتاب «الشهادات» باب: الرجل من أهل الفقه يسأل عن الرجل من أهل الحديث، فيقول: كفوا عن حديثه لأنه يغلط أو يحدث بما لم يسمع، أو أنه لا يبصر الفتوى.
قال العجلوني في «كشف الخفاء» (١/ ١١٤)، رواه ابن أبي الدنيا، وابن عدي، والطبراني، والخطيب عن معاوية بن حيدة، وقال في «التمييز»: أخرجه أبو يعلى، ولا يصح. ا هـ. =

* ت *: وهذا الحديث خَرَّجه أيضاً أبو بكر ابن الخطيب بسنده عن بَهْزٍ، عن أبيه، عن جَدِّه، عنِ النبي ﷺ قال: «أَتَرْعَوُونَ عَنْ ذِكْرِ الْفَاجِرِ، اذْكُرُوهُ بِمَا فِيهِ؛ يَحْذَرْهُ النَّاسُ»[١] ولم يذكر في سنده مَطْعَناً، انتهى، ومنه قوله ـ عليه السلام ـ: «بِئْسَ ابنُ الْعَشِيرَةِ»[٢].

ثُمَّ مَثَّلَ تعالى الغيبة بأكل لحم ابن آدم الميت، ووقف تعالى على جهة التوبيخ بقوله: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ أي: فكذلك فاكرهوا الغِيبَةَ، قال أبو حيان[٣]: ﴿فكرهتموه﴾ قيل: خبر بمعنى الأَمر، أي: فاكرهوه، وقيل على بابه، فقال الفَرَّاءُ: فقد كرهتموه، فلا تفعلوه، انتهى.

وقد روى البخاريُّ عن النبيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لاَ يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلاً بِالْفُسُوقِ، وَلاَ يَرْمِيهِ بِالْكُفْرِ إِلاَّ ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كَذَلِكَ»[٤] وفي رواية مسلم: «مَنْ دَعَا رَجُلاً بِالْكُفْرِ، أَوْ قَالَ: عَدُوّ اللَّهِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ ـ إِلاَّ حَارَ عَلَيْهِ»[٥] وفي الصحيحين عنه ﷺ: «أَيُّ رَجُلٍ قَالَ لِأَخِيهِ: كَافِرٌ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا»[٦] انتهى، وباقي الآية بَيِّنٌ.

= قال ابن حبان في «المجروحين» (١/ ٢٢٠): الجارود بن يزيد العامري ـ أبو علي من أهل نيسابور، يروي عن بهز بن حكيم، والثوري، روى عنه سلمة بن شعيب يتفرد بالمناكير عن المشاهير، ويروي عن الثقات ما لا أصل له، روى عن بهز بن حكيم، عن أبيه عن جده قال: «أتنزعون عن ذكر الفاجر اذكروه بما فيه كي يحذر الناس» ا هـ.
وجدُّ بهز بن حكيم هو معاوية بن حيدة.

(١) انظر الحديث السابق.

(٢) أخرجه البخاري (١٠/ ٤٨٦) كتاب «الأدب» باب: ما يجوز من اغتياب أهل الفساد والريب (٦٠٥٤)، ومسلم (٤/ ٢٠٠٢) كتاب «البر والصلة والآداب» باب: مداراة من يتقى فحشه (٧٣، ٧٣/ ٢٥٩١)، وأبو داود (٢/ ٦٦٦) كتاب «الأدب» باب: في حسن العشرة (٤٧٩٢)، والترمذي (٤/ ٢٥٩) كتاب «البر والصلة» باب: ما جاء في المداراة (١٩٩٦)، ومالك (٢/ ٩٠٣) كتاب «حسن الخلق» باب: ما جاء في حسن الخلق (٤)، وأحمد (٦/ ١٥٨).

(٣) ينظر: «البحر المحيط» (٨/ ١١٤).

(٤) أخرجه البخاري (١٠/ ٤٧٩) كتاب «الأدب» باب: ما ينهى عن السباب واللعن (٦٠٤٥)، وأحمد (٥/ ١٨١).

(٥) أخرجه مسلم (١/ ٢٨٠) ـ الأبي كتاب «الإيمان» باب: بيان حال من رغب عن أبيه وهو يعلم. (١١٢/ ٦١)، وأحمد (٥/ ٢٦٦).

(٦) أخرجه البخاري (١٠/ ٥٣١) كتاب «الأدب» باب: من أكفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال (٦١٠٤)، ومسلم (١/ ٢٧٩ ـ ٢٨٠)، كتاب «الإيمان» باب: بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم: يا كافر (١١١/ ٦٠) عن عبد اللَّه بن دينار، والترمذي (٥/ ٢٢) كتاب «الإيمان» باب: ما جاء فيمن رمى أخاه بكفر (٢٦٣٧)
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾ ۞ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿يَٰأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ...﴾ الآية: المعنى: يأيها الناس، أنتم سواء من حيثُ أنتم مخلوقون، وإنَّما جعلتم قبائل؛ لِأَنْ تتعارفوا، أوْ لِأَنْ تعرفوا الحَقَائِقَ، وَأَمَّا الشرفُ والكرمُ فهو/ بتقوى اللَّه تعالى وسلامة القلوب، **وقرأ** ابن مسعود: «لِتَعَارَفُوا بَيْنَكُمْ وَخَيْرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ»[1] **وقرأ** ابن عباس: «لِتَعْرِفُوا أَنَّ»[2] عَلَى وزن «تَفْعَلُوا» بكسر العين ـ وبفتح الهمزة من «أَنَّ»، وَرُوِيَ أَنَّ النبي ﷺ قال: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ أَكْرَمَ النَّاسِ، فَلْيَتَّقِ اللَّه[3]» وأَمَّا الشعوب فهو جمع شَعْبٍ، وهو أعظم ما يوجد من جماعات الناس مرتبطاً بنسب واحد؛ كمُضَرٍ ورَبِيعَةَ وحِمْيَرَ، ويتلوه القبيلة، ثم العمارة، ثم البطن، ثم الفخذ، ثم الفصيلة، والأسرة وهما قرابة الرجل الأَدْنَوْنَ، ثم نَبَّهَ سبحانه على الحذر بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ أي: بالمتقي الذي يستحق رُتْبَةَ الكرم، وَخرَّج مسلم في صحيحه عن النبي ﷺ أَنَّهُ قال: «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا؛ حَتَّى لاَ يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَىٰ أَحَدٍ وَلاَ يَبْغِي أَحَدٌ عَلَىٰ أَحَدٍ»[4] وروى أبو داودَ والتِّرْمِذِيُّ عن النبي ﷺ أَنَّهُ قال: «لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَفْتَخِرُونَ بِآبَائِهِمْ، إِنَّما هُمْ فَحْمٌ مِنْ جَهَنَّمَ ـ أَوْ لَيَكُونُنَّ عَلَى اللَّهِ أَهْوَنَ مِنَ الجُعَلِ الَّذِي يُدَهْدِهُ الخُرَاءَ بِأَنْفِهِ، إِنَّ اللَّهَ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا؛ إِنَّما هُوَ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، أَوْ فَاجِرٌ شَقِيٌّ، كُلُّكُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ»[5] انتهى، ونقله البغويُّ في «**مصابيحه**».

١٩١ أ

---

(١) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٥/ ١٥٣).

(٢) وقرأ بها أبان عن عاصم. قال أبو الفتح: المفعول هنا محذوف، أي: لتعرفوا ما أنتم محتاجون إلى معرفته من هذا الوجه.
ينظر: «**المحتسب**» (٢/ ٢٨٠)، و«**الشواذ**» ص: (١٤٤)، و«**المحرر الوجيز**» (٥/ ١٥٣)، و«**البحر المحيط**» (٨/ ١١٦)، و«**الدر المصون**» (٦/ ١٧٢).

(٣) ذكره العجلوني في «**كشف الخفاء**» (١/ ٣٧٣) وقال: رواه البيهقي، وأبو يعلى، والطبراني، وأبو نعيم، والحاكم عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما مرفوعاً، لكن قال البيهقي في «**الزهد**»: تكلموا في هشام بن زياد أحد رواة الحديث.

(٤) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٩٩) كتاب «الجنة وصفة نعيمها وأهلها» باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة، وأهل النار (٦٤/ ٢٨٦٥)، وأبو داود (٢/ ٦٩١) كتاب «الأدب» باب: في التواضع (٤٨٩٠)، وابن ماجه (٢/ ١٣٩٩) كتاب «الزهد» باب: البراءة من الكبر، والتواضع (٤١٧٩).

(٥) أخرجه أبو داود (٢/ ٧٥٢) كتاب «الأدب» باب: في التفاخر بالأحساب (٥١١٦) بنحوه، والترمذي (٥/ ٧٣٤) كتاب «المناقب» باب: في فضل الشام واليمن (٣٩٥٥)، وأحمد (٢/ ٥٢٤).
قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

وقوله تعالى: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا﴾ قال مجاهد: نزلت في بني أسد[١]، وهي قبيلة كانت تجاور المدينة، أظهروا الإسلام، وفي الباطن إنَّما يريدون المغانمَ وَعَرَضَ الدنيا، ثم أمر اللَّه تعالى نَبِيَّهُ أَنْ يقول لهؤلاء المُدَّعِينَ للإيمان: / ﴿لَمْ تُؤْمِنُوا﴾ أي: لم تصدقوا بقلوبكم، ﴿وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ أي: استسلمنا، والإسلام يقال بمعنيين: ٩١ ب

أحدهما: الذي يَعُمُّ الإيمانَ والأعمالَ، وهو الذي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامَ﴾ [آل عمران: ١٩] والذي في قوله ـ عليه السلام ـ: «بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ»[٢].

والمعنى الثاني للفظ الإسلام: هو الاستسلام، والإظهار الذي يُسْتَعْصَمُ به ويحقن الدم، وهذا هو الذي في الآية، ثم صَرَّحَ بأَنَّ الإيمان لم يدخل في قلوبهم، ثم فتح باب التوبة بقوله: ﴿وإِنْ تُطِيعُوا اللَّه وَرَسُولَهُ...﴾ الآية، **وقرأ** الجمهور: «لاَ يَلِتْكُمْ» من «لاَتَ يَلِيتُ» إذا نقص؛ يقال: لاَتَ حَقَّهُ إذا نَقَصَهُ منه، **وقرأ** أبو عمرو: «لاَ يَأْلِتْكُمْ» من «أَلَتَ يَأْلِتُ»[٣] وهي بمعنى لاَتَ.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّما المُؤْمِنُونَ﴾ إنما هنا حاصرة.

وقوله: ﴿ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ أي: لم يشكوا، ثم أمر اللَّه تعالى نَبِيَّه ـ عليه السلام ـ بتوبيخهم بقوله: ﴿أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ أي: بقولكم آمنا، وهو يعلم منكم خلافَ ذلك؛

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٣٩٩) برقم: (٣١٧٧٥)، وذكره ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢١٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١١١)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر.

(٢) تقدم.

(٣) وحجة أبي عمرو في قراءته، قوله تعالى: ﴿وما ألتناهم﴾ [الطور: ٢١] فـ«ألتناهم» مضارعه «يألتكم». وحجة الباقين: أنهم زعموا أنه ليس في الكتاب ألف، ولو كانت منه كتبت بالألف، كما يكتب في يأمر، ويأبق.

ينظر: «**الحجة**» (٦/ ٢١٠ ـ ٢١١)، و«**السبعة**» (٦٠٦)، و«**معاني القراءات**» (٣/ ٢٥)، و«**شرح الطيبة**» (٦/ ١٥ ـ ١٦) و«**العنوان**» (١٧٨)، و«**حجة القراءات**» (٦٧٦)، و«**إتحاف**» (٢/ ٤٨٧).

لِأَنَّهُ العليم بكل شيء.

وقوله سبحانه: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ نزلت في بني أسد أيضاً، **وقرأ** ابن مسعود: «يَمنُّونَ عَلَيْكَ إِسْلاَمَهُمْ» **وقرأ** ابن كثير وعاصم في رواية: «وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ»[1].

(١) ينظر: **«السبعة»** (٦٠٦)، و**«الحجة»** (٦/ ٢١١)، و**«شرح الطيبة»** (٦/ ١٦)، و**«العنوان»** (١٧٨)، و**«حجة القراءات»** (٦٧٧)، و**«شرح شعلة»** (٥٨٨)، و**«إتحاف»** (٢/ ٤٨٧).

تَفْسِيرُ سُورَةِ «قٓ»

وهِيَ مَكِّيَّةٌ بِإِجْمَاعٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿قٓ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ قال مجاهد، والضَّحَّاك، وابن زيد، وعِكْرِمَةُ: ق اسم الجبل المحيط بالدنيا، وهو فيما يزعمون أَنَّهُ من/ زمردة خضراء، منها خُضْرَةُ ١٩٢أ
السماء وخضرة البحر[1]، وقيل في تفسيره غير هذا، و﴿المجيد﴾: الكريم في أوصافه الذي جمع كُلَّ مَعْلاَةٍ، و﴿قٓ﴾ مُقْسَمٌ به وبالقرآن؛ قال الزَّجَّاجُ[2]: وجواب القسم محذوف تقديره: قٓ والقرآن المجيد لتبعثن، قال * ع[3] *: وهذا قول حسن، وأحسن منه أَنْ يكون الجواب هو الذي يقع عنه الإِضراب ببل، كأَنَّه قال: والقرآنِ المجيد ما رَدُّوا أمرك بحجة، ونحو هذا، مِمَّا لا بُدَّ لك من تقديره بعد الذي قَدَّره الزَّجَّاجُ، وباقي الآية بَيِّنٌ مِمَّا تقدم في «صٓ» و«يونس» وغيرهما، ثم أخبر تعالى؛ رَدًّا على قولهم بأَنَّهُ سبحانه يعلم ما تأكل الأرضُ من ابن آدم، وما تُبْقِي منه، وأَنَّ ذلك في كتاب، والحفيظ: الجامع الذي لم يَفُتْهُ شيء؛ وفي الحديث الصحيح: «إِنَّ الأَرْضَ تَأْكُلُ ابْنَ آدَمَ إِلاَّ عَجْبَ الذَّنَبِ» وهو عَظْمٌ

---

(١) ذكره البغوي (٤/ ٢٢٠) عن عكرمة، والضحاك، وابن عطية (٥/ ١٥٥)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١١٥)، وعزاه لعبد الرزاق عن مجاهد.

(٢) ينظر: «معاني القرآن» (٥/ ٤١).

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ١٥٥).

كالخَرْدَلَةِ، فمِنْهُ يُرَكَّبُ ابن آدم[١]، قال * ع[٢] *: وحِفْظُ ما تنقص الأرض إنَّما هو ليعودَ بعينه يومَ القيامة، وهذا هو الحَقُّ؛ قال ابن عباس والجمهور: المعنى: ما تنقص من لحومهم وأبشارهم وعظامهم[٣]، وقال السُّدِّيُّ: ﴿ما تنقص الأرض﴾ أي: ما يحصل في بطنها من موتاهم[٤]، وهذا قول حسن مضمنه الوعيد، والمريج: معناه المختلط؛ قاله ابن زيد[٥]، أي: بعضُهم يقول: ساحر، وبعضهم يقول: كاهن، وبعضهم يقول: شاعر، إلى غير ذلك من تخليطهم، قال * ع[٦] *: والمريج: المضطرب أيضاً، وهو قريب من الأَول؛ ومنه مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ، ومن الأَوَّلِ ﴿مَرَج البحرين﴾ [الفرقان: ٥٣].

ثم دَلَّ تعالى على العبرة بقوله: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ/ . . .﴾ الآية، ﴿وَزَيَّنَّاهَا﴾ ٩٢ ب
أي: بالنجوم، والفروج: الفطور والشقوقُ خلالها وأثناءها؛ قاله مجاهد وغيره[٧].

* ت *: وقال الثعلبي بأثر كلام للكسائي: يقول: كيف بنيناها بلا عَمَدٍ، وَزَيَّنَّاها بالنجوم، وما فيها فتوق؟ ﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ أي: بسطناها على وجه الماء، انتهى، والرواسي: الجبال، والزوج: النوع، والبهيج: الحَسَنُ المنظر؛ قاله ابن عباس وغيره[٨]، والمنيب: الراجع إلى الحَقِّ عن فكرة ونظر؛ قال قتادة[٩]: هو المُقْبِلُ إلى اللَّه تعالى،

---

(١) أخرجه البخاري (٨/ ٤١٤) كتاب «التفسير» باب: ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السمٰوات ومن في الأرض. . .﴾ (٤٨١٤)، (٨/ ٥٥٨) كتاب «التفسير» باب: ﴿يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً﴾ (٤٩٣٥)، ومسلم (٤/ ٢٢٧٠) كتاب «الفتن» باب: ما بين النفختين (١٤١/ ٢٩٥٥)، وابن ماجه (٢/ ١٥٤) كتاب: «الزهد»، باب: ذكر القبر والبلى (٤٢٦٦)، ومالك (١/ ٢٣٩) كتاب «الجنائز» باب: جامع الجنائز (٤٨).

(٢) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٥/ ١٥٦).

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٤٠٧) برقم: (٣١٨٠٠)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٥٧)، وابن كثير في «**تفسيره**» (٤/ ٢٢٢)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ١١٦)، وعزاه لابن جرير عن ابن عباس.

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٤٠٧) برقم: (٣١٨٠٣) عن قتادة، وذكره البغوي (٤/ ٢٢٠)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٥٧).

(٥) أخرجه الطبري (١١/ ٤٠٨) برقم: (٣١٨١٣)، وابن عطية (٥/ ١٥٧).

(٦) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٥/ ١٥٧).

(٧) أخرجه الطبري (١١/ ٤٠٩) برقم: (٣١٨١٤)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٥٧)، وابن كثير في «**تفسيره**» (٤/ ٢٢٢)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ١١٦)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عن مجاهد.

(٨) أخرجه الطبري (١١/ ٤٠٩) برقم: (٣١٨١٦)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٥٧)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ١١٦)، وعزاه للطستي عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما.

(٩) أخرجه الطبري (١١/ ٤١٠) برقم: (٣١٨١٩)، وذكره ابن عطة (٥/ ١٥٧)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ١١٦)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير.

وخَصَّ هذا الصنف بالذكر؛ تشريفاً لهم من حيثُ انتفاعُهُم بالتبصرة والذكرى، ﴿وحَبَّ الحصيد﴾: البُرُّ، والشعير، ونحوُهُ مِمَّا هو نبات مُحَبَّبٌ يُحْصَدُ؛ قال أبو حيان[1]: ﴿وحب الحصيد﴾ من إضافة الموصوف إلى صفته على قول الكوفيين، أو على حذف الموصوف وإقامة الصفة مُقَامه، أي: حب الزرع الحصيد على قول البصريين، و﴿باسقات﴾ حال مُقَدَّرَةٌ؛ لِأَنَّهَا حالةَ الإنبات ليست طوالاً، انتهى، و﴿باسقات﴾: معناه طويلات ذاهبات في السماء، والطَّلْعُ أول ظهور التمر في الكُفَّرَى، قال البخاريُّ: و﴿نضيد﴾ معناه: مَنْضُودٌ بعضُه على بعض، انتهى، ووصف البلدة بالميت على تقدير القطر والبلد.

ثم بَيَّنَ سبحانه موضع الشَّبَهِ فقال: ﴿كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ﴾ يعني: من القبور، وهذه الآيات كلها إنَّما هي أَمْثِلَة وأَدِلَّة على البعث، ﴿وأَصحاب الرَّسِّ﴾: قوم كانت لهم بئر عظيمة، وهي الرَّسُّ، وكُلُّ ما لم يُطْوَ من بئر، أو مَعْدِنٍ، أو نحوه فهو رَسٌّ، وجاءهم نبيٌّ/ يُسَمَّى حَنْظَلَةَ بن سفيان ـ فيما رُوِيَ ـ فجعلوه في الرَّسِّ وردموا عليه، فأهلكهم اللَّهُ، وقال الضَّحَّاك: الرَّسُّ بئر قُتِلَ فيها صاحب «يس»[2]، وقيل: إنَّهم قوم عاد، واللَّه أعلم. ١٩٣أ

وقوله: ﴿كُلٌّ﴾ قال سيبويه: التقدير: كُلُّهم، والوعيد الذي حَقَّ: هو ما سبق به القضاءُ من تعذيبهم.

﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿أَفَعَيِينَا﴾ توقيف للكفار، وتوبيخ، والخلق الأَوَّلُ: إنشاء الإنسان من نُطْفَةٍ على التدريج المعلوم، وقال الحسن[3]: الخلق الأول: آدم، واللَّبْسُ: الشَّكُّ والريب، واختلاط النظر، والخَلْقُ الجديد: البعث من القبور.

وقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ...﴾ الآية: الإنسان: اسم جنس، و﴿تُوَسْوِسُ﴾ معناه: تتحدث في فكرتها، والوسوسةُ إنَّما تُسْتَعْمَلُ في غير الخير.

وقوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾: عبارة عن قُدْرَةِ اللَّه على العبد،

---

(١) ينظر: «البحر المحيط» (٨/ ١٢١).
(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٤١٢) برقم: (٣١٨٣٩)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٥٨).
(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ١٥٩).

وكون العبد في قبضة القدرة والعلم قد أُحِيط به، فالقرب هو بالقدرة والسُّلطان، إذ لا يَنْحَجِبُ عن علم اللَّه لا باطنٌ ولا ظاهر، والوريد: عرق كبير في العُنُقِ، ويقال: إنَّهما وريدان عن يمين وشمال.

وأمَّا قوله تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ﴾ فقال المفسرون: العامل في إذ ﴿أقرب﴾ ويحتمل عندي أنْ يكون العاملُ فيه فعلاً مُضْمَراً تقديره: اذكر إذ يتلقى المتلقيان، و﴿المتلقيان﴾: المَلَكَانِ المُوَكَّلان بكل إنسان، مَلَكُ اليمين الذي يكتب الحسناتِ، وملك الشمال الذي يكتب السيِّئات؛ قال الحسن: الحَفَظَةُ أربعة: اثنان بالنهار، واثنان بالليل[1]، قال * ع[2] *: ويؤيد ذلك الحديث الصحيح: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ، مَلاَئِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلاَئِكَةٌ بِالنَّهَارِ»[3] الحديث/ بكماله، ويُرْوَى أَنَّ مَلَك اليمين أمير على ملك الشمال، وأَنَّ العبد إذا ٩٣ ب
أذنب يقول ملك اليمين للآخر: تَثَبَّتْ؛ لَعَلَّهُ يتوبُ؛ رواه إبراهيم التيمي، وسفيان الثوري، و﴿قعيد﴾: معناه قاعد.

﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ...﴾ الآية، قال الحسن بن أبي الحسن وقتادة: يكتب الملكانِ جميعَ الكلام، فيثبت اللَّه من ذلك الحسناتِ والسيئات، ويمحو غيرَ هذا[4]، وهذا هو ظاهر هذه الآية، قال أبو الجوزاء، ومجاهد: يكتبان عليه كُلَّ شيء حتى أنينه في مرضه[5]، وقال عِكْرَمَةُ: يكتبان الخير والشَّرَّ فقط[6]؛ قال * ع[7] *: والأوَّلُ أصوب.

* ت *: وروى أبو الدرداء عن النبي ﷺ أَنَّه قال: «كُلُّ شَيْءٍ يَتَكَلَّمُ بِهِ ابْنُ آدَمَ، فَإِنَّهُ مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ، إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً، فَأَحَبَّ أَنْ يَتُوبَ إِلَى اللَّه، فَلْيَأْتِ، فَلْيَمُدَّ يَدَيْهِ إِلَى اللَّهِ

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٤١٦) برقم: (٣١٨٦٣) عن ابن عباس، وذكره ابن عطية (٥/ ١٦٠).
(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ١٦٠).
(٣) تقدم.
(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٤١٧) برقم: (٣١٨٦٥)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٦٠).
(٥) أخرجه الطبري (١١/ ٤١٧) برقم: (٣١٨٦٨) عن ابن زيد، وذكره البغوي (٤/ ٢٢٢)، وابن عطية (٥/ ١٦٠)، والسيوطي في «الدر المنثور»، وعزاه لابن المنذر عن مجاهد.
(٦) أخرجه الطبري (١١/ ٤١٦) برقم: (٣١٨٦٤)، وذكره البغوي (٤/ ٢٢٢)، وابن عطية (٥/ ١٦٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١١٩)، وعزاه لابن المنذر.
(٧) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ١٦٠).

عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ، إِنِّي أَتُوبُ إِلَيْكَ مِنْهَا، لاَ أَرْجِعُ إِلَيْهَا أَبَداً، فَإِنَّهُ يُغْفَرُ لَهُ مَا لَمْ يَرْجِعْ في عَمَلِهِ ذَلِكَ» رواه الحاكم في «**المستدرك**»، وقال: صحيح على شرط الشيخين، يعني البخاريَّ ومسلماً[1]، انتهى من «**السِّلاح**»، قال النَّوَوِيُّ ـ رحمه اللَّه تعالى ـ: ينبغي لكل مُكَلَّفٍ أَنْ يحفظ لسانه من جميع الكلام إلاَّ كلاماً تظهر فيه مصلحته، ومتى استوى الكلامُ وتركه بالمصلحة فالسُّنَّةُ الإمساكُ؛ فإِنَّهُ قد ينجر الكلام المباح إلى حرام أو مكروه، وهذا هو الغالب، والسلامة لا يعدلها شيءٌ، وقد صَحَّ عنه ﷺ فيما رواه البخاريُّ ومسلم أَنَّه قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ»[2] وهو نَصٌّ صريح فيما قلناه، قال: ورُوِّينَا في «**كتاب الترمذيِّ**»/ و«**ابن ماجه**» عن النبي ﷺ أَنَّه قال: «مِنْ حُسْنِ إِسْلاَمِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لاَ يَعْنِيهِ» قال الترمذيُّ: حديث حسن[3]، وفيه عن عُقْبَةَ بن عامر «قلت: يا رَسُولَ اللَّهِ، مَا النَّجَاةُ؟ قَالَ: أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَٱبْكِ عَلَىٰ خَطِيئَتِكَ» قال الترمذيُّ: حديث حسن[4]، وفيه عنه ﷺ قَالَ: «مَنْ وَقَاهُ اللَّهُ شَرَّ مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَشَرَّ مَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ، دَخَلَ الجَنَّةَ» قال الترمذيُّ: حديث حسن[5]، انتهى، والرقيب: المُرَاقِبُ، والعتيد: الحاضر.

٩٤أ

---

(١) أخرجه الحاكم في «**المستدرك**» (١/ ١٢٩)، (٤/ ٢٦١).
قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) تقدم.

(٣) أخرجه الترمذي (٥/ ٥٥٨) كتاب «الزهد» باب: (١١) (٢٣١٧)، وابن ماجه (٢/ ١٣١٥ ـ ١٣١٦) كتاب «الفتن» باب: كف اللسان في الفتنة(٣٩٧٦) من حديث أبي هريرة.
قال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة عن رسول اللَّه ﷺ إلا من هذا الوجه.
والحديث أخرجه أحمد (١/ ٢٠١)، هذا اللفظ، وله رواية أخرى بلفظ «من حسن إسلام المرء قلة الكلام فيما لا يعنيه»، كلاهما من حديث علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه.
قال الهيثمي في «**مجمع الزوائد**» (٨/ ٢١): رواه أحمد، والطبراني في الثلاثة، ورجال أحمد و«**الكبير**» ثقات، وعن زيد بن ثابت، رواه الطبراني في «**الصغير**» وفيه محمد بن كثير بن مروان وهو ضعيف.

(٤) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٠٥) كتاب «الزهد» باب: ما جاء في حفظ اللسان (٢٤٠٦)، وأحمد (٥/ ٢٥٩)، وأبو نعيم في «**الحلية**» (٢/ ٩).
قال الترمذي: هذا حديث حسن.

(٥) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٠٦) كتاب «الزهد» باب: ما جاء في حفظ اللسان (٢٤٠٩)، والحاكم (٤/ ٣٥٧)، وابن حبان (١٣/ ٩ ـ ١٠) كتاب «الحظر والإباحة» باب: ما يكره من الكلام وما لا يكره، ذكر البيان بأن من عصم من فتنة فمه وفرجه رُجي له دخول الجنة (٥٧٠٣).
قال الترمذي: أبو حازم الذي روى عن أبي هريرة اسمه: سلمان مولى عزة الأشجعية وهو كوفي، وأبو حازم الذي روى عن سهل بن سعد هو: أبو حازم الزاهد مدني، واسمه: سلمة بن دينار، وهذا حديث

وقوله: ﴿وَجَاءَتْ﴾ عطف، عندي، على قوله: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى﴾ فالتقدير: وإذ تجيء سكرة الموت.

* ت *: قال شيخُنَا، زينُ الدين العراقيُّ في أرجوزته: [الرجز]

وَسَكْرَةُ الْمَوْتِ ٱخْتِلاَطُ الْعَقْلِ .....

البيت. انتهى.

وقوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾ معناه: بلقاء اللَّهِ، وَفَقْدُ الحياة الدنيا، وفراقُ الحياة حَقٌّ يعرفه الإنسانُ، ويحيد منه بأمله، ومعنى هذا الحيد أَنَّه يقول: أعيش كذا وكذا، فمتى فكر حاد بذهنه وأمله إلى مسافة بعيدة من الزمان، وهذا شأن الإنسان، حَتَّى يفاجئه الأجل؛ قال عَبْدُ الحَقِّ في «**العاقبة**»: وَلَمَّا احْتَضَرَ مالك بن أنس، ونزل به الموتُ قال لمن حضره: لَيُعَايَنَنَّ الناسُ غداً من عفو اللَّه وَسَعَةِ رحمته ما لم يخطر على قلب بشر، كُشِفَ له ـ رضي اللَّه عنه ـ عن سعة رحمة اللَّه وكثرة عفوه وعظيم تجاوُزِهِ ما أوجب أَنْ قال هذا، وقال أبو سليمان الدارانيُّ: دخلنا على عابد نزوره، وقد حضره الموتُ، وهو يبكي، فقلنا له: ما يبكيك ـ رحمك اللَّه؟! ـ فأنشأ يقول: [الطويل]

وَحُقَّ لِمِثْلِي الْبُكَا عِنْدَ مَوْتِهِ وَمَالِيَ لاَ أَبْكِي/ وَمَوْتِي قَدِ ٱقْتَرَبْ ٩٤ ب
وَلِي عَمَلٌ في اللَّوْحِ أَحْصَاهُ خَالِقِي فَإِنْ لَمْ يَجُدْ بِالْعَفْوِ صِرْتُ إِلَى الْعَطَبْ

انتهى، و﴿يوم الوعيد﴾: هو يوم القيامة، والسائِقُ: الحاثُّ على السير، واختلف الناسُ في السائق والشهيد، فقال عثمان بن عفان وغيره: هما مَلَكَانِ مُوَكَّلاَنِ بكل إنسان أحدهما يسوقه، والآخر مِنْ حَفَظَتِهِ يشهد عليه[1]، وقال أبو هريرة: السائق: مَلَكٌ،

حسن غريب.

وفي الباب من حديث عطاء بن يسار نحوه، أخرجه مالك في «**الموطأ**» (٢/ ٩٨٧ ـ ٩٨٨) كتاب «الكلام» باب: ما جاء فيما يخاف من اللسان (١١).

وفي الباب من حديث سهل بن سعد، أخرجه البخاري (١١/ ٣١٤) كتاب «الرقاق» باب: حفظ اللسان، ومن كان يؤمن باللَّه واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت (٦٤٧٤)، (١٢/ ١١٥) كتاب «الحدود» باب: فضل من ترك الفواحش (٦٨٠٧) نحوه.

وفي الباب عن رجل من أصحاب رسول اللَّه ﷺ أخرجه أحمد (٥/ ٣٦٢).

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٤١٨) برقم: (٣١٨٧١)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٦١)، وابن كثير في «**تفسيره**» (٤/ ٢٢٥)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ١٢٣)، وعزاه لعبد الرزاق، والفريابي، وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم في «**الكنى**»، وابن مردويه، والبيهقي في «**البعث والنشور**»، وابن عساكر عن عثمان بن عفان.

والشهيد: العمل[١]، وقيل: الشهيد: الجوارح، وقال بعض النظار: سائق اسم جنس وشهيد كذلك، فالسَّاقَةُ للناس ملائكة مُوَكَّلُون بذلك، والشهداء: الحَفَظَةُ في الدنيا، وكل مَنْ يشهد.

وقوله سبحانه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ يعمُّ الصالحين وغيرهم؛ فإنَّما معنى الآية شهيد بخيره وشَرِّهِ، ويقوى في شهيد اسم الجنس، فتشهد الملائكة، والبِقَاعُ والجوارحُ؛ وفي الصحيح: «لاَ يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ الْمُؤَذِّنِ إِنْسٌ، وَلاَ جِنٌّ، وَلاَ شَيْءٌ إِلاَّ شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[٢].

وقوله سبحانه: ﴿لَقَدْ كُنْتَ﴾ قال ابن عباس وغيره: أَي: يقال للكافر[٣]: لقد كنتَ في غفلة من هذا، فلمَّا كُشِفَ الغطاءُ عنك الآنَ احْتَدَّ بصرُك، أي: بصيرتك؛ وهذا كما تقول: فلان حديد الذِّهْنِ ونحوه، وقال مجاهد[٤]: هو بصر العين، أي: احْتَدَّ التفاته إلى ميزانه، وغيرِ ذلك من أهوال القيامة.

والوجه عندي، في هذه الآية، ما قاله الحسن وسالم بن عبد اللَّه[٥]: إنَّها مُخَاطَبَةٌ للإنسان ذي النفس المذكورة من مؤمن وكافر، وهكذا، قال الفخر[٦]: قال: والأقوى أنْ يقال: هو خطاب عامٌّ مع السامع، كأنَّهُ يقول: ذلك ما كنتَ منه تحيد أيُّها السامع، انتهى، وينظر إلى معنى كشف/ الغطاء قول النبي ﷺ: «النَّاسُ نِيَامٌ، فَإِذَا مَاتُوا انْتَبَهُوا»[٧]. ١٩٥أ

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ١٦١)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٢٣)، وعزاه لابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم في «الكنى»، وابن مردويه، والبيهقي.

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ١٠٤) كتاب «الأذان» باب: رفع الصوت بالنداء (٦٠٩)، (٦/ ٣٩٥) كتاب «بدء الخلق» باب: ذكر الجن وثوابهم وعقابهم (٣٢٩٦)، (١٣/ ٥٢٨) كتاب «التوحيد» قول النبي ﷺ: «الماهر بالقرآن مع سفرة الكرام البررة، وزينوا القرآن بأصواتكم»، (٧٥٤٨)، وابن ماجه (١/ ٢٣٩ - ٢٤٠) كتاب «الأذان والسنة فيه» باب: فضل الأذان وثواب المؤذنين (٧٢٣)، ومالك (١/ ٦٩) كتاب «الصلاة» باب: ما جاء في النداء للصلاة (٥)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١/ ٢٠٣) كتاب «الصلاة» باب: فضل الأذان ورفع الصوت به وشهادة من يسمعه من حجر ومدر وشجر وجن وإنس للمؤذن، (٣٨٩)، والحميدي (٢/ ٣٢١)، (٧٣٢)، وأحمد (٣/ ٦) كلهم عن أبي سعيد الخدري مع اختلاف يسير في اللفظ.

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٤٢٠) برقم: (٣١٨٨٥)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٦٢)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٢٥)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٢٣)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٤) ذكره البغوي (٤/ ٢٢٣)، وابن عطية (٥/ ١٦٢).

(٥) ذكره ابن عطية (٥/ ١٦٢).

(٦) ينظر: «تفسير الرازي» (١٤/ ١٤٢).

(٧) أورده الغزالي في «الإحياء» (٤/ ٢٣).

﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ قال جماعة من المفسرين: يعني قرينه من زبانية جهنم، أي: قال هذا العذاب الذي لدي لهذا الكافر، حاضر، وقال قتادة وابن زيد[1]: بل قرينه المُوَكَّلُ بسوقه، قال * ع[2] *: ولفظ القرين اسم جنس، فسائقه قرين، وصاحبُه من الزبانية قرين، وكاتب سيئاته في الدنيا قرين، والكُلُّ تحتمله هذه الآية، أي: هذا الذي أحصيتُهُ عليه عتيد لَدَيَّ، وهو مُوجِبُ عذابه، والقرين الذي في هذه الآية غيرُ القرين الذي في قوله: ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ﴾ إذ المقارنة تكون على أنواع.

وقوله سبحانه: ﴿أَلْقِيَا في جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ المعنى: يقال: أَلْقِيَا في جهنَّمَ، واخْتُلِفَ لمن يُقَالُ ذلك، فقال جماعة: هو قول لِمَلَكَيْنِ من ملائكة العذاب.

وقال عبد الرحمن بن زيد[3]: هو قول للسائق والشهيد.

وقال جماعة من أهل العلم باللغة: هذا جارٍ على عادة كلام العرب الفصيح أنْ يُخَاطَبَ الواحدُ بلفظ الاثنين؛ وذلك أَنَّ العربَ كان الغالبُ عندها أنْ يترافق في الأسفار ونحوها ثَلاثَةٌ، فَكُلُّ واحد منهم يخاطِبُ اثنين، فَكَثُرَ ذلك في أشعارها وكلامها، حَتَّى صار عُرْفاً في المخاطبة، فاسْتُعْمِلَ في الواحد، ومن هذا قولهم في الأشعار:

[من الطويل]

خَلِيلَيَّ .... [4]

= قال العجلوني في «كشف الخفاء ومزيل الإلباس»: هو من قول علي بن أبي طالب، لكن عزاه الشعراني في «الطبقات» لسهل التُّسْتُري، ولفظه في ترجمته ومن كلامه: الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا، وإذا ماتوا ندموا، وإذا ندموا لم تنفعهم ندامتهم اهـ.

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ١٦٢).

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ١٦٣).

(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ١٦٣).

(٤) مطلع قصيدة لامرىء القيس، وتمام البيت:

... مُرَّا بِي عَلَى أُمِّ جُنْدَبِ نُقَضِّي لُبَانَاتِ الفُؤَادِ المُعَذَّبِ

ينظر: «ديوانه» ص: (٤١).

و

صَـــاحِـــبَـــيَّ..... ..... (١)

[ومن الطويل]

قِـــفَـــا نَـــبْـــكِ..... ..... (٢)

ونحوه.

وقال بعض المتأولين: المراد «أَلْقِيَنْ»، فَعُوِّضَ من النون ألفٌ، **وقرأ** الحسن بن أبي الحسن: «أَلْقِياً» بتنوين الياء[٣]، و«عنيد» معناه: عَانِدٌ عن الحق، أي: مُنْحَرِفٌ/ عنه. ٩٥ ب

وقوله تعالى: ﴿مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ﴾ لفظ عامٌّ للمالِ والكلام الحَسَنِ والمُعَاوَنَةِ على الأشياء، و﴿مُعْتَدٍ﴾ معناه: بلسانه ويده.

---

(١) وجاء منه قول أبي تمام [الكامل]:

يَـا صَـاحِـبَـيَّ تَـقَـضَّـيَـا نَـظَـرَيْـكُـمَـا تَـرَيَـا وُجُـوهَ الـرَّوْضِ كَـيْـفَ تُـصَـوَّرُ

وجاء منه مخاطبة الصاحب بالمثنى كقول الشاعر:

وَقُـلْـتُ لِـصَـاحِـبِـي لاَ تَـحْـبِـسَـانَـا بِـنَـزْعِ أُصُـولِـهِ وَاجْـدَزَّ شِـيـحَـا

البيت من الوافر، وهو لمضرّس بن ربعي في **«شرح شواهد الشافية»** ص: (٤٨١)، وله أو ليزيد بن الطثريَّة في **«لسان العرب»** (٥/ ٣١٩ ـ ٣٢٠) (جزز)، و**«المقاصد النحوية»** (٤/ ٥٩١)، وبلا نسبة في **«الأشباه والنظائر»** (٨/ ٨٥)، و**«خزانة الأدب»** (١١/ ١٧)، و**«سر صناعة الإعراب»** ص: (١٨٧)، و**«شرح الأشموني»** (٣/ ٨٧٤)، و**«شرح شافية ابن الحاجب»** (٣/ ٢٢٨)، و**«شرح المفصل»** (١٠/ ٤٩)، والصاحبي في **«فقه اللغة»** ص: (١٠٩، ٢١٨)، و**«لسان العرب»** (٤/ ١٢٥) (جرر)، و**«المقرب»** (٢/ ١٦٦)، و**«الممتع في التصريف»** (١/ ٣٥٧).

(٢) مطلع قصيدة لامرىء القيس، وتمام البيت:

..... مِـنْ ذِكْـرَى حَـبِـيـبٍ وَمَـنْـزِلِ بِـسِـقْـطِ الـلِّـوَى بَـيْـنَ الـدَّخُـولِ وَحَـوْمَـلِ

ينظر: **«ديوانه»** ص: (٨)، و**«الأزهية»** ص: (٢٤٤)، و**«جمهرة اللغة»** ص: (٥٦٧)، و**«الجنى الداني»** ص: (٦٣ ـ ٦٤)، و**«خزانة الأدب»** (١/ ٣٣٢، ٣/ ٢٢٤)، و**«الدرر»** (٦/ ٧١)، و**«سرّ صناعة الإعراب»** (٢/ ٥٠١)، و**«شرح شواهد الشافية»** ص: (٢٤٢)، و**«شرح شواهد المغني»** (١/ ٤٦٣)، و**«الكتاب»** (٤/ ٢٠٥)، و**«لسان العرب»** (١٥/ ٢٠٩) (قوا)، (٤٢٨)، و**«مجالس ثعلب»** ص: (١٢٧)، و**«همع الهوامع»** (٢/ ١٢٩)، وبلا نسبة في **«الإنصاف»**(٢/ ٦٥٦)، و**«أوضح المسالك»** (٣/ ٣٥٩)، و**«جمهرة اللغة»** ص: (٥٨٠)، و**«خزانة الأدب»** (١١/ ٦)، و**«الدرر»** (٦/ ٨٢)، و**«رصف المباني»** ص: (٣٥٣)، و**«شرح الأشموني»** (٢/ ٤١٧)، و**«شرح شافية ابن الحاجب»** (٢/ ٣١٦)، و**«شرح قطر الندى»** ص: (٨٠)، والصاحبي في **«فقه اللغة»** ص: (١١٠)، و**«مغني اللبيب»** (١/ ١٦١، ٢٦٦)، و**«المنصف»** (١/ ٢٢٤)، و**«همع الهوامع»** (٢/ ١٣١).

(٣) ينظر: **«مختصر الشواذ»** ص: (١٤٥)، و**«المحتسب»** (٢/ ٢٨٤)، و**«الكشاف»** (٤/ ٣٨٧)، و**«المحرر الوجيز»** (٥/ ١٦٤)، و**«البحر المحيط»** (٨/ ١٢٥)، و**«الدر المصون»** (٦/ ١٧٨).

وقوله سبحانه: ﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ...﴾ الآية، يحتمل أنْ يكون ﴿الذي﴾ بدلاً من ﴿كفار﴾، أو صفةً له، وَيَقْوَى عندي أَنْ يكونَ ﴿الذي﴾ ابتداءً ويتضمن القولُ حينئذ بني آدم والشياطينَ المغوينَ لهم في الدنيا، ولذلك تَحَرَّكَ القرينُ، الشيطانُ المُغْوِي، فرام أَنْ يُبْرِئَ نفسه ويخلصها بقوله: ﴿رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ﴾.

وقوله: ﴿ربنا ما أطغيته﴾ ليست بحجة؛ لِأَنَّهُ كَذَبَ أَنْ نفى الإطغاء عن نفسه جملةً، وهو قد أطغاه بالوسوسة والتزيينِ، وأَطغاه اللَّه بالخلق والاختراع حسب سابق قضائه الذي هو عدل منه، سبحانه لا رَبَّ غيرُه.

وقوله سبحانه: ﴿لاَ تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ﴾ معناه: قال اللَّه: لا تختصموا لديَّ بهذا النوع من المقاولة التي لا تفيد شيئاً ﴿وقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴾ وهو ما جاءت به الرسلُ والكتب، وجُمِعَ الضمير؛ لِأَنَّه مخاطبة لجميع القرناء؛ إذ هو أمر شائع لا يقف على اثنين فقط.

﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ أي: لا ينقض ما أبرمه كلامي من تعذيب الكفرة، ثم أزال سبحانه موضعَ الاعتراض بقوله: ﴿وَمَا أَنَا بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ أي: هذا عدل فيهم؛ لِأَنِّي أنذرت، وأمهلت، وأنعمتُ، **وقرأ** الجمهور: «يَوْمَ نَقُولُ» بالنون، **وقرأ** نافع وعاصم في رواية أبي بكر بالياء، وهي قراءة أهل المدينة/[1]، قال * ع[2] *: والذي ١٩٦أ يترجَّحُ في قول جهنم: ﴿هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ أَنَّها حقيقة، وأَنَّها قالت ذلك، وهي غير ملأى، وهو قول أنس بن مالك، ويبين ذلك الحديث الصحيح، وهو قوله ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ لِجَهَنَّمَ: هَلِ امْتَلأْتِ؟ وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟! حَتَّى يَضَعَ الجَبَّارُ فِيهَا قَدَمَهُ، فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ، وَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ»[3] ولفظ البخاريِّ عن أبي هريرةَ قال: قال النبي ﷺ:

---

(١) ينظر: **«السبعة»** (٦٠٧)، و**«الحجة»** (٦/ ٢١٣)، و**«معاني القراءات»** (٣/ ٢٧)، و**«شرح الطيبة»** (٦/ ١٧)، و**«العنوان»** (١٧٩)، و**«حجة القراءات»** (٦٧٨)، و**«شرح شعلة»** (٥٨٨)، و**«إتحاف»** (٢/ ٤٨٩).

(٢) ينظر: **«المحرر الوجيز»** (٥/ ١٦٥).

(٣) أخرجه البخاري (١١/ ٥٥٤) كتاب «الأيمان والنذور» باب: الحلف بعزة اللَّه وصفاته وكلماته، برقم: (٦٦٦١)، ومسلم (٤/ ٢١٨٧) كتاب «الجنة وصفة نعيمها وأهلها»: باب: النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء (٣٧، ٣٧ ـ ٢٨٤٨/٣٨)، والترمذي (٥/ ٣٩٠) كتاب «تفسير القرآن» باب: ومن سورة ق (٣٢٧٢)، وأحمد (٣/ ١٣٤، ١٤١، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣٤)، والخطيب في **«تاريخ بغداد»** (٥/ ١٢٧)

تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الجَنَّةُ: مَا لِيَ، لاَ يَدْخُلُنِي إِلاَّ ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ؟! فَقَالَ اللَّهُ لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّما أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مِلْؤُهَا، فَأَمَّا النَّارُ فَلاَ تَمْتَلِىء حَتَّى يَضَعَ [الجَبَّارُ فِيهَا قَدَمَهُ][1] فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ، فَهُنَاكَ تَمْتَلِىءُ وَيَزْوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَلاَ يَظْلِمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ خَلْقِهِ أَحداً، وَأَمَّا الجَنَّةُ فَإِنَّ اللَّهَ يُنْشِىءُ لَهَا خَلْقاً»[2] انتهى، قال * ع[3] *: ومعنى: «قدمه» ما قَدَّمَ لها من خلقه وجعلهم في علمه ساكنيها؛ ومنه: ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: ٢] ومِلاَكُ النظر في هذه الحديث أَنَّ الجارحةَ، والتشبيهَ، وما جرى مجراه ـ مُنْتَفٍ كُلُّ ذلك عن اللَّه سبحانه، فلم يبقَ إلاَّ إخراجُ اللفظ على الوجوه السائغة في كلام العرب.

﴿وَأُزْلِفَتِ الجَنَّةُ﴾ معناه: قُرِّبَتْ، ولما احتمل أنْ يكونَ معناه بالوعد والإخبار رفع الاحتمال بقوله: ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ قال أبو حيان[4]: ﴿غير بعيد﴾ أي: مكاناً غيرَ بعيد؛ فهو منصوب على الظرف، وقيل: منصوب/ على الحال من الجنة، انتهى. ٩٦ ب

﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ﴾ يحتمل أنْ يكونَ معناه: يقال لهم في الآخرة عند إزلاف الجنة: هذا الذي كنتم توعدون به في الدنيا، ويحتمل أنْ يكون خطاباً لِلأُمَّةِ، أي: هذا ما توعدون أَيُّها الناس ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾: والأَوَّابُ: الرَّجَّاعُ إِلى الطاعة وإِلى مراشد

(٢٥٥١) عن أنس بن مالك نحوه.

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

(١) سقط في: د.

(٢) أخرجه البخاري (٨/ ٤٦٠) كتاب «التفسير» باب: وتقول هل من مزيد(٤٨٥٠)، ومسلم (٤/ ٢١٨٦ ـ ٢١٨٧) كتاب «الجنة وصفة نعيمها» باب: النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء (٣٥ ـ ٣٦/ ٢٨٤٦)، (٢٨٤٧) نحوه، والنسائي (٤/ ٤١٤ ـ ٤١٥) كتاب «النعوت» باب: قوله: ﴿ولتُصْنَع على عيني﴾، (٨/٧٧٤٠)، وابن حبان (١٦/ ٤٨٢) كتاب «إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة» باب: وصف الجنة وأهلها (٧٤٤٧).

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ١٦٥).

(٤) ينظر: «البحر المحيط» (٨/ ١٢٦).

نفسه، وقال ابن عباس وعطاء[١]: الأَوَّابُ: المُسَبِّحُ؛ من قوله: ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ﴾ [سبأ: ١٠] وقال المُحَاسِبِيُّ[٢]: هو الراجع بقلبه إلى ربه، وقال عبيد بن عمير[٣]: كُنَّا نتحدث أَنَّه الذي إذا قام من مجلسه استغفر اللَّه مِمَّا جرى في ذلك المجلس، وكذلك كان النبيُّ ﷺ يفعل[٤]، والحفيظ معناه: لأوامر اللَّه، فيمتثلها، ولنواهيه فيتركها، وقال ابن عباس[٥]: حفيظ لذنوبه حَتَّى يرجعَ عنها، والمُنِيبُ: الراجع إلى الخير المائِلُ إليه؛ قال الدَّاوُودِيُّ[٦]: وعن قتادَةَ ﴿بقلب منيب﴾ قال: مُقْبِلٌ على اللَّه سبحانه، انتهى.

وقوله سبحانه: ﴿ادْخُلُوهَا﴾ أي: يقال لهم: ادخلوها.

وقوله عز وجل: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ خبر بأَنَّهم يُعْطَوْنَ آمالهم أجمع، ثم أبهم تعالى الزيادةَ التي عنده للمؤمنين المُنَعَّمِينَ، وكذلك هي مُبْهَمَةٌ في قوله تعالى: ﴿فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧] وقد فسر ذلك الحديثُ الصحيحُ، وهو قوله ـ عليه السلام ـ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ: مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، بَلْهَ مَا اطَّلَعْتُمْ عَلَيْهِ[٧] قال * ع[٨] *: وقد ذكر الطبريُّ وغيره في تعيين هذا المزيد أحاديثَ مطولة، وأشياء ضعيفةً؛ لأَنَّ/ اللَّه تعالى يقول: ﴿فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِي﴾ وهم يعينونها تكلفاً وتعسفاً. ١٩٧أ

وقوله تعالى: ﴿فَنَقَّبُوا فِي الْبِلاَدِ﴾ أي: ولجوا البلادَ من أنقابها؛ طمعاً في النجاة من الهلاك ﴿هَلْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ أي: لا محيصَ لهم، **وقرأ** ابن عباس وغيره: «فَنَقِّبُوا» على

---

(١) أخرجه الطبري (١١/٤٢٨) برقم: (٣١٩٢٦) عن ابن عباس، وذكره البغوي (٤/٢٢٥)، وابن عطية (٥/١٦٦).

(٢) ذكره ابن عطية (٥/١٦٦).

(٣) ذكره ابن عطية (٥/١٦٦)، وابن كثير في **«تفسيره»** (٤/٢٢٨)، **والسيوطي في «الدر المنثور»** (٦/١٢٦)، وعزاه لابن أبي شيبة، وابن المنذر.

(٤) ذكره الهندي في **«كنز العمال»** (٧/١٥٣) برقم: (١٨٤٧٨)، وعزاه إلى ابن السني عن عبد اللَّه الحضرمي.

(٥) أخرجه الطبري (١١/٤٢٨) برقم: (٣١٩٣٣)، وذكره البغوي (٤/٢٢٥)، وابن عطية (٥/١٦٦)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٦/١٢٦)، وعزاه لابن جرير، والبيهقي في **«شعب الإيمان»** عن التميمي.

(٦) أخرجه الطبري (١١/٤٢٩)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٦/١٢٦)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر.

(٧) تقدم.

(٨) ينظر: **«المحرر الوجيز»** (٥/١٦٦).

الأمر لهؤلاء الحاضرين[١].

* ت *: وعبارة البخاريِّ «فَنَقَّبُوا»: ضربوا[٢]، وقال الداوودي: وعن أبي عبيدةَ ﴿فنقبوا في البلاد﴾: طافوا، وتباعدوا، انتهى.

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ يعني: إهلاك مَنْ مضى ﴿لَذِكْرَىٰ﴾ أي: تذكرة، والقلبُ عبارة عن العقل؛ إِذْ هو مَحِلُّهُ، والمعنى: لمن كان له قلب واعٍ ينتفعُ به، وقال الشبليُّ: معناه: قلب حاضر مع اللَّه، لا يغفلُ عنه طرفةَ عين.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ معناه: صَرَفَ سَمْعَهُ إلى هذه الأنباء الواعظة، وأثبته في سماعها ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ قال بعض المتأولين: معناه: وهو مشاهِد مُقْبلٌ على الأمر، غيرُ مُعْرِضٍ ولا مُفَكِّرٍ في غير ما يسمع.

* ت *: ولفظ البخاريِّ ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾ أي: لا يحدث نفسَه بغيره ﴿شهيد﴾ أي: شاهد بالقلب، انتهى، قال المُحَاسِبيُّ في «**رعايته**»: وقد أَحْبَبْتُ أَنْ أَحُضَّكَ على حُسْنِ الاستماع؛ لتدركَ به الفهمَ عن اللَّه عز وجل في كُلِّ ما دعاك إليه؛ فإنَّه تعالى أخبرنا في كتابه أَنَّ مَنِ استمع كما يُحِبُّ اللَّهُ تعالى وَيَرْضَى، كان له فيما يستمع إليه ذِكْرَى، يعني: اتعاظاً، وإذا سَمَّى اللَّه عز وجل لأحد من خلقه شَيْئاً فهو له كما سَمَّى، وهو واصل إليه كما أخبر؛ قال عز وجل: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾/ قال مجاهد[٣]: شاهد القلب، لا يُحَدِّثُ نفسَه بشيء ليس بغائب القلب، فَمَنِ استمع إلى كتاب اللَّه عز وجل، أو إلى حكمة، أو إلى علم، أو إلى عِظَةٍ، لا يُحَدِّثُ نفسَه بشيء غيرِ ما يستمع إليه، قَدْ أشهد قَلْبَهُ ما استمع إليه، يريدُ اللَّهَ ـ عز وجل به ـ: كان له فيه ذكرى؛ لِأَنَّ اللَّه تعالى قال ذلك، فهو كما قال عز وجل، انتهى كلام المحاسبيِّ، وهو دُرٌّ نفيس، فَحَصِّلْهُ، واعملْ به تَرْشُدْ، وقد وجدناه، كما قال، وباللَّه التوفيق.

٩٧ ب

---

(١) وقرأ بها أبو العالية، ويحيى بن يعمر، ونصر بن سيار.
ينظر: «**المحتسب**» (٢/ ٢٨٥)، و«**المحرر الوجيز**» (٥/ ١٦٧)، و«**البحر المحيط**» (٨/ ١٢٧)، وزاد نسبتها إلى أبي حيوة، والأصمعي عن أبي عمرو. وهي في «**الدر المصون**» (٦/ ١٨١).

(٢) ينظر: «**صحيح البخاري**» (٨/ ٤٥٨)، تفسير سورة (قٓ).

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٤٣٣) برقم: (٣١٩٥٢)، وذكره السيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ١٢٩)، وعزاه للفريابي، وابن جرير.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ...﴾ الآية: خَبَرٌ مضمَّنه الرَّدُّ على اليَهُودِ الذين قالوا: إنَّ اللَّه خلق الأشياء كلها، ثم استراح يَوْمَ السبت، فنزلت: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ واللُّغُوب: الإعياء والنَّصَبُ.

وقوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ أي: ما يقوله الكفرة من أهل الكتاب وغيرِهم، وعَمَّ بذلك جميعَ الأقوال الزائِغَةِ من قريش وغيرهم ﴿وَسَبِّحْ﴾ معناه: صَلِّ بإجماعٍ من المتأولين.

* ت *: وفي الإجماع نظر؛ وقد قال الثعلبيُّ ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي: قل سبحان اللَّه والحمدُ للَّه؛ قاله عطاء الخُرَاسَانِيُّ، انتهى، ولكن المخرَّجُ في الصحيح إنما هو أمر الصلاة، وقال ابن العربيِّ في «**أحكامه**»[1]: قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ فيه أربعة أقوال:

أحدها: أَنَّه تسبيحُ اللَّهِ في الليل، ويَعْضُدُ هذا القولَ الحديثُ الصحيحُ: «مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ»[2] الحديثَ، وقد ذكَرْنَاهُ في سورة «المزمل».

والثاني: أنَّها صلاةُ الليل.

والثالث: أَنَّها ركعتا الفجر.

/ والرابع: أَنَّها صلاة العشاء الآخرة، انتهى. ٩٨ أ

وقوله: ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ الباء للاقتران، أي: سَبِّح سبحة يكون معها حَمْدٌ، و﴿قَبْلَ

---

(١) ينظر: «**أحكام القرآن**» (٤/ ١٧٢٧).

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ٤٨) كتاب «التهجد» باب: فضل من تعارَّ من الليل فصلى (١١٥٤)، وأبو داود (٢/ ٧٣٤)، كتاب «الأدب» باب: ما يقول الرجل إذا تعار من الليل (٥٠٦٠)، وابن ماجه (٢/ ١٢٧٦) كتاب «الدعاء» باب: ما يدعو به إذا انتبه من الليل (٣٨٧٨)، والترمذي (٥/ ٤٨٠)، كتاب «الدعوات» باب: ما جاء في الدعاء إذا انتبه من الليل (٣٤١٤)، وأحمد (٥/ ٣١٣)، والنسائي في «**الكبرى**» (٦/ ٢١٥) كتاب «عمل اليوم والليلة» باب: ما يقول إذا انتبه من منامه (١٠٦٩٧/ ٩)، وابن حبان (٦/ ٣٣١) كتاب «الصلاة» باب: فصل في قيام الليل (٢٥٩٦).
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

وقوله: ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ الباء للاقتران، أي: سَبِّح سبحة يكون معها حَمْدٌ، و﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ هي الصبح، ﴿وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾: هي العصر؛ قاله ابن زيد والناس[١]، وقال ابن عباس[٢]: الظهر والعصر، ﴿ومن الليل﴾: هي صلاة الْعِشَاءَيْنِ، وقال ابن زيد[٣]: هي العشاء فقط، وقال مجاهد[٤]: هي صلاة الليل.

وقوله: ﴿وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾ قال عمر بن الخطاب وجماعة[٥]: هي الرَّكْعَتَانِ بعد المغرب، وأَسنده الطبريُّ عن ابن عباس عن النبيِّ ﷺ[٦] قال * ع[٧] *: كَأَنَّهُ رُوعِيَ أَدبارُ صلاة النهار، كما رُوعي أدبار النجوم في صلاة الليل، وقال ابن عباس أيضاً، وابن زيد، ومجاهد[٨]: هي النوافل إثر الصلوات، وهذا جارٍ مع لفظ الآية، **وقرأ** نافع، وابن كثير، وحمزة: «وَإِدْبَارَ» بكسر الهمزة، وهو مصدر، **وقرأ** الباقون بفتحها، وهو جمع دُبُر؛ كطُنُب وأَطْنَاب[٩]، أي: وفي أدبار السجود، أي: في أعقابه.

﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ واستمع بمنزلة: وانتظر،

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٤٣٥) برقم: (٣١٩٧٠)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٦٨).

(٢) ذكره البغوي (٤/ ٢٢٦)، وابن عطية (٥/ ١٦٨).

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٤٣٥) برقم: (٣١٩٧١)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٦٨)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ١٣٠)، وعزاه لابن جرير.

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٤٣٥) برقم: (٣١٩٧٢)، وذكره البغوي (٤/ ٢٢٧)، وابن عطية (٥/ ١٦٨)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ١٣٠)، وعزاه لابن جرير.

(٥) أخرجه الطبري (١١/ ٤٣٦) برقم: (٣١٩٧٥) عن علي رضي الله عنه، وذكره البغوي (٤/ ٢٢٧)، وابن عطية (٥/ ١٦٨)، وابن كثير في «**تفسيره**» (٤/ ٢٣٠)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ١٣١)، وعزاه لابن المنذر، ومحمد بن نصر.

(٦) أخرجه الطبري (١١/ ٤٣٧) برقم: (٣١٩٨٥).

(٧) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٥/ ١٦٩).

(٨) أخرجه الطبري (١١/ ٤٣٨) برقم: (٣١٩٩٧) عن ابن زيد، وذكره ابن عطية (٥/ ١٦٩)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ١٣٠)، وعزاه لابن جرير.

(٩) ينظر: «**الحجة**» (٦/ ٢١٣)، و«**السبعة**» (٦٠٧)، و«**معاني القراءات**» (٣/ ٢٧)، و«**شرح الطيبة**» (٦/ ١٧)، و«**حجة القراءات**» (٦٧٨)، و«**العنوان**» (١٧٩)، و«**شرح شعلة**» (٥٨٨)، و«**إتحاف**» (٢/ ٤٨٩).

وكذا، أي: كُنْ مُنتظراً له، مستمعاً له، فعلى هذا فَنَصْبُ «يوم» إنَّما هو على المفعول الصريح.

وقوله سبحانه: ﴿مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ قيل: وصفه بالقرب من حيث يسمع جميع الخلق، ورُوِيَ عن النبي ﷺ: «إِنَّ مَلَكاً يُنَادِي مِنَ السَّمَاءِ: أَيَّتُهَا الأَجْسَامُ الْهَامِدَةُ، وَالْعِظَامُ الْبَالِيَةُ، ـ وَالرِّمَمُ الذَّاهِبَةُ ـ هَلُمِّي إِلَى الْحَشْرِ وَالْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» والصيحة: /هي صيحة المنادي، والخروج: هو من القبور، ويومُه هو يومُ القيامة، ويومُ الخروج في الدنيا: هو يوم العيد. ٩٨ ب

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾: معادل لقول الكفرة: ﴿ذلك رجع بعيد﴾ [قٓ: ٣].

وقوله سبحانه: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ وعيد محض للكفرة.

وقوله سبحانه: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ قال الطبري وغيره[1]: معناه: وما أنت عليهم بمُسَلَّطٍ، تُجْبِرُهُمْ على الإيمان.

وقال قتادة[2]: هو نهيٌ من اللَّه تعالى عن التجبر، والمعنى: وما أنت عليهم بمتعظم من الجبروت، وروى ابن عباس أَنَّ المؤمنين قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ خَوَّفْتَنَا! فَنَزَلَتْ: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾[3].

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» (١١/ ٤٣٩).

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٤٤٠) برقم: (٣٢٠٠٤)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٧٠)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٣١)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٧٢)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر.

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٤٤٠) برقم: (٣٢٠٠٥)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٣٢).

تَفْسِيرُ سُورَةِ «الذَّارِيَاتِ»

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ بِإِجْمَاعِ المُفَسِّرِينَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ۝١ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ۝٢ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ۝٣ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ۝٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ۝٦ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ۝٧﴾

قوله عز وجل: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْواً. . .﴾ الآية، أقسم اللَّه عز وجل بهذه المخلوقات؛ تنبيهاً عليها، وتشريفاً لها، ودَلاَلَةً على الاعتبار فيها، حَتَّى يصيرَ الناظرُ فيها إلى توحيد اللَّه عز وجل، فقوله: ﴿والذاريات﴾: هي الرياح بإجماع و﴿ذَرْواً﴾ نُصِبَ على المصدر، و﴿الحاملات وقراً﴾ قال عليٌّ: هي السحاب، وقال ابن عباس وغيره[1]: هي السفن الموقورة بالناس وأمتعتهم، وقال جماعة من العلماء: هي أيضاً مع هذا جميع الحيوانِ الحامل، وفي جميع ذلك مُعْتَبَرٌ، و﴿الجاريات يسراً﴾ قال عليٌّ وغيره[2]: هي السفن في البحر، وقال آخرون: هي السحاب، وقال آخرون: هي الكواكب؛ قال * ع[3] *: واللفظ يقتضي جميعَ هذا، و﴿يسراً﴾ نعت لمصدر محذوف، وصفات/ [المصادر المحذوفة تعود أحوالاً، و﴿يسراً﴾ معناه: بسهولة و«الْمُقَسِّمَاتِ أَمْراً»: الملائكة، والأمر هنا: اسم جنس، فكأنَّه قال: والجماعات التي تقسم أمورَ الملكوت، من الأرزاق، والآجال، والخلق في الأرحام، وأمر الرياح والجبال، وغير ذلك؛ لِأَنَّ كُلَّ هذا إنَّما هو بملائكة تخدمه، وأَنَّثَ «المقسمات» من حيث أراد الجماعات، وهذا القَسَمُ واقع على قوله: ﴿إِنَّما تُوْعَدُونَ

١٩٩أ

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٤٤٢) برقم: (٣٢٠٢١)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٧١)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٣١)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٣٣)، وعزاه لعبد الرزاق، والفريابي، وسعيد بن منصور، والحارث بن أبي أسامة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن الأنباري في «المصاحف»، والحاكم وصححه.

(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ١٧١).

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ١٧١).

لَصَادِقٌ. . .﴾ الآية، و﴿توعدون﴾ يحتمل أنْ يكونَ من الوعد، ويحتمل أَنْ يكون من الإيعاد، وهو أَظهر، و﴿الدين﴾: الجزاء، وقال مجاهد: الحساب[١].

ثم أقسم تعالى بمخلوق آخر، فقال: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الحُبُكِ﴾ والحُبُكُ: الطرائق التي هي على نظامٍ في الأجرام، ويقال لما تراه من الطرائق في الماء والرمال إذا أصابته الريحُ: حبك، ويقالُ لِتَكَسُّرِ الشعر: حُبُك، وكذلك في المنسوجات من الأكسية وغيرها طرائِقُ في موضع تداخل الخيوط هي حبك؛ وذلك لجودة خِلْقَةِ السماء؛ ولذلك فَسَّرَها ابن عباس وغيره[٢] بذات الخلق الحَسَنِ وقال الحسن[٣]: حُبُكُهَا كَوَاكِبُها.

﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٢﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾ يحتمل أنْ يكون خطاباً لجميع الناس، أي: منكم مؤمن بمحمد، ومنكم مُكَذِّبٌ له، وهو قول قتادة[٤]، ويحتمل أَنْ يكونَ خطاباً للكفرة فقط؛ لقول بعضهم: شاعر، وبعضهم: كاهن، وبعضهم: ساحر، إلى غير ذلك؛ وهذا قول ابن زيد[٥].

و﴿يُؤْفَكُ﴾ معناه: يُصْرَفُ، أي: يصرف من الكفار عن كتاب اللَّه مَنْ صُرِفَ مِمَّنْ غلبت عليه شَقَاوَتُهُ، وعُرْفُ الاستعمال في «أفك» إنَّما هو في الصرف من خير إلى شَرٍّ.

وقوله تعالى: ﴿قُتِلَ الخَرَّاصُونَ﴾ دعاءٌ عليهم؛ كما تقول: قاتلك اللَّه، وقال بعض المفسرين. معناه: لُعِنَ الخرَّاصون، وهذا تفسير لا يعطيه اللفظ.

* ت *: والظاهر ما قاله هذا المُفَسِّرُ؛ قال عِيَاضٌ في **«الشفا»** وقد يقع القتل بمعنى اللعن؛ قال اللَّه تعالى: ﴿قُتِلَ الخَرَّاصُونَ﴾ و﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون: ٤]

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٤٤٤) برقم: (٣٢٠٣٦)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٧٢).

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٤٤٥) برقم: (٣٢٠٤٠)، وذكره البغوي (٤/ ٢٢٩)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٧٢)، وابن كثير في **«تفسيره»** (٤/ ٢٣٢).

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٤٤٥) برقم: (٣٢٠٥٢)، وذكره البغوي (٤/ ٢٢٩)، وابن عطية (٥/ ١٧٢)، وابن كثير في **«تفسيره»** (٤/ ٢٣٢).

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٤٤٦) برقم: (٣٢٠٦٠)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٧٣)، وابن كثير في **«تفسيره»** (٤/ ٢٣٢).

(٥) أخرجه الطبري (١١/ ٤٤٦) برقم: (٣٢٠٦١)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٧٣).

أي: لعنهم اللَّه، انتهى، وقد تقدَّم للشيخ عند قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ [الفتح: ٦] قال: كُلُّ ما كان بلفظ دعاء من جهة اللَّه عز وجل، فَإِنَّما هو بمعنى إِيجاب الشيء؛ لِأَنَّ اللَّه تعالى لا يدعو على مخلوقاته، انتهى بلفظِهِ، وظاهِرُهُ مخالف لما هنا، وسيبينه في «سورة البروج»، والخَرَّاصُ: المُخَمِّنُ القائل بِظَنِّهِ، والإِشارة إِلى مُكَذِّبي النبي ﷺ، والغَمْرَةُ: ما يَغْشَى الإِنسانَ ويغطيه؛ كغمرة الماء، و﴿ساهون﴾ معناه: عن وجوه النظر.

وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾ أي: يوم الجزاء، وذلك منهم على جهة الاستهزاء.

﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾

وقوله: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ قال الزَّجَّاجُ[1]: التقدير: هو كائن يومَ هم على النار يُفْتَنُونَ، و﴿يفتنون﴾ معناه: يُحْرَقُونَ ويُعَذَّبُون في النار؛ قاله ابن عباس والناس[2]، وفَتَنْتُ الذهبَ أحرقتُه، و﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾ أي: حرقكم وعذابكم؛ قاله قتادة وغيره[3].

﴿إِنَّ المتَّقِينَ في جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ...﴾ الآية، روى الترمذيُّ عن النبي ﷺ قال: «لاَ يَبْلُغُ الْعَبْدُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ، حَتَّىٰ يَدَعَ مَا لاَ بَأْسَ بِهِ؛ حَذَراً لِمَا بِهِ الْبَأْسُ» قال أبو عيسى: هذا حديث حسن[4]، انتهى، وقوله سبحانه في المتقين: ﴿آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ أي: مُحَصِّلِينَ ما أعطاهم رَبُّهم سبحانه من جناته، ورضوانه، وأنواع كراماته ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ﴾: يريد في الدنيا ﴿مُحْسِنِينَ﴾: بالطاعات] والعمل الصالح.

---

(١) ينظر: «معاني القرآن» (٥/ ٥٢).

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٤٤٩) برقم: (٣٢٠٧٩)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٧٣)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٣٢).

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٤٥٠) برقم: (٣٢٠٩٢)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٧٤).

(٤) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٣٤) كتاب «صفة القيامة» باب: (٩) (٢٤٥١)، وابن ماجه (٢/ ١٤٠٩) كتاب «الزهد» باب: الورع والتقوى (٤٢١٥)، والبيهقي (٥/ ٣٣٥) كتاب «البيوع» باب: كراهية مبايعة من أكثر ماله من الربا أو ثمن المحرم، والطبراني (١٧/ ١٦٩)، (٤٤٦)، والحاكم (٤/ ٣١٩).
قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه.
قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

* ت *: وروى التِّرْمِذِيُّ عن سعد بن أبي وَقَّاص، عن النبي ﷺ قَالَ: «لَوْ أَنَّ مَا يُقِلُّ ظُفُرٌ مِمَّا في الجَنَّةِ بَدَا لَتَزَخْرَفَ لَهُ مَا بَيْنَ خَوَافِقِ السَّمٰوَاتِ والأَرْضِ، وَلَوْ أَنَّ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ اطَّلَعَ، فَبَدَا أَسَاوِرُهُ، لَطَمَسَ ضَوْءَ الشَّمْسِ؛ كَمَا تَطْمِسُ الشَّمْسُ ضَوْءَ النُّجُومِ»[1] انتهى، ومعنى قوله: ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ أَنَّ نومهم كان قليلاً؛ لاشتغالهم بالصلاة والعبادةِ، والهجوعُ: النومُ، وقد قال الحسن في تفسير هذه الآية: كابَدُوا قيامَ الليل، لا ينامون منه إلاَّ قليلاً[2]، وأَمَّا إِعرابُ الآية فقال الضَّحَّاكُ في كتاب الطبريِّ: ما يقتضي أنَّ المعنى: كانوا قليلاً في عددهم، وتَمَّ خبرُ «كان»، ثم ابتدأ ﴿من الليل ما يهجعون﴾ فما نافية و﴿قليلاً﴾ وقف حسن، وقال جمهور النحويين: ما مصدريَّةٌ و﴿قليلاً﴾ خبرُ ﴿كان﴾، والمعنى: كانوا قليلاً من الليل هجوعُهُم، وعلى هذا الإعراب يجيء قولُ الحسن وغيرِهِ، وهو الظاهر عندي أَنَّ المراد كان هُجُوعُهُمْ من الليل قليلاً؛ قيل لبعض التابعين: مَدَحَ اللَّهُ قوماً ﴿كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون﴾ ونَحْنُ قليلاً من الليل ما نقوم! فقال: رَحِمَ اللَّهُ امرأً رقد إذا نعس، وأطاع رَبَّه إذا استيقظ.

﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ قال الحسن[3]: معناه: يدعون في طَلَبِ المغفرة، ويُرْوَى أَنَّ أبوابَ الجنة تُفْتَحُ سَحَرَ كُلِّ ليلة، قال ابن زيد[4]: السَّحَرُ: السُّدُسُ الآخر من الليل، والباء في قوله ﴿بالأسحار﴾ بمعنى في؛ قاله أبو البقاء، انتهى، ومن كلام [ابن] الجوزي في «المُنْتَخَبِ»: يا أخي، علامةُ المَحَبَّةِ طلبُ الخَلْوَةِ بالحبيبِ، وبيداءُ اللَّيل / فلواتُ الخلوات، لَمَّا ستروا قيامَ الليل في ظلام الدُّجَى؛ غَيْرَةً أَنْ يَطَّلِعَ الغيرُ عليهم ـ سترهم سبحانه بسترٍ ـ، ﴿فلا تعلم نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لهم من قُرَّةِ أَعين﴾ [السجدة: ١٧]، لَمَّا صَفَتْ خلواتُ الدُّجَى، ونادى أذان الوصال: أقم فلاناً، وأنم فلاناً ـ خرجت بالأسماء ٩٩ ب

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٧٨)، كتاب «صفة الجنة» باب: ما جاء في صفة أهل الجنة، وأحمد (١/ ١٧١)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٦/ ٢٠٨) (٢١٩٠)، وابن المبارك في «الزهد» (٢/ ١٢٦) (٤١٦).
قال الترمذي: هذا الحديث غريب لا نعرفه بهذا الإسناد إلا من حديث ابن لهيعة.

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٤٥٣) برقم: (٣٢١١٦)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٧٤)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٢٣)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٣٤)، وعزاه لابن أبي شيبة، وابن جرير.

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٤٥٦) برقم: (٣٢١٤٠)، وذكره البغوي (٤/ ٢٣٠)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٧٥)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٣٥)، وعزاه لابن أبي شيبة، وابن نصر، وابن جرير، وابن المنذر.

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٤٥٦) برقم: (٣٢١٤٢)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٧٥).

الجرائد؛ وفاز الأحبابُ بالفوائد، وأنت غافل راقد. آهٍ لو كنتَ معهم! أسفاً لك! لو رأيتهم لأبصرتَ طلائِعَ الصِّدِّيقِينَ في أول القوم، وشاهدتَ سَاقَةَ المستغفرين في الرَّكْبِ، وسَمِعْتَ استغاثة المُحِبِّينَ في وسط الليل،، لو رأيتهم يا غافلُ، وقد دارت كُؤوسُ المناجات؛ بين مزاهر التلاوات، فأسكَرَتْ قَلْبَ الواجدِ، ورقمت في مصاحف الوجنات. تعرفهم بسيماهم، يا طويلَ النوم، فاتتك مِدْحَةُ ﴿تتجافى﴾ [السجدة: ١٦]، وَحُرِمْتَ مِنْحَةَ ﴿والمستغفرين﴾ [آل عمران: ١٧]، يا هذا، إنَّ للَّه تعالى ريحاً تُسَمَّى الصَّبِيحَةَ مخزونةً تحتَ العرش، تَهُبُّ عند الأسحار، فتحمل الدعاء والأنين والاستغفار إلى حضرة العزيز الجَبَّارِ، انتهى.

﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ...﴾ الآية، الصحيح أَنَّها مُحْكَمَةٌ وأنَّ هذا الحق هو على وجه الندب، و﴿معلوم﴾ [المعارج: ٢٤] يُرَادُ به: مُتَعَارَفٌ، وكذلك قيامُ الليل الذي مدح به ليس من الفرائض، وأكثر ما تقع الفضيلةُ بفعل المندوبات، والمحروم هو الذي تَبْعُدُ عنه مُمْكِنَاتُ الرزق بعد قربها منه، فيناله حرمان وَفاقَةٌ، وهو مع ذلك لا يسأل، فهذا هو الذي له حَقٌّ في أموال الأغنياء، كما للسائل حَقٌّ، وما وقع من ذكر الخلاف فيه فيرجع إلى هذا، وبعد هذا محذوف تقديره: فكونوا/ أيُّها الناسُ مثلَهم وعلى طريقهم، ﴿وفي الأَرْضِ آياتٌ﴾: لمن اعتبر وأيقن. ١١٠٠أ

وقوله سبحانه: ﴿وَفي أَنْفُسِكُمْ﴾ إحالة على النظر في شخص الإنسان، وما فيه من العِبَرِ، وأمرِ النفسِ، وحياتِهَا، ونطقِها، واتصالِ هذا الجزء منها بالعقل؛ قال ابن زيد: إنَّما القلب مُضْغَةٌ في جوف ابن آدم، جَعَلَ اللَّه فيه العقل، أفيدري أحد ما ذلك العقل، وما صِفَتُه، وكيف[1] هو.

* ت *: قال ابن العربيِّ في رحلته: اعلم أَنَّ معرفة العبد نَفْسَهُ من أولى ما عليه وآكدِهِ؛ إذْ لاَ يَعْرِفُ رَبَّه إلاَّ مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ؛ قال تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ﴾ وغير ما آية في ذلك، ثم قال: ولا ينكر عاقل وُجُودَ الرُّوح من نفسه، وإنْ كان لم يدركْ حقيقتَه، كذلك لا يَقْدِرُ أنْ يُنْكِرَ وُجُودَ الباري سبحانه الذي دَلَّتْ أفعاله عليه، وإنْ لم يدركْ حقيقته، انتهى.

﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٤٦٠) برقم: (٣٢١٧٩)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٧٥).

وقوله سبحانه: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ قال مجاهد وغيره[١]: هو المطر، وقال واصل الأحدب: أراد القضاء والقدر[٢]، أي: الرزق عند اللَّه يأتي به كيف شاء سبحانه لا رَبَّ غيرُه، و﴿تُوْعَدُونَ﴾ يحتمل أَنْ يكونَ من الوعد، ويحتمل أَنْ يكونَ من الوعيد؛ قال الضَّحَّاكُ. المُرَادُ: من الجنة والنار[٣]، وقال مجاهد[٤]: المرادُ: الخيرُ والشَّرُّ، وقال ابن سيرين[٥]: المراد: الساعة، ثم أقسم سبحانه بنفسه على صِحَّةِ هذا القول والخبر، وشَبَّهَهُ في اليقين به بالنُّطْقِ من الإنسان، وهو عنده في غاية الوضوح، و«ما» زائدة تعطي تأكيداً، والنطق في هذه الآية هو الكلام/ بالحروف والأصوات في ترتيب المعاني، ورُوِيَ أَنَّ بَعْضَ الأعراب الفصحاء سَمِعَ هذه الآيةَ فقال: مَنْ أَحْوَجَ الكريمَ إلى أَنْ يحلف؟! والحكاية بتمامها في كتاب الثعلبيِّ، وسبل الخيرات، ورُوِيَ أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «قَاتَلَ اللَّهُ قَوْماً، أَقْسَمَ لَهُمْ رَبُّهُمْ بِنَفْسِهِ فَلَمْ يُصَدِّقُوهُ» ورَوَى أبو سعيد الخُدْرِيُّ أَنَّ النبي ﷺ قَالَ: «لَوْ فَرَّ أَحَدُكُمْ مِنْ رِزْقِهِ لَتَبِعَهُ كَمَا يَتْبَعُهُ المَوْتُ»[٦] وأحاديث الرزق كثيرة، ومن كتاب **«القصد إلى اللَّه سبحانه»** للْمُحَاسِبِيِّ: قال: قلتُ لشيخنا: من أين وقع الاضطرابُ في القلوب، وقد جاءها الضمانُ من اللَّه عز وجل؟ قال: من وجهين. ١٠٠ ب

أحدهما: قِلَّةُ المعرفة بحُسْنِ الظَّنِ، وإلقاءِ التُّهَمِ عن اللَّه عز وجل.

والوجه الثاني: أنْ يعارضها خوفُ الفَوْت، فتستجيبَ النفسُ للداعي، ويَضْعُفَ اليقينُ، ويَعْدِمَ الصبرُ، فيظهرَ الجَزَعُ.

قلتُ: شيءٌ غيرُ هذا؟ قال: نعم، إنَّ اللَّه عز وجل وَعَدَ الأرزاق، وضَمِنَ، وغَيَّبَ الأوقات؛ ليختبرَ أهلَ العقول، ولولا ذلك لكان كُلُّ المؤمنين راضين صابرين متوكِّلين، لكنَّ اللَّه عز وجل أعلمهم أَنَّهُ رازقهم، وحَلَفَ لهم على ذلك، وغَيَّبَ عنهم أوقاتَ العطاء،

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٤٦١) برقم: (٣٢١٨٤)، وذكره البغوي (٤/ ٢٣١).

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٤٦١) برقم: (٣٢١٨٦)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٧٦)، وابن كثير في **«تفسيره»** (٤/ ٢٣٥).

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٤٦١) برقم: (٣٢١٨٩)، وذكره البغوي (٤/ ٢٣١)، وابن عطية (٥/ ١٧٦)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٦/ ١٣٧)، وعزاه لأبي الشيخ، وابن جرير.

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٤٦١) برقم: (٣٢١٨٧)، وذكره البغوي (٤/ ٢٣١)، وابن عطية (٥/ ١٧٦)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٦/ ١٣٧)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر.

(٥) ذكره ابن عطية (٥/ ١٧٦).

(٦) قال الهيثمي في **«مجمع الزوائد»** (٤/ ٧٥): رواه الطبراني في **«الأوسط»** و**«الصغير»** وفيه عطية العوفي وهو ضعيف. ا هـ.

فَمِنْ ها هنا عُرِفَ الخَاصّ من العامِّ، وتفاوت العبادُ في الصبر، والرضا، واليقين، والتوكل، والسكون، فمنهم ـ كما علمتَ ـ ساكنٌ، ومنهم متحرك، ومنهم راض، ومنهم ساخط، ومنهم جَزِعٌ، فعلى قَدْرِ ما تفاوتوا في المعرفة ـ تفاوتوا في اليقين، وعلى قَدْرِ ما تفاوتوا في اليقين ـ تفاوتوا في السكون والرضا والصبر والتوكل .اهـ.

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾

١٠١أ وقوله سبحانه: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ...﴾/ الآية، قد تقدم قَصَصُهَا، و«عليم» أي: عالم، وهو إِسحاق ـ عليه السلام ـ.

* ت *: ولنذكر هنا شيئاً من الآثار في آداب الطعام، قال النوويُّ: روى ابن السُّنِّيِّ بسنده عن النبي ﷺ أَنَّهُ كَانَ يقول في الطعام إذا قُرِّبَ إِلَيْهِ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيمَا رَزَقْتَنَا، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، بِاسْمِ اللَّهِ» انتهى[1]، وفي «**صحيح مسلم**» عن جابر عن النبي ﷺ قال: «إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ، فَذَكَرَ اللَّهَ تَعَالَى عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ ـ قَالَ الشَّيْطَانُ: لاَ مَبِيتَ لَكُمْ، وَلاَ عَشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ اللَّه تَعَالَى عِنْدَ دُخُولِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ تَعَالَى عِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ»[2]، وفي «**صحيح مسلم**» عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ أَلاَّ يُذْكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ»[3] الحديث، انتهى،

---

(١) أخرجه ابن السني (٤٥٩).

(٢) أخرجه مسلم (٣/١٥٩٨) كتاب «الأشربة» باب: آداب الطعام والشراب وأحكامهما (١٠٣/٢٠١٨)، وأبو داود (٢/ ٣٧٤) كتاب «الأطعمة» باب: التسمية على الطعام (٣٧٦٥)، وابن ماجه (٢/ ١٢٧٩)، كتاب «الدعاء» باب: ما يدعو به إذا دخل بيته (٣٨٨٧)، وأحمد (٣/ ٣٤٦)، والبيهقي (٧/ ٢٧٦)، كتاب «الصداق» باب: التسمية على الطعام، والبخاري في «**الأدب المفرد**» (٣١٩) (١١٠٢).

(٣) أخرجه مسلم (٣/ ١٥٩٧) كتاب «الأشربة» باب: آداب الطعام والشراب وأحكامهما (١٠٢/ ٢٠١٧)، وأبو داود (٢/ ٣٧٤) كتاب «الأطعمة» باب: التسمية على الطعام (٣٧٦٦)، وأحمد (٥/ ٣٨٣)، والحاكم في «**المستدرك**» (٤/ ١٠٨).
قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
وللحديث شاهد من رواية جابر بن عبد الله، أخرجه أبو داود (٢/ ٣٧٤) كتاب «الأطعمة»، باب:

والصَّرَّةُ: الصيحة[١]؛ كذا فسره ابن عباس وجماعة، قال الطبريُّ عن بعضهم[٢]: قَالَتْ: «أَوَّهْ»؛ بِصِيَاحٍ وتَعَجُّبٍ؛ وقال النَّحَّاسُ: ﴿في صرة﴾ في جماعة نسوة.

وقوله: ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾: معناه: ضربت وَجْهَهَا؛ استهوالاً لما سمعت، وقال سفيان وغيره: ضَرَبَتْ بِكَفِّهَا جبهتها[٣]، وهذا مُسْتَعْمَلٌ في الناس حَتَّى الآن، وقولهم: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكِ﴾ أي: كقولنا الذي أخبرناك.

وقوله تعالى: ﴿حِجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾ بيانٌ يخرج عن مُعْتَادِ حجارة البرَد التي هي من ماء، ويُرْوَى أَنَّه طين طُبِخَ في نار جَهَنَّمَ حَتَّى صار حجارة كالآجر، و﴿مُسَوَّمَةً﴾ نعت لحجارة، ثم أخبر تعالى أَنَّه أخرج بأمره مَنْ كان في قرية «لوط» مِنَ المؤمنين، منجياً لهم، وأعاد الضمير على القرية،/ وإِنْ لم يجرِ لها قبل ذلك ذكر؛ لشهرة أمرها، قال المفسرون: ١٠١ ب
لاَ فَرْقَ بين تقدُّمِ ذكر المؤمنين وتأخُّرِهِ؛ وإِنَّمَا هما وصفانِ ذَكَرَهُمْ أَوَّلاً بأحدهما، ثم آخراً بالثَّاني، قيل: فَالآية دالَّةٌ على أَنَّ الإِيمان هو الإِسلام، قال * ع[٤] *: ويظهر لي أَنَّ في المعنى زيادة تحسن التقديم للإِيمان؛ وذلك أَنَّهُ ذكره مع الإِخراج من القرية، كأَنَّهُ يقول: نفذ أمرنا بإِخراج كُلِّ مؤمن، ولا يُشْتَرَطُ فيه أنْ يكون عاملاً بالطاعات؛ بلِ التصديق باللَّه فقط، ثم لما ذكر حال الموجودين ذكرهم بالصفة التي كانوا عليها، وهي الكاملةُ التصديق والأعمالِ، والبيتُ من المسلمين هو بيتُ لوط ـ عليه السلام ـ وكان هو وابنتاه، وفي كتاب الثعلبيِّ: وقيل: لوط وأهل بيته ثلاثةَ عَشَرَ، وهلكت امرأته فيمن هلك، وهذه القصة ذُكِرَتْ على جهة ضرب المثل لقريش، وتحذيراً أنْ يصيبهم مثلُ ما أصاب هؤلاء.

﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾﴾

التسمية على الطعام (٣٧٦٥)، والنسائي (٤/ ١٧٤)، كتاب «آداب الأكل» باب: ذكر اللَّه تعالى وتبارك عند الطعام (٦٧٥٧/ ١).

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٤٦٣)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٧٨)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٣٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٣٨)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» (١١/ ٤٦٣).

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٤٦٤) برقم: (٣٢٢٠٦)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٧٨).

(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ١٧٩).

وقوله: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا﴾ أي: في القرية، وهي سدوم ﴿آيَةً﴾، قال أبو حيان[١]: ﴿وفي موسى﴾، أي: وفي قصة موسى، [انتهى].

وقوله سبحانه في فرعون: ﴿فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ﴾ أي: أعرض عن أمر اللَّه، ورُكْنُهُ: هو سلطانُه وجُنْدُهُ وشدَّةُ أمره، وقول فرعون في موسى: ﴿سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ هو تقسيم، ظَنَّ أَنَّ موسى لا بُدَّ أَنْ يكونَ أَحَدَ هذين القسمين، وقال أبو عبيدةَ: «أو» هنا بمعنى الواو، وهذا ضعيف لا داعيةَ إليه في هذا الموضع.

وقوله: ﴿مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ﴾ أي: ما تدع من شيء أتتْ عليه مِمَّا أذِنَ لها في إهلاكه ﴿إِلاَّ جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾: وهو الفاني المُتَقَطِّعُ؛ يبساً أو قِدَماً من الأشجار/ والوَرَقِ والعِظَام، ورُوِيَ في حديث: أَنَّ تلك الريح كانت تَهُبُّ على الناس فيهم العاديُّ وغيرُهُ، فَتَنْتَزِعُ العَادِيَّ من بين الناس وتذهب به. ١٠٢أ

وقوله سبحانه: ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا﴾ أي: إذ قيل لهم في أول بَعْثِ صالح، وهذا قول الحَسَنِ[٢]، ويحتمل: إِذْ قيل لهم بعد عَقْرِ الناقة: تمتعوا في داركم ثلاثة أَيَّامٍ؛ وهو قول الفرَّاء[٣].

وقوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ أي: يبصرون بعيونهم، وهذا قول الطبريِّ، ويحتمل أَنْ يريدَ وهم ينتظرون في تلك الأَيَّامِ الثلاثة، وهذا قول مجاهد[٤].

﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ﴾ أي: من مصارعهم؛ قاله بعض المفسرين، وقال قتادة وغيره[٥]: معناه من قيام بالأمر النازل بهم ولا دَفْعِهِ عنهم.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ بالنصب، وهو عَطْفٌ إِمَّا على الضمير في قوله: ﴿فَأَخذتهم﴾، إِذْ هو بمنزلة أَهلكتهم، وإِمَّا على الضمير في قوله: ﴿فنبذناهم﴾.

---

(١) ينظر: «البحر المحيط» (٨/ ١٣٩).
(٢) ذكره ابن عطية(٥/ ١٨٠).
(٣) ينظر: المصدر السابق.
(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٤٧٠) برقم: (٣٢٢٤٠)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٨٠).
(٥) أخرجه الطبري (١١/ ٤٧١) برقم: (٣٢٢٤٢)، وذكره البغوي (٤/ ٢٣٤)، وابن عطية (٥/ ١٨١).

وقوله: ﴿وَالسَّمَاءَ﴾ نُصِبَ بإضمار فعل تقديره: وَبَنَيْنَا السماء بَنيناها، والأيد: القوة؛ قاله ابن عباس وغيره[١] ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ أي: في بناء السماء، أي: جعلناها واسعةً؛ قاله ابن زيد[٢].

أبو البقاء: ﴿فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ أي: نحن، فحذف المخصوص. انتهى.

﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ قال مجاهد: معناه: أَنَّ هذه إشارة إلى المتضادات والمتقابلات من الأشياء؛ كالليل والنهار، والشقاوة والسعادة، والهُدَى والضلال، والسماء والأرض، والسواد والبياض، والصِّحَّةِ والمرض، والإيمان والكفر، ونحو هذا، ورَجَّحَهُ الطبريُّ[٣] بأَنَّه أَدَلُّ على القدرة التي تُوجِدُ الضدين، وقال ابن زيد وغيره[٤]: هي إشارة إلى الأنثى والذكر من كل حيوان.

* ت *: والأَوَّلُ أحسن؛ لشموله لما ذكره ابن/ زيد. ١٠٢ ب

وقوله سبحانه: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ...﴾ الآية أمر بالدخول في الإيمان وطاعَةِ الرحمٰن، وَنَبَّهَ بلفظ الفرار على أَنَّ وراءَ الناس عقاباً وعذاباً» يفرُّ منه، فجمعتْ لفظةُ «فروا» بين التحذير والاستدعاء.

* ت *: وأسند أبو بكر، أحمد بن الحسين البيهقيُّ في «**دلائل النبوَّةِ**» (تصنيفه) عن كَثِيرِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ، عن أبيه، عن جَدِّهِ «أَنَّ رسول اللَّهِ ﷺ كَانَ في الْمَسْجِدِ، فَسَمِعَ كَلاَماً مِنْ زَاوِيَتِهِ، وَإِذَا هُوَ بِقَائِلٍ يَقُولُ: اللَّهُمَّ، أَعِنِّي عَلَى مَا يُنْجِينِي مِمَّا خَوَّفْتَنِي، فَقَالَ

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٤٧٢) برقم: (٣٢٢٤٥)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٨١)، وابن كثير في «**تفسيره**» (٤/ ٢٣٧)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ١٤٠)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «**الأسماء والصفات**».

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٤٧٢) برقم: (٣٢٢٥١)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٨١).

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٤٧٢) برقم: (٣٢٢٥٢)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٨١)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ١٤٠)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر.

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٤٧٣) برقم: (٣٢٢٥٤)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٨١).

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ سَمِعَ ذَلِكَ: أَلاَ تَضُمُّ إِلَيْهَا أُخْتَهَا؟ فَقَالَ الرَّجُلُ: اللَّهُمَّ، ارْزُقْنِي شَوْقَ الصَّادِقِينَ إِلَى مَا شَوَّقْتَهُمْ إِلَيْهِ» وفيه: «فَذَهَبُوا يَنْظُرُونَ، فَإِذَا هُوَ الخَضِرُ ـ عليه السلام ـ»، انتهى مختصراً[١].

وقوله تعالى: ﴿كذلك﴾ أي: سيرة الأمم كذلك؛ قال عياض: فهذه الآية ونظائرها تسليةٌ للنبيِّ ﷺ، عَزَّاهُ اللَّه ـ عز وجل ـ بما أخبر به عن الأُمَمِ السالفة ومقالها لأنبيائها، وأَنَّه ليس أَوَّلَ مَنْ لَقِيَ ذلك، انتهى من «**الشفا**».

وقوله سبحانه: ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ﴾ توقيف وتعجيب من توارد نفوس الكَفَرَةِ في تكذيب الأنبياء على تَفَرُّقِ أَزمانهم، أي: لم يتواصوا، لكنَّهُم فعلوا فعلاً كأَنَّهُ فعل مَنْ تواصى، والعِلَّةُ في ذلك أَنَّ جميعهم طاغٍ، والطاغي المستعلي في الأرض، المُفْسِدُ.

وقوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي: عنِ الحرص المُفْرِطِ عليهم، وذَهَابِ النفس حَسَرَاتٍ، ولستَ بملوم؛ إذ قد بَلَّغْتَ ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى﴾: نافعة للمؤمنين، ولمن قُضِيَ له أَنْ يكون منهم.

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾﴾

١٠٢أ وقوله سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾/ قال ابن عباس وعليٌّ[٢]: المعنى: ما خلقت الجن والإنس إلاَّ لآمرهم بعبادتي، وليقرُّوا لي بالعبودِيَّةِ، وقال زيد بن أسلمَ[٣] وسفيان: هذا خاصٌّ، والمراد: ما خلقت الطائعين من الجن والإنس إلاَّ لعبادتي، ويؤَيِّدُ هذا التأويلَ أَنَّ ابن عباس رَوَى عَن النبي ﷺ: أَنَّهُ **قَرَأَ**: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ»، وقال ابن عباس أيضاً[٤]: معنى ﴿ليعبدون﴾: ليتذللوا لي ولقدرتي، وإِنْ لم يكن ذلك على قوانينِ شرع، وعلى هذا التأويل فجميعهم من مُؤمن

---

(١) أخرجه البيهقي في «**دلائل النبوة**» (٥/ ٤٢٣)، وابن الجوزي في «**الموضوعات**» (١/ ١٩٣، ١٩٥).

(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ١٨٣)، وابن كثير في «**تفسيره**» (٤/ ٢٣٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٤٧٥) برقم (٣٢٢٦٣) (٣٢٢٦٥)، وذكره البغوي (٤/ ٢٣٥)، وابن عطية (٥/ ١٨٣)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ١٤٢) وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٤٧٦) برقم (٣٢٢٦٨)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٨٣).

وكافر مُتَذَلِّلٌ للَّه عز وجل؛ ألاَ تراهم عند القحوط والأمراض وغيرِ ذلك كيف يخضعون للَّه ويتذللون؟!.

* ت *: قال الفخر[١]: فإنْ قيل: ما العبادة التي خلق اللَّه الجن والإنسَ لها؟ قلنا: التعظيم لأمر اللَّه، والشفقةُ على خلق اللَّه؛ فإنَّ هذين النوعينِ لم يَخْلُ شرعٌ منهما، وأمَّا خصوص العبادات فالشرائع مختلفة فيها: بالوضع والهيئة، والقِلَّةِ والكَثْرَةِ، والزَّمان والمكان، والشَّرَائِطِ والأركان، انتهى، ونقل الثعلبيُّ وغيره[٢] عن مجاهد: ﴿إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ أي: ليعرفوني، قال صاحب «الكَلِم الفارقية»: المعرفة باللَّه تملأ القلبَ مَهَابَةً ومخافَةً، والعينَ عَبْرَةً وعِبْرةً وحياءً وخَجْلَةً، والصَّدْرَ خُشُوعاً وَحُرْمَةً، والجوارحَ استكانةً وذِلَّةً وطاعةً وخدمةً، واللسانَ ذكراً وحمداً، والسمعَ إصغاءً وَتفَهُّماً، والخواطِرَ في مواقف المناجات خموداً، والوساوِسَ اضمحلالاً، انتهى.

وقوله سبحانه: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾ أي: أنْ يرزقوا أنفسهم ولا غيرهم.

وقوله: ﴿أَنْ يُطْعِمُونِ﴾ أي: أنْ يطعموا خَلْقِيَ؛ قاله ابن عباس[٣]، ويحتمل أنْ يريد/: أنْ ينفعوني، و﴿المتين﴾: الشديد. ١٠٣ ب

* ت *: ورُوِّينَا في «كتاب التِّرْمِذِيِّ» عن أبي هريرةَ عنِ النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: يَا بْنَ آدَمَ، تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلأْ صَدْرَكَ غِنًى، وأَسُدَّ فَقْرَكَ، وَإِلاَّ تَفْعَلْ مَلأْتُ يَدَكَ شُغْلاً، وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ»، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن، ورُوِّينَا فيه عن أنس قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ، جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ في قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ، جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلاَّ مَا قُدِّرَ لَهُ»[٤] انتهى.

وقوله سبحانه: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: يريد أهل مَكَّةَ، والذَّنوب: الحَظُّ والنصيب،

---

(١) ينظر: «تفسير الرازي» (١٤/ ٢٠٠).
(٢) ذكره البغوي (٤/ ٢٣٥).
(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٤٧٦) برقم: (٣٢٢٦٩)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٨٣).
(٤) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٤٢ ـ ٦٤٣) كتاب «صفة القيامة» باب: (٣٠) (٢٤٦٦)، وابن ماجه (٢/ ١٣٧٦) كتاب «الزهد» باب: الهم بالدنيا (٤١٠٧)، وأحمد (٢/ ٣٥٨).
قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

وأصله من الدَّلْوِ؛ وذلك أَنَّ الذَّنُوبَ هو مِلْءُ الدَّلْوِ من الماء، وكذا قال أبو حيان[١]: ﴿ذَنُوباً﴾، أي: نصيباً، انتهى، و﴿أصحابهم﴾: يُرَادُ بهم مَنْ تقدم من الأمم المُعَذَّبَةِ، وباقي الآية وعيد بَيِّنٌ.

(١) ينظر: «البحر المحيط» (٨/ ١٤١).

تَفسِيرُ سُورَةِ «الطُّورِ»

وهِيَ مَكِّيَّةٌ بِإجْمَاعٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ...﴾ الآية، هذه مخلوقات أقسم اللَّه ـ عز وجل ـ بها؛ تنبيهاً على النظر والاعتبارِ بها، المؤدِّي إلى توحيد اللَّه والمعرفة بواجب حَقِّه سبحانه؛ قال بعض اللغويين: كُلُّ جبلٍ طُورٌ، فكأنَّه سبحانه أقسم بالجبال، وقال آخرون: الطور: كُلُّ جبل أجردَ لا ينبت شجراً، وقال نوف البكاليُّ: المراد هنا جبل طُورِ سَيْنَاءَ، وهو الذي أقسم اللَّه به؛ لفضله على الجبال، والكتاب المسطور: معناه/ بإجماع: ١١٠٤أ المكتوبُ أسطاراً، واخْتَلَفَ الناس في هذا الكتاب المُقْسَم به، فقال بَعْضُ المُفَسِّرِينَ: هو الكتاب المُنْتَسَخُ من اللوح المحفوظ للملائكة؛ لتعرفَ منه جميعَ ما تفعله وتصرفه في العالم، وقيل: هو القرآن؛ إذ قد علم تعالى أنَّه يتخلد في رَقٍّ منشور، وقيل: هو الكُتُبُ المُنَزَّلَةُ، وقيل: هو الكتاب الذي فيه أعمال الخلق، وهو الذي لا يغادر صغيرةً ولا كبيرةً، والرَّقُّ: الورق المُعَدَّةُ للكتب، وهي مُرَقَّقَةٌ؛ فلذلك سُمِّيَتْ رَقًّا، وقد غلب الاستعمال على هذا الذي هو من جلود الحيوان، والمنشور خلاف المَطْوِيِّ، ﴿والبيت المعمور﴾: هو الذي ذُكِرَ في حديث الإسراء؛ قال جبريل للنبي ﷺ: هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لاَ يَعُودُونَ إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ[1]، وبهذا هي عمارته، وهو في السماء السابعة، وقيل: في السادسة، وقيل: إنَّه مقابلٌ للكعبة، لو وَقَعَ حجر منه، لَوَقَعَ علَىٰ ظهر

(١) أخرجه البخاري (٦/٣٤٨، ٣٥٠)، كتاب «بدء الخلق» باب: ذكر الملائكة (٣٢٠٧)، وكتاب «مناقب الأنصار» باب: المعراج (٣٨٨٧)، والنسائي (١/٢١٧، ٢٢٠)، كتاب «الصلاة» باب: فرض الصلاة وذكر اختلاف الناقلين في إسناد حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه، واختلاف ألفاظهم فيه، وأحمد (٣/١٤٨ ـ ١٤٩)، (٤/٢٠٨، ٢١٠).

الكعبة، وقال مجاهد، وقتادة، وابن زيد: في كل سماء بيت معمور، وفي كل أرض كذلك، وهي كُلُّها على خط من الكعبة، وقاله علي بن أبي طالب[١]، قال السُّهَيْلِيُّ: والبيت المعمور اسمه «عريباً»، قال وهب بن مُنَبِّهٍ: مَنْ قال: سبحانَ اللَّهِ وبحمده، كان له نور يملأ ما بين عريباً وحريباً، وهي الأرض السابعة، انتهى.

﴿وَالسَّقْفِ المَرْفُوعِ﴾: هو السماء، واختلف الناس في ﴿البحر المسجور﴾ فقال مجاهد وغيره[٢]: المُوْقَدُ ناراً، ورُوِيَ أَنَّ البحرَ هو جَهَنَّمُ، وقال قتادة[٣]: ﴿المسجور﴾: المملوء، وهذا معروف من اللغة، ورَجَّحَهُ/ الطبريُّ[٤]، وقال ابن عباس[٥]: هو الذي ذهب ماؤه، فالمسجور الفارغ، ورُوِيَ أَنَّ البحار يذهب ماؤها يومَ القيامة، وهذا معروف في اللغة، فهو من الأضداد، وقيل: يوقد البحر ناراً يَوْمَ القيامة، فذلك سجره، وقال ابن عباس أيضاً[٦]: ﴿المسجور﴾: المحبوس؛ ومنه ساجور الكلب، وهي القلادة من عود أو حديد تمسكه، وكذلك لولا أَنَّ البحر يُمْسِكُ لفاض على الأرض، والجمهور على أَنَّه بحر الدنيا، وقال منذر بن سعيد[٧]: المُقْسَمُ به جهنم، وسمَّاها بحراً؛ لِسَعَتِها وتموجها؛ كما قال ﷺ في الفرس: «وَإِنْ وَجَدْنَاهُ لَبَحْراً»[٨]، والقسم واقع على قوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ

١٠٤ ب

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ١٨٦) عن مجاهد، وقتادة، وابن زيد.

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٤٨٢) برقم: (٣٢٣١١)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٨٦)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٤٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٤٦)، وعزاه لابن جرير.

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٤٨٣) برقم: (٣٢٣١٣)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٨٦)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٤٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٤٦)، وعزاه لابن جرير.

(٤) ينظر: «تفسير الطبري» (١١/ ٤٨٣).

(٥) أخرجه الطبري (١١/ ٤٨٣) برقم: (٣٢٣١٤)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٨٦)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٤٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٤٦)، وعزاه للشيرازي في «الألقاب» من طريق الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء عن ذي الرمة.

(٦) أخرجه الطبري (١١/ ٤٨٣) برقم: (٣٢٣١٥)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٨٦)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٤٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٤٥)، وعزاه لابن جرير، وابن أبي حاتم.

(٧) ذكره ابن عطية (٥/ ١٨٧).

(٨) أخرجه البخاري (٥/ ٢٨٤ ـ ٢٨٥) كتاب «الهبة» باب: من استعار من الناس الفرس، حديث (٢٦٢٧)، (٦/ ٤٢) كتاب «الجهاد والسير» باب: الشجاعة في الحرب والجبن، حديث (٢٨٢) (٦/ ٦٩) كتاب «الجهاد والسير» باب: اسم الفرس والحمار، حديث (٢٨٥٧)، (٦/ ٧٨)، باب: الركوب على الدابة الصعبة والفحولة من الخيل، حديث (٢٨٦٢)، (٦/ ٨٣) باب: الفرس القطوف، حديث (٢٨٦٧)، (٦/ ١٤٣) كتاب «الجهاد والسير» باب: مبادرة الإمام عند الفزع، حديث (٢٩٦٨)، باب: السرعة والركض في الفزع، حديث (٢٩٦٩)، (١٠/ ٦٠٩ ـ ٦١٠)، كتاب «الأدب» باب: المعاريض مندوحة على الكذب، حديث (٦٢١٢)، ومسلم (٤/ ١٨٠٢)، كتاب «الفضائل» باب: في شجاعة النبي ﷺ وتقدمه للحرب، حديث (٤٩/ ٢٣٠٧)، وأبو داود (٢/ ٧١٥)، كتاب «الأدب» باب: ما روي في

لَوَاقِعٌ﴾ يريد: عذاب الآخرة واقع للكافرين؛ قاله قتادة[١]، قال الشيخ عبد الحق في «العاقبة»: وَيُرْوَى أَنَّ عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ سَمِعَ قارئاً يقرأ: ﴿والطور * وكتاب مسطور﴾ قال: هذا قَسَمٌ حَقٌّ، فلمَّا بلغ القارىء إلى قوله ـ عز وجل ـ: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ ظنَّ أَنَّ العذاب قد وقع به فَغُشِيَ عليه، انتهى، و﴿تمور﴾ معناه: تذهب وتجيء بالرياح متقطعةً مُتَفَتِّتَةً، وسير الجبال: هو في أَوَّلِ الأمر، ثم تتفتَّتُ حتى تصيرَ آخراً كالعِهْنِ المنفوش، و﴿يدعُون﴾ قال ابن عباس وغيره[٢]: معناه: يُدْفَعُونَ في أعناقهم بشدة وإهانة وتَعْتَعَةٍ، ومنه: ﴿يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ [الماعون: ٢]، وفي الكلام محذوف، تقديره: يقال لهم: هذه النار التي كنتم بها تكذبون؛ توبيخاً وتقريعاً لهم، ثم وقفهم سبحانه بقوله: ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا...﴾ الآية: ثم قيل لهم على جهة قطع رجائهم: اصْبِرُوا أَوْ لاَ تَصْبِرُوا سواء عليكم، أي: عذابكم حتم، فسواء جَزعُكُم/ وَصَبْرُكُمْ، لا بُدَّ من جزاء أعمالكم. ١٠٥أ

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ المُتَّقِينَ في جَنَّاتٍ وَنَعِيم...﴾ الآية: يحتمل أَنْ يكونَ من خطاب أهل النار، فيكون إخبارُهم بذلك زيادةً في غُمِّهِمْ وسُوءِ حالهم، نعوذ باللَّه من سخطه! ويحتمل، وهو الأظهر، أَنْ يكون إخباراً للنبيِّ ﷺ ومعاصريه، لما فَرَغَ من ذكر عذاب الكفار عَقَّبَ بذكر نعيم المتقين ـ جعلنا اللَّه منهم بفضله ـ ليبين الفرقَ، ويقعَ التحريضُ على الإيمان، والمتقون هنا: مُتَّقُو الشرك؛ لأنَّهم لا بُدَّ من مصيرهم إلى الجنات، وكلما زادت الدرجة في التقوى قَوِيَ الحصولُ في حكم الآية، حَتَّى إِنَّ المتقين

الرخصة في ذلك، حديث (٤٩٨٨)، والترمذي (٤/ ١٧١ ـ ١٧٢)، كتاب «الجهاد» باب: ما جاء في الخروج عند الفزع، حديث (١٦٨٥ ـ ١٦٨٦ ـ ١٦٨٧)، وابن ماجه (٢/ ٩٢٦)، كتاب «الجهاد» باب: الخروج في النفير، حديث (٢٧٧٢)، وأحمد (٣/ ١٤٧، ١٨٠، ١٨٥، ٢٧١، ٢٧٤، ٢٩١)، وأبو داود الطيالسي (٢/ ١٢١) ـ منحة رقم: (٢٤٣٨)، وأبو يعلى (٥/ ٣٣٦) رقم: (٢٩٦٢)، والبيهقي (١٠/ ٢٥) كتاب «السبق والرمي» باب: ما جاء في تسمية البهائم والدواب (١٠/ ٢٠٠)، كتاب «الشهادات» باب: من سمى المرأة قارورة، من حديث أنس بن مالك.

وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٤٨٤) برقم: (٣٢٣١٩).

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٤٨٤) برقم: (٣٢٣٢٩)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٨٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٤٦)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر.

على الإطلاق هم في هذه الآية قطعاً على اللَّه تعالى بحكم خبره الصادق، **وقرأ** جمهور الناس: «فاكهين»[١] ومعناه: فَرِحِينَ مسرورين، وقال أبو عُبَيْدَةَ: هو من باب: «لاَبِنٌ» و«تَامِرٌ»، أي: لهم فاكهة[٢]، قال * ع[٣] *: والمعنى الأَوَّلُ أبرع، **وقرأ** خالد فيما روى أبو حاتم: «فَكِهِينَ»[٤] والفَكِهُ والفاكه: المسرور المتنعم.

وقوله تعالى: ﴿بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ أي: من إنعامه ورضاه عنهم.

وقوله تعالى: ﴿وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ هذا متمكن في مُتَّقِي المعاصي، الذي لا يدخل النارَ ﴿ووقاهم﴾ مشتق من الوقاية، وهي الحائل بين الشيء وبين ما يضرُّه.

وقوله: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ أي: يقال لهم: كلوا واشربوا، و﴿هنيئاً﴾ نُصِبَ على المصدر.

وقوله: ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ معناه: أَنَّ رُتَبَ الجنة ونعيمها بحسب الأعمال، وأَمَّا نَفْسُ دخولها فهو برحمة اللَّه وفضلِهِ، وأعمالُ العباد الصالحاتُ لا تُوجِبُ على اللَّه تعالى التنعيمَ إيجاباً؛ لكِنَّهُ سبحانه قد جعلها أَمارةً على مَنْ سبق في علمه تنعيمه، وعَلَّقَ الثوابَ والعِقَابَ بالتكسب الذي في الأعمال، والحُورُ: جمع حَوْرَاءُ، وهي البيضاء القويةُ بياض
١٠٥ ب بياضِ/ العَيْنِ وَسَوَادِ سَوَادِها، والعِينُ: جمع عَيْنَاءُ، وهي كبيرة العينين مع جمالهما، وفي **قراءة** ابن مسعود والنَّخَعِيِّ: «وَزَوَّجْنَاهُمْ بِعِيسِ عِينٍ»[٥] قال أبو الفتح: العَيْسَاءُ: البيضاء.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ كُلُّ ٱمْرِىٍٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾

---

(١) ينظر: **«المحرر الوجيز»** (٥/ ١٨٨)، و**«البحر المحيط»** (٨/ ١٤٥)، و**«الدر المصون»** (٦/ ١٩٧).
(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ١٨٨).
(٣) ينظر: **«المحرر الوجيز»** (٥/ ١٨٨).
(٤) ينظر: مصادر القراءة السابقة.
(٥) ينظر: **«المحتسب»** (٢/ ٢٩٠)، و**«مختصر الشواذ»** ص: (١٤٦)، و**«المحرر الوجيز»** (٥/ ١٨٨)، وقال: وحكى أبو عمرو عن عكرمة أنه قرأ «بعيس عين» على إضافة «عيس» إلى «عين».

وقوله سبحانه: ﴿والَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ اخْتُلِفَ في معنى الآية، فقال ابن عباس، وابن جبير، والجمهور: أخبر اللَّه تعالى أَنَّ المؤمنين الذين اتبعتهم ذريتهم في الإيمان يلحق الأبناء في الجنة بمراتب الآباء، وإِنْ لم يكن الأبناء في التقوى والأعمال كالآباء؛ كرامةً للآباء[1]، وقد ورد في هذا المعنى حديث عن النبي ﷺ فجعلوا الحديثَ تفسيراً للآية، وكذلك وردت أحاديث تقتضي أَنَّ اللَّه تعالى يرحم الآباء؛ رعياً للأبناء الصالحين، وقال ابن عباس أيضاً والضَّحَّاكُ. معنى الآية: أَنَّ اللَّه تعالى يلحق الأبناء الصغار بأحكام الآباء المؤمنين، يعني في الموارثة والدفن في مقابر المسلمين، وفي أحكام الآخرة في الجنة[2]، وقال منذر بن سعيد: هي في الصغار لا في الكبار[3]؛ قال * ع[4] *: وأرجح الأقوال في هذه الآية القول الأَوَّل؛ لأَنَّ الآياتِ كلَّها في صفة إِحسان اللَّه تعالى إِلى أهل الجنة، فذكر من جملة إِحسانِهِ سبحانه أَنَّه يرْعَى المحسنَ في المسيء، ولفظة ﴿ألحقنا﴾ تقتضي أَنَّ لِلْمُلْحَقِ بعضَ التقصير في الأعمال.

* ت *: وأظهرُ مَنْ هذا ما أشار إِليه الثعلبيُّ في بعض أنقاله: أَنَّ اللَّه تعالى يجمع لعبده المؤمن ذُرِّيَّتَهُ في الجنة، كما كانوا في الدنيا، انتهى، ولم يتعرَّضْ لذكر الدرجات في هذا التأويل، وهو أحسن؛ لأَنَّهُ قد تقرَّرَ أَنَّ رفع الدرجات هي بأعمال العاملين، والآياتُ / والأحاديث مُصَرِّحَةٌ بذلك، ولما يلزم على التأويل الأَوَّلِ أَنْ يكونَ كُلُّ مَنْ ١١٠٦أ دخل الجنةَ مع آدم ـ عليه السلام ـ في درجةٍ واحدة؛ إِذ هم كُلُّهم ذرِّيَّتُهُ، وقد فتحتُ لك باباً للبحث في هذا المعنى منعني من إِتمامه ما قصدته من الاختصار، وباللَّه التوفيق.

وقوله: ﴿وَمَا أَلَتْنَاهُمْ﴾ أي: نقصناهم، ومعنى الآية أَنَّ اللَّه سبحانهُ يُلْحِقُ الأبناء بالآباء، ولا يُنْقِصُ الآباء من أجورهم شيئاً، وهذا تأويل الجمهور، ويحتمل أَنْ يريدَ: مِنْ عمل الأَبناء من شيء من حسن أو قبيح، وهذا تأويل ابن زيد[5]، ويُؤَيِّدُهُ قوله سبحانه: ﴿كُلُّ امْرِىءٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ والرهين: المُرْتَهِنُ، وفي هذه الألفاظ وعيد، وأمددتُ الشيءَ: إِذا سرَّبْتُ إِليه شيئاً آخر يكثره أو يكثر لديه.

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٤٨٧) برقم: (٣٢٣٣٨)، و (١١/ ٤٨٨) برقم: (٣٢٣٣٩)، وذكره البغوي (٤/ ٢٣٩)، وابن عطية (٥/ ١٨٩)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٤١)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٤٨)، وعزاه لابن أبي حاتم.

(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ١٨٩).

(٣) ينظر: المصدر السابق.

(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ١٨٩).

(٥) أخرجه الطبري (١١/ ٤٩١) برقم: (٣٢٣٦٤)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٩٠).

وقوله: ﴿مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ إشارة إلى ما رُوِيَ من أَنَّ المُنَعَّمَ إذا اشتهى لحماً نزل ذلك الحيوان بين يديه على الهيئة التي اشتهاه فيها، وليس يكون في الجنة لحم يحتز، ولا يُتَكَلَّفُ فيه الذبح، والسلخ، والطبخ، وبالجملة لا كَلَفَةَ في الجنة، و﴿يَتَنَازَعُونَ﴾ معناه: يتعاطون؛ ومنه قول الأخطل: [البسيط]

نَـازَعْـتُـهُ طَـيِّـبَ الـرَّاحِ الـشَّـمُـولِ وَقَـدْ صَاحَ الدَّجَاجُ وَحَانَتْ وَقْعَةُ السَّارِي[1]،

قال الفخر[2]: ويحتمل أنْ يقال: التنازع: التجاذُبُ، وحينئذ يكون تجاذُبُهُمْ تجاذبَ مُلاَعَبَةٍ، لا تجاذب منازعة، وفيه نوعُ لَذَّةٍ، وهو بيان لما عليه حال الشُّرَّابِ في الدنيا؛ فإنَّهم يتفاخرون بكثرة الشرب، ولا يتفاخرون بكثرة الأكل، انتهى، والكأس: الإناء فيه الشراب، ولا يقال في فارغ كأس؛ قاله الزَّجَّاج[3]، واللغو: السَّقَطُ من القول، والتأثيم: يلحق خَمْرَ الدنيا في نفس شُرْبِهَا وفي الأفعال التي تكون من شاربيها، وذلك كُلُّه/ مُنْتَفٍ في الآخرة. ١٠٦ ب

* ت *: قال الثعلبيُّ: وقال ابن عطاء: أيُّ لغوٍ يكون في مجلس: مَحَلُّهُ جَنَّةُ عدن، والساقي فيه الملائكة، وشربُهم على ذكر اللَّه، ورَيحانُهم تحيَّةٌ من عند اللَّه، والقومُ أضياف اللَّه.

﴿وَلاَ تَأْثِيمٌ﴾ أي: فعل يُؤْثِمُهُمْ، وهو تفعيل من الإثم، أي: لا يأثمونَ في شربها، انتهى، واللؤلؤ المكنون أجملُ اللؤلؤ؛ لأَنَّ الصون والكَنُّ يُحَسِّنُهُ، قال ابن جبير: أراد الذي في الصَّدَفِ لم تنله الأيدي[4]، وقيل للنبيِّ ﷺ: «إِذَا كَانَ الْغِلْمَانُ كَاللُّؤْلُؤِ المَكْنُونِ فَكَيْفَ المَخْدُومُونَ؟ قال: هُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ»[5].

* ت *: وهذا تقريب للأفهام، وإلاَّ فجمال أهلِ الجَنَّةِ أَعْظَمُ من هذا، يَدُلُّ على ذلك أحاديث صحيحة؛ ففي «**صحيح مسلم**» من حديث أبي هريرةَ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال:

---

(١) ينظر: البيت في «**ديوانه**» (١٤٢)، و«**جمهرة أشعار العرب**» (٧٢٥)، والقرطبي (١٧/ ٤٦)، و«**روح المعاني**» (٢٧/ ٣٤)، و«**البحر المحيط**» (٨/ ١٤٧).
والساري: الذي يمشي ليلاً.

(٢) ينظر: «**تفسير الرازي**» (١٤/ ٢١٨).

(٣) ينظر: «**معاني القرآن**» (٥/ ٦٣).

(٤) ذكره البغوي (٤/ ٢٤٠)، وابن عطية (٥/ ١٩٠).

(٥) أخرجه الطبري (١١/ ٤٩٢) برقم: (٣٢٣٦٩)، (٣٢٣٧٠)، وذكره السيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ١٤٩)، وعزاه إلى عبد الرزاق، وابن المنذر.

قال رسول اللَّه ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ ـ وفي رِوَايَةٍ: «مِنْ أُمَّتِي» عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَىٰ أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ في السَّمَاءِ إِضَاءَةً»[1]، وفي رواية: «ثُمَّ هُمْ بَعْدَ ذَلِكَ مَنَازِلُ» الحديثَ، وفي «صحيح مسلم» أيضاً عن النبي ﷺ: «إِنَّ في الجَنَّةَ لَسُوقاً يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ، فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ، فَتَحْثُو في وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ، وَيَزْدَادُونَ حُسْناً وَجَمَالاً، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: واللَّهِ، لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْناً وَجَمَالاً! فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ واللَّهِ، لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْناً وَجَمَالاً»[2]، انتهى، وقد أشار الغَزَّاليُّ وغيره إلى طَرَفٍ من هذا المعنى، لَمَّا تكلَّم على رؤية العارفين للَّه سبحانه في الآخرة، قال بعد كلام: ولا يَبْعُدُ أَنْ تكونَ ألطاف الكشف والنظر في الآخرة متواليةً إلى غير نهاية، فلا يزالُ النعيمُ واللَّذَّةُ متزايداً أَبَدَ الآبادِ، وللشيخ أبي الحسن الشاذلي هنا كلام حسن قال: لو كُشِفَ عن نور المؤمن لعبد من دون اللَّه، ولو كُشِفَ عن نور المؤمن العاصي لطبق السماء والأرض، /فكيف بنور المؤمن المطيع؟! نقل كلامه هذا ابن عطاء اللَّه وابن عَبَّاد، انظره. ١٠٧أ

ثم وصف تعالى عنهم أَنَّهم في جملة تنعمهم ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾ أي: عن أحوالهم وما نال كُلَّ واحد منهم، وأَنَّهم يتذكرون حالَ الدنيا وخشيتَهم عذابَ الآخرة، والإشفاقُ أَشَدُّ الخشية ورِقَّةُ القلب، و﴿السَّمُومُ﴾: الحارُّ، و﴿نَدْعُوهُ﴾: يحتمل أَنْ يريد: الدعاءَ على بابه، ويحتمل أنْ يريد نعبده، **وقرأ** نافع والكسائيُّ: «أَنَّهُ» ـ بفتح الهمزة ـ، والباقون بكسرها[3] و﴿البِرُّ﴾ الذي يَبَرُّ ويُحْسِنُ.

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٣٦٧) كتاب «بدء الخلق» باب: ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة (٣٢٤٥، ٣٢٤٦، ٣٢٥٤)، (٦/ ٤١٧)، كتاب «أحاديث الأنبياء» باب: خلق آدم وذريته (٣٣٢٧)، ومسلم (٤/ ٢١٧٨، ٢١٨٠)، كتاب «الجنة وصفة نعيمها وأهلها» باب: أول زمرة تدخل الجنة على هيئة القمر ليلة البدر، وصفاتهم وأزواجهم (١٤/ ٢٨٣٤) ـ مكرر، (١٥ ـ ١٦/ ٢٨٣٤)، والترمذي (٤/ ٦٧٨)، كتاب «صفة الجنة» باب: في صفة أهل الجنة (٢٥٣٧)، وأحمد (٢٠، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٤٧، ٢٥٣، ٢٥٧، ٣١٦، ٥٠٢، ٥٠٧)، وابن ماجه (٢/ ١٤٤٩)، كتاب «الزهد» باب: صفة الجنة (٤٣٣٣)، وابن حبان (١٦/ ٤٣٦)، كتاب «إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة» باب: وصف الجنة وأهلها (٧٤٢٠)، (١٦/ ٤٦٣ ـ ٤٦٤)، كتاب «إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة» باب: وصف الجنة وأهلها (٧٤٣٦ ـ ٧٤٣٧)، والحميدي (٢/ ٤٨٣ ـ ٤٨٤) (١١٤٣)، والدارمي (٢/ ٣٣٣ ـ ٣٣٤)، كتاب «الرقائق» باب: في أول زمرة يدخلون الجنة، وابن المبارك في «الزهد» (١/ ٥٤٩) (١٥٧٥)، (١/ ٥٥٢) (١٥٨٥) مثله ونحوه.
قال الترمذي: هذا حديث صحيح.

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٧٨)، كتاب «الجنة وصفة نعيمها» باب: في سوق الجنة وما ينالون فيها من النعيم (١٣/ ٢٨٣٣).

(٣) ينظر: «السبعة» (٦١٣)، و«الحجة» (٦/ ٢٢٧)، و«معاني القراءات» (٣/ ٣٤)، و«شرح الطيبة» (٦/ ٢٣)، و«العنوان» (١٨١)، و«حجة القراءات» (٦٨٣)، و«شرح شعلة» (٥٩٠)، و«إتحاف» (٢/ ٤٩٧).

﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿فَذَكِّرْ﴾ أمر لنبيِّه ـ عليه السلام ـ بإدامة الدعاء إلى اللَّه عز وجل، ثم قال مؤنساً له: ﴿فَمَا أَنْتَ﴾: بإنعام اللَّه عليك ولُطْفِهِ بك ـ كاهِنٌ ولا مجنون.

وقوله سبحانه: ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ أي: بل ﴿يَقُولُونَ شَاعِرٌ...﴾ الآية: رُوِيَ أَنَّ قريشاً اجتمعت في دار النَّدْوَةِ، فَكَثُرَتْ آراؤُهم في النبيِّ ﷺ حَتَّى قال قائل منهم: تَرَبَّصُوا به رَيْبَ المَنُونِ، أي: حوادِثَ الدهر، فَيَهْلِكَ كما هَلَكَ من قبله من الشُّعَرَاءِ: زُهَيْرٌ، والنَّابِغَةُ، وَالأَعْشَى، وغيرُهم، فافترقوا على هذه المقالة، فنزلت الآية في ذلك، والتَّرَبُّصُ: الانتظار، والمنون: من أسماء الموت، وبه فسر ابن عباس[1]، وهو أيضاً من أسماء الدهر، وبه فَسَّرَ مجاهد[2]، والرَّيْبُ هنا: الحوادث والمصائب: ومنه قوله ﷺ: «إِنَّما فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي يَرِيبُنِي مَا رَابَهَا»[3] الحديثَ.

وقوله: ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا﴾ وعيد في صيغة أمر.

وقوله سبحانه: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلاَمُهُمْ بِهٰذا﴾ الأحلام: العقول، وقوله: ﴿بِهٰذا﴾ يحتمل أنْ يشيرَ إلى هذه المقالة: هو شاعر، ويحتمل أَنْ يشير إلى ما هم عليه من الكُفْرِ وعِبَادَةِ/ الأصنام، و﴿تَقَوَّلَهُ﴾ معناه: قال عن الغير أَنَّهُ قاله، فهي عبارة عن كَذِبٍ مخصوص، ثم عَجَّزَهُمْ سبحانه بقوله: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ﴾ والضمير في ﴿مثله﴾ عائد على القرآن. ١٠٧ ب

وقوله: ﴿إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٤٩٤) برقم: (٣٢٣٧٦)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٩١)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٤٣)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٥٠)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٤٩٤) برقم: (٣٢٣٧٥)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٩١)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٥٠)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر.

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٠٢ ـ ١٩٠٣)، كتاب «فضائل الصحابة» باب: فضائل فاطمة بنت الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ (٩٣، ٩٥/ ٢٤٤٩)، وأحمد (٤٣٢٣، ٤٣٢٦، ٣٢٨، ٣٣٢)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٤١).

* ت *: أي: في أَنَّ محمداً تَقَوَّلَهُ؛ قاله الثعلبيُّ.

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ قال الثعلبيُّ: قال ابن عباس: من غير أَبٍ ولا أُمٍّ، فهم كالجماد لا يعقلون، ولا تقوم لله عليهم حُجَّةٌ، أليسوا خُلِقُوا من نطفة وعلقة، وقال ابن كَيْسَانَ: أَمْ خلقوا عَبَثاً، وَتُرِكُوا سُدًى من غير شيء، أي: لغير شيء لا يؤمرون ولا يُنْهَوْنَ ﴿أَمْ هُمُ الخَالِقُونَ﴾: لأنفسهم، فلا يأتمرون لأمر اللَّه، انتهى، وعَبَّرَ * ع[1] *: عن هذا بأَنْ قال: وقال آخرون: معناه: أَمْ خُلِقُوا لغير عِلَّةٍ ولا لغاية عقاب وثواب؛ فهم لذلك لا يسمعون ولا يتشرَّعون.

* ت *: وقد يحتمل أَنْ يكونَ المعنى: أم خُلِقُوا من غير شيء خَلَقَهُمْ، أي: من غير مُوجِدٍ أَوْجَدَهُمْ، ويَدُلُّ عليه مقابلته بقوله: ﴿أم هم الخالقون﴾ وهكذا قال الغَزَّاليُّ في «الإحياء»، قال: وقوله عز وجل: ﴿أم خلقوا من غير شيء﴾ أي: من غير خالق، انتهى بلفظه من كتاب، آداب التلاوة قال الغَزَّالِيُّ: ولا يُتَوَهَّمُ أَنَّ الآيَةَ تَدُلُّ أَنَّه لا يُخْلَقُ شَيْءٌ إلاَّ من شيء! انتهى، وقال الفخر[2]: قوله تعالى: ﴿من غير شيء﴾ فيه وجوه، المنقول منها: أم خُلِقُوا من غير خالق، [وقيل: أَمْ خُلِقُوا لا لغير شيء عَبَثاً][3]، وقيل: أم خلقوا من غير أَبٍ وأُمّ، انتهى، وأحسنها الأَوَّلُ؛ كما قال الغَزَّالِيُّ، واللَّه أعلم بما أراد سبحانه، وفي الصحيح عن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قال: «سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ في الْمَغْرِبِ بالطُّورِ، فَلَمَّا بَلَغَ هٰذِهِ الآيَةَ: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ إِلى قَوْلِهِ: ﴿الْمُصَيْطِرُونَ﴾ ـ كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ»، وفي رواية: «وَذَلِكَ أَوَّلُ مَا/ وَقَرَ الإِيمَانُ في قَلْبِي»[4] انتهى، وأسند ١٠٨أ أبو بكر ابن الخطيب في «تاريخه» عن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قال: «أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ في فِدَاءِ أَهْلِ بَدْرٍ، فَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ في الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ، فَكَأَنَّمَا تَصَدَّعَ قَلْبِي حِينَ سَمِعْتُ الْقُرْآنَ» انتهى.

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ١٩٢).
(٢) ينظر: «تفسير الرازي» (١٤/ ٢٢٣).
(٣) سقط في: د.
(٤) أخرجه البخاري (٨/ ٤٦٩)، كتاب «التفسير» برقم: (٤٨٥٤).

بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾

وقوله سبحانه: ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ﴾ بمنزلة قوله: أم عندهم الاستغناء في جميع الأمور؟ والمصيطر: القاهر، وبذلك فسر ابن عباس[1] الآية، والسُّلَّمُ: السبب الذي يُصْعَدُ به، كان ما كان من خشب، أو بناء، أو حبال، أو غير ذلك، والمعنى: ألهم سُلَّمٌ إلى السماء يستمعون فيه، أي: عليه أو منه، وهذه حروف يَسُدُّ بعضُها مَسَدَّ بعض، والمعنى: يستمعون الخبر بِصِحَّةِ ما يدعونه، فليأتوا بالحُجَّةِ المبينة في ذلك.

وقوله سبحانه: ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ﴾ الآية، قال ابن عباس[2]: يعني أَمْ عندهم اللوحُ المحفوظ، ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾: ما فيه، ويخبرون به، ثم قال: ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْداً﴾: بك وبالشرع، ثم جزم الخبر بأنَّهم ﴿هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ أي: هم المغلوبون، فَسَمَّى غَلَبَتَهُمْ كيداً؛ إذ كانت عقوبةُ الكَيْدِ، ثم قال سبحانه: ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ﴾: يعصمهم ويمنعهم من الهلاك، قال الثعلبيُّ: قال الخليل: ما في سورة الطور كُلِّها من ذكر «أم» كُلُّه استفهام لهم، انتهى.

ثم نَزَّهَ تعالى نفسه: ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به.

﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾ ﴾

وقوله: ﴿وَإِنْ يَرَوا كِسْفاً﴾ أي: قطعةً يقولون لشدة معاندتهم هٰذَا ﴿سَحَابٌ مَرْكُومٌ﴾: بعضُه على بعض، وهذا جوابٌ لقولهم: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفاً مِنَ السَّمَاءِ﴾ [الشعراء: ١٨٧] وقولهم: ﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً﴾ [الإسراء: ٩٢] يقول: لو فعلنا هذا بهم لما/ آمنوا، ولقالوا: سحاب مركوم. ١٠٨ ب

وقوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ﴾، وما جرى مَجْرَاهُ من الموادعة ـ منسوخٌ بآية السيف،

---

(١) أخرجه الطبري (١١/٤٩٦) برقم: (٣٢٣٨٦)، وذكره ابن عطية (٥/١٩٣)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/١٥٠)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٢) ذكره البغوي (٤/٢٤٢)، وذكره ابن عطية (٥/١٩٣).

والجمهورُ أَنَّ يومهم الذي فيه يُصْعَقُونَ، هو يوم القيامة، وقيل: هو موتهم واحداً واحداً، ويحتمل أَنْ يكون يومَ بدر؛ لأَنَّهُمْ عُذِّبُوا فيه، والصعق: التعذيب في الجملة، وإِنْ كان الاستعمالُ قد كَثُرَ فيما يصيب الإِنسانَ من الصَّيْحَةِ المُفْرِطَةِ ونحوه، ثُمَّ أخبر تعالى بِأَنَّ لهم دُونَ هذا اليوم، أي: قبله ﴿عَذَاباً﴾ واخْتُلِفَ في تعيينه، فقال ابن عباس وغيره[1]: هو بدر ونحوه، وقال مجاهد[2]: هو الجُوعُ الذي أصابهم، وقال البَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ وابن عباس أيضاً[3]: هو عذاب القبر، وقال ابن زيد[4]: هي مصائب الدنيا، إِذْ هي لهم عذاب.

* ت *: ويحتمل أَنْ يكونَ المراد الجميع؛ قال الفخر[5]: إِنْ قلنا إِنَّ العذابَ هو بدر فالذين ظلموا هم أهل مَكَّةَ، وإِنْ قلنا: العذابُ هو عذابُ القبر، فالذين ظلموا عامٌّ في كل ظالم، انتهى.

ثم قال تعالى لنبيِّهِ: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ أي: بمرأى ومنظر، نرى ونَسْمَعُ ما تقول، وأَنَّك في حفظنا وحيطتنا؛ كما تقول: فلان يرعاه المَلِكُ بعين، وهذه الآية ينبغي أَنْ يُقَرِّرَهَا كُلُّ مؤمن في نفسه؛ فإِنها تُفَسِّحُ مضايق الدنيا.

وقوله سبحانه: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ قال أبو الأحوص[6]: هو التسبيح المعروف، يقول في كل قيام: سبحان اللَّهِ وبحمدِهِ، وقال عطاء[7]: المعنى حين تقومُ من كُلِّ مجلس.

* ت *: وفي تفسير أحمدَ بن نصر الداوودِيِّ قال: وعن ابن المُسَيِّبِ قال: حَقٌّ على كل مسلم أنْ يقول حين يقومُ إِلى الصلاة: سبحان اللَّهِ وبحمده؛ لقولِ اللَّه سبحانه لِنَبِيِّهِ ﴿وسبح بحمد ربك حين تقوم﴾، انتهى،/ وقال ابن زيد[8]: هي صلاة النوافل، وقال ١١٠٩أ

(١) ذكره البغوي (٤/ ٢٤٣)، وابن عطية (٥/ ١٩٤).

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٤٩٩) برقم: (٣٢٣٩٨)، وذكره البغوي (٤/ ٢٤٣)، وابن عطية (٥/ ١٩٤)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٤٥)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٥١)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر.

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٤٩٩) برقم: (٣٢٣٩٤)، (٣٢٣٩٥)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٩٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٥٠)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر.

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٤٩٩) برقم: (٣٢٣٩٩)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٩٤).

(٥) ينظر: «تفسير الرازي» (١٤/ ٢٣٥).

(٦) أخرجه الطبري (١١/ ٥٠٠) برقم: (٣٢٤٠١)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٩٤)، وابن كثير في «تفسيره» (٥/ ١٩٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٥١)، وعزاه لابن أبي شيبة.

(٧) ذكره البغوي (٤/ ٢٤٣)، وابن عطية (٥/ ١٩٤)، وابن كثير في «تفسيره» (٥/ ١٩٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٥١)، وعزاه للفريابي، وابن المنذر.

(٨) ذكره ابن عطية (٥/ ١٩٤).

الضَّحَّاكُ[١]: هي الصلوات المفروضة، وَمَنْ قال هي النوافل جعلَ أدبار النجوم رَكْعَتَي الفجر، وعلى هذا القول جماعة كثيرة من الصحابة والتابعين، وقد رُوِيَ مرفوعاً، ومَنْ جعله التسبيحَ المعروفَ جعل قوله: ﴿حين تقوم﴾ مثالاً، أي: حين تقومُ وحينَ تَقْعُدُ، وفي كل تَصَرُّفِكَ، وحكى منذر عن الضَّحَّاكِ أَنَّ المعنى: حين تقومُ في الصلاة [بعد] تكبيرة الإِحرام، فقل: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ، وَبِحَمْدِكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ»[٢] الحديثَ.

---

(١) ينظر: المصدر السابق.

(٢) أخرجه أبو داود (١/ ٢٦٥)، كتاب «الصلاة» باب: من رأى الاستفتاح بسبحانك وبحمدك (٧٧٥)، والترمذي (٢/ ٩ ـ ١٠)، كتاب «الصلاة» باب: ما يقول عند افتتاح الصلاة (٢٤٢)، وابن ماجه (٢/ ٢٦٤)، كتاب «إقامة الصلاة والسنة فيها» باب: افتتاح الصلاة (٨٠٤)، والنسائي (٢/ ١٣٢)، كتاب «الافتتاح» باب: نوع آخر من الذكر بين افتتاح الصلاة وبين القراءة (٨٩٩)، وأحمد (٣/ ٥٠، ٦٩)، (١/ ٢٨٢)، كتاب «افتتاح الصلاة» باب: ما يقال بعد افتتاح الصلاة، وابن خزيمة (١/ ٢٣٨) جماع أبواب الأذان والإقامة، باب: إباحة الدعاء بعد التكبير وقبل القراءة... (٤٦٧).

تَفسِيرُ سُورَةِ «النَّجْمِ»

وهِيَ مَكِّيَّةٌ بِإجْمَاعٍ

وهي أَوَّلُ سورة أعلن بها رسول اللَّه ﷺ، وَجَهَرَ بقراءتها في الحرم، والمشركون يستمعون، وفيها سَجَدَ وسجد معه المؤمنون والمشركون والجنُّ والإنسُ غيرَ أبي لهب، فإنَّهُ رفع حفنة من تراب إلى جبهته، وقال: يكفيني هذا.

* ت *: والذي خَرَّجَهُ البخاريُّ في صحيحه عن ابنِ مسعود: «فَسَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَسَجَدَ مَنْ خَلْفَهُ إلاَّ رَجُلاً رَأَيْتُهُ أَخَذَ كَفًّا مِنْ تُرَابٍ فَسَجَدَ عَلَيْهِ، فَرَأَيْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ قُتِلَ كَافِراً، وَهُوَ أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ»[1] انتهى، وسبب نزولها أَنَّ المشركين قالوا: إنَّ محمداً يتقوَّلُ القرآن، ويختلق أقواله، فنزلت السورة في ذلك.

﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣﴾

قوله عز وجل: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ الآية، قال الحسن وغيره: النجم المُقْسَمُ به هنا: اسمُ جنس، أراد به النجوم[2]، ثم اختلفوا في معنى ﴿هوى﴾ فقال جمهور المفسرين: هَوَى للغروب،/ وهذا هو السابق ١٠٩ ب
إلى الفهم من كلام العرب، وقال ابن عباس في كتاب الثعلبيِّ[3]: هوى في الانقضاض في إثر العفريت عند استراق السمع، وقال مجاهد وسفيان[4]: النجم في قسم الآية: الثُّرَيَّا، وسُقُوطُهَا مع الفجر هو هوِيُّها، والعرب لا تقول: النجم مطلقاً إلاَّ للثُّرَيَّا، والقسم واقع على قوله: ﴿ما ضل صاحبكم وما غوى﴾.

---

(١) أخرجه البخاري (٨/ ٤٨٠)، كتاب «التفسير» باب: فاسجدوا للَّه واعبدوا (٤٨٦٣).
(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ١٩٥).
(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ١٩٥).
(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٥٠٣) برقم: (٣٢٤١٤)، (٣٢٤١٥)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٩٦)، وابن كثير (٤/ ٢٤٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٥٤)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

* ص *: ﴿إِذَا هَوَى﴾ أبو البقاء: العامل في الظرف فِعْلُ القَسَم المحذوفِ، أي: أقسم بالنجم وَقْتَ هَوِيِّهِ، وجوابُ القَسَمِ: ﴿ما ضل﴾، انتهى، قال الفخر[1]: أكثر المفسرين لم يُفَرِّقُوا بين الغَيِّ والضلال، وبينهما فرق؛ فالغيُّ: في مقابلة الرُّشْدِ، والضلال أَعَمُّ منه، انتهى. ﴿وما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾: يريد محمداً ﷺ أَنَّه لا يتكلم عن هواه، أي: بهواه وشهوته، وقال بعض العلماء: وما ينطقُ القرآنَ المُنَزَّلَ عن هوى.

* ت *: وهذا تأويل بعيد من لفظ الآية كما ترى.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾

وقوله: ﴿إِنْ هو إِلاَّ وَحْيٌ يُوْحَىٰ﴾ يراد به القرآن بإجماع.

* ت *: وليس هذا الإجماع بصحيح، ولفظُ الثعلبيِّ ﴿إِن هو إِلاَّ وحي﴾ أي: ما نُطْقُهُ في الدِّينِ إِلاَّ بوحي، انتهى، وهو أحسن إِنْ شاء اللَّه، قال الفخر[2]: الوحي اسم، ومعناه: الكتاب، أو مصدر وله معانٍ: منها الإرسال، والإلهام، والكتابة، والكلام، والإشارة، فإنْ قلنا: هو ضمير القرآن فالوحي اسم معناه الكتاب، ويحتمل أنْ يُقَالَ: مصدر، أي: ما القرآن إِلاَّ إِرْسَالٌ، أي: مُرْسَلٌ، وَإِنْ قلنا: المراد من قوله: ﴿إِن هو إِلاَّ وحي﴾ قولُ محمد وكلامُه فالوحي حينئذ هو الإلهام، أي: كلامه مُلْهَمٌ من اللَّه أو مرسل، انتهى، والضمير في ﴿عَلَّمَهُ﴾ لنبيِّنا محمد ﷺ، والمُعَلِّمُ هو جبريل ـ عليه السلام ـ قاله ابن عباس وغيره[3]، أي: عَلَّم محمداً القرآن،/ و﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ معناه: ذو قُوَّة؛ قاله قتادة وغيره[4]؛ ومنه قوله ـ عليه السلام ـ: «لاَ تَحِلُّ الصَّدَقَةُ لِغَنِيٍّ وَلا لِذِي مِرَّةٍ سَوِيٍّ»[5]. وَأَصْلُ المِرَّةِ مِنْ مَرَائِرِ الْحَبْلِ، وهي فتله وإحكام عمله. ١١٠أ

(١) ينظر: «تفسير الرازي» (١٤/ ٢٤١).
(٢) ينظر: «تفسير الرازي» (١٤/ ٢٤١).
(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ١٩٦).
(٤) ينظر: المصدر السابق.
(٥) أخرجه أبو داود (١/ ٥١٤)، كتاب «الزكاة» باب: من يعطى من الصدقة وحد الغنى (١٦٣٤)، والترمذي (٣/ ٣٣) كتاب «الزكاة» باب: ما جاء من لا تحل له الصدقة (٦٥٢)، وابن ماجه (١/ ٥٨٩)، كتاب «الزكاة» باب: من سأل عن ظهر غنى (١٨٣٩)، والحاكم (١/ ٤٠٧) نحوه، والنسائي (٥/ ٩٩)، كتاب «الزكاة» باب: إذا لم يكن له دراهم وكان له عدلها (٢٥٩٧)، وابن حبان (٣/ ١٠٢) ـ الموارد (٨٠٦)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٤/ ١١٠) (٧١٥٥).
قال الترمذي: حديث عبد اللَّه بن عمر حديث حسن.

وقوله: ﴿فَاسْتَوَى﴾ قال الربيع والزَّجَّاج، المعنى: فاستوى جبريل في الجو، وهو إذ ذاك بالأفق الأعلى؛ إذ رآه رسولُ اللَّه ﷺ بِحِراءَ، قد سَدَّ الأفق، له ستمائة جناحٍ، وحينئذ دنا من محمد ـ عليه السلام ـ حتى كان قابَ قوسين، وكذلك رآه نزلةً أخرى في صفته العظيمة، له ستمائة جناح عند السِّدْرَةِ.

وقوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ قال الجمهور: المعنى: دنا جبريل إلى محمد في الأرض عند حِرَاءَ، وهذا هو الصحيح أَنَّ جميع ما في هذه الآيات من الأوصاف هو مع جبريل، و﴿دنا﴾ أعمُّ من ﴿تدلى﴾ فَبَيَّنَ تعالى بقوله: ﴿فتدلى﴾ هيئَةَ الدُّنُوِّ كيف كانت، و﴿قَابَ﴾: معناه: قَدْر، قال قتادة وغيره[1]: معناه: من طرف العود إلى طرفه الآخر، وقال الحسن ومجاهد[2]: من الوتر إلى العود في وسط القوس عند المِقْبَضِ.

وقوله: ﴿أو أَدْنَى﴾ معناه: على مقتضى نظر البشر، أي: لو رَآه أَحَدُكُمْ لقال في ذلك: قوسان أو أدنى من ذلك، وقيل: المراد بقوسين، أي: قَدْرَ الذراعين، وعن ابن عباس[3]: أنَّ القوس في الآية ذراعٌ يُقَاسُ به، وذكر الثعلبيُّ أَنَّهَا لُغَةُ بعض الحجازيين.

وقوله تعالى: ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ قال ابن عباس[4]: المعنى: فأوحى اللَّهُ إلى عبده محمد ما أوحى، وفي قوله: ﴿ما أوحى﴾ إبهام على جهة التفخيم والتعظيم؛ قال عياض: ولما كان ما كَاشَفَهُ ـ عليه السلام ـ من ذلك الجبروتِ، وشَاهَدَهُ من عجائب / الملكوت، لا تُحِيطُ به العباراتُ، ولا تستقِلُّ بحمل سماع أدناه العقولُ ـ رَمَزَ عنه تعالى ١١٠ ب
بالإيماء والكناية الدَّالَّةِ على التعظيم، فقال تعالى: ﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾ وهذا النوع من الكلام يسميه أَهْلُ النقد والبلاغة بالوحي والإشارة، وهو عندهم أبلغ أبواب الإيجاز، انتهى.

﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾

---

(١) ذكره البغوي (٤/ ٢٤٦)، وابن عطية (٥/ ١٩٧).

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٥٠٧ ـ ٥٠٨) برقم: (٣٢٤٤٠، ٣٢٤٤٢)، وذكره البغوي (٤/ ٢٤٦)، وابن عطية (٥/ ١٩٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٥٨)، وعزاه لآدم بن أبي إياس، والفريابي، والبيهقي.

(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ١٩٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٥٧)، وعزاه للطبراني، وابن مردويه، والضياء.

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٥٠٩) برقم: (٣٢٤٥٤)، وذكره البغوي (٤/ ٢٤٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٥٨)، وعزاه للنسائي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.

وقوله سبحانه: ﴿مَا كَذَبَ الفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ المعنى: لم يُكَذِّبْ قلبُ محمد الشيء الذي رأى، بل صَدَّقَهُ وتحقَّقَهُ نظراً؛ قال أهل التأويل منهم ابن عباس وغيره[١]: رأى محمد اللَّهَ بفؤاده، وقال النبيُّ ﷺ: «جَعَلَ اللَّهُ نُورَ بَصَرِي في فُؤَادِي، فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ بِفُؤَادِيَ»، وقال آخرون من المتأولين: المعنى: ما رأى بعينه لم يُكَذِّبْ ذلك قلبُه، بل صدقه وتحققه، وقال ابن عباس فيما روِي عنه[٢]: إنَّ محمداً رأى رَبَّه بِعَيْنَيْ رَأْسِهِ، وأنكرت ذلك عَائِشَةُ، وقالت: أنا سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ عَنْ هٰذِهِ الآياتِ فَقَالَ لِي: «هُوَ جِبْرِيلُ فِيهَا كُلِّها» قال * ع[٣] *: وهذا قول الجمهور، وحديث عائشة عن النبي ﷺ قاطعٌ بكُلِّ تأويل في اللفظ؛ لأَنَّ قول غيرها إِنَّما هو مُنْتَزَعٌ من ألفاظ القرآن.

وقوله سبحانه: ﴿أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى﴾ **قرأ** حمزة والكسائيُّ «أَفَتَمْرُونَهُ» ـ بفتح التاء دون ألف[٤] ـ، أي: أفتجحدونه.

* ت *: قال الثعلبيُّ: واختار هذه القراءة أبو عبيد: قال إِنَّهم لا يمارونه، وإِنَّما جحدوه، واخْتُلِفَ في الضمير في قوله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾ حسبما تقدم، فقالت عائشة والجمهور[٥]: هو عائد على جبريل، و﴿نزلة﴾ معناه: مَرَّة أخرى، فجمهور العلماء أَنَّ المَرْئِيَّ هو جبريل ـ عليه السلام ـ في/ المرتين، مَرَّةً في الأرض بحراءَ، ومرَّةً عند سِدْرَةِ المُنْتَهَى ليلةَ الإِسراء، رآه على صورته التي خُلِقَ عليها، وسِدْرَةُ المُنْتَهَى هي: شجرة نَبْقٍ في السماء السابعة، وقيل لها: سدرة المنتهى؛ لأَنَّها إِليها ينتهي عِلْمُ كُلِّ عالم، ولا يعلم ما وراءها صَعَداً إِلاَّ اللَّهُ عز وجل، وقيل: سُمِّيَتْ بذلك لأَنَّها إِليها ينتهي مَنْ مات على سُنَّةِ النبي ﷺ قال * ع[٦] *: وهم المؤمنون حقًّا من كل جيل.

١١١ أ

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٥١١) برقم: (٣٢٤٦٦)، وذكره البغوي (٤/ ٢٤٦)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٩٨)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ١٦٠)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير، عن أبي العالية.

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٥١١) برقم: (٣٢٤٦٧)، وذكره البغوي (٤/ ٢٤٧)، وابن عطية (٥/ ١٩٨)، وابن كثير في «**تفسيره**» (٤/ ٢٥٠)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ١٥٩)، وعزاه لابن مردويه.

(٣) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٥/ ١٩٨).

(٤) ينظر: «**السبعة**» (٦١٤)، و«**الحجة**» (٦/ ٢٣٠)، و«**معاني القراءات**» (٣/ ٣٧)، و«**شرح الطيبة**» (٦/ ٢٤)، و«**العنوان**» (١٨٢)، و«**حجة القراءات**» (٦٨٥)، و«**شرح شعلة**» (٥٩١)، و«**إتحاف**» (٥٠٠ ـ ٥٠١).

(٥) أخرجه الطبري (١١/ ٥١٢) برقم: (٣٢٤٧٥)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٩٩)، وابن كثير في «**تفسيره**» (٤/ ٢٥١)

(٦) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٥/ ١٩٨).

وقوله سبحانه: ﴿عِندَهَا جَنَّةُ المَأْوَى﴾ قال الجمهور: أراد سبحانه أَنْ يُعَظِّمَ مَكانَ السدرة، ويُشَرِّفَهُ بِأَنَّ جنة المأوى عندها، قال الحسن[1]: هي الجنة التي وُعِدَ بها المؤمنون.

﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ أي: غَشِيَها من أمر اللَّه ما غشيها، فما يستطيع أحد أَنْ يصفَها، وقد ذكر المُفَسِّرُون في وصفها أقوالاً هي تَكَلُّفٌ في الآية؛ لأَنَّ اللَّه تعالى أبهم ذلك، وهم يريدون شرحه، وقد قال ﷺ: «فَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لاَ أَدْرِي مَا هِيَ»[2].

وقوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ﴾ قال ابن عباس[3]: معناه: ما جال هكذا ولا هكذا.

وقوله: ﴿وَمَا طَغَى﴾ معناه: ولا تجاوز المَرْئِيَّ، وهذا تحقيق للأمر، ونفيٌ لوجوه الريب عنه.

وقوله: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الكُبْرَى﴾ قال جماعة: معناه: لقد رأى الكبرى من آياتِ رَبِّهِ، أي: مِمَّا يمكنُ أَنْ يراها البشر، وقال آخرون: المعنى: لقد رأى بَعْضاً من آيات رَبِّهِ الكبرى، وقال ابن عباس وابن مسعود[4]: رأى رفرفاً أخضرَ من الجنة، قد سَدَّ الأفق.

---

(١) أخرجه الطبري (١١/٥١٧) عن ابن عباس برقم: (٣٢٥١١)، وذكره ابن عطية (٥/١٩٩).

(٢) أخرجه البخاري (١/٥٤٧ ـ ٥٤٨)، كتاب «الصلاة» باب: كيف فرضت الصلوات في الإسراء؟ (٣٤٩)، (٦/٤٣١ ـ ٤٣٢)، كتاب «أحاديث الأنبياء» باب: ذكر إدريس عليه السلام (٣٣٤٢).

(٣) أخرجه الطبري (١١/٥١٨) برقم: (٣٢٥٢٥)، وذكره ابن عطية (٥/٢٠٠)، وابن كثير في **«تفسيره»** (٤/٤٥٢)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٦/١٦٢)، وعزاه للفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه.

(٤) أخرجه الطبري (١١/٥١٩) برقم: (٣٢٥٣١) عن ابن مسعود، وذكره ابن عطية (٥/٢٠٠)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٦/١٦٢)، وعزاه للفريابي، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، والبخاري، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه، وأبي نعيم، والبيهقي معاً في **«الدلائل»**.

* ت *: وزاد الثعلبيُّ: وقيل: المعراج، وما رأى في تلك الليلة في مسراه في عوده وبدئه؛ دليلهُ قوله تعالى: ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا...﴾ [الإسراء: ١] الآية، قال عِيَاضٌ: وقوله تعالى: ﴿لقد رأى من آيات رَبِّه الكبرى﴾ انحصرت الأفهام عن تفصيل ما أوحى، وتاهت الأحلامُ في تعيين تلك الآيات الكبرى، وقد اشتملت هذه الآيات على إعلام اللَّه بتزكية جملته ـ عليه السلام ـ وعِصْمَتِهَا من الآفات في هذا المسرى، فزكى فؤادَه ولسانَه وجوارِحَه؛ فقلبه بقوله تعالى: ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾ [النجم: ١١]، ولسانَهُ ـ عليه السلام ـ بقوله تعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى﴾ [النجم: ٣]، وبصرَهُ بقوله تعالى: ﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾ اهـ. ١١١ ب

ولما فرغ من ذكر عظمة اللَّه وقدرته قال على جهة التوقيف: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى...﴾ الآية، أي: أرأيتم هذه الأوثان وحقارَتَها وبُعْدَهَا عن هذه القدرة والصفات العَلِيَّةِ، واللات: صنم كانتِ العربُ تعظمه، والعُزَّى: صخرة بيضاءُ كانت العرب أيضاً تعبُدُها، وأمَّا مناة: فكانت بالمشلل من قديد، وكانت أعظم هذه الأوثان عندهم، وكانت الأوس والخزرج تهل لها، ووقف تعالى الكُفَّارَ على هذه الأوثان، وعلى قولهم فيها: إنها بنات اللَّه، فكأنَّه قال: أرأيتم هذه الأوثانَ وقولَكُمْ: هي بناتُ اللَّه ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنْثَى﴾ ثم قال تعالى على جهة الإنكار: ﴿تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ أي: عوجاء؛ قاله مجاهد[١]، وقيل: جائرة قاله ابن عباس[٢]، وقال سفيان[٣]: معناه: منقوصة، وقال ابن زيد[٤]: معناه: مخالفة، والعرب تقول: ضِزْتُهُ حَقَّهُ أَضِيزُهُ بمعنى: منعته، وضِيزَى من هذا التصريف؛ قال أبو حيان[٥]: و﴿الثالثة الأخرى﴾ صفتان لمناة؛ للتأكيد، قيل: وأُكِّدَتْ بهذين الوصفين؛ لِعظَمِهَا عندهم، وقال الزمخشري: والأخرى ذَمٌّ، وهي المتأخرة الوضيعة المقدارِ، وتُعُقِّبَ/ بأنَّ أخرى مُؤنث آخر، ولم يُوضَعَا لِلذَّمِ ولا للمدح. ١١٢ أ

* ت *: وفي هذا التعقب تعسف، والظاهر أَنَّ الوصفين معاً سِيقَا مَسَاقَ الذَّمِّ؛ لأَنَّ هؤلاءِ الكُفَّارِ لم يكتفوا بضلالهم في اعتقادهم ما لا يجوز في اللات والعزى، إلى أَنْ

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٥٢٢) برقم: (٣٢٥٤٦)، وذكره البغوي (٤/ ٢٥٠)، وابن عطية (٥/ ٢٠١).
(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٥٢٢) برقم: (٣٢٥٤٩)، وذكره البغوي (٤/ ٢٥٠)، وابن عطية (٥/ ٢٠١)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٦٤)، وعزاه لابن جرير.
(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٥٢٢) برقم: (٣٢٥٥٠)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٠١).
(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٥٢٢) برقم: (٣٢٥٥١)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٠١).
(٥) ينظر: «البحر المحيط» (٨/ ١٦٠).

أضافوا إلى ذلك مَنَاةَ الثالثة الأخرى الحقيرة، وكُلُّ أصنامهم حقير، انتهى.

ثم قال تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ﴾ يعني: إنْ هذه الأوصافُ من أنَّها إناث، وَأَنَّها آلهة تعْبَدُ، ونحو هذا ـ إلاَّ أسماءٌ، أي: تسميات اخترعتموها أنتم وآباؤكم، ما أنزل اللَّه بها برهاناً ولا حُجَّةً، وما هو إلاَّ اتِّباعُ الظن، ﴿وما تَهْوَى الأنفس﴾ وهَوَى الأنفس هو إرادتها الملذة لها، وإنَّما تجد هوى النفس أبداً في ترك الأفضل؛ لأنَّها مجبولةٌ بطبعها على حُبِّ الملذ، وإنَّما يَرْدَعُها وَيَسُوقُها إلى حُسْنِ العاقبة العقلُ والشرع.

وقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُم مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ فيه توبيخ لهم، إذْ يفعلون هذه القبائِحَ والهدى حاضر، وهو محمد وشرعه، والإنسان في قوله: ﴿أَم لِلاْنْسَانِ﴾ اسم جنس، كأنَّه يقول: ليست الأشياءُ بالتمني والشهوات، وإنَّما الأمر كُلُّه للَّه، والأعْمَالُ جاريةٌ على قانون أمره ونهيه، فليس لكم ـ أَيُّهَا الكَفَرَةُ ـ مُرَادُكُمْ في قولكم: هذه آلهتنا، وهي تشفعُ لنا، وتُقَرِّبُنَا إلى اللَّه زُلْفَى، ونحو هذا ﴿فَلِلَّهِ الآخِرَةُ وَالأُولَى﴾ أي: له كل أمرهما: مُلْكاً، ومقدوراً، وتَحْتَ سلطانه، قال الشيخ أبو عبد الرَّحْمٰنِ السُّلَمِيُّ في كتاب «**عيوب النفس**»: ومن عيوب النفس كثرةُ التَّمَنِّي، والتَّمَنِّي هو الاعتراضُ على اللَّه عَزَّ وجلَّ في قضائه وقَدَرِهِ، ومداواتُها/ أنْ يعلم أنَّه لا يدري ما يعقبه التمني، أيجرُّهُ إلى خير أو إلى شَرٍّ؟ فإذا تَيَقَّنَ إبهام عاقبة تمنيه، أَسْقَطَ عن نفسه ذلك، ورَجَعَ إلى الرِّضَا والتسليم، فيستريح، انتهى. ١١٢ ب

﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ...﴾ الآية: رَدٌّ على قريش في قولهم: الأوثان شفعاؤنا، ﴿وكم﴾ للتكثير، وهي في موضع رفع بالابتداء، والخبر ﴿لا تغني﴾ والغِنَى جَلْبُ النفع ودَفْعُ الضُّرِّ بحسب الأمر الذي يكون فيه الغناء.

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ﴾ يعني: كُفَّارَ العرب.

وقوله: ﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الحَقِّ شيئاً﴾ أي: في المُعْتَقَدَاتِ، والمواضع التي يريد الإنسانُ أَنْ يُحَرِّرَ ما يَعْقِلُ ويعتقد؛ فَإِنَّهَا مواضع حقائق، لا تنفعُ الظنونُ فيها، وَأَمَّا في الأحكام وظواهرها فيجتزىءُ فيها بالمظنونات.

ثم سَلَّى سبحانه نَبِيَّه وأمره بالإعراض عن هؤلاء الكَفَرَةِ.

وقوله: ﴿عَنْ ذِكْرِنَا﴾ قال الثعلبيُّ: يعني القرآن.

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ الآيةُ متصلة في معنى التسلية، ومتضمنة وعيداً للكافرين، ووعداً للمؤمنين، والحُسْنَى: الجنة ولا حسنى دونها، وقد تقدم نقلُ الأقوال في الكبائر في سورة النساء وغيرها، وتحريرُ القول في الكبائر أَنَّها كُلُّ معصيةٍ يوجد فيها حَدٌّ في الدنيا أو تَوَعُّدٌ عليها بِالنَّارِ في الآخرة، أو لعنة، ونحو هذا.

وقوله: ﴿إِلاَّ اللَّمَمَ﴾ هو استثناء يَصِحُّ أَنْ يكونَ مُتَّصِلاً، وإِنْ قدرته مُنْقَطِعاً ساغ ذلك، وبِكُلٍّ قد قيل، واخْتُلِفَ في معنى ﴿اللَّمَمَ﴾ فقال أبو هريرة، وابن عباس، والشَّعْبِيُّ، وغيرهم[1]: اللمم: صِغَارُ الذنوب التي لا حَدَّ فيها ولا وَعِيدَ عليها؛ لأَنَّ الناسَ لا يتخلَّصُونَ من مُوَاقَعَةِ هذه الصغائر، ولهم مع ذلك الحُسْنَى/ إِذا اجتنبوا الكبائر، وتظاهر العلماءُ في هذا القول، وكَثُرَ المائِلُ إِليه، وحُكِيَ عن ابن المُسَيِّبِ أَنَّ اللمم: ما خطر على القلب، يعني بذلك لَمَّةَ الشيطان[2]، وقال ابن عباس[3]: معناه: إِلاَّ ما أَلَمُّوا به من المعاصي الفَلْتَةُ والسَّقْطَةُ دون دوام ثم يتوبون منه، وعنِ الحسن بن أبي الحسن[4] أَنَّهُ قال: في اللَّمَّةِ من الزنا، والسَّرِقَةِ، وشرب الخمر ثم لا يعود، قال * ع[5] *: وهذا التأويلُ يقتضي الرِّفْقَ بالناس في إِدخالهم في الوعد بالحسنى؛ إِذِ الغالب في المؤمنين مواقعةُ

١١٣أ

---

(١) أخرجه الطبري (١١/٥٢٨) عن ابن عباس برقم (٣٢٥٨٤)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٠٤)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/٢٥٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/١٦٦)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير.

(٢) ذكره البغوي (٤/٢٥٣)، وابن عطية (٥/ ٢٠٤)

(٣) أخرجه الطبري (١١/٢٢٨) برقم: (٣٢٥٧٧)، وذكره البغوي (٤/٢٥٢)، وابن عطية (٥/٢٠٤)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/٢٥٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/١٦٦)، وعزاه لعبد بن حميد عن أبي صالح.

(٤) أخرجه الطبري (١١/٥٢٧) برقم: (٣٢٥٧٠)، وذكره البغوي (٤/٢٥٢)، وابن عطية (٥/٢٠٤)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/٢٥٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/١٦٦)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير.

(٥) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٠٤).

المعاصي، وعلى هذا أنشدوا، وقد تَمَثَّلَ به النبي ﷺ: [الرجز]

إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمَّا وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لاَ أَلَمَّا[1]

وقوله سبحانه: ﴿إِذْ أَنشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ﴾ يريد: خلق أبيهم آدم، ويحتمل أَنْ يرادَ به إنشاء الغذاء، وأجِنَّةٌ: جمع جنين.

وقوله سبحانه: ﴿فَلاَ تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ﴾ ظاهره النهيُ عن تزكية الإنسانِ نَفْسَهُ، ويحتمل أَنْ يكونَ نهياً عن أنْ يُزَكِّيَ بعضُ الناسِ بعضاً، وإذا كان هذا، فَإِنَّما يُنْهَى عن تزكية السمعة والمدح للدنيا أو القطع بالتزكية، وأَمَّا تزكيةُ الإمامِ والقُدْوَةِ أحداً لِيُؤْتَمَّ به أو ليتهمم الناسَ بالخير، فجائز، وفي الباب أحاديثُ صحيحة، وباقي الآية بَيِّنٌ.

* ت *: قال صاحِبُ «الكَلِمِ الفارِقِيَّةِ»: أَعْرَفُ الناسِ بنفسه أَشَدُّهُمْ إيقاعاً للتهمة بِها في كل ما يبدو ويظهرُ له منها، وأجهلهم بمعرفتها وخفايا آفاتها وكوامن مكرها مَنْ زَكَّاها، وأَحْسَنَ ظَنَّهُ بها؛ لأَنَّها مُقْبِلَةٌ على عاجل حظوظها، مُعْرِضَةٌ عنِ الاستعداد لآخرتها، انتهى، وقال ابن عطاء اللَّه: أَصْلُ كل معصيةٍ وغفلة ـ وشهوة/ ـ الرضا عن النفس، وأصل كل ١١٣ ب طاعة، ويقظة، وعِفَّةٍ ـ عَدَمُ الرضا منك عنها؛ قال شارحه ابن عبَّاد: الرضا عن النفس: أصل جميع الصفات المذمومة، وعَدَمُ الرضا عنها أصلُ الصفات المحمودة، وقدِ اتَّفق على هذا جميعُ العارفين وأرباب القلوب؛ وذلك لأَنَّ الرضا عن النفس يوجب تغطيةَ عيوبِهَا ومساويها، وعَدَمَ الرضا عنها على عكس هذا؛ كما قيل: [الطويل]

وَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ وَلَكِنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدِي المَسَاوِيَا

انتهى.

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى...﴾ الآية، قال مجاهد، وابن زيد، وغيرُهما[2]:

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٦٩)، والترمذي (٥/ ٣٩٦ ـ ٣٩٧) كتاب «التفسير» باب: ومن سورة النجم (٣٢٨٤).
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب، لا نعرفه إلا من حديث زكريا بن إسحاق.
قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٥٣٠) عن مجاهد برقم: (٣٢٥٩٥) وعن ابن زيد برقم: (٣٢٥٩٦)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٠٥)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٦٨)، وعزاه للفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

نزلت في الوليد بن المغيرة المخزوميِّ؛ وذلك أَنَّهُ سَمِعَ قراءة النبي ﷺ وَوَعْظَهُ فقرب من الإِسلام، وطمع النبيُّ ﷺ في إِسلامه، ثم إِنَّه عاتبه رجلٌ من المشركين، وقال له: أتتركُ مِلَّةَ آبائك؟! ارجع إِلى دينك، واثبت عليه، وأَنا أَتَحَمَّلُ لك بكلِّ شيء تخافه في الآخرة، لكن على أَنْ تعطيني كذا وكذا من المال، فوافقه الوليد على ذلك، ورجع عَمَّا هَمَّ به من الإِسلام، وأعطى بعضَ ذلك المالَ لذلك الرجل، ثم أمسك عنه وشَحَّ، فنزلت الآية فيه، وقال السُّدِّيُّ[1]: نزلت في العاصي بن وائل؛ قال * ع[2] *: فقوله: ﴿وَأَعْطَى قَلِيلاً وَأَكْدَى﴾ على هذا ـ هو في المال، وقال مقاتل[3] في كتاب الثعلبيِّ: المعنى: أعطى الوليدُ قليلاً من الخير بلسانه، ثم ﴿أكدى﴾، أي: انقطع ما أعطى، وهذا بَيِّنٌ من اللفظ، والآخر يحتاج إِلى رواية، و﴿تولى﴾ معناه: أدبر وأعرض عن أمر اللَّه، و﴿أكدى﴾ معناه: انقطع عطاؤه، وهو مشبه بالذي/ يحفر في الأرض؛ فإِنَّه إِذا انتهى في حفر بئر ونحوه إِلى كُدْيَةٍ، وهي ما صَلُبَ من الأرض ـ يَئِسَ من الماء، وانقطع حفرُهُ، وكذلك أجبل إِذا انتهى في الحفر إِلى جبل، ثم قيل لمن انقطع: عمله أكدى وأجبل. ١١٤أ

* ت *: قال الثعلبيُّ: وأصله من الكُدْيَةِ، وهو حجر في البئر يؤيس من الماء؛ قال الكسائِيُّ: تقول العرب: أَكْدَى الحَافِرُ وأَجْبَلَ: إِذا بَلَغَ في الحَفْرِ إِلى الكُدْيَةِ والجَبَلِ، انتهى.

وقوله عز وجل: ﴿أَعِندَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى﴾ معناه: أَعَلِمَ من الغيب أَنَّ مَنْ تحمَّل ذنوبَ آخر انتفع بذلك المُتَحَمَّلُ عنه؛ فهو لهذا الذي علمه يرى الحق وله فيه بصيرة؟! أم هو جاهل، لم يُنَبَّأْ بما في صحف موسى وإِبراهيم الذي وَفَّى بما أُرْسِلَ به، من أَنَّهُ لا تَزِرُ وازرة، أي: لا تحملُ حَامِلَةٌ حَمْلَ أخرى؛ وفي البخاري ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾: وَفَّى ما فُرِضَ عليه[4]، انتهى.

﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿وَأَنْ لَيْسَ للإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى﴾ وما بعده، كل ذلك معطوف على قوله: ﴿أَلاَّ تزر وازرة وزر أخرى﴾ والجمهور أَنَّ قوله: ﴿وأنْ ليس للإِنسان إِلاَّ ما سعى﴾

---

(١) ذكره البغوي (٤/ ٢٥٣)، وابن عطية (٥/ ٢٠٥).
(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٠٥).
(٣) ذكره البغوي (٤/ ٢٥٣)، وابن عطية (٥/ ٢٠٥).
(٤) ينظر: «صحيح البخاري» (٨/ ٤٦٩)، كتاب «التفسير» باب: سورة النجم.

مُحْكَمٌ لا نسخَ فيه، وهو لفظ عام مخصص.

وقوله: ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾ أي: يراه اللَّه، ومَنْ شاهد تلك الأُمُورَ، وَفِي عَرْضِ الأعمال على الجميع تشريفٌ للمحسنين وتوبيخٌ للمسيئين، ومنه قوله ﷺ: «مَنْ سَمَّعَ بِأَخِيهِ فِيمَا يَكْرَهُ، سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ سَامِعَ خَلْقِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(١).

وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ الجَزَاءَ الأَوْفَى﴾ وعيد للكافرين، ووعد للمؤمنين.

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿وَأَنَّ إِلى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ أي: مُنْتَهَى الخلق ومصيرُهم، اللَّهمَّ أطلعنا على خيرك بفضلك، ولا تفضحْنا بين خلقك،/ وجُدْ علينا بسترك في الدارين! وَحُقَّ لعبد يعلم أَنَّه إِلى ربه منتهاه؛ أَنْ يرفض هواه؛ ويزهدَ في دنياه، ويُقْبِلَ بقلبه على مولاه؛ ويقتدي بنبيٍّ فَضَّلَهُ اللَّهُ على خلقه وارتضاه؛ ويتأمل كيف كان زهده ﷺ في دنياه؛ وإِقباله على مولاه؛ قال عياض في «**شفاه**»: وأما زُهْدُهُ ﷺ، فقد قدمنا من الأخبار أثناء هذه السيرة ما يكفي، وحَسْبُكَ من تقلُّله منها وإِعراضِهِ عَنْهَا وعن زَهْرَتِها، وقد سِيقَتْ إِليه بحذافيرها، وترادفَتْ عليه فُتُوحَاتُهَا ـ أَنَّهُ تُوُفِّيَ ﷺ ودِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ(٢)، وهو يدعو، ويقول: ١١٤ ب

---

(١) أخرجه البخاري (١٣/ ١٣٨)، كتاب «الأحكام» باب: من شاق شاق اللَّه عليه (٧١٥٢)، ومسلم (٤/ ٢٢٨٩)، كتاب «الزهد والرقائق» باب: من أشرك في عمله غير اللَّه (٤٩/ ٢٩٨٦)، والترمذي (٣/ ٣٩٥)، كتاب «النكاح» باب: ما جاء في الوليمة (١٠٩٧) نحوه، ورواه البخاري من طريق صفوان، وجندب، ومسلم من طريق ابن عباس، والترمذي من طريق ابن مسعود، وأحمد (٣/ ٤٠) من طريق أبي سعيد الخدري (٤/ ٣١٣)، (٥/ ٤٥) من طريق أبي بكرة.

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ٣٠٢) كتاب «البيوع» باب: شراء النبي بالنسيئة، حديث (٢٠٦٩)، وأحمد (٣/ ١٣٣)، والنسائي (٧/ ٢٨٨) كتاب «البيوع» باب: الرهن في الحضر، وابن ماجه (٢/ ٨١٥)، كتاب «الرهون» باب: (١)، حديث (٢٤٣٧)، والترمذي (٣/ ٥١٩ ـ ٥٢٠)، كتاب «البيوع» باب: ما جاء في الرخصة في الشراء إلى أجل، حديث (١٢١٥)، وأبو يعلى (٥/ ٣٩٤) (٣٠٦١)، وأبو الشيخ في أخلاق النبي (ص: ٢٦٣)، والبيهقي (٦/ ٣٦)، كتاب «الرهن» باب: جواز الرهن، كلهم من حديث قتادة عن أنس، أنه مشى إلى النبي ﷺ بخبز شعير، وإهالة سَنِخَة، ولقد رهن النبي ﷺ درعاً له بالمدينة، عند يهودي وأخذ منه شعيراً لأهله، ولقد سمعته يقول: ما أمسى عند آل محمد ﷺ صاع بر ولا صاع حب، وإن عنده لتسع نسوة. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

«اللَّهُمَّ ٱجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتاً».

وفي «**صحيح مسلم**» عن عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ قالت: ما شَبِعَ آلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ تِبَاعاً حَتَّىٰ مَضَىٰ لِسَبِيلِهِ[1].

وعنها ـ رضي اللَّه عنها ـ قالت: «لَمْ يَمْتَلِىءْ جَوْفُ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ شِبَعاً قَطُّ، وَلَمْ يَبُثَّ شَكْوَىٰ إِلَىٰ أَحَدٍ، وَكَانَتِ الْفَاقَةُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الْغِنَىٰ، وَإِنْ كَانَ لَيَظَلُّ جَائِعاً يَلْتَوِي طُولَ لَيْلَتِهِ مِنَ الْجُوعِ، فَلاَ يَمْنَعُهُ ذَلِكَ صِيَامَ يَوْمِهِ، وَلَوْ شَاءَ سَأَلَ رَبَّهُ جَمِيعَ كُنُوزِ الأَرْضِ وَثِمَارِهَا وَرَغْدِ عَيْشِهَا، وَلَقَدْ كُنْتُ أَبْكِي لَهُ؛ رَحْمَةً مِمَّا أَرَىٰ بِهِ، وَأَمْسَحُ بِيَدِي عَلَىٰ بَطْنِهِ مِمَّا بِهِ مِنَ الْجُوعِ، وَأَقُولُ: نَفْسِي لَكَ الْفِدَاءُ لَوْ تَبَلَّغْتَ مِنَ الدُّنْيَا بِمَا يَقُوتُكَ! فَيَقُولُ: يَا عَائِشَةُ، مَا لِي وَلِلدُّنْيَا! إِخْوَانِي مِنْ أُولِي الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ صَبَرُوا عَلَىٰ مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْ هٰذَا، فَمَضَوْا عَلَىٰ حَالِهِمْ، فَقَدِمُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ فَأَكْرَمَ مَآبَهُمْ، وَأَجْزَلَ ثَوَابَهُمْ، فَأَجِدُنِي أَسْتَحِيي إِنْ تَرَفَّهْتُ فِي مَعِيشَتِي/ أَنْ يُقَصِّرَ بِي غَداً دُونَهُمْ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ اللُّحُوقِ بِإِخْوَانِي وَأَخِلاَّئِي، قَالَتْ: فَمَا أَقَامَ بَعْدُ إِلاَّ أَشْهُراً حَتَّىٰ تُوُفِّيَ ـ صلواتُ اللَّهُ وسَلاَمُهُ عليه ـ» انتهى، ١١٥أ

وباقي الآية دَلالة على التوحيد واضحة، و﴿النشأة الأخرى﴾: هي إعادة الأجسام إلى الحشر بعد البِلَى، و﴿أقنى﴾ معناه: أَكْسَبَ ما يُقْتَنَى؛ تقول: قنيت المالَ، أي: كسبْته، وقال ابن عباس: ﴿أقنى﴾: قنَّع[2]، قال * ع[3] *: والقناعة خير قُنْيَةٍ، والغِنَى عرض زائل، فَلِلَّهِ دَرُّ ابن عباس! و﴿الشِّعْرَى﴾: نجم في السماء، قال مجاهد وابن زيد[4]: هو مرزم الجَوْزاء، وهما شِعْرَيَانِ: إحداهما الغُمَيْصَاءُ، والأُخرى العَبُور؛ لأَنَّها عَبَرَتِ المجرَّةَ، وكانت خُزَاعَةُ مِمَّنْ يَعْبُدُ هذه الشعْرَى العَبُورَ، ومعنى الآية: وَأَنَّ اللَّه سبحانه رَبُّ هذا المعبودِ الذي لكم و﴿عاداً الأولى﴾: اختلف في معنى وصفها بالأُولى، فقال الجمهور: سُمِّيتْ «أولى» بالإضافة إلى الأمم المتأخِرة عنها، وقال الطبريُّ[5] وغيره: سُمِّيتْ أولى؛ لأَنَّ ثَمَّ عاداً آخرةً، وهي قبيلة كانت بمكَّةَ مع العماليق، وهم بنو لقيم بن هزال، واللَّه

---

(١) أخرجه مسلم في «**صحيحه**» (٤/ ٢٨٨٢)، كتاب «الزهد والرقائق»باب: (٢٥/ ٢٩٧١)، بهذا اللفظ.

(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٢٠٨)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ١٧١)، وعزاه للفريابي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٣) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٥/ ٢٠٨).

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٥٣٧) عن مجاهد برقم: (٣٢٦٣٧) وعن ابن زيد برقم: (٣٢٦٤٠)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٠٨)، وابن كثير في «**تفسيره**» (٤/ ٢٥٩)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ١٧٢)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير، وأبي الشيخ.

(٥) ينظر: «**تفسير الطبري**» (١١/ ٥٣٧).

أعلم، **وقرأ** الجمهور[١]: «وَثَمُودَا» بالنصب؛ عطفاً على «عاداً» «وقومَ نوحٍ» عطفاً على «ثمود».

وقوله: ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ لأنَّهم كانوا أَوَّلَ أُمَّة كَذَّبت من أهل الأرض، و﴿المؤتفكة﴾: قرية قومِ لوطٍ ﴿أهوى﴾ أي: طرحها من هواء عالٍ إلى سفل.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى﴾ مخاطبة للإنسان الكافر؛ كأنَّه قيل له: هذا هو اللَّه الذي له هذه الأفعال، وهو خالِقُكَ المُنْعِمُ عليكَ بكُلِّ النِّعَم، ففي أيّها تشك وتتمارى؟! معناه: تتشكك، وقال مالك الغفاريُّ: إنَّ قوله: ﴿ألاَّ تزر﴾ إلى قوله: ﴿تتمارى﴾/ هو في صحف إبراهيم وموسى. ١١٥ ب

وقوله سبحانه: ﴿هذا نذير﴾ يحتمل أَنْ يشير إلى نَبِيِّنا محمد ﷺ، وهو قول قتادة وغيره[٢]، وهذا هو الأشبه، ويحتمل أنْ يشير إلى القرآن، وهو تأويل قوم، و﴿نذير﴾ يحتمل أَنْ يكونَ بناء اسم فاعل، ويحتمل أَنْ يكون مصدراً، ونُذُر جمع نذير.

وقوله تعالى: ﴿أَزِفَتِ الآزِفَةُ﴾ معناه: قربت القريبة، والآزفة: عبارة عن القيامة بإجماعٍ من المفسرين، وأَزِفَ معناه قَرُبَ جدًّا؛ قال كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ: [البسيط]

بَانَ الشَّبَابُ وَآهَا الشَّيْب قَدْ أَزِفَا ... وَلاَ أَرَى لِشَبَابٍ ذَاهِبٍ خَلَفَا[٣]،

و﴿كاشفة﴾ يحتمل أَنْ تكون صفة لمؤنث التقدير: حال كاشفة ونحو هذا التقدير، ويحتمل أَنْ تكونَ بمعنى: كاشف؛ قال الطبريُّ[٤] والزَّجَّاج: هو من كشف السِّرّ، أي:

---

(١) وقرأها غير مصروفة حمزة، وعاصم، والحسن وعصمة.
ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٥/ ٢٠٨)، و«**البحر المحيط**» (٨/ ١٦٦)، و«**معاني القراءات**» (٣/ ٤٠)، و«**العنوان**» (١٨٢)، و«**حجة القراءات**» (٦٨٨)، و«**إتحاف فضلاء البشر**» (٢/ ٥٠٣).

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٥٤٠) برقم: (٣٢٦٥٦)، وذكره البغوي (٤/ ٢٥٦)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٠٩)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ١٧٢)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن االمنذر.

(٣) وبعده:
عاد السواد بياضاً في مفارقه ... لا مرحباً ها بذا اللون الذي ردفا
ينظر: «**ديوانه**» (٧٠)، «**المحرر الوجيز**» (٥/ ٢١٠).

(٤) ينظر: «**تفسير الطبري**» (١١/ ٥٤١).

ليس من دون اللَّه مَنْ يكشف وَقْتَهَا ويعلمه، وقال منذر بن سعيد[١]: هو من كشف الضُّرّ ودفعه، أي: ليس مَنْ يكشف خَطْبَهَا وهولها إلاَّ اللَّهُ.

﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿أَفَمِنْ هٰذَا الْحدِيثِ تَعْجَبُونَ...﴾ الآية: روى سعد بن أَبي وَقَّاص أَنَّ رسول اللَّهِ ﷺ قال: «إِنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ بِحَوْفٍ، فَإِذَا قَرَأْتُمُوهُ فَابْكُوا، فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَبَاكَوا» ذكره الثعلبيُّ، وأخرج الترمذي والنسائيُّ عن النبي ﷺ أَنَّه قَالَ: «لاَ يَلِجُ النَّارَ مَنْ بَكَىٰ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، حَتَّىٰ يَعُودَ اللَّبَنُ في الضَّرْعِ، وَلاَ يَجْتَمِعُ غُبَارٌ في سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ في مَنْخِرِ أَبَدًا» قال النسائيُّ: ويروى: «في جَوْفِ أَبَدًا»: «وَلاَ يَجْتَمِعُ الشُّحُّ وَالإِيمَانُ في قَلْبٍ أَبَدًا»[٢] قال الترمذي: وقال النبي ﷺ: «عَيْنَانِ لاَ تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ في سَبِيلِ اللَّهِ»[٣] انتهى من «**مصابيح/ البَغَوِيِّ**». قال أبو عمر بن عبد البر: رُوِيَ عنِ النبي ﷺ أَنَّه قال: «إِيَّاكُمْ وَكَثْرَةَ الضَّحِكِ؛ فَإِنَّهُ يُمِيتُ الْقَلْبَ، وَيَذْهَبُ بِنُورِ الْوَجْهِ»[٤] انتهى من «**بهجة المجالس**»، وروى الترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «مَنْ يَأْخُذُ عَنِّي هٰؤُلاَءِ الكَلِمَاتِ؛ فَيَعْمَلَ بِهِنَّ، أَوْ يُعَلِّمَ مَنْ يَعْمَلُ بِهِنَّ؟

١١٦أ

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٢٠٩).

(٢) أخرجه النسائي (٦/ ١٢)، كتاب «الجهاد» باب: فضل من عمل في سبيل اللَّه على قدمه (٣١٠٨)، و«**الكبرى**» (٣/ ٩) كتاب «الجهاد» باب: فضل من عمل في سبيل اللَّه على قدميه (٣/ ٤٣١٦)، والترمذي (٤/ ١٧١)، كتاب فضائل «الجهاد» باب: ما جاء في فضل الغبار في سبيل اللَّه (١٦٣٣)، وأحمد (٢/ ٥٠٥)، والبيهقي في «**شعب الإيمان**» (١/ ٤٩٠) (٨٠٠)، والحاكم (٤/ ٦٥).
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه الترمذي (٤/ ١٧٥)، كتاب «فضائل الجهاد» باب: ما جاء في فضل الحرس في سبيل اللَّه (١٦٣٩).
قال الترمذي: حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث شعيب بن رُزيق.

(٤) أخرجه الترمذي (٥/ ٥٥١)، كتاب «الزهد» باب: من اتقى المحارم فهو أعبد الناس (٢٣٠٥) عن أبي هريرة نحوه.
قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث جعفر بن سليمان، والحسن، ولم يسمع من أبي هريرة شيئاً ا هـ.
وأخرجه ابن ماجه (٢/ ١٤٠٣)، كتاب «الزهد» باب: الحزن والبكاء (٤١٩٣)، و (٢/ ١٤١٠)، كتاب «الزهد» باب: الورع والتقوى (٤٢١٧)، نحوه من طريق آخر عن أبي هريرة.

فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقُلْتُ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَخَذَ بِيَدِي، فَعَدَّ خَمْسَاً، وَقَالَ: اتَّقِ الْمَحَارِمَ، تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَٱرْضَ بِمَا قَسَّمَ اللَّهُ لَكَ، تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ، وَأَحْسِنْ إِلىٰ جَارِكَ، تَكُنْ مُؤْمِناً، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، تَكُنْ مُسْلِماً، وَلاَ تُكْثِرِ الضَّحِكَ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ يُمِيتُ الْقَلْبَ»[1] انتهى، والسامد: اللاعب اللاهي، وبهذا فسَّرَ ابن عباس وغيره من المفسرين[2]، وسمد بلغة حمير: غَنِيَ، وهو كُلُّه معنى قريب بعضُه من بعض، ثم أمر تعالى بالسجود له والعبادة؛ تخويفاً وتحذيراً، وههنا سجدةٌ في قول كثير من العلماء، ووردت بها أحاديثُ صحاح، ولم يَرَ مالك بالسجود هنا، وقال زيد بن ثابت: إِنَّهُ قَرَأَ بِهَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ يَسْجُدْ[3]. قال ابن العربيِّ في «**أحكامه**»[4]: وكان مالكٌ يَسْجُدُهَا في خاصَّة نَفْسِهِ، انتهى.

---

(١) انظر السابق.

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٥٤٢) برقم: (٣٢٦٦٤)، وذكره البغوي (٤/ ٢٥٧)، وابن عطية (٥/ ٢١٠).

(٣) أخرجه النسائي (٢/ ١٦٠)، كتاب «الافتتاح» باب: ترك السجود في «النجم» (٩٦٠)، وأبو داود (١/ ٤٤٦)، كتاب «الصلاة» باب: من لم ير السجود في «المفصل» (١٤٠٣).

(٤) ينظر: «**أحكام القرآن**» (٤/ ١٧٣٥).

تَفْسِيرُ سُورَةِ «القمر»

وهِيَ مَكِّيَّةٌ بِإِجْمَاعٍ

إلاَّ آيةً واحدةً، قوله: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ...﴾ الآية. ففيها خلافٌ، والجمهور أنَّها أيضاً مكيةٌ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ۝٥ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ۝٦ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۝٨﴾

قوله سبحانه: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ معناه: قربت الساعة، وهي القيامة، وأمرها مجهول التحديد، وكل ما يُرْوَى في عمر الدنيا من التحديد فضعيف.

١١٦ ب وقوله: ﴿وانشق القمر﴾ إخبار عمَّا وقع؛ وذلك أنَّ قريشاً سَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ/ آيةً فَأَرَاهُمُ اللَّهُ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ، فَرَآهُ النَّبِيُّ ﷺ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْكُفَّارِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اشْهَدُوا[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٧/ ٢٢١)، كتاب «مناقب الأنصار» باب: انشقاق القمر (٣٨٦٩، ٣٨٧١)، (٨/ ٤٨٣ ـ ٤٨٤)، كتاب «التفسير» باب: ﴿وانشق القمر * وإن يروا آية يعرضوا﴾ (٤٨٨٤ ـ ٤٨٨٥)، ومسلم (٤/ ٢١٥٨)، كتاب «صفات المنافقين» باب: انشقاق القمر (٤٣، ٤٥/ ٢٨٠٠)، وأحمد (٣/ ٢٧٥) مثله، ونحوه عن ابن مسعود رضي الله عنه.
وفي الباب عن أنس بن مالك رضي الله عنه نحوه، أخرجه البخاري (٧/ ٢٢١)، كتاب «مناقب الأنصار» باب: انشقاق القمر (٣٨٦٨)، (٨/ ٤٨٤) كتاب «التفسير» باب: ﴿وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا﴾ (٤٨٦٧ ـ ٤٨٦٨).
ومسلم (٤/ ٢١٥٩) كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم باب: انشقاق القمر (٤٦ ـ ٤٧/ ٢٨٠٢).
وفي «الصحيحين» نحوه عن عبد الله بن عباس: أخرجه البخاري (٨/ ٤٨٤)، كتاب «التفسير» باب: ﴿وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا﴾ (٤٨٦٦)، ومسلم (٤/ ٢١٥٩)، كتاب «صفات المنافقين وأحكامهم» باب: وانشقاق القمر (٤٨/ ٢٨٠٣).

وقوله: ﴿وَإِنْ يَرَوْا﴾: جاء اللفظ مستقبلاً، لينتظمَ ما مضى وما يأتي، فهو إخبار بأنَّ حالهم هكذا.

وقوله: ﴿مُسْتَمِرٌّ﴾: قال الزَّجَّاجُ: قيل معناه: دائم متمادٍ، وقال قتادة وغيره[١]: معناه: مارٌّ ذاهب عن قريب يزول، ثم قال سبحانه على جهة جزم الخبر: ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ﴾ كأنَّه يقول: وكل شيء إلى غاية عنده سبحانه، و﴿مُزْدَجَرٌ﴾ معناه: موضع زجر.

وقوله: ﴿فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾: يحتمل أنْ تكون «ما» نافية، ويحتمل أنْ تكون استفهاميَّة.

ثم سَلَّى سبحانه نبيَّه ـ عليه السلام ـ بقوله: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي: لا تذهب نفسك عليهم حسراتٍ، وتَمَّ القولُ في قوله: ﴿عنهم﴾ ثم ابتدأ وعيدَهم بقوله: ﴿يَوْمَ﴾ والعامل في [﴿يوم﴾] قوله ﴿يَخْرُجُونَ﴾ وقال الرُّمَّانِيُّ: المعنى: فتولَّ عنهم، واذكر يوم[٢]، وقال الحسن: المعنى: فتَولَّ عنهم إلى يوم[٣].

وقرأ الجمهور[٤]: «نُكُرٍ» ـ بضم الكاف ـ؛ قال الخليل: النُّكُر: نعت للأمر الشديد والرجل الداهية، وخَصَّ الأبصارَ بالخشوع، لأنَّهُ فيها أظهرُ منه في سائر الجوارح، وكذلك سائر ما في نفس الإنسان من حياء أَو صَلَفٍ أو خوف ونحوه، إنَّما يظهرُ في الأبصار، و﴿الأجداث﴾: جمع جَدَثٍ وهو القبر، وشَبَّهَهُمْ سبحانه بالجراد المنتشر، وقد شبههم سبحانه في آية أخرى بالفراش المبثوث، وفيهم من كل هذا شَبَهٌ، وذهب بعض المفسرين إلى أنَّهم أوَّلاً كالفراش حين يَمُوجُ بعضُهم في بعض؛ ثم في رتبة أُخرى كالجراد إذا توجَّهُوا نحو المَحْشَرِ والداعي، والمُهْطِعُ: المُسْرِعُ في مشيه نحو الشيء مع هَزٍّ ورَهَقٍ ومَدِّ بَصَرٍ نحو المَقْصِدِ، إمَّا لخوف،/ أو طمع ونحوه؛ قال أبو حيان[٥]: ﴿مهطعين﴾ أي: مسرعين، وقيل: فاتحين آذانهم للصوت، انتهى. ١١٧أ

وَ﴿يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ لما يرون من مخايل هَوْلِهِ وعلامات مشقته.

---

(١) أخرجه الطبري (١١/٥٤٨) برقم: (٣٢٧٢٢)، وذكره البغوي (٤/٤٥٨)، وابن عطية (٥/٢١٢)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/٢٦٣).
(٢) ذكره ابن عطية (٥/٢١٢).
(٣) ذكره ابن عطية (٥/٢١٢).
(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/٢١٢)، و«البحر المحيط» (٨/١٧٣)، و«الدر المصون» (٦/٢٢٢).
(٥) ينظر: «البحر المحيط» (٨/١٧٤).

﴿۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴿١٥﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ...﴾ الآية: وعيدٌ لقريشٍ، وضَرْبُ مَثَلٍ لهم.

وقوله: ﴿وَازْدُجِرَ﴾: إخبار من اللَّه عز وجل أَنَّهُمْ زَجَرُوا نوحاً ـ عليه السلام ـ بالسَّبِّ والنَّجْهِ[1] والتخويف، قاله ابن زيد[2].

وقوله: ﴿فَانْتَصِرْ﴾ أي: فانتصر لي منهم بأن تهلِكَهُمْ.

وقوله: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ﴾ قال الجمهور: هذا مجاز وتشبيه؛ لأَنَّ المطر كأَنَّه من أبواب، وهذا مبدأ الانتصار من الكفار، والمُنْهَمِرُ: الشديد الوقوع الغزِيرُ، **وقرأ** الجمهور[3]: ﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ﴾ يعني: ماءَ السماء وماءَ العيون.

وقوله سبحانه: ﴿عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ أي: قد قُضِيَ وَقُدِّرَ في الأَزَلِ، و﴿ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾: هي السفينة، والدُّسُرُ: المسامير، واحدها: دِسار؛ وهذا هو قول الجمهور، وقال مجاهد[4]: الدُّسُرُ: أضلاع السفينة، قال العراقيُّ: والدِّسَار أيضاً: ما تُشَدُّ به السفينة، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ معناه: بحفظنا وتحتَ نظرٍ مِنَّا، قال البخاريُّ: قال قتادة: أبقى اللَّه عز وجل سفينةَ نوح حتَّى أدركها أَوائِلُ هذه الأُمَّةِ، انتهى، **وقرأ** جمهور[5] الناس: ﴿جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾ مبنيًا للمفعول، قال مكيٌّ: قيل: «مَنْ» يرادُ بها نوحٌ والمؤمنون؛ لأَنَّهم كُفِروا من حيثُ كُفِرَ بهم، فجزاهم اللَّه بالنجاة، وقُرِىء شاذًّا: «كَفَرَ»

---

(١) النَّجْهِ: استقبالك الرجل بما يكره، وردك إياه عن حاجته، وقيل: هو أقبح الرد. ينظر: **«لسان العرب»** (٤٣٥٩).

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٥٥١) برقم: (٣٢٧٤٠)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢١٤)، وابن كثير في **«تفسيره»** (٤/ ٢٦٣).

(٣) ينظر: **«المحرر الوجيز»** (٥/ ٢١٤)، و**«البحر المحيط»** (٨/ ١٧٥)، و**«الدر المصون»** (٦/ ٢٢٦).

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٥٥٣) برقم: (٣٢٧٥٦)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢١٤)، وابن كثير في **«تفسيره»** (٤/ ٢٦٤).

(٥) ينظر: **«المحرر الوجيز»** (٥/ ٢١٥)، و**«البحر المحيط»** (٨/ ١٧٦)، و**«الدر المصون»** (٦/ ٢٢٧).

مبنيًا للفاعل، والضمير في ﴿تركناها﴾ قالَ مَكِّيّ: هو عائد على هذه الفِعْلَةِ والقِصَّةِ، وقال قتادة وغيره[1]: هو عائد على السفينة،/ و﴿مُدَّكِرٍ﴾ أصله: مذتكر؛ أبدلوا من التَّاءِ دالاً، ثم أدغموا الذَّالَ في الدَّالِ، وهذه قراءة الناس، قال أبو حاتم: ورُوِيَتْ عنِ النبي ﷺ بإسناد صحيح. ١١٧ ب

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِي﴾: توقيف لكفار قريش، والنذر: هنا جمع نذير، وهو المصدر، والمعنى: كيف كان عاقبةُ إنذاري لمن لم يَحْفَلْ به كأنتم أيُّها القوم؟ و﴿يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ﴾ أي: سَهَّلْناه وقَرَّبْناه، والذِّكْرُ: الحفظ عن ظهر قلب؛ قال * ع[2] *: يُسِّرَ بما فيه من حُسْنِ النظم وشَرَفِ المعاني، فله حلاوةٌ في القلوب، وامتزاجٌ بالعقول السليمة.

وقوله: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾: استدعاءٌ وحَضٌّ على ذكرِهِ وحفظِهِ؛ لتكونَ زواجرُهُ وعلومُهُ حاضرةً في النفس، فللَّه دَرُّ مَنْ قبِل وهدي.

* ت *: وقال الثعلبيُّ: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ أي: من مُتَّعظ.

وقوله: ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾ الآية: ورد في بعض الأحاديث في تفسير هذه الآية: ﴿يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍ﴾: يوم الأربعاء، ومستمر معناه: متتابع.

﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٥٥٤) برقم: (٣٢٧٦١)، وذكره البغوي (٤/ ٢٦١)، وابن عطية (٥/ ٢١٤)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٦٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٨٠)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر.

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢١٥).

﴿فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم
بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ
جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾﴾

وقوله: ﴿تَنْزِعُ النَّاسَ﴾ معناه: تقلعهم من مواضعهم قَلْعاً فتطرحهم، ورُوِيَ عن مجاهد أَنَّ الريحَ كانت تُلْقِي الرجلَ على رأسه؛ فيتفتت رأسُهُ وعُنُقُهُ، وما يلي ذلك من بدنه[1]، قال *ع[2]*: فلذلك حسن التشبيه بأعجاز النخل؛ وذلك أَنَّ المنقلع هو الذي ينقلع من قعره، وقال قوم: إِنَّما شَبَّههم بأعجاز النخل؛ لأَنَّهُمْ كانوا يحتفرون حفراً ليمتنعوا فيها من الريح، فكأَنَّه شَبَّهَ تلك الحُفَرَ بعد النزع بحفر أعجاز النخل، والنَّخْلُ: تُذَكَّرُ وتُؤَنَّثُ، وفائدة تكرار قوله: ﴿فكيف كان عذابي وَنُذُرِي﴾ التخويفُ وَهَزُّ النفوس، وهذا
١١٨أ موجود في تَكْرَارِ الكلام؛ كقوله ﷺ: «أَلاَ هَلْ/ بَلَّغْتُ، أَلاَ هَلْ بَلَّغْتُ، أَلاَ هَلْ بَلَّغْتُ»[3] ونحوه، و[قول] ثمود لصالح: ﴿أَبَشَراً مِنَّا وَاحِداً نَتَّبِعُهُ﴾: هو حسد منهم، واستبعادٌ منهم أَنْ يكونَ نوعُ البشر يفضل هذا التفضيلَ، ولم يعلموا أَنَّ الفضلَ بيدِ اللَّه يؤتيه مَنْ يشاء، ويفيض نورَ الهدى على مَنْ رَضيَهُ، وقولهم: ﴿إِنَّا إِذاً لَفِي ضَلاَلٍ﴾ أي: في ذهاب وانتلاف عن الصواب، ﴿وسُعُرٍ﴾ معناه: في احتراق أنفس واستعارها حنقاً، وقيل: في جنون؛ يقال: ناقة مسعورة إِذا كانت خفيفةَ الرأس هائمةً على وجهها، والأَشَرُ: البَطَرُ، **وقرأ** الجمهور[4]: ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ بالياء، **وقرأ** حمزة وحفص: «سَتَعْلَمُونَ» بالتاء من فوق؛ على معنى: قل لهم يا صالح.

ثم أمر اللَّه صالحاً بارتقاب الفَرَجِ والصبر.

---

(١) أخرجه الطبري (١١/٥٥٩) برقم: (٣٢٧٨٦)، وذكره ابن عطية (٥/٢١٦)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/١٨٢)، وعزاه لسعيد بن منصور، وابن جرير، وابن المنذر.

(٢) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٥/٢١٦).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) وقراءة الجمهور هي قراءة علي بن أبي طالب، وقرأ بالتاء من فوق ابن عامر وحمزة، وابن وثاب، وطلحة، والأعمش.
وأما حفص فقرأ بقراءة الجمهور، وليس كما ذكر المصنف متابعة لابن عطية، وإنما قراءته بالتاء من طريق هبيرة عن حفص.
ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٥/٢١٧)، و«**الحجة**» (٦/٢٤٣)، و«**معاني القراءات**» (٣/٤٣)، و«**شرح الطيبة**» (٦/٢٧)، و«**حجة القراءات**» (٦٨٩)، و«**العنوان**» (١٨٣)، و«**شرح شعلة**» (٥٩٢)، و«**إتحاف**» (٢/٥٠٧)، و«**التخريجات النحوية**» (٢٥٨).

* ت *: وقال الثعلبيُّ: ﴿فارتقبهم﴾ أي: انتظرهم؛ ما يصنعون، ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الماءَ قِسْمَةٌ بينهم﴾ وبين الناقة، لها شِرْبٌ ولهم شِرْبُ يوم معلوم، و﴿مُحْتَضَرٌ﴾: معناه: محضور مشهود متواسى فيه، وقال مجاهد[1]: ﴿كل شرب﴾ أي: من الماء يوماً ومن لبن الناقة يوماً محتضر لهم، فكأنَّه أنبأهم بنعمة اللَّه سبحانه عليهم في ذلك، و﴿صاحبهم﴾: هو قدار بن سالف، و﴿تعاطى﴾ مطاوع «عاطى» فكأنَّ هذه الفعلة تدافعها الناس، وأعطاها بعضُهم بعضاً فتعاطاها هو، وتناول العَقْرَ بيده؛ قاله ابن عباس[2]، وقد تقدم قَصَصُ القوم، و«الهشيم»: ما تفتَّت وتَهَشَّمَ من الأشياء، و﴿المحتظر﴾: معناه: الذي يصنع حظيرة، قاله ابن زيد وغيره[3]، وهي مأخوذة من الحَظَرِ وهو المنع، والعرب وأهلُ البوادي يصنعونها للمواشي وللسُّكْنَى/ أيضاً من الأغصان والشجر المُورِقِ، والقصب، ونحوه، وهذا كُلُّه ١١٨ ب
هشيمٌ يتفتت، إمَّا في أوَّل الصنعة، وإمَّا عند بِلى الحظيرة وتساقُطِ أجزائها، وقد تقدم قَصَصُ قوم لوط، والحاصب: مأخوذ من الحصباء.

وقوله: ﴿فَتَمَارَوْا﴾ معناه: تشككوا، وأهدى بعضُهم الشَّكَّ إلى بعض بتعاطيهم الشُّبَهِ والضلالِ، و﴿النذر﴾: جمع نذير، وهو المصدر، ويحتمل أَنْ يُرَادَ بالنذر هنا وفي قوله: ﴿كذبت قوم لوط بالنذر﴾ ـ جمع نذير، الذي هو اسم فاعل.

وقوله سبحانه: ﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾ قال قتادة[4]: هي حقيقةً؛ جَرَّ جبريل شيئاً من جناحه على أعينهم فاستوت مع وجوههم، قال أبو عُبَيْدَةَ: مطموسة بجلدة كالوجه، وقال ابن عباس والضَّحَّاك[5]: هذه استعارة؛ وإنَّما حجب إدراكهم فدخلوا المنزل ولم يروا شيئاً فجعل ذلك كالطمس.

وقوله: ﴿بُكْرَةً﴾ قيل: عند طلوع الفجر.

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٥٦١) برقم: (٣٢٧٩١)، وذكره البغوي (٤/ ٢٦٢)، وابن عطية (٥/ ٢١٨)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٦٥)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٨٢)، وعزاه للفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير.

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٥٦١) برقم: (٣٢٧٩٣)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢١٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٨٢)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٥٦٢) برقم: (٣٢٨٠٠) عن الضحاك. وذكره ابن عطية (٥/ ٢١٨).

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٥٦٤) برقم: (٣٢٨٠٦)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢١٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٨٣)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر.

(٥) أخرجه الطبري (١١/ ٥٦٤): (٣٢٨٠٥) عن ابن عباس، وعن الضحاك برقم: (٣٢٨٠٨)، وذكره البغوي (٤/ ٢٦٣) عن الضحاك، وابن عطية (٥/ ٢١٨).

وقوله: ﴿فَذُوقُوا﴾: يحتمل أنْ يكون من قول اللَّه تعالى لهم، ويحتمل أَنْ يكونَ من قول الملائكة، وَنُذُرِي: جمع المصدر، أي: وعاقبة إِنذاري، و﴿مُسْتَقِرٌّ﴾ أي: دائم استقر فيهم حَتَّى يُفْضِيَ بهم إِلى عذاب الآخرة، و﴿آل فرعون﴾: قومه وأتباعه.

﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾﴾

وقوله: ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا﴾ يحتمل أنْ يريد آل فرعونَ، ويحتمل أَنْ يكون قوله: ﴿ولقد جاء آل فرعون النذر﴾ [القمر: ٤١] ـ كلاماً تامًّا ـ، ثم يكون قوله: ﴿كذبوا بآياتنا كلها﴾ يعود على جميع من ذُكِرَ من الأمم.

وقوله تعالى: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَائِكُمْ﴾ خطاب لقريش على جهة التوبيخ.

وقوله: ﴿أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ﴾ أي: من العذاب ﴿فِي الزُّبُرِ﴾ أي: في كتب اللَّه المُنَزَّلَةِ؛ قاله ابن زيد وغيره[1].

١١٩أ ثم قال تعالى لنبيِّنا محمد ﷺ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ/ نَحْنُ﴾: واثقون بجماعتنا، منتصرون بقوَّتِنا على جهة الإِعجاب؛ سَيُهْزَمُونَ، فلا ينفع جمعُهم، وهذه عِدَةٌ من اللَّه تعالى لرسوله أَنَّ جَمْعَ قريشٍ سَيُهْزَمُ، فكان كما وعد سبحانه؛ قال عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ: كنت أقول في نفسي: أَيُّ جَمْعٍ يُهْزَمُ؟! فَلَمَّا كان يومُ بدرٍ رأيتُ رسولَ اللَّه ﷺ يثب في الدرع، وهو يقول: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾[2] والجمهور على أَنَّ الآية نزلت بِمَكَّةَ، وقول مَنْ زعم أَنَّها نزلت يومَ بدر ضعيف، والصواب أَنَّ الوعد نُجِّزَ يوم بدر، قال أبو حيان[3]: ﴿وَيُوَلُّونَ﴾: الجمهور بياء الغيبة، وعن أبي عمرو بتاء الخطاب، والدُّبُرُ: هنا اسم جنس، وحسن إِفرادَهُ؛ كونُهُ فاصلةً، وقد جاء مجموعاً في آية أُخرى، وهو الأصل، انتهى.

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٥٦٧) برقم: (٣٢٨٢١)، وابن عطية (٥/ ٢٢٠).

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٥٦٧) برقم: (٣٢٨٢٣)، وذكره البغوي (٤/ ٢٣٨)، وابن عطية (٥/ ٢٢٠)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٦٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ١٨٤)، وعزاه لابن أبي حاتم، والطبراني في «الأوسط»، وابن مردويه.

(٣) ينظر: «البحر المحيط» (٨/ ١٨١).

ثم أضرب سبحانه تهميماً بأمر الساعة التي هي أَشَدُّ عليهم من كُلِّ هزيمة وقَتْلٍ، فقال: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ و﴿أدهى﴾: أفعل من الداهية، وهي الرَّزِيَّةُ العُظْمَى تنزل بالمرء، ﴿وأَمَرُّ﴾ من المرارة.

* ت *: وقال الثعلبيُّ: الداهية الأَمَرُّ: الشديد الذي لا يُهْتَدَى للخلاص منه، انتهى.

ثم أخبر تعالى عن المجرمين أَنَّهم في الدنيا في حيرة وانتلاف، وفقد هدى، وفي الآخرة في احتراق وتسعُّر، وقال ابن عباس[1]: المعنى: في خسران وجُنُونٍ، والسُّعُرُ: الجنون، وأكثر المفسرين على أَنَّ المجرمين هنا يُرَادُ بهم الكُفَّارُ، والسَّحْبُ: الجَرُّ.

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ **قرأ** جمهور الناس: ﴿كُلَّ﴾ بالنصب، وقالوا: المعنى: إِنَّا خلقنا كُلَّ شيء بقدر سابق، وليست خلقنا في موضع الصفة لشيء، / وهذا مذهب أهل السُّنَّةِ وهذا المعنى يقتضى أَنَّ كُلَّ شيء مخلوق إِلاَّ ما قام عليه الدليل ١١٩ ب
أَنَّه ليس بمخلوق؛ كالقرآن والصفات.

* ت *: قال الثعلبيُّ: قال ابن عباس[2]: خَلَقَ اللَّه الخَلْقَ كُلَّهم بقدر، وَخَلَقَ الخيرَ والشَّرَّ، فخيرُ الخير: السعادةُ، وَشَرُّ الشَّرِّ: الشقاوة.

وقوله سبحانه: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ﴾ قال * ع[3] *: أي: إِلاَّ قولة واحدة، وهي «كن».

* ت *: قوله: إِلاَّ قولة فيه قَلَقٌ ما، وكأَنَّه فَهِمَ أَنَّ معنى الآية راجع إِلى قوله تعالى: ﴿إِنَّما أمرنا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤] وعبارة الثعلبيِّ: أي: وما أمر الساعة إِلاَّ واحدة، أي: إِلاَّ رجفة واحدة، قال أبو عبيد: هي نعت للمعنى

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٢٢١).

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٥٦٩) برقم: (٣٢٨٤٢)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٨٥)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر،

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٢١).

دون اللفظ، مجازه: وما أمرنا إلاَّ مرة واحدة كن فيكون ﴿كلمح بالبصر﴾، أي: كخطف بالبصر، فقيل له: إنَّه يعني الساعةَ، فقال: الساعة وجميع ما يريد، انتهى، وكلام أبي عبيد عندي حَسَنٌ.

والأشياع: الفِرَقُ المتشابهة في مذهب، أو دين، ونحوهِ، الأَوَّلُ شيعةٌ للآخر، والآخرُ شيعة للأَوَّلِ، وكُلُّ شيء فعلته الأُمَم المُهْلَكَةُ في الزبر، أي: مكتوب محفوظ عليهم إلى يوم الحساب؛ قاله ابن عباس وغيره[1]، و﴿مُسْتَطَرٌ﴾ أي: مُسَطَّر، **وقرأ** الجمهور[2]: و﴿نَهَرٍ﴾ - بفتح النون والهاء -؛ على أنَّه اسم الجنس يريد به الأنهار، أو على أنَّه بمعنى: وَسَعَةٍ في الأرزاق والمنازل، قال أبو حيان[3]: **وقرأ** الأعمش «وَنُهُرٍ» - بضم النون والهاء - جمع نَهْرٍ؛ كـ«رَهُنٍ» وَ«رَهْنٍ» انتهى.

وقوله تعالى: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ يحتمل أنْ يريدَ به الصّدقَ الذي هو ضِدُّ الكَذِبِ، أي: المقعد الذي صدقوا في الخبر به، ويحتمل أنْ يكون من قولك: عود صدق، أي: جيد، وَرَجُلٌ/ صِدْقٌ، أي: خير، والمليك المقتدر: اللَّه تعالى. ١٢٠أ

* ت *: وقال الثعلبيُّ: ﴿في مقعد صدق﴾ أي: في مجلس حَقٍّ لا لَغْوَ فيه ولا تأثيمَ، وهو الجنة عند مليك مقتدر، و﴿عند﴾: إشارة إلى القربة والرُّتْبَةِ، انتهى.

* ص *: قال أبو البقاء: ﴿في مقعد صدق﴾: بدل من قوله: ﴿في جنات﴾ انتهى، قال المُحَاسِبِيُّ: وإذا أخذ أهلُ الجنة مجالسَهم، واطمأنوا في مقعد الصدق الذي وعده اللَّه لهم، فهم في القُرْبِ من مولاهم سبحانه على قدر منازلهم عنده، انتهى من كتاب «**التَّوَهُّم**» ثم قال المُحَاسِبيُّ بإثْرِ هذا الكلام: فلو رأيتهم، وقد سمعوا كلامَ ربهم، وقد داخل قلوبَهم السرورُ، وقد بلغوا غايةَ الكرامة ومنتهى الرضا والغِبْطَةِ، فما ظَنُّك بنظرهم إلى العزيز العظيم الجليل الذي لا تقع عليه الأوهام؛ ولا تحيطُ به الأفهام، ولا تحده الفِطَنُ، ولا تكيِّفه الفِكَرُ، الأَزَلِيُّ القديم، الذي حارت العقول عن إدراكه، وكَلَّتِ الألسنُ عن كُنْهِ صفاته؟! انتهى.

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٢٢٢)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ١٨٦)، وعزاه لابن المنذر.
(٢) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٥/ ٢٢٢)، و«**البحر المحيط**» (٨/ ١٨٢)، و«**الدر المصون**» (٦/ ٢٣٤).
(٣) ينظر: «**البحر المحيط**» (٨/ ١٨٢)، وفيه أيضاً: أنها قراءة زهير الفرقبي وأبي نهيك، وأبي مجلز، واليماني.
وينظر: «**المحتسب**» (٢/ ٣٠٠).

تَفسِيرُ سُورَةِ الرَّحْمٰنِ

عَزَّ وَجَلَّ، وَهِيَ مَكِّيَّةٌ في قَوْلِ الجُمهور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الْإِنسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٤ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥﴾

قوله عز وجل: ﴿الرَّحْمٰنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ الرحمٰن: بناء مبالغة من الرحمة، وقوله: ﴿علم القرآن﴾ تعديد نعمةٍ، أي: هو مَنَّ به، وعَلَّمَهُ الناسَ، وخَصَّ حُفَّاظَهُ وَفَهَمَتَهُ بالفضل؛ قال النبي ﷺ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»[1]، ومن الدليل على أَنَّ القرآنَ غيرُ مخلوقٍ، أَنَّ اللَّه تعالى ذكر القرآن في كتابه في أربعة وخمسين موضعاً ما فيها موضِعٌ صَرَّحَ/ فيه بلفظ الخلق، ولا أشار إليه، وذكر الإنسانَ على الثُّلُثِ من ذلك في ثمانيةَ عَشَرَ ١٢٠ ب
موضعاً كُلُّها نَصَّتْ على خلقه، وقد اقترن ذكرُهُمَا في هذه السورة على هذا النحو، والإنسان هنا اسم جنس؛ قاله الزَّهْرَاوِيُّ وغيره، قال الفخر[2]: ﴿الرحمٰن﴾: مبتدأ خبره الجملة الفعلية التي هي ﴿علم القرآن﴾، انتهى، و﴿البيان﴾: النُّطْقُ والفهم والإبانة عن ذلك بقولٍ؛ قاله الجمهور، وبذلك فُضِّلَ الإنسان من سائر الحيوان، وكل المعلومات داخلة في

---

(١) أخرجه البخاري (٨/ ٦٩٢)، كتاب «فضائل القرآن» باب: خيركم من تعلم القرآن وعلمه (٥٠٢٧ ـ ٥٠٢٨)، وأبو داود (١/ ٤٦٠)، كتاب «الصلاة» باب: في ثواب قراءة القرآن (١٤٥٢)، والترمذي (٥/ ١٧٣ ـ ١٧٤)، كتاب «فضائل القرآن» باب: ما جاء في تعليم القرآن (٢٩٠٧ ـ ٢٩٠٨)، وابن ماجه (١/ ٧٦ ـ ٧٧) «المقدمة» باب: فضل من تعلم القرآن وعمله (٢١١)، وأحمد (١/ ٨٥، ٦٩)، والدارمي (٢/ ٤٣٧)، كتاب «فضائل القرآن» باب: خياركم من تعلم القرآن وعلمه عن عثمان بن عفان.
وفي الباب عن علي رضي اللَّه عنه: أخرجه الترمذي (٥/ ١٧٥)، كتاب «تفسير القرآن» باب: ما جاء في تعليم القرآن (٢٩٠٩)، وأحمد (١/ ١٥٣)، والدارمي (٢/ ٤٣٧)، كتاب «فضائل القرآن» باب: خياركم من تعلم القرآن.
قال الترمذي: هذا حديث لا نعرفه من حديث علي عن النبي ﷺ إلا من حديث عبد الرحمٰن بن إسحاق.

(٢) ينظر: «تفسير الفخر الرازي» (١٥/ ٧٥).

البيان الذي عَلّمه الإنسان، فمن ذلك البيان: كونُ ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾: وهذا ابتداء تعديد نِعَم، قال قتادة[١]: ﴿بحسبان﴾: مصدر كالحساب، وقال أبو عبيدةَ معمر بن المثنى والضَّحَّاك[٢]: هو جمع حساب، والمعنى: أَنَّ هذين لهما في طلوعهما وغروبهما وقطعهما البروجَ وغيرِ ذلك حساباتٌ شَتَّى، وهذا مذهب ابن عباس وغيرِهِ[٣]، وقال قتادة: الحسبان[٤]: الفلك المستدير، شَبَّهَهُ بحُسْبَان الرَّحَى، وهو العود المستدير الذي باستدارته تستدير المطحنة.

﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ۝٩ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝١٠ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ۝١١ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ۝١٢ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣﴾

وقوله سبحانه: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ قال ابن عباس وغيره[٥]: النجم: النباتُ الذي لا ساقَ له. قال * ع[٦] *: وسُمِّيَ نَجْماً؛ لأَنَّه نَجَمَ، أي: ظَهَر، وهو مناسب للشجر نسبةً بَيِّنَةً، وقال مجاهد وغيره: النجم: اسم الجنس من نجوم السماءِ[٧]: قال * ع[٨] *: والنسبة التي لها من السَّمَاءِ هي التي للشَّجَرِ من الأرض؛ لأَنَّهُمَا في ظاهرهما، وسُمِّيَ الشَّجَرَ؛ من اشتجار غصونه، وهو تداخُلُها، قال مجاهد[٩]: وسجودُهُمَا عبارةٌ عن التذلُّلِ والخضوعِ.

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٥٧٣) برقم: (٣٢٨٦٢)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٢٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٩٠)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر.

(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٢٢٤).

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٥٧٣) برقم: (٣٢٨٦٠)، وذكره البغوي (٤/ ٢٦٧)، وابن عطية (٥/ ٢٢٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٩٠)، وعزاه للفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه.

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٥٧٤) عن مجاهد برقم: (٣٢٨٦٧).

(٥) أخرجه الطبري (١١/ ٥٧٥) برقم: (٣٢٨٦٩)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٢٤)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٧٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٩١)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ في «العظمة» عن ابن رزين، والحاكم وصححه.

(٦) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٢٤).

(٧) أخرجه الطبري (١١/ ٥٧٥) برقم: (٣٢٨٧٣)، وذكره البغوي (٤/ ٢٦٧)، وابن عطية (٥/ ٢٢٤)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٧٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٩١)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر.

(٨) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٢٤).

(٩) ذكره ابن عطية (٥/ ٢٢٤).

١٢١ أ

وقوله سبحانه: ﴿وَوَضَعَ/ الْمِيزَانَ﴾: يريد به العدل؛ قاله أكثرُ الناسَ.

وقوله: ﴿أَلاَّ تَطْغَوا في الْمِيزَانِ﴾ وقوله: ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾، وقوله: ﴿وَلاَ تُخْسِرُوا المِيزَانَ﴾ يريد به الميزانَ المعروفَ وألاَّ هو بتقدير لئلاَّ، أومفعول من أجله، وفي مصحف ابن مسعود[1]: «لاَ تَطْغَوا في المِيزَانِ» **وقرأ** بلال بن أبي بُردَةَ[2]: «تَخْسِرُوا» ـ بفتح التاء وكسر السين ـ؛ من خَسَرَ، ويقال: خَسَرَ وَأَخْسَرَ بمعنى نَقَصَ، وأفسد؛ كَجَبَرَ وأَجْبَرَ.

والأنام: قال الحسن بن أبي الحَسَنِ[3]: هم الثقلان، الإِنْسُ والْجِنُّ، وقال ابن عباس، وقتادة وابن زيد والشَّعْبِيُّ[4]: هم الحيوانُ كلُّه.

﴿وَالنَّخْلُ ذَاتُ الأَكْمَامِ﴾ وذلك أَنَّ طَلْعَهَا في كُمٍّ وفروعَها أيضاً في أكمامٍ مِنْ لِيفِهَا، والكُمُّ من النَّبَاتِ: كلُّ ما ٱلْتَفَّ عَلَىٰ شَيْءٍ وَسَتَرَهُ: ومنه كمائم الزَّهْرِ، وبه شُبِّهَ كُمُّ الثوب.

﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ﴾: هو الْبُرُّ والشَّعِيرُ وما جرى مجراه، قال ابن عباس[5]: العَصْفُ: التِّبْنُ، واخْتُلِفَ في الرَّيْحَان، فقال ابن عَبَّاس وغيره[6]: هو الرِّزْق، وقال الحسن: هو رَيْحَانُكُمْ[7] هذا، وقال ابن زيد وقتادة[8]: الريحانُ هو كُلُّ مشمومٍ طَيِّبٍ، قال

---

(١) ينظر: «**الكشاف**» (٤/ ٤٤٤)، و«**المحرر الوجيز**» (٥/ ٢٢٥).

(٢) ينظر: «**الشواذ**» ص: (١٤٩)، و«**المحتسب**» (٢/ ٣٠٣)، و«**المحرر الوجيز**» (٥/ ٢٢٥)، و«**البحر المحيط**» (٨/ ١٨٨)، و«**الدر المصون**» (٦/ ٢٣٧)

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٥٧٧) برقم: (٣٢٨٩٣)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٢٥)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ١٩٢)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر.

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٥٧٧) برقم: (٣٢٨٩١)، عن ابن عباس، وعن قتادة برقم: (٣٢٨٩٥)، وعن ابن زيد (١١/ ٥٧٨) برقم: (٣٢٨٩٦)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٢٥)، وابن كثير في «**تفسيره**» (٤/ ٢٧٠)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ١٩٢)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٥) أخرجه الطبري (١١/ ٥٧٧) برقم: (٣٢٩٠٤)، وذكره البغوي (٤/ ٢٦٨)، وابن عطية (٥/ ٢٢٥)، وابن كثير في «**تفسيره**» (٤/ ٢٧١)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ١٩٢)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٦) أخرجه الطبري (١١/ ٥٨٠) برقم: (٣٢٩١٥)، وذكره البغوي (٤/ ٢٦٨)، وابن عطية (٥/ ٢٢٥)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ١٩٢)، وعزاه لابن جرير.

(٧) أخرجه الطبري (١١/ ٥٨٠) برقم: (٣٢٩٢٢)، وذكره البغوي (٤/ ٢٦٨)، وابن عطية (٥/ ٢٢٥)، وابن كثير في «**تفسيره**» (٤/ ٢٧١)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ١٩٢)، وعزاه لابن جرير.

(٨) أخرجه الطبري (١١/ ٥٨٠) برقم: (٣٢٩٢٣)، عن ابن زيد، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٢٥).

* ع[١] *: وفي هذا النوع نعمة عظيمة، ففيه الأزهار، والمِنْدَلُ والعقاقير، وغير ذلك، **وقرأ** الجمهور[٢]: «وَالرَّيْحَانُ» بالرفع؛ عطفاً على «فاكهة» **وقرأ** حمزة والكسائيُّ: «وَالرَّيْحَانِ» بالخفض؛ عطفاً على «العَصْف»، فـ«الريحان» على هذه القراءة: الرزق، ولا يدخل فيه المشمومُ إلاَّ بتكَلُّفٍ، و«ريحان» أصله «رَوْحَان»؛ فهو من ذوات الواو؛ و«الآلاء»: النِّعَمُ، والضمير في قوله: ﴿ربكما﴾ للجن والإنس اللَّذَيْن تضمَّنهما لفظُ الأَنام، وأيضاً ساغ تقديمُ ضميرهما عليهما؛ لذكر/ الإنسان والجانِّ عَقِبَ ذلك، وفيه اتساع، وقال منذر بن سَعِيدٍ: خُوطِبَ مَنْ يعقِلُ؛ لأَنَّ المخاطبة بالقرآن كُلِّه هي للإنس والجن[٣]، وعن جابر قال: «قرأ علينا النَّبِيُّ ﷺ سُورَةَ الرَّحْمٰن، حَتَّى خَتَمَهَا، ثُمَّ قَالَ: «مَالي أَرَاكُمْ سُكُوتاً؟! لَلْجِنُّ كَانُوا أَحْسَنَ رَدًّا مِنْكُمْ؛ مَا قَرَأْتُ عَلَيْهِمْ هَذِهِ الآيَةَ مِنْ مَرَّةٍ: ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إِلاَّ قَالُوا: لاَ بِشَيْءٍ مِنْ نِعَمِكَ رَبَّنَا نُكَذِّبُ»[٤].

١٢١ ب

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ * وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾ الآية: اخْتُلِفَ في اشتقاقِ «الصَّلْصَال»؛ فقيل: هو من صَلَّ: إذا أَنْتَنَ، فهي إشارةٌ إلى

---

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٢٥).

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٢٥)، و«البحر المحيط» (٨/ ١٨٨ ـ ١٨٩)، و«السبعة» (٦١٩)، و«الحجة» (٦/ ٢٤٥)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٣٣٣)، و«معاني القراءات» (٣/ ٤٤)، و«شرح الطيبة» (٦/ ٢٩)، و«العنوان» (١٨٤)، و«حجة القراءات» (٦٩٠)، و«شرح شعلة» (٥٩٣)، و«إتحاف» (٢/ ٥٠٩).

(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ٢٢٦).

(٤) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٩٩)، كتاب «التفسير» باب: ومن سورة الرحمٰن (٣٢٩١)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٧٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٣٢)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٨٩)، وزاد نسبته إلى ابن المنذر، وأبي الشيخ في «العظمة»، وابن مردويه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد، قال أحمد بن حنبل: كان زهير بن محمد الذي وقع بالشام ليس هو الذي يروى عنه بالعراق كأنه رجل آخر قلبوا اسمه، يعني لما يروون عنه من المناكير، وسمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: أهل الشام يروون عن زهير بن محمد مناكير، وأهل العراق يروون عنه أحاديث مقاربة. ا هـ من كلام الترمذي.
قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

الحَمْأَةِ، وقال الجمهور: هو من صَلَّ: إِذَا صَوَّتَ، وذلك في الطين لجودته، فهي إِشارة إِلى ما كان في تربة آدم من الطين الحُرِّ؛ وذلك أَنَّ اللَّه تعالى خلقه من طين مختلِفٍ، فمرَّةً ذكر في خلقه هذا، ومرَّةً هذا، وكُلُّ ما في القرآن صفاتٌ ترددتْ على التراب الذي خُلِقَ منه، و«الفَخَّارُ»: الطين الطَّيِّبُ إِذا مَسَّهُ الماء فخر، أي: رَبَا وَعَظُمَ، والجانُّ: اسم جنس كالجِنَّةِ، قال الفخر: وفي الجانِّ وجه آخر: أَنَّه أبو الجنِّ، كما أَنَّ الإِنسان هنا أبو الإِنْسِ خُلِقَ من صَلْصَالٍ، ومَنْ بعده خُلِقَ من صُلْبِهِ؛ كذلك الجَانُّ هنا أبو الجَنِّ خُلِقَ من نارٍ، ومَنْ بعده من ذرِّيَّتِهِ، انتهى، و«المارج»: اللهب المُضْطَرِبُ من النار، قال ابن عباس[1]: وهو أحسنُ النَّارِ المختلِطِ من ألوانٍ شَتَّىٰ، قال أبو حيَّان[2]: المَارِجُ المختلِطُ من أصْفَر، وأخضَرَ، وأحْمَرَ، انتهى.

وكَرَّرَ سبحانه قوله: ﴿فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؛ تأكيداً وتنبيهاً للنفوس، وتحريكاً لها، وهذه طريقة من الفصاحة معروفة، وهي من كتاب اللَّه في مواضع؛ وفي حديث النبي ﷺ،/ وفي كلام العرب، وذهب قوم إِلى أَنَّ هذا التكرار إِنَّما هو لما اختلفت النعم ١٢٢أ المذكورة كَرَّرَ التوقيفَ مع كُلِّ واحدة منها، قال * ع[3] *: وهذا حسَنٌ، وقال الحُسَيْنُ بْنُ الفَضْلِ: التكرار لِطَرْدِ الغَفْلَةِ، وللتأكيد[4]، وخَصَّ سبحانه ذكرَ المَشْرِقَيْنِ والمغربين بالتشريف في إِضافة الرب إِليهما؛ لعظمهما في المخلوقات.

* ت *: وتحتمل الآية أَنْ يرادَ المشرقين والمغربين وما بينهما كما هو في «سورة الشعراء» واختلف الناس في ﴿البَحَرَيْنِ﴾؛ قال * ع[5] *: والظاهر عندي أَنَّ قوله تعالى: ﴿البحرين﴾ يريد بهما نَوْعَي الماءِ العَذْبِ والأُجاجِ، أي: خلطهما في الأرض، وأرسلهما متداخلين في وضعهما في الأرض، قريب بعضهما من بعض، ولا بَغْيَ، قال * ع[6] *: وذكر الثعلبيُّ في ﴿مرج البحرين﴾ ألغازاً وأقوالاً باطنةً يجب أَلاَّ يُلْتَفَتَ إِلَىٰ شَيْءٍ منها.

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٥٨٤) برقم: (٣٢٩٤٥)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٢٦)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٧١).

(٢) ينظر: «البحر المحيط» (٨/ ١٨٩).

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٢٦).

(٤) ذكره ابن عطية (٥/ ٢٢٦).

(٥) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٢٧).

(٦) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٢٧).

* ت *: ولا شَكَّ في اطِّرَاحِهَا، فمنها نقله عن الثوريِّ ﴿مرج البحرين﴾: فاطمة وعليٌّ، ﴿اللؤلؤ والمرجان﴾: الحَسَنُ والحُسَيْنُ، ثم تمادَىٰ في نحو هذا مِمَّا كان الأَوْلَىٰ به تركُهُ، ومَرِجَ الشَّيْءُ، أي: اختلط، و«البَرْزَخُ»: الحاجز، قال البخاريُّ ﴿لا يبغيان﴾: لا يختلطان، انتهى، قال ابن مسعود[1]: ﴿والمَرْجَان﴾: حجر أحمر، وهذا هو الصواب، قال عطاءٌ الْخُرَاسَانِيُّ[2]: وهو البُسذ[3].

﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانَ﴾ قال جمهور من المتأولين: إنما يخرُج ذلك من «الأُجَاجِ» في المواضع التي تقع فيها الأنهار والمياه العذبة؛ فلذلك قال: ﴿منهما﴾.

* ت *: وهذا بناء على أَنَّ الضمير في ﴿منهما﴾ للعذب وللمالح، وأَمَّا على قول
١٢٢ ب / مَنْ قال: إنَّ البحرين بَحْرُ فَارِسَ والرُّومِ، أو بَحْر القُلْزُمِ وبَحْرُ الشَّامِ ـ فلا إشكالَ ـ؛ إِذْ كُلُّها مالحةٌ، وقد نقل الأخفش عن قوم؛ أَنَّهُ يخرج اللؤلؤ والمرجان من المالح ومن العذب، وليس لِمَنْ رَدَّهُ حُجَّةٌ قاطعة، ومَنْ أَثْبَتَ أَوْلَىٰ مِمَّنْ نفى، قال أبو حيَّان[4]: والضمير في ﴿منهما﴾ يعود على البحرين، بعني: العَذْبَ والمَالِحَ، والظاهرُ خروجُ اللؤلؤِ والمَرْجَانِ منهما، وحكاه الأخفَشُ عن قوم، انتهى، والجَوَارِي: جمع جارية، وهي السُّفُنُ، **وقرأ** حمزة وأبو بكر[5]: «المنْشِئَاتُ» ـ بكسر الشين ـ، أي: اللواتي أنشأْنَ جَرْيَهُنَّ، أي: ابتدأْنَهُ، **وقرأ** الباقون ـ بفتح الشين ـ، أي: أنشأها اللَّهُ أو الناسُ، وقال مجاهد: ﴿الْمُنْشَآت﴾: ما رُفِعَ قِلْعُهُ من السفن ﴿كالأعلام﴾، أي: كالجبال[6].

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٥٨٩) برقم: (٣٢٩٩٥)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٢٨).
(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٥٨٩) برقم: (٣٢٩٩٠) عن كعب الأحبار، وذكره البغوي (٤/ ٢٦٩).
(٣) البُسَّذُ: نوع من الجوهر. وهي كلمة غير عربية.
ينظر: **«لسان العرب»** (٢٧٩).
(٤) ينظر: **«البحر المحيط»** (٨/ ١٩٠).
(٥) ينظر: **«السبعة»** (٦٢٠)، و**«الحجة»** (٦/ ٢٤٧)، و**«إعراب القراءات»** (٢/ ٣٣٧)، و**«معاني القراءات»** (٣/ ٤٦)، و**«شرح الطيبة»** (٦/ ٣٠)، و**«العنوان»** (١٨٤)، و**«حجة القراءات»** (٦٩١)، و**«شرح شعلة»** (٥٩٣)، و**«إتحاف»** (٢/ ٥١٠).
(٦) أخرجه الطبري (٥/ ٥٩١) برقم: (٣٣٠٠٠)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٢٨)، وابن كثير في **«تفسيره»** (٤/ ٢٧٢)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٦/ ١٩٦)، وعزاه للفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير.

* ت *: ولفظ البخاريِّ: ﴿المنشآت﴾: ما رُفِعَ قِلْعُهُ من السفن، فأمَّا ما لا يرفعُ قِلْعُهُ، فليس بمنشآت، انتهى.

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا﴾ أي: على الأرض ﴿فَانٍ﴾ والإشارة بالفناء إلى جميع الموجودات على الأرض من حيوان وغيره، والوجه: عبارة عن الذَّاتِ، لأنَّ الجارحة منفيَّةٌ في حَقِّه سبحانه؛ قال الداوديُّ: وعن ابن عباس ﴿ذو الجَلالِ﴾: قال: ذو العظمة والكبرياء، انتهى.

﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ في السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ أي: مِنْ مَلَكٍ، وإنس، وجنٍّ، وغيرهم، لا غِنَىٰ لأحد منهم عنه سبحانه، كُلُّهم يَسْأَله حاجَتَهُ، إمَّا بلسانِ مقاله، وإمَّا بلسانِ حاله.

وقوله سبحانه: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ في شَأْنٍ﴾ أي: يُظْهِرُ شأناً من قدرته التي قد سبقت في الأَزَلِ في ميقاته من الزمان، من إحياءٍ وإماتةٍ، ورِفْعَةٍ وخَفْضٍ، وغيرِ ذلك من الأمور التي / لا يعلم نهايتها إلاَّ هو سبحانه، و«الشأن»: هو اسم جنس للأمور، قال الحسين بن ١٢٣ أ
الفضل[1]: معنى الآية: سَوْقُ المقادير إلى المواقيت؛ وفي الحديث: «أَنَّ النبي ﷺ قَرَأَ هٰذِهِ الآيَةَ، فَقِيلَ لَهُ: مَا هٰذَا الشَّأْنُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: يَغْفِرُ ذَنْباً، وُيُفَرِّجُ كَرْباً، وَيَرْفَعُ قَوْماً، وَيَضَعُ آخَرِينَ»[2] وذكر النَّقَّاش أَنَّ سبب هذه الآيةِ قولُ اليهود: اسْتَرَاحَ اللَّهُ يَوْمَ السَّبْتِ، فَلاَ يُنَفِّذُ فِيهِ شَيْئاً.

وقوله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّه الثَّقَلاَنِ﴾: عبارة عن إتيان الوقت الذي قَدَّرَ فيه، وقَضَىٰ أَنْ ينظرَ في أُمور عباده، وذلك يوم القيامة، وليس المعنى: أَنَّ ثَمَّ شغلاً يتفرَّغ منه؛ إذْ لا يشغله سبحانه شأنٌ عن شأن، وإنَّما هي إشارةُ وعيدٍ وتهديدٍ، قال البخاريُّ: وهو

---

(١) ذكره البغوي (٤/ ٢٧٠)، وابن عطية (٥/ ٢٢٩).

(٢) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٩٧)، وعزاه إلى البزار.

معروفٌ في كلام العرب؛ يقال: لأَفْرُغَنَّ لَكَ، وما به شُغُلٌ، انتهى، و﴿الثقلان﴾: الإِنس والجن؛ يقال: لكل ما يَعْظُمُ أمرُه: ثَقَلٌ، وقال جعفرُ بْنُ محمَّدٍ الصَّادِقُ: سُمِّيَ الإِنْسُ والجِنُّ ثَقَلَيْنِ؛ لأَنَّهما ثَقُلاَ بالذنوبِ[1]، قال * ع[2] *: وهذا بارعٌ ينظر إِلَىٰ خلقهما من طين ونار، واختلف الناسُ في معنى قوله تعالى: ﴿إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا...﴾ الآية: فقال الطبريُّ[3]: قال قوم: المعنى: يُقَالُ لهم يومَ القيامة: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ...﴾ الآية، قال الضَّحَّاك: وذلك أَنَّهُ يَفِرُّ الناسُ في أقطار الأرض، والجِنُّ كذلك؛ لما يَرَوْنَ من هول يوم القيامة، فيجدون سَبْعَةَ صفوف من الملائكة، قد أحاطَتْ بالأرض، فيرجعون من حيثُ جاؤوا، فحينئذٍ يقال لهم: ﴿يا معشر الجن والإنس﴾[4]، وقال بعض المفسِّرين: هي مخاطبةٌ في الدنيا، والمعنى: إِنِ ٱستطعتم الفِرَارَ مِنَ المَوْتِ بأَنْ تَنْفُذُوا من أقطار السمٰوات والأرض، فٱنفذوا.

١٢٣ ب / * ت *: والصوابُ الأول.

وقوله: ﴿فَانْفُذُوا﴾: صيغة أمر، ومعناه: التعجيز، و«الشُّوَاظُ»: لَهَبُ النار؛ قاله ابن عباس وغيره[5]، قال أبو حَيَّان[6]: الشُّوَاظُ: هو اللهب الخالصُ بغَيْرِ دُخَانٍ، انتهى، و«النُّحَاسُ»: هو المعروف؛ قاله ابن عباس وغيره[7]، أي: يُذَابُ ويُرْسَلُ عليهما، ونحوه في البخاريِّ، قال * ص *: وقال الخليل: «النُّحَاسُ» هنا هو: الدُّخَانُ الذي لا لَهَبَ له، ونقله أيضاً أبو البقاء وغيره، انتهى.

﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾﴾

---

(١) ذكره البغوي (٤/ ٢٧١)، وابن عطية (٥/ ٢٣٠).
(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٣٠).
(٣) ينظر: «تفسير الطبري» (١١/ ٥٩٤).
(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٥٩٤) برقم: (٣٣٠١٧)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٣٠).
(٥) أخرجه الطبري (١١/ ٥٩٦) برقم: (٣٣٠٢٨)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٣٠)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٧٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٩٨)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.
(٦) ينظر: «البحر المحيط» (٨/ ١٩٣).
(٧) ذكره ابن عطية (٥/ ٢٣١).

وقوله سبحانه: ﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾: جواب «إذا» محذوفٌ مقصودٌ به الإبهام؛ كأنَّه يقول: فإذا انشقَّتِ السماءُ، فما أَعْظَمَ الهَوْلَ! قال قتادة[1]: السماءُ اليومَ خَضْرَاءُ، وهي يوم القيامة حَمْرَاءُ، فمعنى قوله: ﴿وَرْدَةً﴾ أي: مُحْمَرَّةً كالوَرْدَةِ، وهي النُّوَّارُ المعروفُ؛ وهذا قول الزَّجَّاجِ وغيره.

وقوله: ﴿كَالدِّهَانِ﴾ قال مجاهدٌ وغيره[2]: هو جمع دُهْنٍ؛ وذلك أَنَّ السماء يعتريها يومَ القيامة ذَوْبٌ وتَمَيُّعٌ من شِدَّةِ الهَوْلِ، وقال ابن جُرَيْجٍ[3]: من حَرِّ جَهَنَّمَ، نقله الثعلبيُّ، وقيل غير هذا.

وقوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لاَ يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلاَ جَانٌّ﴾ قال قتادة وغيره[4]: هي مواطنُ؛ فلا تعارُضَ بين الآيات.

وقوله سبحانه: ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ﴾ قال ابن عباس[5]: يُؤْخَذُ كُلُّ كافر بناصيته وقدَمَيْهِ، ويُطْوَىٰ، ويُجمَعُ كالحَطَبِ، ويُلْقَىٰ كذلك في النار، وقيل: المعنى: أَنَّ بعضَ الكفرة يُؤْخَذُونَ بالنواصي، وبعضُهم يُسْحَبُونَ، ويُجَرُّون بالأقدام.

وقوله تعالى: ﴿هَٰذِهِ جَهَنَّمُ﴾ أي: يقال لهم على جهة التوبيخ، وفي مصحف ابن مسعود[6]: «هٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمَا بِهَا تُكَذِّبَانِ لاَ تَمُوتَانِ فِيهَا وَلاَ تَحْيَيَانِ».

وقوله سبحانه: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾ المعنى:/ أَنَّهم يتردَّدون بين نارِ ١٢٤أ
جهنَّم وَجَمْرِهَا، وبين حميم، وهو ما غُلِيَ في جهنَّم من مائع عذابها، وآنَ الشَّيْءُ: حَضَرَ، وآنَ اللَّحْمُ أو ما يُطْبَخُ أَوْ يُغْلَىٰ: نَضِجَ وتناهَىٰ حَرُّهُ، وكونُهُ من الثاني أَبْيَنُ.

---

(١) أخرجه الطبري (١١/٥٩٨) برقم: (٣٣٠٥٤)، وذكره البغوي (٤/ ٢٧٢)، وابن عطية (٥/ ٢٣١)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٧٥).

(٢) أخرجه الطبري (١١/٥٩٩) برقم: (٣٣٠٥٧)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٣١)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٧٥)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٩٩)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر.

(٣) ذكره البغوي (٤/ ٢٧٢).

(٤) ذكره ابن عطية (٥/ ٢٣٢).

(٥) ذكره ابن عطية (٥/ ٢٣٢)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٧٥)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٠٠)، وعزاه لابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «البعث والنشور».

(٦) وزاد ابن خالويه فيها: «تصليانها» لا تموتان...، ينظر: «الشواذ» ص: (١٥٠)، و«الكشاف» (٤/ ٤٥١)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٢٣٢).

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ أي: موقِفَهُ بينَ يَدَيْ ربه، وقيل في هذه الآية: إنَّ كُلَّ خائف له جَنَّتَانِ.

* ت *: قال الثعلبيُّ: قال محمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الترمذيُّ: جَنَّةٌ لخوفه من ربِّه، وجنَّةٌ لتركه شهوَته، و«الأَفْنَان»: يحتمل أنْ تكون جمع «فَنَنٍ»، وهو الغُصْن، وهذا قولُ مجاهد[1]، فكأنَّهُ مدَحَهَا بظلالِهَا وتَكَاثُفِ أغصانها، ويحتمل أنْ تكونَ جمع «فَنٍّ»، وهو قول ابن عباس[2]، فكأنَّه مدحها بكثرة فواكِهِهَا ونعيمِهَا، و﴿زَوْجَانِ﴾ معناه: نَوْعَانِ.

* ت *: ونقل الثعلبيُّ عن ابنِ عَبَّاس[3] قال: ما في الدنيا شجرةٌ حُلْوَةٌ ولا مُرَّةٌ إلاَّ وهي في الجنة، حتى الحَنْظَلُ إلاَّ أَنَّهُ حُلْوٌ انتهى.

و﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾: حالٌ، **وقرأ** الجمهور[4]: ﴿عَلَى فُرُشٍ﴾ ـ بضم الراء ـ، ورُوِيَ في الحديث «أَنَّه قيل للنبيِّ ﷺ: هَذِهِ الْبَطَائِنُ مِنْ إِسْتَبْرَقٍ، فَكَيْفَ الظَّوَاهِرُ؟! قَالَ: هِيَ مِنْ نُورٍ يَتَلأْلأُ»، والإستبرقُ: ما خَشُنَ وحَسُنَ من الدِّيبَاجِ، والسُّنْدُسُ: ما رَقَّ منه، وقد تقدَّم القولُ في لفظ الإِسْتَبْرَقِ، والضميرُ في قوله: ﴿فيهن﴾ لِلْفُرُشِ، وقيل: للجنات، إِذِ الجنتان جناتٌ في المعنى، و«الجَنَىٰ»: ما يُجْنَىٰ من الثمار، ووصفه بالدُّنُوِّ؛ لأَنَّه يدنو إلى مشتهيه، فيتناوله كيف شاء من قيام، أو جلوس، أو اضطجاع، رُوِيَ معناه في الحديث، و﴿قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾: هُنَّ الحور، قَصَرْنَ ألحاظَهُنَّ على أزواجهن: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾ أي: لم يفتضَّهنَّ؛ لأَنَّ الطَّمْثَ دَمُ الفَرْجِ.

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٦٠٤) برقم: (٣٣١٠٠)، وذكره البغوي (٤/ ٢٧٤)، وابن عطية (٥/ ٢٣٣)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٧٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٠٣)، وعزاه لابن جرير.

(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٢٣٣).

(٣) ذكره البغوي (٤/ ٢٧٤)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٧٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٠٤)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٣٣)، و«البحر المحيط» (٨/ ١٩٥)، و«الدر المصون» (٦/ ٢٤٦).

وقوله: ﴿وَلا جَانٌّ﴾ قال مجاهد: الجن قد/ تُجَامِعُ نساءَ البَشَرِ مع أزواجهن[1] إذا لم يذكر الزوجُ اسمَ اللَّه، فنفى سبحانَهُ في هذه الآية جميعَ المجامعاتِ. ١٢٤ ب

﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ الآية، الياقوتُ والمَرْجَان هي من الأشياء التي قد بَرَعَ حُسْنُهَا، واستشْعَرَتِ النفوسُ جلالتها، فوقع التشبيه بها فيما يشبه، ويحسن بهذه المُشَبَّهَاتِ، فالياقوتُ في أملاسِّهِ وشُفُوفِهِ، ولو أدخلْتَ فيه سِلْكاً، لرأيته من ورائه، وكذلك المرأة من نساء الجنة يُرَى مُخُّ ساقها من وراء العَظْم، والمَرْجَانُ في املاسِّه وجمالِ منظره.

وقوله سبحانه: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾: آيةُ وَعْدٍ وبَسْطٍ لنفوسِ جميع المؤمنين؛ لأنَّها عامَّةٌ؛ قال ابن المُنْكَدِرِ، وابن زيد، وجماعة من أهْلِ العلم[2]: هي لِلْبَرِّ والفاجر، والمعنى: أَنَّ جزاءَ مَنْ أحْسَنَ بالطاعةِ أَنْ يُحْسَنَ إليه بالتنْعِيمِ، وحكى النَّقَّاشُ أَنَّ النبيَّ ﷺ فَسَّرَ هذه الآية: هَلْ جَزَاءُ التَّوْحِيدِ إِلاَّ الجَنَّةُ[3].

* ت *: ولو صَحَّ هذا الحديثُ، لوجَبَ الوقوفُ عنده، ولكنَّ الشأن في صِحَّتِهِ، قال الفخر[4]: قوله تعالى: ﴿هل جزاءُ الإحسانِ إلاَّ الإِحْسَانُ﴾ فيه وجوهٌ كثيرةٌ، حَتَّىٰ قيل: إنَّ في القرآن ثلاثَ آيات، في كل واحدة منها مائةُ قَوْلٍ، إحداها: قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢] وثانيتُهَا: ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا﴾ [الإسراء: ٨]وثالثتها: ﴿هل جزاء الإحسان إلاَّ الإحسان﴾ ولنذكر الأشهر منها والأقرب:

أما الأشهر فوجوه:

أحدها: هل جزاء التوحيدِ إلاَّ الجنةُ، أي: هل جزاءُ مَنْ قال: لا إلٰه إلا اللَّه إلاَّ دخولُ الجَنَّةِ.

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٦٠٧) برقم: (٣٣١٢١)، وذكره البغوي (٤/ ٢٧٥)، وابن عطية (٥/ ٢٣٤).

(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٢٣٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٠٨)، وعزاه لسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، والبخاري في «الأدب»، وابن جرير، وابن المنذر، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن محمد ابن الحنفية.

(٣) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٠٧)، وعزاه إلى الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول»، والبغوي في «تفسيره»، والديلمي في «مسند الفردوس».

(٤) ينظر: «تفسير الفخر الرازي» (١٥/ ١١٥).

٣٥٦ ـــــــ

ة، قال البخاريُّ: ﴿مَدْهَامَّتَانِ﴾: سودَاوَانِ من الرِّيِّ[١]، انتهى، والنَّضَّاخَةُ: الفَوَّارَةُ التي يَهِيجُ ماؤُها، وكَرَّرَ النخلَ والرُّمَّانَ، وهما من أفضل الفاكهة؛ تشريفاً لهما، وقالت أُمُّ سَلَمَةَ: «قلتُ: يا رسول اللَّه، أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ قالَ: خَيْرَاتُ الأَخْلاَقِ، حِسَانُ الْوُجُوهِ» وَقُرِىءَ شاذّاً: «خَيِّرَاتٌ» ـ بِشَدِّ الياء المكسورة[٢] ـ.

* ت *: وفي «**صحيح البخاريِّ**» من حديث أنس عن النبيِّ ﷺ: لَرَوْحَة في سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ غَدْوَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَقَابُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ في الْجَنَّةِ أَوْ مَوْضِعُ قَيْدِ سَوْطِهِ خَيْرٌ/ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوْ أَنَّ ٱمْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ ٱطَّلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ لأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا وَلَمَلأَتْهُ رِيحاً، وَلَنَصِيفُهَا عَلَىٰ رَأْسِهَا ـ يعني الخِمَارَ ـ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»[٣]. ١٢٥ ب

وقوله سبحانه ﴿مَقْصُورَاتٌ﴾ أي: محجوبَاتٌ مَصُونَاتٌ في الخيام، وخيامُ الجَنَّةِ بُيُوتُ اللؤلؤ، قال عمر بن الخَطَّاب ـ رضي اللَّهُ عنه[٤] ـ: هي دُرٌّ مُجَوَّفٌ، ورواه ابن مَسْعَودٍ عن النبيِّ ﷺ. قال الداوديُّ: وعن ابن عباس[٥]: والخيمة لؤلؤة مجوَّفة فَرْسَخٌ في فَرْسَخٍ،

---

(١) ينظر «**صحيح البخاري**» (٨/ ٤٨٧) كتاب: «التفسير»، باب: سورة الرحمٰن قال ابن حجر: وصله الفريابي.

(٢) قرأ بها أبو عثمان النهدي، وأبو بكر بن حبيب السهمي.
ينظر: «**الشواذ**» ص: (١٥١)، و«**المحرر الوجيز**» (٥/ ٢٣٥).

(٣) أخرجه البخاري (٦/ ١٧)، كتاب «الجهاد والسير»، باب الغدوة والروحة في سبيل اللَّه وقاب قوس أحدكم في الجنة (٢٧٩٢) باب: الحور العين وصفتهن (٢٧٩٦)، (١١/ ٤٢٥) كتاب: «الرقاق»، باب: صفة الجنة والنار (٦٥٦٨)، ومسلم (٣/ ١٤٩٩)، كتاب «الإمارة» باب: فضل الغدوة والروحة في سبيل اللَّه (١١٢/ ١٨٨٠).
وفي الباب من حديث أبي هريرة: أخرجه البخاري (٦/ ١٧)، كتاب «الجهاد والسير» باب: الغدوة والروحة في سبيل اللَّه، وقاب قوس أحدكم في الجنة (٢٧٩٣)، مسلم (٣/ ١٥٠٠)، كتاب «الإمارة» باب: فضل الغدوة والروحة في سبيل اللَّه (١١٤/ ١٨٨٢).
وفي الباب من حديث سهل بن سعد: أخرجه البخاري (٦/ ١٧)، كتاب «الجهاد والسير» باب: الغدوة والروحة في سبيل اللَّه، وقاب قوس أحدكم في الجنة (٢٧٩٤)، (٦/ ١٠٠) باب: فضل رباط يوم في سبيل اللَّه (٢٨٩٢)، (١١/ ٢٣٦) كتاب «الرقاق» باب: مثل الدنيا في الآخرة (٦٤١٥)، ومسلم (٣/ ١٥٠٠) كتاب «الإمارة» باب: فضل الغدوة والروحة في سبيل اللَّه (١١٣/ ٨١٨١)، والترمذي (٤/ ١٨٨)، كتاب «فضائل الجهاد» باب: ما جاء في فضل المرابط (١٦٦٤)، والترمذي (٤/ ١٨٨)، والنسائي (٦/ ١٥)، كتاب «الجهاد» باب: فضل غدوة في سبيل اللَّه (٣١١٨)، وابن ماجه (٢/ ٩٢١) كتاب «الجهاد» باب: فضل الغدوة والروحة في سبيل اللَّه (٢٧٥٦)، وأحمد (٥/ ٣٣٩).

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٦١٦) برقم: (٣٣١٩٩)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٣٦)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ٢١٠)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن أبي الأحوص.

(٥) أخرجه الطبري (١١/ ٦١٦) برقم: (٣٣١٩٧)، وابن كثير في «**تفسيره**» (٤/ ٢٨٠)، والسيوطي في «**الدر**=

٣٥٨ ـــــــ

بالاسم مُسَمَّاهُ، والدعاءُ بهاتَيْنِ الكلمتَيْنِ حَسَنٌ مَرْجُوُّ الإجابةِ، وقد قال ﷺ: «أَلِظُّوا بـ: «يَاذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ»[1].

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً.

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٢٣٩)، كتاب «الدعوات» باب: (٩٢) (٣٥٢٤)، وأحمد (٤/ ١٧٧).
قال الترمذي: هذا حديث غريب.

[تَفْسِيرُ] سُورَةِ الوَاقِعَةِ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ بِإِجْمَاعِ مِمَّنْ يُعْتَدُّ بِقَوْلِهِ

١٢٦أ رُوِيَ عن النَّبِيِّ ﷺ/ أَنَّهُ قال: «مَنْ دَامَ عَلَىٰ قِرَاءَةِ سُورَةِ الْوَاقِعَةِ، لَمْ يَفْتَقِرْ» أَوْ قَالَ: «لَمْ تُصِبْهُ فَاقَةٌ أَبَداً»[١]، قال * ع[٢] *: لأَنَّ فيها ذِكْرَ القيامة، وحُظُوظَ الناس في الآخرة، وفَهْمُ ذلك غِنًى لا فَقْرَ معه، ومَنْ فَهِمَهُ شُغِلَ بِالاستعدادِ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧﴾

قوله سبحانه: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ الآية، الواقعةُ: اسْمٌ من أسماء القيامة؛ قاله ابن عباس[٣]، وقال الضَّحَّاكُ[٤]: الواقعة: الصيحة، وهي النفخة في الصور، و﴿كاذبة﴾: يحتمل أَنْ يكون مصدراً، فالمعنى: ليس لها تكذيب ولا رَدٌّ ولا مَثْنَوِيَّةٌ؛ وهذا قول مجاهد والحسن[٥]، ويحتمل أَنْ يكونَ صفة لِمُقَدَّر، كأَنَّهُ قال: ليس لوقعتها حال كاذبة.

وقوله سبحانه: ﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾ قال قتادة وغيره[٦]: يعني القيامة تَخْفضُ أقواماً إِلى النار، وترفع أقواماً إِلى الجنة، وقيل: إِنَّ بانفطار السمٰوات والأرض والجبال وانهدام هذه

---

(١) أخرجه الشجري في «أماليه» (٢/٢٣٨)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١/١١٢) باب: ثواب من قرأ سورة الواقعة (١٥١).
قال ابن الجوزي: قال أحمد بن حنبل: هذا حديث منكر، وشجاع والسري لا أعرفهما.

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/٢٣٨).

(٣) أخرجه الطبري (١١/٦٢٢) برقم: (٣٣٢٤٥)، وذكره ابن عطية (٥/٢٣٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/٢١٥)، وعزاه لابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.

(٤) أخرجه الطبري (١١/٦٢٢) برقم: (٣٣٢٤٤)، وذكره ابن عطية (٥/٢٣٨).

(٥) أخرجه الطبري (١١/٦٢٢) برقم: (٣٣٢٤٦) عن قتادة، وذكره ابن عطية (٥/٢٣٨)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/٢٨٢).

(٦) أخرجه الطبري (١١/٦٢٣) برقم: (٣٣٢٥٠)، وذكره ابن عطية (٥/٢٣٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/٢١٦)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير.

البنية، ترتفعُ طائفةٌ من الأجرام، وتَنْخَفِضُ أُخْرَى، فكأنَّها عبارة عن شِدَّةِ هول القيامة.

* ت *: والأَوَّلُ أبين، وهو تفسير البخاريِّ، ومعنى ﴿رُجَّتِ﴾: زُلْزِلَتْ وَحُرِّكَتْ بعنف؛ قاله ابن عباس[1]، ومعنى ﴿بُسَّتِ﴾: فُتَّتْ كما تُبَسُّ البَسِيسَةُ وهي السَّوِيقُ؛ قاله ابن عباس وغيره[2]، وقال بعض اللغويين: «بست» معناه: سيِّرَتْ، والهباء: ما يتطاير في الهواء من الأجزاء الدقيقة، ولا يكادُ يُرَى إلاَّ في الشمس إذا دخلتْ من كُوَّةٍ؛ قاله ابن عباس وغيره[3]، والمُنْبَثُّ ـ بالثاء المثلثة ـ: الشائع في جميع الهواء، والخطاب في قوله: ﴿وَكُنتُمْ﴾ لجميع العالم، والأزواج: الأنواع، قال قتادة[4]: هذه منازل الناس يومَ القيامة.

﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿فَأَصْحَابُ/ الْمَيْمَنَةِ﴾: ابتداء، و﴿ما﴾ ابتداء ثانٍ، و﴿أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾: خبرُ ﴿ما﴾، والجملة خبر الابتداء الأوَّلِ، وفي الكلام معنى التعظيم؛ كما تقول: زيد ما زيد، ونظير هذا في القرآن كثير، والميمنة أظهر ما في اشتقاقها أنَّها من ناحية اليمين، وقيل من اليمْن، وكذلك المشأمة: إمَّا أَنْ تكونَ من اليد الشُّؤْمى، وإمَّا أَنْ تكونَ من الشؤم، وقد فُسِّرَتِ الآيةُ بهذين المعنيين. ١٢٦ ب

وقوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ﴾: ابتداء، و﴿السابقون﴾ الثاني: قال سيبويه: هو خبر الأَوَّلِ، وهذا على معنى تفخيم الأمر وتعظيمه، وقال بعض النحاة: السابقون الثاني نَعْتٌ للأوَّلِ، ومعنى الصفة أَنْ تقولَ: والسابقون إلى الإيمان السابقونَ إلى الجنة والرحمة أولئك، وَيَتَّجِهُ هذا المعنى على الابتداء والخبر.

وقوله: ﴿أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾: ابتداء وخبر، وهو في موضع الخبر؛ على قول مَنْ

---

(١) أخرجه الطبري (١١/٦٢٣) برقم: (٣٣٢٥٤)، وذكره ابن عطية (٥/٢٣٩)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/٢٨٢)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/٢١٦)، وعزاه لابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري (١١/٦٢٤) برقم: (٣٣٢٥٨)، وذكره ابن عطية (٥/٢٣٩)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/٢٨٢)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/٢١٦)، وعزاه لابن أبي حاتم.

(٣) ذكره ابن عطية (٥/٢٣٩).

(٤) أخرجه الطبري (١١/٦٢٦) برقم: (٣٣٢٧٣)، وذكره ابن عطية (٥/٢٤٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/٢١٧)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر.

قال: ﴿السابقون﴾ الثاني صِفَةٌ، و﴿المقربون﴾: معناه: مِنْ اللَّه سبحانه في جَنَّةِ عَدَنٍ، فالسابقون معناه: الذين قد سبقت لهم السعادة، وكانت أعمالُهُمْ في الدنيا سبقاً إلى أعمال البِرِّ وإلى ترك المعاصي، فهذا عمومٌ في جميع الناس، وخَصَّصَ المفسرون في هذه أشياء تفتقر إلى سند قاطع، ورُوِيَ أَنَّ النبي ﷺ سُئِلَ عَنِ السَّابِقِينَ؟ فَقَالَ: «هُمُ الَّذِينَ إِذَا أُعْطُوا الْحَقَّ قَبِلُوهُ، وَإِذَا سُئِلُوهُ بَذَلُوهُ، وَحَكَمُوا لِلنَّاسِ بِحُكْمِهِمْ لأَنْفُسِهِمْ» والمقربون عبارة عن أعلى منازل البشر في الآخرة، قال جماعة من أهل العلم: هذه الآية متضمنة أَنَّ العالم يومَ القيامة على ثلاثة أصناف.

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَـٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَـٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾﴾

١٢٧أ وقوله سبحانه: ﴿ثُلَّةٌ من الأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ/ مِنَ الآخِرِينَ﴾ الثُّلَّةُ: الجماعة، قال الحسن بن أبي الحسن وغيره[1]: المراد: السابقون من الأمم والسابقون من هذه الأُمَّةِ، ورُوِيَ أَنَّ الصحابة حَزِنُوا لِقِلَّةِ سابقي هذه الأُمَّةِ على هذا التأويل، فنزلت الآية: ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ * وَثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ٣٩ـ ٤٠] فَرَضُوا، ورُوِيَ عن عائشة[2] أَنَّها تأوَّلَتْ: أَنَّ الفرقتين في أُمَّةِ كُلِّ نبيٍّ هي في الصدر ثلة وفي آخر الأمة قليل، وقال النبيُّ ﷺ فيما روي عنه: «الفِرْقَتَانِ في أُمَّتِي، فَسَابِقُ أَوَّلِ الأُمَّةِ ثُلَّةٌ، وَسَابِقُ سَائِرِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ قليلٌ» قال السهيليُّ: وَأَمَّا آخِرُ مَنْ يدخل الجنة، وهو آخِرُ أهل النار خروجاً منها، فرجل اسمه جُهَيْنَةُ، فيقول أهل الجنة: تعالوا نسأله فعند جهينةَ الخبر اليقين، فيسألونه: هل بَقِيَ في النار أَحَدٌ بعدك مِمَّنْ يقول: لا إله إلا اللَّه؟ وهذا حديث ذكره الدَّارَقُطْنِيُّ من طريق مالك بن أنس، يرفعه بإسناد إلى النبيِّ ﷺ ذكره في كتاب رواة مالك بن أنس ـ رحمه اللَّه[3] ـ، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ﴾ أي: منسوجة بتركيب بعض أجزائها على

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٦٢٦) برقم: (٣٣٢٧٦)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٨٣)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢١٧)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن جرير.

(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٢٤١).

(٣) قال الشوكاني في «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» (٥١١) (١٢٨): قال في «الذيل»: هذا حديث باطل.

بعض، كحلق الدِّرْعِ، ومنه وَضِينُ الناقة وهو حِزَامُهَا؛ قال ابن عباس[١]: ﴿موضونة﴾: مرمولة بالذهب، وقالَ عِكْرَمَةُ[٢]: مُشَبَّكَةٌ بالدُّرِّ والياقوت ﴿يطوف عليهم﴾: للخدمة ﴿ولدان﴾: وهم صغار الخَدَمَةِ، ووصفهم سبحانه بالخلد، وإنْ كان جميعُ ما في الجنة كذلك، إشارةً إلى أَنَّهُم في حال الولدان مُخَلَّدُونَ، لا تكبر لهم سِنٌّ، أي: لا يحولون من حالة إلى حالة؛ وقاله ابن كيسان، وقال الفَرَّاء: ﴿مخلدون﴾ معناه: مقرطون بالخلدات وهي ضرب من الأقراط والأَوَّلُ أصوب،/ لأَنَّ العربَ تقول للذي كَبُرَ ولم يَشِبْ: إِنَّهُ لَمُخَلَّدٌ، والأكواب: ما كان من أواني الشرب لا أُذُنَ له ولا خُرْطُومَ، قال قتادة[٣]: ليست لها عُرًى، والإبريق: ماله خرطوم، والكأس: الآنية المُعَدَّةُ للشرب بشريطةِ أَنْ يكونَ فيها خمر، ولا يقال لآنية فيها ماء أو لبن كأس. ١٢٧ ب

وقوله: ﴿مِنْ مَعِينٍ﴾ قال ابن عباس[٤]: معناه من خمر سائلة جارية معينة.

وقوله: ﴿لاَ يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ ذهب أكثر المفسرينَ إلى أَنَّ المعنى: لا يلحق رؤوسَهم الصداعُ الذي يَلْحَقُ من خمر الدنيا، وقال قوم: معناه: لا يفرقون عنها بمعنى لا تقطعُ عنهم لَذَّتُهُمْ بسببٍ من الأسباب، كما يفرق أهل خمر الدنيا بأنواعٍ من التفريق، ﴿ولا يُنْزِفُونَ﴾ معناه: لا تذهب عقولُهم سكراً؛ قاله مجاهد وغيره[٥]، والنزيف: السكران، وباقي الآية بَيِّنٌ، وَخصَّ المكنون باللؤلؤ؛ لأنه أصفى لوناً وأبعدُ عن الغير، وسألتْ أُمُّ سَلَمَةَ رسولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ هَذَا التَّشْبِيهِ، فَقَالَ: «صَفَاؤُهُنَّ كَصَفَاءِ الدُّرِّ في الأَصْدَافِ الَّذِي لاَ تَمَسُّهُ الأَيْدِي»[٦] و﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: إِنَّ هذه الرتبَ والنعيمَ هي لهم بحسب أعمالهم؛ لأَنَّهُ رُوِيَ أَنَّ المنازل والقسم في الجنة هي مقتسمة على قَدْرِ الأعمال، ونَفْسُ

---

(١) أخرجه الطبري (١١/٦٢٨) برقم: (٣٣٢٨١)، وذكره ابن عطية (٥/٢٤١)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/٢٨٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/٢١٩)، وعزاه لسعيد بن منصور، وهناد، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «البعث».

(٢) أخرجه الطبري (١١/٦٢٨) برقم: (٣٣٢٨٥)، وذكره ابن عطية (٥/٢٤١)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/٢٨٦).

(٣) أخرجه الطبري (١١/٦٣٠) برقم: (٣٣٣٠٣)، وذكره ابن عطية (٥/٢٤٢).

(٤) أخرجه الطبري (١١/٦٣٠) برقم: (٣٣٣٠٥)، وذكره ابن عطية (٥/٢٤٢).

(٥) أخرجه الطبري (١١/٦٣٠) برقم: (٣٣٣١٦)، وذكره ابن عطية (٥/٢٤٢)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/٢٨٦).

(٦) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/٦٣٣) برقم: (٣٣٣٣٠)، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/١٢٢) في حديث طويل.
قال الهيثمي: رواه الطبراني وفيه سليمان بن أبي حاتم وابن عدي.

دخول الجنة هو برحمة اللَّه وفضله، لا بعمل عامل؛ كما جاء في الصحيح[١].

﴿إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿إِلاَّ قِيلاً سَلاَماً سَلاَماً﴾ قال أبو حيان[٢]: «إِلاَّ قِيلاً سَلاَماً سَلاَماً» الظاهر أَنَّ الاستثناءَ مُنْقَطِعٌ؛ لأَنَّهُ لا يَنْدَرِجُ في اللغو والتأثيم، وقيل مُتَّصِلٌ، وهو بعيد، انتهى، قال الزَّجَّاجُ[٣]: و﴿سلاماً﴾ مصدر، كأَنَّهُ يذكر أَنَّهُ يقول بعضهم لبعض: سلاماً سلاماً.

١٢٨ أ * ت *: قال الثعلبيُّ: والسِّدْرُ: شجر النَّبْقِ و﴿مَخْضُودٍ﴾/ أي: مقطوع الشوك، قال * ع[٤] *: ولأهل تحرير النظر هنا إِشارةٌ في أَنَّ هذا الخضد بإِزاء أعمالهم التي سلموا منها؛ إِذ أهل اليمين تَوَّابُونَ لهم سلام، وليسوا بسابقين، قال الفخر: وقد بان لي بالدليل أَنَّ المراد بأصحاب اليمين: الناجون الذين أذنبوا وأسرفوا، وعفا اللَّه تعالى عنهم بسبب أدنى حَسَنَةٍ؛ لا الذين غلبت حسناتُهُم وكَثُرَتْ، انتهى.

والطلح (من العِضَاهِ) شَجَرٌ عظيم، كثيرُ الشوك، وصفه في الجنة على صفة مباينة لحال الدنيا، و﴿منضود﴾ معناه: مُرَكَّبٌ ثمره بعضُه على بعض من أرضه إِلى أعلاه، وقرأ علي ـ رضي اللَّه عنه ـ وغيره: «وَطَلْعٍ»[٥] فقيل لعليٍّ: إِنَّما هو: «وطَلْحٍ» فقال: ما للطلح والجنة؟! قيل له: أَنُصْلِحُهَا في المصحف؟ فقال: إِنَّ المصحفَ اليومَ لا يُهَاجُ ولا يُغَيَّرُ.

---

(١) روى في هذا المعنى أناس من الصحابة، فقد أخرج الإمام مسلم (٤/ ٢١٧٠، ٢١٧١)، كتاب «صفات المنافقين» باب: لن يدخل أحد الجنة بعمله، بل برحمة اللَّه تعالى (٧١، ٧٦/ ٢٨١٦ ـ ٢٨١٧)، و (٧٧ ـ ٧٨/ ٢٨١٨) عن أبي هريرة، وعائشة، وجابر رضي اللَّه عنهم.
وأخرجه أحمد (٢/ ٢٥٦، ٣٣٦، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٩٠، ٤٦٩، ٤٧٣، ٥٠٩، ٥١٩، ٥٢٤) عن أبي هريرة (٣/ ٣٩٤) عن جابر، (٣/ ٥٢) عن أبي سعيد.

(٢) ينظر: «البحر المحيط» (٨/ ٢٠٦).

(٣) ينظر: «معاني القرآن» (٥/ ١١٢).

(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٤٣).

(٥) ينظر: «مختصر الشواذ» ص: (١٥١)، و«الكشاف» (٤/ ٤٦١)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٢٤٤)، وزاد نسبتها إلى جعفر بن محمد.
وينظر: «البحر المحيط» (٨/ ٢٠٦)، و«الدر المصون» (٦/ ٢٥٩)، وزادا نسبتها إلى عبد اللَّه بن مسعود.

وقال عليٌّ أيضاً وابن عباس[١]: الطلح الموز، والظل الممدود: معناه: الذي لا تنسخه شمس، وتفسير ذلك في قوله ﷺ: «إِنَّ في الْجَنَّةِ شَجْرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ الجَوَاد المُضَمَّر في ظِلِّهَا مِائَةَ سَنَةٍ لاَ يَقْطَعُها»[٢]، وَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ﴾، إلى غير هذا من الأحاديث في هذا المعنى.

* ت *: وفي «**صحيحي البخاريِّ ومسلم**» عن النبي ﷺ: «إِنَّ في الجَنَّةِ شَجْرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ في ظِلِّهَا مِائَةَ سَنَةٍ لاَ يَقْطَعُهَا، وَلَقَابُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ في الجَنَّةِ خَيْرٌ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ أَوْ تَغْرُبُ»[٣] انتهى.

﴿وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ﴾ أي: جارٍ في غير أُخْدُودٍ.

﴿لاَ مَقْطُوعَةٍ وَلاَ مَمْنُوعَةٍ﴾ أي: لا مقطوعة بالأزمان كحال فاكهة الدنيا، ولا ممنوعةٌ بوجه من الوجوه التي تمتنع بها فاكهةُ الدنيا، والفُرُشُ: الأَسِرَّةُ؛ وعن أبي سعيد الخُدْرِيِّ[٤]: إِنَّ في ارْتِفَاعِ السَّرِيرِ مِنْهَا مَسِيرَةَ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ.

* ت *: وهذا إِنْ ثبت فلا بُعْدَ/ فيه، إِذْ أحوال الآخرة كلها خَرْقُ عادة، وقال ١٢٨ ب
أبو عبيدةَ وغيره: أراد بالفرش النساء[٥]، و﴿مرفوعة﴾ معناه: في الأقدار والمنازل، و﴿أَنْشَأْنَاهُنَّ﴾ معناه: خلقناهن شيئاً بَعْدَ شيء؛ وقال النبيُّ ﷺ في تفسير هذه الآية: «هُنَّ

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٦٣٦) عن ابن عباس برقم: (٣٣٣٥٠)، وعن علي رضي الله عنه برقم: (٣٣٣٥٥)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٤٤)، وابن كثير في «**تفسيره**» (٤/ ٢٨٨)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ٢٢٢)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه البخاري (١١/ ٤٢٤) كتاب «الرقاق» باب: صفة الجنة والنار (٦٥٥٣)، ومسلم (٤/ ٢١٧٦)، كتاب «الجنة وصفة نعيمها وأهلها» باب: إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها (٢٨٢٨) عن أبي سعيد الخدري.

(٣) وَهِمَ المؤلف فجعل الحديثين حديثاً واحداً، فالطرف الأول: «إن في الجنة... لا يقطعها» في «**الصحيحين**» كما قال. وانظر السابق.
أما الطرف الثاني: فقد أخرجه البخاري (٦/ ١٧)، كتاب «الجهاد والسير» باب: الغدوة والروحة في سبيل الله وقاب قوس أحدكم في الجنة (٢٧٩٣)، (٦/ ٣٦٨)، كتاب «بدء الخلق» باب: ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة (٣٢٥٣)، وأحمد (٢/ ٤٨٢) عن أبي هريرة، والترمذي (٤/ ١٨١)، كتاب «فضائل الجهاد» باب: ما جاء في فضل الغدوّ والرواح في سبيل الله (١٦٥١)، وأحمد (٣/ ١٤١، ١٥٣، ١٥٧، ٢٠٧، ٢٦٣، ٢٦٤) عن أنس رضي الله عنه.
قال الترمذي: هذا حديث صحيح.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) ذكره ابن عطية (٥/ ٢٤٤).

عَجائِزُكُنَّ في الدُّنْيَا عُمْشاً رُمْصاً جَعَلَهُنَّ اللَّهُ بَعْدَ الْكِبَرِ أَتْرَاباً»[١]، وَقَالَ لِلْعَجُوزِ: «إِنَّ الْجَنَّةَ لاَ يَدْخُلُهَا الْعَجُوزُ، فَحَزِنَتْ، فَقَالَ: إِنَّكِ إِذَا [دَخَلْتِ الْجَنَّةَ أُنْشِئْتِ خَلْقاً آخَرَ[٢]»].

وقوله سبحانه: ﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً﴾ قيل: معناه: دائمة البكارة، متى عاود الوطء[٣] وجدها بكراً، والعُرُبُ: جمع عَرُوبٍ، وهي المُتَحَبِّبَةُ إِلى زوجها بإِظهار محبته؛ قاله ابن عباس[٤]، وعبر عنهنَّ ابن عباس أيضاً بالعواشق[٥]، وقال زيد: العروب: الحسنة الكلام[٦].

* ت *: قال البخاريُّ: والعروب يسميها أَهْلُ مَكَّةَ العَرِبَةَ، وأهل المدينة: الغَنِجَة، وأَهل العراق: الشَّكِلَة، انتهى.

وقوله: ﴿أَتْرَاباً﴾ معناه: في الشكل والقَدِّ، قال قتادة[٧]: ﴿أتراباً﴾ يعني: سِنًّا واحدة، ويُرْوَى أَنَّ أَهل الجنة هم على قَدِّ ابن أربعةَ عَشَرَ عاماً في الشباب، والنُّضْرَةِ، وقيل: على مثال أبناء ثلاثٍ وثلاثين سنةً، مُرْداً بيضاً، مُكَحَّلِينَ، زاد الثعلبيُّ: على خَلْقِ آدَم، طولُه ستون ذراعاً في سبعة أذرع.

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٠٢)، كتاب «التفسير» باب: ومن سورة الواقعة (٣٢٩٦)، من حديث أنس رضي اللَّه عنه.
قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث موسى بن عبيدة، وموسى بن عبيدة ويزيد بن أبان الرقاشي يضعفان الحديث، ومن طريق عائشة رضي اللَّه عنها: أخرجه الطبري (١١/ ٦٤١) (٣٣٠٤٢) نحوه.

(٢) أخرجه الترمذي في «الشمائل» (١٩٧، ١٩٩) (٢٤١)، والغزالي في «الإحياء» (٣/ ١٢٩).
وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٢٤)، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، والبيهقي في «البعث» عن الحسن.
وفي الباب عن عائشة، ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٤٢٢)، كتاب «صفة الجنة» باب: فيمن يدخل الجنة من عجائز الدنيا.
قال الهيثمي: رواه الطبراني في «الأوسط»، وفيه مسعد بن اليسع وهو ضعيف.

(٣) سقط في: د.

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٦٤٢) برقم: (٣٣٤٠٦)، وذكره البغوي (٤/ ٢٨٤)، وابن عطية (٥/ ٢٤٥)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٩٢)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٢٥)، وعزاه لابن جرير.

(٥) أخرجه الطبري (١١/ ٦٤١) برقم: (٣٣٤٠٥)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٤٥)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٩٢)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٢٥)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، والبيهقي.

(٦) أخرجه الطبري (١١/ ٦٤٢) برقم: (٣٣٤١٥)، وذكره البغوي (٤/ ٢٨٤)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٩٢)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٢٦)، وعزاه لابن جرير، وابن أبي حاتم.

(٧) أخرجه الطبري (١١/ ٦٤٤)، برقم: (٣٣٤٣٥)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٤٥)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٢٥)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر.

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ * وَثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ﴾ قال الحسن بن أبي الحسن وغيره: الأولون سالف الأُمَم، منهم جماعةٌ عظيمة أصحابُ يمين، والآخِرُونَ: هذه الأُمَّةُ، منهم جماعة عظيمة أهلُ يمين[1]، قال * ع[2] *: بل جميعهم إلاَّ مَنْ كان مِنَ السابقين، وقال قوم من المتأولين: هاتان الفرقتان في أُمَّةِ محمد، ورَوَى ابن عباس عن النبي ﷺ أَنَّه قال: «الثُّلَّتَانِ مِنْ أُمَّتِي»[3]، وروى ابن المبارك في «رقائقه» عن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قال: «إِنَّ أُمَّتِي ثُلُثَا أَهْلِ الجَنَّةِ، وَالنَّاسُ يَوْمَئِذٍ عِشْرُونَ وَمِائَةُ صَفٍّ، وَإِنَّ أُمَّتِي مِنْ ذَلِكَ ثَمَانُونَ صَفًّا»[4] انتهى.

وقوله سبحانه: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ...﴾ الآية: في الكلام معنى الإنحاء عليهم / وتعظيم مصائبهم، والسَّمُومُ: أشد ما يكون من الحَرِّ اليابس الذي لا بَلَلَ معه، ١٢٩ أ
والحميم: السخن جِدًّا من الماء الذي في جهنم، واليَحْمُومُ: هو الدخانُ الأسودُ يُظِلُّ أهلَ النار؛ قاله ابن عباس[5] والجمهور، وقيل: هو سرادق النار المحيط بأهلها؛ فإِنَّهُ يرتفع من كل ناحية حتى يُظِلَّهُم، وقيل: هو جبل في النار أسود.

وقوله: ﴿وَلاَ كَرِيمٍ﴾ معناه: ليس له صفة مدح، قال الثعلبيُّ: وعن ابن المُسَيِّبِ ﴿ولا كريم﴾ أي: ولا حَسَن[6] نظيره من كل زوج كريم، وقال قتادة: ﴿لا بارد﴾: النزل ﴿ولا كريم﴾: المنظر[7]، وهو الظِلُّ الذي لا يغني من اللهب، انتهى، والمُتْرَفُ: المُنَعَّمُ

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٦٤٤)، برقم: (٣٣٤٣٨)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٤٥).
(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٤٥).
(٣) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٢٧) موقوفاً على ابن عباس، وعزاه إلى عبد الرزاق، وابن المنذر، وابن مردويه.
(٤) أخرجه نعيم بن حماد في زياداته على كتاب «الزهد» (١١٣) (٣٧٩).
(٥) أخرجه الطبري (١١/ ٦٤٦)، برقم: (٣٣٤٥٠)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٤٦)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٩٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٢٨)، وعزاه للفريابي، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه.
(٦) ذكره البغوي (٤/ ٢٨٦).
(٧) أخرجه الطبري (١١/ ٦٤٨) برقم: (٣٣٤٦٤)، وذكره البغوي (٤/ ٢٨٦)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٩٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٢٨)، وعزاه لعبد الرزاق، وابن جرير، وابن المنذر.

في سَرَفٍ، وتخوض، و﴿يُصِرُّونَ﴾ معناه: يعتقدون اعتقاداً لا ينزعون عنه، و﴿الحِنْثِ﴾: الإِثم، وقال الثعلبيُّ: ﴿وكانوا يصرون﴾: يقيمون ﴿على الحنث العظيم﴾ أي: الذنب، انتهى، ونحوهُ للبخاريِّ، وهو حَسَنٌ نحو ما في الرسالة، قال قتادة وغيره[1]: والمراد بهذا الإِثم العظيم: الشركُ، وباقي الآية في استبعادهم للبعث، وقد تقدم بيانه.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ﴾: مخاطبة لِكُفَّار قريش ومَنْ كان في حالهم، و﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿مِنْ زَقُّومٍ﴾ لبيان الجنس، والضمير في ﴿منها﴾ عائد على الشجر، والضمير في ﴿عليه﴾ عائد على المأكول، و﴿الهِيمِ﴾ قال ابن عباس وغيره[2]: جمع «أهيم» وهو الجمل الذي أصابه الهُيَامُ ـ بضم الهاء ـ، وهو داء مُعْطِشٌ يشرب الجملُ حتى يموتَ أو يسقمَ سَقَماً شديداً، وقال قوم هو: جمع «هائم» وهو أيضاً من هذا المعنى؛ لأَنَّ الجملَ إِذا أصابه ذلك الداءُ، هام على/ وجهه وذهب، وقال ابن عباس أيضاً وسفيان الثوري[3]: ﴿الهِيمِ﴾: الرمال التي لا تُرْوَى من الماء، والنُّزُلُ أول ما يأكل الضيف، و﴿الدِّين﴾: الجزاء. ١٢٩ ب

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾ الآية: وليس يوجد مفطورٌ، يخفى عليه أَنَّ المَنِيَّ الذي يخرُجُ منه ليس له فيه عمل ولا إِرادة ولا قدرة، **وقرأ** الجمهور: «قَدَّرْنَا» **وقرأ** ابن كثير وحده[4]: «قَدَرْنَا» بتخفيف الدال، فيحتمل أَنْ يكونَ المعنى فيهما: قضينا وأثبتنا، ويحتمل

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٦٤٨) برقم: (٣٣٤٧٤)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٤٦)، وابن كثير في «تفسيره» (٥/ ٢٩٥).

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٦٥٠)، برقم: (٣٣٤٧٧)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٤٦)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٩٥)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٢٨)، وعزاه للطستي.

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٦٥١)، برقم: (٣٣٤٨٥)، عن سفيان، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٤٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٢٩)، وعزاه لسفيان بن عيينة في جماعة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) ينظر: «السبعة» (٦٢٣)، و«الحجة» (٦/ ٢٦١)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٣٤٧)، و«حجة القراءات»

أَنْ يكون بمعنى: سَوَّيْنَا، قال الثعلبيُّ عنِ الضحاك[١]: أي: سَوَّيْنَا بين أهل السماء وأهل الأرض.

وقوله: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ أي: على تبديلكم إنْ أردناه، وأَنْ نُنْشِئَكُمْ بأوصاف لا يصلها علمُكُم، ولا يُحيطُ بها فكركم، قال الحسن[٢]: من كونهم قردةً وخنازيرَ؛ لأَنَّ الآية تنحو إلى الوعيد، و﴿النشأة الأولى﴾: قال أكثر المفسرين: إشارة إلى خلق آدم، وقيل: المراد: نشأة الإنسان في طفولته، وهذه الآية نَصٌّ في استعمال القياس والحَضِّ عليه، وعبارة الثعلبي: ويقال: ﴿النشأة الأولى﴾ نطفة، ثم عَلَقَةٌ، ثم مُضْغَةٌ، ولم يكونوا شيئاً ﴿فلولا﴾ أي: فهلا تذكرون أَنِّي قادر على إعادتكم كما قَدَرْتُ على إبدائكم، وفيه دليل على صِحَّةِ القياس؛ لأَنَّهُ عَلَّمَهُمْ سبحانه الاستدلال بالنشأة الأولى على النشأة الأُخْرَى، انتهى.

﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿ءأنتم تزرعونه﴾ أي: زرعاً يتم ﴿أمْ نحن﴾: وروى أبو هريرة عن النبيِّ ﷺ أَنَّهُ قال: «لاَ تَقُلْ: زَرَعْتُ، وَلَكِنْ قُلْ حَرَثْتُ، ثُمَّ تَلاَ أَبُو هُرَيْرَةَ هَذِهِ الآية»[٣] والحطام: اليابس المُتَفَتِّتُ من النبات الصائر إلى ذهاب، وبه شُبِّهَ حُطَامُ الدنيا / و﴿تَفَكَّهُونَ﴾ قال ابن عباس وغيره[٤]: معناه تعجبون، أي: مِمَّا نزل بكم، وقال ابن ١٣٠أ

---

(٦٩٦)، و«العنوان» (١٨٥)، و«شرح الطيبة» (٦/ ٣٧)، و«شرح شعلة» (٥٩٦)، و«إتحاف» (٢/ ٥١٦)، و«معاني القراءات» (٣/ ٥١).

(١) ذكره البغوي (٤/ ٢٨٧)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٩٥).

(٢) ذكره البغوي (٤/ ٢٨٧)، وابن عطية (٥/ ٢٤٨).

(٣) أخرجه السهمي في «تاريخ جرجان» (٤١١) (٧١٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤/ ٢١١ ـ ٢١٢) (٥٢١٧)، وابن جرير الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٥٢)، برقم: (٦٥٢)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٣٠)، وزاد نسبته إلى البزار، وأبي نعيم.

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٦٥٣)، برقم: (٣٣٤٩٣)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٤٩)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٩٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٣٠)، وعزاه لابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما.

زيد[١]: معناه: تتفجعون، قال * ع[٢] *: وهذا كله تفسير لا يَخُصُّ اللفظة، والذي يخص اللفظةَ هو تطرحون الفكاهةَ عن أنفسكم، وقولهم: ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ قبله محذوف تقديره: يقولون، **وقرأ** عاصم الجَحْدَرِيُّ[٣]: «أَإِنَّا لَمُغْرَمُونَ» بهمزتين على الاستفهام، والمعنى يحتمل أَنْ يكونَ: إنا لمغرمون من الغرام، وهو أَشَدُّ العذاب، ويحتمل: إِنَّا لمحملون الغرم، أي: غرمنا في النفقةَ، وذَهَبَ زَرْعُنَا، وقد تَقَدَّمَ تفسيرُ المحروم، وأَنَّهُ الذي تبعد عنه مُمْكِنَاتُ الرزق بعد قُرْبها منه، وقال الثعلبيُّ: المحروم ضد المرزوق، انتهى، و﴿المُزْنِ﴾: هو السحاب، والأُجَاجُ: أشدُّ المياه ملوحةً، و﴿تُورُونَ﴾ معناه: تقتدحون من الأزند؛ تقول: أوريتُ النارَ من الزِّنَادِ، والزنادُ: قد يكون من حجر وحديدة، ومن شجر، لا سيما في بلاد العرب، ولا سيما في الشجر الرَّخْوِ؛ كالمَرَخِ والعفار والكلخ، وما أشبهه، ولعادة العرب في أزنادهم من شجر قال تعالى: ﴿ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا﴾ أي: التي تقدح منها ﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ * نَحْنُ جَعَلْنَاهَا﴾: يعني نار الدنيا ﴿تَذْكِرَةً﴾ للنار الكبرى، نارِ جهنم؛ قاله مجاهد وغيره[٤]، والمتاع: ما يُنْتَفَعُ به، والمُقْوِينَ: في هذه الآية الكائنين في الأرض القَوَاءِ، وهي الفَيَافي، ومن قال معناه: للمسافرين فهو نحو ما قلناه، وهي عبارة ابن عباس[٥] ـ رضي اللَّه عنه ـ تقول: أَقْوَى الرَّجُلُ: إِذا دَخَلَ في الأرض القَوَاءِ.

﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ الآية: قال بعض النحاة: «لا» زائدة،

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٢٤٩)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٩٦).

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٥١).

(٣) وقرأ بها الأعمش، وأبو بكر.
ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٤٩)، و«البحر المحيط» (٨/ ٢١١)، و«الدر المصون» (٦/ ٢٦٤)، و«حجة القراءات» (٦٩٧).

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٦٥٦)، برقم: (٣٣٥١١)، وذكره البغوي (٤/ ٢٨٨)، وابن عطية (٥/ ٢٤٩)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٩٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٣٠)، وعزاه لهناد، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر.

(٥) أخرجه الطبري (١١/ ٦٥٦)، برقم: (٣٣٥١٤)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٥٠)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٩٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٣٠)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.

/ والمعنى: فأقسم، وزيادتها في بعض المواضع معروفة، **وقرأ** الحسن وغيره: «فَلأُقْسِمُ» ١٣٠ ب
من غير ألف، وقال بعضهم: «لا» نافية كأَنَّهُ قال: فلا صِحَّةَ لما يقوله الكفار، ثم ابتدأ: أقسم بمواقع النجوم، والنجوم: هنا قال ابن عباس وغيره[١]: هي نجوم القرآن؛ وذلك أَنَّهُ روي أَنَّ القرآن نزل في ليلة القدر إلى سماء الدنيا، وقيل: إلى البيت المعمور جملة واحدة، ثم نزل بعد ذلك على النبي ﷺ نُجوماً مُقَطَّعَةً مدة من عشرين سنةً، قال * ع[٢]*: ويؤيده عودُ الضمير على القرآن في قوله: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ وقال كثير من المفسرين: بلِ النجوم هنا هي الكواكب المعروفة، ثم اختلف هؤلاء في مواقعها، فقيل: غروبها وطلوعها، وقيل: مواقعها عند انقضاضها إِثْرَ العفاريت.

[وقوله:] ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ﴾: تأكيد.

وقوله: ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ﴾: اعتراض.

وقوله: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾: هو الذي وقع القسم عليه.

وقوله: ﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾ الآية: المكنون: المصون؛ قال ابن عباس وغيره[٣]: أراد الكتابَ الذي في السماء، قال الثعلبيُّ: ويقال: هو اللوح المحفوظ.

وقوله: ﴿لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾ يعني: الملائكة، وليس في الآية على هذا التأويل تَعَرُّضٌ لحكم مَسِّ المصحف لسائر بني آدم، وقال بعض المتأولين: أراد بالكتاب مصاحِفَ المسلمين، ولم تكن يومئذ، فهو إخبار بغيب مضمنه النهي، فلا يَمَسُّ المصحفَ من بني آدم إلاَّ الطاهرُ من الكفر والحَدَثِ؛ وفي كتاب رسول اللَّه ﷺ لعمرو بن حَزْم: «لاَ يَمَسَّ القرآنَ إلاَّ طَاهِرٌ»[٤]، وبِهِ أخذ مالك، **وقرأ** سليمان[٥]: «إِلاَّ الْمُطَهِّرُونَ» ـ بكسر الهاء ـ.

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٦٥٨)، برقم: (٣٣٥٢٨)، وذكره البغوي (٤/ ٢٨٩)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٥١)، وابن كثير في **«تفسيره»** (٤/ ٢٩٨)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٦/ ٢٣١)، وعزاه لابن مردويه.

(٢) ينظر: **«المحرر الوجيز»** (٥/ ٢٥١).

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٦٥٩)، برقم: (٣٣٥٣٣)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٥١)، وابن كثير في **«تفسيره»** (٤/ ٢٩٨)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٦/ ٢٣٢)، وعزاه لآدم، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، والبيهقي في **«المعرفة»**.

(٤) تقدم.

(٥) وقرأ بها أبان بن تغلب.
ينظر: **«مختصر الشواذ»** ص: (١٥٢)، و**«المحرر الوجيز»** (٥/ ٢٥٢)، و**«البحر المحيط»** (٨/ ٢١٤)، و**«الدر المصون»** (٦/ ٢٦٨).

﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾﴾

١٣١أ وقوله تعالى: ﴿أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ﴾:/ يعني القرآن المتضمن البعثَ، و﴿مُدْهِنُونَ﴾ معناه: يلاينُ بعضُكم بعضاً، ويتبعه في الكفر؛ مأخوذ من الدُّهْنِ للينه واملاسِّه، وقال ابن عباس[1]: المُدَاهَنَةُ: هي المهاودة فيما لا يَحِلُّ، والمُدَارَاةُ: هي المهاودة فيما يَحِلُّ، ونقل الثعلبيُّ أَنَّ أدهن وداهن بمعنى واحد، وأصله من الدُّهْنِ، انتهى.

وقوله سبحانه: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾: أجمع المفسرون على أَنَّ الآيةَ توبيخ للقائلين في المطر الذي ينزله اللَّه تعالى رزقاً للعباد: هذا بِنَوْءِ كذا، والمعنى: وتجعلون شُكْرَ رزقكم، وحكى الهيثم بن عدي أَنَّ من لغة أزد شنوءة: ما رزق فلان بمعنى ما شكر، وكان عليٌّ **يقرأ**[2]: «وَتَجْعَلُونَ شُكْرَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ» وكذلك **قرأ** ابن عباس[3]، ورويت عن النبي ﷺ وقد أخبر اللَّه سبحانه فقال: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكاً فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ. والنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ رِزْقاً لِلْعِبَادِ﴾ [ق: ٩، ١٠، ١١] فهذا معنى قوله: ﴿أنكم تكذبون﴾ أي: بهذا الخبر، قال * ع[4] *: والمنهيُّ عنه هو أَنْ يعتقد أَنَّ للنجوم تأثيراً في المطر.

وقوله سبحانه: ﴿فَلَوْلاَ إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ﴾ يعني: بلغت نفسُ الإنسان، والحُلْقُومُ: مجرى الطعام، وهذه الحال هي نزع المرء للموت.

وقوله: ﴿وَأَنْتُمْ﴾ إشارة إلى جميع البشر حينئذ، أي: وقتَ النزع ﴿تَنْظُرُونَ﴾: إليه، وقال الثعلبيُّ: ﴿وأنتم حينئذ تنظرون﴾ إلى أمري وسلطاني، يعني: تصريفه سبحانه في الميت، انتهى، والأَوَّلُ عندي أحسن، وعَزَاهُ الثعلبيُّ لابن عباس.

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾﴾

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٦٦١)، برقم: (٣٣٥٥١)، عن مجاهد، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٥٢)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ٢٣٣)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر.

(٢) ينظر: «**مختصر الشواذ**» ص: (١٥٢)، و«**المحتسب**» (٢/ ٣١٠)، و«**الكشاف**» (٤/ ٤٦٩)، و«**المحرر الوجيز**» (٥/ ٢٥٢)، و«**البحر المحيط**» (٨/ ٢١٤)، و«**الدر المصون**» (٦/ ٢٦٩).

(٣) ينظر: مصادر القراءة السابقة.

(٤) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٥/ ٢٥٣).

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ أي: / بالقدرة والعلم، ولا قدرةَ لكم على دفع شيء عنه، ١٣١ ب
وقيل: المعنى: وملائكتنا أقربُ إليه منكم، ولكن لا تبصرونهم، وعلى التأويل الأوَّل من البصر بالقلب.

﴿فَلَوْلاَ إِنْ كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ أي: مملوكين أَذِلاَّء، والمدين: المملوك، هذا أَصَحُّ ما يقال في هذه اللفظة هنا، ومَنْ عبَّرَ عنها بمُجَازَى أو بمُحَاسَبٍ، فذلك هنا قلق، والمملوك مُقَلَّبٌ كيف شاء المالكُ، ومن هذا الملك قول الأخطل: [الطويل]

رَبَتْ وَرَبَا فِي حَجْرِهَا ٱبْنُ مَدِينَةٍ تَرَاهُ عَلَىٰ مِسْحَاتِهِ يَتَرَكَّلُ[1]

أراد ابن أَمَةٍ مملوكة، وهو عبد يخدم الكرم، وقد قيل في معنى البيت: [إنَّه] أراد أَكَّاراً حضرياً، فنسبه إلى المدينة، فمعنى الآية: فهل لا ترجعون النفسَ البالغة الحلقوم إنْ كنتم غير مملوكين مقهورين؟.

وقوله: ﴿تَرْجِعُونَهَا﴾ سَدَّ مَسَدَّ الأجوبة، والبيانات التي تقتضيها التحضيضات.

﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ الآية، ذكر سبحانه في هذه الآيةِ حال الأزواج الثلاثةَ المذكورين في أَولِ السورة، وحال كُلِّ امرىءٍ منهم، فَأَمَّا المرءُ من السابقين المقربين، فَيَلْقَى عند موته رَوْحاً وريحاناً، والرَّوْحَ: الرحمة والسعة والفرح؛ ومنه: ﴿[وَلاَ تَيْأَسُوا مِنْ] رَوْحِ اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٧] والريحان: الطيب، وهو دليل النعيم، وقال مجاهد[2]: الريحان: الرزق، وقال الضَّحَّاكُ[3]: الريحان الاستراحة، قال * ع[4] *: الريحان ما تنبسط إليه النفوس، ونقل الثعلبيُّ عن أبي العالية قال: لا يفارق أحد من

---

(١) البيت في «ديوانه» (٢٢٤).
وينظر: «البحر المحيط» (٨/ ٢١٤)، «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٥٣)، ويتركل: يفتت ما اجتمع من الرمل بقدميه، وهنا يقصد: رمل الكرم الذي زرعت فيه أم الخمرة، واصفاً مهارة صاحب هذا الكرم.

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٦٦٦)، برقم: (٣٣٥٧٩)، وذكره البغوي (٤/ ٢٩١)، وابن عطية (٥/ ٢٥٤)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٣٠٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٣٩)، وعزاه لهناد بن السري، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر.

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٦٦٥) برقم (٣٣٥٧٧) عن ابن عباس، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٥٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٤٠) وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير.

(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٥٤).

المقربين الدنيا حتى يُؤْتَى بغصنٍ من ريحان الجنة فَيَشُمُّهُ، ثم يُقْبَضُ روحه فيه، ونحوه عن الحسن[١]، انتهى.

فإنْ أردت يا أخي اللحوق بالمقربين؛ والكون في زمرة السابقين، فاطرح عنك دنياك؛ وأقبلْ/ على ذكر مولاك، واجعل الآن الموت نصب عينيك، قال الغزاليُّ: وإنَّما علامةُ التوفيق أَنْ يكون الموت نصبَ عينيك، لا تغفل عنه ساعة، فليكنِ الموتُ على بالك يا مسكين؛ فإنَّ السير حاثٌّ بك، وأنت غافل عن نفسك، ولعلك قد قاربت المنزلَ، وقطعت المسافة فلا يكن اهتمامُك إلاَّ بمبادرة العمل، اغتناماً لكل نَفَسٍ أمهلتَ فيه، انتهى من «**الإحياء**»، قال ابن المبارك في «**رقائقه**»: أخبرنا سفيان، عن ليث، عن مجاهد قال: ما مِنْ مَيِّتٍ يموت، إلاَّ عرض عليه أهل مجلسه: إنْ كان من أهل الذِّكْرِ فمن أهل الذكر، وإنْ كان من أهل اللهو فمن أهل اللهو، انتهى[٢].

١٣٢ أ

﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿فَسَلاَمٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾: عبارة تقتضي جملةَ مدحٍ وصفةَ تخلُّصٍ، وحصولَ عالٍ من المراتب، والمعنى: ليس في أمرهم إلاَّ السلامُ والنجاةُ من العذاب؛ وهذا كما تقول في مدح رجل: أَمَّا فلان فناهيك به، فهذا يقتضي جملةً غيرَ مفصلة من مدحه، وقدِ اضطربت عباراتُ المُتَأَوِّلِينَ في قوله تعالى: ﴿فَسَلاَمٌ لَكَ﴾ فقال قوم: المعنى: فيقال له سلام لك إنَّكَ من أصحاب اليمين، وقال الطبريُّ[٣]: ﴿فسلام لك﴾: أنت من أصحاب اليمين، وقيل: المعنى: فسلام لك يا محمد، أي: لا ترى فيهم إلاَّ السلامة من العذاب.

* ت *: ومن حصلت له السلامةُ من العذاب فقد فاز دليله ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥] قال * ع[٤] *: فهذه الكاف في ﴿لك﴾ إمَّا أنْ تكونَ للنبي ﷺ وهو الأظهر، ثم لكل مُعْتَبِرٍ فيها من أُمَّتِهِ، وإمَّا أَنْ تكونَ لمن يخاطب من

---

(١) أخرجه الطبري (١١/٦٦٦) برقم (٣٣٥٨٢) عن أبي العالية، وعن الحسن برقم (٣٣٥٨١)، وذكره البغوي (٤/٢٩١)، وابن عطية (٥/٢٥٤)، وابن كثير في «**تفسيره**» (٤/٣٠٠) عن أبي العالية، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/٢٤٠)، وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم عن أبي العالية.

(٢) أخرجه ابن المبارك في «**الزهد**» (٣٢٩)، برقم: (٩٣٩).

(٣) ينظر: «**تفسير الطبري**» (١١/٦٦٧).

(٤) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٥/٢٥٤).

أصحاب اليمين، وغيرُ هذا ـ مِمَّا قيل ـ تَكَلُّفٌ، ونقل الثعلبيُّ/ عن الزَّجَّاج: ﴿فسلام لك﴾ ١٣٢ ب
أي: إنَّك ترى فيهم ما تحب من السلامة، وقد علمتَ ما أَعَدَّ اللَّه لهم من الجزاء بقوله: ﴿في سدر مخضود﴾ الآيات...

والمكذبون الضالُّون: هم الكفار، أصحابُ الشمال والمشأَمة، والنُّزُلُ: أول شيء يقدم للضيف، والتصلية: أنْ يباشر بهم النار، والجحيم معظم النار وحيث تراكمها.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ المعنى: إنَّ هذا الخبرَ هو نفس اليقين وحقيقتُه.

وقوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ عبارة تقتضي الأمر بالإعراض عن أقوال الكفار وسائر أمور الدنيا المختصة بها، وبالإقبال على أمور الآخرة وعبادة اللَّه تعالى، والدعاء إليه.

* ت *: وعن جابر بن عبد اللَّه قال: قال النبي ﷺ: «مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ [الْعَظِيمِ] وَبِحَمْدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ في الْجَنَّةِ»(١). رواه الترمذي، والنسائيُّ، والحاكم، وابن حبان في «**صحيحيهما**»، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، وعند النسائيِّ: «شَجَرَةٌ» بدل «نَخْلَة»، وعنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إِنَّ مِمَّا تَذْكُرُونَ مِنْ جَلاَلِ اللَّهِ التَسْبِيحَ، وَالتَّهْلِيلَ، وَالتَّحْمِيدَ يَنْعَطِفْنَ حَوْلَ الْعَرْشِ، لَهُنَّ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ، تُذَكِّرُ بِصَاحِبِهَا، أَمَا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ أَوْ لاَ يَزَالَ لَهُ مَنْ يُذَكِّرُ بِهِ»(٢)، ورواه

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٥١١)، كتاب «الدعوات» باب: (٦٠) (٣٤٦٤)، والنسائي في «**الكبرى**» (٦/ ٢٠٧)، كتاب «عمل اليوم والليلة» باب: ثواب من قال: سبحان اللَّه العظيم (١٠٦٦٣/ ١)، والحاكم (١/ ٥٠١ ـ ٥٠٢)، وابن حبان في «**صحيحه**» (٣/ ١٠٩)، كتاب «الرقاق» باب: الأذكار، ذكر تفضل اللَّه جلّ وعلا بالأمر بغرس النخيل في الجنان لمن سبحه معظماً له (٨٢٦)، ذكر الخبر المدحض قول من زعم أن هذا الخبر تفرد به حجاج الصواف (٨٢٧).
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي الزبير عن جابر. ا هـ.
قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي، وقال: على شرط البخاري فقط ا هـ.
وللحديث شاهد من حديث عبد اللَّه بن عمرو رضي اللَّه عنهما، أخرجه البزار (٣٠٧٩) ـ كشف.
قال الهيثمي في «**مجمع الزوائد**» (١٠/ ٩٧)، رواه البزار وإسناده جيد.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٢٥٢)، كتاب «الأدب» باب: فضل التسبيح (٣٨٠٩)، والحاكم (١/ ٥٠٠).
قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي وقال: موسى بن سالم: قال أبو حاتم: منكر الحديث.
قال البوصيري في «**الزوائد**»: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات، وأخو عوف اسمه عبيد اللَّه بن عتبة.

أيضاً ابن المبارك في «رقائقه» عن كعب، وفيه أيضاً عن كعب أَنَّهُ قال: «إِنَّ لِلْكَلاَمِ الطَّيِّبِ حَوْلَ الْعَرْشِ دَوِيًّا كَدَوِيِّ النَّحْلِ يُذَكِّرْنَ بِصَاحِبِهِنَّ» انتهى، وعن أبي هريرة «أَنَّ النبي ﷺ مَرَّ بِهِ وَهُوَ يَغْرِسُ غَرْساً فَقَالَ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا الَّذِي تَغْرِسُ؟ قُلْتُ: غِرَاساً، قَالَ: أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى غِرَاسٍ خَيْرٍ مِنْ هٰذَا؟ سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ؛ يُغْرَسْ لَكَ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ/ شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ» روى هذين الحديثين ابن ماجه واللفظ له، والحاكم في «المستدرك»، وقال في الأول: صحيح على شرط مسلم، انتهى من «السلاح»، ورَوَى عُقْبَةُ بن عامر قال: «لَمَّا نزلتْ: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ قال النبيُّ ﷺ: اجْعَلُوهَا فِي رُكُوعِكُمْ؛ فَلَمَّا نَزَلَتْ: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ قَالَ: اجْعَلُوهَا فِي سُجُودِكُمْ»[1]، فيحتمل أنْ يكونَ المعنى: سبح اللَّه بذكر أسمائه العلا، والاسم هنا بمعنى: الجنس، أي: بأسماء ربك، والعظيم: صفة للرب سبحانه، وقد يحتمل أنْ يكون الاسم هنا واحداً مقصوداً، ويكون «العظيم» صفة له، فكأنَّه أمره أَنْ يسبِّحَهُ باسمه الأعظم، وإِنْ كان لم يَنُصَّ عليه، ويؤيِّدُ هذا ويشير إِليه اتصالُ سورة الحديد وأوَّلُها فيها التسبيح، وجملة من أسماء اللَّه تعالى، وقد قال ابن عباس[2]: اسم اللَّه الأعظم موجود في سَتِّ آيات من أَوَّلِ سورة الحديد، فتأمَّل هذا، فإِنَّهُ من دقيق النظر، وللَّه تعالى في كتابه العزيز غوامضُ لا تكاد الأذهانِ تدركها.

١٣٣ أ

---

(١) أخرجه أبو داود (١/ ٢٩٢)، كتاب «الصلاة» باب: ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده (٨٦٩)، وابن ماجه (١/ ٢٨٧)، كتاب «إقامة الصلاة والسنة فيها» باب: التسبيح في الركوع والسجود (٨٨٧)، وأحمد (٤/ ١٥٥)، والدارمي (١/ ٢٩٩)، كتاب «الصلاة» باب: ما يقال في الركوع، وابن خزيمة (١/ ٣٠٣)، جماع أبواب الأذان والإقامة باب: الأمر بتعظيم الرب جلّ وعلا في الركوع (٦٠٠)، والبيهقي (٢/ ٨٦)، كتاب «الصلاة» باب: القول في الركوع، والحاكم (١/ ٢٢٥)، (٢/ ٤٧٧)، وابن حبان (٥/ ٢٢٥)، كتاب «الصلاة» باب: صفة الصلاة (١٨٩٩).

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه على ذلك الذهبي.

في «نصب الراية» (١/ ٣٧٦) قال الزيلعي: قال يعني الحاكم: وقد اتفقا على الاحتجاج بروايته غير إياس بن عامر، وهو صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٢٥٥).

[تَفسِيرُ] سُورَةِ الحَدِيدِ

وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ وَيُشْبِهُ صَدْرُهَا أَنْ يَكُونَ مَكِّيًا

روي عن ابن عباس[1]: أنَّ اسم اللَّه الأعظم هو في سَتِّ آياتٍ من أول سورة الحديد، ورُوِيَ أَنَّ الدعاء بعد قراءتها مستجابٌ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝١ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ۝٥ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝٦﴾

قوله عز وجل: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: قال أكثر المفسرين: التسبيح هنا هو التنزيه المعروف في قولهم: سبحان اللَّهِ، وهذا عندهم إخبار بصيغة الماضي مضمنه الدوامُ والاستمرارُ، ثم اختلفوا: هل هذا التسبيح حقيقةٌ أو مجاز على معنى أَنَّ أثر الصنعة فيها تُنَبِّهُ الرائي على التسبيح؟ قال الزَّجَّاجُ[2] وغيره: والقول بالحقيقة أحسن، وهذا كله في الجمادات، وأَمَّا ما يمكن التسبيح منه فقول واحد: إن تسبيحهم حقيقة. ١٣٣ ب

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الأَوَّلُ﴾ [أي]: [الذي] ليس لوجوده بداية مُفْتَتَحَةٌ ﴿والآخِرُ﴾: الدائم الذي ليس له نهاية منقضية، قال أبو بكر الوَرَّاق: ﴿هو الأول﴾: بالأزلية ﴿والآخر﴾: بالأبديَّة.

﴿والظاهر﴾: معناه بالأدِلَّةِ ونَظَرِ العقول في صنعته.

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٢٥٦).

(٢) ينظر: «معاني القرآن» (٥/ ١٢١).

﴿والباطن﴾: بلطفه وغوامضِ حكمته وباهِرِ صفاته التي لا تصل إلى معرفتها على - ما هي عليه - الأوهامُ، وباقي الآية تقدم تفسيرُ نظيره.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ معناه: بقدرته وعلمه وإحاطته، وهذه آية أجمعت الأُمَّةُ على هذا التأويل فيها، وباقي الآية بَيِّنٌ.

﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿آمِنُوا باللَّهِ وَرَسُولِهِ...﴾ الآية: أمر للمؤمنين بالثبوت على الإيمان، ويُرْوَى أَنَّ هذه الآية نزلت في غزوة العُسْرَةِ، قاله الضَّحَّاكُ[1]، وقال: الإشارة بقوله: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا﴾ إلى عثمانَ بن عفان، يريد: ومَنْ في معناه؛ كعبد الرحمن بن عوف، وغيره.

وقوله: ﴿مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾: تزهيد وتنبيه على أَنَّ الأَموال إِنَّما تصير إلى الإنسان من غيره، ويتركها لغيره، وليس له من ذلك إلاَّ ما أكل فأفنى، أو تصدق فأمضى، ويروى أَنَّ رجلاً مَرَّ بأعرابيٍّ له إبل فقال له: يا أَعرابيُّ، لِمَنْ هذه الإبل؟ قال: هي للَّه عندي، فهذا مُوَفَّقٌ مصيب إِنْ صحب قوله عمله.

وقوله سبحانه: ﴿وَمَا لَكُمْ لاَ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...﴾ الآية: توطئةٌ لدعائهم (رضي اللَّه عنهم) لأَنَّهُمْ أهل هذه/ الرُّتَبِ الرفيعة، وإذا تقرر أَنَّ الرسولَ يدعوهم، وأَنَّهم مِمَّنْ أخذ اللَّه ميثاقهم - فكيف يمتنعون من الإيمان؟. ١٣٤ أ

وقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: إِنْ دُمْتُمْ على إيمانكم، و﴿الظلمات﴾: الكفر، و﴿النور﴾: الإيمان، وباقي الآية وعد وتأنيس.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تُنْفِقُوا في سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ﴾

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/٢٥٨).

[المعنى: وما لكم ألاَّ تنفقوا في سبيل اللَّه، وأنتم تموتون وتتركون أموالكم، فناب منابَ هذا القول قوله: ﴿ولِلَّه ميراث السمٰوات والأرض﴾] وفيه زيادة تذكير باللَّه وعبرة، وعنه يلزم القولُ الذي قدرناه.

وقوله تعالى: ﴿لاَ يَسْتَوِي مِنكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ...﴾ الآية: الأشهر في هذه الآية أنَّها نزلت بعد الفتح، واخْتُلِفَ في الفتح المشار إِليه؛ فقال أبو سعيد الخُدْرِيُّ والشَّعْبِيُّ[1]: هو فتح الحديبية، وقال قتادة، ومجاهد، وزيد بن أسلم[2]: هو فتح مكة الذي أزال الهجرة، قال * ع[3] *: وهذا هو المشهور الذي قال فيه النبي ﷺ: «لاَ هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ»[4]، وحكم الآية باقٍ غابرَ الدهر؛ مَنْ أنفق في وقتِ حاجة

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٦٧٤)، برقم: (٣٣٦١٠) عن أبي سعيد الخدري، وذكره البغوي (٤/ ٢٩٤) عن الشعبي، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٤٩) عن أبي سعيد الخدري، وعزاه لابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وأبي نعيم في «الدلائل» من طريق زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري.

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٦٧٣ ـ ٦٧٤)، برقم: (٣٣٦٠٤ ـ ٣٣٦٠٥) عن قتادة، وزيد بن أسلم، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٥٩)، والسيوطي (٦/ ٢٤٨ ـ ٢٤٩) عن قتادة، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٥٩).

(٤) ورد ذلك من حديث ابن عباس، وعائشة، ومجاشع بن مسعود، وصفوان بن أمية، ويعلى بن أمية التيمي، وقول ابن عمر، وقول عمر، وحديث أبي سعيد الخدري.
فأما حديث ابن عباس: فأخرجه البخاري (٦/ ٤٥) في «الجهاد» باب: وجوب النفير (٢٨٢٥)، (٦/ ٢١٩) باب: لا هجرة بعد الفتح (٣٠٧٧)، ومسلم (٣/ ١٤٨٧)، في «الإمارة» باب: المبايعة بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد والخير، وبيان معنى: لا هجرة بعد الفتح (٨٥/ ١٣٥٣)، وأبو داود (٢/ ٦)، في «الجهاد» باب: في الهجرة هل انقطعت (٢٤٨٠)، والنسائي (٧/ ١٤٦)، في «البيعة» باب: الاختلاف في انقطاع الهجرة، والترمذي (١٥٩٠)، وأحمد (١/ ٢٦٦، ٣١٥، ٣١٦، ٣٤٤)، وعبد الرزاق (٥/ ٣٠٩) (٩٧١٣)، والدارمي (٢/ ٢٣٩)، في «السير» باب: لا هجرة بعد الفتح، وابن حبان (٧/ ٤٨٤٥)، والطبراني في «الكبير» (١١/ ٣٠ ـ ٣١) (١٠٩٤٤)، وابن الجارود في «المنتقى» (١٠٣٠)، والبيهقي (٥/ ١٩٥)، و (٩/ ١٦)، وفي «دلائل النبوة» (٥/ ١٠٨)، والبغوي في «شرح السنة» بتحقيقنا (٤/ ١٧٩) (١٩٩٦)، و (٥/ ٥٢٠) (٢٦٣٠) من طريق منصور عن مجاهد عن طاوس عن ابن عباس مرفوعاً به.
وتابعه إبراهيم بن يزيد عن عمرو بن دينار عن طاوس، أخرجه الطبراني (١١/ ١٨) (١٠٨٩٨).
وأخرجه الطبراني (١٠/ ٤١٣) (١٠٨٤٤)، عن شيبان عن الأعمش عن أبي صالح عن ابن عباس.
وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.
وأما حديث عائشة: أخرجه البخاري (٦/ ٢٢٠) في «الجهاد» باب: لا هجرة بعد الفتح (٣٠٨٠) (٧/ ٢٦٧)، في «مناقب الأنصار» باب: هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة (٣٩٠٠) (٧٠/ ٦٢٠)، في=

السبيل، أعظم أجراً مِمَّن أنفق مع استغناء السبيل، و﴿الحسنى﴾: الجنة، قاله مجاهد

«المغازي» باب: (٥٣) (٤٣١٢)، ومسلم (٣/ ١٤٨٨) في «الإمارة» باب: المبايعة بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد والخير... (٨٦ ـ ١٨٦٤)، وأبو يعلى (٤٩٥٢)، واللفظ لمسلم، ولأبي يعلى من طريق عطاء عن عائشة قالت: سئل رسول الله ﷺ عن الهجرة؟ فقال: «لا هجرة بعد الفتح...» الحديث.

وفي لفظ البخاري عن عطاء قال: زرت عائشة مع عبيد بن عمير. فسألها عن الهجرة؟ فقالت: لا هجرة لليوم، كان المؤمن يفر أحدهم بدينه إلى الله وإلى رسوله مخافة أن يفتن عليه، فأما اليوم فقد أظهر الله الإسلام، فالمؤمن يعبد ربه حيث شاء، ولكن جهاد ونية.

وهكذا: أخرجه البيهقي (٩/ ١٧).

وأما حديث مجاشع بن مسعود: أخرجه البخاري (٦/ ١٣٧) في «الجهاد» باب: البيعة في الحرب ألا يفروا.. (٢٩٦٢ ـ ٢٩٦٣)، (٦/ ٢١٩)، باب: لا هجرة بعد الفتح (٣٠٧٨ ـ ٣٠٧٩)، و (٧/ ٦١٩)، في «المغازي» باب: (٥٣) (٤٣٠٥، ٤٣٠٨)، ومسلم (٣/ ١٤٨٧)، في «الإمارة» باب: المبايعة بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد والخير (٨٣ ـ ٨٤/ ١٨٦٣)، وأحمد (٣/ ٤٦٨ ـ ٤٦٩)، و (٥/ ٧١)، والحاكم (٣/ ٣١٦)، والطحاوي في **«مشكل الآثار»** (٣/ ٢٥٢)، والبيهقي (٩/ ١٦)، وفي **«الدلائل»** (٥/ ١٠٩) من طريق أبي عثمان النهدي، حدثني مجاشع قال: أتيت النبي ﷺ بأخي بعد الفتح، فقلت: يا رسول الله، جئتك بأخي لتبايعه على الهجرة. قال: «ذهب أهل الهجرة بما فيها»، فقلت: على أي شيء تبايعه؟ قال: «أبايعه على الإسلام، والإيمان، والجهاد»، فلقيت معبداً بعد ـ وكان أكبرهما ـ فسألته؟ فقال: صدق مجاشع.

وأما حديث صفوان بن أمية: أخرجه النسائي (٧/ ١٤٥) في «البيعة» باب: الاختلاف في انقطاع الهجرة، وأحمد (٣/ ٤٠١) عن وهيب بن خالد عن عبد الله بن طاوس عن أبيه عن صفوان بن أمية، قال: قلت: يا رسول الله إنهم يقولون: إن الجنة لا يدخلها إلا مهاجر. قال: «لا هجرة بعد فتح مكة، ولكن جهاد ونية. فإذا استنفرتم فانفروا».

وأخرجه أحمد (٣/ ٤٠١)، و (٦/ ٤٦٥) عن الزهري عن صفوان بن عبد الله بن صفوان عن أبيه، أن صفوان بن أمية بن خلف قيل له: هلك من لم يهاجر. قال: فقلت: لا أصل إلى أهلي حتى آتي رسول الله ﷺ، فركبت راحلتي، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، زعموا أنه هلك من لم يهاجر. قال: «كلا أبا وهب، فارجع إلى أباطح مكة».

وأما حديث يعلى بن أمية: أخرجه النسائي (٧/ ١٤١)، في «البيعة» باب: البيعة على الجهاد، (٧/ ١٤٥)، في ذكر الاختلاف في انقطاع الهجرة، وأحمد (٤/ ٣٢٣ ـ ٣٢٤)، والطبراني في **«الكبير»** (٢٢/ ٢٥٧) (٦٦٤ ـ ٦٦٥)، والبيهقي (٩/ ١٦) من طريق ابن شهاب عن عمرو بن عبد الرحمٰن بن أمية، أن أباه أخبره: أن يعلى قال: جئت إلى رسول الله ﷺ بأبي يوم الفتح. فقلت: يا رسول الله، بايع أبي على الهجرة. قال رسول الله ﷺ: «أبايعه على الجهاد وقد انقطعت الهجرة».

وأما حديث أبي سعيد الخدري: أخرجه أحمد (٣/ ٢٢)، و (٥/ ١٨٧)، والطيالسي (٦٠١، ٩٦٧، ٢٢٠٥)، والبيهقي في **«دلائل النبوة»** (٥/ ١٠٩)، عن أبي البختري الطائي يحدث عن أبي سعيد الخدري، قال: لما نزلت هذه السورة: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس...﴾ قرأها رسول الله ﷺ حتى ختمها وقال: «الناس خير، وأنا وأصحابي خير»، وقال: «لا هجرة بعد الفتح. ولكن جهاد ونية»، فحدثت به مروان بن الحكم وكان على المدينة فقال له مروان: كذبت، وعنده رافع بن

وقتادة[١]، والقرض: السلف، والتضعيفُ من اللّه تعالى هو في الحسنات، وقد مَرَّ ذِكْرُ ذلك، والأجر الكريم الذي يقترن به رضى وإقبال، وهذا معنى الدعاء بـ«يا كريم» العفو، أي: إنَّ مع عفوه رضى وتنعيماً.

﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا ۖ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيدِيهِمْ...﴾ الآية، العامل في ﴿يوم﴾ قوله: ﴿وله أجر كريم﴾ والرؤية هنا رؤية عينٍ، والجمهور أنَّ النورَ هنا هو نور حقيقة، وقد روي في هذا عن ابن عباس وغيره[٢] آثار مضمنها: أنَّ كل مؤمن ومُظْهِرٍ للإيمان، يُعْطَى/ يومَ القيامة نوراً فَيُطْفَأُ نُورُ كُلِّ منافقٍ، ويبقَىٰ نورُ المؤمنين، حتى ١٣٤ ب إنَّ منهم مَنْ نورُه يضيء كما بين مَكَّةَ وصنعاءَ؛ رفعه قتادة إلى النبي ﷺ[٣]، ومنهم مَنْ نوره كالنخلة السحوق، ومنهم مَنْ نورُه يضيء ما قَرُبَ من قدميه؛ قاله ابن مسعود[٤]، ومنهم مَنْ يَهُمُّ بالانطفاء مرة وَيَبِينُ مرة على قدر المنازل في الطاعة والمعصية، قال

= خديج، وزيد بن ثابت، وهما قاعدان معه على السرير، فقال أبو سعيد: لو شاء هذان لحدثاك، ولكن هذا يخاف أن تنزعه من عرافة قومه، وهذا يخشى أن تنزعه عن الصدقة، فسكتا، فرفع مروان عليه الدِّرة ليضربه، فلما رأيا ذلك قالا: صدق.

أما قول ابن عمر: فأخرجه البخاري (٧/ ٢٦٧)، في «مناقب الأنصار» باب: هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة (٣٨٩٩)، و (٧/ ٦٢٠) في «المغازي» باب: (٥٣) (٤٣٠٩، ٤٣١١)، من طريق عطاء عن ابن عمر كان يقول: لا هجرة بعد الفتح.

وفي لفظ آخر: قلت لابن عمر رضي اللّه عنهما: إني أريد أن أهاجر إلى الشام. قال: لا هجرة، ولكن جهاد، فانطلق فاعرض نفسك، فإن وجدت شيئاً وإلا رجعت.

وأما قول عمر: أخرجه النسائي (٧/ ١٤٦)، في «البيعة» باب: الاختلاف في انقطاع الهجرة، وأبو يعلى في «مسنده» (١٨٦) عن شعبة عن يحيى بن هانىء عن نعيم بن دجاجة قال: سمعت عمر يقول: لا هجرة بعد وفاة رسول اللّه ﷺ.

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٦٧٥)، برقم: (٣٣٦١٢)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٦٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٤٨)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٢٦١)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٥١)، وعزاه لابن جرير، وابن مردويه، والبيهقي في «البعث».

(٣) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٥٠)، وعزاه إلى عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٤) أخرجه الحاكم موقوفاً على ابن مسعود رضي اللّه عنه (٢/ ٤٧٨)، ومثل هذا له حكم الرفع؛ لأن ليس=

الفخر[١]: قال قتادة[٢]: ما من عبد إلاَّ وينادى يوم القيامة: يا فلان، هذا نورك، يا فلان، لا نورَ لك، نعوذ باللَّه من ذلك! واعلم أَنَّ العلمَ الذي هو نور البصيرة أولى بكونه نوراً من نور البصر، وإذا كان كذلك ظهر أَنَّ معرفة اللَّه تعالى هي النورُ في القيامة، فمقادير الأنوار يومَ القيامة على حسب مقادير المعارف في الدنيا، انتهى، ونحوه للغزالي، وخَصَّ تعالى بين الأيدي بالذكر؛ لأَنَّهُ موضع حاجة الإنسان إلى النور، واخْتُلِفَ في قوله تعالى: ﴿وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ فقال بعض المتأولين: المعنى: وعن أيمانهم، فكأَنَّه خَصَّ ذكر جهة اليمين؛ تشريفاً، وناب ذلك مَنَابَ أَنْ يقول: وفي جميع جهاتهم، وقال جمهور المفسرين: المعنى: يسعى نورُهم بين أيديهم، يريد الضوء المنبسط من أصل النور، ﴿وبأيمانهم﴾: أصله، والشيءُ الذي هو مُتَّقَدٌ فيه، فتضمن هذا القولُ أَنَّهم يحملون الأنوار، وكونهم غير حاملين أكرم؛ أَلاَ ترى أَنَّ فضيلةَ عباد بن بشر وأسيد بن حضير إنَّما كانت بنور لا يحملانه، هذا في الدنيا، فكيف بالآخرة؟! * ت *: وفيما قاله * ع[٣] *: عندي نظر، وأَيضاً فأحوال الآخرة لا تُقَاسُ على أحوال الدنيا!.

١٣٥ أ وقوله تعالى: ﴿بُشْرَاكُمْ﴾/ أي: يقال لهم: بشراكم ﴿جَنَّاتٌ﴾ أي دخولُ جنات.

* ت *: وقد جاءت ـ بحمد اللَّه ـ آثار بتبشير هذه الأُمَّةِ المحمديَّةِ، وخَرَّجَ ابن ماجه قال: أخبرنا جُبَارة بن المغلِّس، قال: حدثنا عبد الأعلى، عن أبي بردة، عن أبيه قال: قال النبيُّ ﷺ: «إِذَا جَمَعَ [اللَّهُ] الخَلاَئِقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَذِنَ لاِمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ في السُّجُودِ، فَسَجَدُوا طَوِيلاً، ثُمَّ يُقَالُ: ارْفَعُوا رُؤُوسَكُمْ، فَقَدْ جَعَلْنَا عِدَتَكُمْ فِدَاءَكُمْ مِنَ النَّارِ»[٤]، قال ابن ماجه: وحدَّثنا جُبَارَةُ بْنُ المُغَلِّسِ، حدثنا كَثِيرُ بن سليمان: عن أنس بن مالك، قال: قال النبي ﷺ: «إِنَّ هٰذِهِ الأُمَّةَ أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ، عَذَابُهَا بِأَيْدِيهَا، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ دُفِعَ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَيُقَالُ: هٰذَا فِدَاؤُكَ مِنَ

مما يقال بالرأي، وابن جرير (١١/ ٦٧٦) (٣٣٦١٦)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٥٠)، وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي، وقال: بل على شرط البخاري فقط.

(١) ينظر: «تفسير الفخر الرازي» (٢٩/ ١٩٤) عن مجاهد.

(٢) ذكره ابن كثير في «تفسيره» عن جنادة بن أمية (٤/ ٣٠٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٥٠)، وعزاه لابن المنذر عن يزيد بن شجرة.

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٦١).

(٤) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٤٣٤)، كتاب «الزهد» باب: صفة محمد ﷺ (٤٢٩١)، قال البوصيري في «الزوائد»: هذا إسناد ضعيف لضعف جبارة بن المغلس.

النَّارِ»[١]، وفي «صحيح مسلم»: «دَفَعَ اللَّهُ لِكُلِّ مُسْلِمٍ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا فَيَقُولُ: هٰذَا فِدَاؤُكَ مِنَ النَّارِ» انتهى من «التذكرة»[٢].

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ﴾ قيل: ﴿يوم﴾ هو بدل من الأول، وقيل: العامل فيه «اذكر»، قال * ع[٣] *: ويظهر لي أَنَّ العاملَ فيه قوله تعالى: ﴿ذلك هو الفوز العظيم﴾ ويجيء معنى الفوز أَفْخَمَ؛ كأَنَّهُ يقول: إِنَّ المؤمنين يفوزون بالرحمة يومَ يعتري المنافقين كذا وكذا، لأَنَّ ظهورَ المرء يومَ خمول عَدُوِّه ومُضَادِّهِ أَبْدَعُ وأَفْخَمُ، وقول المنافقين هذه المقالةَ المحكية، هو عند انطفاء أنوارهم، كما ذكرنا قبل، وقولهم: «انْظُرُونَا» معناه: انتظرونا، وقرأ حمزة وحده[٤]: «أَنْظِرُونَا» ـ بقطع الألف وكسر/ الظاء ـ ١٣٥ ب ومعناه أَخِّرُونا؛ ومنه: ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ ومعنى قولهم أَخِّرونا، أي: أَخِّروا مشيَكم لنا؛ حَتَّى نلتحق فنقتبسَ من نوركم، واقتبس الرجل: أخذ من نور غيره قَبَساً، قال الفخر[٥]: القَبَسُ: الشعلة من النار والسراج، والمنافقون طَمِعُوا في شيء من أنوار المؤمنين، وهذا منهم جهل؛ لأَنَّ تلك الأنوار نتائج الأعمال الصالحة في الدنيا، وهم لم يقدموها، قال الحسن: يُعْطَى يومَ القيامة كُلُّ أحد نوراً على قَدْرِ عمله، ثم يؤخذ من حجر جهنم ومِمَّا فيها من الكلاليب والحسك ويُلْقَى على الطريق، ثم تمضي زمرة من المؤمنينَ، وُجُوهُهُم كالقمر ليلةَ البدر، ثم تمضي زمرة أُخرى كأضواء كوكب في السماء، ثم على ذلك، ثم تغشاهم ظلمة تُطْفِىءُ نورَ المنافقين، فهنالك يقول المنافقون للذين آمنوا: ﴿انظرونا نقتبسْ من نوركم﴾، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ﴾ يحتمل أنْ يكون من قول المؤمنين [لهم]، [ويحتمل أنْ يكون من قول][٦] الملائكة، والقول لهم: ﴿فَالْتَمِسُوا نُوراً﴾: هو على معنى

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٤٣٤)، كتاب «الزهد» باب: صفة أمة محمد ﷺ (٤٢٩٢)، وأحمد (٤/ ٤٠٨). قال البوصيري في «الزوائد»: هذا إسناد ضعيف لضعف كثير وجبارة، وقد أعله البخاري، قد تقدم في الحديث الذي قبله.

(٢) ينظر: «التذكرة» للقرطبي (٢/ ٥٦٧ ـ ٥٦٨).

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٦١).

(٤) ينظر: «السبعة» (٦٢٦)، و«الحجة» (٦/ ٢٦٩)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٣٥٠)، و«حجة القراءات» (٦٩٩)، و«العنوان» (١٨٦)، و«شرح شعلة» (٥٩٨)، و«شرح الطيبة» (٦/ ٣٩)، و«إتحاف» (٢/ ٥٢١)، و«معاني القراءات» (٣/ ٥٥).

(٥) ينظر: «الفخر الرازي» (٢٩/ ١٦٩).

(٦) سقط في: د.

التوبيخ لهم، أي: إنَّكم لا تجدونه، ثم أعلم تعالى أنَّهُ يضرب بينهم في هذه الحال بسورٍ حاجز، فيبقى المنافقون في ظُلْمَةٍ وعذاب.

وقوله تعالى: ﴿بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾ أي: جهة المؤمنين ﴿وظاهره﴾: جهة المنافقين، والظاهر هنا: البادي؛ ومنه قول الكُتَّابِ: من ظاهر مدينة كذا، وعبارة الثعلبيِّ: ﴿فضرب بينهم بسور﴾: وهو حاجز بين الجنة والنار، قال أبو أمامة الباهليُّ[1]: فيرجعون إلى المكان الذي قُسِّمَ فيه النور فلا يجدون شيئاً فينصرفون إليهم، وقد ضُرِبَ بينهم/ بسور، قال قتادة[2]: حائط بين الجنة والنار، له باب ﴿باطِنُهُ فيه الرحمة﴾، يعني: الجنة، ﴿وظاهره من قبله العذاب﴾ يعني النار، انتهى، قال * ص *: قال أبو البقاء: الباء في ﴿بسور﴾ زائدة، وقيل: ليست بزائدة، قال أبو حيان[3]: والضمير في ﴿باطنه﴾ عائدٌ على الباب، وهو الأظهر لأنَّهُ الأقرب، وقيل: على سور، أبو البقاء: والجملة صفة لـ«باب» أو لـ«سور»، انتهى. ١٣٦ أ

﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿يُنَادُونَهُمْ﴾ معناه: ينادي المنافقون المؤمنين: ﴿أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾: في الدنيا، فيردّ المؤمنون عليهم: ﴿بَلَى﴾: كنتم معنا، ولكن عَرَّضْتُمْ أنفسكم للفتنة، وهي حُبُّ العاجل والقتال عليه، قال مجاهد[4]: فتنتم أنفسكم بالنفاق و﴿تربصتم﴾ معناه هنا: بإيمانكم فأبطأتم به، حَتَّى مُتُّم، وقال قتادة[5]: معناه: تربصتم بِنَا وبمحمد ﷺ الدوائرَ، وشككتم، والارتياب: التشكك، والأماني التي غرتهم هي قولهم: سَيَهْلَكُ محمد هذا العام، سَتَهْزِمُهُ قريش، ستأخذه الأحزاب... إلى غير ذلك من أمانيهم، وطول الأمل:

---

(١) ذكره ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٣٠٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٥٠)، وعزاه لابن المبارك، وابن أبي حاتم، والحاكم، وصححه، والبيهقي في «الأسماء والصفات» عن أبي إمامة الباهلي.

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٦٧٨)، برقم: (٣٣٦٢١)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٦٢)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٥٢) وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٣) ينظر: «البحر المحيط» (٨/ ٢٢١).

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٦٧٩)، برقم: (٣٣٦٢٩)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٦٣).

(٥) أخرجه الطبري (١١/ ٦٧٩)، برقم: (٣٣٦٣١)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٦٣)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٣٠٩).

غرار لكل أحد، وأمر اللَّه الذي جاء هو: الفتح وظهور الإسلام، وقيل: هو موتهم على النفاق المُوجِبِ للعذاب، و﴿الغرورُ﴾: الشيطان بإجماع المتأولين، وينبغي لكل مؤمن أنْ يعتبر هذه الآيةَ في نفسه، وتسويفَه في توبته، واعلم أيها الأخ أنَّ الدنيا غَرَّارة للمقبلين عليها، فإنْ أردت الخلاص والفوز بالنجاة، فازهدْ فيها، وأقبلْ على ما يعنيك من إصلاح دينك والتزود لآخرتك، وقد روى ابن المبارك في «رقائقه» عن أبي الدرداء أَنَّهُ قال ـ يعني لأصحابه ـ: لَئِنْ حَلَفْتُم لي على رجل منكم/ أَنَّه أزهدكم، لأحلفنَّ لكم أنَّه خيركم[1]، ١٣٦ ب
وروى ابن المبارك بسنده عن النبي ﷺ أَنَّه قال: «يَبْعَثُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِهِ كَانَا عَلَى سِيرَةٍ وَاحِدَةٍ، أَحَدُهُمَا مَقْتُورٌ عَلَيْهِ، وَالآخَرُ مَوَسَّعٌ عَلَيْهِ [فَيُقْبِلُ المَقْتُورُ عَلَيْهِ][2] إِلَى الجَنَّةِ، وَلاَ يَنْثَنِي عَنْهَا حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى أَبْوَابِهَا، فَيَقُولُ حَجَبَتُهَا: إِلَيْكَ إِلَيْكَ! فَيَقُولُ: إِذَنْ لاَ أَرْجِعَ، قال: وَسَيْفُهُ في عُنُقِهِ فَيَقُولُ: أُعْطِيتُ هٰذَا السَّيْفَ في الدُّنْيَا أُجَاهِدُ بِهِ، فَلَمْ أَزَلْ مُجَاهِداً بِهِ حَتَّىٰ قُبِضْتُ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكَ، فَيَرْمِي بِسَيْفِهِ إِلَى الخَزَنَةِ، وَيَنْطَلِقُ، لاَ يُثْنُونَهُ وَلاَ يَحْبِسُونَهُ عَنِ الجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا، فَيَمْكُثُ فِيهَا دَهْراً، ثُمَّ يَمُرُّ بِهِ أَخُوهُ المُوَسَّعُ عَلَيْهِ فَيَقُولُ لَهُ: يَا فُلاَنُ، مَا حَبَسَكَ؟! فَيَقُولُ: مَا خُلِّيَ سَبِيلِي إِلاَّ الآن، وَلَقَدْ حُبِسْتُ مَا لَوْ أَنَّ ثَلاَثَمِائَةِ بِعِيرٍ أَكَلَتْ خَمْطاً، لاَ يَرِدْنَ إِلاَّ خِمْساً وَرَدْنَ عَلَىٰ عِزْقِي لَصَدَرْنَ مِنْهُ رِيًّا[3]» انتهى.

وقوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لاَ يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ...﴾ الآية: استمرارٌ في مخاطبة المنافقين؛ قاله قتادة وغيره[4].

وقوله تعالى: ﴿هِيَ مَوْلاَكُمْ﴾ قال المفسرون: معناه: هي أولى بكم، وهذا تفسير بالمعنى، وإنَّما هي استعارة؛ لِأَنَّها من حيثُ تَضُمُّهم وتباشِرُهم هي تواليهم وتكون لهم مكانَ المولى، وهذا نحو قول الشاعر: [الوافر]

..... تَحِيَّةُ بَيْنِهِمْ ضَرْبٌ وَجِيعُ[5]

---

(١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١٩٣)، برقم: (٥٥٠).
(٢) سقط في: د.
(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد (١٩٥)، برقم: (٥٥٦).
(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٦٨٠)، برقم: (٣٣٦٣٨)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٦٣)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٥٣)، وعزاه لعبد بن حميد.
(٥) عجز بيت وصدره:
وخيل قد دلفت لها بخيل .....
وهو لعمر بن معد يكرب في «ديوانه» ص: (١٤٩)، و«خزانة الأدب» (٩/ ٢٥٢، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٦١، =

﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ﴾: ابتداء معنى مستأنف، ومعنى ﴿ألم يأن﴾: ألم يَحِنْ؛ يقال: أنى الشَّيْءُ يأني إِذَا حَانَ، وفي الآية معنى الحَضِّ والتقريع، قال ابن عباس: عُوتِبَ المؤمنون بهذه الآية[1]، وهذه الآية كانت سَبَبَ توبة الفُضَيْلِ وابن المبارك، والخشوع: الإخبات والتضامن/ وهي هيئة تظهر في الجوارح متى كانت في القلب؛ ولذلك خَصَّ تعالى القلبَ بالذكر، وروى شداد بن أوس عنِ النبي ﷺ أَنَّه قال: «أَوَّلُ مَا يُرْفَعُ مِنَ النَّاسِ الخُشُوعُ»[2]. ١٣٧ أ

وقوله تعالى: ﴿لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي: لأجلِ ذكر اللَّه تعالى ووحيه، أو لأجل تذكير اللَّه إِيَّاهم وأوامره فيهم، والإِشارة في قوله: ﴿أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ إلى بني إِسرائيل المعاصرين لموسى ـ عليه السلام ـ ولذلك قال: ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ وَإِنَّما شَبَّه أهل عصر نبيٍّ [بأهل عصر نبيٍّ].

وقوله: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ﴾ قيل: معناه: أَمد الحياة، وقيل: أمد انتظار القيامة، قال الفخر[3]: وقال مقاتل بن حيان: الأمد هنا: الأمل، أي: لما طالت آمالُهم، لا جَرَمَ قَسَتْ قلوبهم، انتهى، وباقي الآية بَيِّنٌ.

﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾﴾

٢٦٢، ٢٦٣)، و«شرح أبيات سيبويه» (٢/ ٢٠٠)، و«الكتاب» (٣/ ٥٠)، و«نوادر أبي زيد» ص: (١٥٠)، وبلا نسبة في «أمالي ابن الحاجب» (١/ ٣٤٥)، و«الخصائص» (١/ ٣٦٨)، و«شرح المفصّل» (٢/ ٨٠)، و«الكتاب» (٢/ ٣٢٣)، و«المقتضب» (٢/ ٢٠، ٤/ ٤١٣).

(١) ذكره البغوي (٤/ ٢٩٧)، وابن عطية (٥/ ٢٦٤)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٣١٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٥٤)، وعزاه لابن أبي حاتم، وابن مردويه.

(٢) أخرجه الطبراني (٧/ ٣٥٤)، برقم: (٧١٨٣) من طريق عمران القطان عن قتادة عن الحسن عن شداد بن أوس به.
قال الهيثمي في «المجمع»: عمران بن داود القطان ضعفه ابن معين، والنسائي، ووثقه أحمد، وابن حبان.

(٣) ينظر: «تفسير الرازي» (٢٩/ ٢٠٠).

وقوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا...﴾ الآية، مخاطبة لهؤلاء المؤمنين الذين نُدِبُوا إلى الخشوع، وهذا ضرب مَثَلٍ، واستدعاء إلى الخير برفق وتقريب بليغ، أي: لا يبعد عندكم أَيُّها التاركون للخشوع رُجُوعُكُمْ إليه وتلبسكم به، فإنَّ اللَّه يحيي الأرضَ بعد موتها، فكذلك يفعل بالقلوب، يرُدُّهَا إلى الخشوع بعد بُعْدِهَا عنه، وترجع هي إليه إذا وقعت الإنابةُ والتَّكَسُّبُ من العبد بعد نفورها منه، كما يحيي الأرضَ بعد أَنْ كانت ميتة، وباقي الآية بين، و﴿المُصَّدِّقِينَ﴾: يعني به المتصدقين، وباقي الآية بين.

* ت *: وقد جاءت آثار صحيحة في الحَضِّ على الصدقة، قد ذكرنا منها جملة في هذا المختصر، وأسند مالك في «**الموطأ**» عن النبي ﷺ؛ أَنَّهُ قال: «يَا نِسَاءَ المُؤْمِنَاتِ، لاَ تَحْقِرَنَّ إِحْدَاكُنَّ لِجَارَتِهَا، وَلَوْ كُرَاعَ شَاةٍ مُحْرَقاً»[1] وفي «**الموطأ**» عنه ﷺ/ «رُدُّوا السَّائِلَ وَلَوْ بِظِلْفٍ مُحْرَّقٍ»[2] قال ابن عبد البر في «**التمهيد**»: ففي هذا الحديث الحَضُّ على الصدقة بكل ما أمكن من قليل الأشياء وكثيرها، وفي قول اللَّه عز وجل: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧]: أوضح الدلائل في هذا الباب، وتصدقت عائشةُ ـ رضي اللَّه عنها ـ بحبتين من عنب، فنظر إليها بَعْضُ أهل بيتها فقالت: لا تَعْجَبْنَ؛ فكم فيها من مثقال ذرة، ومن هذا الباب قوله ﷺ: «اتَّقُوا النَّارَ، وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، وَلَوْ بِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»[3] وإذا كان اللَّه عز وجل يُرْبي الصدقاتِ، ويأخذ الصدقةَ بيمينه فَيُرَبِّيهَا، كما يُرَبِّي أَحَدُنَا فَلُوَّه أَوْ فَصِيلَهُ ـ فما بالُ مَنْ عَرَفَ هذا يَغْفُلُ عنه! وما التوفيق إلاَّ باللَّه، انتهى من «**التمهيد**»، وروى ابن المبارك في «**رقائقه**» قال: أخبرنا حرملة بن عمران أَنَّهُ سَمِعَ يزيد بن أبى حَبِيبٍ يحدِّثُ

١٣٧ ب

---

(١) أخرجه البخاري (١٠/ ٤٥٩)، كتاب «الأدب» باب: لا تحقرن جارة جارتها (٦٠١٧)، ومسلم (٢/ ٧١٤)، كتاب «الزكاة» باب: الحث على الصدقة ولو بالقليل (٩٠/ ١٠٣٠)، والترمذي (٤/ ٤٤١)، كتاب «الولاء والهبة» باب: في حث النبي ﷺ على التهادي (٢١٣٠)، وأحمد (٢/ ٢٦٤، ٤٣٢، ٤٩٣، ٥٠٦)، والبيهقي (٤١/ ١٧٧) كتاب «الزكاة» باب: التحريض على الصدقة وإن قلّت، (٦/ ١٦٩)، كتاب «الهبات» باب: التحريض على الهبة والهدية صلة بين الناس.

(٢) أخرجه النسائي (٥/ ٨١)، كتاب «الزكاة» باب: رد السائل (٢٥٦٥)، وأحمد (٤/ ٧٠)، والبيهقي (٤/ ١٧٧)، وابن حبان (٣/ ٧٢٣) ـ الموارد (٨٢٥)، وابن خزيمة (٤/ ١١١) (٢٤٧٢).

(٣) أخرجه البخاري (٣/ ٣٣٢)، كتاب «الزكاة» باب: اتقوا النار ولو بشق تمرة، والقليل من الصدقة (١٤١٧) (١١/ ٤٠٨) كتاب «الرقاق» باب: من نوقش الحساب عذب (٦٥٤٠)، (١٣/ ٤٨٢)، كتاب «التوحيد» باب: كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم (٧٥١٢)، ومسلم (٢/ ٧٠٣)، كتاب «الزكاة» باب: الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، أو كلمة طيبة، فإنها حجاب من النار (٦٦، ٧٧، ٧٨، ٦٨/ ١٠١٦)، وابن حبان (٢/ ٢٢٠)، كتاب «البر والإحسان» باب: حسن الخلق (٤٧٣)، (٢/ ٤٤٠) كتاب «الرقاق» باب: الخوف والتقوى (٦٦٦)، (٧/ ٤٣)، كتاب «الصلاة» باب: صلاة الجمعة (٢٨٠٤)، وأحمد (٤/ ٢٥٦)، والنسائي (٥/ ٧٥)، كتاب «الزكاة» باب: القليل من الصدقة (٢٥٥٣).

أَنَّ أبا الخير حدثه: أَنَّه سمع عقبة بن عامر يقول: سَمِعْتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: «كُلُّ امْرِىءٍ في ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُفْصَل بَيْنَ النَّاسِ»[1] قال يزيد: فكان أبو الخير لا يخطئه يومٌ إلاَّ تصدق فيه بشيء، ولو كَعْكَةً أو بَصَلَةً أو كذا، انتهى، و﴿الصديقون﴾: بناء مبالغة من الصدق أو من التصديق؛ على ما ذكر الزَّجَّاج[2].

وقوله تعالى: ﴿والشهداءُ عند ربهم﴾: اخْتُلِفَ في تأويله فقال ابن مسعود وجماعة: ﴿والشهداء﴾: معطوف على: ﴿الصديقون﴾ والكلامُ متَّصل، ثم اختلفتْ هذه الفرقةُ في معنى هذا الاتصال، فقال بعضها: وَصَفَ اللَّه المؤمنين بأَنَّهم صديقون وشهداء، فَكُلُّ مؤمن شهيد؛/ قاله مجاهد[3]، وروى البَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ أَنَّ النبي ﷺ قال: «مُؤْمِنُو أُمَّتِي شُهَدَاءُ، وَتَلاَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الآية[4] وإنَّما خَصَّ ﷺ ذكر الشهداء السبعة تشريفاً لهم؛ لأَنَّهُم في أعلى رتب الشهادة؛ أَلاَ ترى أَنَّ المقتولَ في سبيل اللَّه مخصوصٌ أيضاً من السبعة بتشريف ينفرد به، وقال بعضها: ﴿الشهداء﴾ هنا: من معنى الشاهد لا من معنى الشهيد، فكأَنَّه قال: هم أهل الصدق والشهداءُ على الأمم، وقال ابن عباس، ومسروق، والضحاك[5]: الكلام تامٌّ في قوله: ﴿الصديقون﴾، وقوله: ﴿والشهداء﴾: ابتداءٌ مستأنف،

١٣٨أ

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٤٧ ـ ١٤٨)، وأبو يعلى (٣/ ٣٠٠ ـ ٣٠١) رقم (١٧٦٦)، وابن خزيمة (٤/ ٩٤) رقم: (٢٤٣١)، وابن حبان (٨١٧) ـ موارد، والحاكم (١/ ٤١٦)، والبيهقي (٤/ ١٧٧)، كتاب «الزكاة» باب: التحريض على الصدقة وإن قلّت، وأبو نعيم في **«الحلية»** (٨/ ١٨١)، والبغوي في **«شرح السنة»** (٣/ ٤٠٢) ـ بتحقيقنا، كلهم من طريق ابن المبارك وهو في **«الزهد»** له ص: (٢٢٧) رقم (٦٤٥) عن حرملة بن عمران عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عقبة بن عامر قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «الرجل في ظل صدقته حتى يُقضى بين الناس وكان أبو الخير لا يأتي عليه يوم إلا تصدق فيه بشيء ولو كعكة ولو بصلة.

وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي وصححه ابن خزيمة، وابن حبان.

وقال الهيثمي في **«المجمع»** (٣/ ١١٣): رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني ورجال أحمد ثقات.

وصححه السيوطي في **«الجامع الصغير»** (٦٢٨٢)، وقال المناوي في **«الفيض»** (٥/ ١٣): وقال ـ أي الذهبي ـ في **«المهذب»**: إسناده قوي.

(٢) ينظر: **«معاني القرآن»** (٥/ ١٢٦).

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٦٨٣)، برقم: (٣٣٦٥٢)، وذكره البغوي (٤/ ٢٩٨)، وابن عطية (٥/ ٢٦٥)، وابن كثير في **«تفسيره»** (٤/ ٣١٢)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٦/ ٢٥٦)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد.

(٤) ذكره السيوطي في **«الدر المنثور»** (٦/ ٢٥٦)، وعزاه لابن جرير.

(٥) أخرجه الطبري (١١/ ٦٨٣) عن ابن عباس برقم: (٣٣٦٤٦)، وعن مسروق برقم: (٣٣٦٤٧)، وعن الضحاك برقم: (٣٣٦٥٠)، وذكره البغوي (٤/ ٢٩٨)، وابن عطية (٥/ ٢٦٦)، وابن كثير في **«تفسيره»** (٤/ ٣١١)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٦/ ٢٥٦)، وعزاه لابن جرير.

ثم اختلفتْ هذه الفرقةُ في معنى هذا الاستئناف، فقال بعضها: معنى الآية: والشهداءُ بأنَّهم صديقون حاضرون عند ربهم، وعَنَى بالشهداء الأنبياء ـ عليهم السلام ـ.

* ت *: وهذا تأويل بعيد من لفظ الآية، وقال بعضها: قوله: ﴿والشهداء﴾ ابتداء يريد به الشهداءَ في سبيل اللَّه، واستأنف الخبر عنهم بأنَّهم: ﴿عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ فكأنَّه جعلهم صِنفاً مذكوراً وحده.

* ت *: وأبينُ هذه الأقوال الأوَّلُ، وهذا الأخيرُ، وإنْ صَحَّ حديث البَرَاءِ لم يُعدَلْ عنه، قال أبو حيان[1]: والظاهر أنَّ ﴿الشهداء﴾ مبتدأ خبره ما بعده، انتهى.

وقوله تعالى ﴿ونورهم﴾ قال الجمهور: هو حقيقة حسبما تقدم.

﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿اعْلَمُوا أَنَّما الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ هذه الآيةُ وعظ، وتبيين لأمر الدنيا وَضَعَةِ منزلتها، والحياة الدنيا في هذه الآية: عبارة عن الأشغال والتصرفاتِ والفكرِ / التي هي مختصة بالحياة الدنيا، وأمَّا ما كان من ذلك في طاعة اللَّه تعالى، وما كان في ١٣٨ ب
الضرورات التي تقيم الأود وتعينُ على الطاعات ـ فلا مدخلَ له في هذه الآية، وتأملْ حالَ الملوك بعد فقرهم، يَبِنْ لك أنَّ جميعَ ترفههم لَعِبٌ ولهو، والزينة: التحسين الذي هو خارج عن ذات الشيء، والتفاخرُ بالأموال والأنساب وغيرُ ذلك على عادة الجاهلية، ثم ضرب اللَّه عز وجل مَثَلَ الدنيا، فقال: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ...﴾ الآية: وصورة هذا المثالِ أنَّ الإنسانَ ينشأ في حجر مملكة فما دون ذلك، فيشُبُّ في النعمة، ويقوى، ويكسب المال والولد، ويغشاه الناسُ، ثم يأخذُ بعد ذلك في انحطاطٍ، ويشيب، ويضعف ويسقم، وتصيبه النوائب في ماله وذريته، ويموتُ، ويضمحلُّ أَمرهُ، وتصيرُ أمواله لغيره، وتتغير رُسُومُه؛ فأمره مِثْلُ مطر أصاب أرضاً، فنبت عن ذلك الغيثِ نباتٌ معجب أنيق، ثم هاج، أي: يبس، واصْفَرَّ، ثم تحطم، ثم تفرق بالرياح واضمحل.

وقوله: ﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ﴾ أي: الزراع؛ فهو من كَفَرَ الحَبَّ، أي: ستره، وقيل: يحتمل أنْ يعني الكفار باللَّه، لأنَّهم أَشَدُّ إعجاباً بزينة الدنيا، ثم قال تعالى: ﴿وَفِي الآخِرَةِ

---

(١) ينظر: «البحر المحيط» (٨/ ٢٢٢).

عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ. . .﴾ الآية: كأنَّه قال: والحقيقة هاهنا، وذكر العذابَ أَوَّلاً؛ تَهَمُّماً به من حيث الحذر في الإنسان، ينبغي أَنْ يكونَ أولاً، فإذا تحرز من المخاوف مَدَّ حينئذ أمله، فذكر تعالى ما يحذر قبل ما يطمع فيه، وهو المغفرة والرضوان، وعبارة الثعلبيِّ: ﴿ثم يهيج﴾ أي: يجفُّ ﴿وفي الآخرة/ عذاب شديد﴾: لأعداء اللَّه ﴿ومغفرة﴾: لأوليائه، ١٣٩ أ
وقال الفَرَّاءُ ﴿وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة﴾ أي: إمَّا عذاب شديد، وإمَّا مغفرة ﴿وما الحياة الدنيا إلاَّ متاع الغرور﴾: هذا تزهيد في العمل للدنيا، وترغيبٌ في العمل للآخرة، انتهى، وهو حسن، وعن طارق قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «نِعْمَتِ الدَّارُ الدُّنْيَا لِمَنْ تَزَوَّدَ مِنْهَا لآخِرَتِهِ، وَبِئْسَتِ الدَّارُ لِمَنْ صَدَّتْهُ عَنْ آخِرَتِهِ، وَقَصَّرَتْ بِهِ عَنْ رِضَا رَبِّهِ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: قَبَّحَ اللَّهُ الدُّنْيا قَالَتِ الدُّنْيَا: قَبَّحَ اللَّهُ أَعْصَانَا لِرَبِّهِ»(١). رواه الحاكم في «**المستدرك**»، انتهى من «**السلاح**»، ولا يشك عاقل أَنَّ حُطَامَ الدنيا مُشْغِلٌ عنِ التأهب للآخرة؛ قال أبو عمر بن عبد البر في كتاب «**فضل العلم**»: وقد رُوِيَ مرفوعاً: «لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةٌ، وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ»(٢) قال أبو عمر: ثم نقول: إنَّ الزهد في الحلال، وترك الدنيا مع القدرة عليها ـ أفضلُ من الرغبة فيها في حلالها، وهذا ما لا خلافَ فيه بين علماء المسلمين قديماً وحديثاً، والآثار الواردة عنِ الصحابة والتابعين، ومَنْ بعدهم من علماء المسلمين في فضل الصبر والزهد فيها، وفَضْل القناعة، والرضا بالكفاف، والاقتصارِ على ما يكفي دون التكاثر الذي يُلْهِي ويُطْغِي ـ: أكثر من أَنْ يحيط بها كتاب، أو يشمل عليها باب، والَّذِينَ زوى اللَّه عنهم الدنيا من الصحابة، أكثرُ من الذين فتحها عليهم أضعافاً مضاعفةً، وقد روينا عن عبد الرحمن بن عوف أَنَّهُ لما حضرته الوفاةُ بَكَى بُكَاءً شديداً، وقال: كان مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ خيراً مِنِّي؛ تُوُفِّيَ وَلَمْ يَتْرُكْ ما يُكَفَّنُ فيه،/ وَبَقِيتُ بعده حتى أَصَبْتُ من الدنيا وأصابت ١٣٩ ب
مِنِّي، ولا أحسبني إلاَّ سَأُحْبَسُ عن أصحابي بما فتح اللَّهُ عليَّ من ذلك، وجعل يبكي حتى

---

(١) أخرجه الحاكم (٤/ ٣١٢).
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي، وقال: بل منكر، وعبد الجبار لا يعرف، روى عنه يحيى بن أيوب العابد.

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٥٦٩)، كتاب «الزهد» باب: ما جاء أن فتنة هذه الأمة في المال (٢٣٣٦)، وابن حبان (٨/ ١٢٨) ـ الموارد (٢٤٧٠)، والنسائي كما في «**التحفة**» (٨/ ٣٠٩) (١١١٢٩)، والحاكم (٤/ ٣١٨).
قال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب، إنما نعرفه من حديث معاوية بن صالح.
قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.
قال ابن الجوزي في «**العلل المتناهية**» (٢/ ٧٩٨)، وهذا حديث لا يصحّ عن رسول اللَّه ﷺ، قال العقيلي: ليس له أصل من وجه يثبت. ا هـ.

فاضتْ نفسه، وفارق الدنيا رحمة اللَّه عليه، فإنْ ظَنَّ ظانٌّ جاهل أَنَّ الاستكثار من الدنيا ليس به بأس، أو غلب عليه الجهل؛ فَظَنَّ أَنَّ ذلك أفضل من طلب الكفاف منها، وشُبِّهَ عليه بقول اللَّه تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى﴾ [الضحى: ٨] فيما عَدَّده سبحانه على نبيِّه ﷺ من نعمه عنده ـ فَإِنَّ ذلك ليس كما ظَنَّ؛ بل ذلك غنى القلب، دَلَّتْ على ذلك الآثارُ الكثيرة؛ كقوله عليه السلام: «لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ، وَإِنَّما الغِنَى غِنَى النَّفْسِ»[1] انتهى.

﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٢٢﴾ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ...﴾ الآية: لما ذكر تعالى المغفرة التي في الآخرة، ندب في هذه الآية إِلى المسارعة إِليها والمسابقة، وهذه الآية حُجَّةٌ عند جميع العلماء في الندب إِلى الطاعات، وقدِ استدلَّ بها بعضُهم على أَنَّ أَوَّلَ أوقات الصلوات أَفضلُ؛ لِأَنَّهُ يقتضي المسارعةَ والمسابقةَ، وذكر سبحانه العَرْضَ من الجنة؛ إِذِ المعهودُ أَنَّهُ أَقَلُّ من الطول، وقد ورد في الحديث: «أَنَّ سَقْفَ الجَنَّةِ الْعَرْشُ» وورد في الحديث: «أَنَّ السَّمٰوَاتِ السَّبْعَ في الكُرْسِيِّ كَالدِّرْهَمِ في الْفَلاَةِ، وَأَنَّ الْكُرْسِيَّ في الْعَرْشِ كَالدِّرْهَمِ في الْفَلاَةِ»[2].

* ت *: أيها الأخ، أَمَرَكَ المولى سبحانه بالمسابقة والمسارعة؛ رحمةً منه وفضلاً، فلا تغفلْ عن امتثال أمره وإِجابة دعوته: [الخفيف]

السِّبَاقَ السِّبَاقَ قَوْلاً وَفِعْلاً حَذَرَ النَّفْسِ حَسْرَةَ/ الْمَسْبُوقِ ١٤٠أ

ذكر صاحبُ «**معالم الإِيمان، وروضات الرضوان**» في مناقب صلحاء القيروان، قال: ومنهم أبو خالد عبد الخالق المتعبد، كان كثيرَ الخوف والحزن، وبالخوف مات؛ رأى يوماً خَيْلاً يسابق بها، فتقدمها فرسان، ثم تقدم أَحَدُهُمَا على الآخر، ثم جَدَّ التالي حتى سَبَقَ الأول، فتخلَّلَ عبد الخالق الناسَ حَتَّى وصلَ إِلى الفرس السابق، فجعل يُقَبِّلُهُ ويقول: بارك اللَّه فيك، صَبَرْتَ فظفرت، ثم سقط مغشيًا عليه، انتهى.

---

(١) تقدم تخريجه. (٢) تقدم تخريجه.

وقوله سبحانه: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ...﴾ الآية: قال ابن زيد وغيره[١]: المعنى: ما حدث من حادث، خيرٍ وشَرٍّ، فهذا على معنى لفظ أصاب، لا على عُرْفِ المصيبة؛ فإنَّ عُرْفَهَا في الشر، وقال ابن عباس[٢] ما معناه: أنَّه أراد عرف المصيبة، فقوله: ﴿في الأرض﴾ يعني: بالقحوط، والزلازل، وغير ذلك و﴿في أنفسكم﴾: بالموت، والأمراض، وغير ذلك.

وقوله: ﴿إِلاَّ فِي كِتَابٍ﴾ معنا: إلاَّ والمصيبة في كتاب و﴿نَبْرَأَهَا﴾ معناه: نخلقها؛ يقال: برأ اللَّهُ الخلق، أي: خلقهم، والضميرُ عائد على المصيبة، وقيل: على الأرض، وقيل: على الأنفس؛ قاله ابن عباس وجماعة[٣]، وذكر المهدويُّ جوازَ عود الضمير على جميع ما ذُكِر، وهي كُلُّها معانٍ صِحَاحٌ.

﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾: يريد تحصيلَ الأشياءِ كلها في كتاب، وقال الثعلبي: وقيل المعنى: إنَّ خَلْقَ ذلك وحِفْظَ جميعه، على اللَّه يسير، انتهى.

وقوله: ﴿لِكَيْلاَ تَأْسَوْا﴾ معناه: فَعَلَ اللَّهُ هذا كُلَّه، وأعلمكم به؛ ليكونَ سَبَبَ تسليتكم وقِلَّةَ اكتراثكم بأمور الدنيا، فلا تحزنوا على فائت، ولا تفرحوا الفَرَحَ المبطر بما آتاكم/ منها، قال ابن عباس[٤]: ليس أحد إلاَّ يحزنُ أو يفرحُ، ولكن مَنْ أصابته مصيبةٌ فليجعلها صبراً، ومَنْ أصابه خير فليجعله شكراً؛ وفي «**صحيح مسلم**» عن أبي سعيد وأبي هريرةَ، أَنَّهُمَا سَمِعَا رسولَ اللَّه ﷺ يقول: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ وَصَبٍ وَلاَ نَصَبٍ، وَلاَ سَقَمٍ وَلاَ حَزَنٍ، حَتَّى الهَمِّ يَهُمُّهُ - إِلاَّ كُفِّرَ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ»[٥]، وفي «**صحيح مسلم**» عن

١٤٠ ب

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٦٨٦)، برقم: (٣٣٦٦٢)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٦٨).

(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٢٦٨).

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٦٨٥)، برقم: (٣٣٦٥٧)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٦٨)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ٢٥٧)، وعزاه لابن جرير عن ابن عباس.

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٦٨٧)، برقم: (٣٣٦٦٦)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٦٨)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ٢٥٧)، وعزاه لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، والحاكم وصححه، والبيهقي في «**شعب الإيمان**».

(٥) أخرجه البخاري (١٠/ ١٠٧)، كتاب «المرضى» باب: ما جاء في كفارة المريض وقوله تعالى: ﴿من يعمل سوءاً يجز به﴾ (٥٦٤١ - ٥٦٤٢)، ومسلم (٤/ ١٩٩٢، ١٩٩٣)، كتاب «البر والصلة والآداب» باب: ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك، حتى الشوكة يشاكها (٥٢/ ٢٥٧٣)، وأحمد (٢/ ٣٠٣، ٣٣٥)، (٣/ ١٨ - ١٩، ٤٨) عن أبي هريرة، (٢/ ٣٠٣، ٣٣٥)، (٣/ ١٨ - ١٩، ٤٨) عن أبي سعيد، والبيهقي (٣/ ٣٧٣)، كتاب «الجنائز» باب: ما ينبغي لكل مسلم أن يستشعره من

عائِشَةَ قالت: سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُشَاكُ شَوْكَةً فَمَا فَوْقَهَا، إلاَّ كُتِبَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ»(١)، وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرةَ قال: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجَزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣] بَلَغَتْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَبْلَغاً شَدِيداً، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، فَفِي كُلِّ مَا يُصَابُ بِهِ الْمُسْلِمُ كَفَّارَةٌ حَتَّى النَّكْبَةِ يُنْكَبُهَا وَالشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا»(٢)، انتهى، وقد تقدم كثير في هذا المختصر من هذا المعنى، فاللَّه المسؤول أَنْ ينفع به كُلَّ مَنْ حَصَّله أو نظر فيه.

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾: يدلُّ على أَنَّ الفرحَ المنهيَّ عنه إنَّما هو ما أَدَّى إلى الاختيال والفخر، وأَمَّا الفَرَحُ بنعم اللَّه المقترن بالشكر والتواضع، فإنَّه لا يستطيع أَحَدٌ دَفْعَهُ عن نفسه، ولا حرجَ فيه، واللَّه أعلم.

﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحٗا وَإِبۡرَٰهِيمَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَۖ فَمِنۡهُم مُّهۡتَدٖۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيۡنَا بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَۖ وَجَعَلۡنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأۡفَةٗ وَرَحۡمَةٗ وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوۡهَا حَقَّ رِعَايَتِهَاۖ فَـَٔاتَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۡهُمۡ أَجۡرَهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾

وقوله: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ قال بعضهم: هو خبر مبتدإ محذوف تقديره: هم الذين يبخلون، وقال بعضهم: هو في موضع نصب؛ صِفَةً لـ﴿كل﴾، وإنْ كان نكرةً فهو يُخَصِّصُ نوعاً ما؛ فيسوغُ لذلك وصفه بالمعرفة، وهذا مذهبُ الأخفش، و﴿الكتاب﴾ هنا: اسم جنس لجميع الكتب المُنَزَّلَةِ، ﴿والميزان﴾: العدل/ في تأويل الأكثرين. ١٤١أ

= الصبر على الأمراض والأوجاع والأحزان، لما فيها من الكفارات والدرجات، عنهما جميعاً، وابن الشجري في «أماليه» (٢/ ٢٧٩) عن أبي سعيد، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٤٥) (٤٨٨).

(١) أخرجه البخاري (١٠/ ١٠٧) كتاب «المرضى» باب: ما جاء في كفارة المريض، وقوله تعالى: ﴿من يعمل سوءاً يجز به﴾ (٥٦٤٠)، ومسلم (٤/ ١٩٩٢/ ١٩٩٣)، كتاب «البر والصلة والآداب» باب: ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك، حتى الشوكة يشاكها (٤٦، ٥١/ ٢٥٧٢). والبيهقي (٣/ ٣٧٣)، كتاب «الجنائز» باب: ما ينبغي لكل مسلم أن يستشعره من الصبر على جميع ما يصيبه من الأمراض والأوجاع، والأحزان لما فيها من الكفارات، والدرجات، وأحمد (٦/ ٢٤٧، ٢٤٨)، وابن الشجري في «الأمالي» (٢/ ٢٧٩).

(٢) ينظر: السابق.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ عَبَّرَ سبحانه عن خلقه الحديدَ بالإنزال؛ كما قال: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الأَنْعَامِ﴾ [الزمر: ٦] الآية، قال جمهورٌ من المفسرين: الحديد هنا أراد به جِنْسَهُ من المعادن وغيرها، وقال حُذَّاقٌ من المفسرين: أراد به السلاح، ويترتب معنى الآية بأَنَّ اللَّه أخبر أَنَّهُ أرسل رُسُلاً، وأنزل كتباً، وعدلاً مشروعاً، وسلاحاً يُحَارَبُ به مَنْ عاند، ولم يقبل هدى اللَّه؛ إِذْ لم يبقَ له عذر، وفي الآية ـ على هذا التأويل ـ حَضٌّ على القتال في سبيل اللَّه وترغيبٌ فيه.

وقوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ يقوِّي هذا التأويل.

وقوله: ﴿بالغيب﴾ معناه: بما سمع من الأَوصاف الغائبة عنه فآمن بها، وباقي الآية بين.

وقوله سبحانه: و﴿قَفَّيْنَا﴾ معناه: جئنا بهم بعد الأولِينَ، وهو مأخوذ من القفا، أي: جيء بالثاني في قَفَا الأَوَّلِ، فيجيء الأول بين يدي الثاني، وقد تقدم بيانه.

وقوله سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً﴾: الجعل في هذه الآية بمعنى الخلق.

وقوله: ﴿ابْتَدَعُوهَا﴾: صفة لرهبانية، وخَصَّها بِأَنَّها ابْتُدِعَتْ؛ لِأَنَّ الرأفة والرحمةَ في القلب، لا تَكَسُّبَ للإنسان فيها، وَأَمَّا الرهبانيةُ فهي أفعال بدن مع شيء في القلب، ففيها موضعٌ لِلتَّكَسُّبِ، ونحو هذا عن قتادة[1]، والمراد بالرأفة والرحمة حُبُّ بعضهم في بعض وتوادُّهُم، والمراد بالرهبانية: رَفْضُ النساء، واتخاذ الصوامع والديارات، والتفردُ للعبادات، وهذا هو ابتداعهم، ولم يَفْرِضِ اللَّه ذلك عليهم، لكنهم فعلوا ذلك؛ ابتغاءَ رضوان اللَّه؛ هذا تأويل جماعة، **وقرأ** ابن مسعود[2]: / «مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ لَكِنِ ٱبْتَدَعُوهَا» وقال مجاهد[3]: المعنى: كتبناها عليهم ابتغاءَ رضوان اللَّه، فالاستثناء على هذا مُتَّصِلٌ، واخْتُلِفَ في الضمير الذي في قوله: ﴿فَمَا رَعَوْهَا﴾ مَنِ المراد به؟ فقال ابن زيد وغيره[4]: هو عائد على الذين ابتدعوا الرهبانِيَّة، وفي هذا التأويل لزومُ الإِتمام لِكُلِّ مَنْ بدأ بتطوُّعٍ ونَفْلٍ، وأَنَّهُ

١٤١ ب

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٦٩٠)، برقم: (٣٣٦٧٣)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٧٠).
(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٧٠).
(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ٢٧٠).
(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٦٩٢)، برقم: (٣٣٦٧٨)، عن أبي أمامة الباهلي رضي اللَّه عنه، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٧٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٥٩)، وعزاه لسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن مردويه، وابن نصر.

يلزمُه أَنْ يرعاه حَقَّ رعيه، وقال الضَّحَّاكُ وغيره[١]: الضمير للأخلاف الذي جاؤوا بعد المبتدعين لها، ورُوِّينا في «كتاب الترمذيِّ» عن كثير بن عبد اللَّه المُزَنِيِّ، عن أبيه، عن جدِّه: «أَنَّ النبي ﷺ قال لبلال بن الحارث: اعْلَمْ، قَالَ: مَا أَعْلَمُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: اعْلَمْ يَا بِلاَلُ! قَالَ: مَا أَعْلَمُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: أَنَّهُ مَنْ أَحْيَا سُنَّةً مِنْ سُنَّتِي قَدْ أُمِيتَتْ بَعْدِي، فَإِنَّ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلَ مَنْ عَمِلَ بِهَا، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً، وَمَنِ ٱبْتَدَعَ بِدْعَةَ ضَلاَلَةٍ، لاَ يَرْضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ بِهَا ـ كَانَ عَلَيْهِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَوْزَارِ النَّاسِ شَيْئاً»[٢]. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن، انتهى.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ قالت فرقة: الخطاب بهذه الآية لأهل الكتاب، ويؤيده الحديث الصحيح: «ثَلاَثَةٌ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ وَآمَنَ بي» الحديث[٣]، وقال آخرون: الخطاب للمؤمنين من هذه الأمة، ومعنى ﴿آمنوا برسوله﴾ أي: اثبتوا على ذلك ودوموا عليه، ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ﴾ أي: نصيبين بالإضافة إلى ما كان الأمم قبل يعطونه، قال أبو موسى: ﴿كفلين﴾: ضعفين بلسان الحبشة، والنور هنا: إمَّا أَنْ يكونَ وعداً بالنور الذي/ يسعى بين الأيدي يومَ القيامة، وإمَّا ١٤٢أ
أَنْ يكون استعارة للهُدَى الذي يمشى به في طاعة اللَّه.

وقوله تعالى: ﴿لِئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ...﴾ الآية: رُوِيَ أَنَّه لما نزل هذا الوعدُ المتقدم للمؤمنين، حسدهم أهلُ الكتاب على ذلك، وكانتِ اليهودُ تُعَظِّمُ دِينَهَا وأَنْفُسَهَا، وتزعم أَنَّهم أحِبَّاءُ اللَّه وأهلُ رضوانه، فنزلت هذه الآية مُعْلِمَةً أَنَّ اللَّه فعل ذلك، وأعلم به؛ ليعلمَ أهل الكتابِ أَنَّهم ليسوا كما يزعمون، و«لا» في قوله: ﴿لِئَلاَّ﴾ زائدة، وقرأ ابن عباس والجَحْدَرِيُّ[٤]: «لِيَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ»، وروى إبراهيم

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٦٩٢)، برقم: (٣٣٦٨١) عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٧٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٥)، كتاب «العلم» باب: ما جاء في الأخذ بالسنة، واجتناب البدع (٢٦٧٧). قال الترمذي: هذا حديث حسن وللحديث شواهد في الصحيح.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) وقرأ بها عبد اللَّه.

التيمي عن ابن عباس: «كَيْ يَعْلَمَ» وروي عن حِطَّانَ الرُّقَاشِيِّ أنه قرأ[1]: «لِأَنْ يَعْلَمَ».

وقوله تعالى: ﴿أَلاَّ يَقْدِرُونَ﴾ معناه: أَنَّهم لا يملكون فضلَ اللَّه، ولا يدخل تحت قُدَرهم، وباقي الآية بَيِّنٌ.

= ينظر: «الشواذ» (١٥٣)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٢٧١)، و«البحر المحيط» (٨/ ٢٢٧)، وزاد نسبتها إلى ابن مسعود، وعكرمة، وعبد اللَّه بن سلمة، وهي في «الدر المصون» (٦/ ٢٨٢).

(١) ينظر: مصادر القراءة السابقة.

[تفسير] سورة المجادلة

وهي مدنية إلاَّ أنَّ النَّقَّاش حكى أنَّ قوله تعالى:

﴿ما يكون من نجوى ثلاثة...﴾ الآية، مكيٌّ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ في زَوْجِهَا...﴾ الآية: اختلف الناس في اسم هذه المرأة على أقوال، واختصار ما رواه ابن عباس والجمهور «أَنَّ أَوْسَ بْنَ الصَّامِتِ الأَنْصَارِيَّ، أخا عبادة بن الصامت، ظَاهَرَ من امرأته خَوْلَةَ بنت خُوَيْلِدٍ، وكان الظهارُ في الجاهلية يُوجِبُ عندهم فُرْقَةً مُؤَبَّدَةً، فلما فعل ذلك أَوسٌ جَاءَتْ زَوْجَتُهُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أوساً أَكَلَ شَبَابِي، وَنَثَرْتُ لَهُ بَطْنِي، فَلَمَّا كَبِرْتُ وَمَاتَ أَهْلِي، ظَاهَرَ مِنِّي! فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ:/ مَا أَرَاكِ إِلاَّ حُرِّمْتِ عَلَيْهِ، فَقَالَتْ: يَا ١٤٢ ب
رَسُولَ اللَّهِ، لاَ تَفْعَلْ؛ فَإِنِّي وَحِيدَةٌ لَيْسَ لِي أَهْلٌ سِوَاهُ، فَرَاجَعَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمِثْلِ مَقَالَتِهِ فَرَاجَعَتْهُ، فَهَذَا هُوَ جِدَالُهَا، وَكَانَتْ في خِلاَلِ جِدَالِهَا تَقُولُ: اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو حَالِي وانْفِرَادِي وَفَقْرِي إِلَيْهِ»، وَرُوِيَ أَنَّها كَانَتْ تَقُولُ: اللَّهُمَّ، إِنَّ لي مِنْهُ صِبْيَةً صِغَاراً، إِنْ ضَمَمْتُهُمْ إِلَيْهِ ضَاعُوا، وَإِنْ ضَمَمْتُهُمْ إِلَيَّ جَاعُوا، فَهَذَا هُوَ اشْتِكَاؤُهَا إِلَى اللَّهِ، فَنَزَلَتِ الآيَةُ،

فَبَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ في أَوْسٍ، وأَمَرَهُ بِالتَّكْفِيرِ، فَكَفَّرَ بِالإِطْعَامِ، وَأَمْسَكَ أَهْلَهُ»[١] قال ابن العربي في «**أحكامه**»[٢]: والأشبه في اسم هذه المرأة أَنَّها خَوْلَةُ بِنْتُ ثَعْلَبَةَ، امرأةُ أَوْسِ بْنِ الصَّامِتِ، وعلى هذا اعتمد الفخر؛ قال الفخر[٣]: هذه الواقعة تَدُلُّ على أَنَّ مَنِ انقطع رجاؤه من الخلق، ولم يبق له في مُهِمِّهِ أحدٌ إلاَّ الخالق ـ كفاه اللَّهُ ذلك المهم، انتهى، والمحاورة: مراجعةُ القولِ ومعاطاته، وفي مصحف ابن مسعود[٤]: «تُحَاوِرُكَ في زَوْجِهَا» والظِّهَارُ: قولُ الرجلِ لامرأته: أنتِ عليَّ كَظَهْرِ أُمِّي، يريد في التحريم؛ كَأَنَّها إشارة إلى الركوبِ، إذ عُرْفُهُ في ظهور الحيوان، وكان أهلُ الجاهلية يفعلون ذلك، فَرَدَّ اللَّه بهذه الآية على فعلهم، وأخبر بالحقيقة من أَنَّ الأُمَّ هي الوالدة، وأَمَّا الزوجةُ فلا يكونُ حكمُهَا حُكْمَ الأُمِّ، وجعل اللَّه سبحانه القول بالظهار مُنْكَراً وزوراً، فهو مُحَرَّمٌ، لَكِنَّهُ إِذَا وقع لزم؛ هكذا قال فيه أهل العلم، لكنَّ تحريمه تحريمُ المكروهات جدًّا، وقد رَجَّى اللَّه تعالى بعده بأَنَّهُ عَفُوٌّ غفور مع الكَفَّارَةِ.

وقوله سبحانه: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ...﴾ الآية.

١٤٣أ * ت *: اخْتُلِفَ في معنى العَوْدِ، والعود في «**المُوَطَّإِ**»: العزم على/ الوطء والإمساك مَعاً، وفي «**المُدَوَّنَةِ**»: العزمُ على الوطء خاصَّةً.

وقوله تعالى: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا﴾، قال الجمهور: وهذا عامٌّ في نوع المسيس الوطء والمباشرة، فلا يجوز لِمُظَاهِرٍ أَنْ يطأَ، ولا أَنْ يُقَبِّلَ أو يَلْمَسَ بيده، أو يفعَلَ شيئاً من هذا النوع إلاَّ بعد الكفارة؛ وهذا قول مالك رحمه اللَّه.

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ﴾: إشارة إلى التحذير، أي: فَعَلَ ذلك؛ عظةً لكم لتنتهوا عن الظهار.

وقوله سبحانه: ﴿فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ﴾: قال الفخر[٥]: الاستطاعة فوق الوسع؛ والوسع فوق الطاقة، فالاستطاعة هي أَنْ يتمكَّنَ الإنسان من الفعل على سبيل السهولة، انتهى،

---

(١) أخرجه أبو داود (٢/ ٢٦٥)، كتاب «الطلاق» باب: في الظهار، حديث (٢٢١٣).
(٢) ينظر: «**أحكام القرآن**» (٤/ ١٧٤٥).
(٣) ينظر: «**تفسير الرازي**» (٢٩/ ٢١٨).
(٤) ينظر: «**الشواذ**» ص: (١٥٤)، و«**المحرر الوجيز**» (٥/ ٢٧٣).
(٥) ينظر: «**تفسير الرازي**» (٢٩/ ٢٢٧).

وفروع الظهار مُسْتَوفَاة في كتب الفقه، فلا نطيل بذكرها.

وقوله سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ...﴾ الآية: إشارة إلى الرخصة والتسهيل في النقل من التحرير إلى الصوم والإطعام، ثم شَدَّدَ سبحانه بقوله: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ أي: فالتزموها، ثم تَوَعَّدَ الكافرين بقوله: ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الذين يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا...﴾ الآية: نزلت في قوم من المنافقين واليهود، كانوا يتربَّصُون برسول اللَّه ﷺ وبالمؤمنين الدوائرَ، ويتمنَّون فيهم المكروهَ، ويتناجون بذلك؛ وكُبِتَ الرجل: إذا بَقِيَ خَزْيَانَ يُبْصِرُ ما يكره، ولا يَقْدِرُ على دفعه، وقال قوم منهم أبو عبيدة: أصله كبدوا، أي: أصابهم داء في أكبادهم، فأُبْدِلَتِ الدَّالُ تاءً، وهذا غير قويٍّ، و﴿الذين من قبلهم﴾: منافقو الأمم الماضية، ولفظ البخاريِّ: ﴿كُبِتُوا﴾: أُخزِنُوا.

وقوله تعالى: ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ/ مُهِينٌ * يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾: العامل في ﴿يوم﴾ ١٤٣ ب
قوله: ﴿مهين﴾، ويحتمل أنْ يكون فعلاً مُضْمَراً تقديره: اذكر.

وقوله تعالى: ﴿إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ أي: بعلمه وإحاطته وقُدْرَتِهِ، وعبارة الثعلبيِّ ﴿إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ﴾: يعلم ويسمع نجواهم، يدل على ذلك افتتاح الآية وخاتمتُها، انتهى.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ...﴾ الآية، قال ابن

عباس[١]: نزلت في اليهود والمنافقين، ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ﴾: هو قولهم: السَّامُ عليكم، يريدون الموتَ، ثم كشف اللَّه تعالى خُبْثَ طَوِيَّتِهِمْ والحُجَّةَ التي إِليها يستروحون، وذلك أَنَّهُمْ كانوا يقولون: لو كان محمد نَبِيًّا لعذبنا بهذه الأقوال التي تسيئه، وجَهِلُوا أَنَّ أمرهم مُؤَخَّرٌ إِلى عذاب جهنم.

وقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا تَنَاجَيْتُمْ...﴾ الآية: وصِيَّةٌ منه سبحانه للمؤمنين أَلاَّ يتناجوا بمكروه، وذلك عامٌّ في جميع الناس إِلى يوم القيامة.

وقوله: ﴿إِنَّما النَّجْوَى﴾ أي: بالإِثم ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ **وقرأ** نافع وأهل المدينة[٢]: «لِيُحْزِنَ» - بضم الياء وكسر الزاي - والفعل مُسْنَدٌ إِلى الشيطان، **وقرأ** أبو عمرو وغيره: «لِيَحْزُنَ» - بفتح الياء وضم الزاي -، ثم أخبر تعالى أَنَّ الشيطان أو التناجي الذي هو منه، ليس بضارٍّ أحداً إِلاَّ أَنْ يكونَ ضُرَّ بإِذن اللَّه، أي: بأمره وقَدَرِهِ، ثم أمر بتوكُّلِ المؤمنين عليه تبارك وتعالى.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾

وقوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا في الْمَجْلِسِ...» الآية، **وقرأ** عاصم[٣]: «في المَجَالِسِ» قال زيد بن أسلم وقتادة[٤]: هذه الآية نزلت بسبب تضايُقِ الناس

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ١٤) برقم: (٣٣٧٦٠) عن مجاهد، و (١٢/ ١٥) عن ابن عباس برقم: (٣٣٧٦٤)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٧٦)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٦/ ٢٧٠)، وعزاه لعبد الرزاق، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.

(٢) وقرأ بقراءة أبي عمرو - الحسن، وعاصم.
ينظر: **«المحرر الوجيز»** (٥/ ٢٧٨).

(٣) يعني: جعله عاماً في المجالس، وأما قراءة الباقين على التوحيد، فمعناها: في مجلس رسول اللَّه ﷺ خاصة.
ينظر: **«السبعة»** (٦٢٩)، و**«الحجة»** (٦/ ٢٨٠)، و**«إعراب القراءات»** (٢/ ٣٥٥)، و**«حجة القراءات»** (٧٠٤)، و**«العنوان»** (١٨٧)، و**«شرح الطيبة»** (٦/ ٤٦)، و**«شرح شعلة»** (٦٠٠)، **«إتحاف»** (٢/ ٥٢٧)، و**«معاني القراءات»** (٣/ ٦٠).

(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ١٨)، برقم: (٣٣٧٧٦) عن قتادة، وذكره البغوي (٤/ ٣١٩)، وابن عطية (٥/ ٢٧٨).

في مجلس النبي ﷺ؛ وذلك أَنَّهُمْ كانوا يتنافسون في القُرْبِ منه وسَمَاعِ/ كلامه والنظر ١٤٤أ
إليه، فيأتي الرجلُ الذي له الحَقُّ والسِّنُّ والقَدَمُ في الإسلام، فلا يجد مكاناً، فنزلت بسبب ذلك، وروى أبو هريرة أَن النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لاَ يَقُمْ أَحَدٌ مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ يَجْلِسَ فِيهِ الرَّجُلُ، وَلَكِنْ تَفَسَّحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ»[١]. قال جمهور العلماء: سببُ نزولِ الآية مجلس النبي ﷺ ثم الحكم مُطَّرِدٌ في سائر المجالس التي هي للطاعات؛ ومنه قوله ﷺ: «أَحَبُّكُمْ إِلَى اللَّهِ أَلْيَنُكُمْ مَنَاكِبَ في الصَّلاَةِ، وَرُكَباً في المَجَالِسِ»[٢]، وهذا قول مالك رحمه الله، وقال: ما أرى الحكم إلاَّ يَطَّرِدُ في مجالس العلم ونحوها غَابِرَ الدهر؛ قال * ع[٣] *: فالسنة المندوبُ إليها هي التفسُّحُ، والقيامُ مَنْهِيٌّ عنه في حديث النبي ﷺ، حيثُ نَهَىٰ أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ؛ فَيَجْلِسَ الآخَرُ مَكَانَهُ[٤].

* ت *: وقد روى أبو دَاوُدَ في «سننه» عن سَعِيدِ بْنِ أبي الحَسَنِ قال: «جَاءَنَا أَبُو بَكْرَةَ في شَهَادَةٍ، فَقَامَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ مَجْلِسِهِ فَأَبَى أَنْ يَجْلِسَ فِيهِ، وَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ نَهَى عَنْ ذَلِكَ، وَنَهَى أَنْ يَمْسَحَ الرَّجُلُ يَدَهُ بِثَوْبِ مَنْ لَمْ يَكْسُهُ»[٥] وروى أبو داودَ عن ابن عمر قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلى النَّبِيِّ ﷺ فَقَامَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ مَجْلِسِهِ، فَذَهَبَ لِيَجْلِسَ فِيهِ، فَنَهَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ»[٦] انتهى، قال * ع[٧] *: فَأَمَّا القيام إجلالاً فجائز بالحديث، وهو قوله ـ عليه السلام ـ حين أقبل سعد بن معاذ: «قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ»[٨]. وواجب على المُعَظَّم أَلاَّ يُحِبَّ ذَلِكَ وَيَأْخُذَ النَّاسَ بِهِ؛ لقوله ـ عليه السلام ـ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ النَّاسُ قِيَاماً، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[٩].

* ت *: وفي الاحتجاج بقضية/ سعد نظر؛ لِأَنَّها احْتَفَّتْ بِها قرائن سَوَّغَتْ ذلك؛ ١٤٤ب

---

(١) تقدم تخريجه.
(٢) أخرجه أبو داود (١/ ٢٣٦)، كتاب «الصلاة» باب: تسوية الصفوف، حديث (٦٧٢).
(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٧٩).
(٤) تقدم تخريجه.
(٥) تقدم.
(٦) أخرجه أبو داود (٢/ ٦٧٤)، كتاب «الأدب» باب: في الرجل يقوم للرجل من مجلسه (٤٨٢٧).
(٧) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٩٠).
(٨) أخرجه البخاري (٧/ ٤٧٥)، كتاب «المغازي» باب: مرجع النبي ﷺ من الأحزاب (٤١٢١)، ومسلم (٣/ ١٣٨٨)، كتاب «الجهاد والسير» باب: جواز قتال من نقض العهد (٦٤/ ١١٧٦٨)، وأحمد (٣/ ٢٢، ٧١)، والبيهقي (٩/ ٩٧)، كتاب «السير» باب: نزول أهل الحصن أو بعضهم على حكم الإمام أو غير الإمام، إذا كان المنزول على حكمه مأموناً.
(٩) تقدم.

٤٠٢ ـــــــ

بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الهُدَىٰ وَالعِلْمِ كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضاً، فَكَانَ مِنْهَا طَائِفَةٌ قَبِلَتِ الماء، فَأَنْبَتَتِ الكَلأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ المَاءَ؛ فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا، وَسُقُوا، وَزَرَعُوا، وَأَصَابَ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَىٰ إِنَّما هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً، وَلا تُنْبِتُ كَلأً؛ فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ في دِينِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْساً وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ» انتهى[1].

وقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَي نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ روي عن ابن عباس وقتادة في سببها: أَنَّ قوماً من شباب المؤمنين وأغْفَالِهِمْ كَثُرَتْ مناجاتُهم للنبي ﷺ في غير حاجة، وكان ﷺ سَمْحاً، لا يَرُدُّ أحداً، فنزلت هذه الآية مُشَدِّدَةً عليهم[2]، وقال مقاتل: نزلتْ في الأغنياء؛ لِأَنَّهُمْ غلبوا الفقراء على مناجاة النبي ﷺ ومجالسته[3]، قال جماعة من الرواة: نُسِخَتْ هذه الآيةُ قبل العمل بها، لكنِ استقر حُكْمُهَا بالعزم عليه، وصَحَّ عن عليٍّ أَنَّهُ قال: ما عَمِلَ بها أَحَدٌ غيري، وأنا كنتُ سَبَبَ الرخصة والتخفيفِ عن المسلمين، قال: ثم فَهِمَ رسولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ هٰذِهِ الْعِبَادَةَ قد شَقَّتْ/ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ لي: يَا عَلِيُّ، كَمْ تَرَىٰ أَنْ يَكُونَ حدُّ هٰذِهِ الصَّدَقَةِ؟ أَتَرَاهُ دِينَاراً؟ ١٤٥
قُلْتُ: لاَ، قَالَ: فَنِصْفُ دِينارٍ؟ قُلْتُ: لاَ، قَالَ: فَكَمْ؟ قُلْتُ: حَبَّةٌ مِنْ شَعِيرٍ، قَالَ: إِنَّكَ لَزَهِيدٌ فَأَنْزَلَ اللَّهُ الرُّخْصَةَ[4]، يريد لِلْوَاجِدِينَ، وَأَمَّا مَنْ لَمْ يَجِدْ فَالرُّخْصَةُ لَهُ ثَابِتَةٌ؛ بقوله: «فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا» قال الفخر[5]: قوله عليه السلام لعليٍّ: «إِنَّكَ لَزَهِيدٌ» معناه: إنك قليل المال، فقدَّرْتَ عَلَىٰ حَسَبِ حالك، انتهى.

﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٢١١)، كتاب «العلم» باب: فضل من عَلِم وعلَّم (٧٩)، ومسلم (٤/ ١٧٨٧)، كتاب «الفضائل» باب: بيان مثل ما بعث النبي ﷺ من الهدى والعلم (١٥/ ٢٢٨٢)، والنسائي في «الكبرى» (٣/ ٤٢٧)، كتاب «العلم» باب: مثل من فقه في دين الله تعالى (٥٨٤٣/ ١).

(٢) ذكره البغوي (٤/ ٣١٠)، وابن عطية (٥/ ٢٧٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٧٢)، وعزاه لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.

(٣) ذكره البغوي (٤/ ٣١٠)، وابن عطية (٥/ ٢٧٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٧٢)، وعزاه لابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٠٦ ـ ٤٠٧)، كتاب «التفسير» باب: ومن سورة المجادلة، حديث (٣٣٠٠)، وقال: حسن غريب.

(٥) ينظر: «الفخر الرازي» (٢٩/ ٢٣٧).

ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم
مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا
كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ
أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا
فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ﴾

وقوله سبحانه: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ...﴾ الآية: الإشفاق: هنا الفزع من العجز عن الشيء المتصدق به، أو من ذهاب المال في الصدقة.

وقوله: ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ...﴾ الآية: المعنى: دوموا على هذه الأعمال التي هي قواعِدُ شرعكم، ومَنْ قال: إن هذه الصدقة منسوخة بآية الزكاة؛ فقوله ضعيف.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوا﴾: نزلت في قوم من المنافقين، تولوا قوماً من اليهود، وهمُ المغضوب عليهم، قال الطبري[1]: ﴿مَا هُمْ مِنْكُمْ﴾: يريد به المنافقين ﴿وَلاَ مِنْهُمْ﴾ أي: ولا من اليهود، وهذا التأويل يجري مع قوله تعالى: ﴿مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَٰؤُلاَءِ وَلاَ إِلَى هَٰؤُلاَءِ﴾ [النساء: ١٤٣] كالشاة العائرة بين الغنمين، وتحتمل الآية تأويلاً آخرَ، وهو أنْ يكونَ قوله: ﴿ما هم﴾ يريد به اليهودَ ﴿ولا منهم﴾ يريد به المنافقين، ﴿ويحلفون﴾: يعني المنافقين، وقرأ الحسن: ﴿اتَّخَذُوا إِيْمَانَهُمْ﴾ - بكسر الهمزة[2] -، والجُنَّةُ: ما يُتَسَتَّرُ به، ثم أخبر تعالى عن المنافقين في هذه الآية أَنَّهُ ستكون لهم أيمان يومَ القيامة بين يدي اللَّه تعالى، يخيل إليهم بجهلهم أنَّها تنفعهم، وتُقْبَلُ منهم، وهذا هو حسابهم ﴿أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ أي: على شيء نافع لهم.

﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ
ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ
وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ
وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟
عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ٢٣).

(٢) ينظر: «المحتسب» (٢/ ٣١٥)، و«البحر المحيط» (٨/ ٢٣٦)، و«الدر المصون» (٦/ ٢٩٠).

وقوله تعالى: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ﴾ معناه: تَملَّكَهُمْ من كل جهة،/ وغلب على ١٤٦أ نفوسهم، وحُكِيَ أَنَّ عمر قرأ: «اسْتَحَاذَ»[1]، ثم قضى تعالى على مُحَادِّه بِالذُّلِّ، وباقي الآية بَيِّنٌ.

وقوله سبحانه: ﴿لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...﴾ الآية: نَفَتْ هذه الآيةُ أَنْ يُوجَدَ مَنْ يؤمن باللَّه حَقَّ الإِيمان، ويلتزم شُعَبَهُ على الكمال ـ يَوَادُّ كافراً أو منافقاً، و﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ﴾: معناه: أثبته وخلقه بالإِيجاد.

وقوله: ﴿أُولَئِكَ﴾: إِشارة إِلى المؤمنين الذين يقتضيهم معنى الآية؛ لِأَنَّ المعنى: لكنك تجدهم لا يوادُّونَ مَنْ حادَّ اللَّه.

وقوله تعالى: ﴿بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ معناه: بهدى منه ونور وتوفيق إِلٰهي ينقدح لهم من القرآن وكلامِ النبي ﷺ و«الحزب»: الفريقُ، وباقي الآية بَيِّنٌ.

---

(١) حكاه القراء في كتاب «اللغات»، كما في «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٨١)، و«البحر المحيط» (٨/ ٢٣٧)، و«الدر المصون» (٦/ ٢٩٠).

[تَفسِيرُ] سُورَةِ الحَشرِ

وهِيَ مَدَنِيَّةٌ بِاتِّفَاقٍ

وهي سورة بني النَّضِيرِ؛ وذلك أَنَّهُمْ كانوا عَاهَدُوا النَّبِيَّ ﷺ وهم يرون أَنَّهُ لا تُرَدُّ له راية، فلمَّا كان شأنُ أُحُدٍ وما أكرم اللَّه به المسلمين، ارتابوا، وداخلوا قريشاً، وغدروا، فلما رَجَعَ النبيُّ ﷺ من أُحُدٍ حاصرهم حتى أجلاهم عن أرضهم، فارتحلوا إِلى بلادٍ مختلفة: خَيْبَرَ، والشَّام، وغير ذلك، ثم كان أَمْرُ بَنِي قُرَيْظَةَ مَرْجِعَهُ مِنَ الأَحْزَابِ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا في الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ الآية: تقدم الكلامُ في تسبيح الجمادات و﴿الذين كفروا من أهل الكتاب﴾: هم بنو النضير.

و[قوله]: ﴿لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾: قال الحسن بن أبي الحسن وغيره[1]: يريد حَشْرَ القيامة، أي: هذا أَوَّلُهُ والقيامُ من القبور آخره، وقال عِكْرَمَةُ وغيره[2]: المعنى:/ لأول موضع ١٤٦ ب

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٢٨٣).

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٨)، برقم: (٣٣٨١٥) عن قتادة، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٨٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٧٧)، وعزاه للبزار، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «البعث» عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما.

الحشر، وهو الشام؛ وذلك أَنَّ أكثرهم جاء إِلى الشام، وقد رُوِيَ أَنَّ حشرَ القيامة هو إِلى بلاد الشام.

وقوله سبحانه: ﴿مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا﴾: يريد لمنعتهم وكثرة عددهم.

وقوله تعالى: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: كُلَّما هدم المسلمون من تحصينهم في القتال هدموا هم من البيوت؛ ليجبروا الحصن.

* ت *: والحاصل أَنَّهم يخربون بيوتهم حِسًّا ومعنى؛ أَمَّا حِسًّا فواضح، وأَمَّا معنى فبسوء رأيهم وعاقبة ما أضمروا من خيانتهم وغدرهم، ﴿وَلَوْلاَ أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاَءَ﴾: من الوطن ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾: بالسبي والقتل، قال البخاريُّ: والجلاء: الإِخراج من أرض إِلى أرض، انتهى.

﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ...﴾ الآيةُ سببُهَا قولُ اليهود: ما هذا الإِفساد يا محمد وأنت تنهى عن الفساد؟! فَرَدَّ اللَّهُ عليهم بهذِهِ الآية، قال ابن عباس وجماعة من اللغويين[1]: اللِّينَةُ من النخيل: ما لم يكن عجوةً، وقيل غير هذا.

* ص *: أصل «لِينَة»: لونة، فقلبوا الواوَ ياءً لسكونها وانكسارِ ما قبلها، وجمعه لِينٌ؛ كَتَمْرَةٍ وَتَمْرٍ، قال الأخفش: واللينة كأنَّها لونٌ من النخل، أي: ضرب منه، انتهى.

وقوله عز وجل: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ...﴾ الآية، إعلام بأَنَّ ما أخذ لبني النضير ومن فَدَك، هو خاصٌّ بالنبيِّ ﷺ، وليس على حكم الغنيمة التي يوجف عليها ويقاتل فيها؛ بل على حكم خُمُسِ الغنائم؛ وذلك أَنَّ بني النضير لم يُوجَفْ عليها ولا قُوتِلَتْ كبيرَ قتالٍ، فأخذ منها ﷺ قُوتَ عيالِهِ، وقَسَمَ سائرها في المهاجرين، وأدخل معهم أبا دُجَانَةَ وسَهْلَ بن حنيف/ من الأنصار؛ لأَنَّهما شكيا فقراً، والإِيجاف: سرعة السير، ١٤٧أ والوجيف دون التقريب؛ يقال: وَجَفَ الفرسُ وأوجفه الراكبُ.

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٢)، برقم: (٣٣٨٤٣)، وذكره البغوي (٤/ ٣١٦)، وابن عطية (٥/ ٢٨٥).

وقوله تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى...﴾ الآية: أهل القرى في هذه الآية: هم أهل الصفراء والينبوع ووادي القرى وما هنالك من قرى العرب، وذلك أنَّها فُتِحَتْ في ذلك الوقت من غير إيجاف، وأعطى رسولُ اللَّه ﷺ جميعَ ذلك للمهاجرين، ولم يحبس منها لنفسه شيئاً، ولم يعط الأنصار شيئاً لغناهم، والقُرْبَى في الآية: قرابته ﷺ مُنِعُوا الصدقةَ فَعُوِّضُوا من الفيء.

وقوله سبحانه: ﴿كَيْ لاَ يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾: مخاطبة للأنصار؛ لأنَّهُ لم يكن في المهاجرين في ذلك الوقت غَنِيٌّ، والمعنى: كي لا يتداول ذلك المالَ الأغنياءُ بتصرفاتهم، ويبقى المساكينُ بلا شيءٍ، وقد مضى القولُ في الغنائم في سورة الأنفال، ورُوِيَ أَنَّ قوماً من الأنصار تَكَلَّمُوا في هذه القرى المُفْتَتَحَةِ، وقالوا: لنا منها سَهْمُنَا، فنزل قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ...﴾ الآية: فَرَضُوا بذلك، ثم اطَّرَدَ بعدُ معنى الآية في أوامر النبي ﷺ ونواهيه، حَتَّى قال قوم: إنَّ الخمر مُحَرَّمَةٌ في كتاب اللَّه بهذه الآية، وانتزع منها ابن مسعود لعنة الواشمة، الحديث[1].

* ت *: وبهذا المعنى يحصل التعميم للأشياء في قوله تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾: بيان لقوله: ﴿وَالْمَسَاكِينِ وابْنِ السَّبِيلِ﴾ وكرر لام الجر، لما كانت الجملة الأولى مجرورةً باللام؛ ليبيِّنَ أَنَّ البدل إنَّما هو منها، ثم وصفهم تعالى بالصفة التي تقتضي فقرهم، وتُوجِبُ الشفقة عليهم، وهي إخراجهم من ديارهم وأموالهم ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً﴾: يريد به الآخرة والجنة: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ أي: في الأقوال والأفعال والنِّيَّاتِ ﴿والَّذِينَ تَبَوَّؤا الدَّارَ﴾: هم الأنصار ـ رضي اللَّه عن جميعهم ـ، والضمير في ﴿من قبلهم﴾ للمهاجرين، والدار هي المدينة، والمعنى: تبوؤوا الدار مع الإيمان، وبهذا الاقتران يتضح معنى قوله تعالى: ﴿من قبلهم﴾ فتأمله، قال * ص *: ﴿والإيمان﴾ منصوب بفعل مُقَدَّرٍ، أي: واعتقدوا الإيمان، فهو من عطف

١٤٧ ب

(١) تقدم تخريجه.

الجمل؛ كقوله: [من الرجز]

عَـلَـفْـتُـهَـا تِـبْـنـاً وَمَـاءً بَـارِداً .....

انتهى، وقيل غير هذا، وأثنى اللَّه تعالى في هذه الآية على الأنصار بِأَنَّهُمْ يحبون المهاجرين، وبأنَّهم يؤثرون على أنفسهم، وبأنَّهم قد وُقُوا شُحَّ أنفسهم.

* ت *: وروى الترمذيُّ عن أنس قال: «لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ المَدِينَةَ أَتَاهُ المُهَاجِرُونَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا رَأَيْنَا قَوْماً أَبْذَلَ لِكَثِيرٍ وَلاَ أَحْسَنَ مُوَاساةً في قَلِيلٍ مِنْ قَوْمٍ نَزَلْنَا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ؛ لَقَدْ كَفَوْنَا المَؤُونَةَ، وَأَشْرَكُونَا في الْمِهْنَةِ، حَتَّى لَقَدْ خِفْنَا أَنْ يَذْهَبُوا بِالأَجْرِ كُلِّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لاَ، مَا دَعَوتُمُ اللَّهَ لَهُمْ وَأَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِمْ»[1] قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، انتهى، والحاجة: الحسد في هذا الموضع؛ قاله الحسن[2]، ثم يَعُمُّ بعدُ وُجُوهاً، وقال الثعلبيُّ: ﴿حاجة﴾ أي: حَزَازَةً، وقيل: حسداً ﴿مِمَّا أُوتُوا﴾ أي: مما أعطي المهاجرون من أموال بَنِي النضير والقرى، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾: صفة للأنصار، وجاء الحديث الصحيح من غير ما طريق، أَنَّها نزلت/ بسبب رجل من الأنصار وصنيعه مع ضيفِ رسول اللَّه ﷺ؛ إِذْ نَوَّمَ صبيانه، وَقَدَّمَ للضيف طعامَه، وأطفأتْ أهلُه السراجَ، وأوهما الضيفَ أَنَّهُمَا يأكلان معه، وباتا طاويين؛ فلمَّا غدا الأنصاريُّ على رسول اللَّه ﷺ قال له: «لَقَدْ عَجِبَ اللَّهُ مِنْ فِعْلِكُمَا الْبَارِحَةَ»[3] ونزلت الآية في ذلك، قال صاحب «**سلاح المؤمن**»: الرجل الأنصاريُّ ١٤٨أ

---

(١) أخرجه أبو داود (٢/ ٦٧١)، كتاب «الأدب» باب: في شكر المعروف (٤٨١٢)، والترمذي (٤/ ٦٥٣)، كتاب «صفة القيامة» باب: (٤٤) (٢٤٨٧)، والحاكم في «**المستدرك**» (٢/ ٦٣)، والبيهقي (٦/ ١٨٣)، كتاب «الهبات» باب: شكر المعروف.
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٤١)، برقم: (٣٣٨٧٥)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٨٧)، وابن كثير في «**تفسيره**» (٤/ ٣٣٧)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ٢٨٨)، وعزاه لعبد الرزاق، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٣) أخرجه البخاري (٨/ ٥٠٠)، كتاب «التفسير» باب: «والذين تبوؤوا الدار والإيمان» (٤٨٨٩)، والحاكم (٤/ ١٣٠)، والبيهقي (٤/ ١٨٥)، كتاب «الزكاة» باب: ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، وابن الشجري في «أماليه» (١/ ٢٨٣).
قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. قلت: وهو وهم من الحاكم فقد أخرجه البخاري كما بينا.

الذي أضاف هو، أبو طلحة انتهى، قال الترمذيُّ الحكيم في كتاب «**ختم الأولياء**» له: حدثنا أبي قال: حدثنا عبد اللَّه بن عاصم: حدثنا الجمانيُّ: حدثنا صالح المُرِّيُّ عن أبي سعيد الخُدْرِيِّ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إِنَّ بُدَلاَءَ أُمَّتِي لَمْ يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِكَثْرَةِ صَوْمٍ وَلاَ صَلاَةٍ؛ إِنَّما دَخَلُوهَا بِسَلاَمَةِ الصُّدُورِ، وَسَخَاوَةِ الأَنْفُسِ، وَحُسْنِ الخُلُقِ، والرَّحْمَةِ بِجَمِيعِ المُسْلِمِينَ»[1] انتهى، والإيثار على النفس أكرم خلق، قال أبو يزيد البسطاميُّ: قدم علينا شاب من بَلْخ حاجًّا فقال لي: ما حَدُّ الزهد عندكم؟ فقلت: إِذَا وَجَدْنَا أَكَلْنَا، وَإِذَا فَقَدْنَا صَبَرْنَا، فقال: هكذا عندنا كلابُ بلخ! فقلت له: فما هو عندكم؟! فقال: إذا فقدنا صَبَرْنَا، وَإِذَا وجدنا آثرنا، ورُوِيَ أَنَّ سبب هذه الآيةِ أَنَّ النبي ﷺ، لَمَّا فَتَحَ هٰذِهِ الْقُرَى قَالَ لِلأَنْصَارِ: «إِنْ شِئْتُمْ قَسَمْتُمْ لِلْمُهَاجِرِينَ مِنْ أَمْوَالِكُمْ وَدِيَارِكُمْ؛ وَشَارَكْتُمُوهُمْ في هٰذِهِ الْغَنِيمَةِ، وَإِنْ شِئْتُمْ أَمْسَكْتُمْ أَمْوَالَكُمْ وَتَرَكْتُمْ لَهُمْ هٰذِهِ الغَنِيمَةَ، فَقَالُوا: بَلْ نَقْسِمُ لَهُمْ مِنْ أَمْوَالِنَا، وَنَتْرُكُ لَهُمْ هٰذِهِ الغَنِيمَةَ، فنزلت الآية، والخصاصة: الفاقَةُ والحاجةُ، وشُحُّ النفس: هو/ كثرة طَمَعِهَا. وضبطها على المال، والرغبةُ فيه، وامتدادُ الأمل؛ هذا جماع شُحِّ النفس. وهو داعية كُلِّ خلق سوء، وقد قال رسول اللَّه ﷺ: مَنْ أَدَّى الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَقَرَى الضَّيْفَ، وَأَعْطَى في النَّائِبَةِ ـ فَقَدْ بَرِىءَ من الشُّحِّ»، وَإِلى هذا الذي قلناه ذهب الجمهور والعارفون بالكلام، وقيل في الشح غير هذا، قال * ع[2] *: وشُحُّ النفس فَقْرٌ لا يذهبه غِنَى المالِ، بل يزيده، وينصب به؛ و﴿يُوقَ﴾ مِنْ وَقَىٰ يَقِي، وقال الفخر: اعلم أَنَّ الفرق بين الشُّحِّ والبخل هو أَنَّ البخل نفس المنع، والشُّحُّ هو الحالة النفسانية التي تقتضي ذلك المَنْعَ، ولَمَّا كان الشُّحُّ من صفات النفس لا جَرَمَ، قال اللَّه تعالى: ﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ أي: الظافرون بما أرادوا، قال ابن زيد: من لم يأخذ شيئاً نهاه اللَّه عن أخذه، ولم يمنع شيئاً أمره اللَّه تعالى بإعطائه ـ فقد وُقِيَ شُحَّ نفسه[3]، انتهى.

١٤٨ ب

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ أَحَدٗا أَبَدٗا وَإِن

---

(١) أخرجه البيهقي في «**شعب الإيمان**» (٧/ ٤٣٩)، (١٠٨٩٢)، وذكره الهندي في «**كنز العمال**» (١٢/ ١٨٨)، وزاد نسبته إلى الحكيم، وابن أبي الدنيا في كتاب «**السخاء**»، وذكره العجلوني في «**كشف الخفاء**» (٢/ ٢٥٩) (٢٢٠٢)، شاهداً.

(٢) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٥/ ٢٨٨).

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٢)، برقم: (٣٣٨٨٦)، وذكره البغوي (٤/ ٣٢٠)، وابن عطية (٥/ ٢٨٨).

قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ...﴾ الآية: قال جمهور العلماء: أراد مَنْ يجيء من التابعين وغيرهم إلى يوم القيامة، وقال الفرَّاءُ: أراد الفرقة الثالثة من الصحابة، وهي مَنْ آمن في آخر مُدَّةِ النبي ﷺ.

وقوله: ﴿يَقُولُونَ﴾: حال فيها الفائدة، والمعنى: والذين جاؤوا قائلين كذا، وروت أُمُّ الدرداء، وأبو الدرداء عن النبي ﷺ أَنَّهُ كان يقول: «دَعْوَةُ المُسْلِم لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ، كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ قَالَ المَلَكُ المُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ، وَلَكَ مِثْلُهُ»[1] رواه مسلم، انتهى، قال * ع[2] *: ولهذه الآية قال مالك وغيره: إِنَّه مَنْ كان له في أحدٍ من/ الصحابة رأيُ سوءٍ أو بغض، فلا حَظَّ له في فَيْءِ المسلمين، وقال ١٤٩أ
عبد اللَّه بن يزيد: قال الحسن: أدركت ثلاثمائةٍ مِنْ أصحاب النبي ﷺ منهم سبعون بَدْرِيًّا كُلُّهم يحدثني أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ، فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ»[3] فالجماعة ألاَّ تَسُبّوا الصحابة، ولا تماروا في دينِ اللَّه، ولا تُكَفِّرُوا أحداً من أَهْلِ التوحيد بذنب، قال عبد اللَّه: فَلَقِيتُ أبا أمامة وأبا الدرداء وواثلةَ وأَنَساً، فكلُّهم يحدثني عن النبي ﷺ بمثل حديث الحسن، والغِلُّ: الحقد والاعتقاد الرديء.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمْ...﴾ الآية: نزلت في عبد اللَّه بن أُبَيٍّ ابن سلول، ورفاعةَ بن التابوت وقوم من منافقي الأنصار؛ كانوا بعثوا إلى بني النضير، وقالوا لهم: اثبتوا في معاقلكم، فإِنَّا مَعَكُمْ كيفما تقلبت حالُكم، وكانوا في ذلك كاذبين، وإِنَّما أرادوا بذلك أَنْ تقوى نُفُوسُهُمْ؛ عسى أَنْ يثبتوا حَتَّى لا يقدر النبي ﷺ عليهم، فيتمَّ مرادهم، وجاءت الأفعال غيرَ مجزومة في قوله: ﴿لا يخرجون﴾ ﴿ولا ينصرونهم﴾؛ لأَنَّها راجعةٌ إلى حكم القسم، لا إلى حكم الشرط، والضمير في

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٩٥) كتاب: الذكر والدعاء، باب: فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب (٨٦، ٨٧/ ٢٧٣٢)، (٨٨/ ٢٧٣٣)، (٢٧٣٢/ مكرر)، وابن ماجه (٢/ ٩٦٦، ٩٧٧) كتاب: المناسك، باب فضل دعاء الحاج (٢٨٩٥).

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٨٨).

(٣) أخرجه أبو داود (٢/ ٦٥٥)، كتاب «السنة» باب: الخوارج (٤٧٥٨).

﴿صدورهم﴾ يعود على اليهود والمنافقين، والضمير في قوله: ﴿لا يقاتلونكم جميعاً﴾ لبني النضير وجميع اليهود، هذا قول جماعة المفسرين، ومعنى الآية: لا يبرزون لحربكم، وإنَّما/ يقاتلون متحصنين بالقُرَى والجدران؛ للرعب والرهب الكائن في قلوبهم. ١٤٩ ب

وقوله تعالى: ﴿بَأْسُهُمْ بينهم شديد﴾ أي: في غائلتهم وإِحَنِهِمْ ﴿تحسبهم جميعاً﴾ أي: مجتمعين ﴿وقلوبهم شتى﴾ أي: متفرقة؛ قال * ع[1] *: وهذه حال الجماعة المتخاذلة، وهي المغلوبةُ أبداً في كُلِّ ما تحاول، واللفظة مأخوذة من الشتات، وهو التفرق ونحوه.

﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿كَمَثَل الذِينَ من قبلِهِم﴾ قال ابن عباس[2]: هُمْ بنو قينقاع، لأنَّ النبي ﷺ أجلاهم عن المدينة قبل بني النضير، والوَبَالُ: الشِّدَّةُ والمكروه، وعاقبة السوء والعذاب الأليم: هو في الآخرة.

وقوله سبحانه: ﴿كمثل الشيطان﴾ معناه: أَنَّ هاتينِ الفرقتين من المنافقين وبني النضير، كمثل الشيطان مع الإِنسان؛ فالمنافقونَ مَثَلُهُمُ الشيطان، وبنو النضير مثلهم الإِنسان، وذهب مجاهد وجمهور من المتأولين[3] إِلى أَنَّ الشيطانَ والإِنسانَ في هذه الآية اسما جنس، فكما أَنَّ الشيطان يغوي الإِنسان، ثم يَفِرُّ عنه بعد أَنْ يُوَرِّطَهُ؛ كذلك أغوى المنافقون بني النضير وحَرَّضُوهم على الثبوت، ووعدوهم النصرَ، فَلَمَّا نَشَبَ بنو النضير، وكشفوا عن وجوههم - تركهم المنافقون في أسوأ حال، وذهب قوم من رواة القصص إِلى أَنَّ هذا في شيطانٍ مخصوصٍ مع عابد مخصوص، اسمه «بَرْصِيصَا»، اسْتُودِعَ امرأة جميلةً، وقيل: سِيقَتْ إِليه لِيَشْفِيَهَا بدعائه من الجنون، فَسَوَّلَ له الشيطانُ الوقوعَ عليها، فحملت منه، فَخَشِيَ الفضيحة، فسَوَّلَ له قَتْلَهَا وَدَفْنَهَا، ففعل، ثم شَهَّرَهُ، فَلَمَّا اسْتُخْرِجَتِ المرأة،

---

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٩٠).

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٦)، برقم: (٣٣٩٠٠)، وذكره البغوي (٤/ ٣٢٢)، وابن عطية (٥/ ٢٩٠)، وابن كثير (٤/ ٣٤٠).

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٨)، برقم: (٣٣٩٠٦)، وابن عطية (٥/ ٢٩٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٩٧)، وعزاه لعبد بن حميد.

وحُمِلَ العابدُ شَرَّ حَمْلٍ،/ وَصُلِبَ ـ جَاءَهُ الشيطانُ فَقَالَ له: اسجد لي سجدةً وأنا ١٥٠أ
أُخَلِّصُكَ، فسجد له، فقال له الشيطان: هذا الذي أردتُ منك أَنْ كفرتَ بربك، إِنِّي بريء منك، فضرب اللَّه تعالى هذا المَثَلَ ليهودِ بني النضير والمنافقين، وهذا يحتاج إِلى صِحَّةِ سَنَدٍ، والتأويل الأول هو وجه الكلام.

* ت *: قال السهيلي: وقد ذكر هذه القصةَ هكذا القاضي إِسماعيلُ وغيره من طريق سفيان عن عمرو بن دينار، عن عُرْوَةَ بنِ عَامِرِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ رِفَاعَةَ الزُّرْقِيِّ، عنِ النبي ﷺ: «أَنَّ رَاهِباً كَانَ في بَنِي إِسرائيل»[1] فذكر القصة بكمالها، ويقال: إِنَّ اسمَ هذا الراهب «بَرْصِيصَا»، ولم يذكر اسمه القاضي إِسماعيل، انتهى، قال * ع[2] *: وقول الشيطان: ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾ رياءٌ من قوله، وليست على ذلك عقيدته، ولا يعرف اللَّه حَقَّ معرفته، ولا يحجزه خوفُه عن سُوءٍ يوقع فيه ابنَ آدم من أول إِلى آخر ﴿فكان عاقبتهما﴾ يعني: الشيطان والإِنسان على ما تقدم من حملهما على الجنس أو الخصوص.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾

وقوله سبحانه ﴿يأيها الذين آمنوا اتقوا اللَّه ولتنظر نفس ما قدمت لغد...﴾ الآية: هذه آية وعظ وتذكير، وتقريبٍ للآخرة، وتحذيرٍ مِمَّنْ لا تخفى عليه خافيةٌ، وقوله تعالى: ﴿لغد﴾: يريد يوم القيامة، والذين نسوا اللَّه: هم الكفار، والمعنى: تركوا اللَّه وغفلوا عنه، حَتَّى كانوا كالناسين، فعاقبهم بأَنْ [جعلهم][3] ينسون أنفسهم، وهذا هو الجزاء على الذنب بالذنب، قال سفيان[4]: المعنى: حَظَّ أنفسهم، ويُعْطِي لفظُ الآية أَنَّ مَنْ عرف نفسه ولم يَنْسَهَا عَرَفَ رَبَّهُ تعالى، وقد قال عليُّ بن أبي طالب[5]، ـ رضي اللَّه عنه ـ: اعْرِفْ نفسك تَعْرِفْ ربك، وروي عنه أيضاً أَنَّه قال: مَنْ لم يعرفْ نفسه، لم يعْرف ربه.

﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ

---

(١) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/٢٩٦)، وعزاه إلى ابن أبي الدنيا في «مكائد الشيطان»، وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان».
(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٩٠).
(٣) سقط في: د.
(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ٥٠)، برقم: (٣٣٩١١)، وابن عطية (٥/ ٢٩١).
(٥) ذكره ابن عطية (٥/ ٢٩١).

نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾

١٥٠ ب وقوله/ سبحانه: ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل...﴾ الآية: موعظةٌ للإنسان، وَذَمٌّ لأخلاقه وإعراضه وغفلته عن تَدَبُّرِ كلام خالقه، وإذا كان الجبلُ، على عِظَمِهِ وقُوَّتِهِ، لو أُنْزِلَ عليه القرآن وفَهِمَ منه ما فَهِمَهُ الإنسان، لخشع واستكان، وتصدَّع، خشيةً للَّه تعالى ـ: فالإنسانُ على حقارته وضَعْفِهِ أولى بذلك، وضرب اللَّه سبحانه هذا المثل؛ ليتفكر فيه العاقلُ، ويخشعَ ويلينَ قلبُهُ.

وقوله سبحانه: ﴿هو اللَّه الذي لا إلٰه إلاَّ هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمٰن الرحيم﴾ الآية: لما قال تعالى: ﴿من خشية اللَّه﴾، جاء بالأوصاف العَلِيَّةِ التي تُوجِبُ لمخلوقاته هذه الخشيةَ، **وقرأ** الجمهور[1]: «القُدُّوسُ» ـ بضم القاف ـ؛ من تَقَدَّسَ إذا تطهَّرَ وتنزَّه.

وقوله: ﴿السلام﴾ أي: ذو السلام؛ لِأَنَّ الإيمان به وتوحيدَه وأفعاله هي لمن آمنَ سلام كُلُّها، و﴿المؤمن﴾: اسم فاعل من آمن بمعنى أمن من الأمن، وقيل: معناه: المُصَدِّقُ عبادَهُ المؤمنين، و﴿المهيمن﴾: معناه: الحفيظ والأمين؛ قاله ابن عباس[2]، و﴿الجبار﴾: هو الذي لا يدانيه شيءٌ، ولا تُلْحَقُ رتبته، قال الفخر[3]: وفي اسمه تعالى: ﴿الجبار﴾ وجوه:

أحدها: أَنَّه فَعَّالٌ؛ من جَبَرَ إذا أغنى الفقيرَ وجبر الكسير.

والثاني: أنْ يكون الجبار من جَبَرَهُ إذا أكرهه؛ قال الأزهريُّ: وهي لغة تميم، وكثيرٌ من الحجازيين يقولونها بغير ألف في الإكراه، وكان الشافعيُّ رحمه اللَّه يقول: جَبَرَهُ السلطانُ على كذا بغير ألف، وجعل الفرَّاءُ ﴿الجبار﴾ بهذا المعنى من أجبر بالألف، وهي

---

(١) وقرأ بها أبو السمال بفتح القاف، ورويت عن الكسائي. قال أبو الفتح: فَعُول في الصفة قليل، وذكر سيبويه في الصفة السَّبُّوح، والقَدُّوس.
ينظر: **«المحتسب»** (٢/ ٣١٧)، و**«مختصر الشواذ»** ص: (١٥٥)، وذكر ابن عطية في **«المحرر الوجيز»** (٥/ ٢٩٢) أنها رويت عن أبي ذر. وزاد أبو حيان (٨/ ٢٤٩) نسبتها إلى: أبي دينار الأعرابي.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٥٣)، برقم: (٣٣٩٢٥)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٩٢).

(٣) ينظر: **«تفسير الفخر الرازي»** (٢٩/ ٢٥٥).

اللغة المعروفة في الإكراه، انتهى، و﴿المتكبر﴾: معناه: الذي له التكبُّرُ حَقًّا و﴿البَارِئُ﴾ بمعنى: الخالق، و﴿المُصَوِّرُ﴾: هو الذي يوجد الصورَ، وباقي الآية بَيِّنٌ، وروى مَعْقِلُ بن يسار عنِ النبي ﷺ/ أَنَّه قال: مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ ١٥١أ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وَقَرَأَ ثَلاَثَ آياتٍ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْحَشْرِ ـ: وَكَّلَ اللَّهُ بِهِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ، حَتَّى يُمْسِي، وَإِنْ مَاتَ في ذَلِكَ الْيَوْمِ مَاتَ شَهِيداً، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُمْسِي كَانَ بِتَلْكَ الْمَنْزِلَةِ»[1] رواه الترمذي، وقال: حديث حسن غريب، انتهى.

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ١٨٢)، كتاب «فضائل القرآن» باب: (٢٢) (٢٩٢٢).
قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

تَفْسِيرُ سُورَةِ المُمْتَحِنَةِ

وهِيَ مَدَنِيَّةٌ بِإجْمَاعٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء...﴾ الآية: المراد بالعدو ههنا: كُفَّارُ قريش، وسبب نزول هذه الآية حَاطِبُ بْنُ أبي بَلْتَعَةَ؛ وذلك أَنَّ النبيَّ ﷺ أرادَ الخروجَ إلى مَكَّةَ عامَ الحديبية.

* ت *: بل عام فتح مَكَّةَ، فكتب حاطبٌ إلى قوم من كُفَّارِ مَكَّةَ يخبرهم بقصد رسول اللَّه ﷺ ولم يكن ذلك منه ارتداداً، فنزل الوحي مخبراً بما صنع حاطبٌ، فبعث النبي ﷺ عَلِيًّا والزبيرَ وثالثاً ـ قيل هو المقداد ـ وقال: انطلقوا حَتَّى تأتُوا روضة خاخ، فإنَّ بها ظَعِينةً معها كتابٌ من حاطبٍ إلى المشركين، فخذوه منها، وخَلُّوا سبيلها، فانطلقوا حَتَّى وجدوا المرأة، فقالوا لها: أَخْرِجِي الكتابَ، فقالت: ما معي كتاب! ففتشوا رحلها فما وجدوا شيئاً فقال عليٌّ: ما كَذَبَ رسولُ اللَّه ﷺ، ولا كُذِّب، واللَّهِ، لَتُخْرِجِنَّ الكِتَابَ أَوْ لَتُلْقِينَّ الثِّيَابَ، فقالَتْ: أَعْرِضُوا عَنِّي، فَحَلَّتْهُ مِنْ قُرُونِ رَأْسِهَا، فجاؤوا بِهِ النبيَّ ﷺ فَقَالَ لِحَاطِبٍ: مَنْ كَتَبَ هَذَا؟ فَقَالَ: أنا يا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَىٰ مَا صَنَعْتَ؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لاَ تَعْجَلْ عَلَيَّ فواللَّهِ، مَا كَفَرْتُ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَمَا/ فَعَلْتُ ذَلِكَ ٱرْتِدَاداً عَن دِينِي وَلاَ رَغْبَةً عَنْهُ؛ وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ إلاَّ وَلَهُ[1] بِمَكَّةَ مَنْ يَمْنَعُ عَشِيرَتَهُ، وَكُنْتُ ٱمْرَأً مُلْصَقاً فِيهِمْ، وَأَهْلِي بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ، فَخَشِيتُ عَلَيْهِمْ فَأَرَدْتُ أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ ١٥١ ب

(١) في د: الأول.

يَداً، فَصَدَّقَهُ النَّبِيُّ ﷺ وقال: لاَ تَقُولُوا لِحَاطِبٍ إلاَّ خَيْراً»[1] وروي أَنَّ حاطباً كَتَبَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُرِيدُ غَزْوَكُمْ في مِثْلِ اللَّيْلِ وَالسَّيْلِ، وَأُقْسِمُ بِاللَّهِ، لَوْ غَزَاكُمْ وَحْدَهُ، لَنُصِرَ عَلَيْكُمْ، فَكَيْفَ وَهُوَ في جَمْعٍ كَثِيرٍ؟! * ص *: و﴿تُلْقُونَ﴾ مفعوله محذوف، أي: تلقون إليهم أخبارَ الرسول وأسراره، و﴿بالمودة﴾: الباء للسبب، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿أَنْ تؤمنوا﴾: مفعول من أجله، أي: أخرجوكم من أجل أنْ آمنتم بربكم.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ كنتم﴾: شرط، جوابُهُ متقدم في معنى ما قبله، وجاز ذلك لما لم يظهر عمل الشرط، والتقدير: إِنْ كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاءَ مرضاتي، فلا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياءَ، و﴿جهاداً﴾ منصوب على المصدر، وكذلك ﴿ابتغاء﴾ ويجوزُ أنْ يكونَ ذلك مفعولاً من أجله، والمرضاة: مصدر كالرضى و﴿تسرون﴾ حال من ﴿تلقون﴾، ويجوز أنْ يكون في موضع خبر ابتداء، كأَنَّهُ قال: أنتم تُسِرُّونَ، ويَصِحُّ أنْ يكون فعلاً ابتدىء به القول.

وقوله تعالى: ﴿أَعْلَمُ﴾ يحتمل أنْ يكون أفعل، ويحتمل أنْ يكون فعلاً؛ لِأَنَّكَ تقول: علمت بكذا فتدخل الباء.

* ص *: والظاهر أَنَّه أفعل تفضيل؛ ولذلك عُدِّيَ بالباء، انتهى، و﴿سواء﴾ يجوز أنْ يكون مفعولاً بـ﴿ضلَّ﴾ على تعدي «ضل»، ويجوز أنْ يكون ظرفاً/ على غير التعدي؛ ١٥٢ أ
لِأَنَّهُ يجيء بالوجهين، والأَوَّلُ أحسن في المعنى، والسواء: الوسط، و﴿السبيل﴾: هنا شرع اللَّه وطريقُ دينه.

﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً...﴾ الآية: أخبر تعالى أَنَّ مُدَارَاةَ هؤلاء الكفرة غيرُ نافعة في الدنيا، وأَنَّها ضارَّةٌ في الآخرة؛ ليبين فسادَ رأي مُصَانِعِهِمْ،

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ١٦٦)، كتاب «الجهاد والسير» باب: الجاسوس (٣٠٠٧)، وأطرافه (٣٠٨١، ٣٩٨٣، ٤٢٧٤، ٤٨٩٠، ٦٢٥٩، ٦٩٣٩)، ومسلم (٤/ ١٩٤١ ـ ١٩٤٢)، كتاب «فضائل الصحابة» باب: من فضائل أهل بدر رضي اللَّه عنهم، وقصة حاطب من أبي بلتعة (١٦١، ١٦١/ ٢٤٩٤)، وأبو داود (٢/ ٥٤)، كتاب «الجهاد» باب: في حكم الجاسوس إذا كان مسلماً (٢٦٥٠)، والترمذي (٥/ ٦٩٧)، كتاب «المناقب» باب: (٥٩) (٣٨٦٤).

فقال: ﴿إن يثقفوكم﴾ أي: إنْ يتمكنوا منكم وتحصلوا في ثقافهم ظهرت عداوتهم، وانبسطت إليكم أيديهم بِضَرَرِكُمْ وَقَتْلِكُمْ، وانبسطت ألسنتُهم بسبِّكم، وأَشَدُّ من هذا كله إنَّما يقنعهم أَنْ تكفروا، وهذا هو ودهم،، ثم أخبر تعالى أنَّ هذه الأرحامَ التي رغبتم في وصلها، ليستْ بنافعة يومَ القيامة، فالعامل في ﴿يوم﴾ قوله ﴿تنفعكم﴾، وقيل: العامل فيه ﴿يفصل﴾ وهو مِمَّا بعده لا مِمَّا قبله، وعبارةُ الثعلبيِّ ﴿لن تنفعكم أرحامكم﴾ أي: قرابتكم منهم ﴿ولا أولادكم﴾: الذين عندهم بمكة ﴿يومَ القيامة﴾: إذا عصيتم اللَّه من أجلهم ﴿يفصل بينكم﴾: فيدخل المؤمنون الجنة، والكافرون النارَ، انتهى.

* ت *: وهذه الآية تنظر إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عَنْدَنَا زُلْفَى...﴾ [سبأ: ٣٧] الآية: واعلم أنَّ المال والسبب النافع يوم القيامة، ما كان لِلَّهِ وقُصِدَ به العونُ على طاعة اللَّه، وإلاَّ فهو على صاحبه وَبَالٌ وطولُ حساب، قال ابن المبارك في «**رقائقه**»: أخبرنا شعبة، عن عمرو بن مرة قال: سمعت عبد اللَّه بن الحارث يُحَدِّثُ عن أبي كثير، عن عبد اللَّه بن عمرو بن/ العاصي أنَّه سمعه يقول: ويجمعون ١٥٢ ب
ـ يعني ليوم القيامة ـ فيقال: أين فقراء هذه الأمة ومساكينُها؟ فيبرزون، فَيُقَالُ: ما عندكم؟ فيقولون: يا رَبَّنَا، ابْتُلِينَا فَصَبِرْنَا، وأنت أعلم، أحسبه، قال: ووليت الأموال والسلطانَ غَيْرَنا، فيقال: صدقتم، فيدخلون الجنة قبل سائر الناس بزمان، وتبقى شِدَّةُ الحساب على ذَوِي السلطان والأموال، قال: قلت: فأين المؤمنون يومئذ؟ قال: توضع لهم كراسيُّ من نور، ويُظَلِّلُ عليهم الغمامُ، ويكون ذلك اليومُ أقصرَ عليهم من ساعة من نهار، انتهى، وفي قوله تعالى: ﴿واللَّه بما تعملون بصير﴾: وعيدٌ وتحذير.

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿قد كانت لكم أسوة﴾ أي: قدوة ﴿في إبراهيم﴾: الخليل ﴿والذين معه﴾: قيل: مَنْ آمن به مِنَ الناس، وقال الطبريُّ وغيره[1]: ﴿الذين معه﴾: هم الأنبياء المعاصرون له أو قريباً من عصره، قال * ع[2] *: وهذا أرجح؛ لِأَنَّهُ لم يُرْوَ أَنَّ لإبراهيم

---

(١) ينظر: «**تفسير الطبري**» (١٢/ ٥٩).

(٢) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٥/ ٢٩٥).

أتباعاً مؤمنين في وقتِ مكافحته نمروداً، وفي البخاريِّ: أنه قال لسارةَ حين رحل بها إلى الشام مهاجراً من بلد النمرود: ما على الأرض مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ غيري وغيرُك، وهذه الأُسْوَةُ مُقَيَّدَةٌ في التبري من المشركين وإشراكهم، وهو مُطَّرِدٌ في كل مِلَّةٍ، وفي نبينا مُحَمَّدٍ ـ عليه السلام ـ أسوةٌ حسنةٌ على الإطلاق في العقائد وفي أحكام الشرع كُلِّها.

وقوله: ﴿كفرنا بكم﴾ أي: كذبناكم في عبادتكم الأصنامَ.

وقوله: ﴿إلاَّ قولَ إبراهيم لأبيه﴾ يعني: تأسوا بإبراهيم، إلاَّ في استغفاره لأبيه، فلا تتأسوا به فتستغفروا للمشركين، لأَنَّ استغفاره إنَّما كانَ عَنْ موعدةٍ وعدها/ إيَّاهُ؛ وهذا ١٥٣ أ
تأويل قتادة، ومجاهد، وعطاءٍ الخُرَاسَانِيِّ وغيرهم[١].

وقوله: ﴿ربنا عليك توكلنا﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ هو حكاية عن قول إبراهيم والذين معه، وهذه الألفاظ بَيِّنَةٌ مِمَّا تقدم في آي القرآن.

وقوله: ﴿ربنا لا تجعلنا فتنة﴾ قيل: المعنى: لا تغلبهم علينا، فنكونَ لهم فتنةً وسَبَبَ ضلالةٍ؛ نحا هذا المنحى قتادةُ وأبو مِجْلَزٍ[٢]، وقد تقدم مُسْتَوفًى في سورة يونس، وقال ابن عباس[٣]: المعنى: لا تسلِّطْهم علينا فيفتنونا عَنْ أدياننا، فكأَنَّه قال: لا تجعلنا مفتونين، فَعَبَّرَ عن ذلك بالمصدر، وهذا أرجح الأقوال؛ لِأَنَّهُمْ إنَّما دعوا لِأَنْفُسِهِم، وعلى منحى قتادة: إنما دعوا للكفار، أَمَّا أَنَّ مقصدَهم إنما هو أَنْ يندفع عنهم ظهورُ الكُفَّارِ الذي بسببه فِتَنُ الكُفَّارِ، فجاء في المعنى تحليقٌ بليغ.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾ ۞ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَاللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿لقد كان لكم [فيهم]﴾[٤] أي: في إبراهيم والذين معه، وباقي الآية

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٦٠) عن مجاهد برقم: (٣٣٩٤١) وعن قتادة برقم: (٣٣٩٤٣)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٩٥)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٣٤٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٣٠٤)، وعزاه لعبد بن حميد.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٦١)، برقم: (٣٣٩٤٧)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٩٦)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٣٤٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٣٠٤)، وعزاه لعبد بن حميد.

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٦١)، برقم: (٣٣٩٤٨)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٩٦)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٣٤٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٣٠٤)، وعزاه لابن المنذر، والحاكم وصححه.

(٤) سقط في: د.

بَيِّنٌ، وروي أَنَّ هذهِ الآياتِ لما نزلت، وَعَزَمَ المؤمنون على امتثالها، وَصَرْمِ حِبَالِ الكَفَرَةِ ـ لحقهم تَأَسُّفٌ وهمٌّ من أَجل قراباتهم؛ إِذ لم يؤمنوا، ولم يهتدوا، حَتَّى يكونَ بينهم التوادُدُ والتواصُلُ، فنزلت: ﴿عسى اللَّه...﴾ الآية: مؤنسةٌ في ذلك، ومُرْجِيةٌ أَنْ يقعَ، فوقع ذلك بإِسلامهم في الفتح، وصار الجميعُ إِخواناً، وعسى من اللَّه واجبةُ الوقوع.

* ت *: قد تقدم تحقيقُ القولِ في ﴿عسى﴾ في سورة القصص، فأغنى عن إِعادته.

﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ...﴾ الآية: اختلف في هؤلاء الذين لم يَنْهَ عنهم أَنْ يُبَرُّوا، فقيل: أراد المؤمنين التاركين للهجرة، وقيل: خُزَاعَةَ وقبائلَ من العرب، كانوا مظاهرين للنبي ﷺ/ ومُحِبِّينَ لظهوره، وقيل: أراد النساءَ والصبيان من الكَفَرَةِ، وقيل: أراد مِنْ كُفَّارِ قريش مَنْ لم يقاتلْ ولا أخرج، ولم يُظْهِرْ سُوءاً؛ وعلى أَنَّها في الكفار فالآية منسوخةٌ بالقتال، والذين قاتلوا في الدين وأخرجوهم هم مَرَدَةُ قريش. ١٥٣٠ ب

وقوله تعالى: ﴿يأَيها الذين آمنوا إِذا جاءكم المؤمنات مهاجرات﴾ الآيةُ نزلَتْ إِثرَ صلح الحديبية؛ وذلك أَنَّ ذلك الصلحَ تَضَمَّنَ أَنَّ مَنْ أتى مُسْلِماً من أهل مَكَّةَ، رُدَّ إِليهم، سَواءٌ كان رجلاً أو امرأةً، فَنَقَضَ اللَّهُ تعالى من ذلك أَمْرَ النساء بهذه الآية، وحكم بأَنَّ المهاجرة المؤمنةَ لا تُرَدُّ إِلى دار الكُفْرِ، و﴿امتحنوهن﴾: معناه: جربوهن واستخبروا حقيقةَ ما عندهنَّ.

وقوله تعالى: ﴿اللَّه أعلم بإِيمانهنَّ﴾ إِشارة إِلى الاسترابة ببعضهنَّ.

* ت *: وقوله تعالى: ﴿فإِنْ علمتموهن مؤمناتٍ...﴾ الآية: العلم هنا: بمعنى الظن، وذكر اللَّه تعالى العِلَّةَ في أَلاَّ يُرَدَّ النساءُ إِلى الكُفَّارِ وهو امتناعُ الوطء وحُرْمَتُهُ.

وقوله تعالى: ﴿وآتوهم ما أنفقوا. . .﴾ الآية: أمر بأَنْ يؤتى الكُفَّارُ مهورَ نسائهم التي هاجرنَ مؤمناتٍ، ورفع سبحانه الجناحَ في أَنْ يتزوجنَ بصدقاتٍ هي أجورهن، وأمر المسلمين بفراق الكافراتِ وألاَّ يتمسكوا بعصمهن، فقيل: الآية في عابداتِ الأوثان ومَنْ لا يجوزُ نكاحُها ابتداءً، وقيل: هي عامَّةٌ نُسِخَ منها نساءُ أهل الكتاب، والعِصَمُ: جمع عِصْمَة، وهي أسباب الصحبة والبقاء في الزوجية، وأمر تعالى أَنْ يسأل أيضاً المؤمنون: ما أنفقوا؟ فرُوِيَ عنِ ابن شهاب أَنَّ قريشاً لَمَّا/ بلغهم هذا الحكم، قالوا: نحن لا نرضى بهذا ١٥٤أ
الحكم، ولا نَلْتَزِمُهُ، ولا ندفع لأحد صَدَاقاً، فنزلت بسبب ذلك هذه الآيةُ الأخرى: ﴿وَإِنْ فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار. . .﴾ الآية: فأمر اللَّه تعالى المؤمنين أنْ يدفعوا إلى مَن فَرَّتْ زوجتُه ففاتتْ بنفسها إلى الكُفَّارِ صَدَاقَهُ الذي أنفق، واخْتُلِفَ: مِنْ أَيِّ مَالٍ يُدْفَعُ إليه الصَّدَاقُ؟ فقال ابن شهاب[1]: يُدْفَعُ إليه من الصدقات التي كانت تُدْفَعُ إلى الكفار بسبب مَنْ هاجر من أزواجهم، وأزال اللَّه دفعها إليهم حين لم يرضوا حكمه، قال * ع[2] *: وهذا قول صحيح يقتضيه قوله: ﴿فعاقبتم﴾ وقال قتادة[3] وغيره: يُدْفَعُ إليه من مغانم المغازي، وقال هؤلاء: التعقيب هو الغزو والمغنم، وقال ابن شهاب[4] أيضاً: يدفع إليه مِنْ أيِّ وجوه الفيء أمكن، والمعاقبة في هذه الآية ليستْ بمعنى مجازاة السوء بسوءٍ، قال الثعلبي: وقرأ مجاهد: «فَأَعْقَبْتُمْ»[5] وقال: المعنى: صنعتم بهم كما صنعوا بكم، انتهى، قال * ع[6] *: أي: وذلك بأنْ يفوت إليكم شيء من أزواجهم، وهكذا هو التعاقب على الجَمَلِ والدَّوَابِّ أنْ يركبَ هذا عقبة وهذا عقبة، ويقال: عاقب الرجلُ صاحِبَه في كذا، أي: جاء فِعْلُ كُلِّ واحد منهما بعقب فعل الآخر، وهذه الآيةُ كُلُّها قدِ ارتفع حكمها.

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٧١)، برقم: (٣٣٩٩٤)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٩٨)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٩٣)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٣٠٩)، وعزاه لعبد بن حميد، وأبي داود في «ناسخه»، وابن جرير، وابن المنذر.

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٩٨).

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٧٢)، برقم: (٣٤٠٠٠)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٩٨)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٩٣)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٣٠٩)، وعزاه لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد.

(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ٧٢)، برقم: (٣٤٠٠٣)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٩٨)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٣٥٢).

(٥) وقرأ بها الحسن.
ينظر: «مختصر الشواذ» ص: (١٥٦)، و«المحتسب» (٢/ ٣٢٠)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٢٩٨).

(٦) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٩٨).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾

وقوله عز وجل: ﴿يأيها النبيُّ إذا جاءك المؤمنات يبايعنك. . .﴾ الآية: هذه بيعة النساء في ثاني يوم الفتح على الصَفَا، وهي كانت في المعنى بَيْعَةِ الرجال قَبْلَ فرض القتال.

١٥٤ ب * ت *: وخرَّج البخاريُّ بسنده عن عائِشَةَ أَنَّ النبي ﷺ كَانَ/ يَمْتَحِنُ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ بِهٰذِهِ الآيَةِ: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ الآية[1].

وكذا روى البخاريُّ من طريق ابن عباس أَنَّهُ ـ عليه السلام ـ تَلاَ عَلَيْهِنَّ الآيةَ يَوْمَ الْفِطْر عَقِبَ الصَّلاَةِ[2]، وَنَحْوُهُ عن أُمِّ عطيةَ في البخاري: «وَقَرَأَ عَلَيْهِنَّ الآيَةَ أَيْضاً في ثَانِي يَوْمِ فَتْحِ مَكَّةَ»[3] وكلام * ع *: يُوهِمُ أَنَّ الآيةَ نزلت في بيعة النساء يومَ الفتح، وليس كذلك؛ وإِنَّما يريد أَنَّه أعاد الآيةَ على مَنْ لم يبايعه من أهل مَكّة؛ لِقُرْبِ عهدهم بالإِسلام، واللَّه أعلم، والإِتيان بالبهتان: قال أكثر المفسرين: معناه أَنْ تَنْسِبَ إِلى زوجها ولداً ليس منه، قال * ع[4] *: واللفظ أَعَمُّ من هذا التخصيص.

وقوله تعالى: ﴿ولا يعصينك في معروف﴾: يعم جميع أوامر الشريعة، فَرْضَهَا وَنَدْبَهَا، وفي الحديث: «أَنَّ جَمَاعَةَ نُسْوَةٍ قُلْنَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نُبَايِعُكَ عَلَى كَذَا وَكَذَا الآية، فَلَمَّا فَرَغْنَ قَالَ ﷺ: فِيمَا اسْتَطَعْتُنَّ وَأَطَقْتُنَّ، فَقُلْنَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَرْحَمُ بِنَا مِنَّا لِأَنْفُسِنَا»[5]. وقوله تعالى: ﴿فبايعهن﴾ أي: أمض لَهُنَّ صفقة الإِيمان؛ بأَنْ يُعْطِينَ ذلك من أنفسهن، ويُعْطَيْنَ عليه الجَنَّةَ، واخْتُلِفَ في هيئة مبايعته ﷺ النساءَ بعد الإِجماع على أَنَّهُ لم تَمَسَّ يَدُهُ يَدَ امرأة أجنبيَّةٍ قَطُّ؛ والمرويُّ عن عائشةَ وغيرِها: «أَنَّهُ بَايَعَ بِاللِّسَانِ قَوْلاً»، وقال: إِنَّما قَوْلِي

---

(١) أخرجه البخاري (٨/ ٥٠٤)، كتاب «التفسير» باب: إذا جاءك المؤمنات مهاجرات (٤٨٩١)، (٧/ ٥٢)، كتاب «المغازي» باب: غزوة خيبر (٤١٨٢)، ومسلم (٣/ ١٤٨٩)، كتاب «الإمارة» باب: كيفية بيعة النساء (١٨٦٦/٨٨)، وابن ماجه (٢/ ٩٥٩ ـ ٩٦٠)، كتاب «الجهاد» باب: بيعة النساء (٢٨٧٥)، وأحمد (٦/ ٢٧٠).

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٩٥).

(٣) أخرجه البخاري (٤٨٩٢).

(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٩٩).

(٥) أخرجه ابن ماجه (٢/ ٩٥٩)، كتاب «الجهاد» باب: بيعة النساء (٢٨٧٤).

لِمِائَةِ ٱمْرَأَةٍ كَقَوْلِي لامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ»[١].

و﴿قوماً غضب اللّه عليهم﴾: هم اليهود في قول ابن زيد وغيره[٢]، ويأسهم من الآخرة: هو يأسهم من نعيمها مع التصديق بها، وقال ابن عباس[٣]: ﴿قوماً غضب اللّه عليهم﴾: في هذه الآية/ كُفَّارُ قريش. ١٥٥أ

وقوله: ﴿كما يئس الكفار من أصحاب القبور﴾: على هذا التأويل هو على ظاهره في اعْتِقَادِ الكَفَرَةِ إِذَا مَاتَ لَهُمْ حَمِيمٌ قَالوا: هَذَا آخِرُ العَهْدِ بِهِ لاَ يُبْعَثُ أَبَداً.

---

(١) ينظر: حديث عائشة السابق في المبايعة.
(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٠٠).
(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٠٠).

[تَفْسِيرُ] سورةِ الصَّفِّ

وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ في قَوْلِ الجُمْهُورِ وَقِيلَ: مَكِّيَّةٌ

والأوّلُ أصَحُّ: لأنَّ معاني السُّورَة تَعْضُدُه ويُشْبِه أنْ يكونَ فِيها المكِّيّ والمدنيّ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿سبح للَّه ما في السمٰوات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم﴾ قد تقدَّمَ تفسيرُه، واخْتُلِفَ في السببِ الذي نزلتْ فيه: ﴿يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون﴾ فقال ابن عباس وغيره: نزلتْ بسببِ قَوْمٍ قالوا: لَوْ عَلِمْنَا أَحَبَّ العَمَلِ إلى اللَّهِ تعالى لسَارَعْنَا إليه، ففرضَ اللَّهُ الجهادَ وأعلَمَهُمْ بفَضْلِه؛ وأَنَّهُ يُحِبُّ المقَاتِلِينَ في سبيله كالبنيانِ المَرْصُوصِ، فَكَرِهَهُ قَوْمٌ منهم، وفَرُّوا يومَ الغزوِ فَعَاتَبَهُمُ اللَّهُ تعالى بهذه الآية[1]، وقال قتادة والضحاك: نزلتْ بسببِ جماعةٍ من شبابِ المسلمينَ كانوا يَتَحَدَّثُونَ عن أنفسِهم في الغزو بما لم يفعلوا[2]، قال * ع[3] *: وحُكْمُ هذهِ الآيةِ بَاقٍ غَابِرَ الدهرِ، وكلَّ مَنْ يقولُ ما لا يفعلُ فهو مَمْقُوتُ الكلامِ، والقولُ الأولُ يَتَرَجَّح بِمَا يأتي [من أمْرِ][4] الجهادِ والقتالِ، والمقتُ البغضُ، مِن أجل ذَنبٍ، أو رِيبَةٍ، أو دَنَاءَةٍ يَصْنَعُها الممقوتُ، وقول المرءِ

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٧٩)، برقم: (٣٤٠٤٣)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٠١)، وابن كثير (٤/ ٣٥٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٣١٧)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن مردويه.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٧٩)، برقم: (٣٤٠٤٦)، (٣٤٠٤٨)، وذكره البغوي (٤/ ٣٣٧)، وابن كثير (٤/ ٣٥٨).

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٠١).

(٤) في د: بأمر.

مَا لا يفعلُ مُوجِبٌ مَقْتَ اللَّهِ تعالى، ولذلك فرَّ كثيرٌ من العلماءِ عَنِ الوَعْظِ والتذكيرِ وآثرُوا السكوتَ،/ * قلت *: وهَذا بحسَبِ فِقْهِ الحالِ؛ إنْ وَجَدَ الإنسانُ مَنْ يكفِيه هذه المَؤُونَةَ ١٥٥ ب في وقتِهِ، فَقَدْ يَسَعُه السكوتُ وإلا فَلاَ يسعُه، قال الباجي في «**سنن الصالحين**» له: قال الأصمعي: بَلَغَنِي أَنَّ بَعْضَ الحكماءِ كَانَ يقول: إني لأَعظكُم وإنِّي لَكَثيرُ الذنوبِ، وَلَوْ أن أحَداً لاَ يَعِظُ أخاه حَتَّى يُحْكِمَ أَمْرَ نَفْسِهِ لتُرِكَ الأَمْرُ بالخيرِ، واقْتُصِرَ عَلى الشَّرِّ، ولكنَّ محادثةَ الإخوانِ حياةُ القلوبِ وجَلاَء النُّفُوسِ وتَذْكِيرٌ مِنَ النسيانِ، وقال أبو حازم: إني لأعـظ الناسَ وما أنا بمـوضعٍ للوَعْظِ[1]، ولكنْ أريدُ به نَفْسِي، وقَالَ الحسنُ لمطرف: عِظْ أصْحَابَكَ، فَقَالَ: إنِّي أخافُ أنْ أقولَ ما لا أفعل فقالَ: رحمك اللَّه؛ وأيُّنَا يَفْعَلُ ما يقول، وَدَّ الشيطانُ أنه لَو ظَفَرَ منكم بهذهِ فَلَمْ يأمُرْ أحدٌ منكم بمعروفٍ، وَلَمْ يَنْهَ عن منكر، انتهى.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ﴿٤﴾ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ لِمَ تُؤۡذُونَنِي وَقَد تَّعۡلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡۖ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿٦﴾ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُوَ يُدۡعَىٰٓ إِلَى ٱلۡإِسۡلَٰمِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٩﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿إن اللَّه يحب الذين يقاتلون في سبيله...﴾ الآية، قال معاذ بن جبل: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «مَنْ قَاتَلَ في سَبِيلِ اللَّهِ فَوَاقَ نَاقَةٍ فَقَدْ وَجَبَتْ له الجنة، وَمَنْ سَأَلَ اللَّهَ القَتْلَ مِنْ نَفْسِهِ صَادِقاً، ثُمَّ مَاتَ أَوْ قُتِلَ فَإِنَّ لَهُ أَجْرَ شَهِيدٍ»[2]،

---

(١) في د: للموعظ.

(٢) أخرجه أبو داود (٢/ ٢٥)، كتاب «الجهاد» باب: فيمن سأل اللَّه تعالى الشهادة (٢٥٤١)، والترمذي (٤/ ١٨٣)، كتاب «فضائل الجهاد» باب: ما جاء فيمن سأل الشهادة (١٦٥٤) مختصراً، والنسائي (٦/ ٢٥ ـ ٢٦)، كتاب «الجهاد» باب: ثواب من قاتل في سبيل اللَّه فواق ناقة (٣١٤١)، وابن ماجه (٢/ ٩٣٣ ـ ٩٣٤)، كتاب «الجهاد» باب: القتال في سبيل اللَّه سبحانه (٢٧٩٢)، والحاكم (٢/ ٧٧)، وابن حبان (١٠/ ٤٧٨ ـ ٤٧٩)، كتاب «السير» باب: فضل «الجهاد»: ذكر إيجاب الجنة لمن قاتل في سبيل اللَّه قل ثباته فيه أو كثر (٤٦١٨) مختصراً، وأخرجه البيهقي (٩/ ١٧٠)، كتاب «السير» باب: تمني الشهادة ومسألتها، وأحمد (٥/ ٢٣٠ ـ ٢٣١، ٢٣٥، ٢٤٣ ـ ٢٤٤)، وعبد الرزاق في «**المصنف**» (٥/ ٢٥٥)، كتاب «الجهاد» باب: الفرار من الزحف (٩٥٣٤)، والدارمي (٢/ ٢٠١)، كتاب «الجهاد» باب: من قاتل في سبيل اللَّه فواق ناقة.

=

مختصر رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، واللفظ لأبي داود، وقال الترمذي: هَذَا حديثٌ صحيحٌ انتهى من «**السلاح**»، ثُمَّ ذَكَرَ تعالى مقَالَةَ مُوسَى، وذلك ضربُ مَثَلٍ للمؤمنينَ؛ ليحذَرُوا مَا وَقَعَ فيه هؤلاء من العصيانِ وقولِ الباطل.

وقوله: ﴿لِمَ تُؤْذُونَنِي﴾ أي: بتعنيتِكم وعصيانِكم واقْتِرَاحَاتِكُم، وأسْنَدَ الزيغَ إليهم؛ لكونهِ فعلَ حطيطَةٍ، وهذا بخلافِ قوله تعالى:/ ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ [التوبة: ١١٨] فَأَسْنَدَ التَّوْبَةَ إليه سبحانَه؛ لِكَوْنِهَا فعلَ رِفْعَةٍ، و«زاغ» معناه مَالَ وصَارَ عُرْفُهَا في الميلِ عن الحق، و﴿أَزَاغَ اللَّه قلوبَهم﴾ معناه طَبَعَ عليْهَا وكثُرَ مَيْلُها عنِ الحقِّ؛ وهذهِ هي العُقُوبَةُ عَلَى الذَّنْبِ بِالذَّنْبِ. ١٥٦أ

وقوله: ﴿ومبشراً برسولٍ يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾ قال عياض في «**الشفا**»: سَمَّى اللَّه تعالى نبيَّه في كتابه محمداً وأحمدَ؛ فأما اسمه أحمد، فـ«أَفْعَلُ» مبالغةً من صفةِ الحَمْدِ، ومُحَمَّد «مُفَعَّل» من كثرةِ الحمدِ، وسمى أمَّته في كتب أنبيائِه بالحمَّادينَ؛ ثم في هذين الاسمين من عجائب خصائصِه سبحانه وبدائع آياته؛ أنه سبحانه حَمَى أن يتسمَّى بهما أَحَدٌ قَبْلَ زمانِه، أما أحمد الذي أتى في الكتب وبشَّرَتْ به الأنبياء؛ فمنع سبحانه أن يَتَسَمَّى به أحد غيرُه؛ حتى لا يدخلَ بذلكَ لَبْسٌ عَلى ضعيفِ القلبِ؛ وكذلك محمَّد أيضاً لم يَتَسَمَّ به أحد من العرب ولا غيرهم إلى أن شَاعَ قبيلَ وجودِه ﷺ وميلادِه أَنَّ نبيًّا يبعثُ اسمهُ محمد؛ فسمَّى قومٌ قليلٌ من العرب أبناءَهم بذلك؛ رجاءَ أَنْ يكونَ أحدُهم هو، وهُم محمد بن أحيحة الأوسي، ومحمد بن مسلمة الأنصاري، ومحمد بن براء البكري، ومحمد بن سفيان باليمن، ويقولون: بل محمد بن اليحمد من الأزد، ومحمد بن سوادة منهم؛ لا سابعَ لهم، ولم يَدَّعِ أحد من هؤلاء النبوَّة أو يظهرْ عليْهِ سببٌ يشكِّكُ الناس، انتهى، وروى أنس بن مالك عن النبي ﷺ أَنَّه قَالَ: «لاَ تُسَمُّوا أَوْلاَدَكُمْ مُحَمَّداً ثُمَّ تَلْعَنُونَهُمْ»[1]، رواه الحاكم/ في «**المستدركِ**»، انتهى من «**السلاح**». ١٥٦ب

وقوله سبحانه: ﴿فلما جاءهم بالبينات...﴾ الآية: يحتملُ أن يريدَ «عيسى» ويحتملُ

= قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وله إسناد صحيح على شرط الشيخين مختصراً.

وفي الباب: شاهد عن عمرو بن عنبسة، أخرجه أحمد (٤/ ٣٨٧)، (٦/ ٤٤٣ ـ ٤٤٤) عن أبي الدرداء.

(١) ذكره الهيثمي في «**المجمع**» (٨/ ٥١)، وقال: رواه أبو يعلى، والبزار، وفيه الحكم بن عطية، وثقه ابن معين، وضعفه غيره، وبقية رجاله رجال «**الصحيح**».

أن يريدَ محمداً ﷺ لأنه تقدَّمَ ذكرُه، * ت *: والأول أظهر.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿يأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم...﴾ الآيَةَ: نَدْبٌ وَحَضٌّ على الجِهادِ بهذهِ التجارةِ التي بَيَّنَهَا سبحانه، وهي أن يبذلَ المرءُ نفسَه ومالَه، ويأخذ ثمناً جنةَ الخلدِ، وقرأ ابن عامر[1] وحده: «تُنَجِّيكُمْ» ـ بفتحِ النونَ وَشَدّ الجيم ـ.

وقوله: ﴿تُؤْمِنُونَ﴾ معناه: الأمر، أي: آمنوا، قال الأخفش: ولذلكَ جاء «يَغْفِرْ» مجزُوماً، وفي مصحفِ ابن مسعودٍ: «آمِنُوا باللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجَاهِدُوا». وقوله: ﴿ذٰلِكُمْ﴾ إشارةٌ إلى الجهاد والإيمان، و﴿خَيْرٌ﴾ هنا يحتملُ أن يكونَ للتفضِيل، فالمَعْنَى: من كل عمل، ويحتملُ أن يكون إخباراً أنَّ هذا خيرٌ في ذاتهِ، و﴿مسَاكِن﴾ عَطْفٌ عَلَى ﴿جَنَّات﴾ وَطِيبُ المسَاكِنِ: سِعَتُها وجمالُها، وقيل: طِيبُها المعرفةُ بدوام أمرِها.

﴿وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿وأخرى تحبونها...﴾ الآية، قال الأخفش، ﴿وَأُخْرَى﴾ هي في موضع خَفْضٍ عطفاً على ﴿تِجَارَةٍ﴾، وهَذَا قَلِقٌ، وقد ردَّه الناس، لأنَّ هذه الأُخْرَى ليستْ مِمَّا دَلَّ عليه سبحانه إنما هي مما أُعْطِيَ ثمناً وجزاءً على الإيمانِ والجهادِ بالنفس والمَالِ، وقَالَ الفَرَّاء: ﴿وأخْرَى﴾ في موضِع رفعٍ، وقيل: في موضع نصبٍ بإضمار فعل تقديرُه: ويدخلكم جناتٍ ويمنحُكم أُخْرَى؛ وهي النصرُ والفتحُ القريب، وقصةُ عِيسَى مع بني إسرائيل قد تقدَّمت.

وقوله تعالى: ﴿فَأَيَّدْنَا الذين آمنوا على عدوهم﴾ قِيلَ ذلك قبل محمد ـ عليه السلام ـ/ وَبَعْدَ فترةٍ منْ رفع عِيسَى؛ رَدَّ اللَّهُ الكَرَّةَ لمنْ آمن بهِ فَغَلَبُوا الكَافرينَ الذين قَتَلُوا صَاحِبَه الذي أُلقيَ عَلَيْهِ الشَّبَهُ، وقيل: المعنى فأصبحوا ظاهرين بالحجةِ. ١٥٧أ

---

(١) ينظر: القرطبي (١٨/ ٥٧)، وابن عطية (٥/ ٣٠٤)، و«البحر المحيط» (٨/ ٢٦٠).

[تَفسِيرُ] سُورَةِ الجُمُعَةِ

وهِيَ مَدَنِيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يسبح للَّه ما في السمٰوات وما في الأرض﴾ تقدَّم القولُ في مثلِ ألفاظِ الآيةِ، والمرادُ بالأمِّيِّينَ جميعُ العربِ، واخْتُلِفَ في المَعْنِيِّين بقوله تعالى: ﴿وآخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ فقال أبو هريرةَ وغيره: أراد فارس[1] «وَقَد سُئِلَ رسولُ اللَّه ﷺ: مَنِ الآخَرُونَ؟ فَأَخَذَ بيدِ سُلَيْمَانَ، وقال: لَوْ كَانَ الدِّينُ في الثُّرَيَّا لَنَالَهُ رِجَالٌ مِنْ هَؤُلاَءِ» خرَّجه مسلم والبخاريّ[2]، وقال ابن زيدٍ ومجاهدٌ والضحاكُ وغيرهم: أرادَ جميعَ طوائفِ الناس[3]، فقوله: ﴿مِنْهُمْ﴾ على هذين القولين إنما يُرِيدُ في البشريةِ والإيمانِ، وقال مجاهد أيضاً وغيره: أراد التابعين من أبناء العرب، فقوله: ﴿مِنْهُمْ﴾ يُرِيدُ في النَّسَبِ والإيمان.

وقوله: ﴿لما يلحقوا﴾ نَفْيٌ لما قَرُبَ مِنَ الحَالِ، والمَعْنَى أنهم مُزْمِعُونَ أنْ يلحقوا، فهي «لَمْ» زِيدَتْ عَلَيْهَا «ما» تأكِيداً.

و﴿الذين حُمِّلُوا التوراةَ﴾ هم بنو إسرائيل الأحبارُ المعاصرون للنبي ﷺ، و﴿حُمِّلُوا﴾ معناه كُلِّفُوا القيامَ بأوامرِها ونواهيها، فهذا كما حُمِّلَ الإنسانُ الأمانَةَ، وذكر تعالى أنهم لم يحملوها، أي: لم يُطِيعُوا أمْرَها ويَقِفُوا عند حدودِها حين كذَّبُوا نبيَّه محمداً ﷺ، والتوراةُ

(١) أخرجه البخاري حديث (٤٨٩٧).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٩٠ ـ ٩١)، برقم: (٣٤٠٨٨)، (٣٤٠٨٩) عن ابن زيد، ومجاهد، وغيرهم، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٠٧)، والبغوي (٤/ ٣٣٩)، وابن كثير (٤/ ٣٦٣)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٣٢١)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر عن مجاهد، وعزاه لابن المنذر عن الضحاك.

تنطقُ بنبوتهِ، فكان كلُّ حَبْرٍ لم ينتَفِعْ بما حُمِّلَ كَمَثَلِ حِمَارٍ عليه أسفارٌ، وفي مصحف ابن مسعود[1]/ «كَمَثَلِ حِمَارٍ» بِغَيْرِ تعريفٍ، والسِّفْرُ الكتَابُ المجتمعُ الأوراقِ منضدة. ١٥٧ ب

وقوله: ﴿بِئْسَ مثل القوم﴾ التقدير: بِئْسَ المثلُ مثلُ القوم الذين كذبوا بآياتِ اللَّه، * ص *: وَرُدَّ بأَنَّ فيه حذفَ الفاعلِ ولا يجوزُ، والظاهرُ أَنَّ ﴿مَثَلُ القَوْمِ﴾ فَاعِلُ ﴿بِئْسَ﴾، و﴿الذينَ كَذَّبُوا﴾ هو المخصوصُ بالذَّمِّ على حذف مضافٍ؛ أي: مَثَلُ الذينَ كذَّبوا، انتهى.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿قل يأيها الذين هادوا إن زعمتم...﴾ الآية، رُوِيَ أنها نزلتْ بسبب أنَّ يهودَ المدينةِ لَمَّا ظَهَرَ رسولُ اللَّه ﷺ، خَاطَبُوا يهودَ خيبرَ في أمره، وذكرُوا لهم نبوَّتَه، وقالوا إن رأيتم اتِّبَاعَهُ أَطَعْنَاكُمْ وإنْ رأيتم خِلاَفَه خَالَفْنَاه معكم، فجاءهَم جوابُ أَهْلِ خيبرَ يقولونَ: نحن أبناءُ إبراهيمَ خليلِ الرحمٰنِ؛ وأبناءُ عزيرِ بن اللَّهِ ومنا الأنبياءُ، ومتى كَانَتْ النبوةُ في العرب؟، نحن أحقُّ بالنبوةِ من محمدٍ، ولا سبيلَ إلى اتباعهِ، فنزلتِ الآية بمعنى: أنكم إذا كنتم منَ اللَّهِ بهذه المنزلةِ فَقُرْبُهُ وفراقُ هذه الحياةِ الخسيسةِ أحبُّ إليكم، فَتَمَنَّوْا الموتَ إن كنتم تَعْتَقِدُون في أنفسِكم هذه المنزلة، ثم أخبر تعالى أنهم لا يتمنونه أبداً لعلمِهم بسوءِ حالِهم، ورَوَى كثيرٌ من المفسرينَ أن اللَّه ـ جَلَّتْ قُدْرَتُه ـ جَعَلَ هذه الآيةَ معجزةً لمحمدٍ نبيِّه ﷺ فِيهم، فَهِيَ آيةٌ باهرةٌ؛ وأعلَمَه أنه إن تمنى أحدٌ منهمُ الموتَ في أيام معدوداتٍ مَاتَ وفَارَقَ الدنيا، فقال رسول اللَّه ﷺ تَمَنَّوُا الموتَ، على جهةِ التعجيزِ وإظهار الآيةِ، فما تَمَنَّاهُ أحد منهم خَوْفاً/ من الموتِ وثقةً بصدقِ نبيِّنا محمدٍ ﷺ. ١٥٨ أ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿يأيها الذين آمنوا إذا نودي للصلوة﴾ الآية، النداءُ: الأذانُ، وكان على الجِدَارِ في مسجدِ رسول اللَّه ﷺ، وفي «**مصنف أبي داود**»: كَانَ بَيْنَ يَدَي النَّبِيِّ ﷺ

---

(١) ينظر: «**مختصر الشواذ**» ص: (١٥٦)، و«**المحرر الوجيز**» (٥/٣٠٧)، و«**البحر المحيط**» (٨/٢٦٣)، و«**الدر المصون**» (٦/٣١٦).

وهو عَلى المنبر أذَانُ، ثم زادَ عثمانُ النداءَ عَلَى الزوراء ليسمعَ الناسُ.

* ت *: وفي البخاريّ والترمذيِّ وصححه عن السائبِ بن يزيد قَالَ: كَانَ النداءُ يومَ الجمعةِ أوَّلُه إذا جَلَسَ الإمام على المنبر؛ على عهد النبي ﷺ وأبي بكرٍ وعمرَ، فلما تَوَلَّى عثمانُ وكثرَ الناسُ، زَادَ الأذَانَ الثالثَ فأذَّنَ به على الزَّورَاءِ[1]، فَثَبَتَ الأَمْرُ على ذلك[2]، قِيل: فقوله «الثالثَ» يَقْتَضِي أنَّهمُ كَانُوا ثلاثةً، وفي طريقٍ آخرَ «الثاني» بدَلَ «الثالث» وهو يَقْتَضِي أنَّهُمَا اثنانِ، انتهى، وخرَّجَ مسلم عن أبي هريرةَ عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنِ ٱغْتَسَلَ، ثمَّ أَتَى الجُمُعَةَ، فَصَلَّىٰ مَا قُدِّرَ لَهُ، ثم أَنْصَتَ لِلإِمَامِ حَتَّىٰ يَفْرُغَ مِنْ خُطْبَتِهِ، ثُمَّ يُصَلِّي مَعَهُ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجُمُعَةِ الأُخْرَىٰ، وَفَضْلُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ»[3] انتهى، وخرَّجَهُ البخاريُّ من طريقِ سُلَيْمَان.

وقوله: ﴿مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ﴾ قال ابن هشام: «من» مرادفةِ «في»، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿فاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ...﴾ الآية، السعيُ في الآيةِ لاَ يُرَادُ به الإِسْرَاعُ في المشي، وإنما هو بمعنى قوله: ﴿وأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى﴾ [النجم: ٣٩] فالسَّعْيُ هو بالنِّيةِ والإِرَادَةِ والعَمَلِ؛ مِنْ وُضُوءٍ، وغُسْلٍ، وَمَشْيٍ، ولُبْسِ ثوبٍ؛ كُلُّ ذلكَ سَعْيٌ، وَقَدْ قَالَ مالكٌ وغيره: إنما تُؤْتَى الصلاةُ بالسَّكِينَةِ، * ت *: وهو نصُّ الحديثِ الصحيحِ، وهُوَ قوله ﷺ في الصلاة:/ «فَلاَ تَأْتُوهَا وَأَنْتُمْ تَسْعَوْنَ وَأْتُوهَا [و] عَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ»، * ت *: والظاهرُ أنَّ المرادَ بالسعيِ هُنا المُضِيُّ إلى الجمعةِ، كما فسَّره الثعلبيُّ، ويدلُّ على ذلكَ إطلاقُ العلماءِ لفظَ الوجوبِ عَلَيْهِ، فيقولونَ السَّعْيُ إلَى الجمعةِ واجبٌ، ويدلُّ عَلَى ذلك قراءةُ عمرَ وعليٍّ وابنِ مسعودٍ وابن عمر وابنِ عباس وابن الزبير وجماعة من التابعين[4]:

١٥٨ ب

---

(١) الزَّوْرَاءُ: دار عثمان بن عفان بالمدينة. وقيل: موضع عند سوق المدينة قرب المسجد. ينظر: «مراصد الاطلاع» (٦٧٤).

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٤٦١)، كتاب «الجمعة» باب: التأذين عند الخطبة (٩١٦)، وأبو داود (١/ ٣٥٢ ـ ٣٥٣)، كتاب «الصلاة» باب: النداء يوم الجمعة (١٠٨٧)، والترمذي (٢/ ٣٩٢)، كتاب «الصلاة» باب: ما جاء في أذان الجمعة (٥١٦)، والنسائي (٣/ ١٠٠ ـ ١٠١)، كتاب «الجمعة» باب: الأذان للجمعة (١٣٩٢)، (١٣٩٣ ـ ١٣٩٤) نحوه، وابن ماجه (١/ ٣٥٩)، كتاب «إقامة الصلاة والسنة فيها» باب: ما جاء في الأذان يوم الجمعة (١١٣٥).
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) ينظر: «مختصر الشواذ» ص: (١٥٧)، و«المحتسب» (٢/ ٣٢٢)، و«الكشاف» (٤/ ٥٣٤)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٣٠٩)، و«البحر المحيط» (٨/ ٢٦٥).

«فَامْضُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ» وقال ابن مسعود: لَوْ قَرَأْتُ: ﴿فاسْعَوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ لأَسْرَعْتُ حَتَّى يَقَع رِدَائي، وقال العِرَاقِيُّ: ﴿فاسْعَوا﴾ معناه بَادِروا، انتهى، وقوله: ﴿إلى ذِكر اللَّه﴾ هووعظُ الخطبةِ؛ قاله ابن المسيب، ويؤيدُه قوله ﷺ في الحديث الصحيح: «إِذَا كَانَ يومُ الجمعةِ، كَانَ عَلَىٰ كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ المَسْجِدِ مَلاَئِكَةٌ يَكْتُبُونَ الأَوَّلَ فالأَوَّلَ، فَإِذَا جَلَسَ [الإمَا]مُ طَوَوُا الصُّحُفَ، وجَاؤُوا يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ» الحديثُ خَرَّجَهُ البخاريُّ ومسلم، واللفظُ لمسلم، والخُطْبَةُ عِنْدَ الجمهورِ شَرْطٌ في انعقادِ الجمعةِ»[1]، وعن أبي موسى الأشعري أن رسولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ ـ عزَّ وجلَّ ـ يَبْعَثُ الأَيَّامَ يومَ القيامةِ عَلَىٰ هَيْئَتِهَا، وَيَبْعَثُ الجُمُعَةَ زَهْرَاءَ مُنِيرَةً، أَهْلُهَا مُحِفُّونَ بِهَا؛ كالْعَرُوسِ تُهْدَىٰ إِلَى كريمَها، تُضِيءُ لهم؛ يَمْشُونَ في ضَوْئِهَا؛ أَلْوَانُهُمْ كالثَّلْجِ بَيَاضاً، وَرِيحُهُمْ يَسْطَعُ كَالْمِسْكِ، يَخُوضُونَ في جِبَالِ الكَافُورِ، يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ الثَّقَلاَنِ، مَا يَطْرِفُونَ تَعَجُّباً، يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ لاَ يُخَالِطُهُمْ إِلاَّ المُؤَذِّنُونَ المُحْتَسِبُونَ» خَرَّجَهُ القاضِي الشريفُ أبو الحسنِ علي بن عبد اللَّهِ بن إبراهيمَ الهاشميّ، قال صاحبُ «التذكرة»[2]: وإسنادهُ صحيح، انتهى.

وقوله سبحانه: ﴿ذَلِكُمْ﴾ إشارةٌ إلى السعي وتَرْكِ/ البَيْعِ. ١٥٩ أ

وقوله: ﴿فانْتَشِرُوا﴾ أجمعَ الناسُ على أنَّ مُقْتَضَى هذا الأمْرِ الإباحةُ، وكذلك قوله: «وابتَغُوا من فضل اللَّه» أنَّه الإبَاحَة في طلب المعاش، مثلَ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ [المائدة: ٢] إلا مَا رُوِيَ عن أنس عن النبي ﷺ أنه قال: «ذلكَ الفضْلُ المُبْتَغى هو عيادةُ مريضٍ، أو صِلَةُ صديقٍ، أو اتِّباعُ جنازةٍ»، قال * ع[3] *: وفي هذا ينبغي أنْ يكونَ المرءُ بقيةَ يومِ الجمعةِ، ونحوه عن جعفر بن محمد، وقال مكحول: الفضلُ المبْتَغَى: العلمُ فينبغي أن يُطْلَبَ إثْرَ الجمعةِ.

---

(١) إنما اشترط تقديم الخطبتين، لأن النبي ﷺ لم يفعلها إلا كذلك مع خبر: «صلوا كما رأيتموني أصلي»، ولإجماع السلف والخلف على ذلك.
ومخالفة الحسن البصري باجتهاده في جوازها بعد الصلاة، شاذة مردودة، لأنها بعد انعقاد الإجماع فهي غير معتبرة، ولأنها شرط، والشرط مقدم على المشروط، وقال الشيخ الرملي: وللتمييز بين الفرض والنفل، وليدرك الصلاة من يدرك الخطبة، ولظاهر قوله تعالى: ﴿فإذا قُضيت الصلاةُ فانتشِروا في الأرض﴾، أباح الانتشار بعدها، ولو جاز تأخيرها لما أباح الانتشار.
وقال في «شرح المهذب»: ثبتت صلاته ﷺ بعد الخطبتين، وروى الشيخان عن ابن عمر قال: كان رسول اللَّه ﷺ يخطب يوم الجمعة خطبتين يجلس بينهما.

(٢) ينظر: «التذكرة» (١/ ٢٦٢).

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٠٩).

وقوله تعالى: ﴿واذكروا اللَّه كثيراً...﴾ الآية، قال معاذ بن جبل: مَا شَيْءٌ أَنْجَىٰ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ[1]: رواه الترمذي واللفظُ له، وابنُ ماجَه، والحاكمُ في «المستدرك»؛ وقال صحيحُ الإسناد، انتهى من «السلاح».

وقوله سبحانه: ﴿وإذا رأوا تجارة أَو لهواً...﴾ الآية، نزلتْ بسبب أن رسولَ اللَّه ﷺ كانَ قائِماً على المنبرِ يَخْطُبُ يومَ الجمعةِ، فأقبلت عِيرٌ مِنَ الشَّامِ تحملُ مِيرةً، وصاحبُ أمْرِهَا دِحْيَةُ بن خليفةَ الكلبي، قال مجاهد: وكانَ مِن عُرْفِهِمْ أن تَدْخُلَ عِيرُ المدينةِ بالطَّبْلِ والمعازفِ، والصياحِ سروراً بها، فدخلتْ العيرُ بمثلِ ذلكَ، فانْفَضَّ أهْلُ المسجدِ إلى رؤيةِ ذلكَ وسماعِه؛ وتركُوا رسولَ اللَّه ﷺ قائماً عَلَى المنبرِ، ولم يَبْقَ معه غَيْر اثنَيْ عَشَرَ رَجُلاً[2]، قال جابر بن عبد اللَّه: أنا أحَدُهُم، قال * ع[3] *: ولم تَمُرَّ بِي تَسْمِيتُهم في ديوانٍ فيما أذْكُرُ الآنَ، إلا أنِّي سمعتُ أبي ـ رحمه اللَّه ـ يقولُ: همُ العشرةُ المشهودُ لهم بالجنةِ، واخْتُلِفَ في الحادِيَ عَشَرَ، فقيل: عمارُ بن ياسر، وقيل: ابن مسعودٍ، * ت *: وفي تقييد أبي الحسنِ الصغير: والاثْنَا عَشَر الباقون[4]/ همُ الصحابةُ العَشَرَةُ، والحادِيَ عَشَرَ: بلالٌ، واخْتُلِفَ في الثاني عشر، فَقِيل: عمار بن ياسرٍ، وقيل: ابن مسعود، انتهى، قال السهيلي: وجَاءَتْ تسميةُ الاثْنَي عَشَرَ في حديثِ مُرْسَلٍ رواه أسد بن عمرو والدُ موسى بن أسد، وفيه: أنَّ رسول اللَّه ﷺ لَمْ يَبْقَ معه إلا أبو بكرٍ وعُمَرُ وعثمانُ؛ حتى العشرةِ، وقَال: وبلالٌ وابن مسعود، وفي روايةٍ: عمارُ بَدلَ ابنِ مسعودٍ، وفي «مَرَاسِيلِ أبي داودَ» ذكر السببَ الذي من أجله تَرَخَّصُوا، فقال: إن الخطبةَ يوم الجمعةِ كَانَتْ بعدَ الصلاةِ فَتَأَوَّلُوا ـ رضي اللَّه عنهم ـ أنهم قَدْ قَضَوْا مَا عَلَيْهِمْ، فَحوِّلَتْ الخطبةُ بعدَ

١٥٩ ب

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٢٤٥)، كتاب «الأدب» باب: فضل الذكر (٣٧٩٠)، عن أبي الدرداء أن النبي ﷺ قال: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأرضاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إعطاء الذهب والورق، ومن أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟» قالوا: وما ذاك يا رسول اللَّه! قال: «ذكر اللَّه».
وقال معاذ بن جبل: «ما عمل امرؤ بعمل أنجى له من عذاب اللَّه عزّ وجل؛ من ذكر اللَّه».
وأخرجه الترمذي (٥/ ٤٥٩) (٣٣٧٧) نحوه، قال الترمذي: وقد روى بعضهم هذا الحديث عن عبد اللَّه بن سعيد مثل هذا الإسناد وروى بعضهم عنه فأرسله، وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٩٦)، وقال: هذا صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٩٩)، برقم: (٣٤١٤٦)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٠٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٣٣١)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر.

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٠٩).

(٤) في د: الباقين.

ذلك قبلَ الصلاةِ، فهذا الحديثُ وإن كانَ مُرْسَلاً فالظن الجميلُ بأصْحَابِ النبي ﷺ يُوجِبُ أنْ يكونَ صحيحاً، واللَّه أعلم؛ انتهى، ورُوِيَ أنَّ النبيَّ ﷺ قَال: «لَوْلاَ هؤلاءِ لَقَدْ كَانَتِ الحِجَارَةُ سُوِّمَتْ على المُنَفضِّينَ من السماءِ»، وفي حديثٍ آخر: «والَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ تَتَابَعْتُمْ حَتَّىٰ لاَ يَبْقَىٰ أَحَدٌ لسَالَ بِكُمُ الوَادِي نَاراً[1]»، قَالَ البخاريُّ: ﴿ٱنفَضُّوا﴾ معناه تَفَرَّقُوا، انتهى، **وقرأ** ابن مسعود[2]: «وَمِنَ التِّجَارَةِ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ» وإنما أعاد الضميرَ في قوله: ﴿إِلَيْهَا﴾ على التجارةِ وَحْدَهَا لأنَّهَا أهَمُّ، وهي كَانَتْ سَبَبَ اللَّهوِ، * ص *: وقرىء[3] «إِلَيْهِمَا» بالتثنيةِ.

---

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦)، برقم: (٦٤٩٥).

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٣١٠).

(٣) ينظر: «الكشاف» (٤/ ٥٣٧)، و«البحر المحيط» (٨/ ٢٦٥)، و«الدر المصون» (٦/ ٣١٨).

[تَفْسِيرُ] سُورَةِ «المُنَافِقُونَ»

وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ بِإِجْمَاعٍ

ونَزَلَتْ في غزوةِ بني المصْطَلِقِ، بسبَبِ أنَّ ٱبْنَ أُبَيٍّ ٱبْن سَلُولَ كَانَتْ له في تلك الغَزْوَة أقْوَالٌ منكَرَة، وسيأتِي بيانُ ذلك؛ إنْ شاءَ اللَّهُ.

[بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ](١)

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾﴾

١٦٠أ قوله عز وجل: ﴿إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول اللَّه...﴾ الآية/ فَضَحَ اللَّهُ سرائرَ المنافقين بهذهِ الآيةِ، وذلكَ أنهم كَانُوا يقولُون للنبي ﷺ: نَشْهَد إِنَّكَ لَرَسُولِ اللَّهِ؛ وهم في إخبارِهم هَذَا كَاذِبُونَ؛ لأَنَّ حَقِيقَةَ الكذبِ أن يُخْبِرَ الإنْسَانُ بِضِدِّ مَا في قَلْبِهِ، وهذِه كَانَتْ حالُهُم؛ وقَرَأَ الناس: «أيْمَانِهِم» جمعُ يمينٍ، **وقرأ** الحسنُ(٢): «إِيمَانَهُمْ» ـ بِكَسْرِ الهمزةِ ـ، والجُنَّةُ: مَا يُتَسَتَّرُ به في الأَجْرَامِ والمعَانِي.

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشَارَةٌ إلى فعلِ اللَّهِ بِهِمْ في فَضْحِهُم وتَوْبِيخِهم، ويحتملُ أنْ تكونَ الإشارةُ إلى سوء ما عَمِلوا، فالمعنَى سَاءَ عَمَلُهُمْ بأنْ كَفَرُوا بَعْدَ إيمانٍ.

﴿۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾﴾

---

(١) سقط في: د.

(٢) قال أبو الفتح: هذا على حذف المضاف، أي: اتخذوا إظهار إيمانهم جنة.
ينظر: «المحتسب» (٢/ ٣٢٢)، و«الكشاف» (٤/ ٥٣٩)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٣١١)، و«البحر المحيط» (٨/ ٢٦٧).

وقوله تعالى: ﴿وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم﴾ هذا توبيخٌ لهم؛ إذ كَانَ مَنْظَرُهم يَرُوقُ جَمَالاً وقولُهُم يَخْلِبُ بَيَاناً؛ لكنَّهم كالخشبِ المُسَنَّدَة؛ إذْ لاَ أفْهَامَ لهم نافعةً، وكانَ عبدُ اللَّه بْنُ أُبَي ابْنِ سَلُولَ مِنْ أبْهَى المنافقينَ، وأطولِهِم، ويدلّ على ذلك أنه لَمْ يوجَدْ قميصٌ يكْسُو العباسَ غير قَميصِه، قال الثعلبيُّ: ﴿تُعْجِبُكَ أجْسَامُهُم﴾ لاسْتِوَاءِ خَلْقِهَا وطُول قَامَتِهَا وحُسْنِ صُورَتِها، قَال ابن عباس: وَكَانَ عَبْدُ اللَّه بن أُبَيٍّ جَسِيماً صَبِيحاً فَصِيحاً ذَلِقَ اللِّسَانِ، فَإِذَا قَالَ سَمِعَ النبيُّ ﷺ قوله[1]، ووصفهم اللَّه تعالى بتمام الصورةِ وحُسْنِ الإبَانَةِ، ثم شبَّهَهُم بالخُشُبِ المسنَّدَةِ إلى الحائِط، لا يَسْمَعُونَ وَلاَ يَعْقِلُونَ أشْبَاحٌ بِلاَ أرْوَاحٍ، وأجْسَامٌ بِلاَ أحْلاَم، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿يحسبون كل صيحة عليهم﴾ هَذَا أيضاً فَضْحٌ لِمَا كَانُوا يُسِرُّونَه مِنَ الخَوْفِ/ وَذَلِكَ أنَّهُمْ كَانُوا يَتَوَقَّعُونَ أنْ يأمرَ النبيُّ ﷺ عَنِ اللَّهِ بِقَتْلِهِمْ، قال مقاتل: فكانوا ١٦٠ ب
متَى سَمِعُوا نُشْدَانَ ضالةٍ، أو صِيَاحاً بأيِّ وَجْهٍ، أو أُخْبِرُوا بِنُزُولِ وَحْيٍ طَارَتْ عقُولُهم حتَى يسْكُنَ ذِلَك ويكونَ في غَيْرِ شأنهم، ثم أخبرَ تعالى بأنهم همُ العدوُّ وحَذَّرَ منهم.

وقوله تعالى: ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّه﴾ دُعَاء يَتَضَمَّنُ الإقْصَاءَ والمُنَابَذَةَ لهم، و﴿أنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ معناهُ كَيْفَ يُصْرَفُونَ.

وقوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول اللَّه...﴾ الآية، سَبَبُ نُزُولِها أنَّ النَّبِيَّ ﷺ غَزَا بني المُصْطَلِق، فَازْدَحَمَ أجيرٌ لِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ يُقَالُ لَهُ «جَهْجَاهٌ» مَعَ سِنَانِ بْنِ وَبَرَةَ الجُهَنِيِّ، حَلِيفٌ لِلأنْصَارِ، عَلَى الْمَاءِ فَكَسَعَ جَهْجَاهٌ سِنَاناً فَتَثَاوَرَا، ودَعَا جَهْجَاهُ: يَا لِلْمُهَاجِرِينَ، وَدَعَا سِنَانٌ: يَا لِلأنْصَارِ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّه ﷺ فَقَال: مَا بَالُ دَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ؟ فَلَمَا أُخْبِرَ بالقصةِ، قال: دَعُوهَا؛ فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ، فقال عبد اللَّه بن أُبَيٍّ: أَوَقَدْ فَعَلُوهَا؟ واللَّهِ، مَا مَثَلُنَا وَمَثَلُ جَلاَبِيبِ قُرَيْشٍ إلاَّ كَما قَال الأوَّلُ: سَمِّنْ كَلْبَكَ يَأْكُلْكَ، وقال: لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ مِنْها الأذَلَّ، ثُمَّ قَال؛ لِمَنْ معه مِنَ المنافقينَ: إنَّما يُقيمُ هؤلاءِ المهاجرونَ مَعَ محمدٍ بِسَبَبِ مَعُونَتِكمْ لَهم، ولَوْ قَطَعْتُمْ ذَلِكَ عنهم؛ لَفَرُّوا، فَسَمِعَهَا منه زيدُ بن أرقم، فأخْبَرَ النبيَّ ﷺ بذلك، فَعَاتَبَ رسولُ اللَّه ﷺ عبدَ اللَّه بن أُبَيٍّ عِنْدَ رجالٍ مِنَ الأنْصَارِ، فبلغَه ذلك، فَجَاءَ وَحَلَفَ مَا قَالَ ذلك، وحَلَفَ معَهُ قَوْمٌ مِنَ
/ المُنَافِقِينَ، وكَذَّبُوا زيداً، فَصَدَّقَهُمُ النبيُّ ﷺ فَبَقِيَ زَيْدٌ في منزلهِ لاَ ينصرفُ حَيَاءً مِنَ الناسِ ١٦١ أ
فَنَزَلَتْ هذهِ السورةُ عِنْد ذَلِكَ، فبعثَ النبيُّ ﷺ إلَى زَيْدٍ وقال لهُ: لَقَدْ صَدَقَكَ اللَّهُ يَا زَيْدُ،

---

(١) ذكره البغوي (٤/ ٣٤٨).

فَخزِيَ عِنْدَ ذَلِكَ عبدُ اللَّه بن أُبَيٍّ ومَقَتَه الناسُ ولاَمه المؤمِنونَ من قومِه، وقال له بعضهم: امْضِ إلى رسول اللَّه ﷺ واعْتَرِفْ بذنبكَ يَسْتَغْفِرْ لَكَ، فَلَوَىٰ رَأْسَهُ إِنْكَاراً لهذا الرَّأْيِ، وقال لهم: لقد أشَرْتُمْ علي بالإيمان فآمنتُ، وأَشَرْتُمْ علي بأنْ أعطِيَ زَكَاةَ مالِي فَفَعَلتُ، وَلَمْ يَبْقَ لكم إلا أن تأمروني بالسجود لِمحمَّدٍ، فهذا قَصَصُ هذه السورة مُوجَزاً، وقَرأَ نافعٌ والمفضَّل عن عاصم: «لَوَوْا» ـ بتخفيف الواوِ ـ **وقرأ** الباقون بتشديدِها.

وقوله تعالى: ﴿سواءٌ عليهم أَسْتَغْفَرْتَ لهم...﴾ الآية، رويَ أنه لما نزلتْ ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠] قال رسول اللَّه ﷺ: لأَزِيدَنَّ على السبعينَ، وفي حديثٍ آخَرَ: لَوْ عَلِمْتُ أَنِّي لَوْ زِدْتُ على السبعينَ لَغَفَرَ لَهُمْ لَزِدْتُ، وفي هذا الحديثِ دليلٌ عَلَى رَفْضِ دليلِ الخطابِ، فَلَمَّا فعل ابْنُ أُبَيٍّ وأصحابهُ مَا فَعَلُوا شَدَّدَ اللَّه عليهم في هذه الآيةِ، وأَعْلَم أَنَّه لَنْ يَغْفِرَ لهم دونَ حَدٍّ في الاسْتِغْفَارِ.

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿هُمُ الَّذِينَ﴾ إشارةٌ إلى ابن أُبَيٍّ ومَنْ قَالَ بقوله، ثم سفه تعالى أحلامَهم في أن ظَنُّوا أنَّ إنْفَاقَهم هو سَبَبُ رزقِ المهاجرينَ، ونَسَوا أن جَرَيَانِ الرزقِ بِيَدِ اللَّهِ تعالى؛ إذَا انْسَدَّ بابٌ انْفَتَحَ غَيْرُه ثم أعْلَمَ تعالى أنَّ العزةَ لِلَّهِ ولرسولِهِ وللمؤمنِين، وفي ذلكَ وعيدٌ وَرُوِي/ أن عبدَ اللَّه بن عبدِ اللَّه بن أُبَيٍّ وكَانَ رَجُلاً صَالِحاً لَمَّا سَمِعَ الآيَةَ، جَاءَ إلى أبيه فَقَالَ له: أنْتَ واللَّهِ يا أَبَتِ الذليلُ، ورَسُولُ اللَّهِ العزيزُ، وَوَقَفَ عَلَى بَابِ السِّكَّةِ التي يَسْلُكُها أبوه، وجَرَّدَ السَّيْفَ وَمَنَعَهُ الدُّخُولَ، وقال: واللَّهِ لاَ دَخَلْتَ إِلَىٰ مَنْزِلِكَ إلاَّ أنْ يأْذَنَ في ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ، وعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ في أذَلِّ حَالٍ، وَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ أنْ خَلِّهِ يَمْضِي إِلَىٰ مَنْزِلِهِ، فَقَالَ: أمَّا الآنَ، فَنَعَمْ. ١٦١ ب

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿يأيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر اللَّه...﴾ الآية، الإلهاءُ: الاشْتِغَالُ بِمَلَذ وَشَهْوَةٍ، وذكرُ اللَّه هنا عامٌّ في الصلوات، والتوحيدِ،

والدعاء، وغيرِ ذلكَ مِنْ مَفْرُوضٍ، ومنْدُوبٍ، وكذلك قوله تعالى: ﴿وأنفقوا من ما رزقناكم﴾ عامٌّ من المفرُوضِ والمندوبِ؛ قاله جماعة من المفسرينَ، قال الشيخ أبو عبد الرحمٰن السلمي في كتاب «**عيوب النفس**»: وَمِنْ عيوبِها تضييعُ أوقاتِها بالاشْتِغَالِ بما لا يَعْنِي مِنْ أُمورِ الدُّنْيا، والخَوْضِ فيها مَعَ أهلِها، ومُدَاوَاتُها أنْ يَعْلَمَ أنَّ وَقْتَه أعزُّ الأشياءِ فَيَشْغَلَه بِأَعَزِّ الأَشْيَاءِ، وهو ذِكْرُ اللَّهِ، والمُدَاوَمَةُ على الطاعةِ ومطالبةُ الإخْلاَصِ من نفسهِ؛ فإنَّه رُوِيَ عنِ النبي ﷺ أنَّه قال: «مِنْ حُسْنِ إسْلاَمِ المَرْءِ تَرْكُه مَالاَ يَعْنِيهِ»[1] وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ مَنْصُورٍ: عَلَيْكَ بنفسِكَ فَإِنْ لَمْ تَشْغَلْها شَغَلَتْكَ، انتهى.

وقولهُ: ﴿لولا أخرتني إلى أجل قريب﴾ طَلَبٌ لِلْكَرَّةِ والإمهَالِ، وسَمَّاه قَرِيباً لأنَّه آتٍ، وأيْضاً فإنَّما يتمنى ذلك لِيقْضِيَ فيه العملَ الصالحَ فَقَطْ/ وليس يتَّسِعُ الأَمَلُ حينئذٍ ١٦٢أ لِطَلَبِ العَيْشِ ونظرته. وقوله: ﴿وأكن من الصالحين﴾ ظاهرَه العمُومُ، وقال ابن عباس: هو الحج[2] وَرَوَى الترمذيُّ عنه أنَّه قال: مَا مِنْ رَجُلٍ لاَ يُؤَدِّي الزَّكَاةَ وَلاَ يَحُجُّ إلاَّ طَلَبَ الْكَرَّةَ عِنْدَ مَوْتِهِ[3]، قَال الثعلبيُّ: قَال ابن عباس: ﴿إلى أجل قريب﴾ يريدُ مِثْلَ آجالِنَا في الدنيا[4]، انتهى، **وقرأ** أبو عمرو[5]: «وَأَكُونَ»، وفي قوله تعالى: ﴿ولَنْ يؤَخِّر اللَّهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُها﴾ حَضٌّ عَلَى المُبَادَرَةِ ومُسَابَقَةِ الأَجَلِ بالعملِ الصالحِ.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ١١٠ ـ ١١١)، بأرقام (٣٤١٨١ ـ ٣٤١٨٢، ٣٤١٨٥)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣١٥)، والبغوي (٤/ ٣٥١)، وابن كثير (٤/ ٣٧٣)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ٣٤١)، وعزاه لابن المنذر.

(٣) أخرجه الترمذي (٥/ ٤١٨)، كتاب «التفسير» باب: ومن سورة المنافقون(٣٣١٦)، وابن جرير (١٢/ ١١٠) (٣٤١٨٢)، وذكره السيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ٣٤٠)، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني.

(٤) ذكره الفخر الرازي (١٠/ ١٧).

(٥) ينظر: «**السبعة**» (٦٣٧)، و«**إعراب القراءات**» (٢/ ٣٦٩)، و«**حجة القراءات**» (٧١٠)، و«**العنوان**» (١٩١)، و«**شرح الطيبة**» (٦/ ٥٦)، و«**شرح شعلة**» (٦٠٣)، و«**إتحاف**» (٢/ ٥٤٠)، و«**معاني القراءات**» (٣/ ٧١).

[تَفسِيرُ] سُورَةِ «التَّغَابُنِ»

وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ وَقَالَ آخَرُونَ: مَكِّيَّةٌ

إلا مِنْ قوله - عزَّ وجلَّ -: ﴿يأيها الذين آمنوا إن من أزواجكم﴾ إلى آخر السورة، فإنه مَدَنِيٌّ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن﴾ أي: في أصْلِ الخِلْقَةِ[1]، وهذا يَجْرِي مع قول المَلَكِ: يَا رَبِّ، أَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ، الحَدِيثَ، وذَلِكَ في بطنِ أمهِ، وقيل: الآيةُ تعديدُ نِعَم، فقولُه: ﴿هُو الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ هَذِهِ نعمةُ الإيجَاد، ثم قال: ﴿فمنكم كافر﴾ أي: بهذِه النِّعْمَةِ؛ لجهلهِ باللَّهِ، ﴿ومنكم مؤمِنٌ﴾ باللَّهِ، والإيمانُ بهِ شُكْرٌ لنعمتِه، فالإشَارةُ عَلى هذَا التأويلِ في الإيمانِ والكفرِ، هي إلى اكتسابِ العَبْدِ؛ وهذا قولُ جماعة، وقيلَ غيرُ هذا.

وقوله تعالى: ﴿خلق السمٰوات والأرض بالحق﴾ أي: لم يخلقْها عَبَثاً ولاَ لغيرِ مَعْنى.

وقوله تعالى: ﴿فأَحسن صوركم﴾ هو تعديدُ نِعَم، والمرادُ الصورةُ الظاهرة، وقيل: المرادُ صورةُ الإنسانِ المعنويَّةِ من حيثُ هو إنسانٌ مُدْرِكٌ عاقلٌ، والأولُ أجْرَى على لغةِ العرب.

---

(١) في د: الحقيقة.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ۝٦ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٨ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝٩ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝١٠﴾

وقوله تعالى: ﴿ألم/ يأتكم﴾ جَزْمٌ أصْلُه «يأتيكم» والخطابُ في هذهِ الآيةِ لقريشٍ، ١٦٢ ب
ذُكِّرُوا بِمَا حَلَّ بِعَادٍ وثمودَ، وغيرهم ممن سَمِعَتْ قريشٌ بِأخبارِهم، وَوَبَالُ الأمْرِ: مكروهُه وما يسوء منه.

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بأنَّه﴾ إشارة إلى ذَوْقِ الوَبَالِ، وباقي الآية بَيِّنٌ.

وقوله تعالى: ﴿زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا﴾ يريدُ قُريشاً، ثم هِي بَعْدُ تَعُمّ كلَّ كافرٍ بالبعثِ، ولا تُوجَدُ (زَعَمَ) مستعملةً في فصيحِ الكلامِ إلا عبَارَةً عَنِ الكَذِبِ، أو قولٍ انْفَرَدَ به قائلُه.

وقوله سبحانه: ﴿فآمنوا باللَّه ورسوله والنور الذي أنزلنا﴾ هذه الآيةُ دعاء من اللَّهِ، وتبليغٌ وتحذيرٌ مِنْ يَوْمِ القِيَامَةِ، والنُّورُ القرآنُ ومعانيه، ويومُ الجَمْعِ هو يومَ القيامَةِ، وهُو يومُ التغابُنِ يَغْبِنُ فِيهِ المؤمِنُونَ الكافرينَ، نَحا هذا المَنْحَى مُجَاهِد وغيره[1].

﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝١١ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ۝١٢ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ۝١٣﴾

وقوله تعالى: ﴿ما أصاب من مصيبة﴾ يحتملُ أنْ يريدَ المصائِبَ التي هي رَزَايا، ويحتملُ أنْ يريدَ جميعَ الحوادثِ من خيرٍ وشر، والكلُّ بإذْنِ اللَّهِ، والإذنُ هنا عبارةٌ عَنِ العلمِ والإرَادَةِ وتَمْكِينُ الوقوع.

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ١١٥)، برقم: (٣٤١٩١)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣١٩)، وابن كثير (٤/ ٣٧٥)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٣٣٤)، وعزاه للفريابي، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر عن مجاهد.

وقوله سبحانه: ﴿ومن يؤمن باللَّه يهد قلبه﴾ قال فيه المفسرون: المعنَى ومَنْ آمنَ وعَرَفَ أنَّ كلَّ شَيْءٍ بِقَضَاءِ اللَّه وقَدَرِه وَعِلْمِهِ، هانتْ عَلَيْهِ مصيبتُه وسلَّم لأمْرِ اللَّه تعالى.

وقوله تعالى: ﴿فإن توليتم﴾ إلى آخر الآية، وعيدٌ وتَبْرِئَةٌ لِلنبي ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾

وقوله: ﴿يأيها الذين آمنوا إن من أزواجكم﴾ إلى آخر السورةِ قرآنٌ مدنيٌّ واخْتُلِفَ في سَبَبِهِ، فقال عطاء بن أبي رباح: إنَّه نَزَلَ في عَوْفِ بن مَالكٍ الأشْجَعِيِّ؛ وذلك أنَّهُ أراد غَزْواً مع النبيِّ ﷺ، فاجْتَمَعَ أَهْلُهُ وأولاده، وتَشَكَّوْا إِلَيْه فِرَاقَهُ، فَرَقَّ لهُمْ فَثَبَّطُوهُ ولم/ يَغْزُ، ثم إنَّه نَدِمَ وهَمَّ بمعاقبتِهم، فنزلتِ الآية[1] بسببه محذِّرةً مِن الأزْوَاجِ والأولاد وفتنتِهم. ثم صَرَفَ تَعالَى عَنْ معاقبتِهم بقوله: ﴿وإن تعفوا وتصفحوا﴾ وقال بعضُ المفسرينَ: سببُ الآيةِ أنَّ قوماً آمنُوا وثَبَّطَهُمْ أزْوَاجُهم وأولادُهم عَنْ الهِجرةِ فَلَمْ يُهَاجِروا إلا بَعْدَ مدةٍ، فَوَجَدُوا غيرَهم قد تَفَقَّه في الدين، فَنَدِمُوا وهَمُّوا بمعاقبةِ أزواجِهم وأولادِهم، ثم أَخْبَرَ تعالى أن الأمْوَالَ والأولادَ فتنةٌ تَشْغَلُ المرءَ عَنْ مَرَاشِدِهِ، وتَحْمِلُه مِنَ الرَّغْبَةِ في الدنيا عَلَى مَا لاَ يَحْمَدُه في آخرتِه، ومنه قوله ﷺ: «الوَلَدُ مَبْخَلَةٌ مُجْبَنَةٌ»[2]، وخَرَّجَ أبو داود حديثاً في مصنفه «أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ كانَ يَخْطُبُ يَوْمَ الجمعةِ عَلى المِنْبَرِ حَتَّى جَاءَ الحَسَنُ والحسينُ عليهما قميصان أحمرانَ يجرانِهما، يعْثُرَانِ ويَقُومَانِ، فَنَزَلَ رسول اللَّه ﷺ عَنِ المنبرِ حَتَّى أَخَذَهُمَا، وصَعِدَ بِهِمَا، ثم قَرَأَ: ﴿إنما أمْوالُكُمْ وأولادكم فتنة...﴾ الآية، وقَال: إني

١٦٣ أ

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ١٧٧)، برقم: (٣٤٢٠١)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٢٠).

(٢) رواه ابن ماجه عن عبد اللَّه بن سلام قال: جاء الحسن والحسين يستبقان إلى النبي ﷺ فضمهما إليه، وذكره، وللعسكري والحاكم عن الأسود بن خلف أنّ النبي ﷺ أخذ حسناً فقبله، ثم أقبل عليهم فقال: إن الولد مَجْبَنَة مبخلة، وأحسبه قال: مَجْهلة، وللعسكري أيضاً: عن أشعثَ بن قيس قال: مررت على النبي ﷺ، فقال لي: «ما فعلت بنتُ عمّك» قلت: نُفِسَتْ بغلام، وواللَّه لوددت أن لي به سبعة، فقال: «أما لَئِنْ قلتَ إنهم لَمَجبنة مَبْخَلَة، وإنهم لقرة العين وثمرة الفؤاد»، وله أيضاً عن عمر بن عبد العزيز، قال: زعمت المرأة الصالحة خولة ابنة حكيم، أن رسول اللَّه ﷺ خرج وهو يحتضن حسناً أو حسيناً، وهو يقول: «إنكم لَتُجَبِّنون وتُجَهِّلون، وإنكم لَمِن ريحان اللَّه»، وأخرجه أبو يعلى والبزار بسند ضعيف عن أبي سعيد بلفظ: «الولد ثمرةُ القلب، وإنه مَبْخلة مَجْبنة مَحْزَنة».
ينظر: «كشف الخفاء» (٢/ ٤٧٠).

رأيتُ هذينِ فَلَمْ أصْبِرْ، ثم أخَذَ في خُطْبَتِهِ»[(١)]، قال * ع[(٢)] *: وهذهِ ونحوُها هِي فتنةُ الفُضَلاَءِ، فأما فتنةُ الجُهَّالِ الفَسَقَةِ؛ فَمُؤَدِّيَةٌ إلى كلِ فعلٍ مُهْلِكٍ، وفي «**صَحِيحَي البخاري ومسلم**» عن أبي ذرٍ قال: انتهيتُ إلى النبيِّ ﷺ وَهُوَ يَقُول: «هم الأخْسَرُونَ، وَرَبِّ الكَعْبَةِ، هُمُ الأخْسَرُونَ، وَرَبِّ الكَعْبَةِ، قُلْتُ: مَا شَأْنِي أيرى فيَّ شَيْئاً؟ فَجَلَسْتُ وَهُوَ يَقُولُ؛ فَمَا اسْتَطَعْتُ أنْ أسْكُتَ وتَغَشَّانيَ مَا شَاء اللَّهُ فَقُلْتُ: مَنْ هُمْ بأبي أنتَ وأمي يا رسولِ اللَّهِ؟ قال: هُمُ الأكْثَرُونَ مَالاً إلاَّ مَنْ قَالَ هَكَذَا وهَكَذَا وَهَكَذَا»[(٣)]/ وفي رواية: «إن الأكْثَرِينَ هم الأقَلُّونَ يَوْمَ القِيَامَةِ إلاَّ مَنْ قَال بِالمَالِ، هَكَذَا وهَكَذَا، ـ وأشَارَ ابنُ شِهَابٍ بَيْنَ يَدَيْهِ وعن يمينه وعَنْ شماله ـ، وقَلِيلٌ مَاهُمْ» انتهى، واللفظ للبخاريّ. ١٦٣ ب

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿فاتقوا اللَّه ما استطعتم﴾ تَقَدَّمَ الخلافُ هَلْ هذه الآيةُ نَاسِخَةٌ لقوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران: ١٠٢] أو لَيْسَتْ بناسخةٍ، بل هي مُبَيِّنَةٌ لها،

---

(١) أخرجه أبو داود (١/ ٣٥٨)، كتاب «الصلاة» باب: الإمام يقطع الخطبة للأمر يحدث (١١٠٩)، والترمذي (٥/ ٦٥٩)، كتاب «المناقب» باب: مناقب الحسن والحسين عليهما السلام (٣٧٧٤)، والنسائي (٣/ ١٠٨)، كتاب «الجمعة» باب: نزول الإمام عن المنبر قبل فراغه من خطبته وقطعه كلامه ورجوعه إليه يوم الجمعة (١٤١٣)، (٣/ ١٩٢)، كتاب «العيدين» باب: نزول الإمام عن المنبر قبل فراغه من الخطبة (١٥٨٥)، وابن ماجه (٢/ ١١٩٠)، كتاب «اللباس» باب: لبس الأحمر للرجال (٣٦٠٠)، وأحمد (٥/ ٣٥٤).
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٢) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٥/ ٣٢٠).

(٣) أخرجه البخاري (١١/ ٦٣)، كتاب «الاستئذان» باب: من أجاب بلبيك وسعديك (٦٢٦٨)، (١١/ ٥٣٣)، كتاب «الأيمان والنذور» باب: كيف كان يمين النبي ﷺ (٦٦٣٩)، ومسلم (٢/ ٦٨٦)، كتاب «الزكاة» باب: تغليظ عقوبة من لا يؤدي الزكاة (٣٠/ ٩٩٠)، والترمذي (٣/ ٣)، كتاب «الزكاة» باب: ما جاء عن رسول اللَّه ﷺ في منع الزكاة من التشديد (٦١٧)، والنسائي (٥/ ١٠)، كتاب «الزكاة» باب: التغليظ في حبس الزكاة (٢٤٤٠)، وأحمد (٥/ ١٥٢، ١٥٨ ـ ١٥٩)، والبيهقي (٤/ ٩٧)، كتاب «الزكاة» باب: جماع أبواب صدقة البقر السائمة، (١٠/ ٢٧)، كتاب «الأيمان» باب: الحلف باللَّه عز وجل أو اسم من أسماء اللَّه عز وجل، وابن خزيمة (٤/ ٩)، كتاب «الزكاة» باب: صفات ألوان عذاب مانع الزكاة إلى يوم القيامة، قبل الفصل بين الخلق، نعوذ باللَّه من عذابه (٢٢٥١)، والحميدي (١/ ٧٧)، برقم: (١٤٠)، وأبو نعيم في «**حلية الأولياء**» (٧/ ٣٦٤).
قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وأن المَعْنَى: اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ فِيمَا اسْتَطَعْتُمْ؛ وهذا هو الصحيح، قال الثعلبي: قال الربيع بن أنس: ﴿ما استطعتم﴾ أيْ: جَهْدَكُمْ، وقيل: معناه: إذا أمْكَنَكُمْ الجهادُ والهجرةُ، فَلا يُفْتِنَنَّكُمُ المَيْلُ إلى الأمْوالِ والأوْلاَدِ، واسْمَعُوا ما تُوعظونَ به، وأطِيعُوا فيما تؤمَرُون به[1]، انتهى.

وقوله سبحانه: ﴿ومن يوق شح نفسه﴾ تَقَدَّم الكلامُ عليه، وأسْنَد أبو بكر بن الخطيب من طريقِ أبي هريرةَ وأبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «السَّخَاءُ شَجَرَةٌ في الجَنَّةِ، وأَغْصَانُها في الدُّنْيَا، فَمَنْ كَانَ سَخِيًّا أَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْهَا؛ فَلَمْ يَتْرُكْهُ الغُصْنُ حَتَّىٰ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، والشُّحُّ شَجَرَةٌ في النَّارِ وَأَغْصَانُهَا في الأَرْضِ، فَمَنْ كَانَ شَحِيحاً، أَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا، فَلَمْ يَتْرُكْهُ الغُصْنُ حَتَّىٰ يُدْخِلَهُ النَّارَ»[2] انتهى، وَباقِي الآية بيِّنٌ.

---

(١) ذكره ابن كثير (٤/ ٣٧٧)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٦/ ٣٤٦)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٢) أخرجه البيهقي في **«شعب الإيمان»** (٧/ ٤٣٤ ـ ٤٣٥) (١٠٨٧٥) عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده، و (١٠٨٧٧) عن أبي هريرة، وذكره العجلوني في **«كشف الخفاء»** (١/ ٥٤٥)، وزاد نسبته إلى الديلمي في **«الأفراد»**.

[تَفسِيرُ] سُورَةِ الطَّلاَقِ

وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ

[بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ](١)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۢ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يأيها النبيُّ إذا طلَّقتم النساء﴾ أي: إذا أرَدْتُم طلاقَهُنَّ؛ قاله الثعلبيّ وغيره: ﴿فطلقوهن لعدتهن﴾ وطَلاَقُ النساء حَلُّ/ عِصْمَتِهِنَّ، وصورَةُ ذلك وتَنْويعِه مِما لا ١٦٤أ
يَخْتَصُّ بالتفسيرِ، ومعنى ﴿فطلقوهن لعدتهن﴾ أي: لاسْتِقْبَالِ عِدَّتِهِن، وعبارةُ الثعلبيِّ: أي: لِطُهْرِهِنَّ الذي يُحْصِينَه مِنْ عِدَّتِهِنَّ، وهُو طُهْرٌ لَمْ يجامعْهَا فيه، انتهى، قال * ع(٢) *: ومعنى الآيةِ أنْ لاَ يُطَلِّقَ أحَدٌ امرأتَه إلا في طُهْرٍ لَمْ يَمَسَّها فِيهِ، وهَذَا على مَذْهَبِ مالكٍ ومن قال بقوله؛ القائلينَ بأن الأَقْرَاءَ عندَهم هي الأَطْهَارُ، فَيُطَلِّقُ عَنْدَهم المُطَلِّقُ في طُهْرٍ لم يمسَّ فيه، وتَعْتَدُّ به المرأةُ، ثم تَحِيضُ حَيْضَتَيْنِ تَعْتَدّ بالطهْرِ الذي بَيْنَهُمَا ثُمَّ تُقِيمُ في الطُّهْرِ الثَّالِثِ مُعْتَدَّةً بِهِ، فإذا رأت أوّلَ الحَيْضَةِ الثالثةِ حَلَّتْ، وَمَنْ قَالَ بأنَّ الأَقْرَاءَ: الحَيْضُ وَهُمْ العِرَاقِيُّونَ، قَالَ: ﴿لِعِدَّتِهن﴾ مَعْنَاهُ أنْ تُطَلَّقَ طَاهِراً فَتَسْتَقْبِلُ بِثَلاَثِ حَيْضٍ كَوامِلَ فإذَا رَأَتْ الطُّهْرَ بَعْدَ الثالثة، حَلَّتْ، والأَصْلُ في مَنْعَ طَلاَقِ الحَائِضِ حَدِيث ابنِ عمرَ، ثم أمر تَعَالى بإحْصَاء العِدَّةِ لِمَا يَلْحَقُ ذلك من أحكام الرَّجْعَةِ والسُّكْنَى، والميراثِ، وغير ذلك، وعبارة الثعلبي: ﴿وَأَحْصُوا العِدَّةَ﴾ أي: احْفَظُوا عَدَدَ قُرُوئِها الثلاثةِ وَنَحْوَه تفسيرُ ابن العربيّ؛ قال:

---

(١) سقط في: د.

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٢٣).

قوله تعالى: ﴿وأحصوا العدةَ﴾ معْنَاهُ احْفَظُوا الوَقْتَ الَّذِي وَقَعَ فِيه الطَّلاَقُ لِمَا يَتَرَتَّبُ عَلَى ذلكَ من الأحكامِ، انتهى من «**أحكامه**»، ثم أخبرَ تعالى بأنهنّ أحَقُّ بسكنى بيوتِهن التي طُلِّقْنَ فيها فَنَهَى سبحانَه عن إخراجِهنَّ وعَنْ خُروجِهنّ، وسنةُ ذلك ألا تَبِيتَ عَن بيتِها ولا تَغِيبَ عنهُ نهاراً إلا في ضرورةٍ ومَا لا خَطْبَ لَه من جائِز/ التصرُّفِ، وذلك لحفظِ النَّسَبِ والتحرُّزِ بالنسَاء، واختُلِفَ في معنى قوله تعالى: ﴿إلا أن يأتين بفاحشة مبينة﴾ فقال الحسن وغيره: ذلك الزِّنَا فَيُخْرَجْنَ للحَدِّ[1]، وقال ابن عباس: ذلك البَذَاءُ عَلَى الأَحْمَاءِ، فَتَخْرُجَ ويَسْقُطَ حَقُّها مِنَ المسكنِ، وتلزم الإقامَة في مسكنٍ تَتَّخِذُه حفظاً للنسبِ[2]، وفي مصحف[3] أُبَيٍّ «إلا أنْ يَفْحُشْنَ عَلَيْكُمْ» وعبارةُ الثعلبيّ: عن ابن عباسٍ: «إلا أنْ تَبْذُوَ عَلَى أَهْلِهَا فَيَحِلُّ لَهُمْ إِخْرَاجُهَا»، انتهى، وهو معنى ما تقدم، وقرأ الجمهور: «مُبَيِّنَة» ـ بكسر الياءِ ـ، تقول بَانَ الشيءُ وَبَيَّنَ بمعنًى واحدٍ إلا أن التضعيفَ للمبَالَغَةِ، **وقرأ** عاصم[4]: «مُبَيَّنة» ـ بفتح الياءِ ـ.

١٦٤ ب

وقوله سبحانه: ﴿وتلك حدود اللَّه﴾ إشارَةٌ إلى جميع أوامِرِه في هذه الآيةِ.

وقوله تعالى: ﴿لا تدري لعل اللَّه يحدث بعد ذلك أمراً﴾ قال قتادة وغيره: يريد به الرَّجْعَةَ، أي: أحْصُوا العدةَ وامْتَثِلُوا مَا أُمِرْتُمْ به تَجِدُوا المُخَلِّصَ إن ندمتم؛ فإنكم لا تدرونَ لعلّ الرَّجْعَةَ تكونُ بَعْدُ[5].

وقوله تعالى: ﴿فإذا بلغن أجلهن﴾ يريدُ به آخر القروء، ﴿فأمسكوهن بمعروف﴾ وهُو حُسْنُ العِشْرَةِ، ﴿أو فارقوهن بمعروف﴾ [وهُو] أداء جَميعِ الحقوقِ، والوَفاءُ بالشُّروطِ حَسَبَ نَازِلَةٍ نَازِلَةٍ، وعبارة الثعلبي: ﴿فإذا بلغن أجلهن﴾ أي: أشْرَفْنَ على انْقِضَاء عدتهن، انتهى وهو حسن.

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ١٢٥ ـ ١٢٦)، برقم: (٣٤٢٥٢)، و (٣٤٢٥٥)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٢٣)، وابن كثير (٤/ ٣٧٨)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ٣٥٢)، وعزاه لعبد بن حميد عن الحسن.

(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٢٣)، وابن كثير (٤/ ٣٧٨)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ٣٥٢)، وعزاه لعبد الرزاق، وسعيد بن منصور، وابن راهويه، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن مردويه.

(٣) ينظر: «**الكشاف**» (٤/ ٥٥٥)، و«**المحرر الوجيز**» (٥/ ٣٢٣).

(٤) ينظر: «**العنوان**» (١٩٢)، و«**المحرر الوجيز**» (٥/ ٣٢٣)، وإنما قرأ بها عاصم من رواية أبي بكر، وكذلك قرأ بها ابن كثير.

(٥) أخرجه الطبري (١٢/ ١٢٨)، بأرقام (٣٤٢٦٤، ٣٤٢٦٦)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٢٣)، وابن كثير (٤/ ٣٧٨).

وقوله تعالى: ﴿وأشهدوا ذوى عدل منكم﴾ يريدُ: على الرَّجْعَةِ وذلك شَرْطٌ في صحة الرَّجْعَةِ، وتَمْنَعُ المرأةُ الزَّوْجَ مِنْ نَفْسِهَا حَتّى يُشْهِدَ، وقال ابن عباس: عَلَى الرَّجْعَةِ والطلاقِ مَعاً[1]، قال النخعي: العَدْلُ مَنْ لم تظهرْ منه رِيبة[2]، والعدلُ حَقِيقَةً/ الذي لا يخاف إلا اللَّهَ. ١٦٥أ

وقوله سبحانه: ﴿وأقيموا الشهادة للَّه﴾ أمْرٌ للشهودِ.

وقوله: ﴿ذٰلكم يوعظ به﴾ إشارةٌ إلى إقامة الشهادةِ؛ وذلك أنّ فُصُولَ الأَحْكَامِ تدور على إقامة الشهادةِ.

وقوله سبحانه: ﴿ومن يتق اللَّه يجعل له مخرجاً * ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ قال بعض رواة الآثار، نزلتْ هذه الآيةُ في عَوْفِ بن مالك الأشجعي؛ أُسِرَ ولدُه وقُدِرَ عليه رزقُه، فَشَكَا ذلكَ إلى النبي ﷺ، فَأَمَرَه بالتَّقْوَى، فلم يلبثْ أن تَفَلَّتَ ولدُه وأَخَذَ قطيعَ غَنَم للقومِ الذين أَسَرُوه، فَسَأَلَ عَوْف النبيَّ ﷺ: أَتَطِيبُ لَهُ تِلْكَ الغَنَمُ؟ فقال: نَعَمْ[3]، قال أبو عمر بن عبد البر: قال النبيُّ ﷺ: «أبى اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ أنْ يَجْعَلَ أَرْزَاقَ عِبَادِهِ المُؤْمِنِينَ إلاَّ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُونَ»[4] وقال ـ عليه السلام ـ لابن مسعود: «لاَ يَكْثَرْ هَمُّكَ، يَا عَبْدَ

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ١٢٩)، برقم: (٣٤٢٧٦)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٢٤).

(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٢٤)، والسيوطي في «الدر المنثور»، وعزاه لسعيد بن منصور، وعبد بن حميد.

(٣) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٩٢).
قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ا هـ.
قال الذهبي ـ معقباً على كلام الحاكم ـ: بل منكر وعباد رافضي جبل، وعبيد متروك، قاله الأزدي. ا هـ.

(٤) ذكره العجلوني في «كشف الخفاء» (١/ ٣٤ ـ ٣٥)، بلفظ: «أبى اللَّه أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يعلم»، وقال في «التمييز» تبعاً للأصل: أخرجه الديلمي من حديث أبي هريرة من رواية عمر بن راشد وهو ضعيف جداً، وقال البيهقي: ضعيف بالمرة، وأورده ابن الجوزي في «الموضوعات»، وزاد في الأصل: ورواه القضاعي في «مسنده» فقال: اجتمع أبو بكر، وعمر، وأبو عبيدة، فتمارَوْا في شيء، فقال لهم علي: انطلقوا بنا إلى رسول اللَّه، فلما وقفوا عليه قالوا: يا رسول اللَّه، جئنا نسألك عن شيء، فقال: «إن شئتم، فسألوا، وإن شئتم خبرتكم بما جئتم له»، فقال لهم: «جئتم تسألوني عن الرزق من أين يأتي؟ وكيف يأتي؟»، فذكر: أبى اللَّه ـ الحديث المذكور ـ، ورواه الديلمي كما في «الدرر» عن أبي هريرة: بلفظ: «أبى اللَّه أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يحتسب»، ورواه العسكري، وابن ماجه بسند ضعيف عن علي رفعه إنما تكون الصنيعة إلى ذي دين أو حسب، وجهاد الضعفاء الحج، وجهاد المرأة حسن التَّبَتل لزوجها، والتودد نصف الإيمان، وما علل أمر على اقتصاد، واستنزلوا الرزق بالصدقة، وأبى اللَّه إلا أن يجعل أرزاق عباده المؤمنين من حيث لا يحتسبوا. قال النجم: ولا يصح شيء منها انتهى. وأقول: الحديث بطرقه معناه صحيح وإن كان ضعيفاً، ففي التنزيل: ﴿ومن يتق اللَّه يجعل له مخرجاً * ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ والمعنى: كما قال البيهقي وغيره: ـ أبى اللَّه أن يجعل أرزاق

اللَّهِ؛ مَا يُقَدَّرْ يَكُنْ وَمَا تُرْزَقْ يَأْتِكَ[١]، وعنه ﷺ «اسْتَنْزِلُوا الرِّزْقَ بالصَّدَقَة»[٢]، انتهى من كتابه المسمى بـ«**بهجة المجالس وأنس المجالس**».

وقوله تعالى: ﴿ومن يتوكل على اللَّه فهو حسبه﴾ هذهِ الآياتُ كلُّها عِظةٌ لجميعِ الناسِ، ومعنى حَسْبُهُ: كَافِيهِ. وقال ابن مسعود: هذه أكْثَرَ الآيات حَضًّا على التفويضِ للَّه[٣].

وقوله تعالى: ﴿إن اللَّه بالغ أمره﴾ بَيَانٌ، وَحَضٌّ عَلى التوكلِ، أي: لا بُدَّ مِنْ نفوذِ أمرِ اللَّهِ؛ توكلتَ أيُّهَا المرءُ أوْ لَمْ تَتَوَكَّلْ؛ قاله مسروق؛ فإنْ توكلتَ على اللَّهِ كَفَاكَ وَتَعَجَّلَتِ الراحةُ والبَرَكةُ، وإن لم تتوكَّلْ وَكَلَكَ إلى عَجْزِكَ وَتَسَخُّطَكَ، وأمرُه سبحانَه في الوجهين نَافِذٌ.

﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ﴿٥﴾ أَسۡكِنُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ سَكَنتُم مِّن وُجۡدِكُمۡ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيۡهِنَّۚ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمۡلٖ فَأَنفِقُواْ عَلَيۡهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ فَإِنۡ أَرۡضَعۡنَ لَكُمۡ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۖ وَأۡتَمِرُواْ بَيۡنَكُم بِمَعۡرُوفٖۖ وَإِن تَعَاسَرۡتُمۡ فَسَتُرۡضِعُ لَهُۥٓ أُخۡرَىٰ ﴿٦﴾﴾

١٦٥ ب وقوله سبحانه:/ ﴿واللائي يئسن من المحيض من نسائكم...﴾ الآية، «اللائي» جمعُ «التي» واليائساتُ من المحيض على مراتبَ؛ مَحَلُّ بَسْطِها كُتُبُ الفِقْهِ، وَرَوَى إسماعيلُ بْنُ خالدٍ؛ أنَّ قَوْماً منهم أُبَيُّ بن كعبٍ وخَلاَّدُ بْنُ النُّعْمَانِ، لما سمعوا قوله تعالى: ﴿وَالمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨] قَالُوا: يا رسولَ اللَّه؛

عباده من حيث يحتسبون، وهو كذلك، فإن اللَّه تعالى يرزق عباده على حيث يحتسبون تارة كالتجارة والحراثة، وتارة يرزقهم من حيث لا يحتسبون، كالرجل يصيب معدناً، أو ركازاً، أو يرث قريباً له يموت، أو يعطيه أحد مالاً من غير استشراف نفس ولا سؤال، وآية ﴿ومن يتق اللَّه﴾ ليس فيها حصر فليتأمل!!.

(١) ذكره العجلوني في «**كشف الخفاء**» (٢/ ٥٢٣)، وقال: رواه أبو نعيم عن خالد بن رافع، وهو مختلف في صحبته، والأصبهاني في «**ترغيبه**» عن مالك بن عمرو المغافري مرسلاً، ولأبي نعيم أيضاً عن أنس قال: خدمت النبي ﷺ عشر سنين، فما لامني فيما نَسيت ولا فيما ضَيَّعت، فإن لامني بعضُ أهله قال: دَعُوه، فما قُدِّر فهو كائن، وفي رواية: خدمتُ رسول اللَّه ﷺ عشر سنين، وكان بعضُ أهله إذا قال لي شيئاً قال: دَعُوه، فما قُدِّر سيكون.

(٢) انظر الحديث قبل السابق.

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ١٣٢)، برقم: (٣٤٢٩٧)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٢٤).

فما عِدَّةُ مَنْ لاَ قَرْءَ لَهَا؛ مِنْ صِغَرٍ أو كِبَرٍ[١]، فنزلَتْ هذه الآية، فقالَ قائلٌ منهم: فَمَا عِدَّةُ الحَامِلِ فنزلَتْ: ﴿وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن﴾ وهُو لفظٌ يَعُمُّ الحواملَ المطلقاتِ والمعْتَدَّاتِ من الوَفَاةِ، والارتيابُ المذكورُ قيلَ: هو بأمر الحَمْلِ.

وقوله سبحانه: ﴿أسكنوهن من حيث سكنتم...﴾ الآية، أمْرٌ بإسكانِ المطلقاتِ ولاَ خِلاَفَ في ذلك؛ في التي لَمْ تُبَتَّ وأمَّا المَبْتُوتَةُ؛ فَمَالكٌ يَرَى لَها السُّكْنَى لمكانِ حِفْظِ النسب، ولا يَرَى لها نَفَقَةً؛ لأنَّ النفقةَ بإزَاء الاسْتِمْتَاع، وقال الثعلبيُّ: ﴿من حيث سكنتم﴾ أي: في مساكِنِكم التي طلقتموهنَّ فِيها، انتهى، والوُجْدُ السَّعَةُ في المالِ، وأما الحَامِلُ فَلا خِلاَفَ في وُجُوبِ سُكْنَاها ونفقتِها؛ بُتَّتْ أوْ لَمْ تُبَتَّ؛ لأنَّها مُبَيَّنة في الآيةِ، وإنما اخْتَلَفُوا في نفقةِ الحامِلِ المُتَوفَّى عَنْهَا زوجُها، هَلْ يُنْفَقُ عَلَيْهَا مِنَ التَّرِكَةِ، أمْ لاَ، وكذلكَ النَّفَقَةُ على المُرْضِعِ المطلقةِ وَاجِبَةٌ، وبَسْطُ ذلك في كتبِ الفقه.

وقوله سبحانه: ﴿وأتمروا بينكم بمعروف﴾ أي ليأمُرْ كلُّ واحدٍ صاحبَه بخيرٍ، ولْيَقْبَلْ كلُّ أحَدٍ مَا أُمِرَ بِهِ من المعروف.

وقوله سبحانه: ﴿وإن تعاسرتم﴾ أي: تَشَطَّطت[٢] المرأة في الحدِّ الذي يكونُ أُجْرَةً على الرِّضَاعِ، فللزَّوْجِ أن يسترضِعَ/ بما فيه رِفْقُه إلا ألاَّ يقبلَ المولودُ غَيْرَ أمِّه، فَتُجْبَرُ هِي ١٦٦أ حِينَئِذٍ عَلى رَضَاعِه بأجْرَةِ مثلها ومثل الزوجِ في حالهما وغناهما.

* ت *: وهذا كله في المطلقة البائِنِ، قال ابن عبد السلام من أصحابنا: الضميرُ في قوله تعالى: ﴿فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن﴾ عائِدٌ على المطلقاتِ وكَذَلِكَ قوله تعالى: ﴿والْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أوْلاَدَهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٣] وأمَّا ذَاتُ الزوج أو الرَّجْعِية، فَيَجِبُ عليها أنْ ترضِعَ مِنْ غَيْرِ أجْرٍ إلا أنْ تكونَ شريفَةً فلا يلزمُها ذلك، انتهى.

﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًاۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٢٥)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٣٥٨)، وعزاه لعبد الرزاق، وابن المنذر من طريق الثوري.

(٢) الشَّطَطُ: مجاوزة القدر في بيع أو طلبٍ أو احتكام أو غير ذلك من كل شيء.
ينظر: «لسان العرب» (٢٢٦٣).

لِيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾ ﴾

وقوله سبحانه: ﴿لينفق ذو سعة من سعته...﴾ الآية، عَدَلَ بَيْنَ الأزواج لِئَلاَّ تَضِيعَ هي ولا يُكَلَّفَ هو ما لا يُطِيقُ، ثُم رجَّى تعالى باليُسْرِ تِسْهِيلاً على النفوس وتطييباً لها.

وقوله سبحانه: ﴿وَكَأَيِّنْ﴾ الثعلبي: وكأين: أي: وَكَمْ مِنْ قَرْيَة، ﴿عَتَتْ﴾ أي: عَصَتْ.

وقوله: ﴿فَحَاسَبْنَاهَا﴾ قال * ع[1] *: قال بعضُ المتأولينَ: الآيةُ في أحوالِ الآخِرَةِ، أي: ثمَّ هُو الحسابُ والتعذيبُ والذَوْقُ وخَسَارُ العَاقِبَةِ، وقال آخرونَ: ذلك في الدنيا، ومعنى ﴿حَاسَبْنَاهَا حِسَاباً شَدِيداً﴾ أي: لم تُغْتَفَرْ لهم زَلَّةٌ، بل أُخِذَتْ بالدقائق من الذنوب، ثم نَدَبَ تعالى أولي الألباب إلى التقوى تحذيراً.

وقوله تعالى: ﴿قد أنزل اللَّه إليكم ذكراً * رسولاً﴾ اخْتُلِفَ في تقديره، وأبْيَنُ الأقوالِ فيه معنى أنْ يكونَ الذكرُ القرآنُ، والرسول محمداً ﷺ، والمعْنَى وأرْسَلَ رسولاً لكنَّ الإيجازَ اقتضَى اختصارَ الفعلِ الناصب للرسول؛ ونحا هذا المنحى السدي، وسائرُ الآيةِ بيِّن[2].

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿اللَّه الذي خلق سبع سمٰوات ومن الأرض مثلهن﴾ لا خلافَ بين العلماءِ أن السمٰواتِ سَبْعٌ وأمّا/ الأرْضُ فالجمهورُ: على أنها سَبْع أَرْضِينَ، وهو ظاهرُ هذهِ الآيةِ، وإنما المُمَاثَلَةُ في العددِ، ويُبَيِّنُه قوله ﷺ في الحديثِ الصحيح: «مَنْ غَصَبَ شِبْراً مِنْ أرْضٍ طَوَّقَه اللَّه مِنْ سَبْعِ أرضِينَ»، إلى غير هذا مما وردت به الرواياتُ، ورُوِيَ عن قوم مِنَ العلماءِ أنهم قَالوا: الأرضُ واحِدَةٌ وهي مماثلةٌ لكلِّ سَماءٍ بانْفِرَادِها في ارتفاع جُرْمِها، وفي أن فيها عَالماً يعبُدُ اللَّهَ كما في كلِّ سَمَاءٍ عَالَمٌ يعبُد اللَّه. ١٦٦ ب

وقوله سبحانه: ﴿يتنزل الأمر بينهن﴾ الأمْرُ هنا يعُمُّ الوحيَ وجميعَ ما يأمُرُ به سبحانه

---

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٢٧).

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ١٤٤)، برقم: (٣٤٣٦٩)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٢٧).

من تَصْرِيف الرياحِ، والسحابِ، وغير ذلك من عجائب صنعه؛ لاَ إلٰه غيرُه، وبَاقِي السُّورَةِ وَعْظٌ وحَضٌ على توحيدِ اللَّه ـ عز وجل ـ.

وقوله: ﴿على كل شيء قدير﴾ عُمُومٌ معناه الخُصُوصُ في المقدوراتِ.

وقوله: ﴿بكل شيء علماً﴾ عمومٌ عَلى إطْلاَقِه.

[تَفْسِيرُ] سُورَةِ التَّحْرِيمِ

وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ بِإِجْمَاعٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١) قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٢) وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (٣) إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ (٤) عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا (٥)﴾

قوله تعالى: ﴿يأيها النبي لم تحرم ما أحل اللَّه لك...﴾ الآية، وفي الحديثِ مِنْ طُرُقٍ ما معناه؛ أنَّ النبيَّ ﷺ جاءَ إلى بيتِ حَفْصَةَ، فوجَدَها قد مرَّتْ لزيارةِ أبيهَا، فَدَعَا ﷺ جاريَتَهُ مَارِيَّةَ، فَقَالَ مَعَها، فَجَاءَتْ حَفْصَةُ وَقَالَت: يا نبيَّ اللَّهِ! أفِي بَيْتِي وَعَلَىٰ فِرَاشِي؟ فَقَالَ لَهَا ﷺ: مترضِّياً لها: «أيُرْضِيكِ أنْ أُحرِّمَها؟ قَالَتْ: نَعَمْ؛ فقال: إنِّي قَدْ حَرَّمْتُهَا»، قال ابن عباس: وقالَ مَعَ ذلكَ: واللَّهِ، لاَ أَطَؤُهَا أَبداً، ثم قال لها: لاَ تُخْبِرِي بِهَذَا أَحَداً[1]، ثم إنَّ حَفْصَةَ قَرَعَتْ الجِدَارَ الَّذِي بَيْنَهَا وَبَيْنَ عَائِشَةَ، وَأَخْبَرَتْهَا لِتُسِرَّهَا بالأَمْرِ، وَلَمْ تَرَ في إِفْشَائِهِ إِلَيْهَا حَرَجاً، واسْتَكْتَمَتْهَا،/ فَأَوْحَى اللَّهُ بِذَلِكَ إِلَىٰ نَبِيِّهِ، ونزلَتِ الآيةُ، وفي حديثٍ آخَرَ عن عائشةَ أنَّ هذا التحريمَ المذكورَ في الآية؛ إنَّما هُو بِسَبَبِ العَسَلِ الذي شَرِبَه ﷺ عِنْدَ زينبَ بِنْتِ جَحْشٍ، فَتَمالأَتْ عائشةُ وحفصةُ وسَوْدَةُ على أنْ تَقُولَ له؛ مَنْ دَنَا مِنْهَا: إنَّا نَجِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغَافِيرَ، أأَكَلْتَ مَغَافِيرَ يَا رَسُولَ اللَّه؟ والمَغَافِيرَ: صَمْغُ العُرْفُطِ، وَهُوَ حُلْوٌ كَرِيهُ الرَّائِحَةِ، فَفَعَلْنَ ذَلِكَ، فَقَالَ رسولُ اللَّه: ما أَكَلْتُ مَغَافِيرَ، وَلَكِنِّي شَرِبْتُ عَسَلاً، فقلْنَ له: جَرَسَتْ نَحْلُهُ العُرْفُط[2]؟ فقال: ﷺ لاَ أَشْرَبُه أَبداً، وكانَ يَكْرَهُ أنْ تُوجَدَ مِنْهُ رَائحةٌ كَرِيهةٌ، فدخلَ بعد ذلك على زينبَ فَقَالَتْ: أَلا أَسْقِيكَ مِنْ ذَلِكَ العَسَلِ؟ فَقَالَ:

١٦٧ أ

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ١٤٨ ـ ١٤٩)، برقم: (٣٤٣٩٢)، (٣٤٣٩٧)، وذكره ابن كثير (٤/ ٣٨٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٣٦٧)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر.

(٢) العُرْفُط: شجر الطلح، وله صمغ كريه الرائحة، فإذا أكلته النحل حصل في عسلها من ريحه. ينظر: «المنهاج» (٣/ ٢١٨).

لاَ حَاجَةَ لِي بِهِ، قالتْ عائشةُ: تَقُولُ سَوْدَةُ حِينَ بَلَغَنَا ٱمْتِنَاعُهُ: وَاللَّهِ، لَقَدْ حَرَمْنَاهُ، فَقُلْتُ لَها: ٱسْكُتِي، قال * ع[1] *: والقولُ الأوَّلُ أن الآيةِ نزلتْ بسبب مارية أصَحُّ وأوْضَحُ، وعليه تَفَقَّه الناسُ في الآية، ومَتَى حَرَّمَ الرَّجُلُ مَالاً أو جاريةً فليسَ تحريمُه بشيءٍ، * ت *: والحديثُ الثَّانِي هو الصحيحُ خَرَّجَه البخاريُّ ومسلمُ وغيرهما، ودَعَا اللَّهُ تعالى نبيَّه باسْم النبوَّةِ الذي هو دالٌّ على شَرَفِ مَنْزِلَتِه وَفَضِيلَتِه التي خَصَّهُ بِهَا، وقرَّره تعالى كالمُعَاتِبِ له على تحريمِه عَلى نفسِه مَا أحلَّ اللَّهُ له، ثم غَفَرَ لَه تَعَالَى مَا عَاتَبه فيه ورَحِمَه.

وقوله تعالى: ﴿قد فرض اللَّه﴾ أي: بيَّنَ وأثْبَتَ، فقال قوم من أهل العلم: هذه إشارَةٌ إلى تَكْفِيرِ التَّحْرِيم، وقال آخرونَ هي: إشارَةٌ إلى تكفيرِ اليمينِ المُقْتَرِنَةِ بالتحريم، والتَّحِلَّةُ مَصْدَرُ وزنها «تَفْعِلَة» وأدْغِمَ لاجْتِمَاعِ/ المثلين، وأحالَ في هذه الآيةِ على الآيةِ التي ١٦٧ ب فسَّر فِيها الإطْعَامَ في كفارةِ اليمينِ باللَّهِ تَعَالى، والمَوْلَى المُوَالِي النَّاصِرُ.

﴿وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه﴾ يعني حَفْصَةَ ﴿حديثاً﴾ قال الجمهورُ الحديثُ هو قولُهُ في أمر ماريةَ، وقال آخرونَ: بلْ هو قولُه: إنَّمَا شَرِبْتُ عَسَلاً.

وقوله تعالى: ﴿عرَّف بعضه﴾ المَعْنَى مَعَ شَدِّ الراءِ: أعْلَمَ بِهِ وأنَّب عليه وأعْرَض عن بعض، أي: تَكَرُّماً وَحَيَاءَ وحُسْنَ عشرةٍ، قال الحسن: ما اسْتَقْصَى كريمٌ قط[2]، والمخاطبة بقوله: ﴿إن تتوبا إلى اللَّه﴾ هي لحفصةَ وعائشةَ، وفي حديثِ البخاريّ، وغيره عن ابن عباس قال: قلت لعمر: من اللتان تَظَاهَرَتَا على رسول اللَّه ﷺ؟ قال: حفصةُ وعائشةُ[3].

وقوله: ﴿صغت قلوبكما﴾ معناه مَالَتْ، والصَّغْيُ الميلُ، ومنه أَصْغَى إليه بأُذُنِه، وأصْغَى الإنَاءَ، وفي **قراءة** ابن مسعود[4]: «فَقَدْ زَاغَتْ قُلُوبُكُما» والزيغُ: الميلُ وعُرْفُه في خِلاَفِ الحَقّ، وجَمَعَ القلوبَ مِن حيثُ الاثنانِ جَمْعٌ، * ص *: ﴿قلوبكما﴾ القياسُ فيه: قلباكما مُثَنًّى، والجمعُ أكْثَرُ استعمالاً وحسْنُه إضافَتُه إلى مثنًى، وهو ضميرُهما؛ لأنَّهُمْ كَرِهُوا اجتماعَ تَثْنِيَتَيْنِ، انتهى، ومعنى الآيةِ إن تُبْتُما فَقَدْ كَانَ مِنكُمَا مَا يَنْبَغِي أنْ يُتَابَ منه، وهذا الجوابُ الذي للشَّرْطِ هُو متقدمٌ في المعنى، وإنما تَرتَّبَ جَوَاباً في اللفظِ، ﴿وإنْ تَظَاهَرَا﴾ معناه: تَتَعَاوَنَا وأصل: ﴿تَظَاهَرَا﴾ تَتَظَاهَرَا، و﴿مَوْلاَه﴾ أي: ناصرُه، ﴿وجبريل﴾

---

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٣٠).

(٢) ذكره البغوي (٤/ ٣٦٤)، وابن عطية (٥/ ٣٣١).

(٣) تقدم.

(٤) ينظر: «الكشاف» (٤/ ٥٦٦)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٣٣١)، و«البحر المحيط» (٨/ ٢٨٦)، و«الدر المصون» (٦/ ٣٣٥).

ومَا بعدَه يحتملُ أنْ يكونَ عَطْفاً على اسمِ اللَّهِ، ويحتملُ أنْ يكونَ جبريلُ رَفْعاً بالابتداءِ وَمَا بَعْدَهُ عَطْفٌ عَلَيْهِ و﴿ظَهِيرٌ﴾ هُو الخَبَرُ، وخَرّجَ البخاريّ بسنده عن أنس قال: قال عمر: اجْتَمَع نساءُ النبي ﷺ في الغِيرَةِ عليه فقلتُ لَهُنَّ: عسى ربُّه إنْ طَلَّقَكُنَّ أنْ يبدله أزْوَاجاً خَيْراً مِنْكُنَّ، فنزلت هذه الآية[1]، انتهى، و﴿قانتات﴾ معناه مُطِيعَات، والسائحاتُ قِيل: معناه: صَائِمَاتٌ، وقيل: معناه:/ مُهَاجِرَاتٌ، وقيل: معناه ذَاهِبَاتٌ في طَاعَةِ اللَّهِ، وشُبِّه الصَّائِمُ بالسائِحِ من حيثُ يَنْهَمِلُ السائِحُ وَلا يَنْظُرُ في زادٍ ولاَ مَطْعَم، وكذلك الصائم يُمْسِك عن ذلك، فيستوي هو والسائِح في الامْتِنَاعِ، وشَظَفِ العَيْشِ لِفَقْدِ الطَّعَام. ١٦٨ أ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۝٦ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٨ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ۝٩﴾

وقوله سبحانه: ﴿يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً...﴾ الآيةُ، ﴿قُوا﴾ معناه اجْعَلُوا وِقَايَةً بينكم وبينَ النارِ، وقوله: ﴿وأَهْلِيكُم﴾ معناه بالوَصِيَّةِ لهم والتقويم والحَمْلِ على طاعةِ اللَّه، وفي الحديثِ: «رَحِمَ اللَّهُ رَجُلاً قَال: يا أهْلاهُ صَلاتَكُمْ، صِيَامَكُمْ، [زَكَاتَكُمْ]، مِسْكِينَكُمْ، يَتِيمَكُمْ»[2] * ت *: وفي «**العتبية**» عن مالكٍ أن النبي ﷺ قال: «إنَّ اللَّهَ أذِنَ لي أنْ أتَحَدَّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنَ المَلاَئِكَةِ، إنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ وَعَاتِقِهِ لَمَخْفِقَ الطَّيْرِ سَبْعِينَ عَاماً»[3]، انتهى، وباقي الآية في غَايَةِ الوضوحِ، نَجَّانَا اللَّهُ مِنْ عَذَابه بِفَضْلِه، والتوبةُ فَرْضٌ على كلّ مسلم، وهي الندمُ على فَارِطِ المعصيةِ، والعَزْمُ عَلى تَرْكِ مِثْلِها في المستقبل، هذا من المتمكنِ، وأما غيرُ المتمكِّنِ كالمَجْبُوبِ في الزِّنَا فالندمُ وحدَه يكفيه، والتوبةُ عِبادَةٌ كالصَّلاَةِ، وغيرها، فإذا تَابَ العبدُ وَحَصَلَتْ توبتُه بشروطِها وقبلت، ثم عَاوَدَ الذنبَ فتوبتُه الأولَى لا تفسدُها عَوْدَةٌ بل هي كسَائِرِ مَا تَحَصَّلَ من

---

(١) أخرجه الطبري (٦/ ١٥٥)، برقم: (٣٤٤٢٥)، (٣٤٤٢٧)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٣٢)، وذكره ابن كثير (٤/ ٣٩٠).

(٢) ذكره الزيلعي في «**تخريج الأحاديث والآثار**» (٤/ ٦٦)، وقال: غريب.

(٣) تقدم تخريجه.

العباداتِ، والنُّصوح بناءَ مبالغةٍ من النُّصح، أي: توبة نَصَحَتْ صَاحِبها، وأرْشَدَتْه، وعن عمرَ: التوبةُ النصوحُ: هي أن يتوبَ ثم لا يعود ولا يريد أن يعودَ[1]، وقال أبو بكر الوَرَّاق، هي أن تَضِيقَ عليكَ الأرْضُ بما رَحُبَتْ كتوبةِ الذين خُلِّفُوا. ورُوِيَ/ في معنى قولِه تعالى: «يوم لا يخزي اللَّه النبي» أنَّ النبيَّ ﷺ تَضَرَّعَ مَرَّةً إلى اللَّه ـ عز وجل ـ في أمْرِ أُمَّتِهِ، فأوحَى اللَّه إلَيْهِ إنْ شِئْتَ جَعَلْتُ حِسَابَهُمْ إلَيْكَ، فَقَالَ: يَا رَبِّ، أَنْتَ أَرْحَمُ بِهِمْ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: إِذَنْ لاَ أُخْزِيَكَ فِيهِمْ[2]. ١٦٨ ب

وقولُه تَعَالَى: ﴿والذينَ آمنوا معه﴾ يَحْتَمِل: أن يكونَ معطوفاً عَلى النبيِّ فيخرجُ المؤمِنونَ من الخزي، ويحتملُ: أنْ يَكُونَ مبتدأً، و﴿نورُهم يسعى﴾: جملةٌ هِي خبرُه، وقولهم: ﴿أتْمِمْ لَنَا نورَنا﴾ قال الحسنُ بن أبي الحسن: هو عِنْدَما يَرَوْنَ مِنِ انْطِفَاءِ نورِ المنافقين[3] حَسْبَمَا تقدم تفسيرُه، وقيل: يقوله من أُعْطِي منَ النور بقدر ما يَرَى موضعَ قدميه فقط، وباقي الآية بيِّن مما تقدم في غيرِ هذا الموضع.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿ضرب اللَّه مثلاً للذين كفروا امرأت نوح...﴾ الآية، هذَانِ المَثَلاَنِ اللذانِ للكفارِ والمؤمنينَ معناهما: أنَّ مَنْ كَفَرَ لا يُغْنِي عنه مِنَ اللَّهِ شيءٌ ولا ينفعُه سَبَبٌ، وإنَّ مَنْ آمنَ لا يدفعُه عَنْ رِضْوَانِ اللَّهِ دافعٌ وَلَوْ كَانَ في أسوأِ مَنْشَأٍ وأخسِّ حالٍ، وقول من قال: إنَّ في المَثَلَيْنِ عبرةً لأَزْوَاجِ النبي ﷺ بعيدٌ. قال ابن عباس وغيره: «خَانَتَاهُما»: أي في الكُفْرِ[4]، وفي أن امرأةَ نوحٍ كانَتْ تقول للناس: إنَّه مجنُونٌ، وأن امرأةَ لوطٍ كَانَتْ تَنُمُّ

---

(١) أخرجه الطبري (٦/ ١٥٦)، برقم: (٣٤٤٤٤)، والبغوي (٤/ ٣٦٧)، وابن عطية (٥/ ٣٣٤)، وابن كثير (٤/ ٣٩٢)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٣٧٦)، وعزاه لعبد الرزاق، والفريابي وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وهناد، وابن منيع، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان».

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٣٤).

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ١٥٩)، برقم: (٣٤٤٥٧ ـ ٣٤٤٥٨)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٣٤)، وابن كثير (٤/ ٣٩٢).

(٤) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٣٥)، وابن كثير (٤/ ٣٩٣)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٣٧٧)، وعزاه

إلى قَوْمِها خَبَر أَضْيَافِه، قال ابن عباس: وَمَا بَغَتْ زَوْجَةُ نَبِيٍّ قَطُّ[١]، وامرأة فرعون اسمُها آسية، وقولها: ﴿وعَمَلِه﴾ تعني كُفْرَهُ ومَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الضَّلاَلَةِ.

وقوله: ﴿التي أحصنت فرجها﴾ الجمهورُ أنه فَرْجُ الدِّرْعِ، وقال قوم: هو الفَرْجُ الجَارِحَةُ وإحْصَانُه صَوْنُه.

١١٦٩أ وقولُه سبحانه: ﴿فنفخنا فيه﴾ عبارةٌ عَنْ فِعل جبريلَ،/ * ت *: وقد عَكَسَ ـ رحمه اللَّه ـ نَقْلَ ما نَسَبَهُ للجمهورِ في سورةِ الأنبياءِ فقال: المَعْنَى واذْكُرِ الَّتي أحصنتْ فَرْجَها وهو الجارِحَة المعروفةُ، هذا قولُ الجمهورِ، انظر بقيةَ الكلامِ هناك.

وقوله سبحانه: ﴿مِنْ رُوحِنَا﴾ إضافةُ مخلوقٍ إلى خالقٍ، ومملوك إلى مالكٍ، كما تقول بَيْتُ اللَّهِ، ونَاقَةُ اللَّهِ، وكذلك الرُّوحُ الجنسُ كلُّه هو روح اللَّه، **وقرأ** الجمهور[٢]: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا﴾ بالجَمْعِ فَيُقَوِّي أنْ يريدَ التوراةَ، ويحتملُ أنْ يريدَ أمْرَ عيسَى، **وَقَرَأ** الجحدري[٣]: «بِكَلِمة» فَيُقَوِّي أنْ يريدَ أمْرَ عيسى، ويحتملُ أنْ يريدَ التوراةَ، فتكونُ الكلمةُ اسْمَ جنسٍ، **وقرأ** نافع[٤] وغيره: «وكِتَابِهِ» **وقرأ** أبو عمرو وغيره: «وَكُتُبِهِ» ـ بضم التاء ـ وَالجَمْعِ، وذلك كلُّه مرادٌ بهِ التوراةُ والإنْجِيلُ، قال الثعلبيُّ: واختار أبو حاتم قراءةَ أبي عمرٍو بالجَمْعِ لعمومِها، واختار أبو عبيدة قِراءَة الإفْرَادِ؛ لأن الكتَابَ يُرَادُ به الجنسُ، انتهى؛ وهو حَسَنٌ، ﴿وكَانَتْ من القانتين﴾ أي: من القوم القانتينَ؛ وهم المطيعونَ العابِدونَ، وقد تقدَّم بيانُه.

لعبد الرزاق، والفريابي، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه من طرق عن ابن عباس.

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ١٦١)، برقم: (٣٤٤٦٢، ٣٤٤٦٤)، وذكره البغوي (٤/ ٣٦٨)، وابن عطية (٥/ ٣٣٥)، وابن كثير (٤/ ٣٩٣)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٦/ ٣٧٧)، وعزاه لابن المنذر.

(٢) ينظر: **«المحرر الوجيز»** (٥/ ٣٣٥ ـ ٣٣٦)، و**«البحر المحيط»** (٨/ ٢٩٠)، و**«الدر المصون»** (٦/ ٣٣٩).

(٣) وقرأ بها مجاهد، والحسن.
ينظر: **«مختصر الشواذ»** ص: (١٥٩)، و**«المحرر الوجيز»** (٥/ ٣٣٦)، و**«البحر المحيط»** (٨/ ٢٩٠)، و**«الدر المصون»** (٦/ ٣٣٩).

(٤) وقرأ بها ابن كثير، وابن عامر، وعاصم في رواية أبي بكر، والكسائي، وحمزة. وقرأ بقراءة أبي عمرو ـ حفص عن عاصم، وخارجة عن نافع.
ينظر: **«السبعة»** (٦٤١)، و**«الحجة»** (٦/ ٣٠٤)، و**«إعراب القراءات»** (٢/ ٣٧٦)، و**«حجة القراءات»** (٧١٥)، و**«العنوان»** (١٩٣)، و**«شرح الطيبة»** (٦/ ٦١)، و**«إتحاف»** (٢/ ٥٤٩)، و**«معاني القراءات»** (٣/ ٧٨).

[تَفْسِيرُ] سُورَةِ المُلْكِ

[وَهِيَ] مَكِّيَّةٌ بِإِجْمَاعٍ

وَكَانَ النبيُّ ﷺ يقرؤها عند أخْذِ مَضْجَعِهِ؛ رواه جماعة مرفوعاً[١]، ورُوِيَ أنَّها تُنَجِّي مِنْ عَذَابِ القَبْرِ[٢]، وتُجادِلُ عن صاحِبِها، حتى لا يعذَّبَ[٣]، ورَوَى ابن عباس أن النبي ﷺ قَالَ: «وَدِدْتُ أنَّ سُورَةَ «تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ المُلْكُ» في قَلْبِ كُلِّ مُؤْمِنٍ»[٤]، * ت *: وَقَدْ خَرَّجَ مالكٌ في «المُوَطَّأ»: أنَّها تُجَادِلُ عَنْ صَاحِبِهَا؛ وَخَرَّجَ أبو داودَ / والترمذيُّ والنسائي، وأبو الحسنِ بن صَخْر، وأبو ذر الهرويُّ، وغيرهم أحادِيثَ في فضلِ ١٦٩ ب
هذه السورةِ نَحْوَ مَا تَقَدَّم، ولَوْلاَ مَا قَصَدْتُهُ من الاختصارِ لَنَقَلْتُها هُنَا، ولكن خَشْيَةَ الإطَالَةِ مَنَعَتْنِي مِنْ جَلْبِ كَثِيرٍ مِنَ الآثارِ الصحيحةِ، في هذا المختصر، وانظر الغافقي؛ فَقَد استوفى

---

(١) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٣٨١)، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٢) أخرج الترمذي في هذا المعنى حديثاً (٥/ ١٦٤)، كتاب «فضائل القرآن» باب: ما جاء في فضل سورة الملك (٢٨٩٠) عن عبد الله بن عباس، بلفظ: ضَرَبَ بَعْضُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ خِبَاءَهُ عَلَى قَبْرٍ وَهُوَ لاَ يَحْسِبُ أَنَّهُ قَبْرٌ، فَإِذَا فِيهِ إِنْسَانٌ يَقْرَأُ سُورَةَ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ المُلْكُ﴾ حَتَّى خَتَمَهَا، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي ضَرَبْتُ خِبَائِي عَلَى قَبْرٍ، وَأَنَا لاَ أَحْسِبُ أَنَّهُ قَبْرٌ، فَإِذا فِيهِ إِنْسَانٌ يَقْرَأُ سُورَةَ تَبَارَكَ المُلْكُ حَتَّى خَتَمَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هِيَ المَانِعَةُ، هِيَ المُنجيَةُ تُنْجِيهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ».
قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

(٣) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٩٨) عن عبد الله بن عباس، بلفظ: «يؤتى الرجل في قبره، فتؤتى رِجلاه فتقول رجلاه: ليس لكم على ما قبلي سبيل، كان يقوم يقرأ سورة الملك، ثم يؤتى من قِبَل صدره، أو قال: بطنه، فيقول: ليس لكم على ما قبلي سبيل، كان يقرأ بي سورة الملك، ثم يؤتى رأسه فيقول: ليس لكم على ما قبلي سبيل، كان يقرأ بي سورة الملك، قال: فهي المانعة تمنع من عذاب القبر، وهي في التوراة سورة الملك من قرأها في ليلةٍ فقد أكثر وأطنب».
والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٤٩٤) (٢٥٠٩)، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٤) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٦٥)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٣٨٠)، وزاد نسبته إلى ابن مردويه، وعبد بن حميد، والطبراني.
قال الحاكم: هذا إسناد عند اليمانيين صحيح ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي في قوله ذلك، وقال: لحفص واهٍ.

نقلَ الآثارِ في فضلِ هذهِ السورة.

﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾

قوله تعالى: ﴿تبارك الذي بيده الملك﴾ ﴿تَبَارَكَ﴾ مِنَ البركةِ وهي التَزَيُّدِ في الخيراتِ، قال الثعلبي: ﴿تبارك الذي بيده الملك﴾ أي: تَعَالَى وتَعَاظَمَ وَقَالَ الحسنُ: تَقَدَّسَ الذي بيده الملكُ في الدنيا والآخرة[1]، وقال ابن عباس: ﴿بيده الملكُ﴾: يُعِزُّ مَنْ يَشاء ويذل من يشاء[2]. انتهى.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝٥﴾

وقوله سبحانه: ﴿الذي خلق الموت والحياة...﴾ الآية، الموتُ والحياةُ مَعْنَيَانِ يَتَعَاقَبَانِ جِسْمَ الحيوانِ، يَرْتَفِعُ أحدهما بحلُولِ الآخَرِ، وما جاء في الحديثِ الصحيح من قولهِ ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «يُؤتَى بِالمَوْتِ يَوْمَ القِيَامَةِ في صُورَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ فَيُذْبَحُ عَلَى الصِّرَاطِ»[3] الحديث، فقال أهْلُ العِلْم: إنَّما ذَلِكَ تِمْثَالُ كَبْشٍ يُوقِعُ اللَّهُ العِلْمَ الضَّرُورِيَّ لِأَهْلِ الدَّارَيْنِ أَنَّه الموتُ الذي ذَاقُوه في الدنيا، ويكونُ ذلك التمثالُ حَامِلاً للموتِ، لاَ عَلى أنه يَحُلُّ الموتُ فيه فَتَذْهَبُ عنهُ حياةٌ، ثم يَقْرِنُ اللَّه تعالى في ذلك التمثالِ إعْدَامَ الموتِ.

وقوله سبحانه: ﴿لِيَبْلُوَكم﴾ أي: جَعَلَ لَكُمْ هاتينِ الحالتَيْنِ ليبلوَكم، أي: ليختبرَكم في حالِ الحياةِ ويُجَازِيكُم بَعْدَ الممات، وقال أبو قتادة، ونحوه عن ابن عمر، قلت: يا رسول اللَّه، مَا مَعْنى قولِه/ تعالى: ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾؟ فَقَال: يقول: أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَقلاً، وأشَدُّكم للَّهِ خَوْفاً، وأحْسَنُكم في أمْرِه ونهيهِ نَظَراً، وإن كَانُوا أقلَّكم تطوُّعاً[4]، وقال ابن عباس وسفيان الثوري والحسن: ﴿أيكم أحسن عملاً﴾ أزْهَدُكُمْ في

١١٧٠

(١) ذكره القرطبي (١٨/ ١٣٤).
(٢) ذكره القرطبي (١٨/ ١٣٤)، وابن عطية (٥/ ٣٣٧).
(٣) تقدم تخريجه.
(٤) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٣٧).

الدنيا[١]، قال القرطبي[٢]: وقال السدي: (أَحْسَنُكُمْ عَمَلاً)، أي: أكثركم للموت ذِكْراً، وله أحْسَنُ استعداداً، ومِنْه أشَدُّ خوفاً وحذَراً، انتهى من «التذكرة»، ولله در القائل: [الطويل]

وَفِي ذِكْرِ هَوْلِ المَوْتِ وَالقَبْرِ والبِلَىٰ ... عَنِ الشُّغْلِ بالَّذَّاتِ لِلْمَرْءِ زَاجِرُ
أَبَعْدَ اقْتِرَابِ الأَرْبَعِينَ تَرَبُّصٌ ... وَشَيْبٌ فَذَاكَ مُنْذِرٌ لَكَ ذَاعِرُ
فَكَمْ في بُطُونِ الأَرْضِ بَعْدَ ظُهُورِهَا ... مَحَاسِنُهُمْ فِيهَا بَوَالٍ دَوَاثِرُ
وَأَنْتَ عَلَى الدُّنْيَا مُكِبٌّ مُنَافِسٌ ... لِخُطَّابِهَا فِيهَا حَرِيصٌ مُكَاثِرُ
عَلَىٰ خَطَرٍ تُمْسِي وَتُصْبِحُ لاَهِياً ... أَتَدْرِي بِمَاذَا لَوْ عَقَلْتَ تُخَاطِرُ
وَإِنَّ امْرَأً يَسْعَىٰ لِدُنْيَاه جَاهِداً ... وَيَذْهَلُ عَنْ أُخْرَاهُ لاَ شَكَّ خَاسِرُ
كَأَنَّكَ مُغْتَرٌّ بِمَا أَنْتَ صَائِرٌ ... لِنَفْسِكَ عَمْداً أَوْ عَنِ الرُّشْدِ جَائِرُ
فَجِدَّ وَلاَ تَغْفُلْ فَعَيْشُكَ زَائِلٌ ... وَأَنْتَ إِلَىٰ دَارِ المَنِيَّةِ صَائِرُ
وَلاَ تَطْلُبِ الدُّنْيَا فَإِنَّ طِلاَبَهَا ... وَإِنْ نِلْتَ مِنْهَا ثَرْوَةً لَكَ ضَائِرُ
وَكَيْفَ يَلَذُّ العَيْشَ مَنْ هُوَ مُوقِنٌ ... بِمَوْقِفِ عَدْلٍ يَوْمَ[٣] تُبْلَى السَّرَائِرُ
لَقَدْ خَضَعَتْ وَاسْتَسْلَمَتْ وَتَضَاءَلَتْ ... لِعِزَّةِ ذِي العَرْشِ المُلُوكُ الجَبَابِرُ

انتهى، ، و﴿طِبَاقاً﴾ قال الزَّجَّاجُ: هو مصدرٌ، وقيل: جمعُ طَبَقَةٍ، أو جَمْعُ طَبَقٍ، والمعنى: بعضُها فوق بعض، وقال إبان بن ثعلب: سمعتُ أعرابياً يذُمّ رَجُلاً فقال: شَرُّهُ طِبَاقٌ/ وَخَيْرُه غَيْر باقٍ، وما ذَكره بعضُ المفسرينَ في السمٰواتِ منْ أنَّ بعضَها مِن ذَهَبٍ وفضةٍ وياقوتٍ ونحوِ هذا، ضعيفٌ لم يَثْبُتْ بذلك حديث. ١٧٠ ب

وقوله سبحانه: ﴿ما ترى في خلق الرحمٰن من تفاوت﴾ معناه من قِلَّةِ تَنَاسُبٍ، ومنْ خروجٍ عن إتقانٍ، قال بعض العلماء: خَلْقُ الرحمٰنِ، معنيٌّ بهِ السمٰواتُ وإيَّاها أرادَ بقوله: ﴿هل ترى من فطور﴾ وبقوله: ﴿ينقلب إليك البصر...﴾ الآية، وقال آخرون: بلْ يعني بهِ جَميعَ مَا خَلَقَ سبحانه من الأشياء فإنَّها لاَ تَفَاوُتَ فيها، ولا فطورَ جاريةً عَلى غَيْرِ إتْقَانٍ، قال منذر بن سعيد: أمَرَ اللَّهُ تعالى بالنظرِ إلى السماءِ وخَلْقِها، ثم أمرَ بتكريرِ النظرِ، وكذلك جميعُ المخلوقاتِ مَتَى نَظَرَها ناظرٌ لِيَرَى فيها خَلَلاً أو نَقْصاً فإنَّ بصرَه ينقلبُ خَاسِئاً

---

(١) ذكره البغوي (٤/ ٣٦٩) عن الحسن.
(٢) ينظر: «تفسير القرطبي» (١٨/ ١٣٥)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٣٨٢)، وعزاه لابن أبي الدنيا، والبيهقي في «شعب الإيمان».
(٣) في د: حين.

حَسِيراً، وَرَجْعُ البصرِ: ترديدُه في الشيءِ المبْصَرِ، و﴿كرتين﴾ معناه مرتين، والخاسىء المبْعَدُ عن شيءٍ أرَادَه، وحَرَصَ عليه، ومنه قوله تعالى: ﴿اخْسَئُوا فيها﴾ [المؤمنون: ١٠٨] وكذلكَ البصرُ يحرصُ على رؤيةِ فطورٍ أو تفاوتٍ، فلا يَجِدُ ذلك، فينقلبَ خاسِئاً، والحسيرُ العَيِيُّ الكالُّ.

وقوله تعالى: ﴿بِمَصَابِيحَ﴾ يعني: النجومَ، قال الفخر[1]: ومعنى ﴿السماء الدنيا﴾ أي: القريبةُ مِنَ الناسِ، وليسَ في هذهِ الآيةِ ما يدلُّ عَلى أنّ الكواكبَ مركوزةٌ في السماء الدنيا، وذلك لِأَنَّ السمٰواتِ إذا كَانَتْ شَفَّافَةً فالكواكبُ سَواءٌ كَانَتْ في السماءِ الدنيا، أو كانَتْ في سمٰواتٍ أخرَى فَوقَها، فهي لا بد أنْ تَظْهَرَ في السماء الدنيا، وتَلُوحُ فِيها، فَعَلَى كِلاَ التَّقْدِيرَيْنِ فالسَّماء[2] الدُّنْيَا مُزَيَّنَةٌ بها، انتهى.

١٧١ أ وقوله: ﴿وجعلناها﴾ معناه وجَعَلْنَا مِنْها ويُوجِبُ/ هذا التأويلُ في الآيةِ أنَّ الكواكبَ الثابتةَ، والبروجَ، وكلَّ ما يُهْتَدَى به في البرِّ والبحرِ؛ لَيْسَت براجمةٍ، وهذا نصّ في حديثِ السير قال الثعلبي: ﴿رُجُوماً للشَّيَاطِينِ﴾ يُرْجَمُونَ بِها إذَا اسْتَرَقُوا السَّمْعَ فلا تُخْطِئُهُم، فمنهم مَنْ يُقْتَلُ ومنهم من يُخْبَلُ، انتهى.

﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم﴾ قال * ع[3] *: تضمنتِ الآيةُ أنَّ عذابَ جهنمَ للكفارِ المُخَلّدِينَ، وقد جاءَ في الأثر: أنه يَمُرُّ على جهنَم زَمانٌ تُخْفِق أبوابَها، قد أخْلَتْها الشفاعةُ، والذي يقال في هذا أن جهنَّمَ اسْمٌ تُخْتَصُّ به الطبقةُ العُلْيَا من النارِ، ثم قَدْ تُسَمَّى الطبقاتُ كلها باسْم بَعْضِها، فالتي في الأثرِ هي الطبقةُ العُلْيَا لأنَّها مَقَرُّ العُصَاةِ من المؤمنينَ، وَالَّتي في هذهِ الآية هي جهنمَ بأسرها، أي: جميعُ الطبقاتِ، والشَّهِيقُ أقْبَحُ ما يكونُ من صوتِ الحمارِ، فاشْتِعَالُ النار وغَلَيَانُها يُصَوِّتُ مِثْل ذلك.

وقوله: ﴿تُكاد تميز﴾ أي يُزَايِلُ بَعْضُها بَعْضاً لشِدَّةِ الاضْطِرَابِ، و﴿من الغيظِ﴾

---

(١) ينظر: «الفخر الرازي» (٣٠/ ٥٣).
(٢) في د: في السماء.
(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٣٩).

معناه: على الكَفَرَةِ باللَّهِ، والفَوْجُ: الفريقُ من الناس، وظاهر الآية أَنَّه لا يُلْقَى في جهنَّمَ أحَدٌ إلا سُئِلَ عَلى جهة التوبيخ.

وقوله سبحانه: ﴿إن أنتم إلا في ضلال كبير﴾ يحتملُ أنْ يكونَ من قولِ الملائكةِ، ويحتملُ أنْ يكونَ من تمامِ كَلاَمِ الكفارِ للنُّذُرِ، قال الفخر[1]: وقوله ـ تعالى ـ عنهم: ﴿لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير﴾ قيل إنما جَمَعُوا بين السَّمْعِ والعَقْلِ؛ [لأن مَدَارَ التكليفِ على أدلة السمعِ والعقلِ]، انتهى.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿إن الذين يخشون ربهم بالغيب﴾ يحتملُ معنيين: أحدُهما بالغَيْبِ الذي/ أُخْبِروا بِهِ مِن النَّشْرِ والحشر والجنة والنار، فآمنوا بذلك وخَشُوا ربَّهم فيه؛ ونحا إلى هذا قتادة[2]، والمعنى الثاني: أنهم يَخْشَوْنَ ربهم إذا غَابُوا عن أعْيُنِ الناس، أي: في خلَواتِهم في صلاتهم وعباداتهم. ١٧١ ب

وقوله تعالى: ﴿وأسروا قولكم...﴾ الآية، خطابٌ لجميعِ الخَلْقِ، و﴿ذلولاً﴾ بمعنى مَذْلُولَةٍ، و﴿مناكبها﴾ قال مجاهد: هي الطُّرُقُ والفجاجُ[3]، وقال البخاري: ﴿مناكبها﴾: جَوَانِبُها، قال الغزالي ـ رحمه اللَّه ـ: جَعَلَ اللَّهُ سبحانَه الأَرْضَ ذَلُولاً لِعِبَادِه لاَ لِيَسْتَقِرُّوا في مناكِبِها، بلْ لِيَتَّخِذُوهَا مَنْزِلاً فَيَتَزَوَّدُونَ منها مُحْتَرِزِينَ من مصائدِها ومَعَاطِبِها، ويتحقَّقُون أنَّ العُمْرَ يَسِيرُ بهم سَيْرَ السفينةِ بِرَاكِبِها، فالناسُ في هَذَا العَالَم سُفْرٌ وأوَّلُ منازِلِهم المَهْدُ، وآخرُها اللحدُ، والوَطَنُ هو الجنَّةُ أو النَّارُ، والعُمْرُ مسَافَةُ السَّفَرِ، فَسِنُوه مَرَاحِلهُ، وشُهورُه

---

(١) ينظر: «تفسير الرازي» (٣٠/ ٥٧).

(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٤٠).

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ١٦٩)، برقم: (٣٤٥٠٥)، وذكره البغوي (٤/ ٣٧١)، وابن عطية (٥/ ٣٤١)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٣٨٤)، وعزاه للفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر.

فَرَاسِخُه، وأيامُه أمْيَالُه، وأنْفَاسُه خُطُواتُه، وطَاعَتُه بضاعتُه، وأوقَاتُه رؤوس أموالِه، وشَهَواتُه وأغْرَاضُه قطاع طريقِه، وربحُه الفوزُ بلقاءِ اللَّه ـ عز وجل ـ في دار السلام مع المُلْكِ الكبيرِ والنَّعِيمِ المُقِيمِ، وخسرانُه البُعْد من اللَّه ـ عز وجل ـ مع الأنْكَالِ والأغْلاَلِ والعذاب الأليم في دَرَكَاتِ الجحيم، فالغافلُ عن نَفَسٍ واحدٍ من أنْفَاسِهِ، حتى يَنْقَضِيَ في غَيْرِ طاعةٍ تُقَرِّبُه إلى اللَّهِ تعالى زُلْفَى مُتَعَرِّضٌ في يوم التَّغابُن لغَبِينَةٍ وحَسْرَةٍ مَا لها مُنْتَهَى، وَلِهٰذَا الخطرِ العظيم والخَطْبِ الهائلِ شَمَّر المُوفَّقُونَ عن ساقِ الجِدِّ، وَوَدَّعُوا بالكليةِ ملاذَّ النَّفْسِ، واغْتَنَمُوا بَقَايَا العُمْرِ، فَعَمَّرُوها بالطاعاتِ، بِحَسَبِ تَكَرُّرِ الأوقَاتِ، انتهى، قال الشيخُ أبو مدين ـ رحمه اللَّه ـ: عُمْرُكَ نَفَسٌ وَاحِدٌ فَاحْرِصْ [أنْ يَكُونَ] لَكَ/ لاَ عليك، انتهى، واللَّه الموفِّقُ بفضلِه، و﴿النشورُ﴾: الحياةُ بعدَ الموتِ، و﴿تمور﴾ معناه: تَذْهَبُ وتَجِيءُ، كما يَذْهَبُ التراب المَوَارُ في الرِّيحِ، والحَاصِبُ البَرْدُ ومَا جَرى مَجْرَاه، والنَّكِيرُ مَصْدَرٌ بمعنى الإنْكَارِ، والنَّذِيرُ كذَلِكَ ومنه قول حسان بن ثابت: [الوافر] ١٧٢أ

فَأُنْذِرُ مِثْلَهَا نُصْحاً قُرَيْشاً ... مِنَ الرَّحْمٰنِ إنْ قَبِلَتْ نَذِيرِي[1]

ثم أحال ـ سبحانه ـ على العِبْرَةِ في أمْرِ الطير وما أحكمَ من خِلْقَتِها، وذلك بيَّنَ عَجْزَ الأصنامِ والأوثانِ عنه، و﴿صافات﴾ جَمْع صَافَّة، وهي التي تَبْسُط جَنَاحَها وتَصُفُّه، وقَبْضُ الجَنَاحِ ضَمُّه إلى الجنبِ، وهاتان حالتَان للطائر يَسْتَرِيحُ مِنْ إحْدَاهما إلى الأخرى.

﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه﴾ هذا أيضاً توقيفٌ على أمْرٍ لاَ مَدْخَل للأصنامِ فيه.

وقوله سبحانه: ﴿أفمن يمشي مكبًّا على وجهه﴾ قال ابن عباس والضحاك ومجاهد: نزلَتْ مثَلاً للمؤمنينَ والكافرين؛ على العموم[2]، وقال قتادةُ: نزلت مُخْبِرةً عن حال القِيَامَةِ، وأنَّ الكفارَ يَمْشُونَ على وجوهِهم، والمؤمنينَ يمشُون على استقامةٍ[3]، كما جاء

---

(١) البيت في «ديوانه» (٢٤٥)، وفيه فأرْدِفْ بدل فَأَنْذِرْ.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ١٧١)، برقم: (٣٤٥١٠، ٣٤٥١٢)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٤٢).

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ١٧١ ـ ١٧٢)، برقم: (٣٤٥١٣، ٣٤٥١٥)، وذكره البغوي (٤/ ٣٧٢)، وابن عطية (٥/ ٣٤٢)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٣٨٥)، وعزاه لعبد بن حميد، وعبد الرزاق، وابن المنذر.

في الحديث، ويُقالُ: أكَبَّ الرجلُ إذا دَرَّ وَجْهَهُ إلَى الأَرْضِ، وكَبَّه غَيْرُهُ، قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ في النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»[1] فَهَذَا الفِعْلُ على خلافِ القَاعِدَة المعلومةِ؛ لأَنَّ «أَفْعَلْ» هنا لا يتعدّى، و«فَعَلَ» يَتَعَدَّى، ونظيرُه قَشَعَتِ الرِّيحُ السَّحَابَ فانْقَشَعَ، وقال * ص *: ﴿مُكِبًّا﴾ حالٌ وهو مِنْ أَكَبَّ غَيْرَ مُتَعَدٍّ، وَكَبَّ متعدٍ، قال تعالى: ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُم في النَّارِ﴾ [النمل: ٩٠] والهَمْزَةُ فيه للدخولِ في الشيءِ، أو للصيرورَةِ، ومطاوع/ كَبَّ: انْكَبّ، تَقُولُ كَبَبْتُه فانْكَبَّ، قال بَعْضُ الناس: ١٧٢ ب ولاَ شَيْءَ من بناءِ «أَفْعَلَ» مطاوعاً، انتهى، و﴿أهدى﴾ في هذه الآية أفْعَلُ تَفْضِيلٍ مِنَ الهُدَى.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الوَعْدُ﴾ يريدونَ أمْرَ القيامةِ والعذابِ المتوعَّدِ به، ثم أمرَ سبحانَه نبيه ـ عليه السلام ـ أنْ يخبرَهم بأنَّ علمَ القيامةِ والوعدَ الصدقَ مما تفرَّدَ اللَّهُ ـ سبحانه ـ بعلمِهِ.

وقوله سبحانه: ﴿فلما رأوه﴾ الضميرُ للعَذَابِ الذي تَضَمَّنَه الوعدُ، وهذهِ حكايةُ حَالٍ تأتِي، والمَعْنى: فإذا رأوه.

و﴿زلفة﴾ معناه قريباً، قال الحسن: عِيَاناً[2].

﴿وسيئت وجوه الذين كفروا﴾ معناهُ: ظَهَرَ فيها السوءُ.

و﴿تدَّعون﴾ معناه: تَتَدَاعَوْنَ أمْرَه بينكم، وقال الحسن: تدعون أنَّه لاَ جَنَّةَ ولاَ نار[3]، ورُوِيَ في تأويل قوله تعالى: ﴿قل أرأيتم إن أهلكني اللَّه ومن معي...﴾ الآية، أنَّهم كانُوا يَدْعُونَ على محمد ﷺ وأصحابه بالهلاكِ، فقال اللَّه تعالى لنبيه: قلْ لهم: أرأيتم

---

(١) تقدم تخريجه.
(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ١٧٢ ـ ١٧٣)، برقم: (٣٤٥١٦ ـ ٣٤٥١٧)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٤٣).
(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٤٣).

إنْ أهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَنْ معي أو رحمَنا، فمن يُجِيرُكُم مِنْ العذاب الذي يُوجِبُه كفرُكم؟، ثم وَقَفَهم سبحانه على مِيَاهِهِم التي يَعيشُونَ منها، إنْ غَارَتْ، أي: ذَهَبَتْ في الأرضِ، مَنْ يَجِيئُهم بماءٍ كثيرٍ كافٍ؟ * ص *: والغَوْرُ: مَصْدَرٌ بمعنى الغَائِر، انتهى، والمَعِينُ: فَعِيلٌ مِنْ مَعَنَ المَاءُ إذا كَثُرَ، وقالَ ابن عباس: مَعينٌ عَذْبٌ[1]:

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ١٧٤)، برقم: (٣٤٥٢٤)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٤٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٣٨٦)، وعزاه لعبد بن حميد.

تَفسِيرُ سُورَةِ القَلَمِ

وهِيَ مَكِّيَّةٌ بَلاَ خِلاَفٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿نٓ والقلم وما يسطرون﴾ ﴿نٓ﴾ حَرْفٌ مقطع في قول الجمهور، فيدخُلُه من الاخْتِلاَفِ ما يَدْخُلُ أوائِلَ السُّورِ، ويختصُّ هذَا الموضعُ مِنَ الأقوال، بأنْ قَالَ مُجاهِدٌ وابن عباس: ﴿نٓ﴾ اسْمُ الحوتِ الأعْظَم/ الَّذِي عَلَيْه الأَرضُونَ السَّبْعُ فِيما يُرْوَى[1]، ١٧٣ أ
وقال ابن عباس أيضاً وغيره: ﴿نٓ﴾ اسمُ الدَّوَاةِ[2]، فَمَنْ قَال بأنه اسْمُ الحوتِ جَعَلَ [القَلَمَ] القَلَمَ الذي خلقَه اللَّهُ وأمَرَهُ بِكَتْبِ الكائناتِ، وجَعَلَ الضميرَ في ﴿يسطرون﴾ للملائِكَةِ، ومَنْ قَال بأنَّ ﴿نٓ﴾ اسْمٌ للدَّوَاةِ جَعَلَ القَلم هَذَا القلمَ المتعارفَ بأيْدِي الناسِ؛ نَصَّ على ذَلِكَ ابنُ عَبّاسٍ وَجَعَل الضميرَ في ﴿يسطرون﴾ للنَّاسِ فَجَاء القَسَمُ على هذا بمجموع أمْرِ الكِتَابِ الذي هو قِوَامٌ للعلوم والمعَارِفِ، وأمورِ الدنيا، والآخِرَةِ، فَإنَّ القَلَمَ أخُو اللسانِ، وعَضُدُ الإنْسَانِ، ومَطِيَّةُ الفِطْنَةِ، ونِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ عَامَّة، ورَوَى معاويةُ بن قرة أن النبي ﷺ قال: «﴿نٓ﴾ لَوحٌ من نُورٍ».

---

(١) ذكره البغوي (٤/ ٣٧٤)، وابن عطية (٥/ ٣٤٥)، وابن كثير (٤/ ٤٠٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٣٨٧)، وعزاه لابن جرير، والطبراني، وابن مردويه عن ابن عباس، (٦/ ٣٨٨)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر عن مجاهد.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ١٧٦)، برقم: (٣٤٥٣٨ ـ ٣٤٥٣٩)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٤٥)، وابن كثير (٤/ ٤٠١)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٣٨٨)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر

وقالَ ابنُ عباسٍ أيضاً وغيره: ﴿نٓ﴾ هو حَرْفٌ من حروفِ الرحمٰنِ[١]، وقالوا إنَّه تَقَطَّع في القرآن ﴿الٓرٰ﴾ و﴿حمٓ﴾ و﴿نٓ﴾، و﴿يَسْطُرُونَ﴾: معناه: يكْتُبُونَ سُطُوراً، فإنْ أرَادَ الملائكةَ فهُوَ كَتْبُ الأَعْمَالِ وَمَا يؤْمَرُون به، وإنْ أرادَ بني آدم؛ فهي الكُتُبُ المنزلةُ والعلوم وما جَرَى مَجْرَاهَا، قال ابن العربي في «**أحكامه**»: رَوَى الوليدُ بن مُسْلِم عَنْ مالكٍ عَنْ سُمَيٍّ مولى أبي بكر عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقولُ: «أوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ القَلَمَ، ثُمَّ خَلَق النونَ، وهي الدوَّاةُ، وذَلِكَ قَوْلُه: ﴿نٓ والقلم﴾ ثم قَالَ لَهُ: اكْتُبْ؛ قَالَ: وَمَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: مَا كَانَ وَمَا هُو كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، قال: ثُمَّ خَتَمَ العَمَلَ، فَلَمْ يَنْطِقْ وَلاَ يَنْطِقُ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ، ثُمَّ خَلَقَ العَقْلَ، فَقَالَ الجَبَّارُ: مَا خَلَقْتُ خَلْقاً أعْجَبَ إليَّ مِنْكَ، وعِزَّتِي لأُكَمِّلَنَّكَ فِيمَنْ أَحْبَبْتُ، وَلأُنْقِصَنَّكَ فِيمَنْ أَبْغَضْتُ،/ قَالَ: ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَكْمَلُ النَّاسِ عَقْلاً أَطْوَعُهُمْ لِلَّهِ وأعْمَلُهُمْ بِطَاعَتِهِ»[٢]، انتهى، ١٧٣ ب

* ت *: وهذا الحديثُ هُوَ الذي يُعَوَّلُ عليهِ في تفسير الآيةِ، لصحته، واللَّه سبحانه أعلم.

وقوله تعالى: ﴿ما أنت بنعمة ربك بمجنون﴾ هُوَ جَوابُ القَسَمِ، وَ﴿مَا﴾ هُنَا عَاملةٌ لها اسْمٌ وَخَبَرٌ، وكذلِك هي متَى دَخَلَتِ البَاءُ في الخَبَرِ، وقوله: ﴿بنعمة ربك﴾ اعْتِرَاضٌ، كما تقولُ لإِنْسَانٍ: أنْتَ بِحَمْدِ اللَّهِ فاضلٌ، وسَبَبُ الآيةِ هُوَ مَا كَانَ من قريشٍ في رَمْيِهِم النبيَّ ﷺ بالجُنُونِ، فَنَفَى اللَّهُ تعالى ذلك عنه، وأخبره بأنَّ له الأَجْرَ، وأنَّه على الخُلُقِ العظيم تَشْريفاً له، وَمَدْحاً واخْتُلِفَ في معنى ﴿ممنون﴾ فَقَال أكْثَرُ المفسرينَ: هو الوَاهِنُ المنْقَطِعُ، يقال: حَبْل مَنِينٌ أي: ضعيفٌ، وقال آخرون: معناه: غير مَمْنُونٍ عَلَيْكَ، أي: لا يُكَدِّرُه مَنٌّ بِه، وفي الصحيح: سُئِلَتْ عائشةُ ـ رضي اللَّه عنها ـ عن خلقِ رسولِ اللَّه ﷺ فقَالَتْ: «كَانَ خُلقُهُ القُرْآنَ»، وقال الجُنَيْدُ: سمّي خلقُه عَظِيماً؛ إذ لَمْ تَكُنْ له همةٌ سِوَى اللَّهِ تعالى؛ عَاشَرَ الخَلْقَ بخُلُقِه، وزَايَلَهُمْ بِقَلْبِهِ فكانَ ظاهرُه مَعَ الخلقِ، وباطِنهُ مع الحق، وفي وَصِيَّةِ بعض الحكماء: عليكَ بالخُلُقِ مَعَ الخَلْقِ، وبالصِّدقِ مَعَ الحقِّ، وحسْنُ الخلقِ

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٤٥).

(٢) أخرجه الخطيب في «**تاريخ بغداد**» (١٣/ ٤٠).

قال الشوكاني في «**الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة**» (٤٧٩).

قال ابن عدي: باطل منكر؛ آفته محمد بن وهب الدمشقي.

وقال في الميزان: صدق ابن عدي في أن هذا الحديث باطل، وقد أخرجه الدارقطني في «**الغرائب**» من طريقه.

ورواه ابن عساكر عن أبي هريرة مرفوعاً، والخطيب عن علي مرفوعاً. ا هـ من كلام الشوكاني.

خيرٌ كلّه، وقال ـ عليه السلام ـ: «إنَّ المؤمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ قَائِمِ اللَّيْلِ، صَائِمِ النَّهَارِ» وَجَاءَ في حُسْنِ الخُلُقِ آثارٌ كثيرةٌ مَنَعَنَا مِنْ جَلْبِها خَشْيَةُ الإطَالةِ، وقد رَوَى الترمذيُّ عَنْ أبي هريرةَ قال: «سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الجَنَّةَ؟ فقال: تَقْوَى اللَّهِ وحُسْنُ الخُلُقِ، وسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ/ النَّارَ؟ فَقَالَ: الفَمُ وَالْفَرْجُ»[1]، قَالَ أبو عِيسَىٰ: هذَا حديثٌ صحيحٌ غَرِيبٌ، انتهى، ورَوى الترمذيُّ عَنْ أبي الدرداءِ أن النبيَّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلَ في مِيزَانِ المُؤْمِنِ يَوْمَ القِيَامَةِ من خُلُقٍ حَسَنٍ، وإنَّ اللَّهَ لَيَبْغَضُ الفَاحِشَ البَذِيَّ»[2]، قال أبو عيسى: هذا حديثٌ حَسَنٌ صحيحٌ، انتهى، قَال أبو عُمَرَ في «التمهيد»: قال اللَّه ـ عز وجل ـ لنبيه ﷺ: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ قَال المفسرونَ: كان خلقُهُ مَا قَالَ اللَّهُ سبحانَه: ﴿خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] انتهى. ١٧٤أ

وقَوْلهُ تعالى: ﴿فستبصر﴾ أي: أنْتَ وأمَّتكَ، ﴿ويبصرونَ﴾ أي: هُمْ، ﴿بأيِّيكُمُ المفتون﴾ قال الأخفش: والعاملُ في الجملةِ المسْتَفْهَمُ عَنْها الإبصَارُ، وأمّا البَاءُ فقال أبو عبيدةَ معمر وقتادةُ: هي زائدةٌ والمعنى: أيكم المفتونُ[3]، قال الثعلبيّ: المفْتُونُ المَجْنُونُ الذي فَتَنَهُ الشيطانُ، انتهى.

﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿فلا تطع المكذبين﴾ يعني: قريشاً، وذلك أنهم قَالُوا في بعضِ الأوْقَاتِ للنبي ﷺ: لَوْ عَبَدْتَ آلهتَنَا وعَظَّمْتَها لَعَبَدْنَا إلٰهك وعظمناه، وَوَدُّوا أنْ يُدَاهِنَهم النبي ﷺ ويميلَ إلى مَا قالوا، فَيمِيلُوا هُمْ أيضاً إلى قَولهِ ودِينِهِ، والإدْهَانُ الملايَنَةُ فيما لاَ

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٣٦٣)، كتاب «البر والصلة» باب: ما جاء في حسن الخلق (٢٠٠٤)، وابن حبان (٦/ ٩٩) ـ الموارد، (١٩٢٣)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٢٤)، وابن ماجه (٢/ ١٤١٨)، كتاب «الزهد» باب: ذكر الذنوب (٤٢٤٦)، والبخاري (٨٩) (٢٩٩١)، وأحمد (٢/ ٣٩٢).
قال الترمذي: هذا حديث صحيح غريب.
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه أبو داود (٢/ ٦٦٩)، كتاب «الأدب» باب: في حسن الخلق (٤٧٩٩) مختصراً، والترمذي (٤/ ٣٦٢)، كتاب «البر والصلة» باب: ما جاء في حسن الخلق (٢٠٠٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٢٤٣) مختصراً.
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٤٦).

يَحِلُّ، والمُدَارَاةُ الملاينة فيما يحل.

وقوله: ﴿فيدهنون﴾ معطوفٌ وليس بجَوابٍ، لأنَّه لَوْ كَانَ لَنُصِبَ، والحلاّفُ المردِّد لِحَلفِهِ الذي قد كثرَ منه، والمَهينُ الضَّعِيفُ الرأيِ، والعَقْلِ؛ قاله مجاهد[1]، وقال ابن عباس: المهينُ الكذَّابُ[2]، والهمَّازُ الذي يَقَعُ في النَّاسِ بلسَانِه[3]، قال منذر بن سعيد: وبعَيْنِهِ وإشارَتِه،/ والنَّمِيمُ مَصْدَرٌ كالنَّمِيمَةِ، وهو نَقْل مَا يَسْمَعُ مما يسوءُ ويُحَرِّشُ النفوسَ، ١٧٤ ب
قال أبو عمر بن عبد البر في كتابِهِ المسمَّى بـ«**بهجةِ المجالس**» قال النبي ﷺ: «مَنْ كَفَّ عَنْ أعْرَاضِ المُسْلِمِينَ لِسَانَه؛ أقَالَه اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَثْرَتَه»[4]، وقال ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلام ـ: «شِرَارُكُمْ أيُّهَا النَّاسُ المشَّاؤُونَ بالنَّمِيمَةِ، المُفَرِّقُونَ بَيْنَ الأَحِبَّةِ، البَاغُونَ لِأَهْلِ البِرِّ العَثَرَاتِ»[5] انتهى، ورَوَى حذيفةُ أَن النبي ﷺ قال: «لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَتَّاتٌ»[6]، وهو النَّمَّامُ، وذَهَبَ كثيرٌ مِنَ المفسِّرِينَ إلى أنَّ هذهِ الأوْصَافَ هي أجْنَاس لَمْ يُرَدْ بها رجلٌ بعينهِ، وقالت طائفة: بَلْ نزلت في معيَّنٍ، واختلفوا فيه، فقال بعضهم: هو الوليدُ بن المغيرةِ،

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٤٧)، وابن كثير (٤/ ٤٠٣)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ٣٩٢)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ١٨٣)، برقم: (٣٤٥٨١)، وذكره البغوي (٤/ ٣٧٧)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٤٧)، وابن كثير (٤/ ٤٠٣).

(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٤٧).

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) أخرجه أحمد (٤/ ٢٢٧).

قال الهيثمي في «**مجمع الزوائد**» (٨/ ٩٦): رواه أحمد وفيه شهر بن حوشب، وقد وثقه غير واحد، وبقية رجال أحمد أسانيده رجال «**الصحيح**».

(٦) أخرجه مسلم (١/ ١٠١)، كتاب «الإيمان» باب: بيان غلظ تحريم النميمة، حديث (١٦٨/ ١٠٥)، وأحمد (٥/ ٣٩١، ٣٩٦، ٣٩٨، ٤٠٦) من طريق واصل الأحدب، عن أبي وائل عن حذيفة بن اليمان، أنه بلغه: أن رجلاً كان ينم الحديث، فقال حذيفة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة نمام».

وللحديث طريق آخر عن حذيفة، وفيه قتات بدل نمام، أخرجه البخاري (١٠/ ٤٨٧)، كتاب «الأدب» باب: ما يكره من النميمة، حديث (٦٠٥٦)، ومسلم (١/ ١١)، كتاب «الإيمان» باب: بيان غلظ تحريم النميمة (١٦٩/ ١٠٥)، وأبو داود (٢/ ٦٨٤)، كتاب «الأدب» باب: في القتات، حديث (٤٨٧١)، والترمذي (٤/ ٣٢٩)، كتاب «البر والصلة» باب: ما جاء في النمام، حديث (٢٠٢٦)، وأحمد (٥/ ٣٨٢، ٣٨٩، ٣٩٢، ٤٠٢، ٤٠٤)، والبيهقي (٨/ ١٦٦)، كتاب «قتال أهل البغي» باب: ما على من رفع إلى السلطان ما فيه ضرر، والبغوي في «**شرح السنة**» (٦/ ٥٢٣) ـ بتحقيقنا، والطبراني في «**الصغير**» (١/ ٢٠٣)، وفي «**الكبير**» (٣/ ١٨٦)، برقم: (٣٠٢٠)، وأبو نعيم في «**الحلية**» (٤/ ١٧٩)، والخطيب في «**تاريخ بغداد**» (١١/ ٢٣٧) من طريق همام بن الحارث عن حذيفة مرفوعاً.

وقيل هو: الأخْنَسُ بن شريق، ويؤيد ذلكَ أنه كانَتْ له زَنَمَةٌ في حَلْقِه كَزَنَمَةِ[1] الشَّاةِ، وأيضاً فكانَ من ثَقِيفٍ مُلْصَقاً في قُرَيْشٍ، وقيل: هو أبو جهلٍ، وقيل: هو الأسودُ بن عَبْدِ يَغُوثَ، قال * ع[2] *: وظاهرُ اللفظ عمومُ مَنِ اتَّصَفَ بهذهِ الصفاتِ، والمخاطبَةُ بهذا المعنى مستمرة بَاقِيَ الزَّمانِ، لا سيما لِوُلاَةِ الأمور.

﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿مناع للخير﴾ قَالَ كثيرٌ مِنَ المفسرينَ: الخيرُ هُنَا المالُ فَوَصَفه بالشُّحِّ، وقال آخرونَ: بل هُوَ عَلى عُمُومِهِ في الأموالِ والأَعْمَالِ الصالحاتِ، والمُعْتَدِي المتجاوِزُ لحدودِ الأَشْيَاءِ، والأَثِيمُ فَعِيلٌ مِن الإثْمِ، والعُتُلُّ: القويُّ البنيةِ، الغَليظُ الأَعْضَاءِ، القَاسِي القَلْبِ، البَعيدُ الفَهْمِ، الأَكُولُ الشَّرُوبُ، الذي هو بالليلِ جِيفَةٌ وَبِالنَّهارِ حِمَارٌ، وكلُّ ما عبر به المفسرونَ عَنه مِنْ خِلاَلِ النقصِ، فَعَنْ هذه الَّتِي ذَكَرْتُ/ تَصْدُرُ، وقد ذكر النقاشُ أنّ النبي ﷺ فَسَّر العتلَّ بِنَحْوِ هذا، وهذهِ الصفاتُ كثيرةُ التَّلازُمِ، والزَّنِيمُ في كلام العرب: المُلْصَقُ في القومِ ولَيْسَ منهم؛ ومنه قول حَسَّان: [الطويل] ١٧٥ أ

وَأَنْتَ زَنِيمٌ نِيطَ فِي آلِ هَاشِمٍ كَمَا نِيطَ خَلْفَ الرَّاكِبِ القَدَحُ الفَرْدُ

فَقَالَ كثيرٌ من المفسرينَ: هو الأخْنَسُ بن شريقٍ، وقال ابن عباس: أرادَ بالزنيم؛ أنَّ له زَنَمَةً في عُنُقِهِ[3]، وكان الأخنسُ بهذه الصفةِ، وقيل: الزَّنِيمُ: المُرِيبُ القبيحُ الأَفْعَالِ.

﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾﴾

وقوله: ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الخُرْطُومِ﴾ معناه: على الأَنْفِ. قَالَ ابنُ عَبّاسٍ: هُو الضَّرْب

---

(١) زُنْمَةُ الشاة: هنة معلقة في حلقها تحت لحيتها، وخص بعضهم به العنز.

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٤٧).

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ١٨٦)، برقم: (٣٤٦١٤)، وذكره البغوي (٤/ ٣٧٨)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٤٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٣٩٤)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر.

بالسَّيْفِ في وَجْهِهِ وعَلَى أنْفِه[١]، وَقَدْ حَلَّ ذَلِكَ به يومَ بَدْرٍ، وقيل: ذلك الوَسْمُ هو في الآخرةِ، وقال قتادة وغيره: معناه سَنَفْعَلُ به في الدنيا مِنَ الذَّمِّ لهُ والمَقْتِ والاشْتِهَارِ بالشر، ما يَبْقَى فِيه وَلاَ يَخْفَى به، فيكونُ ذلكَ كالْوَسِمِ عَلَى الأنف[٢].

وقوله سبحانه: ﴿إنا بلوناهم﴾ يريد: قريشاً، أي: امْتَحَنَّاهُم، و﴿أصْحَاب الجنةِ﴾ فيما ذُكِرَ كانوا إخوةً، وكانَ لِأَبِيهم جَنَّةٌ وحَرْثٌ يَغْتَلُّه، فَكَان يُمْسِكُ منه قُوتَه، وَيَتَصَدَّقُ على المساكين بِبَاقِيهِ، وقيل: بلْ كَانَ يَحْمِلُ المساكِينَ مَعَه في وَقْتِ حَصَادِهِ وجَذِّه فَيُجْدِيهم منه، فماتَ الشيخُ، فقال ولدُه: نَحْنُ جَماعَةٌ وفِعْلُ أبينَا كَانَ خطأً فَلْنَذْهَبْ إلى جنَّتِنَا، ولا يَدْخُلَنَّها عَلَيْنَا مِسْكِينٌ، ولا نُعْطِي منها شيئاً، قَال: فَبَيَّتُوا أمْرَهُمْ وَعَزْمَهُمْ، فَبَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهَا طائفاً من نارٍ أو غيرِ ذلكَ، فاحْتَرَقَتْ، فقيلَ: فأصْبَحَتْ سَوداء، وقيل: بَيْضَاء كالزَّرْعِ اليَابِسِ المَحْصُودِ، فلما أصْبَحوا إلى جنتهم؛ لم يَرَوْهَا فَحسبوا أنهم قَد أَخْطَؤُوا الطريقَ، ثم تَبَيَّنُوها فعلموا أنَّ اللَّهَ/ أَصَابَهُم فِيها، فتَابوا حينئذٍ فَكَانُوا[٣] مُؤمِنِينَ أهْلَ كِتَابٍ، فَشَبَّه اللَّهُ قُرَيْشاً بهم في أنه امْتَحَنَهُمْ بالمصَائِبِ، في دُنْيَاهُمْ لِعَدَمِ اتِّبَاعِهِمْ للنبي ﷺ، ثُمَّ التوبةُ مُعَرَّضَةٌ لِمَنْ بَقِيَ منهم. ١٧٥ ب

وقوله تعالى: ﴿لَيَصْرِمُنَّهَا﴾ أي: لَيَجُذُّنَّهَا، و﴿مصْبِحِينَ﴾ معناه: دَاخِلِينَ في الصباح.

وقوله تعالى: ﴿ولا يَسْتَثْنُونَ﴾ [أي: لا يَنْثَنُونَ][٤] عن رأيِ مَنْعِ المساكين، وقَالَ مجاهد: معناه ولاَ يَقُولُونَ إنْ شَاءَ اللَّه[٥]. والصَّرِيمُ، قال جماعة: أرادَ بِهِ اللَّيْلَ مِنْ حيثُ اسْوَدَّتْ جَنَّتُهم، وقَالَ ابن عباس: الصَّرِيمُ: الرَّمَادُ الأسْوَدُ بِلُغَةِ خُزَيْمَةَ، وقولهم: ﴿إن كنتم صارمين﴾ يَحْتَمِلُ أنْ يكُونَ مِنْ صرام النخلِ، ويحتملُ أنْ يريدَ إنْ كُنْتُمْ أهْلَ عزم وإقْدَام على رأيكم، من قولك سَيْفٌ صارم[٦]، و﴿يَتَخَافَتُونَ﴾: معناه يَتَكَلَّمُونَ كَلاَماً خَفِيًّا، وكانَ هذا التخافتُ خَوْفاً مِنْ أنْ يَشْعُرَ بهمُ المساكينُ، وكان لفظُهم الذي يتخافتون به: ﴿أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين﴾.

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/١٨٨)، برقم: (٣٤٦٢٨)، وذكره البغوي (٤/٣٧٩)، وابن عطية (٥/٣٤٩)، وابن كثير (٤/٤٠٥)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/٣٩٤)، وعزاه لابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.

(٢) ذكره البغوي (٤/٣٧٩)، وابن عطية (٥/٣٤٩)، وابن كثير (٤/٤٠٥).

(٣) في ط: وكانوا.

(٤) سقط في: د.

(٥) ذكره ابن عطية (٥/٣٤٩).

(٦) ذكره البغوي (٤/٣٧٩)، وابن عطية (٥/٣٤٩)، وابن كثير (٤/٤٠٦).

وقوله: ﴿على حرد﴾ يَحْتَمِلُ أنْ يريدَ عَلى مَنْع، من قولهم: حَارَدَتِ الإبِلُ إذا قَلَّتْ ألبانُها فمنَعتْهَا، وحَارَدَتِ السنةُ إذا كَانَتْ شَهْبَاء لاَ غَلَّةَ لها، ويحتملُ أن يريدَ بالحَرْدِ الغَضَبَ، يقال حَرَدَ الرجلُ حَرْداً إذَا غَضِبَ، قال البخاريّ قَالَ قتادة: ﴿عَلى حَرْدٍ﴾ [أي: على جدٍّ][1] في أنفسهم، انتهى[2].

وقوله تعالى: ﴿قادرين﴾ يحتملُ أن يكون من القُدْرَةِ، أي: قادرون في زعمِهم ويَحْتَمِلُ أنْ يَكُونَ مِن التَّقْدِيرِ الذي هو تَضْيِيقٌ، كأنّهم قَدْ قَدَرُوا عَلَى المسَاكِينِ، أي ضَيَّقُوا عليهم، ﴿فلما رأوها﴾ أي: مُحْتَرِقَةً ﴿قالوا إنا لضالون﴾ طريقَ جَنَّتِنَا فَلَما تَحقَّقُوها/ عَلِمُوا أنها قَدْ أصيبتْ فقالوا: ﴿بل نحن محرومون﴾ أي: قَدْ حُرِمْنَا غَلَّتَها وبَرَكَتها، فقال لهم أعدلهُم قَوْلاً وعَقْلاً وخُلُقاً وهو الأوسَط؛ ﴿ألم أقل لكم لولا تسبحون﴾ قِيلَ هي عبارةٌ عَنْ تعظيمِ اللَّهِ والعَمَلِ بطاعتهِ سبحانَه، فَبادَرَ القَوْمُ عَنْدَ ذَلِكَ وَتَابُوا وسبَّحُوا، واعترفُوا بظلمِهم في اعتقادهم مَنْعَ الفقراءِ، ولاَمَ بعضُهم بَعْضاً واعترفوا بأنهم طَغَوا، أي: تَعَدَّوْا مَا يَلْزَم مِنْ مُوَاسَاةِ المساكينِ، ثم انصرفوا إلى رَجَاءِ اللَّه سبحانَه وانتظارِ الفَضْلِ من لَدُنْهُ في أن يُبْدِلَهُمْ، بِسَبَبِ تَوْبَتِهم، وإنابتِهم خَيْراً من تلك الجنة، قال الثعلبي: قال ابن مسعود: بلغني أن القومَ لما أَخْلَصُوا وَعَلِمَ اللَّهُ صدقَهم أبْدَلَهُمْ اللَّهُ ـ عز وجل ـ بها جنةً يقال لها الحَيَوَانُ، فيها عِنَبٌ يَحْمِلُ البغلُ العنقُودَ منها[3]، وعن أبي خالد اليماني أنه رأى تلكَ الجنةَ ورَأى كُلَّ عُنْقُودٍ منها كالرَّجُلِ الأسْوَدِ القائِم، انتهى،، وقدرةُ اللَّه أعْظَمُ فلا يُسْتَغْرَبُ هذا إنْ صَحّ سنده.

١٧٦ أ

﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿كذلك العذابُ﴾ أي: كَفِعْلِنَا بأهْلِ الجنةِ نَفْعَلُ بِمَنْ تعدَّى حدودَنا.

﴿ولعذاب الآخرة أكبر﴾ أي: أعْظَم مما أصَابَهُمْ، إنْ لَمْ يَتُوبُوا في الدنيا.

---

(١) سقط في: د.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ١٩١)، برقم: (٣٤٦٤٤)، وذكره البغوي (٤/ ٣٨٠)، وابن كثير (٤/ ٤٠٦).

(٣) ذكره البغوي (٤/ ٣٨١).

ثم أخْبَر تعالى بـ﴿إنَّ للمتقينَ عند ربهم جناتِ النعيم﴾ فَرُوِيَ أنه لما نزلت هذه الآيةُ قَالَتْ قريشٌ: إنْ كَانَ ثَمَّ جَنَّاتِ نعيمٍ فَلَنَا فِيها أكْبَرُ الحَظِّ، فنزلتْ ﴿أفَنجْعَلُ المسلمينَ كالمُجْرِمينَ﴾ الآية؛ تَوْبِيخاً لهم.

﴿أم لكم كتاب﴾ مُنَزَّلٌ من عندِ اللَّهِ تَدْرُسُونَ فيه أنَّ لَكُمْ مَا تَخْتَارُونَ مِنَ النعيمِ، فـ﴿إن﴾ معمولة لـ﴿تَدْرُسُونَ﴾ وكُسِرَتِ الهمزَةُ مِنْ ﴿إنَّ﴾ لدخولِ اللام في الخبرِ، وهي في معنى (أن) ـ بفتح الألِف ـ وقرىء شاذاً[1]: «أنَّ لَكُمْ» بالفتح، **وقرأ** الأعرج[2]: «أنّ/ لَكُمْ فِيهِ» على الاستفهام، ثم خَاطَب تعالى الكفارَ بقولِهِ: ﴿أم لكم أيمان علينا بالغة﴾ كأنه يقُولُ هل أقْسَمْنَا لكم قَسَماً فهو عَهْدٌ لكم بأنَّا نُنَعِّمُكُمْ في يومِ القيامة، وما بعدَه، **وقرأ** الأعرج[3]: «آن لكم لما تحكمون» على الاستفهامِ، أيضاً. ١٧٦ ب

﴿سلهم أيهم بذلك زعيم﴾ أي: ضَامِنٌ * ت *: قال الهروي: وقوله: ﴿أيمان علينا بالغة﴾ أي مُؤكَّدَة، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿فليأتوا بشركائهم﴾ قيل: هو استدعاءٌ وتوقيفٌ في الدنيا، أي: لِيُحْضِرُوهُم حَتَّى يُرَى هلْ هُمْ بحالِ مَنْ يَضُرُّ وينفعُ أم لا؟ وقيلَ: هو استدعاءٌ وتوقيف على أن يأتوا بهم يومَ القيامةِ ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ **وقرأ** ابن عباس[4]: «تُكْشَفُ» ـ بضم التاء ـ على مَعْنَى: تُكْشَفُ القيامةُ والشدةُ والحالُ الحاضرة، **وقرأ** ابن عباس[5] أيضاً: «تَكْشِفُ» ـ بفتح التاء ـ على أنَّ القيامةَ هي الكاشِفَةُ، وهذه القراءة مفسِّرَة لقراءَةِ الجماعةِ، فما وَرَدَ في الحديثِ والآيةِ مِنْ كَشْفِ الساقِ فهو عبارة عَنْ شدةِ الهول.

وقوله ـ جلت عظمته ـ: ﴿ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون﴾ وفي الحديثِ الصحيح: «فَيَخِرُّونَ للَّهِ سُجّداً أجْمَعونَ ولا يبقى أحَدٌ كَانَ يسجدُ في الدنيا رياءً ولا سمعةً ولاَ نِفَاقاً إلا صَارَ ظهرُهُ طَبَقاً وَاحِداً؛ كُلَّما أرَادَ أنْ يَسْجُدَ خَرَّ على قفاه»[6]، الحديثَ، وفي

---

(١) قرأ بها الأعرج، كما ذكر ابن خالويه في «مختصر الشواذ» ص: (١٦٠)، وقرأبها طلحة، والضحاك، كما في «الدر المصون» (٦/ ٣٥٧).

(٢) ينظر: «مختصر الشواذ» ص (١٦٠)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٣٥٢) و«البحر المحيط» (٨/ ٣٠٩)، و«الدر المصون» (٦/ ٣٥٧).

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٥٢)، و«البحر المحيط» (٨/ ٣٠٩).

(٤) ينظر: «المحتسب» (٢/ ١٦٠)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٣٥٣).

(٥) ينظر: مصادر القراءة السابقة.

(٦) أخرجه البخاري (٨/ ٥٣١)، كتاب «التفسير» باب: يوم يكشف عن ساق (٤٩١٩) نحوه.

=

الحديثِ: «فَيَسْجُدُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، وَتَرْجِعُ أَصْلاَبُ المُنَافِقِينَ والكُفَّارِ، كَصَيَاصِي البَقَرِ، عَظْماً وَاحِداً؛ فَلا يَسْتَطِيعُونَ سُجُودًا» الحديث.

وقوله تعالى: ﴿وقد كانوا يدعون إلى السجود﴾ يريد في دَارِ الدنيا، ﴿وهم سالمون﴾ مما نالَ عَظَامَ ظهورِهم مِنَ الاتِّصَال والعُتُوِّ.

﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿فذرني ومن يكذب بهذا الحديث﴾ الآية، وَعِيدٌ وتهديدٌ والحديثُ المشَارُ إليه/ هو القرآن، وباقي الآية بيّن مِمّا ذُكِرَ في غير هذا الموضع، ثم أَمَرَ ١٧٧أ اللَّه ـ تعالى ـ نبيَّه بالصَّبْرِ لِحُكْمِهِ وأَنْ يَمْضِيَ لِمَا أُمِرَ بِهِ من التبليغ واحْتِمالِ الأذَى والمشقة، ونُهِيَ عَنِ الضَّجَرِ والعَجَلَةِ التي وَقَعَ فيها يونُس ﷺ ثم اقْتَضَبَ القصَّةَ وذَكَرَ ما وَقَعَ في آخرها من ندائِه من بطن الحوت، ﴿وهو مكظوم﴾ أي: وَهُو كَاظِمٌ لحُزْنِه ونَدَمِه، وقال الثعلبيّ، ونحوُه في البخاري: ﴿وهو مكظوم﴾ أي: مملوءٌ غَمًّا وكَرْبَاً، انتهى وهُوَ أقْرَبُ إلى المعنى، وقال النَّقَّاشُ: المكظومُ الذي أُخِذَ بِكَظْمِه، وهي مَجَارِي القلبِ، وقرأ ابن مسعود[1] وغيره: «لَوْلاَ أَنْ تَدَارَكَتْهُ نِعْمَةُ» والنعمة التي تداركته هي الصَّفْحُ والاجتباء الذي سَبَقَ له عَنْدَ اللَّهِ ـ عز وجل ـ ﴿لنبذ بالعراء﴾ أي: لَطُرِحَ بالعرَاءِ وهُوَ الفَضَاءُ الَّذِي لاَ يُوارِي فيه جَبَلٌ ولاَ شَجَرٌ وَقَدْ نُبِذَ يونس ـ عليه السلام ـ بالعَرَاءِ وَلَكِنْ غَيْر مَذْمُوم، وجاء في الحديث عن أسماء بِنْتِ عُمَيْسٍ قالَتْ: «عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ عِنْدَ

= ومن طريق أخرى غير هذه، أخرج الحاكم حديثاً في هذا المعنى (٤/ ٥٨٩، ٥٩٢) في حديث طويل. قال الحاكم: رواة هذا الحديث عن آخرهم ثقات، غير أنهما لم يخرجا أبا خالد الدالاني في «الصحيحين»، لما ذكر في انحرافه عن السنة في ذكر الصحابة، فأما الأئمة المتقدمون فكلهم شهدوا لأبي خالد بالصدق، والإتقان، والحديث صحيح ولم يخرجاه، وأبو خالد الدالاني ممن يجمع حديثه في أئمة أهل الكوفة.

قال الذهبي: ما أنكره حديثاً على جودة إسناده!! وأبو خالد شيعي منحرف.

(١) وقرأ بها ابن عباس وأبي بن كعب.

ينظر: «مختصر الشواذ» (ص: ١٦١)، و«الكشاف» (٤/ ٥٩٦)، و«البحر المحيط» (٨/ ٣١١)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٣٥٤)، و«الدر المصون» (٦/ ٣٥٩).

الكَرْبِ أَوْ في الكَرْبِ، اللَّهُ اللَّهُ رَبِّي لاَ أُشْرِكُ بِه شَيْئاً»[١] رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه، وأخرجَهُ الطبرانيُّ في كتاب «**الدعاء**»، انتهى من «**السلاح**»، ثم قال تعالى لنبيه: ﴿وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم﴾ المعنى يكادُوْنَ مِنَ الغَيْظِ والعداوةِ يُزْلِقُونَه فَيُذْهِبُونَ قدمَه مِنْ مَكَانِها، ويُسْقِطُونَه، قال عياض: وقَدْ رُوِيَ عن ابن عباس أنه قال: كلُّ مَا في القرآن: «كاد» فَهُو مَا لاَ يَكُونُ، قال تعالى: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بالأَبْصَارِ﴾ [النور: ٤٣] وَلَمْ يُذْهِبْهَا و﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ [طه: ١٥] وَلَمْ يَفْعَلْ، انتهى؛ ذكره إثرَ قَوْلِه تعالى: ﴿وإنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾ [الإسراء: ٧٣]. **وقرأ** الجمهور: «لَيُزْلِقُونَكَ»/ ـ بِضَمِّ اليَاءِ ـ مِنْ: أَزْلَقَ، ونَافِعٌ بِفَتْحِها[٢]، من: زُلِقَتِ الرِّجْلُ، وفي هذا المعنى قولُ الشاعر: [الكامل]

١٧٧ ب

يَتَقَارَضُونَ إِذَا ٱلْتَقَوْا في مَجْلِسٍ نَظَراً يَزِلُّ مَوَاطِىءَ الأَقْدَامِ[٣]

وَذَهَبَ قَوْمٌ من المفسرينَ على أن المعنى: يأخذونَك بالعَيْنِ، وقال الحسَنُ: دَوَاءُ مَنْ أَصَابَتْهُ العينُ أن يقرأَ هذهِ الآيةَ[٤]، والذِّكْرُ في الآيةِ: القرآنُ.

---

(١) أخرجه أبو داود (١/ ٤٧٧)، كتاب «الصلاة» باب: في الاستغفار (١٥٢٥)، والنسائي (٦/ ١٦٦) ـ «**الكبرى**»، كتاب «عمل اليوم والليلة» باب: ما يقول إذا غلبه أمر (١٠٤٨٤/ ٢٢ ـ ١٠٤٨٥/ ٢٣)، وابن ماجه (٢/ ١٢٧٧)، كتاب «الدعاء» باب: الدعاء عند الكرب (٣٨٨٢)، وأحمد (٦/ ٣٦٩).

(٢) ينظر: «**السبعة**» (٦٤٧)، و«**الحجة**» للقراء السبعة (٦/ ٣١٢)، و«**إعراب القراءات**» (٢/ ٣٨٢)، و«**حجة القراءات**» (٧١٨).

(٣) البيت في «**الكشاف**» (٤/ ٥٩٧)، و«**البحر المحيط**» (٨/ ٣١١)، والقرطبي (١٨/ ١٦٦)، و«**المحرر الوجيز**» (٥/ ٣٥٤)، «**اللسان**» (زلق).

(٤) ذكره البغوي (٤/ ٣٨٥)، وابن عطية (٥/ ٣٥٥).

[تفسير] سورة «الحاقة»

[وهي] مكية بإجماع

[بسم الله الرحمن الرحيم]

﴿الْحَاقَّةُ ۝١ مَا الْحَاقَّةُ ۝٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ۝٣ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ۝٤﴾

قوله عز وجل: ﴿الحاقة * ما الحاقة﴾ المُرَادُ بالحاقَّةِ: القيامةُ، وهي اسْمُ فاعلٍ مِنْ حَقَّ الشَّيءُ يَحِقُّ؛ لأنها حَقَّتْ لِكُل عَامِلٍ عملَه، قال ابن عباس وغيره: سُمِّيَت القيامةَ حَاقَّةً لأنَّها تُبْدِي حَقَائِقَ الأشْياء[1]، و﴿الحاقة﴾: مبتدأ و﴿ما﴾ مبتدأ ثانٍ، والحاقَّةُ الثانية خَبَرُ ﴿ما﴾ والجملةُ خَبَرُ الأُولى، وهذا كما تقول: زَيْدٌ مَا زَيْدٌ على معنى التعظيمِ له، وإبْهام التعظيم أيضاً ليتخَيَّلَ السّامِعُ أقْصَى جُهْدَه.

وقوله: ﴿وما أدراك ما الحاقة﴾ مبالغة في هذا المعنى: أي: أن فيها مَا لَمْ تَدْرِه مِنْ أهْوَالِها، وتَفَاصِيلِ صِفَاتِها، ثم ذكرَ تعالى تكذيبَ ثَمُودَ وَعَادٍ بهذَا الأمْرِ الذي هو حَقّ مشيراً إلى أنْ مَنْ كَذَّبَ بِذَلِكَ يَنزلُ به ما نزلَ بأولئك، و﴿القارعة﴾: من أسماء القيامة أيضاً؛ لأنها تَقْرَعُ القلوبَ بصدمتها.

﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ۝٥ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ۝٨ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ۝٩ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ۝١٠ إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ۝١١ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ۝١٢ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ۝١٣ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ۝١٤ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۝١٥ وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۝١٦ وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ۝١٧﴾

وقوله سبحانه: ﴿فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية﴾ قال قتادة: معناه: بالصَّيْحَةِ التي خَرَجَتْ عن حدّ كل صيحةٍ[2]، وقيل: المعنى بسَبَبِ الفِئَةِ الطاغيةِ، وقيل: بسببِ الفعلة الطاغية، وقال ابن زيد ما معناه: الطاغيةُ مصدرٌ كالعَاقِبة، فكأنه قال بطُغيانهم[3]؛ وقاله أبو

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٥٦).

(٢) ذكره البغوي (٤/ ٣٨٦)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٥٦)، وذكره ابن كثير (٤/ ٤١٢).

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٠٧)، رقم: (٣٤٧٢٢) بنحوه، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٥٧).

عبيدة، وَيُقَوِّي هذا قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾ [الشمس: ١١] وأوْلَى الأقوال وأصوبُها الأوَّلُ، وباقي/ الآيةِ تقدم تفسيرُ نظيرِهِ، وما في ذلك من القصص، والعَاتِيَةُ: معناه الشديدةُ المخالِفَة، فكانت الريحُ قد عَتَتْ على خُزَّانِها بخلافِها، وعلى قومِ عادٍ بشدتها، ورُوِيَ عن عليٍّ وابن عباس أنهما قَالا: لَمْ ينزلْ من السماء قطرةُ ماءٍ قطُ إلا بمكيالٍ عَلَى يدِ مَلَكٍ، ولا هبتْ ريحٌ إلاَّ كذلك؛ إلاَّ ما كَانَ مِنْ طوفانِ نوحٍ، وريحِ عادٍ، فإنَّ اللَّه أَذِنَ لهما في الخروج دونَ إذْنِ الخُزَّانِ[1]، و﴿حُسُوماً﴾: قال ابن عباس وغيره: معناه كَامِلَةً تِبَاعاً لم يتخللْها غيرُ ذلك[2]، وقال ابن زيد: ﴿حُسُوماً﴾ جمعُ حَاسِمٍ، ومعناه أنَّ تلكَ الأَيامَ قطعَتْهُم بالإهلاكِ[3]، ومنه حَسَمَ العِلَلَ، ومنه الحُسَامُ، والضميرُ في قوله: ﴿فيها صَرْعَى﴾ يُحتملُ عُوْدُه على الليالي والأيام، ويُحْتَمَلُ عودُه على ديارِهم، وقيل: على الريح، * ص *: «ومن قِبَلَه» النحويانِ وعاصمٌ في روايةٍ ـ بكَسْرِ القافِ وفَتْحِ الباء ـ أي: أجنادُه وأهلُ طاعتهِ، **وقرأ** الباقون[4]: «قَبْلَه» ظَرْفَ زمانٍ، انتهى.

١٧٨ أ

وقوله: ﴿بالخاطئة﴾ صفةٌ لمحذوفٍ، أي: بالفعلةِ الخاطئةِ، والـ«رابية» النَّامِيَة التي قد عَظُمَتْ جِدًّا، ومنه رِبَا المالِ، ومنه ﴿اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [الحج: ٥]، ثم عدد تعالى على الناس نِعَمَه في قوله: ﴿إنا لما طغا الماء﴾ يعني في وقتِ الطوفانِ الذي كانَ على قومِ نوحٍ، و﴿الجارية﴾ سفينةُ نوحٍ؛ قاله منذر بن سعيد[5]، والضميرُ في: ﴿لنجعلها﴾ عائِدٌ على الجاريةِ أو على الفعلة.

وقوله تعالى: ﴿وتعيها أُذن واعية﴾: عبارةٌ عن الرجلِ الفَهِمِ المُنَوَّرِ القلبِ الذي يسمعُ القرآنَ؛ فيتلقاه بِفَهْمٍ وتدبُّرٍ، قال أبو عمران الجوني: ﴿واعيةٌ﴾ عَقَلَتْ عَنِ اللَّهِ تعالى، وقال الثعلبيُّ: المعنى: لِتَحْفَظَهَا كلُّ أُذُنٍ فتكونَ عِظَةً لِمَنْ يأتي بعدُ، تقول وَعَيْتَ العِلْمَ إذا

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٠٧ ـ ٢٠٨)، رقم: (٣٤٧٢٧)، (٣٤٧٢٨) بنحوه، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٥٧)، وذكره ابن كثير (٤/ ٤١٣)، وذكره السيوطي في **«الدر المنثور»** (٦/ ٤٠٥)، وعزاه للفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير عن ابن عباس.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٠٨)، رقم: (٣٤٧٣٢) بنحوه، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٥٧)، وذكره ابن كثير (٤/ ٤١٢)، وذكره السيوطي في **«الدر المنثور»** (٦/ ٤٠٦)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير عن ابن عباس.

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٠٩)، رقم: (٣٤٧٤٥) بنحوه، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٥٧).

(٤) ينظر: **«السبعة»** (٦٤٨)، و**«الحجة»** (٦/ ٣١٤)، و**«إعراب القراءات»** (٢/ ٣٨٥)، و**«حجة القراءات»** (٧١٨)، و**«معاني القراءات»** (٨٦)، و**«العنوان»** (١٩٦)، و**«شرح شعلة»** (٦٠٦)، و**«شرح الطيبة»** (٦/ ٦٦)، و**«إتحاف»** (٢/ ٥٥٧).

(٥) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٥٨).

حَفِظْتَه، انتهى، ثم/ ذَكَّر تعالى بأمر القيامةِ، **وقرأ** الجمهور[١]: «وَحُمِلَتْ» بتخفيفِ الميم ١٧٨ ب
بمعنى: حَمَلَتْهَا الريحُ أو القدرةُ، و﴿دُكَّتَا﴾ معناه سُوِّيَ جميعُها، وانشقاقُ السماءِ هو تَفَطُّرُهَا وتميُّزُ بعضِها من بعضٍ، وذلك هو الوَهْيُ الذي ينالُها، كما يقال في الجدرات الباليةِ المتشققةِ واهيةٌ، والملَكُ اسْمُ الجنسِ يريدُ به الملائكةَ، وقال جمهور من المفسرين: الضميرُ في ﴿أَرْجَائِهَا﴾ عائدٌ على السَّمَاءِ أي: الملائِكَة على نَوَاحِيهَا، والرَّجَا الجَانِبُ مِنْ البئر أو الحائط؛ ونحوه، وقال الضحاكُ وابنُ جبير وغيرهما: الضميرُ في: ﴿أَرْجَائِهَا﴾ عائدٌ عَلى الأَرْضِ[٢]، وإنْ كان لم يتقدم لها ذكرٌ قريبٌ؛ لأنَّ القصةَ واللفظَ يَقْتَضِي إفهَام ذلك، وفَسَّرُوا هذه الآيةَ بما رُوِيَ من أن اللَّه تعالى يأمر ملائِكَةَ سَمَاءِ الدنيا، فيقفونَ صَفًّا على حَافَّاتِ الأرضِ، ثم يأمرُ ملائكة السماءِ الثانية؛ فَيَصُفُّونَ خلفَهم، ثم كذلك ملائكةُ كُلِّ سماءٍ، فكلما نَدَّ أحدٌ من الجنِ أو الإنسِ، وَجَدَ الأرضَ قد أُحِيطَ بها، قالوا: فهذا تفسير هذه الآية؛ وهو أيضاً معنى قوله: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢] وهو تفسير: «يَوْمَ التَنَادِّ * يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ» [غافر: ٣٢ـ ٣٣] على قراءةِ من شَدَّدَ الدال، وهو تفسيرُ قوله: ﴿يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنْسِ...﴾ [الرحمٰن: ٣٣] الآية، واختلفَ الناسُ في الثمانيةِ الحاملينَ للعرشِ، فقال ابن عباس: هي ثمانيةُ صفوفٍ مِنَ الملائكة لا يَعْلَم أَحَدٌ عِدَّتَهم[٣]، وقال ابن زيدٍ: هُمْ ثمانيةُ أَمْلاَكٍ على هيئةِ الوُعُولِ[٤]، وقال جماعة من المفسرين: هم على هيئة الناسِ أرجلُهم تَحْتَ الأرْضِ السابعةِ، ورؤوسهم وكواهلهم فَوْقَ السماءِ السابعةِ، قال الغَزَّالِيُّ في «**الدرة الفاخرة**»: هم ثمانيةُ أَمْلاَكٍ قَدَمُ المَلَكِ منهم مسيرةُ عشرينَ أَلْفَ سنةٍ، انتهى، والضميرُ في قوله: ﴿فَوْقَهُمْ﴾ قيل: هو للملائكَةِ/ الحَمَلَةِ، ١٧٩ أ
وقيل: للعالم كلّه.

﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾

---

(١) وقرأ ابن عباس، والأعمش، وابن أبي عبلة، وابن مقسم بتشديد الميم.
ينظر: «**مختصر الشواذ**» ص: (١٦١)، و«**المحرر الوجيز**» (٥/ ٣٧٩)، و«**البحر المحيط**» (٨/ ٣١٧)، و«**الدر المصون**» (٦/ ٣٦٣)، و«**التخريجات النحوية**» (٢٣٨).

(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٥٩).

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٢١٥ ـ ٢١٦)، رقم: (٣٤٧٨٨، ٣٤٧٩٠) بنحوه، وذكره البغوي (٤/ ٣٨٨)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٥٩)، وذكره ابن كثير (٤/ ٤١٤)، وذكره السيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ٤٠٩)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ٢١٦)، رقم: (٣٤٧٩٢) بنحوه. وذكره ابن عطية (٥/ ٣٥٩).

﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ
أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي
سُلْطَانِيَهْ ﴿٢٩﴾ ﴾

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ خطابٌ لجميع العَالَم، وفي الحديثِ الصحيح: «يُعْرَضُ النَّاسُ ثَلاثَ عَرْضَاتٍ، فَأَمَّا عَرْضَتَانِ؛ فَجِدَالٌ وَمَعَاذِيرُ، وَأَمَّا الثَّالِثَةُ، فَعِنْدَهَا تَتَطَايَرُ الصُّحُفُ في الأَيْدِي، فَآخِذٌ بِيَمِينِهِ، وآخِذٌ بِشِمَالِهِ»[1]، قال الغَزَّالِيُّ: يَجِبُ على كُلِّ مُسْلِمِ البِدَارُ، إلى مُحَاسَبَةِ نفسِه؛ كما قال عمرُ ـ رضي اللَّه عنه ـ: حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَزِنُوهَا قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا[2]، وإِنَّمَا حِسَابُهُ لِنَفْسِهِ، أَنْ يَتُوبَ مِنْ كُلِّ مَعْصِيَةٍ قَبْلَ المَوْتِ تَوْبَةً نَصُوحاً، وَيَتَدَارَكَ مَا فَرَّطَ فِيهِ مِنْ تَقْصِيرٍ في فَرَائِضِ اللَّهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ ويردَّ المظالمَ حَبَّةً حَبَّةً، ويستحلَّ كلَّ مَنْ تَعَرَّضَ له بلسانِه ويدِه، وسوء ظِنّه بقلبِه، ويُطَيِّبَ قلوبَهم حتى يموتَ، ولم يَبْقَ عليه فريضةٌ ولاَ مظلمةٌ، فَهَذَا يدخلُ الجنةَ بغيرِ حِسَابٍ، إنْ شَاءَ اللَّهُ تعالى، انتهى من آخِر «**الإحياء**»، ونَقَلَ القرطبيُّ في «**تذكرَتِه**» هذه الألفاظَ بعينها.

وقوله: ﴿هاؤُمُ اقرءوا كتابيه﴾ معناه تَعَالُوا، وقَوْله: ﴿اقرءوا كتابيه﴾ هُو استبشارٌ وسرورٌ * ص *: ﴿هاؤُمُ﴾ «ها» بمعنَى خُذْ، قَالَ الكسائي: والعربُ تقول: هَاءِ يَا رَجُلُ، وللاثنين؛ رجلين أو امرأتين: هَاؤُمَا، وللرجال: هَاؤُمْ، وللمرأَةِ: هَاءِ بهمزة مكسورة من غير ياء، وللنساء: هَاؤُنَّ، وزعم القُتَبِيُّ أَنَّ الهمزةَ بَدَلٌ من الكافِ، وهو ضعيفٌ، إلا أنْ يعني أنها تحلُّ محلَّها في لغةِ مَنْ قال: هَاكَ وهَاكِ، وهَاكُمَا وهَاكُمْ وَهَاكُنَّ، فذلكَ مُمْكِنٌ، لا أَنَّه بَدَلٌ صناعيٌّ؛ لأَنَّ الكافَ/ لاَ تُبْدَلُ من الهمزةِ ولا الهمزةُ منها. انتهى. ١٧٩ ب

وقوله: ﴿إني ظننت أني ملاق حسابيه﴾ عبارةٌ عن إيمانِه بالبعثِ وغيرِه، و﴿ظننت﴾ هنا واقَعةٌ موقع: تَيَقَّنْتُ، وهي في مُتَيَقَّنٍ لم يقعْ بَعْدُ ولا خرج إلى الحسِّ، وهذا هُو باب الظنِّ الذي يوقع موقعَ اليقين، و﴿راضية﴾ بمعنى مَرْضِيَّة، والقُطُوفُ: جمع قَطْفٍ وهو ما يُجْتَنَى من الثمارِ، ويقطفُ، ودنوُّها هُوَ أَنهَا تأتي طَوْعَ التَّمَنِّي فيأكلُها القائِمُ والقاعدُ

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٦١٧)، كتاب «صفة القيامة» باب: ما جاء في العرض(٢٤٢٥)، وابن ماجه (٢/ ١٤٣٠)، كتاب «الزهد» باب: ذكر البعث (٤٢٧٧)، وأحمد (٤/ ٤١٤).
قال الترمذي: ولا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة وقد رواه بعضهم عن علي الرفاعي عن الحسن عن أبي موسى عن النبي ﷺ.

(٢) ذكره السيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ٤١٠)، وعزاه لابن المبارك.

والمضطجعُ بفِيه من شجرتها، و﴿بما أسْلَفْتُم﴾ معناه بِمَا قَدَّمْتُمْ من الأَعْمَالِ الصالحةِ، و﴿الأيَّام الخَالِيَة﴾ هي أيام الدنيا، لأنها في الآخرة قَدْ خَلَتْ وذَهَبَتْ، وقال وكيع وغيره: المرادُ بـ«ما أسلفتم» من الصوم[1]، وعموم الآية في كل الأعمال أوْلى وأحسن، * ت *: ويدلُّ على ذلك الآيةُ الأخرى ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُون﴾ [المرسلات: ٤٣] قال ابن المبارك في «رقائقه»: أخبرنا مالك بن مغول أنّه بلغَه أنّ عمر بن الخطاب ـ رضي اللّه عنه ـ قال: حَاسِبُوا أنفُسَكم قبل أن تحاسَبُوا؛ فإنَّه أهْونُ أو أيْسَرُ لحسابِكم، وزنوا أنفسَكم قبل أن تُوزَنُوا، وتجهَّزُوا للعرْضِ الأكْبَرِ ﴿يومَئِذٍ تُعْرَضُونَ لاَ تَخْفَى مِنْكُمْ خافيةٌ﴾ قال ابن المبارك: أخبرنا معمر عن يحيى بن المختارِ، عن الحسن قال: إن المؤمِنَ قَوَّامٌ على نفسه، يحاسبُ نفسَه للّه، وإنما خَفَّ الحسابُ يوم القيامة عَلَى قومٍ حَاسَبُوا أنفسهم في الدنيا، وإنَّما شَقَّ الحسابُ يومَ القيامةِ على قومٍ أَخَذُوا هذا الأَمْرَ عن غير محاسبةٍ[2]، انتهى، والذينَ يُؤتَوْنَ كتبَهم بشمائِلهم هم المخلَّدُونَ/ في النارِ أهلُ الكفرِ، ١٨٠أ فيتمنَّوْن أن لو كانوا مَعْدُومِينَ.

وقوله: ﴿يا ليتها كانت القاضية﴾ إشارةٌ إلى موتَةِ الدنيا، أي: ليتها لم يكن بعدها رجُوع، * ص *: ﴿ما أغْنَى﴾ «ما» نافيةٌ أو استفهاميةٌ انتهى، والسلطانُ في الآيةِ الحجةُ، وقيل: إنه يَنْطِقُ بذلكَ مُلُوكُ الدنيا، والظاهر أنَّ سلطانَ كلِّ أحَدٍ حَالُه في الدنيا من عَدَدٍ وعُدَدٍ، ومنْه قوله ﷺ «لاَ يُؤَمَّنَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ في سُلْطَانِهِ، وَلاَ يَجْلِسُ عَلَىٰ تَكْرِمَتِهِ إلاَّ بِإِذْنِهِ»[3].

﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿خذوه فغلوه﴾ الآية، المعنى يقول اللّه تعالى، أو الملك بأمره

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٦٠).

(٢) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤١٢)، وعزاه لابن المنذر عن ابن جريج.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب «المساجد» باب: من أحق بالإمامة، حديث (٢٩٠ ـ ٢٩١)، وأبو داود (١/ ٢١٥)، كتاب «الصلاة» باب: في من أحق بالإمامة(٥٨٢)، والترمذي (١/ ٤٥٨ ـ ٤٥٩)، كتاب «المواقيت» باب: من أحق بالإمامة (٢٣٠)، والنسائي (٢/ ٧٦)، كتاب «الإمامة» باب: من أحق بالإمامة (٧٨٠)، (٢/ ٧٧)، كتاب «الإمامة» باب: اجتماع القوم وفيهم الوالي (٧٨٣)، وابن ماجه (١/ ٣١٣، ٣١٤)، كتاب «إقامة الصلاة والسنة فيها» باب: من أحق بالإمامة (٩٨٠)، وأحمد (٤/ ١١٨، ١٢١ ـ ١٢٢)، (٥/ ٢٧٢)، وهو في الترمذي أيضاً (٥/ ٩٩)، كتاب «الأدب» باب: (٢٤) (٢٧٧٢).
قال الترمذي: حسن صحيح.

للزبانيةِ: خذوه واجْعَلُوا في عنقه غلاً، قال ابن جُرَيْجٍ: نزلَتْ في أبي جَهْلٍ[١].

وقوله تعالى: ﴿فَٱسْلُكُوهُ﴾ معناه: أدْخِلوه، ورُوِيَ أن هذه السلسلةَ تدخلُ في فَمِ الكافرِ وتخرجُ من دُبُرِه، فهي في الحقيقةِ التي تَسْلُكُ فيه، لكنَّ الكلامَ جَرَى مَجْرَى: أدْخَلْتُ القَلَنْسُوةَ في رَأْسِي، ورُوي أن هذه السلسلةَ تُلْوَىٰ حَوْلَ الكافرِ حتى تعمَّه وتَضْغَطَه، فالكلامُ على هذا على وجهه وهو المسلوكُ.

﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿ولا يحض على طعام المسكين﴾ خُصَّتْ هذه الخلةُ بالذكرِ، لأنَّها من أضَرِّ الخِلاَلِ بالبشر؛ إذا كثُرَتْ في قوم هَلَكَ مساكينُهم، * ت *: ونَقَلَ الفخرُ[٢] عن بعض الناس أنه قال في قوله تعالى: ﴿ولا يحض على طعام المسكين﴾: دليلانِ قويَّانِ على عِظَمِ الجرْمِ في حِرْمَانِ المساكين، أحدهما: عَطْفُه على الكفرِ وجَعْلُه قريناً له، والثاني: ذِكْرُ الحضِّ دُونَ الفِعْلِ ليعلمَ أنَّه إذا كانَ تاركَ الحضِّ بهذه المنزلةِ، فكيفَ بمن ترك الفِعْل، قال الفخر[٣]: ودلتِ الآية على أنَّ الكفارَ يُعَاقَبُونَ على ترك الصلاةِ والزكاةِ، وهو المرادُ من قولنا: إنهم مخاطَبُون بفروعِ الشريعة/ وعن أبي الدَّرْدَاءِ أنه: كانَ يَحُضُّ امرأتَه على تكثيرِ المَرَقِ؛ لأجْلِ المساكينِ، ويقول: خَلَعْنَا نصفَ السلسلةِ بالإيمَانِ، أَفَلاَ نَخْلَعُ النصفَ الثاني[٤]، انتهى. ١٨٠ ب

وقوله: ﴿فليس له اليوم هٰهنا حميم﴾ أي صَدِيقٌ لطيفُ المودةِ؛ قاله الجمهور، وقيلَ: الحميمُ الماءُ السُّخْنُ، فكأنه تعالى أخبرَ أنَّ الكافرَ ليس له ماءٌ ولا شيءٌ مائعٌ ولا طَعَامٌ إلا مِنْ غِسْلينٍ، وهو ما يَجْرِي من الجَرَاحِ، إذا غسِلَتْ، وقال ابن عباس: الغسلينُ هو صَدِيدُ أهْلِ النارِ[٥]، وقال قَوم: الغسلينُ: شيءٌ يجري من ضَرِيعِ النارِ، * ص *: ﴿إلا من غسلين﴾ أبو البقاء: النونُ في (غسلين) زائدةٌ: لأنه غُسَالَةُ أهلِ النار، انتهى،

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٦١) عن ابن جرير.

(٢) ينظر: «الفخر الرازي» (٣٠/ ١٠٢).

(٣) ينظر: المصدر السابق.

(٤) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤١٢)، وعزاه لأبي عبيد، وعبد بن حميد، وابن المنذر عن أبي الدرداء.

(٥) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٢١)، رقم (٣٤٨٢٥)، وابن عطية (٥/ ٣٦١)، وابن كثير (٤/ ٤١٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤١٢)، وعزاه لابن المنذر، وابن أبي حاتم.

والخاطىء الذي يفعل ضدَّ الصوابِ.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿فلا أقسم﴾ قيل: «لا» زائدةٌ وقيل: «لا» رَدٌّ لما تَقَدَّمَ من أَقوالِ الكفار، والبَدْأَة: أقْسِمُ.

وقوله: ﴿بما تبصرون * وما لا تبصرون﴾ قَال قتادة: أرادَ اللَّه تعالى أن يَعُمَّ بهذا القسمِ جميعَ مخلوقاتِهِ[1]، والرسولُ الكريمُ قيل: هو جبريل، وقيل: هو نبينا محمد ﷺ.

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وما هو بقول شاعر﴾ نَفى سبحانه أن يكونَ القرآن من قولِ شاعرٍ؛ كما زعمَتْ قريشٌ، و﴿قليلاً﴾ نَصْبٌ بفعلٍ مَضْمَر يدل عليه ﴿تُؤْمِنُونَ﴾ و«ما» يحتملُ أنْ تكونَ نافيةً فينتفي إيمَانُهم أَلْبَتَّةَ، ويحتملُ أَن تكونَ مصدريةً فيتَّصِفُ إيمانهم بالقلةِ، ويكونُ إيماناً لُغَوِيًّا؛ لأنهم قَدْ صَدَّقُوا بأشياءَ يسيرةٍ لاَ تُغْنِي عَنْهم شيئاً، ثم أخبرَ سبحانه أن محمداً ـ عليه السلام ـ لَوْ تَقَوَّلَ عليه لعَاقَبَه بما ذكر، * ص *: الأَقَاويلُ جمع أقوالٍ، وأقْوَالٌ جَمْعُ قَوْلٍ، فهو جَمْع الجمعِ، انتهى.

﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿لأخذنا منه باليمين﴾ قال ابن عباس: المعنى لأَخَذْنا منه بالقوةِ، أي لَنِلْنَا منه عقَابَه بقوةٍ/ منا[2]، وقيل: معناه لأَخَذْنَا بيدِهِ اليمنى؛ على جهةِ الهَوانِ، كما يقال ١٨١ أ
لِمَنْ يسجنُ أو يقامُ لعقوبةٍ: خُذُوا بيدِه أو بيمينه، والوَتِينُ نِيَاطُ القلبِ؛ قاله ابن عباس، وهُو عِرْقٌ غَلِيظٌ تصادفُه شفرةُ الناحِرِ[3]، فمعنى الآيةِ: لأَذْهَبْنَا حياتَه معجَّلاً، والحاجِزُ: المانِعُ والضمير في قوله: ﴿وإنَّه لتذكرة﴾ عائدٌ على القرآنِ، وقيل: على النبي ﷺ،

---

(١) ذكره البغوي (٤/ ٣٩٠)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٦٢).

(٢) ذكره البغوي (٤/ ٣٩٠)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٦٣).

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٢٣)، رقم: (٣٤٨٣٢ ـ ٣٤٨٣٣، ٣٤٨٣٤) بنحوه، والبغوي (٤/ ٣٩١)، وابن عطية (٥/ ٣٦٣)، وابن كثير (٤/ ٤١٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤١٣)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، عن ابن عباس.

* ص *: ﴿وإنه لحسرة﴾: ضمير (إنه) يعودُ على التكذيبِ المفهومِ من ﴿مُكَذِّبِينَ﴾، انتهى، وقال الفخر[1]: الضميرُ في قوله: ﴿وإنه لحسرة﴾ فيه وجهانِ: أحدهما أنه يعودُ على القرآن، أي: هو على الكافرينَ حَسْرَة، إمَّا يوم القيامةِ إذَا رَأَوا ثَوَابَ المصدِّقينَ به، أو في الدنيا إذا رأوا دَوْلَةَ المؤمنِين، ، والثاني: قال مقاتلٌ: وإنَّ تكذيبَهم بالقرآن لَحَسْرَةٌ عليهم يَدلُّ عَلَيْه قوله: ﴿أَنَّ مِنكم مكذبين﴾، انتهى، ثم أَمَرَ تعالى نبيه بالتسبيحِ باسْمِه العظيم، ولمّا نَزَلت قَال رسول اللَّه ﷺ: اجْعَلُوها في رُكُوعِكم.

(١) ينظر: «الفخر الرازي» (٣٠/١٠٦).

[تَفسِيرُ] سُورَةِ «المعارج»

[وَهِيَ] مَكِّيَّةٌ بِلاَ خِلاَفٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣﴾

قوله عز وجل: ﴿سأل سائل بعذاب﴾ قرأ جمهور السبعة: ﴿سأَل﴾ بهمزة محقَّقةٍ، قالوا: والمعنى دَعَا داعٍ، والإشارةُ إلى مَنْ قال من قريشٍ: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَان هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ. . .﴾ [الأنفال: ٣٢] الآية، وقولهم: ﴿عَجِّلْ لَنَا قِطَّنا﴾ [ص: ١٦] ونحو ذلك، وقال بعضهم: المعنى بَحَثَ بَاحِثٌ واسْتَفْهَمَ مُسْتَفْهِم، قالوا: والإشارةُ إلى قول قريشٍ: ﴿مَتَى هَذَا الوَعْدُ﴾ [الملك: ٢٥] وَمَا جَرى مَجْراه؛ قاله الحسن وقتادة، والباء على هذا التأويل في قوله: ﴿بِعَذَابٍ﴾ بمعنى «عن» **وقرأ** نافع وابن عامر[(١)]: «سَال سَائِلٌ» ساكنَةَ الألِفِ، واختلفَ القراء بها/ فقال بعضهم: هي «سأل» ١٨١ ب المهموزةُ إلاَّ أنَّ الهمزةَ سُهِّلَتْ، وقال بعضهم هي لغة من يقول: سَلْتُ أَسَالُ وَيَتَسَاوَلاَنِ، وهي لغةٌ مشهورة، وقال بعضهم في الآية: هي من سَالَ يَسِيلُ إذا جَرَى، وليست من معنى السؤال، قال زيد بن ثابت وغيره: في جهنمَ وادٍ يسمَّى سَائِلاً[(٢)]؛ والإخبارُ هنا عنه، وقرأ ابن عباس[(٣)]: «سَال سيل» ـ بسكون الياءِ ـ وسؤَال الكفارِ عن العذابِ ـ حَسَبَ قراءة الجماعة ـ إنما كانَ على أنه كَذِبٌ، فوصفَه اللَّه تعالى بأنهُ وَاقِعٌ وعيداً لهم.

وقوله: ﴿للكافرين﴾ قال بعض النحاة: اللامُ بمعنى «على»، ورُوِيَ: أنه كذلِكَ في

---

(١) ينظر: **«السبعة»** (٦٥٠)، و**«الحجة»** (٦/ ٣١٧)، و**«إعراب القراءات»** (٢/ ٣٨٩)، و**«حجة القراءات»** (٧٢٠)، و**«معاني القراءات»** (٣/ ٨٨)، و**«شرح الطيبة»** (٦/ ٦٨)، و**«العنوان»** (١٩٧)، و**«شرح شعلة»** (٦٠٨). و**«إتحاف»** (٢/ ٥٦٠).

(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٦٤).

(٣) قال أبو الفتح: السيل هنا: الماء السائل، وأصله المصدر، من قولك: سال الماء سَيْلاً، إلا أنه أوقع على الفاعل، كقوله: ﴿إن أصبح ماؤكم غوراً﴾ [الملك: ٣٠]، أي: غائراً.
ينظر: **«المحتسب»** (٢/ ٣٣٠)، و**«مختصر الشواذ»** ص: (١٦٢)، و**«المحرر الوجيز»** (٥/ ٣٦٥).

مصحف[١] أُبَيٍّ: «على الكافرين» والمعارجُ في اللُّغةِ الدَّرَجُ في الأجْرَام، وهي هنا مستَعارَةٌ في الرُّتَبِ والفضائِل، والصفاتِ الحميدة؛ قاله ابن عباس وقتادة[٢]، وقال الحسن: هي المَرَاقي في السماء[٣]، قال عياض، في «**مشارق الأنوار**»: قوله ﷺ «فَعَرَجَ بي إلى السَّماء»، أي: ارْتَقَى بي، والمعراجُ الدَّرَجُ وقيل: سُلَّمٌ تَعْرُج فيه الأرواحُ، وقيل: هو أحْسَنُ شيءٍ لا تتمالكُ النفسُ إذا رأته أنْ تَخْرُجَ، وإليه يَشْخَصُ بَصَرُ الميْتِ مِنْ حُسْنِهِ، وقيل: هو الذي تَصْعَدُ فيه الأعْمَالُ، وقيل: قوله: ﴿ذِي المَعارِجِ﴾ مَعَارِجِ الملائكةِ، وقيل: ذي الفواضِلِ، انتهى.

﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿تعرج الملائكة﴾ معناه تَصْعَدُ، والرُّوحُ عِنْدَ الجمهورِ هو جبريلُ ـ عليه السلام ـ وقال مجاهد: الرُّوحُ ملائِكَةٌ حَفَظَةٌ للملائِكَةِ الحافظين لبني آدم لا تَراهم الملائكةُ؛ كَمَا لا نرى نحن الملائكة[٤]، وقال بعض المفسرين: هو اسم جنسٍ لأرواحِ الحيوان.

وقوله سبحانه: ﴿في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ قال ابن عباس وغيره: هو يومُ القيامةِ[٥]، ثم اختلفُوا؛ فقال بعضُهم: قَدْرُه في الطولِ قَدْر/ خمسينَ ألفَ سَنَةٍ، وقال بعضهم: بل قَدْرُه في الشدّة، والأولُ هو الظاهر، وهو ظاهر قوله ﷺ: «ما مِنْ رجلٍ لا يؤَدِّي زكاةَ مالِه إلا جُعِلَ له صفائحُ مِن نارٍ يوم القيامةِ تكْوَى بها جَبْهَتُه وظهرُه وجَنْبَاه في يوم كان مقدارُه خمسين ألفَ سنةٍ». قال أبو سعيدِ الخدريُّ: «قيل: يا رسولَ اللَّه! مَا أطْوَلَ يَوْماً مِقْدَارُهُ خَمْسُونَ أَلْفَ سَنَةٍ! فقالَ: والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إنَّهُ لَيَخِفُّ عَلَى المُؤْمِنِ حَتَّى يَكُونَ أَخَفَّ عَلَيْهِ مِنْ صَلاَةٍ مَكْتُوبَةٍ»[٦]، قال ابن المبارك: أخبرنا معمر عن قتادة عن

١٨٢أ

---

(١) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٥/ ٣٦٥).

(٢) أخرجه الطبري (٦/ ٢٢٦)، رقم: (٣٤٨٥٣ ـ ٣٤٨٥٤) بنحوه، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٦٥)، وابن كثير (٤/ ٤١٨)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ٤١٦)، وعزاه لابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس، وعزاه أيضاً لعبد بن حميد.

(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٦٥).

(٤) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٦٥).

(٥) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٢٧)، رقم: (٣٤٨٦٤) بنحوه، وذكره البغوي (٤/ ٣٩٢)، وابن عطية (٥/ ٣٦٥)، وابن كثير (٤/ ٤١٩)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ٤١٦)، وعزاه لابن أبي حاتم، والبيهقي في «**البعث**».

(٦) أخرجه أحمد (٣/ ٧٥)، والطبري (١٢/ ٢٢٧) (٣٤٨٦٧). =

زُرَارَةَ بْنِ أوفَىٰ عن أبي هريرةَ قال: يَقْصُرُ يومئذٍ على المؤمِنِ حتى يكونَ كوقتِ الصَّلاَةِ[1]، انتهى، قال * ع[2] *: وَقَدْ ورد في يوم القيامةِ أنه كألْفِ سنةٍ، وهذا يشبه أن يكونَ في طوائفَ دونَ طوائفَ، * ت *: قال عبد الحق في «العاقبة» له: اعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ؛ أن يومَ القيامةِ لَيْسَ طولُه كما عَهِدْتَ من طول الأيامْ، بَلْ هو آلافٌ من الأعوامْ، يَتَصَرَّفُ فيه هذا الأنامْ، على الوُجُوهِ والأَقْدَامْ، حَتَّى يَنْفُذَ فيهم مَا كُتِبَ لَهُمْ وعليهم من الأَحْكَامِ، وليس يكونُ خَلاَصُه دفعةً وَاحِدَةً، ولا فراغُهم في مرةٍ واحدةٍ؛ بل يَتَخَلَّصُونَ ويَفْرُغُونَ شَيْئاً بعد شيءٍ، لَكِنَّ طولَ ذلك اليومِ خمسون ألفَ سنة، فَيَفْرَغُونَ بِفَرَاغِ اليوم، ويفرغُ اليومُ بِفَرَاغِهِم، فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يطولُ مقامُه وحبْسُه إلى آخر اليومِ، ومنهم من يكونُ انفصَالُه في ذلك اليوم في مقدار يَوْمٍ من أيام الدنيا، أو في ساعةٍ من ساعاتِه، أو في أقَلَّ من ذلك، ويكون رائحاً في ظلِّ كَسْبِهِ وعَرْشِ ربه، ومنهم من يُؤْمَرُ به إلى الجنةِ بغير حسابٍ ولا عذاب، كما أنَّ منهم مَنْ يُؤمَرُ به إلى النارِ في أول الأمْر من غير وقوفٍ ولا انتظار،/ أو بعدَ يسير من ذلك، انتهى. ١٨٢ ب

﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿فاصبر صبراً جميلاً﴾ أمرٌ للنبيِّ ﷺ بالصبرِ على أذَى قومِه، والصبرُ الجميلُ الذي لا يَلْحَقُه عَيْبٌ ولا شَكٌّ ولا قِلَّةُ رِضًى، ولا غيرُ ذلك، والأمْرُ بالصبرِ الجميلِ مُحْكَمٌ في كل حالة، أعني: لاَ نَسْخَ فيه، وقيل: إن الآيةَ نزلتْ قبل الأمْرِ بالقِتَالِ؛ فهي منسوخة، * ت *: ولو قيلَ: هذا خطابٌ لجنسِ الإِنْسَانِ في شَأْنِ هَوْلِ ذلكَ اليومِ؛ مَا بَعُدَ.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُم يرونه بعيداً﴾ يعني يوم القيامة، والمهْلُ: عَكَرُ الزَّيْتِ؛ قاله ابن

= قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٤٠): رواه أحمد وأبو يعلى وإسناده حسن على ضعف في راويه.

(١) أخرجه مسلم (١/ ٣٢٢)، وأبو داود (٢/ ٦٧٣)، كتاب «الأدب» باب: في التحلق (٤٨٢٣)، وأحمد (٥/ ٩٣، ١٠١، ١٠٧)، والبيهقي (٣/ ٢٣٤)، كتاب «الجمعة» باب: من كره التحلق في المسجد.

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٦٥).

عباس[١] وغيره، فَهِي لسوادِها وانكدارِ أَنوارِها، تشبهُ ذلكَ، والمهلُ أيضاً: ما أُذِيبَ من فضَّةٍ ونحوها؛ قاله ابن مسعود وغيره[٢]، والعِهْنُ الصوفُ، وقيل: هو الصوفُ المصْبُوغ، أيَّ لَوْنٍ كَانَ، والحميمُ في هذا الموضع: القريبُ والوَلِيُّ، والمعنى: ولا يَسْأَلُهُ نصرةً ولا منفعةً، ولا يجدُها عنده، وقال قتادة: المعنى: ولا يَسْأَلُهُ عن حالِه؛ لأَنَّها ظاهرةٌ قَدْ بَصُرَ كلُّ أَحَدٍ حَالَةَ الجميعِ، وشُغِلَ بنفسهِ[٣]، قال الفخرُ[٤]: قوله تعالى: ﴿يبصَّرونهم﴾ تقول: بَصَّرَني زيدٌ كَذَا، وبَصَّرَني بِكَذَا، فإذا بَنَيْتَ الفِعل للمَفْعُولِ وحَذَفْتَ الجارَّ، قلتَ: بُصِّرْتُ زَيْداً، وهكذا معنى: ﴿يبصَّرونهم﴾ وكأَنَّه لما قال: ﴿ولا يَسْأَلُ حميم حميماً﴾ قيل: لعله لاَ يُبْصِرُه؛ فَقَال: ﴿يبصَّرونهم﴾ ولَكِنْ لاشْتِغَالِهم بأنفسِهم لا يَتَمَكَّنُونَ من تساؤلِهم، انتهى، **وقرأ** ابن كثير[٥] بخلافٍ عنه: «ولاَ يُسْئَلُ» عَلَى بِنَاءِ الفعلِ للمفعول، فالمعنى: وَلاَ يُسْأَلُ إِحْضَارَهُ؛ لأَنَّ كلَّ مُجْرِمٍ له سِيمَا يُعْرَفُ بها، كما أَنَّ كُلَّ مُؤْمِنٍ لَهُ سِيمَا خَيْرٍ، والصَّاحِبَةُ هنا: الزوجةُ، والفصيلة هنا: قرابَةُ الرجل.

وقوله تعالى: ﴿كلا إنها لظى﴾ ردّ لما وَدُّوه، أي: ليس الأَمْرُ كذلك، و«لَظَى» طَبَقَةٌ مِنْ طبقاتِ جهنم، والشَّوَى/ جلدُ الإنسانِ وقيل: جلدُ الرأس. ١٨٣ أ

﴿تدعوا من أَدبر وتولى﴾ يريدُ الكفارَ، قال ابن عباس وغيره: تدعوهُم بأسمائهم وأسماء آبائهم[٦]، ﴿وجَمَعَ﴾ أي جمعَ المالَ و﴿أوعى﴾ جَعَلَه في الأَوْعِية، أي: جمعُوه من غيرِ حلّ ومَنَعُوه من حقوقِ اللَّهِ، وكان عبدُ اللَّهِ بن عكيم لاَ يَرْبِطُ كيسَه، ويقول: سمعتُ اللَّه تعالى يقول: ﴿وجمع فأوعى﴾.

﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿إن الإنسان﴾ عمومٌ لاسْمِ الجنسِ، لكنَّ الإشارةَ هنا إلى الكفارِ،

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/٣٦٦)، وابن كثير (٤/ ٤٢٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/٤١٨)، وعزاه للطستي عن ابن عباس.

(٢) ذكره ابن عطية (٥/٣٦٦).

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٢٩)، رقم: (٣٤٨٧٦) بنحوه، وذكره ابن عطية (٥/٣٦٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/٤١٨)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٤) ينظر: «الفخر الرازي» (٣٠/ ١١١).

(٥) ينظر: «السبعة» (٦٥٠)، و«الحجة» (٦/ ٣٢٠)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٣٩٢)، و«معاني القراءات» (٣/ ٨٩)، و«شرح الطيبة» (٦/ ٦٩)، و«إتحاف» (٢/ ٥٦١).

(٦) ذكره البغوي (٤/ ٣٩٤) بنحوه، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٦٧).

والهَلَعُ فَزَعٌ واضْطِرَابٌ يعتري الإنسانَ عندَ المخاوفِ وعندَ المطامع.

وقوله تعالى: ﴿إذا مسه...﴾ الآيةَ، مُفَسِّرٌ لِلْهَلَعِ.

﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿إلا المصلين﴾ أي: إلا المؤمنينَ الذين أَمْرُ الآخِرَةِ عليهم أَوْكَدُ مِنْ أَمْرِ الدنيا، والمعنى أن هذَا المعنى فِيهم يَقِلُّ لأنهم يُجَاهِدُونَه بالتقوى.

وقوله: ﴿الذين هم على صلاتهم دائمون﴾ أي: مواظِبُون، وقد قال ـ عليه السلام ـ «أَحَبُّ العَمَلِ إِلَى اللَّه مَا دَامَ عليه صاحبُه». * ت *: وقد تقدم في سورةِ «قَدْ أَفْلَحَ» ما جَاءَ في الخشوع، قَالَ الغزاليُّ: فَيَنْبَغِي لك أَنْ تفهمَ ما تقرؤه في صلاتِك ولاَ تَغْفُلَ في قراءَتِك عن أَمْرِه[1] سبحانَه، ونهيه، وَوَعْدِه، وَوَعِيده، ومواعظِه وأخبارِ أنبيائِه، وذِكْرِ مِنَّتِه وإِحْسَانِه، فلكلِّ واحدٍ حَقٌّ؛ فالرجَاءُ حق الوَعْدِ، والخَوْفُ حقُّ الوعيد، والعَزْمُ حق الأَمْرِ والنَّهي، والإِتِّعاظُ حقُّ الموعِظَة، والشكرُ حقُّ ذكر المِنَّةِ، والاعتبارُ حق ذِكْر أخبارِ الأنبياء، ، قال الغزالي: وتكونُ هذه المعاني بِحَسَبِ دَرَجَاتِ الفَهْم، ويكونُ الفَهْمُ بِحَسَبِ وُفُورِ العلم. وصَفَاءِ القلب، ودَرَجَاتُ ذلكَ لاَ تَنْحَصِرُ، فهذا حقُّ القراءةِ وهُوَ حَقُّ الأَذْكَارِ، والتسبيحاتِ أيضاً، ثم يُرَاعى الهيئةَ في/ القراءةِ، فيرتِّلُ ولا يَسْرُدُ فإن ذلك أَيْسَرُ للتأمُّلِ، ويُفَرِّقُ بَيْن نَغْمَاتِه في آياتِ الرحمةِ وآياتِ العذاب، والوعد والوعيد، والتحميدِ والتعظيم، انتهى من «الإحياء»، ، ورَوَى ابن المبارك في «رقائقه» قال: أخبرنا ابن لَهِيعَةَ عن يزيد بن أبي حَبِيبٍ أَنَّ أبا الخير حدَّثَهُ قال: سَأَلْنَا عقبةَ بنَ عامرٍ الجهنيَّ عن قوله ـ عز وجل ـ: ﴿الذين هم على صلاتهم دائمون﴾ أَهُمُ الذين يصلُّون أَبَداً؟ قال: لا، ولكنَّه الذي إذا صلى لم يلتفتْ عن يمينِهِ، ولا عن شماله، ولا خَلْفَه[2]، انتهى.

١٨٣ ب

﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿والذين في أموالهم حق معلوم﴾ قال ابن عباس وغيره: هذه الآيةُ

---

(١) في د: أمر اللَّه.

(٢) ذكره ابن عطية (٥/٣٦٨)، وابن كثير (٤/٤٢١)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/٤٢٠)، وعزاه لابن المنذر.

في الحقُوقِ التي في المَالِ سِوَى الزكاةِ[١]، وهي ما نَدَبَتْ إليه الشريعةُ من المواساة، وهذا هو الأصَحُّ في هذه الآية؛ لأن السورَة مكيةٌ وفَرْضُ الزكاةِ وبيانُها إنما كَان بالمدينة، ، وباقي الآيةِ تَقَدَّم تفسيرُ نظيرِهِ.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون﴾ جَمَع الأمَانَةَ مِنْ حَيْثُ إنَّها متنوعةٌ في الأمْوَال والأسْرَارِ، وفيما بينَ العَبْدِ وربِّه، فيما أمره به ونهاه عنه، والعَهْدُ كلُّ ما تَقَلَّدَه الإنْسَانُ من قَوْلٍ أو فعل، أو مَوَدَّةٍ، إذا كانَتْ هذه الأشْيَاء على منهاج الشريعةِ فَهُو عَهْدٌ ينبغي رعيُه وحفظُه.

وقوله سبحانه: ﴿والذين هم بشهاداتهم قائمون﴾ معناه في قول جماعة من المفسرين: أنهم يَحْفَظُون ما يَشْهَدُونَ فيه، ويُتْقِنُونَه، ويقومُونَ بمعانيه؛ حتَى لاَ يكونَ لهم فيه تقصيرٌ وهَذَا هو وصفُ مَنْ يَمْتَثِلُ قولَ النبي ﷺ: «عَلَى مِثْلِ الشَّمْسِ فَاشْهَدْ»، وقال آخرونَ: معناه: الذينَ إذا كَانَتْ عندَهم شهادةٌ وَرَأَوْا حَقاً يُدْرَسُ أو حُرْمَةً للَّهِ تُنْتَهَكُ؛ قامُوا للَّهِ بشهادَتِهم.

﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾﴾

١٨٤ أ وقوله تعالى: ﴿فمال الذين كفروا قبلك مهطعين﴾ الآيةُ نزلتْ بسببِ/ أن النبي ﷺ كَانَ يصلي عندَ الكعبةِ أحياناً ويقرأ القرآن، فكان كثيرٌ من الكفَّارِ يَقُومُونَ من مجَالِسِهم مسرعينَ إليه يستمعون قراءَتَه، ويقول بعضهم لبعض: شاعِرٌ وكَاهِنٌ، ومفترٍ وغيرُ ذلك، و﴿قِبَلَكَ﴾ معناه فيما يليكَ، والمُهْطِعُ الذي يمشي مُسْرِعاً إلى شيء قَدْ أَقْبَلَ ببصرِهِ عليه، و﴿عِزِينَ﴾ جَمْعُ عِزَةٍ، والعِزَةُ: الجَمْعُ اليسيرُ كأنَّهم كَانُوا ثلاثةً ثَلاثَةً وأَرْبَعَةً أرْبَعَةً، وفي حديثِ أَبِي هريرة قال: «خَرَجَ النبي ﷺ على أصحابه وهم حَلَقٌ متفرقونَ، فقالَ: مالي أراكم عزين»[٢].

﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَآ أُقْسِمُ

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٣٦)، رقم: (٣٤٩١٨) بنحوه، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٦٨).
(٢) أخرجه مسلم (١/ ٣٢٢)، كتاب «الصلاة» باب: الأمر بالسكون في الصلاة، حديث (١١٩/ ٤٣٠)، وأبو داود (٥/ ١٦٣)، كتاب «الأدب» باب: في التحلق، حديث (٤٨٢٣)، وأحمد (٥/ ٩٣).

بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

وقوله تعالى: ﴿أيطمع كل امرىءٍ منهم أن يدخل جنة نعيم﴾ نزلتْ لِأَنَّ بعضَ الكفارِ قال: إنْ كَانَتْ ثَمَّ آخرةٌ وجنةٌ فنحنُ أهْلها؛ لأَنَّ اللَّهَ تعالى لم يُنْعِمْ علينا في الدنيا بالمال والبنِين، وغيرِ ذلك؛ إلا لرضَاه عنا.

وقوله تعالى: ﴿كَلاَّ﴾ رَدٌّ لقولِهم وَطَمَعِهم، أي: ليس الأمْرُ كذلك، ، ثم أخبرَ تَعَالَى عَنْ خَلْقِهِم من نطفةٍ قَذِرَةٍ، وأحالَ في العبارةِ عَلى عِلْمِ الناسِ، أي: فمن خُلِقَ من ذلكَ فَلَيْسَ بنفسِ خَلْقِهِ يُعْطَى الجنةَ، بلْ بالإيمَانِ والأَعْمَالِ الصالحةِ، ورَوَى ابن المباركِ في «رقائقه» قال: أخبرنا مالك بن مغول؛ قال: سمعت أبا ربيعة يحدِّثُ عن الحسن؛ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «كُلُّكُم يُحِبُّ أنْ يُدْخَلَ الجَنَّةَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، جَعَلَنَا اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: فَأَقْصِرُوا مِنَ الأَمَلِ، وثَبِّتُوا آجَالَكُمْ بَيْنَ أَبْصَارِكُمْ، واسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كُلُّنَا نَسْتَحِي مِنَ اللَّهِ، قَالَ: لَيْسَ كَذَلِكَ الحَيَاءُ، ولٰكِنَّ الحَيَاءَ مِنَ اللَّهِ أَلاَّ تَنْسَوُا المَقَابِرَ وَالْبِلَىٰ، وَلاَ تَنْسَوُا الجَوْفَ وَمَا وَعَىٰ، وَلاَ تَنْسَوُا الرَّأْسَ وَمَا حَوَىٰ/ ، وَمَنْ ١٨٤ ب يَشْتَهِي كَرَامَةَ الآخِرَةِ يَدَعُ زِينَةَ الدُّنْيَا، هُنَالِكَ اسْتَحْيَا الْعَبْدُ مِنَ اللَّهِ، هُنَالِكَ أَصَابَ وِلاَيَةَ اللَّهِ»[1]، انتهى، وقد روِّينَا أَكْثَرَ هَذا الحديثِ، من طريقِ أبي عيسى الترمذي، وباقي الآيةِ تَقَدَّم تفسيرُ نظيرِه، والأَجْدَاثُ القبُورَ، والنُّصُبُ: ما نُصِبَ للإنْسَانِ فهو يَقْصِدُه مسرعاً إليه من عَلَمٍ أو بناءٍ، وقال أبو العالية: ﴿إلى نُصُب يوفضون﴾: معناه: إلى غَايَاتٍ يَسْتَبِقُونَ، و﴿يوفضون﴾: معناه: يسرعونَ، و﴿خاشعة﴾: أي: ذليلةٌ منكسِرَة.

---

(١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» ص: (١٠٧) (٣١٧).

تَفْسِيرُ سُورَةِ نُوحٍ

عَلَيْهِ السَّلاَمُ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ بِإِجْمَاعٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾﴾

قوله سبحانه: ﴿إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم﴾ هذا العذابُ الذي تَوَعَّدُوا بهِ، الأظْهَرُ أنَّه عذابُ الدنيا، ويُحْتَمَلُ أنْ يكونَ عذابَ الآخرةِ.

وقوله: ﴿من ذنوبكم﴾ قال قوم: «من» زائدةٌ وهذا نحوٌ كوفيٌّ، وأما الخليلُ وسيبويهِ؛ فلا يجوزُ عندَهم زِيادَةُ «من» في المُوجَبِ[1]، وقال قومٌ: هي للتبعيضِ، قال * ع[2] *: وهَذَا القولُ عندي أبْيَنُ الأقوالِ هنا؛ وذلك أنه لَوْ قَالَ: يَغْفِرْ لَكُمْ ذنوبَكُم؛ لَعَمَّ هذَا اللفظُ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الذنوبِ، ومَا تَأَخَّرَ عن إيمانِهم، والإسْلاَمَ إنَّما يَجُبُّ ما قبله.

وقوله سبحانه: ﴿ويؤخركم إلى أجل مسمى﴾ كأنَّ نوحاً ـ عليه السلام ـ قال لهم: وآمنوا يَبِنْ لَنَا أَنَّكُمْ ممن قُضِيَ له بالإيمان والتأخيرِ، وإنْ بَقِيتُم عَلى كُفْرِكُمْ فَسَيَبِينُ أنكم ممن قُضِيَ عليه بالكفرِ والمُعَاجَلَةِ، ثم تبيَّنَ هذا المعنى ولاَح بقوله تعالى: ﴿إن أجل اللَّه إذا جاء لا يؤخر﴾ وجَوابُ لو مقدرٌ/ يقتضِيه المعنى، كأنَّه قال: فَمَا كَانَ أحْزَمَكُمْ أو أَسْرَعَكُمْ إِلَى التَّوْبَةِ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ. ١١٨٥ أ

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾﴾

---

(١) في د: الواجب.

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٧٢).

وقوله تعالى: ﴿قال رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً﴾ الآية، هذه المقالةُ قَالَها نوحٌ ـ عليه السلام ـ بَعْدَ طولِ عُمْرِهِ ويأسِه من قومه.

﴿واستغشوا ثيابهم﴾: معناه: جَعَلُوها أَغْشِيَةً على رؤوسهم.

﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾

وقوله: ﴿يرسل السماء﴾ الآية، رُوِيَ أن قومَ نوحٍ كانوا قَدْ أَصَابَتْهُمْ قُحُوطٌ وأَزْمَةٌ فلذلك بدأهم في وَعْده بأمْرِ المطرِ، و﴿مِدْرَاراً﴾ من الدَّرِّ، ورَوَى ابنُ عباسٍ عن النبي ﷺ أَنَّه قال: «مَنْ لَزِمَ الاِسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخرجاً، وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجاً، ورَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ»[1]؛ رواه أبو داود واللفظ له، والنسائيُّ وابن ماجه، ولفظ النسائيِّ[2]: «من أَكْثَرَ من الاستغفار»، انتهى من «**السلاح**».

﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾﴾

وقوله: ﴿ما لكم لا ترجون للَّه وقاراً﴾ قال أبو عبيدةَ وغيره: ﴿تَرْجُونَ﴾ معناه تَخَافُونَ[3]، قالُوا: والوَقَارُ بمعنى العَظَمَةِ، فكأَنَّ الكلامَ عَلى هذا التأويلِ وَعِيدٌ وتخويفٌ، وقال بعض العلماء: تَرْجُونَ على بَابِها، وكأنه قال: مَا لَكُمْ لاَ تَجْعَلُونَ رَجَاءَكم لِلَّهِ، و﴿وَقَاراً﴾ يكونُ على هذا التأويل منهم كأنه يقولُ: تَؤُدَةً مِنْكُمْ وتَمَكُّناً في النظر.

وقوله: ﴿وقد خلقكم أطواراً﴾ قال ابن عباس وغيره: هي إشارة إلى التدريجِ الذي للإنْسَانِ في بطنِ أمه[4]، وقال جماعة: هي إشارة إلى العِبْرَةِ في اختلافِ خَلْقِ أَلْوَانِ الناسِ

---

(١) أخرجه أبو داود (١/ ٤٧٦)، كتاب «الصلاة» باب: في الاستغفار(١٥١٨)، وابن ماجه (٢/ ١٢٥٤، ١٢٥٥)، كتاب «الأدب» باب: الاستغفار (٣٨١٩)، والبيهقي (٣/ ٣٥١)، كتاب «صلاة الاستسقاء» باب: ما يستحب من كثرة الاستغفار في خطبة الاستسقاء، وأبو نعيم في «**الحلية**» (٣/ ٢١١)، والنسائي في «**الكبرى**» (٦/ ١١٨)، كتاب «عمل اليوم والليلة» باب: ثواب ذلك (١٠٢٩٠/ ٢)، والحاكم في «**المستدرك**» (٤/ ٢٦٢).
قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
وتعقبه الذهبي قائلاً: الحكم فيه جهالة.

(٢) في د: وابن ماجه.

(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٧٤).

(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٥١)، رقم: (٣٥٠١٢) بنحوه، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٧٤)، وابن كثير (٤/ ٤٢٥).

وخُلُقِهم، ومِلَلِهم، والأطْوَارُ: الأحْوَالُ المختلفة.

﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿وجعل القمر فيهن نوراً...﴾ الآية، قال عبدُ اللَّه بن عمرو بن العاص وابن عباس: إن الشَّمْسَ والقمر أقْفَاؤهما إلى الأرض، وإقبال/ نورهما وارتفاعُه في السماء[1]؛ وهذا الذي يقتضيه لفظُ السِّرَاجِ. ١٨٥ ب

و﴿أنبتكم من الأرض﴾: استعارَةٌ مِنْ حَيْثُ خلق آدم ـ عليه السلام ـ من الأرض.

و﴿نباتاً﴾ مصدرٌ جَاءَ على غير المصدر، التقديرُ: فَنَبَتُّم نَبَاتاً، والإعَادَةُ فيها بالدَّفْنِ، والإخراجُ هو بالبعثِ، وظاهر الآية: أنَّ الأرْضَ بسيطَةٌ غيرُ كُرِيَّةٍ، واعتقادُ أحَدِ الأمْرَيْنِ غَيْرُ قَادِحٍ في الشرْعِ بنفسِه، اللهمَّ إلاَّ أنْ يترتبَ[2] على القولِ بالكُرِيَّةِ نَظَرٌ فاسِدٌ، وأما اعتقادُ كونِها بسيطةً، فهو ظاهِرُ كتابِ اللَّه تعالى، وهو الذي لاَ يَلْحَقُ عنه فسادٌ أَلْبَتَّةَ، واستدلَّ ابن مجاهد علَىٰ صحَّة ذلك بماءِ البحر المُحِيطِ بالمَعْمُورِ فَقَال: لَوْ كانت الأرضُ كُرِيَّةً لَمَا اسْتَقَرَّ المَاءُ عَلَيْهَا[3]، والسُّبُلُ الطرقُ، والفجاجُ الواسعةُ، وقولُ نوح: ﴿واتبعوا من لم يزده ماله...﴾ الآية، المعنى: اتَّبعُوا أشْرَافَهم وغُواتَهم، و﴿خَسَاراً﴾: معناه: خُسْرَاناً، و﴿كباراً﴾: بناءُ مبالغةٍ نَحْوَ: حُسَّانَ وقُرِىءَ[4] شاذًّا: «كِبَاراً» ـ بكسْرِ الكَافِ ـ قال ابن الأنباري: جَمْعُ كبير.

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٥٢)، رقم: (٣٥٠٢٠) بنحوه عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص، وذكره البغوي (٤/ ٣٩٨)، وابن عطية (٥/ ٣٧٥)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٢٥ ـ ٤٢٦)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وأبي الشيخ في «العظمة» عن عبد اللَّه بن عمرو، وعزاه أيضاً لأبي الشيخ عن ابن عباس.

(٢) في د: يتركب.

(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٧٥).

(٤) قرأ بها ابن محيصن، وعيسى بن عمر.
ينظر: «مختصر الشواذ» ص: (١٦٢)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٣٧٦)، و«البحر المحيط» (٨/ ٣٣٥)، وزاد نسبتها إلى زيد بن علي، وهي في «الدر المصون» (٦/ ٣٨٥).

و﴿وَدّاً﴾ ومَا عُطِفَ عليه أسْمَاءُ أصْنَام، ورَوَى البخاريُّ وغيره عن ابن عباس: أنَّها كانتْ أسْمَاء رجالٍ صالحينَ، من قوم نوحٍ فَلَمَّا هَلَكُوا؛ أوْحَى الشيطانُ إلى قومِهم أن انْصِبُوا إلى مجالسِهم التي كانُوا يَجْلِسُونَ أنْصَاباً وَسَمُّوهَا بأسمائهم، فَفَعَلُوا[1]، فلم تُعْبَدْ حتى إذا هَلَكَ أولئك وتُنُسِّخَ العِلْمُ عُبِدَتْ،، قال ابن عباس: ثم صَارَتْ هذه الأوثانُ التي في قَوْمِ نُوحٍ في العَرَبِ بَعْد[2]، انتهى.

وقوله: ﴿وقد أضلوا كثيراً﴾ هو إخبارُ نُوحٍ عن الأَشْرَافِ، ثم دَعَا اللَّهَ عليهم ألاَّ يَزِيدَهم إلا ضَلالاً، وقال الحسن: أراد بقوله: ﴿وقد/ أضلوا﴾ الأَصْنَامَ المذكورة[3]. ١٨٦ أ

﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿مما خطيئاتهم أغرقوا﴾ ابتداء إخْبَارٍ مِنَ اللَّهِ تعالَىٰ لمحمَّد ـ عليه السلام ـ و«ما» في قوله: ﴿مما﴾: زائدةٌ فكأنه قال: مِنْ خطِيئَاتِهِم، وهي لابتداءِ الغَايَةِ، * ص *: ﴿مما خطيئاتهم﴾ من للسببِ، * ع[4] *: لابتداءِ الغايةِ و«ما» زائِدة للتَوْكيد، انتهى، ﴿فأُدْخِلُوا ناراً﴾ يعني جَهَنَّمَ، وقول نوح: ﴿رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً﴾ قال قتادة وغيره: لم يَدْعُ نوحٌ بهذهِ الدعوةِ إلاَّ مِنْ بَعْدِ أنْ أُوحِيَ إليه ﴿أنَّه لَنْ يُؤمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إلاَّ مَنْ قَدْ آمنَ﴾[5] [هود: ٣٦] و﴿ديَّاراً﴾ أصله: دَيْوَارٌ من الدَّوَرانِ، أي: من يجيءُ ويذهب.

وقوله: ﴿رب اغفر لي ولوالدي﴾ قال ابن عباس: لم يَكْفُرْ لنوحٍ أبٌ مَا بَيْنَه وبين آدم عليه السلام[6]، وقرأ أُبيُّ بن كعب[7]: «ولِأَبَوَيَّ»، وبيتُه المسجدُ؛ فيما قاله ابن

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٥٤)، رقم: (٣٥٠٣١) بنحوه، وذكره ابن كثير (٤/ ٤٢٦).
(٢) ذكره البغوي (٤/ ٣٩٩)، وابن كثير (٤/ ٤٢٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٢٧)، وعزاه للبخاري، وابن المنذر، وابن مردويه عن ابن عباس.
(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٧٦).
(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٧٦).
(٥) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٧٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٢٨)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر.
(٦) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٧٧).
(٧) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٧٧).

عباس[١]، وجمهورُ المفسرين، وقال ابن عباس أيضاً: بيتُه شريعتُه ودِينُه؛ استعار لها بَيْتاً كما يقال قُبَّة الإسْلاَمِ وفُسْطَاطُ الدين[٢]، وقيل: أراد سفينتَه.

وقوله: ﴿وللمؤمنين والمؤمنات﴾ تعميمٌ بالدعاء لمؤمِني كلِّ أمَّةٍ، وقال بعض العلماء: إن الذي استجابَ لنوح ـ عليه السلامُ ـ فأغْرَق بدعوتِه أهْلَ الأرضِ الكفار، لجديرٌ أن يستجيبَ له فَيَرْحَمَ بدعوتِهِ المؤمنينَ، والتَّبَارُ: الهَلاَك.

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٧٧).

(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٧٧).

تَفسِيرُ سُورَةِ الجِنِّ

وهِيَ مَكِّيَّةٌ بِإجْمَاعٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿قل أوحي إلي أنه ٱستمع نفر من الجِن﴾ هؤلاءِ النفرُ من الجنِّ هم الذين صَادَفُوا النبيَّ ﷺ يقرأ ببطنِ نخلةٍ في صَلاَةِ الصُّبْحِ، وقد تَقَدَّمَ قَصَصَهم في سورةِ الأحقافِ، وقولُ الجن: ﴿إنا سمعنا. . .﴾ الآيات، هو خطابٌ منهم لِقَوْمهم.

و﴿قرآناً عجباً﴾: معناه: ذَا عَجَبٍ؛ لأن العَجَبَ مصدرٌ يقعُ من سَامِعِ القرآن لبراعتِه / وفصاحتِه ومُضَمَّناتِه. ١٨٦ ب

وقوله: ﴿وأنه تعالى جد ربنا﴾ قَالَ الجمهورُ: معناه: عَظَمَةُ ربنا، وروي عن أنسٍ أنه قال: كان الرجلُ إذا قَرَأ البَقَرَةَ، وآلَ عمرانَ جَدَّ في أعيننا، أي: عَظُم[1]، وعن الحسن: ﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾ غِنَاهُ[2] وقال مجاهد: ذِكْرُهُ[3]، وقال بعضهم: جَلاَلُه، ومَنْ فَتَح الألِفَ من قوله: ﴿وأنَّه تَعَالَى﴾ اخْتَلَفُوا في تأويلِ ذلك، فقال بعضُهم: هو عَطْفٌ على ﴿أنه اسْتَمَع﴾ فيجيءُ عَلَى هذا قولُه تعالى: ﴿وأنه تعالى﴾ مما أُمِرَ أنْ يقولَ النبيُّ إنَّه أوحي إليه، ولَيْسَ هو من كلامِ الجنِّ، وفي هذا قَلَقٌ، وقال بعضهم: بل هو عطف على الضمير في ﴿به﴾ كأنه يقول: فآمنا به وبأنه تعالى، وهذا القول أبْيَنَ في المعنى، لكنَّ فيه من جهةِ النحو

---

(١) ذكره البغوي (٤/ ٤٠١)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٧٩).

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٦٠)، رقم: (٣٥٠٥٦)، (٣٥٠٥٧)، (٣٥٠٥٨)، وذكره البغوي (٤/ ٤٠١)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٣٠)، وعزاه لعبد بن حميد.

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٦٠)، رقم: (٣٥٠٦١)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٧٩)، وابن كثير (٤/ ٤٢٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٣٠)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

العطفَ على الضميرِ المخفوضِ دُونَ إعَادَةِ الخَافِضِ، وذلك لاَ يَحْسن * ت *: بلْ هُوَ حَسَنٌ؛ إذ قَدْ أتى في النظم والنَّثْرِ[1] الصحيحِ، مُثْبَتاً، **وقرأ** عكرمة[2]: «تعالَىٰ جَدٌّ رَبُّنَا» - بِفَتْحِ الجيمِ وضَمِّ الدالِ وتَنْوِينِهِ ورفْعِ الرَّبِّ -، كأنه يقول: تعَالَى عَظِيمٌ هو ربُّنا، فَـ«رَبُّنَا» بدَلٌ والجَدُّ: العَظِيمُ في اللغةِ، **وقرأ** أبو الدرداء: «تَعَالَىٰ ذِكْرُ رَبِّنَا» ورُوي عنه: «تعالَىٰ جَلاَلُ رَبِّنَا».

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وأنه كان يقول سفيهنا﴾ لا خِلاَفَ أن هَذَا مِنْ قَوْلِ الجِنِّ، والسفيهُ: المذكورُ قال جمهورٌ من المفسرينَ: هُو إبليسُ - لعنه اللَّه -، وقال آخرونَ: هو اسْمُ جنسٍ لكلِّ سفيهٍ مِنْهُمْ وَلاَ مَحَالَة أَنَّ إبليسَ صَدْرٌ في السفاهةِ، وهذا القول أحْسَنُ، والشَّطَطُ: التَّعَدِّي وتجاوُزُ الحدّ بقولٍ أو فعل، * ص *: ﴿شَطَطاً﴾ أبو البقاءِ: نَعْتٌ لمصدَرٍ محذوفٍ، أي: قَوْلاً شَطَطا، انتهى، ثم قال أولَئِكَ النفرُ: ﴿وأَنَّا ظَنَنَّا﴾ قبلَ إيماننا ﴿أنْ لَنْ تَقُولَ الإنْسُ والجنّ على اللَّه كذباً﴾ في جِهَةِ الألوهيةِ وما يتعلق بذلك.

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْءَانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾

---

(١) في د: النثر والنظم.

(٢) قال أبو الفتح: وَغُلِّطَ الذي رواه (يعني عن عكرمة)، قال:
فأما «جَدُّ رَبُّنَا» فإنه على إنكار ابن مجاهد صحيح؛ وذلك أنه أراد: وأنه تعالى جَدُّ جَدُّ رَبِّنَا على البدل، ثم حذف الثاني، وأقام المضاف إليه مقامه. وهذا على قوله (سبحانه): ﴿إِنَّا زَيَّنا السماءَ الدُّنْيا بِزِينةٍ الكواكبِ﴾، أي: زينةِ الكواكب، فـ«الكواكب» إذاً بدل من «زينة».
فإن قلت: فإن الكواكب قد تسمى زينة، والربُّ (تعالى) لا يسمى جَدًّا.
قيل: الكواكب في الحقيقة ليست زينة، لكنها ذات الزينة. ألا ترى إلى القراءة بالإضافة وهي قوله: «بزِينَةِ الكواكبِ»؟ وأنت أيضاً تقول: تعالى رَبُّنَا، كما تقول: تعالى جَدُّ رَبِّنَا. فالتعالي مستعمل معهما جميعاً، كما يقال: يسرّني زيدٌ قيامُه، وأنت تقول: يسرني زيد ويسرّني قيامه. وهذا بيان ما أنكره ابن مجاهد.
ينظر: **«المحتسب»** (٢/ ٣٣٢)، و**«مختصر الشواذ»** ص: (١٦٣)، و**«المحرر الوجيز»** (٥/ ٣٧٩)، و**«البحر المحيط»** (٨/ ٣٤١)، و**«الدر المصون»** (٦/ ٣٩٠).

وقوله تعالى: ﴿وأنه كان رجال من الإنس يعوذون/ برجال من الجن...﴾ الآية، ١٨٧ أ
منَ القُرَّاءِ مَنْ كَسَرَ الهمزةَ مِنْ «إِنَّهُ»، ومنهمْ من فَتَحَها[1]، والكسْرُ أوْجَهُ، والمعنَىٰ في الآيةِ: ما كَانَتِ العربُ تفعله في أسْفَارِها من أنَّ الرَّجُلَ إذا أرادَ المَبِيتَ بِوَادٍ، صاحَ بأعْلَىٰ صوتِه: يا عزيزَ هٰذَا الوَادِي؛ إني أعوذُ بكَ مِنَ السُّفَهَاءِ الذين في طاعتِكَ، ويعتقدُ بذلكَ أنَّ الجِنِّيَّ يحميه ويمنعه، قال قتادة: فكانت الجنُّ تحتقرُ بني آدمَ وتَزْدَرِيهم لِمَا تَرَى مِنْ جَهلِهِم، فكانوا يَزِيدُونَهمْ مخافةً، ويتعرضُون للتَّخَيُّلِ لهم، ويُغْوُونَهم، في إرادَتِهم، فهذا هو الرَّهَقُ الذي زادته الجنُّ بني آدم[2]، وقال مجاهد وغيره: بنو آدمَ همُ الذينَ زَادُوا الجنَّ رَهَقاً وهي الجَرَاءَةُ والطُّغْيان[3] وقَدْ فَسَّر قوم الرَّهَقَ بالإثْم.

وقوله: ﴿وأنهم ظنوا﴾ يريدُ به بني آدم.

وقوله: ﴿كما ظننتم﴾ مخاطبةٌ لقومِهم من الجنِّ وقولهم: ﴿أن لن يبعث اللَّه أحداً﴾ يحتملُ معنيين: أحَدُهُما بَعْثُ الحَشْرِ من القبورِ، والآخرُ بَعْثُ آدَمِيٍّ رَسُولاً، وذكر المَهدوي تأويلاً ثالثاً، أنَّ المعنى: وأنَّ الجنَّ ظَنُّوا كما ظَنَنْتُمْ أيها الإنسُ، فهِي مخاطَبَةٌ من اللَّهِ تعالى، قال الثعلبيُّ: وقيل: إن قَولَه: ﴿وأنه كان رجال من الإنس...﴾ الآية، ابتداء إخْبارٍ مِنَ اللَّه تعالى، ليسَ هو من كلامِ الجنِّ، انتهى، فهو وِفَاقٌ لما ذكره المهدوي، وقولهم: ﴿وأنا لمسنا السماء﴾ قال جمهورُ المتأولينَ: معناه الْتَمَسْنَا، والشُّهُبُ كواكبُ الرجْمِ والحَرَسُ يحتملُ أن يريدَ الرَّمْيَ بالشُّهُبِ، وكرَّرَ المعْنَى بلفظٍ مختلف، ويحتملُ أن يريدَ الملائكةَ، و﴿مقاعِدَ﴾: جَمْع مَقْعَدٍ وقَدْ تَقَدَّمَ بيانُ ذلِكَ في سورةِ الحِجْرِ، وقولهم: ﴿فمن يستمع الآن...﴾ الآية، قَطْعٌ على أنَّ كلَّ مَنِ استمع الآنَ أحْرَقَه شهابٌ [فليسَ هنا

---

(١) قرأ ابن كثير ونافع وأبو بكر: «وإنه تعالى جد ربنا» بكسر الهمزات، إلا قوله: «أنه استمع»، و«أن لو استقاموا»، و«أن المساجد للّه»، فإنهم قرؤوا بالفتح. وزاد ابن كثير، وأبو عمرو عليهما: «وأنه لما قام عبد اللّه».
وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي كل ذلك بالفتح إلا ما جاء بعد قول، أو بعد فاء جزاء، وحفص عن عاصم مثل حمزة.
ينظر: **«العنوان»**(١٩٨)، و**«شرح شعلة»** (٦٠٩)، و**«إتحاف»** (٢/ ٥٦٥)، و**«السبعة»** (٦٥٦)، و**«الحجة»** (٦/ ٣٣٠)، و**«إعراب القراءات»** (٢/ ٤٠٠)، و**«حجة القراءات»** (٧٢٧)، و**«معاني القراءات»** (٣/ ٩٦)، و**«شرح الطيبة»** (٦/ ٧٣).

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٦٤)، رقم: (٣٥٠٧٦) بنحوه. وذكره ابن عطية (٥/ ٣٨٠)، وابن كثير (٤/ ٤٢٨).

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٦٤)، رقم: (٣٥٠٨٠) بنحوه، وذكره البغوي (٤/ ٤٠٢)، وابن كثير (٤/ ٤٢٨)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٦/ ٤٣٢)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر.

بَعْدُ سَمْعٌ إِنَّما الإحراقُ عِنْدَ الاِستماع][1]، وهذا يقتضي أنَّ الرَّجْمَ كَانَ في الجاهليةِ، ولكنَّه لم يكنْ بمُسْتأصِلٍ، فَلَمَّا جاءَ الإسْلاَمُ، اشْتَدَّ الأَمْرُ؛ حَتَّىٰ لم يكُنْ فِيه وَلاَ/ يَسِيرُ سَمَاحَةٍ، ١٨٧ ب
و﴿رَصَداً﴾: نعتٌ لـ«شِهَاب» ووصفَه بالمصْدَرِ، وقولهم: ﴿وأَنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض...﴾ الآية، معناه: لاَ نَدْرِي أَيُؤْمِنُ الناسُ بهذا النبيِّ فَيَرْشُدُوا، أَمْ يَكْفُرُونَ بِهِ فَيَنْزِلَ بِهِمُ الشَّرُّ، وعبارة الثعلبي: «وأَنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض» حينَ حُرِسَتِ السماءُ ومُنِعْنَا السَّمْعَ، ﴿أم أراد بهم ربهم رشداً﴾، انتهى.

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعۡجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَن نُّعۡجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعۡنَا ٱلۡهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦۖ فَمَن يُؤۡمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخۡسٗا وَلَا رَهَقٗا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلۡمُسۡلِمُونَ وَمِنَّا ٱلۡقَٰسِطُونَۖ فَمَنۡ أَسۡلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوۡاْ رَشَدٗا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبٗا ﴿١٥﴾﴾

وقولهم: ﴿وأنا منا الصالحون﴾ إلى آخرِ قولهم: ﴿ومنا القاسطون﴾ هُوَ من قولِ الجِنّ، وقولهم: ﴿ومنا دون ذلك﴾ أي: غَيْرُ صالحين، * ص *: ﴿دونَ ذلك﴾ قِيل: بمعنى غَيْرُ ذلك، وقيلَ: دُونَ ذلكَ في الصلاحِ، فـ«دون» في موضِعِ الصِّفَةِ لمحذوفٍ، أي: ومنَّا قومٌ دونَ ذلك، انتهى، والطرائقُ: السِّيَرُ المختلفَة، والقِدَدُ كذلكَ هي الأشياء المختلفة كأنه قَدَّ قُدَّ بعضُها من بعضٍ وفُصِلَ، قال ابن عباس وغيره: ﴿طرائِقَ قِدَداً﴾ أهواء مختلفةً[2]. وقولهم: ﴿وأنا ظننا﴾ أي: تَيَقَّنَّا، فالظَّنّ هنا بمعنى الْعِلْمِ ﴿أن لن نعجز اللَّه في الأرض...﴾ الآية، وهذا إخبارٌ منهم عَنْ حَالِهِمْ بَعْدِ إيمانِهم بما سمعوا من نبينا محمد ﷺ، و﴿الهدى﴾ يريدونَ به القرآنَ، والبَخْسُ النَّقْصُ، والرَّهَقُ تَحْمِيلُ مَا لاَ يطاقُ، وما يَثْقُل، قال ابن عباس: البَخْسُ نَقْصُ الحسناتِ[3]، والرَّهَقُ الزيادةُ في السيئات.

وقوله تعالى: ﴿فمن أسلم فأولئك تحروا رشداً﴾ الوجْهُ فيه أنْ يكونَ مخاطَبَةً من اللَّه تعالى لنبيه محمد ـ عليه السلام ـ ويُؤيِّدُه ما بَعْدَه من الآياتِ، و﴿تحروا﴾ معناه: طَلَبُوا باجتهادهم.

---

(١) سقط في: د.
(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٦٦)، رقم: (٣٥٠٨٩) بنحوه. وذكره ابن عطية (٥/ ٣٨٢)، وابن كثير (٤/ ٤٣٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٣٥)، وعزاه لابن جرير، وابن أبي حاتم.
(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٦٧)، رقم: (٣٥٠٩٥) بنحوه، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٨٢)، وابن كثير (٤/ ٤٣٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٣٥)، وعزاه لابن المنذر، وابن أبي حاتم.

﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿وألّو استقاموا على الطريقة...﴾ الآيةَ، قال ابن عباس وقتادة ومجاهد وابن جبير: الضميرُ في قوله: ﴿اسْتَقَامُوا﴾ عائِدٌ عَلى القاسِطينَ، والمعنى: لوِ اسْتَقَامُوا على طريقةِ الإسْلاَمِ والحَقِّ لأَنْعَمْنَا عليهم[1]/، وهذا المعنى نحوُ قوله تعالى: ١٨٨ أ
﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الكِتَابِ آمَنُواْ واتَّقَوْا...﴾ [المائدة: ٦٥] الآية إلى قوله: ﴿لأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ والقَاسِطُ الظَّالِم، والماء الغَدَقُ هو الماءُ الكثيرُ، و﴿لنفتنهم﴾: معناه: لنختبرَهم، قال عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ: حيْثُ يكونُ الماءُ فَثَمَّ المالُ، وحَيْثُ المالُ فَثَمَّ الفِتْنَةُ[2]، ونَزَعَ بهذه الآية، وقال الحسن وجماعة من التابعين: كانتِ الصحابَةُ ـ رضي اللَّه عنهم ـ سَامِعينَ مُطِيعينَ فَلَمَّا فُتِحَتْ كُنُوزُ كِسْرَى وقَيْصَرَ على الناس، ثَارَتِ الفِتَن[3]، و«نُسْلكه» نُدْخلُه، و﴿صَعَداً﴾: معناه: شَاقًّا، وقال ابن عباس وأبو سعيد الخدري: ﴿صعداً﴾ جَبَلٌ في النارِ[4]، و﴿أَنَّ المسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ قيل: أرادَ البيوتَ التي للعبادةِ والصلاةِ في كلِّ ملةٍ، وقال الحسن: أرادَ بها كلَّ موضِع يُسْجَدُ فيه؛ إذ الأَرْضُ كلها جُعِلَتْ مَسْجِداً لهذه الأمة[5]، ورُوِيَ: أنّ هذه الآيةَ نَزَلَتْ بسبب تَغَلُّبِ قريشٍ عَلى الكعبةِ حينئذٍ، فقيل للنبي ﷺ: المواضعُ كلُّها لِلَّهِ فَاعْبُدْه حيثُ كنتَ، قال * ع[6] *: والمسَاجِدُ المخصوصَةُ بَيِّنَةُ التَمَكُنِ في كونها لِلَّهِ تعالى، فيصلُحُ أنْ تُفْرَدَ للعبادةِ، وكلُّ مَا هُوَ خَالِصٌ لِلَّهِ تعالى، وأنْ لاَ يُتَحَدَّثَ بها في أمورِ الدنيا، ولا يُجْعَلُ فيها لِغَيرِ اللَّهِ نَصِيبٌ.

﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٦٨ ـ ٢٦٩)، أرقام: (٣٥١٠٤، ٣٥١٠٥)، (٣٥١٠٧ ـ ٣٥١٠٨) بنحوه، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٨٢)، وابن كثير (٤/ ٤٣١)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٣٥ ـ ٤٣٦)، وعزاه لعبد بن حميد عن قتادة، وعزاه أيضاً لابن أبي حاتم، عن ابن عباس، ولعبد بن حميد وابن المنذر عن مجاهد.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٦٩)، رقم: (٣٥١١٧) بنحوه وذكره ابن عطية (٥/ ٣٨٣).

(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٨٣).

(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٧٠)، رقم: (٣٥١٢٣) بنحوه عن ابن عباس. وذكره ابن عطية (٥/ ٣٨٣)، وابن كثير (٤/ ٤٣١).

(٥) ذكره البغوي (٤/ ٤٠٤)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٨٣).

(٦) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٨٣).

﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ ﴾

وقوله تعالى: ﴿وأنه لما قام عبد اللَّه﴾ يحتملُ: أنْ يكونَ خِطَاباً مِنَ اللَّهِ تعالى، ويحتملُ: أنْ يَكُونَ إخباراً عَنِ الجِنِّ، وَعَبْدُ اللَّهِ هو محمد ﷺ، والضميرُ في ﴿كادوا﴾ يحتملُ: أنْ يكونَ لكفارِ قريشٍ، وغيرِهم في اجتماعهم على رَدِّ أمرِهِ ﷺ، وقيلَ: الضميرُ للجِنِّ، والمعنى أنهم كادوا يَتَقَصَّفُونَ عليه[1]؛ لاسْتِماعِ القرآن، وقال ابن جبير: معنى الآيةِ أنَّها قَوْلُ الجِنِّ لقومِهم؛ يحكُون لَهُم، والعَبْدُ محمدٌ ـ عليه السلام[2] ـ، والضميرُ في ﴿كَادُوا﴾/ لأَصْحَابِهِ الذينَ يُطِيعُونَ له ويَقْتَدُونَ بِهِ في الصلاةِ فَهُمْ عليه لِبَدٌ، واللِبَدُ: الجماعاتُ شُبِّهَتْ بالشَّيءِ المُتَلبِّدِ، وقال البخاريُّ: قال ابن عباس: ﴿لِبَداً﴾ أعْوَاناً[3]، انتهى، و﴿يدعوه﴾ معناه: يَعْبُدُه، وقيل: عبدُ اللَّهِ في الآيةِ المرادُ به نوحٌ، **وقرأ** جمهور السبعة: «قالَ إِنَّما أَدْعُوا رَبِّي» **وقرأ** حمزةُ وعاصمٌ وأبو عمرو بخلافٍ عنه[4]: «قُلْ»، ثم أمَرَ اللَّهُ تعالى محمداً ـ عليه السلام ـ بالتَّبَرِّي مِنَ القُدْرَةِ، وأنَّه لاَ يَمْلِكُ لأَحَدٍ ضَرًّا ولا نفعاً، والملتَحَدُ: المَلْجَأُ[5] الذي يُمَال إليه، ومنه الإلْحادُ وهو الميل.

١٨٨ ب

﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ ﴾

وقوله: ﴿إلا بلاغاً﴾ قال قتادة: التقدير: لا أمْلِكُ إلاَّ بَلاَغاً إلَيْكُمْ، فأمَّا الإيمانُ وَالكُفْرُ، فَلاَ أَمْلِكُهُ[6]، وقال الحسن: ما معناه أنَّه اسْتِثْنَاءٌ منْقَطِع، والمعنى: لَنْ يجيرَني مِنَ

---

(١) أي يزدحمون عليه. ينظر: «**لسان العرب**» (٣٦٥٥).

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٧٢)، رقم: (٣٥١٣٣) بنحوه، وذكره البغوي (٤/ ٤٠٤)، وابن عطية (٥/ ٣٨٤)، وابن كثير (٤/ ٤٣٢).

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٧٣)، رقم: (٣٥١٤١)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٨٤)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ٤٣٧)، وعزاه لابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٤) وحجة هؤلاء إجماع على ما بعده على الأمر فَرَدُّ ما اختلفوا فيه إلى ما أجمعوا عليه أولى. وحجة الباقين أن ذكر الغيبة قد تقدم، وهو قوله: «وأنه لما قام عبد اللَّه»، وقوله: «قال إنما أدعو».
ينظر: «**السبعة**» (٦٥٧)، و«**الحجة**» (٦/ ٣٣٣)، و«**إعراب القراءات**» (٢/ ٤٠٢)، و«**حجة القراءات**» (٧٢٩)، و«**معاني القراءات**» (٣/ ٩٨)، و«**شرح الطيبة**» (٦/ ٧٦)، و«**العنوان**» (١٩٨)، و«**شرح شعلة**» (٦١٠)، و«**إتحاف**» (٢/ ٥٦٧).

(٥) في د: الملتجأ.

(٦) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٧٥)، رقم: (٣٥١٥٠).

اللَّه أحَدٌ إلا بلاغاً[١] فإنّي إنْ بَلَّغْتُ، رَحِمَني بذلك، أي: بِسَبَبِ ذلك.

وقوله تعالى: ﴿ومن يعص اللَّه﴾ يريدُ: بالكفر، بدليلِ تَأبيدِ الخلود.

﴿قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿قل إن أدري أقريب ما توعدون﴾ يعني عَذَابَهم الذي وُعِدُوا به، والأمدُ المُدَّةُ والغايةُ.

وقوله تعالى: ﴿إلا من ارتضى من رسول﴾ معناه فإنه يُظْهِرُه عَلَى ما شَاءَ مما هو قليلٌ من كثير، [ثم] يَبُثُّ تعالى حَوْلَ ذلك الملَكِ الرَّسُولِ حَفَظَةً رَصَداً لإبليسَ وحِزْبِه من الجنِ والإنْس.

وقوله تعالى: ﴿ليعلم أن قد أبلغوا. . .﴾ الآية، قال ابنُ جُبَيْرٍ: لِيعْلَمَ محمدٌ أنَّ الملائِكَة الحَفَظَةَ الرَّصَد النازِلينَ بَيْنَ يدي جبريلَ وخَلْفَه قَدْ أبلغوا رسالاتِ رَبِّهم[٢]، وقال مجاهد: معناه لِيَعْلَمَ مَنْ كَذَّبَ أو أشْرَكَ أنَّ الرُّسُلَ قَدْ بَلَّغَتْ[٣]، وقيل: المعنى لِيَعْلَمَ اللَّهُ تَعَالَى رُسُلَه مُبَلِّغَةً خَارِجَةً إلى الوُجُودِ، لأنَّ عِلْمَه بكلِّ شَيْءٍ قَدْ تَقَدَّمَ، والضميرُ في ﴿أحَاطَ﴾ و﴿أحْصَى﴾ للَّه سبحانه لاَ غَيْر. ١٨٩ أ

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٨٤)، وذكره أبو حيان (٨/ ٣٤٦).

(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٨٥)، وابن كثير (٤/ ٤٣٣)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٣٨)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ في «العظمة».

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٧٧)، رقم: (٣٥١٦٣) بنحوه، وابن عطية (٥/ ٣٨٥)، وابن كثير (٤/ ٤٣٣)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٣٩)، وعزاه لعبد بن حميد.

تَفْسِيرُ سُورَةِ المُزَّمِّلِ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ في قَوْلِ الجُمْهُورِ

إلا قَوْلَه: ﴿إن ربك يعلم﴾ إلى آخرِ السورةِ فمدنيٌّ، وقال جماعةٌ: هي مكية كلُّها.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿يأيها المزمل﴾ نداءٌ للنبيِّ ﷺ، قال السهيلي: المُزَّمِّلُ اسمٌ مشتقٌ من حالتِه التي كَانَ عليها ـ عليه السلام ـ حينَ الخطابِ، وكذلكَ المدَّثِّرُ، وفي خطابِه بهذَا الاسْم فائِدَتان: إحداهما: الملاطفةُ فإنَّ العربَ إذا قَصَدَتْ ملاطَفَةَ المخاطَبِ، وتَرْكَ معاتَبَتِهِ سَمَّوْهُ بِاسْمٍ مشتقٍ من حالتِه، كقوله ـ عليه السلام ـ لعلي حين غَاضَبَ فاطمةَ: قُمْ أبا تُرَابٍ، إشعَاراً له أنه غَيْرُ عاتبٍ عليه، وملاطَفَةً له، والفائدة الثانية: التنبيهُ لكلِّ مُتَزَمِّلٍ راقدٍ ليلَه؛ لينتبهَ إلى قيامِ الليل وذكرِ اللَّه فيه، لأنَّ الاسْمَ المشتق من الفعلِ، يَشْتَرِكُ فيه معَ المخاطَب كلُّ مَنْ عَمِلَ بذلك العملِ، واتَّصَفَ بتلك الصفةِ، انتهى، والتَزَمُّلُ الالْتِفَافُ في الثياب، قال جمهور المفسرين وهو في البخاري وغيره: إنَّ النبي ﷺ لمَّا جَاءَه المَلَكُ في غار حراء وَحَاوَرَه بما حَاوَرَه به، رَجَعَ رسول اللَّه ﷺ إلى خَدِيجَةَ فَقَال: زَمِّلُوني زَمِّلُوني؛ فنزلت «يأيها المدثر» و[على هذا نزلت «يأيها المزمل»][1].

وقوله تعالى: ﴿قم الليل إلا قليلاً﴾ قال جمهور العلماءِ: هو أمْرُ نَدْبٍ، وقيل كَانَ فَرْضاً وقْتَ نزول الآيةِ، وقال بعضُهم: كان فرضاً على النبي ﷺ خاصَّةً وبَقِيَ كذلك حتى تُوُفِّي، وقيل غير هذا.

---

(١) سقط في: د.

وقوله تعالى: ﴿نِصْفَه﴾ يحتملُ: أن يكونَ بَدَلاً من قوله قليلاً، * ص *: ﴿إلا قليلاً﴾ استثناءٌ من الليلِ، و﴿نصفه﴾ قيل: بَدَلٌ من الليل وعلى هذا يكون استثناءُ ﴿إلا قليلاً﴾ منه، أي: قم نصفَ الليل إلا قليلاً منه، والضميرُ في قوله: ﴿أو انقص منه﴾، ﴿أو زد عليه﴾ عائدٌ على النصْفِ وقيل: ﴿نصفه﴾: بدل من قوله:/ ﴿إلا قليلاً﴾ قَالَ أبو ١٨٩ ب البَقَاءِ؛ وهو أشْبَهُ بظاهرِ الآيةِ، انتهى، قال * ع[1] *: وكَيْفَ مَا تَقَلَّبَ المعنى فإنه أمْر بقيام نصفِ الليلِ، أو أكْثَر شيئاً أو أقَلَّ شيئاً، فالأكْثر عند العلماء لا يُزِيدُ على الثُّلثَيْنِ، والأقَلُّ لاَ يَنْحَطُّ عَن الثلثِ، ويُقَوِّي هذا حديثُ ابنِ عَبَّاسٍ في مَبِيتِهِ في بيت ميمونة؛ قال: فلما انْتَصَفَ الليلُ أو قَبْلَه بقليلٍ أو بعده بقليل، قام رسول اللَّه ﷺ، قال * ع[2] *: ويلزمُ على هذا البَدَلِ الذي ذَكَرْنَاه أن يكونَ نصفُ الليل قَدْ وَقَعَ عليه الوصفُ بقليلٍ، وقَدْ يحتملُ عندي قوله: ﴿إلا قليلاً﴾ أنْ يكون استثناءً من القيام، فنجعلُ الليلَ اسْم جِنْسٍ ثم قال: ﴿إلا قليلاً﴾ أي: إلا الليالي التي تُخِلُّ بقيامِها لعذرٍ، وَهَذَا [النظرُ يَحْسُنُ مَعَ القولِ بالنَّدْبِ جِدًّا، قال * ص *: وهذا [النَّظَرُ خلافُ ظاهرِ الآية، انتهى، والضميرُ في ﴿منه﴾ و﴿عليه﴾ عائِدَان على][3] النصف.

وقوله سبحانه: ﴿ورتل﴾: معناه في اللغةِ: تَمَهَّلْ وَفَرِّقْ بَيْنَ الحروفِ، لِتَبِينَ، والمقْصِدُ أنْ يَجِدَ الفِكْرُ فُسْحَةً للنَّظَرِ وفَهْمِ المعاني، وبذلكَ يَرِقُّ القَلْبُ، ويَفِيضُ عليه النُّورُ والرحمة، قال ابن كيسان: المُرادُ: تَفْهَمُه تالياً له، ورُوِي في صحيح الحديث: أن قراءةَ رسولِ اللَّه ﷺ كانَتْ بيِّنَةً مُتَرسِّلَةً، لو شاء أحَد أنْ يَعُدَّ الحروفَ لعَدَّها، قال الغزاليُّ في «الإحياء»: واعْلَمْ أنَّ التَرْتِيلَ والتَّؤُدَةَ أقْرَبُ إلى التوقير والاحترامِ، وأشَدُّ تأثيراً في القلبِ من الهَذْرَمَةِ والاسْتِعْجَالِ، والمَقْصُودُ مِنَ القراءَةِ التفكُّرُ، والترتيلُ مُعِينٌ عَلَيْهِ، وللناس عاداتٌ مختلفة في الخَتْمِ، وأوْلَى مَا يُرْجَعُ إليه في التقديراتِ قَوْلُ النبي ﷺ، وَقَدْ قَال ـ عليه الصَّلاةُ والسلام ـ: «مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ في أَقَلَّ مِن ثَلاَثٍ، لَمْ يَفْقَهْهُ» وذلك لأَنَّ الزيادةَ عليهَا تمنعُ الترتيلَ المطلوبَ، وقَدْ كَرِهَ جماعةٌ الختمَ في يومٍ ولَيْلَةٍ، والتفصيلُ في مقدار القراءة أنَّه إنْ كَانَ التالي من العُبَّادِ السالكينَ طريقَ العَمَلِ، فلاَ يَنْبَغِي له أن يَنْقُصَ من خَتْمَتَيْنِ في الأُسْبُوعِ، وإنْ كانَ من السالكينَ بأعْمَالِ القَلْبِ وضرُوب الفِكْرِ،/ أو من المشغولين بِنَشْرِ ١٩٠ أ العلمِ فَلا بأسَ أنْ يَقْتَصِر في الأُسْبُوعِ على ختمةٍ، وإنْ كَانَ نَافِذَ الفِكْرِ في مَعَانِي القرآن فَقَدْ

---

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٨٧).

(٢) ينظر: المصدر السابق.

(٣) سقط في: د.

يكتفِي في الشهر بمرةٍ لحاجَتِهِ إلى كَثْرَةِ التَّرْدِيدِ والتأمُّل، انتهى، ورَوَى ابنُ المباركِ في «**رقائقه**»: قال: حدثنا إسماعيل عن أبي المتوكِّل الناجي: «أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَامَ ذَاتَ لَيْلَةٍ بِآيَةٍ مِنَ القُرْآنِ يُكَرِّرُهَا عَلَىٰ نَفْسِهِ»[1]، انتهى.

﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝٧ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ۝١٠﴾

وقوله تعالى: ﴿إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً﴾ يعني القُرآن، واخْتُلِفَ لم سمّاه ثقيلاً، فقال جماعةٌ مِنَ المفسرينَ: لِمَا كَانَ يَحُلُّ برسولِ اللَّه ﷺ مِنْ ثِقْلِ الجِسْم؛ حَتَّى إنَّه كَانَ إذا أُوحي إليه وهُو على نَاقَتِهِ؛ بَرَكَتْ بهِ وحَتَّى كَادَتْ فَخِذُه أنْ تَرُضَّ[2] فَخِذَ زَيْدِ بن ثابت - رضي اللَّه عنه -، وقيل: لثِقَلِهِ على الكفارِ والمنافقينَ بإعْجَازِه ووَعْدِه ووعيدِهِ ونحو ذلك، وقال حُذَّاقُ العلماء: معناه: ثَقِيلُ المَعانِي من الأَمْرِ بالطاعاتِ، والتكاليفِ الشرعية من الجهاد، ومزاولةِ الأعمال الصالحاتِ دائماً، قال الحسن: إنَّ الهَذَّ خَفِيفٌ ولَكِنَّ العَمَل ثقيل[3] * ت *: والصوابُ عندي أَنْ يُقَالَ: أما ثِقَلُه باعتبارِ النبي ﷺ، فهو مَا كَان يَجِدُه - عليه السلامُ - من الثقل المَحْسُوسِ وأما ثِقَلُه باعتبارِ سائرِ الأمةِ فهو ما ذُكِرَ من ثقل المعاني، وقَدْ زَجَرَ مالكٌ سائِلاً سأله عن مسألةٍ وَقَالَ: يا أبا عَبْدِ اللَّه؛ إنها مسألةٌ خفيفةٌ؛ فغَضِبَ مالكٌ وقال: لَيْسَ في العِلم خَفِيفٌ أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ اللَّه تعالى: ﴿إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً﴾ فَالْعِلْمُ كُلُّه ثقيلٌ، انتهى من «**المدارك**» لعياضٍ.

وقوله سبحانه: ﴿إن ناشئة الليل﴾ قال ابن جُبَيْرٍ وغيره: هي لَفْظَةٌ حَبَشِيَّةٌ؛ نَشَأَ الرجلُ إذا قَامَ من الليلِ[4] فـ﴿نَاشِئَة﴾ على هذا جَمْعُ ناشىء أي: قَائِمٌ، و﴿أشد/ وطأ﴾ معناه: ثُبُوتاً واسْتِقْلاَلاً بالقيام، **وقرأ** أبو عمرو وابن عامر وجماعة كابن عباس وابن الزبير ١٩٠ ب

(١) أخرجه ابن المبارك في «**الزهد**» ص: (٣٥)، رقم: (١٠٤).
(٢) الرَّضُّ: الدَّقُّ الجَرِيشُ. ينظر: «**النهاية**» (٢/ ٢٢٩).
(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٨١)، رقم: (٣٥١٩٠) بنحوه، والبغوي (٤/ ٤٠٨) بنحوه، وابن عطية (٥/ ٣٨٧)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ٤٤٣)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن نصر.
(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٨٢)، رقم: (٣٥١٩٦) بنحوه عن ابن جبير عن ابن عباس. وذكره البغوي (٤/ ٤٠٨)، وابن عطية (٥/ ٣٨٧)، وابن كثير (٤/ ٤٣٥)،

وغيرهم[١]: «وِطَاءً» ـ بكسر الواوِ ـ مَمْدُوداً عَلى وَزْنِ «فِعَالٍ» على معنى المُوَاطَأَةِ والموَافَقَةِ، وهو أن يواطىء قلبَه لسانهُ، والموَاطأةُ هِي الموافَقَةُ، فهذه مواطأَةٌ صحيحة؛ لخلو البَالِ من أشْغَالِ النَّهارِ، وبهذا المعنى فَسَّر اللفظَ مجاهدٌ[٢] وغيره، قال الثعلبيّ: واخْتَارَ هذه القراءةَ أبو عبيدٍ وقال جماعة: ﴿ناشئة الليل﴾ سَاعَاتُه كلُّها، لأنَّها تَنْشَأُ شَيْئاً بعد شيءٍ، وقيل في تفسير ﴿ناشئة الليل﴾ غَيْرُ هذا، وقرأ أنس بن مالك «وأصْوَبُ قِيلاً» فقيل له: إنما هو ﴿أقْوَم﴾ فَقَالَ: أقْوَمُ وأصْوَبُ وَاحِدٌ.

وقوله تعالى: ﴿إن لك في النهار سبحاً طويلاً﴾ أي: تَصَرُّفاً وَتَرَدُّداً في أمُورِكَ، ومنه السِّبَاحةُ في الماء، ﴿وَتَبَتَّلْ﴾ معناه: انْقَطِعْ إليه انْقِطَاعاً؛ هذا لفظ ابن عطاء على ما نقله الثعلبي، انتهى، وأما * ع[٣]* فقال: معناه انْقَطِعْ مِنْ كلِّ شيءٍ إلا مِنْهُ وأفْزَعْ إليه، قال زيد بن أسلم: التَبَتُّلُ: رَفْضُ الدُّنْيَا[٤]، ومنه بُتِلَ الحَبْلُ، و﴿تَبْتيلاً﴾ مَصْدر على غير الصَّدْرِ، قال أبو حيان[٥]: وحُسْنُه كونُه فاصلةً، انتهى، قال ابن العربي في «أحكامه»: فالتَبَتُّلُ المأمورُ بِهِ في الآيةِ الانْقِطَاعُ إلى اللَّهِ تعالى بإخْلاَصِ العِبَادَةِ، وَهُوَ اختيارُ البخاريّ، والتَبَتُّلُ المنهي عنه في الحديثِ هُو سُلُوكُ مَسْلَكِ النصارى في تَرْكِ النِّكَاحِ والتَّرَهُّبِ في الصوامِع، انتهى، والوَكِيلُ القائم بالأمْرِ الذي تُوكَلُ إليه الأشياء.

وقوله: ﴿واهجرهم هجراً جميلاً﴾ منسُوخٌ بآية السيف.

﴿وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿وذرني والمكذبين أولي النعمة﴾ الآية، وعيدٌ بيِّنٌ، والمعنى لاَ تَشْغَلْ بهِم فِكْرَك وكِلْهُمْ إليَّ، والنعمةُ: غَضَارَةُ العَيْشِ وكثرةُ المالِ والمشارُ إليهم كفارُ قريشٍ أصحابُ/ القليب ببدرٍ، و﴿لَدَيْنَا﴾ بمنزلة «عِنْدِنَا» والأنْكَال: جمع نَكْلٍ، وهو القَيْدُ ١٩١أ

(١) ينظر: «السبعة» (٦٥٨)، و«الحجة» (٦/ ٣٣٥)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٤٠٥)، و«حجة القراءات» (٧٣٠)، و«معاني القراءات» (٣/ ٩٩)، و«شرح الطيبة» (٦/ ٧٧)، و«العنوان» (١٩٩)، و«شرح شعلة» (٦١١)، و«إتحاف» (٢/ ٥٦٨).

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٨٤)، رقم: (٣٥٢١٩، ٣٥٢٢٠، ٣٥٢٢١)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٨٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٤٥)، وعزاه لعبد بن حميد.

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٨٨).

(٤) ينظر: ابن عطية (٥/ ٣٨٨).

(٥) ينظر: «البحر المحيط» (٨/ ٣٥٥).

من الحديدِ، ويُرْوَى أَنَّها قيودٌ سُودٌ مِن النار، والطَّعَامُ ذُو الغُصَّةِ شَجَرَةُ الزَّقُّوم، قَالَه مجاهد وغيره[1]، وقال ابن عباس: شَوْكٌ من نارٍ يَعْتَرِضُ في حُلُوقِهِم[2] وكلُّ مَطْعُوم هُنَالِكَ فَهُو ذُو غُصَّة، ورُوِي أَنَّ النبيَّ ﷺ قَرَأَ هذهِ الآيةَ فَصَعِقَ[3]، والرَّجَفَانُ الاهْتِزَازُ والاضْطِرَابُ مِنْ فَزَعٍ وَهَوْلٍ، و«المَهِيلُ»: اللَّيِّنُ الرِّخْوُ الذي يَذْهَبُ بالرِّيحِ، وقال البخاريّ: ﴿كَثِيباً مهيلاً﴾ رَمْلاً سَائِلاً، انتهى.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿إنا أرسلنا إليكم...﴾ الآية، خطابٌ للعالم لكِنِ المواجَهُونَ قريشٌ، و﴿شَاهداً عليكم﴾ نَحْو قولِهِ: ﴿وجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاَءِ شَهِيداً﴾ [النساء: ٤١] والوَبِيلُ: الشَّدِيدُ الرَّدَى.

وقوله تعالى: ﴿فكيف تتقون﴾ معناه: كَيْفَ تَجْعَلُونَ وِقَايةً لأنفسِكم، و﴿يوماً﴾ مفعولٌ بـ﴿تَتَقون﴾، وقِيلَ: هو مفعولٌ بـ﴿كَفَرْتُمْ﴾ ويكونُ ﴿كُفرتُم﴾ بمعنى: جَحَدْتم، فـ ﴿تتقون﴾ على هذا منَ التقوى، أي: تتقونَ عذابَ اللَّهِ، ويجوزُ أن يكونَ ﴿يوماً﴾ ظرفاً والمعنى: تتقونَ عِقَابَ اللَّه يوماً، وعبارةُ الثعلبي: ﴿فكيف تتقون إن كفرتم﴾ أي كيف تَتَحَصَّنُونَ من عذابِ يَوْمٍ يَشِيبُ فيه الطفلُ لهولِه إنْ كفرتُم، ثم ذَكَرَ نحو ما تقدم، انتهى، وحَكَى * ص *: ، عنْ بعضِ الناسِ جَوازَ أنْ يكونَ ﴿يوماً﴾ ظرفاً أي: فكيفَ لَكُمْ بالتقوَى في يومِ القيامَةِ إنْ كفرتم في الدنيا، * ت *: وهَذَا هُوَ مُرَادُ * ع[4] *، قَالَ أبو حيان[5]: و﴿شيباً﴾ مفعولٌ ثانٍ لـ﴿يجعل﴾ وهُو جَمْع أشْيَب، انتهى.

﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾﴾

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٨٩)، رقم: (٣٥٢٦٧)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٨٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٤٦)، وعزاه لعبد بن حميد.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٨٩)، رقم: (٣٥٢٦٦)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٨٩)، وابن كثير (٤/ ٤٣٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٤٦)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا، في صفة النار، وعبد الله في «زوائد الزهد»، وابن جرير، وابن المنذر، والحاكم، وصححه البيهقي في «البعث».

(٣) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٤٦)، وعزاه إلى أحمد في «الزهد»، وهناد وعبد بن حميد، ومحمد بن نصر عن حمران به.

(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٨٩).

(٥) ينظر: «البحر المحيط» (٨/ ٣٥٧).

وقوله تعالى: ﴿السماء منفطر به﴾ أي ذاتُ انفِطارٍ، والانفطارُ التَّصَدُّعُ والانْشِقَاقُ، والضميرُ في ﴿به﴾ قال منذر وغيره: عائِد على اليومِ؛ وكذا قَال * ص *: إن ضمير ﴿به﴾ يعودُ على اليوم والباء سببيةٌ/ أو ظرفيةٌ، انتهى،، وفي «صحيح مسلم» مِنْ رواية ١٩١ ب عبدِ اللَّه بن عمرو: وذَكَرَ ﷺ: بَعْثُ النَّارِ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعُمِائَةٍ وَتِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ إِلَى النَّارِ وَوَاحِدٌ إِلَى الجَنَّةِ، قَالَ: فَذَلِكَ يَوْمَ يَجْعَلُ الوِلْدَانَ شِيباً، وذلك ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢] الحديث[1]، انتهى، وقيل: عائدٌ على اللَّه، أي مُنْفَطِرٌ بأمْرِه وقُدْرَتِهِ، والضميرُ في قوله: ﴿وعده﴾ الظاهر أنَّه يعود على اللَّه تعالى.

وقوله تعالى: ﴿إن هذه تذكرة...﴾ الآية، الإشَارَةُ بـ«هذه» تحتملُ: إلى ما ذُكِرَ من الأَنْكَالِ والجحيم، والأَخْذِ الوبيل، وتحتملُ: أنْ تَكُونَ إلى السورةِ بجُمْلَتِها، وتحتملُ: أنْ تَكُونَ إلى آياتِ القرآن بجُمْلَتِها.

وقوله سبحانه: ﴿فمن شاء اتخذَ إلى ربه سبيلاً﴾ لَيْسَ معناه إبَاحَةُ الأمْرِ وضِدِّه، بل الكلامُ يتضمَّنُ الوَعْدَ والوعيدَ، والسبيلُ هنا سبيلُ الخيرِ والطاعة.

﴿۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿إنَّ ربَّكَ يَعْلَمُ أنك تقوم...﴾ الآية، المعنى أنَّ اللَّهَ تعالى يعلمُ أنَّكَ تَقُومُ أنْتَ وغيرك من أُمَّتِك قياماً مختلفاً مَرَّةً يكْثُرُ ومرَّةً يَقلّ، ومرة أدْنَى من الثلثين،

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٤٤٠)، كتاب «أحاديث الأنبياء» باب: قصة يأجوج ومأجوج (٣٣٤٨)، (٨/ ٢٩٥)، كتاب «التفسير» باب: ﴿وترى الناس سكارى﴾ (٤٧٤١)، (١١/ ٣٩٦)، كتاب «الرقاق» باب: قول اللَّه عزّ وجل: ﴿إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾ (٦٥٣٠)، (١٣/ ٤٦٢)، كتاب «التوحيد» باب: قول اللَّه تعالى: ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا. الحق وهو العلي الكبير﴾ (٧٤٨٣)، ومسلم (٢/ ٦٤٢ ـ ٤٦٣) ـ الأبي، كتاب «الإيمان» باب: يقول اللَّه لآدم: أخرج بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين (٣٧٩)، والنسائي (٦/ ٤٠٩) ـ «الكبرى»، كتاب «التفسير» باب: ﴿وترى الناس سكارى، وما هم بسكارى﴾ (١١٣٣٩/ ١).
وفي الباب من حديث أبي هريرة في «الصحيح»:
أخرجه البخاري (١١/ ٣٨٥)، كتاب «الرقاق» باب الحشر (٢٥٢٩).

ومرة أدنى من النصفِ، ومرة أدْنَى من الثلث، وذلك لِعَدَم تَحْصِيل البَشَرِ لِمَقَادِيرِ الزمان، مع عُذْرِ النَّوْمِ، وتقديرُ الزمان حقيقةٌ إنما هو للَّهِ تعالى، وأما البشَرُ فلا يُحْصِي ذلك، فتابَ اللَّه عليهمْ، أي: رَجَعَ بهم من الثِّقَلِ إلى الخِفَّةِ وأمرهم بقراءةِ ما تيسَّر، ونحوَ هذَا تُعْطِي عِبَارةُ الفراء، ومنذر فإنهما قالا: تُحْصُوه تَحْفَظُوه، وهذا التأويلُ هو على قراءة الخفضِ عَطْفاً على الثلثين وهي **قراءة** أبي عمرٍو ونافعٍ وابن عامر، وأمَّا مَنْ **قرأ**: «ونصفَه وثلثَه» بالنَّصْبِ عَطْفاً على أدْنَى وهي **قراءة** باقي السبعةِ[1]، فالمعنى عندَهم أنَّ اللَّه تعالى قَدْ عَلِمَ أنهم يَقْدِرُونَ الزمانَ على نحو مَا أَمَرَ بِهِ تعالى، في قوله: ﴿نصفه أو انقص منه قليلاً * أو زد عليه﴾ [المزمل: ٣ـ ٤] فلم يبقَ إلا قوله: ﴿أن لن تحصوه﴾ فمعناه لَنْ يُطِيقُوا قيامَه
١٩٢أ / لِكَثْرَتِهِ وشدتهِ، فَخَفَّفَ اللَّهُ عنهم فَضْلاً منه؛ لا لِعِلَّةِ جهلهم بالتقدير وإحصاء الأوقاتِ، ونَحوَ هذا تُعْطي عبارةُ الحسن وابن جبير؛ فإنهما قالا: تحصُوه: تُطِيقُوه[2]، وعبارةُ الثعلبيِّ: ومَنْ قَرَأَ بالنَّصْبِ؛ فالمعنى: وتَقُومُ نصْفَه وثلثَه، قال الفراء: وهو الأشْبَه بالصَّوَابِ؛ لأنه قَالَ أَقَلَّ مِنَ الثلثينِ، ثم ذكر تفسيرَ القلةِ لا تَفْسِيرَ أَقَلّ مِنَ القلةِ، انتهى، ولو عَبَّر الفَرَّاءُ بالأَرْجَحِ، لكانَ أحْسَنَ أدباً، وعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ: لاَ إِلٰه لاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدير، الحَمْدُ للَّهِ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَلاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ»[3] ثم قال: «اللَّهُمَّ، اغْفِرْ لي، أَوْ دَعَا، اسْتُجِيبَ لَهُ، فإنْ تَوَضَّأَ، ثمَّ صَلَّىٰ قُبِلَتْ صَلاَتُهُ»، رواه الجماعة إلا مسلماً، وَتَعَارَّ ـ بتشديدِ الرَّاءِ ـ مَعْنَاه: اسْتَيْقَظَ، انتهى من «**السلاح**».

وقوله تعالى: ﴿فاقرءوا ما تيسَّرَ من القرآن﴾ قال الثعلبيُّ أي: مَا خَفَّ وَسَهُلَ بغير مِقْدَارٍ مِنَ القِرَاءَةِ، والمُدَّةِ، وقيل: المعنى فَصَلُّوا ما تيسَّر فَعَبَّر بالقراءةِ عنها. * ت *: وهذا هو الأصَحُّ عند ابن العربي، انتهى، قال * ع[4] *: قوله: ﴿فاقرءوا ما تيسر من

---

(١) ينظر: «**الحجة**» (٦/ ٣٣٦)، و«**إعراب القراءات**» (٢/ ٤٠٧)، و«**معاني القراءات**» (٢/ ١٠٠)، و«**شرح الطيبة**» (٦/ ٧٧)، و«**العنوان**» (١٩٩)، و«**حجة القراءات**» (٧٣١)، و«**شرح شعلة**» (٦١٢)، و«**إتحاف**» (٢/ ٥٦٩).

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٩٣ ـ ٢٩٤)، رقم: (٣٥٢٩٢ ـ ٣٥٢٩٣)، عن الحسن، ورقم (٣٥٢٩٤) عن سعيد، وذكره البغوي (٤/ ٤١١)، وابن عطية (٥/ ٣٩٠)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ٤٤٨)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٣) في د: باللَّه العلي العظيم.

(٤) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٥/ ٣٩٠).

القرآن﴾ هو أمْرُ نَدْبٍ في قولِ الجمهور، وقال جماعة: هو فَرْضٌ لاَ بُدَّ منه ولو خَمْسِينَ آيةً، وقال الحسنُ وابن سيرين: قيامُ الليل فَرْضٌ[1] وَلَوْ قَدْرُ حَلْبِ شَاةٍ، إلا أنَّ الحسنَ قال: مَنْ قَرأَ مِائَة آيةٍ لَمْ يُحَاجَّهُ القرآن[2]؛ واسْتَحْسَنَ هذا جماعةٌ من العلماء؛ قال بعضهم: والركعتانِ بَعْدَ العشاءِ مَعَ الوِتْرِ دَاخِلَتَانِ في امتثالِ هذا الأَمْرِ؛ ومن زَادَ زَادَهُ اللَّه ثواباً، * ت *: ينبغي للعاقِلِ المبَادَرَةُ إلى تَحْصِيلِ الخَيْرَاتِ قَبْلَ هُجُومِ صَوْلَةِ المَمَاتِ، قَالَ البَاجِيُّ في «**سنن الصالحين**» له: قَالَتْ بنت الربيعِ بْنِ خُثَيْم لأبيها: يا أَبَتِ/ ما لِي أَرَى ١٩٢ ب النَّاسَ يَنَامُونَ وأَنْتَ لاَ تَنَامُ، قال: إِنَّ أَبَاكِ يَخَافُ البَيَاتَ، قال الباجيُّ ـ رحمه اللَّه تعالى ـ: ولي في هذا المعنى: [من الرجز]

قَدْ أَفْلَحَ القَانِتُ في جُنْحِ الدُّجَىٰ ... يَتْلُو الْكِتَابَ العَرَبِيَّ النَّيِّرَا
[فَقَائِماً وَرَاكِعاً وَسَاجِدا ... مُبْتَهِلاً مُسْتَغْبِراً مُسْتَغْفِرَا][3]
لَهُ حَنِينٌ وَشَهِيقٌ وَبُكَا ... يَبُلُّ مِنْ أَدْمُعِهِ تُرْبَ الثَّرَىٰ
إِنَّا لَسَفْرٌ نَبْتَغِي نَيْلَ الْهُدَىٰ ... فَفِي السُّرَىٰ بُغْيَتُنَا لاَ في الْكَرَا
مَنْ يَنْصَبِ اللَّيْلَ يَنَلْ رَاحَتَهُ ... عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ القَوْمُ السُّرَىٰ

انتهى، والضربُ في الأرضِ هو السَّفَرُ للتجارةِ ابتغاءَ فضلِ اللَّهِ سبحانه، فذكرَ اللَّه سبحانه أَعْذَارَ بني آدمَ التي هي حائلةٌ بينَهم وبيْنَ قيامِ الليل، ثم كرَّر سبحانَه الأَمْرَ بقراءةِ ما تَيَسَّر منه تأكِيداً، والصلاةُ والزكاة هنا هما المفروضَتَانِ، فمن قال: إن القِيَامَ من الليلِ غَيْرُ واجبٍ؛ قال: معنى الآية خُذُوا من هذا النَّفْلِ بما تَيَسَّر وحَافِظُوا على فَرَائِضِكم، ومَنْ قال: إن شَيْئاً من القيامِ واجبٌ؛ قال: قَدْ قَرَنَه اللَّهُ بالفرائِضِ؛ لأنه فَرْضٌ وإِقْراضُ اللَّه تعالى هو إسْلاَفُ العملِ الصالحِ عنده، **وقرأ** جمهورُ الناس[4] «هو خيراً» على أن يكونَ «هو» فَصْلاً، قال بعضُ العلماءِ: الاستِغفارُ بَعْدَ الصلاة مُسْتَنْبَطٌ من هذه الآيةِ، ومن قوله تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وبالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٧ـ ١٨] قال

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٩٠).
(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٩٤)، رقم: (٣٥٣٠١)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٩٠ ـ ٣٩١).
(٣) سقط في: د.
(٤) وقرأ محمد بن السميفع، وأبو السمال: «هو خَيْرٌ» بالرفع.
ينظر: «**مختصر الشواذ**» ص: (١٦٤)، و«**المحرر الوجيز**» (٥/ ٣٩١)، و«**البحر المحيط**» (٨/ ٣٥٩)، و«**الدر المصون**» (٦/ ٤١٠).

* ع[1] *: وَعَهِدْتُ أبي ـ رحمه اللَّه ـ يَسْتَغْفِر اللَّهَ إثْرَ كل مكتُوبةٍ ثَلاَثاً بِعَقِبِ السلام، ويأثر في ذلك حديثاً، فكان هذا الاستغفارُ من التقصيرِ وتَقَلُّبِ الفِكْرِ أثْنَاء الصلاة، وكان السلفُ الصالحُ يُصَلُّونَ إلى طلوع الفجر؛ ثم يجلسُون للاسْتِغْفَار. * ت *: وما ذكره * ع *: ـ رحمه اللَّه ـ عَنْ أبيه رَوَاهُ مسلم وأبو داودَ والترمذي والنسائي وابنُ ماجَه عن ثوبان قال: «كان رسول اللَّه ﷺ إذا انْصَرَفَ/ مِنْ صَلاَتِهِ، اسْتَغْفَرَ ثَلاَثاً وقَالَ: «اللَّهُمَّ، أَنْتَ السَّلاَمُ وَمِنْكَ السَّلاَمُ تَبَارَكْتَ ذَا الجَلاَلِ والأكْرَام»[2]، قال الوليدُ: فقلتُ للأوزاعيِّ: كَيْفَ الاسْتِغْفَارُ؟ قال: تَقُولُ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، وفي روايةٍ لمسلم من حديثِ عائشةَ: «يَا ذَا الجَلاَلِ والإِكْرَامِ»، انتهى من «**سلاح المؤمن**».

١٩٣أ

---

(١) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٥/ ٣٩١).

(٢) أخرجه مسلم (٥/ ٢٦/ ١٣٥ ـ ١٣٦)، وأبو داود (١/ ٤٧٤)، كتاب «الصلاة» باب: ما يقول الرجل إذا سلَّم (١٥١٢)، والترمذي (٢/ ٩٥ ـ ٩٦)، كتاب «الصلاة» باب: ما جاء إذا سلَّمَ من الصلاة(٢٩٨ ـ ٢٩٩)، وابن ماجه (١/ ٢٩٨)، كتاب «إقامة الصلاة والسنة فيها» باب: ما يقال بعد التسليم (٩٢٤)، وابن حبان (٥/ ٣٤٠ ـ ٣٤١)، كتاب «الصلاة» باب: فصل في القنوط (٢٠٠٠ ـ ٢٠٠١)، وأحمد (٦/ ١٨٤)، والنسائي (٣/ ٦٩)، كتاب «السهو» باب: الذكر بعد الاستغفار (١٣٣٨)، وفي «**الكبرى**» (١/ ٣٩٧)، كتاب «صفة الصلاة» باب: الاستغفار بعد السلام (١٢٦١).
قال الترمذي: حديث عائشة، حديث حسن.
وفي الباب من حديث ثوبان: أخرجه أبو داود (١/ ٤٧٥)، كتاب «الصلاة» باب: ما يقول الرجل إذا سلم (١٥١٣)، والنسائي (٣/ ٦٩)، كتاب «السهو» باب: الاستغفار بعد السلام (١٣٣٧)، وفي «**الكبرى**» (١/ ٣٩٧)، كتاب «صفة الصلاة» باب: الاستغفار بعد السلام (١٢٦١)، والطيالسي (١/ ١٠٥)، كتاب «الصلاة» باب: أذكار متنوعة تقال بعد الخروج من الصلاة(٤٧٦)، وابن حبان (٥/ ٣٤٣ ـ ٣٤٤)، كتاب «الصلاة» باب: فصل في القنوت.

تَفسِيرُ سُورَةِ المُدَّثِّرِ

وهِيَ مَكِّيَّةٌ بِإجْمَاعٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦﴾

قوله عز وجل: ﴿يأيها المدثر * قم فأنذر﴾ الآيةَ، اخْتُلِفَ في أول ما نزل من القرآن، فقال الجمهورُ هو: ﴿اقرأ باسم ربك﴾ وهذَا هو الأَصَحُّ، وقال جابرٌ وجماعةٌ هو: ﴿يأيها المدثر﴾[1]، * ص *: والتَّدَثُّرُ: لُبْسُ الدِّثَارِ، وهو الثَّوْبُ الذي فَوْقَ الشِّعَارِ، والشِّعَارُ الثَّوبُ الذي يلي الجَسَدَ؛ ومنه قوله: ـ عليه السلام ـ: «الأَنْصَارُ شِعَارٌ، وَالنَّاسُ دِثَارٌ» انتهى.

وقوله تعالى: ﴿قم فأنذر﴾ بَعْثَةٌ عامةٌ إلى جميع الخلق.

﴿وربك فكبر﴾ أي: فعظمْ.

﴿وثيابك فطهر﴾ قال ابنُ زيدٍ وجماعة: هو أمْرٌ بتطهيرِ الثيابِ حَقِيقةً[2]، وذَهَبَ الشافعيُّ وغيرُه من هذه الآيةِ إلى: وجُوبِ غَسْلِ النَّجَاسَاتِ مِنَ الثيابِ، وقالَ الجُمْهُورُ: هَذِه الألْفَاظُ اسْتِعَارَةٌ في تنقيةِ الأفْعَالِ والنَّفْسِ، والعِرْضِ، وهذا كما تقول: فلانٌ طَاهِرُ الثوبِ، ويقال للفَاجِرِ: دَنِسُ الثَّوْبِ، قال ابن العربي في **«أحكامه»**: والذي يقول إنها الثيابُ المَجَازِيَّة أكْثَرَ، وكثيراً ما تستعملُه العَرَبُ، قال أبو كَبْشَةَ: [الطويل]

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٩٧)، رقم: (٣٥٣٠٩)، وذكره البغوي (٤/ ٤١٢، ٤١٣)، وابن عطية (٥/ ٣٩٢)، وابن كثير (٤/ ٤٤٠)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٦/ ٤٥٠)، وعزاه للطيالسي، وعبد الرزاق، وأحمد، وعبد بن حميد، والبخاري، ومسلم، والترمذي، وابن الضريس، وابن جرير، وابن المنذر، وابن مردويه، وابن الأنباري في المصاحف.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٠٠)، رقم: (٣٥٣٣٧)، وذكره البغوي (٤/ ٤١٣)، وابن عطية (٥/ ٣٩٢)، وابن كثير (٤/ ٤٤١) بنحوه.

ثِيَابُ بَنِي عَوْفٍ طَهَارَىٰ نَقِيَّةٌ وَأَوْجُهُهُمْ عِنْدَ المَشَاهِدِ غُرَّانُ[١]

يعني: بطهارةِ ثيابهم وسلامَتِهم من الدَّنَاءَاتِ، وقال غَيْلاَنُ بْنُ سَلَمَةَ الثَّقَفِيُّ: [الطويل]

فَإِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ لاَ ثَوْبَ فَاجِرٍ لَبِسْتُ وَلاَ مِنْ غَدْرَةٍ أَتَقَنَّعُ[٢]

١٩٣ ب ولَيْسَ يمتنع أن تُحْمَلَ الآيةُ على عمومِ المرادِ فيها بالحقيقةِ[٣]/ والمجازِ[٤] على ما بيَّناه في أصولِ الفقه، وإذا حملنَاها على الثيابِ المعلومَة؛ فهي تتناول معنيين: أحدهما: تَقْصِيرُ الأَذْيَالِ؛ فإنَّها إذا أُرْسِلَتْ تَدَنَّسَتْ، وتَقْصِيرُ الذيلِ أَنْقى لثَوْبِه وأتْقَى لربِّه، المَعْنَى الثَّاني: غَسْلُها من النَّجاسَةِ فهو ظَاهِرٌ منها صحيحٌ فيها، انتهى، قال الشيخ أبو الحسن الشاذليُّ - رضي اللَّه عنه -: رأَيْتُ النبيَّ ﷺ في المَنَامِ، فقالَ: يَا عَلِيُّ، طَهِّرْ ثِيَابَكَ مِنَ الدَّنَسِ، تَحْظَ بمَدَدِ اللَّهِ في كُلِّ نَفَسٍ، فَقُلْتُ: وَمَا ثِيَابي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: إنَّ اللَّهَ كَسَاكَ [حُلَّة المَعْرِفَةِ، ثُمَّ][٥] حُلَّةَ المَحَبَّةِ، ثُمَّ حلةَ التَّوْحِيدِ، ثُمَّ حُلَّةَ الإيمَانِ، ثُمَّ حُلَّةَ

---

(١) البيت في «ديوانه» (٨٣)، و«المحكم» (٤/ ١٧٥)، و«العين» (٤/ ١٩)، و«الصحاح» (طهر)، و«البحر المحيط» (٨/ ٣٦٣).

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٩٢)، «البحر المحيط» (٨/ ٣٦٣)، القرطبي (١٩/ ٤٢).

(٣) ينظر: «البحر المحيط» للزركشي (٢/ ١٥٢)، «سلاسل الذهب» له ص: (١٨٢)، «التمهيد» للأسنوي ص: (١٨٥)، «نهاية السول» له (٢/ ١٤٥)، «منهاج العقول» للبدخشي (١/ ٣٢٧)، «غاية الوصول» للشيخ زكريا الأنصاري ص: (٤٦)، «التحصيل من المحصول» للأرموي (١/ ٢٢١)، «المستصفى» للغزالي (١/ ٣٤١)، «حاشية البناني» (١/ ٣٠٠)، «الإبهاج» لابن السبكي(١/ ٢٧١)، «الآيات البينات» لابن القاسم العبادي (٢/ ١٥٢)، «تخريج الفروع على الأصول» للزنجاني ص: (٦٨)، «حاشية العطار على جمع الجوامع» (١/ ٣٩٣)، «المعتمد» لأبي الحسين (١/ ١٤، ٢/ ٤٠٥)، «الإحكام في أصول الأحكام» لابن حزم (٤/ ٤٣٧)، «التحرير» لابن الهمام ص: (١٦٠)، «تيسير التحرير» لأمير بادشاه (١/ ٧٢، ٢/ ٢).

(٤) ينظر: «البحر المحيط» للزركشي (٢/ ١٥٨)، «سلاسل الذهب» له ص: (١٩٠)، «التمهيد» للأسنوي ص: (١٨٥)، «نهاية السول» له (٢/ ١٤٥)، «منهاج العقول» للبدخشي (١/ ٣٥٤)، «غاية الوصول» للشيخ زكريا الأنصاري ص: (٤٧)، «التحصيل من المحصول» للأرموي (١/ ٢٢١)، «المستصفى» للغزالي (١/ ٣٤١)، «حاشية البناني» (١/ ٣٠٤)، «الإبهاج» لابن السبكي(١/ ٢٧١)، «الآيات البينات» لابن القاسم العبادي (٢/ ١٥٢)، «تخريج الفروع على الأصول» للزنجاني ص: (٣٨٧)، «حاشية العطار على جمع الجوامع» (١/ ٣٩٩)، «المعتمد» لأبي الحسين (١/ ١٤، ٢/ ٤٠٥)، «الإحكام في أصول الأحكام» لابن حزم (٤/ ٤٣٧)، «التحرير» لابن الهمام ص: (١٦٠)، «تيسير التحرير» لأمير بادشاه (١/ ٧٣، ٢/ ٣)، «كشف الأسرار» للنسفي (١/ ٢٢٦).

(٥) سقط في: د.

الإِسْلاَم، فَمَنْ عَرَفَ اللَّهَ صَغُرَ لديْهِ كُلُّ شَيْءٍ، ومَنْ أَحَبَّ اللَّهَ هَانَ عَلَيْهِ كُلُّ شَيْءٍ، وَمَنْ وَحَّدَ اللَّهَ، لَمْ يُشْرِكْ به شَيْئاً، ومَنْ آمَنَ بِاللَّهِ أَمِنَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَمَنْ أَسْلَمَ لِلَّهِ قَلَّمَا يَعْصِيهِ، وإِنْ عَصَاهُ، اعْتَذَرَ إِلَيْهِ، وَإِذَا اعْتَذَرَ إليه، قَبِلَ عُذْرَه، قال: فَفَهِمْتُ حِينَئِذٍ مَعْنَىٰ قولِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ انتهى من «التنوير» لابن عطاء اللَّه.

﴿والرُّجْزَ﴾ يعني الأَصْنَام والأَوْثَانَ، وقال ابن عباس: الرُّجْزُ السَّخَط[1] يعني: اهْجُرْ ما يؤدي إليه ويوجبُه، واخْتُلِفَ في معنى قولهِ تعالى: ﴿ولا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرْ﴾ فقالَ ابن عباس وجماعة: معناه لاَ تَعْطِ عَطَاءً لِتُعْطَى أَكْثَرَ منه[2]، فكأَنه من قولهم: مَنَّ إِذَا أَعْطَى، قال الضحاك: وهذَا خاصّ بالنبيِّ ﷺ ومُبَاحٌ لأُمَّتِه، لكنْ لاَ أَجْرَ لهم فيه[3]، وقال الحسن بن أبي الحسن: معناه ولاَ تَمْنُنْ على اللَّهِ بِجِدِّكَ، تَسْتَكْثِرْ أَعْمَالَك، ويَقَعْ لَكَ بها إِعْجَابٌ[4]، قال * ع[5] *: وهَذَا مِنَ المنِّ الذي هو تعديدُ اليَدِ وذكرُها، وقال مجاهد: معناه ولاَ تَضْعُفْ تَسْتَكْثِرْ مَا حَمَّلْنَاك من أعباء الرسالةِ، وتستكثرْ مِنَ الخَيْرِ؛ وهَذَا من قولهم حَبْلٌ مَنِينٌ أي: ضعيفٌ[6].

/ ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧ فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝١٠﴾ ١٩٤أ

﴿ولربك فاصبرْ﴾ أي لوجهِ ربِّكَ وطَلَبِ رضَاهُ فاصْبِرْ على أَذَى الكفارِ، وعلى العبادةِ وَعَنِ الشَّهَوَاتِ وعَلَى تَكَالِيفِ النُّبُوَّةِ، قال ابن زيدٍ: وعَلَى حَرْبِ الأَحْمَرِ، والأَسْوَدِ[7]، ولَقَدْ حُمِّلَ أَمْراً عَظِيماً ﷺ، والنَّاقُورُ: الذي يُنْفَخُ فيه، وهو الصُّور؛ قاله ابن عباس

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٠٠)، رقم: (٣٥٣٣٨)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٩٣).

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٠١)، رقم: (٣٥٣٤٦) عن ابن عباس، وغيره رقم: (٣٥٣٤٧)، (٣٥٣٤٨)، (٣٥٣٤٩)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٩٣)، وابن كثير (٤/ ٤٤١)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٥٢)، وعزاه للطبراني.

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٠٢)، رقم: (٣٥٣٦٢)، وذكره البغوي (٤/ ٤١٤)، وابن عطية (٥/ ٣٩٣)، وابن كثير (٤/ ٤٤١)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٥٢)، وعزاه لعبد بن حميد.

(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٠٢)، رقم: (٣٥٣٦٣)، (٣٥٣٦٤)، وذكره البغوي (٤/ ٤١٤)، وابن عطية (٥/ ٣٩٣).

(٥) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٩٣).

(٦) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٠٣)، رقم: (٣٥٣٦٧)، وذكره البغوي (٤/ ٤١٤)، وابن عطية (٥/ ٣٩٣)، وابن كثير (٤/ ٤٤١). والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٥٢)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٧) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٠٣)، رقم: (٣٥٣٧٠)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٩٣).

وعكرمة؛ وهو فَاعُولُ مِنَ النَّقْرِ[١]، قال أبو حباب القصاب: أَمَّنَا زُرَارَةُ بنُ أَوْفَى؛ فَلَمَّا بَلَغَ ﴿فَإِذَا نُقِرَ في الناقور﴾ خَرَّ مَيِّتاً، قال الفخر[٢]: قوله تعالى: ﴿فذلك يومئذ يوم عسير﴾ أي: على الكافرين، لأَنَّهُمْ يُنَاقَشُونَ ﴿غَيْر يسير﴾ أي: بلْ كَثِيرٌ شَدِيدٌ فأمَّا المؤمِنونَ؛ فَإِنَّه عليهم يَسِيرٌ؛ لأَنَّهم لا يُنَاقَشُونَ، قال ابن عباس: ولما قال تعالى: ﴿على الكافرين غير يسير﴾ دَلَّ على أنه يسيرٌ على المؤمنينَ[٣]، وهذا هو دليلُ الخِطَابِ، ويحتملُ أَنْ يكونَ إنما وَصَفَه تعالى بالعُسْرِ لأنَّه في نفسِه كذلك للجميع من المؤمنين والكافرين، إلاَّ أَنَّه يكونُ هَوْلُ الكفار فيه أَكْثَرُ وَأَشَدُّ، وعلى هذا القولِ يَحْسُن الوَقْف على قوله: ﴿يوم عسير﴾ انتهى.

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿ذرني ومن خلقت وحيداً﴾ الآية، لا خلافَ بَيْنَ المفسرين أن هذه الآيَةَ نزلتْ في الوليدِ بن المغيرةِ المخزومي، فَرُوِيَ أَنَّه كَانَ يُلَقَّبُ الوحيدَ أي: لأنه لاَ نَظِيرَ له في مالِهِ وشَرَفِهِ في بيتِه، فَذَكَرَ الوَحِيدَ في جملة النِّعَمِ التي أُعْطِيَ، وإنْ لم يَثْبُتْ هذا فقوله تعالى: ﴿خلقت وحيداً﴾ معناه: منفَرِداً قليلاً ذَلِيلاً، والمالُ الممدودُ قال مجاهد وابن جبير: هو ألْفُ دينار[٤]، وقال سفيان: بلغني أَنَّهُ أربَعة آلافٍ؛ وقاله قتادة[٥]، وقيل عَشَرَةُ آلافِ دينار، قال * ع[٦] *: وهذا مَدّ في العدَدِ، وقال عمر بن الخطاب: المالُ الممدودُ: الرَّيْع المستغَلُّ مُشَاهَرةً[٧].

١٩٤ ب ﴿وبنين شهوداً﴾ أي حُضُوراً، قيل عشَرَةٌ وقِيلَ ثَلاَثَةَ عَشَرَ، قال الثعلبيُّ/: أَسْلَم منهم ثلاثةٌ خَالد بْن الوليدِ، وهِشَام، وعِمَارَة، قالوا: فما زال الوليدُ بَعْد نزولِ هذهِ الآيةِ في نُقْصَانٍ مِنْ مالِهِ وَوَلَدِه حتَى هلك، انتهى.

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٠٤)، رقم: (٣٥٣٧٦) عن عكرمة، ورقم: (٣٥٣٨٠) عن ابن عباس، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٩٣)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٥٢)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن مردويه عن ابن عباس، وعزاه أيضاً لعبد بن حميد عن عكرمة.

(٢) ينظر: «الفخر الرازي» (٣٠/ ١٧٤).

(٣) ذكره الرازي (٣٠/ ١٧٤).

(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٠٦)، رقم: (٣٥٣٩٥ ـ ٣٥٣٩٦)، وذكره البغوي (٤/ ٤١٤)، وابن عطية (٥/ ٣٩٤).

(٥) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٠٦)، رقم: (٣٥٣٩٧)، وذكره البغوي (٤/ ٤١٤)، وابن عطية (٥/ ٣٩٤).

(٦) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٩٤).

(٧) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٠٦ ـ ٣٠٧)، رقم: (٣٥٤٠٠، ٣٥٤٠٣)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٩٤).

﴿ومهدت له تمهيداً﴾ قال سفيانُ: المعنى بَسَطْتُ له العيشَ بَسْطاً[(١)].

﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِآيَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿كلا﴾ رَدْعٌ وَزَجْرٌ له على أُمْنِيَّتِه، و﴿أرهقه﴾ معناه أُكَلِّفُه بمشقَةٍ وعُسْرٍ، وصَعُودٌ عَقَبَةٌ في نَارِ جهنَّمَ، روى ذلك أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ: كُلَّما وُضِعَ عليها شَيءٌ مِن الإنْسَانِ ذَابَ، ثم يَعُودُ، والصَّعودُ في اللغة: العَقَبَةُ الشَّاقَة.

وقوله تعالى مخبراً عن الوليد: ﴿إنه فكر وقدر﴾ الآية، رَوَى جمهورٌ من المفسرينَ: أن الوليدَ سَمِعَ من القرآن ما أعْجَبَه وَمَدحَه، ثم سمِعَ كذلك مراراً، حتى كَادَ أنْ يُقَارِبَ الإسْلام، وقال: واللَّه لَقَدْ سمعتُ من محمدٍ كلاماً مَا هُو مِنْ كلام الإنْسِ، ولا هو مِنْ كَلامِ الجنِّ، إنَّ له لحَلاوَةً، وإنَّ عليه لَطَلاوَةً، وإنَّ أعْلاهُ لمثمرٌ، وإنَّ أسْفَلَه لَمُغْدِقٌ، وإنَّه يَعْلُو، وَمَا يُعْلَى، فقالتْ قريشٌ: صَبَأَ الوليدُ واللَّه لتصبأَنَّ قريشٌ، فقال أبو جهل: أنا أكْفِيكُمُوه فَحاجَّه أبو جهل وجماعة حتَى غَضِبَ الوليدُ، وقال: تَزْعُمُون أَنَّ محمداً مجنُونٌ، فَهَلْ رأيتمُوه يُخْنَقُ قَط؟ قالوا: لا، قال: تزعمُون أنه شاعر، فهل رأيتموه يَنْطِق بشعرٍ قط؟ قالوا: لا، قال: تَزْعَمُونَ أَنَّه كاهنٌ، فهل رأيتموه يتكهن قط؟ قالوا؛ لا، قال: تَزْعمُونَ أَنَّه كذابٌ، فَهَلْ جَرَّبْتُمْ عليه شيئاً من الكذبِ قط؟ قالوا: لا، وكانوا يُسمُّونه قبلَ النبوةِ الأمِينُ لِصِدْقِهِ، فَقَالَتْ قريش: ما عندَك فيه؟ فتفكَّرَ في نفسه، فقال: ما أرى فيه شيئاً مما ذكرتمُوه فقالوا: هو ساحرٌ، فقال: أما هذا فَيُشْبِه،/ وألفاظ الرواة هنا مُتَقَارِبَة المعاني مِنْ رواية ١٩٥أ
الزهري وغيره.

وقوله تعالى: ﴿فقتل كيف قدر﴾ قَالَ الثعلبيُّ وغيرُه: ﴿قتل﴾ معناه: لُعِنَ، انتهى.

﴿وبسر﴾ أي قَطَبَ مَا بَيْنَ عينيه وأرْبَدَّ وَجْهُه ثم أدْبَر عَنْ الهُدَى بعد أن أقْبَلَ إليهِ، وقال: ﴿إنْ هَذَا إلا سحر يؤثر﴾ أي: يُرْوَى، أي: يرويه محمدٌ عن غيره.

و﴿سقرُ﴾ هي الدَّرْكُ السادس منَ النَّارِ، ﴿لا تُبْقِي﴾ عَلَى مَنْ أُلْقي فيها ﴿وَلاَ تَذَرُ﴾ غايةً من العذاب إلا وَصَّلَتْه إليه.

﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٠٧)، رقم: (٣٥٤٠٥)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٩٤).

فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ ﴾

وقوله تعالى: ﴿لواحة للبشر﴾ قال ابن عباس وجمهور الناس: معناه مُغَيِّرَةٌ للبَشَرَاتِ ومُحَرِّقَةٌ للجُلودِ مُسَوِّدَة لها[1]، فالبَشَرُ جَمْع بَشَرَةٍ، وقال الحسن وابن كَيْسَانَ: ﴿لواحة﴾ بِنَاء مبالغَةٍ من لاَحَ يَلُوحُ إذا ظَهَرَ، فالمعنى أنها تظهرُ للناسِ وهم البَشَرُ من مسيرةِ خَمْسِمِائَةِ عامٍ، وذلك لعظمِها وهَوْلِهَا وزفيرها[2].

وقولُه تعالى: ﴿عليها تسعة عشر﴾ لاَ خِلاَفَ بينَ العلماءِ أنهم خَزَنَةُ جهنمَ المحيطونَ بأمْرِها الذين إليهم جِمَاع أمْرِ زبانِيَتِها، ورُوِي أن قريشاً لما سَمِعَتْ هذا كَثُرَ لَغَطُهم فيه، وقالوا: ولَوْ كَانَ هذا حقاً، فإن هَذَا العَدَدَ قليلٌ، وقالَ أبو جهل: هؤلاء تسعةَ عشَرَ، وأنْتُمْ الدُّهْمُ أي: الشُّجْعَانُ: أفَيَعْجَزُ عشرةٌ منا عن رجلٍ منهم إلى غير هذا من أقوالهم السخيفةِ.

وقوله تعالى: ﴿وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة﴾ تَبْيِينٌ لفسادِ أقوالِ قريشٍ، أي: إنا جَعَلْنَاهم خَلْقاً لا قِبَلَ لِأَحَدٍ من الناس بهم وجعلنا عِدَّتَهم هذا القدرَ فتنةً للكفارِ لِيَقَع منهم من التعاطِي والطَّمَع في المغالَبَةِ ما وقع، ولِيَسْتَيْقِنَ أهلُ الكتابِ ـ التوراةِ والإنجيلِ ـ أنَّ هذا القرآنَ مِنْ عندَ اللَّهِ، إذْ هُمْ يَجِدُونَ هذهِ العدةَ في كُتُبِهم المنزَّلةِ، قال هذا المعنى ابنُ عباسٍ وغيرُه[3]، وبوُرُودِ الحقائقِ من عندِ اللَّه ـ عز وجل ـ يَزْدَادُ كلُّ ذِي إيمانٍ إيمَاناً، ويَزُولُ الرَّيْبُ عَنِ المُصَدِّقِينَ مِنْ أهْلِ الكتابِ ومِنَ المؤمنين.

١٩٥ ب / وقوله سبحانه: ﴿وليقول الذين في قلوبهم مرض...﴾ الآية، نوعٌ من الفتنةِ لهذا الصِّنفِ المنافِق أو الكافرِ، أي حَارُوا وَلَمْ يَهْتَدُوا لِمَقْصِدِ الحقِ، فجعلَ بَعْضُهم يَسْتَفْهِمُ بَعْضاً عن مرادِ اللَّه بهذا المثل، استبعاداً أنْ يكونَ هذا مِنْ عِندِ اللَّهِ، قال الحسين بن الفضل: السورة مكيَّةٌ وَلَمْ يكن بمكةَ نِفَاقٌ وإنَّما المرض في هذه الآيةِ الاضْطِرَابُ وضَعْفُ الإيمانِ[4]، ثم قَالَ تعالى: ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾ إعْلاماً بأن الأمْرَ فَوْقَ ما يُتَوَهَّمُ،

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٣١١)، رقم: (٣٥٤٣٤)، وذكره البغوي (٤/ ٤١٦)، وابن عطية (٥/ ٣٩٥)، وابن كثير (٤/ ٤٤٣)، والسيوطي في «الدر المنثور»، وعزاه لعبد بن حميد.

(٢) ذكره البغوي (٤/ ٤١٦)، وابن عطية (٥/ ٣٩٦).

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٣١٣)، رقم: (٣٥٤٤٧)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٩٦).

(٤) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٩٦).

وأنَّ الخبرَ إنما هُو عَنْ بَعْضِ القدرةِ لاَ عَنْ كُلِّها، * ت *: صوابُه أنْ يقولَ عَنْ بَعْضِ المقدوراتِ لاَ عَنْ كُلِّها؛ وهذا هو مُرَادُه، ألاَ تَرَاهُ قال في قوله تعالى: ﴿وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥] قال: يعني بشيءٍ مِنْ مَعْلُومَاتِه؛ لأنَّ علمَه تعالى لاَ يَتَجَزَّأُ، فافْهم رَاشِداً، والسمٰواتُ كُلُّها عامرةٌ بأنواعٍ من الملائِكَةِ؛ كلُّهم في عبادَةٍ مُتَّصِلَةٍ وخُشُوعٍ دائم، لا فَتْرَةَ في شيءٍ من ذلك، ولا دَقِيقَةَ واحدة، قال مجاهد: والضميرُ في قوله: ﴿وما هي﴾ للنارِ المذكورةِ، أي: يُذَكَّرُ بهَا البشرُ فَيَخَافُونَها، فيطيعونَ اللَّه[1]، وقال بعضهم: قوله: ﴿وما هي﴾ يرادُ بها الحالُ والمخَاطبةُ والنِّذَارَةُ، وأقْسَمَ تعالى بالقَمَرِ وما بَعدَه تَنْبيهاً عَلَى النَّظَرِ في ذلكَ والفكرِ المؤدِّي إلى تعظيمِهِ تعالَى وتحصيلِ معرفتِه تعالى مَالكِ الكلِّ وقوامِ الوُجُودِ، ونورِ السمٰواتِ والأرضِ، لاَ إلٰهَ إلاَّ هو العزيزُ القهارُ، وأدْبَرَ الليلُ معناه ولّى، وأسْفَرَ الصبح أضَاءَ وانتشرَ ضوؤه، قال ابن زيد وغيره: الضميرُ في قوله: ﴿إنها لإحدى الكبر﴾ لجهنمَ، ويحتملُ أنْ يكُونَ الضميرُ للنِّذَارَةِ وأمْرِ الآخرة؛ فهو للحالِ والقِصَّة[2]، * ص *: والكُبَرُ جَمْعُ كُبْرى، وفي * ع[3] *: جَمْعُ كبيرةٍ ولَعَلَّه وَهْمٌ من الناسِخ، انتهى.

﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿نذيراً للبشر﴾ قال الحسن: لا نَذِيرَ أدْهَى مِنَ النارِ[4]، وقال ابن زيد: ﴿نذيراً للبشر﴾ هُوَ محمد ﷺ[5].

وقوله سبحانه: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ قال الحسن: هو وعيد نحو قوله: ﴿فَمَنْ/ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[6] [الكهف: ٢٩]، ثم قوَّى سبحانه هذا ١٩٦أ المعنى بقوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾: إذ لزم بهذا القول أنَّ المُقَصِّرَ مرتهن بسوءِ عمله، وقال الضَّحَّاكُ: المعنى: كل نفس حَقَّتْ عليها كلمة العذاب، ولا يرتهن تعالى أحداً

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٣١٤)، رقم: (٣٥٤٥٧)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٩٧)، وابن كثير (٤/ ٤٤٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٥٧)، وعزاه لعبد بن حميد.
(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٣١٦)، رقم: (٣٥٤٦٣).
(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٩٧).
(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ٣١٦)، رقم: (٣٥٤٦٧)، وذكره البغوي (٤/ ٤١٨)، وابن عطية (٥/ ٣٩٨).
(٥) أخرجه الطبري (١٢/ ٣١٧)، رقم: (٣٥٤٦٩)، وذكره البغوي (٤/ ٤١٨)، وابن عطية (٥/ ٣٩٨).
(٦) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٩٨).

من أهل الجنة إنْ شاء اللَّه[١].

وقوله تعالى: ﴿إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ استثناءٌ ظاهره الانفصال، تقديره: لكن أصحاب اليمين في جنات.

* ص *: ﴿فِي جَنَّاتٍ﴾ أي: هم في جنات، فيكون خبر مبتدإ محذوف.

* م *: وأعربه أبو البقاء حالاً من الضمير في ﴿يتساءلون﴾، انتهى.

قال ابن عباس: ﴿أصحاب اليمين﴾ هنا الملائكة[٢]، وقال الضَّحَّاكُ: هم الذين سبقت لهم من اللَّه الحسنى[٣]، وقال الحسن وابن كَيْسَانَ: هم المسلمون المخلصون ليسوا بمرتهنين[٤].

* ت *: وأسند أبو عمر بن عبد البر عن علي بن أبي طالب في قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ قال: أصحاب اليمين: أطفال المسلمين[٥]، انتهى من «التمهيد».

﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾﴾

وقولهم: ﴿مَا سَلَكَكُمْ﴾ أي: ما أدخلكم، فيحتمل أنْ يكون من قول أصحاب اليمين الآدميين أو من قول الملائكة.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا﴾ يعني الكفار ﴿لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ...﴾ الآية، وفي نفي الصلاة يدخل الإيمان باللَّه، والمعرفة به، والخشوع له ﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾ يشمل الصدقة فرضاً كانت أو نفلاً، والخوض مع الخائضين: عَرَّفه في الباطل والتكذيب بيوم الدين كفر صراح ﴿حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ﴾ يعني الموت؛ قاله المفسرون.

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/٣١٨)، رقم: (٣٥٤٤٦)، وذكره ابن عطية (٥/٣٩٨).
(٢) ذكره البغوي (٤/٤١٨)، وابن عطية (٥/٣٩٨).
(٣) ذكره ابن عطية (٥/٤٩٨).
(٤) ذكره البغوي (٤/٤١٨)، وابن عطية (٥/٤٩٨).
(٥) أخرجه الطبري (١٢/٤١٨)، رقم: (٣٥٤٧٩)، وذكره البغوي (٤/٤١٨)، وابن عطية (٥/٤٩٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/٤٥٩)، وعزاه لعبد الرزاق، والفريابي، وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم.

قال * ع[١] *: وعندي: أَنَّ اليقين صِحَّةُ ما كانوا يكذبون به من الرجوع إلى اللَّه والدار الآخرة، وقد تقدم ذكر أحاديث الشفاعة؛ قال الفخر[٢]: واحتجَّ أصحابنا بهذه الآية على أَنَّ الكفار يُعَذَّبُونَ بترك فروع الشريعة، والاستقصاء فيه قد ذكرناه في المحصول، انتهى.

﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾

وقوله تعالى في صفة الكفار/ المعرضين: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ﴾ إثبات لجهلهم؛ ١٩٦ ب
لأَنَّ الحمر من جاهل الحيوان جدًّا، وفي حَرْفِ ابن مسعود[٣]: «حُمُرٌ نَافِرَةٌ» قال ابن عباس وأبو هريرة وجمهور من اللغويين: القسورة: الأسد[٤]، وقيل غير هذا، ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِىءٍ مِنْهُمْ﴾ أي: من هؤلاء ﴿أَنْ يُؤْتَى صُحُفاً مُنَشَّرَةً﴾ أي: يريد كل إنسان منهم أنْ ينزل عليه كتاب من اللَّه، ومنشرة، أي: منشورة غير مطوية.

وقوله: ﴿كَلاَّ﴾ رَدٌّ على إرادتهم، أي: ليس الأمر كذلك، ثم قال: ﴿بَلْ لاَ يَخَافُونَ الآخِرَةَ﴾ المعنى: هذه هي العلة والسبب في إعراضهم، فكان جهلهم بالآخرة سَبَبَ امتناعهم من الهدى حتى هلكوا، ثم أعاد تعالى الرد والزجر بقوله: ﴿كَلاَّ﴾ وأخبر أنَّ هذا القولَ والبيانَ وهذه المحاورة بجملتها ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ ﴿فَمَنْ شَاءَ﴾: ووفقه اللَّه لذلك، ذَكَرَ معادَه؛ فعمل له، ثم أخبر سبحانه أنَّ ذكر الإنسان مَعَادَهُ وجريَه إلى فلاحه؛ إنَّما هو كله بمشيئة اللَّه تعالى، وليس يكون شيء إلاَّ بها، **وقرأ** أبو عمرو وعاصم وابن كثير: «يَذْكُرُونَ» بالياء من تحت[٥].

وقوله سبحانه: ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ المَغْفِرَةِ﴾ خبر جزم معناه: أَنَّ اللَّه عز وجل

---

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٩٩).
(٢) ينظر: «الفخر الرازي» (٣٠/ ١٨٦).
(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٩٩).
(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٢٢)، رقم: (٣٥٥١٢، ٣٥٥١٥)، وذكره البغوي (٤/ ٤١٩) عن أبي هريرة فقط، وابن عطية (٥/ ٣٩٩)، وابن كثير (٤/ ٤٢٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» ((٦/ ٤٦١)، وعزاه لابن أبي حاتم عن ابن عباس ولعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عن أبي هريرة.
(٥) ينظر: «إعراب القراءات» (٢/ ٤١٣)، و«معاني القراءات» (٢/ ١٠٤)، و«شرح الطيبة» (٦/ ٨٠)، و«العنوان» (١٩٩)، و«شرح شعلة» (٦١٣)، و«حجة القراءات» (٦٣٥)، و«إتحاف» (٢/ ٥٧٢).

أَهْلٌ بصفاته العُلَى ونِعَمِهِ التي لا تُحْصَىٰ لِأَنْ يُتَّقَىٰ ويُطَاعَ أمره، ويُحْذَرَ عصيانه، وأَنَّه بفضله وكرمه أَهْلٌ أنْ يَغْفِرَ لعبادِهِ إذا اتَّقَوْهُ؛ رَوَى ابْنُ مَاجَه عن أَنَس: «أَنَّ النبيَّ ﷺ قَرَأَ هَذِهِ الآية: ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ المَغْفِرَةِ﴾ فَقَالَ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا أَهْلٌ أَنْ أُتَّقَىٰ، فَلاَ يُجْعَلَ مَعِيَ إِلَهٌ آخَرُ، فَمَنِ اتَّقَانِي فَلَمْ يَجْعَلْ مَعِيَ إِلَهاً آخَرَ، فَأَنَا أَهْلٌ أنْ أَغْفِرَ لَهُ» وأخرجه أبو عيسى الترمذي بمعناه، وقال: حديث حسن[1]، انتهى.

(١) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٤٣٧)، كتاب «الزهد» باب: ما يرجى من رحمة اللّه يوم القيامة (٤٢٩٩).

تَفسِيرُ سُورَةِ القِيَامَةِ

وهِيَ مَكِّيَّةٌ بِإجْمَاعٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝٦ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩﴾

قوله عز وجل: ﴿لاَ أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ/ * وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ هذه قراءة الجمهور، وقرأ ابن كثير[1]: «لأُقْسِمُ بِيَومِ الْقِيَامَةِ وَلأُقْسِمُ» فقيل: على قراءة الجمهور «لا» زائدة، وقال الفَرَّاءُ: «لا» نفيٌ لكلام الكفار، وزجر لهم، ورَدٌّ عليهم، وجمهور المتأوِّلين على أَنَّ اللَّه تعالى أقسم بيوم القيامة وبالنفس اللوامة، أقسم سبحانه بيوم القيامة؛ تنبيهاً منه على عِظَمِهِ وهوله؛ قال الحسن: النفس اللَّوَّامَةُ: هي اللوامة لصاحبها في ترك الطاعة ونحو ذلك[2]، فهي على هذا ممدوحة؛ ولذلك أقسم اللَّه بها، وقال ابن عباس وقتادة: اللوامة: هي الفاجرة، اللوامة لصاحبها على ما فاته من سعي الدنيا[3] وأعراضها، وعلى هذا التأويل يحسن نفي القسم بها، والنفس في الآية اسم جنس. ١٩٧ أ

قال * ع[4] *: وكل نفس متوسطة ليست بالمُطْمَئِنَّةِ ولا بالأَمَّارَةِ بالسوء فإنَّها لوَّامة في الطرفين، مرةً تلوم على ترك الطاعة، ومرةً تلوم على فوت ما تشتهي، فإذا اطمأنَّتْ خلصت وصفت، قال الثعلبيُّ: وجواب القسم محذوف تقديره: لَتُبْعَثُنَّ، دَلَّ عليه قوله: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ أي: للإحياء والبعث، والإنسان هنا الكافر المُكَذِّبُ

---

(١) ينظر: «السبعة» (٦٦١)، و«الحجة» (٦/ ٣٤٣)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٤١٤)، و«حجة القراءات» (٧٣٥)، و«معاني القراءات» (٣/ ١٠٥)، و«العنوان» (٢٠٠)، و«إتحاف» (٢/ ٥٧٣).

(٢) ذكره البغوي (٤/ ٤٢١)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٠٢)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٦٤)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا.

(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ٤٠٢).

(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٤٠٢).

بالبعث، انتهى، والبنان: الأصابع، و﴿نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ معناه: نتقنها سَوِيَّةً؛ قاله القتبي، وهذا كله عند البعث، وقال ابن عباس وجمهور المفسرين: المعنى: بل نحن قادرون أنْ نسوي بنانه، أي: نجعل أصابع يديه ورجليه شيئاً واحداً كَخُفِّ البعير أو كحافر الحمار، لا يمكنه أنْ يعمل بها شيئاً، ففي هذا تَوَعُّدٌ ما، والقول الأول أجرى مع رصف الكلام[1].

﴿بَلْ يُرِيدُ الإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ معناه: أنَّ الإنسان إنَّما يريد شهواتِهِ ومعاصِيَه؛ ليمضيَ فيها أبداً راكباً رأسه، ومطيعاً أمله، ومُسَوِّفاً توبته؛ قال البخاريُّ: ﴿لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ يقول: سوف أتوب، سوف أعمل[2]، انتهى.

١٩٧ ب / قال الفخر[3]: قوله: ﴿ليفجر أمامه﴾ فيه قولان:

الأوَّل: ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان، لا ينزع عنه؛ فَعَنِ ابن جُبَيْرٍ: يقدم الذنب، ويُؤَخِّرُ التوبة[4]، يقول: سوف أتوب، سوف أتوب حتى يأتيه الموت على شر أحواله وأسوإ أعماله.

القول الثاني: ﴿يفجر أمامه﴾ أي: يُكَذِّبُ بما أمامه من البعث والحساب؛ لأَنَّ من كذب حَقًّا كان مفاجراً، والدليل على هذا القول قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾ أي: متى يكون ذلك؛ تكذيباً له، انتهى.

وسؤال الكفار ﴿أيان﴾ هو على معنى التكذيب والهزء، و﴿أيان﴾ بمعنى: متى، **وقرأ** نافع وعاصم بخلافٍ: «بَرَقَ الْبَصَرُ» ـ بفتح الراء[5] ـ بمعنى: لَمَعَ وصار له بريق، وحار عند الموت، **وقرأ** أبو عمرو وغيره بكسرها بمعنى: شَخَصَ، والمعنى متقارب، قال

---

(١) أخرجه الطبري (٢/ ٣٢٨)، رقم: (٣٥٥٤٠ ـ ٣٥٥٤١)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٠٢)، وابن كثير (٤/ ٤٤٨)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ٤٦٤)، وعزاه لعبد الرزاق، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٢) ينظر: «**فتح الباري**» (٨/ ٥٤٧)، كتاب «التفسير».

(٣) ينظر: «**الفخر الرازي**» (٣٠/ ١٩٢).

(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٣٠)، رقم: (٣٥٥٥٥)، وذكره البغوي (٤/ ٤٢١)، وابن عطية (٥/ ٤٠٢)، وابن كثير (٤/ ٤٤٨).

(٥) وعاصم قرأها هكذا من رواية أبان.

ينظر: «**السبعة**» (٦٦١)، و«**الحجة**» (٦/ ٣٤٥)، و«**معاني القراءات**» (٣/ ١٠٦)، و«**إعراب القراءات**» (٢/ ٤١٤)، و«**شرح الطيبة**» (٦/ ٨١)، و«**العنوان**» (٢٠٠)، و«**حجة القراءات**» (٧٣٦)، و«**شرح شعلة**» (٦١٣)، و«**إتحاف**» (٢/ ٥٧٤).

مجاهد: هذا عند الموت[١]، وقال الحسن: هذا في يوم القيامة[٢]، قال أبو عبيدة وجماعة من اللغويين: الخسوف والكسوف بمعنى واحد[٣]، وقال ابن أبي أُوَيْس: الكسوف: ذهابُ بعض الضوء، والخسوف: ذهاب جميعه، وروى عروة وسفيان أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لاَ تَقُولُوا كَسَفَتِ الشَّمْسُ، وَلَكِنْ قُولُوا: خَسَفَتْ»[٤] **وقرأ** ابن مسعود: «وَجُمِعَ[٥] بَيْنَ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ» واختلف في معنى الجمع بينهما فقال عطاء: يجمعان فيقذفان في النار[٦]، وقيل: في البحر فيصيرا نارَ اللَّه العُظْمَى، وقيل: يُجْمَعُ الضَّوْءانِ فيذهب بهما؛ قال الثعلبيُّ: وقال علي وابن عباس: يجعلان في نور الحجب[٧]، انتهى.

﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾﴾

﴿يَقُولُ الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ المَفَرُّ﴾ أي: أين الفرار ﴿كَلاَّ لاَ وَزَرَ﴾ أي: لا ملجأ، و﴿المستقر﴾ موضع الاستقرار.

وقوله تعالى: ﴿يُنَبَّأُ/ الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [أي]: يعلم بكل ما فعل، ١٩٨أ
ويجده مُحَصَّلاً، وقال ابن عباس وابن مسعود: بما قَدَّم في حياته، وما أَخَّرَ من سُنة بعد مماته[٨].

﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٣١)، رقم: (٣٥٥٦٣)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٠٣)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ٤٦٥)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر.

(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٤٠٣).

(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ٤٠٣).

(٤) أخرجه مسلم (٢/ ٦٢٥)، كتاب «الكسوف» باب: ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار (١٣/ ٩٠٥).

(٥) هكذا في القرطبي (١٩/ ٦٣). وذكر ابن عطية في «**المحرر الوجيز**» (٥/ ٤٠٣) أنها قراءة ابن أبي عبلة.

(٦) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٣٢)، رقم: (٣٥٥٦٩)، وذكره البغوي (٤/ ٤٢٢)، وابن عطية (٥/ ٤٠٣)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ٤٦٥)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر.

(٧) ذكره القرطبي (١٩/ ٦٣)، وذكره أبو حيان في «**البحر المحيط**» (٨/ ٣٧٧).

(٨) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٣٥)، رقم: (٣٥٥٩١)، (٣٥٥٩٢)، وذكره البغوي (٤/ ٤٢٢)، وابن عطية (٥/ ٤٠٣)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ٤٦٦)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عن ابن مسعود، وعزاه أيضاً لابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

وقوله تعالى: ﴿بَلِ الإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ قال ابن عباس وغيره: أي: للإنسان على نفسه من نفسه بصيرةُ رقباءَ يشهدون عليه، وهم جوارحه وَحَفَظَتُه[١]، ويحتمل أنْ يكون المعنى: بل الإنسان على نفسه شاهد؛ ودليله قوله تعالى: ﴿كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾ [الإسراء: ١٤] قال الثعلبيُّ: قال أَبَانُ بْنُ ثَعْلَبٍ: البصيرةُ والبَيِّنَةُ والشاهد بمعنى واحد انتهى، ونحوه للهرويِّ؛ قال * ع[٢] *: والمعنى على هذا التأويل الثاني: أَنَّ في الإنسان وفي عقله وفطرته حُجَّةً وشاهداً مُبْصِراً على نفسه.

﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾ أي: ولو اعتذر عن قبيح أفعاله، فهو يعلمها، قال الجمهور: والمعاذير هنا جمع مَعْذِرَة، وقال الضَّحَّاكُ والسُّدِّيُّ: هي الستور بلغة اليمن؛ يقولون للستر: المعذار[٣].

وقوله تعالى: ﴿لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾ الآية، قال كثير من المفسرين، وهو في «**صحيح البخاريِّ**» عن ابن عباس قال: كان النَّبِيُّ ﷺ يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ؛ مُخَافَةَ أَنْ يَذْهَبَ عَنْهُ مَا يُوحَى إِلَيْهِ، فَنَزَلَتِ الآيَةُ بِسَبَبِ ذَلِكَ، وَأَعْلَمَهُ تَعَالَى أَنَّهُ يَجْمَعُهُ لَهُ في صَدْرِهِ[٤].

وقوله: ﴿وَقُرْآنَهُ﴾ يحتمل أنْ يريد وقراءته، أي: تقرأه أنت يا محمد.

وقوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ﴾ أي: قرأه المَلَكُ الرسول عَنَّا ﴿فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾، قال البخاريُّ: قال ابن عباس: ﴿فاتبع﴾، أي: اعمل به، وقال البخاريُّ أيضاً/ قوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ أي: تأليف بعضه إلى بعض ﴿فإذا قرأناه فاتبع قرآنه﴾ أي: ما جمع فيه، فاعمل بما أمرك، وانته عَمَّا نهاك عنه انتهى. ١٩٨ ب

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ قال قتادة وجماعة: معناه: أنْ نُبَيِّنَهُ لك[٥]، وقال البخاريُّ: أنْ نبينه على لسانك.

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/٣٣٦)، رقم: (٣٥٦٠١)، وذكره البغوي (٤/٤٢٣)، وابن كثير (٤/٤٤٩)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/٤٦٧)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٢) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٥/٤٠٤).

(٣) أخرجه الطبري (١٢/٣٣٨)، رقم: (٣٥٦١٢) عن السدي، وذكره البغوي (٤/٤٢٣)، وابن عطية (٥/٤٠٤)، والسيوطي (٦/٤٦٧)، وعزاه لابن المنذر عن الضحاك بنحوه.

(٤) أخرجه البخاري (٨/٥٤٧ ـ ٥٤٨)، كتاب «التفسير» باب: سورة القيامة (٤٩٢٧)، (٨/٥٤٩)، باب: ﴿إن علينا جمعه وقرآنه﴾ (٤٩٢٨).

(٥) ذكره ابن عطية (٥/٤٠٥)، وابن كثير (٤/٤٤٩) بنحوه.

﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ أي: الدنيا وشهواتِها؛ قال الغزاليُّ في «**الإحياء**»: اعلم أَنَّ رأس الخطايا المهلكة هو حُبُّ الدنيا، ورأسَ أسبابِ النجاة هو التجافي بالقلب عن دار الغرور، وقال رحمه اللَّه: اعلم أَنَّهُ لا وصولَ إلى سعادة لقاء اللَّه سبحانه في الآخرة إلاَّ بتحصيل محبته والأُنْسِ به في الدنيا، ولا تحصلُ المحبة إلاَّ بالمعرفة، ولا تحصل المعرفةُ إلاَّ بدوام الفكر، ولا يحصل الأُنْسُ إلاَّ بالمحبة ودوام الذكر، ولا تتيسر المواظبة على الذكر والفكر إلاَّ بانقلاع حُبِّ الدنيا من القلب، ولا ينقلع ذلك إلاَّ بترك لَذَّاتِ الدنيا وشهواتها، ولا يمكن تركُ المشتهيات إلاَّ بقمع الشهوات، ولا تَنْقَمِعُ الشهواتُ بشيء كما تنقمعُ بنار الخوف المُحْرِقَة لِلشهوات، انتهى.

وقرأ ابن كثير[1] وغيره: «يُحِبُّونَ» و«يَذَرُونَ» بالياء على ذكر الغائب، ولما ذكر سبحانه الآخرة، أخبر بشيء من حال أهلها فقال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ أي: ناعمة، والنُّضْرَةُ: النعمة وجمال البشرة؛ قال الحسن: وحُقَّ لها أن تُنَضَّر وهي تنظر إلى خالقها[2].

وقوله تعالى: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ حمل جميع أهل السُّنَّةِ هذه الآية على أَنَّها متضمنة رؤية المؤمنين للَّه عز وجل بلا تكييف ولا تحديد/ كما هو معلوم موجود، لا يشبه ١٩٩أ الموجودات، كذلك هو سبحانه مَرْئِيٌّ لا يشبه المَرْئِيَّاتِ في شيء؛ فإنَّه ليس كمثله شيء لا إلٰه إلاَّ هو، وقد تقدم استيعاب الكلام على هذه المسألة، وما في ذلك من صحيح الأحاديث، والباسرة: العابسة المغمومة النفوس، والبسور: أشد العُبُوسِ، وإنَّما ذكر تعالى الوجوه؛ لِأَنَّهُ فيها يظهر ما في النفس من سرور أو غَمٍّ، والمراد أصحاب الوجوه، والفاقرة: المصيبة التي تكسر فَقَار الظهر؛ وقال أبو عبيدة: هي من فَقَرْتُ [البعير] إذا وسمت أنفه بالنار[3].

---

(١) وقرأ بها أبو عمرو، وابن عامر، ويعقوب.
ينظر: «**إعراب القراءات**» (٢/ ٤١٦)، و«**معاني القراءات**» (٣/ ١٠٦)، و«**شرح الطيبة**» (٦/ ٨١)، و«**العنوان**» (٢٠٠)، و«**حجة القراءات** (٧٣٦)، و«**شرح شعلة**» (٦١٤)، و«**إتحاف**» (٢/ ٥٧٤).

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٤٣) رقم (٣٥٦٥٤)، وذكره البغوي (٤/ ٤٢٤)، وابن عطية (٥/ ٤٠٥)، وابن كثير (٤/ ٤٥٠).

(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ٤٠٥).

﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿كَلاَّ إِذَا بَلَغَتْ...﴾ زجر وتذكير أيضاً بموطن من مواطن الهول، وهي حالة الموت الذي لا مَحِيدَ عنه، و﴿بَلَغَتْ﴾ يريد: النفس و﴿التراقي﴾ جمع تَرْقُوَةٍ، وهي عظام أعلى الصدر، ولكل أحد تَرْقُوَتَانِ، لكن جُمِعَ من حيثُ أَنَّ النفس المرادةَ اسمُ جنس، والتراقي هي موارية للحلاقيم، فالأمر كله كناية عن حال الحَشْرَجَةِ ونزع الموت ـ يَسَّرَهُ اللَّه علينا بِمَنِّهِ، وجعله لنا راحةً من كل شَرٍّ ـ واخْتُلِفَ في معنى قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ فقال ابن عباس وجماعة: معناه: مَنْ يُرْقِي، ويَطُبُّ، ويَشْفِي[1]، ونحو هذا مِمَّا يتمناه أهل المريض، وقال ابن عباس أيضاً، وسليمانُ التَّيْمِيُّ، ومقاتل: هذا القول للملائكة، والمعنى: مَنْ يرقى بروحه، أي: يصعد بها إِلى السماء أملائكة الرحمة، أم ملائكة العذاب[2].

﴿وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾ أي: أيقن، وهذا يقين فيما لم يَقَعْ بعد؛ ولذلك اسْتُعْمِلَتْ فيه لَفْظَةُ الظن.

١٩٩ ب / وقوله تعالى: ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ قال ابن المُسَيِّبِ، والحسن: هي حقيقة، والمراد: ساقا المَيِّتِ عند تكفينه، أي: لَفَّهُمَا الكَفَنُ[3]، وقيل: هو التفافهما من شدة المرض، وقيل غير هذا.

﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿فَلاَ صَدَّقَ وَلاَ صَلَّى﴾ الآية: قال جمهور المتأولين: هذه الآية كلها إِنَّما نزلت في أبي جهل؛ قال * ع[4] *: ثم كادت هذه الآية أَنْ تُصَرِّحَ به في قوله:

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/٤٠٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/٤٧٧)، وعزاه لعبد بن حميد عن ابن عباس بنحوه.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/٣٤٦)، رقم: (٣٥٦٨٢)، وذكره ابن عطية (٥/٤٠٦)، وابن كثير (٤/٤٥١)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/٤٧٧)، وعزاه لابن أبي الدنيا في ذكر الموت، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس بنحوه.

(٣) أخرجه الطبري (١٢/٣٤٨)، رقم: (٣٥٧٠٦ ـ ٣٥٧٠٧)، وذكره البغوي ٤/٤٢٥)، وابن عطية (٥/٤٠٦)، وابن كثير (٤/٤٥١)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/٤٧٨)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر عن الحسن.

(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/٤٠٦).

﴿يَتَمَطَّى﴾ فإنَّها كانت مشيته، وقوله: ﴿فلا صدق ولا صلى﴾ تقديره: فلم يُصَدِّقْ ولم يُصَلِّ فـ«لا» في الآية: نفي لا عاطفة.

* ص *: ﴿فَلاَ صَدَّقَ﴾ فيه دليل على أَنَّ «لا» تدخل على الماضي فتنفيه؛ كقول الراجز: [من الرجز]

إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمَّا وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لاَ أَلَمَّا[1]

انتهى.

و﴿صدق﴾ معناه: برسالة اللَّه ودينه، وذهب قوم إلى أَنَّه من الصَّدَقَةِ، والأول أصوب و﴿يتمطى﴾ معناه: يمشي المَطيطاء، وهي مشية بتبختر، وهي مؤخوذة من المَطا وهو الظهر؛ لأَنَّهُ يتثنى فيها، زاد * ص *: وقيل: أصله يتمطط، أي: يتمدد في مشيه ومَدِّ مَنْكِبَيْهِ، انتهى.

﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾

وقوله: ﴿أَوْلَى لَكَ﴾: وعيد.

﴿فَأَوْلَى﴾ وعيد ثانٍ، وكرَّر ذلك؛ تأكيداً، ومعنى ﴿أولى لك﴾ الازدجار والانتهار، والعرب تستعمل هذه الكلمة زجراً؛ ومنه فأولى لهم طاعة، ويُرْوَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَبَّبَ أَبَا جَهْلٍ يَوْماً في البَطْحَاءِ وَقَالَ لَهُ: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لَكَ ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾» فنزل القرآن على نحوها[2]؛ وفي شعر الخنساء: [المتقارب]

---

(١) لأبي خراش في «الأزهية» ص: (١٥٨)، و«خزانة الأدب» (٧/ ١٩٠)، و«شرح أشعار الهذليين» (٣/ ١٣٤٦)، و«شرح شواهد المغني» ص: (٦٢٥)، و«لسان العرب» (١٢/ ١٠٤) (جمم)، و«المقاصد النحويّة» (٤/ ٢١٦)، ولأمية بن أبي الصلت في «الأغاني» (٤/ ١٣١، ١٣٥)، و«خزانة الأدب» (٤/ ٤)، و«لسان العرب» (١٢/ ٥٥٣) (لمم)، ولأمية أو لأبي خراش في «خزانة الأدب» (٢/ ٢٩٥)، و«لسان العرب» (١٢/ ٥٤٩) (لمم)، وبلا نسبة في «الإنصاف» ص: (٧٦)، و«جمهرة اللغة» ص: (٩٢)، و«الجنى الداني» ص:(٢٩٨)، و«لسان العرب» (١٥/ ٤٦٧) (لا)؛ و«مغني اللبيب» (١/ ٢٤٤).

(٢) أخرجه النسائي في «الكبرى» (٦/ ٥٠٤)، كتاب «التفسير» باب: قوله تعالى: ﴿وجوه يومئذٍ ناضرة * إلى ربها ناظرة﴾ (٢/ ١١٦٣٨)، والحاكم (٢/ ٥١٠)، وابن جرير في «تفسيره» (١٢/ ٣٥١) (٣٥٧٣٤) نحوه، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٧٩)، وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، والطبراني.
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

هَـمَـمْـتُ بِـنَـفْـسِـيَ كُـلَّ الْـهُـمُـومِ فَـأَوْلَـىٰ لِـنَـفْـسِـيَ أَوْلَـىٰ لَـهَـا[1]

وقوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ﴾: توبيخ و﴿سُدًى﴾: معناه: مُهْمَلاً لا يُؤْمَرُ ولا يُنْهَى، ثم قَرَّر تعالى أحوال ابن آدم في بدايته التي إذا تُؤُمِّلَتْ لَم/ يُنْكِرْ معها جوازَ البعث من القبور عاقلٌ، والعَلَقَةُ القطعة من الدم. ١٢٠٠أ

﴿فَخَلَقَ فَسَوَّى﴾ أي: فخلق اللَّه منه بشراً مركباً من أشياء مختلفة، فسواه شخصاً مستقلاً، و﴿الزوجين﴾: النوعين، ثم وقف تعالى توقيفَ توبيخ بقوله: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ رُوِيَ: أَنَّ النبيَّ ﷺ كان إذا قرأ هذه الآية قال: بَلَى، ورُوِيَ أَنَّه كَانَ يَقُولُ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، بلى»[2] انظر «**سنن أبي داود**».

---

(١) ينظر: البيت في «**الديوان**» (٨٢)، و«**الدر المصون**» (٦/ ٤٣٣).

(٢) تقدم تخريجه في أول التفسير.

[تَفسِيرُ] سُورَةِ «الإِنسَانِ»

قِيلَ: مَكِّيَّةٌ، وَقِيلَ: مَدَنِيَّةٌ

وقال الحسن وعِكْرِمَةُ: منها آية مكية[1]، وهي [قوله تعالى: ﴿وَلاَ تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً﴾ والباقي مدنيّ.

[بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ]

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾﴾

[قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ...﴾ الآية، ﴿هل﴾ في كلام العرب قد تجيء][2] بمعنى ﴿قد﴾؛ حكاه سيبويه، لكنها لا تخلو من تقرير، وبابُها المشهورُ الاستفهام المَحْضُ، والتقرير أحياناً؛ قال ابن عباس: «هل» بمعنى «قد»، والإنسان يراد به آدم[3]، وقال أكثر المتأولين: «هل» تقرير، الإنسان: اسم جنس، أي: إذا تَأَمَّلَ كُلُّ إنسان نفسه علم بِأَنَّه قد مَرَّ حِينٌ من الدهر عظيم لم يكن فيه شيئاً مذكوراً، وهذا هو القوي أَنَّ الإنسان اسم جنس، وأَنَّ الآية جُعِلَتْ عبرةً لكل أحد من الناس؛ لِيُعْلَمَ أَنَّ الخالق له قادر على إعادته.

* ص *: ﴿لم يكن شيئاً مذكوراً﴾ في موضع حال من ﴿الإنسان﴾ أو في موضع صفة لـ﴿حين﴾ والعائد عليه محذوف، أي: لم يكن فيه، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ...﴾ الآية، الإنسان هنا: اسم جنس بلا خلافٍ، وأمشاج معناه: أخلاط؛ قيل: هو ﴿أمشاج﴾ ماءِ الرجل بماءِ المرأة، ونَقَلَ الفخرُ أَنَّ

---

(١) ذكره البغوي (٤/٤٢٦)، وابن عطية (٥/٤٠٨).
(٢) سقط في: د.
(٣) ذكره ابن عطية (٥/٤٠٨).

٢٠٠ب الأمشاج لفظٌ/ مفرد، وليس يُجْمَعُ، بدليل أنَّه وقع صفةً للمفرد، وهو قوله: ﴿نطفة﴾، انتهى.

﴿نَبْتَلِيهِ﴾ أي: نختبره بالإيجاد والكون في الدنيا، وهو حال من الضمير في ﴿خلقنا﴾ كأنَّه قال: مختبرين له بذلك.

وقوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾ عَطْفُ جملة نِعَم على جملة نِعَم، وقيل: المعنى: فلنبتليه جعلناه سميعاً بصيراً و﴿هديناه﴾: يحتمل: أنْ يكون بمعنى أرشدناه، ويحتمل: أنْ يكون بمعنى أريناه، وليس الهدى في هذه الآية بمعنى خلق الهدى والإيمان، وعبارة الثَّعْلَبِيِّ: ﴿هديناه السبيل﴾ بَيَّنَا له وَعَرَّفْنَاهُ طريقَ الهدى والضلال، والخير والشر؛ كقوله: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠] انتهى.

وقوله تعالى: ﴿إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾ حالان، وقسمتهما ﴿إِمَّا﴾، و﴿الأبرار﴾: جمع بَارٍّ؛ قال الحسن: هم الذين لا يؤذون الذَّرَّ، ولا يرضون الشرَّ[1]، قال قتادة: نعم قوم يمزجُ لهم بالكافور، ويُخْتَمُ لهم بالمسك[2]، قال الفرَّاء: يقال إنَّ في الجنة عيناً تسمى كافوراً.

﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿عَيْناً﴾ قيل: هو بدل من قوله: ﴿كَافُوراً﴾ وقيل: هو مفعول بقوله: ﴿يشربون﴾ أي: ماءُ هذه العين من كأس عَطِرَةٍ كالكافور، وقيل: نصب ﴿عيناً﴾ على المدح أو بإضمار «أعني».

قوله تعالى: ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ بمنزلة [يشربها]، فالباء زائدة؛ قال الثعلبيُّ: قال الواسطي: لَمَّا اختلفت أحوالهم في الدنيا اختلفت أشربتهم في الآخرة، انتهى.

قال * ص *: وقيل: الباء في ﴿بها﴾ للإلصاق والاختلاط، أي: يشرب بها عباد اللَّه الخمرَ؛ كما تقول: شَرِبْتُ الماءَ بالعسل، انتهى.

٢٠١أ وقوله تعالى: ﴿يُفَجِّرُونَهَا﴾ معناه: يفتقونها ويقودونها حيث شاؤوا/ من منازلهم

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٤٠٩).

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٥٧، ٣٥٨)، رقم: (٣٥٧٦٧)، وذكره البغوي (٤/ ٤٢٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٨٣)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر عن قتادة بنحوه.

وقصورهم، فهي تجري عند كُلِّ أحد منهم، ورُدَّ بهذا الأثر، وقيل: عين في دار النَّبِيِّ ﷺ تفجر إلى دُورِ الأنبياء والمؤمنين؛ قال * ع[١] *: وهذا قول حسن، ثم وصف تعالى حال الأبرار فقال: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً﴾ أي: ممتدًّا مُتَّصِلاً شائعاً.

وقوله تعالى: ﴿على حُبِّهِ﴾ يحتمل أنْ يعودَ الضمير على الطعام، وهو قول ابن عباس[٢]، ويحتمل أنْ يعودَ على اللَّه تعالى؛ قاله أبو سليمان الدَّارانيُّ[٣].

وقوله: ﴿وأَسِيراً﴾ قال الحسن: ما كان أسراهم إلاَّ مشركين؛ لأَنَّ في كل ذي كبد رطبة أجراً[٤].

* ت *: وفي «العتبيةِ» سُئِلَ مالك عن الأسير في هذه الآية أمسلم هو أم مشرك، فقال: بل مشرك، وكان ببدر أسارى، فأنزلت فيهم هذه الآية؛ فقال ابن رشد: والأظهر حمل الآية على كل أسير، مسلماً كان أو كافراً، انتهى يعني: وإنْ كان سبب نزولها ما ذكر فهي عامَّةٌ في كُلِّ أسير إلى يوم القيامة، وقال أبو سعيد الخُدْرِيُّ: قال النَّبِيُّ ﷺ: «﴿مِسْكِيناً﴾ [قال:] فَقِيراً ﴿وَيَتِيماً﴾ قال: لا أَبَ لَهُ ﴿وأَسِيراً﴾ قال: المَمْلُوكُ والمَسْجُونُ»[٥]، وأسند القُشَيْرِيُّ في رسالته عن مالك، عن نافع، عنِ ابن عمر، عن عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «لِكُلِّ شَيْءٍ مِفْتَاحٌ، وَمِفْتَاحُ الجَنَّةِ حُبُّ المَسَاكِينِ، والفُقَرَاءُ الصُّبَّرُ هُمْ جُلَسَاءُ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[٦] انتهى.

وروى الترمذيُّ عن أنس أَنَّ النبيَّ ﷺ قال: «اللَّهُمَّ، أَحْيِنِي مِسْكِيناً، وأَمِتْنِي مِسْكِيناً، واحْشُرْنِي في زُمْرَةِ المَسَاكِينِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! قالَ: إِنَّهُمْ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ بِأَرْبَعِينَ خَرِيفاً،/ يَا عَائِشَةُ، لاَ تَرُدِّي الْمِسْكِينَ، وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، يَا عَائِشَةُ، أَحِبِّي المَسَاكِينَ وَقَرِّبِيهِمْ، فَإِنَّ اللَّهَ يُقَرِّبُكِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». قال أبو عيسى: هذا حديث غريب[٧]، انتهى. ٢٠١ ب

---

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٤١٠).
(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٤١٠).
(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ٤١٠).
(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٦٠)، رقم (٣٥٧٨٢)، وذكره البغوي (٤/ ٤٢٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٨٤)، وعزاه لسعيد بن المنصور، وابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن مردويه عن الحسن بنحوه.
(٥) ينظر: «الدر المنثور» (٦/ ٤٨٥).
(٦) ينظر: «كنز العمال» (٦/ ٤٦٩)، رقم: (١٦٥٨٧).
(٧) أخرجه الترمذي (٤/ ٥٧٧، ٥٧٨)، كتاب «الزهد» باب: ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ ﴾

أغنيائهم (٢٣٥٢)، والبيهقي (٧/ ١٢)، كتاب «الصدقات» باب: ما يستدل به على أن الفقير أمسُّ حاجة من المسكينُ.

قال الترمذي: هذا حديث غريب ـ يعني: ضعيف، وهو مصطلح خاص به.

وفي الباب من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أخرجه الحاكم (٤/ ٣٢٢)، وابن ماجه (٢/ ١٣٨١)، كتاب «الزهد» باب: مجالسة الفقراء(٤١٢٦)، والخطيب (٤/ ١١١) (١٧٧٠)، قال العجلوني في «**كشف الخفاء**» (١/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧): رواه الترمذي، وابن ماجه عن أبي سعيد الخدري، قال أحبوا المساكين، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقوله في دعائه، ورواه الطبراني عن عطاء بسندٍ ضعيف بلفظِ: «اللّهم توفني إليك فقيراً، ولا توفني غنياً، واحشرني في زمرة المساكين يوم القيامة»، وأخرجه الحاكم في «**مستدركه**» بزيادةٍ «وإن أشقى الأشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة»، وقال صحيح الإسناد، ورواه البيهقي في «**الشُعَب**» عن أبي سعيد بلفظِ: «يا أيها الناس لا يحملنكم العسرُ على أن تطلبوا الرزق من غير حِله»، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول، وذكره بالزيادة المذكورة، وله شواهد، فرواه الترمذي والبيهقي في «**الشعب**» بسند فيه مُنكر عند بعضهم عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «اللّهم أحيني مسكيناً، وأمتني مسكيناً، واحشرني في زمرة المساكين يوم القيامة»، فقالت عائشة: لم يا رسول الله؟ قال: «إنهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفاً، يا عائشة لا تردي المسكين ولو بشقّ تمرة، يا عائشة أحبي المساكين وقربيهم فإن الله يقربك يوم القيامة»، وقال: إنه غريب، ورواه الطبراني في «**الدعاء**» بسند رجاله ثقاتٌ عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهم أحيني مسكيناً، وتوفني مسكيناً، واحشرني في زمرة المساكين»، ومع وجود هذه الطرق لا يحسن الحكم عليه بالوضع، وقال في «**الدرر**» رواه الترمذي عن أنس، وابن ماجه عن أبي سعيد عن أبي عبادة، وادعى ابن الجوزي، وابنُ تيمية أنه موضوع، وليس كما قالا انتهى، وقال ابن حجر في «**التحفة**» إن الحديث ضعيف ومُعارَض بما رُوي أنه ﷺ استعاذ من المسكنة، وفُسِّرَت المسكنةُ المسؤولةُ بسكون القلب، وفسر شيخ الإسلام زكريا هذا الحديث فقال معناه طلب التواضع والخضوع، وأن لا يكون من الجبابرة المتكبرين والأغنياء المترفين، وقال البوصيري في «**الزوائد**» (٣/ ٢٧٥). هذا إسناد ضعيف، أبو المبارك لا يعرف اسمه وهو مجهول ويزيد بن سنان التيمي أبو فروة ضعيف رواه أبو بكر بن أبي شيبة في «**مسنده**» هكذا.

ورواه عبد بن حميد في «**مسنده**»، ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا أبو خالد الأحمر فذكره بإسناده ومتنه.

ورواه الحاكم في «**المستدرك**» من طريق خالد بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه به، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد.

قلت: ورواه البيهقي في «**سننه الكبرى**» عن الحاكم به.

وله شاهد من حديث عبادة بن الصامت، ومن حديث أنس بن مالك، رواه البيهقي في «**الكبرى**».

ورواه ابن الجوزي في «**الموضوعات**» من طريق أبي خالد الأحمر.

وقولَه: ﴿إِنَّما نُطْعِمُكُمْ...﴾ الآية، قال مجاهد، وابن جبير: ما تكلموا به، ولكنه علمه اللَّه من قلوبهم، فأثنى عليهم؛ ليرغب في ذلك راغب[١]، وَوَصْفُ اليوم بِعَبُوسٍ تَجُوُّزٌ، والقَمْطَرِيرُ: هو في معنى العبوس والإِزْبِدَاد؛ تقول: اقْمَطَرَّ الرَّجُلُ: إذا جمع ما بين عَيْنَيْهِ. غضباً، وقال ابن عباس: يعبس الكافر يومئذ حتَّىٰ يسيلَ ما بين عينيه كالقَطِرَانِ[٢]، وَعَبَّرَ ابن عباس عن القمطرير بالطويل[٣]، وعَبَّرَ عنه غيره بالشديد؛ وذلك كله قريب في المعنى، والنضرة: جمال البشرة وذلك لا يكون إلاَّ مع فرح النفس وقرة العين.

وقوله: ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ عامٌّ في الصبر عنِ الشهوات وعلى الطاعات والشدائد، وفي هذا يدخل كُلُّ ما خصص المفسرون من صوم، وفقر، ونحوه.

وقوله سبحانه: ﴿لاَ يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً...﴾ الآية، عبارةٌ عن اعتدال هوائها وذَهَابِ ضَرَرِي الحَرِّ والقَرِّ، والزَّمْهَرِير: أَشَدُّ البرد، والقطوف: جمع قطف وهو العنقود من النخل والعنب ونحوه، والقوارير: الزجاج.

وقوله تعالى: ﴿مِنْ فِضَّةٍ﴾ يقتضي أَنَّها من زجاج ومن فضة، وذلك متمكن؛ لكونه من زجاج في شفوفه ومن فضة في جَوْهَرِهِ، وكذلك فضة الجنةِ شفَّافة، [قال القرطبيُّ في **«تذكرته»**: وذلك أَنَّ لكل قومٍ من تراب أرضهم قَوَارِيرَ، وأَنَّ ترابَ الجنة فضة، فهي قوارير من فضة؛ قاله ابن عباس[٤]، انتهى][٥].

وقوله تعالى: ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً﴾ أي: على قَدْرِ رِيِّهِمْ؛ قاله مجاهد[٦]، أو على قدر الأَكُفِّ قاله الربيع[٧]، وضمير ﴿قدروها﴾ يعود إِمَّا على الملائكة، أو على الطائفين، أو على المنعمين.

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٦١)، رقم: (٣٥٧٨٧، ٣٥٧٨٨)، وذكره البغوي (٤/ ٤٢٨)، وابن كثير (٤/ ٤٥٥) بنحوه

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٦١)، رقم: (٣٥٧٨٩)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤١١).

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٦٢)، رقم: (٣٥٨٠٠)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤١١).

(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٦٥)، رقم: (٣٥٨١٧)، وذكره ابن كثير (٤/ ٤٥٦)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٦/ ٤٨٧)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، والبيهقي في **«البعث»** من طريق عكرمة، عن ابن عباس بنحوه.

(٥) سقط في: د.

(٦) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٦٦)، رقم: (٣٥٨٣١)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤١٢)، وابن كثير (٤/ ٤٥٦).

(٧) ذكره ابن عطية (٥/ ٤١٢)، وابن كثير (٤/ ٤٥٦).

وقوله سبحانه: ﴿عَيْناً فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً﴾ «عيناً» بدل من «كأس» أو من «عين» على القول الثاني، و﴿سلسبيلاً﴾ قيل: هو اسم بمعنى/ السَّلِسُ المنقاد الجرية، وقال مجاهد: حديدة الجرية[1]، وقال آخرون: ﴿سلسبيلاً﴾ صفة لقوله: ﴿عيناً﴾ و﴿تُسَمَّى﴾ بمعنى تُوْصَفُ وتشهر، وكونه مصروفاً مما يؤكد كونه صفة للعين لا اسماً. ٢٠٢أ

وقوله تعالى: ﴿حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَنْثُوراً﴾ قال الإمام الفخر[2]: وفي كيفية التشبيه وجوه:

أحدها: أَنَّهُم شُبِّهُوا في حسنهم، وصفاء ألوانهم، وانبثاثهم في مجالسهم ومنازلهم في أنواع الخدمة ـ باللؤلؤ المنثورِ، ولو كانوا صفًّا لَشُبِّهُوا باللؤلؤ المنظوم؛ أَلاَ ترى أَنَّهُ تعالى قال: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ﴾ فإذا كانوا يطوفون كانوا متناثرين.

الثاني: أَنَّ هذا من التشبيه العجيب؛ لأَنَّ اللؤلؤ إذا كان متفرقاً يكون أحسنَ في المنظر؛ لوقوع شعاع بعضه على بعض.

الثالث: أَنَّهم شُبِّهُوا باللؤلؤ الرطب إذا نثر من صدفه؛ لأَنَّه أحسن وأجمل، انتهى.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾ قال الفَرَّاءُ: التقدير: وَإِذا رأيت ما ثَمَّ رأيت نعيماً، فحُذِفَتْ «ما» وكُرِّرَتِ الرؤية؛ مبالغةً ﴿وَمُلْكاً كَبِيراً﴾: وهو أَنَّ أدناهم منزلةً ينظر في ملكه مسيرة ألف عام، يرى أَقصاه كما يرى أدناه، وخرَّجَهُ الترمذيُّ، وفي التِّرْمِذِيِّ أيضاً من رواية أبي سعيد الخُدْرِيِّ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «أَدْنَىٰ أَهْلِ الجَنَّةِ الَّذِي لَهُ ثَمَانُونَ أَلْف خَادِمٍ وَاثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ زَوْجَةً، وَتُنْصَبُ لَهُ قُبَّةٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ وَيَاقُوتٍ كَمَا بَيْنَ الجَابِيَةِ إِلَىٰ صَنْعَاءَ»[3] انتهى، وقال سفيان: الملك الكبير هو استئذانُ الملائكة، وتسليمُهم عليهم،

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٦٨)، رقم: (٣٥٨٤٣ ـ ٣٥٨٤٤، ٣٥٨٤٦)، وذكره البغوي (٤/ ٤٣٠)، وابن عطية (٥/ ٤١٣)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٨٨)، وعزاه لعبد الرزاق وسعيد بن منصور، وهناد، وعبد بن حميد، وابن المنذر، والبيهقي عن مجاهد.

(٢) ينظر: «الفخر الرازي» (٣٠/ ٢٢٢).

(٣) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٩٥)، كتاب «صفة الجنة» باب: ما جاء ما لأدنى أهل الجنة من الكرامة (٢٥٦٢). قال أبو عيسى: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث رشدين.

وتعظيمُهم لهم، قال الثعلبيُّ: قَال محمد[١] بن علي الترمذي: يعني ملك التكوين إذا أرادوا شيئاً كان، انتهى.

* ت *: وجميع ما ذكر داخل في الملك/ الكبير، **وقرأ** نافع وحمزة: «عَالِيهِمْ» ٢٠٢ ب **وقرأ** الباقون[٢]: «عَالِيَهُمْ» بالنصب، والمعنى: فوقهم، قال الثعلبيُّ: وتفسير ابن عباس قال: أما رأيتَ الرجل عليه ثياب يعلوها أفضلُ منها[٣]، انتهى، **وقرأ** حمزة والكسائيُّ: «خُضْرٍ وَإِسْتَبْرَقٍ» بالخفض فيهما[٤]، وباقي الآية بَيِّنٌ.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ...﴾ الآية تثبيتٌ للنبي ﷺ وتقوية لنفسه على أذى قريش، والآثم هنا هو الكفور، واللفظ أيضاً يقتضي نهيَ الإمام عن طاعة آثم من العُصَاةِ أو كفور باللَّه، ثم أمره تعالى بذكر ربه دأباً ﴿بكرة وأصيلاً﴾ ﴿ومن الليل﴾: بالسجود والتسبيح الذي هو الصلاة، ويحتمل أنْ يريد قول: سبحانَ اللَّهِ، قال ابن زيد وغيره: كان هذا فرضاً ثم نُسِخَ[٥]، وقال آخرون: هو مُحْكَمٌ على وجه الندب، وقال ابن العربيِّ في «**أحكامه**»: أمَّا قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَويلاً﴾ فإنَّهُ عبارة عن قيام الليل، وقد كان النبي ﷺ يفعله كما تقدم، وقد يحتمل أنْ يكون هذا خطاباً لِلنَّبِيِّ ﷺ، والمراد الجميعُ، ثم نُسِخَ عَنَّا، وبَقِيَ عليه ﷺ، والأول أظهر، انتهى.

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾﴾

---

(١) في د: مجاهد.

(٢) وقرأ بها أبان عن عاصم.
ينظر: «**السبعة**» (٦٦٤)، و«**الحجة**» (٦/ ٣٥٤)، و«**إعراب القراءات**» (٢/ ٤٢٢)، و«**معاني القراءات**» (٣/ ١٠٩)، و«**شرح الطيبة**» (٦/ ٨٨)، و«**العنوان**» (٢٠١)، و«**حجة القراءات**» (٧٣٩)، و«**شرح شعلة**» (٦١٦)، و«**إتحاف**» (٢/ ٥٧٨).

(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ٤١٤).

(٤) ينظر: «**السبعة**» (٦٦٥)، و«**الحجة**» (٦/ ٣٥٧)، و«**إعراب القراءات**» (٢/ ٤٢٢)، و«**معاني القراءات**» (٢/ ١٠٩)، و«**شرح الطيبة**» (٦/ ٨٨ ـ ٨٩)، و«**حجة القراءات**» (٧٤٠)، و«**شرح شعلة**» (٦١٦)، و«**إتحاف**» (٢/ ٥٧٨).

(٥) ذكره القرطبي (١٩/ ٩٧)، وأبو حيان في «**البحر المحيط**» (٨/ ٣٩٣)، وابن عطية (٥/ ٤١٤).

وقوله: ﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ﴾ يعني كُفَّارَ قريشٍ ﴿يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ يعني: الدنيا، واعلمْ أَنَّ حُبَّ الدنيا رأسُ كل خطيئة، وفي الحديث عن النبي ﷺ: «ازْهَدْ في الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ، وَٱزْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ»[1] رواه ابن ماجه وغيره بأسانيدَ حَسَنَةٍ، قال ابن الفاكهانيِّ: قال القاضي أبو الوليد بن رشد: وأَمَّا الباعث على الزهد فخمسة أشياء:

أحدها: أنَّها فانية شاغلة للقلوب عن التفكر في أمر اللَّه تعالى.

٢٠٣أ والثاني: أَنَّها تنقص عند اللَّه/ درجات من ركن إليها.

والثالث: أَنَّ تركها قربة من اللَّه تعالى وعلُوُّ مرتبة عنده في درجات الآخرة.

والرابع: طول الحبس والوقوف في القيامة للحساب والسؤال عن شكر النعيم.

والخامس: رضوان اللَّه تعالى والأمن من سخطه، وهو أكبرها؛ قال اللَّه عز وجل: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢] قال ابن الفاكهاني: ولو لم يكن في الزهد في الدنيا إلاَّ هذه الخصلة التي هي رضوانُ اللَّه تعالى ـ لكان ذلك كافياً ـ، فنعوذ باللَّه من إيثار الدنيا على ذلك، وقد قيل: من سُمِّيَ باسم الزهد فقد سُمِّيَ بألف اسم ممدوح، هذا مع ما للزاهدين من راحة القلب والبدن في الدنيا والآخرة، فالزُّهَّادُ هم الملوك في الحقيقة، وهم العقلاء؛ لإيثارهم الباقي على الفاني، وقد قال الشافعية: لو أوصى لأعْقَل الناس صُرِفَ إلى الزهاد، انتهى من «**شرح الأربعين حديثاً**»، ولفظ أبي الحسن الماوردِيِّ: وقد قيل: العاقل مَنْ عقل من اللَّه أمره ونهيه حتَّى قال أصحاب الشافعيِّ فيمن أوصى بثلث ماله: لأَعْقَلِ الناس أَنَّه يكون مصروفاً للزُّهَّادِ؛ لأنهم انقادوا للعقل، ولم يغتروا بالأمل، انتهى، والأَسْر الخلقة واتساق الأعضاء والمفاصل، وعبارة البخاريِّ: ﴿أسرهم﴾: شِدَّةُ الخلق، وكل شيء شددته من قتب أو غبيط فهو مأسور، والغبيط شيء يركبه النساء شبه المحفة، انتهى؛ قال * ع[2] *: ومن اللفظة: الإِسارُ، وهو القيد الذي يُشَدُّ به الأسير، ثم تَوَعَّدَهُم سبحانه بالتبديل، وفي الوعيد بالتبديل احتجاج على مُنْكِرِي البعث، أي: مَنْ هذه قدرته في الإِيجاد والتبديل فكيف تتعذر عليه الإِعادة؟!.

٢٠٣ب وقال الثعلبيُّ: ﴿بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً﴾ قال ابن عباس: يقول: أهلكناهم،/ وجئنا بأطوعَ للَّهِ منهم، انتهى[3].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٥/ ٤١٥).

(٣) ذكره القرطبي (١٩/ ٩٩).

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾ القول فيها كالتي في سورة المزمل.

وقوله سبحانه: ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾ كلام واضح لا يفتقر إلى تفسير، جعلنا اللَّه ممن اهتدى بأنواره، وعَمَّتْ عليه بركتُه في أفعاله وأقواله؛ قال الباجِيُّ: قال بعض أهل داود الطائيِّ: قلت له يوماً: إنَّك قد عرفت فأوصني، قال: فَدَمِعَتْ عيناه ثم قال: يا أخي، إنَّما الليلُ والنهار مراحلُ يرحلُها الناس مرحلةً مرحلةً، حَتَّى تنتهي بهم إلى آخر سفرهم، فإنِ استطعت أَنْ تُقَدِّمَ من أَوَّلِ مرحلة زاداً لما بين يديك فافعل؛ فإنَّ انقطاع السفر قريب، والأمر أعجل من ذلك؛ فتزوَّدْ لسفرك، واقْضِ ما أنت قاضٍ من أمرك، فكأنَّ بالأمر قد بَغَتَكَ، ثم قام وتركني، انتهى من «**سنن الصالحين**».

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾: نفي لقدرتهم على الاختراع وإيجاد المعاني في نفوسهم، ولا يَرُدُّ هذا وجود مالهم من الاكتساب، **وقرأ** عبد اللَّه[1]: «وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ».

وقوله تعالى: ﴿عَلِيماً حَكِيماً﴾ معناه: يعلم ما ينبغي أَنْ ييسر عبدَه إليه، وفي ذلك حكمة لا يعلمها إلاَّ هو سبحانه.

---

(١) ينظر: «**الشواذ**» ص: (١٦٧)، و«**الكشاف**» (٤/ ٦٧٦)، و«**المحرر الوجيز**» (٥/ ٤١٥)، و«**البحر المحيط**» (٨/ ٣٩٣).

[تَفْسِيرُ] سُورَةِ «الْمُرْسَلاَتِ»

[وَهِيَ] مَكِّيَّةٌ في قَوْلِ الجُمْهُورِ

وقيل: فيها من المدني قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لاَ يَرْكَعُونَ﴾ قال ابن مسعود: نزلت هذه السورة ونحن مع النبي ﷺ بِحَرَاء... الحديث[1].

[بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ]

﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلاَتِ عُرْفاً﴾ يعني: الرياح يَتْبَعُ بعضُها بعضاً، قاله ابن عباس، وابن مسعود، ومجاهد، وقتادة[2]، وقيل: المرسلات: الملائكة، وقيل: جماعات الأنبياء، و﴿عرفاً﴾ معناه: إفضالاً من اللَّه تعالى، ويحتمل أنْ يريدَ بقوله: ﴿عرفاً﴾ أي: متتابعةً، ويحتمل أنْ يريد/ بالأمر المعروف، ويحتمل أنْ يكونَ ﴿عرفاً﴾ بمعنى، والمرسلات: الرياح التي يعرفها الناس ويعهدونها، ثم عَقَّبَ بذكر الصنف الضَّارِّ منها، وهي العاصفات الشديدة القاصفة للشجر وغيره، واخْتُلِفَ في قوله: ﴿والنَّاشِرَاتِ﴾ فقال ابن مسعود، والحسن، ومجاهد، وقتادة: هي الرياح تَنْشُرُ رحمة اللَّه ومطره[3]، وقيل: الملائكة، وقيل غير هذا، والفارقات قال ابن عباس وغيره: هي الملائكة تَفْرُقُ بين الحَقِّ

١٢٠٤أ

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/٤١٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/٤٩١)، وعزاه للحاكم، وصححه ابن مردويه عن ابن مسعود بنحوه.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/٣٧٧)، رقم: (٣٥٨٨٠ ـ ٣٥٨٨١ ـ ٣٥٨٨٢ ـ ٣٥٨٨٣، ٣٥٨٨٥، ٣٥٨٨٨)، وذكره ابن عطية (٥/٤١٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/٤٩٢)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن أبي العبيدين عن ابن مسعود، وعزاه لابن جرير عن ابن عباس، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عن قتادة بنحوه.

(٣) أخرجه الطبري (١٢/٣٨٠)، رقم: (٣٥٩١٠، ٣٥٩١٤، ٣٥٩١٧)، وذكره البغوي (٤/٤٣٢)، وابن عطية (٥/٤١٧).

والباطل والحلال والحرام[١]، وقيل: هي آيات القرآن، وأمَّا الملقيات ذكراً فهي في قول الجمهور الملائكة، وقال آخرون: هي الرسل، والذكر: الكتب المُنَزَّلَةُ والشرائع ومضمناتها، والمعنى: أنَّ الذكر يلقى بإعذار وإنذار.

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ۝٨ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ۝١١ لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۝١٢ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ۝١٣ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۝١٤ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٥﴾

وقوله تعالى: ﴿إِنَّما تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾ هو الجواب الذي وقع عليه القَسَمُ، والإشارة إلى البعث وأحوال القيامة، والطَّمْسُ محو الأثر، فطمس النجوم: ذَهَابُ ضوءها، وفرج السماء: هو بانفطارها وانشقاقها.

﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ أي: جُمِعَتْ لميقاتِ يوم معلوم، **وقرأ** أبو عمرو وحده[٢]: «وُقِّتَتْ» والواو هي الأصل؛ لأنَّها من الوقت، والهمزة بدل؛ قال الفَرَّاءُ: كل واو انضمت وكانت ضمتها لازمة، جاز أنْ تُبْدَلَ منها همزة، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿لأَيِّ يَوْم أُجِّلَتْ﴾ تعجيب وتوقيف على عِظَمِ ذلك اليوم وهوله، ثم فسر ذلك بقوله: ﴿لِيَوْم الفَصْلِ﴾ يعني: بين الخلق في منازعتهم وحسابهم ومنازلهم من جنة أو نار، ومن هذه الآية انتزع القضاة الآجالَ في الحكومات؛ ليقعَ فصل القضاء عند تمامها، ثم عَظَّمَ تعالى يومَ الفصل بقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ على نحو قوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة: ٣] وغير ذلك، ثم أثبت الويل لِلْمُكَذِّبِينَ، والويل: هو الحرب والحزن على نوائب تحدث بالمرء، ويُرْوَى أنَّه وادٍ في جهنم.

﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٦ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ۝١٧ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ۝١٨ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٩ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٢٠ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝٢١ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝٢٢ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ۝٢٣ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٢٤ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ۝٢٥ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ۝٢٦ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ۝٢٧ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٢٨ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝٢٩ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ۝٣٠ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ۝٣١ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ۝٣٢ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ۝٣٣ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٣٤ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۝٣٥ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٨١)، رقم: (٣٥٩٢٥) بنحوه، وذكره البغوي (٤/ ٤٣٢)، وابن عطية (٥/ ٤١٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٩٢)، وعزاه لابن المنذر عن ابن عباس.

(٢) ينظر: «السبعة» (٦٦٦)، و«الحجة» (٦/ ٣٦٤)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٤٢٨)، و«معاني القراءات» (٣/ ١١٢)، و«شرح الطيبة» (٦/ ٩٢)، و«العنوان» (٢٠٢)، و«حجة القراءات» (٧٤٢)، و«شرح شعلة» (٦١٧)، و«إتحاف» (٢/ ٥٨٠).

﴿٣٦ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ٣٧﴾

٢٠٤ ب وقوله عز وجل: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الأَوَّلِينَ * ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الآخِرِينَ...﴾/ الآية، قرأ الجمهور: «نُتْبِعُهُمُ» - بضم العين - على استئناف الخبر، ورُوِيَ عن أبي[1] عمرو: «نُتْبِعْهُمُ» بجزم العين؛ عطفاً على «نهلك» وهي قراءة الأعرج، فَمَنْ قرأ الأولى جعل الأولين الأُمَمَ التي تقدمت قريشاً بأجمعها، ثم أخبر أَنَّهُ يتبع الآخرين من قريش وغيرهم سنن أولئك إذا كفروا وسلكوا سبيلهم، ومَنْ قرأ الثانية جعل الأَوَّلِينَ قومَ نوح وإبراهيمَ ومَنْ كان معهم، والآخرين قوم فرعونَ وكُلَّ مَنْ تأخَّرَ وقَرُبَ من مُدَّةِ النبي ﷺ ثم قال: ﴿كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ أي: في المستقبل، فيدخل هنا قريش وغيرها، وأمَّا تكرار قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ في هذه السورة فقيل: ذلك لمعنى التأكيد فقط، وقيل: بل في كل آية منها ما يقتضي التصديقَ، فجاء الوعيد على التكذيب بذلك الذي في الآية، والماء المهين: معناه الضعيف، والقرار المكين: الرَّحِمُ وبَطْنُ المرأة، والقدر[2] المعلوم: هو وقت الولادة [ومعناه] معلوم عند اللَّه، وقرأ نافع والكسائيُّ: «فَقَدَّرْنَا» - بتشديد الدال -، والباقون بتخفيفها، وهما بمعنى من القدرة والقدر ومن التقدير والتوقيت.

* ت *: وفي كلام * ع *: تلفيف، وقال غيره: فَقَدَّرْنَا بالتشديد من التقدير وبالتخفيف من القدرة، وهو حسن.

وقوله: ﴿القادرون﴾ يُرَجِّحُ قراءة الجماعة إلاَّ أَنَّ ابن مسعود رَوَى عنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ فَسَّرَ «القادرون» بالمقدرين، والكِفَاتُ: الستر والوعاء الجامع للشيء بإجماع؛ تقول: كفت الرجلُ شعره إذا جمعه بخرقة، والأرضُ تكفت الأحياءَ على ظهرها، وتكفِتُ الأموات في بطنها، وخَرَجَ الشَّعْبِيُّ إلى جنازة فنظر إلى الجبَّانة فقال: هذه كفات الموتى، ثم نظر إلى البيوت فقال: وهذه كفات الأحياء.

٢٠٥ أ قال/ * ع[3] *: ولما كان القبر كفاتاً كالبيت، قُطِعَ من سَرَقَ منه، والرواسي: الجبال، والشوامخ: المرتفعة، والفرات: الصافي العَذْبُ، والضمير في قوله: ﴿انْطَلِقُوا﴾

---

(١) وقرأ بها الأعرج كما في «المحتسب» (٢/ ٣٤٦).
وينظر: «مختصر الشواذ» ص: (١٦٧)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٤١٨)، و«البحر المحيط» (٨/ ٣٩٧)، و«الدر المصون» (٦/ ٤٥٦).

(٢) ينظر: «السبعة» (٦٦٦)، و«الحجة» (٦/ ٣٦٥)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٤٢٨)، و«شرح الطيبة» (٦/ ٩٣)، و«العنوان» (٢٠٢)، و«حجة القراءات» (٧٤٣)، و«شرح شعلة» (٦١٧)، و«إتحاف» (٢/ ٥٨١).

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٤١٩).

هو للمُكَذِّبِينَ الذين لهم الويل، ثم بَيَّنَ المُنْطَلَقَ إليه؛ قال عطاء: الظل الذي له ثلاث شعب هو دُخَانُ جهنم[١]، وقال ابن عباس: هذه المخاطبة تقال يومئذ لِعَبَدَةِ الصليب[٢] إذا اتَّبَعَ كُلُّ أحد ما كان يعبد، فيكون المؤمنون في ظل اللَّه ولا ظل إلاَّ ظله، ويقال لعَبَدَةِ الصليب: انطلقوا إلى ظِلِّ معبودكم، وهو الصليب له ثلاث شعب، ثم نفى تعالى عنه محاسن الظل، والضميرُ في ﴿إِنَّهَا﴾ لجهنم ﴿تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ أي: مثل القصور من البنيان؛ قاله ابن عباس وجماعة من المفسرين[٣]، وقال ابن عباس أيضاً: القصر خشب كُنَّا في الجاهلية نَدَّخِرُه للشتاء[٤]، **وقرأ** ابن عباس[٥]: «كالْقَصَر» ـ بفتح الصاد ـ جمع قَصَرَةٍ وهي أعناق النخل والإبل، وقال ابن عباس: جذور النخل[٦]، واخْتُلِفَ في الجَمَالاَتِ: فقال جمهور من المفسرين: هي جمع جِمَالٍ؛ كرجال ورِجالات، وقال آخرون: أراد بالصُّفْرِ السود، وقال جمهور الناس: بل الصفر: الفاقعة؛ لأنَّها أشبه بلون الشَّرَرِ، وقال ابن عباس: الجمالات: حبال السفن، وهي الحبال العظام إذا جُمِعَتْ مستديرةً بعضها إلى بعض[٧]، **وقرأ** ابن عباس[٨]: «جُمَالَةٌ» ـ بضم الجيم ـ من الجملة لا من الجمل، ثم

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٤١٩).

(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٤١٩ ـ ٤٢٠).

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٨٧ ـ ٣٨٨)، رقم: (٣٥٩٦٣ ـ ٣٥٩٦٤ ـ ٣٥٩٦٥)، وذكره البغوي (٤/ ٤٣٤)، وابن عطية (٥/ ٤٢٠).

(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٨٨)، رقم: (٣٥٩٦٦)، وذكره البغوي (٤/ ٤٣٤)، وابن عطية (٥/ ٤٢٠)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٦/ ٤٩٥)، وعزاه لعبد الرزاق، والفريابي، والبخاري، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن مردويه، والحاكم عن عبد الرحمٰن بن عابس عن ابن عباس بنحوه.

(٥) وقرأ بها سعيد بن جبير.
ينظر: **«مختصر الشواذ»** ص: (١٦٧)، و**«المحتسب»** (٢/ ٣٤٦)، و**«المحرر الوجيز»** (٥/ ٤٢٠)، و**«البحر المحيط»** (٨/ ٣٩٨)، وزاد نسبتها إلى مجاهد، والحسن، وابن مقسم. وهي في **«الدر المصون»** (٦/ ٤٥٨).

(٦) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٨٨)، رقم (٣٥٩٧١)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٢٠)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٦/ ٤٩٥)، وعزاه لسعيد بن منصور عن ابن عباس بنحوه.

(٧) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٩٠)، رقم: (٣٥٩٨٣ ـ ٣٥٩٨٤ ـ ٣٥٩٨٥)، وذكره البغوي (٤/ ٤٣٥)، وابن عطية (٥/ ٤٢٠)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٦/ ٤٩٤)، وعزاه لعبد الرزاق، والفريابي، والبخاري، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن مردويه، والحاكم عن عبد الرحمٰن بن عابس عن ابن عباس بنحوه.

(٨) وقرأ بها أبو حيوة، والسلمي، والأعمش، وأبو بحرية، وابن أبي عبلة، ورويس.
ينظر: **«مختصر الشواذ»** ص: (١٦٧)، و**«المحرر الوجيز»** (٥/ ٤٢٠)، و**«البحر المحيط»** (٨/ ٣٩٨)، و**«المحتسب»** (٢/ ٣٤٧)، و**«الدر المصون»** (٦/ ٤٥٩).

م خاطب تعالى نبيه ـ عليه السلام ـ بقوله: ﴿هَذَا يوم لا ينطقون. . .﴾ الآية، وهذا في موطنٍ خاص إذ يومُ القيامَة هو مواطِنُ.

﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿هذا يوم الفصل جمعناكم. . .﴾ مخاطبةٌ للكفار يومئذ، ثم وقَفَهُمْ بقوله: ﴿فإن كان لكم كيد فكيدون﴾ أي: إنْ كَان لَكم حيلةٌ أو مكيدَةٌ تُنْجيكم فافعلوها، ثم ذَكر سبحانه حالةَ المتقينَ وما أعَدَّ لهم، والظلالُ في الجنة: عبارةٌ عن/ تَكَاثُفِ الأَشْجَارِ وجَوْدَة المباني وإلاَّ فلاَ شَمْسَ تؤذي هناكَ حتى يكونَ ظلٌ يُجِيرُ مِنْ حَرِّها. ٢٠٥ ب

﴿كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿كلوا وتمتعوا﴾ استئنافُ خطابٍ لقريشٍ على معنى: قل لهم يا محمد، وهذه صيغةُ أمْر معناها التهديدُ والوَعيدُ، ومن جعل هذه الآيةَ مدنيةً قَالَ هي في المنافقِينَ.

وقوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون﴾ قال قتادة والجمهور[1]، هذه حالُ كفارِ قريشٍ في الدنيا؛ يَدْعُوهم النَّبيُّ ﷺ فلا يُجِيبُونَ، وذِكْرُ الرُّكُوعِ عبارةٌ عن جميعِ الصلاةِ، وقيلَ: هي حكايةُ حَالِ المنافِقِينَ في الآخرةِ يَوْمَ يُدْعَوْنَ إلى السجودِ فلا يَسْتَطِيعونَ؛ على ما تقدَّم؛ قاله ابنُ عَبَّاس وغيره[2].

وقوله تعالى: ﴿فبأي حديث بعده يؤمنون﴾ يؤيدُ أن الآيةَ كلَّها في قريشٍ، والمرادُ بالحديثِ هنا: القرآن، ورُوِيَ عَنْ يعقوبَ[3] أنه **قرأ**: «تُؤْمِنُونَ» بالتاء مِنْ فَوْقِ عَلى المواجهَة، ورُويتْ عَن ابْن عامر.

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٤٢١).

(٢) ينظر: المصدر السابق.

(٣) ورويت عن ابن عامر.

ينظر: **«مختصر الشواذ»** ص: (١٦٧)، و**«المحرر الوجيز»** (٥/ ٤٢٢).

تَفسِيرُ سُورَةِ النبأ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ بِإِجْمَاعٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣﴾

قوله عز وجل: ﴿عم يتساءلون﴾ أصل «عم»: «عَنْ مَا» ثُمَّ أُدْغمتِ النونُ بَعْدَ قَلْبِهَا [في الميم لاشْتِرَاكِهِما في الغُنَّة] فبقي «عما» في الخبرِ وفي الاستفهام، ثم حذفوا الألفَ في الاستفهامِ فرقاً بينَه وبين الخبر، ثم مِنَ العرب مَنْ يخففُ الميم فيقول: «عَمْ»، وهذا الاستفهامُ بـ«عم» استفهامُ توقيفٍ وتعجيبٍ، و﴿النبإ العظيم﴾ قال ابن عباس وقتادة: هو الشَّرعُ الذي جاء به محمد ﷺ[1]، وقال مجاهد: هو القرآن[2] خاصةً، وقال قتادة أيضاً: هو البعثُ من القبور[3]، والضميرُ في: ﴿يتساءلون﴾ لكفارِ قريشٍ ومن نَحا نَحْوَهم، وأكْثَر النحاة أن قوله: ﴿عن النبإ العظيم﴾ متعلقٌ بـ﴿يتساءلون﴾، وقال الزجاج: الكلام تامٌّ في قوله: ﴿عم يتساءلون﴾ ثُمَّ كان مقتضَى القولِ/ أن يجيبَ مجيبٌ فيقول: يتساءلونَ عن النبأ ٢٠٦أ العظيم، وله أمثلة في القرآن اقتضَاها إيجازُ القرآن وبلاغتُه، واختلافُهم هو شكُّ بعضٍ وتكذيبُ بعضٍ، وقولهُم: سِحْرٌ وكهانةٌ إلى غير ذلك من باطلِهم.

﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧﴾

وقوله تعالى: ﴿كلا سيعلمون﴾ رَدّ على الكفارِ في تكذيبِهم ووعيدٌ لهم في المستقبلِ، وكَرَّرَ عليهمُ الزَّجْرَ والوعيدَ تأكيداً، والمعنى: سيعلمون عاقبةَ تكذيبِهم،، ثم وقفَهُم تعالى ودَلَّهم على آياتِه، وغرائبِ مخلوقاتِه، وقدرته التي تُوجِبُ للناظرِ فيها؛ الإقْرَارَ بالبعثِ والإيمانَ باللَّه تعالى، * ت *: وفي ضِمْنِ ذلكَ تَعْدِيدُ نِعَمِهِ سبحانه التي يجب

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٤٢٣).

(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٤٢٣)، والبغوي (٤/ ٤٣٦)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٦٢)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٩٨) بنحوه.

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٩٦)، (٣٦٠٠٠)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٢٣)، والبغوي (٤/ ٤٣٦)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٦٢).

شُكْرُها، والمِهادَ: الفراشُ المُمَهَّدُ، وشَبَّه الجبالَ بالأوتادِ؛ لأنها تَمْنَعُ الأرضَ أن تَمِيد بهم.

﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾﴾

﴿وخلقناكم أزواجاً﴾ أي: أنواعاً، والسُّبَاتُ: السُّكُونُ، وسَبَتَ الرجلُ: معناه استراحَ، ورُوِّينَا في **«سنن أبي داودَ»** عن معاذِ بن جبلٍ عن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَبِيتُ عَلَى ذِكْرِ [اللَّهِ] طَاهِراً فَيَتَعَارُّ مِنَ الليلِ، فَيَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى خَيْراً مِنْ أُمُورِ الدنيا والآخِرَةِ إلاَّ أعطَاهُ اللَّه إياه»؛ ورَوَى أبو داودَ عن بعضِ آلِ أم سلمةَ قال: كان فراشُ النبي ﷺ نحواً مِمَّا يوضَعُ الإنْسَانُ في قبره، وكانَ المسجدُ عِنْدَ رأْسِهِ، انتهى، و﴿لِباساً﴾ مصدرٌ، وكأنَّ الليلَ كذلكَ مِنْ حيثُ يَغْشَى الأشْخَاصَ، فهي تَلْبِسُه وَتتدَرعُه، و﴿النهار معاشاً﴾ على حذفِ مضافٍ، أو على النَّسَبِ، والسبعُ الشدادُ: السمواتُ، والسراجُ: الشمسُ، والوهَّاج: الحارُّ المضْطَرِمُ الاتِّقادِ المُتَعَالِي اللهبِ، قالَ ابن عباس وغيره: ﴿المُعْصِرَاتِ﴾ السحائب القاطِرة[1]، وهو مَأْخوذٌ مِن العَصْرِ؛ لأن السَحابَ يَنْعَصِرُ فيخرج/ منه الماءُ، وهذا قول الجمهور، والثَّجَاج: السريعُ الاندفاع، كما يَنْدَفِع الدمُ مِنْ عروقِ الذبيحةِ، ومنه قوله ﷺ وَقَدْ قِيلَ له ما أفْضَلُ الحَجِّ؟ فقال: «العَجُّ والثَّجُّ»[2] أرادَ التَّضَرُّعَ إلى اللَّهِ تعالى بالدعاءِ

٢٠٦ ب

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٩٩) (٣٦٠٢٢)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٢٤)، والبغوي (٤/ ٤٣٧)، وابن كثير في **«تفسيره»** (٤/ ٤٦٢) بنحوه.

(٢) أخرجه الترمذي (٣/ ١٨٠)، كتاب «الحج» باب: ما جاء في فضل التلبية والنحر. (٨٢٧)، وابن ماجه (٢/ ٩٧٥)، كتاب «المناسك» باب: رفع الصوت بالتلبية (٢٩٢٤)، والبيهقي (٥/ ٤٢ ـ ٤٣)، كتاب «الحج» باب: رفع الصوت بالتلبية، والحاكم في **«المستدرك»** (١/ ٤٥٠ ـ ٤٥١) عن أبي بكر الصديق.
قال الترمذي: حديث أبي بكر حديث غريب لا نعرفه.
قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.
وفي الباب من حديث عبد الله بن عمر: أخرجه الترمذي (٥/ ٢٢٥)، كتاب «تفسير القرآن» باب: ومن سورة آل عمران رقم: (٢٩٩٨)، وابن ماجه (٢/ ٩٦٧)، كتاب «المناسك» باب: ما يوجب الحج، رقم: (٢٨٩٦)، والدارقطني (٢/ ٢١٧)، كتاب «الحج» رقم: (١٠)، والبيهقي في **«الكبرى»** (٤/ ٣٣٠)، كتاب «الحج» باب: الرجل يطيق المشي.
قال الترمذي: هذا حديث لا نعرفه من حديث ابن عمر إلا من حديث إبراهيم بن يزيد الخوزي المكي، وقد تكلم بعض أهل الحديث في يزيد من قبل حفظه.

الجَهيرِ، وذَبْحِ الهَدْيِ، و﴿ألفافاً﴾ أي: مُلْتَفَّةَ الأغْصَانِ والأوراقِ، و﴿يوم الفصل﴾ هُو يوم القيامةِ، والأفواجُ: الجماعاتُ، يتلو بعضُها بعضاً، «وفُتِحَتِ السماء» بتشديد التَّاء قراءةُ نافعٍ وأبي عمرٍو وابن كثير وابن عامر، والباقون دون تشديد[1].

وقوله تعالى: ﴿فكانت أبواباً﴾ قيل معناه: تَتَشَقَّقُ حتَى يكونَ فيها فُتُوحٌ كالأَبوابِ في الجدرات، وقيل: إنها تتقطعُ السماء قِطَعاً صغاراً حتى تكونَ كألواح الأبواب، والقولُ الأول أحسَنُ، وقد قال بعض أهل العلم: تَنْفَتِح في السماء أبواب للملائِكَةِ من حيثُ ينزلونَ ويصعَدون.

وقوله تعالى: ﴿فكانت سراباً﴾ عبارةٌ عَنْ تَلاشِيها بعد كونها هباءً مُنْبَثًّا، و﴿مرصادا﴾: مَوْضع الرصدِ، وقيل: ﴿مرصاداً﴾ بمعنى رَاصِدٍ، والأحقاب: جمع حُقُبٍ وهي المدةُ الطويلةُ من الدهر غيرَ محدودة، وقال ابن عباس وابن عمر الحُقُبُ: ثمانونَ سنةٍ[2]. وقال أبو أمامة عن النبي ﷺ أنه ثلاثون ألف سَنَة، وقد أكثر الناسُ في هذا، واللازمُ أنّ اللّه تعالى أخبرَ عن الكفارِ أنهم يلبثُونَ أحْقَاباً، كلما مَرَّ حُقْبٌ جَاءَ غيره إلى غير نهاية، نجانا اللّه من سَخَطِه، قال الحسنُ: ليسَ للأحْقَابِ عِدَّةٌ إلا الخلودُ في النار[3].

﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَـٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَـٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿لا يذوقون فيها برداً...﴾ الآية، قال الجمهورُ: البَرْدُ في الآية مَسُّ الهَوَاءِ البَارِدِ، أي: لا يمسُّهم منه مَا يُسْتَلَذُّ، وقال أبو عبيدة وغيره: البردُ في الآية النوم[4]،

---

(١) ينظر: «السبعة» (٦٦٨)، و«الحجة» (٦/ ٣٦٨)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٤٣١)، و«معاني القراءات» (٦/ ١١٦)، و«العنوان» (٢٠٢)، و«حجة القراءات» (٧٤٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» (٢/ ٥٨٣).

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٠٤) (٣٦٠٥٣) عن ابن عباس، وذكره ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٦٣)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٠٢) عن أبي هريرة، وعبد اللّه بن عمرو، وابن عباس.

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٠٥) (٣٦٠٥٨)، وذكره البغوي (٤/ ٤٣٨)، وابن عطية (٥/ ٤٢٦)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٦٤).

(٤) ذكره البغوي (٤/ ٤٣٨)، وابن عطية (٥/ ٤٢٦)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٦٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٠٣).

١٢٠٧أ والعَرَبُ تُسَمِّيه/ بذلكَ لأنَّه يُبَرِّدُ سورَةَ العَطَشِ، وقال ابن عباس: البردُ الشرابُ البارد المستلذّ[١]، وقال قتادة وجماعة: الغَسَّاقُ: هو ما يسيل من أجْسَامِ أهل النارِ من صديدٍ ونحوِه[٢].

وقوله تعالى: ﴿وفاقاً﴾ معناه لأعمالِهم وكفرِهم، و﴿لا يرجون﴾ قال أبو عبيدَة وغيره معناه: لا يَخافُونَ، وقال غيره: الرجاء هنا على بابه[٣]، و﴿كذاباً﴾ مصدرٌ، لغةٌ فصيحةٌ يَمَانِيَّة، وعن ابن عمرَ قال: ما نَزَلَتْ في أهل النار آية أشدَ مِن قوله تعالى: ﴿فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً﴾[٤] ورواه أبو هريرةَ عن النبي ﷺ، والحدائقُ: هي البساتينُ علَيها حَلَقٌ وحظائرُ وجدرات، في البخاريِّ: ﴿وكواعب﴾ أي: نَوَاهد، انتهى، والدِّهَاقُ: المُتْرَعَة؛ فيما قال الجمهورُ، وقيل: الصافيةُ، وقال مجاهد: متتابعةٌ[٥]، وعبارة البخاريِّ وقال ابن عباس: ﴿دهاقاً﴾: ممتلِئة، انتهى[٦]، و﴿كذّاباً﴾: مصدرٌ وهو الكَذِبُ.

وقوله: ﴿عطاء حساباً﴾ أي: كَافِياً؛ قاله الجمهور من قولهم، أحْسَبَنِي هذَا الأمْرُ، أي: كَفَاني، ومنه حَسْبِي اللَّهُ، وقال مجاهد: ﴿حساباً﴾ معناه: بتَقْسِيطٍ، فالحِسَابُ على هذا بمَوازنةِ أعمالِ القَومِ؛ إذ منهم المُكْثِرُ مِنَ الأعمال، والمُقِلُّ ولكلٍ بحسْبِ عملِهِ[٧].

وقوله تعالى: ﴿لا يملكون﴾ الضميرُ للكفارِ، أي: لاَ يَمْلِكُونَ منْ أفضالِهِ وإجماله سبحانه أنْ يخاطبوه بمعذرةٍ ولا غيرها؛ وهذا أيضاً في موطنٍ خاصٍّ.

﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٤٢٧).

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٠٦) (٣٦٠٦٩)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٢٧)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٦٤) بنحوه.

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٠٩) (٣٦٠٩١) عن قتادة، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٢٧).

(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ٤١٠) (٣٦٠٩٤) بنحوه عن عبد الله بن عمرو، وذكره ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٦٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٠٤)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه عن الحسن بن دينار.

(٥) أخرجه الطبري (١٢/ ٤١٢) (٣٦١٢١)، وذكره البغوي (٤/ ٤٣٨)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٦٥)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٠٥)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير عن مجاهد.

(٦) أخرجه الطبري (١٢/ ٤١١) (٣٦١٠٩)، وذكره البغوي (٤/ ٤٣٩)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٦٥)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٠٥)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عن ابن عباس.

(٧) أخرجه الطبري (١٢/ ٤١٣) (٣٦١٢٦)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٢٨).

ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَـٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَـٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾ ﴾

وقوله تعالى: ﴿يوم يقوم الروح﴾ اخْتُلِفَ في الرُّوحِ المذكورِ هنا فقال الشعبي والضحاك: هو جبريلُ ـ عليه السلام[١] ـ؛ وقال ابن مسعودٍ: هو مَلَكٌ عظيم أكبرُ الملائكةِ خِلْقَةً يسمَى الرُّوح[٢]، وقال ابن زيد[٣]: هو القرآن، وقال مجاهدٌ: الروحُ خَلْقٌ على صورة بني آدمَ يأكلُون ويَشْرَبُونَ[٤]،/ وقالَ ابن عباس عن النبي ﷺ: «الرُّوحُ خَلْقٌ غَيْرُ المَلاَئِكَةِ هُمْ حَفَظَةٌ لِلْمَلاَئِكَةِ؛ كَمَا المَلاَئِكَةُ حَفَظَةٌ لَنَا»[٥]، وقيلَ الرُّوح اسمُ جنسٍ لأرواحِ بني آدم، والمعنى: يوم تَقُوم الأرواحُ في أجسادها إثْرَ البَعْثِ، ويكونُ الجميعُ من الإنس والملائِكَةِ صفًّا ولاَ يتكلمُ أحدٌ منهم هَيْبَةً وفَزَعاً إلا مَنْ أذنَ له الرحمنُ مِنْ مَلَكٍ أو نبي؛ وكان أهلاً أنْ يقولَ صواباً في ذلك الموطنِ، وقال البخاريُّ: ﴿صواباً﴾: حَقًّا في الدنيا وعَمِلَ به، انتهى،، وفي قوله: ﴿فمن شاء اتخذ إلى ربه مآباً﴾ وعدٌ ووعيدٌ وتحريضٌ، والعذابُ القريبُ: هو عذاب الآخرةِ، إذ كلُّ آتٍ قريبٌ، وقال أبو هريرةَ وعبدُ اللَّه بن عمر: إن اللَّه تعالى يُحْضِرُ البهائم يَومَ القيامةِ فيقتصُّ لبعضها من بعضٍ، ثم يقول لَها بَعْدَ ذلكَ: كوني تراباً فيعودُ جميعُها تراباً؛ فعند ذلك يقول الكافر: ﴿يا ليتني كنت تراباً﴾[٦]

٢٠٧ ب

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٤١٥) (٣٦١٣٦) (٣٦١٣٧)، وذكره البغوي (٤/ ٤٤٠)، وابن عطية (٥/ ٤٢٨)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٦٥)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٠٦)، وعزاه لعبد بن حميد وأبي الشيخ عن الضحاك.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٤١٥) (٣٦١٣٣)، (٣٦١٣٤) عن ابن عباس بنحوه، وذكره البغوي (٤/ ٤٤٠)، وابن عطية (٥/ ٤٢٨)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٦٥)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٠٦)، وعزاه لابن جرير.

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٤١٦) (٣٦١٤٧) عن ابن زيد عن أبيه، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٢٩)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٦٥).

(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ٤١٥) (٣٦١٣٨)، وذكره البغوي (٤/ ٤٤٠)، وابن عطية (٥/ ٤٢٩)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٦٥)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٠٥)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «الأسماء والصفات» عن مجاهد.

(٥) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٠٥)، وعزاه لابن أبي حاتم، وأبي الشيخ في «العظمة»، وابن مردويه.

(٦) أخرجه الطبري (١٢/ ٤١٨) عن عبد اللَّه بن عمرو برقم: (٣٦١٦٠)، وعن أبي هريرة برقم: (٣٦١٦١) بنحوه، وذكره البغوي (٤/ ٤٤٠) عن عبد اللَّه بن عمرو، وابن عطية (٥/ ٤٢٩)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٦٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٠٧)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر وابن أبي حاتم، والبيهقي في «البعث والنشور» عن أبي هريرة.

* قلت *: وَاعْلَمْ رحمكَ اللَّه أَني لم أقفْ على حديثٍ صحيحٍ في عَوْدِها تراباً، وقدْ نَقَلَ الشيخُ [أبُو العباسِ القَسْطَلاَّنِيُّ عن] الشيخ أبي الحكم بن أبيِ الرَّجَّالِ إنكارَ هذا القولِ، وقال: ما نُفِثَ روحُ الحياةِ في شَيْءٍ فَفَنِيَ بَعْدَ وجودِه، وقد نقَلَ الفَخْرُ هنا عن قَوْم بقاءَها وأن هذه الحيواناتِ إذا انْتَهَتْ مدةُ إعراضِها جعلَ اللَّه كلَّ ما كانَ مِنْهَا حَسَنَ الصُّورَةِ ثواباً لأهلِ الجنةِ، وما كانَ قَبيحَ الصورةِ عقاباً لأَهْلِ النارِ، انتهى، والمُعَوَّلُ عليه في هذا: النقلُ فإنْ صَحَّ فيه شيءٌ عن النبي ﷺ، وَجَبَ اعْتِقَادُه وصِيرَ إليه، وإلا فلا مدخلَ للعَقْلِ هنا، واللَّه أعلم.

[تَفسِيرُ] سُورَةِ «النَّازِعَاتِ»

/وَهِيَ مَكِّيَّةٌ بِإِجْمَاعٍ ١٢٠٨أ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ﴿٩﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿والنازعات غرقًا﴾ قال ابن عباس وابن مسعود: ﴿النازعات﴾: الملائكة، تَنْزِعُ نفوسَ بني آدم[1]، و﴿غرقاً﴾ على هذا القول إما أن يكونَ مصدراً بمعنى الإغْراقِ والمبالغةِ في الفعل، وإما أنْ يكونَ كما قال علي وابن عباس: تُغْرِقُ نفوسَ الكفرةِ في نار جهنم[2]، وقيل غيرُ هذا، واخْتُلِفَ في ﴿الناشِطات﴾ فقال ابن عباس ومجاهد: هي الملائكةُ تنشطُ النفوسَ عند الموتِ، أي: تَحُلُّها كَحَلِّ العِقَالِ، وتَنْشَطُ بأمْرِ اللَّه إلى حيثُ شَاء[3]، وقال ابن عباس أيضاً: الناشطاتُ النفوسُ المؤمِنَة تَنْشَط عند الموتِ للخروج[4]، * ت *: زاد الثعلبيُّ عنه: وذلك أنَّه ليسَ مؤمنٌ يَحْضُرُهُ الموتُ إلا عُرِضَتْ عليه الجنةُ قَبْلَ أَن يموتَ فَيَرى فيها أَشْبَاهَاً من أهلِه وأزْواجِهِ من الحُور العينِ، فَهُمْ يَدْعُونه إليها فَنَفْسُه إليهم نَشِيطَة أن تخرج فتأتيهم، انتهى، وقيل غيرُ هذا واخْتُلِف في ﴿السابحات﴾ هنا فقِيلَ: هي النجومُ، وقيل: هي الملائِكَةُ؛ لأَنَّهَا تَتَصَّرفُ في الآفاقِ بأمْرِ اللَّه، وقيلَ: هي الخيلُ، وقيل: هي السفنُ، وقيل: هي الحيتانُ ودوابُّ البَحْرِ، واللَّه أعلم، واخْتُلِفَ في

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٢٠) عن عبد اللَّه برقم (٣٦١٦٦)، وذكره البغوي (٤/ ٤٤١)، وابن عطية (٥/ ٤٣٠)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٦٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٠٨)، وعزاه لسعيد بن منصور، وابن المنذر.

(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٤٣٠)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٦٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٠٨)، وعزاه لابن أبي حاتم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس.

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٢١) عن ابن عباس، برقم: (٣٦١٧٨)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٣٠).

(٤) ذكره البغوي (٤/ ٤٤١)، وابن عطية (٥/ ٤٣١).

﴿السابقاتِ﴾، فقيلَ هي الملائكةُ، وقيل: الرياحُ[1]، وقيل: الخيلُ، وقيل: النُّجوم، وقيل: المَنايَا تَسْبِقُ الآمالَ، وأما ﴿المدبرات﴾ فَهِي الملائكة قَولاً واحداً فيما علمتُ، تدبّر الأمورَ التي سخَّرَها اللَّهُ لَها وصَرَّفَها فيها؛ كالرياحِ والسحابِ، وغير ذلك، و﴿الراجفة﴾ النفخةُ الأولى، و﴿الرادفة﴾ النفخة الأخِيرَة، وقال ابن زيد:/ ﴿الراجفةُ﴾: الموتُ، و﴿الرادفة﴾: الساعة[2]، وفي «جَامِع الترمذي» عن أُبيِّ بن كَعْبٍ قال: «كان رسولُ اللَّهِ ﷺ: إذَا ذَهَبَ ثُلُثَا اللَّيْلِ قَامَ، فَقَالَ: يَأَيُّهَا النَّاسُ، اذْكُرُوا اللَّهَ، اذْكُرُوا اللَّهَ، جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ، تَتْبَعُها الرَّادِفَةُ، جَاءَ المَوْتُ بِمَا فِيه، [جَاءَ المَوْتُ بِمَا فِيهِ]» الحديثَ[3]، قَال أبو عيسَىٰ: هذا حديثٌ حسنٌ، انْتَهَى، وقد أتى به * ع[4] * هنا وقال: إذا ذَهَبَ رُبُعُ الليل، والصوابُ ما تقدَّم، ثم أخبرَ تعالى عن قلوبٍ تَجِفُ [في] ذلكَ اليومِ، أي: تَرْتَعِدُ خوفاً وفَرَقاً من العذابِ، واخْتُلِفَ في جوابِ القسم: أين هو؟ فقال الزجاج والفراء: هو محذوفٌ دَلَّ عليهِ الظاهرُ تقديرُه: لَتُبْعَثُنَّ ونحوُه، وقال آخرونَ: هو موجودٌ في جملة قوله تعالى: ﴿يوم ترجف الراجفةُ تتبعها الرادفة * قلوب يومئذ واجفة﴾ كأنه قَال لَتَجِفَنَّ قلوبُ قومٍ يومَ كَذَا.

٢٠٨ ب

﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿يقولون أئنا لمردودون في الحافرة﴾ حكايةُ حالِهم في الدنيا، والمعنَى: هم الذينَ يقولونَ، و﴿الحافرة﴾: قال مجاهد والخليل: هي الأرضُ، حافرة بمعنى مَحْفُورَة، والمرادُ: القبورُ والمعنى: أئنا لمردُودُون أحْيَاءَ في قبورِنا؟، وقيل غير

---

(١) في د: وهي الرياح.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٢٥) (٣٦٢٠٧)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٣١).

(٣) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٣٦ ـ ٦٣٧)، كتاب «صفة القيامة» باب: (٢٣) (٢٤٥٧)، (٢/ ٤٢١)، وأحمد (٥/ ١٣٦)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٢٥٦).
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٤٣١).

هذا[١]، و﴿نخرة﴾ معناه بالية، **وقرأ** حمزة «نَاخِرَةٌ» بألف[٢]، والنَّاخِرةُ المصوَّتَةُ بالريحِ المُجَوَّفَة، وحُكِيَ عَنْ أبي عُبَيْدَة وغيره: أن الناخرةَ والنَّخِرَةَ بمعنًى واحد[٣]، وقولهم: ﴿تلك إذاً كرة خاسرة﴾ أي: إذ هي إلى النارِ لتكذيبِهم بالبعثِ، وقال الحسن: ﴿خاسرة﴾ معناه عندَهم كاذبة، أي: ليست بكائِنةٍ[٤]، ثم أخبر تعالى عن حالِ القيامةِ فقال: «إنما هي زجرة واحدة» أي: نفخةٌ في الصور، ﴿فإذا هم بالساهرة﴾ وهي أرضُ المحشر.

وقوله: ﴿هل لك إلى أن تزكى﴾ اسْتِدْعَاءٌ حسنٌ، والتزكِّي: التَّطهرُ من النَقَائِص، والتلبُّس بالفَضَائِل، ثم فَسَّر لَه موسى التزكِّي الذِي دَعَاه إليه/ بقوله: ﴿وأهديك إلى ربك فتخشى﴾ والعلمُ تابعٌ للهُدى، والخَشْيَةُ تابعةٌ للعِلْم، ﴿إنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨] ﴿والآية الكبرى﴾ العَصَا واليدُ؛ قاله مجاهد وغَيره[٥]: و﴿أدبر﴾: كِنَايَةٌ عن إعْرَاضِه، وقيل: حقيقةً قَامَ مُوَلِّيًا عن مُجَالَسَةِ موسى، ﴿فحشر﴾ أي: جمع أهل مملكتِه، وقولُ فرعونَ: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ نهايةٌ في السَّخَافَةِ والمَخْرَقَةِ، قال ابن زيد: ﴿نكال الآخرة﴾ أي: الدار الآخرة، ﴿والأولى﴾: يعني: الدنيا، أخَذَه اللَّهُ بعذابِ جهنَّمَ وبالغَرَقِ، وقيل غيرُ هذا[٦]، ثم وقفهم سبحانه مخاطبةً مِنْه تعالى للعَالَم؛ والمقصدُ الكفارُ فقال: ﴿ءأنتم أشد خلقاً...﴾ الآية، والسَّمْكُ: الارْتِفَاعُ، الثعلبي: والمعنى: أأنتم أيها المنكرونَ للبعثِ أشَدُّ خلقاً أم السَّماءُ أشد خلقاً، ثم بيَّن كَيْفَ خَلَقَها، أي: فالذي قَدِرَ على خَلْقِها قادرٌ على إحيائِكم بعدَ الموتِ، نظيره: ﴿أَوَ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ [يس: ٨١] الآية، انتهى، و﴿أغطش﴾ معناه: أظْلَمَ.

﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾﴾

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٢٧) (٣٦٢٢٢) عن مجاهد، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٣٢).

(٢) وهي قراءة عاصم في رواية أبي بكر.
ينظر: **«السبعة»** (٦٧٠ ـ ٦٧١)، و**«إعراب القراءات»** (٢/ ٤٣٥)، وزاد نسبتها إلى الكسائي، و**«معاني القراءات»** (٣/ ١١٩)، و**«حجة القراءات»** (٧٤٨)، و**«شرح الطيبة»** (٦/ ٩٧)، و**«شرح شعلة»** (٦١٨)، و**«إتحاف»** (٢/ ٥٨٥).

(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ٤٣٢).

(٤) ينظر: المصدر السابق.

(٥) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٣٢) (٣٦٢٥٧)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٣٣).

(٦) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٣٤) (٣٦٢٧٠)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٣٤).

وقوله تعالى: ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾ متوجِّه على أن اللَّهَ خلقَ الأرضَ ولم يَدْحُهَا ثم استوى إلى السَّمَاءِ وهي دُخَانُ فخلقَها، وبنَاها، ثم دَحَا الأرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ، ودَحْوُها بَسْطُها، وباقي الآية بيِّنٌ، و﴿الطامة الكبرى﴾ هي يومُ القيامة؛ قاله ابن عباس وغيره[1].

﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾

﴿فأما من طغى﴾ أي تجاوزَ الحَدَّ، ﴿وآثر الحياةَ الدنيا﴾ على الآخرةِ لتكذيبه [بالآخرةِ]، و﴿مقام ربه﴾ هو يومُ القِيَامَةِ، وإنما المرادُ مَقَامُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، و﴿الهوى﴾ هو شَهَواتُ النفسِ؛ وما جرى مَجْرَاها المذمومة.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿يسئلونك عن الساعة﴾ يعني: قريشاً، قال البخاري عن غيره: ﴿أيان مرساها﴾ متَى مُنْتَهَاهَا،/ ومُرْسَى السفينةِ حيثُ تَنْتَهِي، انتهى،، ثم قال تعالى لنبيه على جهة التوقيفِ: ﴿فيم أنت من ذكراها﴾ أي من ذِكْرِ تَحْدِيدِها ووقتِها، أي: لستَ من ذلك في شيء، إنما أنت منذر، وباقي الآيةِ بيِّنٌ، قَال الفخر[2]؛ قوله تعالى: ﴿كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها﴾ تفسيرُ هذه الآيةِ هُو كما[3] ذكرَ في قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِنْ نَّهَارٍ﴾ [الأحقاف: ٣٥] والمعنى: أن ما أنكرُوه سَيَرَوْنَه حتَّى كأنَّهُمْ كَانُوا أبداً فيهِ، وكأَنَّهُمْ لَمْ يَلْبَثُوا في الدُّنْيَا إلا ساعة من نهارٍ، يريدُ لم يلبثوا إلا عشيَّةً أو ضُحَى يومها، انتهى.

٢٠٩ ب

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٤٠) (٣٦٣١١)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٣٤)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٦٩)، والسيوطي في «الدر المنثور»، وعزاه لابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس بنحوه.

(٢) ينظر: «الفخر الرازي» (٣١/ ٤٩).

(٣) في د: ما.

تَفْسِيرُ سُورَةِ «عَبَسَ»

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ بِإِجْمَاعٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨﴾

قوله تعالى: ﴿عبس وتولى * أن جاءه الأعمى﴾ سَبَبُها: أنّ النبي ﷺ كَانَ يدعُو بعضَ صَنَادِيدِ قريشٍ ويقرأ عليه القرآن ويقول له: هل ترى بما أقولُ بأساً، فكان ذلك الرجلُ يقول: لا والدُّمَىٰ يعني الأصْنَام؛ إذ جَاء ابنُ أم مكتُوم؛ فَقَالَ: يا رسول اللَّه! اسْتَدْنِنِي وَعَلِّمْنِي مما علَّمَك اللَّهُ؛ فكان [في] ذلك كلِّه قطعٌ لحديث النبي ﷺ مع الرَّجُلِ، فلَما شَغَبَ عليه ابنُ أُم مكتوم عَبَسَ ﷺ وأعْرَضَ عنه؛ فنزلتِ الآيةُ، قال سفيانُ الثوريّ: فكَانَ بعدَ ذلك إذَا رأَى ابنَ أم مكتوم قال: مَرْحَباً بمن عَاتَبَنِي فيه ربِّي ـ عز وجل ـ وبَسَطَ له رداءَه واسْتَخْلَفَه على المدينةِ مرتّين[1]، * ت *: والكافرُ المشارُ إليه في الآيةِ هو: الوليدُ بن المغيرة؛ قاله ابنُ إسْحَاق، انتهى، ثم أكَّد تعالى عَتْبَ نبيه بقوله: ﴿أما من استغنى﴾ أي بمالِه، ﴿فأنتَ له تصدى﴾ أي: تَتَعَرَّضُ.

﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢﴾

وقوله: ﴿وهو يخشى﴾ أي: يخشَى اللَّه، ﴿فأنت عنه تلهى﴾/ أي تَشْتَغِلُ، تَقُولُ لَهِيتُ عن الشيء ألْهَى إذا اشْتَغَلْتُ عنه، ولَيْسَ من اللَّهْوِ، وهذه الآيةُ السببُ فيها هذا؛ ثم هِي بَعْدُ تَتَنَاولُ مَنْ شَارَكَهم في هذه الأوصافِ، فحمَلةُ الشَّرْعِ والعِلم مخاطبونَ بتقريبِ الضَّعِيفِ من أهلِ الخير وتقديمِه على الشريفِ العارِي من الخيرِ، مثلَ ما خُوطِبَ بهِ النبي ﷺ في هذه السورةِ، قال عياضٌ: وليسَ في قوله تعالى: ﴿عبس وتولى﴾ الآيةَ، ما يَقْتَضِي إثباتَ ذَنْبٍ للنبي ﷺ، أو أنه خَالفَ أمْرَ ربِّه سبحانه، وإنَّما في الآيةِ الإعلام بحال

٢١٠أ

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٤٤) عن قتادة وغيره (٣٦٣٢٢)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٣٦) بنحوه.

الرجلينِ، وتَوْهِين أَمْرِ الكافرِ، والإشارةُ إلى الإعراضِ عنه، انتهى، قال السهيلي: وانظرْ كيفَ نزلتِ الآيةُ بلفظِ الإخبارِ عن الغائبِ فقال: ﴿عبس وتولى﴾ ولم يقل: عَبَسْتَ وتولَّيْتَ، وهذا يُشْبِهُ حال العاتِب المُعْرِضِ، ثم أقبل عَلَيْهِ بمواجَهَةِ الخطابِ فقال: ﴿وما يدريك لعله يزكى﴾ الآية، عِلماً منه سبحانه أنَّه لَمْ يَقْصِدْ بالإعراضِ عن ابن أم مكتوم إلا الرغبةَ في الخيرُ ودخولِ ذلكَ المشركِ في الإسلام؛ إذ كان مثلُه يُسْلِم بإسلامِه بَشَرٌ كثيرٌ، فكلَّمَ نبيُّهُ حينَ ابتدأَ الكلامَ بِمَا يشبه كلامَ المُعْرِضِ عنه العاتِب له، ثم واجَهَهُ بالخطابِ تأنيساً له ـ عليه السلام ـ، انتهى، ثم قال تعالى: ﴿كَلا﴾ يا مُحَمَّدُ، ليسَ الأَمْرُ كما فعلتَ، إنَّ هٰذِهِ السُّورَةَ أو القراءةَ أو المعاتبةَ تَذْكِرَةٌ، وعبارةُ الثعلبي: إن هذه السورةَ، وقيل: هذه الموعظةَ، وقال مقاتلٌ: آياتُ القرآن[1] تذكرةٌ، أي: مَوْعِظَةٌ وتَبْصِرةٌ للخلقِ، ﴿فمن شاء ذكره﴾ أي: اتَّعظَ بآي القرآن وبما وعظتُكَ/ وأدَّبتُكَ في هذه السورةِ، انتهى. * ص *: ﴿ذكره﴾ ذكَّرَ الضمير؛ لأنَّ التذكرةَ هي الذكرُ، انتهى. ٢١٠ ب

﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿في صحف﴾ متعلقٌ بقولِهِ: ﴿إنها تذكرة﴾ وهذا يؤيد أن التذكرَة يراد بها جميعُ القرآن، والصحف هنا قيل إنه اللوحُ المحفوظُ: وقيلَ صحفُ الأنبياءِ المنزلةُ. قال ابن عبَّاسٍ: السَّفَرَةُ هم الملائِكَةُ، لأنَّهم كَتَبَةٌ يقال: سَفَرْتُ، أي: كتبتُ، ومنه السِّفْرُ، وقال ابن عباس أيضاً: الملائكةُ سَفَرةَ لأنهم يَسْفِرُونَ بينَ اللَّه وبين أنبيائه[2]، وفي البخاري: سَفَرةُ الملائكةِ [واحدُهم سَافِرٌ][3]، سَفَرَتْ أصْلَحَتْ بينهم وجُعِلَتِ الملائكةُ إذَا نَزَلَتْ بوحي اللَّه ـ عز وجل ـ وتأديته كالسَّفِيرِ الذي يُصْلِح بَيْنَ القوم، انتهى، قال * ع[4] *: ومن اللفظةِ قول الشاعر: [الوافر]

وَمَا أَدَعُ السِّفَارَةَ بَيْنَ قَوْمِي ... وَمَا أَسْعَى بِغِشٍّ إنْ مَشَيْتُ[5]

والصُّحُفُ على هذا: صحفٌ عند الملائِكة أو اللوحُ.

---

(١) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٤/ ٤٤٧).

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٤٦) (٣٦٣٣٠)، (٣٦٣٣٣)، وذكره البغوي (٤/ ٤٤٧)، وابن عطية (٥/ ٤٣٨)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٧١/)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥١٩)، وعزاه لابن أبي حاتم، وابن المنذر من طريق علي عن ابن عباس.

(٣) سقط في: د.

(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٤٣٨).

(٥) ينظر: البيت في «البحر» (٨/ ٤١٧)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٤٣٨)، والقرطبي (١٩/ ١٤١)، و«الدر المصون» (٦/ ٤٨٠)، و«فتح القدير» (٥/ ٣٨٣).

﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿قتل الإنسان ما أكفره﴾: دعاء على اسْمِ الجنسِ، وهو عُمُومٌ يرادُ به الإنسانُ الكافِرُ، ومعنى ﴿قُتِلَ﴾: أي: هو أهلٌ أنْ يُدْعَى عليْه بهذا، وقال مجاهد: ﴿قُتِلَ﴾ معناه: لُعِنَ وَهَذَا تَحَكُّمٌ * ت *: ليسَ بتحكمٍ وقد تقدم نحوُه عن غيرِ واحدٍ[1].

وقوله تعالى: ﴿ما أكفره﴾ يحتملُ معنى التعجبِ، ويحتملُ الاستفهامَ توبيخاً، وقيلَ: الآيةُ نَزَلَتْ في عُتْبَةَ بنِ أبي لهبٍ، وذلك أنَّه غَاضَبَ أبَاه فأتى النبي ﷺ فأسْلَم ثم إن أباه اسْتَصْلَحَه وأعطَاه مالاً وجهَّزَه إلى الشام، فبعث عتبةُ إلى النبي ﷺ وقال: إنِّي كافرٌ بربِّ النَّجْمِ إذَا هَوَىٰ فدعَا عليه النبي ﷺ وقالَ: «اللهمَّ ابْعَثْ عَلَيْهِ كَلْبَكَ حَتَّى يَأْكُلَهُ»، ثم إن عُتْبَةَ خَرَجَ في سفْرَةٍ/ فجاءَ الأسَدُ فأكلَه من بينْ الرُّفْقَةِ. ٢١١أ

وقوله تعالى: ﴿من أي شيء خلقه﴾ استفهامٌ على معنى التقرير على تفاهةِ الشيءِ الذي خُلِقَ الإنسانُ منه، ﴿فقدره﴾ أي جعَلَه بقَدَرٍ وَحَدٍّ معلومٍ، ﴿ثم السبيل يسره﴾ قال ابن عباس وغيره: هي سبيلُ الخُرُوجِ من بطن أمِّهِ[2]، وقال الحسنُ، ما معناه أن السبيلَ هي سبيلُ النظرِ المؤدِّي إلى الإيمانِ[3].

وقوله ﴿فأقبره﴾ معناه: أمَر أنْ يُجْعَلَ له قبرٌ، وفي ذلك تكريمٌ له؛ لِئَلاَّ يطرحَ كسائرِ الحيوان.

وقوله تعالى: ﴿ثم إذا شاء﴾ يريدُ: إذا بَلَغَ الوقتَ الذي قَدْ شاءَه؛ وهو يومُ القيامةِ، و﴿أنشره﴾ معناه: أحْيَاه.

﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿كلا لما يقض﴾ أي لم يَقْضِ ما أمره، ثم أمَرَ اللَّهُ تعالى الإنسانَ

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٤٦) (٣٦٣٣٥)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٣٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٢٠)، وعزاه لابن المنذر عن مجاهد.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٤٧)، برقم: (٣٦٣٣٧)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٣٨)، وابن كثير (٤/ ٤٧٢)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٢١)، وعزاه للعوفي عن ابن عباس.

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٤٨)، رقم: (٣٦٣٤٦)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٣٨).

بالعبرةِ والنظرِ إلى طَعامِه والدليل فيهِ وكيفَ يسَّره له بهذهِ الوَسَائِط، والحَبُّ جمعُ حَبَّةٍ ـ بفتحِ الحاءِ ـ، وهو كل ما يتخذُهُ الناسُ ويربونه، والحِبَّةُ: بكسرِ الحاءِ كُلُّ مَا يَنْبُتُ من البزُورِ لا يُحْفَلُ به، ولا هو بمتَّخَذٍ، والقَضْبُ قِيلَ هي الفِصْفِصَة وهذا عندي ضعيف؛ لأن الفِصْفِصَةَ للبهائِم وهي داخلةٌ في الأبِّ؛ والذي أَقول به أن القضْبَ هنا هو كلُّ ما يقْضَبُ ليأكُلَه ابنُ آدم غَضًّا من النباتِ كالبقُولِ والهِلْيونِ ونحوه؛ فَإنَّه من المَطْعُوم جِزءٌ عظيمٌ ولاَ ذِكْرَ له في الآية إلاَّ في هذه اللفظةِ، والحديقةُ: الشجَرُ الذي قد أُحْدِقَ بجدار ونحوِه، والغُلْبُ: الغِلاظُ الناعِمَةُ، والأبُّ المَرْعَى والكلأ؛ قاله ابن عباس وغيره[1]، وقد توقَّفَ في تفسيرِه أبو بكرٍ وعمرُ ـ رضي اللَّه عنهما[2] ـ و﴿متاعاً﴾: نصْبٌ على المصدرِ، والمعنى: تَتَمَتَّعُونَ به أنتم وأنعامُكم؛ فابن آدم في السَّبْعَةِ المذكورةِ، والأنْعَامُ في الأبِّ، ٢١١ ب و﴿الصآخة﴾: اسمٌ من أسماءِ يوم/ القيامة. * ص *: قالَ الخليلُ: الصَّاخَّةُ صَيْحَةٌ تَصُخُّ الآذانَ صَخًّا، أي: تُصِمُّها لشدةِ وقْعَتِها، انتهى.

﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿يوم يفر المرء من أخيه﴾ الآية، قال جمهورُ الناس: إنما ذلكَ لشدةِ الهَوْلِ كلٌّ يقولُ نَفْسِي نَفْسِي، وقيل: فرارُهم خوفاً من المُطَالَبَاتِ، ﴿لكلِ امْرِىءٍ منهم يومئذ شأن يغنيه﴾ عن اللقاءِ معَ غيرِه، ثم ذكر تعالى اختلافَ الوجوهِ من المؤمنينَ الواثقين برحمةِ اللَّه؛ حين بَدَتْ لهم تباشيرُها، ومن الكفارِ حينَ عَلاَها قَتَرُهَا، و﴿مسفرة﴾ معناه: نَيِّرةٌ بادٍ ضَوْءُهَا وسرورُها، والغَبَرَة التي على الكفرة: هي من العُبُوسِ كما يُرَى على وجهِ المهمومِ والميِّتِ والمرِيض شبهُ الغُبَارِ، * ص *: والقَتَرُ سوادٌ كالدُّخَانِ، قال أبو عبيدةَ: هو الغُبار، انتهى، ثم فسَّرَ سبحانَه أصحابَ هذهِ الوجوهِ المُغْبَرَّةِ بأنهم ﴿الكفرةُ الفجرةُ﴾.

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٥٢) (٣٦٣٧٥)، وذكره ابن كثير (٤/ ٤٧٣)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٢١)، وعزاه للعوفي عن ابن عباس.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٥١)، رقم: (٣٦٣٦٧)، وذكره البغوي (٤/ ٤٤٩)، وابن عطية (٥/ ٤٣٩)، وابن كثير (٤/ ٤٧٣).

تَفسِيرُ سُورَةِ «التَّكْوِيرِ»

[وَهِيَ] مَكِّيَّةٌ بِإجْمَاعٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥﴾

قوله سبحانه: ﴿إذا الشمس كورت﴾ هذه كلُّها أوصَافُ يومِ القيامةِ، وتكويرُ الشمسِ هو أن تُدَارَ كما يُدَارُ كَوْرُ العمامةِ ويُذْهَبُ بها إلى حيثُ شَاءَ اللَّه ـ تعالى ـ، وعبَّر المفسرونَ عن ذلك بعباراتٍ؛ فمنهم مَنْ قال: ذهب نورُها؛ قاله قتادة[1]، ومنهم من قال: رُمِي بها؛ قاله الربيع بن خثيم[2] وغير ذلك مما هو أسماءٌ توابعُ لتكويرِها، ، وانْكِدَارُ النجوم هو انْقِضَاضُها وهبوطُها من مواضِعها، وقال ابن عباس: انكدرتْ: تغيَّرَتْ من قولهم مَاءٌ كَدِرٌ[3] و﴿العِشَارُ﴾: جمع عُشَرَاءَ وهي الناقة التي قَدْ مَرَّ لحملِها عَشَرَةُ أشهرٍ، وهي أنْفَسُ مَا عِنْدَ العَرَبِ، وإنما تُعَطَّلُ عند أشدِّ الأهْوَال.

﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ۝١١ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ۝١٤﴾

﴿وإذا البحار سجرت﴾ قال أُبَيُّ بن كعب وابن عباس وغيرهما:/ معناه أُضْرِمَتْ ناراً، كما يُسْجَرَ التَّنُّورُ[4]، ويحتملُ أنْ يكونَ المعنى مُلِكَتْ وقُيِّدَتْ، فتكونُ اللفظةُ مأخوذةً ١٢١٢أ

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٥٧) (٣٦٤٠٢)، وذكره البغوي (٤/ ٤٥١)، وابن عطية (٥/ ٤٤١)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٧٥)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٢٦)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن قتادة رضي اللَّه عنه.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٥٧) (٣٦٤١٠)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٤١)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٧٥).

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٥٨) (٣٦٤١٧)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٤١)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٧٥).

(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٦٠)، عن أبي بن كعب، برقم: (٣٦٤٣٢) وعن ابن عباس برقم: (٣٦٤٣٤)، وذكره البغوي (٤/ ٤٥١)، وابن عطية (٥/ ٤٤٢)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٧٦) بنحوه.

من سَاجُورِ الكَلْبِ، **وقرأ** ابن كثير وأبو عمرو: «سُجِرَتْ» بتخفيفِ[١] الجيم، والباقون بتشديدها، وتزويجُ النفوسِ: هو تَنْوِيعُها؛ لأن الأزواجَ هي الأنواعُ، والمعنى: جَعْلُ الكافرِ مع الكافرِ والمؤمِنِ معَ المؤمِنِ، وكلٌّ شكلٍ مع شكلِه؛ رواه النعمان بن بشير عن النبي ﷺ؛ وقاله عمرُ بن الخطاب وابن عباس[٢]؛ وقال: هذا نظيرُ قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجاً ثَلاثَةً﴾ [الواقعة: ٧] وفي الآيةِ على هذا حضّ عَلَى خَليلِ الخيرِ، فقد قال ـ عليه السلام ـ: «المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»، وقال: «فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»، وعبارةُ الثعلبيِّ: قال النعمانُ بْنُ بَشِيرٍ: قال النبيُّ ﷺ: ﴿وإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾، قَالَ الضُّرَبَاء: كُلُّ رَجُلٍ مَعَ كُلِّ قَوْمٍ كَانُوا يَعْمَلُونَ عَمَلَه، انتهى، وقال مقاتل بن سُلَيْمَانَ معناه: زوجتْ نُفُوسُ المؤمنينَ بزوجاتهنَّ من الحُورِ، وغيرِهِنَّ[٣].

وقوله تعالى: ﴿وإذا الموءودة سئلت﴾ الموؤودةُ اسم معناه المُثْقَلُ عليها بالتُّرَاب، وغيرِه حتى تموتَ؛ وكان هذا صنيعُ بعضِ العَرَبِ ببناتِهم يدفِنُونَهن أحياءَ، **وقرأ** الجمهور[٤]: «سئلت» وهذا على جهةِ التوبيخِ للعربَ الفاعلينَ ذلك؛ واستدلَّ ابن عَبَّاس بهذه الآيةِ على[٥] أنَّ أولادَ المشركينَ في الجَنَّةِ، لأنَّ اللَّهَ قَدِ ٱنْتَصَرَ لَهُمْ مِمَّنْ ظَلَمَهُمْ[٦].

---

(١) وحجتهما قوله سبحانه: ﴿والبحر المسجور﴾ [الطور: ٦] ولم يقل المُسَجَّر. وحجة الباقين قوله تعالى: ﴿وإذا البحار﴾ ولو كان واحداً لكان تخفيفاً، والعرب تقول: سَجَرْت التنور، وسَجَّرْت التنانير.
ينظر: **«حجة القراءات»** (٧٥٠)، و**«السبعة»** (٦٧٣)، و**«الحجة»** (٦/ ٣٧٩)، و**«إعراب القراءات»** (٢/ ٤٤٤)، و**«شرح الطيبة»** (٦/ ١٠١)، و**«معاني القراءات»** (٣/ ١٢٣)، و**«العنوان»** (٢٠٤)، و**«شرح شعلة»** (٦١٩)، و**«إتحاف»** (٢/ ٥٩١).

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٦٢) عن عمر برقم: (٣٦٤٤٩)، وعن ابن عباس برقم: (٣٦٤٥٢)، وذكره البغوي (٤/ ٤٥٢)، وابن عطية (٥/ ٤٤٢)، وابن كثير في **«تفسيره»** (٤/ ٤٧٧)، والسيوطي في **«الدر المنثور»**، وعزاه لابن مردويه.

(٣) ذكره البغوي (٤/ ٤٥٢)، وابن عطية (٥/ ٤٤٢)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٦/ ٥٢٨)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر عن الكلبي بنحوه.

(٤) وقرأ ابن عباس، وأبي، وجابر بن زيد، وأبو الضحى، ومجاهد، وجماعة منهم: ابن مسعود، والربيع بن خيثم «سألت».
ينظر: **«مختصر الشواذ»** ص: (١٦٩)، و**«المحرر الوجيز»** (٥/ ٤٤٢)، و**«البحر المحيط»** (٨/ ٤٢٤ ـ ٤٢٥)، و**«الدر المصون»** (٦/ ٤٨٦).

(٥) في د: في.

(٦) ذكره ابن عطية (٥/ ٤٤٢)، وابن كثير في **«تفسيره»** (٤/ ٤٧٧).

﴿وإذا الصحف نشرت﴾ قيل: هي صُحُفُ الأَعْمَالِ، وقيل: هي الصُّحُفُ التي تَتَطَايَرُ بالأَيْمَانِ والشَّمائلِ، والكَشْطُ: التقشيرُ وذلك كما يُكْشَطُ جلدُ الشاةِ حينَ تُسْلَخُ، وكَشْطُ السَّماءِ هُو طَيُّها/ كَطَيِّ السِّجِلِّ، و﴿سعرت﴾ معناه: أُضْرِمَتْ[1] نارُها، وأزلفت الجنة ٢١٢ ب
معناه: قُرِّبَتْ ليدخلَها المؤمنونَ، قال الثعلبي: قُرِّبَتْ لأهلها حتى يرونها، نظيرُه، ﴿وأُزْلِفَتِ الجَنَّةُ للمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [ق: ٣١]. ﴿علمت نفس﴾ عندَ ذلك ﴿ما أحضرت﴾ من خيرٍ أو شرٍ؛ وهو جوابٌ لقولهِ ﴿إذا الشمس﴾ وما بَعْدَها، انتهى.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿فلا أقسم بالخنس﴾ لا إمَّا زائدةٌ وإما أنْ تكونَ رَدّاً لِقَوْلِ قريشٍ في تكذيبِهم نبوةَ نبينا محمدٍ ـ عليه السلام ـ، ثُمَّ أَقْسَمَ تعالى بالخُنَّسِ الجوارِ الكنَّسِ، وهي في قولِ الجمهور: الدَّرَارِي السَّبْعَةُ: الشَّمْسُ والقَمَرُ وزُحَلُ وعُطَارِدُ والمرِّيخُ والزُّهَرَةُ والمُشتري، وقال عليّ: المرادُ الخمسةُ دونَ الشمسِ والقمر؛ وذلك أنّ هذه الكواكبَ تَخْنِسُ في جَرْيها أي: تَتَقَهْقَرُ فيما تَرى العينُ، وهي جَوارٍ في السماءِ، وهي تَكْنِسُ في أَبراجها أي: تَسْتَتر[2]، الثعلبي: وقال ابن زيدٍ تَخْنِسُ؛ أي: تَتَأَخَّرُ عَنْ مَطَالِعِها كلَّ سَنَة، وتَكْنِسُ بالنَّهار، أي: تستترُ فلاَ تُرَى، انتهى[3]، وعَسْعَسَ الليلُ في اللغةِ إذا كَان غَيْرَ مُسْتَحْكَم الإظْلاَم، قال الخليل: عَسْعَسَ الليلُ: إذا أَقْبَلَ وأَدْبَرَ، وقال الحَسَنُ: وقَعَ القَسَمُ بإقبالهِ[4]، وقال ابن عباسٍ وغيره: بلْ وَقَعَ بإدبارهِ[5]، وقال المبرد: أقسَمَ بإقباله وإدباره[6]

---

(١) في د: ضرمت.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٦٧) (٣٦٤٨٤)، وذكره البغوي (٤/ ٤٥٣)، وابن عطية (٥/ ٤٤٣)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٧٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٢٨)، وعزاه لسعيد بن منصور والفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه من طرق عن علي رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٦٧) (٣٦٤٨٧). والبغوي (٤/ ٤٥٣).

(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٧٠) (٣٦٥١٢)، وذكره البغوي (٤/ ٤٥٣)، وابن عطية (٥/ ٤٤٤)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٧٩) بنحوه.

(٥) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٦٩)، (٣٦٥٠٢)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٤٤)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٧٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٣٠)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم من طرق عن ابن عباس.

(٦) ذكره ابن عطية (٥/ ٤٤٤).

معاً، وعبارةُ الثعلبي: قالَ الحسنُ عَسْعَسَ الليلُ: أقْبَلَ بظلامِه، وقال آخرون: أدْبَرَ بظلامِه، ثم قال: والمعنيانِ يَرْجِعَانِ إلى معنًى واحدٍ، وهو ابتداءُ الظلامِ في أوله وإدباره في آخرِه، انتهى،، وتنفَّسَ الصبحُ، اتَّسَعَ ضوءهُ، والضميرُ في «إنه» للقرآن، والرسولُ الكريمُ في قولِ الجمهور؛ هو جبريلُ ـ عليه السلام ـ وقال آخرون: هو النبي ﷺ في الآيةِ كلِّها،/ والقولُ الأول أصحُّ، و﴿كريم﴾ صفةٌ تَقْتَضِي رَفْعَ المذَامِّ، و﴿مكين﴾ معناه: له مكَانَة ورِفْعَة، وقال عياض في «الشفا» في قوله تعالى: ﴿مطاع ثم أمين﴾: أكثرُ المفسرينَ عَلى أنَّهُ نبيُّنَا محمدٌ ﷺ، انتهى، قال * ع[1] *: وأجمعَ المفسرونَ على أن قولَه تعالى: ﴿وما صاحبكم﴾ يرادُ به النبيُّ ﷺ، و﴿الضمير﴾ في رآه لجبريلَ ـ عليه السلامُ ـ وهذه الرؤيةُ التي كانَتْ بعْدَ أمْرِ غارِ حِراءٍ، وقيل: هي الرؤية التي رآه عند سِدْرَةِ المنتهى. ١٢١٣أ

﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وما هو على الغيب بضنين﴾ بالضادِ بمعنى: بِبَخِيلٍ تَبْلِيغ مَا قِيل لهُ؛ كما يَفْعَلُ الكاهِنُ حين يُعْطى حُلْوَانه، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي: «بظنين» بالظاءِ[2]، أي: بمتَّهَم، ثم نَفَى سبحانَهُ عن القرآن أنْ يكونَ كلامَ شيطانٍ على ما قالتْ قريشٌ، و﴿رجيم﴾ أيْ: مرجُوم.

وقوله تعالى: ﴿فأين تذهبون﴾ توقيفٌ وتقريرٌ والمعنى: أين المذهبُ لأحَدٍ عن هذهِ الحقائقِ والبيانِ الذي فيه شفاءٌ، ﴿إن هو إلا ذكر﴾ أي: تذكرةٌ، * ت *: رَوَى الترمذيُّ عن ابنِ عمرَ قال: قال النبي ﷺ: «مَنْ سَرَّه أنْ يَنْظُرَ إلى يومِ القِيَامَةِ كأنَّه رَأْيُ عينٍ؛ فَلْيَقْرَأْ ﴿إذا الشمس كورت﴾ و﴿إذا السماء انفطرت﴾، و﴿إذا السماء انشقت﴾» قال أبو عيسى: هذا حديثٌ حسنٌ، انتهى.

---

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٤٤٤).

(٢) ينظر: «السبعة» (٦٧٣)، و«الحجة» (٦/ ٣٨٠)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٤٤٦)، و«معاني القراءات» (٣/ ١٢٤)، و«العنوان» (٢٠٤)، و«حجة القراءات» (٧٥٢)، و«شرح شعلة» (٦٢٠)، و«إتحاف» (٢/ ٥٩٢).

تَفسِيرُ سُورَةِ «الانفِطَارِ»

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ بِإجْمَاعٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤﴾

قوله تعالى: ﴿إذا السماء انفطرت﴾ أي: انشقَّتْ، ﴿وإذا الكواكب انتثرت﴾ أي: تساقَطَتْ، ﴿وإذا البحار فجرت﴾ قيل: فُجِّرَ بعضُها إلى بعضٍ، ويحتملُ أنْ يكونَ تَفَجَّرتْ من أعاليها، ويحتملُ أن يكون تفجيرَ تفريغٍ من قيعَانِها/ فَيُذْهِبُ اللَّهُ ماءَها حيث شاء، وبكلِ قيل، وبعثرةُ القبورِ: نبشُها عن الموتى. ٢١٣ ب

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧﴾

وقوله سبحانه: ﴿علمت نفس﴾ هو جوابُ ﴿إذا﴾ و﴿نفس﴾ هنا اسمُ جنسٍ، وقال كثيرٌ من المفسرينَ في معنى قوله: ﴿ما قدمت وأخرت﴾ إنها عبارةٌ عن جميع الأعمالِ من طاعة أو معصية.

﴿يأيها الإنسان ما غرك بربك الكريم﴾ رُوِيَ أَنَّ النبيَّ ﷺ قَرَأَهَا، فقال: «غَرَّهُ جَهْلُهُ»[1]، فَسُبْحَانَ اللَّهِ مَا أَرْحَمَهُ بِعِبادِهِ، قال الثعلبيُّ: قال أَهْلُ الإشارةِ: إنَّما قَالَ:

---

(١) قال الزيلعي في «تخريج الأحاديث والآثار» (٤/١٦٧) (١٤٦٤): وقال: رواه الثعلبي: أخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه ـ واسمه الحسين بن محمد ـ ثنا أبو علي بن حنش المقري، ثنا أبو القاسم بن الفضل المقري، ثنا علي بن الحسين المقدمي، وعلي بن هاشم قالا: ثنا كثير بن هشام، ثنا جعفر بن برقان، ثنا صالح بن مسمار قال: بلغني أن النبي ﷺ تلا هذه الآية: ﴿يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم﴾ قال: «غره جهله».
وعن الثعلبي رواه الواحدي في «تفسيره الوسيط» بسنده ومتنه.
ورواه أبو عبيد القاسم بن سلام، في كتاب «فضائل القرآن» حدثنا كثير بن هشام وذكره سواه إلا أنه قال: «غره حلمه»، والنسخة صحيحة.

﴿بربك الكريم﴾، دونَ سائر أسمائِه تعالى وصفاته، كأنه لَقَّنَهُ جَوَابَهُ؛ حتى يقولَ: غَرَّنِي كَرَمُكَ، انتهى، وقرأ الجمهور: «فَعَدَّلَكْ» وكان النبي ﷺ إذا نَظَر إلى الهلالِ؛ قال: «آمنتُ بالذي خلقَك فسوَّاك فَعَدَلَك» **وقرأ** حمزة والكسائي وعاصم بتخفيفِ الدال[1]، والمعنى عَدَّلَ أعضَاءَك بعضَها ببعضٍ، أي: وازنَ بينها.

﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿في أي صورة ما شاء ركبك﴾ ذهبَ الجمهورُ إلى أن «في» متعلِّقة بـ«ركَّبك»، أي: في صورةٍ حسنةٍ أو قبيحةٍ، أو سليمةٍ، أو مشوهةٍ، ونَحْو هٰذَا، و«ما» في قوله: ﴿ما شاء ركبك﴾ زائِدَةٌ فيها معنَى التأكيد، قال أبو حيان[2]: ﴿كلا﴾ رَدْعٌ وزَجْرٌ، انتهى، والدِّينُ هنا يحتمل أن يريدَ الشرعَ، ويحتملُ أن يريدَ الجزاءَ والحسابَ، وباقي الآيةِ واضِحٌ لِمُتَأَمِّلِهِ.

﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿يصلونها يوم الدين﴾ أي: يوم الجزاءِ.

وقوله تعالى: ﴿وما هم عنها بغائبين﴾ [قال جماعة: معناه: ما هم عنها بغائبين][3]

---

(١) قال الفراء: وجهه ـ والله أعلم ـ فصرفك إلى أي صورة شاء، إما حسن أو قبيح، أو طويل أو قصير. وعن أبي نُجَيح قال: (في صورة أب أو في صورة عمّ). وليست في من صلة «عَدلك» لأنك لا تقول: (عدلتك في كذا)، إنما تقول: (عدلتك إلى كذا) أي: صرفتك إليه؛ وإنما هي متعلقة بـ «ركَّبك». كأن المعنى: (في أي صورة شاء أن يركِّبَك).
وقال آخرون: (فعدلك: فسوَّى خلقك). قال محمد بن يزيد (المبرد): فعدلك أي: قصد بك إلى الصورة المستوية ومنه العدل الذي هو الإنصاف، أي: هو قصد إلى الاستواء. فقولك: (عدل اللّه فلاناً) أي: سوّى خلقه. فإن قيل: فأين الباء التي تصحب القصد حتى يصح ما تقول؟ قلت: إن العرب قد تحذف حروف الجر، قال اللّه عز وجل: «وإذا كالوهم أو وزنوهم» فحذف اللامين، فكذلك «فعدلك» بمعنى: فعدل بك.
ينظر: **«حجة القراءات»** (٧٥٢ ـ ٧٥٣)، و**«السبعة»** (٦٧٤)، و**«حجة القراءات»** (٦/ ٣٨٢)، و**«إعراب القراءات»** (٢/ ٤٤٨)، و**«معاني القراءات»** (٣/ ١٢٦)، و**«شرح الطيبة»** (٦/ ١٠٣)، و**«العنوان»** (٢٠٤)، و**«شرح شعلة»** (٦٢٠)، و**«إتحاف»** (٢/ ٥٩٤).

(٢) ينظر: **«البحر المحيط»** (٨/ ٤٢٨).

(٣) سقط في: د.

في البَرْزَخِ، وذلك أنهم يرونَ مقاعِدَهم من النارِ غَدْوَةً وعشيَّةً؛ فهم لم يزالُوا مشاهدينَ لَها؛ نسألُ اللَّه العافيةَ في الدارينِ بجُودِه وكرمِه، ثم عظَّم تعالى قدرَ هولِ ذلكَ اليومِ بقوله: ﴿وما أدراك ما يوم الدين * ثم ما أدراك ما يوم الدين﴾ الآية.

[تَفسِيرُ] سُورَةِ «المُطَفِّفِينَ»

٢١٤أ / وَهِيَ مَكِّيَّةٌ في قَوْلِ جَمَاعَةٍ

وقال ابن عباس وغيره: هي مدنية، وعنه: نَزَلَ بَعْضُها بمكةَ ونَزَل أمْرُ التطفيفِ بالمدينةِ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾

قوله تعالى: ﴿ويل للمطففين﴾ الآية، المُطَفِّفُ الذي يُنْقِصُ الناسَ حُقُوقَهم، والتطفيفُ: النُّقْصَانُ، أصله من الشيء الطفيف، وهو النَّزْرُ، والمطفِّفُ إنما يأخذ بالميزانِ أو بالمكيال شَيْئاً خفيفاً، و﴿اكتالوا على الناس﴾ معناه قَبَضُوا منهم، و﴿كَالُوهم﴾ معناه: قَبَّضُوهم، و﴿يخسرون﴾ معناه: يُنْقِصُونَ.

﴿أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾

وقوله سبحانه: ﴿ألا يظن﴾ بمعنى: يَعْلَمُ ويتحقق، وقال * ص *: ﴿ألا يظن﴾ ذَكَر أبو البقاء أن «لا» هنا هي النافيةُ دَخَلَتْ عليها همزةُ الاستفهام، وليستْ «أَلاَ» التي للتنبيهِ والاستفتاح؛ لأن مَا بَعْدَ «أَلاَ» التنبيهيَّةِ مُثْبَتٌ وهو هنا منفيٌّ، انتهى،، وقيامُ الناس لربِ العالمينَ يومئذٍ، يختلف الناسُ فيه بحَسْبِ منازِلهم، ورُوِيَ أنه يُخَفَّفُ عن المؤمنِ حتى يكونَ على قَدْرِ الصلاةِ المكتوبةِ، وفي هذا القيام هو إلجامُ العَرَقِ للناسِ؛ كما صرَّح به النبي ﷺ في الحديثِ الصحيح، والناسُ أيضاً فيه مختلفون بالتخفيفِ والتشديدِ، قال ابن المباركِ في «رقائقه»: أخبرنَا سُلَيْمَانُ التَّيْمِيُّ عن أبي عثمانَ النهدي عن سلمان، قال: تُدْنَىٰ الشمسُ من الناسِ يومَ القيامةِ حتى تكونَ من رُؤوسهم قَابَ قوسٍ أو قابَ قوسَينِ فتُعْطي حرَّ عَشْرَ سنين؛ وليسَ على أحد يومئذ طِحْرِبة ولا تُرَى فيه عورةُ مؤمنٍ ولا مؤمنةٍ، ولا يَضُرُّ حرُّها يومئذٍ مؤمناً ولا مؤمنَة، وأما الآخرون؛ أو قال الكفارُ فَتَطْبُخُهُمْ، فإنما تقولُ أجوافُهم
٢١٤ب غَقْ غَقْ، قال نعيم: الطحربةُ: الخِرْقة/ انتهى،، ونحوُ هذا للمحاسبي قال في «كتاب

التوهُّم»: فإذَا وَافَى الموقفُ أهْلَ السمواتِ السبعِ والأرضينَ السبعِ؛ كُسِيَتِ الشمسُ حرَّ عَشْرَ سنينَ، ثم أُدْنيتْ من الخلائقِ قَابَ قوسٍ أو قابَ قوسينِ، فَلاَ ظِلَّ في ذلك اليوم إلا ظلُّ عرشِ ربِّ العالمينَ، فكم بينَ مستظلٍّ بظل العرشِ وبين واقفٍ لحرِّ الشمسِ قد أضْهَرَتْه؛ واشتدَّ فيهَا كَرْبُه وقلقُه، فتوهَّمْ نفسَك في ذلكَ الموقفِ؛ فإنك لا محالةَ واحدٌ منهم، انتهى، اللَّهُمَّ، عَامِلْنَا بِرَحْمَتِكَ وَفَضْلِكَ في الدَّارَيْنِ، فَإِنَّهُ لاَ حَوْلَ لَنَا وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِكَ.

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿كلا إن كتاب الفُجَّار...﴾ يعني: الكفارَ وكتابُهم يراد به الذي فيه تَحصيلُ أمرهم، وأفعالِهم، ويحتمل عندي أن يكونَ المعنَى وعِدَادُهُمْ وكِتَابُ كونِهم هو في سجينٍ؛ أي: هنالِكَ كُتِبُوا في الأزلِ، واختُلِفَ في ﴿سجين﴾ ما هو؟ والجمهورُ أن سجيناً بناءُ مبالغة من السَّجْن، قال مجاهد: وذلك في صخرة تحت الأرض السابعة[1].

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وما أدراك ما سِجين﴾ تعظيمٌ لأمر هذا السِّجِّينِ وتعجيبٌ منه، ويحتملُ أنْ يكونَ تقريرَ اسْتِفْهام، أي: هذا مما لم تكنْ تعلمُه قَبلَ الوحيِ، و﴿كتاب مرقوم﴾ على القول الأولِ: مرتفعٌ على خبر «إنَّ» وعلى القولِ الثاني مرتفعٌ على أنه خبرُ مبتدإٍ محذوف تقديرُه: هو كتاب مرقوم، ويكون هذا الكلامُ مفسِّراً لـ﴿سجين﴾ ما هو؟، و﴿مرقومٌ﴾ معناه: مكتوبٌ لهم بِشَرٍّ، وباقي الآية بَيِّنٌ، ثم أوجَبَ أنَّ مَا كَسَبُوا من الكفرِ والعُتُو قَدْ ﴿رانَ على قلوبهم﴾ أي: غطى عليها؛ فهُمْ مع ذلك لا يُبْصِرُون رشداً، يقال:

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/٤٨٦) (٣٦٦٠٠)، وذكره البغوي (٤/٤٥٨)، وابن عطية (٥/٤٥١)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/٥٣٨)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر عن مجاهد رضي الله عنه بنحوه.

٢١٥أ رَانَتِ الخمرُ على قلبِ شاربِها، ورَانَ الغَشْيُ على قلبِ المريضِ، وكذلك الموتُ،/ قال الحسنُ وقتادة: الرّينُ الذَّنبُ على الذنبِ حتى يموتَ القلبُ[1]، ورَوَى أبو هريرةَ أن النبي ﷺ قال: «إنَّ الرجُلَ إذا أذْنَبَ نُكِتَتْ نكتةٌ سَوْدَاءُ في قلبِهِ، ثم كذلك حتَّى يَتَغطَّى فذلكَ الرانُ الذي قال اللَّه تعالى: ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾، قال الفخرُ[2]: قال أبو معاذ النَّحوي: الرّينُ سَوَادُ القلبِ من الذنوبِ، والطَّبْعُ أن يُطْبَعَ على القلبِ، وهو أشَدُّ من الرينِ، والإقْفَالُ أشدُّ من الطبعِ؛ وهو أن يُقْفَلَ على القلبِ، انتهى، والضميرُ في قوله تعالى: ﴿إنهم عن ربهم﴾ للكفارِ أي: هم محجوبونَ لا يَرَوْنَ ربَّهم، قال الشافعي: لما حَجَبَ اللَّهُ قوماً بالسّخْطِ دَلَّ عَلى أن قوماً يرَوْنَهُ بالرِّضَى، قال المحاسبي ـ رحمه اللَّه ـ في كتابِ «توبيخ النفس»: وينبغِي للعبدِ المؤمنِ إذا رأى القسوةَ من قلبه أن يعلم أنها من الرّينِ في قلبه فيخافُ أن يكونَ اللَّهُ تعالى لمَّا حَجَبَ قلبَه عنه بالرّينِ والقسوةِ أنْ يحجبَه غَداً عن النظرِ إليه؛ قال تعالى: ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون * كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ إحداهُما تتلو الأخرى؛ ليس بينهما معنًى ثالثٌ، فإنْ اعترضَ للمريدِ خَاطِرٌ من الشيطانِ ليقْتَطِعَه عن الخوفِ من اللَّه تعالى، حتى تحلَّ بهِ هاتانِ العقوبتانِ فَقَال إنما نَزَلَتَا في الكافرينَ؛ فليقلْ فإنَّ اللَّهَ لم يؤَمِّنْ منهما كثيراً مِنَ المؤمنينَ، وقد حذَّر سبحانَه المؤمنينَ أن يُعَاقِبَهُم بما يُعَاقِبُ به الكافرين؛ فقال تعالى: ﴿واتَّقُوا النَّارَ الَّتي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١] إلى غير ذلكَ من الآيات، انتهى، ولما ذَكَرَ اللَّهُ تعالى أمْرَ كتابِ الفجار، عَقَّبَ ذلكَ بذِكْرِ كِتَابِ ضدِّهِم؛ ليبيِّنَ الفرقَ بين الصِّنْفَيْنِ، واخْتُلِفَ في المَوضِعِ المعروفِ بـ﴿عليين﴾ ما هو؟ فقال ابن عباس: السَّمَاءُ السَّابعَةُ تَحْتَ العَرْشِ[3]، وَروي ذَلِكَ عن النبي ﷺ[4]، وقال الضحاكُ: هو سِدْرَةُ
٢١٥ب المُنْتَهَى[5]، وقال ابن عباس أيضاً: عليونَ: الجنة[6].

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٩٠) (٣٦٦٢٧) عن الحسن، وعن قتادة برقم: (٣٦٦٤٠)، وذكره البغوي (٤/ ٤٦٠)، وابن عطية (٥/ ٤٥٢)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٨٥)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٤٠)، وعزاه لعبد بن حميد.

(٢) ينظر: «الفخر الرازي» (٣١/ ٨٦).

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٩٣) عن ابن عباس وعن كعب برقم: (٣٦٦٥٧)، و (٣٦٦٤٩)، وذكره البغوي (٤/ ٤٦٠)، وابن عطية (٥/ ٤٥٢)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٨٦) بنحوه.

(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٤٥٢).

(٥) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٩٤)، (٣٦٦٥٩)، وذكره البغوي (٤/ ٤٦٠)، وابن عطية (٥/ ٤٥٢)، والسيوطي في «الدر المنثور»، وعزاه لعبد بن حميد من طريق الأجلح عن الضحاك رضي اللَّه عنه.

(٦) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٩٤)، (٣٦٦٥٨)، وذكره البغوي (٤/ ٤٦٠)، وابن عطية (٥/ ٤٥٢)، وابن كثير=

وقوله تعالى: ﴿يشهده المقربون﴾ يعني الملائكة؛ قاله ابن عباس وغيره[١]، و﴿ينظرون﴾ معناه إلى ما عندَهم مِن النعيم، والنَّضرةُ: النعمةُ والرونقُ، والرحيقُ: الخَمْرُ الصافيةُ، و﴿مختوم﴾ يحتملُ أنَّه يُخْتَمُ على كؤوسه التي يشْرَبُ بها تَهَمُّماً وتنظفاً، والظاهر أنه مختُوم شربُه بالرائحةِ المِسْكِيةِ؛ حَسْبَمَا فسَّره قوله: ﴿ختامه مسك﴾ قال ابن عباس وغيره: خاتمة شربه مسك[٢]، [وقرأ الكسائي[٣]: «خَاتَمُهُ مِسْكٌ»]، ثم حرَّضَ تعالى على الجنةِ بقوله: ﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾.

﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿ومزاجه من تسنيم﴾ المِزَاجُ: الخلطُ، قال ابن عباس وغيره: ﴿تسنيم﴾: أشْرَفُ شرابٍ في الجنةِ، وهو اسْمٌ مذكرٌ لِمَاءِ عينٍ في الجنةِ، وهي عين يشرب بها المقربون صرفاً ويُمْزَجُ رحيقُ الأبرارِ بها[٤]؛ وهذا المعنى في «صحيح البخاري»، وقال مجاهد ما معناه: أن تسنيماً مصدَرُ من سَنَّمْتُ: إذَا عَلَوْتُ، ومنه السَّنَامُ، فكأنه عينٌ قَدْ عَلِيَتْ على أهل الجنةِ فهي تَنْحَدِر، وقاله مقاتل[٥]، وجمهور المتأولينَ أنَّ منزلةَ الأبرار دونَ منزلة المقربينَ، وأن الأبرارَ هم أصحابُ اليمين، وأن المقربينَ هم السابقون.

وقوله: ﴿يشرب بها﴾ بمعنى يَشْرَبُها.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾﴾

= في «تفسيره» (٤/ ٤٨٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٤١)، وعزاه لابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن المنذر عن ابن عباس.

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٩٥)، (٣٦٦٦٣) عن قتادة، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٥٣).

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٩٨)، (٣٦٦٨٣)، وذكره البغوي (٤/ ٤١٦)، وابن عطية (٥/ ٤٥٣)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٨٦).

(٣) ينظر: «الحجة» (٦/ ٣٨٦)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٤٥١)، و«معاني القراءات» (٣/ ١٣١)، و«شرح الطيبة» (٦/ ١٠٤)، و«العنوان» (٢٠٥)، و«حجة القراءات» (٧٥٤)، و«إتحاف» (٢/ ٥٩٧).

(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ٥٠٠)، (٣٦٧٠٠)، وعن أبي صالح برقم: (٣٦٧٠٣)، وذكره البغوي (٤/ ٤٦٢)، وابن عطية (٥/ ٤٥٣)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٨٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٤٤)، وعزاه لعبد الرزاق، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي عن ابن عباس بنحوه.

(٥) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٩٩)، (٣٦٦٩١) عن مجاهد، وابن عطية (٥/ ٤٥٣).

وقوله سبحانه: ﴿إن الذين أجرموا كانوا﴾ يعني في الدنيا، ﴿يضحكون﴾ من المؤمنينَ، رُوِيَ أن هذه الآيةَ نَزَلَتْ في صناديدِ قريشٍ وضَعَفَةِ المؤمنين، والضميرُ في ﴿مروا﴾ للمؤمنينَ ويحتملُ أن يكونَ للكفارِ، وأما ضميرُ ﴿يتغامزون﴾ فهو للكفارِ؛ لا يحتملُ غيرَ ذلك، و﴿فاكهين﴾ أي: أصحابُ فُكَاهَةٍ/ وَنَشَاطٍ وسرورٍ باسْتِخْفَافِهم بالمؤمنين، وأما الضميرُ في ﴿رأوهم﴾ وفي ﴿قالوا﴾ فقال الطبريُّ[1] وغيره: هو للكفارِ، وقال بعضُهم: بل المعنى بالعَكْسِ، وإنمَا المعْنَى وإذا رأى المؤمنونَ الكفَّارَ قالوا: ﴿إن هؤلاء لضالونَ﴾، وما أُرْسِلَ المؤمِنونَ حافِظِينَ على الكفَّارِ، وهذا كلُّه مَنْسُوخٌ على هذا التأويل، * ت *: والأول أظهر. ٢١٦أ

﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿على الأرائك ينظرون﴾ أي: إلى أعدائهم في النار، قال كعب: لأهل الجنةِ كُوًى ينظرون منها[2]، وقال غيره: بينهم جِسْمٌ عظيم شَفَّافٌ يرونَ معه حالَهم، * ت *: قال الهرويُّ: قوله تعالى: ﴿على الأرائك ينظرون﴾، قال أحمد بن يحيى: الأريكَةُ: السريرُ في الحَجَلَةِ ولا يُسَمَّىٰ منْفَرِداً أريكةً، وسمعتُ الأزهريَّ يقولُ: كل ما أُتْكِىءَ عليه فهو أريكةٌ، انتهى، ﴿هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون﴾ أي: جزاءَ ما كانوا يفعلون، و﴿هل ثوب﴾ تقريرٌ وتوقيفٌ للنبي ﷺ وأمَّتِهِ.

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ٥٠٢).

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٥٠٢)، (٣٦٧١١)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٤٦٢)، وابن عطية (٥/ ٤٥٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٥٤٥)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر عن قتادة عن كعب.

[تَفسِيرُ] سُورَةِ «الانْشِقَاقِ»

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ بِلاَ خِلاَفٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٥﴾

قوله تعالى: ﴿إذا السماء انشقت﴾ الآية، هذه أوْصافُ يوم القيامةِ و﴿أذنت﴾ معناه: اسْتَمَعَتْ وسَمِعَتْ أَمْرَ ربِّها؛ ومنه قوله ﷺ: «ما أذِنَ اللَّهُ لِشَيْءٍ أَذَنَهُ لِنَبِيٍّ يَتَغَنَّى بالقُرآنِ»، و﴿حقت﴾[1] قال ابن عباس: معناه: وحُقَّ لها أنْ تَسْمَع وتطيع[2]، ويحتملُ أن يريدَ: وحُقَّ لها أن تنشقَ لشدةِ الهولِ وخوفِ اللَّه تعالى، ومدُّ الأرْض هي إزالةُ جبالِها حتى لا يبقى فيها عوجٌ ولا أمْتٌ، وفي الحديث: «تُمَدُّ مَدَّ الأَدِيم»، و﴿أَلْقَتْ ما فيها﴾ يعني: من / الموتَى؛ ٢١٦ ب
قاله الجمهورُ. وخَرَّج الختلي أبو القاسم إسحاقُ بن إبراهيم في كتاب «الدّيباج» له بسندهِ عن نافع عن ابن عمرَ عن النبي ﷺ في قولهِ ـ عز وجل ـ: ﴿إذا السماء انْشَقَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّها وحُقَّتْ﴾ قال: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ فَأَجْلِسُ جَالِساً في قَبْرِي، فَيُفْتَحُ لِي بَابٌ إِلَى السَّمَاءِ بِحِيَالِ رَأْسِي حَتَّىٰ أَنْظُرَ إِلَى العَرْشِ، ثُمَّ يُفْتَحُ لي بَابٌ مِنْ تَحْتِي؛ حَتَّىٰ أَنْظُرَ إِلَى الأَرْضِ السَّابِعَةِ؛ حَتَّىٰ أَنْظُرَ إِلَىٰ الثَّرَىٰ، ثُمَّ يُفْتَحُ لي بَابٌ عَنْ يَمِينِي حَتَّىٰ أَنْظُرَ إِلَى الجَنَّةِ وَمَنَازِلِ أَصْحَابِي، وَإِنَّ الأَرْضَ تَحَرَّكَتْ تَحْتِي فَقُلْتُ: مَا لَكِ أَيَّتُهَا الأَرْضُ؟ قَالَتْ: إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُلْقِيَ مَا في جَوْفِي، وأنْ أَتَخَلَّى؛ فَأَكُونَ كَمَا كُنْتُ؛ إِذْ لاَ شَيْءَ فِيَّ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّه ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: ﴿وأَلْقَتْ مَا فِيهَا وتخلَّتْ﴾، ﴿وأذنت لربها وحقَّت﴾ أي: سَمِعَتْ وَأَطَاعَتْ، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَسْمَعَ وَتُطِيعَ»[3]، الحديثَ، انتهى من «التذكرة»[4]، و﴿تخلّت﴾ معناه خَلَّتْ عَمَّا كَانَ فيها لَمْ تَتَمَسَّكْ منهم بشيء.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) ذكره ابن عطية (٥/٤٥٦).

(٣) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/٥٤٧)، وعزاه إلى أبي القاسم الختلي في «الديباج».

(٤) ينظر: «التذكرة» (١/٢٥١).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ۝٩ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ۝١٠ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ۝١١ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢﴾

﴿يأيها الإنسان إنك كادح...﴾ الآية، الكادحُ: العاملُ بشدّةٍ واجتهادٍ، والمعنى: إنَّك عامل خيراً أو شراً، وأنتَ لا محالةَ ملاقِيه، أي: فكنْ على حَذَرٍ من هذهِ الحالِ، واعملْ صالحاً تَجِدْه، وأما الضميرُ في ﴿ملاقيه﴾ فقال الجمهور: هو عائدٌ على الربّ تعالى، وقال بعضُهم: هو عائدٌ على الكَدْحِ * ت *: وهو ظاهرُ الآيةِ، والمعْنَى ملاقٍ جزاءَه، والحسابُ اليسيرُ: هو العَرْضُ؛ ومن نُوقِشَ الحسابَ هَلَكَ؛ كذا في الحديث الصحيح، وعن عائشةَ: هو أن يعرفَ ذنوبَه ثم يُتَجَاوَزَ عنْه، ونحوُه في الصحيح عن ابن عمر، انتهى، وفي الحديث/ عن عائشةَ قالتْ: سمعتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ في بَعْضِ صَلاَتِهِ: «اللَّهُمَّ حَاسِبْنِي حِسَاباً يَسِيراً، فَلَمَّا انْصَرَفَ؛ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْحِسَابُ الْيَسِيرُ؟ قال: أَنْ يَنْظُرَ في كِتَابِهِ وَيَتَجَاوَزَ عَنْهُ؛ إِنَّهُ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ ـ يَا عَائِشَةُ ـ يَوْمَئِذٍ هَلَكَ، وَكُلُّ مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ يُكَفِّرُ اللَّهُ عَنْهُ حَتَّى الشَّوْكَةَ تَشُوكُهُ»[1]، قال صاحب «السلاح»: رواه الحَاكِمُ في «المُسْتَدْرَكِ»، وقال: صحيحٌ علَىٰ شَرْطِ مُسْلِم، انتهى، ورَوَى ٱبْنُ عُمَرَ أن النبيَّ ﷺ قال: «مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ في الدُّنْيَا، هَوَّنَ اللَّهُ عَلَيْهِ حِسَابَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ»؛ قال عِزُّ الدينِ بنُ عَبدِ السَّلاَمِ في اختصاره لـ «رعاية المحاسبي»: أجمع العلماءُ على وجوبِ محاسَبَةِ النفسِ فيما سَلَفَ من الأعمال وفيما يُسْتَقْبَلُ منها، «فالْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ، وَالعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّىٰ عَلَى اللَّهِ»، انتهى.

١٢١٧أ

﴿وينقلب إلى أهله﴾ أي: الذين أعدَّهمُ اللَّه لهُ في الجنةِ، وأما الكافر فرُوِيَ أنَّ يَدَه تدخُلُ من صَدْرِه حتَّى تَخْرُجَ من وراءِ ظهرِه فيأخذَ كتابَه بِها.

و﴿يدعوا ثبوراً﴾ معناه: يصيحُ مُنْتَحِباً: وا ثبوراه؛ وا حزناه، ونحو هذا، والثبورُ اسْمٌ جامع للمكارِه، كالويلِ.

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٤٨)، وابن خزيمة (٢/ ٣٠)، جماع أبواب الكلام المباح في الصلاة والدعاء والذكر، ومسألة الرب عزّ وجلّ ـ وما يضاهي هذا ويقاربه: باب مسألة الرب جل وعلا ـ في الصلاة محاسبة يسيرة، إذ المحاسبة بجميع ذنوبه والمناقشة به تهلك صاحبها (٨٤٩)، والحاكم (١/ ٥٧ ـ ٢٥٥)، (٤/ ٢٤٩، ٥٨٠).

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه بهذا اللفظ، إنما اتفقا على حديث أبي مليكة، ومن نوقش الحساب عذب، ووافقه الذهبي.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿إنه كان في أهله﴾ يريدُ في الدنيا، ﴿مسروراً﴾ أي: تَمَلَّكَهُ ذلكَ لاَ يدرِي إلا السرورَ بأهلِهِ دونَ معرفةِ ربه.

وقوله تعالى: ﴿إنه ظن أن لن يحور﴾ معناه: أن لن يرجِعَ إلى اللَّه مبعوثاً محشُوراً، قال ابن عباس: لم أعلم ما معنى ﴿يحور﴾؛ حَتَّىٰ سَمِعْتُ ٱمْرَأَةً أَعْرَابِيَّةً تَقُولُ لِبُنَيَّةٍ لَهَا: حُورِي؛ أي: ٱرْجِعي[1]، * ص *: ﴿بلى﴾ إيجابٌ بَعْدَ النفي، أي: بلى؛ لَيَحُورَنَّ أي: ليرْجِعَنَّ، انتهى.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ ﴿٢٥﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿فلا أقسم بالشفق﴾ «لا»/ زائِدةٌ وقيلَ: «لا» ردٌّ عَلى أقوالِ الكفار، ٢١٧ ب
و﴿الشفق﴾ الحُمْرَةُ التي تَعْقُبُ غَيْبُوبَةَ الشمسِ مع البياضِ التابعِ لها في الأغلب، و﴿وسق﴾ معناه: جُمِعَ وَضُمَّ ومنه الوَسْقُ أي: الأَضْوُعُ المجموعةُ، واللَيل يَسِق الحيوانَ جملة أي: يجمَعَها وَيَضُمُّها، وكذلك جميعُ المخلوقاتِ التي في الأرض والهواء من البحار والجبال والرياح وغير ذلك، واتساقُ القمر كمالُه وتمامُه بدراً، والمعنى امتلأَ من النور، **وقرأ** نافع وأبو عَمْرٍو وابن عامر: «لَتَرْكَبُنَّ» ـ بضم الباءِ[2] ـ والمعنى: لتركبُنَّ الشدائِدَ: الموتَ والبعثَ والحسابَ حالاً بعد حالٍ، و«عن» تجيءُ بمعنى «بعد» كما يقال: ورثَ المجدَ كَابِراً عن كابرٍ، وقيلَ: غير هذا، **وقرأ** حمزة والكسائي وابن كثير: «لَتَرْكَبَنَّ»[3] ـ بفَتْحِ الباءِ ـ على معنى أنتَ يا محمد، فقيلَ: المعنى حالاً بعد حالٍ من معالَجةِ الكفارِ، وقالَ ابن عباس:

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٥٠٩) (٣٦٧٤٦)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٥٨)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٨٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٤٨)، وعزاه لابن أبي حاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس بنحوه.

(٢) وقرأ بها عاصم.
ينظر: «السبعة» (٦٧٧)، و«الحجة» (٦/ ٣٩١)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٤٥٥)، و«معاني القراءات» (٣/ ١٣٤)، و«شرح الطيبة» (٣/ ١٠٥)، و«العنوان» (٢٠٥)، و«حجة القراءات» (٧٥٦)، و«شرح شعلة» (٦٢١)، و«إتحاف» (٢/ ٦٠٠).

(٣) ينظر: مصادر القراءة السابقة.

سماءً بعد سماءٍ في الإسراء[١]، وقيل: هي عِدَةٌ بالنَّصْرِ أي لتركبَنَّ أمْرَ العربِ قَبِيلاً بعد قَبِيل؛ كما كان، وفي البخاري عن ابن عبَّاس: ﴿لتركبن طبقاً عَنْ طَبَقٍ﴾ حَالاً بَعْدَ حَالٍ؛ هَكَذَا قَالَ نَبِيُّكُمْ ﷺ[٢]، انتهى، ثم قال تعالى: ﴿فما لهم لا يؤمنون﴾، أي: ما حجتُهم مع هذهِ البراهين الساطعةِ، و﴿يوعون﴾ معناه: يَجْمَعُونَ من الأعمالِ والتكذيبِ كأنهم يجعلونَها أوعيةٍ، تقول وَعَيْتُ العلم، وأَوْعَيْتُ المتاع، و﴿ممنون﴾ معناه: مقطوع.

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٥١٥) عن الحسن، وأبي العالية، برقم: (٣٦٨٠٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٤٩)، وعزاه للطيالسي، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، والطبراني عن ابن عباس بنحوه.

(٢) أخرجه الطبراني (١١/ ١٠١)، (١١١٧٣).

[تَفسِيرُ] سُورَةِ «البُرُوجِ»

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ بِإِجْمَاعٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣﴾

الجمهورُ: أنَّ «البروج» هي المنازلُ التي عَرَفَتْهَا العربُ، وقد تقدم الكلامُ عليها، ﴿واليوم الموعود﴾: هو يومُ القِيَامَةِ باتفاق؛ كما جاء في الحديث، وإنما اختلفَ الناسُ في الشاهدِ والمشهودِ اختلافاً كثيراً، فقال ابن عباس: الشاهدُ: اللَّهُ/ والمشهودُ: يومُ القيامة[1]، وقال الترمذيُّ: الشاهدُ: الملائكةُ الحفظةُ، والمشهود [أي] عليه: الناسُ، وقال أبو هريرةَ عن النبي ﷺ: الشاهدُ يوم الجمعةِ، والمشهودُ يومُ عرفة، * ت *: ولو صَحّ لوجبَ الوقوفُ عندَه. ٢١٨أ

﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٩﴾

وقوله تعالى: ﴿قتل أصحاب الأخدود﴾ معناه فَعَلَ اللَّه بهم ذلكَ؛ لأنَّهم أهل له؛ فهو على جهة الدعاءِ بحسَبِ البشر، لا أنّ اللَّه يدعُو على أَحَدٍ، وقيل عن ابن عباس: معناه لُعِنَ وهذا تفسيرٌ بالمعنى، وقال الثعلبي: قال ابن عباس: كل شيء في القرآن ﴿قُتِلَ﴾ فهو: لُعِنَ، انتهى[2]، وقيلَ: هو إخبارٌ بأنّ النارَ قَتَلَتْهُم؛ قاله الربيع بن أنس[3]، * ص *: وجوابُ القَسَمِ محذوفٌ أي: والسماءِ ذاتِ البروج لَتُبْعَثُنَّ، وقال المبردُ: الجوابُ: ﴿إن بطش ربك لشديد﴾، وقيل الجوابُ: ﴿قُتِلَ﴾ واللامُ محذوفةٌ أي: لَقُتِلَ، وإذا كانَ ﴿قتل﴾

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٥٢٢)، (٣٦٨٦٤)، وذكره البغوي (٤/ ٤٦٧)، وابن عطية (٥/ ٤٦٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٥٣)، وعزاه لابن جرير.

(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٤٦١).

(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ٤٦١).

هو الجوابُ فهو خَبَرٌ انتهى، وصَاحِبُ الأخدودِ: مذكورٌ في السِّيَرِ وغيرِها وحديثُه في مُسْلِمٍ مُطَوَّلٌ وهو مَلكٌ دَعَا المؤمنينَ باللَّهِ إلى الرجوعِ عن دينِهم إلى دينهِ، وخَدَّ لَهُمْ في الأرْضِ أخَادِيدَ طويلةً؛ وأضْرَمَ لهم ناراً وجَعَلَ يَطْرَحُ فيها من لم يرجعْ عن دينهِ؛ حتى جَاءَتْ امرأةٌ مَعَها صبيٌّ فَتَقَاعَسَتْ؛ فقال لها الطفل: يا أُمَّهْ؛ اصْبِرِي فإنَّكِ عَلى الحق، فاقْتَحَمَتِ النارَ.

وقوله: ﴿النار﴾ بدلٌ من الأخدودِ وهو بدلُ اشتمالٍ، قال * ع[1] *: وقال الربيع بن أنس وأبو إسحاق وأبو العالية: بعثَ اللَّهُ على أولئك المُؤْمِنينَ رِيحاً فَقَبَضَتْ أرواحَهم أو نحوَ هذا، وخَرَجَتِ النارُ فأحْرَقَتِ الكافرينَ الذينَ كانُوا على حَافَّتَيِ الأخْدُودِ؛ وعلى هذا يجيءُ ﴿قتل﴾ خبراً لاَ دُعاء[2].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات...﴾ الآية، فَتَنُوهُمْ، أي: أحرقوهم، * ت *: قال الهروي: قولُه تعالى: ﴿فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق﴾ أي: لهم/ عذابٌ لكفرِهم وعذابٌ بإحْرَاقِهم المؤمنينَ، انتهى، قال * ع[3] *: ومَنْ قَال: إنَّ هذه الآياتِ الأواخِر في قريشٍ جَعلَ الفِتنةَ الامتحانَ والتعذيبَ، ويقوِّي هذا التأويلَ بعضَ التقويةِ قولُه تعالى: ﴿ثم لم يتوبوا﴾، لأنَّ هذا اللفظُ في قريشٍ أشْبَهُ منه في أولئك، والبطشُ: الأخذُ بقوةٍ. ٢١٨ ب

﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾﴾

وقوله: ﴿إنه هو يبدئ ويعيد﴾ قال الضحاك وابن زيد: معناه: يُبْدِئُ الخلقَ بالإنْشَاءِ، ويُعيدُهم بالحَشْرِ[4]، وقال ابن عباس ما معناه: إنَّ ذلكَ عامٌّ في جميع الأشْياءِ،

---

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٤٦٢).

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٥٢٥)، (٣٦٨٧٥) عن الربيع بن أنس، وذكره البغوي (٤/ ٤٧٠)، وابن عطية (٥/ ٤٦٢)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٩٦).

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٤٦٢).

(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ٥٢٨) عن الضحاك، برقم: (٣٦٨٨٥)، وعن ابن زيد برقم: (٣٦٨٨٦)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٦٢).

فهي عبارةٌ على أنَّه يفعلُ كلَّ شيءٍ، أي: يُبْدِىءُ كل ما يُبْدَأُ ويُعِيدُ كلَّ مَا يُعَادُ، وهذانِ قسمانِ يستوفيانِ جميعَ الأشياءِ[1]، و﴿الجنود﴾ الجمُوع، و﴿فرعونَ وثمود﴾ في موضعِ خفضٍ على البدلِ من الجنودِ، ثم تركَ القولَ بحالِهِ، وأضْرَبَ عنه إلى الإخبارِ بأن هؤلاء الكفارَ بمحمدٍ وشرعِه؛ لا حجةَ لهم ولا برهانَ؛ بلْ هُو تكذيبٌ مُجرَّدٌ سببُه الحسَدُ، ثم تَوَعَّدَهم سبحانَه بقوله: ﴿واللَّه من ورائهم محيط﴾ أي: عذابُ اللَّهِ ونقمتُه مِن ورائهم، أي: يأتي بَعْدَ كفرِهم وعِصْيانهم، **وقرأ** الجمهورُ: «في لوح محفوظٍ» بالخفضِ صفةً لـ«لوح» **وقرأ** نافعٌ[2]: «محفوظٌ» بالرفعِ، أي: محفوظ في القلوبِ لاَ يدركُه الخطأَ والتبديلُ.

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٤٦٢).

(٢) ينظر: **«السبعة»** (٦٧٨)، و**«الحجة»** (٦/ ٣٩٦)، و**«إعراب القراءات»** (٢/ ٤٥٨)، و**«معاني القراءات»** (٣/ ١٣٦)، و**«شرح الطيبة»** (٦/ ١٠٦)، و**«العنوان»** (٢٠٦)، و**«حجة القراءات»** (٧٥٧)، و**«شرح شعلة»** (٦٢١)، و**«إتحاف»** (٢/ ٦٠١).

[تَفْسِيرُ] سُورَةِ «وَالطَّارِقِ»

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ بِلاَ خِلاَفٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ۝١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۝٢ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ۝٣ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝٤﴾

أقسم اللَّهُ تعالى بالسماءِ المعروفةِ في قول الجمهور، وقِيل: السماءُ هنا هو المطرُ، ﴿والطارق﴾: الذي يأتي ليلاً، ثم فسَّر تعالى هذا الطارقَ بأنَّه: ﴿النجم الثاقب﴾ واخْتُلِفَ في ﴿النجم الثاقب﴾ فقال الحسنُ/ بن أبي الحسن ما معناه؛ أنه اسمُ جنسٍ؛ لأنها كلَّها ثاقِبة، أي: ظاهرة الضوء، يقال: ثَقُبَ النجمُ إذا أضاء[1]، وقال ابن زيد: أرادَ نَجماً مخصوصاً؛ وهو زُحَلُ[2]، وقال ابن عباس: أراد الجَدْيَ[3]، وقال ابن زيد أيضاً: هو الثُّرَيَّا[4]، وجَوابُ القسم في قوله: ﴿إن كل نفس...﴾ الآية، و«إِنْ» هي المخففةُ من الثقيلةِ، واللامُ في «لَمَّا» لامُ التأكيدِ الداخلةِ على الخبرِ؛ هذا مذهبُ حُذَّاقِ البصريين، وقال الكوفيون «إِنْ» بمعنى «ما» النافيةِ، واللامُ بمعنى «إلا» فالتقديرُ: ما كلُّ نفسٍ إلا عليها حافظٌ، ومعنى الآيةِ فيما قال قتادة وغيره: إنَّ على كل نفسٍ مكلَّفَةٍ حافظاً يُحْصِي أعمالَها ويُعِدُّهَا للجزاءِ عليها[5]، وقال أبو أمامة قال النبي ﷺ في تفسير هذه الآية: «إِنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ حَفَظَةً مِنَ اللَّهِ يَذُبُّونَ عَنْهَا كَمَا يُذَبُّ عَنْ قَصْعَةِ العَسَلِ الذُّبَابُ، وَلَوْ وُكِلَ المَرْءُ إِلَىٰ نَفْسِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ لاخْتَطَفَتْهُ الشَّيَاطِينُ».

٢١٩أ

﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۝٧﴾

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٤٦٤).

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٥٣٣)، (٣٦٩٠٦)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٦٤).

(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ٤٦٤).

(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ٥٣٣)، (٣٦٩٠٦)، وذكره البغوي (٤/ ٤٧٣)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٦٠)، وعزاه لابن جرير.

(٥) أخرجه الطبري (١٢/ ٥٣٤)، (٣٦٩١٠)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٦٥)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٦٠)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر عن قتادة بنحوه.

وقوله تعالى: ﴿فلينظر الإنسان مم خلق﴾ توقيفٌ لمنكرِي البعثِ على أصلِ الخِلْقَةِ الدالِّ على أن البعثَ جائزٌ ممكن، ثم بادَرَ اللفظَ إلى الجوابِ اقْتِضَاباً وإسْراعاً إلى إقامَةِ الحجة، فقال: ﴿خلق من ماءٍ دافق * يخرج من بين الصلب والترائب﴾ قال الحسن وغيره: معناه: من بينِ صلبِ كلّ واحدٍ من الرجلِ والمرأةِ، وترائِبِه[1]، وقال جماعةُ: من بينِ صلبِ الرجل وترائب المرأةِ [والتَرِيبَةُ من الإنسان: ما بين التَّرْقُوةِ إلى الثدي، قال أبو عبيدة مُعَلَّقُ الحَلْيِ إلى الصَّدْرِ، وقيل غير هذا[2].

﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴿١٧﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿إنه[3] على رجعه لقادر﴾ قال ابن عباس وقتادة: المعنى أن اللَّهَ عَلى ردِّ الإنسانِ حيًّا بعد موتهِ لقادرٌ[4]، وهذا أظهر الأقوال هنا وأبينُها، و﴿دافق﴾ قال كثير من المفسرين: هو بمعنى مَدْفُوقٍ، والعاملُ في ﴿يوم﴾ الرَّجْعُ من قولهِ: ﴿على رجعه﴾.

و﴿تبلى السرائر﴾ معناه تُخْتَبَرُ وتكشَفُ بواطنُها، ورَوَى أبو الدرداءِ عن النبي ﷺ: أن / السرائرَ التي يَبْتَلِيهَا اللَّه من العباد: التوحيدُ، والصلاةُ، والزكاةُ، والغُسْلُ من الجنَابةِ، قال ٢١٩ ب
* ع[5] *: وهذهِ معظَمُ الأمرِ، وقال قتادة: الوجهُ في الآيةِ العمومُ في جميعِ السرائرِ[6]، ونَقَلَ ابنُ العربي في «أحكامِه» عن ابن مسعود: أنَّ هذه المذكوراتِ [مِنَ] الصلاةِ والزكاةِ والوضوءِ والوديعةِ كلُّها أمَانَةٌ، قال: وأَشَدُّ ذلكَ الوديعةُ تَمْثُلُ له، أي: لمن خَانَها على هيئَتِها يوم أخَذَها فَتُرْمَى في قَعْر جهنمَ، فيقالُ له: أخْرِجْها، فيتبعُها فيجعلُها في عنقهِ فإذا أراد أن يخرجَ بهَا زَلَّتْ منه فيتبعُها؛ فهو كذلكَ دَهْرَ الداهرينَ، انتهى، * ت *: قال أبو عبيد الهروي: قوله تعالى: ﴿يوم تبلى السرائر﴾ الواحدةُ سَرِيرَةٌ وهي الأعمالُ التي أسرَّهَا

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٤٦٥).
(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٤٦٥).
(٣) سقط في: د.
(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ٥٣٧)، (٣٦٩٣٧) عن قتادة، وذكره البغوي (٤/ ٤٧٣)، وابن عطية (٥/ ٤٦٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٦١)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر عن قتادة بنحوه.
(٥) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٤٦٦).
(٦) ذكره ابن عطية (٥/ ٤٦٦).

العبادُ، انتهى، و﴿الرجع﴾ المطرُ وماؤُه، وقال ابن عباس: الرجعُ: السحابُ فيه المطرُ[١]، قال الحسنُ: لأنه يَرْجِعُ بالرزقِ كلَّ عام[٢]، وقال غيرُه: لأنه يرجع إلى الأرض، و﴿الصَّدْع﴾ النباتُ؛ لأن الأرضَ تَتَصَدَّعُ عنْه، والضمير في ﴿إنه﴾ للقرآن، و﴿فصل﴾ معناه: جَزْمٌ فَصَلَ الحقائِقَ مِنَ الأباطيلِ، و﴿الهَزْل﴾ اللعِبُ الباطلُ، ثم أخبر تعالى عن قريش أنهم يَكِيدُونَ في أفعالِهم وأقوالِهم بالنبي ـ عليه السلام ـ، و﴿أكيد كيداً﴾ وهذا على مَا مَرَّ من تسميةِ العُقُوبة باسْمِ الذنبِ، و﴿رويداً﴾ معناه: قليلاً؛ قاله قتادة[٣]، وهذهِ حالُ هذهِ اللفظةِ؛ إذا تقدمَها شيءٌ تَصِفُه كقولك: سيراً رويداً، أو تقدمَها فعل يَعْملُ فيها كهذهِ، وأما إذا ابتدأتَ بها فقُلْتَ: رويداً يا فلان؛ فهي بمعنى الأمر بالتَمَاهُلِ، * ص *: ﴿رويداً﴾ قال أبو البقاء: نَعْتٌ لمصدرٍ محذوفٍ، أي: إمْهَالاً رُوَيْداً، و«رويداً» تَصْغِيرُ «رَوْدٍ» وأنشَد أبو عُبَيْدَةَ: [البسيط]

يَمْشِي ولاَ تَكْلِمُ البَطْحَاءَ مِشْيَتُهُ ... كَأَنَّهُ ثَمِلٌ يَمْشِي عَلَىٰ رَوْدِ

أي: على مَهْلٍ ورِفْقٍ، انتهى.

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/٥٣٨)، (٣٦٩٤٤)، وذكره ابن عطية (٥/٤٦٦)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٩٨).

(٢) أخرجه الطبري (١٢/٥٣٨)، (٣٦٩٤٧)، وذكره ابن عطية (٥/٤٦٦).

(٣) أخرجه الطبري (١٢/٥٤١)، (٣٦٩٦٧)، وذكره ابن عطية (٥/٤٦٧).

[تَفسِيرُ] سُورَةِ «الأعلى»

/ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ في قَوْلِ الجُمْهُورِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۝٥﴾

﴿سبح﴾ في هذه الآية بمعنى: نَزِّه وقَدِّسْ وَقُلْ: جَلَّ سبحانَه عن النقائِص والغَيْرِ جميعاً، ورَوَى ابنُ عباس أن النبي ﷺ كان إذا قرأ هذه الآية، قالَ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَىٰ»[1]، وكان ابن مسعودٍ وابنُ عمرَ وابنُ الزبيرِ يفعلون ذلك، ولما نَزَلَتْ قال النبي ﷺ: «اجْعَلُوهَا في سُجُودِكُم»[2]، وعن سلمةَ بنِ الأكوع قال: مَا سمعتُ النبيَّ ﷺ يَسْتَفْتِحُ دُعَاءَ إلاَّ ٱسْتَفْتَحَهُ بـ«سُبْحَان رَبِّيَ الأَعْلَىٰ الوهَّاب»[3] رواه الحاكم في «**المستدرك**»، وقال: صحيحُ الإسنادِ، انتهى من «**سلاح المؤمن**».

و«سَوَّى» معناه: عَدَّلَ وأتْقَنَ.

وقوله: ﴿فَهَدَى﴾ عامٌّ لوجوهِ الهداياتِ في الإنسانِ والحيوانِ، وقال الفراء: معناه هَدَى وأضَلَّ؛ والعمومُ في الآيةِ أصوبُ، و﴿المَرْعَى﴾: النباتُ، و«الغُثَاء»: مَا يَبِسَ وجَفَّ وتَحَطَّمَ من النباتِ؛ وهو الذي يحمله السيلُ، و«الأَحْوَى» قيلَ هو الأَخْضَرُ الذي عليه سَوَادٌ من شدَّةِ الخُضْرَةِ والغَضَارة، فتقديرُ الآيةِ: الذي أَخْرَجَ المَرْعى أحوَى أي أَسْوَدَ من خضرتهِ وغَضَارَتِه فجعَله غُثَاءً عِنْدَ يُبْسِه فـ﴿أَحْوَى﴾: حالٌ، وقال ابن عباس: المعنى: فجعله غُثَاءً أحْوَى أي أَسْوَدَ؛ لأن الغُثَاءَ إذا قَدِمَ وأصَابَتْهُ الأَمْطَارُ اسْوَدَّ وتَعَفَّنَ

---

(١) ذكره السيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/٥٦٦).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه الحاكم في «**المستدرك**» (١/٤٩٨). قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

فَصَارَ أحوى، فهذَا صفةٌ[١].

﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧﴾

وقولُهُ تعالى: ﴿سنقرئك فلا تنسى﴾ قال الحسنُ وقتادة ومالك بن أنس: هذه الآيةُ في معنى قوله تعالى: ﴿لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ...﴾ [القيامة: ١٦] الآية، وَعَدَهُ اللَّه أنْ يُقْرِئَه وأخبرَه أنه لاَ يَنسى نِسْياناً لا يكونُ بعدَه ذِكر[٢]، وقيل: بلِ المعنى: أنه أمره تعالى بأنْ لا يَنْسَى على معنى التَّثْبِيتِ والتأكيدِ، وقال الجنيد: معنى ﴿لا تَنْسَى﴾ لاَ تَتْرُكِ العمَلَ/ بما تَضَمَّنَ مِنْ أمْرٍ ونهي. ٢٢٠ ب

وقوله تعالى: ﴿إلا ما شاء اللَّه﴾ قال الحسنُ وغيرهُ: معناه: مما قَضَى اللَّهُ بِنَسْخِه ورَفْعِ تلاوتِه وحُكْمه[٣]، وقال ابن عباس: ﴿إلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾: أنْ يُنْسِيَكَهُ؛ لِيُسَنَّ بهِ[٤]؛ عَلىٰ نَحْوِ قولِه ـ عليه الصَّلاةُ والسلام ـ: «إنِّي لأَنْسَىٰ أوْ أُنَسَّىٰ لِأَسُنَّ». قَالَ * ع[٥] *: ونسيانُ النبيِّ ﷺ ممتنعٌ فيما أُمِرَ بتبليغِهِ؛ إذ هُو معصومٌ فإذا بَلَغَهُ وَوَعَى عنه؛ فالنسيانُ جائِزٌ على أن يَتَذَكَّرَ بعدَ ذلك، أو على أنْ يَسُنَّ، أو عَلى النسخ.

﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝٨ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ۝١١ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝١٣﴾

وقوله تعالى: ﴿ونيسرك لليسرى﴾ معناه: نَذْهَبُ بك نحوَ الأمورِ المُسْتَحْسَنَةِ في دنياكَ وَأُخْرَاكَ من النَّصْرِ والظَّفَرِ، ورِفعةِ الرسالةِ وعلو المنزلةِ يومَ القيامةِ، والرفعةِ في الجنة، ثم أمرَه تعالى بالتَّذكيرِ، قال بعضُ الحذَّاقِ: قوله تعالى: ﴿إن نفعت الذكرى﴾ اعْتِرَاضٌ بَينَ الكلامينِ علىٰ جِهَةِ التوبيخِ لقريشٍ، ثم أخبرَ تعالى أنّه سَيَذَّكَرُ مَنْ يَخْشَى اللَّهَ والدارَ الآخِرَة وهمُ العلماءُ والمؤمنونَ، كُلٌّ بقَدْرِ ما وُفِّقَ له، ويَتَجَنَّبُ الذِكْرَى ونَفْعَها مَنْ سبقتْ له الشَقَاوَةُ.

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٥٤٤)، (٣٦٩٧٧)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٦٨)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥٠٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٦٦)، وعزاه لابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن عباس بنحوه.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٥٤٥) عن قتادة، برقم: (٣٦٩٨٢)، وابن عطية (٥/ ٤٦٩)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥٠٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٥٦٧)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٥٤٥)، (٣٦٩٨١) عن مجاهد، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٦٩).

(٤) ذكره أبو حيان (٨/ ٤٥٣)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٦٩).

(٥) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٤٦٩).

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾

وَ﴿تَزَكَّىٰ﴾ معناه: طَهَّرَ نَفْسَه ونماها بالخيرِ، ومِنَ «**الأربعين حديثاً**» المسندةِ لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري الإمامِ المحدثِ قال في آخرها: وحديثُ تمامِ الأربعينَ حديثاً؛ وهو حديثٌ كبيرٌ جامعٌ لكلِّ خيرٍ؛ حدَّثنا أبو بكرٍ جعفرُ بنُ محمدٍ الفِرْيَابِيُّ إملاءً في شهر رجب سنةَ سبعٍ وتسعينَ ومائتين؛ قال: حدثنا إبراهيمُ بنُ هشامِ بنِ يحيى الغسانيّ قال: حدثني أبي عن جَدِّي عن أبي إدريسَ الخَوْلاَنِيِّ عَن أَبي ذَرٍّ قال: «دَخَلْتُ المَسْجِدَ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ، فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ، لِلْمَسْجِدِ تَحِيَّةٌ، وَتَحِيَّتُهُ رَكْعَتَانِ؛ قُمْ فَارْكَعْهُمَا، قَالَ: فَلَمَّا رَكَعْتُهُما، جَلَسْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ أَمَرْتَنِي بِالصَّلاَةِ، فَمَا الصَّلاَةُ؟/ قَالَ: خَيْرٌ مَوْضُوعٌ، فَٱسْتَكْثِرْ أَوِ ٱسْتَقْلِلْ» الحديثَ، وفيهِ: «قلتُ: ٢٢١ أ
يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَمْ كِتَاباً أَنْزَلَ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ؟ قَالَ: مِائَةَ كِتَابٍ وَأَرْبَعَةَ كُتُبٍ؛ أَنْزَلَ اللَّهُ: عَلَى شِيثَ خَمْسِينَ صَحِيفَةً، وَعَلَى خَانُوخَ ثَلاَثِينَ صَحِيفَةً، وعَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ عَشْرَ صَحَائِفَ، وأَنْزَلَ عَلَى مُوسَىٰ قَبْلَ التَّوْرَاةِ عَشْرَ صَحَائِفَ، وأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ، وَالإِنْجِيلَ، والزَّبُورَ، وَالفُرْقَانَ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا كَانَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ؟ قَالَ: كَانَتْ أَمْثَالاً كُلُّها: أَيُّهَا المَلِكُ المُسَلَّطُ المُبْتَلَى المَغْرُورُ، إِنِّي لَمْ أَبْعَثْكَ لِتَجْمَعَ الدُّنْيَا بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ، وَلٰكِنِّي بَعَثْتُكَ لِتَرُدَّ عَنِّي دَعْوَةَ المَظْلُومِ، فَإِنِّي لاَ أَرُدُّهَا وَلَوْ مِنْ كَافِرٍ، وَكَانَ فِيهَا أَمْثَالٌ: وَعَلَى العَاقِلِ أَنْ تَكُونَ لَهُ سَاعَةٌ يُنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ، وَسَاعَةٌ يُحَاسِبُ فِيهَا نَفْسَهُ، وَسَاعَةٌ يُفَكِّرُ في صُنْعِ اللَّهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ إِلَيْهِ، وَسَاعَةٌ يَخْلُو فِيهَا لَحَاجَتِهِ مِنَ المَطْعَمِ وَالمَشْرَبِ، وَعَلَى العَاقِلِ أَلاَّ يَكُونَ ظَاعِناً إِلاَّ لِثَلاَثٍ: تَزَوُّدٍ لِمَعادٍ، أو مَؤُونَةٍ لِمَعَاشٍ، أَوْ لَذَّةٍ في غَيْرِ مُحَرَّمٍ، وَعَلَى العَاقِلِ أَنْ يَكُونَ بَصِيراً بِزَمَانِهِ، مُقْبِلاً عَلَىٰ شَانِهِ، حَافِظاً لِلِسَانِهِ، وَمَنْ حَسِبَ كَلاَمَهُ مِنْ عَمَلِهِ؛ قَلَّ كَلاَمُهُ إِلاَّ فِيمَا يَعْنِيهِ، قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا كَانَتْ صُحُفُ مُوسَى؟ قَالَ: كَانَتْ عِبَراً كُلُّهَا: عَجِبْتُ لِمَنْ أَيْقَنَ بِالمَوْتِ كَيْفَ يَفْرَحُ، وَعَجِبْتُ لِمَنْ أَيْقَنَ بِالقَدَرِ، ثُمَّ هُوَ يَنْصَبُ، وَعَجِبْتُ لِمَن رَأَى الدُّنْيَا وَتَقَلُّبَها بِأَهْلِهَا؛ ثُمَّ ٱطْمَأَنَّ إِلَيْهَا، وَعَجِبْتُ لِمَنْ أَيْقَنَ بِالحِسَابِ غَداً ثُمَّ لاَ يَعْمَلُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَهَلْ في أَيْدِينَا شَيْءٌ مِمَّا كَانَ في أَيْدِي إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ؛ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، اقْرأْ يَا أَبَا ذَرٍّ ﴿«قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّىٰ * وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ * بَلْ تُؤْثِرُونَ الحَيَوٰةَ الدُّنْيَا﴾ إِلى آخِرِ هذه/ [السورةِ ـ ٢٢١ ب
يعني: أَنَّ ذِكْرَ هٰذِهِ الآيَاتِ لَفِي صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ـ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ فَأَوْصِنِي، قَالَ: أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّه ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ فَإِنَّهُ رَأْسُ أَمْرِكَ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ زِدْنِي؛ قَالَ: عَلَيْكَ بِتِلاَوَةِ القُرْآنَ وَذِكْرِ اللَّهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ؛ فَإِنَّهُ ذِكْرٌ لَكَ في السَّمَاءِ

وَنُورٌ لَكَ في الأَرْضِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، زِدْنِي، قَالَ: وَإِيَّاكَ وَكَثْرَةَ الضَّحِكِ؛ فَإِنَّهُ يُمِيتُ القَلْبَ، ويَذْهَبُ بِنُورِ الْوَجْهِ، قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ زِدْنِي، قَالَ: عَلَيْكَ بِالجِهَادِ؛ فَإِنَّهُ رَهْبَانِيَّةُ أُمَّتِي، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ زِدْنِي، قَالَ: عَلَيْكَ بِالصَّمْتِ إِلاَّ مِنْ خَيْرٍ؛ فَإِنَّهُ مَطْرَدَةٌ للشَّيْطَانِ وَعَوْنٌ لَكَ عَلَىٰ أَمْرِ دِينِكَ»[1] انتهى.

وقوله تعالى: ﴿وذكر اسم ربه﴾ أي: وَحَّدَهُ وَصلَّى له الصلواتِ المفروضةَ وغيرَها، وقال أبو سعيد الخدري وغيره: هذه الآيةُ نزلتْ في صَبِيحَةِ يومِ الفِطْرِ[2]، فـ﴿تَزَكَّىٰ﴾: أدَّى زكاةَ الفِطْرِ، ﴿وذكرَ اسمَ ربِّهِ﴾ في طريق المُصَلَّى، وصَلَّى صلاةَ العِيد، ثم أَخْبَرَ تعالى الناسَ أنهم يؤثِرُونَ الحياةَ الدنيا، وسَبَبُ الإيثارِ حُبُّ العَاجِلِ والجهلُ ببقاءِ الآخرةِ وفَضْلِها، ورَوَّينَا في كتابِ الترمذي عن ابن مسعودٍ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحياءِ، قَالَ: فقلنا: يَا رسولَ اللَّهِ، إِنَّا نَسْتَحِي وَالحَمْدُ للَّهِ، قَالَ: لَيْسَ ذَلِكَ، وَلٰكِنَّ الاِسْتِحْيَاءَ مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ: أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَىٰ، وَتَحْفَظَ البَطْنَ وَمَا حَوَىٰ، وَلْتَذْكُرِ المَوْتَ وَالْبِلَىٰ، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ»[3] انتهى، قال الغَزَّاليُّ: وإيثارُ الحياةِ الدنيا طَبْعٌ غالبٌ على الإنسانِ؛ ولذلك قال تعالى: ﴿بل تُؤْثِرُونَ الحيوٰة الدنيا﴾ ثمَّ بَيَّنَ سبحانه أن الشَّرَّ قَدِيمٌ في الطباعِ وأن ذلكَ مذكورٌ في الكتُبِ السالِفَة فقال: ﴿إن هذا لفي الصحف الأولى * صحف إبراهيم وموسى﴾، انتهى من «الإحياء».

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٤٧٠).

(٣) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٣٧)، كتاب «صفة القيامة» باب: (٢٤) (٢٤٥٨)، وأحمد (١/ ٣٨٧)، والحاكم (٤/ ٣٢٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٢٠٩)، والشجري في «الأمالي» (٢/ ١٩٦ ـ ١٩٧)، والطبراني في «معجمه الكبير» (١٠/ ١٠٢٩٠) عن عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه.
قال الترمذي: هذا حديث إنما نعرفه من هذا الوجه من حديث أبان بن إسحاق عن الصباح بن محمد ا هـ.
قال المزي في «تهذيب الكمال» (٢/ ٥): قال أحمد بن محمد بن القاسم بن محرز البغدادي، عن يحيى بن معين: ليس به بأس، وقال أحمد بن عبد اللَّه العِجْلي: ثقة.
وقال أبو الفتح الأزدي: متروك ا هـ من «تهذيب الكمال»، وقال أيضاً عن الصباح بن محمد بن أبي حازم البَجليّ (١٣/ ١١٠) من «تهذيب الكمال»: روى له الترمذي حديثاً واحداً عن مرة عن ابن مسعود: «استحيوا من اللَّه حق الحياء». وقال: غريب إنما نعرفه من هذا الوجه. ا هـ.
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وللحديث شاهد من حديث الحكم بن عمير، أخرجه الطبراني (٣/ ٢٤٦)، (٣١٩٢).
قال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٢٧٨): رواه الطبراني وفيه عيسى بن إبراهيم القرشي، وهو متروك.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا﴾ قال ابن زيد: الإشارَة بـ«هَذَا» إلى هذينِ الخبرينِ: إفْلاحِ مَنْ تَزكّى، وإيثارِ الناسِ للدنيا مَعَ فَضْلِ الآخرة عليها، وهذا هو الأرجَحُ لقرب المشارِ إليه[1]، وعن أُبيِّ بن كعب قال: كانَ رسولُ اللَّه ﷺ يقرأُ في الْوِتْرِ بـ«سبح اسم ربك الأعلى» و«قل يأيها الكافرون» و«قل هو اللَّه أحد»؛ فإذا سَلَّمَ قال: سُبْحَانَ المَلِكِ القُدُّوسِ؛ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ يَمُدُّ صَوْتَهُ في الثَّالِثَةِ، ويَرْفَعُ، رواه أبو داود والنسائي؛ وهذا لفظه، ورَواهُ الدارقطني في سُنَنِهِ، ولفْظُه: «فَإِذَا سَلَّمَ قَالَ: سُبْحَانَ المَلِكِ الْقُدُّوسِ، ثَلاَثَ مَرَّاتٍ يَمُدُّ بِهَا صَوْتَهُ في الأَخِيرَةِ، وَيَقُولُ: رَبُّ المَلاَئِكَةِ وَالرُّوحِ»، انتهى من **«السلاح»**، قالَ النووي ورُوِّينَا في **«سُنَنِ أبي داودَ»** و**«الترمذي»** و**«النسائي»** عن علي - رضي اللَّه عنه - أنَّ النبي ﷺ كان يقول في آخر وِتْرِهِ: «اللهمَّ إني أعوذُ برضاكَ من سَخَطِكَ، وأعوذ بِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوْبَتِكَ، وأعوذ بك منكَ، لا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَما أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»[2] قال الترمذيُّ: حديث حسن، انتهى.

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/٥٤٩)، (٣٧٠٠١)، وذكره ابن عطية (٥/٤٧١)، وابن كثير في **«تفسيره»** (٤/ ٥٠٢) بنحوه.

(٢) تقدم تخريجه.

تَفْسِيرُ سُورَةِ «الغَاشِيَةِ»

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ بِإِجْمَاعٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢﴾

قال بعض المفسرين: ﴿هَلْ﴾ بمعنى «قَدْ» وقال الحُذَّاق: هي على بابها توقيفٌ فائِدتُه تَحْرِيكُ نَفْسِ السامعِ إلى تَلَقِّي الخَبَرِ، و﴿الغَاشِيَة﴾ القيامة، لأنها تَغْشَى العالَم كلَّه بهَوْلِها، والوجوهُ الخاشعةُ هي وجوهُ الكُفَّارِ وخشوعُها ذلُّها وتغييرُهَا بالعذابِ.

﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ۝٥ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ۝٧ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠﴾

وقوله سبحانه: ﴿عاملة ناصبة﴾ قال الحسن وغيره: لم تعملْ للَّهِ في الدنيا فأعْمَلَهَا وأَنْصَبَها في النارِ، والنَّصَبُ التَّعبُ[1]، وقال ابن عباس وغيره: المعنى عاملَةٌ في الدنيا ناصِبَةٌ فِيها على غير هُدًى فَلا ثَمَرَةَ لَعملِها، إلا النَّصَبُ، وخاتمتُه النارُ[2]، قالوا: والآية في القِسِّيسينَ وكلِّ مجتهدٍ في كُفْرٍ، **وقرأ** أبو بكر عن عاصم وأبو عمرو «تُصْلَى» ـ بضم التاءِ والباقونَ بفتحها[3] ـ والآنيةُ: التي قد انتَهى حرُّها كما قال تعالى ﴿وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾ [الرحمٰن: ٤٤] وقال ابن زيد: آنية: حَاضِرَة[4]، والضريعُ: قال الحسن وجماعةٌ: هو الزَّقُّوم[5]، وقال ابن عباسٍ وغيرهُ: الضريعُ شَبْرَقُ النار[6]، وقال النبي ﷺ الضريعُ شَوْكٌ

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٥٥١) (٣٧٠١٠)، وذكره البغوي (٤/ ٤٧٨) بنحوه.

(٢) ذكره البغوي (٤/ ٤٧٨). وذكره ابن عطية (٥/ ٤٧٢).

(٣) ينظر: **«السبعة»** (٦٨١)، و**«الحجة»** (٦/ ٣٩٩)، و**«إعراب القراءات»** (٢/ ٤٦٩)، و**«معاني القراءات»** (٣/ ١٤٠)، و**«شرح الطيبة»** (٦/ ١٠٩)، و**«العنوان»** (٢٠)، و**«حجة القراءات»** (٧٥٩)، و**«شرح شعلة»** (٦٢٢)، و**«إتحاف»** (٢/ ٦٠٥).

(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ٥٥٢)، (٣٧٠٢٠)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٧٣)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٦/ ٥٧٣)، وعزاه لابن جرير، وابن أبي حاتم.

(٥) ذكره ابن عطية (٥/ ٤٧٣)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٦/ ٥٧٣)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن أبي حاتم.

(٦) أخرجه الطبري (١٢/ ٥٥٢)، (٣٧٠٢١)، وذكره البغوي (٤/ ٤٧٨)، وابن عطية (٥/ ٤٧٣)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٦/ ٥٧٣)، وعزاه لعبد بن حميد عن ابن عباس.

في النارِ، * ت *: وهذا إنْ صَحَّ فلا [يُعْدَلُ] عنه، وقيل غير هذا، ولما ذَكَر تعالى وجوهَ أهلِ النار عَقَّبَ ذلك بذكرِ وجوه أهل الجنة ليبيِّنَ الفرقَ، وقولُه تعالى: ﴿لِسَعْيِهَا﴾ يريدُ لَعَمَلِهَا في الدنيا وطاعتها، والمعنى لِثَوابِ سَعْيِها؛ والتَّنْعِيمُ عليه، ووصفَ سبحانَه الجنةَ بالعُلُوِّ وذلك يصحُّ من جهة المسَافَةِ والمكانِ، ومن جهة المكانَةِ والمنزلةِ أيضاً.

﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾﴾

﴿لا تسمع فيها لاغية﴾ قيل: المعنى كلمة لاغيةٌ، وقيل جماعةٌ لاغية، أو فِئَة لاغيةٌ، واللَّغوُ سَقَطُ القَوْلِ، قال الفخر[1]: قوله تعالى: ﴿فيها سرر مرفوعة﴾ أي عاليَة في الهواء؛ وذلك لأجل أن يَرَى المؤمن إذا جلسَ عليها جميعَ ما أعطاه اللَّه تعالى في الجنةِ من النعيم والمُلْكِ، قال خارجة بن مصعب: بلغَنَا أن بعضَها فَوقَ بعضٍ فترتفعُ ما شاءَ اللَّه؛ فإذا جَاءَ وليُّ اللَّهِ ليجلسَ عليها تَطَامَنَتْ له فإذا استَوَى عليهَا ارْتَفَعَتْ إلى حيثُ شاءَ اللَّه سبحانه، انتهى.

﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾

﴿وأكواب موضوعة﴾ أي: بِأَشْرِبتِها مُعَدَّةٌ، والنَمْرَقَةُ: الوسادةُ، والزَّرَابِيُّ: واحدها زُرْبِيَّةٌ، وهي كالطَّنَافِسِ لها خَمْلٌ؛ قاله الفراء[2]، وهي ملوَّنَاتٌ و﴿مَبْثُوثَة﴾ معناه كثيرةٌ متفرقة، ثم وقفَهم سبحانه على مواضِع العبرةِ في مخلوقاتِهِ، و﴿الإبل﴾ في هذه الآيةِ هي الجِمالُ المعروفةُ هذا قول الجمهور، وفي الجَمَلِ آياتٌ وعبر لِمَن تَأَمَّلَ،/ وكان شُرَيْحُ القاضي يقول لأصحَابِهِ: اخْرُجُوا بنا إلى الكِنَاسَةِ، حتى ننظرَ إلى الإبل كيف خلقتْ[3]، وقال المبردُ: الإبلُ هُنَا السحابُ لأَنَّ العربَ قد تسميها بذلك، إذ تأتي أرْسَالاً كالإبل، و﴿نُصِبَتْ﴾: معناه: أُثْبِتَتْ قائِمَةً في الهواءِ، وظاهرُ الآية أنّ الأرْضَ سَطْحٌ لا كرةٌ[4]، وهو الذي عليه أهلُ العلم، وقد تقدم الكلامُ على هذا المعنى، ثم نَفَى أن يكونَ النبي ﷺ مُصَيْطِراً على الناسِ، أي: قاهرًا جابراً لهم مع تَكَبُّرٍ مُتَسَلِّطاً عليهم. ٢٢٢أ

---

(١) ينظر: «الفخر الرازي» (٣١/ ١٤٢).

(٢) ذكره البغوي (٤/ ٤٧٩)، وابن عطية (٥/ ٤٧٤).

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٥٥٦)، (٣٧٠٤٤)، وذكره البغوي (٤/ ٤٨٠)، وابن عطية (٥/ ٤٧٤)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥٠٣)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٧٥)، وعزاه لابن حميد عن شريح بنحوه.

(٤) وهو الذي تراه العين ظاهراً، ولا يخفى أن حقيقة الأرض بيضاوية.

﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿إلا من تولى وكفر﴾ قال بعض المتأولين: الاستثناءُ متصلٌ، والمعنى: إلا مَنْ تولى فإنَّكَ مُصَيْطِرٌ عليه، فالآيةُ على هذا لا نَسْخَ فيهَا، وقال آخرون: الاستثناء مُنْفَصِلٌ، والمعنى: لست عليهم بمصيطرٍ لَكِنَّ مَنْ تَولَّى وكفر فيعذبُه اللَّه، وهِي آيةُ مُوَادَعَةٍ مَنْسُوخَةٌ بالسَّيْفِ وهذا هُو القولُ الصحيحُ؛ لأنَّ السُّورَةَ مَكِّيَّةٌ والقِتَالُ إنَّما نَزَلَ بالمدينةِ * ص *: **وقرأ** زيد بن أسْلَم: «ألا من تولّى»: حرف تنبيه واستفتاح، انتهى، وقال ابن العربي في «**أحكامِه**»: روى الترمذيُّ وغيرُهُ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَقُولُوا: لاَ إِلَٰهَ إِلاَّ اللَّه، فإِذَا قَالُوهَا، عَصَمُوا مِنِّي دَمَاءَهُمْ وأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»[1]، ثم قرأ: ﴿فذكر إنما أنت مذكر * لست عليهم بمصيطر﴾ مفسِّراً معنى الآيةِ وكاشفاً خفاءَ الخفاءِ عنها، المعنى: إذا قال الناسُ: لا إله إلا اللَّه فَلَسْتَ بمسلَّطٍ على سَرَائِرِهم وإنما عَلَيْكَ الظاهِرُ، وَكِلْ سرائرَهم إلى اللَّه تعالى، وهذا الحديثُ صحيحُ المعنى، واللَّه أعلم، انتهى، ، ﴿وإيابَهم﴾: مصدرٌ مِنْ آبَ يَؤُوبُ: إذَا رَجَعَ.

٢٢٢ ب

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٥٥٨)، (٣٧٠٥٧)، وذكره البغوي (٤/ ٤٨١)، وابن عطية (٥/ ٤٧٦)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ٥٧٨)، وعزاه لابن جرير عن ابن عباس.

[تَفْسِيرُ] سُورَةِ «الفَجْرِ»

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ عِنْدَ الجمْهُورِ، وَقِيلَ: مَدَنِيَّةٌ، والأَوَّلُ أَصَحُّ وأَشْهَرُ

/ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤﴾

الفَجْرُ هنا عند الجمهور: هو المشهورُ المعروفُ الطالِعُ كلَّ يوم، وقال ابن عباس وغيره: الفجرُ الذي أقسَم اللَّه به صلاةُ الصبحِ، وقيل غيرُ هذا. [واخْتُلِفَ في الليالي العشرِ فقيلَ: العشرُ الأُوَلُ مِنْ رمضانَ، وقيلَ: العشرُ الأواخِر منه، وقيل: عَشْرُ ذي الحجةِ، وقيل: غيرُ هذا][1] واللَّه أعلم بما أراد، فإن صحَّ عن النبي ﷺ شيءٌ في هذا صِيْرَ إليْهِ، واخْتُلِفَ في «الشَّفْعِ وَالْوتر» ما هما؟ على أقوالٍ كثيرةٍ، ورَوى عمرانُ بن حصين عن النبي ﷺ أنه قال: «هي الصلواتُ منها الشَّفْعُ ومنها الوَتْرُ»[2]، وسري الليل: هو ذهابُه وانقراضُه؛ هذا قولُ الجمهورِ، وقيل: المعنى: إذا يسري فيه.

﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ۝٥ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَٰدِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِي ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِي ٱلْبِلَٰدِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ۝١٤﴾

﴿هل في ذلك قسم لذي حِجْرٍ﴾ أي: هل في هذه الأقسامِ مُقْنِعٌ لذي عقل؟ ثم وقَفَ تعالى عَلى مصارِعِ الأُمَمِ الخاليةِ «وعاد»: قبيلة بِلاَ خلافٍ، واختلفَ في: «إرَمِ» فقال

---

(١) سقط في: د.

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٤٠)، كتاب «تفسير القرآن» باب: ومن سورة الفجر (٢٣٤٢)، وأحمد (٤/ ٤٣٨)، (٤/ ٤٤٢)، والطبراني (١٨/ ٢٣٢)، والحاكم (٢/ ٥٢٢).

قال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث قتادة. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

مجاهدٌ: هي القبيلةُ بعَيْنِها[١]، وقال ابن إسحاق: إرم: هو أبو عادٍ كلِّها[٢]، وقال الجمهور: إرم: مدينةٌ لهم عظيمةٌ كانَتْ عَلَى وجهِ الدَّهرِ باليَمَنِ، واخْتُلِفَ في قوله تعالى: ﴿ذَاتِ العِمَادِ﴾ فمن قال: إرم مدينةٌ قال: العمادُ أَعْمِدَة الحجارةِ التي بُنِيَتْ بها، وقيلَ القُصورُ العالية، والأبراجُ يقال لها عِمَادٌ، ومَنْ قَال إرم قبيلةٌ قال: العماد إما أَعْمِدَةُ بنيانهم، وإما أَعْمِدَةُ بيوتِهم التي يَرْحَلُونَ بها؛ قاله جماعةٌ والضميرُ في ﴿مِثْلُها﴾ يعودُ إما على المدينةِ وإما على القبيلةِ.

و﴿جَابُوا الصَّخْرَ﴾ معناه: خَرَقُوه ونَحَتُوه، وكَانُوا في وادِيهم قد نَحَتُوا بيوتَهم في حجارةٍ، و﴿فِرْعَوْنَ﴾ هو فِرْعَونُ مُوسىَ، واختلِفَ في أوتادِهِ فقيل: أبنيتُه العاليةُ، وقيلَ جنودُه الذينَ بهم يُثَبِّتُ ملكَه، وقيل/ المرادُ أوتادُ أخبيةِ عساكرِهِ، وذُكِرَتْ لكثرتِها؛ قاله ابن عباس[٣]، وقال مجاهد: كان يُوتِدُ الناس بأوتادٍ حديدٍ، يَقْتلُهُم بذلك: يَضْرِبُها في أَبْدَانِهِمْ حَتَّى تنفُذَ إلى الأرضِ[٤]، وقيلَ: غيرُ هذا، والصَّبُّ مستعملٌ في السوطِ وإنما خُصَّ السوطُ بأنْ يُسْتَعَارَ للعذابِ؛ لأنه يقتضِي من التَّكْرارِ والتَّرْداد ما لا يقتضيه السيفُ، ولاَ غيرُه وقال بعض اللُّغويينَ: السَّوْطُ هنا مصدرٌ من سَاطَ يَسُوطُ إذَا خَلَطَ فكأنه قال خَلْطُ عَذَابٍ.

١٢٢٣أ

* ص *: قال ابن الأنباري: ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ هُو جوابُ القَسَمِ، وقيل: محذوفٌ، وقيل: الجوابُ: ﴿هل في ذَلِكَ﴾ و﴿هَلْ﴾ بمعنى «إنَّ» وليس بشيء، انتهى، و﴿المِرْصَادُ﴾ والمَرْصَدُ: مَوْضِعُ الرَّصْدِ، قاله بعض اللغويين، أي: أَنَّه تعالى عنْدَ لسانِ كل قائلٍ ومَرْصَدٍ لكلِّ فاعلٍ، وإذا عَلِمَ العبدُ أَنَّ مولاه له بالمرصادِ ودَامَتْ مراقبتُه في الفؤادِ، حَضَره الخوفُ والحذر لا محالةَ، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥] قال أبو حامد في «الإحياء»: وبحسبِ معرفةِ العبد بِعيوبِ نفسهِ، ومعرفتهِ بجلالِ ربه وتعالِيه واستغنائِه، وأنه لا يُسْأَلُ عما يفعلُ؛ تَكُونُ قوةُ خوفِه، فأخوفُ الناسِ لربه أعرفُهم بنفسِهِ وبربهِ، ولذا قَال ﷺ: «أنا أخوفُكم للَّه»، ولذلكَ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨] ثم إذا كَمُلَتِ المعرفةُ أورثتِ الخوفَ واحتراقَ القلبِ، ثم

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٤٧٧).

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٥٦٧)، (٣٧١٣٠)، وذكره البغوي (٤/ ٤٨٢)، وابن عطية (٥/ ٤٧٧)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥٠٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٨٣)، وعزاه لابن المنذر عن السدي.

(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ٤٧٨).

(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ٥٧٠)، (٣٧١٥٠)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٧٨)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥٠٨) بنحوه.

يُفِيضُ أَثَرُ الحُرْقَةِ من القلبِ على البَدَنِ فَتَنْقَمِعُ الشهواتُ، وتحترقُ بالخوفِ، ويحصُلُ في القلب الذبولُ والخشوعُ والذِّلَّةُ والاستكانةُ، ويصيرُ العبدُ مستوعبَ الهَمِّ بخوفِه والنظرِ في خطرِ/ عاقبتِه؛ فلا يتفرغُ لغيرِه، ولا يكونُ له شُغْل إلا المراقَبَة والمحاسبَة والمجاهدَة ٢٢٣ ب والضِّنَّة بالأنفَاسِ واللحظاتِ، ومؤاخَذَة النفسِ في الخَطَراتِ والخُطُواتِ والكلماتِ، ثم قال: واعْلَمْ أنه لاَ تَنْقَمِعُ الشهواتُ بشيءٍ كما تنقمع بنَارِ الخَوْفِ، انتهى.

﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّآ ۖ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه...﴾ الآية، ذَكَرَ تَعالى في هذهِ الآيةِ ما كانتْ قريشٌ تقولُهُ وتستدلُّ به على إكرامِ اللَّه وإهانَتِهِ لعبدِهِ، وجَاءَ هذا التوبيخُ في الآيةِ لجنس الإنسان، إذ قد يقعُ بعضُ المؤمنينَ في شيء من هذا المَنْزَع، و﴿ابْتَلاَهُ﴾ معناه: اخْتَبَرَهُ، و﴿نَعَّمَه﴾ أي جَعَلَهُ ذَا نِعْمَةٍ.

و«قَدَرَ» بتخفيفِ الدال بمعنى: ضَيَّقَ، ثم قال تعالى: ﴿كَلاَّ﴾ ردّاً على قولِهم ومعتقدهم، أي: ليس إكرامُ اللَّهِ تعالى وإهانتُه كذلِكَ، وإنما ذلك ابتلاءٌ فَحَقُّ من ابْتُلِيَ بالغنى أن يشكرَ ويطيعَ، ومَنْ ابْتُلِيَ بالفَقْرِ أن يشكرَ ويصبرَ، وأما إكرامُ اللَّه فهو بالتقوى وإهانَتُهُ فبالمعصيةِ، و﴿طَعَام﴾ في هذهِ الآيةِ بمعْنَى: إطعام، ثم عدَّدَ عليهم جِدَّهم في أكل التراثِ، لأنهم كانوا لا يُورِّثُونَ النِّسَاءَ ولاَ صغارَ الأولادِ، وإنما كان يأْخُذُ المالَ مَنْ يقاتِلُ ويَحْمِي الحَوْزَةَ، و«اللَّمُّ» الجَمْعُ واللَّفُّ، قال الحسن: هو أَن يأْخُذَ في الميراثِ حظَّه وحظَّ غيرِه[1]، والجَمُّ الكثيرُ الشديدُ؛ ومنه قول الشاعر: [الرجز]

إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمّا وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لاَ أَلَمَّا[2]

ومنه الجَمُّ من الناس، ودَكُّ الأَرْضِ تسويتُها.

﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾﴾

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٥٧٤)، (٣٧١٧١)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٨٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٥٨٦)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير عن الحسن بنحوه.

(٢) تقدم.

وقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ معناه جَاءَ أَمرُهُ وقضاؤه، وقال منذرُ بنُ سعيد: معناه ظهورُه للخَلْقِ، هنالك؛ ليس مجيءَ نَقْلةٍ وكذلك مجيءُ الصاخَّةِ، ومجِيء الطامةِ[1]، والمَلَكُ اسم جنس يريد به جميعَ الملائِكة، و﴿صَفًّا﴾/ أي صُفُوفاً حولَ الأَرْضِ يوم القيامة على ما تقدم في غير هذا الموضع، و﴿جِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ رُوِيَ في قوله تعالى: ﴿وجيء يومئذ بجهنم﴾ بأنها تساقُ إلى المحشر بسبعينَ ألفِ زمَامٍ يُمْسِكُ كلَّ زِمَامٍ سَبْعُونَ ألفَ مَلَكٍ، فيخرجُ منها عُنُقٌ فينتقي الجبابرةَ من الكفارِ، في حديثٍ طويلٍ باختلافٍ ألفاظ. ٢٢٤أ

وقوله تعالى: ﴿يومئذ يتذكر الإنسان﴾ معناه: يتذكر عصيانَه وما فاتَه من العمل الصالحِ، وقال الثعلبي: «يومئذ يتذكر الإنسان» أي يتَّعِظُ ويتوبُ، «وأنى له الذكرى»، انتهى.

﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾

وقوله: ﴿يا ليتني قدمت لحياتي﴾ قال الجمهور: معناه لحياتي الباقيةِ يريدُ في الآخِرَةِ.

﴿فيومئذ لا يعذب عذابه أحد﴾ أي لا يعذِّبُ كَعَذَابِ اللَّه أحَدٌ في الدنيا، ولا يُوثِقُ كَوَثَاقِه أحَد، ويحتمل المعنى أنَّ اللَّهَ تعالى لا يَكِلُ عذابَ الكافرِ يومئذ إلى أحد، وقرأ الكسائيُّ ـ بفتح الذالِ والثاءِ[2] ـ أي: لا يعذَّبُ كعذَابِ الكافر أحَدٌ مِنَ الناسِ، ثم عقَّبَ تعالى بذكر نفوس المؤمنينَ وحالهم فقال: ﴿يأَيتها النفس المطمئنة﴾ الآية، والمطمئنةُ معناه: الموقِنَةُ غايةَ اليَقِينِ، ألا تَرى قَوْلَ إبراهيمَ ـ عليه السلام ـ ﴿ولَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠] فهي درجةٌ زائدةٌ على الإيمانِ، واخْتُلِفَ في هذا النداءِ: متى يقع؟ فقال جماعة: عند خروجِ رُوح المؤمِن، ورُوِي في ذلك حديثٌ، و﴿في عِبَادِي﴾ أي: في عِدَاد عِبَادي الصالحينَ، وقال قوم: النداءُ عند قيام الأجْسَادِ من القبور، فقولُه: ﴿ٱرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ معناه بالبعثِ، و«ادْخُلِي في عِبَادي» أي في الأجْسَادِ، وقيل: النداءُ هو الآنَ

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٤٨١).

(٢) ينظر: «السبعة» (٦٨٥)، و«الحجة» (٦/ ٤١١)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٤٨٠)، و«معاني القراءات» (٣/ ١٤٥)، و«شرح الطيبة» (٦/ ١١١)، و«العنوان» (٢٠٩)، و«حجة القراءات» (٧٦٣)، و«شرح شعلة» (٦٢٤)، و«إتحاف» (٢/ ٦٠٩).

للمؤمنينَ، وقال آخرونَ: هذا النداء إنما هو في المَوْقِفِ عندما يُنْطَلَقُ بأهل النار إلى النار.
* ت *: ولا مانِع/ أن يكونَ النداءُ في جميع هذه المواطِنِ، ولما تكلَّمَ ابن عطاء اللَّه في ٢٢٤ ب
مراعاة أحوال النفس قال: رُبَّ صاحبِ وِرْدٍ عَطَّلَه عن وِرْدِهِ والحضورِ فيه مع ربه هَمُّ التدبيرِ في المعيشةِ وغيرها من مصالحِ النفسِ، وأنواع وَسَاوِسِ الشيطان في التدبيرِ لا تَنْحَصِرُ، ومتى أعطاكَ اللَّه سُبحانه الفَهْمَ عنه عرَّفَكَ كَيْفَ تَصْنَع، فَأَيُّ عبدٍ توفَّر عقلُه واتَّسَعَ نورُه نزلت عليه السكينةُ من ربّه فسكنَتْ نفسُهُ عن الاضْطِرَابِ، وَوَثِقَتْ بِوَلِيِّ الأسبابِ، فكانت مطمئنةً، أي: خامِدَةً ساكنةً مستسلمةً لأحكامِ اللَّهِ ثابتةً لأقدارِهِ وممدودةً بتأييدِه وأنوارِه، فاطمأنَّتْ لمولاَها؛ لعلمِها بأنه يَرَاهَا: ﴿أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣] فاستحَقَّتْ أنْ يقالُ لها: ﴿يَأَيتها النفس المطمئنة * ارجعي إلى ربك راضية مرضية﴾ وفي الآية خصائصُ عظيمةٌ لَها مِنْها ترفيعُ شأنِها بتَكْنِيَتِها ومَدْحِها بالطُّمْأنينَةِ ثَنَاءَ منه سبحانه عليها بالاستسلام إليه والتوكلِ عليه، والمطمئنُّ المنخفضُ من الأرضِ، فلما انخفضتْ بتَواضُعِهَا وانكسارِها؛ أثْنَى عليها مولاَها، ومنها قوله: ﴿رَاضِيَةً﴾ أي: عن اللَّهِ في الدنيا بأحكامِه، و﴿مَرْضِيَّةً﴾ في الآخرةِ بِجُودِهِ وإنعامِه، وفي ذلك إشارةٌ للعَبْدِ أَنه لا يَحْصُل له أنْ يكونَ مَرْضِيًّا عند اللَّه في الآخرةِ حتى يكونَ راضِياً عن اللَّهِ في الدنيا، انتهى من «**التنوير**».

[تَفسِيرُ] سُورَةِ «البَلَدِ»

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ في قَوْلِ الجُمْهُورِ وَقِيلَ مَدَنِيَّةٌ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢﴾

٢٢٥أ قوله تعالى: ﴿لا أقسم بهذا البلد﴾ الكلامُ في لا تقدم في/ ﴿لاَ أُقْسِمُ﴾ [القيامة: ١] والبَلَدُ هو: «مكة».

وقوله تعالى: ﴿وأنْتَ حِلٌّ﴾ قال ابن عباس وجماعة: معناه وأنت حَلاَلٌ بهذا البلد، يحلُّ لك فيه قَتْلُ من شئتَ، وكان هذا يومُ فَتْحِ مكة، وعلى هذا يتركبُ قولُ مَنْ قال: السورة مدنية نَزَلَتْ عَامَ الفتح[1]، وقال آخرون: المعنى وأنْتَ حَالٌّ ساكنٌ بهذا البلد.

﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝٦ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾

وقوله تعالى: ﴿ووالد وما ولد﴾ قال مجاهد: هو آدم وجميع ولدِهِ[2]، وقال ابن عباس: ما معناه أنَّ الوالدَ والولدَ هنا على العمُوم فهي أسماء جِنْسٍ يَدْخل فيها جميعُ الحيوانِ[3]، والقَسَمُ واقع على قوله: ﴿لقد خلقنا الإنسان في كبد﴾ قال الجمهور: الإنْسَانُ اسم جنسٍ والكَبَدُ المشقةُ والمكَابَدَةُ، أي: يُكَابِد أمرَ الدنيا والآخرة، ورُوِيَ: أَن سببَ نزولِ هذه الآية رَجُلٌ من قريشٍ يقال له أبو الأَشَدِّ، وقيل نزلتْ في عمرو بن عبد ود،

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٥٨٥)، (٣٧٢٣١)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٨٣)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥١١)، والسيوطي في «الدر المنثور»، وعزاه للحاكم وصححه من طريق مجاهد عن ابن عباس بنحوه.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٥٨٦)، (٣٧٢٤٨)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٨٣)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥١١)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٩٣)، وعزاه للفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٥٨٦)، (٣٧٢٤٧)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٨٣).

وقال: مقاتل: نَزَلَتْ في الحارثِ بن عامر بن نوفل؛ أذنبَ فاستفتى النبي ﷺ فَأَمَرَهُ بِالكَفَّارَةِ، فَقَالَ: لَقَدْ أَهْلَكْتُ مَالاً في الكفارات وَالنفَقَاتِ، مُذْ تَبِعْتُ مُحَمَّداً، وَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ قد ادَّعَىٰ أَنَّهُ أَنْفَقَ مَالاً كَثِيراً عَلَىٰ إِفْسَادِ أَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ أَوْ في الكَفَّارَاتِ عَلَىٰ مَا تَقَدَّمَ.

وقوله: ﴿أَهْلَكْتُ مَالاً لُبَداً﴾ أي: أنفقتُ مالاً كثيراً، ومن قال: أن المرادَ اسمُ الجِنْسِ غيرُ معينٍ، جَعَلَ قولَه: ﴿أيحسب أن لم يره أحد﴾ بمعنى: أيظُنُّ الإنسانُ أن لَيس عليه حفظةٌ يرون أعمالَه ويُحصونَها؛ إلى يوم الجزاء، قال السهيلي: وهذه الآيةُ وإن نزلتْ في أبي الأشد فإن الألفَ واللامَ في الإنسان للجنسِ، فيشتركُ مَعَهُ في الخِطابِ كلّ من ظن ظنه وفعل مثلَ فِعْلِه/ وعلى هذا أكثرُ القُرْآنَ، يَنْزِل في السَّبَبِ الخاصِّ بلفظِ عام يتناولُ ٢٢٥ ب
المَعْنَى العام انتهى، وخرَّج مسلم عن أبي برزة قَال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: لاَ تَزُولُ قَدَمَا العَبْدِ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّىٰ يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنْ عُمْرِه فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ جَسَدِهِ فِيمَا أَبْلاَهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ به، وَعَنْ مَالِهِ، مِنْ أَيْنَ ٱكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ»[1]، وخرَّجه أيضاً الترمذيُّ وقال فيه: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ[2]، انتهى، **وقرأ** الجمهور[3]: ﴿لُبَداً﴾ أي: كثيراً متلبِّداً بعضُه فوقَ بعضٍ، ثم عدَّدَ تعالى علَى الإنسانِ نَعَمَه في جوارِحه، و﴿النَّجْدَيْنِ﴾: قال ابن عباس والناسُ: هما طريقَا الخَيْرِ والشرِّ، أي: عَرَضْنَا عليه طريقَهما، وليستِ الهداية هنا بمعنى الإرْشَادِ[4]، وقال الضحاكُ: النَّجْدَانِ ثَدْيَا الأُمِّ، وهذا مثالٌ، والنجْدُ: الطريقُ المرتفعُ[5].

---

(١) أخرجه الدارمي في «سننه» (١/ ١٣٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٢٨٦) (١٧٨٥).
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٤٩): رواه الطبراني والبزار بنحوه ورجال الطبراني رجال «الصحيح» غير صامت بن معاذ، وعدي بن عدي الكندي وهما ثقتان.

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٦١٢)، كتاب «صفة القيامة» باب: في القيامة (٢٤١٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٢٧٦)، (١٧٨٤) عن عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه.
قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ إلا من حديث الحسين بن قيس، وحسين بن قيس يضعف في الحديث من قبل حفظه.
وفي الباب عن أبي برزة رضي اللَّه عنه: أخرجه الترمذي (٤/ ٦١٢)، كتاب «صفة القيامة» باب: في القيامة (٢٤١٧)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٢٣٢)، وأبو يعلى (١٣/ ٤٢٨)، (٧٤٣٤).

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٤٨٤)، و«البحر المحيط» (٨/ ٤٧٠)، و«الدر المصون» (٦/ ٥٢٥).

(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ٥٩١)، (٣٧٢٩٣)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٨٤)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥١٢) بنحوه.

(٥) أخرجه الطبري (١٢/ ٥٩١) (٣٧٣٠٧)، وذكره البغوي (٤/ ٤٨٩)، وابن عطية (٥/ ٤٨٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٩٥)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم من طرق عن ابن عباس رضي اللَّه عنه.

﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿فلا أقتحم العقبة﴾ الآية، قولهُ «فَلاَ» هو عند الجمهورِ تحضيضٌ بمعنى: ألا أقتحم، والعقبةُ في هذه الآيةِ عَلى عُرْفِ كلامِ العَرَبِ استعارةٌ لهذا العمل الشاقِّ على النفسِ، من حيثُ هو بذلُ مالٍ، تشبيهٌ بعقبةِ الجَبَلِ، و﴿اقْتَحَمَ﴾: معناه: دَخَلَهَا وجَاوَزَها بسرعةٍ وضَغْط وشدة، ثم عَظَّم تعالى أمر العقبةِ في النفوس بقولهِ: ﴿وما أدراك ما العقبة﴾ ثمَّ فَسَر اقتحَامَ العقبةِ بقوله: ﴿فك رقبة﴾ الآية، وهذا على قراءةِ مَنْ قرأ: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ بالرفع على المَصْدَرِ وأما من قرأ: «فَكَّ رَقَبَةَ أَوْ أَطْعَمَ» عَلَى الفعلِ، ونَصَبَ الرقبةَ، وهي قراءةُ أَبي عمرو[1]، فليسَ يحتاجُ أن يُقَدَّرَ: وما أدرَاكَ ما اقتحامٌ بلْ يكونُ التعظيمُ للعقَبةِ نَفْسِها ويجيءُ ﴿فَكُّ﴾ بَدَلاً من ﴿اقتحمَ﴾ ومبيِّناً لَه، وفَكُّ الرقَبةِ هو عَتْقُها من رِبْقَةِ الأسرِ أو الرِّقّ، وفي الحديث/ عن النبي ﷺ: «مَنْ أَعْتَقَ نَسَمَةً مؤمِنَةً أَعْتَقَ اللَّهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهَا عُضْواً مِنْهُ مِنَ النَّارِ»[2]، والمسْغَبَةُ: المجاعَةُ، والساغِبُ: الجائعُ و﴿ذَا مَقْرَبَةٍ﴾: معناه: ذَا قَرَابَةٍ؛ لتجتمعَ الصدقةُ والصلة، و﴿ذا متربةٍ﴾: معناه: مُدْقَعاً قَدْ لَصِقَ بالترابِ وهذا ينْحو إلى أنّ المسكينَ أَشَدُّ فاقةً مِنَ الفقيرِ، قال سفيانُ: هم المَطْرُوحُونَ على ظهرِ الطريقِ قُعُوداً على الترابِ لا بُيُوتَ لهم[3]، وقال ابن عباس: هو الذي يَخْرُجُ من بيته ثم يَقْلِبُ وجهَه إلى بيته مستيقناً أنه ليسَ فيه إلا التراب[4].

١٢٢٦أ

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ﴿٢٠﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ﴾ معطوفٌ على قوله: ﴿ٱقْتَحَمَ﴾ والمعنى: ثم كان وقتَ اقتحامِه العقبةَ من الذين آمنوا.

---

(١) وهي قراءة ابن كثير والكسائي.
ينظر: «السبعة» (٦٨٦)، و«الحجة» (٦/ ٤١٣)، و«معاني القراءات» (٣/ ١٤٧)، و«شرح الطيبة» (٦/ ١١٤)، و«العنوان» (٢١٠)، و«حجة القراءات» (٧٦)، و«شرح شعلة» (٦٢٤)، و«إتحاف» (٢/ ٦١٠).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٥٩٦)، (٣٧٣٤٤) عن ابن عباس، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٨٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٩٧)، وعزاه للفريابي، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم عن ابن عباس رضي اللّه عنهما.

(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ٥٩٦)، (٣٧٣٤٥)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٨٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٩٨)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر عن ابن عباس رضي اللّه عنهما.

وقوله تعالى: ﴿وتَوَاصَوْا بالصَّبْرِ﴾ معناه: على طاعةِ اللَّهِ وبلائِه وقضائِه وعن الشهواتِ والمعاصِي، و﴿المَرْحَمَةُ﴾ قال ابن عباس: كلُّ ما يؤَدِّي إلى رحمةِ اللَّهِ تعالى[1]، وقال آخرون: هو التراحمُ والتعاطُفُ بينَ الناسِ، وفي ذلك قِوَامُ الناس؛ ولو لم يتراحموا جُمْلَةً لَهَلَكُوا، وَ﴿المَيْمَنَةَ﴾، فيما رُوِيَ عن يمينِ العرشِ وهو موضِع الجنَّةِ، ومكانُ المرحومِينَ من الناس، و﴿المشأَمَةَ﴾: الجانب الأشأَمُ وهُو الأَيْسَرُ؛ وفيه جهنَّم؛ وهو طريقُ المعذبينَ، و﴿مُؤْصَدَة﴾ معْناه: مُطْبَقَة مغلقة.

(١) ذكره ابن عطية (٥/٤٨٦).

[تَفْسِيرُ] سُورَةِ «الشَّمْسِ»

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢﴾

أَقْسَمَ اللَّهُ تعالى بالشمسِ: إما على التنبيهِ منها على الاعتبارِ المؤدِّي إلى معرفةِ اللَّهِ تعالى، وإما على تقديرِ ورَبِّ الشمسِ، والضُّحَى ـ بالضم والقصرِ ـ: ارتفاعُ ضوء الشمسِ وإشراقُه، قاله مجاهد[1] وقال مقاتل: ﴿ضحاهَا﴾ حَرُّها كقوله في طه: ﴿ولا تَضْحَى﴾ [طه: ١١٩]، والضَّحَاءُ ـ بفتح/ الضادِ والمَدِّ ـ: ما فَوْقَ ذلك إلى الزَّوالِ، والقَمَرُ يَتلو الشمسَ من أول الشَّهرِ إلى نصفِه في الغروبِ تغربُ هي ثم يغربُ هو، ويتلُوها في النصفِ الآخر بنحو آخرَ وهو أن تغربَ هي فيطلع هو[2]، وقَال الحسنُ: ﴿تلاها﴾ معناه تَبعها دَأْباً في كل وقت لأنَّه يستضيءُ منها فهو يتلوها لذلك[3]، وقال الزجاج وغيره: تلاها في المنزلةِ من الضياءِ والقَدْرِ: لأنَّه ليس في الكواكبِ شيءٌ يتلو الشمسَ في هذا المعنى غيرُ القمرِ. ٢٢٦ ب

﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧﴾

وقولهُ: ﴿والنَّهَارِ﴾ ظاهرُ هذهِ السورةِ والتي بعدَها أن النَّهارَ من طلوعِ الشمسِ، وكذلك قال الزجاج في كتاب «الأنواء» وغيرُه، واليوم من طلوعِ الفجر، ولا يُخْتَلَفُ أَنَّ نِهَايَتَهُمَا مَغِيبُ الشَّمْسِ، والضمير في ﴿جلاها﴾ يحتملُ أنْ يعودَ على الشمسِ، ويحتملُ أَنْ

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٥٩٩)، (٣٧٣٥٨)، وذكره البغوي (٤/ ٤٩١)، وابن عطية (٥/ ٤٨٧)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥١٥)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٩٨)، وعزاه للحاكم وصححه من طريق مجاهد عن ابن عباس بنحوه.

(٢) ذكره البغوي (٤/ ٤٩١)، وابن عطية (٥/ ٤٨٧).

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٦٠٠) عن مجاهد برقم: (٣٧٣٦٠)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٨٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٠٠)، وعزاه لابن أبي حاتم من طريق عكرمة عن ابن عباس.

يعودَ على الأَرْضِ، أو على الظُّلْمَةِ، وإنْ كان لم يَجْرِ لذلك ذِكْرٌ، فالمعنَى يقتضيه؛ قاله الزجاج، و«جَلَّى» معناه كَشَفَ وضَوَى والفاعل بـ«جَلَّى» على هذه التأويلاتِ النهارُ، ويحتمل أن يكونَ الفاعلَ اللَّهُ تعالى، كأنّه قال: والنهارِ، إذ جَلَّى اللَّهُ الشمسَ، فأقْسَمَ بالنهار في أكملِ حالاتِه، و«يغْشَى» معناه: يُغَطِّي، والضميرُ للشمسِ على تجوُّزٍ في المعْنَى أو للأَرض.

وقوله تعالى: ﴿وما بَنَاهَا﴾ وكلُّ ما بعدَه من نظائرِه في السورةِ يحتملُ أَن تَكُوْنَ «ما» فيه بمعنى الذي قاله أبو عبيدة، أي: ومَنْ بَناهَا، وهو قولُ الحسن ومجاهد، فيجيءُ القسمُ باللَّه تعالى[1]، ويحتملُ أَنْ تَكُونَ مَا في جميعِ ذلك مصدرية؛ قاله قتادةُ والمبردُ والزجاجُ، كأنَّه قالَ: والسماءِ وبنائِها[2]، و«طحا» بمعنى: دَحَا، * ت *: قال الهروي: قوله تعالى: ﴿والأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ أي بَسَطَها فأوسَعَها، ويقال طَحَا بِه الأمْرُ أي اتَّسَعَ به في المَذْهَبِ، انتهى،/ والنفسُ التي أقْسَمَ بِها سبحانه اسْمُ جنسٍ، وتسويتُها إكمالُ عَقْلِها ونظرِها. ٢٢٧أ

الثعلبيّ: ﴿فسواها﴾ أي: عَدَّلَ خَلْقَها، انتهى.

﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَا ﴿١١﴾ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿فألهمها فجورَها وتقواها﴾ أي: عرَّفَها طرق[3] ذلكَ، وجَعَلَ لها قوةً يصحُّ معها اكتسابُ الفُجُور أو اكتسابُ التقوى، وجوابُ القَسَمِ في قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ والتقديرُ: لَقَدْ أَفْلَحَ، زاد * ص *: وحُذِفَتْ اللامُ للطُولِ، انتهى، والفاعلُ بـ«زكى» يحتملُ أَن يكُونَ اللَّه تَعَالَى؛ قاله ابن عباس وغيره[4]، ويحتملُ أنْ يكونَ الإنسانَ؛ قاله

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٦٠١) عن مجاهد، برقم: (٣٧٣٦٨)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٨٨)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥١٥)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٩٩)، وعزاه للحاكم وصححه من طريق مجاهد عن ابن عباس بنحوه.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٦٠١)، (٣٧٣٦٧) عن قتادة، وذكره البغوي (٤/ ٩٩٢)، وابن عطية (٥/ ٤٨٨)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥١٥) عن قتادة.

(٣) في د: طريق.

(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ٦٠٣)، (٣٧٣٨٣)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٨٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٠٢)، وعزاه لحسين في «الاستقامة»، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

الحسن وغيره[١]، و﴿زَكَّاهَا﴾ أي طَهَّرَهَا ونَمَّاهَا بالخيراتِ و﴿دَسَّاهَا﴾ معناه: أخْفَاهَا وحَقَّرَها وصَغَّرَ قدْرَها بالمعاصِي والبخلِ بما يَجِبُ وأَصلُ «دَسَّى»: دَسَّسَ؛ ومنه قول الشاعر: [الطويل]

وَدَسَّسْتَ عَمْراً في التُّرَابِ فَأَصْبَحَتْ حَلائِلُهُ مِنْهُ أَرامِلَ ضُيَّعَا[٢]

* ت *: قال الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي: ومن عيوبِ النفس الشفقةُ عليها، والقيامُ بتَعَهُّدِها وتحصيلِ مآربِها، ومداواتُها الإعراضُ عَنْها وقلةُ الاشْتِغَالِ بها، كذلك سمعتُ جَدِّي يقول: مَنْ كَرُمَتْ عليه نفسهُ هَانَ عليه دينُه، انتهى من تأليفه في عيوب النفس، ورُوِي: أن النبي ﷺ كان إذا قرأ هذه الآيةَ قال: «اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلاَهَا»[٣]، قال «**صاحبُ الكَلِمُ الفَارِقِيَّةِ والْحِكَم الحقيقيَّةِ**»: النفسُ الزكيَّةُ زِينَتُها نَزَاهَتُها، وعافيتُها عِفَّتُها، وطَهَارَتُها وَرَعُها، وغِنَاها ثِقَتُها بمولاها؛ وعلمُها بأنَّه لا ينساها، انتهى، ولما ذَكَر تعالى خَيْبَة مَنْ دسَّى نفسَه؛ ذكرَ فرقةً فَعَلَتْ ذلكَ ليعتبرَ بهم، وينتهى/ عن مثلِ فعلِهم، والطَّغْوَى: مصدرٌ وقال ابن عباس: الطَّغْوَىٰ هنا العذابُ. كذَّبُوا به حتَّى نَزلَ بهِم ويؤيدُه قولُه تعالى: ﴿فأمَّا ثَمُودُ فَأُهلِكُوا بالطَّاغية﴾[٤] [الحاقة: ٥] وقال جمهورُ من المتأولين: الباءُ سببيةٌ والمعنى: كَذَّبتْ ثمودُ نبيَّها بسبب طُغْيَانها، و﴿أَشْقَاهَا﴾: هو قدار بن سالف، وقد تقدم قصصُهم، * ت *: و﴿ناقةَ اللَّهِ وسُقْيَاهَا﴾ قيل: نَصْبٌ بفعلٍ مُضْمَرٍ تقديرُه احْفَظُوا أو ذَرُوا، وقال * ص *: ﴿ناقةَ اللَّه﴾ الجمهورُ: بنصبِ ﴿ناقة﴾ على التحذيرِ أي احذرُوا ناقةَ اللَّهِ، وهو مما يجبُ إضمارُ عامِله، انتهى، و﴿دَمْدَمَ﴾ معناه أنْزَلَ العذابَ مُقَلْقِلاً لهمْ مكرَّراً ذلك، وهي الدَّمْدَمَةُ، الثعلبيُّ: قال مؤرج: الدمدمةُ إهلاكٌ باستئصالٍ، انتهى، وكذلكَ قال أبو حيانٍ[٥]، وقال الهروي: قال الأزهريُّ: ﴿فَدَمْدَمَ عليهم ربُّهُمْ﴾ أي: أطْبَقَ عليهم العذابَ، وقيل

٢٢٧ ب

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٦٠٣) عن قتادة، برقم: (٣٧٣٨٦)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٨٨)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥١٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٠١)، وعزاه لعبد بن حميد عن الحسن.

(٢) البيت لرجل من طي.
ينظر: «اللسان» (دسا)، «البحر المحيط» (٨/ ٤٧٢)، و«الدر المصون» (٦/ ٥٣١)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٤٨٨).

(٣) تقدَّم تخريجه.

(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ٦٠٥)، (٣٧٣٩٨)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٨٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٠٢)، وعزاه لابن جرير عن ابن عباس.

(٥) ينظر: «البحر المحيط» (٨/ ٤٧٦).

﴿فَدَمْدَمَ عليهم﴾ أي: غَضِبَ عليهم، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿فَسَوَّاهَا﴾ أي فَسَوَّى القبيلةَ في الهَلاَكِ؛ لَم يَنْجُ مِنْهم أَحَدٌ، وقرأ نافع وابن عامر[1]: «فَلاَ يَخَافُ عُقْبَاهَا» والمعنى: فَلاَ دَرَكَ عَلَى اللَّهِ تعالى في فعلهِ بهم؛ وهذا قول ابن عباس والحسن[2]، ويحتملُ أنْ يكونَ الفاعلُ بـ﴿يخاف﴾ صالحاً ـ عليه السلامُ ـ أي: لا يخاف عُقْبَى هذه الفعلةِ بهم؛ إذ كَانَ قَدْ أنذَرهم، وقرأ الباقون: «ولاَ يَخَافُ» بالواوِ فَتَحْتَمِلُ الوجهينِ، وتحتملُ هذه القراءةُ وجْهاً ثالثاً: أنْ يكونَ الفاعلُ بـ﴿يخاف﴾ المنبعثَ؛ قاله الزجاجُ والضحاكُ والسدي، وغيرُهم، وتكون الواوُ واوَ الحالِ، كأنّه قال: انْبَعَثَ لِعَقْرِهَا وهُو لاَ يَخَافُ عُقْبَى فِعلِهِ[3].

---

(١) ينظر: «السبعة» (٦٨٩)، و«الحجة» (٦/ ٤٢٠)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٤٩١)، و«معاني القراءات» (٣/ ١٥٠)، و«شرح الطيبة» (٦/ ١١٦)، و«العنوان» (٢١)، و«حجة القراءات» (٧٦٦)، و«شرح شعلة» (٦٢٥)، و«إتحاف» (٢/ ٦١٢).

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٦٠٦) عن ابن عباس برقم: (٣٧٤٠٩)، وعن الحسن برقم: (٣٧٤١٠)، وذكره البغوي (٤/ ٤٩٤)، وابن عطية (٥/ ٤٨٩)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥١٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٠٢)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن الحسن.

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٦٠٦) عن السدي برقم: (٣٧٤١٧)، وذكره البغوي (٤/ ٤٩٤)، وابن عطية (٥/ ٤٨٩)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥١٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٠٢)، وعزاه لابن جرير عن الضحاك.

[تَفْسِيرُ] سُورَةِ «اللَّيْلِ»

/ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ الْجُمْهُورِ ١٢٢٨أ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾﴾

أقسَمَ تعالى بالليل إذا غَشِيَ الأرضَ وجميعَ ما فيها، وبالنهارِ إذا تَجَلَّى، أي: ظهَرَ وضَوَّى الآفاقَ، وقال * ص *: ﴿يَغْشَى﴾: مفعولهُ محذوفٌ فيحتملُ أنْ يكونَ النهارَ كقوله: ﴿يُغْشِي الليلَ النَّهارَ﴾ [الأعراف: ٥٤] أو الشمسَ؛ كقوله تعالى: ﴿والَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ [الشمس: ٤] وقِيل الأرضُ وما فيها، انتهى.

﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وما خلق الذكر والأنثى﴾ يحتملُ أنْ تكونَ «ما» بمعنى: «الذي» ويحتملُ أَنْ تكونَ مصدريةً، والذكرُ والأنثى هنا عامٌّ، وقال الحسن: المرادُ آدمُ وحواء[1]، والسَّعْيُ العَمَلُ، فأخبرَ تعالى مُقْسِماً أَنَّ أعمالَ العبادِ شَتَّى، أي: مُفْتَرِقَةٌ جدًّا؛ بعضُها في رِضَى اللَّهِ، وبعضها في سَخَطِه، ثم قَسَّم تعالى الساعينَ فقال: ﴿فأمَّا مَنْ أعْطَى واتَّقَى﴾ الآية، ويُروى أن هذهِ الآيَة نزلتْ في أبي بكرٍ الصديقِ ـ رضي اللَّه عنه ـ.

وقوله تعالى: ﴿وصدق بالحسنى﴾ قيل هي: لا إلٰه إلا اللَّه، وقيل: هي الخَلَفُ الذي وَعَدَ اللَّه بهِ، وقيل: هي الجنةُ، وقال كثيرٌ من المتأولينَ: الحسنى: الأجرُ والثوابُ مُجْمَلاً، والعُسْرَى: الحال السيئة في الدنيا والآخرة، ومن جَعل ﴿بَخِلَ﴾ في المالِ خَاصَّةً؛ جَعَلَ ﴿اسْتَغْنَى﴾ في المالِ أيضاً، لتَعْظُمَ المَذَمَّةُ، ومَنْ جَعَلَ ﴿بَخِلَ﴾ عَامًّا في جَمِيعِ مَا يَنْبَغِي أن يبْذَلَ، مِنْ قَولٍ أو فعلٍ؛ قال: ﴿اسْتَغْنَى﴾ عن اللَّهِ ورحمتهِ بِزَعْمِه، وظاهرُ قولِهِ:

---

(١) ذكره البغوي (٤/ ٤٩٤)، وابن عطية (٥/ ٤٩٠).

﴿وما يغني عنه ماله﴾ أنَّ الإعطاءَ والبخلَ المذكورين إنما هما في المال.

وقوله تعالى: ﴿إِذَا تَرَدَّى﴾، قال قتادة وغيره: معناه تردَّى في جهنم[1]. وقال مجاهد: ﴿تردَّى﴾ معناه: هَلَكَ من الردَّى[2]، وخرَّج البخاريُّ وغيرُه عن علي ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: «كُنَّا مع النبيِّ ﷺ في بَقِيعِ الغَرْقَدِ في جِنَازَةٍ، فقالَ: مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، أَوْ مَا/ مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلاَّ وَقَدْ كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلاَّ قَدْ كُتِبَتْ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّه، أَفَلاَ نتَّكِلُ عَلَىٰ كِتَابِنَا، وَنَدَعُ الْعَمَلَ، فَمَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ؛ فَسَيَصِيرُ إِلَىٰ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ؛ فَسَيَصِيرُ إِلَىٰ عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاءِ؟ قال: أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ، فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ، فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ واتَّقَى وَصَدَّقَ بالحُسْنَى﴾ إلى قوله: ﴿لِلْعُسْرَى﴾» وفي روايةٍ، لَمَّا قيلَ له: أَفَلاَ نتَّكِلُ عَلَىٰ كِتَابِنَا، قال: لاَ؛ بَلِ اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ» الحديثَ، وخرَّجه الترمذيُّ أيضاً، انتهى، قال ابنُ العربيِّ في «أحكامه»: «وسأَلَ شَابَّانِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالاَ: العَمَلُ فِيما جَفَّتْ بِهِ الأَقْلاَمُ وجَرَتْ بِهِ المَقَادِيرُ أَمْ في شَيْءٍ مُسْتَأْنَفٍ؟ فقال: بَلْ فِيمَا جَفَّتْ بِهِ الأَقْلاَمُ، وجَرَتْ بِهِ المَقَادِيرُ، قَالاَ: فَفِيمَ العَمَلُ إِذَنْ: قَالَ: اعْمَلُوا؛ فَكُلٌّ مُيسَّر لِعَمَلِهِ الَّذِي خُلِقَ له» قالا: فالآنَ نَجِدُّ ونَعْمَلُ»[3] انتهى، وقال قوم: معنى تَرَدَّىٰ، أي: بأَكْفَانِهِ مِنَ الرِّدَاءِ؛ ومنه قول الشاعر: [الطويل]

٢٢٨ ب

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٦١٧)، (٣٧٤٨١)، وذكره البغوي (٤/ ٤٩٦)، وابن عطية (٥/ ٤٩١)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥٢٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٠٦)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد عن قتادة.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٦١٧)، (٣٧٤٨٢)، وذكره البغوي (٤/ ٤٩٦)، وابن عطية (٥/ ٤٩١)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥٢٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٠٦)، وعزاه للفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٣) أخرجه البخاري (١١/ ٥٣٠)، كتاب «القدر» باب: ﴿وكان أمر اللَّه قدراً مقدوراً﴾ (٦٦٠٥)، (١٣/ ٥٣١)، كتاب «التوحيد» باب: قول اللَّه تعالى: ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ (٧٥٥٢)، ومسلم (٤/ ٢٠٣٩، ٢٠٤٠)، كتاب «القدر» باب: كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه، وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته (٦ ـ ٧/ ٢٦٤٧)، وأبو داود (٢/ ٦٣٤ ـ ٦٣٥)، كتاب «السنة» باب: في القدر (٤٦٩٤)، والترمذي (٤/ ٤٤٥)، كتاب «القدر» باب: ما جاء في الشقاوة والسعادة (٢١٣٦)، (٥/ ٤٤١)، كتاب «التفسير» باب: ومن سورة: ﴿والليل إذا يغشى﴾ (٣٣٤٤)، وأحمد (١/ ٨٢، ١٢٩، ١٣٢ ـ ١٣٣، ١٤٠، ١٥٧)، وابن حبان (٢/ ٤٣ ـ ٤٤ ـ ٤٥)، كتاب «البر والإحسان» باب: ما جاء في الطاعات وثوابها (٢٣٣ ـ ٢٣٤)، والطيالسي (١/ ٣٢)، كتاب «القدر» باب: ما جاء في العمل مع القدر (٦١)، وابن ماجه (١/ ٣٠ ـ ٣١)، «المقدمة» باب: في القدر (٧٨).
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

نُصِيبُكَ مِمَّا تَجْمَعُ الدَّهْرَ كُلَّهُ رِدَاءَانِ تُلْوَىٰ فِيهِمَا وَحَنُوطُ[1]

ثم أخبر تعالى أن عليه هدى الناس جميعاً، أي: تعريفَهم بالسُّبل كلِّها، وليستْ هذه الهدايةُ بالإرشَادِ إلى الإيمان، ولو كانَ ذلِك لَمْ يُوجَدْ كافرٌ، قال البخاريُّ: «تَلَظَّى»: تُوَهَّجُ وقال الثعلبيُّ: تَتَوقَّدُ، وتتوهَّج، انتهى.

﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿لا يصلاها إلا الأشقى﴾ المعنى: لا يصْلاَها صَلْيَ خُلُودٍ، ومن هنا ضَلَّتْ المُرْجِئَةُ؛ لأنها أَخَذَتْ نَفْيَ الصَّلْيِ مُطْلَقاً، ولم يَخْتَلِفْ أَهلُ التأويلِ أن المرادَ بالأتْقَى إلى آخر السورة/ أبو بكرٍ الصديقِ، ثم هي تَتَنَاولُ كلَّ مَنْ دَخَلَ في هذِه الصفاتِ، وباقي الآيةِ بيِّنٌ، ثم وَعَدَه تعالى بالرِّضَى في الآخرةِ وهذه [عِدَةٌ] لأبي بكرٍ - رضي اللَّه عنه -. ١٢٢٩أ

(١) البيت في «البحر المحيط» (٨/ ٤٧٨)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٤٩١)، و«الدر المصون» (٦/ ٥٣٥).

[تَفسِيرُ] سُورَةِ «الضُّحَىٰ»

[وَهِيَ] مَكِّيَّةٌ بِلاَ خِلاَفٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦﴾

تقدَّم تفسيرُ ﴿الضحى﴾ بأنه: سُطُوع الضوءِ وعِظَمُه، وقال قتادة: ﴿الضُّحَى﴾ هنا النهارُ كلُّه[1] و﴿سَجَى﴾ معناه سَكَنَ واستقرَّ لَيْلاً تامًّا، وقيل: معناه أقْبَلَ، وقِيلَ: معناه أدْبَرَ، والأولُ أصحُّ، وعليه شواهِدُ، وقال البخاريُّ: قال مجاهد: ﴿إِذَا سَجَى﴾ اسْتَوَى[2]، وقال غيره: أظلمَ وسكنَ، انتهى، ، **وقرأ** الجمهور: ﴿مَا وَدَّعَكَ﴾ ـ بشدِ الدالِ ـ من التَّوْدِيع **وقُرِئَ**[3] بالتخفيفِ بمعنى: ما تَرَكَكَ، وقال البخاريُّ: ﴿ما ودَّعك ربك﴾ بالتشديدِ والتخفيفِ: ما تَرَكَكَ، انتهى.

و﴿قَلَى﴾ أبْغَضَ، نزلتْ بسببِ إبطَاءِ الوَحْي مدَّة ﴿وَلَلآخِرَةُ﴾ يعني: الدارَ الآخِرَةَ خير لَكَ من الدنيا، ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ قيل: هي أرْجَى آية في القرآن؛ لأنَّه ﷺ لا يرضى، وواحدٌ من أمتهِ في النارِ، ورُوِي أنه ـ عليه الصلاةُ والسلام ـ قال لما نَزَلَتْ: «إذنْ لاَ أرْضَىٰ، وأحدٌ مِنْ أُمَّتِي في النَّارِ» قال عِيَاضٌ: وهذه آيةٌ جامعةٌ لوجوهِ الكرامةِ وأنواعِ

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٦٢١)، (٣٧٤٩٢)، وذكره البغوي (٤/ ٤٩٨)، وابن عطية (٥/ ٤٩٣)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٠٩) وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عن قتادة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٦٢٢) (٣٧٤٩٦)، وذكره البغوي (٤/ ٤٩٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٠٩)، (٦/ ٦٠٩) وعزاه للفريابي وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد رضي الله عنه.

(٣) حكيت عن النبي ﷺ، وكذلك عروة بن الزبير.
ينظر: «الشواذ» ص: (١٧٥)، و«المحتسب» (٢/ ٣٦٤)، و«الكشاف» (٤/ ٧٦٥)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٤٩٣)، و«البحر المحيط» (٨/ ٤٨٠)، و«الدر المصون» (٦/ ٥٣٧).

السعادةِ في الدارين، انتهى، [* ت *: وفي «صحيح مسلم» من روايةِ عبدِ اللَّه بن عمرو بن العاصي: أن النبي ﷺ تَلاَ قولَ اللَّه ـ عز وجل ـ في إبراهيمَ عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٦] وقول عيسى عليه السلام: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨] فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، وَبَكَىٰ، فَقَالَ اللَّهُ ـ جَلَّ ثناؤُهُ ـ يَا جِبْرِيلُ؛ اذْهَبْ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ فَقُلْ لَهُ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ في أُمَّتِكَ ولاَ نَسُوؤُكَ، انتهى مختصراً][1]، ثُمَّ وَقَفَ تَعَالَى نبيَّه على المراتبِ التي دَرَجَه عَنْها بإنعَامِهِ فقال: ﴿ألم يجدك يتيماً فآوى﴾.

﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾

وقوله تعالى: ﴿ووجدك ضالاً فهدى﴾ اخْتَلَفَ الناسُ في تأويلِهِ، والضلالُ يَخْتَلِفُ، فمنه البعيدُ ومنه القريبُ؛ فالبعيدُ ضلالُ الكفَّارِ، وهذا قَدْ عَصَمَ اللَّهُ منه نَبِيَّه فَلَمْ يَعْبُدْ/ ﷺ ٢٢٩ ب صَنَماً قط، ولا تَابعَ الكفارَ على شيءٍ مما هم عليه من الباطلِ، وإنما ضلالُه ﷺ هو كَوْنُهُ واقفاً لا يَميزُ المَهْيَعَ، بل يُدْبِرُ وَيَنْظُر، وقال الترمذي وعبد العزيز بن يحيى: ﴿ضَالاً﴾ معناه: خاملُ الذِّكْرِ لا يعرفُك الناسُ؛ فهداهُم إليكَ ربُّك، والصوابُ أنه ضلالُ مَنْ توَقَّفَ لا يَدْرِي، كما قال عز وجل: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ﴾ [الشورى: ٥٢] وقال الثعلبي: قال بعض المتكلمين: إذا وجَدَتِ العربُ شَجَرَةً مفردة في فلاةٍ سَمَوْها ضالةً فَيُهْتَدَى بها إلى الطريقِ، أي: فَوَجَدْتُكَ وَحيداً ليس معَك نبيٌّ غيرَك فهديتُ بك الخلقَ إليَّ، انتهى، قال عياض: وقال الجنيد: المَعْنَى: وَوَجَدَكَ متحيِّراً في بيانِ ما أُنْزِلَ إليكَ فهَدَاكَ لبيانِه، لقوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ...﴾ [النحل: ٤٤] الآية، قال عياض: ولا أعلمُ أحداً من المفسرينَ قَال فيها ضالاً عَنْ الإيمانِ، وكذلك في قصةِ موسى ـ عليه السلام ـ قوله: ﴿فَعَلْتُهَا إِذاً وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ [الشعراء: ٢٠] أي المخطئينَ، وقال ابن عطاء: ﴿وَوَجَدَكَ ضالاً﴾ أي: مُحِبًّا لمعرفتِي، والضَّالُّ: المحِبُّ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَفِي ضَلاَلِكَ القَدِيمِ﴾ [يوسف: ٩٥] أي: محبَّتِكَ القديمةِ، انتهى، والعَائِلُ: الفقيرُ ﴿فأغْنَى﴾ أي: بالقناعَةِ والصَّبْرِ، ثم وصَّاه تَعالى بثلاثِ وصَايَا؛ بإزاءِ هذه النِّعم الثلاثِ، و﴿السائِلَ﴾ هنا قَال أبو الدرداء: هو السائلُ عن العِلْمِ[2]، وقيل: هو سائلُ المالِ، وقال

---

(١) سقط في: د.

(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٤٩٥)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦١٢)، وعزاه لابن أبي حاتم.

إبراهيم بن أدهم: نعم القومُ السؤال يحملنا زادنا إلى الآخرة.

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ قال مجاهد وغيره: معناه بُثَّ القرآن وبلِّغْ ما أُرسلْتَ بهِ[1]، قال عياض:/ وهذا الأمرُ يَعُمُّ الأمة، انتهى، وقال آخرونَ: بل هُوَ عُمُوم ١٢٣٠ أ في جميع النِّعم، وفي «سُنَن أبي داودَ» عن النبي ﷺ قال: «أَعْطُوا الأَجِيرَ حَقَّهُ قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرَقُهُ[2]، وَأَعْطُوا السَّائِلَ، وَإِنْ جَاءَ عَلَىٰ فَرَسٍ»[3] قال البغويُّ في «المصابيحِ»: هذا حديثٌ مُرْسَلٌ انتهى.

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٤٩٥)، وذكره أبو حيان (٨/ ٤٨٢).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢/ ٨١٧)، كتاب «الرهون» باب: إجارة الأجير على طعام بطنه (٢٤٤٣)، قال البوصيري في «الزوائد» (٢/ ٢٥٩): هذا إسناد ضعيف، وهب بن سعيد هو: عبد الوهاب بن سعيد وعبد الرحمٰن بن زيد وهما ضعيفان، لكن نقل عبد العظيم المنذري الحافظ في كتاب «الترغيب» له: ابن عبد الرحمٰن بن زيد وثق، وقال: قال ابن عدي: أحاديثه حسان قال: وهو محن احتمله الناس وصدقه بعضهم وهو ممن يكتب حديثه، قال: ووهب بن سعيد وثقه ابن حبان وغيره انتهى.
فعلى هذا يكون الإسناد حسناً والله أعلم، وأصله في «صحيح البخاري» وغيره من حديث أبي هريرة.

(٣) أخرجه مالك (٢/ ٩٩٦)، كتاب «الصدقة» باب: الترغيب في الصدقة (٣)، مرسلاً.
قال العجلوني في «كشف الخفا» (١/ ١٦١): رواه مالك في «الموطأ» مرسلاً عن زيد بن أسلم، قال ابن حجر في خُطبة «اللآلىء المنثورة» وهو أحد الأحاديث الخمسة التي قال فيها علي بن المديني: خمسة أحاديث يروونها عن رسول الله ﷺ ولا أصل لها عنه.

تَفْسِيرُ سُورَةِ «الشرح»

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ بِإِجْمَاعٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾﴾

عَدَّدَ اللَّه تعالى على نبيه نِعَمَه عليه في أنْ شَرَحَ صدرَه للنبوَّةِ، وهَيأَه لها، وذَهَبَ الجمهورُ إلى أنَّ شَرْحَ الصدرِ المذكورِ إنما هو تنويرُه بالحكمةِ، وتوسِيعُه لتلقي مَا يُوحى إليه، وقال ابن عباس وجماعة: هذه إشارة إلى شَرْحِه بشَقِّ جبريلَ عنه في وقْتِ صِغَرِهِ، وفي وقْتِ الإسراء؛ إذا التشريحُ شَقُّ اللحْمِ، والوِزْرُ الذي وضعَهُ اللَّه عنه هو عند بعض المتأولين الثِّقَلُ الذي كان يجده ﷺ في نفسهِ من أجل ما كانتْ قريشٌ فيه من عبادةِ الأصْنَام؛ فَرَفَعَ اللَّهُ عنه ذلكَ الثِّقَلَ بنبوَّتِه وإرسالهِ، وقال أبو عبيدةَ وغيره: المعنى: خَفَّفْنَا عنك أثْقَال النبوَّةِ وأعنَّاكَ على الناسِ[1]، وقيل الوِزْرُ هنا: الذنوبُ، نظيرَ قولهِ تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ﴾ [الفتح: ٢] وقد تقدم بيانُه، الثعلبيّ: وقيلَ: معناه: عَصَمْنَاكَ من احتمالِ الوِزْرِ، انتهى. ﴿وأنْقَضَ﴾ معناه: جَعَلَهُ نَقْضاً، أي: هَزيلاً، من الثِّقَلِ، قال عياض: ومعنى أنْقَضَ، أي: كَادَ يَنْقُضُه، انتهى، ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ أي نَوَّهْنَا باسمِك، قال * ع[2] *: ورفعُ الذكرِ نعمةٌ على الرسولِ وكذلكَ هُوَ جميلٌ حسنٌ للقائمينَ بأمورِ الناس، وخمولُ الاسْمِ والذكرِ حَسَنٌ للمنفردِينَ للعبادة،/ والمعنى في هذا: التَّعْدِيد: أنَّا قد فعلنا جميعَ هذا بكَ؛ فلا تَكْتَرِثْ بأذى قريشٍ؛ فإن الذي فعلَ بكَ هذه النعمُ سَيُظَفِّرُكَ بهم، قال عياض: ورَوَى أبو سَعِيدٍ الخدريُّ؛ أن النبيَّ ﷺ قال: «أَتَانِي جِبْرِيلُ فَقَالَ؛ إِنَّ رَبِّي وَرَبَّكَ يَقُولُ: أَتَدْرِي كَيْفَ رَفَعْتُ ذِكْرَكَ؟ قُلْتُ: اللَّهُ تَعَالَىٰ أَعْلَمُ، قال: إِذَا ذُكِرْتُ ذُكِرْتَ مَعِي»، انتهى، ، ثم قوَّى سُبْحَانه رجاءَه بقولهِ: ﴿فإنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً﴾ وكرَّر تعالى

٢٣٠ ب

(١) ذكره البغوي (٤/٥٠٢)، وابن عطية (٥/٤٩٦).
(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/٤٩٧).

ذلكَ مبالغةً، وذَهَبَ كثيرٌ من العلماءِ إلى أنَّ مع كلِّ عُسْرٍ يُسْرَيْنِ بهذه الآية، من حيثُ إنَّ العُسْرَ مُعَرَّفٌ للعَهْدِ واليسْرُ مُنَكَّرٌ فالأولُ غَيْرُ الثاني، وقَدْ جاء في هذا التأويلِ حديثٌ عن النبي ﷺ أنه قَالَ: «لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ»[1]، ثم أمر تعالى نَبِيَّهُ إذا فَرَغَ مِن شُغْل مِنْ أَشْغَالِ النبوَّةِ والعبادةِ أن يَنْصَبَ في آخِرِه، والنَّصَبُ: التعبُ، والمعنى: أن يَدْأَبَ على مَا أُمِرَ به ولاَ يَفْتُرَ، وقال ابنُ عباسٍ: إذا فَرغْتَ مِنْ فَرْضِكَ فَانْصَبْ في التَّنفُّلِ عبادةً لربك[2]، ونحوُه عن ابن مسعود وعن مجاهد: «فإذا فرغت من العبادةِ فانْصَبْ في الدعاء»[3].

وَقَوْلُه تعالى: ﴿وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾: أمْرٌ بالتوكلِ على اللَّهِ - عز وجل - وصَرْفِ وُجُوهِ الرَّغَبَاتِ إليه لا إلى سواه.

---

(١) تقدم.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/٦٢٨)، (٣٧٥٤٢)، وذكره ابن عطية (٥/٤٩٧)، وأبو حيان (٨/٤٨٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/٦١٧)، وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الطبري (١٢/٦٢٨)، (٣٧٥٤١) عن ابن عباس، وذكره البغوي (٤/٥٠٣)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/٥٢٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/٦١٧)، وعزاه لابن أبي الدنيا.

[تَفْسِيرُ] سُورَةِ «التِّينِ»

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾

قال ابن عباس وغيره: «التينُ والزيتون» المقْسَمُ بهما هُما المعروفانِ، وقال السهيلي: أقْسَمَ تعالى بطور تينا، وطور زيتا، وهما جبلانِ عند بيتِ المقدس، وكذلك طور سيناء، ويقال: إن سيناءَ هي الحجارةُ، والطورُ عند أكثر الناسِ هو الجبلُ، وقال الماورديُّ: / ليس كلُّ جبلٍ يقال له: طورٌ إلا أنْ تكونَ فيه الأشجارُ والثمار، وإلا فهو جَبَلٌ فقط، انتهى، ﴿وطور سينين﴾ جبلٌ بالشَّام، و﴿البلد الأمين﴾ مكةَ، والقَسَمُ واقع على قوله تعالى: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ [أي: في أحسن تقويم][1] ينبغي لَه، وقال بعضُ العلماءِ بالعموم، أي: الإنسانُ أحسنُ المخلوقَاتِ تقويماً، ولَمْ يَرَ قومٌ الحِنْثَ على مَنْ حَلَفَ بالطلاقِ أنَّ زوجتَه أحسنُ من الشمس؛ محتجين بهذهِ الآيةِ، وحسْنُ التقويم يشملُ جميعَ محاسنِ الإنسانِ الظاهرةِ والباطنةِ؛ من حسن صورتهِ، وانتصابِ قامَتهِ، وكمالِ عقلهِ، وحسن تمييزِه، والإنسانُ هنا اسمُ جنسٍ، وتقديرُ الكلام: في تقويمِ أحسنَ تقويمٍ؛ لأن ﴿أحْسَن﴾ صفةٌ لا بُدَّ أنْ تَجْرِي على موصوفٍ.

﴿ثم رددناه أسفل سافلين﴾ قال قتادةُ وغيره: معناه بالهَرَم وذهولِ العقلِ وهذهِ عِبْرة منصوبةٌ[2]، وعبارةُ الثعلبيِّ: ﴿في أحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ قيل: اعتدالهُ واستواءُ شبابهِ، وهو أحْسَنُ ما يكونُ، ﴿ثم رددناه أسْفَلَ سافلين﴾ بالهَرَمِ؛ كما قال: ﴿إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾ [الحج: ٥]، والسافلونَ: الهَرْمَى والزَّمْنَى والذين حَبَسَهُم عذرُهم عن الجهادِ في عهد النبي ﷺ، فأنزَلَ

٢٣١ أ

(١) سقط في: د.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/٦٣٨)، (٣٧٦٢٤)، وذكره ابن عطية (٤/٥٠٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/٦٢١)، وعزاه لابن أبي حاتم عن ابن عباس.

اللَّه عُذرَهم وأخبرَهم أن لهم أجْرَهم الذي عَمِلُوا قبلَ أن تَذْهَبَ عقولهُم، انتهى، وفي البخاريّ عنه ﷺ «إذا مَرِضَ العبدُ أو سَافرَ كتبَ اللَّه له مثلَ ما كانَ يعملُ مقيماً صحيحاً» وهكذا قال في الذين حَبَسَهُم العذرُ، انتهى، قال * ص *: ﴿إلاَّ الَّذِينَ﴾ قيلَ: منقطعٌ بناءً على أنَّ مَعْنَى ﴿أسْفَلَ سافلين﴾: بالهرَم وذهولِ العقْلِ، وقيل متصلٌ بِنَاءً عَلى أَنَّ معْناه في النارِ على كفرِه، انتهى، قال * ع[1] *: وفي حديثِ/ عَنْ أنسٍ قال: قال ٢٣١ ب رسولُ اللَّه ﷺ: «إذا بَلَغَ المؤمِنُ خمسينَ سَنَةً خَفَّفَ اللَّه حِسَابَه، فإذَا بَلَغَ سِتِّينَ؛ رَزَقَه الإنَابَة إلَيه، فإذَا بلغَ سبعين أحَبّه أهلُ السَّماءِ، فَإذَا بلغ ثمانين كُتِبَتْ حَسَنَاتُه وتَجاوزَ اللَّهُ عن سيئاتِه، فإذا بلغ تسعينَ غُفِرَتْ ذنُوبُه وشَفَعَ في أهْل بَيْتِه وكَانَ أسيرَ اللَّهِ في أرْضِه، فإذا بلغَ مائةً وَلَمْ يَعْمَل شيئاً كُتِبَ له مثلُ مَا كان يَعْملُ في صحَّتِه ولم تُكْتَبْ عليه سيئة»[2]، وفي حديث: «إن المؤمنَ إذا رُدَّ إلى أرذل العمر كُتِبَ له خيرُ ما كانَ يعملُ في قوّتِهِ»[3]. وذلكَ أجرٌ غير ممنون، ثم قال سبحانه إلزامًا للحُجَّةِ وتوبيخاً للكافرِ: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾ أيها الإنسانُ، أي: فما يَجْعَلُكَ أنْ تُكَذِّبَ بعدَ هذه الحجةِ بالدينِ، وقال قتادة: المعنَى: فمن يكذِّبُكَ يا محمد، فيما تُخْبِرُ به من الجزاءِ والحسابِ[4]، وهو الدينُ، بَعْدَ هذه العبر، ويحتملُ أنْ يريدَ بـ﴿الدين﴾ جميعَ دينه وشَرْعِه، ، ورُوِيَ عن قتادة أن النبي ﷺ كانَ إذا قَرَأَ ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بأحْكَمِ الحَاكِمِينَ﴾ قَال: بَلَى؛ وأنَا عَلى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ، قالَ ابن العربي في «أحكامه»: رَوَى الترمذيُّ وغيرُهُ عن أبي هريرةَ، أنَّ النبي ﷺ قالَ: «إذا قَرأَ أحدُكم ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بأَحْكَمِ الحَاكِمِينَ﴾ فَلْيَقُلْ: بَلَىٰ[5]؛ وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِين» ومِنْ رواية عبد اللَّه: «إذَا قرأَ أَحَدُكُمْ أَوْ سَمِعَ: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ المَوْتَى﴾ [القيامة: ٤٠] فَلْيقُلْ: بَلَىٰ»[6] انتهى، * ت *: وهذان الحديثانِ، وإنْ كَانَ قَدْ ضعَّفُهما ابنُ العربيِّ فهما مما ينبغي ذكرُهما في فضائلِ الأعمالِ، واللَّه الموفق بفضله وكرمه.

---

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٥٠٠).
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) تقدم.
(٤) ذكره ابن عطية (٥/ ٥٠٠).
(٥) تقدَّم تخريجه.
(٦) تقدَّم تخريجه.

١٢٣٢أ

/[تَفسِيرُ] سُورَةِ «العلق»

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ بِإِجْمَاعٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾

[قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ﴾]: هو أولُ ما نَزَلَ من كِتَابِ اللَّه تعالى، نَزَلَ صَدْرُ [هذهِ الآية] إلى قوله: ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ في غارِ حِرَاء حَسْبَ ما ثَبَتَ في **«صحيح البخاريِّ»** وغيره، ومعنى قوله: ﴿اقرأ باسم ربك﴾ أي: اقرأ هذَا القرآنَ باسم ربك، أي: مبتدِئاً باسْمِ ربكَ، وَيُحْتَمَلُ أنْ يكونَ المقروءُ الذي أُمِرَ بقراءتِه هو ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ كأنه قيلَ له: اقرأْ هذا اللفظَ، والعلقُ: جمع عَلَقَةٍ وهي القِطْعَةُ اليَسِيرَةُ من الدَّمِ، والإنْسَانُ هنا اسمُ جنسٍ، ثم قال تعالى: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ﴾ على جِهة التأنِيسِ كأنَّه يقول: امْضِ لِما أُمِرْتَ بهِ، وَرَبُّكَ ليسَ كهذهِ الأربابِ؛ بلْ هُو الأكْرَمُ الذي لاَ يَلْحَقُه نقصٌ، ثم عدَّدَ تعالى نِعْمَةَ الكتابةِ بالقلم على الناسِ، وهي من أعظَم النِّعَم.

و﴿علَّم الإنسانَ ما لم يعلم﴾ قيل: هو آدمُ وقيل: [هو] اسْمُ جنسٍ؛ وهو الأظْهرُ.

﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿كلا إن الإنسان ليَطْغَى﴾ إلَى آخرِ السورةِ نَزَلَتْ في أبي جَهْلٍ، وذلكَ أنَّه طَغَى لِغِنَاهُ وكثرةِ مَنْ يَغْشَى نَادِيه، فَنَاصَبَ رسولَ اللَّهِ ﷺ ونَهَاهُ عَنِ الصلاةِ في المسجدِ، وقال: لَئِنْ رأيتُ محمداً يسجُدُ عند الكعبةِ لأَطَأَنَّ عنقَه، فيُرْوَى أنَّ النبي ﷺ رَدَّ عليه القولَ وانْتَهَرَهُ، وعبارةُ الداوديّ: فَتَهَدَّدَهُ النبي ﷺ، فَقَال أبو جهل: أتُهَدِّدُني؟ أما واللَّه إني لأكْثَرُ أهْلِ الوادِي نَادِياً فَنَزَلَتْ الآيةُ، انتهى.

و﴿كَلاَّ﴾ ردّ على أبي جهلٍ، ويتَّجِه أنْ تَكُونَ بمعنى: حقًّا، والضميرُ في ﴿رآه﴾ للإنسانِ المذكورِ، كأنَّه قال: أن رأى نفسَه غَنِيًّا وهِي رُؤْيَةٌ قَلْبِيَّةٌ؛ ولذلكَ جازَ أن يَعْمَلَ فعلُ

الفاعِل في نفسِه؛ كما تقول: وجَدْتُني/ وَظَنَنْتُني، ثم حقَّرَ تعالى غِنَى هذا الإنسانِ وحالَه ٢٣٢ ب
بقولِهِ: ﴿إن إلى ربِّكَ الرُّجْعَى﴾ أي: بالحَشْرِ والبعثِ يومَ القيامةِ، وفي هذا الخبرِ وعيدٌ للطاغينَ من الناسِ، ثم صرَّح بذكْرِ النَّاهِي لمحمدٍ ـ عليه السلام ـ، ولا خِلاَفَ أن الناهِيَ أبو جهلٍ، وأن العَبْدَ المصلّيَ هو محمدٌ ـ عليه السلام ـ.

﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّه يرى﴾ إكمالٌ للتوبيخِ والوعيدِ بحسْبِ التوقيفاتِ الثَّلاثِ، يَصْلُحُ مَعَ كلِّ وَاحدٍ منها، * ت *: وفي قوله تعالى: ﴿ألم يعلم بأنَّ اللَّه يرى﴾ مَا يُثِير الهِمَمَ الرَاكِدَةَ، وَيُسِيلُ العيونَ الجَامِدَةَ، ويَبْعَثُ على الحياء والمراقبةِ، قال الغزالي: اعلمْ أَنَّ اللَّهَ مُطَّلِعٌ على ضميرِكَ، ومشرفٌ على ظاهِرك وباطِنِك، فَتَأَدَّبْ أيها المسكينُ ظَاهِراً وباطِناً بين يديه سبحانه؛ واجتهدْ أن لا يَرَاكَ حيثُ نَهَاكَ وَلاَ يَفْقِدُكَ حَيْثُ أَمَرَكَ، ولاَ تَدَعْ عَنْكَ التفكرَ في قُرْبِ الأجلِ، وحلولِ الموتِ القاطِعِ للأملِ، وخروجِ الأمْرِ من الاختيَارِ، وحصولِ الحَسْرَةِ والنَّدَامةِ بطُولِ الاغترارِ، انتهى، ثم توعَّده تعالى لَئِنْ لم ينتَهِ لَيُؤْخَذَنَّ بناصيتِهِ، فَيُجَرُّ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ذَلِيلاً، تقول العربُ: سَفَعْتُ بِيَدِي ناصية الفَرَسِ، والرَّجُلِ إذا جذبتُها مُذَلَّلَةً، وقال بعض العلماء بالتفسير: معناه لتُحْرَقَنَّ، من قولهم: سَفَعَتْه النارُ، واكْتَفَى بذكرِ الناصيةِ لِدلالتِها على الوَجْهِ والرأْسِ، والناصيةُ مُقَدَّمُ شَعْرِ الرأسِ، ثم أبْدَل النكرةَ من المعرفة في قوله: ﴿ناصية كاذبة﴾ ووصفَها بالكَذِبِ والخَطَإِ من حيثُ هي صفاتٌ لصاحِبها.

قوله: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَه﴾ أي أهْلَ مَجْلَسِهِ، والنَّادِي والنَّدي: المجلسُ، ومنه دَارُ النَّدْوَةِ، وقال البخاري قال مجاهد: نادِيَه: عشيرتَه[1].

وقوله: ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَة﴾ أي:/ ملائِكَة العَذابِ، ثم قال ـ تعالى ـ لنبيه ـ عليه ٢٣٣ أ
السلام ـ: ﴿كلا لاَ تُطِعْهُ﴾ أي: لا تَلْتَفِتْ إلى نَهْيِهِ وكلامِه و﴿اسْجُدْ﴾ لربك و﴿اقْتَرِب﴾ إليه بسجودِك، وفي الحديث: «أَقْرَبُ ما يكونُ العبدُ من رَبِّه إذا سَجَدَ، فَأَكْثِرُوا مِنَ الدُّعَاءِ في السجودِ، فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُم»، ورَوَى ابنُ وهب عَنْ جماعةٍ من أهل العِلم: أنَّ قَوْلَه: ﴿واسْجُدْ﴾: خطابٌ للنبي ﷺ وَأَن قَوْلَه: ﴿وَاقْتَرِبْ﴾: خطابٌ لأَبِي جَهْلٍ، أي: إنْ

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٦٤٩)، (٣٧٦٩٠) عن ابن عباس، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٢٧)، وعزاه للفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد.

تَجْتَرِىءُ حتى تَرَى كَيْفَ تَهْلَكُ، * ت *: والتأويلُ الأولُ أظهرُ؛ يدلُ عليه قولُه ﷺ: «أقربُ ما يكونُ العبدُ من ربه وهو ساجِدٌ»[1] وعنْ ربيعة بن كعب الأسلميِّ قال: كنتُ أبيتُ مع النبي ﷺ فآتيهِ بِوَضُوئِهِ وحَاجَتِه، فقال لي: سَلْ؛ فقلتُ: أسألكَ مُرَافَقَتَكَ في الجنةِ، قالَ أوَ غَيْرَ ذَلِكَ؟ قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ، قَالَ: فأعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»[2] رواه الجماعة إلا البخاريَّ، ولفظُ الترمذي: «كُنْتُ أَبِيتُ عِنْدَ بَابِ النبيِّ ﷺ فَأُعْطِيهِ وَضُوءَهُ، فَأَسْمَعُهُ الْهَوِيَّ مِنَ اللَّيْلِ يقول: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَه، وأَسْمَعُهُ الْهَوِيَّ مِنَ اللَّيْلِ يَقُولُ: الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ»[3]، قال الترمذيُّ: هٰذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صحيحٌ، وليس لربيعةَ في الكتب الستَّةِ سوَىٰ هذا الحديثِ، انتهى من «**السلاح**»، ورُوِيَ أن أبا جَهْلٍ جاءَ والنَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي، فَهمَّ بِأَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ، وَيَمْنَعَهُ مِنَ الصَّلاَةِ، ثُمَّ كَعَّ وَوَلَّى نَاكِصاً عَلَىٰ عَقِبَيْهِ مُتَّقِياً بِيَدَيْهِ، فَقِيلَ لَهُ: مَا هَذَا؟ فَقَالَ: لَقَدْ عَرَضَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ خَنْدَقٌ مِنْ نَارٍ، وَهَوْلٌ وَأَجْنِحَةٌ، فَيُرْوَىٰ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَوْ دَنَا مِنِّي لأَخَذَتْهُ المَلاَئِكَةُ عِيَاناً»[4]/ * ت *: ولما لم يَنْتَهِ عَدُوُّ اللَّهِ أَخَذَهُ اللَّهُ يَوْمَ بَدْرٍ، وَأَمْكَنَ مِنْهُ، وذَكَرَ الوائليُّ الحَافِظُ في كتابِ «**الإِبَانَةِ**» له مِنْ حَدِيثِ مَالِكِ بن مغول عن نافِعٍ عن ابن عمر قال: «بَيْنَا أَنَا أَسِيرُ بِجَنَبَاتِ بَدْرٍ إِذْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنَ الأَرْضِ في عُنُقِهِ سِلْسِلَةٌ يُمْسِكُ طَرَفَهَا أَسْوَد، فَقال: يَا عَبْدَ اللَّهِ، اسْقِنِي، فَقَالَ ٱبْنُ عُمَرَ: لاَ أَدْرِي أَعَرَفَ ٱسْمِي، أَوْ كَمَا يَقُولُ الرَّجُلُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، فَقَالَ لي الأَسْوَدُ: لاَ تَسْقِهِ؛ فَإِنَّهُ كَافِرٌ، ثُمَّ ٱجْتَذَبَهُ، فَدَخَلَ الأَرْضَ، قَالَ ابْنُ عُمَرَ: فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُه، فقال: «أَوَ قَدْ رَأَيْتَهُ؟ ذَلِكَ عَدُوُّ اللَّهِ أَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ، وهُوَ عَذَابُهُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ» انتهى من «**التَّذْكِرَة**» للقرطبيِّ، وقد ذَكَرْتُ هذهِ الحكايةَ عَن أبي عمر بن عبد البر بأتَّم مِنْ هَذا عِنْد قوله تعالى: ﴿فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَاباً شَدِيداً. . .﴾ [فصلت: ٢٧] الآية.

٢٣٣ ب

---

(١) تقدَّم تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم (٢/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠) ـ الأبي، كتاب «الصلاة» باب: فضل السجود والحث عليه (٢٢٦/ ٤٨٩)، وأبو داود (١/ ٤٢١)، كتاب «الصلاة» باب: وقت قيام النبي ﷺ من الليل (١٣٢٠)، والترمذي (٥/ ٤٨٠ ـ ٤٨١)، كتاب «الدعوات» باب: منه (٣٤١٦)، والنسائي (٢/ ٢٢٧)، كتاب «الافتتاح» باب: فضل السجود (١١٣٨)، وابن ماجه (٢/ ١٢٧٦ ـ ١٢٧٧)، كتاب «الدعاء» باب: ما يدعو به إذا تنبه من الليل (٣٨٧٩)، وأحمد (٤/ ٥٩). قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) ينظر: الحديث السابق.

(٤) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٥٤)، كتاب «صفات المنافقين وأحكامهم» باب: قوله: ﴿إن الإنسان ليطغى * أن رآه استغنى﴾ (٣٨/ ٢٧٩٧).

تَفسِيرُ سُورَةِ «القَدْرِ».

قَالَ ابنُ عَباسٍ: هِي مَدَنِيَّةٌ وَقَالَ قَتَادَةُ: هي مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾

قَوْلُه تَعَالَى: ﴿إنا أنزلناه﴾ الضميرُ في ﴿أنزلناه﴾ للقرآن قَال الشعبيُّ وغيرُه: المعْنَى: إنا ابتدأنا إنزالَ هذا القرآن إليكَ في ليلة القدر، وقد رُوِيَ: أن نزولَ المَلَكِ في حِراءٍ كَانَ في العشر الأواخِر من رمضان، فيستقيمُ هذا التأويل[1] وقالَ ابنُ عباسٍ وغيرُه: أَنزَلَه اللَّه تعالى ليلةَ القدرِ إلى سماءِ الدُّنْيَا جملةً، ثم نَجَّمَه على محمدٍ ﷺ عِشْرِينَ سنةً، وليلةُ القدرِ خَصَّها اللَّهُ تعالى بِفَضْلٍ عَظِيم، وَجَعَلَها أفضَل مِنْ أَلْفِ شهرٍ لاَ لَيْلَةَ قَدْرٍ فِيها؛ قاله مجاهدٌ وغيرُه[2]، وخُصَّتْ هذه الأُمَّةُ بهذه الفضيلةِ لَمَّا رأى النبي ﷺ أعمارَ أُمَّتِه وتَقَاصُرَهَا/ وَخُشِيَ أَلاَّ يَبْلُغُوا مِنَ الأَعْمَالِ مِثْلَ الَّذِي بَلَغَ غَيْرُهُمْ في طُولِ العُمُرِ، فَأَعْطَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَيْلَةَ القَدْرِ خَيْراً مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، قال ابن العربيِّ في «أحكامه»: وقد روى مالكٌ هذَا الحديثَ في «المُوَطَّأ»[3]؛ ثَبَتَ ذلكَ مِنْ روايةِ ابنِ القَاسمِ وغيره، انتهى، ثم فَخَّمَها سبحانَه بقوله: ﴿وما أدراك ما ليلة القدر﴾ قال ابن عيينة في «صحيح البخاري»: ما كانَ في القرآن: ﴿وَما أَدْرَاكَ﴾ فَقَدْ أَعْلَمَه، وَمَا قالَ: ﴿وما يدريك﴾ فإنَّه لَمْ يُعْلِمْهُ، وذكر ابن عبَّاس وغيره: أنها سُمِّيَتْ ليلةَ القَدْرِ؛ لأنَّ اللَّهَ تعالى يُقَدِّرُ فيها الآجالَ والأرزاقَ وحوادثَ العامِ كلَّها، ٢٣٤ أ

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٦٥١)، (٣٧٧٠١)، وذكره ابن عطية (٥/ ٥٠٤).

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٦٥١)، (٣٧٦٩٧)، وذكره ابن عطية (٥/ ٥٠٤)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥٢٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٢٨)، وعزاه لابن الضريس، وابن جرير، وابن المنذر وابن أبي حاتم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل» عن ابن عباس.

(٣) أخرجه مالك في «الموطأ» (١٦٥)، (٧٠٥) مرسلاً.

ويدفَعُ ذلك إلى الملائِكَة لتَمْتَثِلَه[١]، قال * ع[٢] *: وليلةُ القَدْرِ مستديرةٌ في أوتارِ العَشْرِ الأَواخِرِ من رمضانَ؛ هذا هو الصحيحُ المُعَوَّلُ عليه، وهي في الأَوْتَارِ بحسْبِ الكَمال والنقصان في الشَّهْرِ، فينبغي لمرتَقِبها أن يَرْتَقِبَها مِنْ ليلةِ عشرينَ في كل ليلةٍ إلى آخر الشهر، وصحَّ عن [أُبيِّ بن] كعب وغيرِه: أَنها ليلةُ سَبْعٍ وعشرينَ[٣]، ثم أَخْبَر تعالى أن ليلةَ القَدْرِ خيرٌ مِن ألف شَهر وهي ثَمانُونَ سَنَةً وثَلاثَةُ أَعْوَام وثُلُثُ عام، وفي الصحيح عن النبيِّ ﷺ: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»[٤] ﴿والرُّوحُ﴾: هو جِبْرِيلُ ـ عليه السلامُ ـ وقيل هو صِنفٌ حَفَظَةٌ لِلْمَلاَئِكَةِ، قال الفخر[٥]: وذكروا في الرُّوح أقوالاً: أَحدُها: أنه ملَكٌ عظيم لو الْتَقَمَ السموات والأَرْضَ كانَ ذلكَ لَه لُقْمةً وَاحِدَةً، وقِيلَ: الرُّوحُ: طَائِفةٌ من الملائِكَةِ لاَ يَراهُمُ المَلاَئِكَةُ إلا ليلةَ القَدْرِ، كالزُّهَادِ الذين لا نَراهم إلا يَوْم العِيد، وقيل: خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يأكُلُون [وَيَشْرَبُونَ] وَيَلْبَسُون لَيْسُوا من الملائِكَةِ ولا من/ الإِنْسِ ولعلهم خَدَمُ أَهْلِ الجَنَّةِ، وقيل: الروحُ أَشْرَفُ الملائِكَةِ، وقال ابن أبي نجيح؛ الروحُ همُ الحفَظَةُ الكرامُ الكاتِبُونَ والأَصَح أَنَّ الروحَ هاهنا هو جبريلُ، وتخصيصُه بالذكر لزِيَادَةِ شرفِه، انتهى. ٢٣٤ ب

وقوله تعالى: ﴿بإذن ربهم من كل أمر﴾ الثعلبيُّ: أي: بكل أَمْرٍ قدَّرَه اللَّهُ وقضاه في تلكَ السنةِ إلى قَابِل؛ قاله ابن عباس، ثم تبتدىء فتقولُ: ﴿سَلاَمٌ هِيَ﴾ ويحتملُ أن يريدَ مِنْ كل فِتْنَةٍ سَلاَمَةٌ، انتهى، قال * ع *: وعلى التأويلِ الأولِ، يَجِيءُ ﴿سَلاَمٌ﴾ خَبَرَ ابتداءٍ مستأنَفًا، أي: سلامٌ هي هذه الليلةُ إلى أول يومِها، ثم ذكرَ ما تقدَم، وقال الشعبيُّ ومنصور: ﴿سلام﴾ بمعنى: التَّحِيَّةِ أي: تُسَلِّمُ الملائكةُ على المؤمِنينَ[٦].

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٦٥٢)، (٣٧٧٠٨) عن الحسن، وذكره ابن عطية (٥/ ٥٠٤).
(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٥٠٥).
(٣) ذكره البغوي (٤/ ٥١١).
(٤) تقدم.
(٥) ينظر: «مفاتيح الغيب» (٣٢/ ٣٣).
(٦) ذكره البغوي (٤/ ٥١٢)، وابن عطية (٥/ ٥٠٥)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥٣١)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٣٠)، وعزاه لسعيد بن منصور، وابن المنذر بنحوه.

تَفسِيرُ سُورَةِ «البيّنة»

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ في قَوْلِ الجُمْهُورِ وَقِيلَ: مَدَنِيَّةٌ، والأَوَّلُ أَشْهَرُ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾

[قوله تعالى: ﴿لم يكن الذين كفروا﴾[1] وفي حرف ابن مسعودٍ[2]: «لَمْ يَكُنِ المُشْرِكُونَ وَأَهْلُ الكِتَابِ مُنْفَكِّينَ».

وقوله تعالى: ﴿مُنْفَكِّينَ﴾ معناه: مُنْفَصِلِينَ متفرقينَ، تقول: انْفَكَّ الشيءُ عن الشيء؛ إذا انفصلَ عنه، وأمَّا انفك التي هي مِنْ أخواتِ «كَانَ» فلا مَدْخَلَ لَها هنا، قال مجاهد وغيره: لَمْ يَكُونُوا مُنْفَكِّينَ عن الكفرِ والضلالِ حتى جَاءَتْهُم البينةُ[3]، وأوقَعَ المستقبلَ موقِعَ الماضي في تأتيهم، والبيناتُ: محمَّد ﷺ وشرْعُهُ، قال الثعلبيُّ: ﴿والمُشْرِكِين﴾ يعني: من العربِ وهم عَبَدَةُ الأوثانِ، انتهى، وقال الفراء وغيره: لم يكونوا منفكّينَ عَنْ معرفةِ صحةِ نبوةِ محمدٍ ﷺ والتَّوَكُّفِ لأمره حتى جاءتهم البينةُ فَتَفَرَّقُوا عند ذلك،/ ويتَّجِهُ ٢٣٥ أ
في معنى الآيةِ قولٌ ثالثٌ بارعُ المعنى؛ وذلك أَنْ يكونَ المرادُ: لَمْ يَكُنْ هؤلاءِ القومُ

(١) سقط في: د.
(٢) ينظر: «الشواذ» ص: (١٧٧)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٥٠٧).
(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٦٥٤)، (٣٧٧٢٢)، وذكره ابن عطية (٥/ ٥٠٧)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥٣٧)، والسيوطي في «الدر المنثور»، وعزاه للفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد بنحوه.

منفكينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَنَظَرِهِ لَهُمْ حَتَّى يبعثَ إليهمْ رَسُولاً؛ تقومُ عليهم به الحجةُ، وتتمُّ عَلى مَنْ آمن بهِ النعمةُ فكأَنَّه قَالَ: ما كانوا لِيُتْرَكُوا سُدًى، ، والصحفُ المطهَّرة: القرآنُ في صحفهِ؛ قاله قتادة والضحاك[1]، وقال الحسن: الصحفُ المطهَّرة في السماءِ[2]، ﴿فيها كُتُبٌ﴾ أي: أحكامُ كتبٍ، و﴿قيمة﴾ معناه قَائِمة معتدلَة آخذةٌ للناسِ بالعَدْلِ، ثُمَّ ذَمّ تعالى أهْلَ الكتابِ في أنّهم لم يَتَفَرَّقُوا في أمْرِ محمد ﷺ إلا مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الآياتِ الواضحةَ؛ وكانوا مِنْ قَبْلُ مُتَّفِقِينَ على نُبُوَّتهِ وصفتهِ، و﴿حُنَفَاءَ﴾: جَمْعُ حنيفٍ وهو المستقيمُ، وذِكْر الزكاةِ مَعَ ذِكْرِ بَنِي إسرائيل يُقَوِّي قَوْلَ من قَال: السورةُ مدنيةٌ؛ لأنَّ الزكاةَ إنما فُرِضَتْ بالمدينةِ، ولأَنَّ النبيَّ ﷺ إنَّما دُفِعَ إلى مناقَضَةِ أهْلِ الكتَابِ بالمدينةِ، **وقرأ** الجمهور: «وذلك دين القيمة» على معنى الجماعة والفِرْقَةِ القيمة، وقال * ص *: قراءة الجمهور: «وذلك دين القيمة» على تقديرِ الأمَّةِ القَيِّمَةِ؛ أي: المستقيمةِ أو الكتُب القيمةِ، **وقرأ** عبد اللَّه[3]: «وذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمَةُ» بتعريفِ الدِّينِ ورَفْعِ القيمة صفةً، والهاءُ فيه للمبالغَةِ أو عَلى تأويلِ أنَّ الدِّينَ بمعنى الملَّة، انتهى، و﴿البَرِيَّة﴾ جميعُ الخَلْقِ؛ لأن اللَّه تعالى براهُم أي: أوْجَدَهُمْ بَعْدَ العَدَم.

وقوله تعالى: ﴿رضي اللَّه عنهم﴾ قِيْلَ ذلك في الدنيا؛ فَرِضاه عنهم هو ما أظْهَرَه عليهم من أمَارَاتِ رحمتهِ، ورضاهُم عنه؛ هو رضَاهم بجميعِ مَا قَسَمَ لَهم من جميعِ الأرزاقِ والأقدارِ، وقال بعضُ الصالحين:/ رضَى العبادِ عن اللَّهِ رِضَاهُمْ بِما يَرِدُ من أحكامِه، ورِضَاه عنهم أن يُوَفِّقَهُمْ للرِّضَى عَنْهُ، وقال سري السقطي: إذَا كُنْتَ لاَ تَرْضَى عَنِ اللَّهِ فكَيْفَ تَطْلُبُ منه أنْ يَرْضَى عَنْكَ، وقيل ذَلِكَ في الآخِرَةِ، وخَصَّ تعالى بالذكرِ أهْلَ الخَشْيَةِ؛ لأنها رأْسُ كلِّ بَرَكَةٍ وهيَ الآمِرَةُ بالمعروفِ والناهِيَةُ عن المنكرِ. ٢٣٥ ب

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٦٥٦)، (٣٧٧٢٦) عن قتادة، وذكره ابن عطية (٥/ ٥٠٧)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥٣٧)، والسيوطي في «الدر المنثور»، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة بنحوه.

(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٥٠٧).

(٣) ينظر: «مختصر الشواذ» (١٧٧)، و«البحر المحيط» (٨/ ٤٩٥)، و«الدر المصون» (٦/ ٥٥٢).

[تَفْسِيرُ] سُورَةِ «الزلزلة»

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ قَالَهُ ٱبْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ، وَقَالَ قَتَادَةُ، ومُقَاتِلٌ: هِيَ مَدَنِيَّةٌ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾﴾

[قوله تعالى: ﴿إذا زلزلت الأرض﴾] قد تقدَّم معنى الزلزلةِ، والأثْقَالُ: الموتَى؛ قاله ابن عباس[1]، وقيل أَخْرَجَتْ موتَاها، وكنوزَها، وقول الإنسان: ﴿ما لها﴾ هو عَلَى مَعْنَى التعجُّبِ مِنْ هولِ ما يَرَى، قال الجمهور: الإنسانُ هنا الكافِرُ، وقيلَ عامٌّ في المؤمِنِ والكافِرِ، وإخْبَارُ الأَرْضِ قَالَ ابن مسعودٍ وغيره: هي شَهَادَتُها بِما عُمِلَ عليها مِنْ عَمَلٍ صالحٍ وفَاسدٍ[2] ويؤيدُ هذَا التأويلَ قولُه ﷺ: «فَإِنَّهُ لاَ يَسْمَعُ مَدَىٰ صَوْتِ المُؤَذِّنِ إِنْسٌ وَلاَ جِنٌّ وَلاَ شَيْءٌ إِلاَّ شَهِدَ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ».

* ت *: وخرَّج الترمذيُّ في «جامعِه» عن أبي هريرةَ قال: «قرأ رسول اللَّه ﷺ هذه الآية: ﴿يومئذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ قال: أَتَدْرُونَ مَا أَخْبَارُهَا؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ؛ قَالَ: فَإِنَّ أَخْبَارَهَا: أَنْ تَشْهَدَ عَلَىٰ كُلِّ عَبْدٍ وَأَمَةٍ بِمَا عَمِلَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا، تَقُولُ: عَمِلَ عَلَيَّ يَوْمَ كَذَا ـ كَذَا؛ فَهٰذِهِ أَخْبَارُها»[3] قال أبو عيسَىٰ: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ؛ انتهى، وكَذَا رواه أبو بكر بن الخطيبِ، وفيه: عَمِلَ عَلَيَّ في يَوْمِ كَذَا وَكَذَا/ وَفِي يَوْمِ كَذَا وَكَذَا. ١٢٣٦أ

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٦٥٩)، (٣٧٧٣٤)، وذكره ابن عطية (٥/ ٥١٠)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥٣٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٤٥)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٦٦٠)، (٣٧٧٤٠) عن سفيان، وذكره ابن عطية (٥/ ٥١٠).

(٣) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٤٦ ـ ٤٤٧)، كتاب «التفسير» باب: ومن سورة: ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾ (٣٣٥٣).

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾

وقوله تعالى: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ الباءُ باءُ السببِ وقَالَ ابن عباس وغيرُه: المعنى أوحَى إليهَا[1]، قال * ص *: المشهورُ أنَّ ﴿أَوْحَى﴾ يتعدَّىٰ بـ«إلى» وَعُدِّيَ هنا باللامِ مُرَاعَاةً للفَوَاصِل، وقال أَبو البقاء: ﴿لها﴾ بِمَعْنَى إِلَيْهَا، انتهى.

وقوله سبحانه: ﴿يومئذ يصدر الناس أشتاتاً﴾ بمعنى: يَنْصَرِفُونَ مِنْ موضعِ وُرُودِهم مُختلِفي الأَحْوَالِ، قال الجمهور: وُرُوْدُهُمْ بالموت، وصدورُهُمْ هو القيامُ إِلَى البَعْثِ والكلُّ سائرٌ إلى العَرْضِ ليرَى عَمَله، ويقفُ عليه، وقيل: الورودُ هو ورودُ المَحْشَرِ والصَّدَرُ أَشْتَاتاً هُو صَدَرُ قَوْمٍ إلى الجنةِ وقَوْمٍ إلى النَّارِ ليروا جَزَاء أعمالهم.

وَقَوْله ـ جلت عظمته ـ: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره﴾ الآية، كانَ النبي ﷺ يُسَمِّي هٰذِهِ الآيَةَ الجَامِعَةَ الفَاذَّةَ، ويُرْوَىٰ أَنَّهُ «لَمَّا نَزَلَتْ هٰذِهِ السُّورَةُ بَكَى أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَ أُسْأَلُ عَنْ مَثَاقِيلِ الذَّرِّ؟ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا أَبا بَكْرٍ، مَا رَأَيْتَهُ في الدُّنْيَا مِمَّا تَكْرَهُ فَبِمَثَاقِيلِ ذَرِّ الشَّرِّ، وَيَدَّخِرُ لَكَ اللَّهُ مَثَاقِيلَ ذَرِّ الخَيْرِ إِلَى الآخِرَةِ»[2]، قال الداوديُّ: بَيْنَمَا عُمَرُ بن الخَطَّابِ بِطَرِيقِ مَكَّةَ ليلاً، إذا رَكْبٌ مُقْبِلينَ مِنْ جِهَةٍ، فَقَالَ لبعض مَنْ معه: سَلْهُمْ مِنْ أَيْنَ أقبلوا؟ فقال له أحدهم: من الفَجِّ العميقِ، نُرِيدُ البَلَدَ العَتِيقَ، فَأُخْبِرَ عَمَرُ بِذَلِكَ، فَقَالَ: أَوَقَعُوا في هٰذَا؟ قُلْ لَهُمْ، فَمَا أَعْظَمُ، آيةٍ في كِتَابِ اللَّهِ، وأَحْكَمُ آيةٍ في كِتَابِ اللَّهِ، وَأَعْدَلُ آيةٍ في كِتَابِ اللَّهِ، وَأَرْجَىٰ آيةٍ في كِتَابِ اللَّهِ، وَأَخْوَفُ آيةٍ في كِتَابِ اللَّهِ؟ فَقَالَ لَهُ قَائِلُهُمْ: أَعْظَمُ آيةٍ في/ كِتَابِ اللَّهِ آيَةُ الكُرْسِيِّ [البقرة: ٢٥٥]، وَأَحْكَمُ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ: ﴿إِنَّ اللَّه يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠] وَأَعْدَلُ آيةٍ في كِتَابِ اللَّهِ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ وأَرْجَىٰ آيَةٍ في كِتَابِ اللَّهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيؤْتِ مِنْ لدنهُ أَجْرًا عَظِيماً﴾ [النساء: ٤٠] وَأَخْوفُ آيةٍ في كِتَابِ اللَّه: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣] فأُخْبِرَ عمر بِذلكَ، فَقَالَ لَهُمْ عمرُ: أَفِيكُم ابنُ أُمِّ عَبْدٍ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ، وَهُوَ الَّذِي [كَلَّمَكَ]، قال

٢٣٦ ب

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٦٦١)، (٣٧٧٤٣)، وذكره البغوي (٤/ ٥١٥)، وابن عطية (٥/ ٥١١)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥٣٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٤٥)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس.

(٢) ينظر: «الدر المنثور» (٦/ ٦٥٤).

عُمَرُ: كُنَيْفٌ مُلِىءَ عِلْماً آثَرْنَا بِهِ أَهْلَ القَادِسِيَّةِ عَلَى أَنْفُسِنَا. قال الداوودي، ومعْنَى أعظم آية يُرِيدُ في الثواب، انتهى[1].

(١) ذكره البغوي (٤/٥١٦) عن ابن مسعود قال: أحكم آية في كتاب الله: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾.

تَفسِيرُ سُورَةِ «العَادِيَاتِ»

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ في قَوْلِ جَمَاعَةٍ، وَقِيلَ: مَدَنِيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾﴾

قال ابنُ عباس وغيره: المرادُ بـ﴿العاديات﴾: الخيلُ؛ لأنها تَعْدُو بالفُرْسَانِ، وَتَضْبَحُ بأصْوَاتِها[1]، وعن ابن مسعود وعلي أن ﴿العادياتِ﴾ هنا: الإبِلُ لأنها تَضْبَحُ في عَدْوِها[2]، قال علي - رضي اللَّه عنه -: والقَسَمُ بالإبل العادياتِ مِنْ عَرَفَةَ ومِنَ المُزْدَلِفَةِ، إذا دَفَعَ الحاجُّ، وبإبِل غَزْوَةِ بدرٍ[3]، والضَّبْحُ تَصْوِيتٌ جَهِيرٌ عِنْدَ العَدْوِ، قال الداوودي: وهو الصوتُ الذي يُسْمَعُ من أجوافِها وقتَ الرَّكْضِ، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿فالموريات قدحاً﴾ قال علي وابن مسعود هي: الإبلُ؛ وذلك بأنها [في] عَدْوِها تَرْجُمُ الحَصْبَاءَ بالحَصْبَاءِ فَتَتَطَايرُ منهَا النارُ، فذلك القَدْحُ، وقال ابن عباس: هي الخيلُ؛ وذلكَ بِحَوَافِرِها في الحِجَارة، وقال ابن عباس أيضاً وجماعةٌ: الكلام/ عَامٌّ ٢٣٧أ
يَدْخُلُ في القَسَمِ كلُّ مَنْ يُظْهِرُ بِقَدْحِه ناراً. * ص *: ﴿قدحاً﴾ أبو البقاءِ: مَصْدَرٌ مؤكِّد؛

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٦٦٤)، (٣٧٧٦٣)، وذكره البغوي (٤/ ٥١٧)، وابن عطية (٥/ ٥١٣)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥٤٢)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٥٠)، وعزاه للبزار، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والدارقطني في الأفراد، وابن مردويه عن ابن عباس.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٦٦٧)، (٣٧٧٨٥)، وذكره البغوي (٤/ ٥١٧)، وابن عطية (٥/ ٥١٣)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥٤١)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٥٢)، وعزاه لابن جرير، وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٦٦٦)، (٣٧٧٨١)، وذكره البغوي (٤/ ٥١٧)، وابن عطية (٥/ ٥١٣)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥٤١)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٥٢)، وعزاه لابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن الأنباري في «المصاحف»، والحاكم وصححه، وابن مردويه عن ابن عباس بنحوه.

لأَن المُورِيَ هُوَ القَادِح، انتهى، ﴿فالمغيرات صبحاً﴾ قال علي وابن مسعود هي: الإبلُ مِنْ مزدلفةَ إلى مِنًى، وفي بدرٍ، وقال ابن عباس وجماعة كثيرة: هي الخيلُ، واللَّفْظَةُ منَ الغَارَةِ في سبيلِ اللَّهِ وغير ذلك من سير الأُمَم وعُرْفُ الغَارَاتِ أَنَّها مَعَ الصَّبَاحِ، والنَّقْعُ الغبارُ الساطِعُ المثَارُ، والضمير في ﴿به﴾ ظاهرُه أَنَّه للصُّبْحِ المذكورِ، ويحتملُ أَنْ يكونَ للمكانِ والموْضِع الذي يقتضيه المعنى، ومشهورٌ إثارةُ النَّقْعِ هو للخيل، وقال علي: هو هنا للإبل.

﴿فوسطن به جمعاً﴾ قال علي وابن مسعود هي: الإبلُ، و﴿جَمْعاً﴾ هي المزدلفة، وقال ابن عباس وجماعة: هي الخيلُ، والمرادُ جَمْعٌ مِنَ الناسِ هم المَغْزُوُّونَ، والقَسَمُ واقِع على قوله: ﴿إن الإنسان لربه لكنود﴾ ورُوِيَ عن النبيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الكَنُودُ؟ قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: هُوَ الكَفُورُ الَّذِي يَأْكُلُ وَحْدَهُ، وَيَمْنَعُ رِفْدَهُ، وَيَضْرِبُ عَبْدَهُ»، وقد يَكُونُ في المؤمِنينَ الكَفُورُ بالنِّعْمَةِ فتقديرُ الآيةِ: إِنَّ الإِنْسَانَ لِنعمةِ ربِّه لَكَنُودٌ، وأَرْضٌ كَنُودٌ: لاَ تُنْبِتُ شَيْئاً، والكَنُودُ: العَاصِي بلُغَةِ كِنْدَة، ويقال للبخيل: كَنُودٌ، وفي البخاريِّ عن مجاهدٍ: الكَنُودُ الكَفُورُ، انتهى[1].

﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ۝١١﴾

وقوله تعالى: ﴿وإنه على ذلك لشهيد﴾ يحتملُ الضميرُ أَنْ يعودَ عَلَى اللَّهِ تعالى؛ وقالَهُ قتادة[2]، ويحتملُ أَنْ يَعُودَ على الإنسان؛ أَنَّه شَاهِدٌ عَلى نَفْسِهِ بِذَلِكَ؛ وهذا قول مجاهد وغيره[3].

﴿وإنه لحب الخير﴾ أي: وإنَّ الإنسانَ لحبٌّ الخَيْرِ، والمعنى من أَجْلِ حبِّ الخَيْرِ، ﴿لَشَدِيدٌ﴾/ أي: بَخِيلٌ بالمَالِ ضَابِطٌ له، والخيرُ هنا المالُ، ويحتملُ أن يُرَادُ هنا الخيرُ الدنيويُّ من مالٍ، وصحةٍ، وجاهٍ عندَ الملوك، ونحوه؛ لأَنَّ الكفارَ والجُهَّال لا يعرفونَ غَيْرَ ذلكَ، وأَمَّا [الحُبُّ في خَيْرِ الآخرة فَمَمْدُوحٌ؛ مَرْجُوٌّ لَه الفوزُ، وقَال الفراء: مَعْنَى الآيةِ: أَنَّ ٢٣٧ ب

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٦٧٢)، (٣٧٨٢٩)، وذكره البغوي (٤/ ٥١٨)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥٤٢)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٥٣)، وعزاه للفريابي وعبد بن حميد عن مجاهد، وذكره البخاري (٨/ ٥٩٩)، كتاب «التفسير» معلقاً.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٦٧٣)، (٣٧٨٤٤)، وذكره ابن عطية (٥/ ٥١٤)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥٤٢)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٥٤)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير عن قتادة.

(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ٥١٥)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥٤٢)، والسيوطي في «الدر المنثور»، وعزاه لابن أبي حاتم.

الإنسانَ لشديدُ الحبِّ لِلْخَيْرِ ولما تَقَدَّمَ] الخيرُ قَبْلَ «شديدٍ» حُذَف مِنْ آخِره؛ لأَنه قَدْ جَرَى ذِكْرهُ؛ ولرؤوسِ الآي، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿أَفَلا يَعْلَمُ﴾ تَوْقِيفٌ، أي: أفلا يعلم مآلَه ومصيرَه فيستعدّ لَهُ.

﴿وَحُصِّلَ مَا في الصُّدُورِ﴾، أي: مُيِّزَ وأبْرزَ مَا فِيها ليقعَ الجزاءُ عليه، ويفسِّرُ هذَا قولُه ﷺ: «يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ» وفي قولِه تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ﴾ وَعِيدٌ، * ص *: والعَامِلُ في ﴿يومئذٍ لخبير﴾ على تضمينِه مَعْنى: لَمُجازٍ؛ لأَنَّه تَعَالَى خَبِيرٌ دَائِماً، انتهى.

تَفسِيرُ سُورَةِ «القَارِعَةِ»

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ بِلاَ خِلاَفٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾

قَال الجُمْهُورُ: ﴿القَارِعَةُ﴾ القيامةُ نَفْسُها، والفَرَاشُ: الطيرُ الذي يَتَسَاقَطُ في النارِ؛ ولا يَزَال يتقحمُ على المصباحِ، وقال الفَرَّاءُ: هو صَغِيرُ الجَرَادِ الذي ينتشر في الأرضِ والهواءِ، وفي البخاريّ: ﴿كالفراشِ المبثوث﴾: كَغَوْغَاءِ الجَرَادِ يركبُ بعضُه بعضاً؛ كذلكَ الناسُ يومئِذٍ؛ يجولُ بعضُهم في بعض، انتهى، و﴿المَبْثُوث﴾ هنا معناه: المتفرِّقُ جمعُه؛ وجملتُه مَوْجودةٌ متصلةٌ، والعِهْنُ هو: الصوفُ والنَّفْشُ خَلْخَلَةُ الأَجْزَاءِ وتفريقُها عَن تَرَاصِيها.

وقوله تعالى: ﴿فأُمُّه هَاوِيَة﴾ قال كثير من المفسرين: المرادُ بالأُمِّ نَفْسُ الهَاوِيَةِ، وهذا كما يقال للأَرْضِ أم الناس؛ لأنها تُؤْوِيهِمْ، وقال أبو صالح/ وغيره: المُرَادُ أُم رأْسِه؛ لأَنَّهُمْ ١٢٣٨أ يَهْوُونَ عَلى رُؤوسِهم[1]؛ وَرَوى المبرِّدُ «أنَّ النبيَّ ﷺ: قَالَ لرَجُلٍ: لاَ أُمَّ لَكَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَدْعُوني إِلَى الهُدَىٰ وَتَقُولُ: لاَ أُمَّ لَكَ، فَقَالَ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ: إِنَّما أَرَدْتُ لاَ نَارَ لَكَ، قال اللَّهُ تعالى: ﴿فأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾».

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٦٧٧)، (٣٧٨٦٥)، وذكره البغوي (٤/ ٥١٩)، وابن عطية (٥/ ٥١٧)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥٤٣)، والسيوطي في «الدر المنثور»، وعزاه لابن جرير.

[تَفسِيرُ] سُورَةِ «التَّكَاثُرِ»

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾

قوله تعالى: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُر﴾ أي: شَغَلَكُمْ المباهاةُ والمفاخرةُ بكثرةِ المالِ والأولادِ والعَدَدِ، وهذا هِجّيرى أبناءِ الدنيا العربِ وغيرهم؛ لا يتخلصُ منه إلا العلماء المتقون، قال الفخر: فالألفُ واللامُ في ﴿التكاثر﴾ ليسَ للاسْتِغْرَاقِ بَلْ للمَعْهُودِ السَّابِقِ في الذِّهْنِ، وهو التكاثرُ في الدنيا؛ ولذاتِها وعلائِقها؛ فإنّه هُو الذي يَمْنَعُ عن طاعةِ اللَّه وعبوديَّتِه؛ ولما كَان ذلك مُقَرَّراً في العقولِ ومُتَّفَقاً عليه في الأديان لاَ جَرَمَ؛ حَسُنَ دخولُ حرف التعريف عليه؛ فالآيةُ دالَّةٌ على أن التكاثرَ والتفاخرَ بما ذُكِرَ مذمومٌ، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿حتى زرتم المقابر﴾ أي حتى مُتُّمْ فَدُفِنْتُم في المقابِر وهذا خبرٌ فيه تَقْرِيعٌ وتوبيخ وتحسُّرٌ، وفي الحديثِ الصحيح عنه ﷺ «يَقُولُ ٱبْنُ آدَمَ: مَالِي مَالِي، وَهَلْ لَكَ يَا بْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلاَّ مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ أو تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ»[1] قال * ص *: **قرأ** الجمهورُ: «الْهَاكُم» على الخبرِ، وابنُ عباسٍ بالمدِّ، والكسائي[2] في روايةٍ

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٧٣)، كتاب «الزهد والرقائق» باب: (٣/ ٢٩٥٨)، والترمذي (٥/ ٤٤٧)، كتاب «تفسير القرآن» باب: ومن سورة التكاثر (٣٣٥٤)، (٤/ ٥٧٢)، كتاب «الزهد» باب: منه (٢٣٤٢)، والنسائي (٦/ ٢٣٨)، كتاب «الوصايا» باب: الكراهية في تأخير الوصية (٣٦١٣)، وأحمد (٤/ ٢٤)، وأبو نعيم في **«الحلية»** (٢/ ٢١١).
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
وفي الباب من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه نحوه، أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٧٣)، كتاب «الزهد والرقائق» باب: (٤/ ٢٩٥٩)، والبيهقي (٣/ ٣٦٩)، كتاب «الجنائز» باب: ما ينبغي لكل مسلم أن يستعمله من قعر الأمل، وابن حبان في **«صحيحه»** (٨/ ٣٥ ـ ٣٦) كتاب «الزكاة» باب: ما جاء في الحرص وما يتعلق به (٣٢٤٤).

(٢) ينظر: **«مختصر القراءات»** (١٧٩)، و**«البحر المحيط»** (٨/ ٥٠٦).

بهمزَتَيْنِ، ومعنى الاستفهامِ التوبيخُ والتقريرُ، انتهى، قال الفخر: اعْلَمْ أنَّ أهم الأمور وأولاها بالرعايةِ تَرْقِيقُ القلبِ، وإزالَةُ حُبِّ الدنيا منه، ومُشَاهَدَةُ القبورِ تُورِثُ ذلكَ؛ كما ورد/ به الخَبَرُ، انتهى. ٢٣٨ ب

وقوله تعالى: ﴿كلا سوف تعلمون﴾ زَجْرٌ ووعيدٌ، ثم كُرِّرَ تَأْكِيداً، ويأخذ كل إنسانٍ من هذا الزجرِ والوعيدِ المُكَرَّرِ على قدر حظِّهِ من التوغُّلِ فيما يُكْرَه؛ هذا تأويل الجمهور، وقال عليٌّ: ﴿كلا سوف تعلمون﴾ في القبرِ، ﴿ثم كلا سوف تعلمون﴾ في البَعْثِ[1]، قال الفخر[2]: وفي الآيةِ تَهْدِيدٌ عظيمٌ للعلماءِ فَإنها دالة على أنه لَوْ حَصَلَ اليقينُ لَتَرَكُوا التكاثُرَ والتَّفَاخُرَ؛ فهذا يَقْتَضِي أنَّ مَنْ لا يتركُ التكاثرَ والتفاخرَ أنْ لاَ يكونَ اليقينُ حَاصِلاً له؛ فالويلُ للعالمِ الذي لا يكونُ عَاقِلاً؛ ثم الويل له، انتهى.

﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾

وقوله تعالى: ﴿كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ اليَقِينِ﴾ جوابُ «لو» محذوفٌ تقديرهُ لاَزْدُجِرْتُمْ، [وبَادَرْتُم] إنقاذَ أنفُسِكم من الهَلَكَةِ، واليقينُ أعلى مراتبِ العلم، ثم أخْبَرَ تعالى الناسَ أنَّهُم يَرَوْنَ الجحيمَ، وقال ابن عباس: هذا خطابٌ للمشركينَ والمَعْنَى على هذا التأويلِ: أنها رؤيةُ دخولٍ وصَلْيٍ؛ وَهُوَ عينُ اليقينِ لَهُم[3]، وقال آخرونَ: الخطابُ للناسِ كلِّهم، فهي كقوله تعالى: ﴿وإنْ مِنكُمْ إلاَّ وَارِدُها﴾ [مريم: ٧١] فالمعنى أنَّ الجميعَ يَرَاها؛ ويجوزُ النَّاجِي وَيَتَكَرْدَسُ فيها الكافرُ، * ص *: ﴿لَتَرَوُنَّ﴾ ابن عامر والكسائي ـ بضم التاء ـ، والباقون بفتحها[4]، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿ثم لترونها عين اليقين﴾ تأكيدٌ في الخبرِ، وعينُ اليقينِ: حقيقتُه وغايتُه، ثم أخْبَر تعالى أنَّ الناسَ مَسْؤولونَ يَوْمَئِذٍ عَنْ نعيمِهم في الدنيا؛ كيفَ نالُوه ولِمَ آثَرُوهُ، وتَتَوَجَّهُ في هذا أسئلةٌ كَثِيرَةٌ بِحَسَبِ شَخْصٍ شَخْصٍ، وهِيَ مُنْقَادَةٌ لِمَنْ أُعْطِيَ فَهْماً في كِتَابِ اللَّه ـ عز وجل ـ، وقد قال ﷺ/ لأصْحابِه: «والَّذِي نَفْسِي بِيَدِه، لَتُسْأَلُنَّ عَنْ ٢٣٩ أ

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٦٧٩)، (٣٧٨٧٣) عن علي رضي اللَّه عنه، وذكره ابن عطية (٥/ ٥١٩).
(٢) ينظر: «مفاتيح الغيب» (٣٢/ ٧٦).
(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٦٨٠)، (٣٧٨٧٨)، وابن عطية (٥/ ٥١٩).
(٤) ينظر: «السبعة» (٦٩٥)، و«الحجة» (٦/ ٤٣٤)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٥٢٤)، و«معاني القراءات» (٣/ ١٦٠)، و«شرح الطيبة» (٦/ ١٣٣)، و«العنوان» (٢١٣)، و«حجة القراءات» (٧٧١)، و«شرح شعلة» (٦٢٦)، و«إتحاف» (٢/ ٦٢٦).

نَعِيمِ هٰذَا الْيَوْمِ»[١]، الحديثُ في الصحيح؛ إذْ ذَبَحَ لَهُمْ أَبُو الهَيْثَمِ بْنُ التَّيْهَانِ شَاةً وَأَطْعَمَهُمْ خُبْزاً وَرُطَباً، وَٱسْتَعْذَبَ لَهُمْ مَاءً، وَعَنْ أبي هريرةَ في حديثِهِ في مسيرِ النبيِّ ﷺ وأبي بكرٍ وعمرَ إِلَىٰ بَيْتِ أبي الهَيْثَمِ، وأَكْلِهِمُ الرُّطَبَ وَاللَّحْمَ وَشُرْبِهِمُ المَاءَ، وقوله ﷺ هٰذَا هُوَ النَّعِيمُ الَّذِي تُسْأَلُونَ عَنْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وإِنَّ ذَلِكَ كَبُرَ عَلَىٰ أصحابِهِ، وإِنَّ رسولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «إِذا أَصَبْتُمْ مِثْلَ هٰذَا وَضَرَبْتُمْ بِأَيْدِيكُمْ، فَقُولُوا: بِٱسْمِ اللَّهِ، وَعَلَىٰ بَرَكَةِ اللَّهِ، وَإِذَا شَبِعْتُمْ، فَقُولُوا: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَشْبَعَنَا وَأَرْوَانَا، وَأَنْعَمَ عَلَيْنَا وَأَفْضَلَ، فَإِنَّ هٰذَا كَفَافٌ [بِذَاكَ]» هذا مختصرٌ[٢] رواه الحاكم في المستدركِ، انتهى من «**سلاح المؤمن**» قال الداوديُّ: وعن الحسنِ وقَتَادَة: ثَلاَثٌ لا يَسْأَلُ اللَّهُ عنهنّ ابنَ آدمَ ومَا عَدَاهُنَّ فيه الحسابُ والسؤال؛ إلا مَا شَاءَ اللَّهُ: كسوةٌ يوارِي بها سوءَتَه، وكِسْرَةٌ يَشُدُّ بِهَا صلبَه، وبيتٌ يُكِنُّه مِنَ الحرّ والبردِ، انتهى.

---

(١) أخرجه مسلم (٣/١٦٠٩ ـ ١٦١٠)، كتاب «الأشربة» باب: جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك، فيتحققه تحققاً تاماً، واستحباب الاجتماع على الطعام (١٤٠، ١٤٠/٢٠٣٨).

(٢) أخرجه الحاكم في «**المستدرك**» (٤/١٠٧) مختصراً. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. قال الذهبي: صحيح.

تَفْسِيرُ سُورَةِ «الْعَصْرِ»

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾

قال ابن عباس: ﴿العَصْر﴾ الدهرُ[1]، وقال مقاتل: العَصْرُ هي صلاةُ العَصْرِ، وهي الوُسْطَى، أقْسَم اللَّهُ بها[2]، وقال أُبَيُّ بن كعب: سألتُ النبيَّ ﷺ عَن ﴿وَالْعَصْرِ﴾ فَقَالَ: «أقْسَمَ رَبُّكُمْ بآخِرِ النَّهَارِ»، و﴿الإنْسَان﴾ هنا اسْمُ جنسٍ والخُسْرُ: النُّقْصَانُ وَسُوءُ الحالِ، وَمَنْ كَانَ مِنَ المؤمنينَ في مُدَّةِ عمره في التَّواصِي بالحقّ، والصَّبْرِ، والعَمَلِ؛ بِحَسَبِ الوَصَاةِ فَلاَ خُسْرَ مَعَه وَقَدْ جَمَعَ الخيرَ كلَّه.

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٦٨٥)، (٣٧٩٠٨) عن ابن عباس، وذكره البغوي (٤/ ٥٢٢)، وابن عطية (٥/ ٥٢٠).

(٢) ذكره البغوي (٤/ ٥٢٢)، وابن عطية (٥/ ٥٢٠).

[تَفْسِيرُ] سُورَةِ «الهُمَزَةِ»

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾ كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾﴾

تقدم تفسير: ﴿ويل﴾ والـ﴿هُمَزَةٌ﴾: الذي يَهْمِزُ الناسَ بلسانِهِ، أي: يَعيبُهم ويَغْتَابُهم، والـ﴿لُمَزَةٌ﴾: قريبٌ في المعنَى مِنْ هَذَا، وَقَدْ تَقَدم بيانُه في قوله تعالى: ﴿ولاَ تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: ١١]، وفي قوله: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ المُطَّوِّعِينَ﴾ [التوبة: ٧٩] وغيرِهِ، قيل: نَزَلَتْ هذه الآيةُ في الأَخْنَسِ بن شُرَيْق، وقِيلَ في جميل بن عامر، ثم هِي تتناولُ كلَّ منِ اتَّصَفَ بهذه الصفاتِ.

﴿وَعَدَّدَهُ﴾ معناه: أحْصَاهُ وحافظَ على عَدَدِهِ أنْ لاَ يَنْتَقِصَ، وقَال الداوودي: ﴿وعَدَّدَه﴾: أي: اسْتَعَدَّه، انتهى، ﴿لَيُنْبَذَنَّ﴾: لَيُطْرَحَنَّ * ص *: ﴿نَارُ اللَّهِ﴾: خَبَرُ مبتدإٍ مَحْذُوفٍ، أي: هي نارُ اللَّهِ، انتهى.

و﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ﴾: أي: الَّتِي يَبْلُغَ إحْرَاقَها وألمهَا القلوبُ.

و«موصدة»: أي مُطْبَقَة مُغْلَقَة.

﴿في عمد﴾ جَمْعِ عَمُودٍ، وقرأ ابن مسعود[1]: «مُؤْصَدَةٌ بِعَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ» وقال ابن زيد: المعنى: في عَمَد حديدٍ مَغْلُولينَ بها، والكلُّ من نار[2]، عافانا اللَّه من ذلك.

---

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٥٢٢).

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٦٩٠)، (٣٧٩٤٧)، وذكره ابن عطية (٥/ ٥٢٢).

تَفسِيرُ سُورَةِ «الفِيلِ»

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ بِإجْمَاعٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾

هذه السورةُ تنبيهٌ على العِبرَةِ في أخذِ اللَّهِ تعالى لأَبْرَهَةَ أميرِ الحَبَشَةِ، حينَ قَصَدَ الكعبةَ ليهدمَها، وكانَ صاحبَ فيلٍ يَرْكَبُه، وقصتُه شهيرةٌ في السِّيرَ فِيها تطويلٌ، ، واختصارها أن أبرهَة بَنَى في اليمنِ بَيْتاً وأرادَ أن يَرِدَ إليه حجُّ العَرَبِ، فذهبَ أعرابي وأحْدَثَ في ذلك البيتِ، فَغَضِبَ أَبْرَهَةُ واحْتَفَلَ في جُمُوعِه، ورَكِبَ الفيلَ وقَصَدَ مكةَ، فَلَمَّا قَرُبَ منها، فَرَّتْ قريشٌ إلى الجبالِ والشِّعَابِ من مَعَرَّةِ/ الجيْشِ، ثم تَهَيَّأ أبرهةُ لدخولِ مكةَ ٢٣٩ ب
وَهَيَّأَ الفيلَ، فأخَذَ نُفَيْلُ بنُ حَبِيبٍ بِأُذُنِ الفيلِ وكان اسمه محموداً، فقال له: ابْرُكْ، محمودُ؛ فَإِنَّكَ في حَرَمِ اللَّه، وارْجِعْ مِنْ حَيْثُ جئتَ رَاشِداً، فَبَرَكَ الفِيلُ بِذِي الغَمِيسِ، فَبَعَثُوهُ فَأَبَى فَضَرَبُوا رأسه بالمِعْوَلِ، ورَامَوْهُ بِمَحَاجِنِهِمْ فَأَبَى، فَوَجَّهُوه رَاجِعاً إلى اليمنِ، فَقَام يُهَرْوِلُ، فبعثَ اللَّه عليهم طَيْراً جماعاتٍ جماعاتٍ سُوداً مِنَ البَحْرِ، عِنْدَ كُلِّ طَائِرٍ ثَلاثَةُ أَحْجَارٍ؛ في منقارِه، ورِجْلَيْهِ، كلُّ حَجَرٍ فَوْقَ العَدَسَةِ ودون الْحمّصَةِ، ترميهم بهَا، فَمَاتوا في طريقِهم متفرقينَ وتَقَطَّع أبْرَهَةُ أُنْمُلَةً أُنْمُلَةً حتى مات، وحَمَى اللَّهُ بيتَه، والأبابيلُ: الجماعاتُ تَجِيءُ شيئاً بَعْدَ شيءٍ، قال أبو عبيدةَ: لاَ وَاحِدَ لَهُ مِنْ لفظِهِ[1]، قال الفخر[2]: و﴿في تَضْلِيلٍ﴾ مَعْنَاهُ: في تَضْيِيعٍ وإبْطَالٍ، يقال: ضَلَّلَ كيدَه، إذا جعَلَه ضَالاً ضَائِعاً، ونظيرُه قوله تعالى: ﴿وما كَيْدُ الكَافِرِينَ [إلاَّ في ضَلاَلٍ﴾] [غافر: ٢٥] انتهى، والعَصْفُ: وَرَقُ الحِنْطَةِ وتِبْنُه، والمعنى صَارُوا طَحِيناً ذَاهِباً كَوَرَقِ حِنْطَةٍ أَكَلَتْهُ الدَّوابُّ، ورَاثَتْهُ، فَجَمَعَ

---

(١) ذكره الطبري (١٢/ ٦٩٠)، والبغوي (٤/ ٥٢٨)، وابن عطية (٥/ ٥٢٣).
(٢) ينظر: «مفاتيح الغيب» (٣٢/ ٩٤).

لَهُمْ المهَانَةَ والخِسَّةَ والتَّلَفَ، قال الفخر: وقيل المعنى: كَعَصْفٍ صَالحٍ لِلأَكْلِ، والمعنى جَعَلَهُمْ كَتِبْنٍ تأكُلُه الدَّوَابُّ؛ وهو قولُ عكرمةَ والضحاك، انتهى[1]، ومن كتابِ «**وسائل الحاجات وآداب المناجات**» للإمام أبي حامد الغزالي ـ رحمه اللَّه تعالى ـ قَال: وَقَدْ بَلَغَنَا عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ الصالحينَ وأربابِ القلُوب أنه من قَرأَ في رَكْعَتي الفَجْر؛ في الأُولَى الفاتحةَ و«أَلَمْ نَشْرَحْ»، وفي الثانيةِ الفاتحةَ و«أَلَمْ تَرَ كَيْفَ» قَصُرَتْ يَدُ كُلِّ عَدُوٍّ عنه، ولم يُجْعَلْ لهم إليه سبيلٌ، قال الإمام أبو حامد: وهذا صحيح/ لاَ شَكَّ فِيه، انتهى. ١٢٤٠أ

(١) أخرجه الطبري (٦/٦٩٨)، (٣٧٩٩٥) عن الضحاك، وذكره البغوي (٤/٥٢٩)، وابن عطية (٥/ ٥٢٤)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/٦٧٦)، وعزاه لعبد بن حميد عن عكرمة.

تَفسِيرُ سُورَةِ «قُرَيش»

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤﴾

قريشٌ، ولدُ النَّضرِ بن كنانةَ، والتَّقرُّشُ: التَّكسُّبُ، والمعنى أن اللَّهَ تَعالى جَعَلَ قريشاً يألَفُونَ رِحْلَتَيْنِ في العامِ، واحدةً في الشتاءِ وأُخْرَى في الصيفِ، قال ابن عباس: كانوا يَرْحلُونَ في الصيفِ إلى الطائفِ؛ حيثُ الماءُ والظلُّ ويرحلونَ في الشّتاءِ إلَى مكةَ[1]، قال الخليل: معنى الآيةِ؛ لأنْ فَعَلَ اللَّهُ بقريشٍ هَذا ومكنَهم من إلْفِهِم هذه النعمةَ فَلْيَعْبُدُوا ربَّ هَذَا البيتِ.

وقولُهُ تعالى: ﴿مِنْ جُوعٍ﴾ معناه أنَّ أهْلَ مكةَ قَاطِنُون بوادٍ غَيْرِ ذي زرعٍ عُرْضَةٍ للجوعِ والجَدْبِ؛ لولا فضلُ اللَّه عليهم.

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٧٠٣)، (٣٨٠١٤)، وذكره البغوي (٤/ ٥٣٠)، وابن عطية (٥/ ٥٢٥)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٧٨)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس.

[تَفْسِيرُ] سُورَةِ «الماعون»

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾

قوله سبحانه: ﴿أرأيت الذي يكذب بالدين﴾ الآيةَ، توقيفٌ وتنبيهٌ لِتَتَذكَّرَ نَفْسُ السامعِ كلَّ من تعرفُه بهذه الصفةِ، والدينُ: الجزاءُ.

ودعُّ اليتيم: دَفْعُه بعُنْفٍ؛ إمَّا عن إطعامِهِ والإحْسَانِ إليه، وإما عن حقّه ومالِه، وهو أشد، ويُرْوَى أَنَّ هذهِ الآيةَ نزلتْ في بعضِ المُضْطَرِبِينَ في الإسلام بمكةَ، لم يُحَقِّقُوا فيه، وفُتِنُوا فَافْتَتَنُوا، وربَّمَا كَانَ يصلي بعضُهم أحياناً مع المسلمينَ مدافعَةً وحَيْرَةً، فقال تعالى فيهم: ﴿فَوَيْلٌ للمصلينَ﴾ الآية، ونقل الثعلبي عن ابن عباس وغيره؛ أنَّ الآيةَ نزلتْ في العاصِ بن وائلٍ، انتهى[1]، وقال السهيليّ: قال أهل التفسير: نَزَلَ أولُ السورةِ بمكةَ في أبي جهلٍ، وهو الذي يكذِّبُ/ بالدينِ، ونزل آخرُها بالمدينةِ في عبد اللَّه بن أُبَيِّ ابن سلولٍ وأصحابه، وهم الذين يُرَاؤُونَ ويَمْنَعُونَ الماعون، انتهى، قال سعد بن أبي وقاص: سألتُ النبيَّ ﷺ عن ﴿الذينَ هُمْ عَنْ صَلاَتِهِم سَاهُونَ﴾، فَقَالَ: «هُمُ الَّذِينَ يُؤَخِّرُونَهَا عَنْ وَقْتِهَا»[2]، يريدُ ـ واللَّه أعلم ـ تَأْخِيرَ تَرْكٍ وإهْمَالٍ، وإِلَىٰ هذَا نَحَا مجاهدٌ[3]، وقَالَ

٢٤٠ ب

(١) ذكره البغوي (٤/ ٥٣١).

(٢) أخرجه البيهقي (٢/ ٢١٤)، كتاب «الصلاة» باب: الترغيب في حفظ وقت الصلاة والتشديد على من أضاعه.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٣٣): رواه أبو يعلى وإسناده حسن.

قال ابن أبي حاتم في «علل الحديث» (١/ ١٧٨)، فسمعت أبا زرعة يقول: هذا خطأ والصحيح موقوف.

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٧٠٧)، (٣٨٠٤٨)، وذكره ابن عطية (٥/ ٥٢٧).

عطاء بن يَسَارٍ: الحمدُ للَّهِ الَّذِي قَال: ﴿عَنْ صَلاَتِهِم﴾ وَلَمْ يَقُلْ: في صَلاَتِهِمْ[١].

وقوله تعالى: ﴿الذينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ بيانُ أنَّ صلاةَ هؤلاءِ لَيْسَتْ للَّهِ تعالى بإيمانٍ، وإنَّمَا هي رياءٌ للبشر، فلاَ قَبُولَ لها.

وقوله تعالى: ﴿وَيَمْنَعُونَ المَاعُونَ﴾ وصفٌ لهم بِقِلَّةِ النفع لعبادِ اللَّهِ، وتلكَ شَرُّ خِصْلَةٍ، وقال عليٌّ وابن عمر: ﴿الماعونَ﴾: الزكاة[٢]، وقَالَ ابنُ مسعودٍ وابن عباس وجماعة: هُو مَا يَتَعَاطَاهُ النَّاسُ كَالفَأْسِ، والدَّلْوِ، والآنِيَةِ، والمقَصِّ؛ ونحوه[٣]، وسُئِلَ النبي ﷺ: مَا الشَّيْءُ الَّذِي لاَ يَحِلُّ مَنْعُهُ فَقَالَ: المَاءُ وَالنَّارُ، والمِلْحُ، ورَوَتْهُ عَائِشَةُ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ، وفي بَعْضِ الطُّرُقِ زيادَة الإبْرَةِ، والخَمِيرِ، قال البخاريُّ: المَاعُونُ: المعروفُ كلُّه، وقال بعضُ العربِ: الماعونُ: الماءُ، وقال عكرمةُ: أعلاه الزكاةُ المفروضةُ، وأدناه عَارِيَّة المَتَاعِ، انتهى[٤].

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٧٠٨)، (٣٨٠٥٦)، وذكره ابن عطية (٥/ ٥٢٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٨٣)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥٥٥).

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٧١٠) عن علي برقم: (٣٨٠٧٢)، وعن ابن عمر برقم: (٣٨٠٧٣)، وذكره البغوي (٤/ ٥٣٢)، وابن عطية (٥/ ٥٢٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٨٥)، وعزاه للفريابي، وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم، والبيهقي في «سننه».

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٧١٠)، (٣٨٠٧٧)، عن ابن مسعود، وعن ابن عباس برقم: (٣٨١١٥)، وذكره البغوي (٤/ ٥٣٢)، وابن عطية(٥/ ٥٢٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٨٤)، وعزاه للطبراني عن ابن مسعود.

(٤) ذكره البغوي (٤/ ٥٣٢)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥٥٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٨٥)، وعزاه لابن أبي حاتم عن عكرمة.

تَفْسِيرُ سُورَةِ «الكَوْثَر»

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾

قال جماعة من الصحابة والتابعين: ﴿الكوثر﴾ نَهْرٌ في الجنةِ حافَّتَاه قِبَابٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ مجوَّفٍ، وطينُه مِسْكٌ وحَصْبَاؤه يَاقُوتٌ، ونحوُ هذا مِنْ صفاتِه، وإنِ اختلفتْ أَلْفَاظُ رُوَاتِه، وقال ابن عباس: الكَوثَرُ: الخَيْرُ الكَثِيرُ/ قال ابن جُبَيْرٍ: النَّهْرُ الذي في الجنةِ هُو من الخيرِ الذي أَعْطَاه اللَّهُ إياه[1] * ت *: وخَرَّجَ مسلمٌ عَنْ أنسٍ قَال: «بينَما رسولُ اللَّه ﷺ ذَاتَ يوم بَيْنَ أَظْهُرِنَا؛ إِذْ أَغْفَىٰ إِغْفَاءَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّماً، فَقَالَ: نَزَلَتْ عَلَيَّ آنِفاً سُورَةٌ، فَقَرَأَ: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ﴾ إِلَىٰ آخِرِهَا، ثُمَّ قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا الكَوْثَرُ؟ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُو حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ القِيَامَةِ» الحديثُ، انتهى، وخَرَّج ابنُ ماجه من حديثِ ثَوْبَانَ عن النبي ﷺ قال: «أَوَّلَ مَنْ يَرِدُ عَلى الحَوْضِ فُقَرَاءُ المُهَاجِرِينَ الدُّنْسُ ثِياباً الشُّعْثُ رُؤوساً، الَّذِينَ لاَ يَنْكِحُونَ المُتَنَعِّمَاتِ، وَلاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوابُ السُّدَدِ»[2]، قال الراوي: فبكَىٰ عمرُ بن عبدِ العزيزِ حتَّىٰ أَخْضَلَّ لِحْيَتُهُ، حِينَ بلغهُ الحديثُ، وقال: لاَ جَرَمَ، إِنِّي لاَ أَغْسِلُ ثَوْبِي الَّذِي يَلِي جَسَدِي حَتَّىٰ يَتَّسِخَ، وَلاَ أَدْهِنُ رَأْسِي حَتَّىٰ يَشْعَثَ، وخَرَّجَه أبو عيسى الترمذيُّ عن ثَوْبَانَ عنِ النَّبيِّ ﷺ بمعناه[3]، ونَقَلَ صاحبُ «التذكرة»[4] عن أنس بن مالك قال: أَوَّلُ مَنْ يَرِدُ الحَوْضَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ

١٢٤١

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٧١٧)، (٣٨١٤٩)، وذكره البغوي (٤/ ٥٣٣)، وابن عطية (٥/ ٥٢٩)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥٥٧).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٤٣٨ ـ ١٤٣٩)، كتاب «الزهد» باب: ذكر الحوض (٤٣٠٣)، وأحمد (٥/ ٢٧٥).

(٣) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٢٩)، كتاب «صفة القيامة» باب: (١٥) (٢٤٤٤).
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) ينظر: «التذكرة» (١/ ٤١٠).

الذَّابِلُونَ النَّاحِلُونَ السَّائِحُونَ الَّذِينَ إِذَا أَجَنَّهُمُ اللَّيْلُ ٱسْتَقْبَلُوهُ بِالحُزْنِ، انتهى من «**التذكرة**»، ورَوَى أبو داودَ في «سننِه» عن أبي حمزةَ عن زيد بن أرقم قال: كنا مع رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَنَزَلْنَا مَنْزِلاً، فَقَالَ: «مَا أَنْتُمْ جُزْءٌ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ جُزْءٍ مِمَّنْ يرِدُ عَلَى الحَوْضِ، قَال: قُلْتُ: كَمْ كُنْتُمْ يَومَئِذٍ؟ قَالَ: سَبْعُمِائَةٍ، أَوْ ثَمَانِمِائَةٍ، انتهى[1].

وقوله تعالى: ﴿فصل لربك وانحر﴾ أمْرٌ بالصلاةِ على العمومِ، والنَّحْرُ/ نَحْرُ الهَدْيِ، ٢٤١ ب والنُّسُكِ، والضَّحَايَا عَلى قول الجمهور.

وقوله تعالى: ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾ ردٌّ على مقالةِ بَعْضِ سفهاءِ قريشٍ كأبي جهل وغيرِه، قال عكرمةُ وغيرُه: مَاتَ وَلَدٌ للنبيِّ ﷺ، فقال أَبُو جَهْلٍ: بُتِرَ مُحَمَّدٌ، فنزلت السُّورةُ، وقال تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبتر﴾ أي: المَقْطُوعُ المَبْتُورُ مِنْ رَحْمَةِ[2] اللَّهِ، والشَّانىءُ المُبْغِضُ، قال الداوودىُّ: كل شَانِىء لرسولِ اللَّهِ ﷺ فهو أبْتَرُ، لَيْسَ له يَوْمَ القيامة شَفِيعٌ ولا حَمِيمٌ يطاعُ، انتهى.

---

(١) أخرجه أبو داود (٢/ ٦٥٠)، كتاب «السنة» باب: في الحوض (٤٧٤٦)، أخرجه أحمد (٤/ ٣٦٧، ٣٦٩، ٣٧١، ٣٧٢) عن زيد بن أرقم.

(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٥٣٠)، وابن كثير في «**تفسيره**» (٤/ ٥٥٩)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ٦٩١)، وعزاه لابن أبي حاتم عن عطاء بنحوه.

تَفْسِيرُ سُورَةِ «الكَافِرُونَ»

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ إِجْمَاعاً

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾

رُوِيَ في سَبَبِ نزولِ هذه السورةِ؛ عن ابن عباس وغيره[1] أن جماعةً من صناديدِ قريشٍ قالوا للنبي ﷺ: دَعْ مَا أَنْتَ فيه ونَحْنُ نُمَوِّلُكَ، ونُمَلِّكُكَ عَلَيْنَا، وإن لم تفعلْ هذا فلتعبدْ آلهتَنا، ونَعْبُدُ إِلٰهَكَ، حتى نشتركَ؛ فَحَيْثُ كَانَ الخيرُ نِلْنَاه جميعاً، وَرُوِيَ: أَنَّ هذه الجماعةَ المذكورة هم: الوليد بن المغيرة، والعاصي بن وائل، وأمية بن خلف، وأُبيُّ بن خلف، وأبو جهل، وأبناءُ الحجاج، ونظراؤهم ممن لم يُكْتَبْ له الإسلام، وحُتِّمَ بشقاوَتِه، فأخبرَهم ﷺ عن أمْرِ اللَّه ـ عز وجل ـ أنه لا يعبدُ ما يعبدونَ وأنهم غيرُ عابدِي ما يَعْبُدُ، ولما كان قوله: ﴿لاَ أَعْبُدُ﴾ محتملاً أَن يُرَادَ بِهِ الآنَ وَيَبْقَى المستأنَفُ منتظَراً، ما يكونُ فيه من عبادتِهِ، جاء البيانُ بقوله: ﴿ولا أنا عابد ما عبدتم﴾ أي: أبداً، ثمَّ جاء قوله: ﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ الثاني حَتْماً/ عليهمْ أنَّهم لاَ يؤمِنُونَ به أبداً، كالَّذِي كَشَفَ الغيبَ، ثم زَادَ الأمْرَ بياناً وتَبَرِّياً منهم قولهُ: ﴿لكم دينكم ولي دين﴾ وقَالَ بعضُ العلماءِ: في هذِه الألْفَاظِ مُهَادَنَةٌ ما؛ وهِيَ مَنْسُوخَةٌ. ٢٤٢أ

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٦٢٧)، (٣٨٢٢٥)، وذكره ابن عطية (٥/ ٥٣١)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٩٢)، وعزاه لابن جرير، وابن أبي حاتم، والطبراني عن ابن عباس.

[تَفسِيرُ] سُورَةِ «النَّصرِ»

وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ بِإجْمَاعٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾

رَوَتْ عائشةُ أنّ النبي ﷺ لَمَّا فَتَحَ مَكةَ وأسْلَمَتِ العَرَبُ، جَعَلَ يُكْثِرُ أنْ يقولَ: «سبحانَك اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ اسْتَغْفِرُكَ وأَتُوبُ إِلَيْكَ» يَتَأَوَّلُ القرآن في هذه السورةِ، وقال لها مرة: ما أراه إلا حضور أجَلي، وتَأَوَّلَه عمرُ والعباسُ بِحَضْرَةِ النبي ﷺ فصدَّقَهُما، ونَزَع هذا المنزَعَ ابنُ عباسٍ وغيره، ﴿والفَتْح﴾ هُو فتحُ مكةَ؛ كَذَا فسَّره ﷺ في «**صحيح مسلم**»، والأفْواجُ: الجَماعَةُ إثْرَ الجماعةِ، * ص *: ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي مُتَلَبِّساً، فالباءُ للحالِ، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿إنه كان تواباً﴾ بِعَقِبِ ﴿واسْتَغْفِرْه﴾ تَرْجِيَةٌ عَظِيمَةٌ للمُسْتَغْفِرِينَ، قال ابن عمر: نَزَلَتْ هذهِ السورةُ عَلَى النبي ﷺ بِمِنى في أوْسَطِ أيام التَّشْرِيق في حِجَّة الوَدَاعِ وعَاشَ بَعْدَها ثَمَانِينَ يَوْماً، أو نحوَها[1].

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٥٣٢)، وابن كثير في «**تفسيره**» (٤/ ٥٦١)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ٦٩٦)، وعزاه لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، والبزار، وأبي يعلى، وابن مردويه، والبيهقي في «**الدلائل**» عن ابن عمر بنحوه.

[تَفْسِيرُ] سُورَةِ «المسد»

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ بِإِجْمَاعٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾

في «**صحيح البخاري**» وغيره عن ابن عباس: «لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] ورهطك منهم المخلصين خَرَجَ رسولُ اللَّه ﷺ حَتَّى صَعِدَ الصَّفَا فَهَتَفَ: يَا صَبَاحَاهُ، فَقَالُوا: مَنْ هَذَا؟ فَاجْتَمَعُوا/ إِلَيْهِ، فَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلاً تَخْرُجُ مِنْ سَفْحِ هٰذَا الجَبَلِ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؛ قَالُوا: نَعَمْ؛ مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِباً، قَالَ: فإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبّاً لَكَ، مَا جَمَعْتَنَا إِلاَّ لِهَذَا، ثُمَّ قَامَ فَنَزَلَتْ: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ إِلَىٰ آخرها»[1]، و﴿تَبَّتْ﴾ معناه: خَسِرَتْ والتَّبابُ الخُسْرَانُ، والدَّمَارُ، وأَسْنَدَ ذلك إلى اليدينِ من حيثُ إنَّ اليَدَ مَوضِعُ الكَسْبِ والرِّبْحِ، وضَمَّ مَا يُمْلَكُ، ثم أَوْجَبَ عليه أنه قَدْ تَبَّ، أي: حُتِّمَ ذَلِكَ عَلَيْه، وفي **قراءة** ابن مسعود[2]: «وقَدْ تَبَّ»، وأبو لَهَبٍ هو عَبْدُ العُزَّى بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وهو عمُّ النبيِّ ﷺ ولكن سَبَقَتْ له الشقاوةُ، قال السهيليّ: كَنَّاهُ اللَّه بأبي لهبٍ لَما خَلَقَهُ سبحانَه لِلَّهَبِ وإليه مصيرُه ألا تَرَاهُ تعالى قال: ﴿سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ﴾ فَكَانَتْ كُنْيَتُه بأبي لَهَبٍ تَقَدَّمَتْ لِمَا يصيرُ إليه من اللهبِ، انتهى.

٢٤٢ ب

وقوله سبحانه: ﴿ما أغنى عنه ماله﴾ يحتملُ أن تَكُونَ «ما» نافيةً عَلَى معنى الخبرِ، ويحتملُ أنْ تكون «ما» استفهاميةً عَلَى وَجْهِ التقريرِ أي: أينَ الغَنَاءُ الذي لِمَالِه وَكَسْبِهِ، ﴿وَمَا

---

(١) أخرجه البخاري (٨/ ٦٠٩)، كتاب «التفسير» باب: سورة: تبت حديث (٤٩٧١).

(٢) ينظر: «**الكشاف**» (٤/ ٨١٤)، و«**المحرر الوجيز**» (٥/ ٥٣٤)، و«**البحر المحيط**» (٨/ ٥٢٦)، و«**الدر المصون**» (٦/ ٥٨٥).

كَسَب﴾ يُرَادُ به عَرَضُ الدنيا، من عَقَارٍ، ونحوه، وقيل: كَسْبُه بَنُوه.

وقوله سبحانه: ﴿سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ﴾ حَتْمٌ عَلَيْهِ بِالنارِ وإعْلاَمٌ بأنه يُتَوَفَّى على كفرِه، نعوذُ باللَّهِ من سوءِ القَضَاءِ ودَرْكِ الشقاءِ.

وقوله تعالى: ﴿وامرأته حمالة الحطب﴾ هي أمُّ جميلٍ أُخْتُ أبي سفيانَ بن حرب، وكانت مؤذِيةً/ للنبي ﷺ وللمؤمنينَ بلسانِها وغايةِ قُدْرَتِها، وكانَتْ تَطْرَحُ الشَّوْكَ في طريق النبي ﷺ وطريق أصحابه لِيَعْقِرَهم؛ فلذلكَ سُمِّيتْ حَمَّالَةَ الحَطَبِ؛ قاله ابن عباس[1]، وقيل هو استعارةٌ لذنوبِها، قال عياض: وذكر عَبْدُ بن حُمَيْدٍ قال: كَانَتْ حمالَة الحطبِ تَضَعُ العِضَاهَ، وَهِي جَمْرٌ عَلَىٰ طَرِيقِ النبيِّ ﷺ فكأنَّما يَطَؤُهَا كَثِيباً أَهْيَلَ، انتهى، * ص *: وقُرِىءَ شاذًّا: «وَمُرَيْتَتُهُ» بالتصغيرِ[2]، والجيدُ هُو العُنُقُ، انتهى. ١٢٤٣أ

وقوله تعالى: ﴿في جيدها حبل من مسد﴾ قال ابنُ عباس وجماعة: الإشَارَةُ إلى الحبلِ حَقِيقَةٌ، الذي رَبَطَتْ به الشوكَ[3]، والمَسَدُ: الليفُ، وقِيلَ ليفُ المُقْلِ، وفي «صحيحِ البخاري»: يُقَالُ مِنْ مسد لِيف المُقْلِ وهي السلسلةُ الَّتِي في النارِ، انتهى، ورُوِي في الحديثِ أنَّ هذهِ السورةَ لما نزلتْ وقُرِئَتْ؛ بَلَغَتْ أُمَّ جميلٍ فَجَاءَتْ أَبَا بَكْرٍ وَهُوَ جَالسٌ معَ النبي ﷺ في المسجدِ وَبِيَدِهَا فِهْرُ حَجَرٍ، فأخَذَ اللَّهُ بِبَصَرِهَا وقَالَتْ: يا أبا بكرٍ؛ بَلَغَنِي أنَّ صَاحِبَكَ هَجَانِي، وَلَوْ وَجَدْتُه لَضَرَبْتُه بِهَذَا الفِهْرِ، وإنِّي لَشَاعِرَة وَقَد قلت فيه: [منهوك الرجز]

مُذَمَّماً قَلَيْنَا وَدِينَهُ أَبَيْنَا[4]

فَسَكَتَ أبو بكرٍ، ومضتْ هي، فقالَ النبي ﷺ: لَقَدْ حَجَبَتْنِي عَنْهَا مَلاَئِكَةٌ فَمَا رَأَتْنِي وَكَفَانِيَ اللَّهُ شَرَّهَا.

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٧٣٥)، (٣٨٢٦٩)، وذكره البغوي (٤/ ٥٤٣)، وابن عطية (٥/ ٥٣٥)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥٦٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٧٠٣)، وعزاه لابن جرير، والبيهقي في «الدلائل»، وابن عساكر عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما.

(٢) قرأ بها ابن مسعود، كما في «الشواذ» ص: (١٨٢)، و«المحتسب» (٢/ ٣٧٥)، وينظر: «الكشاف» (٤/ ٨١٥)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٥٣٥)، و«البحر المحيط» (٨/ ٥٢٧)، و«الدر المصون» (٦/ ٥٨٦).

(٣) ذكره البغوي (٤/ ٥٤٤)، وابن عطية (٥/ ٥٣٥).

(٤) تقدم وينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٥٣٥)، و«البحر المحيط» (٨/ ٥٢٨).

[تَفْسِيرُ] سُورَةِ «الإِخْلاَص»

قِيلَ: مَكِّيَّةٌ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَدَنِيَّةٌ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾

رُوِيَ أنَّ اليهودَ دَخَلُوا عَلى النبي ﷺ فقالوا له: يا مُحَمَّدُ؛ صِفْ لَنَا رَبَّك وانْسِبْه، فإنَّه وَصَفَ/ نَفْسَه في التوراةِ وَنَسَبها، فارْتَعَدَ النبيُّ ﷺ مِنْ قولِهِم حَتَّى خَرَّ مغشياً عليه، ونَزَلَ جبريلُ بهذهِ السورةِ. ٢٤٣ ب

و﴿أَحَدٌ﴾ مَعناه: وَاحدٌ فَرْدٌ مِنْ جميعِ جِهَاتِ الوَحْدَانِيَّة، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شيءٌ و﴿هو﴾ ابتداءٌ، و﴿اللَّهُ﴾ ابتداءٌ ثانٍ، و﴿أَحَدٌ﴾ خَبَرُه والجملةُ خَبَرُ الأوَّلِ، وقيلَ هو ابتداءُ و﴿اللَّهُ﴾ خبرُه و﴿أَحَدٌ﴾ بَدَلٌ منه، وَقَرَأَ عمر بن الخطابِ وغَيْرُهُ: «قُلْ هُوَ اللَّهُ الواحِدُ الصَّمَدُ» و﴿الصَّمَدُ﴾ في كلامِ العربِ السيدُ الذي يُصْمَدُ إليه في الأُمُورِ وَيَسْتَقِلُّ بها وأنْشَدُوا: [الطويل]

لَقَدْ بَكَّرَ النَّاعِي بِخَيْرِ بَنِي أَسَدِ ... بِعَمْرِو بْنِ مَسْعُودٍ وَبِالسَّيِّدِ الصَّمَدْ

وبهذا تَتَفَسَّرُ هذه الآيةُ لِأَنَّ اللَّهَ تعالى ـ جلت قدرته ـ هُوَ مُوجِدُ المَوْجُودَاتِ وإليهِ تَصْمُدُ وبه قِوَامُها ـ سبحانه وتعالى ـ.

وقوله تعالى: ﴿لم يلد ولم يولد﴾ رَدٌّ عَلى إشارَةِ الكفارِ في النَّسَبِ الذي سألُوه، وقال ابن عباس: تَفَكَّروا في كلِّ شَيْءٍ ولا تتفكروا في ذاتِ اللَّه[1]، قال * ع[2] *: لِأَنَّ الأفْهَامَ تَقِفُ دونَ ذلكَ حَسِيرَةً.

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٥٣٧).

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٥٣٧).

وقوله سبحانه: ﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾ معناه ليسَ له ضِدٌّ، وَلاَ نِدٌّ ولا شبيهٌ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، والكُفُؤُ النَّظِيرُ و«كفؤًا» خبر كان وَاسْمُهَا ﴿أحد﴾. قال * ص *: وحَسُنَ تأخيرُ اسمها لِوُقُوعِه فاصلةً، وله مُتَعَلِّقٌ بـ ﴿كفؤًا﴾ أي: لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ كُفُؤاً لَهُ، وقُدِّمَ اهتماماً بِه لاِشْتِمالِهِ على ضميرِ البَارِي سبحَانه، انتهى، وفي الحديثِ الصحيحِ عنه ﷺ إنَّ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تَعْدِلُ ثُلُثَ القرآن[1]، قال * ع *: لِمَا فِيهَا مِنَ التوحيدِ، ورَوَى أبو محمدٍ الدارميّ في «مسندِهِ» قال: حدثنا عبد اللَّه بن مزيد حدثنا حيوة/ قال: أخبرنا أبو عقيل، أنه سمع سعيد بن المسيب ٢٤٤أ
يقول: إن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَرَأَ: ﴿قل هو اللَّه أَحَد﴾ إحْدَى عَشَرَةَ مَرَّةً بُنِيَ لهُ قصرٌ في الجنةِ، ومَنْ قَرَأَها عِشْرينَ مرةً، بُنِيَ له قَصْرَانِ في الجنةِ، ومَنْ قرأَها ثَلاثِينَ مرةً؛ بُنِيَ له ثلاثةُ قصورٍ في الجنة. فقال عمر بن الخطاب: إذَنْ تَكْثُرُ قصورُنَا يا رسولَ اللَّهِ؛ فقَال رسول اللَّه ﷺ: اللَّهُ أَوْسَعُ من ذلك»[2] [أي: فَضْلُ اللَّهِ أَوْسَعُ مِنْ ذَلك][3]. قال الدارمي: أبو عقيل هو زهرة بن معبد، وزعموا أنه من الأبْدَالِ، انتهى من «التذكرة»[4].

---

(١) أخرجه مسلم (٣/ ٣٥٥) ـ النووي، كتاب «صلاة المسافرين» باب: فضل قراءة: ﴿قل هو اللَّه أحد﴾ (٢٦١ ـ ٢٦٢/ ٨١٢)، والترمذي (٥/ ١٦٨)، كتاب «فضائل القرآن» باب: ما جاء في سورة الإخلاص (٢٨٩٩)، وابن ماجه (٢/ ١٢٤٤)، كتاب «الأدب» باب: ثواب القرآن (٣٧٨٧) عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه.

وفي الباب من حديث عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنه، أخرجه أحمد (٢/ ١٧٣)، والطبراني (١٢/ ٤٠٥) (١٣٤٩٣).

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٢١): رواه الطبراني في «الكبير»، وأبو يعلى بنحوه، ورجال أبي يعلى ثقات. ا هـ مختصراً.

وفي الباب عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه: أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٢٤٤)، كتاب «الأدب» باب: ثواب القرآن (٣٧٨٨).

وفي الباب عن امرأة أبي أيوب: أخرجه النسائي (٢/ ١٧٢)، كتاب «الافتتاح» باب: في قراءة: ﴿قل هو اللَّه أحد﴾ (٩٩٦)، وأحمد (٥/ ٤١٨) عن أبي أيوب.

(٢) ذكره الهندي في «كنز العمال» (١/ ٥٨٥)، (٢٦٥٧)، وعزاه إلى أحمد عن معاذ بن أنس مختصراً.

(٣) سقط في: د.

(٤) ينظر: «التذكرة» (٢/ ٦٢٢).

تَفْسِيرُ سُورَةِ «الفلق»

قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: مَدَنِيَّةٌ، وَقَالَ قَتَادَةُ: مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾

قوله عز وجل: ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ الخِطَابُ للنبي ﷺ والمُرَادُ هُوَ وآحادُ أمتِهِ، قَالَ ابن عباس وغيره: الفَلَقُ الصُّبْحُ[1]، وقال ابن عباس أيضاً وجماعةٌ من الصحابة: الفلقُ جُبٌّ في جَهَنَّم[2]، ورَوَاه أبو هريرةَ عن النبي ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿من شر ما خلق﴾ يَعُمُّ كلَّ مَوْجُودٍ له شر، واخْتُلِفَ في: «الغاسِقِ» فَقَال ابن عباس وغيره: الغَاسِقُ الليلُ وَوَقَبَ: أَظْلَمَ، ودَخَل عَلى الناسِ[3]، وفي الحديثِ الصحيح عن عائشة أنَّ النبيَّ ﷺ أشَارَ إلى القَمَرِ وقال: يا عائشة؛ تَعَوَّذِي باللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا الغَاسِقِ إذَا وَقَبَ، قال السهيلي: وهذا أصحُّ ما قِيل لِهذَا الحديثِ الصحيح، انتهى، ولفظ صاحبِ «**سلاح المؤمنِ**»: عن عائشةَ ـ رضي اللَّه عنها ـ أَنَّ النبيَّ ﷺ نَظَرَ إلَى القَمَرِ، فَقَالَ: يا عائشةُ؛ اسْتَعِيذِي بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا فإنَّ هَذَا الغَاسِقُ إذَا وَقَبَ[4]، رَوَاه الترمذيُّ

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٧٤٧)، (٣٨٣٥١)، وذكره البغوي (٤/ ٥٤٧)، وابن عطية (٥/ ٥٣٨)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥٧٣)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٧١٧)، وعزاه لابن جرير عن ابن عباس.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٧٤٧)، (٣٨٣٤٥) عن السدي. وذكره ابن عطية (٥/ ٥٣٨).

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٧٤٨)، (٣٨٣٦٤)، وذكره البغوي (٤/ ٥٤٧)، وابن عطية (٥/ ٥٣٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٧١٨)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر عن ابن عباس.

(٤) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٥٢)، كتاب «تفسير القرآن» باب: ومن سورة المعوذتين (٣٣٦٦)، وأحمد (٦/ ٢٠٦، ٢١٥، ٢٣٧، ٢٥٢)، والحاكم (٢/ ٥٤١).
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، قال الذهبي: صحيح.

والنسائي، والحاكم في «المستدرك»، واللفظُ للترمذي، وقَالَ حسنٌ صحيحٌ، وقال / الحاكم: صحيحُ الإسنادِ، وَوَقَبَ القَمَر وُقُوباً: دَخَلَ في الظِّلِّ الذي يَكْسِفُه؛ قَالَه ابن ٢٤٤ ب
سِيدَة، انتهى من «السلاح».

و﴿النَّفَّاثاتِ في العقد﴾ السَّوَاحِر، ويقال: إن الإشَارَة أوَّلاً إلى بَنَاتِ لَبِيدِ بن الأَعْصَم اليهودي؛ كُنَّ سَاحِرَاتٍ، وهُنَّ اللواتي سَحَرْنَ مَعَ أبيهِنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ، والنَّفْثُ شِبْهُ النَّفخِ دُونَ تَفْلِ رِيقٍ، وهذا النَّفْثُ هُوَ عَلى عُقَدٍ تُعْقَدُ في خيوطٍ، ونحوِها؛ على اسْمِ المَسْحُورِ فيؤذى بذلك.

قال * ع *: وهَذَا الشَّأْنُ في زمانِنَا موجودٌ شائعٌ في صحراء المغرب، وحدَّثني ثقةٌ؛ أنه رأَىٰ عنْدَ بعضهم خيطاً أحْمَرَ قَدْ عُقِدَتْ فِيهِ عُقَدٌ عَلىٰ فُصْلاَنٍ، فَمُنِعَتْ بذلك رَضَاعَ أمهاتِها فكان إذا حَلَّ عقدةً جرَىٰ ذلك الفصيلُ إلَىٰ أُمِّه في الحِينِ، فَرَضَعَ، أعاذنا اللَّه مِنْ شَرِّ السِّحْرِ والسَّحَرَةَ.

وقوله تعالى: ﴿ومِنْ شَرِّ حاسدٍ إذا حَسَدَ﴾ قال قتادة: مِنْ شَرِّ عَيْنِهِ ونَفْسِهِ[1]، يريد بـ«النَّفس»: السعْيَ الخَبِيثَ، وقال الحُسَيْنُ بْنُ الفَضْلِ: ذكَرَ اللَّه تعالى الشُّرُور في هذه السُّورة، ثم ختمها بالحَسَدِ؛ ليعلم أنَّه أخسُّ الطَّبائع.

---

(١) أخرجه الطبري، وابن المنذر كما ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٧١٩).

تَفْسِيرُ سُورَةِ الناس

قَالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ: هِيَ مَدَنِيَّةٌ، وَقَالَ قَتَادَةُ: مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾

قوله عز وجل: ﴿قُلْ أعوذُ برب الناس * مَلِكِ النَّاسِ * إلٰه الناس * مِنْ شر الوسواس الخَنَّاس﴾: ﴿الوَسْوَاسُ﴾: اسم مِنْ أسماء الشيطانِ، وقولُه: ﴿الخَنَّاسُ﴾ معناه: الرَّاجِعُ علَىٰ عَقِبِهِ المُسْتَتِرُ أحياناً، فإذَا ذكر العَبْدُ اللَّه تعالى وتعوَّذ، تذكَّر فأبْصَرَ؛ كما قال تعالى: ﴿إن الذين اتقوا إذا مسَّهم طائفٌ...﴾ [الأعراف: ٢٠١] الآية: قال النَّوَوِيُّ[1]: قال بعضُ العلماءِ: يُسْتَحَبُّ قَول: لا إلٰه إلا اللَّهِ لِمَنِ ٱبْتُلِيَ بالوَسْوَسَةِ في الوضوءِ والصلاةِ وشِبْهِهِمَا؛ فإن الشيطان إذا سمع الذِّكرَ، خَنَسَ، أي: تأخَّر وبَعُدَ، و«لا إله إلا اللَّهُ»: رَأْسُ الذِّكْرِ؛ ولذلك ٱختارَ السَّادَةُ الجِلَّةُ مِنْ صَفْوة هذه الأمة أهْلُ تربيةِ السَّالكين وتأديبِ المُرِيدِينَ ـ قَوْلَ «لا إلٰه إلا اللَّه» لأهْلِ الخَلْوَةِ ـ، وأمَرُوهم بالمداومة علَيْهَا، وقالوا: أنْفَعُ علاجٍ في دَفْعِ الوسوسةِ الإقبالُ علَىٰ ذِكْرِ اللَّه تَعالَىٰ والإكْثَارُ منه، وقال السَّيِّدُ الجليلُ أحْمَدُ بْنُ أبي الحوارِيِّ: شَكَوْتُ إلَىٰ أبي سُلَيْمَانَ الدَّرَانِيِّ الوَسْوَاسَ، فقال: إذا أرَدت أنْ ينقطعَ عَنْكَ، فَأَيَّ وَقْتٍ أحْسَسْتَ به، فٱفْرَحْ، فإنك إذا فَرِحْتَ به، ٱنقطَعَ عنك؛ لأنه ليْسَ شيءٌ أبْغَضُ إلى الشيطانِ مِنْ سرورِ المؤمن، وإن ٱغْتَمَمْتَ به، زَادَكَ، * ت *: وهذا مما يؤيِّد ما قاله بَعْضُ الأئمة؛ أنَّ الوسواس إنما يُبْتَلَىٰ به مَنْ كَمُلَ إيمانه؛ فإن اللِّصَّ لا يقصدُ بيتاً خَرِباً. انتهى، * ت *: ورأيتُ في «**مختصر الطبريِّ**» نَحْوَ هٰذا.

وقوله تعالى: ﴿مِنَ الجِنَّة﴾ يعني: الشياطينَ، ويظهر أنْ يَكُونَ قولُهُ: ﴿والناس﴾ يراد به: مَنْ يُوَسْوِسُ بخدعة مِنَ الشَّرِّ، ويدعو إلى الباطل، فهو في ذلك كَالشَّيْطان، قال أحْمَدُ بْنُ نَصْرٍ الداوودِيُّ: وعن ابن جُرَيْجٍ: ﴿مِنَ الجِنَّةِ والنَّاسِ﴾ قَالَ: «إنهما وَسْوَاسَانِ، فَوَسْوَاسٌ من الجِنَّة، ووَسْوَاسٌ مِنْ نَفْسِ الإنسان» انتهى، وفي الحديث الصحيحِ، أنَّ

---

(١) ينظر: «**الأذكار**» ص: (١٦١).

النبيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَىٰ إِلَىٰ فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا، فَقَرأَ: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ»، و«قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ»، و«قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ» ثُمَّ مَسَحَ بِهِمَا مَا ٱسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ يَبْدَأُ بِهِما مِنْ رَأْسه وَوَجْهِهِ، وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ؛ يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً[1] -.

يَقُولُ العبدُ الفقيرُ إلى اللَّه تعالىٰ: عَبْدُ الرحمٰنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَخْلُوفٍ الثَّعَالِبِيُّ لَطَفَ اللَّهُ به في الدارَيْنِ: قَدْ يَسَّرَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ في إتمامِ تَلْخِيصِ هذا المختَصَر؛ وقَدْ أودَعتُهُ بحَوْلِ اللَّهِ جزيلاً من الدُّرَر، قد ٱسْتَوعَبْتُ فيه - بِحَمْدِ اللَّهِ - مُهِمَّاتِ ابْنِ عِطِيَّةَ، وأسقطْتُ كَثيراً من التَّكْرار، وما كان من الشَّوَاذِّ في غاية الوهي، وزدْتُ من غيره جَوَاهِرَ ونَفَائِسَ لا يُسْتَغْنَىٰ عنها مميزةً معزوَّة لِمَحَالِّها مَنْقُولةً بألفاظِهَا، وتوخَّيْتُ في جميع ذلك الصِّدْقَ والصَّواب، وإلى اللَّه أَرْغَبُ في جَزِيلِ الثواب، وقد نَبَّهْتُ بَعْضَ تَنْبِيهٍ، وعرَّفْتُ بأيامِ رِحْلَتِي في طَلَبِ العِلْمِ بعْضَ تعريفٍ عِنْدَ خَتْمِي لتفسير سورة الشُّورَىٰ؛ فَلْيَنْظُرْ هُنَاكَ، واللَّهُ المَسْؤُولُ أنْ يجعَلَ هذا السعْيَ منا خالصاً لوَجْهِهِ، وعملاً صالحاً يقرِّبنا إِلَىٰ مرضاته، ومَنْ وَجَدَ في هذا الكتابِ تَصْحِيفاً أو خَلَلاً فَأَرْغَبُ إِلَيْهِ أَنْ يُصْلِحَهُ مِنَ الأُمَّهاتِ المَنْقُولِ منها متثبِّتاً في ذلك لا برَأْيه وبديهةِ عَقْلِهِ: [من الوافر]

فَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلاً صَحِيحاً وَآفَتُهُ مِنَ الفَهْمِ السَّقِيمِ

وكان الفراغُ من تأْلِيفه في الخامسَ عَشَرَ مِنْ رَبِيعِ الأَوَّلِ مِنْ عَامِ ثَلاَثَةٍ وثَلاَثِينَ وَثَمَانِمائَةٍ وَأَنَا أَرْغَبُ إِلى كُلِّ أَخٍ نَظَرَ فيه أنْ يُخْلِصَ لي وَلَهُ بِدَعْوَةٍ صالحةٍ، وهذا الكتابُ لاَ يَنْبَغِي أنْ يَخْلُوَ عنه مُتَدَيِّنٌ، ومُحِبٌّ لكلامِ رَبِّه، فإنه يَطَّلِعُ فيه عَلَىٰ فَهْمِ القرآن أجْمَعَ في أَقْرَبِ مُدَّةٍ، وليس الخَبَرُ كَالعِيَانِ؛ هذا مَعَ مَا خُصَّ بِهِ مِنْ تَحْقِيقِ كَلاَمِ الأَئِمَّةِ المحقِّقينَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهم - نَقَلْتُهُ عَنْهُمْ بألفاظِهِمْ متحرِّياً لِلصَّوَابِ، ومِنَ اللَّهِ أَرْتَجِي حُسْنَ المَآب، وصَلَّى اللَّهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا محمَّد خاتَمِ النبيِّينَ، وَعلى آله وصَحْبِهِ أجمعين، وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الحَمْدُ للَّهِ رَبِّ العالمين.

---

(١) تقدم تخريجه.

محتوى الجزء الخامس من تفسير الثعالبي

سورة يٰسٓ ٥
سورة الصافات ٢٢
سورة صٓ ٥٤
سورةالزمر ٧٨
سورة غافر ١٠٣
سورة فصّلت ١٢٥
سورة الشورىٰ ١٤٨
سورة الزخرف ١٧٢
سورة الدّخان ١٩٤
سورة الجاثية ٢٠٤
سورة الأحقاف ٢١٢
سورة محمّد ٢٢٨
سورة الفتح ٢٤٨
سورة الحجرات ٢٦٧
سورة قٓ ٢٨٠
سورة الذاريات ٢٩٦
سورة الطور ٣٠٩
سورة النجم ٣٢١
سورة القمر ٣٣٦
سورة الرحمٰن ٣٤٥
سورة الواقعة ٣٦٠
سورة الحديد ٣٧٧
سورة المجادلة ٣٩٧
سورة الحشر ٤٠٦
سورة الممتحنة ٤١٦
سورة الصف ٤٢٤

سورة الجمعة ٤٢٨
سورة المنافقون ٤٣٤
سورة التغابن ٤٣٨
سورة الطلاق ٤٣٧
سورة التحريم ٤٥٠
سورة الملك ٤٥٥
سورة القلم ٤٦٣
سورة الحاقة ٤٧٣
سورة المعارج ٤٨١
سورة نوح ٤٨٨
سورة الجنّ ٤٩٣
سورة المزمّل ٥٠٠
سورة المُدثر ٥٠٩
سورة القيامة ٥١٩
سورة الإنسان ٥٢٧
سورة المرسلات ٥٣٦
سورة النبأ ٥٤١
سورة النازعات ٥٤٧
سورة عبس ٥٥١
سورة التكوير ٥٥٥
سورة الانفطار ٥٥٩
سورة المطففين ٥٦٢
سورة الانشقاق ٥٦٧
سورة البُروج ٥٧١
سورة الطارق ٥٧٤
سورة الأعلىٰ ٥٧٧
سورة الغاشية ٥٨٢
سورة الفجر ٥٨٥
سورة البلد ٥٩٠
سورة الشمس ٥٩٤

سورة الليل ٥٩٨
سورة الضحى ٦٠١
سورة الشرح ٦٠٤
سورة التين ٦٠٦
سورة العلق ٦٠٨
سورة القدر ٦١١
سورة البيّنة ٦١٣
سورة الزلزلة ٦١٥
سورة العاديات ٦١٨
سورة القارعة ٦٢١
سورة التكاثر ٦٢٢
سورة العصر ٦٢٥
سورة الهُمزة ٦٢٦
سورة الفيل ٦٢٧
سورة قُريش ٦٢٩
سورة الماعون ٦٣٠
سورة الكَوثر ٦٣٢
سورة الكافرون ٦٣٤
سورة النصر ٦٣٥
سورة المَسَد ٦٣٦
سورة الإخلاص ٦٣٨
سورة الفَلق ٦٤٠
سورة الناس ٦٤٢

ثبت وبيان بأهم مراجع التحقيق

حرف الألف

١ ـ **آداب اللغة** لجورجي زيدان، طبعة القاهرة ١٩٥٧

٢ ـ **الآيات البينات** لابن قاسم العبادي، طبعة بولاق

٣ ـ **الإبانة عن أصول الديانة** للأشعري، طبع دار الأنصار

٤ ـ **الإبهاج في شرح المنهاج** لعلي بن عبد الكافي السبكي (ت ٧٥٦هـ)، دار الكتب العلمية ـ طبعة أولى

٥ ـ **إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين** لمرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، تصوير دار الفكر.

٦ ـ **إتحاف فضلاء البشر** لأحمد بن محمد البنا (ت ١١١٧هـ)، تحقيق د. شعبان محمد إسماعيل، عالم الكتب، مكتبة الكليات الأزهرية، طبعة أولى

٧ ـ **الإتقان في علوم القرآن** تأليف: شيخ الإسلام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (المتوفى سنة ٩١١هـ)، الطبعة الثالثة سنة ١٩٥١م، ط. الحلبي

٨ ـ **الإحكام في أصول الأحكام** تأليف الشيخ الإمام العلامة سيف الدين أبي الحسن علي بن أبي علي بن محمد الآمدي ـ تحقيق أحد الأفاضل ـ ط زاهد القدسي طبع ونشر وتوزيع ٢٤ شارع طلعت حرب القاهرة

٩ ـ **إحياء علوم الدين**، لأبي حامد الغزالي (ت٥٠٥ هـ)، دار المعرفة ـ بيروت

١٠ ـ **أخبار أصبهان** لأحمد بن عبد الله، أبي نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ)، تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية ـ طبعة أولى

١١ ـ **أخبار النحويين البصريين** لأبي سعيد الحسن السيرافي (ت٣٦٨ هـ)، تحقيق طه محمد الزيني ومحمد عبد المنعم خفاجي، مصطفى البابي الحلبي

١٢ ـ **الاختيار لتعليل المختار** تأليف عبد الله بن محمود بن مودود الموصلي، مطبعة الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م وطبعه دار الكتب العلمية ـ بيروت

١٣ ـ **الأدب المفرد** للبخاري (ت ٢٥٦هـ)، تحقيق كمال الحوت، عالم الكتب

١٤ ـ **الأذكار** لمحيي الدين أبي زكريا النووي (ت٦٧٦ هـ) المكتبة العلمية ـ بيروت

١٥ ـ **إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب** المعروف بمعجم الأدباء، لياقوت الحموي، طبعة مرجليوث بمصر

١٦ ـ **إرشاد الفحول** لمحمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٥) ـ طبعة أولى، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧م

١٧ ـ **الأزهية في علم الحروف** تأليف: علي بن محمد الهروي، تحقيق: عبد المعين الملوحي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٨٢م.

١٨ ـ **أساس البلاغة** تأليف: جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ط. دار صادر ـ بيروت، سنة ١٩٧٩م.

١٩ ـ **أسباب النزول** للإمام أبي الحسين علي بن أحمد بن الواحدي النيسابوري، ط. عالم الكتب بيروت.

٢٠ ـ **الاستيعاب** لابن عبد البر (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق الشيخ علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود دار الكتب العلمية.

٢١ ـ **أُسْدُ الغابة في معرفة الصحابة** لعز الدين ابن الأثير أبي الحسن الجزري (ت ٦٣٠ هـ)، تحقيق الشيخ علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية ـ طبعة أولى

٢٢ ـ **الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير**، لمحمد بن محمد أبو شهبة، مجمع البحوث الإسلامية ـ الأزهر

٢٣ ـ **إسعاف المبطأ برجال الموطأ** لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، مكتبة مصطفى البابي الحلبي

١٤ ـ **الأسماء والصفات** لأحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، دار الكتب العلمية ـ بيروت

٢٥ ـ **الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى** لأبي عبد الله القرطبي (ت ٦٧١ هـ)، تحقيق د. محمد حسن جبل وآخرون، دار الصحابة للتراث ـ طبعة أولى

٢٦ ـ **أهل المدارك شرح إرشاد السالك** لأبي بكر بن حسن الكشناوي، عيسى البابي الحلبي

٢٧ ـ **الأشباه والنظائر في النحو** لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق د. عبد العال سالم مكرم مؤسسة الرسالة ـ طبعة أولى

٢٨ ـ **إصلاح المنطق** لابن السكيت (ت ٢٤٤هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف

٢٩ ـ **إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم** تأليف: أبي عبد الله الحسين بن أحمد، المعروف بابن خالويه (ت ٣٧٠ هـ)، مكتبة المثنى

٣٠ ـ **إعراب القراءات السبع وعللها** لأبي عبد الله الحسن بن خالويه (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق د. عبد الرحمن بن سليمان بن عثيمين، مكتبة الخانجي ـ طبعة أولى

٣١ ـ **الأعلام للزركلي** لخير الدين الزركلي ط ٣ مكتبة المتنبي ـ القاهرة

٣٢ ـ **أعلام الموقعين عن رب العالمين** لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) طبعة الكليات الأزهرية

٣٣ ـ **أعلام النساء** لعمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة ـ بيروت

٣٤ ـ **الأغاني** لأبي الفرج الأصفهاني، تحقيق علي النجدي ناصف دار الكتب المصرية

٣٥ ـ **الإقناع** للخطيب الشربيني، دار الكتب العلمية ـ بيروت

٣٦ ـ **الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكُنى والأنساب** لعلي بن هبة الله أبي نصر بن ماكولا (ت ٤٧٥هـ)، دار الكتب العلمية ـ طبعة أولى

٣٧ ـ **الأم** لمحمد بن إدريس الشافعي، دار المعرفة

٣٨ ـ **أمالي ابن الشجري** ليحيى الشجري، عالم الكتب، طبعة ثالثة

٣٩ ـ **أمالي المرتضى** للشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي (٣٥٥ ـ ٤٣٦هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط. الحلبي ـ القاهرة

٤٠ ـ **إمتاع الأسماع** للمقريزي، طبع في القاهرة ١٩٤١م.

٤١ ـ **إنباء الغمر بأبناء العمر** للحافظ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، دائرة المعارف العثمانية ـ الهند، دار الكتب العلمية طبعة ثانية

٤٢ ـ **إنباه الرواة على أنباه النحاة** للوزير جمال الدين أبي الحسن القفطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي ـ القاهرة ومؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت

٤٣ ـ **الأنساب** للسمعاني ـ أبي سعيد عبد الكريم بن محمد (ت ٥٦٢ هـ)، تصحيح عبد الرحمٰن بن يحيى ـ طبعة مجلس المعارف العثمانية حيدر آباد الدكن ـ الهند سنة (١٣٨٥هـ)

٤٤ ـ **الإنصاف في مسائل الخلاف** لابن الأنباري (٥١٣ ـ ٥٧٧ هـ) ومعه كتاب **«الانتصاف من الإنصاف»** للمرحوم محمد محيي الدين عبد الحميد، ط. دار الجيل سنة ١٩٨٢م.

٤٥ ـ **الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل** لعلاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان المرداوي الحنبلي (ت ٨٨٥هـ) تحقيق محمد حامد الفقي الطبعة الأولى سنة (١٣٧٤هـ) / (١٩٥٥م) مطبعة السنة المحمدية ـ ١٧ شارع شريف باشا بالقاهرة

٤٦ ـ **أنيس الفقهاء** لقاسم القونوي (ت ٩٧٨هـ)، تحقيق د. أحمد بن عبد الرزاق الكبسي، دار الوفاء ـ جدة ـ طبعة ثانية

٤٧ ـ **الأوسط في السنن** لأبي بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر (ت ٣١٨هـ)، تحقيق د. أبو حماد صغير أحمد بن محمد حنيف، دار طيبة.

٤٨ ـ **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك** تأليف: أبي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن هشام الأنصاري (ت سنة ٧٦١هـ)، تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، ط. دار

الجيل، الطبعة الخامسة سنة ١٩٧٩م.

٤٩ ـ **إيضاح الوقف والابتداء** لمحمد بن القاسم أبي بكر الأنباري (ت ٣٢٨هـ) تحقيق محيي الدين رمضان، طبع دمشق ـ مجمع اللغة العربية ١٩٧١م

حرف الباء

٥٠ ـ **البحر المحيط** لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض دار الكتب العلمية ـ طبعة أولى

٥١ ـ **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع** لعلاء الدين أبي بكر الكاساني (ت ٥٨٧هـ) مطبعة الإمام بالقاهرة

٥٢ ـ **بداية المجتهد ونهاية المقتصد** للقاضي أبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الأندلسي الشهير «بابن رشد الحفيد» (ت ٥٩٥هـ) ط الحلبي الطبعة الثانية سنة ٣٧٠ هـ / سنة ١٩٥٠م ونسخه المكتبة التجارية الكبرى.

٥٣ ـ **البداية والنهاية** للإمام عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير المتوفى سنة (٧٧٤هـ) الطبعة الثانية سنة ١٩٧٧م مكتبة المعارف بيروت

٥٤ ـ **البدر الطالع** لمحمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة

٥٥ ـ **البُرهان في أُصول الفقه** لإمام الحرمين الجويني (ت ٤٧٨هـ)، تحقيق د. عبد العظيم الديب دار الأنصار ـ طبعة ثانية

٥٦ ـ **البرهان في علوم القرآن** للزركشي بدر الدين (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة ـ بيروت ـ طبعة أولى

٥٧ ـ **البعث والنشور** للبيهقي (ت ٤٥٨هـ)، دار الجنان

٥٨ ـ **بغية الملتمس** للحافظ صلاح الدين أبي سعد العلائي (ت ٧٦١هـ)، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي عالم الكتب ـ طبعة أولى

٥٩ ـ **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة** تأليف: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط. الحلبي، الطبعة الأولى سنة ١٩٦٤م.

٦٠ ـ **بهجة النفوس** لابن أبي جمرة، دار الجيل ـ بيروت

حرف التاء

٦١ ـ **تاج العروس من جواهر القاموس** لمحمد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ)، الناشر دار ليبيا ـ للنشر والتوزيع بنغازي ـ ليبيا ـ ط المطبعة الخيرية القاهرة. ومطبعة الكويت بتحقيق نخبة من العلماء

٦٢ ـ **تاريخ الأدب العربي** للدكتور شوقي ضيف، دار المعارف ـ مصر

٦٣ ـ **تاريخ الأدب العربي** لِكارل بروكلمان، القاهرة ـ دار المعارف ـ الطبعة الخامسة.

٦٤ ـ **تاريخ الإسلام** للحافظ شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري دار الكتاب العربي ـ بيروت طبعة ثانية

٦٥ ـ **تاريخ بغداد** للحافظ أبي بكر بن أحمد بن علي الخطيب البغدادي المتوفى سنة (٤٦٣هـ) الناشر دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان.

٦٦ ـ **تاريخ الثقات** للحافظ أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي تحقيق د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية ـ طبعة أولى

٦٧ ـ **تاريخ جرجان** للسهمي (ت ٤٢٧هـ)، عالم الكتب ـ بيروت

٦٨ ـ **تاريخ الخلفاء** للإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى عام (٩١١هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ـ الطبعة الثانية سنة ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٤م ـ مطبعة المدني بالعباسية ـ القاهرة

٦٩ ـ **التاريخ الصغير** لمحمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، تحقيق محمود إبراهيم زايد، دار المعرفة ـ طبعة أولى

٧٠ ـ **التاريخ الكبير** لمحمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ)، تصحيح عبد الرحمن اليماني وجماعة حيدر آباد ـ الهند، دائرة المعارف العثمانية

٧١ ـ **تاريخ ابن النجار** (ت ٦٤٣هـ) دار الكتاب العربي

٧٢ ـ **تاريخ يحيى بن معين** لأبي زكريا يحيى البغدادي (ت ٢٣٣هـ)، مجمع اللغة العربية

٧٣ ـ **تأويل مشكل القرآن** لابن قتيبة، دار الكتب العلمية تحقيق السيد أحمد صقر، طبعة ثالثة

٧٤ ـ **التبصرة والتذكرة** للحافظ العراقي (ت ٨٠٦هـ)، دار الكتب العلمية ـ بيروت

٧٥ ـ **التبصرة والتذكرة** لأبي محمد عبد الله بن علي بن إسحاق الصيمري، تحقيق د. فتحي أحمد علي الدين دار الفكر ـ بيروت

٧٦ ـ **تبصير المنتبه بتحرير المشتبه** لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الكتب العلمية ـ بيروت

٧٧ ـ **التبيان في إعراب القرآن** لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت ٦١٦هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الشام للتراث ـ بيروت

٧٨ ـ **تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق** لعثمان بن علي الزيلعي (ت ٧٤٣هـ)، المطبعة الأميرية ببولاق

٧٩ ـ **تبيين كذب المفتري** لابن عساكر الدمشقي (ت ٥٧١ هـ)، دار الكتاب العربي

٨٠ ـ **تجريد أسماء الصحابة** لشمس الدين أبي عبد الله بن قايماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، دار

المعرفة ـ بيروت

٨١ ـ **تجريد التمهيد** لأبي عُمَر، يوسف بن عبد البر (ت ٤٦٣هـ)، دار الكتب العلمية بيروت

٨٢ ـ **التحبير في علم التفسير** لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق د. فتحي عبد القادر فريد، دار المنار

٨٣ ـ **التحرير في أصول الفقه** لِكَمال الدين محمد الشهير بابن همام الإسكندري (ت ٨٦١هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي

٨٤ ـ **التحصيل من المحصول** لسراج الدين محمود الأرموي (ت ٦٨٢هـ)، تحقيق د. عبد الحميد علي أبو زنيد، مؤسسة الرسالة ـ طبعة أولى

٨٥ ـ **التحفة اللطيفة** لشمس الدين السخاوي (ت ٩٠٢هـ)، تحقيق حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية

٨٦ ـ **تخريج الفروع على الأصول** لأبي المناقب شهاب الدين الزنجاني (ت ٦٥٦هـ) تحقيق د. محمد أديب صالح، مؤسسة الرسالة ـ طبعة رابعة

٨٧ ـ **تخريج الكشاف** للحافظ جمال الدين الزيلعي (ت ٧٦٢ هـ)، دار ابن خزيمة

٨٨ ـ **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي** لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ـ دار التراث ـ القاهرة

٨٩ ـ **التذكرة** لشمس الدين القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تحقيق. السيد الجميلي، دار ابن زيدون ـ بيروت، مكتبة مدبولي ـ القاهرة

٩٠ ـ **تذكرة الحفاظ** للإمام أبي عبد الله شمس الدين الذهبي (ت سنة ٧٤٨ هـ) ط. دار الفكر العربي ـ القاهرة

٩١ ـ **تذكرة النحاة** لأبي حيان محمد بن يوسف الغرناطي الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق د. عفيف عبد الرحمن، مؤسسة الرسالة ـ طبعة أولى

٩٢ ـ **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، للقاضي عياض اليحصبي السبتي، تحقيق الدكتور أحمد بكير، مكتبة الحياة بيروت، مكتبة الفكر طرابلس ـ ليبيا ١٣٨٧هـ

٩٣ ـ **الترغيب والترهيب** لعبد العظيم بن عبد القوي المنذري (ت ٦٥٦ هـ) تحقيق مصطفى محمد عمارة، مكتبة مصطفى البابي الحلبي

٩٤ ـ **تسمية من أخرج لهم البخاري ومسلم** للحاكم صاحب المستدرك (ت ٤٠٥هـ)، تحقيق كمال الحوت، مؤسسة الكتب الثقافية، دار الجنان ـ طبعة أولى

٩٥ ـ **التعديل والتجريح فيمن روى عن البخاري في الصحيح** لأبي الوليد الباجي (ت ٤٧٤هـ)، تحقيق د. أبو لبابة حسين، دار اللواء ـ الرياض

٩٦ ـ **التعليق المغني على الدارقطني** لأبي الطيب شمس الحق آبادي بأسفل سنن الدارقطني، عالم الكتب

٩٧ ـ **تفسير بحر العلوم** للسمرقندي، تحقيق علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود. دار الكتب العلمية، طبعة أولى

٩٨ ـ **تفسير البغوي** المسمى بمعالم التنزيل للحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦ هـ)، تحقيق خالد العك ومروان سوار، دار المعرفة ـ بيروت ـ طبعة أولى

٩٩ ـ **تفسير الجامع لأحكام القرآن** للعلامة محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (٦٧١هـ) طبعة دار الشعب بمصر

١٠٠ ـ **تفسير سفيان الثوري** لسفيان الثوري (ت ٧٧٧ هـ)، دار الكتب العلمية ـ طبعة أولى

١٠١ ـ **تفسير عبد الرزاق** لعبد الرزاق الصنعاني (ت ٢١١ هـ)، تحقيق د. مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد ـ طبعة أولى

١٠٢ ـ **تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز** للقاضي أبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦هـ)، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية ـ طبعة أولى

١٠٣ ـ **تفسير غريب القرآن** لعبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية

١٠٤ ـ **تفسير ابن كثير** لإسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤هـ) القاهرة، مكتبة أسامة ـ ٢٣ش الصنادقية بالأزهر

١٠٥ ـ **تفسير الماوردي** لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي البصري (ت ٤٥٠هـ)، تحقيق السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية ـ الطبعة الأولى

١٠٦ ـ **التفسير والمفسرون** للدكتور محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة ـ طبعة ثالثة

١٠٧ ـ **تقريب التهذيب** تأليف: أحمد بن حجر العسقلاني (٧٧٣ ـ ٨٥٢ هـ)، تحقيق الدكتور عبد الوهاب عبد اللطيف، ط. دار المعرفة للطبع والنشر، بيروت الطبعة الثانية سنة ١٩٧٥م.

١٠٨ ـ **تقريب الوصول** لابن جزي، طبعة تونس

١٠٩ ـ **التقرير والتحبير** لابن أمير الحاج (ت ٨٧٩ هـ)، دار الكتب العلمية ـ طبعة ثانية

* ـ **التقصي لحديث الموطأ** = ينظر التجريد

١١٠ ـ **تقييد العلم** لأبي بكر الخطيب البغدادي (ت ٤٦٢ هـ)، تحقيق يوسف العش، دار إحياء السنة النبوية

١١١ ـ **تلقيح مفهوم أهل الأثر** لعبد الرحمن بن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ)، تحقيق مكتبة الآداب ـ القاهرة، مكتبة الآداب ـ القاهرة

١١٢ ـ **التمهيد** لأبي عُمَر، يوسف بن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ)، تحقيق سعيد أحمد أعراب، مؤسسة قرطبة

١١٣ ـ **التمهيد في تخريج الفروع على الأصول** لجمال الدين أبي محمد الإسنوي (ت ٧٧٢ هـ)، تحقيق د، محمد حسن هيتو، مؤسسة الرسالة، طبعة ثالثة

١١٤ ـ **تنزيه الشريعة** لأبي الحسن ابن عراق الكناني (ت ٩٦٣هـ)، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف وعبد الله محمد الصديق، دار الكتب العلمية ـ طبعة ثانية

١١٥ ـ **تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك**، لجلال الدين السيوطي، طبعة عيسى البابي الحلبي

١١٦ ـ **تهذيب الأسماء واللغات** لأبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي المتوفى سنة (٦٧٦هـ)، إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

١١٧ ـ **تهذيب تاريخ دمشق الكبير** لابن عساكر (ت ٥٧١هـ)، دار المسيرة بيروت

١١٨ ـ **تهذيب التهذيب** لابن حجر العسقلاني (ت سنة ٨٥٢ هـ) ط. مطبعة مجلس المعارف النظامية في الهند، الطبعة الأولى

١١٩ ـ **تهذيب الكمال في أسماء الرجال** تأليف: جمال الدين أبي الحجاج يوسف المِزيّ (٦٥٤ ـ ٧٤٢هـ) تحقيق د/ بشار عواد معروف، ط. مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية سنة ١٩٨٥م.

٢٢٠ ـ **تيسير التحرير** لمحمد أمين المعروف بأمير بادشاه، مطبعة مصطفى البابي الحلبي

حرف الثاء

١٢١ ـ **الثقات** للحافظ محمد بن حبان (ت ٣٥٤ هـ)، دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد ـ الهند

حرف الجيم

١٢٢ ـ **جامع بيان العلم** لأبي عُمَر، يوسف بن عبد البر (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي ـ طبعة أولى

١٢٣ ـ **جامع البيان في تفسير القرآن** تأليف: أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (المتوفى سنة ٣١٠ هـ)، ط. دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الرابعة سنة ١٩٨٠م.

١٢٤ ـ **جامع التحصيل في أحكام المراسيل** للحافظ صلاح الدين أبي سعيد كيكلدي العلائي (ت ٧٦١ هـ)، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة النهضة العربية ـ بيروت

١٢٥ ـ **الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي** لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة (٢٠٩ ـ ٢٧٩ هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط. الحلبي ـ الطبعة الثانية سنة ١٩٧٨م.

١٢٦ ـ **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع** لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب (ت ٤٦٣ هـ)، تحقيق محمود الطحان الطبعة الأولى مكتبة المعارف ـ الرياض

١٢٧ ـ **جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس** لابن القاضي، طبع بفاس

١٢٨ ـ **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس** للحميدي (ت ٤٨٨ هـ)، الدار المصرية للتأليف والترجمة

١٢٩ ـ **الجرح والتعديل** لعبد الرحمن بن محمد الرازي، طبع في حيدر آباد ١٩٥٢، ومصورة دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان

١٣٠ ـ **الجمع بين رجال الصحيحين** لأبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي (ت ٥٠٧ هـ)، المعروف بابن القيسراني، دار الباز

١٣١ ـ **الجمل على المنهج** لسليمان الجمل، المكتبة التجارية الكبرى بمصر.

١٣٢ ـ **جمهرة الأمثال** لأبي هلال العسكري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعبد المجيد قطامش، ط. المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى سنة ١٩٦٤م.

١٣٣ ـ **جمهرة أنساب العرب** لابن حزم المتوفى (٤٥٦ هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف

١٣٤ ـ **الجني الداني** للحسن بن قاسم المرادي، تحقيق د. فخر الدين قباوة والأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية

١٣٥ ـ **حاشية البناني على المحلي** للبناني، طبعة الحلبي

١٣٦ ـ **حاشية التفتازاني والشريف** لابن الحاجب المالكي (ت ٦٤٦ هـ)، المطبعة الأميرية ببولاق ـ طبعة أولى

١٣٧ ـ **حاشية الدسوقي على الشرح الكبير** لشمس الدين محمد عرفة الدسوقي، عيسى البابي الحلبي

١٣٨ ـ **حاشية الشرقاوي على تحفة الطلاب بشرح تحرير تنقيح اللباب** للشيخ عبد الله بن حجازي بن إبراهيم الشهير بالشرقاوي (ت ١٢٢٦ هـ) على تحفة الطلاب بشرع تحرير تنقيح اللباب للشيخ أبي يحيى زكريا الأنصاري (ت ٩٢٥ هـ) ط. عيسى الحلبي

١٣٩ ـ **حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي**، المكتبة الإسلامية محمد ازدمير ديار بكر ـ تركيا

١٤٠ ـ **حاشية العطار على جمع الجوامع** تصوير دار الكتب العلمية بيروت

١٤١ ـ **حاشية نسمات الأسحار** لابن عابدين مصطفى البابي الحلبي

١٤٢ ـ **الحاوي الكبير في فقه الإمام الشافعي**، لأبي الحسن الماوردي، تحقيق الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود دار الكتب العلمية ـ طبعة أولى

١٤٣ ـ **الحجة على أهل المدينة** لأبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني (ت ١٨٩هـ) عالم الكتب ـ طبعة ثالثة

١٤٤ ـ **حجة القراءات** لأبي زرعة بن زنجلة، تحقيق سعيد الأفغاني، منشورات جامعة بنغازي طبعة أولى

١٤٥ ـ **الحجة للقراء السبعة** لأبي علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي (ت ٣٧٧ هـ)، تحقيق بدر الدين قهوجي وبشير جويجاتي، دار المأمون للتراث ـ دمشق طبعة ثانية.

١٤٦ ـ **الحدود في الأصول** لأبي الوليد سليمان الباجي (ت ٤٧٤ هـ) تحقيق د. نزيه حماد، مؤسسة الزغبي للطباعة والنشر ـ طبعة أولى

١٤٧ ـ **حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء** لسيف الدين أبي بكر الشاشي القفال، دار الباز تحقيق د. ياسين أحمد إبراهيم درادكة، مكتبة الرسالة الحديثة طبعة أولى

١٤٨ ـ **حماسة البحتري** (للوليد بن عبيد) بيروت

١٤٩ ـ **الحماسة البصرية** لصدر الدين علي بن الحسن البصري (ت ٦٥٦هـ)، تحقيق عادل جمال سليمان، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

حرف الخاء

١٥٠ ـ **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب** لعبد القادر بن عمر البغدادي تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي

١٥١ ـ **الخصائص** لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، ط. دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت: الطبعة الثانية

١٥٢ ـ **خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال** لصفي الدين أحمد بن عبد الله الخزرجي، تحقيق محمود عبد الوهاب فايد، مكتبة القاهرة

حرف الدال

١٥٣ ـ **دائرة المعارف الإسلامية** إصدار دار الشعب ـ طبعة أولى

١٥٤ ـ **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون** لشهاب الدين أبي العياش السمين الحلبي، تحقيق الشيخ علي محمد معوض وآخرون، دار الكتب العلمية

١٥٥ ـ **الدر المنثور** لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية

١٥٦ ـ **الدرر الكامنة**، لأحمد بن حجر العسقلاني القاهرة: دار الكتب الحديثة بعابدين

١٥٧ ـ **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب** لابن فَرْحُون المالكي القاضي برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد بن فرهود المتوفى سنة (٧٩٩هـ) تحقيق وتعليق الدكتور أحمد محمد أبو النور مدرس الحديث بجامعة الأزهر دار التراث للطبع والنشر ـ ٢٢ شارع الجمهورية القاهرة.

١٥٨ ـ **دلائل النبوة** لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨ هـ)، تحقيق د. عبد المعطي

القلعجي، دار الكتب العلمية ـ طبعة أولى

١٥٩ ـ **ديوان الإسلام** لشمس الدين أبي المعالي ابن الغزي (ت ١١٦٧ هـ)، تحقيق سيد كسروي حسن دار الكتب العلمية ـ طبعة أولى

١٦٠ ـ **ديوان امرىء القيس** تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ـ ط. دار المعارف، الطبعة الثانية

١٦١ ـ **ديوان عمرو بن معد يكرب** لمطاع الطرابيشي، مطبوعات مجلة اللغة العربية ـ دمشق ـ طبعة ثانية

١٦٢ ـ **ديوان المعاني** لأبي هلال العسكري، مكتبة القدسي

١٦٣ ـ **ديوان الهذليين** نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، الناشر: الدار القومية للطباعة والنشر، سنة ١٩٦٥م

حرف الراء

١٦٤ ـ **الرسالة** لمحمد بن إدريس الشافعي، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار التراث ـ طبعة ثانية

١٦٥ ـ **الرسالة المستطرفة** للسيد محمد بن جعفر الكتاني، دار الكتب العلمية ـ طبعة ثانية

١٦٦ ـ **رصف المباني في شرح حروف المعاني** لأحمد بن عبد النور المالقي (ت ٧٠٢ هـ)، تحقيق أحمد محمد الخراط ـ مجمع اللغة العربية بدمشق.

١٦٧ ـ **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع الثاني** تأليف: أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي (ت سنة ١٢٧٠ هـ)، ط. دار إحياء التراث العربي

١٦٨ ـ **روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات**، محمد باقر الموسوي، طهران، المطبعة الحيدرية

١٦٩ ـ **روضة الطالبين** لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦ هـ)، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية ـ طبعة أولى

١٧٠ ـ **روضة الناظر وجُنَّة المُناظر** لموفق الدين عبد الله بن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠ هـ)، تحقيق د. عبد الكريم بن علي النملة، مكتبة الرشد ـ الرياض طبعة ثالثة

حرف الزاي

١٧١ ـ **زاد المسافر** لصفوان بن إدريس التجيبي المرسي، طبع في بيروت ١٩٣٩

١٧٢ ـ **زاد المعاد** لابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ)، تحقيق شعيب الأناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط مؤسسة الرسالة ـ بيروت الطبعة الخامسة عشر

١٧٣ ـ **الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي** لأبي منصور الأزهري، تحقيق د. محمد جبر الألفي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ الكويت ـ طبعة أولى

١٧٤ ـ **الزهد** لعبد الله ابن المبارك (ت ١٨١ هـ)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ـ دار الكتب العلمية

١٧٥ ـ **الزوائد** للبوصيري (ت ٨٤٠هـ)، تحقيق موسى محمد علي ود. عزت علي عطية، دار الكتب الإسلامية

* ـ **زوائد المسند** لعبد الله بن أحمد بن حنبل = المسند أحمد بن حنبل

حرف السين

١٧٦ ـ **سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام** للإمام محمد بن إسماعيل الكحلاني ثم الصنعاني (ت ١١٨٢ هـ) ط الحلبي الرابعة سنة ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م وأيضاً نسخة أخرى بتصحيح وتعليق محمد عبد العزيز

١٧٧ ـ **سر صناعة الإعراب** لأبي الفتح عثمان بن جنيّ (ت سنة ٣٩٢ هـ)، تحقيق الدكتور: حسن الهنداوي ـ ط. دار القلم، بدمشق ـ الطبعة الأولى ١٩٨٥م

١٧٨ ـ **سلاسل الذهب** لبدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤ هـ)، تحقيق محمد المختار بن محمد الأمين الشنقيطي، مكتبة ابن تيمية ـ طبعة أولى

١٧٩ ـ **سلسلة الأحاديث الصحيحة** لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي ـ طبعة رابعة

١٨٠ ـ **السلسلة الضعيفة** لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي

١٨١ ـ **سنن الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه** (٢٠٧ ـ ٢٧٥هـ) تحقيق: محمد فؤاد ـ ط. دار الفكر العربي

١٨٢ ـ **سنن الدارمي** للإمام أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي (ت سنة ٢٥٥هـ)، ط. دار الكتب العلمية، بيروت

١٨٣ ـ **سنن أبي داود** للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (٢٠٢ ـ ٢٧٥ هـ) تحقيق: المرحوم محمد محيي الدين عبد الحميد ـ ط. دار الكتب العلمية ـ بيروت

١٨٤ ـ **سنن النسائي** بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي، وحاشية الإمام السندي ـ ط. المكتبة العلمية ـ بيروت

١٨٥ ـ **سؤالات البرذعي** للبرذعي، تحقيق: د. سعدي الهاشمي، نشر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

١٨٦ ـ **سؤالات البرقاني للدارقطني** للبرقاني، كتب خانه جميلي ـ باكستان

١٨٧ ـ **سير أعلاء النبلاء** للحافظ شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، تحقيق شعيب الأرناؤوط وجماعة، مؤسسة الرسالة ـ طبعة أولى

١٨٨ ـ **السيرة الحلبية** لعلي بن برهان الدين الحلبي، طبع مصر

١٨٩ ـ **السيرة مع الروض الأُنُف** لأبي القاسم عبد الرحمن الخثعمي (٥٨١هـ)، مكتبة عبد السلام بن محمد بن شقرون

١٩٠ ـ **سيرة ابن هشام** لأبي محمد عبد الملك بن هشام (ت ١٨٣ هـ)، تحقيق مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث ـ طبعة أولى

حرف الشين

١٩١ ـ **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية** لمحمد بن محمد مخلوف، دار الفكر

١٩٢ ـ **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** لأبي الفلاح ابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ)، دار الكتب العلمية

١٩٣ ـ **شرح أبيات سيبويه** لأبي محمد يوسف المرزبان السيرافي (ت ٣٨٥هـ)، تحقيق محمد علي الريح هاشم، مكتبة الكليات الأزهرية ودار الفكر

١٩٤ ـ **شرح أبيات مغني اللبيب** لعبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣ هـ)، تحقيق عبد العزيز رباح، أحمد يوسف دقاق دار البيان ـ دمشق

١٩٥ ـ **شرح الأشموني على ألفِيَة ابن مالك** فيصل عيسى البابي الحلبي

١٩٦ ـ **شرح البهجة** لزكريا الأنصاري، المطبعة الميمنية بمصر

١٩٧ ـ **شرح التلويح على التوضيح** لسعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (ت ٧٩٢ هـ) دار الكتب العلمية

١٩٨ ـ **شرح تنقيح الفصول** لشهاب الدين أبي العباس القرافي (ت ٦٨٤ هـ)، شركة الطباعة الفنية المتحدة ـ طبعة أولى

١٩٩ ـ **شرح الخريدة البهية** لأبي البركات الشيخ أحمد بن محمد الدردير العدوي (ت ١٢٠١ هـ)، تحقيق السيد علي بن السيد عبد الرحمن الهاشم، طبع الإمارات العربية المتحدة

٢٠٠ ـ **شرح ديوان جرير** بشرح محمد بن حبيب، دار المعارف تحقيق د. نعمان محمد أمين طه، طبعة ثالثة

٢٠١ ـ **شرح ديوان الحماسة** لأبي تمام شرح الإمام الشيخ أبي زكريا يحيى التبريزي، عالم الكتب

٢٠٢ ـ **شرح الزُرقاني على الموطأ** لمحمد بن عبد الباقي الزرقاني (ت ١١٢٢ هـ)، دار الكتب العلمية ـ طبعة أولى

٢٠٣ ـ **شرح السُنة** لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦ هـ)، دار الكتب العلمية تحقيق علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود

٢٠٤ ـ **شرح شعلة على الشاطبية** لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن الحسين الموصلي (ت ٦٥٦ هـ)، الاتحاد العام لجماعة القراء

٢٠٥ ـ **شرح شواهد المغني** لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١ هـ)، دار مكتبة الحياة بيروت

٢٠٦ ـ **شرح العضد على المختصر** لعضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي (ت ٧٥٦ هـ) دار الكتب العلمية ـ طبعة ثانية

٢٠٧ ـ **شرح فتح القدير** للعاجز الفقير كمال الدين محمد بن عبد الواحد المعروف بابن الهمام (ت ٦٨١ هـ)، دار إحياء التراث العربي

٢٠٨ ـ **شرح قطر الندى** لجمال الدين بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١ هـ)، مطبعة السعادة ـ الطبعة الثانية عشرة

٢٠٩ ـ **شرح الكافية** لابن مالك، تحقيق عبد المنعم هريدي، طبعة دار المأمون للتراث

٢١٠ ـ **شرح مختصر المنار** للكوراني، دار السلام ـ القاهرة

٢١١ ـ **شرح مسند أحمد بن حنبل** تحقيق أحمد شاكر، طبعة دار المعارف القاهرة

٢١٢ ـ **شرح المفصل** لموفق الدين يعيش النحوي (ت ٦٤٣ هـ)، عالم الكتب ـ بيروت

٢١٣ ـ **شرح منتهى الإرادات** لمنصور بن يونس البهوتي (ت ١٠٥١ هـ)، عالم الكتب ـ طبعة أولى

٢١٤ ـ **شرح المهذب** لأبي زكريا محيي الدين النووي، تحقيق محمد نجيب المطيعي، مكتبة الإرشاد جدة

٢١٥ ـ **شرف أصحاب الحديث** لأبي بكر أحمد الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ)، تحقيق د. محمد سعيد خطيب أوغلي، دار إحياء السنة النبوية

٢١٦ ـ **شعب الإيمان** لأحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨ هـ)، تحقيق أبو هاجر، دار الكتب العلمية

٢١٧ ـ **الشعر والشعراء** لابن قتيبة الدنيوري، دار المعارف ـ القاهرة تحقيق أحمد محمد شاكر

٢١٨ ـ **الشفا بتعريف حقوق المصطفى** للقاضي عياض (ت ٥٤٤ هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي

٢١٩ ـ **شواذ القرآن** لابن خالويه، مكتبة المتنبي

حرف الصاد

٢٢٠ ـ **صحيح البخاري، بحاشية السندي** للعلامة أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ـ ط. الحلبي

٢٢١ ـ **صحيح ابن حبان** لابن حبان (ت ٣٥٤ هـ)، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية ـ المدينة المنورة

٢٢٢ ـ **صحيح ابن خزيمة** لابن خزيمة (ت ٣١١ هـ)، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، المكتب

الإسلامي ـ بيروت طبعة أولى

٢٢٣ ـ **صحيح مسلم** للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ ـ ٢٦١ هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ـ ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت

٢٢٤ ـ **صحيفة ابن أبي طلحة** حققها راشد عبد المنعم الرجال مكتبة السنة

٢٢٥ ـ **صفة الصفوة** لأبي الفرج بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، حيدر آباد ـ الهند

٢٢٦ ـ **صفة الكلام** للشيخ الظوهري شيخ الجامع الأزهر، مطبعة الحلبي

حرف الضاد

٢٢٧ ـ **الضعفاء** للبخاري (ت ٢٥٦ هـ)، تحقيق بوران ضناوي، عالم الكتب ـ بيروت ـ طبعة أولى

٢٢٨ ـ **الضعفاء** لأبي جعفر العقيلي تحقيق د. عبد المعطي قلعجي دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ طبعة أولى

٢٢٩ ـ **الضعفاء والمتروكين** للنسائي (ت ٣٠٣ هـ)، تحقيق محمود إبراهيم زايد ـ دار الوعي ـ طبعة أولى

٢٣٠ ـ **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع** تأليف: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢ هـ) منشورات دار مكتبة الحياة

حرف الطاء

٢٣١ ـ **الطالع السعيد** لجعفر الأدفوي (ت ٧٤٨ هـ) تحقيق سعد محمد حسن ـ مطابع سجل العرب

٢٣٢ ـ **طبقات الأطباء** لابن أبي أصيبعة، دار الثقافة ـ بيروت

٢٣٣ ـ **طبقات الخواص** لأحمد بن أحمد الشرجي الزبيدي، طبع بمصر

٢٣٤ ـ **طبقات الشافعية** لأبي بكر بن هداية الله الحسيني المتوفى سنة (١٠١٤ هـ)، حققه عادل نويهض ـ الطبعة الأولى سنة ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م ـ دار الأوقاف الجديدة ـ بيروت لبنان.

٢٣٥ ـ **طبقات الشافعية** تأليف: جمال الدين عبد الرحيم الإسنوي ـ المتوفى سنة (٧٧٢هـ) تحقيق عبد الله الجبوري، الجمهورية العراقية رئاسة ديوان الأوقاف، إحياء التراث الإسلامي بغداد سنة ١٣٩٠هـ، ودار الكتب العلمية بيروت لبنان

٢٣٦ ـ **طبقات الشافعية الكبرى** لتاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (٧٢٧ ـ ٧٧١ هـ) تحقيق محمود محمد وعبد الفتاح محمد الحلو، الطبعة الأولى ـ مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه سنة ١٣٨٣هـ/ سنة ١٩٦٤م

٢٣٧ ـ **طبقات الصوفية** لأبي عبد الرحمن السلمي (ت ٤١٢ هـ)، تحقيق نور الدين شريبة، مكتبة الخانجي ـ القاهرة ـ طبعة ثالثة

٢٣٨ ـ **طبقات الفقهاء** لأبي إسحق الشيرازي الشافعي (٣٩٣ ـ ٤٧٦هـ) تحقيق الدكتور إحسان

عباس، الناشر دار الرائد العربي بيروت لبنان سنة ١٩٧٠م

٢٣٩ ـ **طبقات الفقهاء الشافعية** لأبي عاصم محمد بن أحمد العبادي المتوفى سنة (٤٥٨هـ)، طبعة ليدن سنة ١٩٦٤م

٢٤٠ ـ **طبقات ابن قاضي شهبة** لأبي بكر تقي الدين ابن قاضي شهبة (ت ٨٥١ هـ)، تحقيق د. الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب ـ طبعة أولى

٢٤١ ـ **طبقات القراء** لابن الجزري، مكتبة المتنبي

٢٤٢ ـ **الطبقات الكبرى** لابن سعد ـ دار بيروت للطباعة والنشر، دار صادر ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م

٢٤٣ ـ **طبقات المفسرين** للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (٨٤٩ ـ ٩١١هـ)، تحقيق: علي محمد عمر ـ الناشر: مكتبة وهبه ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٧٦م

٢٤٤ ـ **طبقات المفسرين** تصنيف: الحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي المتوفى سنة ٩٤٥هـ، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٣م

٢٤٥ ـ **طبقات النحويين واللغويين** لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي، دار المعارف تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم

٢٤٦ ـ **طيبة النشر في القراءات العشر** لأبي القاسم النويري تحقيق عبد الفتاح السيد أبو سنة مجمع البحوث الإسلامية

حرف العين

٢٤٧ ـ **العبر في خبر من غبر** للحافظ الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، تحقيق د. صلاح الدين المنجد، وزارة الإعلام ـ الكويت

٢٤٨ ـ **الاعتصام** لأبي إسحاق اللخمي الشاطبي (ت ٧٩٠ هـ)، المكتبة التجارية الكبرى بمصر

٢٤٩ ـ **العظمة** لأبي الشيخ الأصبهاني (ت ٣٦٩هـ)، تحقيق رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة ـ الرياض ـ طبعة أولى

٢٥٠ ـ **العلل** لأبي محمد عبد الرحمن الرازي ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧ هـ) دار المعرفة

٢٥١ ـ **العلل المتناهية** لأبي الفرج بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق إرشاد الحق الأثري، دار الكتب العلمية ـ بيروت

٢٥٢ ـ **العلل الواردة في الأحاديث النبوية** لأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني (ت ٣٨٥ هـ) تحقيق محفوظ الرحمن زين الله السلفي (ت ٣٨٥ هـ) دار طيبة ـ طبعة أولى

٢٥٣ ـ **علوم الحديث** للحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥ هـ)، تحقيق د. السيد معظم حسين، مكتبة المتنبي ـ القاهرة

٢٥٤ ـ **العلوم المستودعة في السبع المثاني** للتجيبي الأقليشي، مخطوط تفسير بالأزهر [٢٥٥] ٤٢٥٣

٢٥٥ ـ **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ** لأحمد بن يوسف السمين الحلبي، تحقيق الدكتور محمد التونجي، عالم الكتب، طبعة أولى

٢٥٦ ـ **عمدة القاري شرح صحيح البخاري** لبدر الدين العيني (ت ٨٥٥هـ)، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ـ طبعة أولى

٢٥٧ ـ **عمل اليوم والليلة** لأبي بكر أحمد بن إسحاق الدنيوري (ابن السّنّي) (ت ٣٦٤ هـ)، تحقيق عبد القادر أحمد عطا ـ دار المعرفة ـ بيروت

٢٥٨ ـ **العنوان في القراءات السبع** لأبي طاهر إسماعيل بن خلف الأنصاري تحقيق الدكتور زهير زاهد والدكتور خليل العطية، عالم الكتب، بيروت ـ لبنان

حرف الغين

٢٥٩ ـ **غاية النهاية في طبقات القراء** تأليف: شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري (المتوفى سنة ٨٣٣هـ)، عُنِيَ بنشره ج .براجستراسر ـ ط. دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الطبعة الثالثة سنة ١٩٨٢

٢٥٩ ـ **غاية الوصول شرح لب الأصول** لزكريا بن محمد الأنصاري (ت ٩٢٦ هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي

حرف الفاء

٢٦١ ـ **فتاوى ابن تيمية** لأحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية (ت ٧٢٨هـ)، مطابع الرياض ـ الطبعة الأولى

٢٦٢ ـ **فتح الباري شرح صحيح البخاري** للحافظ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية ـ القاهرة ـ طبعة ثانية

٢٦٣ ـ **فتح العلام** للشيخ زكريا الأنصاري، دار الكتب العلمية، تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود ـ طبعة أولى

٢٦٤ ـ **فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب** لأبي يحيى زكريا الأنصاري (ت ٩٣٥ هـ)، مكتبة مصطفى البابي الحلبي

٢٦٥ ـ **فضائل القرآن** لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق أحمد بن عبد الواحد الخياطي، وزارة الأوقاف المملكة المغربية

٢٦٦ ـ **فقه اللغة وسر العربية** لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي المكتبة التجارية الكبرى (١٣٤٦ ـ ١٩٢٧)

٢٦٧ ـ **الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي** لمحمد بن الحسن الحجوي الثعالبي، طبع في الرباط (١٣٤٠هـ)

٢٦٨ ـ **الفهرست** لابن النديم ـ الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت

٢٦٩ ـ **فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت** لعبد العلي محمد الأنصاري (ت ١١٨٠ هـ)، المطبعة الأميرية ـ بولاق

٢٧٠ ـ **فيض القدير شرح الجامع الصغير** للمناوي (ت ١٠٣١ هـ)، دار الفكر ـ طبعة ثانية

حرف القاف

٢٧١ ـ **القاموس المحيط** لمجد الدين الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)، دار الفكر ـ بيروت

حرف الكاف

٢٧٢ ـ **الكاشف على المحصول** للأصبهاني، مخطوط

٢٧٣ ـ **الكافي في فقه أهل المدينة المالكي** لأبي عُمَر يوسف بن عبد البَرّ، دار الكتب العلمية ـ طبعة أولى

٢٧٤ ـ **الكامل في ضعفاء الرجال** لابن عدي (ت ٣٦٥هـ)، دار الفكر ـ طبعة ثالثة

٢٧٥ ـ **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** تأليف: أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (٤٦٧ ـ ٥٣٨هـ) الطبعة الأولى سنة ١٩٧٧م

٢٧٦ ـ **كشاف القناع عن متن الإقناع** للشيخ العلامة فقيه الحنابلة منصور بن يونس بن إدريس البهوتي ـ نشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة

٢٧٧ ـ **كشف الأسرار** للنسفي، دار الكتب العلمية

٢٧٨ ـ **كشف الخفاء** لإسماعيل بن محمد العجلوني (ت ١١٦٢هـ)، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ طبعة ثالثة

٢٧٩ ـ **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** للعالم الفاضل الأديب المؤرخ مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة، المكتبة الإسلامية بطهران ـ الطبعة الثالثة سنة ١٣٨٧هـ/ ١٩٥٧م

٢٨٠ ـ **الكفاية في علم الرواية** للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، مطبعة السعادة ـ طبعة أولى

٢٨١ ـ **كنز العمال** لعلاء الدين المتقي الهندي (ت ٩٧٥هـ)، مؤسسة الرسالة

٢٨٢ ـ **الكُنى والأسماء** لمسلم بن الحجاج (ت ٢٦١هـ)، تحقيق عبد الرحيم أحمد القشقري، الجامعة الإسلامية ـ المدينة المنورة ـ طبعة أولى

٢٨٣ ـ **الكوكب المنير** لمحمد بن أحمد الفتوحي (ت ٩٧٢هـ)، تحقيق، د/ محمد الزحيلي ود/ نزيه حماد ـ مكتبة العبيكان

حرف اللام

٢٨٤ ـ **لب اللباب في تحرير الأنساب** لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز وأشرف أحمد عبد العزيز دار الكتب العلمية ـ طبعة أولى

٢٨٥ ـ **اللباب في تهذيب الأنساب** لعز الدين ابن الأثير الجزري، دار صادر ـ بيروت

٢٨٦ ـ **لسان العرب** لابن منظور، تحقيق عبدالله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي ـ دار المعارف ـ مصر

٢٨٧ ـ **لسان الميزان** للإمام الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن عليّ بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ، حيدر آباد الهند، تصوير ونشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت لبنان ـ الطبعة الثانية سنة ١٣٩٠هـ/ سنة ١٩٧١م

٢٨٨ ـ **اللمع في العربية** لأبي الفتح عثمان بن جنّي، تحقيق حامد المؤمن، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية طبعة ثانية

حرف الميم

٢٨٩ ـ **المبسوط** لشمس الدين السرخسي، دار المعرفة بيروت

٢٩٠ ـ **مجاز القرآن** صنعة أبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي (ت ٢١٠ هـ)، تحقيق: د/ محمد فؤاد سزكين، الناشر: مكتبة الخانجي

٢٩١ ـ **مجمع الأنهر** طبعة مصطفى البابي الحلبي

٢٩٢ ـ **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧هـ)، مؤسسة المعارف بيروت

٢٩٣ ـ **المجيد في إعراب القرآن المجيد** لإبراهيم محمد الصفاقسي (ت ٧٤٢هـ)، تحقيق موسى محمد زنين، منشورات كلية الدعوة الإسلامية طرابلس ولجنة الحفاظ على التراث الإسلامي

٢٩٤ ـ **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها** لابن جنّي تحقيق: د/ عبد الفتاح شلبي وعلي النجدي ناصف ـ ط. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية سنة ١٩٦٩م

٢٩٥ ـ **المُحَدِّث الفاصِل بين الراوي والواعي** للقاضي الرَّامَهُرْمُزِّي (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق محمد عجاج الخطيب، دار الفكر

٢٩٦ ـ **المحلى** لابن حزم (ت ٤٥٦هـ) طبعة: دار الفكر ـ تحقيق أحمد شاكر

٢٩٧ ـ **المحلى على المنهاج** لجلال الدين المحلي مطبعة مصطفى البابي الحلبي

٢٩٨ ـ **مختار الصحاح** للإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٦م

٢٩٩ ـ **مختصر المنتهى** لأبي عمر عثمان بن عُمَر المعروف بابن الحاجب (ت ٦٤٦ هـ) مطبعة

كردستان بالقاهرة

٣٠٠ ـ **مختلف الرواية** لعلاء الدين محمد بن عبد الحميد أبي الفتح السمرقندي (ت ٥٥٢هـ) تحقيق عيسى زكي عيسى ـ وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ الكويت

٣٠١ ـ **المخصص** تأليف: أبي الحسن علي بن إسماعيل النحوي، اللغوي، الأندلسي المعروف بابن سيده (ت ٤٥٨هـ)، ط. دار الفكر

٣٠٢ ـ **المدخل للبيهقي** (ت ٤٥٨هـ) تحقيق د/ محمد ضياء الرحمٰن الأعظمي، نشر دار الخلفاء بالكويت

٣٠٣ ـ **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان** تأليف الإمام أبي محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني المكي المتوفى سنة ٧٦٨هـ مطبوعات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ،بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، سنة ١٣٩٠هـ/ سنة ١٩٧٠م

٣٠٤ ـ **المراسيل** للحافظ أبي داود سليمان السجستاني (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ـ طبعة أولى

٣٠٥ ـ **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع** تحقيق علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي

٣٠٦ ـ **المستدرك على الصحيحين** للحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ)، دار المعرفة ـ بيروت

٣٠٧ ـ **المستصفى في علم الأصول** لأبي حامد الغزالي، دار المعرفة ـ بيروت

٣٠٨ ـ **مسند البزار** = كشف الأستار للهيثمي (ت ٨٠٧هـ)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة بيروت

٣٠٩ ـ **مسند الحميدي** للحافظ أبي بكر الحميدي (ت ٢١٩هـ)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية ـ طبعة أولى

٣١٠ ـ **مسند الشافعي** لمحمد بن إدريس الشافعي، تحقيق السيد يوسف الزواوي الحسيني، السيد عزت العطار الحسيني، دار الكتب العلمية

٣١١ ـ **مسند الشهاب** للقاضي محمد بن سلامة القضاعي (ت ٤٥٤هـ)، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ)، مؤسسة الرسالة ـ بيروت

٣١٢ ـ **المسودة في أصول الفقه** لآل تيمية، دار الكتاب العربي ـ بيروت

٣١٣ ـ **مشكل الآثار** للطحاوي (ت ٣٢١هـ)، حيدر آباد ـ الهند

٣١٤ ـ **مشيخة ابن الجوزي** (ت ٥٩٧ هـ)، تحقيق محمد محفوظ، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ دار الغرب ـ بيروت

٣١٥ ـ **المصاحف** لأبي بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٣١٦هـ)،

الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية

٣١٦ ـ **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي** ـ أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي (ت ٧٧٠هـ) ط ١٣٩٧هـ/ سنة ١٩٧٧ وأيضاً ط المطبعة العلمية الطبعة الأولى سنة ١٣١٥هـ

٣١٧ ـ **المصنف** لعبد الله بن محمد بن أبي شيبة (ت ٢٣٥هـ)، حيدر آباد ـ الهند ـ طبعة أولى

٣١٨ ـ **المصنف** للحافظ أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١هـ)، ط ١ سنة ١٣٩١هـ/ ١٩٧٢م طبعة المجلس العلمي ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان

٣١٩ ـ **المطالب العالية** لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار المعرفة ـ طبعة أولى

٣٢٠ ـ **المطلع على أبواب المقنع** لشمس الدين محمد بن أبي الفتح البعلي، المكتب الإسلامي

٣٢١ ـ **المعارف** لعبد الله بن مسلم بن قتيبة، حققه دكتور ثروت عكاشة الهيئة المصرية العامة للكتاب

٣٢٢ ـ **معالم التنزيل** لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦ هـ)، دار المعرفة تحقيق خالد عبد الرحمن العك ومروان سوار

٣٢٣ ـ **معاني القرآن وإعرابه** لأبي إسحاق الزجاج (ت ٣١١ هـ)، شرح وتحقيق: د/ عبد الجليل شلبي ـ عالم الكتب ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٨٨م

٣٢٤ ـ **معاني القراءات** لأبي منصور الأزهري (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق د/ عيد مصطفى درويش ود/ عوض بن حمد القوزي طبعة أولى

٣٢٥ ـ **معاهد التنصيص على شواهد التلخيص** للشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسي (ت ٩٦٣هـ)، عالم الكتب ـ بيروت

٣٢٦ ـ **المعتمد** لأبي الحسين محمد بن علي بن الطيب المعتزلي (ت ٤٣٦ هـ)، دار الكتب العلمية ـ طبعة أولى

٣٢٧ ـ **معجم الأدباء** لياقوت ـ ط. الحلبي ـ الطبعة الأخيرة

٣٢٨ ـ **المعجم الأوسط** لأبي القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق د. محمود الطحان، مكتبة المعارف ـ الرياض ـ طبعة أولى

٣٢٩ ـ **معجم البلدان** لياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ)، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية ـ بيروت، طبعة أولى

٣٢٠ ـ **معجم الشعراء** للمرزباني مكتبة القدسي ـ القاهرة طبعة ثانية

٣٣٠ ـ **معجم طبقات الحفاظ المفسرين** لعبد العزيز عز الدين السيروان، عالم الكتب

٣٣٢ ـ **معجم قبائل العرب** لعمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة ـ بيروت

٣٣٣ ـ **المعجم الكبير** لأبي القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي بغداد ـ وزارة الأوقاف

٣٣٤ ـ **معجم المصطلحات النحوية والصرفية** للدكتور محمد سمير نجيب اللبدي، مؤسسة الرسالة، دار الفرقان

٣٣٥ ـ **معجم مقاييس اللغة** لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق شهاب الدين أبي عمرو، دار الفكر ـ بيروت ـ طبعة أولى

٣٣٦ ـ **المعرفة والتاريخ** لأبي يوسف يعقوب الفَسَوِيّ، مكتبة الدار بالمدينة المنور تحقيق د. أكرم ضياء العمري

٣٣٧ ـ **المغني في أُصول الفقه** لعمر بن محمد الخبازي (ت ٦٩١ هـ)، تحقيق محمد مطهربقا

٣٣٨ ـ **مغني اللبيب** لابن هشام (ت ٧٦١ هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ـ مطبعة المدني

٣٣٩ ـ **مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج** لشمس الدين الخطيب الشربيني، تحقيق الشيخ علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية ـ طبعة أولى

٣٤٠ ـ **المغني والشرح الكبير** لعبد الله بن أحمد بن قدامة (ت ٦٢٠ هـ) على مختصر الإمام أبي القاسم عمر بن الحسين بن عبد الله بن أحمد الخرقي، ومعه الشرح الكبير على متن المقنع تأليف الشيخ الإمام شمس الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن أبي عمر محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي (ت ٦٨٢ هـ) ط دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع بيروت ـ لبنان سنة ١٣٩٢هـ.

٣٤١ ـ **مفاتيح الغيب** لفخر الدين الرازي (ت ٦٠٤هـ)، دار الكتب العلمية طبعة أولى

٣٤٢ ـ **مفتاح السعادة ومصباح السيادة** لطاش كبري زاده، حيدر آباد ـ الهند

٣٤٣ ـ **المفضليات** للمفضل الضبي ـ تحقيق: أحمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون، ط. دار المعارف ـ الطبعة السادسة

٣٤٤ ـ **المفهوم** لشيخنا محمد الحضراوي، مخطوط

٣٤٥ ـ **المقاصد النحوية في شرح شواهد الألفية** لمحمود بن أحمد العيني، دار صادر

٣٤٦ ـ **المقتضب** صنعة أبي العباس محمد بن يزيد المُبَرّد (٢١٠ ـ ٢٨٥هـ) تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة ط. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

٣٤٧ ـ **المقدمة** لابن خلدون (ت ٨٠٨هـ)، دار نهضة مصر طبعة ثالثة

٣٤٨ ـ **مقدمة ابن الصلاح** لابن الصلاح، تحقيق د. عائشة عبد الرحمن، الهيئة المصرية العامة للكتاب

٣٤٩ ـ **المغرب** تأليف: علي بن مؤمن المعروف بابن عصفور (ت ٦٦٩ هـ) تحقيق: أحمد عبد الستار الجواري، وعبد الله الجبوري. مطبعة العاني، بغداد ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٧٢م.

٣٥٠ ـ **المكتفى في الوقف والابتداء** للداني تحقيق الدكتور يوسف عبد الرحمن مرعشلي ـ مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٤هـ، وطبعة أخرى قامت بنشرها مؤسسة الحلبي

* **ملحق ديوان الأعشى** = انظر ديوان الأعشى

* ـ **ملحق ديوان كعب بن زهير** = انظر ديوان كعب بن زهير

٣٥١ ـ **الممتع في التصريف** ـ لابن عصفور الإشبيلي (٥٩٧ ـ ٦٦٩هـ)، تحقيق د/ فخر الدين قباوة ـ ط. منشورات دار الآفاق الجديدة ـ بيروت ـ الطبعة الرابعة سنة ١٩٧٩م.

٣٥٢ ـ **مناهج العقول** لمحمد بن الحسن البدخشي، دار الكتب العلمية ـ طبعة أولى

٣٥٣ ـ **مناهل العرفان في علوم القرآن** لمحمد عبد العظيم الزرقاني، مكتبة عيسى البابي الحلبي ـ طبعة ثالثة

٣٠٤ ـ **المنتخب من المسند** لأبي محمد عبد بن حميد (ت ٢٤٩ هـ) مكتبة السنة بالقاهرة تحقيق السيد صبحي البدري السامرائي، محمود محمد خليل الصعيدي

٣٥٥ ـ **المنتقى شرح موطأ مالك** للقاضي سليمان بن خلف الباجي (ت ٤٩٤هـ) الطبعة الأولى مطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٣٣٢هـ

٣٥٦ ـ **منتهى الإرادات** لتقي الدين الفتوحي الحنبلي الشهير بابن النجار، تحقيق عبد الغني عبد الخالق، عالم الكتب

٣٥٧ ـ **المنخول من تعليقات الأصول** لأبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، تحقيق د. محمد حسن هيتو، دار الفكر ـ دمشق ـ طبعة ثانية

٣٥٨ ـ **المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء** للآمدي (الحسن بن بشر)، مكتبة القدسي

٣٥٩ ـ **موارد الظمآن إلى زوائد بن حبان** لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، (ت ٨٠٧هـ) تحقيق حسين سليم أسد، عبده علي كوشك ـ دار الثقافة العربية طبعة أولى

٣٦٠ ـ **الموافقات في أصول الشريعة** لأبي إسحاق الشاطبي (ت ٧٩٠هـ)، تحقيق الشيخ عبد الله دراز دار المعرفة ـ بيروت ـ طبعة ثانية

٣٦١ ـ **الموضوعات** لعبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق عبد الرحمٰن محمد عثمان المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، عام ١٣٨٦هـ

٣٦٢ ـ **ميزان الأصول في نتائج العقول** لعلاء الدين شمس النظر السمرقندي، تحقيق د. عبد الملك

عبد الرحمن السعدي لجنة إحياء التراث العربي والإسلامي مكة المكرمة، طبعة أولى ١٩٨٧

٣٦٣ ـ **ميزان الاعتدال في نقد الرجال** تأليف: أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي ـ ط. دار المعارف ـ بيروت

حرف النون

٣٦٤ ـ **الناسخ المنسوخ في الحديث** لابن شاهين (ت ٣٨٥ هـ)، تحقيق الشيخ علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود دار الكتب العلمية ـ بيروت، طبعة أولى

٣٦٥ ـ **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** تأليف جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي (٨١٣ ـ ٨٧٤هـ) وزارة الثقافة والإرشاد القومي المؤسسة المصرية العامة

٣٦٦ ـ **نزهة الألباء في طبقات الأدباء** لأبي البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، تحقيق: د/ إبراهيم السامرائي ـ مكتبة المنار بالأردن ـ الطبعة الثالثة سنة ١٩٨٥م.

٣٦٧ ـ **نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس** للعباس بن علي الموسوي، طبع في مصر (١٢٩٣هـ)

٣٦٨ ـ **نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض** لأحمد شهاب الدين الخفاجي المصري، مكتبة المشهد الحسيني

٣٦٩ ـ **نشر البنود على مراقي السعود** لعبد الله بن إبراهيم الشنقيطي، دار الكتب العلمية ـ طبعة أولى

٣٧٠ ـ **نشر الطوالع** للعلامة المرعشي الشهير بساجقلي زادة مكتبة العلوم العصية ـ طبعة أولى

٣٧١ ـ **نصب الراية لأحاديث الهداية** للإمام الحافظ البارع العلامة جمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف الحنفي الزيلعي (ت ٧٦٢هـ) الناشر المكتبة الإسلامية، لصاحبها الحاج رياض الشيخ، الطبعة الثانية، سنة ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م

٣٧٢ ـ **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** للمقري (ت ١٠٤١هـ)، طبع دار صادر، تعليق الدكتور إحسان عبّاس

٣٧٣ ـ **نقعة الصديان** للحسن بن محمد بن الحسن الصاغاني (ت ٦٥٠هـ)، تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية ـ طبعة أولى

٣٧٤ ـ **النكت الظراف** لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تصحيح عبد الصمد بن شرف، طبع بحاشية تحفة الأشراف للمزي، الطبعة الأولى، الدار القيمة الهند

٣٧٥ ـ **نكت الهيمان في نكت العميان** لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، المطبعة الجمالية بمصر

٣٧٦ ـ **نهاية الأرب** لشهاب الدين النويري، دار الكتب المصرية، (١٩٢٣م)

٣٧٧ ـ **نهاية السول في شرح منهاج الأصول** لعبد الرحيم الأسنوي (ت ٧٧٢هـ)، المطبعة السلفية ـ عالم الكتب ـ بيروت

٣٧٨ ـ **النهاية في غريب الحديث والأثر** لابن الأثير ـ تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي ـ طبعة الحلبي ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٦٣م.

٣٧٩ ـ **نيل الابتهاج بتطريز الديباج** لأحمد بابا التنبكتي كلية الدعوة الإسلامية ـ طرابلس ليبيا ـ طبعة أولى

٣٨٠ ـ **نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار** للإمام المجتهد قاضي قضاة القطر اليماني محمد بن علي بن محمد الشوكاني، طبعة الحلبي الأخيرة ونسخة أخرى طبعة المكتبة التوفيقية بالقاهرة

حرف الهاء

٣٨١ ـ **الهداية شرح بداية المبتدىء** لبرهان الدين الميرغناني (ت ٥٩٣هـ)، مكتبة مصطفى البابي الحلبي

٣٨٢ ـ **هَدْيُ الساري** للحافظ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية بالقاهرة ـ طبعة ثانية

٣٨٣ ـ **هدية العارفين من كشف الظنون** لإسماعيل باشا البغدادي، دار الفكر

٣٨٤ ـ **همع الهوامع شرح جمع الجوامع** تأليف: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، عُنِيَ بتصحيحه: السيد محمد بدر الدين النعساني، ط. دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت

حرف الواو

٣٨٥ ـ **الوافي بالوفيات** تأليف صلاح الدين خليل بن الصفدي ط ٢ دار النشر بفيسبادن النشرات الإسلامية (٣٨١هـ/ ١٩٦٢م)

٣٨٦ ـ **الوصول إلى الأصول** لأحمد بن علي بن برهان (ت ٥١٨هـ)، تحقيق عبد الحميد علي أبو زنيد، مكتبة المعارف ـ الرياض ـ طبعة أولى

٣٨٨ ـ **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خَلِّكان سنة (٦٠٨ ـ ٦٨١) حققه الدكتور/ إحسان عباس، دار صادر بيروت سنة ١٩٦٨م

طبع على مطابع
دار إحياء التراث العربي